مصر بعد مائة عام

بقلم الاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

جدير بنا في مفتتح سنتنا الجديدة أن نلقي نظرة الى المستقبل بغية رفع النقاب عن أسراره وخفاياه . وقد رغبنا الى الاستاذ عبد القادر المازني الاديب المشهور ان يصف لنا « مصر » كما يراها في مخيلته بعد مائة سنة فأجابنا بتلك الكلمة البليغة . فلتبعه في وصفه الشائق ولنا بعد ذلك ان نوافقه أو نخالفه فيما ذهب اليه [المحرر]

مائة عام ؟ . . . هذه مسافة من الزمن طويلة ، ودون كل عام منها حجب وحجب من أستار غيب الله ، والزمن ماض لا يتمثل رجلا ، والفلك دائر لا يتوقف ، والرقعة واسعة مترامية الى غير نهاية ، والحوادث شتى النهاب مختلفات القوة ، فأنى يكون لي أو لسواي علم باتجاهها آخر الأمر ؟ شيء واحد أدريه ، وأنا على يقين منه ، إذا جهلت ما عداه أو لم أعرفه إلا توهماً ، ذلك اني لن أكون يومئذ حياً يسعى أو يرزق ، مع الأسف ، فلا مازني ولا غيره من هذه الأشباح والطيوف التي تخطر الآن وتتراءى في هذا الحلم الكوني الذي تتغير مناظره ولا ينتهي . ولن تخسر الدنيا يومئذ شيئاً ، وهل تعدم ناساً يدبون على ظهرها ، راتعين وساخطين ، طاعمين وزاهدين ، عاثرين ومتهادين ، مغرورين مفتونين في كل حال ؟

الشباب

وفي ذهني مع ذلك صورة غير واضحة لحياة بعد مائة عام ، لعلها لا تكون مقنعة ، ولكنها هي التي ارتسمت أمامي خطوطها الكبرى ، وخيل لي وانا أمد خطي وأحول أن أستشف هذا الغيب البعيد كأن هذه الدنيا الكائنة ستعرى وأعي بالدنيا ناسها وأهلها ، وصحيح أن الناس يزهون بالشباب ويتجملون بها ، ولكن أصح من ذلك في رأيي أن العناية بالجمال الطبيعي صارت أشد وأعظم ، وقد كانت الشباب وما زالت للزينة قبل النضجة ، ومن الزينة سد النقص ومداراة العيوب وإبراز المفاتن ، وقد صار التفطن الى معاني الجمال المختفية في الجسم الانساني أدق وأعمق ، والالتفات الى « التعبير » فيه أقوى من الالتفات الى « الصورة » ، ومن هنا — بين النساء — السفور الذي يستفيض ويتبعه على الأيام التجرد ، ومظهره الآن إيثار الشفوف وتقصيرها وتعرية الاذرع والصدر وبعض الظهر ، ومن هنا بين الرجال — أو لعل الأصح أن نقول الشبان — التخفيف والتفصيل المحبوك المراد به ابراز محاسن الجسم ، ولا أحسب العري سيكون سبباً في الاباحة أو نتيجة لها ، ذلك أن الجمال معنى شائع وليس مقصوراً على موضع دون موضع ، ألا ترى مثلا انه يحيك أن تقول ما الجميل في الزهرة ؟ أهو هذه الغلالة أو تلك من غلائلها ؟ كلا ! ولا فوهها وحده أو نورها أو كأسها او رائحتها إذا كانت ذات رائحة بل هي ذلك كله ، ولونها أو ألوانها وصبغتها ، وبيئتها أيضاً ، وشوكها كذلك ، والمعاني التي نراها فيها ، والاحساس الذي نفيضه عليها ، والحالة النفسية التي

تكون تحت تأثيرها ـ كل أولئك وغيره مما لا ندرك يتألف منه جمال الزهرة . . ثم ان العادة فعلها ، والعادة تبليد ، واذا ألفت العين الانسانية منظر العري فلن يكون موضع أشد اغراء أو استجاشة للنفس أو تنبيهاً للحواس من موضع ، ولا خوف من الاتكاس إلى المسيحية ، فان الرقي الانساني حقيق أن يكبح عنف العواطف الخشنة ويرقد أو يلجم الغرائز الساذجة . ومن عجائب رياء الانسان أو قدرته على مغالطة نفسه انه ينشد العري ويغذ الخطى الى التجرد ولا يصارح نفسه بحقيقة البواعث الحافزة له على ذلك ، فتراه يزعم ان العري اصح للجسم واحفظ لقوته وضارته ، وقد يكون مخلصاً في توهمه ان الباعث له هو طلب الصحة والتماس العافية ، ولكن مغالطة الانسان لنفسه في الحقائق لا تكون اتم منها حين تكون حماسته ثائرة

الزواج

على اني احسب ان الزمن سيكون قد عتى على نظام الزواج واحاله كما يقولون اثراً بعد عين ، او على الاقل جعله في صورة اخرى تكون اكثر موافقة لاستقلال المرأة ومساواتها للرجل ، وأشد مواءمة لنظام الاجتماع الذي يزداد على الأيام ميلا الى الاشتراكية ، والاشتراكية لا وجود لها في مصر الآن بالمعنى الصحيح ، لأن مدنية مصر لم ترتفع كثيراً عما يسمونه « الفيزيوكراسية » فلا يزال الشعب همه الأول وعمله الأكبر الزراعة وما اليها ، وما انهكت الصناعات عملية صرفا ، والشعب فقير والمال في أيديه قليل ، وأدوات الترف لا يكاد يعرفها السواد الاعظم ، ولكن ضرورات الحياة قريبة المنال من كل واحد ، غير أن الامة مع ذلك بدأت ـ بدأت فقط ـ تتفد تمويلها على الارض وحدها وأخذ أبناؤها يهجرون الحقول وينفضون أيديهم من الحارث وينتفلون الى المدن ، وراحت المدن تكثر وتكبر وتتسع على حساب القرى ، وشرعت الصناعات تنشأ والاحتكار أو ما هو منه قريب او في حكمه ، يوجد ، والتعليم ينتشر ، وسيحس الفلاح على الأيام انه ليس حراً وانما هو عبد لسواه وانه يحرم ثمار كده في الارض . سيحس ذلك أو يتولد الاحساس في نفسه به بفضل ما يقرأ ويسمع وان كان غير صحيح على اطلاقه . واحلق به حينئذ ان يهجر القرية وان تتدفق جموعه على المدن التي تبتلعه وتشقيه وتسخطه على الحياة ، وتلجئه الى الدفاع عن نفسه ، والمدن بطبيعتها اميل الى الصناعات الضخمة ، وهي تنشئها على حساب الانتاج الزراعي والحيواني ، وتخلق بذلك طبقة كبيرة من العاملين بالأجور ليس لهم شبر واحد من الارض يملكونه ، وحياتهم كلها رهن بما يصيب المصنع من كساد او توقف او نحو ذلك

النظام الاجتماعي

فالاشتراكية لا مفر منها في مصر بطبيعة الحال وبقوة العدوى من الغرب أيضاً ، ومآلها آخر الأمر فيما يبدو لي أن يكون كل شيء ملكاً للدولة ، وألا يكون للفرد إلا ما يكسب على أن يؤول بعد موته الى الدولة ، وقد يصير الأبناء كذلك ملكاً للدولة لا لأبويهم ، تربيهم وتنشئهم وتلقيهم الى الحياة رجالاً ونساء يسعون ويكدحون ، ويشقون أو يسعدون ، على قدم المساواة في الحقوق والواجبات ، وقد يتحول الزواج بين الجنسين الى عهد حب تبقى معه العلاقة ما بقيت العاطفة ولا يكون

من شأن العلاقة أن تحتمل المرأة تبعة عن الرجل أو الرجل تبعة عن المرأة ، لأن كلاً منهما مسئول عن نفسه وحدها ، والعولمة مسئولة عن بلبلهما

أيكون هذا فساداً ؟ لا أدري ! ولست أنا المسئول عنه اذا طمى وطغى ، وعلى أن هذا الذي تدعوه فساداً متى خلت منه الدنيا ؟ وبارب رذيلة عصر قد صارت فضيلة عصر آخر ! وينقضي أن أعرف أن الثياب والزواج ونظام الاجتماع الحاضر في مصر أو غيرها عدت الرذيلة أو أشاعت الفضيلة أو جعلت عصرها أعف وأشرف ، ولست أحبذ شيئاً واستهجن خلافه ، وانما أنا أتخيل قياساً على ما أرى وأتتبع الخطوط التي أبصرها حتى أنتهي بها الى ما يبدو لي أنه آخرها بعد مائة عام ثم ارسم الاتجاه الذي أستشفه ، وقد أكون مخطئاً ولعلي مصيب ، بل انا الاثنان معاً على التحقيق

التخاطب والتفاهم

وخير ما يروقني وأشد ما يفتنني من صورة هذا المستقبل البعيد ان الناس سيستغنون عن الكلام والكتابة أيضاً . أو تعجب لهذا ؟ ؟ لماذا بالله ؟ ألم يتفق لك أن تجالس صديقاً وان تمر بكما فترة سكون وصمت وكل منكما في شغل بنفسه ، ثم ترفع عينك الى وجه صديقك فتقرأ في وجهه شيئاً كأنه مكتوب على جبينه وفي عينيه وعلى شفتيه وفي كل خط من خطوط التعبير في الوجه ، بالحرف الجليل ؟ ولا يخامرك ظل من الشك في صدق قراءتك ، فتستأنف الكلام معه لا من حيث انقطع ، بل مما طالعت في محياه ولا تكون مخطئاً ؟ ؟ فما هذا ان لم يكن تخاطباً بالقول ؟ واذا كان يسعنا الآن ان نستغني بالنظرة عن الجملة فلماذا نستبعد ان يكون التعبير في المستقبل بغير الالفاظ ؟ ؟ يشتغل العقل وترسل اليك العين موجات الفكر فتتلقاها وترد عليها بهذه الطريقة كما تبث الرسالة اللاسلكية تقطع آلافاً من الاميال وتخترق النواسف والأعاصير فتتلقفها آلة أخرى وتسجلها وترد اذا شاءت وكأن الأمر يحتاج الى جواب ، وماذا يمنع ان يحصل هذا بين الانسان والانسان كما يحصل بين الآلة والآلة ؟ الطبيعة واحدة وقانونها لا يختلف وموجات الذهن تنتقل ، وليس ينقص الانسان إلا التدريب

ومتى استغنى الناس عن التخاطب بالالفاظ ، فقد بطلت حاجتهم الى الصحف والمجلات والكتب فلا هلال يومئذ ، ولا مصور ، ولا سياسة ، ولا اهرام ، ولا صندوق دنيا أو آخرة ، لان التفاهم يكون يومئذ بغير واسطة من اللسان او القلم ، والصور تنتقل الى الذهن بالأرادة أي بالقدرة على احضارها وتمثلها في ضمير الفؤاد ، ويبطل الأدب من شعر ونثر ، وينقطع فيض الهذر وتستريح الدنيا من غرور الأدباء وزهو الشعراء ، فليت الكتاب والشعراء يعيشون الى ذلك الزمن ليروا بأعينهم كيف تستغني الدنيا عنهم وتزول حاجتها اليهم — ان صح ان بها حاجة — وكيف تنقلب بدونهم أرغد وأهنأ وأطيب مقاماً ، وكيف ان الشعور بالحياة ووقعها كما ينبغي لا يستازم ان يدلوا على العالم وينبهوا ، ويصبروا الناس خدودهم ويشمخوا بأنوفهم ويعدوا أنفسهم فوق مستوى الخلق ، وانصاف آلهة بين الفانين ، وهل الأدب الا نتيجة نقص في التفاهم بين الناس ، وبينهم وبين الطبيعة ؟

التقدم العلمي

وبعد ، فهل بي حاجة ان اقول بعد الذي اسلفت عليه الكلام ان الطيران سيكون واسطة الانتقال

وان حاجة الناس الى الشرطة والقضاء ستظل تتضاءل حتى تنمحي ؟ كلا ! فان طريق التقدم المادي اوضح من حفظ الرقي النفسي والعقلي ، والتمكين به أسهل ، وتتبع مراحله أهون وأقل مشقة ، ولو شئت لأطلت في هذا وقلت مثلاً ان مصر ستكون بلاد الدراسة العليا لطب العيون لأنها بلاد العمي ، ولنها ستخزن حرارة الشمس ليدفأ بها الناس في الشتاء الى آخر ذلك ، ولكن بي حاجة أن أبين ان الجماعة ستكون يومئذ أرقى من ان تترك أمر النسل فوضى ، وأكبر الظن أن أمره سيكون مضبوطاً الى حد لا يسمح بأن يجيء الناس بالقرعة بلا حساب ، كالأرانب أو القطط ، فان الدنيا لا تنقصها كثرة الناس وانما يعوزها أن يكون سكانها جميعاً صالحين للحياة قادرين على الاضطلاع باعبائها ، وكثرة الناس بلا دافع من أكبر أسباب التناحب والمشاكل ، ومع الكثرة يتعذر التنظيم الحسن والرعاية الكافية للمصالح الحيوية ، فلننتظر بعد مائة عام ان يكون الناس قد أدركوا الحاجة الى تنظيم النسل وضبط أمره ، فلا يفون أكثر مما تقتضيه الضرورة ، ولا يأتون الى الدنيا بالضعاف الذين لا خير فيهم ولا أمل في أن يعيشوا الا عالة على المجتمع ، أو لا يفنون عليهم اذا جاءوا خطأ وعلى غير قصد

الفضائل والرذائل

واذا كنت أشك في شيء فلا ذرة عندي من الشك في أن تقدير الناس للفضائل والرذائل ولاسيما الجنسية منها سيتغير تغيراً جوهرياً . وهذا عندي عقيق لائح يوادر ذلك من الآن ، وأرى الناس يميلون الى النظر الى هذه المسائل بين العقل وحده ومن غير تأثر بالعادات والتقاليد ، واكثر ما يرجع ذلك الى رجة الحرب الكبرى أو زلزالها على الاسماع ، فقد قلبت كل شيء رأساً على عقب وأطلقت من عقالها بساطول الكبح عواطف وغرائز ملك الرياء فيها ، وليس ينقص الدنيا إلا زلزال حرب أخرى كذلك لتتم الانقلاب تمامه

وبعد فهل هذه صورة لمصر أو للعالم ، بعد مائة عام ؟ وجواب أن مصر في قلب العالم وان أمواج الحركات العالمية تضربها كما تضرب سواها ، وان لكل حركة في غير مصر صداها القوي عندنا ، واننا نرسم خطوات الغرب ونحذ السير للحاق به ، والخطوات الاولى هي العسيرة دائماً والتي يطول التردد قبلها ، كالطفل لا يمشي الا بعد طول الحبو والتعثر

ولا أستطيع أن أقول ان هذه الصورة التي أثبت هنا بعض معالمها البارزة ، حسنة رائعة ، أو صادقة ، أو صادرة عن تفاؤل بالمستقبل ، ولكنها هي التي تبدو لي وتخايلني من وراء الحجب ، ثم لا شك ان ألوانها من النفس ، وأنا لم أخلق نفسي كما يعلم القارىء فيما أظن !

ومسألة أخرى قبل أن أضع القلم : هل مائة عام تكفي لاحداث هذا الانقلاب كله في مصر ؟ أما أنا فأقول نعم ، وأما المنكر فيقول لا ، فمن يفصل بيننا ؟ لم يبق إلا ان تدعو الله أن ينسأ في آجالنا حتى ندرك ذلك العصر ، فنرى بأعيننا ، واذا مد الله في أعمارنا فلن نرضى يومئذ عما نشهد لاننا نكون بقية متخلفة من الماضي العتيق ، نغني أبناء ذلك المستقبل عن اتخاذ المتاحف والآثار

ابراهيم عبد القادر المازني

بعد الرحلة الى المانيا

حديث مع السيدة هدى شعراوي

نصيب المرأة في توطيد السلم العالمي

رأى زعيمة النهضة النسائية في اشتراك المرأة في الانتخابات النيابية

ما كاد الله يقبض الى جواره المغفور له علي شعراوي باشا أحد الاقطاب الثلاثة الذين توجهوا في ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ الى دار الحماية البريطانية وجاهروا السر رجنلد ونجت المعتمد البريطاني إذ ذاك بأن المصريين أضحوا أهلاً لأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم وانهم يطلبون السماح لزعمائهم بالسفر الى أوربا ليعملوا على تحقيق استقلال بلادهم — نقول انه ما كادت تلك النفس الأبية تنتقل الى جوار خالقها حتى خلفت السيدة الجليلة هدى هانم شعراوي مترك الحياة الذي أبى فيه قرينها بلاءه الحسن وشرف حمله الراية التي أودعها إياها لا في سبيل القضية السياسية التي لها رجالها بل في سبيل رفع كلمة المرأة المصرية وإعلاء شأنها حتى تبلغ المستوى الذي تتبوأ شقيقتها الغربية فجاهدت في هذا السبيل جهاداً عنيداً كان شاقاً في بادىء الامر لأن كثيرين من الناس أخطأوا فهم الغاية التي تسعى لها السيدة هدى فحملوا عليها حملة شعواء بنوها على مختلف الاسباب التي استطاعوا تلفيقها وادعاءها ولكنها لم تحفل بهذه العقبات التي اعترضت لها وعكفت على تذليلها متدرعة بالمثابرة والثبات الى أن فازت بتحقيق مقصدها وأصبح مواطنوها ينظرون اليها كزعيمة الحركة النسائية في مصر وراعية لواء نهضتها

وقد سافرت السيدة هدى في هذا الصيف الى المانيا لتحضر جلسات المؤتمر النسائي الدولي الذي عقد في برلين ومثل فيه « الاتحاد النسائي المصري » الذي ترأسه عصمتها وكان يصحبها في رحلتها الكاتبة القديرة الآنسة سيزا نبراوي محررة مجلة « الاجبسيان » المجلة النسائية الشرقية الوحيدة التي تصدر باللغة الفرنسية لاطلاع المرأة الغربية على كل خطوة تخطوها المرأة الشرقية في طريق النهضة النسائية . وقد اتفق عقد ذلك المؤتمر في الوقت الذي كان جلالة الملك يزور فيه مدينة برلين زيارته الرسمية فكان ذلك من اكبر البواعث التي بعثت الألمان على مضاعفة الاهتمام بمقدم الوفد النسائي المصري والمبالغة في الترحيب به . وقد كان من أبهى الحفلات التي أقيمت اكراماً له مأدبة العشاء التي أدبتها البارونة فون كاردورف زعيمة النهضة النسائية في المانيا وعقيلة وكيل مجلس الرخستاج

وجعلت السيدة هدى واسطة عقدها ودعت اليها جمهوراً كبيراً من الوزراء والكبراء وأعضاء البرلمان حتى اذا استقر بهم المقام حدثتهم عما شاهدته من آثار النهضة النسائية في خلال زيارتها لمصر في الشتاء الماضي ولما انتهت من كلامها دنت من السيدة هدى وقبلتها وهي تقول : « ان ألمانيا لسعيدة اليوم بأن تقبل شقيقتها مصر » فصفق الحاضرون تصفيقاً شديداً وهتفوا لمصر ثلاثاً

* * *

وقد عادت السيدة هدى الى مصر حديثاً فرأينا أن نقابلها ونظفر منها بحديث عما شاهدته في خلال رحلتها الأخيرة فقابلتنا بما طبعت عليه من لطف وعجاملة وأخذت تحدثنا عن مشاهداتها وآرائها حديثاً عذباً مستفيضاً بلهجة فصيحة تعرف ما تريد أن تقول وتقدر مدى ما ترمي قوله محيطة بالظواهر الاجتماعية من جميع نواحيها مقبلة الحوادث العالمية التي لها صلة بالنهضة النسائية على جميع وجوهها فكان حديثاً شائقاً طريفاً استهلته بقولها انها لما زارت الولايات المتحدة الاميركية وشاهدت فيها من مظاهر الحضارة والمدنية ما استوقف نظرها واسترعى اهتمامها تبادر الى ذهنها أن الاميركيين بلغوا ذروة ما يستطيع الناس بلوغه في توفير أسباب رفاهيتهم الاجتماعية وظل هذا الاعتقاد يسودها رغم كثرة تجولها في بعض البلدان الاوربية إلى أن أتيح لها زيارة المانيا في هذا الصيف فتبدد ذلك الاعتقاد من بنيتها إذ تحقق لها أن الاميركيين وصلوا إلى ما كان الالمان قد بدأوا به وان أساس كل ما رأته في أميركا من الامور التي خلبت لبها كان قائماً في المانيا التي هي اليتبوع الحقيقي لكل تقدم ورقي وعمران حتى في الفنون الجميلة فان عصمتها لما زارت دار البلدية في برلين لتحضر المأدبة التي أدبتها عمدتها اكراماً لأعضاء المؤتمر النسائي أدهشتها ما حوته تلك الدار الفخمة من آثار الفن العصري وازدادت دهشتها كثيراً لما علمت ان تلك الآثار موجودة من قبل الحرب العظمى مع ان الفن الحديث أو الفن العصري لم يشع في سائر بلدان أوربا إلا بعد الحرب العظمى

* * *

ثم استطردت السيدة هدى إلى الكلام عن مقام المرأة الالمانية الحالية فقالت : « لقد وصلت المرأة الالمانية بعد جهاد وكفاح داما خمساً وعشرين سنة إلى أقصى ما تستطيع المرأة أن تصبو اليه ، ومما لا ريب فيه أن المرأة الالمانية تتمتع اليوم بحريتها كاملة ، وما كانت هذه الحرية التي نالتها عن جدارة واستحقاق لتحولها عن الواجبات الملقاة على عاتقها أو لتنسيها واجباً منها ، بل هي تعمل اليوم بكد وجد لتساعد الرجل على إقالة المانيا من عثارها بدون أن تهمل شؤون زوجها وأولادها ، وسهرها على رفاهية أولادها وسعادتهم هو الذي يدفعها الآن الى الحركة التي قامت بها أخيراً للمطالبة بتخويلها نفس الحقوق المدنية التي يتمتع بها الرجل في المانيا وذلك لكي تضمن لأولادها ما يلزم لتربيتهم وتعليمهم اذا كان زوجها مسرفاً طائشاً أو مبدداً مستبداً »

وهنا سكتت هدى هانم لحظة ثم قالت : « وتظنون أنني أديت في برلين مأدبة عشاء لجمهور من وزراء الالمان الحاليين والسابقين وكرائم الاوانس والسيدات ويسرني أن أخبركم أن وزير الخفانية الالمانية كان في مقدمة من لبي الدعوة الى تلك المأدبة وقد خطب فيها بعد ما سمع أقوال فريق من الخطباء الالمان والمصريين فقال انه يتشرف بأن يكون من أنصار النهضة النسائية في العالم وانه لمن بواعث اغتباطه أن يجاهر في هذه المأدبة المصرية بأنه وهو كوزير للخفانية الالمانية سيفرغ قصارى طاقته ليعمل على تحقيق مطالب المرأة الالمانية التي ترمي الى مساواتها بالرجل في الحقوق المدنية » . وهنا ذكرت السيدة هدى انها لما سمعت منه هذا الكلام نهضت وشكرته على مجاملته الرقيقة

ومضت صديقتنا الجليلة في حديثها فقالت : « ولا أخالني مخطئة اذا قلت لكم إن مقام المرأة الالمانية الحالية يقوم على دعامة قوية هي في نظري أعظم دعامة تستطيع نهضة نسائية أن تقوم عليها وأعني بذلك ان الرجل الالماني يسلم بحقوق المرأة الالمانية مقتنعاً لا ممتلاً بخلاف الحالة في البلدان الاخرى حيث يسلم الرجل بمطالب المرأة ممتلاً لا مقتنعاً ، وأهمية هذا الفرق بين الحالين لا تخفى على المفكر ، وليس من شك في أن هذا الاقتناع هو الذي حدا بوزير الخفانية على المجاهرة بما سجلته المرأة الالمانية عليه »

* * *

وسألنا السيدة هدى عن المؤتمر النسائي الدولي الذي حضرته في برلين في هذا الصيف فقالت : « ان الذي دعا الى عقد هذا المؤتمر هو الاتحاد النسائي الدولي وقد كان لعقده ثلاثة أسباب جوهرية أولها الاحتفال بانقضاء خمس وعشرين سنة على تأسيس الاتحاد النسائي الدولي ، وثانيها البحث في مطالب المرأة الخاص بتعميم حقها في الاشتراك في الانتخابات النيابية ، وثالثها انتهاز هذه الفرصة للقيام بمظاهرة كبيرة في سبيل حركة السلم في العالم »

فقلنا : « وهل تعتقدين عصمتك ان حركة اشتراك المرأة في الانتخابات النيابية أسفرت عن النتيجة التي كانت تبغيها؟» فقالت : «طبعاً ! وقد بلغ عدد الدول التي اعترفت بهذا الحق للمرأة خمساً وعشرين دولة ، وثبت لي في أثناء إقامتي في برلين أن النائبات الالمانيات اللائي يجلسن في مجلس الرخستاج أسدين الى بلادهن خدمات جليلة بالآراء السديدة التي أبدينها عند نظر القوانين الاجتماعية وقوانين العمل التي تحدد ساعات العمل للنساء والاولاد ، والحقوق التي يجب أن تتمتع بها الأم العاملة قبل الولادة وبعدها الى غير ذلك من الامور التي كان لا بد للمرأة من إبداء رأيها فيها لكي يفصل فيها على الوجه الاكمل . ومما لا ريب فيه انه اذا كانت كفة حزب العمال الانجليزي قد رجحت في الانتخابات الاخيرة فان الفضل في ذلك يعود الى الاصوات التي منحته إياها النساء لأنه لما كانت المرأة تميل الآن الى السلم بكل جوارحها أعطت الناخبة الانجليزية صوتها للحزب الذي ترى أن برنامجه يطابق مبادىء السلام اكثر من غيره ، فكان من نتيجة ذلك تصفية مسألة التعويض وجلاء الجنود الانجليزية عن

بلاد الزين وعرض مشروع معاهدة ممتازة على مصر وسفر السنر مكدونلد الى الولايات المتحدة ليقف مع السنر هوفر رئيس الجمهورية على مسألة تخفيض السلاح البحري »

قالت : « إن المرأة التي اكتوت بنار الحرب العظمى اكثر من الرجل لأن جميع نتائج الحرب وعواقبها وقعت على رأسها . نعم ان الذي حارب وقتل وجرح هو الرجل ولكن الشخص الذي تحمل المصاب وويلاته بعد ذلك هو المرأة ، فهذه المرأة نفسها قد سئمت الحرب بل إن مجرد شبحها يخيفها ويثير نار الاحزان الراكدة في قلبها ، فلذلك تراها الآن تسعى لتقطع دابرها بكل قواها وما دامت هذه غايتها فستفوز بتحقيقها ، ولا اظن انني في حاجة الى بسط التأثير العظيم الذي تستطيع المرأة ان تؤثره في وسطها وبين أفراد أسرتها كما انني لست في حاجة الى وصف الخدم الجليلة التي تستطيع المرأة أن تسديها الى السلم بتوجيه جميع قواها الى بث روح السلم والوئام بين أولادها وأقربها ، وقد كان للمظاهرة التي أقامها اعضاء المؤتمر انتصاراً للسلم وقع عظيم في نفوس الالمان والأجانب الذين شاهدوها . ومن بواعث الارتياح ان مصر كانت ممثلة فيها »

واذ أحببنا أن نعرف رأي السيدة هدى في حق المرأة في الاشتراك في الانتخابات النيابية من الناحية المصرية قالت لنا : « اذا كان ليس من الميسر الآن للمرأة المصرية ان تشترك في الانتخابات النيابية فاننا نأمل ان يتيسر لها ذلك يوماً ما ان شاء الله ونرجو ألا يكون أمده بعيداً ، وعلى كل حال انني أرى انه يجدر بالمرأة المصرية ان تشترك أولا في مجالس المديريات والبلدية التي هي ليست في الواقع سوى برلمانات صغيرة حتى اذا عرفت فيها على حقيقتها مرافق البلاد الحيوية ومارست بحث المسائل العامة استطاعت بعد ذلك الاضطلاع بمهمتها في مجلس النواب بما يحقق الغاية من وجودها فيه »

* * *

وانتقلت السيدة هدى بعد ذلك الى الكلام عما كان للوفد النسائي المصري من الأثر الطيب في أعمال المؤتمر، فقالت « لو لم أكن رئيسة الوفد النسائي المصري الذي اشترك في أعمال المؤتمر الذكور لجاز لي أن أحدثكم عن الدور البارز الذي لعبه هذا الوفد في الايام القليلة التي قضاها في برلين، فحسبي ان أردد لكم ما ذكرته البارونة فون كاردورف في احدى خطبها اذ قالت عند اشارتها الى الجهود التي بذلتها سيدات مصر: « وبلغ من شدة اعجابي بنشاطهن وحماسهن انني قلت في نفسي لو لم أكن ألمانية لاحببت ان أكون مصرية » وقد أظهرت ممثلات مصر لممثلات الدول الغربية التي اشتركت في المؤتمر ان مصر ليست شطراً من عالم أفريقية ولكنها غدت اليوم في حالة تمكنها من الجلوس الى جانب المرأة الفرنسية والانجليزية والالمانية . فتمثل بلاد الفراعنة تمثيلا مشرفاً خليقاً بكل اجلال واكبار »

كريم ثابت

أهم حادث أثر في مجرى حياتي

أمين سامي باشا . أحمد شوقي بك . محمد فريد بك وجدي

في كل عدد نستفتي ثلاثة من كبار رجالنا عن أهم حادث أثر في حياتهم ، لما لهذا الموضوع الجديد من الفائدة الادبية والاجتماعية التي تعود على القارىء بالعبرة وتنوير الذهن لانتهاج خير الطرق في الحياة حتى يبلغ ما بلغه هؤلاء من مركز سام وقدر كبير في المجتمع
[الفرد]

أمين سامي باشا

مؤلف « تقويم النيل »

الحادث الذي أعده أهم ما أثر في حياتي يرجع تاريخه الى عهد بعيد ، الى عهد الصبا منذ كنت تلميذاً صغيراً في مدرسة البتدبان لا أتجاوز العام السادس . فقد حدث أني رغبت في السفر الى أهلي بالقناطر الخيرية ، فذهبت الى محطة مصر ، وكانت أرضها وقتئذ ترية ، وأردت اللحاق بالقطار فلم أستطع ذلك اذ كنت جد متأخر ، فرجعت أدراجي ، وبينما أنا أسير على الرصيف لمحت « نصف ريال مجيدي » بين ثنايا رمله ، فانحنيت عن أخذه وتركته مكانه

وكان لي قريب من طلبة العلم بالازهر الشريف ، فتوجهت لاخباره بتأخري عن السفر ، وأنبأته أني رأيت ريالاً مجيدياً على رصيف المحطة ، فنهض وأمرني بمصاحبته الى مكان الريال فوجدناه كما هو ، فهوى اليه وتناوله لنفسه وحده

أما أنا فوجدت في عفتي ما شرح صدري وأراح ضميري ، فلازمتها طول دراستي الابتدائية والثانوية والعالية ، فهونت علي نصبي الحياة ، وسهلت أمامي المصاعب ، فلم يعقني عن نجاحي في كل عام عائق . ولما انتهت دراستي العالية بمدرسة المهندسخانة ، وصرت في انتظار التعيين أنا وخمسة من اخواني ، حدث ذات ليلة ونحن نائمون في المدرسة أن شبت النار في مخزن وزارة المعارف وتصاعد لهيبها حتى أحس به مؤذن صلاة الفجر في جامع مصطفى باشا ، وكان كفيف البصر ، فبدلاً من أن يؤذن للصلاة صار ينادي البواب قائلاً : « الحريق يا عبد الله . . الحريق يا عبد الله . . » فقمنا نحن التلامذة هالعين ، وفزع الناس والبواب الى مكان الحريق ، أما أنا فقد ذهبت الى مسجد السيدة زينب حيث أديت فريضة الصبح

ولما ارتفع النهار قابلني باشكاتب الديوان (وزارة المعارف) وطلب مني أن أوقع على « محضر » يتضمن ان الحريق وقع بالقضاء والقدر ، وألحّ عليّ على توقيع زملائي الخمسة ، فلم أجد في نفسي ارتياحاً الى هذا العمل لاني لم أذهب لمشاهدة الحريق حتى أقف على سببه : هل هو القضاء والقدر أو العمد ، ورفضت التوقيع على « المحضر » ، فهددني الباشكاتب وقال لي : « ان استخدامك مرتبط بالتوقيع » ، فقلت له : « سيان عندي ان استخدم أو لا استخدم ، أما أن أوقع على شيء لم أعرف حقيقته فهذا مما لا أقبله مطلقاً »

وفي الساعة العاشرة طلبني المرحوم اسماعيل زهدي باشا وكيل الديوان ، وشدد عليّ في ضرورة التوقيع على « المحضر » وأوعدني بعدم الاستخدام إن لم اوقع ، ولكن لم يزدني كل ذلك إلا امتناعاً . وفي الساعة الرابعة بعد ظهر هذا اليوم دعينا نحن الستة الى مقابلة المغفور له « دور باك » مفتش عموم المدارس والكاتب ، فأول ما خطر بنفسي عند مقابلته هو اخراجي من عداد الذين سيعينون عقاباً لي على مخالفتي ، ولكن لما مثلنا بين يديه كان أول ما نادى به من الاسماء « امين سامي » فأجبته فوراً فقال لي : « ان مدرسي المدرسة انتخبوك لتكون مدرساً للساحة بمدرسة بني سويف لمقدرتك في الاعمال الطبوغرافية » وناولني منهج الدراسة وأمرني بالسفر صباح اليوم التالي وعين اخواني في وظائف أخرى ، وكانت ذلك في ختام شهر شوال سنة ١٢٩٩ الهجرية ، وعمري إذ ذاك تسعة عشر عاماً

فلما ذهبت إلى قرنفل بمدرسة بني سويف وجدتهم في نهاية الشهر الاول من ابتداء الدراسة ، فكان عليّ إذاً ان اتهيأ لدراسة جميع ما ظهر في اثناء هذه المدة حتى لا يفوتني العام قبل ان يتموا كل المقرر في هذا العام ، واخذت أدرس ليل نهار وليلاً في المدرسة ، وفي الاستراحة من الاعمال الطبوغرافية في الزريعة ، دون أن اجد في ذلك سأماً أو اعناتاً ، مع ان مرتب المدرس في هذا العهد كان لا يزيد عن اربعة جنيهات ، ولكن العفة والانشراح اللذين لازماني من الصغر كانا اكبر معوان لي على الجد والنشاط في حياتي

احمد شوقي بك

أمير الشعراء

إذا عُزي الى الحرب الكبرى كثير من التغيرات والانقلابات في انظمة العالم وشئونه الاجتماعية والادبية ، فاني أعزو إليها هذا الأثر العظيم الذي أحدثته في مجرى حياتي ، وكان له فضل كبير فيما نلته من مكانة في الادب ، وامتلاك لناصية الشعر العربي

ذلك انه لما وقعت الحرب الكبرى ، وشمل العالم هذا الاضطراب الشديد ، وانضمت تركيا الى الالمان ، عمدت انجلترا الى قلب نظام الحكم في مصر . وأعلنت انتهاء حكم الخديو عباس حلمي الثاني

ثم احتفت تنبي عن مصر كل من لهم صلة به ، فأمرني بالرحيل الى أسبانيا ، فجمعت عائلتي ، واصطحبت مكتبتي وسائر مرافقي ، وغادرت مصر إلى برشلونة ، وهي ثغر على شاطىء البحر الابيض يشبه مرسيليا في الدنيا والرقي ، ويكاد يعم عما كان فيه من سالف الحضارة العربية في عهد الدولة الاندلسية

نزلت برشلونة مع عائلتي ، ونزلها أيضاً الامير عمر ابراهيم ، والامير حبيب لطفالله ، ولم يكن فيها من الجالية العربية أحد غيرنا ، فأدخلت أولادي في بعض مدارسها الراقية ، ثم عكفت على قراءة كتب الأدب العربي في غير أوقات الدرس ومشاهدة البيئة ، فاستوعبت منها ما لم أكن قد استوعبته وطالعتها كلها حتى أكاد أقول أنه ليس في الادب العربي كتاب لم أستوعبه في خلال السنين الخمس التي مكثتها باسبانيا

وقد ساعدني في ذلك طبيعة الجو اللطيف الذي يشبه جو الاسكندرية ، وجمال المناظر التي تحاكي صورها الاستانة في رشاقتها ونظامها . هذا الى اخلاق الاهالي التي تميل الى الاخلاق الشرقية العربية مما جعل بيني وبينهم ألفة حسنة شعرت اثناءها بأني بين أبناء وطن واحد ، لاسيما أن هناك من العائلات الراقية من تفتخر بأنها من أصل عربي وتنتسب الى بني أمية ، ولذلك يقل شرب الخمر في اسبانيا ، ويندر أن تجد فيها الجرائم

أما الديكورطية فقد كانت بديعة جميلة الطبيعة ، وهي تعتمد على عنصر عظيماً كبيراً ، وكان الرجاء باسبانيا اثناء الحرب الكبرى شديداً ، فلم يشك سوء الحال لاقتصاره أثناء الحرب كما كان في سائر الممالك الأخرى ، وبقي لها ما هي لمسكة وحيدة في دعم ، تعين أهلها على بعض في المطاعم

في هذا الجو ، وفي خلال هذه الظروف الكريمة نشأ أدبي وأدب ابني ، واستأنفت دراستي له بعناية واهتمام ، وعكفت على رياضة الذهن في ثمرات الفرع العربية منثورها ومنظومها ، فحصلت منها على ثروة لم أفز بها من قبل

وكنت في خلال ذلك أكتب ما يعن لي من نثر أو شعر ، فألفت جزءاً كبيراً من « أسواق الذهب » ، ونظمت قصيدة تاريخية تبلغ ألف بيت عن دول العرب من الجاهلية الى نهاية دولة بني العباس ، وسوف أقوم بطبعها هي و « أسواق الذهب » ان شاء الله

محمد فريد بك وجدي

مؤلف « دائرة معارف القرن العشرين »

لكثير من الحوادث التي مرت في تأثير في حياتي من وجوه مختلفة تتعلق بالنفس أو بغيرها ، غير أن أهم حدث وقع لي منذ كنت ناشئاً وكان له أكبر أثر فيما اتجهت اليه ، هو حادث « الشك في العقيدة » الذي أدى بي الى الشك في كل شيء من العلوم الدينية وغيرها

فقد كنت في سن السادسة عشرة طالباً في المدرسة التجهيزية ، وكان أبي مصطفى بك موظفاً في الحكومة المصرية ، وحدث وقتئذ أن اختير وكيلا لمحافظ دمياط ، فكان لابد من انتقالي مع عائلتي الى هذه المدينة التي اشتهر أهلها بسلامة الأخلاق والتعفف في الدين

وما زلنا مع أبي في هذه البلدة حتى أحد كبار أهلها وعظمائها يعدون عليه للترحيب به ، فكان يجتمع في دارنا عدد كبير منهم ، وكانت تدور أثناء المجلس عدة مناقشات دينية وحدث فيها مجالاً للبحث والتفكير ، غير اني كنت إذا ناقشت أحد العلماء في مسألة تتعلق بالكون أو الخالق ، أسرع إلى قفل باب المناقشة ، وأمري بألا أخوض في المسائل الدينية أو ابدي فيها رأياً ، فكنت أمتعض لذلك ، وأرى ان فيه حجراً على العقل لا مسوغ ، وأحدث أبحث عن السبب الذي أدى بهم إلى هذا الجمود ، وقلت في نفسي لا بد أن يكون ما يدرسونه من الكتب عقيماً ، ومن هنا تزلزلت عقيدتي ، وشرع الشك يتسرب إلى نفسي حتى صرت لا ارتاح إلى رأي واحد يتضمنه كتاب ، ولا اقتصر على فكرة معينة يعتنقها بعض العلماء في اثباتها على أوتي من قوة الحجة ، وسطوع البرهان

وجعلت اتناول بالقراءة والدرس جميع الكتب الدينية والكونية والاجتماعية ، وسائر ما يتعلق بها بعلم النفس ، وأكب على ذلك عدة سنين ، وكشف لي مراراً وتكراراً عما يطلق احياناً ، وجال بفكري في الكائنات حولي فرأيني في اتناوله بالبحث ، ودرس حتى صرت لا اقنع بفكرة دون أن اعمل بدرسها وتمحيصها معتمداً في ذلك على حجاري العقلية التي مرنت على قبول هذه السبل

وقد افادني هذا الشك استقلالاً في التفكير ، وتحللاً من التقليد ، وزعمه في استيفاء ما يقع بيدي من الكتب على اختلاف انواعها قدر وسعه ، كما افادني رغبة في البحث ، وعناية بما اتناوله بالتمحيص دون ان أحد في ذلك مللاً ، حتى ربما كنت في بعض الأحيان أسهر الليل بطوله ، وأنا مستغرق في مطالعة كتاب من كتب الفلسفة ، أو في مناقشة مسألة من مسائلها

حديث مع وكيل الصحة :

الدكتور شاهين باشا

ومشاهداته في اوربا

وكان المنصب الذي يتقلده سعادة الدكتور محمد شاهين باشا لا يحتاج الا الى كفاءة فنية لاستطاع كل طبيب ماهر مجرب ان يهتم بأعبائه ولكنه في الواقع منصب خطير يضم اليه علاوة على الشئون الفنية أعمالاً ادارية واسعة النطاق تحتاج في تصريفها الى اداري كبير يجمع ما بين احترام القرون بالقدوة الطيبة والعزم المقرون بالاطلاع الواسع والخبرة الناصحة وهي صفات اجتمعت كلها في الدكتور شاهين باشا ، فأسندت اليه أعباء مصلحة الصحة الشاقة وشرفه مجلس الملاي بثقة عالية. فجعل منه نديمه الخاص يعوده يومياً في قصره ورافق ركابه في جميع أسفاره وحسبه هذه الثقة مكافأة على جهوده وتقديراً لنبوغه

وقد كان سعادة الدكتور شاهين باشا في مقدمة من حظي بمرافقة [illegible] الى مستشفاها حلالة الملك معه الى أوربا في هذا الصيف في زيارته الرسمية لكل من [illegible] وفي زياراته العادية لفرنسا وانجلترا وايطاليا [illegible] والاستقبالات استطاع شاهين باشا ان يجد في كل [illegible] والصحية التي تستحق زيارته ، وكان حلالة الملك [illegible] في كل مرة [illegible] في بعض تلك الزيارات الخاصة ، فجمع منها معلومات وفيرة كان لها أعظم وقع في نفسه فأخذ يصرح للمندوبين كانوا معه عرضه على القراء ما يصلح منها لمصر وادماجه في البرنامج الصحي الذي وضعته مصلحة الصحة العمومية للسنوات العشر المقبلة . وقد اخترنا فرصة عودة سعادته الى مصر أخيراً فقابلناه وحدثناه ووقفنا منه على طائفة كبيرة من البيانات التي يجد القراء الاطلاع عليها مما سنورده فيما يلي :

* * *

أخبرنا الدكتور شاهين باشا انه لما وصل الى « ناولي » تحية حلالة الملك زار المصحة الجديدة التي أنشأها جمعية السيدات موسوليني فيها لأبناء الاولاد المصابين بالتدرن الرئوي . وقد اختير لها بقعة طبيعية جميلة تقوم على ربوة تشرف على شاطىء البحر وتمتد اليها الشمس من كل جهة مع اعتدال مناسب في الهواء . وقد أنشئت هذه المصحة لسببين جوهريين أولهما فصل أولئك الاولاد عن أهلهم الذين تأصل فيهم الداء واحتوى على بيوتهم التي لم تتوفر فيها شروط الصحة فصار من الصعب فيهم دواء . وثانيهما تربية أولئك الاولاد وتعليمهم في جو صحي ملائم تظهره حرارة الشمس التي

يحرصون فيه طول النهار . وشيد موسوليني الى جانب هذه المصحة مستوصفاً كبيراً لمعالجة الدرن الرئوي أيضاً في الاشخاص الفقراء وقد زار شاهين باشا أقسام هذا المستوصف وتفقد نظامها ومعداتها فخرج منها وهو معجب بكل ما رأى فيها حد الاعجاب حتى انه صارحنا بأنه لم ير في رحلته كلها مستوصفاً أتقن تنظيمه وكملت معداته كهذا المستوصف

واستأنف شاهين باشا حديثه فقال : « ولما وصلت الى لندن ذهبت الى زيارة دار مدرسة طب المناطق الحارة وكان معي في هذه الزيارة معالي ابراهيم فهمي بك ، وصديق الدكتور علي ابراهيم بك وعبرها ، فلما بلغنا الدار التي بنيت لتكون مقراً لتلك المدرسة الناشئة أدهشني عظمها وفخامتها وأهمت مهمة القائمين بأمرها وتطلعت الى اليوم الذي يتاح لي فيه أن ترى مستشفى الامراض المتوطنة قد تم بناؤه عندنا بعد ما قررت الحكومة انشاءه بما أن مصر أولى من غيرها لأن تكون المركز الاول لدرس طب المناطق الحارة واجراء الابحاث العلمية الخاصة به

« ولم أمس في خلال اقامتي في أوربا متحف فؤاد الصحي ، فاني لما زرت المتحف الصحي الكبير القائم في مدينة موبيخ الالمانية استوقفت نظري طائفة غنية من النماذج التي عرضت فيه على سبيل نشر الدعوة الصحية فأوصيت بعمل نحو عشرة منها لعرضها في متحف فؤاد الصحي في العاصمة »

* * *

وأخبرنا سعادة عبد الله في سياق حديثه أنه [illegible] من السنوات في خلال مرافقته لركاب جلالة الملك في زيارته الرسمية لبعض عواصم أوربا ، وأنه رأى أن حكومات تلك البلدان تجري على خطة حكيمة عند وضع خطط [illegible] المستشفيات ، وهي أنها تراعي عند تحديد مساحات تلك المستشفيات وتوزيع غرفها وجناحها [illegible] البلاد في السنوات المقبلة فلا تضطر كل سنة أو سنتين الى ادخال اتساعات جديدة عليها . وقول شاهين باشا ان عناية القائمين بأمر المستشفيات الكبيرة اتجهت الى جعل مستشفياتهم أشبه شيء بحدائق كبيرة توفرت فيها جميع شروط الراحة ووسائل الرفاهية بحيث يسر رؤاها انهم مقبلون في مستشفيات ومصحات ولا يحس ما لذلك من التأثير في أعصابهم . وقد عدنا في المستشفيات المذكورة عن ماء البحار الفسيحة التي تبعد خمسين مرسخاً أو أكثر واستعضنا عنها بماء صخري يجلب من بئر أسرة الى عشرة وفي ذلك حكمة ظاهرة وهي امكان أعداء المستشفى في مثل هذه الحالة من الفصل بين المرضى وقلة كل فريق في عنبر خاص مع مراعاة سير المرض وسير اتجاهه

واستطرد شاهين باشا بعد تقدم الى الكلام عن المستشفيات الاميرية في مصر فقال ان عددها حتى سنة ١٩٢٩ لم يكن يتجاوز عشرة فأدخلت عليها في السنين السبع الاخيرة اصلاحات شتى أهمها : انشاء أقسام جديدة فيها للاشعة والراديو وبيت خاصة من المستشفيات الكبيرة للحميات وعزلها في

العاصمة وفي طنطا وأسيوط والمنصورة ودمنهور وشبين الكوم. وهذا علاوة على البرنامج الصحي الذي وضعته مصلحة الصحة واعلنته عقب تأليف الوزارة السابقة. وأهم ما جاء فيه انشاء عشرات المستشفيات في القرى وعواصم المديريات.

* * *

قال شهبي باشا: «ولكن جميع هذه الجهود لا تجدي نفعاً ولا تأتي بالثمرة المتوخاة منها الا اذا عضدنا الجمهور في عملنا وساعدنا على التوقي من الامراض المعدية وشد أزرنا في مكافحتها. وهذه أمنية لا يستطاع تحقيقها الا اذا شعر كل فرد من أفراد الشعب بأن عليه واجبات صحية نحو نفسه ونحو غيره من جيرانه والذين يعيشون في وسطه. ونحن لا يمكننا أن ننتظر هذا المستوى من جانب الشعب الا اذا علمناه شروط الصحة فمتى استوعبها صار قادراً على الاحاطة بواجباته الصحية ولذلك طلبنا من وزارة المعارف أن تعنى بنشر علم الصحة في مدارسها عناية خاصة. وانه لمن دواعي سروري أن أصرح لكم بأن وزارة المعارف أجابت طلبنا ما هو جدير به من العناية والاهتمام وان الجهود التي نبذلها في هذا الصدد تدعو الى الارتياح التام. وقد اتفقنا معها أخيراً على أن تطبع على حافة الكراريس التي تستعملها تلاميذ المدارس صفحة من الصفائح الصحية لكي يراها صغار التلاميذ أمام عيونهم كلما وقعت عيناهم على الكراريس التي بين أيديهم. ولم تكتف وزارة المعارف بذلك فقط، بل طلبت أيضاً طبع عشرين ألف نسخة من الارشادات الصحية التي وضعتها مصلحة الصحة العمومية لتوزيعها على التلاميذ والقيام بشرحها لهم. وهذا لا شك فيه انما هو خطوة في نشر مبادىء الصحة وشروطها بين أولادنا وبناتنا في مدارسهم عسى أن يتسنى لنا في هذه البلاد طول حتى يصبح أبناؤها في مقدمة الساعين لحفظ مستواها الصحي بين الامم الراقية.

«ومما لاحظته في خلال زياراتي للمدارس وتشكوسلوفاكيا ان معاهد التعليم فيها تعلق أهمية عظيمة على تعميم نشر الالعاب الخارجية والرياضية بين تلاميذها وتقام في تشكوسلوفاكيا كل سنة حفلات رياضية كبيرة تسمى «السوكول» وتشترك فيها جميع مدارس البنين والبنات وأنديتها وتحضرها جلالة رئيس الجمهورية والوزراء وأعضاء البرلمان تشجيعاً لها. وأولى السيور موسوليني هذه المسألة قسطاً وافراً من عنايته فانشأ في جميع أرجاء ايطاليا جمعيات منظمة لتدريب الاولاد والفتيان على صنوف الفروسية والالعاب الرياضية».

وختم شهبي باشا حديثه معنا بقوله انه مرتاح إلى سير الدعوة الصحية في مصر، وانه لو خلت الحال سائرة على هذا المنوال لبلغنا قريباً الغاية التي ننشدها فنكرس له على تصريفه وعلى ما لقساء من لطفه وشاركناه في رجاء المولى بان يحقق ما تصبو عليه البلاد من آمال

اكتشافات جديدة فى قبر توت عنخ أمون

صولجان توت عنخ أمون

فى اليسار ، صولجان من عظم كشفه من الذهب ومزخرف زخرفاً جميلا ورعا كان من يده «ملتوه» فاعل كان توت عنخ أمون يستعمله فى الحفلات الدينية

مراوح توت عنخ أمون

عصوان من عدة مراوح التى كانت حول أسرة توت عنخ أمون فى مقبرته . فالى اليسار من عاج وعلى اليمين من ابنوس

لدور الخشب

طاولة لعب كانت مدرجة للبيارد في شكلها وحفرت في الحجرة للاسم لدى توت عنخ آمون ، وهي مقسمة الى مربعات على سطحها وعليه على طاولة من الابنوس الاسود والعاج موضاة بالذهب . ويظهر ان طاولة لعب يشتمل بها « الزهر » كالنرد

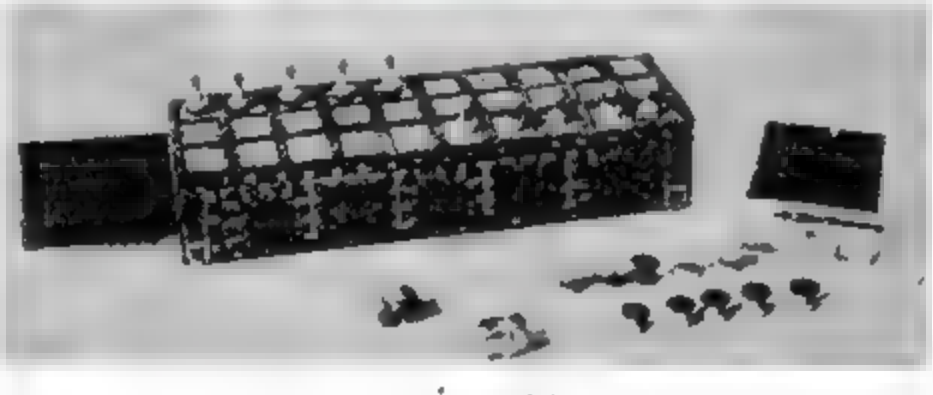

الطاولة لعرائق

صورة دقائق هذه القصة وفيها عشرون حجراً عشرة سود لأحد اللاعبين وعشرة بيض للآخر . ويرى الى جانب الاحجار كسان يقومان مقام الزهر

حوادث فلسطين

نشب خلاف بين اليهود والمسلمين في القدس لحدث بسببها عدة مشاكل سالت فيها الدماء من الطرفين وقد كان سبب هذا الخلاف [illegible] ويكل اليهود بالشهور ولكن لم تلبث ان أخذت هذه الثورة والصورة التي في أدنى بيان وصول مندوبين كبيرين الى فلسطين لحل النزاع الذي وقع بين اليهود والعرب منذ

التفتيش في الشوارع

بعض الجنود البلغاريين يفتشون بعض الاعراب لضبط ما لديهم من الاسلحة

وفاة السير شترزمان

في فيينا : أحدث رسم المرحوم السر شترزمان وزير خارجية ألمانيا المتوفى في أوائل الشهر الماضي . وقد احتفل بتشييعه احتفالا باهرا وحتى الرئيس هندنبرج ورامسته لما كانت له من المكانة في قلوب الالمانيين . وقد كان السر شترزمان في بادىء عمره يتجر بالبيرة ثم انخرط في سلك السياسة حتى وصل فيها الى كرسي وزارة الخارجية وقد كان من اكبر الداعين الى السلام العالمي

الملك نادر خان

في الصين : الجنرال نادر خان الذي تولى به ملكا على أفغانستان بعد أن طرد الثائر باجي سقا . وقد كان الجنرال نادر خان وزيرا مفوضاً لامان الله خان في باريس أثناء كان ملكا على بلاد الافغان . ويؤخذ من الانباء الخارجية انه سيواصل سياسة أمان الله خان في تحضير بلاد الافغان على الاساليب الغربية الى حد ما

أكبر سطاد في العالم

تم في الشهر الماضي في انجلترا بناء السطاد رقم ١٠٤ وهو أكبر سطاد في العالم اذ ان طوله ٢٢٠ متراً ومساحته أو مكعب أوضح سعته ٤٠ الف متر مكعب يساق بخمسة محركات قوة كل منها ٦٥٠ حصاناً ويحمل ١٠٢ من الركاب. وترى في اليسار صورته وهو في مخزنه. اما الصورة التي في أسفل فتمثل غرفة الاكل وهي تضاهي أكبر المطاعم الاوربية ترفاً. ومما هو جدير بالذكر ان المنطاد « مراك تسبلن » الذي صنعته المانيا قام برحلة جوية تاجيحة حول العالم

الرحيل بخروج البابا من الفاتيكان

منذ أن وقع السنيور موسوليني الى تسوية للمسألة الرومانية أي تسوية علاقات حكومة ايطاليا مع الفاتيكان بالاتفاق الرسمي الذي عقد بينهما أخيراً ، منذ ذلك الحين والكاثوليك في العالم يرقبون اليوم الذي يستقر فيه قرار قداسة البابا على الخروج من الفاتيكان بعد ما ظل البابوات يمتنعون عن مغادرته أكثر من خمسين سنة . وقد احتفل في روما أخيراً بخروج البابا من قصره الى كاتدرائية القديس بطرس في موكب كبير ترى صورته

عمر بن الخطاب

بقلم الدكتور احمد فريد رفاعي

— ١ —

« توماس كارليل » كاتب عرف بعبقريته التاريخية ، فله فيها طابع خاص ، ولتفكيره وتعليله منحى خاص ، وهو صاحب تلك الكلمة المأثورة : « ما تاريخ العالم إلا تاريخ عظمائه » . . . فمن الخطأ أن نكتب فلسفة موجزة عن عظيم من عظماء العالم ، لعب دوراً هاماً في قلب تاريخ العالم وفي تغيير خريطة العالم قديماً وحديثاً

ولسنا نشك أن العبقرية لا تنبت من عدم ، ولا نشك أن الرعجة لابد من عقم ، بل لا بد من ظروف واعتبارات من زمن ومكان ومن بيئة ووراثة . . . واذا كانت اثينا وصلت في عصر بركليس الى ذروة الحضارة فذلك العصر كان حياً بآثاره وبذاته ، وأشعته ونظرائه ، أمثال انكساغوراس وسوفكليس وهيرودت وثيوسيديد . . . فانك تستطيع أن تفهم كيف بنت مثل عمر بن الخطاب وهو من عصر لبي وفي رمالة صحاة كأبي بكر وأمثال أبي بكر . وتستطيع أن تستبع عبقرية كعبقريته ، وشخصية كشخصيته [illegible] . . . فمن تحشمي مئونة التبسط معك في كلة كبيه في كل مناحي [illegible] عن عمر وعصره . واعا ساعني ذلك الى حد غير قليل في تصوري لبعض عمر من [illegible] . تمشياً مع كله كارليل وأخذاً بالمنهج التاريخي لا بد من [illegible] . وعلى ضوء ذلك سأتحدث عن شخص دهمه بالحروب والوقائع ، وما الى الحروب وما دار حولها من [illegible] ، وسلح وسجال ، الى حسن التاريخ قصه . وقصه عبقرية لو اخذ [illegible] وقصه عبقرية أمثولة للاقتداء ، ودرساً للاحتذاء ، وشخصه [illegible] ولكل [illegible] من تلك مناحي عظمة ، ولها تعاريج وانبات ، ولأبطالها تجربات مماثلة . فمماثلة الحق أبطال . ولسياسة الشدة أبطال . ولسياسة اللين ابطال . فيجب أن تكون لسياسة الاخلاق أبطال . . . وسنرى في أي مرتبة نضع عمر من بين هؤلاء جميعاً

وقد يكون من حسك عيبا أن نعت نظرية إلى بيت من الشعر الانجليزي ، يجمعه صلة التاريخ الدستوري وهو مأثرحته : « دع الله يحاسبون عن احسن انواع الحكومات ، ولنعرف نحن نوعاً ما كان أدقها ادارة »

دعنا عن دهشك يا رفيقي الآن انواع الحكومات ، وانس بي حين قلبن الاسماء الحديثة التي تطرق أذهاننا الغيبة بعد الغيبة ، من حكومة برلمانية ملكية ، الى جمهورية ، الى دكتاتورية ، الى سوفيتية وخل عن دهشك لاسماء العديدة من امبراطورية أو أوتوقراطية أو أرستوقراطية . . . .

كذلك من حسك علينا أن نقول لك ان العظمة لم تحتكرها أمة من الأمم ، ولم تخص بها دولة

دون أخرى . ولم تكن ميزة زمن على زمن ، ولا وقف على عصر دون عصر ، بل هي مشاعة للجميع . فهل لك ان تبحث عنها عند الجميع ، وأن تنال من عناتك ودرسك وامعانك وحصك على قدر سواء . . سواء أكانت في فرنسا أم انجلترا أم ألمانيا . وسواء أكانت في بلاد العرب المقفرة وصحاريهم المحرقة . . سواء أكانت عن وداع « كوفشيوس » ، وسواء أكانت عن مسلم أم غير مسلم، ذلك لأنك يا صاحبي في عصر يخصع للذهبيات العلمة، ويذعن للعقول الجبارة، ويقدس العبقريات النادرة . . . فالتمس هؤلاء اني وجدوا ، ولتدرس هؤلاء اني كانوا

— ٢ —

وصية ميت ولكنه حي . حي في ضميره وفي وجدانه . حي في يقينه وفي إيمانه . . . وهو وان كان ميتاً فهو خير من الف حي . وهو وان كان حياً فأكثر تدبراً لحساب الله من الف ميت . . . تلك هي وصية أبي بكر في اختيار عمر بن الخطاب

ولست يا رفيقي في حاجة لأن أريد عليك الم عن أبي بكر وقدره ، ولا من عابي هـ ان أتبسط معك في مناحي القول عن تقله وتقشفه ، ولا من سبقي التحدث اليك عن زهده وتعففه . . . لانك قد قرأت بلاريب في الكثير الذي قرأت عن أبي بكر ماروواه ابن سعد عن عطاء انه لما ولي الخلافة « رأى ان يشمر على استقلال ملكه ، والارتفاق من وراء عمل يده ، ولا ينفق على نفسه من بيت مال المسلمين شيئاً . فأصبح يوماً وعلى ساعده أثواب ، وهو ذاهب الى السوق ، فلقيه عمر فقال أين تريد ؟ قال الى السوق . قال أتصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين . . . ؟ قال من أين أطعم عيالي ؟ فقال انطلق بنا فليفرض لك شيء . فانطلق الى أبي عبيدة فقال أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم ، وكسوة شتاء . الصيف ، اذا أخلقت شيئاً رددته وأخذت غيره . . . فرضت له كل يوم نصف شاة وكسوته في الرأس والشتاء . . . »

فرض هذا . . . أو شيئاً كهذا وأنت تعلم لا في اسلامه وجلالته فحسب ، بل في جاهليته وعند قومه . . . اذ به ينتقص منه مما قدر له . . ثم اذ به عند موته يأمر ببيع ما يملك لسداد بيت المال ورد ما أخذه من وظيفته « نعمة جليلة رسول المسلمين . . . فانك بلا ريب قد قرأت ما أثبته جل الرواة وجل المؤرخين وجل المحققين من « ان زوجته اشتهت حلواً فقال ليس لنا ما نشتري به . . . . فقالت أنا أستعمل من نفقتنا في عدة أيام ما نشتري به . فقال افعلي ففعلت ذلك فاجتمع لها في أيام كثيرة شيء « يسير » فلما عرفته ذلك ليشتري به حلواً أمره فرده الى بيت المال . . . وقال هذا يفضل عن قوتنا وأسقط نفقته بقدر ما نقصت كل يوم ، وغرمه لبيت المال من ماله كان له » . . . ثم لا ريب عندي في انك قرأت ماروواه الطبري « ان أبا بكر لما حضرته الوفاة . . قال انظروا كم أنفقت منذ وليت بيت المال فاقضوه عني . . . » كما قرأت وصية أبي بكر بخمس ماله ، وليست أشك في حسن تعليلك ، ودقيق تفهمك ، وسديد حكمك لقوله فيها . . . « آخذ من مالي ما أخذ الله من مال المسلمين . . . ! »

فرحل كأبي بكر في صحابته النبي ، ومعاصرته النبي ، ولرسالة النبي . رحل كأبي بكر في مبادرته الى الايمان بتعاليم النبي ومعاضدته بنفسه وماله في سبيل نصرة ما يرضي الايمان ورسول الايمان .

لن يحمل مسئولية اختيار عمر بن الخطاب الا اذا كان عمر « الرجل الكامل »

— ٣ —

يقول أسيد بن حضير حينما سأله أبو بكر عن عمر . وأبو بكر كان دستوري الورعه ، جعلت نفسه الخالصة لله «وحب خلق الله» على الاستشارة والنزول على رأي الجماعة . . . يقول أسيد : « اللهم أعنه الخير بعدك ، يرضى الرضى ، ويسخط السخط ، الذي يسر خير من الذي يعلن ، ولن يلي هذا الامر أحد أقوى عليه منه »

ويجيب عثمان بن عفان أبا بكر : « انت اخبرنا به . . . » فقال ابو بكر : « علي ذلك يا أبا عبد الله اخبرني عن عمر » فقال : « اللهم علمي به ان سريرته خير من علانيته ، وانه ليس فينا مثله »

ويروي ابن الطبري ان طلحة بن عبيد الله دخل على ابي بكر وقال له « ما انت قائل لربك اذا سألك عن استخلافك عمر عليا وقد رى عنفه ، فقال ابو بكر . بالله تخوفني ! : أقول : اللهم اني استخلفت عليهم خير أهلك . . . . ابلغ عني ما قلت من ورائك » . ثم لم يكتف بذلك بل قال اثناء مرض وفاته لعبد الرحمن بن عوف حينما وجد الخليفة ميتاً ، وشره انه محمد الله اصبح بارئاً . . . . « اما اني على ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي ، اني وليت اموركم خيركم في نفسي ، فكلكم ورم من ذلك أنفه ، يريد ان تكون له الامر من دونه ، ورأيتم الدنيا قد أقبلت وما تقبل وهي مقبلة ، حتى تحسدوا عليها ، وتحسد عليها ، وتكون لاصطناع على الصوف ، كما يأنف أحدكم الاصطناع على ثوبه المعدل ، وايم الله لان يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد ، خير له من أن يخوض في عمر ، الا وبكم أولى بما ولاني عمر ، فتصدوم عن الطريق عيناً وشمالاً . . يا هادي نطق في الهجر أو الخير . . ! » فأسأله عبد الرحمن بن عوف : « حفص حيث يرجعك الله فوالله لقد بهتك على ما بث الناس في أمرك بين رجلين . إما رجل رأى ما رأيت فهو هلك ، وإما رجل حاسدك فهو يتمنى حدثك زواله . وصاحبك كما تحب . . . ولا تعلمك أردت الا الخير . ولم ير صاحباً ممسكاً مع ذلك لا تأس على شيء من الدنيا . . . »

ولست أرتاب انك تقدر تلك الاعتبارات السامية ، وتلك المقاصد النبيلة الشريفة ، التي حدت بشخصية فذة في حلم أبي بكر ورقة حاشيته ، وسعة عطفه ، وأدبه مع ربه ونفسه والناس جميعاً ، حتى يلتهب أوزره ، وعصرم داره ، لا في سبيل عمر واخلاق مكانة عمر ، بل في سبيل المصلحة القومية العامة ، وفي سبيل فكرة الزعامة الكاملة الصحيحة

ولعلنا لا نعدو الحق في قليل أو كثير ، اذ افترضنا في غير مجاملة ولا اطراق ، من ورولاً على المنطق وما يرضي المنطق ، اذا قلنا ان نشوء هذه المصلحة القومية العامة ، وفكرة الزعامة الكاملة الصحيحة هي هي نفس التي حدت بالنبي محمد بطل الرسالة والهداية ، وما أنتجت الرسالة والهداية من عرفان وايمان ، ومواقف حسان ، وخير عميم لبني الانسان ، حتى سأل ربه الذي يعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، ويعطي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء . . سأله « اللهم أعز الاسلام بعمر ! »

— ٤ —

عسى ان تعب عمر بن الخطاب من كلام هؤلاء جميعاً . فمن بي كريم يسأل ربه اعزاز دعوته

عمر ، أو بأحد العمرين كما في رواية أخرى . الى طبيعة عظيمة لا يرى أثناء جبانه وفي تحاته غير عمر يركن اليه ، ويسند عنه ، ويشيد بذكره ، ويصيح عن كفايته ومواهبه . ومن تحاته أزار لعمر لم من طبيعة في الاردلاف ، وليس في أخلاقهم شيء من ألوان النفاق و الخداع ، وحلوا جميعاً على الصراحة والصدق ، كما حلوا على الرجولة وعلى الرجولة من بطولة وفروسية ومناصرة للحق — لا يرون من رجل للموقف والساعة الا في عمر . ومن يستطيعوا ان يقولوا شيئاً يثلم صفحته ، أو ينتقص من شخصيته الا ما ذهب اليه أحدهم في احتجاجه لابي بكر : « هو والله أفضل من رأيت فيه من رجل ، ولكن فيه عجلة . . . » بيد ان هذه العجلة قد أصاب أبو بكر بحكمته في تطبيقها حيث يقول : « ذلك لانه يراني رفيقاً ، ولو أفضى الامر اليه لتركت كثيراً مما هو فيه . . . »

طبعي أنك تحب عمر من الخطاب من كلام هؤلاء جميعاً . وطبعي أنك لا تحفل كثيراً بأن تعلم ان عمر بن الخطاب هو ابن نفيل بن العزى أو ابن العزى هو ابن رياح بن عبد الله بن قرط أو بن قرط هو ابن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي . أو انه ينتهي مع رسول الله في كعب بن لؤي . كما لا تحفل كثيراً بأنه يكني بأبي حفص ويلقب بالفاروق ، أو أنه من أشراف بيوتات قريش واليه السفارة في الجاهلية ، حيث يفزعون اليه في مفاوزتهم ومعاجزتهم ، وقد كانت حياة القوم يومئذ مفاوزة ومفاجزة . كما لا تحفل كثيراً بأنه أسلم وهو في السابعة والعشرين من عمره أو انه ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة . أو انه [illegible] ، حيث يقول : [illegible] ترك الستر والاختفاء وان يدعو للاسلام جهرة وعلناً . . .

طبعي انك تحب عمر من الخطاب من كلام هؤلاء جميعاً . وطبعي انك لا تحفل كثيراً بما ذكرناه ذلك لانك تتوق الى حسب عمر لعلك ترى في نفسك من كلام هؤلاء ما تتوق الى ما يرضي بهمتك ويتمشى مع حسك يتسع من فروسية و فاسو و سابوح ، ومع حسك بالاستون من مورى ، وحسك حوسون من بدون ، وحسك لعروة الا كرمين ذليل . وحسك نابليون من أبوت . . . ونفسك بصورة نفسه ما تحب هؤلاء لانه عجب مع هؤلاء ، والا لانها رامت كلاً من هؤلاء رسالة الروح الروح والصديق للصديق . . . ، ولست أرتاب انك تحق في رغبتك العميقة المعاونة في تكوين رأيك بنفسك ومن درسك . ولست أرتاب لك أن تتحسس لعمر من غير أن تعرف عمر

— ٥ —

نحيا الأمم بالعمل . وبالعمل تنجح الشعوب . وبعمل الافراد وجهود الافراد ، لا من الاتكال وسياسة الاتكال . والحاكم المنبعث معروض عليه أن يبث في نفوس أمته حب العمل ، وحب تحصيل الرزق من وراء العمل . وقد كان عمر لا ينفك يحارب روية الاسترخاء بقدر ما كان يقاوم روح التوكل والاستكانة

يقول كتاب كنز العمال نقلاً عن معاوية بن قرة : « لقي عمر بن الخطاب ناساً من أهل اليمن ، فقال من أنتم ، فقالوا متوكلون ! . . فقال كذبتم ، ما أنتم متوكلون ، إنما المتوكل رجل ألقى حبة الى الارض وتوكل على الله »

ويقول صاحب أشهر مشاهير الاسلام نقلاً عن كتاب المناقب لابي الفرج بن الجوزي عن ابن سيرين عن أبيه . . . قال : « شهدت مع عمر بن الخطاب الغرب على ، ومعي زريبة لي ، فقال ما هذا معك ؟ فقلت زريبة لي أقوم في هذا السوق فأشتري وأبيع ، فقال يا معشر قريش ، لا يسلكم هذا وأشباهه على التجارة فتهلك الامارة . . . » وفي حديث عن حوات التيمي قال . قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : « يا معشر القراء ! ارفعوا رءوسكم فقد وضح الطريق ، واستبقوا الخيرات ، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين . . . » الى ان قال . « من تحر في شيء ثلاث مرات فلم يصب فيه شيئاً فليتحول الى غيره »

ويقول صاحب العقد الفريد : « قال عمر بن الخطاب لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول اللهم ارزقني ، وقد علم ان السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، وان الله تعالى انما يرزق الناس بعضهم من بعض . . وتلا قول الله جل وعلا : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض ، وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون »

فماذا نستطيع أن نستخلص من هذه الروايات الاجتماعية ؟

نستطيع ان نستخلص من ذلك كله ان عمر كان داعية حر الى العمل . الى الكسب . الى الارتزاق . الى أن يبذل كل جهده لاسعاد نفسه ومن يعول . الى أن يعد الجميع من قراء ورجال دين . أو غير قراء ورجال دين على حد سواء ، نفسه لا تكفل . في عين الامم وتقضي عليها بالعزم والشجاعة ، وبالعمل ، ولن يكون إلا انتشار مرض الكسل بين صفوفهم ، وإلا ذيوع وباء الاتكال في صفوفهم ، وإلا ركونهم الى بطالته واستسلامهم الى الصدفة

دعوة اسلامية دخل فيها أو اعتنقها ، وقد من اعتنقها اليوم أو الوثنية أو غير دين الاسلام ثم دخلت في الاسلام حديثاً ، وكانت تفسر بدين على غير وجهه ، هذا عصر الداعية الاصلاحي ، والخليفة الصحابي ، عمر ويعمون لعمر لهؤلاء وهؤلاء ان عبادة الرحمن لما ساعاتها ، وهي ليست عطالة أو بطالة عن العمل والسعي لانفسهم أولاد حماه . بل على العكس هذه يأمر بالعمل . والعمل سر نجاح الافراد وسر نجاح الامم

— ٦ —

« محمد بن مسلمة » أحد الصحابة المشهود لهم بالتقوى والصلاح ، المعروف بالتدين والتحقيق ، مع زهد وورع ، . . كان يشغل وظيفة معتبرة عالية على الولاة في أيام عمر بن الخطاب ، وقد أثبت الطبري عنه مهمات عديدة يعهد بها نبي ملغ عناية عمر بن الخطاب باستتباب العدل واقامة صروحه ، ويكفيك أن تعلم في حوادث سنة ٢١ هـ وما كان منه مما ينتهي بك الى أحزم بشدة مراقبة عمر لعماله أحداً يناصر الضعيف من القوي ، وإرغاماً للقوي باحقاق حق الضعيف ، وحرباً للعدل ، وجهاداً للحق . . . بل كان يعني أجل العناية بأمر العسد ، ويجعل أيما احتمال بألا يفرق عماله في المعاملة بينهم وبين الاحرار ولا عرو فهو صاحب تلك الكلمة الخالدة التي صرح بها في وجه ابن عمرو بن العاص حين اعتدائه على أحد المصريين : « كيف استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » فلا عرو اذا حدثنا الاسود بن يزيد في العدي قال : « كان لوفد اذ قدموا على

عمر سألهم عن أميرهم ، فيقولون خيراً ، فيقول . . . هل يعود مرضاكم ؟ فيقولون نعم ، فيقول . . . هل يعود العيد ؟ فيقولون نعم ، فيقول . . . كيف صنيعه بالضعيف وهل يجلس على بابه ؟ فان قالوا لا عزله . . . »

بل أكثر من هذا

فقد بلغ من رقة قلب عمر ، ومبالغته في الحرص على راحة رعيته . . . رعيته البعيدة والقريبة على حد سواء ، ما يسرده علينا الطبري في حوادث سنة ١٧ هجرية عن عامل الأهواز الذي ترى حبن الأهواز ، وحشم الناس للتاعب والمصاعب في الاختلاف اليه ، فان عمر بن الخطاب بعث اليه مؤنباً انعاده هذه « القيلا » في مصيف كئود يشق على من رامه وكتب له ما نصه : « أما بعد ، فاني انما ولتك عملاً كئوداً لا تؤتى فيه الا على متعبة ، فاسهل ولا تشق على مسلم ولا معاهد ، وقم في أمرك على رحل تدرك الآخرة ، وضع لك الدنيا ، ولا تدركك فترة ولا عجلة ، فتكدر دنياك وتذهب آخرتك »

أما وصاياه للعمال لاحراء العدل ، والتمسك بروح العدل ، فكثيرة . كثيرة جداً ، واليك مثل بسيط من مئات الامثلة المترعة بها كتب التاريخ العربية جميعاً . اليك مثل عادي . هو كتاب عادي كتبه عمر الى أبي موسى كما أثبته الطبري وغير الطبري ، قال فيه . « انه لم يرد الناس وجوه يرضون حوائجه ، فأكرم من قبلك من وجوه الناس ، وحسب المسلم الضعيف من العدل أن ينصف في الحكم وفي القسم ، وعمر [illegible] كتب عمر [illegible] العمال . « واجعلوا الناس عندكم في الحق سواء . فرسهم كميدهم ، وبعيدهم كقريبهم [illegible] ورشا والحكم بالهوى ، وأن تأخذوا الناس عند الغضب [illegible] حين [illegible] من الهوى »

بل أكثر من هذا

فقد خطب الناس عمر فقال « [illegible] والله ما أرسل عمالاً اليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم . ولكني أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ويقضوا بينكم بالحق ، ويحكموا بينكم بالعدل ، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه لي » ، فوالذي نفس عمر بيده لأقصنه منه . . . قيل فوثب عمرو بن العاص وكان من مستمعي خطبته فقال « أمير المؤمنين . أرأيت ان كان رجل من أمراء المسلمين على رعيته ، فأدب بعض رعيته ، إنك لتقصه منه ؟ . قال عمر : أي والذي نفس عمر بيده إذاً لأقصه ، وكيف لا أقصه منه ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه . . . ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تحبسوهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم . . . »

فأنت ترى من هذا كله وهو قطرة من بحر ، صدق وصف صحصعة بن صوحان لعمر بن الخطاب وقد سأله معاوية أن يصفه له فقال : « كان عالماً برعيته ، عدلاً في قضيته ، عارفاً بالكبير ، قولاً للعسر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحرياً للصواب ، رفيقاً بالضعيف ، غير محاب للقريب ، ولا جاف للغريب »

— ٧ —

العبقرية الصحيحة سرها غير علانيتها ، أو تحمل علانيتها علانية قليلة من فيض سرها . والعبقرية

الصحيحة أعمال أكثر منها أقوال ، أو تكون أقوال أصحابها مرآة مصغرة لأعمال جليلة رائعة ، والعقربة الصحيحة كثيراً ما يخطىء الناس في تفهمها ، لأنها شاذة فهي فوق مستوى العقلية العامة . ولأنها حذرة في نأيها عما تواضع عليه الناس من تفكير وتقدير . . . ، ولأنها طموحة للكمال دءوبة على بلوغه قوية الإرادة عنيفة مع أعدى أعدائها . . . وما أعدى أعدائها إلا نفسها الخاطئة يوم تكون خاطئة ، وبيئتها الخاطئة . . . لأن العقربات الصحيحة تحب الخير العام وتتفانى نفسها وللمحيط الذي تعيش فيه . وتمقت الشر العام لنفسها ولبيئته التي تعيش فيها

نقول إن أعدى أعداء العقربات الصحيحة هي نفسها الخاطئة ، وبيئتها الخاطئة . لأن النفوس الكبيرة تحب الخير حب النفس ، ثم هي تمقت الشر ما تمقته النفس ، ثم هي تحارب عدو الخير ما تحاربه عدو النفس ، ولعله بسبب هذه المظاهرة العنيفة من مسالمة في حب خير « العبرية » الى مسالمة في مقاومة شر « العبرية » ، يمكننا أن نفهم تبرير قول من اتهم عمر بن الخطاب بجموح الى العنف ، وان كان هذا الجموح الى العنف لا يدل في أعماقه الا على الأب الرءوف ، ولا يحمل في طياته الا قلب الوالد العطوف . . . ثم هو كله متعثر رحمة وفيض حنان

ان عمر الشديد في تأديب رعيته ، كان شديداً أيضاً في تأديب نفسه وفي تأديب أسرته . ولعلك قرأت ما أخرجه الحافظ عز الدين الجزري في « أسد الغابة » . . . قال : « قال الاحنف بن قيس: كنت مع عمر بن الخطاب فمشى ساعة ، ثم قال : امش التؤمين ، امش التؤمين ، فأعدني على فلان . . . فانه قد ظلمني ، فرفع عمر الدرة ليضربه بها فاتقى بها رأسه . فقال : يا أمير المؤمنين وهو معرض لكم ، حتى اذا شغل في أمر من أمور المسلمين أتوه أعدني على فلان ، أعدني على فلان ، فانصرف الرجل وهو يتذمر . . . قال وعمر ، يا أحنف ، فأتى بسيفه فاعطيه وقال اقتل ، اضربني كما ضربتك ! ! » فقلت لا والله ، ولكن أرعيك الله وإياك أن تكون هكذا بعد اليوم لا تسمها الله درة ما عندك ، أو تدعها لي فأعلم ذلك . قال أفعلها الله . ثم قال الاحنف فانصرف ، عمر ، ثم جاء يمشي حتى دخل منزله ، ونحن معه ، فصلى ركعتين وجلس فقال عاتباً نفسه : « يا بن الخطاب ! كنت وضيعاً فرفعك الله ، وكنت ضالاً فهداك الله ، وكنت ذليلاً فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب الناس فجاءك رجل يستعيذ بك فضربته ، ما تقول لربك غداً اذا أتيته ؟ » قال « الاحنف » . . . ثم جعل يحاسب نفسه في ذلك محاسبة حتى ظننا انه خير أهل الارض . . . له »

فأنت ترى ان هذه الرعية الصادقة في التأديب كان مصدرها حبه لتأديب نفسه أولاً ، ثم هي تشمل الناس وتعمهم لأنها خير رعية . . . ثم هي تشمل أهل عمر قبل أن تشمل الناس ولعلك قرأت ما ذكره ابن عساكر في تاريخه . قال : « كان عمر اذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله فقال . اني نهيت الناس عن كذا . . . وكذا . . . وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم ، وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله ، الا أضعفت عليه العقوبة لمكانه مني »

هيهات ان تقولها إلا عبقرية تسعد بها الانسانية يوم تولد ويوم تكون الكلمة لها ، ويوم تأخذ الناس بأدبها وخلقها وتهويمها وتعليمها !

وهيهات ان تقولها الا قلوب رحيمة في أعماقها ، برة حدبة في سويدائها !

هي قلوب رحيمة ، وان كانت عنيفة في تأديبها لنفسها ، ولاهلها وللناس جميعاً ، وهم عندها جزء من نفسها وأهلها . . . وهذا العنف في ظاهره ان هو الا رحمة . ورحمة متنكرة في باطنه

هي قلوب رحيمة وعبقريات صحيحة ، ولعلك تدهش اذا ما رأيت عمر الذي يعنف العقوبة لاهله ، والذي يقتص من نفسه ، والذي لا يفرط في تأديب رعيته لأنها جزء من نفسه — لعلك تدهش اذا ما رأيته في موقف آخر . . . هو موقفه مع رجل من بني أسد فقد جاء في كنز العمال : « استعمل عمر بن الخطاب رجلاً من بني أسد على عمل فجاء يأخذ عهده فأتى عمر بعض ولده فقبله . . . فقال الاسدي : أتقبل هذا يا أمير المؤمنين ، والله ما قبلت ولداً قط ! قال عمر : فأنت والله بالناس أقل رحمة ، هات عهدك لا تعمل لي عملاً أبداً »

يأبى عمر العظيم . عمر المثقف عقله وأهله ورعيته بالثقافة الصحيحة . الثقافة المنتجة . . . ثقافة العمل والحض على العمل . . . ثقافة الخير والاخذ بوجوهه الخير . يأبى ان يلي هذا الرجل الذي كان اختاره لولاية أمر للناس . . والذي ما اختاره الا لما فيه من كفايات وحسنات وخيرات . . . لانه تنوره صفة أخرى في الحاكم . صفة لا كالكل الصفات بل أم من كل الصفات . لانها متممة لاكمل الصفات . . . تلك هي صفة الرحمة

— ٨ —

واذا كنت قد أخطأت عمر بالاشارة الى العنف ، وقد عنفه العنف في طيانه من اعلاف الورق وضروب السعادة ورفاهة الحياة . وأخطأت عمر العنف ، والشدة للعنف ، وللشديد للعمل ، وأخطأت عمر المؤدب لنفسه ولاهله وراعيه والذي لا يؤدب نفسه وأهله ورعيته الا لانه حريص بنشأته وطبيعته وورائته على حد بعيد ، ومعروف ، فقد ذكر لك ان تعنف عمر خادم الجميع . . . !

أخرج الطبري عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : « خرجت مع عمر بن الخطاب الى حرة ، حتى اذا كنا بصرار اذا نار رأيت فقال . يا أسلم اني أرى هؤلاء ركباً قصر بهم الليل والبرد . . . انطلق بنا : فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم . . . فاذ امرأة معها صبيان لها ، وقدر منصوبة على النار ، وصبيانها يتصاغون ، فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء وكره أن يقول يا أصحاب النار . . . قالت وعليك السلام . قال أأدنو ؟ قالت ادن عمر او دع . عدنا فقال ما بال هؤلاء الصبية يتصاغون ؟ قالت الجوع ، قال وأي شيء في هذه القدر ؟ قالت ما أسكتهم به حتى يناموا : الله بيننا وبين عمر ، قال أي رحمك الله ما يدري عمر بكم . . قالت يتولى أمرنا ويغفل عنا . فأقبل عليّ . . . فقال « انطلق بنا » . . . فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق ، فأخرج عدلاً فيه كمأة شحم . . . فقال احمله عليّ فقلت أنا أحمله عنك . . . قال احمله عليّ مرتين أو ثلاثاً . . . كل ذلك وأنا أقول أنا أحمله عنك . . فقال في آخر ذلك أنت تحمل عني وزري يوم القيامة لا أم لك . فحمله عليه ، وانطلق وانطلقت معه نهرول حتى اتينا اليها ، فألقى ذلك عندها ، وأخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول لها دوري عليّ وأنا أحرك لك . . . وجعل ينفخ تحت القدر ، وكان ذا لحية عظيمة ، فجعلت أنظر الى الدخان من خلال لحيته حتى أنضج وأدم القدر ثم أنزلها وقال ابغني شيئاً ، فأتته بقصعة فأفرغها فيها ، ثم جعل يقول اطعميهم وأنا أسطح لك ، فلم يزل حتى شبعوا ، ثم جعل

عندها فعل ذلك ، وقام وقمت معه فقلت تقول : جزاك الله خيراً أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين . فيقول قولي خيراً انك اذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك ان شاء الله . . . ثم مضى ناحية عنها ، ورمى مرفق السبع . . فجعلت أقول : ان لك شأناً غير هذا وهو لا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ، ثم ناموا وهدأوا ، فقام وهو يحمد الله ثم أقبل علي فقال . يا أسلم ، ان الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم ! »

كتاب تحرير الطبري . . . كتب للناقد الدوري يحدث فيه عن أنس بن مالك . . وأنت تعلم من أنس بن مالك حتى لا تحرج ، وحتى لا تنكر أو تكذب ، وأنت معذور يا رفيقي ان حرجت أو أنكرت أو كذبت ، فان عصر المادة نحب التحريج والانكار والتكذيب . أو هو يمشي على الاقل سحاً قاتمة من الشك والريب في كل ما هو روحاني وكل ما هو حقي . أو هو يتمرس أو يجنح الى الافتراض ان ما قصصناه لك — وان كانت تجمع عنه كتب الرواة وتؤمن به جمهور وغيره من مؤرخي العربية — ان هو الا قصة خيال أو قطعة من الأدب أو مختارة من النثور

أعود فأقول انك يا رفيقي ستصدق أنس بن مالك في روايته طبعاً ، لانك مهما شككت في غيره فلا من فقهه وورعه ، ومن علمه وزهده ، حرمه عندك ومكانة لديك . . . وانك ستستمع لي روايته عن حادثة حال لعمر . . . حادثة حال تحملك لا تكذب سابقتها ، لانها من نسجها وعلى غرارها ، ولانها تسوقها وتطردها ، ولانها في صميمها ومعدنها

يقول أنس بن مالك : [illegible] عمر يمشي [illegible] من رعيته ، فقد هو بيت من شعر لم يكن بالامس ، فدنا منه ، فسمع أنس امرأة في بيتها تقول وبعلها قاعد [illegible] فقال من الرجل ؟ فقال رجل من أهل البادية جئت أمير المؤمنين أضيفه فقال له هذا الصوت الذي أسمعه في البيت . . . قال انطلق رحمك الله فاطلبك فلم تجد على بابه شيئاً فانصرف . . . قال هل عندها أحد ؟ قال لا . . . قال أنس ثم انطلق عمر حتى أتى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهما . . هل بقي في آخر بطنك شيء ؟ قالت وما هو ؟ قال امرأة عربية تمخض وليس عندها أحد : قالت نعم ان شئت قال فهلمي معك ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدهن ، وحيثيني ببرمة وشحم وحبوب . قال فجاءت به فقال لها اطلقي وحمل البرمة ، ومشت خلفه حتى أتى الى البيت . . . فقال لها ادخلي الى المرأة وجاء حتى قعد الى الرجل فقال له أوقد لي ناراً فعمل ، فأوقد تحت البرمة حتى أنضجها وولدت المرأة ، فقالت امرأته : يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام ، فما سمع الرجل يا أمير المؤمنين حتى كأنه هابه ، فجعل يتنحى عنه فقال له ، مكانك كما أنت . . ! فحمل البرمة فوضعها على الباب ثم قال لأم كلثوم . . أشخصي فخرجت ، ثم أخرجت البرمة فوضعت على الباب ، فقام عمر رضي الله عنه فاحتملها فوضعها بين يدي الرجل فقال كل ويحك انك قد سهرت من الليل . . . ثم قال لامرأته اخرجي وقال للرجل : اذا كان غداً فأتنا نأمر لك بما يصلحك فعمل الرجل فأجاره وأعطاه . . »

قد تقول يا صاحبي انه لم يكن في تلك البلاد البعيدة من مستشفيات أو ملاجىء أو دور اسعاف فمفروض على الحاكم اذن أن يطرد هو أو رجاله أو حاشيته في أمر أمثال هؤلاء ممن عميهم العوز

وتنزل بساحتهم المقرنة ، ولكني مع تقديري للمديات العالية الحاضرة ، وانها كانت للانسانية رداً وسلاماً ، ورعداً وانعاماً ، احب ان اهمس في أذنك ان عمر بن الخطاب لم يعته تقدير ظروف الزمان والمكان ، وانه مع اغاثته للملهوف ، وأخذه بناصر الضعيف ، له أولويات عند ذكره السيوطي نقلا عن النووي والعسكري وابن سعد . . . وهي عشرات العشرات . . وأحب أن أقول لك منها هنا في هذا المقام . . أنه أول من اتخذ دار الضيق يعين به المنقطع . . !

ولعلك تذكر حكايته مع راعي غنم ، اذ مر به عمر فنظر الى قلة الكلأ في مرعاه ، وكان عشب الحمى قد مرّ على مرعى أغنام حسان ، فأشار على الراعي ليذهب اليه لتصيب شاته سمناً وريا ، واكلا هنيا . . . ثم قال له . . . « كل راع مسئول عن رعيته » وكفى بها للرجل مذكراً وواعظاً ونذيراً

— ٩ —

وكان عمر ثاقب البصيرة ، بعيد مرمى النظر ، مستشعراً مسئوليته أمام الله ، وأمام الوطن ، وأمام عباد الله . مقدراً ما كان عارفاً بأقدار الناس ، منصفاً للناس ، حافظاً لحقوق الناس ، مقدماً شكاة عدوان عطاء الناس ، منتصفاً للناس تصرفه اراء كره الناس

يقول المسعودي في « مروج الذهب » فيما رواه عن عبد الله بن عباس : « ان عمر بن الخطاب أرسل اليه فقال . يا بن عباس ان عامل حمص هلك ، وكان من أهل الخير ، وأهل الخير قليل ، وقد رجوت أن يكون منهم ، وفي نفسي منه شيء أريد صرفه وأحب ذلك ، فما رأيك ؟ قال : أريده فان كان شيء أحدثه غير الذي حسبت منه صنيعا الذي حسنت ، وان كنت بريئاً من مثله علمت اني لست من أهله ، وعلمت عملك هنالك ، فاني كنت أرى أنه لم تصنع شيئاً الا عايته : فقال يا بن عباس اني حسبت ان رأيي على الذي هويت ، وهممت في عملك فتحول : « هم الينا ولا هم اليكم دون غيركم . . . الم تر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل ناساً وتركهم » قال ابن عباس : والله قد رأيت من ذلك فما تؤخذ صل ؟ قال : والله ما أدري ! أضن بكم عن العمل ، فأهل ذلك أنتم ، أم خشي أن يجور عمر عليكم منه ، فيقع العتب ، ولا بد من عتاب ، فقد قرعت لك فما رأيك ؟ قال ابن عباس . أراني لا أعمل لك . قال ولم ؟ قلت وان عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أرح قدى في عيبك . . قال : فأشر علي ، قلت : اني أرى أن تستعمل صحيحاً منك صحيحاً لك ،

هذا موقف له ما وراءه . وهذا موقف يتكلم وحده بألف لسان . وهذا موقف ابن عباس وتقديره لا محالة ، ثم ابن مقدر تلك النتائج المروعة التي خلفتها سياسة من أتى بعد عمر ممتد الى ولاية العهود الثانية والثالثة ، ثم ابن مقدر ومقدر نتائج كل تنكب عن سننه مما أصاب عثمان وعبر عثمان

أحل هذا موقف له ما وراءه . وهذا موقف قد تصوره لك مئات المثل العليا التي صورتها الناس حياة عمر ، وتصرفات عمر ، وخلافة عمر . وهذا موقف يذكرنا بطبعه له في لبه وجوهره ، وان كان يختلف في الصور والتيار . . .

أحل هذا موقف له ما وراءه . ثم هو يذكرنا بروعة عمر في تأديب الاشراف ومن في طبقة الاشراف . . . لأن مناعيهم في الامة والكبراء ، والعظمة والاوزار ، مما يحتاج الى تأديب عمر وحكمة تصرفات عمر ، فقد روى ابن الجوزي عن الحسن . قال . « حضر باب عمر سهيل بن

عمرو بن الحرث بن هشام وأبو سفيان بن حرب في نفر من قريش من تلك الرءوس . وصهيب وبلال وتلك موالي الذين شهدوا بدراً . . . فخرج إذن عمر فأذن لموالي وترك أولئك فعال ابو سفيان : « لم أر كاليوم قط يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لا يلتفت الينا . . . ! فقال سهيل ابن عمر وكان رجلاً عاقلاً : « أيها القوم ! اني أرى في وجوهكم ان كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم ، دعي القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم ، فكيف بكم اذا دعوا عن انفسكم يوم القيامة وتركتم . . . ! »

ولعلك بعد هذا كله ستطيع أن ترى سر نجاح عمر ، وسر التفاف قلوب الرعية حوله

— ١٠ —

ولكنك ستطالبني بأشياء كثيرة لا قبل لي باحتمالك اليها في مثل هذا المقام ، فستطالبني بالكلام عن عدالة عمر في الملكية العامة ومقارنتها بنظم رومايا وغيرها وبالاشتراكية وغيرها ، وستطالبني باصلاحاته وفتوحاته ، كما انك لا محالة ستطالبني بالكلام عن زهده ، والكلام عن عدله ، وتطالبني بالكلام عن تهيبه عن التطلع في كل شيء في الدين ، وفي لثم الحجارة ، وفي رواية الاحاديث ، وفي المشية ، وفي جلاء الشاب ، وطرادة الاهاب ، ثم تطالبني بوفائه للعهد ، ووفاء أمته للعهد حتى اذا أعطاها عهد الدولة ، وتطالبني بالكلام عن آثاره ومآثره ، وتطالبني بالكلام عن خطبه وكلامه ، وقصائه وولاته ، وصحابته ورفقه ، وتطالبني بالكلام عن حروبه مع الفرس والروم ، ومع غير الفرس والروم . . . ولكني أقول لك انك مهمك في الاطلاع لا تشبع ، ولن تشبعه الملال مطالبة بتقديم ألوان عديدة لشهيتك [illegible] حسبك من هذا كله أن تفهم معنى سر نجاح عمر ، ودولة عمر ، وعبقرية عمر ، وأنى عاش عمر

أخرج الطبري عن ابن [illegible] عن عمر قال : [illegible] أيها أنكم تتحدون مجالس لا يجلس اثنان معاً حتى يقول أحدهما لصاحبه قال [illegible] من حسد فلان ، فلان من نحوميت المجالس . . . ! وأيم الله ان هذا لريح في دينكم ، وريح في شرفكم ، وريح في ذات بينكم ، ولكأني عن يأتي بعدكم يقول هذا رأي فلان ! وقد قسموا الأسلام أقساماً . أيصو عالمكم بينكم ، وتجالسوا معاً ، عامة أدوم لألفتكم ، وأهيب لكم في الناس . اللهم ملوني وملتهم ، وأحسو مني ، ولا أدري مأيا يكون الكون ، وقد أعلم أن لهم قبلاً مني فاعفني البك »

آيات والله خالدة . . . . . !

وعظات لأمم حية من أخرى فائتة . . . . . !

وصوت من أعماق الاعماق يدعو الى الدعة لا الى التحرب ، والى الوحدة لا الى التفكك . . . . !

ولعلك قد قرأت ما كان من عمر والهرمزان حين قال له : « يا عمر انا وإياكم في الجاهلية ، كان الله قد حمى منا وبيكم فعلناكم ، اذ لم يكن معنا ومعكم ، فما كان معكم علتمونا . . . فقال عمر : « انما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا »

محمد فريد رفاعي

في سبيل الصناعة الوطنية

أنشدت في حفلة للسيدات البيروتيات
أقيمت لعرض المصنوعات الوطنية وترويجها

بدا نور صبح بالهدى متنفس ... فيا حسنه في أعين المتفرس
ويا فرحاً بعد الغياب بعائد ... دنا فغدا منا بمرأى ومسمع
ألا أيها الساقي وصهباؤه العلى ... أدرها فما كل ظمآن عطشي
أحقاً أتانا الدهر بالبشر بعدما ... رمانا به من متنصل إثر متنصل
رعى الله من زُهْر الغواني عشيرةً ... تزيَّن بالأعمال خير تزيُّن
رأى في تعاديهن قوم تهوساً ... وبالعقل طراً بعض هذا التهوس
أجل وكل المكثرات من الحلى ... دعي لابسات الجد أحسن ملبس
اذا وسوست في صدر حسناء همةٌ ... فأحلى سماع صوت عقد موسوس
أراهنُ جيشاً للسلام سلاحه ... من النور في ظل اللواء المقدس
عزون وهل في النصر شكٌّ اذا غرت ... غواتك بالأسياف والسمر والقسي
نقايا الساعي[illegible] كلهن[illegible] حصينة ... فما رعابة بروعة لم تنكس
وتخطرُ لا تصطو المدى لخطواتها ... تلوّعها لمن غضون نضير وأميس
وتسكت إلا ما تقول فعالها ... فان نطقت أروت بأعذب منبس
ألا إن عمران البلاد بما ابتغت ... منوّهٌ به في كل ناد ومجلس
وبن أحاديث الصناعة إن يجد ... بها وحشةً قوم لأبهج مؤنس
أخاك فناصر ما استطعت بقوة ... وثوبك من منسوج أهلك فالبس
وناهس بما تم مقتوه ليصبحوا ... وهم كل يوم معتبوه بأنفس
ومن لم يؤازر في الرفاق قومه ... فليس بذي رأي وليس بكيّس
دُعيت فان لبّيت فالزمْ ترتدي ... بحق وإن خلفتَ فالمونَ تكتسي
وإن قيل حسن في حليب منوّع ... فقل كل حسن في الاصيل المجنّس
ولا تستمع فيما يعود على الحمى ... بضرٍّ دعاوى أخرق متنطس
فما نجتني الاقوام من سفهائها ... بأنكد من هذي الدعاوى وأنجس

وهل من فلاح للبلاد وأهلها ... لنا الشأن فيها سلسةٌ ألفُ ريِّس
متى نرَ شعباً حرحه فوق دحله ... فذلك شعب ظل في حكم مُفلس
وكيف يصان المال والبذل ذاهب ... به في مهاوي جهله والتطرس
دعونا من اليأس الذي دونه الردى ... ومن كل مأفون من الرأي مؤيس
أبى الله أن يبلى بدار تنير ... لنا لم يغير قومها ما بأنفس
فيا أيها الشبان طمّحن للعلى ... من طلبا عزّت على المتنفس
فأسّسن فخراً للبلاد مجدّداً ... وهل يثبت البنيان غير مؤسس
وتمّمن قصداً واحداً فجمعه ... مهابة عراب وحرمة مقدس
إليكنّ حمداً سوف يزكو على المدى ... له في مساعيكن أطيب مغرس
وما الجد إلا واحد في اتجاهه ... سواه الى الرمس والترس

عفيف مطرانه

بين النائم والطبيعة

مترجمة من الانجليزية عن توماس هاردي

قلتُ في نفسي وقد ... أيقظت أنينه نوماً يكاد يطيلا
فأجاب لا تسألني ... الليل الذي لا أسأل حلاّ
غير أني مرغوبة ... أوحى شعري لا أني قد سئلا
قلتُ للريح حملي الرد إلى ... واحدٌ وطأه عليّ ثقيلا
فأجابت لا أستطيع لأنني حرّة (١) وعت عصوني عدولا
أنى في دنياي مثلك مدفوع فما دري إن هنت عجولا
قلت عد الصباء لعرض ارحمي ولا تجدّ الويّ سبيلا
قال والله لا صنعه عبدي لك فعلاً ولم أكنْ ذحولا
غير أني بصوتك مأمورٌ وما حيتي سوى أن أغولا

ترجمة شاعر العراق
جميل صدقي الزهاوي

(١) الحر هنا مصدوه من حره في آخره

التعب العقلي

ست وسائل لتداركه

يمكن تعريف التعب العقلي مع شيء من التحوير بأنه « عقل متعب » . فان العقل يتحكم فيما يطرق شتى وخصوصاً التحوير والتفكير والارادة . فاذا اختلطت هذه الاشياء وارتكت حتى تغير نظامها الطبيعي شعرنا بما نسميه التعب العقلي

وليس يخاف ان التعب البدني متصل كل الاتصال بالتعب العقلي . ومن الصعب رسم خط يفرق بينهما . فالتعب العقلي قد يؤثر في أعضائنا حتى نشعر بأنها مريضة ولو لم تكن كذلك

والناس بهذا النظر ثلاث فئات : فئة تخلق تعبه ، وفئة تكتسب التعب ، وثالثة يدخل التعب عليها من مدخل شديدة الاتصال عظيمة التأثر بما حولها . والعادة ان التعب البدني يورث صاحبه التعب العقلي ولكنه ليس التعب الاعظم فيه فاذا كان عملنا متصلا طول يومنا أو كان على نسق واحد ، أورثنا ذلك من الملل والتعب أكثر مما لو كان العمل متصلاً يشمل جميع نشاطنا فاذا انهمك تلميذ في الامتحان لا يلبث طويلا أن يشعر بتعب شديد مع انه لا يبذل فيه قوة بدنية وما ذلك الا لأن شهوة الخوف متصلة بعمله . ويرى المصور نفسه لا يتعب في آخر يومه مع انه لم يتعب فيه تعباً بدنياً وذلك من فرط اهتمامه باستمرار السوق وتوجيهه حسب ما يقتضيه

ولا يمكن قياس نوع التعب ، وكل شخص يشعر بما يشعر به أنه يختلف عن الآخر . فقد نشعر باعياء شديد بعد التعب . أخلاق اليوم ولكن لا نعلم في آخر يومنا ما بهما رأينا وقد نرى التعب كأن لم يكن شيئاً مذكوراً

وتختلف علامات التعب العقلي باختلاف الاشخاص وطرق عملهم . فمن العلامات الجميعة سرعة الانفعال والقلق وعدم الاهتمام والصداع والشعور بالتعب . فاذا لم تصلح هذه الاعراض اشتدت فشعرنا بالأرق وعدم قدرتنا على حصر انتباهنا في المسائل التي تتطلب منا الحل . وهذا قد يعني بنا أن الخوف على صحتنا ولا سيما اذ شعرنا بألم خفيف في مكان معين كأن نشعر بألم في العنق أو بصداع أو بسرعة النبض . وعبارة أخرى إن الاعراض الموضعية الصرفة قد تكون شبه مصرف لجهاز عصبي اشتد به التعب

وليس التعب العقلي سوى مدار من الصعبة بأن نكون على قدم السير و نحذر وندير الى المطالبة . ومعلوم أن الرجل العادي ما يقسم معيشته اليومية ثلاثة أقسام متساوية فثماني ساعات للعمل وثمان للنوم وثمان للعب والتمرين لكن يجب ألا يصحبه شيء من الهم والقلق ، بل تجب المطابقة بين العامل وأحوال عمله كي يحدث ذلك رد فعل فيه يجعله أسعد حالا وأحسن صحة ويجعله

يملك قلقه ويزيد اتقانه لعمله وتقل الحوادث التي تعرض له فيه وتعوره منه . واذا لم نكن مسرورين بأعمالنا بانت أشغالا شاقة لنا ووجب ادخال استبدال غيرها بها . وليس المهم كثرة ما نعمل بل المهم كيف نعمل . وهذا الحكم ينطبق على التعب والراحة أيضاً فقد نستطيع التعب والراحة ونحن نأكل ونفكر ونعمل

والواجب على قولنا ولعلنا أن يصرفنا عن هموم العمل و لا فلا فائدة منهما . فقد استعملنا عضلة من غير أن نريحها ضعفت . واذا أهملناها ولم نستعملها فقدت قوتها . ولكن اذا استعملناها ثم أرحناها زادت قوة . وهذا يصدق على عقولنا فاذا صرفنا الى التعب وجب أن نصرف اليه بكليتنا وإلا ضاعت فائدته

والى القارىء ست وصايا لا غنى عنها في المحافظة على صحة العقل والجسم :

(١) اذا عملنا فلنحصر اهتمامنا في عملنا ولنجعله سبب سرور لنا ولغيرنا

(٢) اذا تعبنا فلنصرف الى التعب بكليتنا ولا نفكر في شيء آخر

(٣) اذا استرحنا وقت فلنطلق عقولنا وأبداننا من كل عمل لنعيدها كما يشاءان . فان راحة العقل انما تكون بتركه وشأنه

(٤) اذا فكرنا فلنفكر على رأي ولنعتقده . فاذا كان فيه خطأ أمكن اصلاحه فيما بعد

(٥) اذا شعرنا بتعب شديد فلا نصبح لشهوة عجلة أو بأي رد فعل شديد بأن تسوقنا الى عمل يكون ذا نتائج دائمة

(٦) لنحصر اهتمامنا في عمل واحد في وقت واحد فنجعله في آخر الأمر أن الحذق في العمل أجدى من السرعة في توفير القوى

أمثال وحكم غربية

هذه الأمثال والحكم عددها من الانجليزية والفرنسية ووضعها وراء بعضها أقرب الأمثال العربية عندنا سواء أكانت من الأمثال المشهورة والأقوال المأثورة أم الأقوال السامية . والحرف « ا » مقابل بعض الأمثال يعني ان اصلها انجليزي و « ف » يعني أن أصلها فرنسي

ا ـ الجروح تلتئم أما كلمات السوء فلا

ف ـ لا عهد من قلبين الا وديعا فقط لا يتهامسان فيها

ف ـ من الخير انتقاء المرء باختيار غيره

ف ـ قليل هم الذين يعلمون أنهم طعنوا في السن

ف ـ لا يغلب الاحتقار الا بالاحتقار

ا ـ اذا لم تستطع الحصول على أحسن ما تريد فأحسن استعمال ما عندك (لم يكن ما تريد فأريد ما يكون)

ا ـ ان الذي يستطيع إسعاد جميع الناس [illegible]

ا ـ انتظار القدة هو لذة في حد ذاته

ف ـ التوبة هي الأمنية التي نحرص على [illegible]

ا ـ الحرية الحقة [illegible]

ف ـ الأبواب السرية هي التي [illegible]

ا ـ حسن يتناسى الاثنان فلا شيء يثبت

ف ـ التفكير الدائم [illegible]

ف ـ الافراط في الثقة مصدر للخطر

ا ـ الرجاء هو الخير الوحيد الذي يعم جميع الناس

ا ـ كل انسان تحمل حقيبة (لا يرى ورزة ورزة أخرى ـ كل عيرة مطقة بعرقوبها)

ف ـ حب الخير للناس هو أدب القلب

ف ـ داء العين العماء هو العمور (وفي الأصل الزكام أو البرد)

ف ـ كل طيب فالطيبة تشمل على الأشياء الأخرى

ا ـ المعرفة وليدة الخبرة وحدها

ف ـ كثير الكلام قلما يستشار

ف ـ الجهلاء هم الحكماء أحياناً

ف ـ حسن حظ المرء كثيراً ما يكون سوء حظ غيره (معاش قوم عند قوم فوائد)

ا ـ المثابرة تمهد كل عقبة

ا ـ عش سعيداً تعش طويلا

بعد عشر سنوات من الحرب الكبرى

رجعة أوربا الى الاحتشام والتقيد

للاستاذ محمود عزمي

الكوارث العالمية وما تخلفه من التراجع الخلقي ـ المرأة في الاوطان بعد الحرب الكبرى ـ الرجوع الى التقيد: في طرائق الحكم، في الموسيقى، في الفن، في الخلق ـ نذير للشرقيين

شاهد المشاهدون منذ القدم، وأدرك الاجتماعيون في العصر الحديث، ان العالم تنتابه عوامل خلقية وتفكيرية كلما حلت به كارثة كبرى تحمله لنوع من الحياة غير مألوف عادة. ويرجع علماء الاجتماع هذه الظاهرة الى ما تحدثه هذه الكوارث في نفوس الناس من الاستعداد للتأثر بما يجد أن تكون قد قيدت على الرغم منها تقييداً، فالحروب هي اقل الاشياء مصاحبة للكوارث الكبرى التي يدب الشرية من حرائها وما ينتابها من عوامل الهدم الخ ـ في كل شيء، والى حد الناحثون الاجتماعيون قياس في حياتهم إذ يعدونها حرباً خلقية لا يكتب لكاتبها ان يدرك تفصيلاتها ويرقبوا تطوراتها ويستخلصوا أحكامها.

وقد قامت الحرب العالمية الاخيرة في منتصف سنة ١٩١٤ وعقدت معاهدات الصلح الخاصة بها في سنة ١٩١٩ ـ وان كانت مؤتمرات تسوية الصلح الحقيقي ما زال تنعقد الى اليوم ـ فوقعت تحت أعيننا تجربة من تلك التجربات الاجتماعية التي يعد الباحث الخطر أن يشهدها مهما بلغت الاحزان التي تتفجر منها، والخسرات التي تنجم في الافراد وفي الجماعات شتى. والناس مثابرون على اعتبار « باريس » عاصمة العالم كله يحسبون كل ما يقع فيها من حوادث ويتحلل من مظاهر تمثلا لروح العصر مؤدياً للاتجاه الذي تريد البشرية المتحضرة أن تقصد اليه. وهم الى جانب هذا مثابرون أيضاً على اعتبار « باريس » متفوقة على غيرها من العواصم في مظاهر الخلاعة و « السهولة » رغم الشواهد التي تلقاها البحث الحديث مبعثة من واشنطن ولندن وبيوبورك للدلالة على ان ما يسند الى باريس انما هو مسند الى ظواهر أكثر منه الى حقائق مادية. ومهما يكن من أمر فان مثابرة الناس على هذين الاعتبارين تدعو الى حسبان « باريس » أكثر البيئات ملاءمة للمشاهدة

الاجتماعية التي تتصل بدرس موضوع الانطلاق التعبيري والخلق الذي يختم وقوع الكوارث العامة قيامه ثم بدرس رد الفعل المضاد الذي يلي دوره دور ذلك الانطلاق الذي كثيراً ما يعبرون عنه بالتراخي « Relâchement »

* * *

المرأة في الانطلاق بعد الحرب الكبرى

ولقد كانت أولى زياراتي لباريس بعد أن غادرتها في سنة ١٩١٢ إثر انتهاء الدراسة فيها، كانت في ربيع سنة ١٩٢٠ فدهشت لما وجدت فيها هذا التراخي الذي كان راجعاً حتماً الى انطلاق الاعصاب من تلك الحظيرة التي قصرت على النساء فيها مدى سنوات الحرب، والى اعتبار «الفردية» الذي تضفي في الجماعة تشيأ حتى النوم أزره في كيان الجماعة. فكنت لا ترى للمحافظة مظهراً، وكنت لا ترى لمجرد الادب في المعاملة مشهداً، وكنت لا ترى لسيار النقد والاستماع بكل أنواعه حسراً يقف عند حده. وكان أظهر ما يتجلى اليك في هذا المظهر تلك الهمة من جانب النساء الى التساوي بالرجال في الزي والزينة وتقيام جميع أنواع الاعمال التي كانت الجماعة الساغة للكارثة الكبرى تضطرها من اختصاص رجال، من حيث هو من التكاليف عند على عاتق الرجل توفيراً للمشاق أن تحل بالمرأة، ذلك عند ق المعنى من ذلك الطارئ الذي لا عهد اليه الا أن يخلق في جمال النساء. وكنت ترى في جانب هذا الذي يجلى في هذه الانطلاق والتراخي، مظاهر أخرى في نواحي الفن وقد هجمت على عالم الناشئة تغييراً، للكلمات، كما هجمت بقيات الزوج وآلاتهم المرجعة وتحاكاة رقصة الترف من الجهة الاولى ذلك تفكك «الاجرادية» وطائف الاعضاء عند الرجال والنساء فتحكك في الشهوات المتنة حتى من قيود الطبيعة العادية بحيث أصبحت العلاقات شادة على مباهاة الوعي الى حد أن أقيمت لها الاندية، والى حد أن كونت لاجلها الجماعات الادبية لا تعنى في حقيقتها إلا من كان متصفاً بذلك «الانطلاق المفتوح» من أسست جماعة شهر لا تتصدر غير الكتاب الذين يتصفون بذلك الاتصاف الجديد. وكذلك كان الحال في فن العمارة الحديثة، وفي فن التأثيث الحديث حيث كان عدم القاعدة هو القاعدة وفوضى الضابط هي الضابط. وكان طبيعياً مع ذلك كله أن تجاور تلك الروح مبادئ الزينة والخلق والتفكير والفن الى مبادئ السياسة وأنظمة الحكم، فكان طبيعياً أن ترى تيار «الشيوعية» يحاول دائماً أن يحرف أنظمة الحكم المقررة وقواعد الاجتماع السياسي

* * *

الرجوع الى التغير

وقد اتفق لي أن كنت أتردد على باريس مرة في كل عام بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٢٣ فكنت

أشهد تلك المظاهر سائرة في سبيل التحلي بخصوصات أوسع من تلك التي كنت لاحظتها في سنة ١٩٢٠ ، وكنت أصيخ الى الشاعر في هذا المضمار ضارب أطنابه بين باريس وبرلين الى حد أن « المتذوقين » للطراز الحديث كانوا ينتظرون أن تكون الطبقة آخر الامر لاهل الامبراطورية السابقة

ثم عدت عن « باريس » ست سنوات وعدت اليها هذا الصيف فلاح لي ان في الافق أمارات على توجه جديد يريد أن يشمل الفكر والعلم والخلق والسياسة جميعاً ، وان هذا التوجه انما يقصد العودة الى شيء مما كانت تتصف به الجماعة الاوروبية قبل الحرب من الاحتشام المعروض والتقيد المتعارف عليه . فحمدت تلك الامارات ميلاً الى الترجح الخير ، وأردت أن أسجل مشاهداتي كي يطلع عليها قراء الهلال الشرقيون فيدرسوا من ذلك الخطة الاولى جداً قد وضعت عندنا ، وان هناك تراجعاً قد بدأ القوم فيه ، حتى لا يندفعوا هم في ذلك التيار الذي وقف بالامس عند من كانوا هم حالفيه . فلا نظل مدهشين في تصوراتنا متمسكين لساننا بالجناح الذي جاءنا عن طريق الغرب وقد بدأ الغرب أصحابه الاولون بالفعل ، ومتمسكين بالطرابوش على اعتبار انه لباسنا القومي في حين ان اليونان أصحاب سنته والاتراك واضعو خطة الذي قد بدوه بدءاً يعمل

* * *

التقيد في طرائق الحكم

شاهدت إذن بباريس هذا الصيف مبادىء ... على الرجوع نحو التقيد في ميدان التفكير والاخلاق والسياسة ، بعد التمهيد لها كان سائداً قبل الحرب من قيود متسع عليها لفائدة الجماعة ولمصلحة التناسق الدولي العام

شاهدت فيما يتعلق بالحكم وسياسته وبالنظم الاجتماعية العامة واتجاهاتها ميلاً الى الحد في أحد الافراد والجماعات . فقد كانت الظاهرة النتيجة في حكم وزارة مسيو « بوانكاريه » انه كان كثير التهديد بالانسحاب من الحكم ، وكان كثير عرض الثقة بالوزارة كلما رأى مجلس النواب مساهلاً في التصديق على ما يقدم اليه من مشروعات . وكذلك كان حال مسيو « تارديو » وزير الداخلية — وهو واحد من تلاميذ الوزير الكبير « كليمنصو » — فقد حمل على الشيوعيين حملات صادقة لم تحل هجمات بعض النواب عليه دون استمراره فيها بحزم وعزم عظيمين . وكان آخر ما صدر عنه في هذا الميدان مقاومته لما كان الشيوعيون يريدون إقامته من مظاهرات عنيفة في أول أغسطس الماضي بعد ان فشلت تدبيراتهم لعيد العمال عيد أول مايو . فقد أعد مسيو « تارديو » عدته ومنع الصدام — ضباط البوليس وضباط الجيش في ضاحية باريس — من أن يمحوا أحزابهم العدية وحتى لقواتهم كلها تحت تصرف الحكومة يوم أول أغسطس . ودافع أثناء هذه الاستعدادات في مختلف الدوائر

السياسية والاجتماعية في باريس وفي غيرها من المدن الفرنسية ، فكان هذا الاستعداد وحده كافياً لعدم محاولة الشيوعيين القيام بأية حركة أو أية مظاهرة في باريس ، بينما قامت حركاتهم ومظاهراتهم في موسكو وفي برلين وفي فينا وفي غيرها من العواصم الاوروبية

ولعل أكثر حدية من هذا وذاك تدليلاً على التوجه الجديد الذي يبدو في التفكير وفي الخلق العامين في أوربا هذه الايام ذلك الكتيب الذي أخرجه مسيو « شارل سوا » العضو بالمجمع العلمي الفرنسي وأسماه « أمراض الديموقراطية أو فن الاستيلاء على أصوات الناخبين وعلى مقعدات الحكم » فقد ضمنه من الآراء الجريئة — وهو ذلك الجمعة في البحوث السياسية الاجتماعية — ما ذهب به إلى حد القول في مقدمته : « اني أصبح إذن نصير النظام . واني أوضح فكرتي وأحددها فأقول اني أقصد بها تغييراً في شكل الحكومة ، وصورة أوضح وأدق أقول بالعودة من الشكل الديموقراطي الى الشكل الملكي »

* * *

التغير في الموسيقى وفي الفن

واذا نحن انتقلنا من ميدان الحكم وسياسته والنظم الاجتماعية الى مظاهر أخرى فاننا نجد الناس قد ملت في باريس الاقبال على « الباليه » الحديثة وعلى الاستماع الى نوع الموسيقى الزنجي الذي يرقص الراقصون على أنغامه وأصبحوا يفضلون عليه موسيقى الاوبرا ويعجبون بموسيقى الاناشيد ولو عادت اليهم طرائق الرقص الاتيكي (ولعل مجاراة الذي فعله بطل الروسي الشهير « دياجيليف » — وقد توفي منذ شهرين — يرجع الى أنه كان يسعى في أن يحث على الأرض الاوروبية ما تفنى الشعبيون عليه من فن روسي اشتهر بديع في الرقص وفي موسيقى

ثم ارجع ببصرك الى التصوير والنحت وما يعرض من آثارهما في المعارض العامة والخاصة فانك لا ترى الآن غير مظاهر التعبيريات الفنية الحديثة التي ابتعدت ابتعاداً عن ذلك التيار الحسي الذي كان قد طغى على المعارض بعيد الحرب طغياناً عما كان فيه من ميل الى « الكوبيسم » و « الفوتوريسم » و « الدادرايسم » . فانك تجد الآن رجعة عديدة الى أحكام الفن الخالدة تطبق على موضوعات حديثة يتميز بها العصر الحاضر بلاشك . وكذلك الحال فيما يختص بفن العمارة وفي الاثاث تجد فيهما دائماً حديث من الميول والخطوط يميزها عن فن العمارة وعن الأثاث فيما سبق من عصور ، لكنك تجد فيهما أيضاً ميلا الى الفائدة العملية والى الجمال الشاهق . تجد العمارات الحديثة « بسيطة » في مظهرها لكنك تجدها قائمة على فكرة توافر وسائل الراحة كلها فيها ، فالاصول الحديثة تستلزم أن تكون النوافذ واسعة حتى يتسلل الى الغرف الضوء والهواء . والاثاث هو

الآخر حديث في مظهره لكنه قائم على فكرة الاستعادة من أحرائه كلها استعادة عملية والشعور عند الالتجاء اليه بالراحة الكاملة

* * *

التغيير في الخلق

وتلك العلاقات الشاذة بين الرجلين قد أخذ ظل عدم الاكتراث لها يتقلص فأصبحت تتسع في كل مكان الى انتقادات مرة توجه الى « عصابات » الكاتب الشهير « امري جيد » ومن اليه من جماعته الخلقية والادبية ، كما أصبحت تتسع الى عبارات التهكم يصب جامها على رأس « فيكتور مرجريت » ومؤلفاته الاخيرة . بل انك أصبحت تجد مسيو « كباب » مدير الوليس الباريسي يجرؤ على أن يمنع تمثيل روايات يعرض فيها ذلك النوع من العلاقات الشاذة التي كانت تعرض على الجمهور فلا يرى فيها منكراً ، بل ان الجمهور نفسه قد أصبح في باريس يطالب الوليس بتحريم تمثيل هذه الروايات . وقد حصرت لجنة محافظي باريس في أواخر شهر اغسطس الماضي رواية « جيجي » « كاريفال » قائمة عن أثر تمثيلها مؤلفها فاعترف له اغسطس أن يحيل مطربتها الى التيار الخلق حتى لا يغضب الجمهور وحتى لا يغضب مسيو « كباب » مدير الوليس فيحرمه منها أيضاً

* * *

وأخيراً حمل الى « الوديو » وهي مظهر حساس من مظاهر الحياة الجديدة والعامة في باريس . وقد أطلت عليك بها سنجوم في هذا الشيء عن مظهره هذا « الفستان » والارتفاع بدائرة القائمة الى ما تحت الهدى و « الشعر » وغير ذلك مما أعرض عن ذكره ما تريد العفيفة أن يبرر . كل ذلك رجعة في المعنى المرأة الى حيث تلوح امرأة والى حيث ينبغي أن تكون التي

* * *

تبرير للشرقيين

تلك هي المظاهر التي شاهدتها في باريس هذا الصيف فاعتبرتها دلالة على التراجع الى حيث المصار الطبيعي تتحلى فيه الأفكار الطبيعية والخلق الطبيعي فيقوم فيه التقدم على انحدارات طبيعية غير مرتفعة تجعل حركاته أكثر ثباتاً وأدق احكاماً

وهذا كله في مصلحة الجماعة البشرية كلها فتبدو بمثابة الشرق من قراء « الهلال » فهم على أي حال بمثابة صفحة سكان العالم الذين تتقدم بمثالهم كلها بكل ما يحدث في طرف من أطرافها

محمود عزمي

من هو الخطيب ؟

بقلم الدكتور نقولا فياض

[من كتاب في « الخطابة » ، تحت الطبع]

— ١ —

هل يولد الانسان خطيباً كما يولد شاعراً ، أو مصوراً أعلى هل يحتاج الخطيب الى ذلك الوحي الآتي من أعماق النفس كأنه انفجار باطني أم يكفيه العلم والممارسة ليجد سبيلاً الى عقول الناس وقلوبهم ؟

من المعلوم ان النطق عمل معكس من أعمال النفس البشرية كالصمت وغيره . فكما نجد من الناس من يقف صامتاً أمام مشاهد الوجود الرائعة ولا يطيق من حوله أدنى حركة أو صوت بل يعد كل كلمة تعكر عليه السكون وتقتل التأمل إثماً لا يغتفر ، نجد من يشعر أمام ذلك الجمال والجلال بحاجة الى النطق للتعبير عما يجيش به صدره من مختلف التأثيرات

تصور راعياً على قمة جبل تحيط به مناظر الطبيعة الساحرة وهو يتنفس بصدره الذهبي أو يتباهى الشفق الوردي وهو يخلع على الوجود رداء السكينة . واعتبر الى أن يكون هذا المشهد في نفسه فقد يقف صامتاً جامداً مأخوذاً برونقه وجلاله أو يتناول مزماره ويمتع به نفسه لحناً ونغماً أو اذا كان خطيباً يرفع رأسه وعينيه وأن يستعرض أمامه في الوجود بأسره بالحق على رأس القاعة أو اللوحة الثائرة أو الصخرة الصماء

فالخطيب اذاً هو الذي تهزه مؤثرات الخارجية فيريد صداها فيه وحي يدل على لسانه واللغة تتدفق في بيانه

— ٢ —

هذا التعريف يختص باللغة العصرية وهي اليوم لا تكتفي وحدها لبلوغ الغاية من التأثير والجلوس على عرش الاسماع والقلوب ، فان اتساع دائرة المعارف الانسانية وتعدد وسائل البحث والاختبار قد حملا موقف الخطيب حرجاً فهو يحتاج الى ذخيرة من العلم كان الاقدمون في غنى عنها لافتقاره عالماً الى اقامة برهان وتأييد حجة ودفع اعتراض وقلع شك من الناس قد صحت عقولهم ، فهي لا تقبل الكلام يرسل على عواهنه سواء أكان هذا منها عناداً ودعوى أم رغبة في العلم واستزادة من الفائدة

فالخطيب الذي يجمع الى استعداده الذاتي ودكائه الفطري اطلاعاً واسعاً ويكون موفور الحظ

من العلم واللغة ليستطيع التكلم في كل موضوع « بسهوله ورشاقه واقناع » كما يقول شتروس فهو الصقع البليغ الضارب على أوتار كل فؤاد

لا بد اذاً للخطيب من الدرس والمطالعة لأن الخطباء كما يراها وشروطها هي ميدان عمله وليس فيها شيء لايحتاج هو أن يسمعه أو يعلمه ولأن الروح كما قال فولتر : « نار اذا أنت لم تطعمها لتزيد وتقوى تناقصت وخبت »

واذا قلت للمطالعة فلا أقصد الاعراق التي يعني الى النسب والدرس ، فقد أتى على الانسان مئات السنين وهو يكتب ويخطب فما عدد الشعراء من متقدم ، وما بقي فكرة لم تمر بخاطر أو تجر على لسان كما قال زهير :

« وما أرانا نقول الا معارا او معاداً من قولنا مكرورا »

فيجب ألا يكون هدف مدعاة الى شعور القارىء قصوره عن أن يأتي بأحسن أو بأكثر مما أتاه السلف ، بل ليذكر ان كل جيل من الناس ينظر الى الحياة نظرة خاصة به مستقلة عن نظرات غيره ولا يتسلمها جيل تركها من قبله ، وإلا لما زادت كنوز الخبرة البشرية زيادة لم تكن تعلم بها ، ومما أن كل جيل ينظر الى الحياة كما [illegible] فهو مضطر حتماً الى السير في الطريقة عينها التي سار عليها من سبقه لتعلم الفائدة التي تطمئن نفسه ، ويجد معها في نفسه مخلصاً في التصرف والشعور حقيقياً عفويه [illegible] وهكذا تتجدد الحياة وتعمل ومع الحياة تتجدد الخطابة ، فلا خير لنا أن نقف عند [illegible] حيث جاز لنا أن نقول أيضاً لقد درك الاول للآخر كل شيء

وللمطالعة شروط لا بد من [illegible] وهي أن تكون [illegible] دأب وتزو لا افراط ولا تفريط فالذين يفترسون الكتب افتراساً ولا يهضمون تضعف قوة الاختراع فيهم وتصبح لبداهه منهم شيئاً بعد شيء ولهذا عد أدى بين عدد الكتب التي يقرأها الرجل ودرجة ثقافته

ومن يتعد القراءة كالتدخين أي ضرباً من التسلية ووسيلة لقتل الوقت متنقلاً من كتاب الى آخر بدون ترتيب ، ولا نظام ولا غاية معينه فهو يسعيد القلق دون الكثير ولا يحفظ مما يقرأ إلا بقدر ما تحفظ العين من صور المتحركة التي تتعاقب أمامها

كانت المطبوعات في القديم نادرة فكانوا يقرأون الكتاب الواحد مراراً ولا يملون الرجوع اليه كلما دعت الضرورة . وقد والت عصور والكتب القديمة مرجع الخطباء الصانع يجدون فيها وحدها ما أرادوا من وحي وإلهام . ولا شك في أن الاكتفاء بمطالعة كتاب مفيد ومراجعته خير من تقليب عدة كتب لم تضح فائدتها بعد

والجملة فالدرس والمطالعة أمران لا بد منهما لطارح المنبر وقد قال الحاحظ : «لا يحتاج في الجهل الى أكثر من ترك العلم ، وفي فساد البيان الى أكثر من ترك السحر »

—٣—

تكلمنا عما يجب أن يكتسبه الخطيب ليساعد العطرة ويزيد رأس ماله وبقي فيه قوة الاختراع ولكن هناك صفات أخرى لا تكتسب بالدرس وهي تتعلق بالمزاج والاخلاق والتربية الادبية فعلى الخطيب أن يكون :

أولاً — رابط الجأش ساكن الجوارح لا يأخذه منه الغضب ولا يفرغ عنده الصبر لان الذي لا يكون سيداً على اهواء نفسه لا يستطيع أن يتحكم باهواء سواه . واذا احتاج الى الغضب فليكن غضبه حقانياً ، فكما ان الممثل يتعهد أن يجعل تمثيله طبيعياً مطابقاً للواقع ولا يمنعه ذلك من ملاء وجهه بالدهان فالخطيب يقدر أن يخلع على سحنته ما يريد من الملامح دون أن يمس احلاسه أو يحل عواقه الطبيعي

ثانياً — أن يكون « بسيكولوجياً » أي نفاذاً صادق الحس ملهماً يجيب الفراسة يسبر مطارح النظر يدخل الى أعماق النفوس ويقف على مكنونات الصدور لخاطب كل فئة على حسب هواها ويحمل عليها على أقدار عقولها ، فلا يكلم سيدة المجتمع بكلام الامة ولا الشاب بكلام الشيوخ ولا العمال بكلام أصحاب المال ولا يجد في مواقف الحزن والحداد والفرح ويكون له فضل التصرف في كل طبقة

ثالثاً — أن يكون سلس العبارة سهلها يحسن اختيار الكلمة ويعرف ما بينها ويفهم من المادة فيكون السيد المسيح فيلسوفاً وهو في ظاهر حديثه لهم ، وخطيبهم في أهوائهم كلما قضت الحال لانه لا يطاع الا اذا عرف ان يطيع كرمان السنبلة يلين للريح وسايرها ، يسير بسفينته فلا تتحطم دون الشاطئ .

رابعاً — ان يكون حاضر الذهن فلا يتحاوز في القول ما بهم سامعيه . وكلما أحس نبوة من النفوس عنه أو ملة القلوب منه ألقى اليهم حكمة جديدة وطلع عليهم بفكرة غير منتظرة ليمج الشاؤب والملل ويعيد الانتباه الى مقره ويملك عليهم سمعهم وشعورهم لأن في الخروج عن معهود الى مستجد كما قيل استراحة للفكر ورياضة للخاطر

وجملة القول ان يكون حي الجنان صادق البيان فيحرك من الاعماق كل عواطف الحرية والانسانية والقوى والفضيلة الراقدة في قلب كل انسان ويمثل امام تلك العيون الحادة المستعرة الشاخصة اليه صور المجد والوطن ويبعث الكهربائية في نفوس سامعيه فيثيرهم بحركة من يديه وبهدئهم بنظرة من عينيه

فخري أبو ضاهر

نهاية الحضارة الغربية
والحاجة الى حضارة جديدة

الغرب يستمد الالهام والعون من الشرق

ما زال الشرق بعد الحروب الصليبية عاملاً قوياً في اسهواء الغرب ، ولكن هذا الاستهواء ظهر في السنين الأخيرة بمظهر جديد ، فقد كانت القوافل قديماً تخرج في أسمة عظيمة لجلب الذهب والاقاويه والملح وغيرها من مصادر ثروة الشرق ، فحلت محلها في هذا الزمان الاخير بواخر تحمل السكر والزيت وغيرهما من المواد التي يكثر الطلب عليها القلم بالمخترعات الحديثة الكثيرة . وليس هذا فقط بل أن الشرق عاد كما في القرون الوسطى مصدراً للالهام يستمد منه فلاسفة الغرب مادة خيالهم ونوراً يبدد ظلماتهم بعد ما حيرت الحرب آمالهم وركنت أوروبا الى اليأس وعدم الفرط ما بالهامن تضعف والاعياء لعلهم يتمكنون من خلق حضارة جديدة تقوم مقام الحضارة التي يرى البعض أنها دفنت في الحرب

ويلوح لكثيرين من كتاب الغرب أن الحرب ذهبت بما كان لأوربا من الهمية في الشرق عند أبدت الحرب وجوه الضعف والنقص فيه وكشفت عن عجزه عن تهيئة شيء ممن عرف الشرق وتمرس بأحواله أن يرضى بالخضوع والعبودية على أيدي هؤلاء الغرب وحكمه . فالكتاب لوثروب ستودارد أخرج كتابه عن سيادة الالوان ، وقد وضع فيه الشعوب السلالة الصفراء والسمراء والسود تحت سيطرة الرجل الابيض ، ومن رأيه أن السبب في ذلك ما فقدت أوربا من الهمية في الحرب وما أشرب الشرقيون من روح الديموقراطية الغربية وتقرير المصير مما نادت به أوربا وحدتها بعد الحرب . قال كاتب عربي :

« بينما ترى الدول الغربية المستعمرة مروعة مما ترى في خطتها ونومها من شبح لينين وعالمي يقوم بعض كتاب أوربا فيبشرون قومهم بانهم اذا شاءوا أن تعود عليهم نفائسهم وعيونهم وحسن عليهم أن يتلقوا دروس الفلسفة من الشرق . فالشاعر رديارد كبلنج لا يرى في الشرق سوى بلد غريب الاطوار متعدد الالوان لايصلح إلا معرضاً للقالة الاستعمارية العسكرية والصقرية الادارية ، ويرى كوبراد أنه يصلح أن يكون مدرسة لدرس الطبائع الانسانية والشهوات الشرقية والغربية معاً . وكان بيرلوتي يقول انه خير ملجأ يلجأ اليه العربي لسد شهواته . ويرى فيه موطنو لندن وشطئن لغزاً سيلياً يتطلب الحل

لكن الأوربيين الذين شعروا بمؤلفات الشرق الروحية القديمة يرون فيه مصدراً للتجديد والقوى الروحية التي فقدتها أوربا وهي في أشد حاجة الآن اليها

وبعد ما دامت الحروب الصليبية قريبة من زمان علم الاوربيون فيها تحكم الحلفاء على الشرق، جعلت أوربا تهتم من سنات القرون الوسطى بحرى التجار في أثر الجنود وصدت الاساطيل الى سواحل بحر الروم الشرقية حيث كانت القوافل تبلغ حمله متعددة بها سلعة جديدة تموّنها العقلي

لكن كوهس استطال طريق الشرق فسعى في اختصاره بالسير بحراً . وتشطت التجارة في كل مكان من حوض بحر الروم حتى داخلية أوربا واتخذت أسواق ليون وشمبانيا وفلاندرس وفلانيا على أثر اكتشاف الشرق

على أن أوربا الحاضرة ان لم تكن على شبا عصور مضلة كالعصور التي مرت بها على ما يقول قوم ، فلا ريب انها مهوكة لقوى تحتاج الى ايجاد تستقيها والى الهام يأتيها من خارجها ويولد فيها الثقة والامل

وما يراه كثيرون مما يذكرون الكتاب الذي نشره الفورد للسنوس قبل الحدنة بسنة وبحص فيه البلدان المتحاربة على وصف الحرب بأسرع ما يمكن ما دام في أوربا بقية باقية . أما ما بقي من المانيا في آخر الحرب فقد وصفه يوماس من سنة ١٩٢٠ بقوله

« ان الامة الالمانية بعد ... دور لا حياض لها من الاعداء الخفي والادبي الذي ما لها ولم تعرف له مثيلاً في تاريخها . وبعد ... بالخضوع ... ذلك الايمان الذي عملوا به انحاشت سمعوا تسليماً لا قيد فيه ولا ... سلاحين ... سلاح الحقد ، وسلاح الدعوة التي قام الحمقاء بها ، فسقطوا سقوطاً ... وسعوا خصمهم الادبي وعرفوا كل عمل في سبيل القبض القاسم الذي استولى على أمة بأسرها فيكتب من نفسه ومن حريتها ومن شرفها ومن كبريائها »

فان كان الالمانيون قد فقدوا ثقتهم بأنفسهم وبتفوقهم حتى حين ، فكثير من علماء الحلفاء فقدوا ثقتهم بأوربا وحضارتها بعد ما فككت الحرب عرى وحدتها . وبالامس ما عرض العيش الاميركي تحت قوس النصر في باريس خاطب كاتب فرنسي الاميركيين بقوله : « كانت الحرب في نظركم حادثاً صغيراً لا شأن له . وقد مرت الآن فافرحوا واطربوا ، ولكنا نحن الفرنسيين لم نخرج من الحرب بعد »

وليست أدبيا بالامة الوحيدة التي خرجت جريحاً أدبياً يحتمل شيئاً شيئاً . فان المرء ليجد بين الفرنسيين اليوم شكاً كثيراً من القنوط على مستقبل بلادهم . يدلك على هذا كثرة ورود كلمة « الامان » التي استعملها الفرنسيون في مناقشاتهم الدولية . وفي الوقت الذي هبطت أوربا الى أدنى درك من الشك والقنوط قام نبي بديع رسالة مطيبة للقلوب مآلها أن لا فائدة تجنى من وراء القنوط والاكتئاب لأن الغرب مقضي عليه في كل حال . وهذا النبي هو أوسوالد سبنجلر فقد أصدر

كتاباً اسمه « انحطاط الحضارة الغربية » قال فيه : « إن مقارنة الحضارات بعضها ببعض يدل على أن حضارتنا بلغت سن الشيخوخة ، وأن ساعة القضاء حتم ودقت . ذلك القضاء المرعم الذي من الجهل أن يعصى » . وهكذا شرع يرسم ما سماه « طلعة الغرب الأخيرة » استعداداً للنهاية . ومحتوى هذه الفلسفة « أن نرى في أنفسنا عزيزة الموت الاجتماعة (١) »

ومن أقوال سبنجلر أن التاريخ إنما هو قصة قيام المدنيات وسقوطها في أدوار تتكافأ تمام الدقة ، ومدنيتنا تدنو من نهايتها . وقد قرن بين المدنيات المختلفة مقارنة طويلة دقيقة فوصل الى هذه النتيجة ، فيحذر كل عاقل ألا يعيش وهو محل النفس بأن الحضارة الاوربية حالمة أو أن لها مستقبلاً باهراً يذكر

وعلى أثر ذلك جعل المفكرون في أوربا يقولون وجوههم شطر الشرق ويتدرون من الاهتمام بشؤونه مالم يكونوا يبدونه من قبل . فان كان قد قضي على الحضارة الغربية بالزوال فالخطة الطبيعية هي أن يسلكوا مسالك ستنطر . فان الشرق عرف قوة مقاومته الغريبة وفعل أفعالاً تقرب من السحر سواء أكان ذلك من الوجهة المادية أم المعنوية . فقد دارت من سحرة الهنود حواس أوربا يعبدون لرصاص المصهور و أفواهها وطلسمات أشبه بالسحر من غير أن يكون لذلك أثر فيهم وظاف و سفرات تحور لتشعر فيها عند صانعه فتنتج عن صنعه وقلوب واعية . وكتب رومان رولان ترجمة غاندي وهو الذي رجم مسيو بجاز وبوسويه و يوفن من قبل . وكتب كورومسواي تحدث و فلسفة الشرق و أبدى وجيه الاوربيين والاميركيين الى مولد فاحور في الهند وغيره من الاماكن المقدسة في الشرق

قال رولان : « في أوربا قوم يعتقدون أن حضارتهم [illegible] » . وقال الكونت هرمان كيسرلنج : « إن أوروبا أصبحت لا تحرك فيّ ساكناً لاني عهدت كل ما فيها وهي تقصر عن أن تمد وجودي بصور وأشكال جديدة . ثم انها كلها الآن ذات معنى واحد واشتهائي أن انحو الى الفضاء حيث لا بد حياتي المحررة من أن تجد أرضها لكي تستطيع النماء » . وبناء على ذلك فر بنفسه الى الشرق حيث الفضاء أوسع والبدء أكثر تحاسباً

وحدث بعد ذلك قليل أن فيلسوفاً آخر مثله من الذين لم يعرفوا أوربا معرفة وثيقة فعل فعله وهو برتران رسل . والغريب أن رسل حقله الرياضي الذي يعني استدلال على خلاق الاتفق هو وكيسرلنج بغلبة الجدلي العمومي على أن أوربا تحتاج الى حضارة جديدة أو حضارة تختلف كل الاختلاف عن حضارتها الحالية . وأنها تتبع بدرس الطريقة التي يحل بها الشرق مشاكله . ومن

(١) يريد الكاتب بذلك أن تتعود كجماعة فكرة كون الامم كلها تموت والحضارات تزول كما تتعود الافراد فكرة الموت الطبيعي حتى اذا جاء أجل الامم لم تهلع له ولم تجزع منه

رأي رسل أن السبيل الى اكتشاف الحقائق هو تمرين الفكر واستخدامه . وعليه أدخل منطق الرياضيات الصرفة في منطقة السيكولوجيا وعلوم ما وراء الطبيعة . فرجل مثل هذا كان جديراً به أن يكون محرراً من رهبة الشرق المحنط بحنط الخفاء ومن فعل سحره ، ولكنه بعد أن درس فلسفة الصين عاد معجباً بالصينيين ، فأشار في بعض مقالاته الى السعادة المريرة الفطرية التي تحل الصين فردوساً بإزاء مدنيتنا الثائهة أو ما فيها من أسباب الشقاء القاسية . نعم ان لها عيوباً وسيئات ظاهرة لنا ولكن لها حسنات تعوزنا . فرجاؤنا ألا تصير الصين مثلنا تخرج أمثال نابوليون وبسمارك وغيرهما من رجال العصر الفكتوري بل أن تنشأ حضارة جديدة تجمع بين معارفنا وبين التثقيف الصيني . وعندي أنه لو ترك الصينيون وشأنهم لأمدوا العالم بحضارة جديدة يستأنف بها السير في سبيل العلم والفن بعد أن تمزق اوربا في بحر من الدماء »

قال كيسرلنج في كتابه « يومية فيلسوف سائح » :

« نحن على أبواب عصر جديد مشبه لعصر القرون الاولى من التاريخ المسيحي . فقد حدث فيها ردد فعل من كل نوع وصنف واتحد الشرق والغرب . وستكون النتيجة الآن كما كانت في ذلك الزمان وهي توسيع قواعد الحياة »

وعبدك موريس [illegible] الى الاتحاد بين الغرب والشرق في كتاباته وقال عنهما أنهما قسمان من قسوس [illegible] واحد مركز العقل والعلم والوجدان . والآخر مركز النور (١) والدين والعقل الباطن والحدس [illegible] ويهيم ، والآخر في غير المحدود وغير المعلوم . وقد حاولا غير مرة أن [illegible] وحدهما . ولكن الفشل تعرض شر مساعي الآخر وهما أثرهما . وقد آن الأوان لتحقيق الاتحاد الشرقي [illegible] »

وقال رولان : « وستصبح [illegible] »

وقال راتنو : « ان الليل يخيم على أوربا . ونحن نولي وجوهنا شطر المشرق شيئاً فشيئاً . وهذا هو النتيجة العظمى للحرب تلك المأساة التي لن يفهمها أولادنا مهما يحاولوا فهمها »

وقال الدكتور باكيه . « ان أعمدة الحضارة الجرمانية اللاتينية تتداعى وعمل التجديد والترميم الجرماني السفلي يتقدم ، وقد أخذ الشرق يستيقظ ويجدد في الغرب نظاماً أخلاقياً وروحاً يشبه روح الهند الاولى وحكمها القديم »

---

(١) يراد بالنور هنا العقيدة أو الغريزة

بعض ما آثر روكفلر

رجل المروءة والانسانية

قولنا : «روكفلر أكرم من حاتم» كقولنا: «السيف أمضى من العصا» فليس من البيان في شيء أن نلقب روكفلر بحاتم القرن العشرين ، بل من البيان تلقيب حاتم بروكفلر العرب لأنك لو قومت هبات حاتم وغيره من كرماء العرب طراً ما بلغت عشر معشار هبات روكفلر في حد نفسها . ولكن قيمة الأشياء نسبية لا حقيقية وقد كان « النكيس » الى عهد غير بعيد يكفي للذبات الكبرى ولمئات الشاق ولشراء المقدرات الواسعة وكانت قيمته حمسمائة قرش وهي لا تكفي الآن لسكرة ! ! وبهذا الاعتبار وعلى هذا القياس تصح مقابلة حاتم بروكفلر لأن حاتماً كثيراً ما كان يهب كل ما يملك وهو لو أراد جمع المال لجمع ثروة واسعة كما قال الشاعر القديم :

« وقد علم الأقوام لو أن حاتماً أراد ثراء المال كان له وفر »

كان روكفلر قبل سنة ١٩٠٠ بعد أهل الحلاء ويوصف بأنه لا هم له سوى انفاق الساعات في اكتثار المال وشغله بالحصول في خصوص البحري في الاطراف المتعددة التي تمس بها طرقه ويمسك بها أيدي رجال الاعمال عليه . وبعد ذلك عقد العقد . ولكن روكفلر هذا وهب في العشرين سنة الماضية ٥٥٠ مليون ريال في سبيل البحث العلمي واصلاح الشؤون الصحية مما يزيد خمسة أضعاف على ما وهبه كل من عداه من أبناء الطراز الأول

ومما يزيد في قيمة هبات روكفلر الاغراض التي وهبت عليها . فمثلاً ان ذلك الداء أصيب أحد مدات الرئة الآن فانه يعالج بعض جاس اكتشف في معهد روكفلر للبحث الطبي في نيويورك ، وقد قدروا أن الحقن بهذا المصل زاد الأمل بالشفاء من دات الرئة نحو ٧٥ في المائة على ما كان قبلا . وقد سموا هذا المصل صنف « ١ » . والاطباء في المعهد المذكور يشتغلون الآن باعداد مصل ثان للصنف « ٢ » من دات الرئة ، ومصل ثالث للصنف « ٣ » . ولم تكن هذه المباحث الطبية الناجحة ممكنة ولا هبات روكفلر فقد وقف من ماله ١٨٣ مليون دولار على هذا المعهد

وقد عني روكفلر عناية خاصة بصحة الاطفال فوهب مالاً كثيراً لاستئصال بعض أمراضهم الكثيرة التفشي مثل الكساح والدفتريا وسائر أمراض الحلق ، فانشئت لذلك مستشفيات كثيرة في بلاد اميركا وفي غيرها من البلاد التي تكثر فيها هذه الامراض مثل كندا والبرازيل وبورتوريكو . وفيها يوزع على والدي الاطفال المصابين بالكساح ما لا يحصى من زجاجات زيت السمك وعلب خلاصة اللحم لتغذيتهم

ويكثر في ولايات اميركا الجنوبية مرض يشبه الملاريا المعروفة عندنا وهو ينشأ من دودة اسمها « هوكورم » تدخل الجسم من احمص القدم وتسير في الدورة الدموية حتى تستقر في الامعاء وأول شيء عملته لجنة روكفلر المساعدة لمقاومة هذا الداء في الولايات المذكورة هو أنها قدمت أحذية لكل ولد ولكل عامل حافي القدمين في ١١٣ مركزاً من ولايات الاباما وجورجيا وتنيسي، ثم أرسلت المستشفيات في كل ناحية منها لمعالجة هذا الداء. وقد مضى على ذلك خمس عشرة سنة فظهر من فحص تلاميذ المدارس في ٨٨ مركزاً من مراكز الولايات الجنوبية أن اصابات المرض نقصت ٩٤ في المائة

ومنذ ٢٥ سنة كان اسم الحمى الصفراء يجمع له كل قلب وأحصي عدد الذين ماتوا بها في أميركا الجنوبية في سنة ١٩١١ وحدها فبلغ ربع مليون وسكن في سنة ١٩٢٧ لم يصب بها سوى ثلاثة أنفس في اميركا الشمالية والجنوبية كليهما. وقد أنفق روكفلر على مكافحة هذه الحمى ٣٠ مليون دولار. وهذه الحمى تحدث من لسع بعوض يسمى ستيجوميا، ويعيش في المستنقعات فردمت هذه المستنقعات، واكتشف عالم ياباني من علماء معهد روكفلر اسمه هيديو نوجوشي مصلا لمعالجة هذه الحمى فيما اذا أصيب بها أحد. وقد جعلت اللجنة من كلمة مكافحتها نوع آخر من هذه الحمى كثير التفشي في سواحل غربي افريقية

وفي سنة ١٩٢٧ فشا [illegible] على الربع الغربي من كرة الارض منها ما مساحته ٢٠ الف ميل فمات ٧٥٠ الف نسمة [illegible] وخسر [illegible] بسبب هذا الوباء ربع مليون دولار. ولم يسمع في هذه الفصول عن [illegible] هذه الأمراض الثلاثة التي تخيب عادة كل فيضان. وانفق في ذلك العام على معهد روكفلر لمكافحة الحمى الصفراء لطواريء الفيضان بانشاء مئات من المستشفيات العالية على ضفاف النهر فأنفق مليونين ورسماً من الدولارات في ثلاثة أشهر لحماية مكونو الفيضان. وكان المستر هوفر الرئيس الأميركي الآن مديراً لاعمال اللجنة التي تولت انقاذ المنكوبين فقال لبعض رجال الصحافة في حديث: « ان هذا الفيضان شر ما عرفت ولولا ما بذل رجال مؤسسة روكفلر من وسائل الوقاية الصحية لكان من شر فيضانات التاريخ »

ومن الامراض ما كان يهدد الاعمار بالنصف ويحصد على الناس أنفاس السرور والتمتع بهذه الحياة الطيبة وفي طليعتها لأيميا (فقر الدم) والسل الرئوي والروماتزم الحاد. وكان يموت بها ١١٢ من كل عشرة آلاف من الاهالي حتى هب معهد روكفلر لمناوأتها فزال خطرها وتهديدها. ورجال هذا المعهد يشتغلون الآن لمقاومة امراض الانف والبلعوم

وتعد جمعية شكاغو ثالثة جامعات أميركا عظمة. ومجموع هبات روكفلر منذ سنة ١٨٩٢ الى الآن ٣١ مليون دولار

وفي بكين عاصمة الصين كلية طبية قامت على هبات روكفلر، فيها معامل للتحليل والتركيب بإدارة ٧٨ طبياً صينياً تعلم كثير منهم في أوربا وأميركا على نفقة روكفلر . وهم يوجهون جهدهم وهمتهم إلى مكافحة ثلاثة أمراض مازالت تفتك بالناس منذ قرون لا يعلم عددها وهي الجذام والجدري والسل وكانت الحكومة الصينية تحسب هذه الأمراض الثلاثة حتى سنة ١٩١٤ أمراً لا بد منه ولا مندوحة عنه . على أنه في تلك السنة أرسل روكفلر لجنة إلى الصين فانتشأت مستشفيات في بكين وتيانتسن وشنغاي وكنتون فقصت وفيات الجذام ٢٥ في المائة . وأصبح عدم الصينيين يدخل الطاعون والقول الحمراء فارتفع بذلك مقياس الحالة الصحية مما لا عهد له وبعد الخطوة الأولى في مكافحة جميع الأمراض

ويؤخذ من آخر تقرير سنوي أصدره معهد روكفلر أنه في ٢٠١٨ سنة صحية في كولمبيا وعوج ٤٢١ و٥٧٠ هـ من دودة الهوكورم في بنما وهبطت وفيات الملاريا ٦٠ في المائة في الأرجنتين ولقح ٢٠ ألفاً بالقاح الواقي من الدفتريا وعلم ١٩ ألفاً بطعم الجدري في نورمان

غرائب الوصايا

● توفيت في أوهايو الأمريكية عجوز فقيرة جداً ترك من بعدها الفقراء وكلهم طامع في أن تكون قد أوصت له بنصيب لأنهم رأوها مع كل مرض تكتب وصيتها وما فيها يأتي .

● وسبق أن توفي رجل ثملاً في كلية في صيف الكتاب أن عمة التي كنتها جوانا سوثكوت وعلى شرطه في كل مكان ، فعمد عند سماع هذه الوصية غريبة ورصوا أمرهم إلى المحكمة العليا فحكمت بأن الوصية صحيحة وأن هذه المرأة كانت لمرض من الأحسن صحيح

ومن هي جوانا سوثكوت هذه ؟ هي معتوهة عجوزة قضت عمرها عزباء ، ثم لما أوفت على ستين أعلنت في العالمين أنها ستلد ابناً يكون المسيح الثاني وعينت تاريخ ولادته وكتبت كتابات دينية كثيرة هي أقرب إلى الهراء منها إلى الحد ، ومنها كتاب عنوانه « النبوءات عولد رئيس السلام » ثم ماتت على أقصى درجة من الخبوب في نحو الزمان الذي عينته لولادة المسيح الثاني

● وليس بأغرب عنوانه من هذه وصية وصية رجل أميركي هي أنه يعين شيء من تركته أجراً لرجل تكون مهمته التقل بين مقاعد كنيسة قريبة لأغلظ الذين يناموا في خلال الوعظ وطرد الكلاب التي تدخل الكنيسة !!

● وأوصى أميركي آخر بمال كثير صرف على الأرامل والأيتام من أهل بلدته شرط أن يكونوا « مستحقين وفقراء وبيضاً ومن البروتستانت والديموقراطيين »

* وأوصى تاجر من النجار الحوالين فان تبني أماكن لاستراحة النجار والساعة من أهل حرفته في جميع أطراف الولاية التي ينتمي اليها . واشترط فان تقام أماكن خاصة بالرجال وأخرى بالنساء بعيد بعضها عن بعض

* وأوصى بمرور آخر كان قد جمع قدراً كثيراً من نقود الفضة فان تلقى هذه النقود على قبره بعد دفنه ليلتقط منها من شاء من الفقراء !

* وأوصى انجليزي عمال لفقراء كنيسة الذين يحضرون الصلاة من أولها . قال في الوصية : « ولير تلوا ما استطاعوا المزمور الخامس عشر (من مزامير داود) ولكن بشرط ألا يكونوا سكيرين أو شطارين »

* وأوصت سيدة أميركية من أهل الجنوب بقدر كبير من المال ينفق ريعه على إطعام كلبها « دك » وبراحته وإقامة سرير له بجانب النار شتاء وإحسان معاملته كل يوم

* وأوصى اميركي من سي المزرعة عمال لساء مستشفى للقطط يكون فيه محل واسع للعبها ومرحها وبحوض مملوء جرذاناً لطعامها ! !

* وحرم انجليزي زوجته من تركته وأوصى لها بمثل واحد منها قصاصاً لها على مثلها ستين حتماً من جيبه ! !

* وكتب نورد انجليزي في وصيته . « في آخر اللوح (ب) من ولادي لاني أعرف انه يعطي الفقراء كل ما أتركه له » !

* وأوصى اميركي عمال لنسج جلده على خشبه وان صنع منه دفوف يضرب في يوم الخامس عشر من شهر يونيو كل سنة الى آخر الدهر . وينقر عليها قبل شروق الشمس وتغني أغنية « يتكي دودل »

* وأوصى الشاعر بوب قبل موته بأن يصنع طبل يكتب اسمه على وجه منه واعلان الاستقلال على الآخر . ومما جاء في وصيته قوله : « وليصنع من خشب جماد لتسميد شجرة من نوع الدردار الاميركي تغرس في شارع قرية ليستظل بها كل متعب من أعباء السبيل وليلعب الاولاد تحت ظلال أغصانها اللفة الزاكية بقلبها جسمي »

* وأوصى فرنسي من تلاميذ سافران أن يحفر على قبره كل يوم طريقة جديدة للطبخ

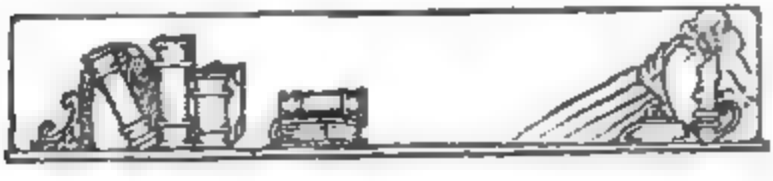

كنوز الفن الاسلامي

في سوريا والعراق

آخر ما اقتنت به العقول في باريس نقوش الفسيفساء التي أظهرها الاستاذ ايتالن دي لوري مدير المعهد الفرنسي في دمشق من بين أحجار المسجد الاموي وجدرانه . وبدائع النقوش والرسوم التي اكتشفها بعثة الآثار التي يديرها الاستاذ جورج سال أحد علماء متحف اللوفر في أواسط الفرات في بلاد العراق

ورجع تاريخ بناء المسجد الاموي الى القرن الثالث الميلادي وكان معبداً لجوبتر الى ان عمت النصرانية دولة الرومان فأبدله الامبراطور تيودوس كنيسة مسيحية

واستولى العرب بعد ذلك على دمشق ودخلتها جيوش الاسلام وفي سنة ٧٠٦ أراد الخليفة الاموي الوليد ان يجعل من تلك الكنيسة مسجداً يخلب الابصار بجماله فزينه بنقوش الفسيفساء العجيبة وتداولت عليه الايام مئات فيه النيران ثلاث مرات وهي تعمره في كل مرة فيعاد انشاؤه وتصليحه ولكن يد الاصلاح طمست الكثير من نقوشه المدهشة الى ان قام الباحثون في سنة ١٩٢٤ يزيلون عن الجدران طبقتها ليكشفوا ما تحتها من بدائع النقوش وهداهم البحث الى تلك النقوش ولعل مقدار ما اكتشف منها مساحة قدرها خمسمائة متر مربع وهي قائمة على جدران المسجد الغربية وقد صورت على أشكال حدائق غناء غنية بأشجارها وثمارها وأزهارها تجري بينها انهار وتلاعب في مواجها الحائم والطواويس

أما البعثة الاثرية التي تعمل في أواسط العراق الى الشرق من سوريا فانها تجري بحثها في منطقة مرتفعة بعيدة عن العمران لاطلال والخرائب وكانت عامرة في أيام تاريخية بالمدن الزاهرة والمدنية الزاهية

وقد وفقت البعثة الى العثور على هذه الاطلال وهي عبارة عن أوان وتحف من النحاس والبرونز وكثير من الزجاج المنقوش منقوشة ومنقوش على أجمل طراز

واكتشف احد من مسجد بني على عهد الدولة السلجوقية وحوله الشوارع والمباني ولا تزال جدران بعض تلك المباني حافظة لزينتها ورونقها ولا يزال في بعضها بعض الادوات المنزلية وبقايا الصنع بديعة النقوش

[الى اليسار]
قدح كاس من الآثار التي وجدت على ضفة الفرات اليمنى وقد نقشت فيه صورة انسان يتجول في رحبها روح الفن الفارسي

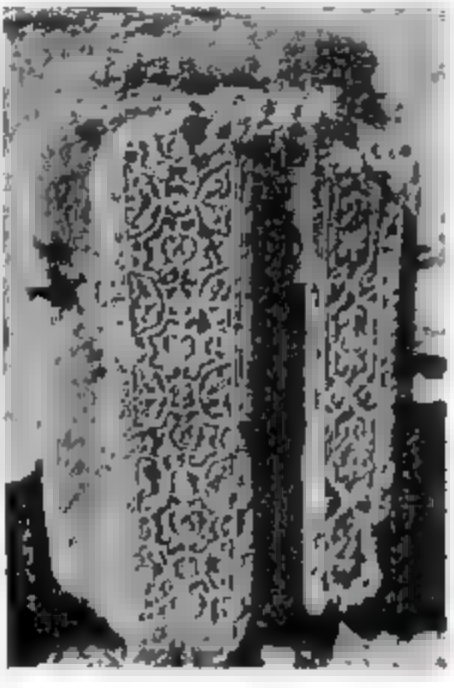

قطعتان من جدران المقابر الأثرية التي يعود عهدها الى القرن الحادي عشر وقد اكتشفت حديثاً على ضفاف الفرات وعليها نقوش جميلة ملونة

قسم من القصور التي اكتشفت حديثا الحفريات على ضفاف الفرات وما زالت جدرانه قائمة وعليها أبدع النقوش والرسوم

في المسجد الاموي
نقش بديع من نقوش الفسيفساء التي اكتشفت حديثاً على جدران المسجد الاموي وهو يمثل طائل دمشق ومقاصيرها القائمة بين خلال الاشجار المتنقة بالثمار والازهار

فنادق متنقلة

السفر فى القرن العشرين

نادى سيار

فرقة الجمباز (الجيمناستيك) في احدى القطرات الامريكية المتنقلة وفيها جميع الادوات اللازمة لألعاب الجمباز

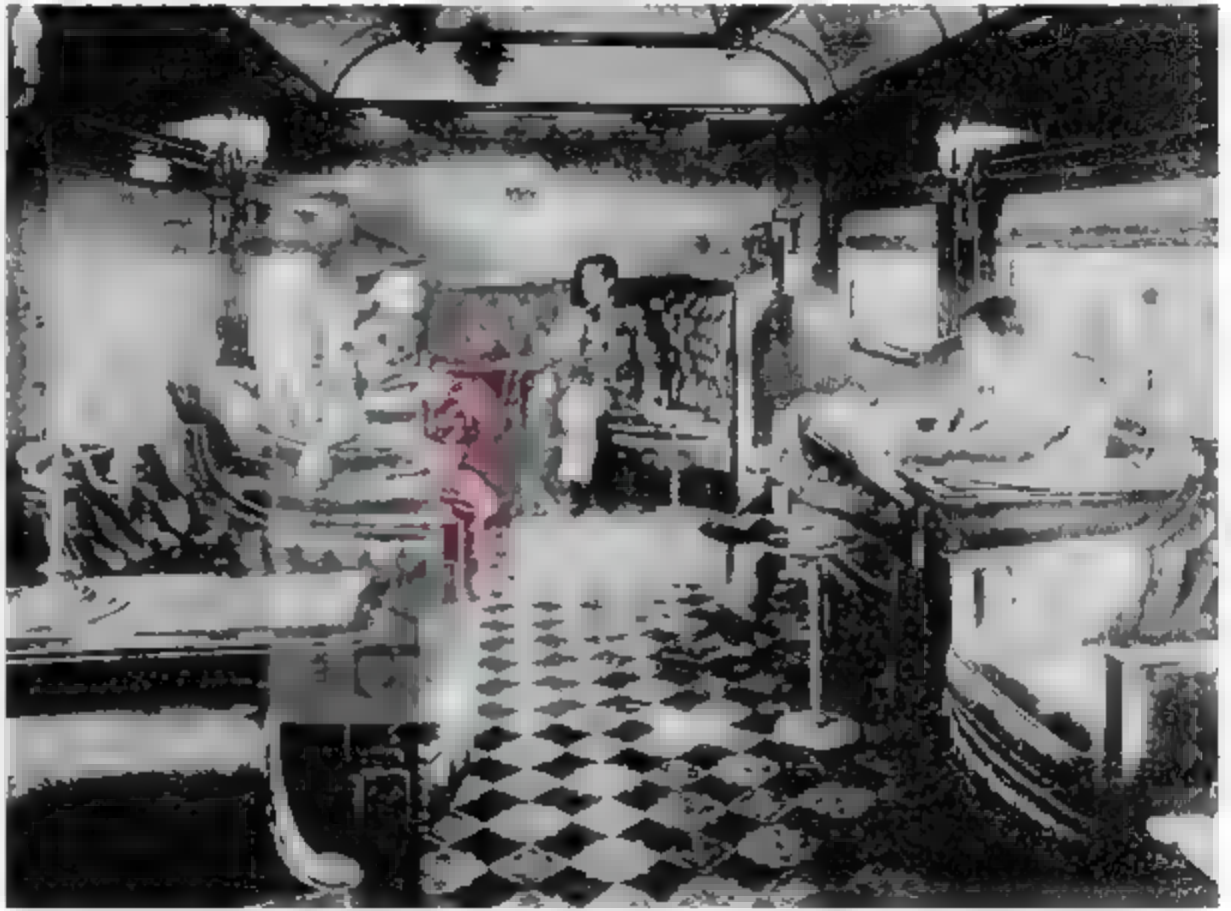

فندق متنقل
قاعة الجلوس في القطار الاميركي الذي يسير بين شيكاغو وأوماها وفيه جميع معدات الترف مما لا مثيل له في سائر قطارات العالم

روضة أطفال في مالمة في أعلى : غرفة الاطفال في الباخرة « برين » التي صنعتها أخيرا الشركة الالمانية لتوفيها بكل عدد لعب وألعاب أخرى وصور مضحكة لتسلية أطفال المسافرين

شارع الدكاكين الى اليسار : شارع الدكاكين على باخرة من بواخر خط ملاج التي تسير الخيط . ويشتري الركاب جميع حوائجهم من هذه الدكاكين

مرقص ! . . .
في أعلى : قاعة الرقص بنادي المدرسة الاولى في البحرة « برمن » الالمانية وهي أكبر بحرة في العالم الآن

مشهى الشرف
في اليمين : غرفة الراديو في سيارات الركاب العاخرة

نادى عالمى

ملعب التنس على ظهر الباخرة « كاب اركونا » الالمانية وهو يصلح ملاعب التنس العادية !

جريمة حب

قصة مصرية بقلم محمود تيمور

[مهداة للصديق الفاضل السيد محمود أحمد المؤلف القصصي العراقي ، صاحب كتاب الطلائع]

كنا أربعة من الرفاق نجتمع ليلاً في القاهرة في قهوة معينة في ناحية من نواحي العاصمة . وكنا نروي قصصاً عرامية واقعية حدثت لنا بإبان شبابنا . وكان بيننا صديق صحبي ، رجل تملأ وجهه أخاديد وعيون براقة ، يستمع لحديثنا بانتباه ولا يتكلم . فوجه أحدنا إليه السؤال الآتي :

— وأنت يا صديقي ، أليس عندك ما تقوله عن ذلك الساحر العجيب الذي يسمونه « الحب » ؟

فرفع صحبي رأسه ونظر إلى السماء طويلاً كأنه يعد نجومها ، ثم قال

— ليس عندي غير قصة صغيرة أفضل أن أحكيها عنكم

— ولماذا ؟

— لأنها قاسية لا تتفق وجلستنا هذه . كل شيء حولنا يبتسم : فالقمر تلألأ في كبد السماء ، والنسيم عليل يبكر العصوص بأغانيه على أعذب الأنغام من بين الأشجار ، وأحاديثكم اللطيفة عن الحب قد ملأت نفوسنا طرباً وغبطة . . .

فقاطعه أحدنا مداعباً :

— أن صديقنا صحبي لا يحسن أن يحدثنا بشعر ينظمه بنفسه ، فلا يروي لنا قصته الشائقة ...

ثم التفت إليه وقال :

— مهما قلت عن نفسك من سوء ، فصدقني ، أليس كذلك أيها الإخوان ؟

فوافق على كلامه . وأشجعه على قصته الصحبي إذ روى لنا قصته وأصغينا إليه وقال :

— القصة التي أرويها لكم يا أصحابي قصة واقعية شاهدت حوادثها بعيني منذ عشرين عاماً ، أي حينما كنت أناهز من العمر الثامنة عشرة . كنت في ذلك الوقت في مدرسة (س) الثانوية ، وكنت ، كما تعلمون ، غير مواظب على تلقي دروسي . وكنت أما هربت من مدرسة لأحظى بالمكث في القهوة أدخن سجائر مخربة ولا حساب . وحدث يوماً أن غاظني الوالد بعد المساء — أو بالأحرى تعامل هو معي بهذا التفتيش السخيف الذي كنت أمقته كل شهر — وخرجت من المدرسة لأعود من حصة امتحان الهندسة . ولم أشأ أن أمكث في القهوة القريبة بل صممت الذهاب إلى أخرى بعيدة عن الحي بأجمعه — قهوة صغيرة محتشمة في ناحية شبه مهجورة يقصدها الشاذ للخلوة العرامية وكنت كثيراً ما أقصدها للسرح على ما يجمع فيها من حوادث عرامية طريفة . وكنت وأنا سائر في الطريق أحدث نفسي قائلاً :

— من في الدنيا يجعل سجن « القلعة » ، يرى فيه وجه « الأستاذ » الأعور ويسمع صوته

الكريه ، على هذا والوكر ، الخبيث ، يرى فيه وجوه العاهرات ويستمع لزقزقتهن اللطيفة . . .

وأخيراً وصلت القهوة ودخلتها فحياني صاحبها بترحيب وقادني الى ركني المعهود — الذي يشرف على الحل بأسره — وقال لي وهو يعطف لي الكرسي الذي اعتدته الجلوس عليه :

— ان المكان هادىء ينفع للمذاكرة . . . !

ثم ابتسم بخبث وأتم كلامه قائلاً :

— سوف أحضر لك القهوة وعدة السجائر . أيلزم شيء آخر ؟

— كلا ، وأشكرك

وجلست على مقعدي باسترخاء وخلعت طربوشي وأخذت أهوي به على وجهي ، اذكيا في ذلك الوقت على ابواب الصيف . ودرت عيني في المكان العام فلم أر أحداً في بادىء الامر . ولكن حينما تعودت عيناي الظلمة ظهر لي انسان جالس في أحد الاركان البعيدة . يكاد يخفيه الزقاق شيئاً من الاشياح . ولم يكن أحد غيرنا في القهوة فأوقفت اهتمامي على مرقبته . فاذا به رجل أو شبه رجل ، مثيل الجسم ساكن لا يتحرك . اعكس لون ملابسه السوداء على وجهه فبدا كأنه جزء من الظلام المخيم على المكان . له عينان حائرتان تشعان تارة ، تخالفها حدوتين معلقتين في الفضاء

وجاء بعد حين صاحب القهوة يحمل طلبي وما كاد يضعه على المائدة حتى ملت عليه هامسا :

— من يكون ؟

— من ؟

— هذا « الخيال » الجالس هناك !

— آه ، هذا الشيخ . . . لا أعرف عنه . . . انه يأتي هنا كل ليلة نحو الساعة العاشرة ويجلس هنيهة . وقد شرب للآن نصف زجاجة من الكونياك . انه غريب !

ونظرت الى « الشيخ » في هدوء لأتحقق فوجدت العنكبوتين المتشبثين في الفضاء ، ومعهما من بعيد الحوت يطرق عينيه طرقاً سريعاً . وتمتمت قائلا :

— حقاً انه غريب

واشتغلت بمتعتي شرب القهوة وتدخين السجائر . ولكن على الرغم مني كنت دائم التفكير فيه . وحتى شعرت بحركة خلفي اسرعت اتجاهي ، وأوقعت الرعب في قلبي . فجمدت في مكاني لا أتحرك ولكن على أثر حركة اخرى شعرت برأسي يلتصق لفته ميكانيكيه ، لم يكن في وسعي منعها . فاذا « بالخيال » واقف خلفي ينظر الي نظرات المتفحص ، ووجهه الهزيل المتقن . فلم أشعر الا بوفود أمامه وجهاً لوجه ، متحدياً اياه بشجاعة استمددتها من رعبي . وقلت له على الاثر .

— ماذا تريد . . . ماذا تريد . . . ؟

فابتسم ابتسامة كريهة ، ولاطفني على كتفي وقال :

— لا تخف يا هذا . فما أنا إلا بشر مثلك

وكان صوته مبحوحاً متقطعاً . فقال لي حوق بعض الشيء . وتقدم الرجل الى مقعد جوار

مائدتي وجلس عليه ، واضعاً رجلاً على رجل ، عبر آبه بوقوفي . وأخذ يكلمني وعيناه تحدقان في الظلام تحديقاً تائهاً . قال :

— إنها لن تفلت من يدي اليوم . . أبداً . لن تفلت من يدي اليوم . . .

وكان يشدد على كلمة « اليوم » شداً تخرج على أثره شفتاه عن أسنانه اللطيفة ، فكأنه حيوان مفترس يكشر عن أنيابه . وأمسك بيدي وضغط عليها دون أن يلتفت إليّ ، وصرخ مكرراً :

— أسامع يا حضرة . . انها لن تفلت من يدي اليوم وأقسم لك على ذلك وستكون أنت شاهداً على صحة قولي

ثم ترك يدي وجعل يضرب المائدة بشدة بكلتا يديه وهو يقول :

لقد هرأت بي طويلا . . ولكني سأريها اليوم من منا الذي يهزأ صاحبه . . سوف أردبها قتيلة في لحظة . وسوف أدعك وأسها بقدمي

ثم التفت بغته إليّ وقال :

— أقام يا حضرة . . أقام ؟

فطقطقت الرعب مي جسمي .

— قام . . قام

وشعرت أول وهلة في أمر رجل « محبوب » ، يجب أن أخلص منه سريعاً بأية وسيلة . فأحرجت ساعتي موهماً أن موعد حضوري قد حان . وهممت بمناداة صاحب القهوة لأحاسبه . ولكنه أوقفني بحركة من يده وقال في لهجة آمرة :

— يجب ألا تتصرف الآن من عندك أن ترقص في مكان آخر . وإذا أنبت بحركة ما مخالفاً أمري قضيت عليك الساعة

وأخرج من جيب بنطلونه الخلفي عدارة كبيرة وضعها أمامه على المائدة وأخذها بيديه . فانشلت حركتي على الأثر . وشعرت كأن يداً قوية تعصر قلبي . واعتصرت قوتي كلها في عيني تراقبان العدارة باهتمام . ولم أعد أفكر إلا في تلك الآلة المهمية ووجوب اطاعتي لها اطاعة عمياء . ومرت فترة لا أعرف مداها وأنا جامد كالتمثال أراقب أصابع الرجل وهي تداعب المسدس مداعبة عصبية . وقلت لنفسي :

— حركة واحدة كافية لأن تنقلني الى عالم الأرواح

وأخيراً تكلم الرجل وقال :

— هيه ما رأيك . أتريد أن تراقصني الى مكان الحريمة أم ترغب في رصاصة تخترق صدرك ؟ !

فأسرعت بالاجابة بصوت مرتجف :

— طبعاً سأراقصك طبعاً . . .

— اذن انتهينا . . لا شأن الآن للمسدس

وأدخله بهدوء في جيب بطلونه . فلمست رقبتي الخلف ، وتشهدت في سري . ولكني استأنفته بتملق قائلاً :

— أتسمح لي حضرتك بأن أخرج منديلي لأمسح به وجهي ؟

فأجابني بلا مبالاة وهو ينظر إلى الظلام :

— أوه طبعاً . خرج مائة منديل إذا أردت

ولكنه عبر لمحته على الأثر ونظر في وجهي عينيه الناريتين وقال :

— أما إذا فكرت في الهرب أو في الاستنجاد بأحد فاعلم بأني قاض عليك لا محالة

— مطلقاً مطلقاً

وأخرجت منديلي باحتراس في سكون . وكنت أتنحى عني قائلا :

لقد وقعت في الفخ والسلام . وحياتي أصبحت في قبضة هذا المجنون . فلا حول ولا قوة إلا بالله

وسمعته يتكلم بصوت منخفض . فارهفت إذني له . فإذا صوته يرتفع شيئاً فشيئاً حتى صار عالياً . وإذا به يقول :

— لقد نشأت وإياها في منزل واحد . واحدنا بجنبا أطفالاً وصباناً وشباناً . . . لقد كانت تحبني — تحبني حباً عظيما . . . كنت أقرأ ذلك في عينيها . وكنت أراه مرتسماً على محياها . . . لم تكن تشاني في ذلك أحد من كان كل شيء فيها يدعو بالصراحة والاخلاص . هذا ما كان منها قبل الزواج وكنت أنا لا أقل عنها صراحة واخلاصاً . كنت أرى فيها كل أمالي وأحلامي . . . كانت هي كل دنياي ، لا أعبأ بشيء خلافها في هذه الحياة . . . وكان الزواج . وما ليته لم يتم . كان بيني وبينها ، لأني كنت أشفق لحالها حتى انقلبت شيئاً فشيئاً من حمامة وديعة الى نمرة مفترسة . وكنت إذا أردت معانقتها صدتني عنها بعنف وحدت مكانها قسوة عربية . يا للعجب ! . كانت تبغضني وكنت أقبل بغضها صاغراً . ولم أكن فكر إلا في رضائها . وقد بذلت في سبيل ذلك مالي وجاهي وصحتي . فلم تكترث بذلك . ورأت أن كل ما أتته معي من صنوف الملاطفة لم يزدها إلا تعلقاً بها فأردت أن تعرني المرة القاضية واتخذت لها عشيقاً . . . أتسامع ما أقول ؟ لقد اتخذت لها عشيقاً . . أي لوثت عرضي ونكست اسمي في الحمأة المنتنة

ونظرت الى عينيه في هذه اللحظة فإذا بهما تقدحان من الدم ، على وشك الانفجار . وكان له ذو الشفتين المصفرتين المشققتين يعلوه رعدة بيضاء فاترة . . ولم يكد يتم جملته السالفة حتى رأيت رأسه يهوي على كلتا يديه . وأحد يشهج نشجاً عالياً مصوت متألم حزين . فشعرت شيء من العطف عليه . ومددت يدي لألاطفه . فرفع رأسه ولمست يدي . ورأيت وجهاً بشعاً قد تحصن في هذه اللحظة القصيرة بحصون عشرات السنين . ولم تمر على مياه دمعة واحدة إذ كانت دموعه قد نضبت من زمن بعيد . . إن قلبه هو الذي كان يبكي ويعول داخل هيكل جسمه العالي . وهز يدي طويلاً بشدة ثم قال :

— أخبرني لماذا فعلت . لقد كنت قادراً على قتلهما ، أو فجأتهما معاً متلبسين بالجريمة . ولكني لم أفعل . . وكنت قادراً — على الأقل — على طلاقها . ولكني أيضاً لم أفعل . . ولم يكن أسهل

عليّ بعد ذلك من أن أطرد ذلك العشيق ، أو أمنعه من دخول بيتي ، أو أرجو منه بالحسنى أن يتخلى عن زوجي . . . ولكني لم أفعل !

ثم ضحك ضحكة عجيبة أشبه بعواء الكلب الكليب . وصرخ قائلا :

— أيمكنك أن تتصور ذلك يا حضرة ؟ ... وإذا قلتُ لك أني منذ ثلاث سنين وأنا أعيش معها بحوار عشاقها ، أتصدق ؟! . أني لا أعيش معها عيشة سالمة أتمرح على عرمالي ومشاركي في حبها ، بل إني أحث لها بعضي عن العُشاق وأقدمهم لها عن طيبة خاطر . كل ذلك ابتغاء مرضاتها وقد اكتسبتُ عطفها أخيراً . ولكن أي عطف ، هذا ! أتعرف ؟ إنه عطف السيد على الكلب بعد أن يثخنه ضرباً بالسوط

ثم سكت . وأخذ يحملق فيّ حملقة ثانية وعاد يتكلم ولكن بهدوء كأنه يحلم ، وقد اكتسى وجهه بالطمأنينة ، وأشرقت على محياه ابتسامة لطيفة ، وقال :

— ولكني ما زلتُ أحبها . بل ما زال حبي لها يتكاثر في قلبي يوماً بعد يوم : أنه مشرب بدمي أصبح جزءاً من لحمي وقطعة من روحي ... ليست شراً هذه المرأة وحق السماء . إنها حية تسعى في فتنة الرهبة والروعة . اذا نظرت اليها استطعتَ أن ترى ما هو مخفيها : إنها شفافة مصنوعة من النور والبلور . واذا خطرت محاسنها شعرت بهبة لطيفة مُسكرة . أنها هدية من نسيم الربيع ... ليست شراً هذه المرأة وحق السماء . أنها بهجة مترعة على وجه الناس ويسحرون بجمالها حالمين ... وأنا من بين الكون كله ، وجهها ... يا للوقاحة ! بالنسبة لعظمته ، قطعة دبيثة من الطلام تريد أن تعلو بجانب ذلك النور العظيم الذي يملأ الأبدية كلها .. ألا فلتطفئي يملك يا ملكة النور . فأني أستحق مني أكثر من ذلك على عقلي مأساتي حلوة المرارة ، اذ قد دنستُ بيدك يوم رفع بصري البك ! ....

وأخذ صوته يرق ويضعف وهو يناجيها حتى صار همساً . ثم لم يعد أسمع منه شيئاً ، وأن كانت شفتاه لم تهدأا عن الحركة . ومكث برهة وهو على هذا الحال تتحرك شفتاه بدون كلام . وأخيراً استطعت أن أسمع همسهُ من جديد . ثم عادت كلماته وجمله الى الظهور واضحة ولكن بصوت منخفض . وشيئاً فشيئاً أصبح صوته طبيعياً مسموعا وبدأت تكسو وجهه ابتسامةٌ خفية . وسمعته يقول :

— وبعد نهاية أيام دخلت علي في حجرتي ، فوجدتني اقلب بين يديّ « مسدسي » ، فأخذت رأسي بيديها الناعمتين وسألتني مبتسمة :

— أوَ مزمع قتل أحد يا عزيزي ؟

فرفعت بصري اليها فاذا بسطراتها تعد الى صميم قلبي . فأغمضت عيني وأمسكت بيديها اقبلها وأنا في شبه غيبوبة . وغمغمت قائلا :

— مزمع قتلك يا حياتي !

فرت ضحكة عالية . وأنهمتني قائلة ثم عرت صدرها بأكمله وألصقت يدي القاصة على النهد منه ، وعانقتني بشدة ووجهها ملتصق بوجهي . وتكلمت ملحة في القول :

— أقتل يا حبيبي اقتل ، لقد حققت مستحيلة فافعل بي ما تريد

ثم أشعر إلا بسقوطي على قدميها . وأحدثت أقبلها بحرارة وأمرغ وجهي عليهما ..

ثم هوى على يديه وأحد يصعدها عصاً مؤلماً . ولما انتهت بوتيه بهس و قهاوقال لي بحزم وبحدة كأنه صحا من حلم عميق :

— هيا لقد أزف الوقت ... كفى لعباً سأصنع اليوم حداً لمثل هذه الألاعيب .. لقد صار لي الآن نهاية أيام وأنا أهيم على وجهي كالكلب الضال ، لا أعرف لي مسكناً .. لم يدخل في حوزتي غير الخبز وجمع فتات من الخبز ، بينما الأفكار تخمر في رأسي كما يخمر العجين في الجفنة القديمة ...

ولكني أصبحت بحمدالله شخصاً آخر ، ما قلب صخري لم يعد يؤثر فيه أي مؤثر ... لقد أصبحت قادراً على مواجهة جيش جرار بأسره . فلتأت زبانيه الجحيم كلها ولتحرب معي من تشاء، انتهى كل شيء .. لقد صممت على قتلها ، سأنفذ تصميمي اليوم مهما كلفني الأمر . . بل الساعة سأنفذه . هيا ..

وقام مهرولا وهو يتلقى من يدي قطعة من غير تحديد وصادفت عربة حال خروجنا من القهوة فركبها وأجلسني بجواره فيها ثم أخذ السائق على السرعة التي يرغب وأمسك في ليمفن من الخمر ، كأنه يريد أن يتأنس بوجودي معه. وكنت في تلك الوقت كالصنم أفكر في الطريقة التي يصير صاحبي على ارتكابها . أحقاً سوف يزهق روح ابنة أخي بيده بسهولة . كيف أستطيع مشاهدة ذلك . واختلست النظر اليه فوجدت وجهه كقطعة من الرخام ، وعيناه مفتوحتان لا تتحركان . فكأنه جثة بلا روح .

وعند ما اقتربنا من المكان الموعود أمرنا السائق أن يقف العربة . وترجلنا منها عند ما أعطى للسائق أجرته . ثم قادني الى كمين بجوار سور المدرسة وقفنا فيه . وكان في تلك اللحظة يهذي بكلام غير مفهوم وهو يتحسس من حين لآخر موضع المسدس من جيبه . وأخيراً أرقت عيناه وأخرج المسدس في لمح البصر وهمس في أذني صوت كأنه خشخشة الفأر ، قائلا :

— ها هي .. ها هي ...

فنظرت فاذا ببدة حسناء مقبلة بقباع شفاف ، خارجة من المدرسة ومتجهة ناحية الباب القائم على جانبي السور . واذا بصاحبي يقفز من مكمنه ويتصدى للسيدة في طريقها مُلوحاً أمامها بالمسدس فجزعت السيدة لهذه المفاجأة في بادىء الأمر وارتدت خطوتين الى الوراء . ولكنها . عند ما تبينت مهاجمها تمالكت روعها وابتسمت ثم نظرت اليه طويلا . فاذا صاحبي يرتد على عقبيه . وبحركة سريعة صوب المسدس الى رأسه وأفرغ رصاصه فيه . وسقط لوقته جثة هامدة . . .

محمود تيمور

مانشيون في ٨ سبتمبر سنة ١٩٢٩

أوربا ضد أميركا

في ترويج السلع الاوربية ومقاومة لاميركية

شريط السينما والسيارات والاوتومبيل الثابتة

اتحدت صناعة شريط السينما وتجارتها عملا أولا بين الصناعات والتجارات الاميركية حتى قدر ما تصدره أميركا منها الى الخارج نحو ٣٥ في المائة من مجموع الافلام التي تصنع . على أن هناك فرقاً عظيماً بين العرض من الافلام في أميركا وأوربا ، في أميركا يراد للتسلية الصرفة ، في حين أن المحتكرين تقصد منها الاتجار ، وفرنسا الاتجار والاعلان عن روح الوطنية الفرنسية وجعل باريس مركز الفنون في العالم ، وألمانيا التحديد الاقتصادي حيث تصبح قوة مالية عظيمة ، وايطاليا التجارة والتثقيف ونشر المبادىء الفاشستية

ويؤخذ من الاحصاء أن أميركا تملك ٦ في المائة من اليابسة في العالم وسكانها ٧ في المائة من مجموع سكان العالم ، وتخرج ٣٧ في المائة من الحنطة و ٤٠ في مائة من الصحم . وتليفوناتها ٦٣ في المائة من مجموع التليفونات . وتصنع ٨٥ في مائة أو أكثر من السيارات و ٩٠ في مائة من مجموع الافلام

وقد ظهر ان التجارة تسير في أثر الافلام حيث انه فضلا ان كل عدد من الافلام يعرض في السينما يفضي الى بيع ما قيمته دولار من السلع الاميركية . وتقول الصحف الاميركية ان في أوربا حركة « فلمية » هي جزء من حركة أشمل وأوسع نطاقاً وهي انشاء محلات ضخمة في اقتصادي يكون سداً في وجه التجارة الاميركية وتعمد فيه الى تخفيض الرسوم الجمركية في بلدها وزيادتها على الواردات الاميركية ، ومن مروجي هذه الحركة في أوربا السير أوستن تشمبرلين ولسو بريان والمستر شترزمان

ومن الافلام التي تعرض في الامبراطورية البريطانية ٨٥ في المائة أميركية ، وقد مال الحكومة الانجليزية ذلك فعمدت الى مقاومته بأن سنت قانوناً يوجب على كل محل للسينما وكل بائع لشريط السينما ان يعرض أو يبيع قدراً معيناً من هذا الشريط كل سنة

أما فرنسا فسنت قانوناً يوجب على كل بلد تصدر اليها أفلام السينما ان تشتري معها فرنسياً واحداً وتعرضه خارج فرنسا مقابل كل أربعة أفلام أجنبية تعرض في فرنسا . ولما كانت أميركا قد أصدرت ٤٠٠ من هذه الافلام سنة ١٩٢٨ الى فرنسا فقد اضطرت ان تشتري ١٠٠ من الافلام الفرنسية . قالت صحيفة أميركية في بيان هذه الطريقة : « فاذا شئنا معاملة فرنسا بالمثل وجب علينا ان نسن قانوناً يوجب به على النساء الفرنسيات ان يشترين للساً أميركياً مقابل أربعة يشترينها ساؤنا من باريس » ! ! وقد اعترضت أميركا على ذلك فعدلت فرنسا عنه لا لشيء سوى انها لا تخرج من الشريط ما يكفيها

وليست مقاومة ممالك أوربا الكبرى لتجارة السيارات الاميركية بأخف من مقاومتها لتجارة شريط السينما . فقد جاء في اعلان ألماني عن احدى السيارات ان معاملها تصنع في اليوم الواحد ٢٢٠ سيارة بأثمان أرخص من كل سيارة أجنبية . قال في الاعلان : « وفي هذه المصانع أكثر من ٢٠ ألف صانع وعامل ألماني . وعشرات الالوف من الصناع العاطلين الآن كانوا يعملون معنا لهم لو ان عند كل ألماني من الكياسة وحسن السياسة ما يحمله على تفضيل السيارات الالمانية على غيرها »

وجاء في اعلان انجليزي . « اجمعوا وتأملوا ! نحن ندفع الى أميركا كل سنة ٣٠٠ مليون جنيه ضياع لديون الحرب التي علينا . فهل من حسن التجارة ان يرد ديوننا باستيراد ١٦ ألف سيارة منها كما فعلنا في السنة الماضية على حين ان معاملنا تعرض سيارات بأثمان لا يستطيع أحد أن يجاريها ؟ »

ومن السلع الاميركية التي اشتدت مقاومتها في أوربا الآلة الكاتبة ولم من اشتداد هذه المقاومة هنا في ايطاليا ان الحكومة الايطالية أصدرت أمراً الى جميع دوائر الحكومة بأن تشتري منها ما تحتاج اليه من المصانع الايطالية

وقد سمت صحف أميركا هذه الخطة « الخطة الوطنية » أي الخطة التي يراد بها ترويج كل ما هو أهلي في أوربا ومعارضة كل ما هو أجنبي ، وقالت ان تليحتها لا بد ان تكون جمع أمم أوربا كلها في وحدة غايتها مهاجمة [illegible] وجميع الدلائل تدل على ان المستقبل مظلم في وجه أميركا من هذه الجهة

الطقس على حسب الطلب

تعديل هواء الغرف على هوى المستأجر

في بعض الأقوال الانجليزية القديمة أن الشاعر مفطور لا مصنوع وهذا القول ينطبق على كثير من مظاهر هذا الخلق ومشاهده الطبيعية ولكن لم يدر في خلدنا أن الانسان يحيلته الواسعة يخرج « الطقس » من هذا الحكم أي هواء البلدان من حيث الحر والبرد والرطوبة والجفاف حتى اطلعنا في بعض المجلات على مقال بعنوان « الطقس المصنوع طبقاً لحاجة المكاتب » قال الكاتب :

في أغسطس الماضي أرسل مستأجر في إحدى الأبنية الكبرى بمدينة سان لويس من ولاية تكساس تلغرافاً من محله في أعلى البناء الى المدير في أسفله يشكو شدة الحر في غرفته . فسأله المدير : « هل الشبابيك مفتوحة ؟ » فأجاب المستأجر بلهجة المدهوش : « طبعاً وكيف أعلقها » . فقال

المدير : « اقفلها حالاً من فضلك » فزادت دهشته من ذلك لأنه كان يجهل أن ادارة ذلك البناء الكبير تكيف الطقس طبقاً لحاجة الزبائن

وهذا البناء هو ما يسمى بناء ميلام وقد حفر بعدة مئات لا منيل لها لتعديل حرارة عرفه تعديلا صناعياً بحيث لا تشكو المستأجرون حراً ولا برداً ولا رطوبة ولا جفافاً . وقد أدرك المهندسون الذين شاهدوه أنه لا يمضي بضع سنوات حتى تكون كل بناية كبيرة تبنى بجهة غير هذه العدد لراحة المستأجرين

ومعلوم ان ولاية تكساس من ولايات أميركا الجنوبية المعروفة بشدة حرها صيفاً ولكن حرارة عرف هذا البناء صيفاً لا تزيد على ٨٠ درجة فهرنهيت (نحو ٢٧ سنتغراد) ولا تقل عن ٧٠ ف (نحو ٢١ س) شتاء ، ولكن يمكن تغيير هذه الحرارة بحسب الطلب . وفي الصيف عندما تتكاثر الرطوبة خارجاً وتتصبب أبدان السابلة عرقاً تجد الرطوبة في داخل البناء قليلة حتى ان البرق الذي يمرره الجسم يتبخر حالاً ولا يشعر به أحد . وفي الشتاء بينما تجد عرف الدكاكين العادية مملوءة هواء ثقيل الرطوبة جداً بسبب تدفئتها تجد الهواء في هذا البناء مجهزاً بالرطوبة فلا يتعرض سكانه للزكام كما يتعرض له سكان المنازل الأخرى

ورد على هذا كله ان الهواء موضوع حاجة هذا البناء يحتاج الى تصفية من الغبار المحمل مكروبات فيتنفس السكان هواء خالياً من كل مكروب وسليماً بذلك من الأذى التنفسي . والهواء يتجدد تماماً في جميع غرف البناء كل ثمان دقائق بمعدل جميع الهواء فيها مرة واحدة

أما طريقة تعديل الهواء في هذه البناء فهي كبيرة تسمى غرفة الرشاشة يدفع الماء اليها بمعدل ١٢٠٠ جالون في الدقيقة . ثم يحول رشاشاً بعد تصفيته ويوزع على الغرف . وقد ظهر بالتجربة ان هذا الرشاش يزيل ٩٥ في المائة من الغبار الذي يحمله الهواء . ومما يدل على مقدار الغبار المحمل مكروبات الذي يزال من الهواء بهذه الطريقة انهم وجدوا كل اسبوع سبعة وثلاثين (الثقل ٨٠ ليبرة) من الأوساخ من قعر مصفاة الماء . وهذه الأوساخ هي التي تدخل ماء البناية المصفى من الهواء

ويعدد هواء الغرف ويصفى بواسطة مصفاة موجودة في سقوفها من غير أن يولد هذا التجديد تياري هواء مضرة بالصحة

ويقول المهندسون انه لا يمضي زمان طويل حتى تجهز جميع المساكن الحديثة بمثل هذا الجهاز كما تجهز بالحرارة المتدفئة في البلدان الباردة

حاستا الجوع

الشعور بالجوع هو من أظهر خصائص الحيوان وأهمها . ولطالما كان هذا الشعور هو المهيمن على كثير من أعمال الناس مدة وجودهم في هذه الحياة الدنيا . وما يزال العلماء مختلفين في « هل تشعر النباتات بالجوع شعور الانسان به؟ » ولكن مما لا خلاف فيه ان الجوع هو أعظم العوامل التي تتسلط على الحياة بلا استثناء واحد منها

ومع عموم هذا الشعور ما يزال علمنا بحقيقة طبيعة قاصراً ، وليس من السهل وصف أبسط مظاهره ، فاذا قلنا انه الشعور بالفراغ لم نصف حقيقة ما نشعر به بل نصف عرضاً من أن المعدة تكون فارغة من الطعام عند شعورنا بالجوع

ومن مظاهر الجوع عدم تغذيه وبحثه دورياً في أوقات معينة وبركات المعدة خالية على الدوام . وكثيراً ما يصحب الجوع ضعف واصفرار وصداع وبصبح عصبي وعثيان وانهاء ، ولكن الرجل الصحيح البنية وسليم الجهاز الهضمي قوي لا يصاب بعرض من هذه الاعراض عند شعوره بالجوع

ونحن ندا شعرنا بالجوع يطلب الطعام لان تأثير الاكل ينتج من أن الجوع . ولكن كيف عرفنا ذلك ؟ فالعقل الموجود حديثاً لا يعلم تأثير الاكل في الشعور بالجوع لان الطعام لم يدخل معدته من قبل . فما الذي يحمله على طلب الطعام ؟ عمله على ذلك الشعور الموروث ، أو التجربة التي تكون فيه عند ولادته والتي يعلم بها ان الاكل يحول ذلك الشعور المزعج الى شعور مريح سار

ولا يعلم بالتمام سبب الشعور بالجوع ولكن هناك مذهباً معروفاً باسم المذهب المحيطي (Peripheral) وهو ان سبب الجوع شعور خاص في أطراف عصب الحس وخصوصاً أعالي القناة الهضمية أي المعدة وأعلى المريء والامعاء الدقيقة . على ان البعض يقولون ان الشعور بالجوع صادر من مركز الجوع في الدماغ بحركة قلة الغذاء في الدم وأنسجة الجسم . وقد دلت التجارب على ان الجوع يبدأ عالياً فاذا تفرغ المعدة من الطعام تماماً وقلما يقل الغذاء في الدم وتسبح الدماغ عدة طويلة . كذلك دلت التجارب على ان أتم الجوع يوافق في الوقت والشدة بعض تقلصات المعدة التي تبدأ متى أخذت المعدة تفرغ مما فيها من الطعام وتستمر متقطعة حتى يدخل للمعدة شيء أو

والعطش وفلسفتهما

تصاب معارض غير عادي ينشأ عن عاطفة شديدة أو فعل دواء ما في المعدة . وقد سميت هذه التقلصات بتقلصات الجوع

والتقلص الواحد من هذه التقلصات يدوم في الانسان العادي نحو نصف دقيقة ويعود بعد نصف ساعة أو ثلاثة أرباع الساعة . والمعدة مجهزة عدة أعصاب من أعصاب الحس والحركة تتفرع اليها من الجهاز العصبي المركزي. وهذه التقلصات تبقى ولو انقطع كل اتصال عصبي بالجهاز المركزي فيشعر الانسان بالجوع على كل حال . وفي أثناء النوم تكون تقلصات الجوع هذه أشد وأكثر انتظاماً مما تكون في اليقظة . والشهوات الشديدة كالحب والخوف والفرح تمنع تقلصات الجوع أما الحالات الخلقية كالانتباه والفرح والتفكير فلا تأثير واضح لها في هذه الجوع . وكذلك لا يؤثر فيها مطر الصمام وراثحه خلافاً لما [illegible] . بل إن كان لها تأثير في [illegible]

وقد ظهر بالامتحان ان من عناصر هذه التقلصات [illegible] في تقلصات الجوع وحاسة الجوع هو الدم . فان [illegible] في [illegible] الجوع [illegible] . ولعل في هذا تعليل كون استطلاع عند جوع سريعاً بأكل السكر وسكر الدم بحل الدم حالاً

والجوع يشتد في أمراض مثل السكري وحمى [illegible] ومعظم الاضطرابات التي تصيب الجهاز العصبي . والقويات التي تؤخذ لا تؤثر فيه مباشرة . ويظهر ان الشهية انما هي تذكر اختبارنا الماضي للطعام . فهي حاسة تشعر صاحبها بالمعدة

واذا صام الانسان طويلاً شعر بآلام الجوع الثلاثة عن تقلصات المعدة وهذه التقلصات تدوم حتى آخر ساعات الذين يموتون جوعاً . فالقول ان الجوع يطل بعد صيام ستة أيام قول لا حد له من الصحة

* * *

هذا ما يقال عن حاسة الجوع إجمالاً ولنأت الى حاسة العطش فنقول :

في جسم الانسان ٧٠ في ثلاثة ماء وحاجته الى الماء أشد منها الى الطعام لا لدوام عافيته ولذته فقط بل لدوام حياته . وقد عرف ان الانسان الصحيح الجسم يمكن أن يعيش الى ٦٠ يوماً من غير أن يذوق طعاماً . نعم ان قوته الطبيعية تنقص شيئاً فشيئاً في خلال هذه المدة، ولكن ليس الى درجة

من الارتجاج يتعرض فيها للخطر . أما اذا منع عنه الماء فانه يضايق جداً بعد يومين أو ثلاثة أيام ثم ترتفع درجة حرارته ويعتريه هذيان بعد امتناعه عن الشرب أربعة أيام الى سبعة والغالب انه يموت في اليوم الثامن الى الثاني عشر

وأعراض العطش تتوقف في ظهورها وشدتها نوعاً على درجة حرارة الهواء ودرجة رطوبته لأن الانسان يفقد ماء كثيراً بطريق الجلد عرقاً وبطريق التنفس زفيراً . وعليه فلا عجب اذا رأينا الانسان او الحيوان يعيش مدة اطول بلا ماء اذا امتنع فيها عن الطعام الجامد لان الكليتين تحتاجان الى الماء في طرد الفضلات من الاطعمة النيتروجينية

وتظهر اعراض العطش الاولية الشعور بحرقة وجفاف في الحلق والفم فاذا اشتد عم الجسم شعور بالاضطراب والارتباع يصير به كثير التهيج والقلق . ويمكن اتقاء العطش بالشرب عن طريق الفم او بادخال الماء الى المعدة مباشرة او الى بعض المعيط بواسطة الحقنة او الى الدم رأساً ويمكن تخفيف الشعور بالعطش في الحلق والفم وقتياً بترطيب التنفس والفم بالماء

وللعلماء ثلاثة آراء في أصل العطش وسببه ، وهي كلها متفقة على أن منع الماء عن الجسم مدة طويلة يفضي الى تركيز الدم أو تخثره ، فاذا كثف تغيرت بعض خواصه فاشتدت ملوحته وجعل يستمد الماء من الخلايا الحية فتتغير خواصها وخواص أنسجة الجسم معها . ومن هذه التغيرات تقص افراز اللعاب والعصارة المعدية والعرق والبول وهذا يشبه أن يكون محاولة من جانب الجسم يراد بها الاحتفاظ باحتياطية من الماء

أما الآراء فتشير اليها [illegible] سبب العطش يهيج الاعصاب الحس في الفم والحلق بواسطة الجفاف الناشيء عن نقص [illegible] الماء

والثاني : ان تكاثف [illegible] يهيج مراكز [illegible] الشعور بالعطش في الفم والحلق

والثالث : أن العطش ناشيء عن تشنج في المريء سببه تكاثف الدم

ومهما يكن من ذلك كله فالظاهر ان الرأي الاول هو الرأي المأخوذ به والمعول عليه الآن بدليل ان العقاقير التي تجفف اللعاب كالاتروبين مثلا تحدث العطش من غير تكثيف الدم . ولكن هناك من يقول أن جفاف الفم بعد تناول الاتروبين أو بعد الكلام الطويل ليس عطشاً بالمعنى الصحيح، ثم ان العطش الصحيح الذي يحدث بعد أكل طعام مملح مثلا يشعر به الانسان قبل نقص اللعاب وجفاف الفم والحلق بمدة طويلة

والمرجح أن ارتفاع الحرارة بعد اشتداد العطش سببه انقطاع افراز العرق ومعلوم ان من وظائف العرق تخفيف حرارة الجسم . ولكن تركيز الدم وبعد تهيج أنسجة الاعصاب وخلايا الدماغ الى حين . وفي الدماغ موضع معين لتعديل حرارة الجسم يسمى « تلاموس » فلا بد ان يؤثر تخثر الدم فيه رأساً وتهيجه

ومما يزيد العطش في كل حالة تسبب فقد كثير من ماء الجسم بطريق الكليتين كالبول السكري أو عدد العرق أو القناة الهضمية كالقيء والاسهال

سر الطبيعة في صنع طعامنا

اكتشاف العلم لهذا السر وتقليده الطبيعة في عمل السكر

تخرج البرتقالة في أول ادوارها حامضة ثم تصير حلوة حامضة أو مرة ثم حلوة . فمن اين يجيئها السكر ؟ جواب هذا السؤال سر من أغرب اسرار العلم حير كل كيمياوي او بيولوجي حاول حله في ماضي السنة الماضية . ولكن كيمياويا اعلم يا هو البروفسور مانى من جامعة لفربول اعلن في العهد الاخير انه تمكن بتجاربه الكثيرة من كشف هذا السر . فاذا صح ما يقول فان اكتشافه هذا من أعظم الحوادث العلمية في تاريخ الانسان لانه مهدد الى وسيلة يخرج بها طعامه صناعيًا [illegible]

تحتوي أوراق الشجر على ما لا يحصى من الحبيبات الخضراء التي لا ترى بالعين المجردة. وهذه الحبيبات انما هي معامل لصنع السكر وتستمد رطوبتها من جذور النبات والحمض الكربونيك من الهواء وتمتص أشعة الشمس التي تقع على الاوراق هذه النهار

ظهر من تجارب البروفسور المذكور ان السكر الذي يتجمع في البرتقالة [illegible] وتصفر لا يأتيها من التربة او الماء الذي في الهواء او من المحيط الذي يكتنف الشجرة، بل يصنع في داخلها كما تصنع النشاء والسكر في الصانع والمعامل . وهذا هو الشأن في السكر الذي يتجمع في قمر الازهار ويجتلى عسلا منه . وليست معامل النباتات سوى مصانع كثيرة للسكر ومن السكر الذي وضع فيها يأتي طعام الانسان كله لان الطعام الحيواني منشؤه نبات أخضر اكله الحيوان . وليس الحيوان آكل اللحم سوى حيوان آكل النبات في الواقع ونفس الامر

ومعامل السكر في شجرة البرتقال مثلاً هي حبيبات خضراء صغيرة كثيرة العدد ترى بالمكرسكوب في داخل الورق واحيانًا تحت سطح سوق الشجرة . وحيث يوجد نبات خضر فهناك توجد هذه الحبيبات

ولا نعرف ماهية هذه الخميرات ولا المواد الكيمياوية التي تحويها ولكنا نعرف مادة تفعل، وتعليل هو ان تستمد النبات من خضور النبات وغاز الكربون ديوكسيد من الهواء. وتمتص أشعة الشمس التي تقع على النبات نهاراً فتصنع السكر من هذه المواد الثلاث

وهذا السكر ليس في تركيبه مثل السكر المستخرج من قصب السكر بل هو أقرب منها إلى السكر السائل المعروف باسم جلوكوز. وهذا الفرق ليس بذي شأن كبير لان الصنفين حلوان يمكن استعمالها طعاماً للنبات والحيوان

إذا وضعت ورقة او غصناً من شجرة برتقال تحت ناقوس زجاجي وأبقيت أنبوبة صغيرة تحت السطح وثقوباً صغيرة على السطح يدخل منها غاز الكربون الثاني (كربون ديوكسيد) الذي توجد منه مقادير صغيرة في الهواء على الدوام. ومتى صنعت الخميرات السكر دار على هيئة سائل في جميع اجزاء النبات دورة الدم في عروق الحيوان. واصاب الخضور شيء منه لان السكر من الاطعمة التي تحفظ بها النبتة النبات حية. وشجرة البرتقال تصنع سكرها في الاصل طعاماً لها لا للانسان. فاذا أكل الانسان برتقالة فكأنه سرق السكر الذي ادخرته الشجرة لقوتها. لان في قلب البرتقالة بذوراً تصير في المستقبل اذا لاءمها الاحوال شجرات برتقال ثم شجراً يحمل برتقالاً. وهذا هو الغرض من خزن السكر في الشجرة

وليس هذا السكر هو الطعام الوحيد الذي تصنعه النبات من تستمد أصنافاً معدنية من التربة كالملح والحديد وغيرهما. وهذه المواد تبقى في الشجرة بعد ما تفرغ منه من هذه المواد الاوراق والخميرات التي فيها. ولا بد لذلك من ان تكون التربة خصبة وإلا وجب تسميدها بالاسمدة المختلفة

ومن النبات ما يخزن السكر في اجزاء أخرى بدلاً من أن تخزنه كما تصنع البرتقالة. يحوله بعضها ومواد نشوية كما تصنع البطاطة وسائر الحبوب

وفي الارض مساحات واسعة لا تمطر ولا يزرع فيها ولكن أشعة الشمس فيها غزيرة، منها الصحراء الكبرى في شمال افريقية وصحاري واسعة في غرب استراليا. فاذا نبتت نباتات سكر فيها لصنع طعام من اشعة الشمس والماء والهواء، فان ذلك يكون اقل كلفة من زرع الاشجار والعناية بها وحصدها والاعتماد على عمل الاوراق الخضراء الطبيعي

وقد بقي سر هذه الاوراق وعملها سراً كاتماً طوال القرون السالفة لسوء حظ الانسان ولم يدر في جد أحد شيء عن هذا السر إلى أن اجرى البروفسور بالي تجاربه المشار اليها. ولكن السكر لا يصنع بمزج الماء وأوكسيد الكربون الثاني واشعة الشمس فقط، بل إذا مزجت هذه معاً لا نحصل على شيء من هذا المزيج. غير ان البروفسور بالي اعلن إلى الجمعية الملكية الانجليزية في خطاب القاه عليها انه إذا اضاف مسحوق كربونات الكلس أو الكوبلت في الماء وأضيف إلى الماء بعض الصار المذكور وأشعة الشمس خرج سكر من هذا المزيج كما يخرج من عمل الاوراق الخضراء

ولا يزعم البروفسور ان اسطة القاه على هذا السر تفضي في القريب العاجل إلى بناء المعامل الكيميائية الكبرى في الصحاري لصنع السكر بالصناعة والقضاء على زراعته ولكن امتحانه يعد الخطوة التمهيدية في هذا السبيل ولا يعلم منه الآن ما دامت حقائقه مجهولة

الطيران ونفقته

متى تقتني الطيارات كما تقتني السيارات

مما يدل على تقدم في الطيران في اميركا ان عدد الطيارات التي بيعت سنة ١٩٢١ فيها بلغ ٣٠٢ وكلها بيعت لوزارة الحربية . وفي السنة الماضية بلغ نحو ٥٠٠٠ طيارة منها ١٢١٩ للحربية والبحرية او نحو الربع وبلغت نفقاتها ٧٥ مليون دولار. ويدفع الراكب اجر السفر من نيويورك الى بوستن مثلاً ٣٠ دولاراً يطير بها ٣ ساعات أي ان اجر الساعة ١٠ دولارات . ويدفع اجرة الكتاب من نيويورك في اقصى اميركا شرقاً الى سان فرنسسكو في نحو اسبوعين فيصل مكتوبه في يوم وبعض يوم

وكان في اميركا ٣٠٠٠ طيارة « ملاكي » في السنة الماضية فزاد عددها هذه السنة ولم تخص الزيادة بعد

وقد بحثت احدى المجلات الاميركية في مقدار سلامة السفر في الطيارات بالقياس الى غيره من وسائل السفر كالسفر بحراً والقطارات والسيارات ، فتبين لها ان مقدار هذه السلامة يتوقف على عوامل كثيرة منها نوع الطيارة وسرعة سائقها ومهارته في تجنب الخطر وعلمه بالجو . فقد كانت الطيارة من صنف مشهور وكان السفر جواً فان عوامل الخطر فيه ليست بأكثر من عوامل ركوب السيارة في يوم مزدحم

وفي يومين من ايام عيد الفاسي جوت هذه المجلة بيانات عن حركة الطيران في اميركا فطار فيهما ٣٥٠ طيارة وطارت كل منها اربع ساعات على التعديل أي انها طارت كلها ١٤٠٠ ساعة قطعت فيها ١٤٠ الف ميل من غير حادث ما

وفي سنة ١٩٢١ - ١٩٢٢ طارت طيارات الحكومة الاميركية ٢ ٥٠٠ ٠٠٠ ميل فمات ١٤ من رجال البحرية . وفي سنة ١٩٢٧ - ١٩٢٨ طارت الطيارات ١٣ ٧٢٨ ٦٠٠ ميل فمات ٢٨ رجلاً . وعبارة اخرى ان عدد الوفيات هبط في كل مليون ميل إلى ثلث ما كان في ست سنوات . وبلغ النقص قدره في السنة الماضية بإزاء رجل واحد في كل ٣٩٢ ٣٠٠ ميل قطعت . ومعنى ذلك ان الانسان يستطيع أن يطير ١٩ سنة يقطع فيها ٣٩٢ ٣٠٠ ميل قبل ان يقتل حادث من حوادث الطيران

وقد تألفت في كندا سنة ١٩٢٨ نواد لتشجيع الطيران للملكي بلغ عددها في مدة قصيرة ١٥ نادياً وعدد أعضائها ٣٤٠٣ طاروا ٢٥ ٣٥٧ مرة قطعوا فيها ٨١٢ ٤٠٠ ميل في ٨١٢٤ ساعة. وكان معظم الطيارين من العلمة الذين تحت التمرين أي ان الطيران كان طبيعة الحال أعظم خطراً مما لو كانت الطيارات بقيادة الطيارين المحترفين . ومع ذلك فقد بلغ عدد الذين قتلوا في حوادث الطيران ثلاثة فقط أي وفاة في كل ٨٠٠ ٢٧٠ ميل

وبلغ عدد حوادث الطيران في أميركا كلها بين الملكيين أي عامة الناس غير التابعين للبحرية أو

الحربية ١٠٦٢ حادثاً في السنة الماضية وبلغ عدد القتلى ٣٨٤ والجرحى ٧٠٩

وهم الطيران يختلف عن تعلم سوق السيارة وهو أقرب الى تعلم ركوب (البسكلت) ولكنه أكثر نفقة ووقتاً بكثير . ويغلب من يتمرن على الطيران أن يطير وحده عشرين ساعة على الأقل قبما يعطى شهادة طيران . ونفقة هذه العشرين ساعة في مدرسة معروفة من مدارس أميركا لاتقل عن ٦٠٠ ريال . والغالب أن الطيارين المتزوجين الذين لهم أرواح وأولاد يعتمدون في رزقهم عليهم لا يتولون قيادة الطيارات قبما يتمرنون خمسين ساعة في أشهر المدارس . وهذا يقتضي انفاق ١٣٠٠ دولار في ستة أشهر

على أن الطيار الذي عهد اليه في تولي طيارات البريد أو الركاب يجب أن يتمرن على الطيران ٢٠٠ ساعة تكلفه ٤٥٠٠ ريال ووقتاً يقدر بسنة فأكثر . وشركات الطيارات لنقل الركاب لا تستخدم عندها من السواقين الا من قضى ألف ساعة في التمرين على القيل . وفي هذا ما فيه من الوقت والنفقة . وقد بلغ عدد السواقين الاميركيين الذين معهم شهادات بالطيران ٦٠٨٦ حتى مايو الماضي وبلغ عدد الطلبة الذين أعطوا رخصاً للتمرين ١٥٥١٨ تلميذاً فاذا قضوا مدة التمرين اللازمة امتحنو ثم خار الامتحان منهم [illegible]

وأثمان الطيارات تختلف حسب ما أعطيه من [illegible] وأرخص طياره هي طيارة ذات مقعدين قوتها ٢٣ حصاناً وثمنها ٦٩٠ دولاراً وأغلى [illegible] هي التي تحوي ثلاثة محركات وتحمل ٢٠ راكباً وطولها من طرف [illegible] ٩٠ قدماً وقوة محركاتها ١٥٧٥ حصاناً وثمنها ٨٥ ألف دولار (أو نحو ١٧ ألف جنيه) على أن أكثر الطيارات شيوعاً هي ذات الثلاثة مقاعد وقوة محركها ٩٠ حصاناً وثمنها نحو ثلاثة آلاف دولار

ومن الطيارات ما يبلغ ثمنه ٢٥٠٠ دولار الى ٣٥٠٠ وهو يحمل ثلاثة أشخاص مسافة ٤٥٠ ميلا بسرعة ٨٥ ميلا في الساعة وقوة محركه ٩٠ حصاناً . ويمكن زيادة سرعته الى ١١٠ أميال في الساعة ويرتفع الى علو ١٣ ألف قدم . ومن هذا الطراز الطيارة التي قطع بها لندبرج الاتلانتيكي ولكن قوة طيارته كانت ٢٢٥ حصاناً وثمنها ٧٥٠٠ دولار ويمكن زيادة سرعتها الى ١٣٥ ميلا

والغالب أن يكون أجر السواق من ٣٠٠٠ الى ٥٠٠٠ دولار في السنة ، وهذا مما يجعل نفقة اقتناء الطيارات باهظاً للافراد . أما الشركات فان الطيارة ذات المقاعد الاربعة والتي قوتها ١٦٥ حصاناً تكلف ١٥ ألف دولار في السنة اذا طارت ١٠٠٠ ساعة وتقطع فيها ١٠٠ ألف ميل ولكن الطيارات الصغيرة التي للافراد قلما تقطع أكثر من ربع هذه المسافة في السنة وعليه لا يزيد نفقتها على نحو أربعة آلاف دولار

هل من علاقة بين العبقرية

والعيوب الخلقية؟

كان ديموستنيس خطيب اليونان البليغ ألثغ . وكان بوب الشاعر الانجليزي ومترجم الالياذة هوميروس شعراً الى الانجليزية أحدب . وكان يوليوس قيصر مصاباً بداء النقطة . وجونسون اللغوي والأديب الانجليزي الظريف وصاحب المعجم المعروف باسمه - أعشى ، وذا مراح حماري . وشيتسفس الفيلسوف الالماني فرماً مشوهاً . وكارليل الفيلسوف الانجليزي محموداً . والفرد الكبير ملك انجلترا الحر الحكيم يشكو مرضاً عضالا طول عمره . وبيرون الشاعر الانجليزي أحدب القدمين . وجون أعظم مؤرخي الانجليز مريضاً بداء القيلة الثانية . وكيتس الشاعر الانجليزي مسولاً . ولام الكاتب الانجليزي عرضة لبوب جون . ومتون الشاعر الانجليزي أعمى . وتشارلس داروين صاحب مذهب النشوء والارتقاء الطبيعي مصاباً بمرض الأعصاب الى آخر ما هناك . فهل بين النبوغ والعيوب الخلقية من علاقة ؟

ومن هذه الأمراض ما هو ضعف طبيعي عظم شعر صاحبه بأنه دون غيره في تنازع البقاء كالصرع (النقطة) والعمى والصمم و[illegible] . فمن عانه [illegible] أصحاب العيوب الخلقية قد يستعيضون التفوق عنه من طريق [illegible] الاول باجهاد الجسم في الحروب والامراض التي يمكن الاجهاد فيها . فقد حمل [illegible] جسم ضعيف نحو قصب على هذا العيب بالعمل الشاق فادى ذلك الى تقوية جسمه وصيرته على احسن نظر لصاحب الطبيعي وارتقى الى مركز عال من قيادة الناس . وحمل ديموستنيس [illegible] يحاول اصلاح هذا العيب فيه حتى ظهر بمظهر وصار خطيباً مصقعاً

والطريق الثاني طلب العزلة عن الناس حيث لا يمكن مقابلة العيب او الداء كما في المشوهين والمصروعين وحمارة الاجسام والاقزام . وكان عمي وهابي وحيني وشرير وعيوم كثير من هؤلاء فطلوا العزلة واكبوا على الكتابة متحدين سبيلا الى الاعراب عن نفوسهم وشؤونهم اذ تعذرت السبل الاخرى . وقد سميت هذه الطريقة « التعويض الباطني » اي الطريقة التي يعبر بها هؤلاء عن عبقريتهم تعويضاً وبياناً عن عجزهم الخلقي

ولقد بلغ بواعث السل في الجسد ما لم يبلغه بواعث اي مرض آخر . والسل هو ذلك الداء الذي يبلي الجسم ويشحذ القوى العقلية والادبية ويسبغ على صاحبه قبيل الرمق اعظم قوة طبيعية . فقد كان فرنسيس طمس يمشي في الشوارع ويسير جنازته معكوكة وافكاره عالقة الى العلاء وهو اسير هذا الداء العياء . وظهرت عبقرية شلي وسنج وروسنج على اشباحها والداء يبرح بهم اعظم تبريح وبينا تراه من جهة يريد سوداء صاحبه كما فعل بالشاعر تو تراه من جهة اخرى يجسم امامه الآمال الى حد يفوق المعتاد كما فعل بالكاتب امرسون . وهو الذي قاد دي كوسي الى عادة تجمع

الاعيون لعله يتمكن بها من التغلب على سموم الداء . وكان من مرائه بوابع مثل : جاين اوستن وحون لوك والسر ولتر سكوت وهمفرى ديفى وكانريى مسعيد وهوانير

وعاش روبرت لويس ستيفنسون طول عمره مريضاً كأنه على شفير قبره . فمن زكام دائم الى التهاب شعب الى تعرن أصابه وهو ابن ٣٤ سنة فلزم سريره ومع مرة من أن يتكلم حتى عدة أسابيع . وكانت سنوه التي احتمل فيها معظم الآلام هي السنون التي جاد فيها باحسن كتاباته

وكان الجنون صيب أعظم البوابع في طبيعتهم نيوتن ودانتي وروسو وشوبنهور وسويفت وكوبر وبو وكولردج وبودلير ولام. وكتب هذا الاخير الى كولردج كتاباً وعمره ٢١ سنة يقول :

« ان الاسابيع الستة من السنة الاخيرة قضاها عندك الدليل جداً في بيارستان عدينة هوكستون وكان على غاية السرور . وقد أصبحت الآن عاقلا بعض الشيء ولا أعض أحداً . ولكني كنت مجنوناً لا محالة . ولطالما تاه مني عقلي في كل يداه »

أما السبب الباشر لجنونه هذا فمأساة سوداء حدثت في بيته . ذلك أن شقيقته ماري حنت فطعنت أمها طعنة أماتتها ، فجن تشارلي على أثر ذلك وأرسل الى مستشفى المجاذيب . وبعد شفائه عاش مع أخته الى آخر عمره وكان كلاهما شديدي السوداء . وقد كنت تقول : « كلما شفيت قليلا ورأيت كآبته وشدة سوداويته عندما يراني ، ولمحت عينيه تنظران الي بحسرة والوحدة منا ينظر الى الآخر عابساً عابقاً ، يقول له : كيف حالك ؟ » فيجيبه هذا « وأنت كيف حالك؟ » . ثم ينقلب باكيين قائلين عسى أن نكون أحسن غداً »

هكذا عاش « لام » مغتصاً مرتعداً تحسى أن يجيء اليوم الذي يعرف متى يفقد عقله على تمامه . ومن هذا الظلام المدلهم والسوداء الحالكة خرجت مقالاته التي لا مثيل لها (هو وأخته كتبا المقالات التي قصد بها روايات شكسبير وهي تعد في الدارس)

وقد أخبرنا بورويل راوية حوسون ان الخليفة هارون الرشيد على صحته حتى أضعف بصره وأفقده بصر احدى عينيه وشوه وجهه وداء الخنازير محل المصاب به سيئاً وهكذا نرى حوسون سيئاً ذا وجه مشوه وفاقد البصر في احدى عينيه . وكان وهو في المدرسة ينكت اللعب مع رفاقه لضعف بصره لكنه كان يفوقهم في الحديث . كذلك قضى عمره متعوقاً في عقله على أهل حيله أدنام منه كثير البعد عنه

ومن المؤرخين من يقول ان سوداوه التي لازمته طول عمره هي نوع من الجنون الموروث وكان ابوه مثله . وقبل وفاته اصيب بالاستسقاء والتهاب الكبد ورحلاه وكان يلهث في تنفسه كأن يصعد الجبل

واصيب بيتهوفن الموسيقي بالصمم وفي صممه الف أعمى قطعه الموسيقية

واكتشف باستور ، اكتشافه العلمي العظيم المعلق بالجدري ولقاحه بعد نوبة سكتة اصابته

يلوح مما تقدم ان بين النبوغ والعيوب علاقة عظيمة وانه لولا الشذوذ عن الصحة العادية والاجسام العادية لحرمنا كثيراً من البوابع اهل العبقرية النادرة

قصيدة مجهولة لامرىء القيس

ان أول من عثر على هذه القصيدة بين مخطوطات الاديب الايطالي Capzotti وأول من نشرها في المجلة الايطالية (RSTO I, 595-605) هو المستشرق الايطالي Eug. Griffini إلا أن هذه الطبعة الاولى لم تكن مقيدة بالحركات والنقط وكان ينقصها شيء كثير من الضوابط والمكملات العلمية، ولهذا لم ترض العلماء وعلى الآداب العربية القديمة. وهذا ما حمل بعض المستشرقين الذين وُهِّقوا الى زيارة جزيرة العرب ولا سيما القسم الجنوبي منها أن يبحثوا عن نسخة أخرى ليقابلوا على النسخة المطبوعة ويصلحوا ما وقع فيها من الاغلاط وسائر أنواع التشويه فلم يمض على ذلك ست سنوات حتى ظهرت (عام ١٩١٤) في المجلة الجرمانية المعروفة Z D M G (550-551, 3 Heft, 68 Band) طبعة ثانية نشرها المستشرق الشهير R. Geyer معتمداً على مخطوطة أخرى عثر عليها بين مخطوطات الاستاذ المرحوم Ed. Glarzer المخطوطة الآن في مكتبة فينا الامبراطورية سابقاً (Codex d Wiever Hofbilioteque)

ومعلوم ان Ed. Glazer جمع أكثر مخطوطاته في جنوب جزيرة العرب أي في اليمن التي طاف فيها عدة سنوات يبحث عن آثارها البديعة ويكتشف عجائبها ودفائنها، وهذا نرجح ان المخطوطة التي أخذت عنها طبعة الاستاذ Geyer هي أيضاً من اليمن حيث كان المستشرق الجليل أهل وصحب وعشاق، هذا اذ صح ان هذه القصيدة وليست لقيس بن الملوّح المعروف بمجنون ليلى (١) على أنه يظهر لنا ان القصيدة لامرىء القيس حقيقة وذلك لأن صاحبها في المخطوطتين اللتين ذكرناهما قد جاء في فاتحة الاولى منهما « وقال حرز المعنى بن حجر الكندي » وجاء في الثانية : « هذه القصيدة لامرىء القيس بن حجر الكندي » ولأنها عدت في مديح ديوانه المطبوع في أوربا (٢) بصنعة أبيات بن صبح عاصد من روح وبعض القصيدة التي نحن الآن في صددها مثال ذلك قوله في القصيدة التي مطلعها : « لمن طلل بين الحدّاتة والجَمَلْ » (رقم ١٨)

تنطق بالاطلال منه مُجْلَعَنْ احم بدا الحَوْمَلُ منه أسجل
فأستَ فيه منْ عَشَنْزٍ وعَشَنْزٍ ورَوابٍ رَنْدٍ والصَّنْدو والاسَلْ
وفيه القطا والبُوم وابن حَبَرْكَلٍ وطير القطامي والسِّنْدَد والحِجَلْ
وعُنْظُلٌ والخِشْوان وبَرْسَلٌ وفرخ قريق والرِّمْلة وارمَق
وهامٌ وهَمْهامٌ وطالع أنْجُدٍ ومُحْبِكُ ارْوُقين في سَيْرِه مَيَلْ ...

---

(١) وردت على هامش المخطوطة الاولى بضعة أبيات له

(٢) The Diwans of the six ancient Arabic poets edixed by W. Ahlwardt London 1874

وشمألٍ وشمألٍ ثم شمألٍ عشنطلٍ على حاجبي سلمي بن مع المقنّ

وجاء في قصيدة أخرى له (رقم ١٩) قوله :

ألا لا ألا إلاّ ليانَ لابشر كمالاً إلاّ إلاّ ليالي من دحل
وكانٍ وكفكافٍ وكفّي بكفّها على كافر كمكافٍ ترى كفها حلل
وفلّتها حتى تفصفص عقدها وحتى فصوص الطوق من جيدها انفصل

على اننا لا ننكر أن القافية والوزن اللذين التزمهما صاحب القصيدة المذكورة هما من القوي والاوزان النادرة في ديوان امرء القيس وعلى كل لا شك في أن القصيدة قديمة جاهلية وفيها من العبارات النادرة أو البديعة النظير في لغتنا الفصحى ما يحبب الى القارىء العربي مطالعتها والى علماء اللغة النظر فيها لعلهم يجدون فيها أثراً من آثار اللهجة اليمنية القديمة التي اندمجت مع الزمن بانتشار لغة الحجاز وتفوقها على سائر اللهجات العربية ولعلهم يعثرون على نسخة أخرى أصح من النسختين المعروفتين الآن وأكمل أي أتم أبياتاً لان القصيدة على ما يظهر لنا ناقصة . وهذه هي كما نصها الاستاذ Geyer المذكور :

رَيْعانِ بالوادَيْن (١) حالا وأهدوا... ...ها العرعرُ
وحان مَثْناها (٢) فأودى ... ... وحيشُ
واورق المطليل (٣) ... ... وحلبانُ (٤)

(١) اسم محل
(٢) حان مثناها أي هلك زرعها ومثلها أودى
(٣) المطليل نوع من النبات (leontice) يعرف عند العامة برجل الاسد والكلمة مركبة من طيل بزيادة حرف الطاء وهذه الاخيرة من طيح وطاحان (achillea fragrantissima) وهو اسم لنوع من النبات
(٤ و ٥) كلاهما من أصل واحد وهو طحل تحول قسم وصارت له رائحة كريهة وهما يدلان على شيء له رائحة كريهة (٥) قابل هذا البيت على مذكور في القصيدة المذكورة آنفاً (رقم ١٨) حيث قيل :

فابت فيه من شمس وشمشم وورنق رند والعلندد والاسل

أو ما جاء في قصيدة أخرى لامرىء القيس حيث قيل :

فابت فيه مع شمس وشمشم ورقرق رمل والربيلة والدمل

أو هما مشتقان من الراعي طهطه وهذا قريب من طمطح وشمشح وكلاهما يدلان على البرق والدخان وعليه فالارجح ان طهطهل وطهطيش اسمان اختلفهما الشاعر للدلالة على شيء بيت في الدائر (أصل معنى شمشح) والشين في طهطيش تدل على النسبة ولعلها كانت تستعمل في اليمن عوض الياء احياناً

والهام (١) والبَنْجان (٢) فيه والصلُّ والبرُ والنحوش (٣)
والمَهْدُ يَغدو مُقلَّقَيْن (٤) والاكدحُ (٥) الأقرحُ (٦) الكدوش (٧)
معى لأمِّ اوليد (٨) قَفْرٌ خلَّفَهُ من بعدها الوحوشُ
وكان عهدي بدار مَيٍّ يَحُفُّه الجَهْمُ والحريشُ (٩)
يا طالب الطيبِ ان مِيًّا دواه من داؤه عطيشُ (١٠)
العَيْنُ قوسٌ ومُقْلتاها سَهمانِ والحاجبانِ ريشُ
هل يبلغني دارَ مَيٍّ (١١) صَيْدَحي (١٢) صَمحَدَرِيشُ (١٣)

---

(١) الهام جمع هامة وهو طائر من طير الليل يشبه البوم

(٢) البنجان مثل هندح وهو النعام والنعامة. وقد قرأها بعضهم «والهندجان» بفتح الهاء وهذا البيت يشبه بيتا آخر جاء في ملحق ديوان امرىء القيس في القصيدة المذكورة سابقاً (رقم ١٨) حيث ورد :

وعثلة والخيتوان ويرسل وهرع قريق وارطة وقرقل

وبيتاً آخر في قصيدة أخرى (رقم ١٩) وهو :

وهام وهبام وطلاح الحمد وخنسة منها خنصران قد تزل

والخيتوان والخنصران من اسماء الجمل وعدها بعضهم من اسماء النعام أيضا هندح فرقد ذكرها مناجيا ، والاصح انها مشتقة من هندج (اذا مشى الطويل او الجاش) وهو هندح

(٣) النحوش دو النحش وهو الهزال وقد وصف به الشنفرى كما وصف به امرؤ القيس كما سنرى في بيت آخر ذكره في قصيدته المذكورة (رقم ٩ ع ٨) (٤) من قلقل المعى اي صوت

(٥و٦و٧) من صفات حمار وحش والاكدح والكدوش بمعنى واحد وهو الخدش أما الاقرح فان لم تكن الكلمة محرفة عن الاصرح ـ فمن القرح جمع قروح وهو من في صفته قرحة أي غرة وهذا مما لم يوصف به حمار الوحش الذي يعنيه الشاعر في بيت آخر ذكره وقد وصف امرؤ القيس حمار الوحش بالقارح في عدة ابيات من ديوانه المطبوع

(٨) لقب احدى محبوبات امرىء القيس ولعله لقب ي التي يذكرها في البيت العاشر على ارجحا القلب لم يرد في أشعاره ولهذا وهم Grillius انه اسم محل وهذا غير صحيح

(٩) لعله محرف عن حريش وهو كما وصفه الزوزني حيوان كبير يشبه السركدن لا الهرشة المعروفة

(١٠) بمعنى عتيق مزمن وهذا يدلك على ان القاف كانت تلفظ في اليمن كالشين

(١١) سؤال استفهام أحدد عن امرىء القيس كثير ممن جاء بعده من الشعراء

قال عنترة العبسي : هل تبلغني دارها شدنية لعنت بمحروم الشراب مصرم
وقال زهير: هل تبلغني أدنى دارهم نفس يرجي أواثلها السديل والرتك
وقال علقمة : هل تلحقني ناقتي مذعورة حلقية كأنها الصعل عكوم
وقال أوس بن حجر التميمي :
هل تبلغنهم حرف مصرمة أجد النقار واداج وتهجير . الخ

(١٢و١٣) الكلمتان من المترادفات وبعضها من أصل واحد هو صمد أو صخد أو صمح بمعنى اشتد

خَيْخَفٌ (١) خَيْعَفٌ (٢) خِيَمٌ (٣) مُرْقَاشِمٌ (٤) قَايِشٌ (٥) قَشُوشٌ (٦)
مُلَقْلَقٌ (٧) الْعُنُقِ عِنْدَ عُرْفٍ مُذَلْنِقٌ (٨) الْحُبِّ طَعْتَبِشُ (٩)
إِنْ دَبَّ شَهْبَهُ عُقَاماً أَوْ بَقِيقاً (١٠) رَاعَهُ قَرْبِشُ (١١)
فَإِنْ يَقْذِفِ الْهَوَى لِي كَمَا يُقَادُ الْعَذَنْدَرِيشُ (١٢)
فَالْقَوْمُ قَدْ يَعْلَمُونَ أَنِّي بَهْدٌ إِذَا أَصْطَكَّتْ (١٣) الْجُيُوشُ
أَنَا الْفَتَى الْأَرْيَحِيُّ فِيهِمِ الْيَدُ الْبَاعِثُ (١٤) النَّعُوشُ (١٥)
أَنْعَشُ بِالْمَالِ طَالِبِيهِ إِنْ قِيلَ أَيْنَ الْفَتَى الْبَشُوشُ
أَيَّامَ لَا مُلْتَقِي لِلَّهْوِ إِلَّا وَأَكْبَادُنَا تَجِيشُ
وَقَوْلُهَا لِي كَفَى أُعْنِيَاقٌ فَلِيهْدَ مِنْكَ الْيَدُ الْبَطُوشُ

بأكو : ٩ : ١٩٢٩

الأستاذ ب . عبودي

حرارته ولفحه أو حرقته الشمس وسمه صيفي كان حار وصيفي شديد قوي اما الشتي في صمخديش فهي هنا لفحه حرش في وهواكار [illegible] من نار الهجير الحية

(١و٢و٣) مترادفات بمعنى واحد وكلها مشتقة على الاصح من خض أو من مضاعفه خضخض للدلالة على التمازج وشدة الحركة

(٤و٥و٦) مترادفات أحدها يصف بها عواده وهي مشتقة من قش بمعنى اكل وعض . والارجح انه ورد في كلة « مرقاشم » تحريف

(٧) من لقلق بمعنى حرك وأدار

(٨) من أذلق بمعنى اسرع وفي لسان العرب (٩ : ٢٩٢) مرّ مرّاً . درلقا ودلقلقا وهو مر سريع شبيه بالهملجة

(٩) من طعتبش بمعنى خزر وتحاور أي ضيق جفنه ليحدد النظر الى ما هو أمامه

(١٠) ذكر النعام (الظليم) ج نقانق

(١١) من قرش بمعنى قطع وفلذ وهو هنا صفة السهم

(١٢) لم يهتد الى أصلها ولعله عرس بمعنى ذل وحل الى وأبعد عن والاستاذ Geyer يقربها من عنقريس وعرنبسة وهذا غير بعيد (أنظر في لسان العرب عقريس وعنقريس)

(١٣) تصاربوا بالسيوف هذا اذا لم تكن محرفة عن اصطفت

(١٤و١٥) معناها واحد وهو المنهض والمشجع والبطل المذاد عن قبيلته

مرض اللوزتين

للوزتان عدتان مكانهما على جانبي الحلق عند قاعدة اللسان . والعدة نسيج لحمي يختلف عن سائر الانسجة اللحمية في تركيبه ووظيفته . أما وظيفة العدة فهي افراز بعض السوائل التي تصلح لفائدة الجسم . مثال ذلك اذا بكى الانسان تحدر الدموع من قطعه من النسيج اللين تحت الجفن الأعلى . وهذه القطعة أو العدة م تسمها الطبيعة في الاصل لافراز الدمع على ان هذه الوظيفه عرضية والغرض الاصلي منها حفظ العين مرطبة . وقد تعرض حالات مرضية فتعطل فيها وظيفة هذه العدة فتجف عين المصاب وتظهر حامضة كعين الميت . وتصاب العين أحياناً بمرض يسيل الدمع منها على الدوام فتلتهب . وهذا الوصف ينطبق على العدد الاخرى التي في الجسم

ومن العدد ما لا يفرز سائلا بل يمتص المواد المفرزة من عدد أخرى أو من الرواسب الصائرة للجسم . مثال ذلك اذا مرضت اللوزتان وهي من العدد المفرزة فان عدد العنق تمتص السم الذي تفرزانه فتتضخم

وفي الجسم عدد كثيرة أشهرها الكبد والكرياس والعدة الدرقية وغيرها . فاذا كانت وظيفتها طبيعية وكان حجمها طبيعياً فلا نشعر بوجودها . فالحوائر مثلا ناشيء عن تضخم العدة الدرقية في العنق ولولاه ما كنا نشعر بوجود هذه العدة لصغرها

وليست أعضاء الجسم كلها على درجة واحدة من الاهمية بل منها ما لا ينفع منه ولا يعرف له وظيفة الا الضرر كالزائدة الدودية مثلاً . وقد يعتقد بعض الناس ان اللوزتين منها ولكن الامر ليس كذلك في بعض الاحوال يعمي استئصال اللوزتين الى جعل مرضع في الحلق قد يبقى الى آخر العمر . وهذا يدل على أن اللوزتين قد تعدان أحياناً كالعضو على حفظ الحلق رطباً

حلق الانسان وقد كبرت فيه اللوزتان تكبيراً معتدلا

وقد تصاب اللوزتان بالالتهاب غير مرة فتبقيان مريضتين . أما اللوزتان اللتان تحملان الدفتيريا فليستا مريضتين بالمعنى الصحيح لان عمل الدفتيريا ناجح في مقاومة اصابتهما

والبحث في مرض اللوزتين يستلزم النظر في أربع مسائل

١ ــ أسباب الزكام

٢ ــ نتائج الزكام

٣ ــ تغذية الطفل في مرضه

٤ ــ تأثير الاسنان السقيمة

ويقال اجمالا ان الطفل يولد واللوزتان صحيحتان أي انه لم يسمع مولود ولد واللوزتان مصابتان مع انه جمع أطفال ولدوا مرضى في قلوبهم أو مصابين بالشلل أو بأمراض أخرى . ولم ير

عمل أصيب بالتهاب حاد في لوزتيه في شهوره الاولى . وعليه فان الزكام والكحاح وتضخم الغدد العنقودية وتغير درجة الحرارة فجأة هي من الاسباب المساعدة على مرض اللوزتين

أما الامراض التي تنجم عن مرض اللوزتين فأكثرها شيوعاً أمراض القلب والتهاب المفاصل التهاباً روماتزمياً وازدياد قابلية المصاب بها للاصابة بالامراض المعدية وأمراض الكليتين

وقد يستطيع أن يعرف أولادنا استعمال (فرشة) الاسنان استعمالاً صحيحاً لمنع مرض البوريا الذي يتربى مع الفرشة لا لمنع تطرق المرض الى الاسنان . وقد يستطيع منع الدفتيريا باستعمال الحقن وليس الكلام بمثل هذا التأكيد عن اللوزتين بل قد يكون مستحيلاً . وجهد ما يستطيع أن نقوله الآن عنهما ان الجسم الصحيح هو خير واق لهما من تطرق الداء اليهما

وقد علم ان الكحاح كثيراً ما يصيب الاطفال الذين يرضعون بالزجاجات الصناعية والمرجح ان هؤلاء الاطفال أكثر استعداداً لتضخم اللوزتين من الاطفال الذين يرضعون من امهاتهم . وخير الطرق المعروفة الآن لوقاية الاطفال من مرض اللوزتين اتقاء زكام والعناية بالاسنان ودخول الهواء النقي بسهولة في الانف

واللوزتان توصلان العدوى الى الجسم بنقلها بواسطة الدم الى بعض الاعضاء والانسجة . فروماتزم الركبتين مثلاً ينشأ فيهما بعد نقلت العدوى اليهما من موضع آخر في الجسم . ومتى مرضت اللوزتان تنفيان كذلك ثم لا في أحوال نادرة تضمران على هدوم مادة فاسدة تنقل الى أعضاء ومواضع أخرى كالقلب والمفاصل

وكثيراً ما يحدث ان [illegible] في المعدة

والعادة في الاولاد [illegible] يكون منهم مصاباً بمرض في اللوزتين يصاب في الوقت نفسه بمرض اللحمية المسمى « اديبويدس » وقد يحدث ان يصاب الولد بالتهاب اللوزتين واللحمية أو تصاب اللحمية ولا تصاب اللوزتان ولكن هذا [illegible] أما في العالم فالامر بخلاف عنه في الاطفال لان اللحمية تضمر فيهم الى حد ما بعد عمل لم تعمله لاراتها . ولكنهم اذا أصيبوا بداء البوريا فانهم قد يبتلعون المادة المفرزة من الاسنان المصابة فتصل العدوى باللوزتين فتمرضان . فلابد والحالة هذه من العناية بالاسنان من مبدإ الامر

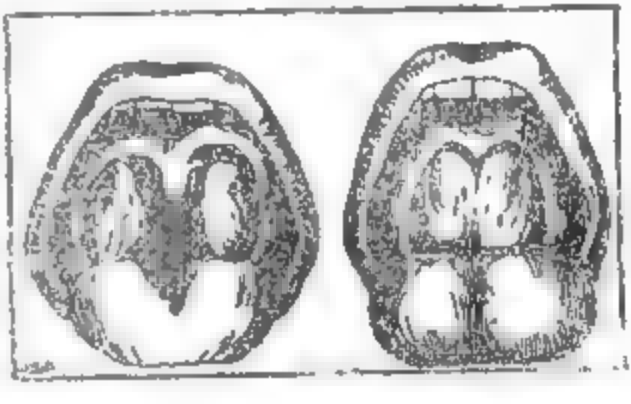

وهذا صورتان ماثلتان الى اليسار صورة لوزتين متضخمتين والى اليمين صورة لوزتين متضخمتين الى حد يحول دون البلع

ابو الهلال

سير العلوم والفنون

صناعة الفار
من سوق الذرة

توصل الاستاذ تمويل الى استخراج الفار من سوق الذرة ، وذلك بوضع هذه السوق في صندوق خاص تختبر فيه وقد تحصل من هذا التصيد على مربح عادي يمكن استخدامه في مواد السكر ماه والاذاوة وقد سمى هذا الاستخراج باسمه كبرى الفراعين . وفي الى اليمين صورة الفار الذي استعمل لهذه الغاية

أول طيار له الطيارة التي تسير بالصرخات

الطيار الالماني فريتس فون أوبل الذي عمل في السنة الماضية تجارب بالسيارة التي تسير بالاسهم النارية وقد طار أخيراً لاول مرة بطيارة من الطيارات التي تدفع بالاسهم النارية في مطار فرانكفورت في المانيا مسافة كيلومترين على علو مائة متر . وعند رواه دفع من طيارته فسقط الى الارض من غير أن يصاب بأذى . وترى صورته في أعلى وهو يتأهب للطيران

مترالبوز لاحد المصور

جربوا حديثاً في ميدان الفاروق العسكري في « مدفيك » في الولايات المتحدة مدفع مترالبوز يتصل به جهاز لاحد الصور في « مطار ... » وهو يستطيع احد ١٢ صورة في الثانية فيكون المدفع عند اطلاق مرمى ... مدفع الرشاش والآخر المصور !!

طيارة بحرية نظرى وتشر

في الصورة العليا طيارة بحرية من نوع « بارتل بينو » يمكن على جانبيها ووسطها في غرفه خاصة بها في الفواصلات وهي تحمل سواقاً ورجلاً آخر للمراقبة ومكان لجلوس لاسلكي وراتبة (بلاهوت) وستوق للارساد . والرجلان الواقفان بجانبها يدلان على حجمها بالمقارنة

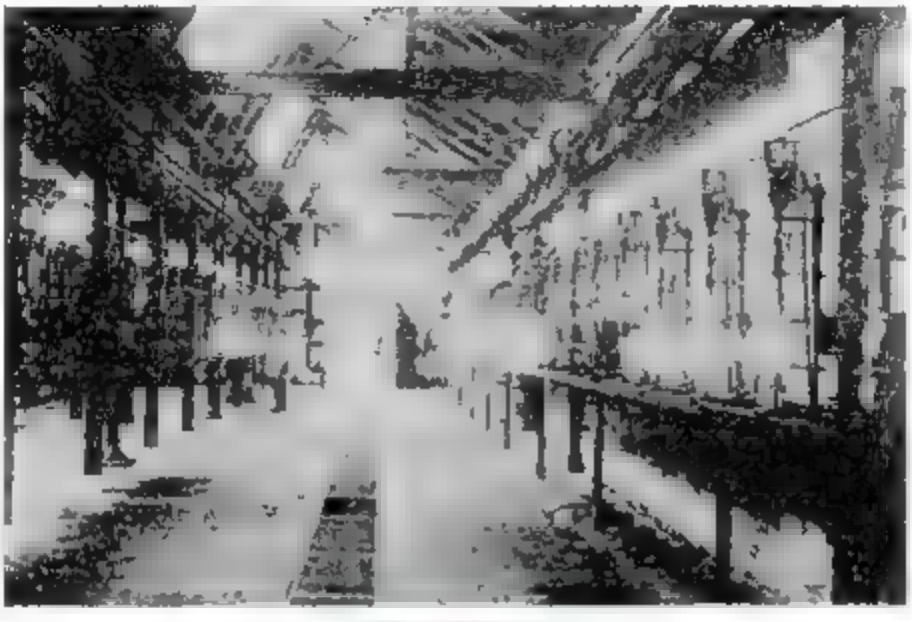

هو الفرن الذي يصهر فيه الزجاج

صورة معمل ألماني في ضواحي برلين يظهر فيه بعض العمال الكرة الصناعية التي تشبه الطبيعة كل الشبه ويظهر فيه أيضاً الإناء الذي يصنع منه الزجاج والصورة التي على الكرة

الجواهر الصناعية

بين الرسم الذي في اليمين صورة القالب الذي تسك به الجواهر التي تصنع في معمل بتزيلد قرب برلين . والذي في اليسار صورة جوهرة بعد صنعها

ARCHIVE

اختراع أميركي عجيب

اخترع الاميركيون اختراعاً جديداً يمكن للمغنين والخطباء والممثلين والموسيقيين من رؤية الاهتزازات في الاصوات التي يحدثونها عند الغناء أو الكلام أو الايقاع على الآلات الموسيقية. وترى مخترع هذا الجهاز ـ وهو السير اندرسن ـ واقفاً أمام اختراعه ومعه مساعده السير «ويلبرايت» أمام البيانو

وحيد القرن

صورة حول صفحة من نوع وحيد القرن وهو من الحيوانات النادرة في [illegible] المعروفة [illegible]

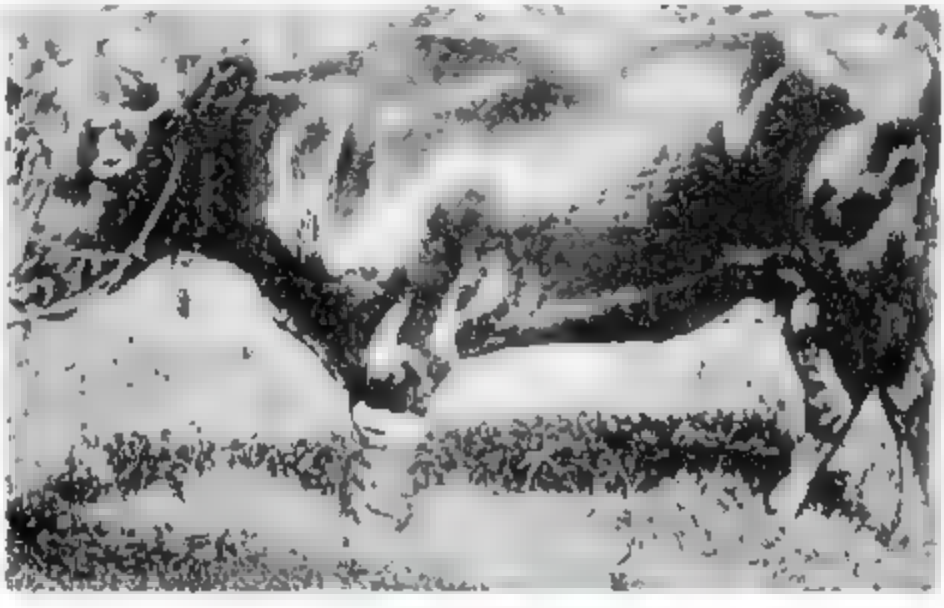

الفرانكنشتين الحديث

عمل الاستاذ موركوفيتش المدرس بمدرسة الطب الحيوي في كوبنهاجن عاصمة الدانمرك عملية جراحية لبقرة فقطع من عنقها ... ووصل بها ساق خنزير ... وترى في اعلى صورة هذه البقرة بعد العملية

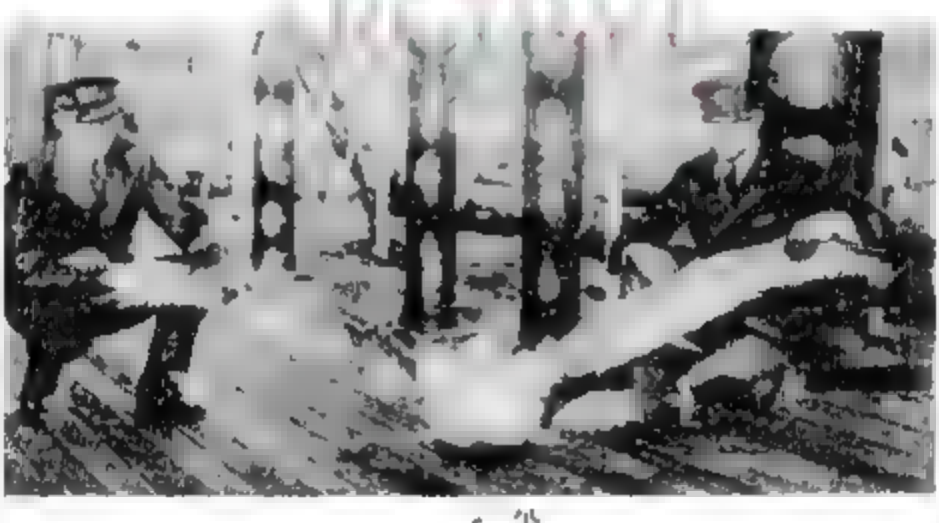

طائر عجيب

صورة طائر من النوع المعروف باسم « الالباتروس » له جناحان طويلان طول كل منهما عشرة أقدام وقد أهدي الى حديقة الحيوانات بمدينة سدني عاصمة استراليا . وترى هنا بين موظفين من موظفي الحديقة وقد نشرا جناحيه بأيديهما

وجه الانسان وكيف نشأ

يقول علماء الشوء انه مر على الانسان ألف مليون سنة فلنرتق وجهه الى الصورة التي يرى عليها الآن . فقد كتب الدكتور وليم جريجوري مدير متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك كتاباً عنوان « وجهنا من السمكة الى الانسان » زعم فيه ان وجه الانسان نشأ من وجه كلب البحر . قال : « ولئلا يعجب أي انسان ان في تسلسله من حيوان شرير آكل لحم الانسان اهانة له أقول ان الانسان لم يتسلسل رأساً من هذا الحيوان . بل من حيوانات أضعف منه . ثم حين يتنزل بكلب البحر الحقير عن قارىء كتابه مصاب تسلسله من كلب البحر قائلاً لكلب البحر عينين جبليتين وأنفاً دقيقاً يهديه بلا خطأ الى كل ميت أو جريح يرف دمه وله أسنان قد لا تطربان لصوت موسيقار ولكن له أعضاء أخرى تشعره بأخف الاهتزازات الناشئة عن نضال الحيوانات الاخرى وهو اكلها بعضها مع بعض مما يعود عليه بحصة الاسد منها . على ان وجه كلب البحر خال من الصفات فهو واحد في كل حال — حال الغضب أو الحب أو البغض أو الاستئناس

وأول حيوان في سلم الارتقاء السمك الذي يعيش في الماء وفي اليابسة معاً وقد تحولت زعانفه

على مر الزمان قوائم كما يرى في الضفدع . وبلبه الزعانف ثم ذوات الثدي . وتحولت فلوس السمك وبشاً في الطير وشعراً في ذوات الثدي

تركيب مركز الارض

أختلفت الآراء في تركيب مركز الارض رأى الدكتور ريالي إستاذ الجيولوجيا في جامعة هارفرد يعتقد انها تحت قشرة الارض الرقيقة كرة هائلة تتكون من زجاج الذائب المصهور قطرها نحو نصف قطر الارض طولاً أي طوله نحو اربعة آلاف ميل ويحيط بها طبقة من المعدن سمكها نحو ألف ميل . وحول هذه الطبقة طبقة اخرى من الصخر مثل تلك التي حول الكل القشرة الخارجية وسمكها نحو ٣٠ ميلاً كما هو مشهور . ويظن ان كرة الزجاج تحت ضغط هائل يقدر بنحو ٥٥٠ مليون رطل على كل بوصة مربعة ودرجة حرارتها ٥٠ ألف درجة بفهرنهيت أو ٩٠ ألفاً فارنهيت . والقارات والمحيطات تطفو عليها وينشأ عن حركتين الزلازل والبراكين والجبال

وعنده ان الارض تكونت من الغازات المنفصلة عن الشمس فوه الدهم وانها في حين تحولها سائلاً جامداً انفصل عنها القمر فخرج شكلها مشوهاً غير مستدير تماماً وهي تحاول آنا بعد آن ان تجعل شكلها مستديراً بواسطة الزلازل او ثوران البراكين

آلة مدهشة لصرف العملة

اخترعت في اميركا الآن آلة تصرف النقود من نفسها وقد حررت درجة اتقانها فوضع فيها ربع دولار من النحاس وثلن اصغر قليلاً من الربع الصحيح في حجمه وثلث أصغر منه في وزنه فوزنت الثلاثة وقاستها وحللت معادنها وأعدتها وصاحت بواسطة تلغراف موضوع في داخلها قائلة : « لرجو ان تستعملوا عملة جيدة فقط »

تفنيد مذهب داروين

يقول الدكتور اوسبورن رئيس متحف التاريخ الطبيعي لاميركي ان الرجل الشبيه بالقرد الذي اكتشف في جزيرة جاوة ليس جدّ الانسان كما زعموا . وهو يرفض مذهب داروين القائل بأن هناك قرابة حديثة العهد بين النوع الانساني والقرود الكبرى تاياً رضه له على اسباب تشريحية وحفرافية معاً . فأيدي القرود وأرجلها خلقت لتسلق الاشجار خلاف الانسان وتاريخ ارتقاء اليد الانسانية تاريخ طويل في النشوء منفصل عن تاريخ القرود كلها . وعنده ان الانسان الاول نشأ إما في سهول منغوليا الصينية أو في أراضي افريقية العالية

تصوير للقمر للسينما

جامعة برنستون في أميركا أول من أخذ صوراً متحركة للقمر بواسطة غرفة مظلمة متصلة بمنسة تلسكوب قطرها ٣٣ بوصة . والصورة ترى القمر يسطع على أرض القمر وفوهة البركان الكبرى المعروفة باسم كوبرنيكوس بجدرانها التي علوها ميلان . ومنظر شروق الشمس يسترعي الابصار بوجه خاص اذ لا شيء في القمر يذكر بشروق الشمس لعدم وجود الهواء فيه فاما نور ساطع حيث تقع أشعة الشمس وإما ظلمة دامسة حيث لا وجود للاشعة، وليس فيه ما بين ذلك . ويرى المشاهدون الصور في دقائق معدودة مما يرى لتلسكوب تتكون الا في ساعات . وقد أخذت الصور بمحل واحد في كل سنة تواً . وهي ترى شروق الشمس أسرع مما هو بالة شف

الاسراف في وقود السيارات

ظهر من مباحث الخبراء الميكانيكيين في اميركا ان درجة اتقان الآلات التي يوقد بها النار في السيارات لا تزيد على ٢٠٪ وبعبارة اخرى ان السيارات في اميركا توقد من البنزولين كل سنة ١٧ ألف مليون جالون ومن الغاز ٤٠٠ مليون جالون وان ما يقتصد لو أتقنت الآلات اتقاناً تاماً يبلغ ألف مليون دولار وهو يذهب الآن سدى

عمر الارض والشمس

آخر تقدير لعمر الارض هو تقدير السر أرنست رذرفورد العالم الطبيعي الانجليزي وهو ٣٤٠٠ مليون سنة . وقدر السر جيمس جينز الفلكي عمر الشمس بنحو ستة ملايين مليون سنة

نذر الحرب المستقبلة

قرأنا في مجلة انجليزية مقالة من قلم كاتب معروف كثير التطير بحروب المستقبل قدمت لها المجلة بقولها : « يشك الآن كثيراً في ان الحرب العظمى الماضية كانت أداة لمنع الحروب في المستقبل كما زعم كثيرون . فان الضمان الذي يحسن لنا حقيقة منع الحروب ادراك الناس انه ما من أمة تستطيع احتمال الحرب مطلقاً ومكروهة » قال الكاتب :

« سيكون الجو ميدان الحرب الحاسمة و غاز والنار السائلة والوسائل الكيميائية تحت الجو ، أو تجميده سلاحاً ما . وسيكون لامم التي تكون عندها أسرع الطيارات وأكثر معدات الهلاك السرية

« وستكون جيوش القارة فيها صغيرة لكن سريعة التنقل معدة للهجوم في الحال لا تكون ثمة فرصة للتعبئة والدفاع . وسيقتل فيها الملايين من الناس وتباد ثروة الدولة المهاجمة قبل شهر الحرب . وقد تنتهي الحرب بين يوم وليلة

« وقد ظهر في فرنسا والمانيا وحدها مجموعتين عملاً في وصف حرب مثل هذه وقصر الكتاب فيها كلامهم على حرب تكون أوربا ميدانها . وعندي ان انجلترا في خطر من هذه الحرب لا يقل عن الخطر الذي يهدد القارة لان خليج المانش فيه ليس أعظم شأناً من حدول صغير في الحروب القديمة وسيخون البحر انجلترا وقد كان الى الآن حليفها وصديقها الصدوق » الى ان قال:

« وستوجه الضربة الاولى الى المراكز الحيوية لمنع مقاومة الدولة المهاجمة بضربة واحدة فتحرق لندن أو باريس كما هما الآن في ساعة أو ساعتين وتقتل عشرات الألوف من السكان المتنبهة فتصرم الميران في ألوف المنازل دفعة واحدة . فاذا اضطرمت النيران وخرج الناس منها طالبي الفرار أمطرهم الطيارات قنابل غاز تقتل الواحدة منها الف رطل فتقذف عليها المنافس وتخنقهم التنفس ولو ساعة ، الكمامات فسوتون اختناقاً وقنبلة واحدة منها اذا وقعت في شارع من الشوارع قتلت كل عابر سبيل فيه »

غبار البراكين

لما ثار جديداً بركان فيزوف في ايطاليا سافت الريح سفحه بجهة رتبيه منه الى جوّ جنوب الباب وبقيت منظورة فيه مدة ثلاثة ايام فظن اولا انها سحاب او ضباب ولكن مرصد هيدلبرج اثبت انها رماد بركان فيزوف قذف بقوة الثوران الى اعالي الجو وبقي محمولا على اجنحة التيارات الهوائية العليا

ومنذ بضع سنين ثار بركان كراكاتوا قرب جاوه فاشتعل جو نصف الكرة الغربي رماداً بعد الثوران بضعة اسابيع وذلك ان الرماد حمل حول الارض فاذا وقعت عليه اشعة الشمس في مساء كل يوم كان يظهر محمراً بالانعكاس

الحرير الصناعي او رايون

بلغ الحرير الصناعي لكثرة شيوعه حتى صار من الاشياء التي لا نستغني عنها في ملابسنا كالقطن ومع كثرة ما يصنع منه لم تهبط مقطوعية الحرير الطبيعي عما كانت عليه وهذا من البراهين على ان الحرير الصناعي لم يكن من قبل . فتجارة الحرير الايطالي من اعظم التجارات التي من نوعها في العالم وقد كانت مقطوعيته سنة ١٩٢٨ اعظم منها في التي قبلها

ويؤخذ من احصاء ان أميركا تصنع ٩٨ مليون رطل من الحرير الصناعي في السنة وانجلترا ٥٠ وايطاليا ٤٥ والمانيا ٤١ وفرنسا ٣٠ وهولندا ١٦ والنمسا ١٥ وسويسرا ١٢ واليابان ١٢ وبولونيا ٧ . وبلغ مجموع ما صنع منه في السنة الماضية ٣٤٧ مليون رطل يقابله ٢٦٦ مليوناً في السنة التي قبلها . وقد قدرت أميركا ان تنتج الحرير الصناعي في المستقبل « رايون » وحذت انجلترا حذوها فوافقت على هذه التسمية

السرطان والراديوم

يبدي العلماء في كل مكان اهتماماً عظيماً بمكافحة السرطان بعدما أظهر الاحصاء ان الوفيات به تزداد بسرعة هائلة . في مؤسسة كوري بباريس تدأب عدام كوري مكتشفة الراديوم ليل نهار في الدرس والبحث

ومنذ مدة وجيزة أراد أهل أسوج أن يقدموا هدية الى ملكهم احتفالا بيوبيله فطلب الملك أن تجمع تبرعات من العي والفقير لشراء الراديوم ودرس السرطان بجمع مقدار عظيم من المال لهذا الغرض

على انه يخشى كثيراً ان ينفد الموجود من هذا المعدن الثمين لكثرة ما يطلب منه . ومعلوم ان معظم الراديوم جاء الى الآن من الكنغو البلجيكية حيث يوجد أغنى مناجمه . وكل مافي العالم منه الآن لا يملأ زجاجة حمر كبيرة . وقد عرفوا بعض مناجمه ولو لم يستغلوها بعد فانها منجم على جبل انفرست من جبال هملايا حيث يصعب الوصول اليه

قال كاتب انجليزي : « لو أمكن توزيع حرام من هذا المعدن على كل مليون من سكان انجلترا لما بقي بعيد ولبس من الصعب على كل مليون أن يجمعوا ١٢ الف جنيه ويشتروا بها جراماً من الراديوم أي أنه يصيب كل ٥٠ نسمة شيء واحد لا أكثر »

تصحيح الخرائط الاميركية

لا يزال في كثير من مدارس أميركا خرائط قديمة كثيرة الخطأ من حيث مساحة بلدان اميركا الشمالية والجنوبية ونسبتها بعضها الى بعض فهي تصور أميركا الجنوبية مثلاً أصغر بكثير من أميركا الشمالية مع أنهما كادتان تكونان متساويتين حجماً وتصور البرازيل نصف مساحة الولايات المتحدة في حين انها أكبر منها . وقد جعلت الحكومة الاميركية تتخذ التدابير اللازمة لتصحيح هذا الخطأ بعمل خرائط صحيحة بدلاً من الخرائط القديمة المستعملة الآن

شئون الدار

كبر العائلة وصغرها

قال كاتب انجليزي معروف في موضوع صغر العائلة واكتفاء بعض العائلات بابن واحد:

« أنا أبو ولد واحد وقد أكثر الكتاب من الكلام المفيد في هذا الموضوع حتى لم أر بدًّا من أن أقول كلمة صريحة فيه

« يقول بعض المسئولين الذين يتجهون هذا الموضوع ان الاكتفاء بولد واحد خطأ . وفي الحق لا أدري ما دخل الخطأ والصواب في هذا فان حجم العائلة يخص صاحبها دون غيره فما قول لأحد سوام فيه :

« أنا لست من الذين يسوقون المثل العلي للرحولة فان الحروب تركتني خلف ورائها ليست على ما يرام . وبعد ولادة ابني ظهرت عليه أعراض وراثة هذين المرضين . فجعت أمه وأمه بعني به مزيد عناية ليتقوى ويحرم أهلها أشياء كثيرة ليعيش في مكان قريب من البحر

« فهل ألام لأني أأبى أن يكون لي أولاد عبء في الاحوال التي وصفت . فلو كان لي ولد آخر ما استطعت أن أقوم بواجبي نحو عائلتي . وقد يكون هناك والدون على تمام الصحة ويرغبون في قصر قوام كلها على تربية ولد واحد وتجهيزه بكل ما يلزم لزفاف هذه الحياة فأني خطأ في هذه الرغبة

« ثم لا أدري لم تكون العائلات الكبرى أو من غيرها . والجواب عن هذا من جهة الحكومة ان كثرة الاولاد تزيد ثروة الامة وزيادة عدد المنتجين . ولكن من الحق أن ننتظر من العقلاء أن يهتموا بزيادة أولادهم زيادة تجعل منهم قوماً لا ينتجون شيئاً وأعني بهم العمال العاطلين

« وأرى انه من مصلحة الفرد والجماعة أن تعد الصفة على تركيبه بعد ذهاب الزمان الذي كان يحسب له حسابه ويربا تربية جماهير غير مفكرة لاستغراق دمائها في الصناعة والتجارة وسائر الاعمال واستهلاكها وقوداً للمدافع

« وأما قول البعض انه لا يحسن أن يحرم الولد رفقة أخ أو أخت فأساسه عاطفة قلبية لا تحسب حساباً للحقائق والوقائع . فان ابني لم يحرم ألفة رفاقاً يلعب معهم ويسر بشرتهم . فليس ثمة جيل الوحدة التي يزعمون . وقد تجد في القلما أحون أو أخاً وأختاً متفقين ، ولكن العالم ألا يكونوا كذلك بل ان يكونوا على خصام دائم

« فاذا شاء الناس ان تكون لهم عائلات كبيرة فليس هناك أقل مانع يمنع ان يكون لهم ما يشاءون ولكن ليتركوني وشأني فان ذلك خير لهم ولي »

ضرر الحمّام

الاستحمام بالماء البارد او الحار من أقدم العادات التي تعودها الناس وأصلها لصحة وأنفعها ولكن للحمّام أخطاراً كثيرة نذكر هنا بعضها :

١ الزلق على أرض الحمّام
٢ الدوار أو الاغماء
٣ داء النقطة
٤ السكتة القلبية
٥ الغرق في الحمّام
٦ الاحتراق بالماء الساخن
٧ الوفاة باستنشاق الغاز
٨ الوفاة من استعمال الماء الشديد البرد سواء كان من « الدوش » أو الحنفية او ماء النهر والانهار

هذا بعضها مما هو معروف عندنا ولكن الاخطار في أوربا وأميركا تزيد بسبب استعمال الكهربائية في الحمامات وغيرها من المخترعات الحديثة

والغالب أن يحدث الدوار أو الاغماء باستعمال الماء الحار ولا سيما اذا كان الانسان ضعيفاً واستحم بعد الطعام رأساً او في حالة التعب

والواجب على المصابين عرض قلبي أن يمتنعوا عن استعمال الماء الشديد البرودة أو الشديد الحرارة لأن القلوب المريضة لا تستطيع أن تكيّف نفسها على حسب التغيرات الفجائية التي تعرض لها

الاولاد المتشردون في روسيا

باتت بلدان العالم المتمدنة قريباً بعضها من بعض بواسطة التلغراف والتلفون اللاسلكي ، يخاطب الرجل صاحبه في صميم دقائق في حين أنه تفصل بينهما البرور الواسعة والبحور الشاسعة ، ومع ذلك فلا يزال نجهل حقيقة حال أهل روسيا في ظل حكومتهم البلشفية . وقد أتقن الروس طريقة التمويه والطلاء الخارجي فالذي يطلب الاذن في دخول بلادهم ويسمح له بذلك يرى جنة الله في أرضه . والذي يمقت البلشفية ومعتقداتها ومظاهرها الكاذبة يصورها بأحلك الألوان هي وكل ما يمت اليها بصلة ما

ولعل شر مشاكل روسيا طرًّا ما عدا فقد الحاجات الضرورية حالة الاولاد المتشردين الذين لا مأوى لهم ولا عائل يعولهم . فان الحرب العظمى وما تلاها من ثورات سببت بملايين اليتامى أو الذين افترقوا عن عائلاتهم فأكثرهم لا يعرفون أبويهم ولا يعرفون شيئاً عنهما . وكان عددهم منذ خمس سنوات سبعة ملايين

نعم ان مشكلة الاولاد اليتامى أو المتشردين صعبة في كل مكان ولكنها أصعب ما يكون في روسيا حيث عددهم هائل . وقد ظهر للحكومة البلشفية ان البيوت والاميرية ، التي دبرتها لايوائهم لا تفي بالمرام وما يزال الألوف المؤلفة منهم يعيشون بالسؤال وينامون في العراء ويهاجرون من مكان الى مكان تبعاً للهواء كما تصنع الطيور وبعض الحيوانات

ضرر الاكثار من الفواكه

يميل الانسان الى الاكثار من أكل الفواكه في فصل الصيف وخاصة اذا كان الطقس شديد الحر . ويظن الناس ان الاكثار من أكل كل شيء يحبونه لا يضرهم ولذلك فاذا كثرت الاثمار وضحت شهياتهم عمدوا الى الاكثار منها . وهذا الظن خطأ أو حمل الظن أثم كما يقول المثل . ويقين اجمالا ان الاكثار من أكل الفاكهة لا يضر ضرراً كبيراً ولكن ليس من الحكمة الاكثار من الفواكه ذات النوى . ومن الناس من يؤذيهم أكل ثمر ما كالعرارة مثلاً او يظهر طفح على جلدهم بعد أكلها . ومنهم من يصاب بالاسهال من أكل ثمر لا يؤثر في غيرهم أقل تأثير وهذا كله راجع الى فطرة خاصة بهم يسمى عند الأطباء « ايديو سنكراسي »

واذا كثرت الحوامض في عصر من أكل الفواكه ظهرت لها أعراض كتهيج في الحلق وحمو في اللسان وتقرح في الشفتين خاصة في الوجه وخصوصاً تحت الشعر وحول عنصي الخدين . وهذه تزول عن الايام ولكن الافلال من الاثمار يسهل زوالها

ويجب على الذين فيهم استعداد للروماتزم ألا يكثروا من الفواكه . وعلى الذين يحدون بالاحتشار منها لا تلائمهم أن يستشيروا طبيبهم في أكلها لأن بعضها يلائم في بعض الامراض الفيلية

نوم العافية

النوم عادي أو نوم العافية كما يسمى عادة يفقده أقل الاشياء فاذا كنت من الذين أصبت الطبيعة عليهم بهذا النوم ووجدت انك لا تستطيع النوم اذا كان الطقس حاراً فالغالب أن يكون سبب ذلك كثرة الملابس فانزعها واكتف بواحدة منها

ومن أسباب الارق الشائعة الاكل قبيل النوم . فلا تأكل شيئاً البتة بعد الساعة الثامنة مساء ولا تشرب شاياً ولا قهوة ولا مسكراً ما

وقد يحافظ المرء على هذه القواعد كلها ولا يجد النوم منقاداً عن عينيه في هذا الحال يجب عليه الاستلقاء لحالته الطبيعية . فاذا كان تلميذاً فلا يقصد سريره بعد الدرس مباشرة بل يستريح نصف ساعة قبل النوم وليقض الوقت في الحديث أو في قراءة قصة مسلية . وهذا ينطبق على غير الطلبة من أصحاب الاشغال الفكرية وإلا تغلب طالب النوم في سريره ساعات طويلة لأن دماغه مشغول وغير مستعد للراحة بعد

اللبن وسل الاطفال

جاء في احصاء انجليزي ان ٥٠ الف طفل دون الخامسة يموتون كل سنة بالتدرن الرئوي أو بالسل وان معظم الضحايا في ذلك شرب اللبن الجاف المكروب . ويقدر أن في لندن الآن نحو مليون بقرة مصابة بالتدرن وقد أثبت الطب أن سل البقر ينتقل الى الناس على أهون سبيل بواسطة شرب اللبن

وعليه أقام كبار الاطباء ضجة حول هذا الموضوع ونصح طبيب معروف لقومه بألا يسقوا أولادهم الا اللبن من درجة ٨ وهو نوع من اللبن المقطم والخالي من مكروبات السل . ولكن ثمن هذا اللبن ضعف ثمن اللبن العادي مما يجعله دون متناول الفقير وهو أكثر تعرضاً للداء من غيره . وقد ظهر من فحص عينات اللبن المأخوذ من البقر في مدن وقرى مختلفة ان ٦٠ الى ٧٠ في المائة ملوث لا يجوز أن يشربه الناس وخصوصاً الاطفال

العواطف والهضم

أبان احد مشاهير الأطباء بتجاربه ان كل عاطفة وشهوة من شهوات الانسان تؤثر في وظيفة الهضم كثيراً أو قليلاً . فالفرح والحزن مضران على السواء وخصوصاً في أثناء عمل الهضم لانهما يدفعان الدم من أعشية المعدة والبواب وعمل الهضم الطبيعي يقتضي أن يكون الوجود من الدم في تلك الأعضاء معتدلاً . ومعنى ذلك انه يجب على الانسان ألا يأكل وهو مغتم أو خائف او عصبان أو حاقد أو طرب من الحب الى آخر ما هنالك . وخير الطرق للخروج من هذا المأزق وارضاء المعدة هو أن يأكل الانسان وهو لا يفكر في شيء ولا يتحرك لشيء

أنواع الزكام والانفلونزا

يقال الآن إن أنواع الزكام والانفلونزا تزيد على المائة عدداً وكل منها له ما يميزه به ويختلف عن مكروب آخر وقد لاحظ كثير من الاطباء أن أنواع الزكام تسير وتتبدل من وقت الى آخر ومنها ما يكون شديداً ومنها ما يكون معتدلاً ومنها ما يصحبه سعال ومنها ما يكون أشد أعراضه الصداع ومركزه الرأس أو العينان والاذنان

جزم السيدات والافاعي

آخر موضة لجزم السيدات في لندن جزم مصنوعة من جلد الثعالي أو الاورال . وهذا الجلد يؤتى به من نوع من الثعالي يكثر وجوده في بنغال الهندية . وقد أدت كثرة قتل هذه الزحافات الى كثرة الافاعي والثعابين هناك لأن الثعالي تعيش في الأكثر على صغار الافاعي وعلى بيضها . ولذلك هبت حكومة بنغال تفكر في الامر وتتخذ التحوطات لمحو فناء الثعالي لانها سوى كونها مطلوبة لجزم السيدات

الخط والبصر

فحص ٧٥٠٠ طالب من طلبة مدرسة على الصحة التابعة لكلية مدينة نيويورك منذ سنة ١٩٢٤ الى الآن فوجد أن ٤٢ في المائة منهم مصابون بنوع من الخلل في عيونهم . وقد علق مدير المدرسة على نتيجة هذا الفحص بقوله: « ان بعض الانسانيه تشبه الفرقة المطلعة في آلة التصوير عين قصير البصر لا ترى الاشباح جلية إلا إذا أديرت منها وعين طويل البصر على الضد من ذلك لا تراها واضحة الا اذا أبعدت عنها مسافة معلومة . واذا أخذنا خط وحل صحيح البصر مستقيم بخطوط كان خط قصير البصر أصغر منه وخط طويل البصر أكبر . على أنه قصير البصر لا يشعر بأن خطه صغير لأنه يراه مكبراً ، ولا طويل البصر بأن خطه كبير لأن هيبته تصغرانه له . ولذلك فان صغر الخط وكبره قد يضحيان في السفل صفة مميزة للامم بعضها عن بعض . وفي أوربا حيث قصر البصر شائع نجد متوسط الخط صغيراً كحرف الطبع العادي . وفي بعض أنحاء اميركا حيث كثير من الناس مصابون بطول النظر نجد متوسط الخط أكبر من المعتاد »

والطلبة الذين يدخلون المدرسة المذكورة الآن يفحص بصرهم بآلة تسمى « سكياسكوب » يلقى بها شعاع من النور في داخل العين فيساعد على قياس درجة الخطأ في انكسار نور العين . ويقال ان هذه الطريقة تظهر خلل البصر الى حد لا يتيسر بالوسائل الاخرى

في عالم الأدب

اجتمع لدينا في أشهر الصيف الماضية طائفة من الكتب الجديدة فأحببنا أن نهديها الى القراء . وفي الحق اذا قيست بهمتنا الادبية بعد الكتب التي نؤلفها أو نترجمها فانها تكون بهمة سائرة صحيحة تبقى بخير كثير . ولكن النهضة الادبية الصحيحة لا تقاس بالكم بل بالكيف ، ولا بعدد الكتب بل بنوعها وصفتها . وبخاصة اجمالا ان هذه الكتب الكثيرة التي اجتمعت عندنا في شهرين أو ثلاثة هي قيمة إلا القليل منها . وسنشير الى كل منها بما وسع المقام

النجوم الزاهرة

في ملوك مصر والقاهرة

هو من الكتب المختارة التي تصدرها إلى العالم العربي دار الكتب المصرية بعد أن نؤلفه جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي المولود في القاهرة حوالي سنة ٨١٣ هـ الموافقة أوائل القرن الخامس عشر م . وهو تاريخ لمصر مرتب على السنين بدأه مؤلفه بفتح عمرو بن العاص لمصر سنة ٢٠ هـ (٦٤٠ م) وانتهى الى سنة ٨٧٢ هـ . وقد ذكر فيه من ولي مصر من الملوك والسلاطين والنواب ذكراً وافياً مع ذكر ملوك الاطراف بطريق اجمالي . وبين أيدينا الجزء الاول منه . ويليه الجزء الثاني وهو يبتدىء بذكر ولاية يزيد بن حاتم على مصر كما انتهى هذا الجزء بولاية حميد بن قحطبة سنة ١٤٤ هـ في أوائل عهد الدولة العباسية

وطبعه وورقه في غاية الاتقان كسائر ما تصدره دار الكتب وثمنه ١٠ قرش

فلسفة اللغة العربية

للاستاذ جبر ضومط

ألف هذا الكتاب في فلسفة اللغة العربية الاستاذ جبر ضومط أستاذ اللغة العربية وآدابها سابقاً في جامعة بيروت الأميركية . وهو مجموع مقالات في تاريخ اللغة العربية ونهضة الأقوام المتكلمين بها وفلسفة نشوئها و « تطورها » ووسائل ترقيتها . وقد سبق أن نشرها في مجلتي المقتطف والهلال بين سنة ١٨٨٨ وسنة ١٩٢٨ . وهي من الافادة والاجادة كسائر ما يصدره الاستاذ نعما الله سعيه ومدّ الله في أجله ليخدم العربية وأهلها

فاوست

فاوست مأساة لجيتي شاعر ألمانيا الكبير ، نقلها الى العربية الاستاذ محمد عوض محمد الاستاذ المساعد بكلية الآداب في الجامعة المصرية وسمى

الشاعر المؤلف « عوتيه » ولعل هذا هو لقط اسمه بالأنانية، أما الانجليز فيقولون « حيتي » وهذه هي أول مرة نرى فيها هذه الأسماء المشهورة منقولة الى العربية. ولها مقدمة بقلم الاستاذ طه حسين قدم فيها العرب الى القراء وعنى الشاعر الألماني وجوته. وقد ذكرنا هذه الصور الثلاث دليلا على شدة حاجتنا الى مرجع نجد فيه يوحد لنا الاعلام الغربية حتى لا يطهرلن يقرأ اسم الشاعر الألماني على ثلاث صور أنه ثلاثة أشخاص. وكان الأمر معقوداً بالجمع اللغوي للوعود الذي سمعنا عنه كثيراً ثم نسمع قال كل ما كان له من أثر

ويظهر لنا من تقليب صفحات الكتاب عما وسعنا من الوقت ان الترجمة دقيقة مضبوطة ولا بد أن تكون كذلك مادامت قد وزنت على نسمه الأصلية وقورنت بالنص الفرنسي كما نقول مترجمها

وقد أصدرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر وثمن النسخة ١٢ غرشاً

جمهورية افلاطون

أفلاطون فيلسوف يوناني عاش في القرن الرابع قبل المسيح وهو تلميذ سقراط ومعلم أرسطو ومن أشهر آثاره الفلسفية كتاب الجمهورية وقد ترجمه إلى العربية عن الأنجليزية الاستاذ حنا خباز. وهو عشرة كتب مختلفة موضوع الاول العدالة. والثاني المدينة السعيدة. والثالث دستور المدينة. والرابع الفضائل الأربع. والخامس المسألة المدنية. والسادس الفلاسفة. والسابع الملك. والثامن الحكومات الدنيا. والتاسع الستبد. والعاشر التقليد والجزاء

وهو على طريقة السؤال والجواب التي اشتهر بها أفلاطون. وصفحاته نحو ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير. ولاريب ان الكتاب جدير باطلاع الذين يحاولون الفلسفة اليونانية القديمة على العالي الذي يليق بها. والفيلسوف افلاطون وعيمها قد لا يتقدم عليه في هذه الزعامة الا أرسطو تلميذه ومؤدب الاسكندر ذي القرنين

التربية الوطنية

صفحات في تاريخ مصر

كتابان من تأليف حضرة الفاضل توفيق حامد المرعشي وكيل في الآداب. ومن مباحث الأول الاجتماع الانساني وعلم الاجتماع وعلم سياسة المدن والدولة وحكمه والشعب والأمة والدولة والحكومة وحقوق الافراد وواجباتهم والسلطة التنفيذية والقضائية ومصر ومركزها وحياتها السياسية والاستقلالية وغيرها من المباحث الاجتماعية والسياسية القيمة

ومن مباحث الثاني مصر في الصور القديمة والاسلامية والحديثة في القرنين التاسع عشر والعشرين وعصر الخديوية والاحتلال البريطاني وفيه كثير من الصور والخرائط

الطبيب والمعمل

مؤلف فني ضخم متقن لمؤلفه الفاضل

احمد زكي ابو شادي ومن مباحثه الأمراض الطفيلية والبسطاريا التيفية والحمى التيفوس والدفتيريا وأمراض العين والجلد والفم واللثة والتهاب والصمات الطبية للكتيريا الى آخر ما هناك من المباحث الدقيقة الكثيرة التي لم نذكر منها الا هذا القليل للدلالة على موضوع الكتاب فقط. وهو كثير الصور واللاحظات والتعليقات وفيه ملحق تصويري مشروح أتم شرح . وله مقدمة من الاستاذ الدكتور محمد عبد الخالق أستاذ علم الطفيليات في كلية قصر العيني . وقد أهداه مؤلفه الى سعادة الدكتور محمد شاهين باشا وكيل وزارة الداخلية للشؤون الصحية والاستاذ الدكتور علي بك توفيق شوشه وكيل مصلحة الصحة العمومية

كتاب الاعتبار

لأسامة بن منقذ

كتاب بالانجليزية عنوانه ماترجمته : « اديب ومقاتل عربي سوري في عهد الصليبيين » . ترجمه من النسخة الخطية الاصلية الدكتور فيليب حتي السوري من أساتذة جامعة برنستون الأميركية . وقد سبق أن ترجم بعض الكتب العربية النادرة فله ولع من اتقان ترجمته له أن صار اسمه علماً بين المستشرقين في أميركا وأوربا. وقائمه في أواسط القرن الثاني للمسيح وفيه ذكر عطوة أسامة للفرنجة وأقامته بدمشق وتزوجه الى مصر وعودته الى دمشق وحروبه وصيده وقنصه وما سوى ذلك

وهو مطبوع أجمل طبع وصدر في ١٥ سبتمبر الماضي وثمنه ٤ دولارات ونصف . وقد تولت اصداره مطبعة جامعة كولمبيا بنيويورك

الحياة العقلية

أو دروس في علم النفس

كتاب البروفسور وودورث أستاذ علم النفس في جامعة كولمبيا الأميركية نقله الى العربية الاستاذ احمد سمير الحالدي مدير الكلية العربية (دار المعلمين) في القدس وأستاذ التربية فيها وأحد مفتشي معارف فلسطين سابقاً. وهو من الكتب التي تستحق الدرس والعناية على سعة مادته وما عاني من الشقة في الاهتداء الى المصطلحات العلمية التي لم يكن منها بد في موضوع بحث مثل هذا . وقد قال في مقدمته : « وقد لا يوافقنا بعض علماء اللغة والبيكولوجيا في العالم العربي على بعض الاصطلاحات » واعتذر عن ذلك « بعدم توحيد هذه الاصطلاحات وشيوعها وفقدان المرجع »

وختم مقدمته بهذه الأمنية . « وعسى أن يتمكن المختصون للغة العربية من العلماء من ايجاد حل لهذه الفوضى اللغوية التي نحن الوقت لان يوضع حدٌ لها »

العقد

اسم ديوان شعري للعالم الشهير واللغوي المحقق المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي صدّر بترجمته نقلا عن الجزء الخامس من السنة الخامسة عشرة من مجلتنا الهلال أي سنة ١٩٠٧ وهي السنة التي توفي في أولها الشيخ ابراهيم في هذا القطر ودفن فيه . وهذا الديوان يحتوي على بعض أقواله من منثور ومنظوم وكله بخط يده ومنقول بالزنكوغراف رحم الله الشيخ ابراهيم عداد حسناته الله العرب

رحلة تاريخية

إلى أميركا الجنوبية

كاتب هذه الرحلة حضرة الخوري بطرس الصدراني المرسل للاروس في البرازيل وقد ألفه فيها وطبعه في مطبعة أبو الهول بمدينة سان لوئيز وقسمه خمسة أقسام تحت كل منها أجزاء وفي كل جزء مقالات في كل ما شاهده في طريقه من سورية إلى البرازيل وما علمه على مشاهداته من الحوادث التاريخية والدينية في أوربا ومقالات في البرازيل وكل ما يتعلق بها

الجيولوجيا

ألف هذا الكتاب الدكتور حسن صادق وكيل مصلحة المناجم والمحاجر وقد وضعه كما قال في مقدمته : « ليسد فراغاً طالما أحسّ به المشتغلون بالعلوم الطبيعية وأريد به أن يتمشى في حدود البرنامج الذي وضعته وزارة المعارف العمومية لدراسة الجيولوجيا كفرع من فروع التاريخ الطبيعي في المدارس الثانوية »

وقد قررت وزارة المعارف تدريسه في المدارس الثانوية وهو حافل بالرسوم الجيلة حسن الطبع ثمن النسخة ٣٠ قرشاً

خطط الشام

أهدى الينا الجزء السادس من هذا الكتاب لمؤلفه الفاضل الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق الشام . ومن موضوعاته منشأ الأديار والبيع والجوامع والكنائس والمدارس في دمشق وحلب والقدس وسائر القطر الشامي والمستشفيات والبيمارستانات ودور الآثار والمتاحف والمذاهب الاسلامية والمسيحية وغيرها في جميع أنحاء الشام . وهو كالأجزاء التي سبقته في جلالته وابتكاراته ويزيد صفحاته على ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير

كيف أربي طفلي

على طريقة فروبل ومنتسوري

أخرج هذا الكتاب الاستاذ حسن عبد الوهاب لبابه في التربية والآداب . والسيدة عزيزة خليفة خريجة جامعة شلتنهام باجلترا فتخصص في رياض الاطفال . وهو يبحث في نظافة الاطفال وأكلهم ونومهم وملبسهم ولعبهم وآدابهم واخلاقهم وعقائدهم وسائر ما هو داخل في هذا الباب . وقد أهدياه إلى أصحاب السمو الملكي الأمير فاروق والأميرات شقيقاته

قيثارة الشباب

وهي مجموعة قصائد ومقالات للأديب بدوي سليم مركوح من الشان السوريين المهاجرين الى أميركا الشمالية . وقد صدره بمقدمة اقتبس فيها عبارة لهربك هيني الشاعر الالماني في مزية الشعر قال فيها: « لست على يقين مما اذا كنت جديراً ما كليل من الغار عند موتي أحب الشعر وأحن اليه من أعماق نفسي فالشعر كان لي دائما لعة سماوية . غير اني ما حفلت يوماً في حياتي بالشهرة الشعرية وسيان عندي أستحسن الناس أشعاري أم استهجنوها ولكن صمموا على نفسي حماماً لاني كنت جندياً باسلا في حرب الحرية العسكرية »

ويلي ذلك مقدمته وخطرات في الشعر ثم مقالات وقصائد وجيزة في مقاصد شتى

الخالدات

يتضمن الجزء الاول من حياة المسيح بقلم الفيلسوف الايطالي الشهير جوفاني باپيني ترجمه عن الانجليزية الارشمندريت اسطوبيوس السوري . وفيه ترجمة للفيلسوف المنشىء ومقدمة طويلة ثم كلام باپيني عن حوادث الانجيل وأماكنه مثل المغارة التي ولد فيها المسيح والرعاة والمجوس وهيرودس والهرب الى مصر وعظة المسيح على الجبل وبعض عجائب المسيح

ويلي هذا الجزء الجزء الثاني وفيه استئناف للكلام عن أمثال المسيح وعجائبه

دليل الفالحين

لطرق رياض الصالحين

تأليف محمد بن علان الصديقي الشافعي الاشعري المكي المتوفى سنة ١٠٥٧ هـ وقد وضع بأعلى كل صفحة ما يخصها من كتاب رياض الصالحين للامام أبي زكريا محي الدين النووي . وهو الجزء الرابع من الكتاب عنيت بنشره جمعية النشر والتأليف الازهرية

أزجال أبو بثينة

أهدى الينا حضرة محمد افندي عبد المنعم المكي « أبو بثينة » الجزء الثاني من أزجاله الرقيقة وله مقدمة من قلم الكاتب الظريف حسين شفيق المصري وقد شبهه في مقدمته بداتي شاعر ايطاليا في عصر النهضة العلمية كما مثل دانتي في أوائل عصر النهضة الاوربية وكان الشعراء قبله والكتاب ينظمون ويكتبون باللاتينية القديمة

فرنسا وسورية

الجزء الثاني

هذا الكتاب من تأليف الاستاذ حنا خباز أصدره تتمة للجزء الاول الذي نشره منذ مدة وجيزة وجعل موضوعه تعداد خطايا الموظفين الفرنسيين في سورية ويليه الجزء الثالث فالرابع وفيهما انتقاد السياسة الفرنسية ورجالها في سورية

للتربية بالقصص

لمطالعات المدرسة والمنزل لمؤلفه حامد القصبي المهندس وفيه مايزيد على أربعين من القصص والحكايات المفيدة لمطالعة الاولاد

بين العلماء والقراء

استواء سطح البحار

﴿ دنبري ـ أميركا ﴾ تقولا جبر

قال قائل إن سطح المحيط الاتلانتيكي وسطح المحيط الباسيفكي غير متساويين وان هذا هو الحال في سائر البحار فما قولكم ؟

ومنه : ما هو سبب المد والجزر ؟

﴿ الهلال ﴾ لا بد لي الجواب عن السؤال الاول من وضع السؤال الثاني منه لأنهما متداخلان . وجواباً عنهما نقول : انه لولا المدّ والجزر لكانت سطوح البحار كلها مستوية تماماً لجاذبية مركز الارض هذا . ولكن المدّ والجزر يجعلانها غير متساوية لأن سبب المد والجزر جذب القمر للارض فلذا حدث مد على الارض في الوجه المقابل للقمر ارتفع ماء هذا الوجه وحدث جزر أي انخفاض الماء وانحساره شيئاً في الوجه الآخر

أشعة رونتجن لمعالجة الصلع

﴿ البرازيل ﴾ خليل مراد

قرأنا في بعض الصحف ان أحد الاطباء عالج الصلع بأشعة رونتجن فجاء ذلك نتيجة حسنة . فهل هذا صحيح

﴿ الهلال ﴾ قرأنا ذلك مثلكم ولم نجربه . وعندنا مثل قديم وهو « اقرأ تفرح جرب تحزن » ، ولكننا نعلم أن أشعة رونتجن أو الراديوم والاشعة التصحية تحط أنظار العالم في استعمالها علاجاً لكثير من الامراض وفي احياء الشعر الضعيف البصيلات ولكننا لم نر أحداً عاد شعره فنا على أثر هذا العلاج

البول السكري

﴿ . . . ﴾ مسقط

ما هو سبب المرض المعروف بالبول السكري وما هو العلاج الناجع له . وهل يشفى المريض تماماً بعد العلاج

﴿ الهلال ﴾ سبب البول السكري خلل في وظيفة البنكرياس أو الكبد وهو يعالج بالانسولين اذا كان الخلل في الاول وبالحمية اذا كان في الثاني وانكم ما زلتم تسمعون الآن عن الوفيات به كما كنا نسمع في الماضي . والحق بالانسولين يجب أن يكون مستمراً ومعنى ذلك أن المريض لا يشفى تماماً

الاسم والاستقلال

﴿ ومنه ﴾ .

ما هي المؤهلات التي تؤهل الامم للاستقلال والاحتفاظ به ؟

﴿ الهلال ﴾ العلم والاخلاق . فكل امة تطلب العلم وتتحلى بالاخلاق الغالبة التي هي ثمرة ذلك العلم قمينة بأن تكون مستقلة وبأن تحتفظ باستقلالها ابد الدهر

عمر اللغة العربية

﴿ ومنه ﴾ . . .

كم عمر اللغة العربية على هذه الارض ؟

﴿ الهلال ﴾ هذا سؤال لا يمكن الجواب عنه بالضبط لأنا لا نعرف اول من تكلم باللغة العربية ومتى عاش . وكل ما نعلم على سبيل التقريب ان سيدنا ابراهيم هاجر من أور الكلدانيين الى فلسطين قبل التاريخ المسيحي بنحو ألفي سنة وكان في فلسطين يتكلم العرابية. وكتاب العرب يقولون ان اسماعيل ابنه اول من تكلم العربية وانه تعلمها بالوحي على ما في كتاب البيان والتبيين للجاحظ. اما كبار المؤرخين من العربيين فانهم مجمعون على ان اللغة العربية قديمة كأهلها ولكنهم لا يقدرون هذا القدم ولا يمكن عاقل تقديره . ولا يعلى على العارف بالتاريخ ان اسماعيل جد العدنانيين وقد كان المحطانيون قبلهم وعلمهم اول من تكلم بالعربية

مقابلة بين المدارس المصرية

﴿ روض الفرج . مصر ﴾ علمت ابراهيم اي المدارس افضل لتربية النشء علميا واخلاقيا ، مدارسنا على حالها ، أم المدارس الاجنبية المنتشرة في مصر ؟

﴿ الهلال ﴾ اما علميا فلا فرق بين المدارس المصرية الاجنبية والمدارس الاميرية لان الاولى خاضعة لتفتيش المعارف الا القليل منها وهذا القليل المستقل حسن في الزمان الاخير بشيء فيه فرعاً خاضعاً لتفتيش المعارف ترغيباً للاهالي في ادخال ابنائهم اليها . والاهالي يقصدون المدارس الخاضعة للتفتيش ولا سيما الذين جعلوا نصب عيونهم وظائف الحكومة . فالمدارس كلها سواء ، من الوجهة التعليمية

أما الوجهة الخلقية فلا نقول لنا فيها رأي سوى ان هذه وتلك تخرج أحسن التلاميذ أخلاقاً وأفسدها فاطلب المصدر

عزة غريبة

﴿ حيفا . فلسطين ﴾ ع . ف .

ما قولكم في عزة عمرها سنتان تعرف لغتنا وبعضها اصابها كباقي الناس مع العلم انها بكر لم تحبل ولم تلد بعد ؟

﴿ الهلال ﴾ اذا صح وجود عزة مثل هذه فهي من خوارق الطبيعة وشذوذها الكثيرة كالبكر ذي التدبين والحمى وعرف النوائم . ومع ذلك فالغالب ان تكون هذه البرة قد ولدت وان يكون اصحابها قد نسوا ذلك

السوريون

﴿ ريو دي جانيرو . برازيل ﴾ جبرائيل وورد حليمه

نرجو ان تحيدونا عن عدد ابناء العرب بالعالم . وهل من وسيلة لتشويق المهاجرين منهم الى الرجوع الى اوطانهم ؟

﴿ الهلال ﴾ لا ريب انكم تريدون « بأبناء العرب » السوريين وعددهم من حلب شمالا الى فلسطين جنوباً ومن حدود العراق شرقاً الى بحر الروم غرباً بين مليونين وثلاثة ملايين في اعظم تقدير

والواسطة الوحيدة لتشويق المهاجرين منهم الى العودة الى وطنهم انما هي وجود حكومة في بلادهم تضمن لهم النظام والحرية والعدل ووجود باب واسع للرزق

أفضل قاموس

﴿ البرازيل ﴾ خليل داود راشمة

أي قاموس احسن في اللغة العربية ومن هو

صاحبه وفي أي مكتبة يوجد؟

﴿ الهلال ﴾ اذا كان المراد باحسن قاموس في اللغة العربية فهو « أقرب الموارد » للشرتوني وهو معجم جامع يفوق غيره في ترتيبه وسهولة التفتيش عن الكلمات العربية فيه وهو يوجد في جميع المكاتب

موسوليني ومصطفى كمال

﴿ مريانا ـ الكسليك ﴾ الياس مليس

كثير من المجلات والجرائد الاميركية التي أطلع عليها أحد فيها كلاماً كثيراً وصوراً كثيرة لرجل ايطاليا العظيم موسوليني حتى انها تكثر من صوره . ولا أحد شيئاً عن مصطفى كمال رجل تركيا مع أني أعتقد أن ما قام به هذا لا يقل عما قام به ذاك . فلماذا هذا وما الفرق بين سياسة الاثنين ؟

﴿ الهلال ﴾ لعل السبب ان حضرتك مقيم في بلاد لفتها قريبة من الايطالية في حروبها مع ايطاليا أولا تبني وهو بكر حروبه تركيا أشد كره فلذلك يعظمون موسوليني ويسمون أوبناسون مصطفى كمال . والرجلان مصلحان ولكن مقام ايطاليا في العالم ليس كمقام تركيا فلا عجب اذا سمعت الشيء الكثير عن الاولى ولم تسمع شيئاً عن الثانية . ولسنا نرى فرقاً بين سياسة الرجلان الاجتماعية فكل يطلب اصلاح بلاده وكل ينهج منهجاً خاصاً به في طلب هذا الاصلاح ولكن بما يرفع موسوليني شأن الكاثوليكية بمصلحة البابا يسعى مصطفى كمال الى إضعاف الاسلام في تركيا . وأما السياسة العالمية فايطاليا يجب لها أعظم حساب فيها نظراً الى مركزها وعدد سكانها ورقيهم وجيشها وتقدم التعليم فيها وأما تركيا فشأنها قليل في السياسة العالمية لأنها ضعيفة في كل ما ذكر

بعض المصطلحات البحرية

﴿ اليوم . مصر ﴾ عبد العزيز افندي عبد الحي بوليس الضحانة

ما الفرق بين الاسطول والمدرعة والمدمرة والطراد والتوربيدوط والنسافة والغواصة والطوربيد . ومن أي لغة عربت هذه الكلمات؟

﴿ الهلال ﴾ الاسطول أو البارجة نجوع السفن الحربية . والمدرعة السفينة الحربية الكبرى المصفحة بالصلب والمجهزة بمدافع من عيار معين. وقد أطلق عليها اسم الدريدنوط ومعنى هذا الاسم « لا يهاب أحداً » وكان في الاصل اسم بارجة أو مدرعة من مدرعات الاسطول البريطاني ثم أطلق على كل مدرعة كبيرة . ولما تفاضلت الدول في صنع المدرعات صيرت أكبر طرز منها سوبر دريدنوط أي فوق الدريدنوط

والطراد يكون عادة أخف دروعاً من سابقيه لأن المدرعات لا يوقى منه السرعة ثم المقاتلة

والنسافة سفينة حربية صغيرة اعدت لحمل التوربيد وهي أخف المدرعات والغواصة مثلها ولكن الغواصة تستطيع الغوص تحت الماء فلا يبقى ظاهراً منها سوى أسوبة للمراقبة تسمى عين الغواصة . والمدمرة مثل النسافة والفرق بينهما في لا يهم كثيراً الاطالة فيه . والتوربيد اسطوانة حديدية طويلة محدبة تحوي مواد متفجرة تطلق بمكنون والغاية منها نسف السفن الحربية والتجارية التي للعدو في زمن الحرب

وهذه الالفاظ منها ما هو عربي أصيل اصطلاحي كالمدرعة والمدمرة والطراد والنسافة والغواصة ومنها ما هو معرب كالدريدنوط والطوربيد . وفي كتاب البيان والتبيين للجاحظ كشف لعدد الحرب البرية والبحرية التي كانت للعرب كالمنانة والحراقة وغيرها فتراجع في مكانها

من هنا وهناك

ساعة يديرها الطقس

في مدينة زوريخ ساعة ملئت منذ سنة وما تزال دائرة الى الآن وليس لها مفتاح أو شيء آخر يدير حركتها الا اختلاف الحرارة في الهواء في الليل والنهار. واختلاف الحرارة فيها درجتين كاف لادارة آلتها الشبيهة بالترمومتر وهي مضبوطة فوق كونها تدور بلا انقطاع

الغرامة الالمانية

كانت المانيا تدفع الى الحلفاء بموجب مشروع داوز ١٢٥ مليون جنيه كل سنة غرامة حرب الى أجل غير مسمى ولكنها بموجب مشروع يونج ستدفع ١٠٠ مليون جنيه على التوسط مدة ٣٧ سنة ونحو ٨٠ مليوناً مدة ٢٢ سنة أخرى. وستدفع في السنة التي أولها مارس القادم ٨٥ مليون جنيه ويزيد ما تدفعه سنة فسنة حتى يبلغ ١٢١ مليوناً سنة ١٩٦٦ ثم ينقص الى نحو ٨٠ مليوناً حتى سنة ١٩٨٨. وفي السنوات الثلاث التي تليها يهبط ما تدفعه كل سنة الى ٤٦ مليوناً. فاذا كان عمر قارىء هذه السطور ١٥ سنة فان دفعات المانيا لا تنقضي حتى يبلغ عمره ٧٤ سنة

ومن سنة ١٩٢٩ الى ١٩٦٥ يتلقى انجلترا من هذه الغرامة كل سنة تقريباً ٢١ مليون جنيه وفرنسا ٥٢ وإيطاليا ١١ والبلجيك ٨ وأميركا ٣ واليابان أكثر من نصف مليون ويوجوسلافيا أقل من نصف مليون ورومانيا مليون وبرتغال ٦٠٠ ألف واليونان ٣٥٠ ألفاً وبولونيا ٢٥ ألفاً. أما انجلترا فتدفع الى اميركا ٣٦ مليوناً كل سنة لاءاء دينها عليها وفوائده وستدفع لها آخر دفعة سنة ١٩٨٤

ملكية الهواء

يصعب أن يتابع حركة الطيران والعبارات سيسعو في مستقبل قريب الى التناحر ورفع القضايا في مسألة ملكية الهواء ما لم يوضع تشريع خاص بها كالتشريع الخاص بآثار الملكيات. فقد روت الصحف الانجليزية ان عالمين كانا قالوا يتساءلون قائلين: واذا اشترى رجل قطعة أرض وأراد أن يبني عليها بناء شاهقاً كواطح السحاب الاميركي، فكم طبقة يجوز له أن يرفع؟ والى أي مدى يجوز له أن يصل علواً؟ وهل يجوز له أن يبيح للساحات الهوائية فوق بنائه لمن يريد أن يبني محطة للعبارات يمر منها على سطح البناء؟» وقد كان سبب هذا التساؤل ما ورد من نيويورك وشيكاغو وهو ان اصحاب واطح السحاب فيها سيبيعون المساحات

الهوائية التي فوق أميركا لبعض شركات الطيران وانه لا بد لذلك من سن قوانين تقرر ملكية الهواء الذي فوق المنازل

دواء العث

في السوق ألف دواء للعث وليس بينها دواء واحد ينفع ولكن اخترع في اميركا دواء ناجح له وأعلنت مصلحة الزراعة الاميركية الى الاهالي انه خير دواء للعث ونصحت لهم باستعماله وهو يباع في جميع الاحراسات الاميركية واسمه « بارادكلوروبنزين » على شكل بلورات بيضاء ويتبخر بسرعة على درجة الحرارة العادية وتتكون من تبخره هذا غاز أثقل من الهواء لا يؤذي الانسان بل يقتل العث وغيره من الحشرات ولا يضر بالملابس . وهو شبيه بالمثالين المعروف وكلما كان محصوراً كان فعله أشد . ومعلوم عن العث ان فراشه الطائر [illegible] لا يأكل شيئاً ولكنه يبيض في الملابس [illegible] فقس بيضه فان الدود هو الذي يأكل الملابس

تعليل صمم الصم في الدور

عرف منذ زمان طويل ان الصم الذين لم يفقدوا سمعهم تماماً أحسن سمعاً لأصوات الذين يخاطبونهم في الدور منهم في الطعمة وقد علمت ذلك فتاة منهم تقول . واننا دائماً في الدور نرى شفاه الذين يخاطبوننا وسائر حركاتهم وسكناتهم ولا نستطيع ذلك في الطعمة »

حبر أقوال المسيح

منذ ثلاثين سنة كان رجلان من علماء الآثار الانجليز ينقبان عن الآثار في الصحراء المصرية على بعد ١٢٠ ميلاً من القاهرة جنوباً فعثروا على جرائد عتيقة رميت في أوائل التاريخ المسيحي ووجدوا فيها قطعاً من البردى كانت جزءاً من انجيل مفقود على ما يظهر وفيها أقوال منسوبة الى السيد المسيح وهي ليست في الاناجيل منها :

قال يسوع : « ما لم تجعلوا السبت سبتاً حقيقياً فلن تروا الآب »

قال يسوع : « حيث يجتمع اثنان فالله معهم . وحيث يكون واحد فأنا معه . ارفعوا الحجر وهناك تجدوني . وشقوا الخشب وأنا هناك »

قال يسوع : « لا ينقطع الطالب عن الطلب حتى يجد . واذا وجد دهش وفرح . واذا دهش وصل للملكوت واذا وصل للملكوت استراح

« ان ملكوت الله فيكم وكل من عرف نفسه وجدها فيه . ان عرفوا أنفسكم فتعلموا انكم أبناء الآب وأنكم في مدينة الله وأنتم المدينة »

على ان هذه الاقوال لها شبيهها في الاناجيل فكأنها عرفة عنها وليست جديدة في رأيها

الصابون وعلمه

عرف منذ القدم ان رماد الخشب والفحم يزيل الدهن عن الأيدي فيكون الرماد أول صابون عرف ونبق كذلك الى عهد سحيق . وكان الرومانيون أول أمة متمدنة عرفت صنع الصابون . اقتبسوا طريقة صنعه عن البالبين الذين كانوا يصنعون صابونهم مزيجاً من الرماد وشحم الماعز يستعملون به شعورهم ولحاهم فتصطبغ بلون أحمر كان عندهم علامة الوقار . وما يزال الصابون يصنع في بعض جهات الارض الآن كما كان يصنع في عهد الرومانيين

أكل اللحم والنقول في انجلترا وأميركا

ظهر من بحث الاحصائيات في أميركا ان استهلاك اللحم نقص ٤٥ في المائة عما كان منذ عشر سنوات وان استهلاك الخمر زاد ١١٠ في المائة . ويؤخذ من أقوال العارفين من الانجليز أن أكل الانجار وبقول « السلطة » كالخس والكرنب وسائر البقول أكثر مما كان قبلاً ، وان اكل اللحم أقل ، وان كثيراً من الانجليز يقتصرون في وجبة من وجباتهم على الانجار ، وغيره لا يأكل اللحم وحده في وجبة ما ، بل يأكل اللحم والبقول معاً . وهذا في الربيع والخريف . أما في الشتاء فيكثرون من اكل اللحم كما في الزمن الماضي

ولكن « السلطة » الزائدة هنا ليست سلطة البقول الصرفة لان الانجليز يضمون الخردل على أنواعه سلطة مثل مايونيز الخس وسلطة السومون (نوع من السمك) وغيرها

قانون حظر المسكرات في أميركا

قانون حظر المسكرات في أميركا معروف . وأميركا وكل حكومة تقوم فيها سنحصل دائما تأييده ومكافحة المسكرات ما دام في الارض أميركي . واذا عرضت له عقبة كأداء تحول دون تأييده فسيقوم رجل مثل لنكلن يشهر حرباً في سبيله كما شهر لنكلن حرب السود سنة ١٨٦١ فتكون الحرب الاهلية الثانية . هذا ما سمعنا الاميركيين يقولونه وهذا ما قرأناه في صحفهم ومع ذلك يحاول لمص حرائدنا آنا بعد آخر أن تعدد مصائب هذا القانون وتقول إن كثرة هذه المصائب حملت الاميركيين على السعي في الغائه . وبالأمس عاد الى انجلترا مجلبري كان مقيماً في أميركا منذ زمان طويل فقال في حديث مع أحد مراسلي الصحف ان المسألة كلها تعتبر مسألة في أميركا لاسباب شتى

أولها : انه لا يمكن أن يبقى هذا القانون الا اذا طلبت ٣٦ ولاية من ٤٨ العامة . فاذا ثبتت ١٢ ولاية ثابتة على القانون فسيبقى أبد الدهر

وثانيها : ان الولايات الجنوبية ومسألة السود فيها مسألة حية لا تحسن على المطالبة بالغاء القانون وعدد هذه وحدها أكثر من ١٢ ولاية

وثالثها : إن أرباب الأعمال يؤيدونه وهم أقوياء جداً في أميركا

ورابعها : إن النساء يؤيدونه لانهن يطلقن مال المسكرات لينفقنه على حاجاتهن المنزلية وما أكثرها

وخامسها : إن جميع المصلحين الاجتماعيين يؤيدونه

القهوة العربية

يحكى أن ملك دولة السابع كان في احدى السفن في مرسيليا فرأى مركبة وعليها الوارد هذه فنزل وأخذ مكانه في الداخلية حيث يشربان قهوة تمسوية والقهوة التمسوية مشهورة بطيبها في حين ان الألمانية مشهورة بضعفها . وقال الوارد هذان في أثناء سفرتهما هذه : وانك تستطيع أن تعرف وأنت تختار الحدود أي الامكنة تمسوية وأيها ألمانية من طعم القهوة فيها ، ثم يحاول بيان السبب لأن مسألة جودة القهوة ورداءتها سر من أسرار الحضارة كما قالوا . وكانت القهوة غاية في الجودة في فرنسا قبلا ولكن الحال تغيرت الآن فبت فالقهوة الايطالية أفضل من الفرنسية . والانجليزية مثل الألمانية في تخاعيف

استفتاء الرسالة

أهم حادث أثر في مجرى حياتي

ابراهيم بك الهلباوي . الاستاذ عباس العقاد . حافظ بك عوض

تحيرنا أن نأتي القراء هذه المرة بأجوبة ثلاثة من رجالنا المشاهير ، كل منهم يمثل طائفة خاصة كما سمعنا في العدد الماضي ، فالاستاذ ابراهيم الهلباوي بك من المحامين ، والاستاذ عباس العقاد من الادباء ، والاستاذ حافظ بك عوض من المصلحين ، ومن هذا يجد القارىء لذة ومتعة فوق ما يجنيه من فائدة جمة [المحرر]

الاستاذ ابراهيم بك الهلباوي

« لعلك تدهش اذا قلت لك أني كنت شديد التأثر بعبده بسيد جمال الدين الافغاني قبل أن يقع بيني وبينه ذلك الحادث الذي عده أهم ما أثر في مجرى حياتي . فقد كنت طالباً في الازهر الشريف لم أتجاوز السادسة عشرة حين نزل مصر السيد جمال الدين ، وأقبل عليه الادباء والمتنورون يستمعون الى احاديثه القيمة ، ويحضرون دروسه ومجالسه . وكان الشيخ محمد عبده من هؤلاء الذين تعلموا على يديه وتتلمذوا له ، فتعلقت عليه وصرت اتردد به وباخوانه الدوائر ، لاني كنت أعتقد كما يعتقد أشياخي الذين تأثرت بهم أن السيد جمال الدين رجل ملحد ورد مصر ليضل الناس ويجمع حوله شيعة يشترون إلحاده وضلاله ، حتى أصبح قذى في عيني لا أستطيع رؤيته

« وذات يوم كنت جالساً في مسجد الحسين ، فرأيت الشيخ محمد عبده يصلي ، فصممت على الكيد له ، وذهبت الى الشيخ عليش ، وكان يكره الشيخ محمد عبده لاجتماعه بالسيد جمال الدين ، وقلت له . « ان الشيخ محمد عبده يصلي بلا وضوء » ، فقال لي ولاخواني : « اذهبوا اليه واحضروه » ، فذهبنا اليه وقطعنا عليه الصلاة ، وقدناه الى أستاذنا الشيخ عليش ، فسأله في عنف لماذا يصلي بلا وضوء ؟ . ، فأجابه الشيخ محمد عبده مؤكداً أنه توضأ قبل أن يهم بأداء الصلاة ، فلم يصدقه الشيخ عليش ، وأخذ يوبخه ويطرده حتى أخرجه من

المسجد . فرحت بذلك وصرت أتوخى أن تقع عينه من السيد جمال الدين أو أحد أتباعه ، لاشفي بها حقدي عليهم الذي كان يتأجج في نفسي تأججاً

« وقد كان السيد جمال الدين يسكن في ذلك الحين منزلا بعمارة العاني بشارع أم الخلام ، وكنت مع ثلاثة من زملائي طلبة الازهر نسكن في غرفة من هذه العمارة أيضاً ، ففي ليلة دخل علينا أحد الضباط ومعه جندي من البوليس ، وأشار الينا مخاطباً الجندي : « من منهم من هؤلاء الثلاثة ؟ » فنظر الجندي الى كل منا متفقداً ، فلم يجد بيننا غريبه ؛ فالتفت الى الضابط وقال له ان يكون الضارب أحدنا ، وأما أن صاحبه تبدو على وجهه ملامح العجم ، فما سمعت كلمة « عجم » حتى طرت فرحاً ، وقلت في نفسي لا بد أن يكون السيد جمال الدين الافغاني أو خادمه «أبو تراب» هو الضارب ، ووجدت في ذلك فرصة سانحة للكيد للسيد جمال الدين ؛ ومرعان ما تقدمت لارشاد الضابط الى مسكنه بالعمارة

« دخلت مع الضابط والجندي الى مسكن السيد جمال الدين ، فما ان رآنا من عرفته حتى رحب بنا السيد « أهلا وسهلا » فعجبنا كلنا لامره . ودعاه عليه فجلس الى الجلوس ، ثم عرض الضابط عليه شكوى جندي ، وأنبأه السيد ان الضارب هو خادمه « أبو تراب » لانه وهو متوجه الى المطهى وجد جندي خارجاً منه وكان لابساً ملابس عادية ويده لفافة كبيرة بها شيء طلبه الخادم أنه مما يشترون ، فحسب هذه يده ضبطه ، فكانت مشادة بينهما أدت بالخادم الى ضرب الجندي بأحد اللفافة منه فسقط ، ولكنه عندما تبين رأى انه أخطأ في حدسه ، ووجد أن ما بيده ليس بضاعة « خرجه » جندي في ضابطه ، فدفعها اليه ، واعتذر له عما بدر منه ، وصالحه قبل أن يبرحه

« فسأل الضابط الجندي عما يقوله السيد جمال الدين في هذه الحادثة ، فأنبأه بصحته وكان السيد جمال الدين يتحدث بعبارة فصيحة وأسلوب بليغ أثر في نفسي وبدأت أفكاري تتغير ، وكنت لم أقتنع به قبل ذلك مطلقاً . وبينما نحن جالسون حول السيد سأله الضابط قائلا : « أصحيح يا فضيلة الاستاذ انه كان في صدر الاسلام طائفة زعم أن عمل البر وتعمير أماكن العبادة يغني عن الايمان بالله واقامة الشعائر الدينية ؟ » ، وقبل أن ينطق السيد بجواب ظننت أنه سيحجم عن الرد ، وقلت في نفسي اذا وجدت مثل هذه الطائفة ، فقل ان توجد لها أخبار مدونة ، ولكن السيد رحمه الله قال للضابط فوراً : « نعم » ثم التفت الي وقال : « أتحفظ القرآن أيها الشيخ ؟ » فقلت له : « نعم » ، فقال : « أمر هذه الطائفة منصوص عليه في آية من القرآن الكريم » وطلب بعض حفظ من هذه الآية . فتذكرت نصها وهو : « أجعلتم

سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ؟ لا يستوون عند الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين » عند ذلك تبينت أن الرجل على علم غزير وذكاء واسع وأنحت عن دعني تلك الأوهام والاكاذيب التي كنا نتلقاها من مشايخنا عن هذا العالم الجليل . وفي اليوم التالي عدت لزيارته وعرضت عليه الاندماج بين طلبته فاستشر بهذا وقال . « بالرغم من حداثة سنك أعتبر رغبتك هذه فاتحة عهد جديد لنشر تعاليمي » ، وكان هذا سنة ١٨٧٣ م ، ومن ذلك الحين نشأت نشأة أخرى »

الاستاذ عباس العقاد

« كان والدي أمين الدفترخانة باسوان ، ولكنه كان موسماً بالادب يحب الادباء ويعشق مجالسهم ، وكثيراً ما كان يصطحبني معه اذا نهض بمقابلة احدهم وسماع ما ينزه على الجالسين حوله من ثمرات قرائح الادباء ، وكنت في ذلك الحين أستطيب مثل هذه المجالس كلهو بريء ونسبة ممتعة ، وأجد فيها راحة لنفسي من عناء المدرسة وتكاليفها الثقيلة ، وما يكرهني عليه والدي من الذهاب معه الى [illegible] حتى يعتبر الوقت ، ورأيتها شحاً من الضبط والتقييد لا أحتمله

« وكان باسوان في عهد [illegible] حين يدعى « الاستاذ احمد الحداوي » ، وهو أديب فاضل كان من عادته أن يجلس في بيته عند عشية بطائفة وهتاق الادب ، ليستمعوا الى دروسه وما يلقيه عليهم من نتاج افكاره وخبرته في الادب العربي . وقد كان هذا الاستاذ حافظاً لمقامات الحريري كلها ، يتلوها تلاوة جيدة بلا تمتمة في الالفاظ أو خطأ في تراكيب الجمل والعبارات مما يستدعيه النسيان الذي يلازم كثيراً من المتعلمين ، غير أن الاستاذ الحداوي كان قوي الذاكرة لا يدع لسامعه ريباً فيما كان عليه من سعة اطلاع وخطر ودراية . وقد كان مشهوراً بالمطارحة الشعرية ، فيطارح بخمسة أبيات دفعة واحدة حتى عجز كثير من الادباء عن مجاراته والفوز عليه في هذا المضمار يوماً ما

« وحدث أني ذهبت ذات ليلة الى منزله مع والدي ، فوجدته جالساً بين جمع من الشبان يحدثهم تارة عن الادب والادباء ، ويطارحهم الشعر تارة أخرى ، فارتحت الى حديثه ، وأعجبت بما عليه هذا الرجل من ذكاء وأدب ، وحبب الى نفسي الادب لاول مرة ، ورغبت ان اتخذه فناً أضرب فيه بسهم كما ضرب فيه هذا الاستاذ ، وصرت من ذلك الحين مهتماً بحفظ الشعر ومطالعة الكتب الادبية كي يكون لي منها ثروة أستطيع أن انتفع بها اذا حضرت مجلس الاستاذ الحداوي وحمي وطيس المطارحة بينه وبين الحاضرين . ومكثت أتردد على منزله حتى

غرس في نفسي حب الادب والاطلاع عليه . وكان اجتماعي بهذا الاستاذ أهم حادث أثر في مجرى حياتي ، فنقلها الى مهنة الادب ، بعد ان كانت سائرة في طريق آخر لقدر لي في عالم الوجود . ومما يلذ ذكره اني لما عزمت بالادب أخذت أتمرن على قرض الشعر وساعدني في ذلك مدارستا المدرسية التي كان الناظر يعقدها لنا في القاء الشعر العربي حتى كنت أستعيض عن محفوظاتي الشعرية بأبيات أنظمها من تلقاء نفسي ، وقد كانت اول أبيات نظمتها وانا لم أتجاوز الحادية عشرة هي هذه الابيات التي أذكرها الآن على سبيل الفكاهة :

علم الحساب له مزايا جمة ... وبه يزيد المرء في العرفان
النحو قنطرة العلوم جميعها ... ومبين غامضها وزين لسان
وكذلك الجغرافيا هادية الفتى ... لممالك البلدان والاوديان
واذا علمت بسان قوم بانفق ... ملت الامان به وأي أمان

حافظ بك عوض

« هذا الحادث قصه تاريخية تتعلق بالمسألة المصرية عهد الخديوي عباس حلمي الثاني ، ذلك أنه في أواخر سنة ١٨٩٧ حدث سوء تفاهم بين الخديوي عباس و (اللورد) وأخذ كل منهما ينافس الآخر في لفت (اللورد) وجمع الاتباع له . وكان يحف حول الخديوي عباس عدد كبير من اساطين النهضة القومية مثل : مصطفى كامل باشا ، والشيخ علي يوسف ، وعلي باشا فهمي ، ومحمود بك سليم ، ويوسف بك صديق . وقد أراد الاحرار مناوئوا الخديوي تسلاح من ابناء البلاد ، فوسموا بوسمة حزب مناوئ له ، وهو حزب الامة الذي انتمى الى « حزب الامة »

« وصادف أن عاد الخديوي عباس من الاستانه في هذه الاثناء ، فنشر بعضهم قصيدة سميت « قصيدة السفهاء » عرّض فيها بسمو الخديوي ، وقال في مطلعها .

قدوم ولكن لا أقول سعيد ... وعود ولكن لا أقول حميد

« وقد اتهم بها السيد مصطفى المنفلوطي وحبس لاجلها ستة أشهر ، فنقلت الجرائد الانجليزية صدى هذا الحادث ، وعلقت عليه بان الشاب المتنور يبغض الخديوي بدليل هذه القصيدة . وكنت في ذلك الحين طالباً بمدرسة المعلمين العليا ، فأهاجني أنا وأخواني ما قرأناه في الجرائد الانجليزية عن الشبان المتنورين وصممنا على الرد على هذه الجريدة بدليل عملي يثبت اننا أنا ملتفون حول الخديوي الجالس على الاريكة المصرية . ولم يكن في ذلك الوقت شيء يدعى « عيد الجلوس » ، ولم يكن له احتفال كما يحتفل به الآن ، فقلنا رداً على الجرائد الانجليزية يجب ان نحتفل بهذا اليوم الذي تبوأ فيه الخديوي كرسي الحكم ليكون شاهداً ملموساً على التفافنا حوله

« ولكن كيف نحتفل ؟ وكيف نأتي بالمال الذي يلزم لاقامة مثل هذا الاحتفال الخطير ؟ وكان زميلاي في الفكرة الاستاذ عبد القادر حمزة ، وكامل بك حسن ، وكان الاول في الحقوق والثاني في الهندسخانه ، وبعد التفكير ارتأى كامل حسن أن يعرض المسألة على مصطفى باشا كامل . فذهبنا اليه ، وعرضنا عليه الفكرة ، فقال لنا : « هذه الفكرة يلزمني ان تنفذ بطريقة عملية ، وتحتاج لها أرى أن تقام مأدبة عشاء في احد الفنادق الكبرى ، ثم يلقى فيها الخطباء خطباً وطنية مؤيدة للخديوي ، فتنشرها الجرائد » ، فاستحسنا هذا الرأي ، واتفقنا على ان تقام المأدبة بمحل سنتي بالاوبكية

ولما جاء موعد الحفلة ألقيت خطبة حييت بها مصطفى كامل باشا ، ومدحت فيها الخديوي عباس ، ثم قام مصطفى كامل باشا فألقى خطبة وطنية شائقة كان وقعها أثر كبير. وفي اليوم الثاني الموافق ١٢ يناير سنة ١٨٩٨ نشرت الخطب وتأ الحفلة على صفحات الجرائد ، فكانت اول اجتماع احتفل فيه بعيد الجلوس . ومن ذلك الحين صارت الحكومة والامة تحتفل به كل عام

« وقد قامت وزارة [illegible] وعلى رأسها المستر دنلوب وناظر مدرسة المعلمين يومئذ الانجليزي [illegible] ، وكنت أتحقق في المدارس الثلاث التي كنت اما وزملائي نسمي لها . وكانت الرياضة علي شديدة جداً لاني كنت في مدرسة المعلمين الصغرى ، ولكن الله سبحانه وتعالى وفقني الى التفوق على مدرستي ، فمكثت بمدرستي مدة شهرت خلالها بالتفوق بشدة وسمو [illegible] فرغت في سلك المدرسة والاشتغال بالصحافة فعرض علي الشيخ علي يوسف ان اعمل معه بجريدة المؤيد كمحرر ومترجم ، ففضلت منه ذلك وأرسلت جواب استقالتي الى ناظر مدرسة المعلمين العليا في شهر مايو سنة ١٨٩٨ ، فبقيت في الصحافة الى وقتنا هذا بعد أن كنت اعددت نفسي لاكون معلماً في المدارس الاميرية او موظفاً في احد الدواوين . . . »

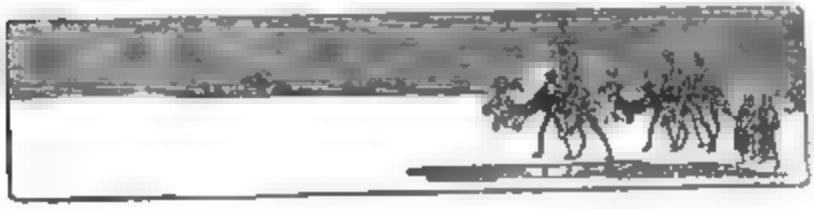

وزراؤنا السابقون
في ميدان الاعمال الحرة

آراء سديدة لجماعة من كبار رجالنا

[كان عدد الوزراء السابقين في العهد الماضي كبيراً لانهم كانوا يتناوبون الحكم كلما حدثت في البلاد أزمة وزارية فلما أنشيء النظام البرلماني عندنا ازداد هذا العدد ازدياداً عظيما بكثرة الوزارات التي تألفت في حكم في السنوات الخمس الاخيرة . وقد رأى الاستاذ كريم ثابت أن يجمع في هذا المقال الطريف طائفة من الآراء السديدة التي وقف عليها من جماعة من مشاهير وزرائنا السابقين العاملين عما يجب على الوزير السابق عمله بعد زواله عن كرسي الوزارة]

ليس للوزراء الا اعلى المتقاعدين معاشات مقررة ثابتة ، ولكن لكل وزير اختياري عندما يعتزل الوزارة الحق في ان يطلب من حكومته ان تعين له معاشاً شهرياً دائماً اذا لم تكن موارده المالية الخاصة تساعده على العيش بما يصون مقامه وكرامة المنصب الذي كان يتقلده طالما نزل الورد سكويت عن كرسي الوزارة في انجلترا الاولى أن على نفسه ان سمحه حكومه معاشاً يعينه في عيشه وقرر العودة الى الاشتغال بالمحاماة ليرزق بها فيما بقي من حياته فاثر مسكنه بعيداً عن الدوائر السياسية والاندية الاجتماعية لأن موضعه لا يليق مثل هذا الملك من الوزراء الذين تركوا الخدمة قبله لم يحفل بسهام النقد التي صوبت اليه وعمي في سبيل خدمة الرأي عليه فلم تبث مواطنوه أن اكبروا عمله وأجلوا شأنه ثم كان أن حدا حذوه

من كرسي الوزارة الى رئاسة مدرسة

أما عندنا في مصر فان أول حادث استرعى اهتمام الناس بملك أحد الوزراء السابقين بعد تخليه عن الوزارة هو ملك معالي عبد الحميد سليمان باشا وزير الاشغال والمواصلات سابقاً والمدير العام لمصلحة سكة الحديد والتلغون والتلغراف حالا فانه في سنة ١٩٢٤ نقل حضرة صاحب العزة عبد الحميد بك عمر المدير العام لادارة الخرانات اليوم من رئاسة مدرسة الهندسة العليا الى وزارة الاشغال العمومية وأحد ولاة الامور يبحثون عن مهندس كفء عرف بحسن الادارة ليولوه رئاسة مدرسة الهندسة محله ، وأشير عليه بعض المقربين الى تعيين مهندس أجنبي خلفاً له بحجة أن الحكومة لا توفق الى اختيار مهندس مصري لرأس تلك المدرسة مكانه ، فما سمع معالي عبد الحميد سليمان باشا ذلك — وكان وزيراً سابقاً — ذهب لمقابلة المغفور له محمد سعيد باشا وكان وزيراً للمعارف العمومية في أول عهد الوزارة السعدية ، وقال له انه مستعد لقبول رئاسة مدرسة الهندسة اذا اسندت اليه ، فقابل سعيد باشا تطوعه هذا بالثناء عليه وعلى حميته ، وطيراً تلفونياً الى الفقيد العظيم المغفور له سعد زغلول باشا فارتاح اليه واستصدر في الحال الامر الكريم بالموافقة على تعيينه فقابل الجمهور يومئذ

مسالك معاليه بأشد مظاهر السرور وإن كانوا قد استعربوا له استعراباً شديداً اذ كانت هذه أول مرة في تاريخ مصر الحديث يقدم فيها وزير سابق على قبول رئاسة مدرسة

وما استقال مديرو مصلحة سكة الحديد الاعلى واحد بلو الآخر لمحرم عن الهوس بأعباء هذه المصلحة كما كانت عليه حالها في السنين الاخيرة ، رمى معالي عبد الحميد سليمان باشا ان يعين مديراً لها وأن يتلقى تعليماته من وزير المواصلات بعد ما كان وزيراً لوزارة أم منها ، حتى اذا أراد دولة محمد محمود باشا تأليف وزارته في السنة الماضية وجد خصمه عبد الحميد باشا على الانتظام في سلكها ليتقلد وزارة المواصلات الفنية التي لا علاقة لها بالامور السياسية قبل أن يقوم بأعبائها مع احتفاظه بمنصبه في سكة الحديد ليكون يعود اليه بعد استقالة الوزارة ، فأجيب الى طلبه وفعلاً ما كادت وزارة محمد محمود باشا تتحى عن مناصبها حتى عاد معاليه الى مكتبه بسكة الحديد

وقد سألت معالي عبد الحميد سليمان باشا في يوم كنت أزوره فيه في داره الحديثة بالزمالك عن الباعث له على سلوك مسلكه التقدمي مع أنه يمتنع ما أكثر معالي يستطيع وزير سابق ان يتمتع به اذ كان موظفاً قديماً في الحكومة قبل ان يصير وزيراً فأجابني قائلاً : « لقد عتد الناس حتى السنوات الاخيرة ان يصحوا « على الرف » كل وزير يخرج من الوزارة كأنه حكم عليه بأن تكون الوزارة خاتمة سلسلة جهود خدمة الصلحة فحسب ولا محل له الا الرجوع الى الوزارة لان الوزارة هي العمل الوحيد الذي كان الجمهور يتوقع له بعد خدمته مع أن خدمته لاتعطي الحرية المتعة الجهود كل وزير سابق متعلم ونشيط ويمتلئ في جوفه لتلك الحقبة أقل عدد من السنين ، وقد رأينا رؤساء جمهوريات سابقين يعودون الى الاشتغال بالاعمال الحرة بعد تركهم رئاسة ومن هؤلاء المسيو ميلران رئيس جمهورية فرنسا السابق ومن رؤسائها ويلسن رئيس أميركا في عقد الحرب العظمى ومن رؤساء جمهورية البرازيل الذين اعتزلوا الرئاسة بعد مدة قصيرة من تقلدها ، وقد كان من اعظم رؤساء جمهورية سابق أنه يشتغل بالاعمال الحرة قبل الخامس عشر حتى أنه كان من الخاسرين في عقاري اذ اشتغل بعد استقالته عن الوزارة وذلك لما رأيت منصب رئاسة مدرسة الهندسة شاغراً وولاة الامور حائرين في أمره تقدمت لتقلده اطاعة لنداء ضميري ، ولم أفكر في تلك الساعة لحظة واحدة في اني وزير سابق بل كل ما فكرت فيه هو اني مهندس اشتغلت بالاعمال الهندسية مدة طويلة أكتسبت في أثنائها خبرة ودراية . فاذا تقلدت رئاسة هذا المعهد العلمي الجليل أمكنني تأدية مهمتي على منوال يبعث على الرضاء ويدفع من هذا الشعور أقدمت على السلك الذي لامني كثيرون عليه ولكني لم أعر لومهم التفاتاً »

قال عبد الحميد باشا : « وهذا الشعور حمله هو الذي حداني الى قبول منصب المدير العام لمصلحة سكة الحديد وان لم أكن قد اشتغلت قبل ذلك بشئون سكك الحديد ولكني قلت في نفسي ان الوزير السابق يحب ألا يبقى « على الرف » كما كان في العهد الماضي بل يجب عليه ان يمضي في وقت عمله وخبرته ومواهبه على خدمة وطنه ومواطنيه بقدر استطاعته فاقدمت على عملي الجديد في سكة الحديد كأنه عمل من الاعمال الحرة وكأني مهندس عادي أريد أن أبني مركزي من وراء عملي في هذا المنصب متناسياً اني وزير سابق فولجت به ولما عطيا جعلني أصر على الاحتفاظ به

حيما تقدمت وزارة المواصلات في وزارة محمد محمود باشا مع ان مرتبي كان مماثلا لمرتب زملائي الوزراء رغم قياسي باعباء المنصبين »

سري باشا والاعمال الحرة

وادا ألقيت نظرة على قائمة أسماء الاحياء من وزرائنا السابقين ألفيا معالي اسماعيل سري باشا وزير الاشغال الاسبق أول من اشتغل منهم بالاعمال الحرة بعد اعتزاله الوزارة وقد جلس معاليه في مساء ذات يوم في حجرة الاستقبال الصغيرة في داره يحدثني عن ذلك فقال: « ان اشغال الوزراء السابقين بالاعمال الحرة لم يصبح أمراً مألوفاً الا في المدة الاخيرة فقط ، أما قبلا فان الوزير السابق كان محكوماً عليه بأن يقبع في عقر داره وان يقصر همه على أكله وشربه ونومه والاشراف على ايراد أرضه والذهاب الى النادي لتحية بعض الوقت مع أصدقائه ولكن هذا الضرب من العيش لم يكن يحلو لي لذلك كنت لا أزال في سن تسمح لي قوتي فيها بممارسة أي عمل من الاعمال الهندسية الحرة ، فكنت أبحث عن العمل حتى يكون فاذا وجدته التقطته وعكفت على الاشتغال به موجهاً جميع جهودي الى اتقان اجراءه لا باعتبار اني وزير سابق ، ولكن بصفتي مهندساً أغار على سمعتي كمهندس ولقد كنت أجد عمال العمل غير متبعين أوامري في مصر كما أقمن عن طيب خاطر القيام بالاعمال الهندسية التي كانت تسند الي وهي مكونة من أعمالي في مكتبي في بلادها وذلك جرياً مع العمل الذي وقفت حياتي وما زلت أحيى لأكون أول من يتبع جميع تطورات وزارة الاشغال ومشروعاتها »

« سابقة » وزارية لحرم باشا

وما دمت بصدد ذكر وزارة الاشغال وأعمالها فلنورد هنا ما وقعت في وزارة مصطفى الحكيم باشا دون ان يكون معالي عثمان محرم باشا ضمن أعضائها مع انه كان وزيراً للاشغال في وزارتي عدلي باشا وثروت باشا الائتلافيتين وزرت معاليه في داره بالزمالك فوجدته مكباً على تنسيق بعض تقارير وزارة الاشغال القديمة فسألته عنها فقال : « اني أصبحت الآن مهندساً حراً وسأشتغل بصناعتي هذه على قدر استطاعتي ، ولكني سأظل مع ذلك أطلع على تقارير وزارة الاشغال كلما صدر منها شيء جديد لاني مهما حاولت ان أنسى اني كنت وزيراً فاني لا أنسى عهدي في وزارة الاشغال »

وبعد مدة قصيرة زرت معاليه فقال لي « اني معتذر باحترامي عن مهمتك باعداد بعض المشروعات الهندسية الاقتصادية ويسرني أن أعلمك انه سيكون لثروت باشا نصيب كبير فيها » ولكن المسألة عاجلت ثروت باشا في الصيف الماضي فاضطر عثمان باشا الى تأجيل ادراز تلك المشروعات الى حيز الوجود وكانت تلبية حرمان اسوان قد تقررت في تلك الاثناء ثم أسندت وزارة الاشغال عن العطاءات الخاصة بهذه التلبية فرأى معاليه ان يدخل هذه المناقصة لعل تعهد التلبية يتم على يديه فيكون له فخر تقرير التلبية وتعهدها اذ لا يخفى ان معاليه كان أول من نادى بامكان عمل التلبية الجديدة رغم اخفاق الشواء التي أشارها مهندسو عبود فسافر في هذا الصيف الى انجلترا بتفق مع جماعة من المقاولين الانجليز من أصحاب رءوس الاموال الكبيرة على الاشتراك معه في العطاء المناقصة التي عن صددها فأعجبوا بمقدرته الفنية ووافقوا على التضامن في العمل معه وفعلاً

أنفوا منهم جماعة قوية وقدمت هذه الجماعة عطاءها للوزارة ، وقبل ظهور نتيجة هذه العطاءات بأيام اجتمعت بسمان باشا فقال لي : « اذا وقع العطاء علينا فانك سترى ما يشرف المصريين حقيقة » فلما ظهرت النتيجة وتبين ان عطاء مقدماً من غير جماعة عثمان باشا هو أقل العطاءات قيمة قال لي معاليه « انني وان كنت آسفاً على عدم رسو العطاء على جمعتنا الا انني مغتبط بشيء واحد وهو انه لاول مرة في تاريخ الوزارات المصرية يشترك وزير سابق للاشغال مع جمعة من المقاولين والممولين الاجانب في تقديم عطاء لوزارة الاشغال . وفي هذا دليل على ان الوزير السابق يحب ان يعمل بجد ونشاط ما دامت فيه قوة لخدمة بلاده »

الوزراء المحامون يعودون الى المحاماة

ومن وزرائنا السابقين الذين لم يجدوا عصاصة في اشتغالهم بالاعمال الحرة بعد اعتزالهم الوزارة وان كانوا على جانب من الثروة المالية الشخصية معالي توفيق دوس باشا فانه ما كاد يخرج من الوزارة حتى عاد الى مكتبه الذي يدر عليه أضعاف المرتب الذي كان يتقاضاه كوزير . وقد شاع أخيراً انه عرض عليه دخول الوزارة الجديدة سألته في ذلك فأجاب « لا أستطيع أن أقول لك اذا كان شيء من هذا قد عرض عليّ أو لم يعرض ، ولكني أؤكد لك اني لست مستعداً لترك مكتبي بعد حياة أحب الاماكن اليّ وقد كنت وزيراً للاوقاف وشعرت بأني في حالة استثنائية غير دائمة وكانت تعزيتي الوحيدة ان الوزارة ليست لا تخلد وقد سحبت منها مع رضيّ عبد العزيز فهمي باشا ومحمد علي باشا شعرت بأن كاهلي قد انزيح عن كاهلي وعدت عاملاً كما أحب دائماً أن أكون . والعربة اني لما غادرت الوزارة في اليوم الاخير سألني بعض المحامين هل أنوي أن أعود الى مكتبي هذا بعد ما ذاق طعم الوزارة وعلم الناس بمركزي كوزير . فقلت لهم تعالوا معي وأحدثهم الى مكتبي ولما وصلنا به قلت لهم بكل أنهم ان سألوني هذا السؤال لو كان في صاعتي هدم مساس بكرامة الوزارة أما وهي من أشرف الصناعات وقد تكون على رأس الصناعات التي تعد الدول بأكثر عدد من الوزراء فانني لا أدري لماذا تريدون مني أن أقطع عن الاشتغال بها »

وهذه المناسبة أذكر به لما أقيلت وزارة دولة النحاس باشا كان أول ما فعله معالي محمد نجيب الغرابلي باشا وزير الاوقاف السابق بعد تقلبه بأن الافتة ان كتب الى معالي رئيس محكمة الاستئناف يرجو منه اعادة درج اسمه في جدول المحامين المشتغلين بصناعتهم وفي اليوم التالي حضر معالي الاستاذ مكرم عبيد جدوه

صدقي باشا والاعمال الخاصة

وقد كان معالي اسماعيل صدقي باشا يتقاضى وهو وزير ثلاثة آلاف جنيه في السنة ، أما الآن فانه يكسب سبعة آلاف جنيه في السنة من الشركات التي يتولى رئاسة مجالس ادارتها أو أهم مركز عملي في تلك المجالس . وقد سألته عن حاله في العهدين فقال : « انني لا أشعر بأن الخدمة التي أسديها الى بلادي الآن تقل شأناً عن الخدمة التي كنت أسديها اليها وأنا وزير ، بل انني اليوم أعمل في جو هادئ . فأصرف بكل جهودي الى انجاز أعمالي في حين انني لما كنت وزيراً كان اهتمامي بالشئون

السياسية يحول دون تمكني من وقف جهودي كلها على المسائل الجوهرية للنطقة عرافق للسلاد الحيوية. ومع اني أشتغل الآن في شركات شتى ومتنوعة فاني أشعر بنشاط أعتقد اني لو التزمت الراحة لفقدته وعندي ان في ميدان الاعمال الحرة ولا سيما الاقتصادية منها عملاً واسعاً لكثيرين من الوزراء السابقين لكي يظهروا فيه مواهبهم وكفاءتهم وقد آن الأوان الذي يجب فيه على الوزير السابق ان يعلم ان خروجه من الوزارة ليس لحد النهائي لنشاطه وجهوده بل ان الامر على عكس من ذلك فان الوزير السابق يستطيع بما أتيح له من مقام وبعد ان يتوسل بالمزايا التي كفلها في أثناء توجه في كرسي الوزارة لنقوم بمشروعات قد لا تلقى من الجمهور التأييد الذي هي حليقة به اذا كان القائمون بها أشخاص غير محوطين بالظروف التي تجعل لهم سبل اكتساب ثقة الناس وحسن ظنهم. وقد أظهر المصريون وحلهم من الوزراء السابقين مقدرة كبيرة في جميع مجالس ادارة الشركات التي اختيروا أعضاء فيها حتى ان بعضاً منهم أصبح من الذين يعتد برأيهم في مسائل فنية معينة »

وليس أدل على صحة كلام صدقي باشا من أنه لما فكرت وزارة المواصلات أخيراً في كبرمة خط حلوان واستفسرت خبراً انجليزياً لفحص المشروعات التي قدمت لها تولى مجلس المواصلات الاستشاري الأعلى درس تقرير هذا الخبير وتمحيصه . ولما كان معالي محمد شفيق باشا الوزير السابق من أعضاء المجلس ومن رجال الفنيين الذين اشتهروا بشدة تدقيقهم في المسائل التي يدرسونها ويفاحصونها استعد لمناقشة الخبير الانجليزي متى حضر وكان موضع عجب جميع الذين سمعوه يدلي بمحصه ورأيه أو اطلعوا عليها فيما بعد في محاضر جلسات المجلس . وقد سمعت باشا أيضاً مذكرة ضافية عن مشروع قانون الثلث الذي هو بصدد عرضه وهو بعيد عن الوزارة بكل بعد بالاده بطبه وسعة اطلاعه

الوزير المصري

وبعد استقالة ثروت باشا الأخيرة عهد فضيلة معالي محمد شفيق باشا بركات باشا العاصمة الى مزارعه في علوي وأقام فيها ردحاً من الزمن مشرفاً على شؤونه وزراعته التي لم يعرها التفاتاً كبيراً طول مدة توجه في كرسي الوزارة في وزارتي عدلي باشا وثروت باشا الائتلافيتين ، ثم انتقل للغاية عينها الى مزارعه في منية الرشد واشترك مع محله عبد الله بك بركات في تحسين حالة محاصيلها الصيفية ولما عاد معاليه أخيراً الى العاصمة قابلته وسألته عن اقامته في مزارعه فقال . « ان بعضاً من كبار أعياننا لا يعنون بأرضهم العناية الكافية ولا يظهرون أمام مزارعيهم اهتماماً كبيراً بها مع انهم قد تكون في معظم الاحيان مورد ثروتهم الوحيد ، فاذا كنت أنا وزير سابق المزراعه لا أبدي عناية بأرضي ولا أكون قدوة لصغار المزارعين في عهدها والسير عليها فهل ينتظر منهم أن يولوا هذه الأرض ما يجب عليهم نحوها من اهتمام وعناية . . . اني فلاح وقد نشأت من أبوين فلاحين قبل تسييري ذلك سنة أو سنتان قصيتهما في دست الوزارة . . . اني أؤكد لكم انه لم يكن أحب اليّ وأنا في مزارعي من أن أرتدي ملابسي البلدية وامتطي صهوة حماري الأبيض وأطوف ارجاء أرضي لأشرف على عمل رجالي تارة ولاعاوهم فيه طوراً آخر فاني فلاح قبل أن أكون وزيراً »

كريم ثابت

مقدمات اولية عن نابليون بونابرت

بقلم الدكتور احمد فريد رفاعي

— ١ —

لا أدري كيف أبدأ .

أقولها عن تفكير عميق ، وأقولها عن صدق خالص : وربما حدث بي الأمانة العلمية أن أقرر لك مرددا ، ومرغما ، وخجلا ، اني أقولها عد علم لا بأس به — في جملته — فيما سأعالج وفيما سأدرس

ولعلك تعزو ذلك الى تلك النظريات المتطاحنة في ميدان البحث عن ماهية التاريخ وكتابة التاريخ بين أنصار الحديث وأنصار القديم . فأنت قد قرأت « لنوح و « موروا » و « ولز » ووقفت على وجهات هؤلاء ومن تلا تلوهم وأحد احدهم في تبسيط التاريخ وعموميته ، وفي تعميده وتمهيده ، وفي التقصي بمدارجه في مدارج أطواره الانسانية المتباينة . ثم قرأت حملات خصوم هؤلاء أمثال « و م لاون » [illegible] التاريخ لجامعة هارفرد . الذين يتهمون أنصار هذا الجديد بالجموح الى الناحية [illegible] من التاريخ دون حلق قصة الرائعة الأحداث المدرة بالمال الوفير ، والكسب الكثير ، فمن أي الفريقين آخر ثم قرأت من حملاتهم قولهم : ان « باركان » وموتلي ، وبرسكوت ، وهم كونز ، كانوا يرحبون بمثل الأسوار في رواء كتابة التاريخ » . . . ولكنهم الى جانب عنايتهم [illegible] كتابة « تكوين التاريخ لتصحيح الحسن » أما اليوم « فقد انقضت الآية ومسح الحرص وصرنا نرى حكايات وتصاوير ، وقصص وروايات ، لا أزاء احتمال « التاريخ الصحيح ، ومصادر التاريخ الصحيح »

ثم لعلك تعزو ذلك أيضاً الى نظريات الاستاذين « ولتر هارت بلومنتال » . و « والبرت بوشنل هارت » المؤرخين الاميركيين ومحوتهما فيما إذا كان المقصود من التاريخ عبادة البطولة بما في البطولة من محاسن يشاد بها أم سرد الحقائق بما في الحقائق من مساوىء ومثالب .

ثم لعلك تعزو ذلك الى التطور العظيم الذي يجب أن يصيب التاريخ كما أصاب الآداب من ورائه تلك المجلدات الممتعة الثلاثة التي أفردها الاستاذ « جورج سنتسبري » لمعالجة موضوع « تاريخ النمو » في أطواره الثلاثة وعصوره الثلاثة ، من قديمة ووسطى وحديثة ، وجنوحه في دراسته للآداب والمقابلات والأذواق لا إلى أقوال المؤلفين والشراح ، ولا الى استنتاجات المفسرين والنقاد ، ولا الى تعليقات المذيلين والمتأدبين . وانما باعتماده على قراءة الأصول . . وعلى تفهمه الروح والحقيقة والتباب من هذه الأصول ، ثم بركونه بنفسه وبعقله وبجهوده

إلى المصادر والمظان . وانه إذا أراد أن يكوّن رأياً صحيحاً عن « أفلاطون » أو « ارسطو » أو « ديونيسس » أو « لونجينس » أو « سيشرون » أو « كونتيليان » أو « دانتي » أو « دريدن » أو « كورني » أو « كولوردج » صراماً في عقله أن يبادر ببساطة أولية وبضرورة أولية الى كتب كل من هؤلاء فيقرأ ، ثم يفهم ، ثم يستنتج ، ثم يحكم .

ثم لعلك تعزو ذلك الى ما يقوله الكاتب الروسي الفيلسوف « دميتري مرزوسكي » في كتابه الطريف عن « نابليون » أن أربعين الفاً من خلق الله كانوا قضاة وحكاماً على نابليون . . . وبعبارة أقرب الى الفهم : ان الكتب والمقالات والبحوث ، وما الى الكتب والمقالات والبحوث التي وضعت عن نابليون وتاريخ نابليون ، والتي حكمت عليه اما بالخيرية أو بالشرية . بالبطولة أو بالشيطانية . بالعبقرية أو بالتضليل . بالنبوغ أو بالادعاء . هذه الكتب والمقالات والبحوث قد جاوزت في عددها وكثرتها ما هو معقول وما هو فوق المعقول .

ثم لعلك تعزو ذلك الى أن نابليون وليد الثورة والثورة حارة عنيفة . والثورة شيطانية مردة . والثورة نواحيها الكتابية انتصارية . فقد تكون يوماً الانسانية الرءوم . وأخرى الجهنمية الشنعاء . وقد تكون إهبة تسمو الى السماك في تفكيرها وتروّيتها وخصبها ومتاعها وقد تهبط الى الأوغاد والاجراح والعرّاك في وحشيتها وتعطشها وقد تحب الدماء وقد تحب الخيال وقد تحب الى الحروب وقد تستطيل بالدم وتهيم فوق العادة وفوق المستوى ، فهي كأم تعطف في تحنيها وعهدها ما تتعاطف وتتحد في حنانه وتفهمه من شخصية فوق العادة ، فوق المستوى . . .

وأنت صادق في كل ما تقول . . . وصادق حين تقول في الأمر المعقول أن لي من كثرة ما كتب ما يساعدني مساعدة قيمة على معاملة النظام على وجهه ما . وعلى وجهه ما . من تلك العقلية الفذة التي إن اتصفها « جاپتي » فقد تفخم عليها « ولز » . . ولكنني مع تشجيعك لي وتهويلك عليّ ومع احاطتك بمختلف وجوه معالجة كتابة التاريخ ، ومع فهمك ما يكال لبطلي العقلي « لدوج » من المطاعن الخارجات مع تعلقك به وقراءتك لكتبه ـ أرجو أن تسمح لي بسطور قليلة عن قصة سمتها ، وأحب أن تسمعها أنت الآخر ، لتخرج منها بما خرجت به أنا الآخر . ذلك لأن أهمية نابليون وعظمة نابليون تستوجبان منا أن نستمع معاً هذه القصة ونتفهم معاً ما في ثنايا هذه القصة من معاز واستنتاجات ، ومرام وعظات . . . . . قال القصة إذن ، والى القصة سراعاً

— ٢ —

جبل شاهق يرفرف عليه علمٌ فوق ذروته

وقد وقف في أسفل الجبل عند لسانه الرمل شخصان يتناجيان عن لون هذا العلم الجميل

أهو أزرق قاتم ثم هو أحمر قان ؟ وكلاهما مقتنع بحكمه اقتناعه بحواسه . وقد اشتد بينهما اللجاج فأقسما بالصمدان الى القمة ، ثم ليحكمان عن رأي عين وبصيرة ، وقد تسلق كل منهما الجبل من ناحيته . هذا من الامام وذاك من الخلف

ثم وصلا الى الذروة بعد أن أجهدا نفسيهما . وكل منهما متشبث برأيه السابق

ثم اشتد وطيس اللجاج ، الى ما بعد اللجاج من لدن وخصومه ، ومن ضرب واعتداء ، الى أن تداعيا ، فتساقطا ، فهوى الأول الى أسفل الخلف ، وهوى الثاني الى أسفل الامام فاذا بالاول يرى العلم احمر قانياً بعد ان كان يراه منذ لحظة ازرق قاتماً . واذا بالثاني يرى العلم ازرق قاتماً بعد ان كان أحمر قانياً .

فآمنا بأن للعلم وجهين . فهو أحمر قان من ناحية . وأزرق قاتم من ناحية . وكانا قد سقطا معرجين في الهواء وكانا قد جادا بروحيهما

وقد تكون القمة موضوعة كقمة الجبل والعيان البتة أو السمة . ولكن التصوير فيها دقيق وصحيح . وهو - الى جانب دقته وصحته - يدعو الى التفكير العميق عن مقدار شططنا عن الحق وبعدنا عن الصواب في أحكامنا وتقديراتنا بقدر بعدنا عن الكمال في معلوماتنا ومحصولاتنا .....

- ٢ -

نريد أن نقول ببساطة إن « كين » و « توستوي » و « كارين » هذه الشخصيات العظيمة التي وان كانت قد نظرت الى نابليون نظرة تقدير عظيم من ناحية ، والتي لم تهضمه من نواح عديدة : لا يجب أن تخرقنا بتيارات عظمتها فننزل صاغرين على حكمها ، دون فهم منا لحقيقة نابليون وروحه . بل يجب أن ننظر الى كل النواحي . كما يجب أن نؤمن بصحة ما يقوله « دمتري مرزكوفسكي » : « بأن معنى معرفة روح شخص آخر هو اعطاء تقدير صحيح عنها وزنها بمقياس روح الشخص نفسه . فأين لك الروح التي تملك في حوزتها موازين تحلل روح نابليون ؟ » كما يجب أن نؤمن بصحة ما يقوله « هرقليتس » : « قد يكون في حيز الامكان أن يصل المرء الى نهاية رحلته ، بيد أنه من المستحيل عليه البتة أن يصل الى نهاية النفس .... ذلك لأنها عميقة المستقر سحيقة المنأى . . . . . »

ونريد أن نقول ببساطة أيضاً انه اذا كان « ولز » أو « ابوت » أو غيرهما لم ينصفا نابليون اضعاف «الروح» مثلا فمن حق العقل الانساني أكثر من حق نابليون أن تثبت تلك آراء غير هؤلاء . . . نقول من حق العقل الانساني أكثر من حق نابليون لان حق نابليون

مقدس في سجل الاصول التاريخية الطائلة التي خلفها نابليون لطمعه ، ومتكلمة ، في بلاده ، وغير بلاده . . . أما العقل الانساني فله قيود وأغلال لا يزال يرزح تحت أعبائها ، وله حقوق وعادات يئن في قبضتها وبراثنها

يقول تينيه : « أن جماع حياة نابليون ليس فيها حدث أجمل وأتم من ذلك الموجود الذي هو فوق الموجودات الحية المسمى نابليون ! »

ويقول «حانق» : « ان نابليون هو خلاصة الدنيا وزبدتها ، فما حياته الا قطعة من صف إلهي . لقد كان في حالة إثارة مستمرة . وكم كان طالعه أكثر لمعاناً مما رأت الدنيا قبله وما سترى بعده »

ويقول « ستندال » في « تاريخ حياة نابليون » : « ان هذا الرجل يصبح لغزاً يزداد حله مع مرور الزمان صعوبة وإبهاماً »

ويقول « ليون بلوى » في تاريخ « روح نابليون » : « إن تاريخ نابليون هو أشد التواريخ غموضاً وحلكة ... »

ويقول « لا كور جايت » في كتابه عن نابليون انه قال « سوف تمر آلاف السنين من قبل أن تتكرر ظروف كظروفي . ومن لي بأن تمنح شخصاً من شخصي »

وتقول «مدام ستيل» في كتابها خطرات على الثورة تعرضه « في الفرع الذي يوجه شخص نابليون مرحمه الى دقة تتأثر الخاص الذي تؤلمه شخصيته في كل من يقترب منه ... لقد قابلت في سني حياتي وحلا حبيبين الاحزم ذو الازدراء » وسكن التأثير الذي تركه نابليون من نفسي لم يكن البتة من صور ما تعبت من سواه . اني أقدر تماماً ان الالفاظ العادية تسقط عاجزة حسيرة دون قدرتها على وصف شخصيته ، لانه لم يكن كغيره من الناس الحسن أو القبيح ، ولانه لم يكن «لطيف أو الرحيم . . انه ليس بأكثر ولا بأقل من انسان . . . وأما مظهره ، وأما عقله ، وأما كلامه ، فلهذه كلها طابع من طبيعة غير الطبيعة الانسانية »

ثم يقول نابليون نفسه وهو في السابعة عشرة من عمره « أنا وحيد دائما بين الناس» كما يقول وهو في سجنه : « لست شبيه أحد سواي ، ولا أجري مجرى أحد غير نفسي » كما يقول أيضاً « كل شخص يحبني ، وكل شخص يكرهني » كما يقول مؤرخوه عنه في مذكراته : « انه دائما بمفرده في صف ، والدنيا كلها في صف آخر »

ويقول لنا « اوميرا » في كتابه « نابليون في المنفى » ان نابليون قال . « لو أني نجحت في احراز ما تصورته لكنت قد كللت بعد مماتي بأعظم مجد وصل اليه انسان . . . . وأني مع هذا الآن سينظر إليَّ مع ذلك بالشخص الذي لا سبيل الى محاراته . »

وكم نجد في «جورجود» و«اوميرا» و«لا كورجايه» و«مانسون» و«دريوت» و«لاس كاس»

و«شيكه» وعشرات غيرهم كلمات لنابليون صادقة ، ومتواضعة ، وبسيطة ، تفسر اكثر من غيرها بطلك هذا في صدق وتواضع وبساطه .

وكم نجد من المؤرخين المدققين . . . حتى «كارليل» و«تين» من يقول عنه : «منذ زمن قيصر لم تر الدنيا مطلقاً عبقرية في سعة تصوراته وعمقها ، ولا في بطولة قوى روحه ، وعقله ، وارادته ! »

واذا كان « ولز » قاسياً على نابليون مطلق احرار ، وخريج الفاقة المثقفة ، والارادة الخالقة ، والثورة المتحفزة ، والفرصة النوابية ، والقرامة الواسعة ، وزميل بلو تارك ، والمدامع عن روسو ، وقرين الاسكندر ، وصاحب قيصر ، ومقدر «حيتي» ، وعضو الاكاديمية ، وقائد الجحافل ومالك القلوب ، وساحر العلوب ، والمتصرف في الرقاب ، وعجارب الاديان وصديقها ، ومروج العلوم وناشرها ، وصديق البابوية وكاسرها ، ومجموعة الاضداد والمتناقضات والشواذ . . اذا كان «ولز» قاسياً على نابليون ، فان انجليزيا آخر قد اسمه ولا اعني به هيثر وروزبري وغيرهما من جماعة المؤرخين . . بل اعني جندياً من ابطال الوغى ، وهو الاميرال «ايدين» الذي كتب عنه بعد زيارته له في منفاه سانت هيلانه ما ترجمه : « تحول الي بعد ان تكلم مع الاميرال . . . . وحينما تحول الي فهمت لاول مرة في حياتي سر سحر هذا الرجل العظيم . . . . »

ثم قال : « لقد نشأت على مقت الفرنسيس وفق تشجيع . ولكن لما نظر الي نابليون ، كان لنظرته من القوة والجلال ما كان من شأنه لو أمرني بالسير راساً أرضاً ليسير باقدامه فوق جثماني وأنا الانجليزي لتقدت أمره في الحال والمحظة . . . ألا إن سحر نابليون لهو سحر ينم بوحي الرجل ، ويفصح عن قوته . . . . . »

— ٤ —

ولكنك مع ذلك كله تريد ان تدرس نابليون في شتى ادوار حياته . وتريد ان تقف على قدر المستطاع على الكثير من أطواره واقواله لانك قد تستنتج الشيء الكثير من قوله مثلا في مذكراته : « اما من لسيح يتفق وتسيح الجماهير . . . فاني من صفوف الناس خرجت ، وان لصوتي أثره ووقعه من نفوسهم . ألا فارقبوا هؤلاء المقنعين أولاد الزراع غلست من بشاقهم ، بل على القيض فاني أعاملهم باشدة والصرامة ، ومع ذلك فهم يصيحون ويهتفون « الامبراطور الى الابد » ! . . ذلك لان بينهم وبيني وحدة الطبيعة » . ثم لانك قد تستنتج الشيء الكثير من قوله في موضع آخر منها : « ان شهرتي كشخص مرعب مخيف لا وجود لها الا في صالوناتكم ، وبين الصاط . . . . وربما بين القادة . . . . ولكن لا وجود لها مطلقاً بين عامة الناس . . . . إنهم بغريزتهم في تبين الحق وانكشاف الباطلة يعلمون أني حاميهم . »

وانك لا ريب جدّ محق في تصميمك على دراسة نابليون على تلك الصورة الوعرة الى حدٍ ما ، والمحفوفة بالمكاره والمتاعب وكثرة المراجع والمطالب الى حدٍ ما ، والتي قد تستوعب شيئاً غير قليل من وقتك وجهودك الى حد ما ، ولكنك سترى ضميرك وبهجتك ، وستفيدني لا ريب في مصاحبتك والصلة بمحادثتك في دراسة هذه العقلية الفذة في كل شيء . والى كل لابد من ظهور نجمها في عالم الآداب أو العلوم أو الفنون اذا لم يتح لها صولجان الملك . وقيادة الشعوب ، وقهر الممالك . . .

ثم إنك لا ريب محق في أن تذكري عند تفحم الصغار لهذه العبقرية الجبارة وحاشا لك ان تنسي « ولز » وغيره ممن يحترم ونحب واننا نعي من يتكلم عن جهالة وصؤولة وجدب وقفار ستذكر حيال ذلك كلمه المفكر الروسي : « كم ترجف النملة والطغام حين دل العظيم وضعف القوي ، ويقولون إنه صغير مثلنا ومنحط كالخطاطنا . . وقد يكون صغيراً وقد يكون منحطاً ، ولكن ليس كصغار هؤلاء ولا كانحطاط هؤلاء . . . ! »

دائرة نابليون للرسام ميرار

— ٥ —

الحاجة . الموز . الفاكهة

هذه طبعاً كلمات تشير الى الفقر والغربة ، ولكنها تدفع الى العمل والانتاج او هي على الاقل تستلزم التفكير والروية مع شيء من الاقدام في اقتحام المشاق والقاء النفس في خومة الحياة . والتذرع لها بما تتطلبه البيئة والوسط من مختلف الصفات .

العلم . الاطلاع . الثقافة .

وهذه طبعاً كلمات تدعو هي الاخرى الى العمل والانتاج . أو هي على الاقل تستلزم التفكير والروية وتعد صاحبها بعدئذ لا بأس بها في

إقدامه على اقتحام المشاق والقاء النفس في حومة الحياة ، ولكن بوسائل العلم ، وحيل الاطلاع ، ومنعرجات الثقافة .

طيب التجار . وحد النسب . وعظمة الاجداد .

وهذه طبعاً كلمات تدعو صاحبها الى العمل والانتاج . او هي على الاقل تشعر صاحبها العبة بعد العبة بصفات من الانفة من كل صغار . والطاعية لكل مجد ، وحب الاقتداء بعظمة الآباء ، والاحساس العميق بضرورة تجديد ماضي السلالة . والمحافظة على تراث الاسرة .

واذا حصل ائتلاف بين هذه الصفات والسجايا ، أو الخامات والاحراب ، نتجت من تهادبها شخصية عربية . هي أولى بأن تعتبر مجموعة شخصيات متضاربة متنافرة قد تكون العدة لاحداها يوماً على الاخرى . وائتلاف الصفات نصير العبرى كائتلاف الاحراب . وهذه الشخصية العدة تحت صاحبها عتاً عظيماً ، لانه في حرب داخلية بعوالمه النفسية . وقد يكون من آثار تلك الحروب الداخلية ، تلك التصرفات الخارجية من متعرجات وتلونات . وتغيرات واخلافات . وسياسات متناقضات من « كاراكتر » هذه الشخصية ، التي يطلق عليها معلم . وربما جاز لنا في بعض الاحوال ان نعد شيئاً من تصرفات بعض المعلمين الى الوراثة والدم والمزيج الشعبي — على ألا نفتط ولا نعلو بإصلاح !

— ٦ —

لا يخلق الامة ويكونها مثل الشدة والعسف . لانه لا يخلق الافراد ويكونهم مثل الشدة والعسف . واذا كان في الماضي القريب يبيع الانسان زميله الانسان ، ويستعبد الانسان زميله الانسان ، فقد كان في الماضي القريب أيضاً تبيع الامة أمة غيرها ، ولا يزال الى حاضر اليوم وحاضر الغد تستعبد الامة وميلها الامة .

أجل فان حرية كورسيكا التي يشبهها الكاتب الروسي العبقري « مرزكوفسكي » بجزيرة « أتلانتيد » الخرافية ، التي كانت مثلها في البحر الابيض ، والتي أضاعها الظلم أو ابتلعها البحر ، أو لم يبقها خيال الجيل الحاضر . فلكل جيل خيال ، ولكل خيال أجيال . — حرية كورسيكا التي قدمت بنابليون الى عالم الحياة كانت موضع شدة وعسف وسلعة بيع وشراء . فقد باعتها جنوا لمملكة فرنسا لويس الخامس عشر عاهل فرنسا الشهية !

واذا كان الاسكندر المقدوني كان جزءاً لنابليون في المولد ، فهو جار له في أصل الآباء . وفي مجرى الحياة ، ومرمى الآمال ، وسداد الاعمال ، فلماذا اذن لا يزعم « مرزكوفسكي » ان

الجنرال نابليون بونابرت

نابليون كالاسكندر من سلالة « ديونيسس » إله الخمور والكروم والشاب والكفاح الذي تقمص في أشكال كثيرة وحارب في وقائع كثيرة . . وهي وان كانت خرافة قديمة مستحدثة في الماضي ومذكورة هنا وهناك عن اسكندر الاكبر ، ففي خرافة لا يأباها الخيال في الحاضر عن نابليون بعد ان علم شيئاً عن سلسلة تلك الموقفات الحامية التي صهرت في شخصه ، وفي سبيل تكوينه ، بمجموعة قوية لشخصيات أقطاب العالم التي أحبها نابليون في طفولته ، والتي جرت في دم نابليون بوراثته ، والتي عاشت مع نابليون منذ ولادته ، والتي كانت متلا أعلى لنابليون وهو في جزيرة

— ٧ —

لجدود والد نابليون مراكز سامية في فلورانسا وساروانا . أكثر هذه المراكز سياسية وبعضها قضائية . وقد نزح فرانسسكو بونابارت من ساروانا الى كورسيكا في أوائل القرن السادس عشر . وفي القرن الثامن عشر نالت الاسرة النابليونية درجة النبلاء من مجلس شيوخ جمهورية جنوا مالكة كورسيكا . وقد كانوا من النبلاء ومن أصحاب الحيثيات والمراكز الرفيعة فعادا لا تشرئب أعناقهم وتندفع بهم أطماعهم الى أن يطلبوا من الدولة المالكة لكورسيكا أن يكونوا حكامها على كورسيكا ؟

ومن الحق عليك أن تعلم ان الوالد قد تعلم الحقوق وناب أحاديها من جامعة بيزا ، ومن حقك أن تعلم أيضاً انه رجل طموح وطماعة ، يجنح الى الدس ويبرع الى الخب ، مع تذبذب وتملق . ومع ميل الى الاطلاع والبحث . وربما حاز لك أن ترعم مما بعد ان نابليون قد تأثر أو ورث أو استفاد من والده شيئاً غير قليل من نواحي الذوق الادبي والنزعة الى الاطلاع والاستقراء وانتهاز الفرص والدور مع الدهر مع القدرة على الحب والحنين

واما الأم فهي « ماريا » التي نها الوالد حقوقي الطموح في سنة ١٧٦٤ . ومن حقك ان تعلم انها من اسرة « رامولينو ومترا ساتا » . وهي أسرة عتيدة هي الاخرى نزحت الى كورسيكا منذ القرن الخامس عشر . ومن حقك أن تعلم أن منها سيدة ذات لصحيح ثم اقتصاد حتمته ظروف الزوج المالية على علاته وتنقله وسفره ، ووقوعه الى عاتقها وحدها الى عرقلة من فضليات السجايا

وأما الأم الثانية ، وطنها جنوة كورسيكا ، فجدها لأم سلطان هي الاخرى لا يقل عن سلطان الوالد والوالدة . ومن حقك ان تعلم أن حلق أهل كورسيكا عامة والمتوغلين في داخليات البلدة خاصة وحتى بطنه لان « الفاديتا » أي حب الانتقام والثأر هو القانون النافذ ، والسنة المشروعة ، والعادة المتبعة . وانه وان كان غير مكتوب ولا مقيد فهو أقوى وأخطر وأعمق وأعم من كل ما هو مكتوب ومقيد . وما قيمة ما هو مكتوب ومقيد اذا لم يكن من الدم وفي الدم ، ومن الروح وفي الروح ، ومن النفس وفي النفس

اذن فمن حقك ان تنتظر من مولود هذه المجموعة الغريبة النادرة ان يكون طامة ، قوي الارادة ، حاسم الرأي ، جلداً لا تلين الحوادث قناته ، حمال أعباء لا تثنيه المواثيق والمراجيل ، خصماً عنيفاً في الحروب الانسانية بنوعيها من مواقع طعان ودماء ، الى مواضع الاقتسامة الصعراء في ميدان السياسة والدبلوماطيقا .

ومسألة وطنية جزيرة مالك وعاملك . وهي لا تقل أثراً في نفس مالك العظيم من أثر

فرانسس في سنة ١٧٨٣ وقد رأى صورته بالشمع

الاب وأثر الام وأثر الوطن ـ تلك هي شخصية « ماؤلي » بطل كورسيكا ومحررها ، وما كان من جهاده في عامي ١٧٦٨ ـ ١٧٦٩ في سبيل التخلص من حنوا المقاسمة التي دعت الوطن الكورسيكي فلويس الخامس عشر . . ثم جهاده مع فرنسا المشقية الجديدة وقهره في « موت موفو » في ٩ مايو سنة ١٧٦٩ واضطراره الى الارتداد الى داخلية الجزيرة ثم لروحه الى انجلترا ثم جهاد أهل الجزيرة وحماسهم وتضحياتهم في سبيل تحرير الوطن . ولعله من الطريف المقبول لديك أن تعلم ان بطلك العظيم قد ولد في الخامس عشر من شهر أغسطس من تلك السنة التي قهر فيها بطل كورسيكا في « موت موفو » وولد فيها بطل فرنسا وبطل العالم بيشيد مجداً خالداً بصروح العلم وبعظمة الانسان

« تحدثك اذن عن حداثة هذا البطل العظيم في العدد القادم ان شاء الله

احمد فريد رفاعي

المرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي

الكاتب العربي الذي المعروف بسهولة أسلوبه مع بلاغته البلاغة الصحيحة التي قال عبد الحميد في تعريفها « انها التي اذا سمعها أحد ظن أنه يحسن مثلها » نشر صورته الآن بمناسبة مرور السنة المئوية على وفاته . وقد نشرنا مقالا طريفاً عنه في صفحة ٢٠١ من هذا العدد

رئيس الجمهورية الامريكية ورئيس الوزارة الانجليزية

في زورة السير مكدونالد رئيس الوزارة الانجليزية للسير هوفر رئيس الولايات المتحدة الامريكية سعى عظيم في تعاون السياسة الاوربية بما تنتظر من تأثير عميق وإيراد في حفظ السلام العام والتقريب بين الامتين الكبيرتين اللتين تجري في دمائهما شعوب الانجلوسكسون

المسيو تاردیو
رئيس الوزارة الفرنسية الجديدة
وهو مشهور بعقله الكبير ومقدرته على العمل وشيء من التطرف في معاملة الناس على طرار بسكاريه . وقد ألف الوزارة الفرنسية خلفاً للمسيو بريان المستقيل

سفير العاشمت في مصر
زار مصر في الشهر الماضي السيور بوريني سكرتير العاشمت وقد نشرنا حديث معه في هذا العدد من الهلال

عبد المحسن السعدون
رئيس الوزارة العراقية ورئيس وفد العراق في وفد انتجر في منتصف الشهر الماضي وذكر في كتابه الاخير انه ينتحر « مقدمه على هذه الصحيفة حقده في سبيل وطنه » وكان قد تقلد رياسة مجلس الأمة

أثر المدرسة في الذكاء والوراثة المدرسية

بقلم الدكتور منصور فهمي

أستاذ الفلسفة في الجامعة المصرية

يسرنا أن نقدم إلى قراء الهلال هذا البحث لتكون القرينة في نوعه — ونحن إذا وصفناه بهذا الوصف فلسنا نريد إطراء كاتبه، بل نعني أن كاتبه الأستاذ الدكتور منصور فهمي قد طرق موضوعاً عديدة لم يطرق من قبل، وقام بتجارب كثيرة وفق المنهج العلمي الحديث خرج منها بنتائج معينة لم يسبق أن وصل إليها غيره. وليعلم القارئ أن هذا المقال هو خلاصة دراسة واختبار استغرقا بضعة أشهر [المحرر]

تمهيد

يتفق الناس على أن للمدرسة أثراً محموداً في تحوسد ذهن الأطفال وتنظيمهم، وسعب كثير العلماء والمفكرين أو كلهم إلى أن المدرسة تنمي الذكاء ويشذ عن هذا الرأي الفيلسوف « روسو » فكان يرى أن الحضارة وتعليمها المتكلف عند هيئة الإنسان التي فطرت على الخير والفطنة عرضة لخطر [illegible] على أن المدارس من شأنها أن ينمي الذكاء فيهم وتحشو [illegible] المدارس الأمر هذا كثير من [illegible] إلى الذهن معلومات تضاف إلى أخرى دون أن يؤدي [illegible] المعلومات في حدة الذكاء من يوقد وخمود؟

ومهما يكن الخلاف قائماً حتى الآن فيما بينهم من حيث الأهمية أو الجدوى فإنه لا يمكن إنكار على المشاهدات الواقعة والتجارب الدقيقة المتعددة [illegible] أن معظم الأستاذ « كلاباريد » من كبار المشتغلين بعلم النفس والتربية الحديثة [illegible]، وكان له حديث في مسألة المدرسة وتأثيرها على الذكاء، ثم كان لي أن درست [illegible] في ضوء أفكار هذا الأستاذ الجليل ومنهجه، وأظن أن هذه الدراسة هي الأولى من نوعها

لا أريد في هذه الكلمة الوجيزة أن أعرض لكثير من التفاصيل المتعلقة بهذا الموضوع، ولكن حسب القراء أن يلموا بطريقة البحث ونتائجه وما قد يوصل إليه

أسلوب البحث

لكي تحقق تأثير المدرسة في أمر الذكاء لجأنا إلى استحضار عدد من الأطفال من بيئة واحدة، ومن سن واحدة، ومن طبقات اجتماعية متشابهة، وفي نفس الأحوال الصحية ولكي نضع هؤلاء الصغار ممن التحقوا بالمدارس ذات البرامج المختلفة المعروفة، ونضعهم الآخر ممن عطلوا عن التعليم وظلوا على سذاجتهم، ثم اخترنا نوعاً مناسباً من مقاييس الذكاء فإذا ظهر لنا بعد تأثير الاختبار الدقيق فروق في نتائج من ألحقوا بالمدرسة ومن لم يلحقوا، فلنا أن نحكم أن هذه الفروق أوجدتها

ان تكون من تأثير المدرسة التي كانت هي الفارق الواضح بين حال الطائفتين من هؤلاء الاطفال

ومن الخير قبل ان نسترسل في القول ان يلم القارىء بشيء من التعاريف العامة للذكاء وهي مقاييسه ثم بأهم المقاييس التي اتخذناها للوصول الى ما انتهينا اليه

محاولة تحديد الذكاء

أما عبارة الذكاء فقد يراد بها عدة معاني . فتارة يقصد بها الى نشاط الوظائف الذهنية على وجه الاجمال ، وتارة أخرى يرمى بها الى القدرة على حل المشاكل التي تطرأ على الانسان في الحياة حيث يستفاد من تلك الحلول . وتارة تطلق عبارة الذكاء على ما تطلق عليه عبارة الاستعداد فتقول مثلا ان فلاناً ذو استعداد في الرياضة وكأنك بذلك تريد القول انه أقدر من غيره على حل عويصها ، وهنا تكون عبارة الاستعداد قريبة الشبه من عبارة الذكاء

واذا كانت نتيجة ما يسمى بالاستعداد لأمر من الامور طالما تظهر في وفرة المنتوجات لصاحب هذا الاستعداد فما أعده كوفرة المنسوج في الشعر اذا كان صاحب هذا الاستعداد شاعراً ، ووفرته في الخرجة الناجحة اذا كان مراجاً بارعاً ، ووفرته في حلول معضلات السياسة اذا كان سياسياً محنكا الى آخر ما هنالك من اختلاف الاستعدادات ومنتوجاتها ، فانك ترى ان اصناف الذكاء قد تتعدد بتعدد الاستعدادات المختصة [illegible] وسيجيء ما يعين على قياس الذكاء شيء بشيء من الصعوبة في الوصول الى تعريف جامع مانع . وأسهل ما يعين في هذا الموضوع [illegible] الذكاء مزيج من ألوان القدرة على التشاعر الذهني ، وحسن تبصر ودقة تشخيص ، وسرعة في الخروج من المضايق ، وغير ذلك من عناصر أخرى تتعدد الوجوه والعدد ولا على الذكاء [illegible]

لذلك حينما أردت [illegible] لقياس وجه [illegible] وأنا لم يدخلوها تحدث أصنافاً من المقاييس تناسب مع [illegible] النفسية التي تنطوي في معنى الذكاء وحسبت من متوسط النتائج ما يدل على متوسط معنى الذكاء

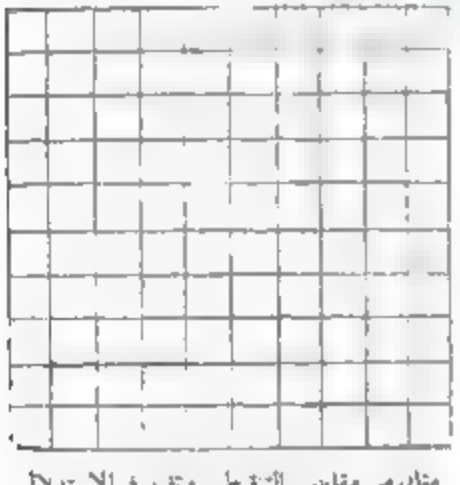

مثال من مقاييس التنقيط . وتفيد في الاستدلال على السرعة والاتقان . والمطلوب فيها وضع نقطة في كل مربع وبسرع ما يمكن

مقاييس الذكاء

ثم ليعلم القارىء ان أي مقياس ليس الا اصطلاحاً يدل على الفروق بين حالتين أو فردين أو مجموعتين من الافراد اذا ما طبق على هاتين الحالتين أو الفردين أو المجموعتين من الافراد . ولنضرب مثلا رسم انسان أو حيوان كمقياس لدقة الشاهدة ، فاذا طلبت الى شخصين متشابهين أن يرسما حيواناً مألوفاً ثم نظرت في النتيجة ووجدت ان أحد الرسمين يتضمن بعض

الاعضاء المهمة والآخر موتور فيه دقائق الحيوان الذي طلب رسمه لكان لك أن تحكم ان أحد صاحبي الرسمين أدنى الى أن يكون أكثر من صاحبه في دقة المشاهدة أو في تذوق الجمال اذا وجدت في واحد من الرسمين ما يدل على ائتلاف النسب في التخطيط أو اتساقها في التلوين . واعلم ان كل مقياس من مقاييس الذكاء التي اصطلح عليها أهل فن التربية قد يدل على عدة أحوال من مظاهر الذهن البشري ، ولكن قد يتخذ دليلا لأهم ما يدل عليه . فمقياس الرسم الذي ذكرناه مثلا يدل على دقة المشاهدة كما يدل على الاستعداد لتذوق الجمال ، كما يدل على حسن الحركات وسرعتها ، ولكن أولى ما يتخذ له هذا المقياس المشاهدة ودقتها

وبما ان مقاييس الذكاء هي اصطلاحات كما قدمنا مبنى على المشاهدات فلا غرابة اذا تعددت المقاييس وتخيل المتخيلون صروفاً منها وأصنافاً . على أن القاعدة الاولى في اصطناع أي مقياس هي أن تتخذ أسلوباً معيناً من مجالات المعاومة أو من الاسئلة والاجوبة بحيث يكون هذا الاسلوب هو أسلوب الانسان المقوم عنه في العرف والذوق الجاري بأنه سليم الطبع . فمثلا لو اتخذت أسلوب حياة الانسان في السنة الاولى من عمره لوجدت أن أعلب العاديين منهم يعون ويلتقون بعض الفاظ ثنائية المقاطع مثل « دادا » و « بابا » و « ماما » وهكذا ، ويقلدون بعض الحركات الصوتية وبعض الحركات العضوية كذلك كحركات [illegible] فمن الممكن أن نعتبر من هذه وما له عند الانسان وهذه الحركات أسلوباً لمقياس ذكائهم في السنة الاولى من العمر ، فمن كان من الاطفال أكثر استعداداً من الاشارات والنطق والحركات فالحكم انه ممتاز في الذكاء بالنسبة لسنه ، ومن كان هو أو أضعف عن هذا المقياس فلك ان تحكم انه أغبى من سنه أو أضعف

ما اتخذ موضع المقاييس

وبما ان الذكاء كما قدمنا مظهر للحالات النفسية فيمكن للمجرب أن يكيف مقاييسه بحيث تتناسب مع تعدد الحالات النفسية التي يترك منها معنى الذكاء . وبناء على ذلك اتخذنا في تجاربنا عدة مقاييس منها ما ينم عن التبصر والحذر كمقياس « بورتيوس » لامبركي وهو عبارة عن عدة رسوم تتكون من خطوط تتصل وتنفصل وتتوارى وتتداخل وتتلاقى وتفترق وتلتوي وتعتدل بحيث يحدث منها طرق ومتعرجات ومآزق يصل فيها السائر اذا لم يهتد الى الفتحات التي ينتهي منها الى مخرج دون أن يصده عن المخرج خط حاجز يقطع عليه السبيل . وهذه رسوم تتفاوت في سهولتها وصعوبتها تتفاوت مع العمر صغراً وكبراً . ومقياس « بورتيوس » تحمل في العالب من نحو سن الرابعة أو الخامسة حتى الثامنة عشر من العمر . ثم اتخذت مقياس رسم الانسان وهو يدل على ما عند الصغار من حس المشاهدة ولكل عضو من أعضاء الرسم درجة ، فمن كان يستطيع أن يستكمل الرسم من جميع أعضائه ودقائقه وثيابه يصل الى أرفع الدرجات التي تتناسب مع سنه . واتخذت أيضاً مقاييس تدل على الانتباه والسرعة وغير ذلك مما لا حاجة لنا الآن في ذكره وتعديله

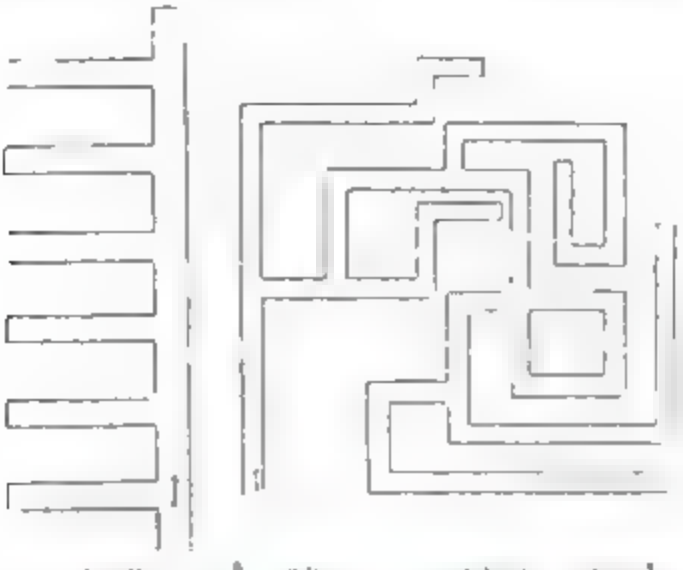

أعمدة من اختبارات بورتيوس والمطلوب أن يدخل الانسان من فتحة [illegible] وكل من العمودين موضوع لنسخ معينة

صانع الجعب

وكانت النتيجة التي وصف لها من اختبار نحو مائة وخمسين من تلاميذ المدارس الأولية والاميين ان المدرسة تكسب من الذكاء ما يكسبه سنة وتسعة من أيام الحضانة التي تسبق المدرسة الذي له من السن نحو سبعين عشر يكون ذكاؤه معدلا بالذكاء الذي يتبع من السن نحو الثانية عشر عاماً

هذه هي النتيجة الاولى التي وصلنا اليها وهناك نتيجة ثانية يمكن أن تذكر كفرض من الفروض العلمية وهي ما أسميناه بالوراثة المدرسية . وذلك ان الامم العريقة في التعليم التي تتابع نظام المدرسة على أهلها من عدة أجيال أولى أن تورث أبناءها استعداداً في الذكاء أوفر من استعداد الامم الامية التي لم يعم التعليم بين أفرادها وفي أجيالها الا من زمن يسير . والذي يبطر في الخطوط البيانية التي تمثل ذكاء أبناء الامم المختلفة كالمكسيكا وسويسرا وانجلترا وفرنسا ومصر يجد انها تتقارب في مبادىء العمر ثم تباعد بعد ذلك أما تقاربها في مبادىء العمر فتأويله عندنا ان الكائنات الحية تتشابه في أول صورها في الحياة وتتميز كلما تقدمت في العمر فالنباتات تتشابه في أول نشأتها وطفولتها ثم تختلف أشجاراً ، وكذلك الحيوانات ، وكذلك ما يسمى عنصر الذكاء يتشابه في الطفولة ثم يختلف في سن متقدمة ، وهي التي تظهر في الخطوط البيانية لحالة الذكاء في الامم المختلفة وقد يكون لأثر الوراثة المدرسية وتاريخ التعليم في هذه الامم الحظ الاكبر في الاختلافات والفروق التي تظهر في الخطوط البيانية

منصور فهمي

أنا وضميري

بقلم الاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

لما كانت الحرب العالمية دائرة ، لاحظت يوماً أن رجلاً يتعقبني ثم تبين لي أنه موكل بي ، ولم يكن هذا فيما أعلم داعي ، ولكنها كانت أياماً سوداء ، فلم يكن لي مندوحة عن احتمال هذا الضنك ، وكانا أمرين أحلاهما مر : أن أدع ظله الراكد يرتمي عليّ حيثما أكون ، او أن أعالج الروق منه فأريبه وتكون العاقبة الاعتقال . فلذلك رضت نفسي على الصبر والرضى بزمالته المفروضة عليّ ، ثم بدا لي على الايام أن أعاشره وحملت بي الرعة في مداعبته وركوبه بالمزاح ، فكنت أسير في الطريق متمهلاً وكأن لا شيء على ظهر الارض يعنيني ، وبعد التزام يخطف الى حانوي فأتبعه بنظرة السكين يعدو ورائي في حذاميه الثقيلين اللذين لا يساعدان على السرعة وأنا أصيح به « الى اللقاء » وكنت في تلك الايام — ومازلت — مشّاء ، أعني أني صبور على المشي مسافات طويلة ، فكنت أطوف به القاهرة وضواحيها متمهلاً تارة ومهرولاً أخرى ، ومعتمداً عمداً هنا أو هنا ، ثم أبرز له بعد الاستخفاء وأستأنف السير وقد أثبت التراب برحلي في وجهه ، حتى أراه يرك ويغارب خطوه من بعد الاعياء فأترفق به وأحمراً بحر السكين ولا يستطيع الصبر على هذا الهدى ولم يجد في خلقاني ولا في سيرتي ما يريبه فعن لي أن أريه أني ملتزم ويعفيني من تعهده على شريطة أن أسدد له في آخر كل يوم روحي وعدواني . وهكذا كان وصرنا صديقين الى أن أراحني الله منه

كذلك صلت مع ضميري يوم كنت في صدر شبابي فعنّ لي أن أعنى به ، إما لأنه هو كان صغيراً هريراً لا تحرمه ولا تحرمه ، وإما لأني أردت أن أوجه الى مقاصدي ، ثم بدأت أسأله يلح ويطول ويعرض حتى ضاق به صدري . وكثيراً ما كان يسخطني عليه تناقضه وعدم اطراد منطقه معي . من ذلك أني صرفت مرة مسؤولاً بشاشة عنه ، فصعق وقال : « هلا قلت له قولاً جميلاً يأسو ما جرحت العاقة ! أفليت قول المتنبي : فليسعد النطق ان لم تسعد الحال؟ »

ثم لقيت سائلاً فقلت له . « يا صاحبي ان أسي ولفه لعظيم ، اذ ليس معي فلوس واذا فاتتك مرة أخرى فسأعطيك جزيلاً » فشكر الرجل ودعا ولكن ضميري هز رأسه منكراً عليّ اني كذبت مستهجناً مني اللجوء الى الكذب سعياً بحلم أو فرش ، واذا كان للمرء يكذب من أجل مليم فأي اثم لا يجترح ؟ قلت صدقت ، وقد تبت

والمتكفون في مصر كثيرون فلا تحب ان اكون مكثوراً علي كثيري ما دام ان في كل طريق سائلاً » فما قلت لواحد بسط يده كفه . « اسمع يا هذا . ان من الغباية على المجتمع أن يتحمل أمثالك أنت قادر على العمل فاذهب واعمل واكسب رزقك بعرق جبينك » — صاح بي ضميري « هذه قسوة لا داعي لها . وقد كان يسعك أن تصرفه ولو بكذبة بريئة فلن يعالك بالدليل على صدق ما تزعم . ولأن تكذب عليه حتى وأسلم عاقة من أن توعر صدره بسوء المعاملة فتدعه الى التمرد والاجرام بعد أن دعته العاقة الى التكفف »

وجدت مرة على سائل فقير فهاج في صبري يلعبي ويغوي ، تحسده وتشحه بالعطاء . فهلا ذكرت تلك البارحة أبيت أن تسخو لأنك مثل هذا الفقير ؟ فأيهما أولى يا ترى ؟ ابنك وأنت مسئول عنه أم هذا الشحاذ الذي لا شأن لك به ؟ » وهكذا ، فكل ما أعمل أو أترك ، فبسبع كأن « نهية » الضمير أن يسود الدنيا في عيني الفقير ويدفعه إلى النقم على كل عمل أو خاطر ، نعم فما لهم حق الخواطر وتحاوي النفس من لدنه اللاذع

ولكن صبري بالغ جداً وأغرق في النزع ، والجرعة في الاغراق ، كما يقول ابن الرومي فرجعت إليه أن يزور لي ويريني وجهه الذي لا أشك في أنه مسيخ فعمل فقلت له وأنا أقدح عود الثقاب لأشعل له السجارة « اسمع يا صاحبي . . . »

فأشار إلي مقاطعاً وهو يمسح الدخان ويضع رحلاً على رحل .

« لست صاحبك من فضلك »

وكان صوته كالصفير يجرح الأذن ، ولمحته حالة تعد النفس فكظمت غيظي وقلت :

ـ « يوشك أن تتعام يا هذا . فهل لك أن تبين لي لماذا أنت بالنسبة إلي ؟ »

ـ « كل شيء إلا أني صاحبك . . عفوك اذا شئت . بل أنا ذاك على التحقيق . ولكن لا ينبغي أن تدعوني « يا هذا » فاني سيدك ولست « يا هذا » . وأنت عبدي ولست بندي »

فلم أطق هذه النغمة ، وسوت [illegible] وهويت عن مقعدي قبل أن يتمكن من الهرب وهززت رأسه بعنف وأنا أصيح به :

« سأريك أيا عبد الأحمر أيها الفرعم الصغير ، أنحسب أنك ستتعبني بعد الآن أن تسود عيشتي بكلامك الفارغ ؟ سأسكن لسانك من حلقك وشفتيه وأكحله تحت عينيك هاتين . وبعض بعد ذلك حياتي اذا استطعت ؟ »

ولم أكن أريد قتله لان من اللباقة أن أشفق من أجل « صبري » حقير كهذا . ولكني أردت تعذيبه وإذلاله . فكممت فمه وهو يتميع ويرجوني طالبا عفوه فصفعته صفعة

وطالما « تلقوصات » بيسا وكاد يتحدر لاتفاق اكثر من مرة ، فقد أبيت إلا الاستقلال تاماً غير منقوص . وله اذا شاء أن يعد نفسه صديقاً أو حليفاً ، أما أن تكون له حق الملاحظة أو الاعتراض فهذا ما رفضته رفضاً باتاً وزادني اصراراً على الرفض ان ملاحظته لا تجيء إلا بعد الأوان وبعد أن يكون الفرع قد فعل الشيء أو أفعله وانتهى الامر وضاعت الفرصة ولا حيلة له في اصلاح ما فسد . وأخيراً اتفقنا على أن يتحرر كل منا من رق صاحبه ، وقلت له وأنا أصافحه :

« إذ استطعت ألا تريني وجهك وان تعبني من صحبتك فان شكري لك يكون مضاعفاً . فانك تعم انك أشبه بالقرد بن أقبح ، ولست أحب أن يراك معي احواني »

فقال : « لا تخف على راي غير عينك . أما في دعم فمن المشوم عن ذلك ؟ ؟ »

قلت وقد آنست من لهجته أنه يهكم . « من ؟ هل استشارني أحد في أمرك ؟ »

فقال وهو يتبسم : « لا أدري ولكني أعرف اني كنت صبياً وسيما وطويلا غير قصير ، قبل أن تدخل أنت في حدود الرجال »

فسألته : « ولماذا بالله لم تمت في صباك ؟ »

فقال : « كيف كان يمكن أن أموت وأنت حي ؟ ولما كنت أب شاماً حي الضمير كنت أشتد وأرهو وأربو ، وكان عملي محتماً كثير التنوع وكنت أتلد الآلام التي أحدثها لك حتى بدأت تتمرد أو على الاصح تتبلد وفتر وقع تعذيبي لك وكثرت المواضع التي مات حسها فقل عذابي وتضاءلت إلى أن صرت كما ترى . وان فيك الآن لمائة أو مائة وعشرين نقيصة ، ولكنها لا تبكي ولا تعذبني بأسباب الصحة »

فقلت له : « وهكذا يكون عمرك عشر الضمائر عكسياً ! فماذا لم تلفتني الى هذه الحقيقة منذ عشرين سنة ؟ ؟ اذن لكنت وجهت عنايتي الى ما تنعيه « شاتمي » ـ وان كنت لا أرى عصائي تسم من لسانك ـ ولعدت كل المواطن الحساسة ورددتك هامة لا ترى إلا عظام »

فقال : « ألا يكفيك أنك أحوجتني الى استعداء الضمائر الاخرى والناس عونها على الحياة ؟ »

قلت : « وكيف يكون ذلك ؟ ألك بضمائر الناس عبري معرفة ؟ »

قال : « نعم بمجمعنا النادي والنقابة »

فوثبت إلى قدمي وقد جرى بباطن خاطر جهنمي . وسألته ملهفة .

« وأين ناديكم هذا ؟ ومتى تجتمعون فيه ؟ »

فأعرب العين في تفحصني حتى كاد يقضي على قصد فهاجمني ذلك واستبد بصبري فصحت به :

« ما الذي يضحكك من سؤالي أيها الغرد المسخ ؟ » ورفعت يدي ، وأنصب الجلاد بكتاب وأردفت الكتاب بالقلم ، ولكنه رفع عن قفائه كلها ووثب الى باب فسد عليه

وقال . « تسألني عما يضحكني ؟ ولم يكن حمراً ـ كلا ! لا يكون من فصلك ـ لأدركت اني شيء غير مادي . أفما يكفيك أن عبرك لا يراني فيه ؟ فما دلالته عندك ؟ ولكنك كنت هكذا أبداً ـ حماراً لا يفقه ، وقد صرت الآن حماراً عند لا يؤبه له ويعزى . لا بأس . سألتحق في نادينا بمكتب تعريب الضمائر العربية »

فلجأت الى الحيلة وقلت : « ولكنك تدهشني بقدرتك على الوثب »

قال : « ألم أقل لك انك حمار ؟ »

قلت : « وما دخل كوني . . . كذلك في قدرتك على الوثب ؟ »

قال . « لأنك لما نهضت تخطرني أستطيع كان الطرب شاملاً في كيانك فصار صغيرك كالريشة »

فصمت شفقي ووددت لو اني لم أكن مسروراً إذن لوسعني أن أقص عليه وأكرهه على الاصغاء الى مكان هذا النادي . ولكني كتمت هذا وسألته .

« ولكن كيف عرفت اني مسرور ؟ »

فقال : « تالله ما أبعد ذهنك ! كيف أكون صغيرك ولا يسري لي شعورك ؟ ، »

فقلت : « حسن . ولكن هل مع تسرب شعوري اليك تستطيع أن تقرأ خواطري ؟ »

فقال : « نعم . ولم يعد لي تأثير في حياتك . »

لا فائدة اذن ما دامت سريرتي لا تخفى عليه . ولكن مع ذلك فرصة ضاعت ، ولو تمكنت من

ناسيتها لأصبحت أكبر عدو لي العالم . نعم . فقد كنت مصرماً إذا عرفت مكان النادي ووقت اجتماع الضباط أن أنسفه عليهم بالديناميت فأخلص إخواني في الانسانية من الأسر وأعتقهم من هذا الرق . وأخيراً أن الفرصة أتتني وكرت بضعي أنها لن تعود ، وتحسرت على الخير الجزيل الذي كنت موشكاً أن أعديه إلى البشر ، وحرت في حيلة الخط وشعرت بقلبي ينكسر وكاد شيئاً يقبض عليه ويضغطه فهويت الى الكرسي كأن ليس في ثياني ما يمسكها وتدلى رأسي على صدري من الهم والحزن ، وكل شيء ثقيل يقع على الارض فتبعت والتعت هذا صيري عند قدمي لا يكاد يقوى على حركة وقد حما الصياء الذي في عينيه وراح رأسه يحدق ويهيم

ولم أكد أرى ذلك حتى تقصصت عليه وأحدث بحضه وقت من بين أسناني :

« قد وقعت في يدي ولا محالة لك . فعجل وقل لي أين نادبكم لعنة الله عليكم من شياطين وأبالسة وإلا عصرت روحك وشربت دمك »

فقال وهو يكاد يجود بنفسه :

« لن تعلك أكثر من حقي قاتل . ولن تكون أول من حق مصيره . وأنا ميت ميت سواء أفضيت اليك بالسر أم كتمته عنك فاصنع بي ما بدا لك فلن أحون عشيرتي »

لم يعجبني الا كباره وان كان صحيحاً ، ورفعت يدي عن عنقه وقلت :

« ولكني أشتاق أن أرى نجمكم »

قال : « كيف يمكن [illegible] ولكل عضو لا يعمل لصاحبه وحده ، ولكني أحدثك عنه »

فهيأت للاصغاء وأنصت بجهد ، وتناوله مشهد وقت ، فقال :

« أشكر [illegible] عن كل عضو لصاحبه لا في الكلام ، أعني لا يجتمع ولا يؤم النادي الا بعد أن ينتصف الليل [illegible] في السر مشغولون بأعمالنا وكل منا يتصرف لأداء واجبه نحو صاحبه . لا تبتسم . ان هذا يحدث في الحياة [illegible] وعن يشعرنه ويشعر به . على ان ما من لا يسر به أن يزور النادي لأنه يؤرق صاحبه فيضطر الى ملازمته ولا يسعه أن يتحول عنه ، والعضو السعيد الذي يزور صاحب سريع الاستجابة للصرير ، فان الصرير يجد فيه مرتعاً خصيباً فيطول ويعرض وتنورد حمداه وتسمن ويبلغ من ضخامته أن يضطر الى النوم في العراء أو سطوح البيوت لأنه ما من غرفة تسعه . أتعجب هذا ؟ هو محمد ياصاحبي وليس أسمج للصرير ولا أصح لجسمه وروحه أيضاً من أن يرى صاحبه يعرق قلقه . لا تمط شفتيك ! أعدى أعداء الانسانة ؟ نعم . وماذا اذن ؟ . لسنا من أعداء أبيكم آدم فأي حق تتقاضونا الاخلاص لكم والوفاء لجنسكم ؟ . وأي غرابة في أن نكون أعداء لكم ومنكم من هو عدو أخيه ؟ !

« وأكثر ما يجتمع في الهواء الطلق لأن فينا كل ضخم هائل الاعضاء . والرئيس أعلانا رأساً أعني أطولنا وأدهسنا في الفضاء . كذلك فيه العضال الذين في حجم عقلة الأصبع وآخرون كالذر ومن لا يبدون إلا تحت عين الميكرسكوب . وقد اخترعنا أخيراً الى ميكرسكوب أقوى وأشبه بآلات رصد النجوم . وكلما هزل ما واحد لفقة عمله ضممناه الى فرقة المضين الموكلين بتدريب الصغار الجديدة تمهيداً لمباشرة العمل ومزاولة المهنة . أوه ، داهماً هذه الابتسامة السخيفة ! لكأني بك تظن

ان في وسعكم يا بني آدم أن تستغنوا عنا ! ولا بحب أن تتوهم ذلك لأنكم مدينون من الغرور ؟ أي والله ! ليس لغروركم آخر يقف عنده أو حد ينتهي اليه . ولكني أسألك كيف كانت حالتكم تكون لولا أنا راصدون لكم ؟ لولا أنا نضع لكم اللجم في أشداقكم ونحركم عن الطريح ونردكم عن ركوب رءوسكم ؟ أحي أنت : كم رجل كنت تقتل لولا عصاي التي أشده ولا أرجيه ؟ وروحة صديقك الجميلة ماذا منعك أن تخونه فيها ؟ كم فرصة للسرقة أتيحت لك وأنت آمن أن تفتضح فلم تمد يدك ؟ ماذا ؟ ألأنك عفيف وفاضل وتزيه بطبيعتك ؟ ؟ لا أحسبك تجرؤ أن تدعي ذلك . انما تعففت وتنزهت حياء مني وخوفاً من لساني وخرعاً من كي لعؤادك . وأنت الآن حر طليق . وقد خلصت من أسري ، وأكره علي مع ذلك انك لن تسرق أو تقتل او تعمل غير ذلك مما كنت أعظك أن ترتكبه ولكن كيف لن يكون عن طبع فيك بل عن تطبع رُسخ عليه . فأنا أمحك استغلالك وأنا آمن عليك الكبة ، إلا أن تكون قد خدعتني عن حقيقتك . ومن يدري ؟ ألم تكن تهم بقتلي منذ لحظة ؟ وما أراك كنت إلا أنه ضبر النظر ، فلو أنك قتلتني لاسترحت من ضمير واحد ولكن لقي حينئذ انه كان يثور عليك ألف ألف ضمير تتوشك بأوجع من الرماح من كل ناحية ولا تدع لك ثانية واحدة تستقر فيها وتهدأ . ولكنك معذور . ومن أين لك أن لك قامة قوية تحوط أعصابك بالرعاية وتتحفظ بمعالجهم وتثار بمن بمس واحداً من جماعتها بسوء ؟ ؟ ان المأسوية مأحوذة عنا ونحن الذين نستعوذ و أنتم معذورون فيما فعلتم في غيركم في الماضي وان كنتم لا تحسون شيئاً . كالقردة من بني عمومتكم ، تحاكي دون أن تفهم . . .

فقلت : «وهي مؤاخذة أخرى ؟ يجب أن نحيط لتوليس علماً بذلك »

فقهقه وهبص وسدون طربوشه وعصاه وقال وهو يعد في يده

« الى الملتقى . ولا تحسب انك فرغت مني »

فقلت : «أوه . لي مستعد ان أراك من حين الى حين »

فقال : « ليس هذا ما أعني »

قلت : «وماذا اذن ؟ »

قال : « هي الحاجة الى النشاط تضطرني الى تسليط بعض العناصر عليك واغرائها بك »

فهززت يده مستخفاً وقلت : « افعل ما بدا لك بالطبع »

فقال : « ثم كذلك دائماً يا بني آدم . تستهينون بما لا ترون . اذا لم تكن القيد حول أعصابكم فلا قيد هناك غيره . ويجب أن يحز في حسكم ويؤلمكم ألماً لتفتحوا عيونكم وتعلموا انكم مقيدون. أما القيود التي تفرضها عليكم علاقاتكم بغيركم فهذه لا وجود لها في نظركم . ومن أجل انك أخفت صوتي أو أسكتني عنك أو سددت أذنك ، تتوهم انك حر بأتم معاني الحرية . . . . هاها ! مسكين مسكين ! اذا كنت أنا لا أقدر على إسماعك صوتي فسترعد في مسمعك عناصر من حولك وعند ذلك ترى ماذا يبلغ من حريتك المزعومة أيها المخلوق الضيق الحدود »

ومضى عني ولم أسمع ، بعد ، هذا الرعد الذي أنذرني به ، ولكني حسبت أني سمعت

ابراهيم عبد القادر المازني

سخاء أغنياء الاميركيين

مجموع هباتهم في ربع قرن

الوف الملايين تنفق على اصلاح التعليم والصحة وأعمال البر والاحسان

قرأنا مقالة في مجلة أميركية بعنوان « الثروة تصير سجية » عدد فيها الكاتب ما أنفقه أغنياء الاميركيين على أعمال البر والاحسان في ربع القرن الماضي . وهذا المثل العالي الذي بدأ بعض الامم في الظاهر لا اكثر لكن هو خير مثال يحتذى وأصل قدوة يقتدى بها اذا أريد رفع مستوى الانساني وتخفيف بلايا البشر واذا كان المال واسطة لا غاية وكان لا قيمة له الا بما يتم بواسطته من بناء مدرسة أو فتح مستشفى أو اغاثة بائس من مخالب الفقر أو اغاثة أرملة أو سد رمق يتيم الى آخر ما هناك من ويلات الانسانية التي لا آخر لها

قال الكاتب : وان كان للمرحومين المثال يحتذون احسانهم عاطفة الشكر على ما أوتوا من الحظ والبراعة في مساعدة الآخرين . فقد كسب جيمس فركنس (الغني والفيلسوف الاميركي) في وصيته سنة ١٧٩٠ يقول « انا كسبت في بعض شرخ مالي بكرم علي بعضهم به ، وكان هذا القرض اساس ثروتي وكل عمل نافع يجري في حياتي أريد أن أكون ملتفتاً حتى بعد موتي اذا أمكن ذلك في تكوين النفس وترقيتها بحسب تقدم »

وانشأ المستر روكفلر مؤسسته سنة ١٩٠٣ بعد أن ساءت خبره وقد أصاب الخسارة بين شعب أميركا وأملاكها والشعوب الاخرى في حسب ثروته وشهرتها وسع نطاق واعانة للمكوبين وترويج جميع عناصر التقدم الانساني بالصدقات وأعمال البر والاحسان

وكتب المستر كارنجي مقالة سنة ١٨٨٩ أمر المستر علادستون بأن تطبع ثانية مسمياً اياها « انجيل الثروة » قال :

« هذا هو حل مسألة الغني والفقير : تترك قوانين جمع المال حرة وقوانين توزيع المال حرة ، وتبقى الفردية سائرة سيرها ، ولكن صاحب الملايين انما يكون أميناً على الفقراء يعهد اليه زمناً في حرية كبير من ثروة الجماعة المتزايدة ولكنه يديرها على ذمة الجماعة بأحسن كثيراً مما تستطيع هي ان تديرها بنفسها . وبذلك تصل أصل العقول في ترقية النوع الانساني الى درجة يرى فيها علماء أن لا سبيل الى التصرف بالثروة الزائدة على الحاجة وطريقة تليق بأصحاب العقول الذين وصلت تلك الثروة الى أيديهم إلا اعطائها منه قسة في سبيل الخير العام . وهذا اليوم قد بزغ فجره

« وسيأتي قريباً ذلك اليوم الذي يموت فيه الغني مرتكباً وزره ملاكاً كثيراً كان حراً في انفاقه مدة حياته ثم يفقه ـ يموت غير مكرم وغير مشتاد باسمه فهي تكن السنين التي أوصى بأن يصرف عليها المال الذي لم يستطع ان يأخذه معه

«أناس مثل هؤلاء سيكون حكم الجمهور عليهم هذا : من يحب غنيا مثل هذا يحب غريبا مهانا»

* * *

يؤخذ من المعلومات التي جمعت لتقرير لجنة الرئيس هوفر لسنة ١٩٢٩ عن التغيرات الاقتصادية الحديثة في أميركا ان النفقات العمومية على التعليم والمكاتب والصحة والصدقات زادت من ثلاثة ارباع مليون دولار سنة ١٩١٥ الى نحو ٢ مليون سنة ١٩٢٦ (المليون الف مليون) . وان الصدقات وأعمال البر الخصوصية سنة ١٩٢٧ بلغت ١٠٨٠ مليون دولار لاغراض دينية و٢٥٧ مليوناً للصدقات و٢٠٤ من الملايين للتعليم و٥٨ مليوناً للفنون والالعاب وما أشبه ذلك . فالمجموع مليون دولار (أو ٤٠٠ مليون جنيه) . ويقدر ما أنفق على هذه الأغراض بنحو ٢٣٠٠ مليون دولار لسنة ١٩٢٨ (٤٦٠ مليون جنيه)

ونشر المكتب الوطني للبحث الاقتصادي سنة ١٩٢٨ بحثاً يدل على سير أعمال الاحسان في مدينة نيوهايفن بوصف كونها نموذجاً لسائر مدائن أميركا . وقد جاء فيه ان دخل صدقاتها زاد من مليون دولار سنة ١٩٠٠ الى ستة ملايين سنة ١٩٢٥

المستشفيات

في الخمس والعشرين سنة الأولى من هذا القرن تضاعف دخل المعاهد الاهلية من الصدقات وبلغ دخل المعاهد اليهودية خمسة اضعاف والكاثوليكية ستة أضعاف والمعاهد الأخرى ثمانية أضعاف والمستشفيات ١٨ ضعفاً وتضاعف [illegible] أكثر من مرة في [illegible] مذكورة على نسبة واحدة أي ربعاً أو ثلثاً من ١ في المائة سنوياً

وقدر ان أميركا تنفق نصف مليون دولار في السنة على المستشفيات

وان أعضاء الكنائس فيها نحو ٥٠ مليوناً أو نحو نصف سكان أميركا بزيادة نحو مليون كل سنة . . وقدر دخل هذه الكنائس السنوي من الاحسان بنحو مائتي مليون دولار ينفق نصفها على أعمال البر . وقدرت قيمة ممتلكاتها بأربعة ملايين دولار (٨٠٠ مليون جنيه) . ونشأ من عظم الحركة في بناء الكنائس الكبرى ان أصدرت احدى الكنائس الاهلية مجلة سمتها « العصر الكاتدرائي » أي عصر الكنائس الكبرى

ومن أشهر الجمعيات الوطنية التي من هذا القبيل جمعية الصليب الاحمر ولها ١٠ ملايين عضو وجمعية الشبان المسيحية وتقدر قيمة ممتلكاتها بنحو ٢٠٠ مليون جنيه وجمعية الشابات المسيحية

نفقات التعليم

يؤخذ من تقدير مكتب التعليم التابع للحكومة ان أموال المدارس والكليات زادت في أميركا من ١٦٢ مليون دولار سنة ١٩٠٠ الى ١٣٥٦ مليوناً سنة ١٩٢٦ وان أوقافها زادت في المدة عينها من ١٤٧ مليوناً الى ٩٣٨ مليوناً . وان مجموع ممتلكاتها زاد أضعافاً فكان ثلث مليون دولار فاصبح نحو ٢ مليون وزادت هبات أهل البر لها من ١٥ مليون دولار الى ١٢٦ مليوناً

ووهب روكفلر وابنه لجامعة شيكاغو نحو ٥٠ مليون دولار ، والشيخ للاستافورد ٢٥ مليوناً للجامعة المعروفة باسمه واسم زوجته . واستر جورج استمان ٢٥ مليوناً لجامعة روتشستر . وجيمس ديوك ٢٥ مليوناً لجامعة ديوك وعوردن ماكي ٢٠ مليوناً لجامعة هارفرد وجون ستراتج ٢٠ مليوناً لجامعة ييل وهنري فريك ١٥ مليوناً لجامعة برنستون

وخص جامعة كليفورنيا من تبرعات الافراد في السنوات العشر الماضية مليون دولار في السنة على المتوسط

الساعي لجمع التبرعات

تألفت في أمريكا لجان لعملية لجمع الاعانات لهذه الجامعة أو تلك مما يبلغ عدده نحو سبعين لجنة جمعت سنة ١٩٢٦ مبلغ ١٥٩ مليون دولار أي ٨٢ في المائة من مجموع المبلغ المطلوب للجامعات . على أن ٣٣ معهداً من السبعين تشار اليها جمعت كل ما طلبته أو زادت عليه و١٠ جمعت الى ٥ في المائة اكثر مما طلبت و١٠ أخر جمعت ٦ الى ٢٢ في المائة اكثر مما طلبت و٥ جمعت واحدة منها ٣٠ في المائة اكثر مما طلبت . وثانية ٥٠ في المائة اكثر منه . وثالثة ٦٠ ورابعة ٨٠ وخامسة ٩٠ في المائة اكثر مما طلبت

و٣٥ في المائة جمعت أقل مما طلبت و٥ في المائة أقل من النصف و١٤ من ٥٠ الى ٨٠ في المائة أقل مما طلبت و١٦ من ٨٠ الى ١٠٠

وبلغ عدد أعضاء اللجان التي نشر عنها ٣٠ الفاً وعدد المتبرعين نصف مليون بمعدل ٣٠٠ دولار من كل منهم . واكثر من نصف المتبرعين في الجامعات السبعين (وعددهم جميعاً نحو ٦٠٠ الف) تبرعوا بمبلغ ٦٩ مليون دولار . وبلغ متوسط تبرعات بمقدار نحو ٤ في المائة من المبالغ التي جمعتها

ونالت هذه الجامع ٢٠ مليون دولار جامعة ييل في السنة الماضية جمعت ٢١ مليوناً . واشترك في هذا العمل ثلاثة آلاف من بين عدد المتبرعين ٢٢ الفاً منهم ١٧ الفاً من المتخرجين في الجامعة و٥ آلاف من طلبتها الحاليين و٧٠٠ من الأساتذة فيها . وجمع ٦ ملايين من هبات مقدار الواحدة منها ٥ آلاف دولار فاقل ، و٧ ملايين من هبات مقدار الواحدة منها ٥ آلاف دولار فاكثر الى ١٠٠ الف و٨ ملايين من هبات يزيد الواحدة منها على ١٠٠ الف دولار . وقام بهذه الحركة ١٥ ألفاً من المتخرجين في الجامعة فأدوا ١٦٠ مأدبة في وقت واحد وفي كل ناحية من انحاء العالم وكانوا متصلين بعضهم ببعض بواسطة الخطوف اللاسلكي ، وبلغت النفقة ٢ في المائة من مجموع المال الذي جمعوه . وكل ذلك حدث بلا مظاهرة ولا ضجة ولا صخب حتى ان كثيراً من المتخرجين في الجامعة لم يسمعوا به الا بعد انتهائه

ولا ريب ان الدافع الى البر والاحسان فطرة في بعض الانسان حثت عليها جميع الاديان العظمى ، ولكن الجهد الذي يبذل في اخراج هذه العاطفة من القوة الى الفعل لتي عقبات جمة عند بداية . فقد حاولت اليونان ورومية تخفيف ويلات الفقراء بتدابير من مآلها ان يعطى كل فقير بدى السؤال طعاماً ولباساً ومأوى وبعض نقود من الاموال العمومية ، ولكنهما وجدتا ان هذه

الطريقة زادت عدد المحتاجين بدلا من أن تنقصه . وتناول أرسطو وشيشرون كلا من هذه المسألة وعنا فيها طويلاً فقال أرسطو ان معاونة المحتاج لا تفكر دقيق قد تتعدى الى ضرر كثير اذ تحملهم على الكسل والتواني والقعود عن العمل وعليه أشار باعطائهم أعمالا يؤجرون عليها ومالا عند الاقتضاء للشروع في الاعمال . وقال شيشرون ان الرعة في المساعدة يمكن تعيدها على أحسن سبيل بالدرس الدقيق وفهم الاحوال تمام الفهم والارشاد للصعوب بالعطف والتعاون الدائم

ووجد من مبدأ الامر ان ذلك كله لا بد له من نظام ملائم تؤسس أموال موقوفة لهذا الغرض . ولذلك كانت أوقاف الثروات قديمة قدم المدنيات العالية . فأفلاطون حوكى عنه أكاديمو التي كانت ممكنة له أكاديمية وركها هي وأملاكا أخرى لخلفائه فتحولت على مرّ الايام الى جامعة أثينا . ووقف الطالسة مكتبتهم في الاسكندرية على الامة . ووقف بنيوس الصغير مدرسة عمومية على أهل مدينته كومو

كارنيجي

جمع كارنيجي الثري الاميركي موطناً الانجليزي أصلا ثروة لا يعرف لها نظيراً في تاريخ العمل تفرع لتوزيع تسعة أعشار ثروته هبات لا تحصر منها ٨٠ آلاف أرغن وهبها لثمانية آلاف كنيسة و٣٠ آلاف مكتبة ، وأموال وزعها على ٥٠٠ جامعة وكلية

وبلغ المبلغ الذي وزعه ٣٥٠ مليون دولار وقف قسماً منها على ثمان مؤسسات دائمة في أميركا وانكلترة وكندا وسوف يوزع ما بقي من أموال توزع على كل عمل يسعى لخير صحته من أجله بطلا وخصوصاً ما تعلق بالعلم والعلماء وأموال وقفت على السلام العمومي ومنع الحرب ونشر المعارف في كل مكان و صلاح حال ٣٠ مليوناً في انجلترة وايرلندة

روكفلر

بلغ مجموع هبات روكفلر وابنه ٦٠٠ مليون دولار وقفها على خمس مؤسسات كبيرة للبحث العلمي وترقية التعليم العام والاحوال الاقتصادية في ولايات أميركا المتحدة و صلاح حال الناس عموماً أينما كانوا كمكافحة الامراض وانشاء المستشفيات مما نشأ عنه تحسين حال ٣٠ مليوناً من النفوس في جميع أنحاء العالم . وقد وزع من هذه الاموال طبقاً لرغبته وقيمتها ٢٢٥ مليون دولار من رأس المال ما عدا الفوائد المتجمعة

خطأ ملابس الرجل

وعدم ملاءمتها للصحة

تفضيل ملابس المرأة عليها

كتب عالم أميركي مقالة عن ضرر ملابس الرجل بالنسبة الى المرأة فقال : « معي عدد من السنين والاحصاءات تدل على ان مواليد الذكور أكثر من مواليد الاناث » . ولكن لما كان الاطفال الذكور أضعف من الاناث فان الوفيات الكثيرة تزيد سهم على ما هي بين الاناث . فاذا طلع الفريقان بعد دخول المدارس تكون النسبة في عددهم قد انقلبت على عكس أي ان الاناث تصبحن أكثر عدداً من الذكور . وعلى هذه النسبة نحكم على مرور الايام في مصلحة الاناث أي انهن يبقين على ازدياد بينما يرى الذكور يتضاءلون بنسب حددت التي تتعرض لها الرجال في أعمالهم اليومية ولان الامراض أفتك بالرجال منها بالنساء

ويؤخذ من تقرير احد رؤساء طبي من عشرة آلاف تلميذ وتلميذة الذين يدخلون المدارس للعمل فيها ويشتغلون بالصناعات المختلفة ان أجسام البنات أصح من أجسام الفتيان وان مقدار النسب في هذا الفرق هو للملابس التي يلبسها الفريقان .

ولم تختلف ملابس النساء عن ملابس الرجال اختلافاً جوهرياً قبل عشرين سنة . ورواد المرأة الصغيرة الغد السوريسانية (الصدية) التي كانت سائدة في أواخر القرن الماضي زالت معها ملابسها وقد كان نسيج الثوب منها لا يقل عن ضعف ورقات مرتين !

وكان متوسط ثقل ملابس الرجل منذ ضع سنوات ١٥ رطلاً ، وملابس المرأة أكثر من ذلك بقليل ، وما يزال الرجال متقيدين بالثياب كقدمهم الاولى ، أما ملابس النساء فقصت الى عشر رتبها القديمة . ومعنى هذا ان الرجال ما يزالون يحملون من الثياب نحو عشر ثقل أجسامهم في حين ان النساء - وقدرته على احتمال البرد مشهورة - لا يحملن من الفرو الا ما يواري جزءاً من خمسين من ثقل جسمه

والرجل يدفع ثمن هذا الانحطاط من عدة طرق . فانه مضطر ان يبذل جهداً معيناً في حمل هذه الزيادة أيا ذهب . ثم ان نتيجة هذا الانحطاط في ملابس يتركه كأنه عائش في اقليم استوائي من صنع يدهم على مدار السنة . فان متوسط الحرارة داخل ملابس الرجل ٨ر٨٧ الدرجة تقيس فارنهيت

وقد حل ملابس امرأة ٨٠٫٦ ومتوسط درجة الرطوبة ضمن ملابس الرجل ٧٠ في المائة ، وللمرأة ٥٥ في المائة . وعلاقة ذلك ان الرجل يذوق الامرّين من شدة الحرارة وشدة العرق معاً في ملابسه

ومن عجائب الطبيعة بقاء حرارة الجسم واحدة حال الصحة صرف النظر عن الحرارة التي حوله . فان أحسسنا بشيء حرارة على الصوم تبقى حرارتها على درجتها الثابتة الطبيعية أي ٩٨٫٤ الدرجة ف (٣٧ س) فاذا وجدنا في اقليم حرارته ورطوبته عاليتان وكانت ملابسنا تعوق دورة الهواء وتحدده فيها فان وظيفة الجسم الخاصة بالتبريد تتعطل فتتعطل معها وظائفه الحيوية اذ يبقى على عدد العرق فيه حمل قد يبلغ درجة الخطر ، وهذا يؤثر في توزيع الماء على الجسم وقد يؤثر في الكليتين والاحشاء الحيوية الاخرى

وقد ظهر من تجارب الدكتور «فريد رجر الاماني» في ملابس الرجال والنساء واختراق أشعة الشمس لها ان كثيراً من نور الشمس يخترق ملابس النساء فيصيب أجسامهن ويفعل فعله الحيوي المقوي فيها . ولكن هذه الاشعة لا تخترق ملابس الرجال العادية . وقد استعمل في تجاربه هذه الورق الحساس للنور فوجد ان ما وضع منه تحت ملابس المرأة تغير لونه كثيراً بخلاف ما وضع تحت ملابس الرجل فانه بقي على لونه

وربما كانت تهوية سطح الجسم مثل وصول النور اليه في أهميته ، وملابس الرجال تحول دون هذه التهوية

وظهر من تجارب وزارة التجارة الامريكية في النور الشمسي وتغيره الانسجة المختلفة ان أشعة هذا النور تخترق ملابس الصيف والشتاء أي ما يسمى خفيف ملابس الحرير والصوف واذا صبغت أو اصفرت من فعل الشمس ضعفت قوى هذه الاشعة فيه . ووجدت ان التهوية أسهل كثيراً مع الملابس التي تسمح كثيراً بخلال الهواء منها بالملابس الاخرى

والناس يؤمنون النور من التجربة في كثير من الامور الاصطناعية والاستشفاء وما يحسون من النفع هناك يرجع الى كثرة تعرضهم للاشعة الشمسية . ولكن أفضل من هذا التعرض — وما يصحبه من لمع الشمس للوجوه — لبس الملابس الملائمة للنور والتهوية . ويظن الناس خطأ ان هواء البحر منشط للجسم يجدد لقواه من طبيعته ، والحقيقة ان فعله المنشط عائد الى تهوية لسطح الجسم وازالة طبقة الهواء الراكد عليه

والمناطق والاحزمة التي تتمنطق بها تزيد الطين بلة لا من جهة كونها تعوق الدورة الدموية فقط ، بل لانها تحول دون الدورة الهوائية على سطح الجسم ومن هذا النوع أربطة الجوارب وباقات النشا مما يحس بالرجال التحرر منه على قدر الامكان . وقد سمعنا أحسن معلمي الباقات المنشاة يشكون كساد صناعتهم ، فعسى ان يكون ذلك ناشئاً عن بعد الرجال لهذه الباقات التي تحسسه البقية الدقيقة من الكورست الذي كان العرض الاصلي منه اتقاء طعنات الرمح والسيف . فهي الاوعية الدموية في العنق كثيرة ولكنها محصورة في مكان ضيق وهي عظيمة الشأن لانها تحمل مقداراً كبيراً من الدم الى الدماغ . قال طبيب مشهور : « كما شعرت صناع بما يقتك » . فهي عقبة في سبيل الدورتين الدموية في باطن الجسم والهوائية في ظاهره

وخلاصة القول ان الياقة وربطة الحوارب والملابس التحتية والمطه من ملابس الرجل تحجب نور الشمس عنه فلا يراه الا وجهه ويديه في حين ان ثلث جسم امرأة معرض لنور الشمس والاشعة الصحية ، وجسمها كله معرض للهواء والتهوية في تيارات المستمرة . فهي والحالة هذه أحسن منه بكثير بدنياً وعقلياً

ثم شرع الناس في مبدأ الامر يلبسون الملابس ؟ هناك مذهب يقول ان امرأتهم التي شرعت شريعة لبس الثياب ، وغرضها من ذلك ان تكون أكثر مغناطيسية وأشد جذباً . وفي مذهب ثان : ان الملابس شرعت للتدفئة ولاتقاء عضاض الحشرات ولسعها . ومذهب ثالث (وهو مذهب التوراة) ان أصل الملابس الشعور بالخجل والحياء من العري فأحدثت ستراً للعورة . وهذا المذهب الاخير صعب التصديق لان بين أهل أفريقية قبائل عريانة بالطبع تحسب ستر الجسم خروجاً عن حدود الادب

ولكن دعنا من هذا كله ولنر بحث العلماء آراءاً صائبة وقولاً واعية — ذلك البحث الذي أثبت لنا ان ملابس الرجل قد تهدم صحته ما لم يحمله بعد نظره على تغيير زيه الحالي في لباسه

أمثال وحكم غربية

ا الجواد قلما يعثر بالمبادرين

ف كل انسان عالم صغير

ف لا جميل الا الحق

ا اذا شئت أن تكون صالحاً فاعتقد أولا انك صالح

ف كل الاشياء تتلاقى الا الحب (حمل عمل لا يلتقي وابن آدم بابن آدم يلتقي)

ا جرب لك أن تبلى (بالعمل) من أن تصدأ (بالراحة)

ا كن حكيما اليوم لان التأجيل خيانة

ا لا حاجة للعقول الغنية الى مكاتب واسعة

ا جروح النفس لا تندمل

ا اجتنب الشر يجتنبك

ف الرجل الفارغ يصدر كالماء الراكد (ضحكت الماء يبقى آسناً)

أكبر منظار لدرس الافلاك

قطر مرآته الماكسة ٣٠٠ بوصة

حصل علماء الفلك المحدثون منهم في الزمان الاخير كشف الفضاء عما حيث توسع الكون وعن حساب القمر وزيادة عدد الكواكب التي ترى من الارض ثلاثة أضعاف واكتشاف عدد أخرى غير التي اكتشفت حتى الآن مما يختلف بعده عما بين ١٠٠ وعشرة آلاف مليون سنة نورية (١) ورأوا ان لا عين لهم قبل الوصول الى ذلك عن عمل منظار هائل الحجم قطر مرآته الماكسة ٢٥ قدماً ويفوق بكثير جميع المناظير المعروفه . وقد مر الى الآن سبع سنوات على صنع التلسكوب الكبير المنصوب على جبل ولسن وقطر مرآته الماكسة ١٠٠ بوصه فزادت معرفه الفلكيه عدة صعه زيادة عظيمة

وصانع هذا التلسكوب هو الدكتور بير وقد رأى بعد الدرس الطويل انه يمكن صنع تلسكوب قطر مرآته ٣٠٠ بوصة وهو آخر حد يستطيع الانسان الذهاب اليه في صنع المناظير مع معارفه الحالية . وقد قدرت نفقه نحو ١٢ مليون دولار . ومعلوم عند صانعي المناظير أن نفقتها تزداد ازدياداً لا يتناسب مع حجمها أي أنها تبلغ مكعب الحجم أو نحوه . فتلسكوب قطره مائة بوصة تبلغ نفقته نحو خمسة أضعاف تلسكوب قطره ٦٠ بوصة . والذي قطره ٣٠٠ بوصة تبلغ نفقته ٢٥ ضعفاً وهكذا

والمصاعب الفنية والهندسية التي تعترض و صنع التلسكوب من هذا القبيل لما لم يعترض لصانعي المناظير قبلاً . فقد قدرت زنته نحو ١٦٠٠ طن وطوله نحو ٨٠ قدم وقد تركه بحيث يتبع حركات الكواكب بأعظم دقة ويكون قطر القمة التي تنصرف عليه ٢٠٠ قدم . ولا يعلم بعد أين ينصب ولكنهم يرون أن ينصب على صعيد جاف في حال من الاضطرابات البركانية وقريب من الدنية ما أمكن وجوه صاف على مدار السنة . والظنون أن ذلك يكون في جنوبي خط الاستواء

أما ما يؤمل منه فهو أن يرفع الستار عن بعض أسرار الفضاء التي لم يوفق الانسان الى حلها حتى الآن فمنها مثلاً تركيب حلقات القمر وكيفية تكونها لاننا نستطيع به ان نرى الأشياء بجلاء لم يتيسر لنا قبلاً . وعبارة أخرى انه اذا كان في القمر سكان وكان عندهم منظار مثله فانهم يستطيعون أن يمروا به السنات الكبرى من بنات بيوبورك المعروفة باسم مواضع السحاب أو الساحرة لفياثان تحتاز الاتلانتكي أو القطار الذي يسير بين بيوبورك وشيكاغو . ونحن نستطيع به أن نقرب السيار المريخ بحيث نتمكن من درس جوه ونعلم هل هو مأهول ؟ . . أما السيارات البعيدة مثل الزهرة

(١) يراد بالسنة النورية المسافة التي يقطعها النور في سنة

وللمشتري والتي لا عهد لنا اليسير عنها قبل التلسكوب بقربها الى حد يستطيع عنده قياس أبعادها وحجومها وسائر ما يتعلق بها قياساً دقيقاً

وهذا التلسكوب الذي ينوي صنعه من النوع العاكس مثل تلسكوب حل ولسن وهما يختلفان عن المناظير الأخرى في أن مرآتهما العاكسة لا يمر فيها النور كما يمر في عدسات المناظير المعروفة بل ترد لتعكس النور الذاهب بسطوحها المقعره جيداً حد جيد وتصنع على منوال يكون به مقعرها على أعظم ما يمكن من الدقة الهندسية . أما المناظير الأخرى فمعظم الصعوبة فيها صنع عدسة خالية من الفقاقيع وغيرها من العيوب التي تعدل كعابها رؤية الاشباح البعيدة

أما منظار حل ولسن فمنظر مرآته ١٠٠ بوصة كما تعلم القراء وسمكها ١٣ بوصة وثقلها ٤٤ طناً وهي تصقل في المعمل المصورة كل أسبوعين لحفظها على تمام الصقالة . وفي زمن الصيف تردد بعض الجرائد خشية أن تغير الحرارة شكلها

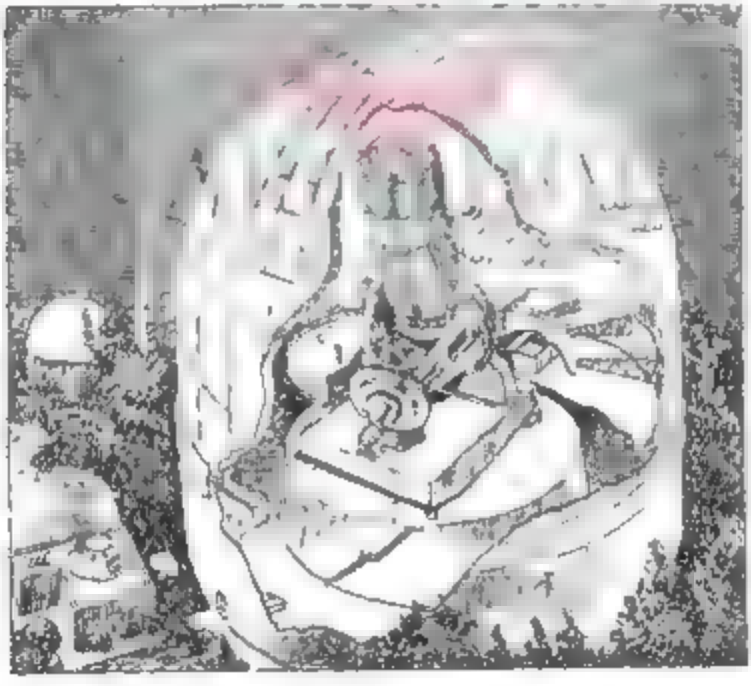

صورة التلسكوب الكبير الذي يراد صنعه

دولة تتأمر على عرض امرأة

نابليون الاول والكونتيس فاليسكا

اني اتقدم الى القراء تحت هذا العنوان قصة حياته بين اتقدم اليوم واقعة تاريخية لستمدها من المصادر التي لا يرقى اليها الشك وأهمها كتاب Napoleon et les Femmes تأليف احد روح اخصاء الثقة فريدريك ماسون العضو بمجمع العلماء الفرنسي [المحرر]

في اليوم الاول من شهر يناير سنة ١٨٠٧ كان الامبراطور نابليون في طريقه الى فارسوفيا عاصمة بولونيا ، ووقف بباب جديه روبيا ليستقبل عياد عرته المتمة جياداً عربا . وقد احتشدت الجماهير لتحي الامبراطور الذي علقت عليه بولونيا كل آمالها في الاستقلال ، وارتفعت الاصوات تدوي بالدعاء له ، ورن للاريشال دوروك من العربة وشق لنفسه طريقاً الى الخان . فلما مثل بابه صمع بنده كأنه بداء استغاثة ، ورأى أيدياً ترفع كأنها تستنجده ، وصية تخاطبه بالفرنسية قائلة :

« أتوسل اليك يا سيدي ان تتقدم من هذا الموقف وان تمكننا من رؤية الامبراطور »

وقف للاريشال وألقى نظرة الى التي تخاطبه فاذا هي صبية على صحة الشل . شقراء ذات عينين زرقاوين تفيضان سماحة و[illegible] كأنها صنعت من أوراق الورد ، صغيرة القامة رائعة الجمال الوجه والقد بديعة التكوين . وقد استلفت صديقه هذا لا سيما من أمرها شيء .

عند للاريشال دوروك بنده من شدة وقارها وصدعها الى عربة الامبراطور وقال : « مولاي ! هذه سيدة تحمنت كل [illegible] ، هي تلتمس لأمة بولونية ، ومال برأسه نحو الصبية لتحدثها . ولكن ما [illegible] قبل ان يتم كلامه فقطع وقال « مرحباً بك يا مولاي . ان أرض بولونيا لتشرف [illegible] البولونيين جميعاً لعمر الحق لا يستطيعون ان يعبروا التعبير الصادق عما تكنه قلوبهم من حب شخصك العظيم [illegible] وطن المكروب ليضرع اليك ان تأخذ بيده لتنقذه من الاستعباد »

وبينما كانت تلك هذه العبارات بصوت مهيب قد علته التأثر والحياء ، كان الامبراطور ينصر الى وجهها بامعان وانتباه ، ثم تناول باقة من الزهر كانت في عربته وقدمها اليها وقال : « احتفظي بهذه الازهار عربوناً على حسن بياني نحو بلادك التي يهمني أمرها . وأود لو تتقبلي في فارسوفيا . ولعلي أكون يومئذ قد سمعت كلمة شكر من فمك الجميل »

ثم صعد للاريشال الى جانب العاهل وتحركت العربة مسرعة بين تهليل للهللين وهتاف الهاتفين وأدارت الصبية وجهها لتشيع العربة . وبعد برهة قصيرة لم تعد ترى سوى غمة نابليون ترتفع وتنخفض تردد تحية هذا الجمع الزاخر

* * *

كانت هذه الصبية تدعى ماري فاليسكا وهي ابنة أسرة عريقة في المجد قليلة المال ترنت على مبادىء الفضيلة وشبت على العطف والعفاف متمسكة بعروة الدين والوطن . أما الحب فلم تكن

تعرف منه غير حب الله الذي لم يعادله في قلبها غير حب وطنها المكروه ولم تتجاوز ماري الخامسة عشرة من عمرها حتى تقدم اليها خاطبان : الاول شاب روسي جميل غني من بيت رفيع ، لم ترض به روحا لانه روسي والروسيا تستعمد وطنها ، ولأنه ابن أحد القواد الذين أذاقوا بولونيا مر الاضطهاد . والثاني شيخ يناهز السبعين له أحفاد يزيد عمر أحدهم على عمر ماري تسع سنوات ، ولكنه كبير قومه وغني ووارث اسم من أكبر الاسماء . ذلك هو الكونت فاليسكي

حاولت العائلة ان ترضى اليد التي مدها اليها الشيخ ، ولكن أمها المثالة العفيفة ما كانت لترضى مثل هذا المصير الذي يعيد الى البيت رواءه القديم . وعقد الكونت العجوز على ماري اليتيمة وورقت منه غلاماً كان سلوة أحزانها وتعزية فيما تخطاها من الهناء

ولكن أيقضى على هذا الغلام هو الآخر ان يعيش بلا وطن وان يذوق صولة الغاصب في بلاده وان يستعبد من العدو أملاك آبائه المصادرة وتراث أجداده المسلوب ؟ كلا ! بل يجب ان يكون ايها رجلاً حراً . ولن يكون رجلاً حراً ما غلب بولونيا ترسف في قيود الاستعباد . اذن لا بد من ان تستقل بولونيا ! ومن أقدر من نابليون على اعادة استقلال بولونيا ؟ ان نابليون الذي قهر النمسا وألمانيا ولم يبق امامه الا ان يتغلب على جيوش الروسيا ، لهو العدو الطبيعي لهذه التي تقاسمت بولونيا ، ومن ثم هو الصديق الطبيعي الذي أتاحه الله لتسقط هذا الوطن الذليل من أيدي غاصبيه . فكيف لا يكون متعلق آمال البولونيين وعقد رجائهم في تحررهم من بؤسهم واستقلال ؟ وهذا هو نابليون قادم . ألا فليهرع الشعب الى لقائه ، وأحق الشعوب من حقه هذا الشعب ما يستذر عطفه عليه . فتلك كانت أمنية ماري فالنسكا عندما ملأ بولونيا في طاعته الخروج الى احتشدت لتحية المنقذ المنتظر

* * *

غابت عربة الامبراطور عن عين قصره ، ولكن هذه ظلت في مكانها محدقة شاردة البصر حتى هزتها صاحبتها فعادت الى نفسها وأسرعت بقلم زهر في يدها فكتب في مذيل وأوسعت صديقتها بكتمان ما كان ، وسارت عربتها الى مسكنها في فارسوفيا فبلغته في ساعة متأخرة من الليل . وأفاقت به هذه الفاتنة كما يفيق الانسان من حلم عجيب . ولولا باقة الزهر لما شكت في أن ما كان انما كان حلماً وقد انقضى كما تنقضي سائر الاحلام

وصل الامبراطور الى فارسوفيا فأقيمت له الحفلات والاعياد وتنافس أعيان المدينة في الاحتفاء به ولم يبق كبير ولا نبيل الا حظي بشرف المثول بين يديه . وقد عرض الكونت فاليسكي على زوجته ان تصحبه في السهرات التي يحضرها الامبراطور فأبت ولم يرد ان يلح وتركها في إبائها

ولكن حدث ان زارها كبير سفراء المدينة الروسي بونياتوفسكي ليدعوها الى سهرة راقصة تقام في قصره تكريماً للبولونيين . فلما اعتذرت صرح الامير بأن الجميع لاحظوا ان الامبراطور قد اختص سفارته أميرة اسمها الروسيس لوبومرسكا ، وانهم كانوا في سبيل مرضاته يتمنون ان يجعلوها في طريقه أينما حل . بيد ان المارشال دوروك قد صرح لهم ان الامبراطور قد كان يكثر من التردد الى هذه الاميرة فلأنها تذكره بصبية عجوله التي بها في مدينة بروسيا وأهداها باقة من الزهر ، وأنه

لا شيء يسر خلاله بقدر ما تسره رؤية هذه الصبية مرة أخرى . ثم ذكر لهم أوصافها وتفاصيل ما وقع بينها وبين سيده . وأضاف الامير پوياتوفسكي ان كبراء المدينة قد اتفقوا كل في طريق يستقصون ويبحثون حتى اذا اهتدوا الى الزميلة التي كانت تزاحم الصبية المجهولة في روبيا فدلتهم عليها وأخبرتهم بها الكونتيس ماري فاليسكا . ثم قال إنه جاء يدعوها الى حفلة الراقصة لان رجال الحكومة وأعيان الدولة يريدون ذلك فما يريدونه لارضاء الامبراطور . وظل يلح ويلطف تأنى وتعذر حتى يئس وانصرف

ولكنه ما كاد يخرج حتى توافد عليها رجال الدولة وعظماؤها الذين ترتكز عظمتهم الطبية على ما لهم من الاعتبار والاحترام في نفوس الناس . وكان الواحد بعد الآخر منهم يتوسل اليها ان تجيب دعوة الامير قائلاً : « من يدري يا سيدتي ؟ لعل الله يريد ان يستخدمك في بث هذا الوئام العزيز » ثم جاء دور زوجها — وكان يجهل مقاطعة روبيا ولا يرى في الجامع هؤلاء السادة على روحه الا اعترافاً منهم بمركزه الاجتماعي والا أنهم يشرفون هذه بتقديمه وامرأته الى الامبراطور — جاء دور زوجها فاتخذ بالرجاء والتوسل و تنهى الى الامر حتى أذعنت الكنية لما يريدون ووعدت ان ستحضر الحفلة

وحل اليوم المنتظر وأزفت ساعة الذهاب الى قصر پوياتوفسكي وأقبل الزوج يستعجل روحته ويبدي الملاحظات على زينتها وهندامها ويلح عليها كل الالحاح ان تبدو في سهرة المدينة بهاء ورونقاً . ثم استقلا العربة الى قصر الامير ودخلت الكونتيس بين صفين من التحيي والمجاملات والتكل يهنئون بالثناء على هندامها وجمالها وما كان يخلو [illegible] من همس حيناً الى الامبراطور فقد أبى عليها حماؤها ان تكون موضوع [illegible]

وجلست ماري ووقف زوجها [illegible] في أذنها أن الامبراطور كان ينتظرها قلقاً وأنه لما رآها أشرق وجهه وتهلل وأنه [illegible] كل سعوده وأنه أمره أن يرقص معها . ولكن ماري اعتذرت وقالت انها لا ترقص ولا تحب الرقص . وهنأ حماها الامير أن يفهمها أن هذا أمر الامبراطور وان نجاح الحفلة يتوقف على رقصة ترقصها . وأصرت على الرفض اصراراً حمل الامير يتجه الى الماريشال دوروك الذي ذهب الى سيده وأخبره بما كان

وأقل ضباط أركان الحرب الفرنسيين بالكونتيس يتقربون اليها عبر عليهم ان عين السر ترقبهم ، لان ما كان أمراً مذاعاً بين البولونيين كان سراً مكتوماً على رجال الامبراطور وحاشيته . وسرعان ما قطب مايون حاجبيه غيظاً وانهالت الاوامر من فمه على الماريشال يرتبه لتشتيت أولئك الذين يرقبونه وهم لا يعلمون انهم الحيران يتحيرون ان يلحق في الحال بالفرقة السادسة وفي الجزر يتران ان يكون قبل الصباح في رسلو وعلى هذا ان يحمر لا أدري ماذا وعلى ذلك ان يذهب الى لا أدري أين ، حتى ضاع الماشل الجو ، وأولئك القواد والضباط يصدعون بالامر ويغادرون الحفلة ساخطين باقين لا يعلمون ان نصيبة انصبت على رءوسهم لا لشيء سوى أنهم جلسوا حول فريسة الاسد

وبما أن الكونتيس فاليسكا لا ترقص فلا معنى لان يرقص غيرها وصدرت الاوامر بانتهاء

الرقص وقام الامبراطور يطوف قاعات الاستقبال مشتت الذهن شارد البصر يحاول ان يلاطف المدعوات وهو لا يدري ما يقول ، حتى سأل غانماً شوهاء اذا كان زوجها يغار على جمالها ، وسيدة ضخمة جسيم الى حد مضحك اذا كانت تجيد الرقص . وكان لا يسمع ما يقال له أو يسمع ولا يفهم . وعلى كذلك حتى بلغ به الطواف الى فاتنة لبه موقف أمامها وقال بصوت مسموع : « ان هذه الثياب البيضاء لا تحسن بوتك الابيض » ثم همس في أذنها : « كنت أظن اني أستحق ان تستقبليني بأحسن مما فعلت » ثم تحنى وغرس في وجهها برهة ثم ابتعد . وبعد دقائق غادر القصر وأقبل الجميع يجمعون ما تناثر من كلمات الامبراطور ملقين اهتمامهم الى ما قاله للكونتيس فاليكا ملحين عليها لتتمم بما لم يسمعوه . ولكنها حفظت سرها ولم ترد أن تبوح به لاحد . وفي طريقها الى دارها أخبرها زوجها أنه قد بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عنها دعوه الى حفلة عشاء تقام في العيد وسيحضرها الامبراطور . وهمت للكيه لتبوح لزوجها بسر الشرف المنصوب ولكنه انطلق يوصيها باختيار أنظر الثياب وأجمل الزينات . وما كادت تبلغ غدعها حتى سلمتها وصيفتها مظروفاً وجدت فيه الرسالة الآتية :

« لم أرَ إلاك ، ولم أحب الا بك ، ولا أرغب الا فيك ، فهل من كلمة تهدي، نفسي الهائمة ؟ » ن.

قرأت هذه الرسالة وما أتت على آخرها حتى كورتها في يدها ناقمة من أسلوبها الجريء، وأخبرتها الوصيفة ان الرسول وهو الرئيس بوتوفسكي لا يزال ينتظر رد أمام سور الحديقة فارتدت عصاً وخفاً وخرجت تتبع الوصيفة حتى بلغت الرسول فسلمت له رداً ، ولكن لم يرتح الى هذه الطريقة وطلب الوصيفة حتى تعود له سيدتها التي ما رآته حتى وثبت في وجهه الدم وأعلمت من ورائه أنها لن ترد . وظل الامير يرجو ويتوسل ويلح ويحلف ويهدد نصف ساعة كاملا معرضاً نفسه بهذا الموقف المريب الى صيحة شعب ، وهي لا تزداد إلا اصراراً حتى يئس وانصرف مصمماً

وفي الصباح سلمت وصيفتها رسالة ثانية ولكنها لم تمس علاقها وأعادتها مع الاولى الى الرسول آمرة ان يردها الى كاتبها

وعند الضحى اجتمع في دارها وزراء الدولة وزعماء السياسيون ومعهم المارشال دوروك يريدون مقابلتها فاعتذرت بأنها مريضة وازمت غرفتها . ولكن زوجها الذي يخشى ان يقال إنه غيور عليها أبى الا ان تجتمع بهم فرضيت أن يصعدوا اليها وهناك تألب عليها الجميع وانصبت عليها النصائح من كل ناحية وتقدم اليها رئيس الوزراء وقال : « ان من الاعتبارات يا سيدتي ما يجب أن يضحى له كل شيء . ونحن اليوم حيال اتحاد أمة بأسرها فيجب ان يزول التوعك الذي ألم بك وان تجيبي دعوة الداعي الى حفلة العشاء ، واعلمي ان الرفض في مثل هذه الاحوال لا تقدم عليه بولونية مخلصة تدرك ما حاق بوطنها من الاهوال »

اذن وجب ان تنهض وان تقبل الدعوة وان تعمل بنصيحة زوجها فتذهب الى عشيقة الرئيس بوياتوفسكي لتسترشد بحزمها فيما يجب ان يكون عليه زيها وزينتها . وهناك تسمها العشيقة الى شاة من صديقاتها تعرف كيف تتسلل الى العقول والقلوب فتظل تهمس في أذنها ان الوطن يناديها وان شهداء بولونيا يناجونها وانها ان ضحت أغلى شيء فانها تضحيه في سبيل أشرف غاية . ولما

آثرت أن إبادها أحد يترعرع أظلمتها على الرسالة الآتية وقد وقعها عظماء الدولة وزعماؤها ورجال الحكم فيها :

« أيتها السيدة : ان أعظم الحوادث قد يترتب على أصغر الاسباب . ولقد كان النساء في جميع الازمنة سلطان كبير في تسيير سياسة العالم وفي حل المشاكل من الامور ، وتلك حقيقة يشهد بها تاريخ العالم القديم والحديث . وستظل النساء من أقوى العوامل ما دامت الشهوات مسلطة على ميول الرجال

« لو كنت رجلاً لقدمت حياتك راضية مختارة في سبيل قضية الوطن العادلة الشريفة . ولكنك امرأة وطبيعة المرأة لا تسمح ان تحتم عليها في مواقف الحرب والصدام . بيد ان هناك من التضحيات ما تستطيعين ان تقدمي عليه وما يجب ان تلزمي به نفسك إلزاماً وان كان من نوع قاس لا يحتمل

« وهل تطيق أيتها السيدة ان استير قد سمت نفسها لاحشويرش (١) خضوعاً لعاطفة الحب ؟ ألا ان الرعب الذي كان يستولي عليها حتى تمنع فاقدة الرشد كلما نظر اليها لدليل على أنه لم يكن للحب نصيب في هذا الزواج . ولكنها قدمت نفسها ضحية لقومها وكان لها في النهاية مجد انقاذهم . فهل يتاح لنا أيتها السيدة ان نتحدث عن عملك وسعادتنا مثل ما تحدثت به عن مجد استير وسعادة قومها ؟

« ألست نفسا وأملاً وأخاً وروحاً لكراه من البولونيين الذين تتكون منهم ومنا وحدة الوطن ، تلك الوحدة التي لا سبيل الى المحافظة عليها ما لم تحقق مصلحة الجميع ؟

« اليك أيتها السيدة ما يقوله فيكس ورع من أتباع الاكاديوس وهو فيلسوف

« ان الرجال الذين يمسكون بكل سلطة في الشئون العامة لا يستطيعون ان يبرموا أمراً هاماً ما لم تدعمهم النساء . فاسمعي أيتها السيدة الى هذا الصوت الذي يجرر أصواتنا للتعدي باسعاد عشرين مليوناً من الناس »

اذن فالاسرة والوطن والدين مقضي عليها بالهدم . وكل من يحاول في الدولة ألقاب العلم والمجد والشرف يلحون عليها بوجوب التسليم . الجميع يتآمرون على عفاف امرأة ضعيفة لا تجد روحاً يحميها ولا أهلاً يمدونها بالنصح ولا صدقاً تتشاورون في الامر ثم يتعاونون فلا يدعون حيلة للتأثير عليها من غير ان يحركوه . وأطلعوها على الرسالة الثانية من رسائل الامبراطور وهي التي أتت ان تمحص علاقتها فاذ فيها : « هل أعصيتك يا سيدتي ؟ كيف أطمع في أن ألقي منك غير ما لقيت فهل أخطأت ؟ ان اندفاعك نحوي قد فتر بينا اندفاعي نحوك يزيد حتى لقد سلبني الراحة فهلا تحنين بشيء من الفرح والسعادة على قلب لا يريد الا ان يعبدك ؟ وهل يصعب عليك اي هذا الحد أن تحيي على رسائل بكلمة ؟ انك سيدتي لي بردين » ن .

ثم تحيي روحها وهي في وسط ذلك الاضطراب فيحتم عليها مرة أخرى ان تذهب الى حفلة العشاء والمسكينة تعلم أن دهاءها خطوة لها ما بعدها وانها اذا خطت فقد أعلنت هزيمة اذ أن هذه الخطوة هي التسليم بعينه . ثم ها هي عرفة الاستقبال تمتلىء مرة أخرى برسل الدولة يلحون

(١) قصة استير واحشويرش معروفة في التوراة

ويلحفون ولا يدعونها وحيدة حتى ان تراجع نفسها فتأتي . اذن لابد من الذهاب اذن ستذهب !

وبعد فما الذي تخشاه ما دامت لا تحب ماليون ولا تشعر في زوايا قلبها بأي عاطفة نحوه غير عاطفة الاكبار والاعجاب . وأي خطر يهدد شرفها من وجودها في حفلة تموج بالناس ؟

وعطف المدعوون والمدعوات وبينهم مدام فالبكا لاستقبال الفاتح العظيم . وأقبل ماليون يحيط به رجاله كما تحيط الهالة بالقمر . فانحنت الرءوس اجلالاً لذلك الذي عارض القدر فأذل من أعز وأعز من أذل ، والذي تناول الحوادث فبدلها على غير ما تريده سنة الزمن . أقبل بخطواته العسكرية السريعة ينظر يمنة ويسرة ويلقي البسمات على الحاضرين حتى وصل الى الكونتيس فاليكا فقال : « قبل لي إنك كنت مريضة يا سيدتي فهل زال ما ألم بك ؟ » ومضى

وعلى المائدة كانت ماري جالسة أمام الامبراطور تحاسب المارشال دوروك وقد طفق العاهل يستفسر عن تاريخ بولونيا ويستمع الى الاحوذة في انشاء واهتمام . ولكن عينيه ما انفكتا شاخصتين نحو معبودته لا تفارقان وجهها الجميل الا لتتجه نحو دوروك . وكان الامبراطور يملي على المارشال ما يقوله للكونتيس فالبكا باشارات ونظرات سرية لا يعرفها غيره . فكان دوروك اذا فرغ من املاء الرسالة التفت الى سيده ينقل ما سمعها . وحدث ان وضع الامبراطور يده على الجانب الايمن من صدره فتردد المارشال في الفهم ونظر الى الامبراطور مستفهماً ثم مالت حتى أدرك ومال نحو ماري يسألها ماذا تعني بهذه الاشارة [illegible] « أتستحين يا سيدتي ان تقدم اليك ما هو أليق بك ؟ » فاشمأزت الكونتيس فالبكا من هذه الجرأة وصاحت : « أنا لا أحب غير الازهار » وبدت لوجه الامر وأسرع فمضى « اذن سيعطف زهر العار من أرض بولونيا لتقدمه اليك »

وأدركها ماليون في زهو المنتصر وقد هجرها الحلم « وتناول يدها يضغطها بشدة وسلط عليها أشعة عينيه التي [illegible] فقال : « لا . . . ان عينيك الصافيتين تبصمان حتى . واعجب كيف يكون بحيلة خلع هذه القناعة ؟ لقد خلقت للرحمة لا للتعذيب . سلمي والا فأنت أقسى النساء »

أعصت الحصلة واستلمت الكونتيس فالبكا الى صديقاتها فدهن بها الى دار البرنس بوياتوفسكي حيث التف حولها رهط الناعمين يهنئونها على ما نالته من الحظوة والاعتبار ، وانهالوا عليها توسلاً ورجاء مرددين ان الوطن يناجيها وان استقلال بولونيا أصبح رهين خطوة تخطوها و نها الوحيدة التي تستطيع امتلاك هذا القائد على ما لا يضير عليه سواه . ثم أخذوا يتسللون الواحد بعد الآخر كأن تسللهم أمر مرتب من قبل . فلم يبق منهم غير عشيقة الأمير دحل المارشال دوروك وأعلقت من ورائه الابواب وجلس بجانبها ووضع على ركبتها مظروفاً وتناول يدها وقال : « أترضين توسل من لم يعص له الزمان امراً ؟ » وطفق يتكلم طويلاً وهي تطلي عينيها بيدها وتحهش في البكاء ولا تجيب ولكن صديقة الامير تجيب بالنيابة عنها وتؤكد انها لا محالة داهبة الى حيث ينتظرها الامبراطور . و دا تهززت نفس ماري من هذا التأكيد عذابها زان وتر الوطنية في قلبها الضعيف وبرميانها بالتقصير في حق أمتها التي تؤمل على يديها الخلاص . ثم فتحت عشيقة الأمير المظروف وقرأت : « سيدتي : ان العظمة

لتثقل على النفس أحياناً ، وهذا ما أشعر به الآن ، وكيف أستطيع أن أحب مطلق قلب يود لو يطير اليك فتخدعه اثقال الاعتبارات العالية ؟ آه لو عدت يا سيدتي ! انك انت التي تستطيعين أن تربطي ما يبدو من العوائق وهذا صديقي دوروك يعاونك ويمهد لك السبيل . تعالي . . . تعالي . . . فكل رعاياك عامة وسيكون وطنك أعز على نفسي متى أحدثك الرحمة نحو المكان » . . .

الآن تصير وضع المسألة وها هو ذا الامبراطور يقرر بنفسه ان حظ بلاده طوع قولها . وعرت أمام عينيها صورة بلادها الشقية وقد تجمعت اوصالها لقطعه وتألفت اطراف المتناثرة وحلق النسر الابيض — شعار وطنها — على القالم ان بولونيا أمة عظيمة وشعب مستقل . ثم مسحت حبيبها بيدها وانهمرت الدموع من مآقيها وقالت في تنهد عميق : اصنعوا بي ما شئتم ولكن ما يرى الله ان يكون

وما وافت الساعة العاشرة من الليل حتى وضعوا على وجهها نقاباً كثيفاً وعطوها بعباءة وسلموها الى عربة كانت تنتظرها في وسط الشارع ودفعوها الى داخل العربة وركب بجانبها رجل طويل القامة لا تعرفه ولم يتفوه بكلمة . وسارت العربة حتى وقفت مدخلاً سرياً يفضي منه الى حديقة القصر ثم انزلوها وهي تكاد لا تمشي وسارت تجر قدميها متكئة على ذراع الرجل الطويل ، واقتحمت دهليزاً في نهايته باب افتح وألفت وراءه الامبراطور

جلست ماري وحنا الحاجز مدموغ المالك ومعلق الثوب عند قدميها تنظر اليها نظرة توسل ونظرة استعطاف ، وحاول أن يتكلم فحدقت به وهو يضع الثياب فوق الأرض وقال : ماري . . . ماري . . . ، ثم نهض يحدثها اليه في ان تنظر اليه ، هي تدفعه عنها وحنا تحدثه ، أو قل حتى يحدث وهي تبكي وتنتحب وهو يوجه اليها الأسئلة ، تجيب أحياناً من أعماق نفسها وحدها ويتنقل من هذا الى باب الاستعطاف والتذلل وهي لا تزداد الا ابتعاداً ، لا تجيب صوت الغرام . وآمنت مليون فرصة الغرام ان كل شيء مقضي منه بالفشل في هذه الليلة فعدل عن خطة الهجوم الى استدراج العدو مرحلاً الخلة والاستلاء على القلعة وظل يتحدث حتى كانت الساعة تدنو من الصباح فدق الباب دقاً خفيفاً ونهض الامبراطور مسرعاً وفتح بيديه وقال : « هيا ايتها الخائنة الجميلة ، جففي دموعك وادهبي لتستريحي ولا تخشي السفر عند اليوم فهو لا يستطيع شيئاً ولا قوة له حيالك الا قوة الحب ولا يعني سوى ذلك قبل كل شيء » ثم عاونها على ارتداء عباءتها وقادها الى الباب ووضع يده على قبضته واقسم الا يفتحه أو تقسم أن تعود فأقسمت

واستيقظت ماري من نومها فألفت بجانب سريرها عشيقه الروسي بوتاوتسكي وقد حملت اليها هدايا الامبراطور وهي من الجواهر الثمينة يبهاها فاقه من نفاس صاغتها أيدي مهر الصناع . فتناولت بعضها وضربت به الحائط قائلة : « أتحسبون انهم يشترونني بالجواهر والمال ؟ » وقامت مصممة تأمر صديقتها الحديثة أن تعود من حيث أتت . ولكن سرعان ما هدأت الصديقة الثائرة نفسها ثم أخرجت من جيبها رسالة نشرتها امامها وقرأت : « ماري . . . ماري الجميلة . . . أنت أول من تتجه اليه أفكاري فلا عجب اذا كانت أول رعشة لي هي أن أراك . ستعودين . أليس كذلك ؟ لقد وعدت واذا أخلفت وعدك طار اليك النسر بحملك الى وكره . أؤمل أن أراك على مائدة العشاء وفي انتظار ذلك تفضلي واقبلي مني هذه الباقة التي أرجو ان تصبح رمزاً على حنا تتناجى به اذا لم تستطع التحدث بين

الناس . واذا رأيني أضع يدي على قلبي فاعلمي اني اقول لك اني احبك وان قلبي طافح حباً ، واذا أردت ان تحبيني ضعي يدك على الباقة لافهم انك تشاطريني الحب العميق . أريد ان تحبيني يا ماري وأريد ألا تفارق يدك هذه الباقة » . ولكن بلاغة هذه العواطف لم تشفع لدى ماري في حرأة هذا الضابع الذي يريد ان يمرو قلوب النساء كما يمرو القلاع والحصون . فلذلك اعرضت عن اهدايا وأمرت بإعادتها وان قبلت ان تحضر حفلة العشاء

كان الامبراطور قد تبوأ مكانه من الحفلة لما دخلت الكونتيس فاليسكا فما رآها حتى أرسل عليها شواظاً من عينيه ثم نهض وتقدم الى ملاقاتها مسرعاً ووجهه يفيض حقداً وغضباً . خاف ان تعود الرواية فيقدم على مظاهرة علنية ، وأسرعت فوضعت يدها على قلبها في المكان الذي عينه وضع الباقة ، ثم بسمت حتى اصفرت أسارير وجهه وأجابها باشارة خفية لاشارتها وحاد عن طريقها واتجه بالماريشال دوروك مكاناً منعزلاً وهمس في أذنه بعض كلمات . وعلى الفاتحة كان مكانها أمام الامبراطور بجانب دوروك كما حدث في المرة الاولى ودار الحديث بينها وبين الماريشال حول بولونيا ومستقبلها وما عسى ان يكون حتى اليوم في سبيلها وما انتوى أن يعمله فيما بعد كل هذا والامبراطور يحدث مصيبه ويلقي عليهم الاسئلة في أم الشئون ويصغي الى أجوبتهم ويناقشها وبيده لا تبرح صدره عند مكان القلب وعيناه لا تفارقان فاتنته الحسناء . ولما قام المدعوون بالانصراف تقدم الماريشال دوروك الى جلالته وقال : « قد أمرني مولاي أن أذكر بين يديك يا سيدتي » . قالت : « لن أذهب » قال : « بعض سطور مكتوبة بخط يده قد عثر في حصن سيهنب بها حراسته » . قالت : « ادن أيها الأمير ! » ثم دنا منها وهمس يا سيدتي وبكيك في حرسي »

وانحدرت نفس الامبراطور التي تغلب أمير ودخلت الحلم وكل السر فتلقاها متهللاً وكان قد يئس من قدومها وأحلب ووقف أمامها لحظة يتأملها في لحظة يتمتع بها بعض العطف . « لماذا حاولت مقاتلي في روسيا ؟ وقد ركبني بحب تأثير جمالك الساحر ؟ ولماذا رفضت جواهري ؟ ولماذا لم تجيبي يدك على قلبك كما كنت أريد ؟ » وهمس يرسل عليها هذه الوابل من الاسئلة السريعة والمكيبة لا تستطيع ان تجيب ثم أمسك يدها وقد عض حبيبه ورفت عيناه وقال : « اعلمي أني لا أحب إلا بالمستحيل ، وقدر ما يتعذر عليّ الوصول الى شيء يشتد أملي فيه . ان المستحيل يذكي في نفسي حدوة لا تطفأ حتى أحصل عليه . اني أريد . . . أتفهمين ما أقول ؟ أريد أن تحبيني وتتحبيني ، لقد بدات أفقد شيئاً من رعاياك وهأنذا قد عرضت الدرة الاولى من استقلال بولونيا وأكرهت روسيا على أن تنزل عما اغتصبته من أرض بلادك . فعلت كل هذا وسأفعل أكثر منه ، ولكن احذري من أن تنسيني حبي . أترين هذه الساعة في يدي ؟ في أحلم بولونيا كما أحلمها الآن »

أمام هذا البركان الثائر ، وأمام هاتين العينين اللتين ترسلان أشعة لا تقاومها الابصار ، وأمام هذه الساعة التي تطايرت شظاياها على حائط الغرفة ، وأمام هذا التهديد الذي ينصب من فم رجل جمع لمشيئته الدهر وأسلمته الحوادث قيادها — لم تستطع المكيبة سوى ان تقع على الارض مغشياً عليها . ولما أفاقت كان الضابع العظيم قد عزا منها الحصن المنيع

حسن الشريف

عجائب الحشرات

غرائزها وقوة ابدانها

عاشت الحشرات على الارض قبلما عاش الانسان عليها بزمان طويل . ويقول العلماء انها ستبقى الارض بعد زوال الانسان عنها وزوال كل أثر من آثاره فيها . وقد دهب خيال مأحدم وهو الدكتور هولمد الى أن قال ان آخر حي يدب على هذه الارض دقة كثيفة تحتبس على قطعة من الخشب وهي مادة قريبها في نور الشمس كأنها تندب عزلتها وتودع الارض آخر نظرة من نظرات الوداع .

لم يكن أسلافنا الأولون يعلمون شيئاً عن الحشرات . على ان دودة الخشرة المعروفة باسم سراج الليل أو الجاعد كانت قد صنعت قبل وجود أسلافنا عاملا قوياً للتحذير والتنويم اذا أرادت فريستها شيئاً منه لم يستطع أحد أن يمنعها من نومه العميق

وقلما عرف أسلافنا شيئاً عن الحيوانات الأليفة كالكلب وغيره كان الغالب يرى حشرات هي له كالنمر لنا ورتوع النبات منا

وقبل أن يعرف الانسان النحل وتعلم كان النحل يستعمل في بيوته جلاياه ما يستعمل الانسان المتمدن من الطرق الآن لتبييض صاحة القمح

وقد كان معظم عدم الانسان صبياً على ابتداء عهده أن الحشرات فرقت قدرتها على المطاعة بينها وبين بيئتها وترك غرائزها . فالنمل يقدر بمليون عضو كل عين منها تشتمل على ٣٠ الف سطيح مائل على الآخر لتستجمع بها نوراً قوياً كافياً لرؤية فرائسها السريعة

وقد وضع بعض الخاصين في زجاجات مسدودة عاش ستين وليس له ما يأكله سوى القشور التي كان يرعاها عن أجسامه في أثناء تحوله من دور الى آخر من أدوار عمره .

وترى النحل والنمل والزنابير ملكات بعث غايته التكاثر في وضع البيض وهي لا تزوج سوى مرة واحدة في حياتها . فهناك عما فيها كيس باطني صغير تخزن فيه حراثيم الذكر وهي تفض ذلك الكيس وتفتحه كما تشاء عند ارادة التخصيب

وحاسة الشم في بعض الحشرات قوية الى درجة لا تصدق . وليست حاسة الشم سوى ثغر صغيرة على قرونها تبلغ في بعض الخاصين ٤٠ الفاً . ذكر فابر بين تجاربه ان أنثى من أنواع العث المعروف باسم الطاووس خرجت من شرنقتها في معمله ذات يوم وفي الليلة نفسها اجتمع حولها نحو أربعين من خطابها ولم تولد الا في نهار تلك الليلة ثم تكاثر عليها الخطاب حتى بلغوا ١٥٠ في نهاية أيام

ومهما ما لا بد أن يكون قد جاء من مسافة ميل ونصف لان العث كان قليلا في ذلك الجوار . فأحاطها الدلم بجميع أصناف الروائح من جميلة وحبيبة لعله يصل بها « الخبيث » فلم يستطع بل رادوا تكاثراً عليها . ثم وضعها في اناء وسد عليها فتعرقوا عنها لانقطاع ريحها عنهم

ونحن اذا قسنا قوة الانسان وأعماله الهندسية بمقياس الحشرات لم نجد لتلك القوة ولتلك الاعمال شأناً يذكر . فلو استطاع انسان أن يثب علواً كما يثب الزعوت لحق الى علو مئات الاقدام . وليس برح ايجل وقد بني بأعظم الآلات والأدوات بأعلى من قرية نمل يرفعها النمل بأعضاءه وأسنانه مع مراعاة النسبة . ولو كان الحمال يمثل قوة النملة لاستطاع أن يجر مركبة تحمل خمسة طن على أكمة علوها مئات الاقدام من غير أن يبذل عليه تعب

لكن قوة غرائز الحشرات أعجب من قوة أبدانها . فانثى بعض الخنافس تضع الف بيضة من بيضها فترب ما كل نوع من النحل ثم تموت ولا تكاد تفعل حتى يفقس بيضها ويسطو على الزهر الذي يجني منه النحل عسله . فاذا طلب النحل الزهر فصل وثبت الخنافس على ظهوره . وقد مضى الى زمان طويل ان هذه الخنافس نوع من الفعل تسطو على النحل حتى عرف أمرها

وبعد أن ثبت على ظهور النحل تتحدها حتى تصل بها حتى تضع بعضها على العسل فتثب من ظهورها الى البيض فتضاجعه ثم تتم وتبقى مع سنوات في اثنائه الى سرقتها من النحل بين يومة ويقظة وكلما قامت من نومها مرة قامت عجوزة من ثكل الى ثكل حتى تبلغ دور الخمسة التالية

وهي لا تجد فرصة لطلب غذاء لها أو لتختار تركه على ظهور النحل الا مرة واحدة في عمرها ومع هذا فان في غضه البروتوبلازم التي خرجت منها آثار تلك الغرائز التي تتم بها هذه الاعمال بدقة وضبط لا مثيل لها

على ان هذه الغرائز الحكيمة كثيراً ما يقوم بازائها في حشرات أخرى غرائز تدل على منتهى بلادة الفهم . فقد جرت عادة بعض الحشرات أن تخرج لطلب طعامها في صف فيه عشر منه . فاذا سارت مدت خلفها خيطاً حريرياً تهتدي به الى وكرها . فسطر يوماً للعالم الطبيعي فابر أن يقطع تلك الخيوط ويوجه سيرها حول اناء في معمله . فمشت حول الاناء ومشت طول النهار وبعض الليل . وفي الصباح وجدها فابر واقفة لا تبدي حراكاً وهي في مثل سبات ولكنها كانت لا تزال في الصف . فلما أشرقت الشمس عليها عادت تمشي كعادتها وعيت كذلك ثمانية أيام تمشي في النهار وتقف في الليل

ثم أعياها كثرة السير والجوع فانفضت ومشت كل في جهة حتى بلغت وكرها

هل في مصر ثروة معدنية ؟

من حديث للدكتور حسن بك صادق وكيل مصلحة المناجم

[من « تقويم الهلال » ، تحت الطبع]

اذا ذكرت أسباب تقدم الامم الراقية في العصر الحاضر كانت المعادن أم ما يبقى بالذكر والاعتبار ، لانها الحجر الذي أحدثته في مختلف الهن والصناعات مما اكتشف الباحثون مناجمها بين ثنايا الرمال وطيات الصخور ، فاتخذوها اداة نافعة تقدمت بها الحضارة الراهنة وارتقت بها المدنية الحديثة . وأصبحت أساساً لكثير من العلوم التي هي أم مظاهر الرقي الحاضر في أوربا وأميركا

واذا نظرت الى الاراضي المصرية من الوجهة الجيولوجيه ألفيتها زراعية بحتة ووجدت تربتها لا تصلح لغير استغلالها في الزراعة ، لما حوته من عناصر كيماوية تحتاج اليها في انبات النباتات من الارض ، وعرفها قدماء المصريين معرفة يحسدها عالمة للاستفادة منها

على ان مصر الزراعية ذات الثروة العظيمة بالنسبة للامم الصناعية لم تعدم أن يكون لها من المناجم نصيب يستغل ، ويحسن عن تتبعه وعثر على أمكن وصول الى نتيجة حسنة في النفس تفاؤلا حسناً بمستقبل المعادن في الديار المصرية

الرخام

وأول شيء اهتم به الباحثون في الاراضي المصرية هو الرخام ، الذي عني المصريون القدماء باستخراجه واستغلاله منذ أقدم العصور ، حتى من العلماء الآن من يرى بجعل ذهاباً في باطن الصحراء لم تغفل عن بغيته أيدي المتعرضين لمحو فيه وفي مناجم أخرى فاهتدوا الى كمية كبيرة من الذهب استعملوها في الحلي وزينة أواني الطعام والشراب ، واتخذوا منها وسيلة لتوفير أسباب الترف والأبهة في قصورهم ومقابرهم

غير أن الاهتمام باستخراج الذهب وسائر المعادن كاد يتلاشى بعد عصر الفراعنة عما اعتوره من انهيار أركان الدولة المصرية القديمة ، واستمر جامداً مدة طويلة ما عدا فترات قليلة ظهر فيها الاهتمام باستخراج الذهب كما في عهد الرومان الذين اهتموا في الوقت نفسه باستخراج الرصاص أيضاً . وكذلك في فترات مختلفة في عهد العرب بعد الفتح الاسلامي

ولما جاء عهد النهضة الحديثة أراد محمد علي باشا أن يجد البحث في المناجم أملا أن يحصل على ثروة معدنية تعزز سلطته وتقوي أركان حكومته فاستدعى اخصائيين من فرنسا وبطالبة فقاموا بالبحث والتنقيب في الصحراء ، ولكنهم بعد مدة ومجهود كبيرين لم يوفقوا الى نتيجة مرضية

وفي عهد الخديو اسماعيل تحركت فكرة البحث عن المعادن واستغلالها ، فكان ذلك بمثابة تمهيد لانتعاش هذه الفكرة في أوائل القرن الحالي ، ودلك على أثر اكتشاف مناجم الذهب في

روديسيا وتناهز مقداراً كبيراً وجه أنظار الباحثين الى المناجم المصرية لتشابه الاحوال في البلدين ، فتقدمت شركات كثيرة للبحث ، ومنحت عدة مناجم منها : « أم حربات » و « أم الروس » ، و « البكرى » وغيرها وقد عطلت ، وكلها واقعة في الجزء الجنوبي من الصحراء الشرقية ، ومقدار ما استخرج منها من سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩٢٧ ست وثمانون ألف أوقية من الذهب تباع قيمتها ثمانية ألف جنيه مصري ، غير أن هذه القيمة كانت أقل من النفقات التي صرفت على استخراج هذا المقدار ، ولذلك انتهى الاهتمام بمناجم المناجم المصرية

ولكن نشط في الايام الاخيرة بعض أفراد من مصريين والاجانب الى اعادة البحث في المناجم القديمة واستغلالها ، وليس بعيداً أن ينالوا شيئاً من النجاح لسببين :

أولا — ان وسائل العلم تحسنت في المدة الاخيرة باستعمال السيارات في الصحارى

ثانياً — ان الادارة المصرية تستطيع أن توفر كثيراً من النفقات التي تتورط فيها الشركات الاجنبية الغريبة في بلاد نائية تضطرها الى ارسال وكلاء ومهندسين وغيرهم

ولو أمكن المصريين أن يحصلوا على الجزء الفني لاستغلال باطن الارض واستخراج ما فيه من معادن لاستفادوا من وراء ذلك ربحاً لا بأس به ، ولا سيما اذا وجدوا من الحكومة يداً تمدهم بالمعونة والتشجيع

كيف يوجد الذهب

يوجد الذهب في باطن الارض على حالتين :

الاولى — عروق متصلة [illegible] تخرج من باطن الارض ثم يمتحن بطريقة خاصة وعندها يعرف [illegible] الاخرى [illegible] في عروق مناصد مائلة تتطلى بطبقة من الحجارة مدفونة بالرمل الذي من حولها [illegible] الذهب وتكون مادة أخرى تسمى « الاملح » ، واذا حرث هذه [illegible] كل عنصر منهما

الثانية — ذرات أو أجزاء صغيرة مختلطة بتراب الوديان تكون نتيجة لتفتت العروق بأحد العوامل الطبيعية ، فتسقط في الوديان ، وتستقر في الطبقة السفلى تحت التراب والرمال المتحلل

ولكن هذه الحالة تكاد تكون معدومة الآن ، وليس أمام المنقبين غير الحالة الاولى التي لا تثمر الا لمجهودات فردية ، أما الوديان فأعلن الطبن ان المصريين القدماء استغلوها كلها

الحديد

وجد أكاسيد الحديد موزعة بكميات لا بأس بها في جهات مختلفة بالصحراء الشرقية على أن عدم توفر وصعوبة المواصلات يحولان دون الاستفادة من هذه المعادن

وقد لوحظ وجود ذرات حديدية مختلطة برمال شواطىء البحر الابيض المتوسط فيما بين الاسكندرية وبور سعيد ، ولكن صلاحية الحديد بالرمال واختلاطه بمعادن أخرى تجعله غير صالح للاستعمال كمورد من موارد هذا المعدن

وتوجد عدة مناجم لأكسيد الحديد أو « المغرة » كما يسمونها ، ويستعمل في صناعة الألوان

المختمة ، وقد أعطت الحكومة امتيازها لتاجر مصري يسمى « لبيب أفندي سيم » نشيط على استغلالها بمجهود جيد

الفوسفات

الفوسفات من المواد المستعملة في بعض الاسمدة وهو موجود في طبقات الارض الممتدة في مساحات كبيرة بالصحراء الشرقية عند « سفاجة » وغرب القصير ، وكذلك في بعض الجبال القريبة من النيل عند إسنا وقنا ، وفي الواحات الداخلة والخارجة ، ولكن استغلاله مقصور على المناطق القريبة من البحر الاحمر لقربها من طرق المواصلات العالمية

وهناك شركتان تعملان لاستغلاله احداهما انجليزية في « سفاجة » ، وثانيتهما : طليانية في « القصير » ، وهما تستغلان مناجم الفوسفات بجد ونشاط ، غير أن هناك عاملا مهما يحول دون تقدم تعدين الفوسفات بمصر وهو رسوم قناة السويس التي تدفعها البواخر السائرة بها ، فان هذه الرسوم تجعل قيمة الفوسفات كبيرة بحيث يمكن للفوسفات الموجود بتونس والجزائر ان يزاحم الفوسفات المصري

الرصاص

يوجد الرصاص [illegible] في بعض الجبال القريبة من شاطىء البحر الاحمر جنوب القصير . وقد [illegible] من هذه الاماكن من عهد الفراعنة ، وقد اتجهت اليها الانظار أخيراً على أن من الصعب الاكتفاء [illegible] من الخارج . ومما يؤسف له ان بعض هذه المعادن [illegible] ثروة يمكن أن تؤدي دوراً كبيراً في استغلالها

المنجنيز

وهو معدن يشبه الحديد ويوجد مختلطاً به في الجبال العالية القريبة من الشاطىء يشبه جزيرة سيناء . وهناك شركتان لاستغلاله ، احداهما انجليزية ، وثانيتهما مصرية ونوع منجنيزها جيد

وتقوم شركة أخرى منهما بنقل المنجنيز من أعلى الجبال بواسطة سلك يمتد من القمة الى سفح الجبل ، ومنه ينقل بواسطة خط حديدي يصل الى مرفأ « أبو رديمة » الذي يصدر منه المنجنيز الى البلدان الاخرى . ويستعمل المنجنيز في صناعة الانواع الجيدة من الفولاذ

البترول

ان اكتشاف البترول في مصر لا يعد أمراً حديثاً لم يظهر قبل الزمن الاخير ، فقد وجدت عدة شواهد تدل على أن المصريين القدماء عثروا عليه واستخدموه في بعض مرافقهم كالانارة ، دليل ذلك المصابيح الصغيرة المصنوعة من الفخار التي وجدوها في المقابر ، فقد شوهد فيها رواسب « الحر » أو البيتوم . على أنا نجد على شاطىء خليج السويس جبلا يسمى « جبل زيت » ويشاهد

فجاسه رشح بترول طاف على سطح الماء ، ويغلب على الظن ان المصريين القدماء كانوا يأخذون منه ما يستطيعون

وأول اكتشاف للبترول كان في بعض مقاطر حفرت لاستغلال الملح في الدمشة على يد شركة سوسيته سوفريير عام ١٨٦٣ – ١٨٨٥ وقد قررت الحكومة المصرية فحص المنطقة وانتدب لذلك بعض المختصين من أميركا . فحفرت عدة آبار وصلت احداها الى سبع قوته ٥٠٠ متر مكعب في اليوم ثلثها من الزيت والباقي من الماء ، على أنه في عام ١٨٨٨ رأت الحكومة أنها أنفقت نحو ١٠٠٠٠٠٠ جنيه ولم تر ان النتيجة التي وصلت اليها تشجعها على المضي في هذا البحث فأقفلت الآبار وأوقفت أعمال البحث ففيت مهملة الى سنة ١٩٠٨ حين حاولت شركة انجليزية ثابرت على البحث ، واستمرت في بذل المجهودات حتى أمكنها أن تحصل على مقادير كبيرة من البترول الجيد الذي يحتوي على ٣٠ ٪ من البنزين . . وقد انتقل الامتياز من يد شركة الى أخرى حتى انتهى الآن الى يد شركة انجلو ايجبشيان أويلفيلد التي استمرت في البحث عن البترول وحصلت سنة ١٩١٣ على اتفاقية من الحكومة المصرية تخولها حق البحث في مناطق أخرى ، فكانت النتيجة أن اكتشفت حقول العردقة [illegible] ، لأن بترولها أقل جودة اذ يحتوي على ١٠ ٪ من البنزين فقط

وحفرت الشركة [illegible] في منطقة [illegible] ، وقد أنتج منها عشرة فقط ، أما في العردقة فقد حفرت ٨٢ بئراً متوسط عمقها ٦٠٠ متر ، وقد أنتج منها ستون بئراً وبلغ مجموع ما أنتجته آبار الدمشة التي كان ١٨٢ الف طن والكمية عطلت سنة ١٩٢٧ أما آبار العردقة فقد بلغ ما أنتجته الى سنة ١٩٢٨ « ٢٣٨٠٠٠٠ طن » وقد بنت الشركة معملا للتكرير ترسل اليه البترول بعد استخراجه لتطهيره وعزل المواد الاخرى عنه كالبنزين والاسفلت وغيرها . واكتشفت الحكومة المصرية حقلا للبترول في « أبو درة » بسيناء ، وأعطت امتيازه لشركة مصرية قوامها ركي ملك ويصا . وبلغ مجموع ما تستخرجه منه في الشهر مائة طن

وما زال الحكومة تجد في البحث عن مناطق البترول وقد حفرت عدة آبار في منطقة « أبو درة » و « أبو شعر » غير أنها لم تعثر على بترول في المنطقة الاخيرة . ومنذ عام اتفقت الحكومة المصرية مع شركة الانجلو الجيوفيزيكية وهذه تقوم لحساب الحكومة المصرية بفحص المناطق البرية من شواطىء خليج السويس والبحر الاحمر ، وذلك تأمل الوصول الى تعرف التراكيب الجيولوجية في هذه المناطق توطئة لفحصها من حيث وجود البترول بها من عدمه

وقد لوحظ في السنين الاخيرة انفجار غازات من باطن البحر قرب شواطىء مرسى مطروح ، كما انه لوحظ وجود قطع من الاوروكريت (وهو أحد المنتجات البترولية) على شواطىء تلك المنطقة ، فرؤي في هاتين الملابسين ما يشجع على فحص هذه المنطقة لتقرير وجود البترول بها من عدمه . وقد حصل على حق البحث فيها أحد الاجانب وسيقوم بالبحث في إبان الشتاء القادم

هل فى مصر ثروة معدنية؟

[اقرأ المقال المتمم]

داخل مصنع الفوسفات

هذه الصورة تمثل جزءاً من أحد مصانع سحق فوسفات محلة دوي القريب من الاقصر

مناجم الفوسفات

يرى القارىء في هذه الصورة منظراً عاماً لمناجم الفوسفات بمحلة دوي القريب من الاقصر
وهي كما يرى في الصورة قد غطيت نظاماً يسهل القيام فيها بالغرض المقصود منها

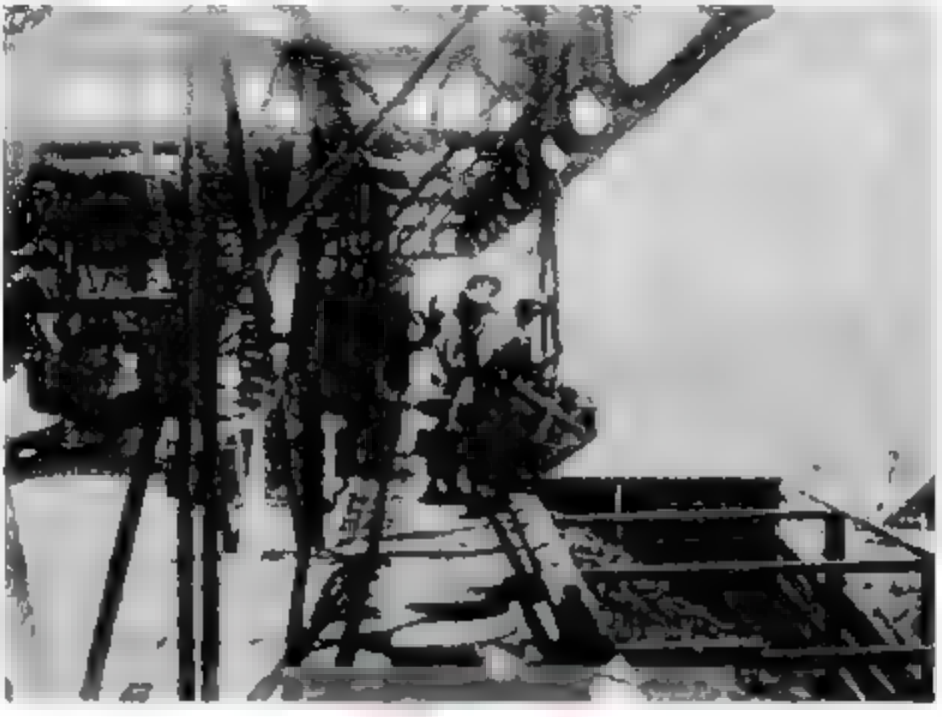

خط الهوائى

تمثل الصورة التى على يسار هذا الكلام جزءا من خط الهوائى الذى يغذى مستعرضات مبانى المنجم بالهواء المضغوط . أما الصورة التى فى أعلى فتمثل محطة التبريد عند نهاية الخط

لقايا مصاص الرقيب

هنيا للصاص الى ان يمص دمه ، انصرف عنه الاحمار لاستراح النفس من عض نابها

منابع بترول الفرقة

منظر عام يمثل أحد منابع البترول التي يستخرجونه بشامة الفرقة

الزواج فى روسيا

حقيقة ما قام به البلشفيون من التجارب الاجتماعية

[لم يدرس الكتاب في هذا الزمان على مسألة من المسائل الاجتماعية ما درسوا على الزواج في روسيا وعلاقة الحكومة البلشفية به . واحدث ما قرأته بهذا الصدد مقالة في مجلة « انسا » المصورة للكاتب الروسي هنري وفي اعتقادنا أنه أصدق من كتب في هذا الموضوع فلذلك نقتطفها فيما يلي]

لم تعرف النظام العائلي في زمن سابق كما عرفت في روسيا السوفيتية من حيث الصرامة والشدة . وليس أقول إن هذه الحكومة تعمل على تهديم دعائم النظام وهي عالمة بما تعمل كما هو شأنها مع الاديان وللمتلكات الشخصية ولكنها لا تعمل عملا ما من شأنه أن يعضد نظام الاسرة . قال لي رجل من رجال الثورة يوماً : « اذا كان لا بد للعائلة من أن تحيا على عكاز فسنحطمها كما يعمل الرجل المقعد عندما ألا يجد أو أن يستعمل عكازه لا يقوم لها قائمة »

ولطالما كانت المشكلات العديدة من تشعب الزواج والطلاق وحل العائلة . ومن رأي الاشتراكيين أنهاء ما كان أن العائلة نشأت من محاولة [illegible] ثروته لأولاده دون

روجان في تشعد بأسا الرسمي يسجلان اسميهما في دفتر الزواج على الطريقة الشيوعية

أطفال في مستوصف شوعي لتربية الاطفال على الطريقة الشيوعية

عرم من أهل قرابته ... من ذلك من انعائله هي وحدة التجمع والاقتصادي . وقد كان ملك الفرد الصغير ... عليه عند قرون خلت ... لاجتماعية الحديثة في روسيا ... كل عمله ... ولا ... بكرة الدنيه علاقه عطيه بالامر ... ... الانسان ولم تكن الحكومات أقل عنه ... الصلة ...

لكن الدعامه ... من العوده ... على حزء كبير من السكان و عامة الشان ... أن لا شأن للاطفال باحتياج الزوجين والمرأة . والحياة أنمى من أن تضع في اعتبارها الوقت الذي يفرق بين الزوجين لفك وان قد تكون لعنه على أحدهما فلا بد من تحمل ذلك بوسيله من الوسائل المناسبه اذا كان لسعاده العشرة معنى

في رياض الأطفال والمدارس وسائر مشاهد الصغر في روسيا يعلم الطفله بحيث يشعرون أن العرس الاسمى من هذه الحياة ليس في الفرد بل في روح عايه الهيئه الاجتماعية الجديدة وان الاعمال العظيمه والمفاخر الكبيره والاعمال الكثيره هي في جوف دائرة الزواج. فلذلك ينشأون لمعتدوا على الوحدى وحطام العائلة ومشاهد الالعاب وطلبات العمل دون العائله والحب. وعند التشعاك ان الحب فطائعه أو صادقه كما تقولون وان انشاء مشاغل عامه ومعامل عامه يعمل فيها الجيوش بالآلات والأدوات الحديثه أقل نعمة وأصل من الوجهه الاجتماعيه . وان اقامه مشاهد عامه يرى فيها الاطفال منذ ولادتهم أقرب الى الحكمه والعظمه . ومن البراهه أن الشكوى

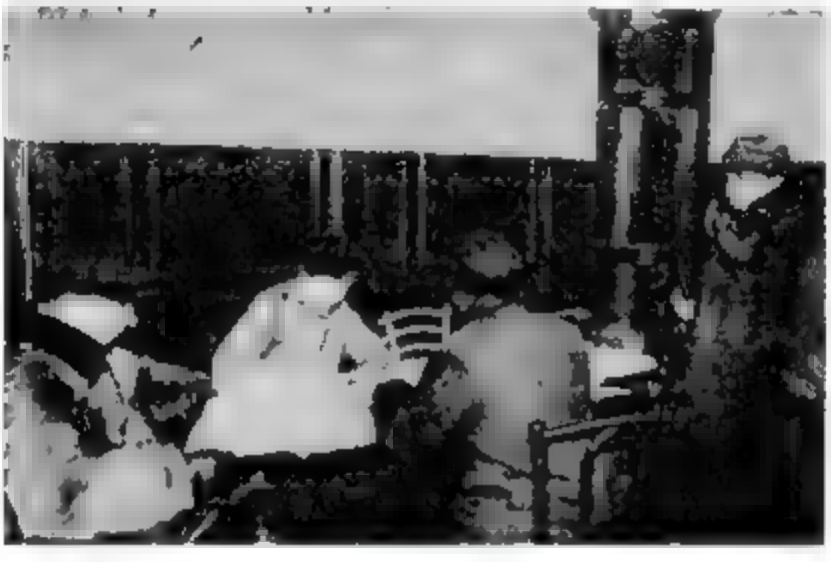

روسان مطلق الواحد الا حركة روسا على الطريقة الشيوعية

الوحيدة الحقيقية التي سعيا في وضعها [illegible] هذه على أن اللاشيء تأخروا في انشائها

ثم أن القواعد الجديدة التي وضعها [illegible] في سر آخر يهدد نظام الاسرة . فليس للقانون دخل هناك في تلك العلاقة الا من حيث الحماية وليس للعقد شيئاً يحرره وليس في شؤون العقوبات ذكر للزنى وعلته فان الزواج والاجهاض جائزان لا عقوبة عليهما وان كان الناس ينظرون اليهما نظرة الاشمئزاز والاحتقار

على أنهم وان كانوا يطلقون الحرية في مسألة علاقة الجنسين يهتمون كل الاهتمام بأن تحيره وجيز الهيئة الاجتماعية منه بمنطقان البعد عن موانع الموانع ذلك بأن الاسراف في الشهوات يفضي الى الاضرار بالصحة وقد يحمل المرء على الافراط في حب نفسه والانهماك بشؤونها وبالتالي على التفريط في شؤون الجماعة والحد من قدر التكافل الاجتماعي فيه . قال ليبين : « إن أهل الطبقة الدنيا من العمال وغيرهم ليسوا في حاجة الى ما عنده شعورهم سواء كان هذا الميل العاطفة الجنسية أو المسكرات » وقول في مناسبة أخرى مماثلا « هل تشرب الرجل العادي في أحوال عاديه كأس ولع فيها عشرات قبله ؟ » ومعنى هذا ظاهر

« تطبيع الزواج في روسيا أن يعتبر مقاما من عقد أن سجلا أنشئ في مكتب السجل

فلا الحكومة ترحبها ولا أصدقاؤهما يتحون عنها ويشنؤونها . والطلاق هناك سهل سهولة الزواج فان كانا قد سجلا زواجهما فما عليهما الا أن يشطبا اسميهما ليتم طلاقهما ولكل منهما أن يطلق الآخر غير رضاه . ونرى الارواح طالبي الطلاق يقفون صفوفاً في انتظار دورهم كما يقفون عند شراء الخبز لا يبدون ملالا ولا ضجراً

لكن القانون يترس لهم اذا كانوا ذوي أولاد لا ليقوي روابط الاسرة ويحطها من التداعي بل ليعنى بالأولاد الذين يحسون جميعاً شرعيين سواء ولدوا قبل الزواج أو بعده . والعادة اذا حكم بالطلاق أن تحضن الام الولد ويدفع الاب ثلث مرتبه نفقة الى أن يبلغ سن الثامنة عشرة . واذا كان لهم أكثر من ولد واحد دفع أكثر من الثلث ولكن مايدفعه لا يزيد على نصف المرتب على كل حال

ولم يبلغ الطلاق في روسيا حداً بعيداً يخشى منه على سلامة الاسر حتى الآن فيما خلا مدينة موسكو حيث تعصف السامة وعلاء المعيشة وفيها الساكن الى حد أن معظم العائلات تسكن غرفة واحدة . هذا كله أثر في أعصاب الرجال والنساء فأمعنهم وحسبهم قابلة لاقل تهيج . ويؤخذ من الاحصاء الرسمي إن حوادث الطلاق في بعض شهور سنة ١٩٢٨ في موسكو زادت

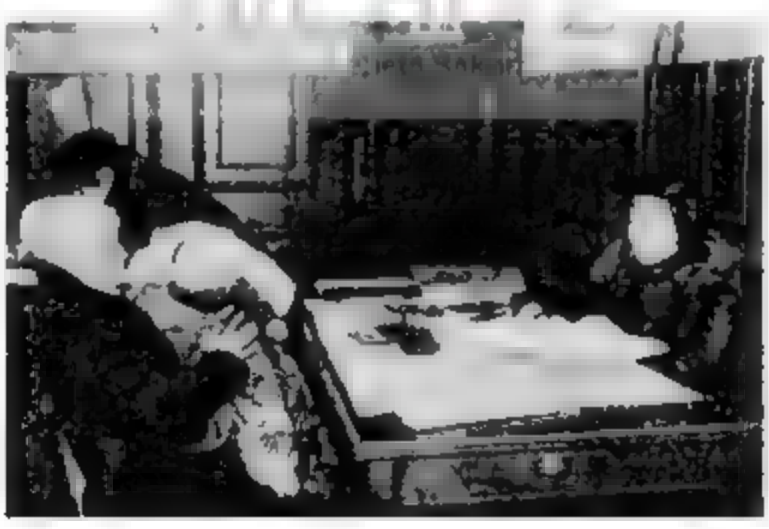

ام تسجل ولادة في مكتب تسجيل حيوي . وكل مولود في روسيا شرعي سواء ولد ضمن دائرة الزواج أو خارجها

غرفة للطائفة في أحد البيوت الشتراكية بموسكو وهذا منظر من معيشة الشيوعيين الي

على حوادث الزواج [illegible] حوادث الطلاق بين ١٥٠ مليونا من الاهالي ما زاد على مثير حوادث الزواج

ومن أغرب ما شاهدناه في موسكو أن أزواجا عديدون ولكنهم يعيشون أشتاتا فتراورون ويقرض بعضهم بعضا نقودا ثم يعودون فيزوجون ثانية حتى صار عدد الزواج في موسكو اكثر الشائع في هذه الايام

ويقال بالاجمال أن العائلة في روسيا لا زال موجودة فيها بعض [illegible] لا تكون لها معناها الاقتصادي والاجتماعي القديم ولكن لا يزال هناك رابطة اخرى قوية بين الوحدة التي يعيش الزوجان بها الرابطة الوحيدة التي تحب أن تحسب لها حساب في ان ارتباط [illegible] قائما دام الزوجان يحب أحدهما الآخر ويحبان أولادهما فهذا هو في الاقل ما يقال عن العائلة وان كان الواقع يختلف عما هو معروف في بلاد أخرى

معلومات ضافية عن حياة :

السيد مصطفى لطفي المنفلوطي

بمناسبة مرور خمس سنوات على وفاته

عبرة الذكرى - نشأته الأولى - قرض الشعر - حبسه ستة أشهر - صلته بالشيخ محمد عبده - رواية « البعث » - الكتب التي ألفها - صلته بأدباء عصره - أخلاقه ورقة شعوره - مذهبه السياسي - وطائفة التي تقلدها

عبرة الذكرى

ودع المنفلوطي هذا العالم على عجل ، يوم حادث الاعتداء على الزعيم الأكبر سعد زغلول باشا (في يوليو سنة ١٩٢٤) ، ثم حمل نعشه [illegible] ، ولم يهتم لتوديعه من هذا الجمهور المحب [illegible] ، إلا نفر من أهله وعشيرته الأدنين .

وكأن القضاء الذي أخطأ سعداً في هذا اليوم المشئوم أراد أن يعوض منه في كاتبه البديع الذي كان يعبره ويقدمه على نفسه [illegible] ، وارتفع نعش السماوية طائراً بها الى الملأ الأعلى حيث يلاقيها هذا [illegible] ، فنعش المنفلوطي تحمله رجاله ، وأنشأ مجتمعه أعلم الأقدار التي تنوش الناس بسهامها وتقي منها الأغراء والأحجار ، غير أنها لا تكون ولا بد من أكباد محرقة ، ونفوس مشبوبة نار حسرات ، شعرت بمصرع هذا الكاتب الذي نعت حولها فلا تجد من يعوضها

نشأته الأولى

نشأ كاتبنا الفذ نشأة شعرية منذ كان يتردد على منزل أبيه الأستاذ عبد الله فتحي هاشم الذي كان يحب به المنفلوطي في صغره لما كان عليه من أدب جم ورعاية شعرية حببت اليه الأدب العربي والأكباب على استظهار القصائد وهو بعد تلميذ لا يتجاوز حد اليفاع في مكتب خلال الدين السيوطي الذي كان يرأسه الشيخ محمد رضوان أحد الفقهاء الذي كان له الفضل في تربية كثير من علماء أسيوط وأدبائها

وما بلغ السيد مصطفى السنة الحادية عشرة من عمره حتى أتم حفظ القرآن الكريم جملة واحدة لا تنقص دون إعادة مرة أو اثنتين لبعض أحزابه كما يفعل كثير من الحفظة والمستظهرين ، ثم انتقل على إثر ذلك الى القاهرة فدخل الأزهر الشريف ، ولكنه وجد من طريقة تعليمه ما لا يتلاءم وروحه الأدبية التي كان يريد تغذيتها بثمرات قرائح الكتاب والشعراء العربيين الذين خلدوا من

التراث الأدبي ما يعد مفخرة للشرق عامة . لذلك لما يئس من إرواء غلته مما كان يدرس صباح مساء في الأزهر أخذ يحبب الفرص لمطالعة الكتب الأدبية ، ويختلس قراءتها وسط دروسه في خفية من أساتذته الذين كانوا يعدونه ويصرونه إذا ظفروا بكتاب أدبي معه ، ولكنه على الرغم مما كان يلقاه من تعنيف أساتذته وجفاء الجو الذي كان يحيط به ، لم تثنه عزيمته عن مواصلة الجد في الاطلاع على أحسن ما خلفه العرب من منظوم ومنثور في المثل والشارع ، وفي الحدائق الغناء ، وعلى ضفاف الغدائر الحسناء ، وبين متخطفات الأشعار ، وثنايا الورود والأزهار ، مؤتنساً بنجمات الخاتم ، ونفثات الملال ، مردداً نغريدها ، مسمعاً حنينها ، وهو منفرد في غربته يعالج من تشتيته وآلام بعده عن وطنه وأهله ما تعجز عنه ، ورفق قلبه ، فتكوّن له أسلوب هو تغريد الطيور أشبه

قرض الشعر

ولما بلغ المرحوم المنفلوطي السادسة عشرة قرض الشعر ، فكان أول ما ظهرت فيه بوادر موهبته لكثرة ما كان يطالعه ويحفظه من قصائد كبار الشعراء المشهورين ، ولكنه ما لبث أن هجر الشعر الذي أصبح في العهد الأخير يساوي صفراً ، وازم النثر فكان شأنه فيه شأن الخالدين وأول قصيدة قالها كانت غزلية ، ولكنه لم ينشرها في جريدة أو كتاب ، ومطلعها :

أردنا سؤال الدمع عمن تحملوا ... فلم ندر من فرط النكاية كيف نسأل

وهاج لنا الذكرى مقاعد أصحب ... نعمت بها صباً وبعت شمائل

وقد سمع هذه القصيدة سعادة [illegible] الذي كان مدرساً [illegible] دار العلوم ، فأخذ يشجعه على نظم الشعر وعدم كبحه لأن [illegible] كان [illegible] جداً ، ولكن بفضل ما كان يلقاه من التشجيع أخذ [illegible] في جريدة الهلال ، ومجلة الجامعة

ولما صار عمره ١٨ سنة نظم قصيدة طويلة يندب بعض [illegible] وحبس بيتاً نقد فيها الاحتلال وسماها كتاباً جعله [illegible] وعدد الاحتلال ، وكان مطلعها

ألا راية للعدل في مصر تخفق ... لعل مساعي دولة الظلم تخفق

ألا صدمة للجور توقف سيره ... فيحجر ذاك الكسر والفتق يرتق

وقد عرّض في هذه القصيدة بمصطفى باشا [illegible] ، ولذلك لما صدر كتابها هاجت الدنيا وأخذوا يبحثون عن ناظمها ، ولكنه ظل مجهولاً [illegible] ولم تعرف أنها له قبل الآن

حبس ستة أشهر

يظهر مما أسلفنا للمنفلوطي من الشعر أنه كان وطنياً صميماً يمقت الاحتلال ، ويطمح فيه من وراء ستار ، غير أن هذه الوطنية دفعته في بعض الظروف الى تطرف كان فيه حتفه ، وأودع أعماق السجون ، وذلك أنه لما عاد الخديوي عباس من الآستانة بعد سفره اليها في بعض المناسبات ، أبى السيد مصطفى الشاب نتأجج حماسه ووطنيته إلا أن ينظم قصيدة في استقبال سموه كان مطلعها .

قدوم ولكن لا أقول سعيد ... وعود ولكن لا أقول حميد

فلما نشرها واطلع عليها الحكومة أمرت بالقبض عليه وعاكمته أمام القضاء فحكم عليه

بالحبس ستة أشهر قضاها في عباءة السجن . . غير أنه لما حكم عليه بهذا العقاب لم يجد من الكتاب من تجرأ للدفاع عنه غير المرحوم الشيخ نجيب الحداد الذي دافع عنه في جريدته لسان العرب . ولذلك لما خرج السيد مصطفى من السجن أراد أن يرد للشيخ نجيب كفاء مته عليه أثناء هذه المحنة ، ولكن المنية عاجلت الشيخ نجيب فرثاه بقصيدة عصماء ، أولها :

منع النفس أن تنال مناها سير تلك الآمال بطوع قضاها
تشتهي النفس أن تعيش مدى الدهـ ـر وتأبى الاقدار الا مناها
تتمنى لو نالت السعد لكن كتب الله في الكتاب شقاها

ومنها : —

يا أخا الروح هاهي الروح أمست في عداد الاموات لما دعاها
كنت للعين قرة ثم أمست بعدك اليوم لا يراها كراها

ثم قال يخاطب الموت : —

هتك أعمت في البرايا افتراساً ثم لم تبق أرضها وسماها
فنجيب ذو حرمة في البرايا هي أحرى يا موت أن ترعاها

صلته بالشيخ محمد عبده وكتبه

بعد ذلك اتصل بالأستاذ الامام الشيخ محمد عبده إذ كان قريباً من عصره فأولاه بين تلامذته منزلة رفيعة لما رآه من نبوغه وعبقريته ، وكان السيد مصطفى من الشبان الموهوبين فصل الأستاذ الامام وله فيه قصائد من أجود الشعر نثرها في ذكراه وحياته وبعد ملازمته إلى أن توفي ، فانتقل السيد مصطفى بعد ذلك الى المنصورة ومكث بها بعض الوقت صار يراسل الناشئ جريدة المؤيد بمقالاته « الاسبوعيات » التي أشهد له بعد « المنصورة » ، وبعد رجوعه إلى القاهرة استمر في الكتابة والتأليف واقتصد في نظم الشعر فلم ينظم منه الا نحو عشرة آلاف بيت في خلال ست عشرة سنة ومعظمها في المآسي الحزينة ، وقد كان يقول : « ما أشبهني بالحمام يهدر وهو باكي »

رواية « البعث »

وقبل أن ينتقل الى جوار ربه بضعة أشهر ألف رواية قد سماها « البعث » شرح فيها « لزوم ما لا يلزم » للمعري بطريقة قصصية حالية ، اذ حسب عمر أبي العلاء المعري فوجده ثمانين سنة ، فبنى روايته على أنه قاساه ثمانين مرة في ثمانين يوماً ، وصار يحادثه عن فلسفته وآرائه الدينية والاجتماعية ، وأخذ يستشهد في خلال ذلك بأبيات من اللزوميات دون أن يؤدي ذلك الى سأم أو ملل . وهذه الرواية ثمينة في بابها ، وهي من خير ما ألف المنفلوطي ، ولو لم تمتد اليها يد السارق لبقيت ذخيرة للأدب العربي . ونحن ندعو كل غيور على آثار الأدباء أن ينبهنا عند ظهور هذه الرواية حين يأمن السارق فيشرها ثم ننبهنا إلى هذه

الكتب التي ألفها

كان المنفلوطي يميل الى مطالعة شعر المتنبي وأبي تمام والبحتري ، ولكنه كان يرى أن الشعر

هو الغزل لانه يعبر عن عواطف النفس ، وصور ما يجيش بين طيات الخوالج . ولذلك لما كلفه المغفور له سعد زغلول باشا باختيار محفوظات للمدارس الثانوية أيام كان وزيراً للمعارف ، قال له : « ان المناهج المدرسية التي وضعتها لوزارة تحرم على المعلمين أن يكلفوا الطلبة استظهار شيء من الشعر الغزلي ، وأنا لا أرى هذا الرأي لاني أعتقد أن الشعر هو الغزل ، فاني ما وصلت الى ما وصلت اليه إلا بعد أن قرأت غزل كبار الشعراء فاذا اخترت شعراً فلا محذورة لي عن اختيار جانب من الغزل » فسمح له سعد باشا بذلك وألف كتاباً ضخماً هو « مختارات المنفلوطي » التي تبلغ ثلاثة أجزاء طبع منها الجزء الاول

وقد عرضت هذه المختارات على اللجنة التي ألفت في وزارة المعارف للنظر في الكتب المختارة للقدمة اليها ولكنها وجدت فيه ما يخالف طريقتها التي سارت عليها عدة أعوام فتركته جانباً واختارت من الكتب غيره

وكان المنفلوطي رحمه الله يقدم الشريف الرضي ويرى أنه أحسن شاعر في غزله وفي غيره ولا سيما حماسياته وبكاؤه على آل البيت . وبعد في الشعر ، أما النثر فقد كان يقول : « ما رأيت مؤلفاً يكتب بهم واحد كابن خلدون في مقدمته » ، وكان يرى ابن الأثير كاتباً إذا استرسل ولم يسجع . وقد أولع في حياته بقراءة رسائل الكتاب الذين كانوا في عهد الدولة الاموية كعبد الحميد وابن المقفع والذين شهدوا العصر العباسي في نثر الجاحظ . وكان يقول : « بعد المائة الثامنة من الهجرة لا أحد للكتاب عندي إلا ما عدده المعدودون من الناس في الصف الخامس »

وكان من عادته ألا يحفظ من شعر أو نثر إلا ما يتفق ، وقد حفظ قصيدة فلا يعلق بذهنه إلا أحسنها . وكان يقرأ في هدوء من الليل حتى الصباح والسكون شامل ، واذا قرأ بيتاً أو فقرة تعجبه سكت قليلاً يتعرف كيف بنيا الشاعر أو الكاتب هذا التعبير الجميل ، وكان يكثر من مطالعة كتاب « الاغاني » ، وقد كتب على نسخته من كتاب « العقد الفريد » بخط يده : « قرأت هذا الكتاب ، وكان زهر كلمات الذي على هدمته . فمن شاء أن يقتدي بها ، ثم يثني بكتاب الاغاني » ، وكثيراً ما كان ينصح سائليه بأن يتوخوا في مطالعتهم الكتب المنتقاة من الأدب العربي لأن القراءة كما قال الجاحظ تعدي القاري .

صلته بأدباء عصره

كانت صلة المنفلوطي بحافظ ابراهيم أكثر من صلته بأمير الشعراء احمد شوقي بك غير أنه كان معجباً بشوقي مقدماً له على غيره من شعراء عصره ما عدا محمود سامي البارودي الذي قال فيه : « هذا شاعر أتى من القرون الأولى للاسلام » ، أما حافظ ابراهيم فكان يرى فيه شاعراً رقيقاً . . . وبذكرنا هذا الرأي ساعة تاريخية حلسنا فيها إلى الأديب الكبير أستاذنا المرحوم الشيخ محمد المهدي ، فقد كنا نتحدث معه عن شعراء العصر الحاضر ومنزلة كل منهم في الشعر ، فلما جئنا الى ذكر حافظ ابراهيم قال الشيخ المهدي : « هذا شاعر جميل من الطبقة الثالثة ، ولكن لفاظه اذا قيل لها انهري عبرت ولم يبق له منها شيء » . . .

وكان المنفلوطي ممن يشهد لشاعر القطرين خليل بك مطران بالسبق في ميدان الشعر ، ويرى

له شاعرتواتيه المعاني الكبيرة ولكن تعوزه الألفاظ . أما صلته بسائر الكتاب والشعراء سوى هؤلاء فلم تعرف عنه شيئاً ، غير أنه كان يقابل كل نقد يوجه اليه من أحدهم بصدر رحب قائلا : « هذا جهد مستطاعي فاذا وجدوا أحسن منه فليصلوه »

أعطوه ورقة شعوره

كان السيد مصطفى المنفلوطي مواصلاً رقيق الحاشية هادئ الطبع لا كما يلمحه القارىء بين سطور كتبه من الأسى والنوح الذي يدل على ما صاحبه من التشاؤم وعصبية الطبع الحاد ، فكنت إذا جلست اليه تشعر بهدوء ورضاً عما تتحاف به الايام من مختلف الحوادث وشدائد الخطوب ، ويخيل اليك أن تلك النفس الحزينة الثائرة على مآسي الايام الباكية لمصارع بني الانسان ما هي إلا صورة أخرى ينقل اليها المنفلوطي اذا خلا بنفسه وناجى الحزن في علائه والقمر في سمائه

وقد كان رقيق الاحساس كثير العطف على البائسين تهمر دموعه كلما شكا اليه بائس بؤسه ، أو مسكين شدته ، وتراه يسرع الى نجدته ما استطاع الى ذلك سبيلا ، مؤثراً له على نفسه ، عما لإراقة كرمه . وقد حدث ان دخل يوماً ادارة جريدة المؤيد بعد ان أعلن الدستور الثاني ، فلقي أحد المحررين السوريين حالماً وأثر الهموم باد على وجهه ، فتقدم اليه في رفق دون أن يجرحه وعرف منه حاجته الى نقود يسافر بها الى سوريه لتعجل عوده بعد أن عادت الحياة الى مجاريها ، فاستأذن منه السيد مصطفى في الخروج دون أن يظهر له أنه سوف يحسب اليه شيئاً ، ثم ذهب توا الى بيته وأحضر معه مائة جنيه مصري ، وذهب الى الشيخ علي يوسف وسأله عن ثمن السهم في المؤيد فأجابه : « أربعة جنيهات » فقال له السيد مصطفى : « هذه مائة جنيه مصري خذ منها خمسة وعشرين سهماً اشتريها من أسهم جريدة المؤيد على أن تعطي هذا المبلغ الى « ذلك الحرر » فقبل الشيخ علي يوسف هذا الشرط من غير أن يعلم بالمبلغ الذي دفعه ، وسلم ذلك المحرر فسافر بها إلى وطنه

وذات مرة بينما كان جالساً في منزله وقد عاده أحد أصدقائه يزوره ، فلاحظ عليه السيد مصطفى أثناء جلوسه معه انه غير منشرح الصدر كعادته ، فصار يقص عليه عدة قصص في الشجاعة والثبات وينمثل له بما كان عليه المرحوم الشيخ علي يوسف من التجلد ورباطة الجأش حين حجز على جريدته مرتين وهو جالس يدخن سيجاره دون ان يقطع عليه تفكيره الحجز الاول أو الثاني حتى عجب المنفلوطي لاستهانته بالخطوب وصارحه به فكان جواب الشيخ علي . « ما دام لك رأس فدع الحوادث تمر من تحت قدميك »

ولما انتهى من قصص الشجاعة أشار الى صديقه قائلاً : « هذه محفظة نقودي تحت الوسادة فانهض اليها واقسم ما فيها بيني وبينك » فأبى صديقه ذلك فألح عليه عدة مرات حتى قام وفتح المحفظة فوجد بها أربعة عشر جنيهاً ذهباً وصمم نقود فضية فاقتسمها بينه وبينه ، وانصرف مشيعاً على عاطفته ورقة شعوره

ومن أمثلة عطفه ورقة احساسه أيضاً أنه كان مترجماً سيدة مكثت معه مدة ثم طرأ عليها مرض رمدي أضعف بصرها ، فكان رعاها باحسانه ، ويجتهد في تسليتها وازالة حزنها ، بل بلغ به أنه كان يوهمها أنها حادة البصر جداً ليدخل السرور على قلبها ، فكان يلقي بحوارها إبرة بحيث

تكون في ملتقى أول نظرة منها دون ان يشعرها ملكي ، ثم يطلب اليها أن تناوله هذه الأزهة فتنظر أمامها لتتبع نظرتها الاولى عليها فتهوي اليها وتناوله اياها ، فيظهر السيد اعجابه بحدة بصرها وامتلاءها بصرح كبيراً وستقدمها كما رآها روحها قوية الصبر

وكان السيد مصطفى من الصبر على ملاقاة الناس بحيث لا يشعر أحداً انه يملّه ، بل كان يرى كل زائر له أحسن منزلة سواء كان يمثل الله أو من لا عمل ، وكان يرحب به ، ولم يشعر عنه انه أساء الى جليس او زائر قط . وكان محباً للادباء ولا سيما الناشئين منهم

مذهبه السياسي

كان المغفور له سعد زغلول وفدياً صميماً ، وكان لا يرى أحداً في مصر يعدل الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول باشا ، ولذلك مدحهما كثيراً . ودافع عن سعد باشا في المقالة المشهورة « سعد في سعده » وهي المقالة التي كانت سبباً في عزمة ثروت باشا عليه وتحرير رتبته ادبياً ، ومصادرة الجزء الثالث من المقتطف الذي نشرت فيه هذه المقالة ، ولكن لم تلبث الحكومة أن كفت عن مصادرته ، ودعاه ثروت باشا للعودة الى عمله ثانياً ، فأبى . . .

وظائف التي تقلدها

كان من شأن الحكومة التي قبل عهد [illegible] بقدره وتعرف فضله وحسن سيرته الشخصية في الوظائف الحكومية ، وأصبح عرفاً عند [illegible] أن يشغل في الحكومة وظيفة ما ، فبقي مدة لا يخدم شيئاً غير الأدب ، ثم سعى به الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده الى سمو الخديوي عباس حلمي في العهد عنه ، فعادت اليه حريته الشخصية ، وهذا هو المرحوم سعد زغلول باشا وزارة المعارف الاولى حتى للمرحوم [illegible] في الوزارة وظيفة [illegible] الأمور العربي ، فبقي بها مدة

ولما جاء الى مصر ووقف وحضرته الشهوة [illegible] في خروجه ، وحذر اختارا من أن تترك مصر لانها اذا فعلت فان هذه دولة أخرى تحتلها ، فرأى له السيد مصطفى المغفور في جريدة المؤيد ورد عليه بمقالات متوالية ، فقامت قيامة دنلوب مستشار وزارة المعارف في ذلك الوقت ، وأراد الكتابة به ، فقام سعد باشا في وجه دنلوب قائلاً : « ان الحكومة في حاجة الى مثل السيد مصطفى ، وليس هو في حاجة اليها ، والوظائف تدور للادباء ، وحبذا لو الحكومة أن يكون مثله داخلها »

ولما انتقل سعد باشا الى وزارة الحقانية ووزارة سعيد باشا الاولى نقل السيد مصطفى اليها وحلق لها أيضاً هذه الوظيفة السالفة ، وبقي بها الى ان انتخب سعد باشا وكلا للجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ فأحدثه ضمن سكرتيريها ، فظل في هذه الجمعية الى ان أوقفت حين شبوب الحرب الكبرى وسكنته بقي موظفاً في الحكومة الى ان كتب ينتصر لسعد باشا في منفاه فرقته ثروت باشا ، ثم عاد بعد ستة أشهر بدعوة من السراي للتكيه ، فبقي محرراً بها الى أن حدث ما سبب احراجه منها ، فعاد الى الجمعية التشريعية وهي موقوفة فصار يأخذ مرتبه ٢٨ جنيهاً وهو في منزله . وما فتح البرلمان عين السيد مصطفى رئيساً لغرفة في سكرتيرية مجلس الشيوخ برتب خمسين جنيهاً فبقي فيه الى ان توفي وعمره ٤٨ سنة

طاهر الطناحي

زيارة لاسلافنا سكان الكهوف

قصة الانسان الاول كما رووها بعض العلماء

رجل من سكان الكهوف كما يتخيله بعض العلماء في انجلترا

لو شئنا ان نسمع لبعض المتخرصين لوجب ألا نكتب الا ما يصدقون ويعتقدون وما عدا ذلك ألف برهان على صحته . فكل مذهب علمي أو رأي اجتماعي أو فكرة أدبية لم يقم على صحتها ألف برهان حق ان تتجاهلها وتنكرها ان جاز لنا نشر شيء عنها . وعندهم ان صح ان ننشر شيئاً عن مذهب داروين — وهو لا يصح — وجب ان نردف الاشارة الى هذا المذهب بقولنا أستغفر الله . وان صح ان نذكر شيئاً عن مساعي الذين يحاولون المطابقة بين العلم والدين متساهلين من الطرفين — وهو لا يصح — وجب أن نحشو الكلام عنهم بأصال الشك الخمسة من باب حتى كأن حول بعض العالم فلان ومحجو العلم فلان ومحل الكتاب فلان وبعد الكاتب فلان ورغم هذه وذيد عليها أصالا من المعاجم تما هو نصفها مثل يتحرس ويتشجع ويتذهب ونحوها

ولكننا لسنا جاعلين ما يريدون فاننا ننشر العلم لذاته ولا يهمنا بعد ذلك أوافق رأيهم أم خالفه . وأي رأي لمن يضع في حفر داره لا يقرأ ولا يسمع ولا يرى ولا يبحث ولا يحقق بزاء آراء الباحثين والمحققين . وهم بعطنيين وهم مذاهبهم لم تخرج بعد عن دائرة الحدس والتخمين الى دائرة العلم واليقين فان ذلك لا يمنعنا ان نروي آراءهم على علاتها ولا عهدة علينا في الرواية والنقل

نقول هذا مقدمة لمقالة شائقة رأيناها في احدى المجلات العلمية عن الانسان وحديثه السابق لعهد التاريخ مما يشتم منه رائحة تأييد المذهب الداروني الذي نصم رجاله بالكفر والالحاد ولا نعلم عن جوهره شيئاً . فقد يكونون ملحدين وقد لا يكونون كذلك ولكن نشر ما لآرائهم لا يغير في جوهر المسألة مثقال ذرة وانما نشرها للعلم بها ولتكون محكاً لايمان قرائنا فمن كان ايمانه من الرقة والسخافة بحيث يتمزق من قراءة كلام عن هذا المذهب أو ذاك من المذاهب التي تناقض الدين

في ظاهرها فوجود ايمانه وعدمه سيان وايمانه هستي عنه . ومن يزيد ايماناً من قراءة أسماء الضلال والهنات فهذا هو الايمان الذي لا تحركه أعاصير الكفر بل تزيده رسوخاً وثباتاً

* * *

عنوان المقالة « زيارة لاسلافنا سكان الكهوف » قال كاتبها : لقد اخرج العلم حقائق كثيرة من أرض الكهوف القديمة وجدرانها وسقوفها

تسكن الكهوف انسانٌ
الآن عن الرجل الذي كان

يسكنها وعن روحه وأولاده . وتقرون الآن ان
أول عدوى جاس خلال أوروبا وآسيا على رحيل
معوّجين بحيث لا يصح ان نسمي وقوفه هذا انتصاباً بمعنى هذه الكلمة
التام — كان هذا نحو ٣٥٠٠٠ سنة . وكان محدود الطهر عرف عهده بالوقوف وله عنق كعنق الثور وذراعان طويلتان تنتهيان بيدين كبيرتين قويتين واضح مما يجري حوله حتى اذا رأى غير شيء ظنه شيئاً . ولو شئت ان تسميه ما هو في أيامه بسمته وفي عداد أي صنف من المخلوقات تجعله

ومعنى عليه نحو ٢٠٠٠ الف سنة لا يعدو ستاً سوى ان جبينه ورأسه كان ينموه بعض الانتفاخ ويحمل هراوة أو سوطاً كبعض الصحيحة من أهل رصد وزنى الاحجار ويلبس بعض الملابس ويحمل بعض حجارة الصوان . ولكنه لم يشعل ناراً ولا سكن الكهوف ولا تزيد ما يدل عليه سوى بعض العظام وبعض أحجار الصوان منقطعاً اياها كما وجدها لا يغير من شكلها

ولما كان صعيداً بالنسبة الى الحيوانات آكله الحوم التي وجد بينها فلا بد انه كان يقضي ليالية نائماً في الادغال كما يصنع البابون لان فاذا أفزعه شيء تسلق أقرب شجرة اليه أو انه كان ينام في الاشجار

وكانت ساعة غروب الشمس في نظره ساعة حزن ويأس فكان يهول عليها خوفاً من ظلام الليل ولم يتشجع على قرابها حتى اكتشف النار فيما بعد فكانت تقيه من البرد وتدفئه في ليالي البرد المظلمة فردت اليه روحه وكانت أساس تفكيره وسلوكه فيما بعد

وكان يظن انه كان مضطراً في ذلك العصر الذي لقبوه بالعصر الحجري ان يعمل من الشرق الى الشرق ليعيش ولكن ظهر ان هذا الظن خاطيء فقد كان أشق عمله صيد الموث أو دب الكهوف طعاماً له . فاذا فرغ من صيده جلس لا يصنع شيئاً في أوقات فراغه الكثيرة ولا يعرف

مكاناً يذهب اليه ليقوم بحاجات ناره كما يفعل الكلب الآن ولكنه عمد فيما بعد الى قضاء الوقت بطرق غريبة غير عادية

وكان يأكل اللحم ويأكل معه بعض الاعشاب البرية التي يلتقطها في تجواله القصير حوله اذا لم يكن يهتم بحرث أو زرع أو تربية الحيوانات . وكانت الحيوانات التي يقتلها تكفيه مأكلاً وملبساً وكان يتخذ من قرونها وعظامها أسلحة له . واذا كان الحيوان الذي قتله دباً أو أسداً عمد لجمجمته . وفيما سوى ذلك لم يكن في حاجة الا الى مأوى وحطب لناره وصوان لسلاحه

واذا عنى ان يحفظ لحم الطعام لمؤونة الشتاء بعد ما جرّب مرّ اللحم فوجده قد فسد صيفاً وفي كهفه الحار شتاء . ووجد انه اذا حرمه في الثلج خارج الكهف سرقته الذئاب والضباع ليلاً

وكانت زوجته تطبخ له طعامه على نار تختلط وقودها هي وأولاده . فاذا فرغت من صنع الطعام انصرفت الى زينتها . فقد وجدت في بعض الكهوف على من الطباخ منقوشة نقشاً جميلا وفيها صبغ أحمر دل على ان الزوجة كانت تصبغ شفتيها وخديها بعناصر أحمر ولكنها قلما كانت تغسل وجهها

وكان لهم على نوعين فلما ان يعمد أمام الدار التي أشغلتها زوجته وأولاده واما ان يتوارى في الادغال قرب عين ماء منتظراً ورود حيوان ليشرب فيقتنصه لطعامه ولطعام عائلته . ويقال انه في ساعات الانتظار هذه تمت له عادة رجاع التأمل الى أسبابها أو بعبارة أوضح ـ عادة التفكير

وقد دلت تجارب كثيرة على ان القردة تصطر أحياناً الى ما يشبه التفكير . فاذا وضعت حول قفص السائل المتعصة عليه مثل وضع بعض القرد فوق بعض أو وصل بعض العصي بعضي لجلب طعام بعيد عن متناولها . ولكن ليس هنالك ما يدل على ان حيوانا ما حاول في ساعات فراغه ان يحل لغز الوجود وهو لماذا حدثت الاشياء .

ولا بد ان يكون قد فكر في جميع على الاشياء قبل عثر على الحلة الحقيقية . وفي أثناء تفكيره هذا ورد الاشياء الى أسبابها عثر على فن التصوير والتلوين وأتقنه الى حد قلما يدانى في هذا الزمان

أما ما كان يفكر فيه أثناء جلوسه لانتظار فريسته وعلى طول الجلوس والجلوس يلهمه صمتا الدليل عليه مما تركه لنا في كهفه فأحدثه عنه حفره بالتواتر الى عهدنا هذا ومما نراه ممثلاً في أفكار التوحشين الذين يعد بعضهم أدنى

ترك الانسان في أدوار التوحش المختلفة من رجل جاوا الى رجل كرومايون في فرنسا

ادراكا منه . وأول شيء كان له أشد وقع في نفسه هو ما نسميه اليوم ما تحت فقد كان السمك والطير وأنواع حيوان الصيد والقنص يتكاثر عليه أحياناً فما يدري ما يصيد منه لكثرته وكان أحياناً تصور جوعاً قبل تصيد شيء . وكانت حربته تصيب أحياناً من أول رمية وأحياناً تخطىء وتخيب بعد رميات كثيرة . وكان شغله الشاغل ان يخلف كل الحت فيحمل رمياته كلها سالمة حتى لا يكون بينها خالية

كان حس المشاهدة والتذكر ولكنه سيء الاستدلال فتكون فكرة خاطئة كادة ما تأتي من حس الحظ حاثم في كل مكان وانه تكن تصيبه تعويذه يلبسها . فخرج ليصطاد فلم يصب شيئاً غير فكرته الاولى واعتقد ان الحت الحقيقي ليس في التعويذة بل في حجر نبات يشبه شكل الانسان وكانت زوجته قد أحضرته معها من البرية في أثناء جمعها الحطب للوقود وهو يحمله في ثوبه . وقد حرب هذه التعويذة وغيرها فعضه او نجا يوماً من عرك هائل بينه وبين أسد الكهف أو الفهد ذي الانياب الطويلة الحادة

وكان كلما فقد التعاويذ يطرب لها فاذا جاءته لم يشك في فعل سحرها بل حاول اصلاحها أو استبدال غيرها بها . وهذا دعا الى قيام أهل الحيرة بهذه الامور الخفية من كل ساحر وعائف وراجر وراق وصاروا يحصلون وفائه في العقد وحاو ودجال وكاهن وما الى سمعهم . فاذا لم يستطيعوا « تسليم التعويذ [illegible] يطرب لها بعد ذلك بتعليق عرنيه مع موضع الثبوت من السدح مثل قولهم ان سحرة آخر [illegible] من سحرهم وبه لا بد لهم من وقت صوبن وأجر كثير لابطال ذلك السحر . فراد [illegible] السحرة و [illegible] وسوحتون أيما كانوا ورجال قتال وأهل نسالة ما دام [illegible] بالحيل وساقه [illegible] خسيرون عرون وهم لا يلوون على شيء واذا كانوا في الصيد [illegible] من مضاربه في [illegible]

ولم يكن يعوز الرجل الاول شجاعة ولا حيلة واسعة في مطاردة صيده بل المواظبة قال كنيج : « أضعف ما في القرود انهم لا يستطيعون تتبع صيد طويلاً على عمل ما الا اذا حب لهم جراء عاجلاً كانقطاف ثمر العليق من شوكه » . وقد كانت زوجته وأولاده مثله فاذا خرجوا للاحتطاب ولم يصيدوا شيئاً لاول جولة عادوا قانعين بقليل لا يكفي اشباع النار مشتعلة طول الليالي الباردة . فكانوا يقاسون ما يقاسون من البرد فاذا جاء الصباح أوسعهم ضرباً ليفهم المواظبة في جمع الحطب اتقاء البرد

يقول عالم أميركي في كتاب عنوانه « تاريخ الشيطان » ان تصور الانسان الحديث للشيطان صورة انسان ذي قرون وحوافر وذنب مصدره وحل الكهف . واصله رئيس السحرة فكان يصوره على جدران الكهف لابسا جلد حيوان ضربه وحوافره وذنبه

وقبل انقضاء العصر الحجري كان الانسان قد صار شخصاً عتيداً . قال عالم انجليزي في وصف أول انجليزي انتقل من الوحشية الى الانسية « انه كان لا يزال مخيف المنظر وجهه كبير على رأسه وجبهته صيقة منقهقرة الى الوراء وعيناه تقدحان شرراً وهما عيدتان الواحدة عن الاخرى يفصلهما في كل ناحية كما يفصل الطائر من عيران يدير رأسه »

وكان يظن الى عهد قريب ان أسلاف الهنود الاصليين في أميركا انما هجروا الينا من آسيا منذ ستة آلاف سنة الى عشرة آلاف وهي مدة لا تذكر في تاريخ الانسان الطويل ولكن وجدي حفرة قرب مدينة ترانتون بولاية نيوجرسي سنة ١٨٧٥ جمجمة وبعض أدوات صوانية على عمق

هرك هائل من سكان الكهوف والدب الذي كان يسطو عليهم في كهوفهم ويفترسونه أكثر مما كانوا يفترسون غيره من الحيوانات

يدل على ان الانسان وجد في أميركا قبل ذلك التاريخ بزمن مديد . ويقول السر ارنر كنث ان الجمجمة التي وجدت في ترانتون تشبه جماجم بعض القبائل الهندية الحالية الآن وان صاحبها عاش منذ نحو ١٥ الف سنة الى ٢٠ الفاً أي في العصر الجليدي حينما كان الجليد يغطي قطعة واحدة من القسم الشمالي الى ولاية نيويورك من أميركا

وقد وصف صاحب هذه الجمجمة أو الاميركي الاول كما يقولون بأنه كان أرق منظراً من أخيه الاعلى ولكنه أعظم بكثير من سكان الكهوف الذين تقدموه في أوروبا . وكان وادي هدسن في عصره مكسواً بالجليد اذ كان ذلك في أواخر العصر الجليدي . وكان يعيش على حيوان البيسون الضخم وعلى أنواع الوعول المختلفة . وكان يعاصره حيوان المستادون الهائل الذي يقابل الماموث في العصر الجليدي بأوروبا

الازمات المالية في اميركا

سبعٌ وهذه هي الثامنة

مرت باميركا منذ وجودها قائمة ـ اي منذ نحو مائة وخمسين سنة ـ سبع ازمات مالية . والازمة التي مرت بها في اواخر اكتوبر الماضي والتي ما تزال تنوء بها الآن هي الازمة او الصائفة الثامنة

وقد كانت تلك السبع الماضية قسمين : كبيرة وصغيرة . فالكبيرة ثلاث حدثت الاولى سنة ١٨٣٧ والثانية سنة ١٨٧٣ والثالثة سنة ١٨٩٣ ، والصغيرة الاربع الباقية حدثت الاولى سنة ١٨٥٧ والثانية سنة ١٩٠٤ . والثالثة سنة ١٩١٣ - ١٩١٤ . والرابعة سنة ١٩٢١ ـ ١٩٢٢

اما الثلاث الكبرى فمرت كل ما في البلاد من الاركان المالية والصناعية والزراعية ووصلت بالناس الى شفا الفاقة او افلست البنوك كلها دفعة واحدة وفزعت الجماهير ابواب بنوك الاقتصاد والتوفير وقد بلغ الرعب منها حد الهذيان . واكتسحت البلاد جموع العمال العاطلين

واما الاربع الصغرى فلم تحدث فيما نعلم من ذلك في هذه كله ولكن كثيرين داقوا الامرين من سقوط اثمان الحاصلات والاسهم حتى طفح الكيل في كل منها وفي سنتها على حدة

صائفة ١٨٣٧

سبق صائفة سنة ١٨٣٧ رخاء عظيم نتج من ان جيوش البلدان الاوربية تركت اوروبا خلواً من كل زاد ومؤونة ، فحسب تجار اوروبا ان تصدرت اميركة بزيد لاهلها عليها . فاغتنى الفلاحون الاميركيون بين يوم وليلة وغنى التجار والمصرفيون الذين يتعاونون على الطريق . ولم يوجد في البلاد عامل فارغ اليدين . وزاد زرع الولايات الجنوبية مساحة الارض المزروعة قطناً الى اربعة اضعاف

لكن الذهب بقي قليلاً في السوق لسبب من الاسباب . وكان الذهب وحده هو المقبول في التجارة الدولية . وما وجد في السوق منه لم يكن يكفي لسد حاجات التجارة . وكانت الهند الشرقية والصين ترفضان قبول البكنوت ثمناً للحاجات التي تشتري منها . وقد جاء في بعض البيانات حينئذ قوله :

« رخاء عجيب ومقادير هائلة من البكنوت تصدره البنوك العمومية والخصوصية لسد حاجات التجارة المتسعة . ارتفاع اثمان العروض كلها . مصارفات جنونية على اساس وعلى غير اساس واستعمال عملة ورق وبكنوت واسهم وسندات والسعي وراء الغنى الفجائي . وارتفاع عظيم في القروض واسعارها وفوائدها . كثرة البنوك التي ليس فيها احتياطي حقيقي من الذهب وكل انسان دائن ومدين »

وقد رأى العقلاء حينئذ خطورة الحالة واسأوا بما لابد ان يعقبها . وماذا ترجو من رجاء يجري باسرع مما تجري به الارباح النقدية . وماذا يحدث اذا كان جميع زراع القطن والبائعين والتجار والعمال الذين اودعوا ما وفروه صناديق التوفير — يندفعون الى البنوك طالبين دفعاً بدل الاوراق التي تكتنز بها جيوبهم ؟

لم يقف اصحاب البنوك ريثما يسألون انفسهم هذا السؤال بل رقصوا مع الراقصين وعللوا انفسهم بقدرتهم على جمع ما يكفي من الذهب لسد الطلب مع الايام . وطمع من رجاء البلاد انها دفعت ديونها الاهلية كلها قبل سنة ١٨٣٦ وكانت الحكومة حائرة في طريقة انفاق الوفر الذي عندها . فانظر ماذا حدث :

طلب تجار الصين والهند دفعاً وفضة من اميركا واوروبا ثمن سلعهم وصائغهم فحجزوا عن ذلك فصعبت حركة التجارة مع الشرق حتى وقفت . وتلا ذلك ضعف حركة الملاحة ثم وقوفها . وبوقوف حركة الملاحة قلت الاعمال العامة وراجت البطالة وعدت العمال الذين لا عمل لهم غير قادرين على شراء حاجاتهم في طاهم المضاعفة . وكانت اوروبا ما زال تشتري حاجاتها من اميركا بمزيد التلهف ولكنها اخذ تشتري على حسب مقدرتها . فما حملت اميركا نظالها بدفع الاثمان دفعاً ضعفت حركة شرائها منها

وهبط ثمن الحنطة حتى صارت ترمى سدى لتحترق ، وهبط القطن الى حد وهم الناس على البنوك يطلبون دفعاً بدل الاوراق التي كانت بايديهم فحجزوا دونهم فهبط قيمة الورق ٨٠ في المائة وبقيت قيمة الدولار ٢٠ سنتاً . وكل ما حال دون حصول اهل اميركا جوعاً بين سنتي ١٨٣٧ و١٨٣٩ هو ان ميزانية كانت ما زالت ترجح كفة الوفر وحساب وحساب . والاميركي وان لم يكن معه في حينه سنة ترن فان بيده يستطيع ان يأكل الخبز والجبن ما دام الحنطة يزرع من الحنطة في أرضه . وصف حضرة [illegible] في ذلك قال

« لم يكن أحد في [illegible] مالا على أي شيء ما . فمن كان عنده ذهب حافظ عليه وقل طعام الناس واقفرت الشوارع من السابلة وخلت الراسح وهبطت أجور المنازل إلى نحو الثلث وكسدت سوق الأراضي والأطيان فاحجم الناس عن شرائها مأفل الأثمان واصطر كثيرون إلى ترك بيوتهم في ولايات شرقيه مهاجرين إلى الغرب حيث الغابات والسهول الواسعة التي لا آجر لها

ومن مضحكات القدر ان كل انسان في أميركا كان قد رهن في رهنه على ان البلاد لم تعد حداً من الرخاء بحيث لا يخشى عليها من أية صاعقة مهما اشتدت

ضائقة ١٨٧٣

كانت الحرب الاهلية قد انقضت فعمت أعمالها الشمالية الولايات الغربية اكثر مما أضرت بها . فهرع الناس إلى تلك الولايات . وكان حكي كوك مالي الأميركي قد تعهد بدفع مال اللازم لمد سكة حديد الباسفيك الشمالية ، ولكن حرب فرنسا وروسيا صدمت أميركا فردّت أسهمها وسنداتها إلى أسواقها وألقت الرعب في سوق الأسهم والسندات في أوروبا وأميركا

وفي صيف سنة ١٨٧٢ شعر المقاولون في سكة الحديد المذكورة بقلة المال الوارد من جاي كوك للانفاق على مد السكة ، ولكن كان إيمانهم عظيماً بالشركة التي ساعدت على انهاء الحرب الأهلية وعقدرتها المالية . ولم يبث كوك نفسه أن ظهر لمعلميهم معلناً ان البلاد كفت عن شراء أسهم الشركة

وفي خريف سنة ١٨٧٣ حدث رعب في سوق الأسهم أغلق فيه جاي كوك أبواب بنكه لأنه عجز عن دفع فوائد أسهم السكة وتلا ذلك أزمة تعد من أصعب الأزمات المالية في تاريخ أمريكا . ولم يصدق الناس ان جاي كوك أفلس فاضرح مئات الألوف من المستخدمين في كل عمل وحرفه من مراكزهم في أسبوع واحد . وأفلس ٣٠ بنكاً في نيويورك في يوم واحد وتلاها ١١ بنكا في ثلاثة أيام أخر . وأقفلت البورصة أبوابها وتقاتل الناس في الشوارع متراحمين على أبواب البنوك لسحب مدخراتهم منها

صاعقة ١٨٩٣

نشأت هذه الصاعقة عن حادثتين عربيتين في أوروبا وأمريكا . في أوروبا كان عمل مارنج واخوته في لندن قد دفع اموالا طائلة لمشروعات في جنوب امريكا غير موفقة فأعيد إلى السوق الأمريكية مقادير كبيرة من الأسهم والسندات الأمريكية أعادها حاملوها من أوروبا حينما دب الرعب إلى قلوبهم نشأ عن تصدير الذهب من أوروبا لهذه الأسباب في امريكا في [illegible] التجارة بعد هذه السنة ثلاثة أضعاف ما كانت سنة ١٨٧٣ فأفلست ٦ شركات للرهن و ١٣ شركة للتسليف و ٥٥٤ بنكا و١٥٦ شركة من شركات سكك الحديد

[illegible]

وقد نظر الكاتب الذي حضر سنة [illegible] من وقائع وما نشأ عن حدوث الأزمة الحاضرة ، هل نحن في مأمن من مثل هذه الأزمة ؟ وقد أجاب عن ذلك

نستطيع القول اننا لن نقع في أزمة كسكك الحديد كالتي وقعنا فيها سنة ١٨٧٣ ولكن ما القول في الشركات الأخرى وأسهمها ؟ هل نستطيع أن تدفع أرباح تلك القيم الهائلة ؟ حيث شركات الصلب دفعت أسهمها والبلاد تنمو بسرعة ، فهل تماشيها الشركات تلك السرعة وتدفع الفوائد على حساب الأسعار الحالية ؟ من يدري ؟ ؟

وقد نقول اننا لن نجرب كما جربنا سنة ١٨٧٣ وسنة ١٨٩٣ على أثر كثرة تصدير الذهب إلى أوروبا لأن لدينا أكثر من نصف احتياطي الذهب في العالم . ولكن إذا حدثت أزمة في العلاقات الخارجية فكم يسترد من ذلك الذهب إلى أوروبا ما دامت اوروبا تملك في الحقيقة جزءاً كبيراً منه ؟

وقد نقول إننا نعمل على كثرة ما في من المصانع والعامل مدة الحرب وزيادة ما يباع من السلع والمصنوعات في امريكا وفي خارج امريكا . وهذا أيضاً صحيح ولكن هل تستمر امريكا على الشراء ما دام حبل بينها وبين أسواق ؟ وإذا كان ذلك فكيف تدفع ثمن ما تشتري منا ؟ ونحن نقول ان العمال على رخاء ورضاء ، ولكن إذا قلت مبيعاتنا فمن يدفع اجور العمال ؟

فليحب كل عن هذه الاسئلة بما يبين له وحبر شعار لنا في هذه الاحوال ما يكتب في محطات سكك الحديد التي تحت الارض وهو « اوع رجلك » انتهى

* * *

ولم يكد هذا الكاتب يفرغ من مقاله هذا حتى حدثنا أسماء الازمة المالية التي تجتاح اميركا حميماً وتؤثر بالتالي في جميع أسواق العالم ، فكأنه كان يراها بعين خياله ولو لم يقل ذلك . ولا ريب أن الرخاء الذي تسبح اميركا فيه الآن هو أعظم من كل رخاء سابق لان جميع الدول مدينة لها بديون هائلة ومصادر ثروتها الطبيعية والزراعية والصناعية والتجارية لم تؤذن بنضوب ، بل هي أعظم كذلك مما كانت في الماضي ، والمصنوعات والسلع الاميركية تغرق أسواق العالم سواء في ذلك سيارات الركوب والحرث وآلات السيخ والمصنوعات على أنواعها وخصوصاً الحريرية الصناعية منها والبترول والفستك حتى الجلزم ودهان الجلزم وشريط الجلزم

ولكن هذا كله لم يمنع وقوع الازمة التي أصابت اميركا ، والتي رأينا الآن أولها ولا نعلم هل نرى آخرها ؟

الكهربائية كل شيء

في بهجة انبهار المستقبل

يقدرون للكهربائية في مستقبل قريب وحدها أن تحكم في حركات آلات وسكناتهم ومرافق عيشتهم من غدوّ ورواح وما كل ومشرب ومسكن وملبس حتى تثبت السيطرة على كل عمل من أعمالنا والخمسة لأعاسا كأنها علة حياتنا او زالت زالت معلولاتها جميعاً

ويقولون انها هي التي ترجى لتمسك في البحار وقطاراتنا وسياراتنا على اليابسة وطياراتنا في الهواء ، كذلك سيأتي يوم نستمد منها عاجتنا ونهيمن بها على طقسنا وسطح علات أرضنا

وسيأتي يوم تجلس فيه في مترلك هنا ترى صديقاً لك على ظهر باخرة تبحر عباب الاوقيانوس أو في قطار يمر قلب آسيا او افريقية تراه وتحدثه كأنه أمامك يجلس على كرسي مجانبك

وسيكون النور الذي يضيء مترلك مستمداً من إناء تضعه حيث تشاء وينتشر منه نور جميل يملأ قلبك بهجة وحبوراً كنور السحر

ولا تعمي سنة حتى يعم التنويرون الشارد في جميع البلدان المتحضرة ، وحتى تجلس في مترلك وترى صور سير مصدرها مكان بعيد عنك كثيراً . ثم ترى بعد زمان ليس بطويل مباريات ألعاب الكرة والمصارعات وغيرها من الألعاب العمومية حيثما تجري

ويرخص النور الكهربائي حتى يزول إلى مثل مليم عن كل كيلو واط في الساعة وهو اليوم عشرون ضعف هذا الثمن

وتستعمل الكهربائية في كل منزل لطبخ الطعام وتدفئته كما يصنع في بعض الأماكن الآن . ويدفأ كل بيت بالكهربائية شتاء كما يبرد بها الآن ويبرد صيفاً

وتستعمل أشعة ما وراء البنفسجي في كل مكان لتحسين الصحة وهذه الأشعة تخترق ما لا يخترقه النور المنظور فيوضع منها في البيوت والمكاتب والمعامل لتحسين صحتي الامراض كالسل والروماتزم والكساح وغيرها

في أواخر القرن الماضي أتى بقولا تسلا باختراع نور لاسلكي وقد مضى على سوءته ثلاثون سنة ولم يتم ولكنها في سبيل التحقق كما يدل عليه نور « النيون » المستعمل الآن . ومتى تم إعداد هذا النور فيكون عندنا نور بارد وهو ما فكر فيه العلماء في جميع القرون ولكنهم عجزوا عنه

كان الناس منذ ثلاثين سنة لا يصدقون ان الانسان يجلس في مكتبه بمدينة من مدن أوروبا ويخاطب عملاءه في اميركا . فأصبح ما كان لا يصدق حينئذ أمراً عادياً ومعمولاً به الآن . ولكن التلفون اللاسلكي في حالته الحاضرة لا يصلح لمخابرات على قدر واسع وبالتعارف أحسن منه . وقد أتم المهندسون مدة سنوات التعارف بين الجزائر بين أوروبا وأميركا وهو أصلح لمخابرات من التلفون اللاسلكي على كل حال . ولكن الراديو صالح لأمور شتى ويكون أصلح من التعارف وأسرع بكثير. فيمكن به إرسال رسائل كثيرة في وقت واحد سريعاً . ويكون ذلك أسرع من إرسالها بالتعارف مئات المرات فيستطيع الجريدة الكبيرة التي تصدر في لندن مثلاً أن تصدر نسخاً طبق الاصل من طبعاتها الاخيرة في شوارع نيويورك وبعضها بعد نصف ساعة من صدورها في لندن

ومن أعظم ما يبغى من الآمال على الكهربائية كهربة الحقول والمزارع والسيطان بحيث تنتج ثلاث غلات كل عام . وهذا يتم متى رخصت أسعار الكهربائية كثيراً . وهذه الكهربة تستعمل الآن على قدر صغير بثلاث وسائل :

الاولى : مد الاسلاك الكهربائية في المزارع تحت الارض

والثانية : مد الاسلاك فوق المزروعات وإطلاق الكهربائية في الهواء

والثالثة : استعمال نور ما وراء البنفسجي

ولا ريب ان كهربة المزروعات كثيرة النفقة ولكن هذه النفقة ، تنسى عند إقبال الزروع وخروج ثلاثة مواسم منها كل سنة

والبقول والاثمار والحبوب التي تزرع باستعمال الكهربائية تكون أكثر فيتامينا مما هي الآن وأبهج منظراً لأن مرور الكهربائية عليها يعوق نمو الفصيليات عليها إن لم يمنعها تماماً

السكرتير العام للفاشستي يحدثنا عن الفاشستية ومبادئها وأغراضها

[قدم مصر في خلال الشهر الماضي حضرة السيور داريي السكرتير العام لحزب الفاشستي في الخارج لاعمال تتعلق بمهام منصبه الخطير. ولما كان حضرته من أكبر أعوان موسوليني ومساعديه ، رأينا ان ننقل الى القراء الحديث الذي أفضى به الينا عن الفاشستية ومبادئها وأغراضها في البلدان الاجنبية

اتيحت لنا فرصة وجود حضرة السيور داريي « السكرتير العام للحزب الفاشستي في الخارج » في مصر في خلال الشهر الماضي وقابلناه في دار القنصلية الايطالية ليحدثنا عن مبادىء الفاشستية وسياستها العملية فألفيناه ما يزال في العقد الرابع من عمره ممتلئاً نشاطاً وحماساً ويقيناً بنجاح المبادىء الفاشستية والغايات التي يصبو اليها دعاتها

واستهل السيور داريي حديثه معنا بقوله . « اني أشرف بادارة الهيئات والجمعيات الفاشستية التي أنشئت وأسست في البلدان الاجنبية . ومما يجدر في التنويه به هنا ان مهمة هذه الهيئات والجمعيات تختلف تماماً عن مهمة الملقاة على عاتق الهيئات والجمعيات الماثلة لها والقائمة في البلاد الايطالية وليس للفاشستيين الذين في خارج القطر من هم سوى نشر المبادىء الفاشستية بين الايطاليين والسعي لتوحيد جهودهم والتأليف بين قلوبهم وجمع كلمة هيئاتهم ووجوه نشاطهم كلها الى خدمة وطنهم بدون ان يتعرضوا بشكل من الاشكال الى [illegible] الذين يحيون في ظل حكومة القطر المقيمة في دست الاحكام . ومن علاقة [illegible] الفاشستية في البلاد الايطالية

« وقد أراد بعض حضرات [illegible] ان يتوهموا [illegible] ان شعبة مؤداها اننا نعمل على نشر المبادىء الفاشستية في [illegible] وهو تأويل [illegible] مسلك الشيوعيين الذين يسعون لنشر مبادئهم في جميع أنحاء المعمورة ، فهذه شائعة كاذبة لم يروّجها ملفقوها إلا بغية إيقاع النفور بيننا وبين سكان البلدان التي نعيش فيها طالبين منهم الا يأخذوا ولا يعطوا الا بشئون بلادنا ، ولا يسعى الا لتعميم مبادئ بين مواطنينا ولم نحاول في وقت من الاوقات ان ننشر المبادىء الفاشستية بين الشعوب الاجنبية لان هذه الغاية ليست من الغايات التي قامت ثورتنا من أجلها . ثم اننا لما وضعنا المبادىء الفاشستية راعينا في وضعها تاريخ بلادنا وتقاليدها وعاداتها وأخلاق أهلها والعراك الشديد الذي وقع بعد الحرب العظمى بين طبقات شعبها وبالاجمال اننا وضعنا مبادىء كنا نؤمن — ومازلنا نؤمن — بنفعها لايطاليا وللشعب الايطالي ، ولكننا لا نعتقد ان قد تحيى شعوب أخرى بها أو طبقت في بلادها وعملت حكوماتها بمقتضاها أسوة بنا وقد لا تنجح هذه المبادىء في بلاد أخرى بتاتاً لانها لم تر ما رأيناه نحن من العمال الباهر العظيم في بلادنا عقب انتهاء الحرب العظمى مما جعلنا نشعر بضرورة المبادىء الفاشستية ونؤمن عائدتها ونفعها

لمبادئنا وصمت لايطاليا فقط ولم توصم الشعوب الاخرى ، وقلنا لا نسعى لنشرها بينها بوجه من الوجوه »

ثم استطرد السنيور باريني الى الكلام عن المبادىء الفاشستية فقال :

« عرفت السنيور موسوليني منذ أول الحركة الفاشستية ، ومن ذلك اليوم ونحن نعمل معاً بالاشتراك مع زملائنا في سبيل سعادة ايطاليا ورفاهيتها فما وصمت الحرب العظمى أوزارها حتى رأيت ان ثمار انتصارنا في ميدان القتال بل ثمر البذل الذي بذلناه في حومة النزال تسلب منا وتنكر علينا فأحدنا نفكر في الخطة التي ينهجها لتستثمر ذلك الانتصار ولقد البلاد كما كان ينشر فيها من المبادىء الشيعية البركات تهددها بالخراب والدمار فآل ذلك التفكير الى وضع المبادىء الفاشستية ، وهنا سكت محدثنا لحظة ثم قال .

« وقد كانت نيتنا متجهة في بادىء الامر الى السعي لاجراء تحول فكري في البلاد بنشر مبادئنا الجديدة والعمل على تعميمها وتحقيق مراميها ، ولكننا ما لبثنا ان تحققنا ان كل سعي لا يقترن بقوة تعززه وتؤيده لا يؤتي ثمرة مهما سما ولا يؤدي الى النتيجة المتوخاة منه فقررنا انه لا بد من تأليف قوى شبه عسكرية تنتصر لتلك المبادىء وتجاهر بأنها على استعداد لان تبذل النفس والنفيس في سبيلها فكان كلما عادت فرقة من ميدان القتال نثرنا دعوتنا بين أفرادها الى ان قرنا عزائمنا وألفنا جيشنا الذي حرف « ملابسه » فاشيه فسميناه على العمم عندئذ بقلوب ثابتة وعقائد راسخة لانا ثم [illegible] مستعدون [illegible] أرواحنا في سبيل مبادئنا فوثقنا من النجاح اذ لا سبيل الى تحقيق غاية لا يكون الاعتماد بها عظيما والاعتماد لا يكون عظيما الا اذا كان صاحبه مستعداً للموت في سبيله ونحن كنا ولا نزال مستعدين للموت في سبيل مبادئنا لان مبادئنا هي ايطاليا »

ثم استأنف السنيور باريني حديثه قائلا : « وقد أظهر السنيور موسوليني حكمة عظيمة بالالتفاف حول العرش وتأييد الجالس عليه فما كان يدخل روحه على رأس أنصاره ومريديه حتى قال لجلالة الملك « هي رهن اشارتك وطوع أمرك ولم يكلف الزعيم بذلك بل نحن من تلك الساعة على توطيد أركان الملكية واعلاء شأنها وشأن أفراد الاسرة المالكة جاعلا منها المقام الاعلى في البلاد »

وقال محدثنا رداً على سؤال طرحناه عليه :

« اننا نرجو ان يظل السنيور موسوليني متربعاً في دست الاحكام عشرين سنة أخرى وعلى كل حال أستطيع ان أؤكد لكم ان المبادىء الفاشستية صارت متأصلة في ايطاليا لانها أصبحت مبادىء البلاد كلها ولم تعد مبادىء حزب دون حزب آخر . ان جميع أنظمة العمل وبرامج التعليم في بلادنا قائمة الآن على أسس فاشستية ولو قلت لكم ان ايطاليا من أقصاها الى أقصاها تدين بالفاشستي ما كنت مغالياً فيما أقول ، فلا خوف اذن من عاصفة تهب وتكتسح تلك المبادىء لانها صارت ترضع للطفل مع لبن أمه

« ومما أيد حركتنا وقوى دعائمها ان الشعب رأى عار سياستنا لا في داخل البلاد فقط بل في خارجها أيضاً حيث أصبح اسم ايطاليا مقروناً بالاكرام والاحترام »

السينما الناطقة

ماضيها وحاضرها ومستقبلها

أصبح القوم ، هذه الايام ، ولا حديث لهم إلا عن السينما الناطقة . فهؤلاء يحمدونها وينتظرون لها النجاح العظيم ويدافعون عنها بكل ما أوتوا من فصاحة . وأولئك يتشاءمون منها ويتوقعون لها الفشل الذريع ويرمون اختراعها بالفلوس والجنون

ونحن أمام كل هذا لا ندري أننتصر لهؤلاء أم لأولئك ، لان السينما الناطقة لم تنتشر في بلادنا الانتشار الكافي الذي يمكننا من أن نعتمد عليه لنبدي حكماً عادلا في رأي كل منهم ، ونقرر رأينا الخاص في هل ينتظر لها النجاح أو السقوط .

ولكن ذلك لا يمنعنا من أن نتكلم عن الجهود التي بذلها المخترعون في سبيل اختراع السينما الناطقة ، والاطوار التي مرّت بها حتى أصبحت كما نراها أو نسمعها أحرى كما نسمعها الآن

النظرة الاولى

قد يتبادر الى ذهن البعض أن السينما الناطقة وليدة اليوم أو الامس القريب . ولكن الواقع غير الذي يتبادر إلى ذهن هذا البعض ، فان السينما تتطور في السر منذ اختراعه حتى وقتنا هذا

يؤيدون الرأي الاخير ويقولون ان جمهوراً كبيراً منذ الموعي بين السر والصوت عند ما كان هذا الفن في المهد أو بعناية أخرى عندما كانت أشرطته تعرض في صور بث حقيرة لا يغشاها سوى أحط الطبقات

وكانت المرة الاولى التي سمعت فيها السينما ناطقة ، منذ سبع عشرة سنة كما يقول ادوارد وود الكاتب السينمي الانكليزي . اذ انه سمع في ذلك الوقت شريطين ناطقين ، كان أحدهما غناءً لاحد المغنين والآخر قطعة موسيقية لاحد العازفين على البيانو . ولم يكن الصوت منقولا على الشريط نفسه ، ولكنه كان منقولا على اسطوانة فونوغرافية متصلة بجهاز يسمى « الفونوفيم » اخترعه الدكتور لي دي فورست ، بحيث كان الصوت يخرج في الوقت المناسب الذي يجعله يتوافق مع المناظر التي كانت تعرض على الستار الفضي

كانت النتيجة حسنة نوعاً ما ، ولكنها لم تكن مرضية بما فيه الكفاية . فجد المخترعون على عاتقهم ادخال تحسينات هامة على هذا الاختراع حتى يصلوا به الى أقصى حدود الكمال

وقد ذهب كل منهم مذهباً خاصاً ، وأخذ يعمل على تحسين هذا الاختراع حسب اتجاه عبقريته ، حتى أصبحنا أمام عدة أسماء لاجهزة مختلفة توصل مخترعوها بواسطتها الى التوفيق بين الصوت والسينما . وهذه الاجهزة هي « الفيتافون » و « الموفيتون » الذي يتفرع منه أجهزة أخرى متفاوتة وهي « الفوتوفون » و « الفوتوتون » و « الميافون » وما إلى ذلك

وقاعدة اختراع « الفيتافون » هي نفس قاعدة الاختراع القديم « الفونوفيلم » . فهو يحتوي على اسطوانة من الشمع تسجل الاصوات على اختلاف أنواعها بحيث تتمشى تماماً مع الفيلم حين عرضه

أما « الموفيتون » والاجهزة التي تتفرع عنه فانها تنقل الاصوات على جانب الشريط ، إذ تتحول إلى تعاريج صوتية وضوئية . بحيث تتحول ثانياً إلى أصوات عند ما يعاد اليها ضوء آلة العرض المخصصة لذلك ، كما لاحظنا في شريط « تياترو في قارب Show-Boat » الذي عرض اخيراً في الاسكندرية ومصر . فقد وضعت في أول الشريط قطعة موسيقية استغرق عزفها نحو عشر دقائق . وكما نرى اثناء تلك التعاريج الصوتية والضوئية التي تلحظ منها الاصوات بشكل يجعل من السهل على الناظر تفهم الطريقة التي تنقل بواسطتها الاصوات مع الشريط

الفيتافون

وكانت الشركة الاولى التي استعملت « الفيتافون » واحتكرته لنفسها ، هي شركة وارنر اخوان الاميركية . وقد عممت هذه الشركة أول تجربة لهذا الجهاز في سنة ١٩٢٦ ، إذ نقلت بواسطته قطعاً موسيقية عالمية من تسالي التابع لشركة « نيويورك مترو بوليتان أوبرا » New-York Metropolitan Opera الشريط « دون جوان » الذي مثله جون باريمور . وقد وضعت في أول الشريط مقدمة كلامية يلقي هذا الممثل نفسه لتعريف الجمهور به في هوليوود

وقد لاقت هذه التجربة نجاحاً عظيماً جعل شركة وارنر تخرج عدة أشرطة موسيقية بواسطة « الفيتافون » نال كل منها نجاحاً مذكوراً

وعندئذ فكرت الشركة في إخراج شريطة ناطقة بالفيتافون . فبحث مديروها عن ممثل يصح أن يقوم بدور البطل في أول رواية ناطقة تخرجها ، فوقع اختيارهم على ممثل من كبار ممثلي المسرح الاميركي ، وهو « ل جولسون » . وكانت حوادث هذه الرواية — واسمها « مغني الجاز The Jazz Singer » — تدور على حياة الممثل نفسه القائم بدور البطل . وقد غنى فيها بعض الاغاني التي اشتهر بها على خشبة المسرح ، ووضعت فيها بعض دياولوجات قصيرة ساعدت على نجاحها و انتصار آل جولسون على الستار الفضي

فلما شاهدت شركة وارنر النجاح الذي صادفته هذه الرواية ، أخرجت رواية أخرى ناطقة ظهر فيها آل جولسون أيضاً وهي « اصوات الغني The Singing Fool » وقد امتازت عن الرواية الاولى بكثرة دياولوجاتها مما جعل نجاحها وانتصارها أعظم واكبر .

أمام هذا كله تأكدت شركة وارنر ان الجمهور يحمد مشروع السينما الناطقة ، فأخذت العدة لاخراج أشرطة ناطقة كثيرة ، كان أولها شريطاً نقلت حوادثه عن رواية « الرعب » التي وضعها للمسرح إدجار ولاس الكاتب الانجليزي المعروف . وقد ذكر نقاد نيويورك ولندن أن هذه الرواية فشلت فشلاً مروعاً من الوجهة التمثيلية ولكنها برغم ذلك عادت على الشركة التي أخرجتها بالارباح الطائلة

مشروع أميركا بالناطقة

قامت أميركا وقعدت لهذا الاختراع المدهش ، وشاهد المخرجون النجاح الهائل الذي صادفه . فأسرعوا وقد حموا حموماً بالسينما الناطقة ، وقلبوا الأنظمة القديمة رأساً على عقب ، وشيدوا الدور الجديدة الصالحة لتصوير الأشرطة الناطقة . وهكذا تغير الحال غير الحال ، واتسع المجال أمام كثيرين من كان ممثلي المسرح للدخول في ميدان السينما بعد أن كانوا يحاولون ذلك عبثاً حتى ولو قدمت اليهم أدوار بسيطة . كما اتسع المجال أيضاً لعدد وفير من الممثلين السينمائيين الذين كانت تتقصم الظاهر الحيلة ، وأصبحوا يتنافسون مشاهير الكواكب في هذا الميدان ، ذلك لأنهم دون أصوات صالحة للسينما الناطقة

ومن ثم اشتد التنافس بين الشركات في إخراج الأشرطة الناطقة ، واتخذ كل منها طريقة خاصة في إخراج رواياته حتى ان معظمها الآن امتنعت بالكلية عن إخراج الأفلام الصامتة

ولكن هل نجحت كل الأشرطة الناطقة التي أخرجتها هذه الشركات ؟

كلا . . . فقد سقط منها عدد عظيم كاد يؤدي بالسينما إلى الدمار ، فلولا ان الجمهور يحب مشاهدة كل جديد فأقبل على رؤية وسماع السينما الناطقة اقبالا منعن الشركات أرباحاً طائلة . ولكن النقاد قاموا على المخرجين حملة شعواء ، وهددوا مخرجون منهم ان لم يشتروا على هذه الحال ولم يرعووا عن غيهم من حيث نقل الأصوات بالوضوح الذي يحمل من السهل تمييز الكلام ، فلا بد أن يحدث على يدهم هذه البدعة الجديدة التي يطلقون عليها اسم السينما الناطقة ، والتي وجدت لتنافس المسرح

أما النقاد السينمائيون فقد أجمعوا على أن الخطر سوف يشتد بسبب سحرها وجمالها ، فضلاً عن فقدان الكثيرين من مشاهير الكواكب الذين كانوا أنسباً لهضة هذا الفن

هذا فاتت شركات الإخراج من تشييد ودرج كل منها بين عمليه عملية إخراج الأفلام الناطقة . ولم يكتف المخرجون فقط بالممثلين الذين تصلح أصواتهم للسينما الناطقة ، بل تعدوم إلى الكواكب الذين لا تصلح أصواتهم ، اذ أحضروا لهم مدربين أخصائيين في فن الالقاء لتدريبهم وتهذيب أصواتهم حتى تصبح صالحة لنقلها مع الشريط . وقد عادت هذه الفكرة بنتائج باهرة

ولكن لو تصادف ان ممثلا محبوباً له عشاق كثيرون يحبون مشاهدة أشرطته لم يصلح صوته بالكلية للسينما الناطقة ، فانهم يستبدلون صوته صوت ممثل آخر يصدونه لهذا الغرض حيث اذا عرض الشريط على السامع أنه يسمع صوت الممثل الذي يراه أمامه بينما هو في الحقيقة صوت ممثل آخر

وقد نجحت هذه الحيلة تماماً ، وقد ثبت لنا ذلك عند ما شاهدنا وسمعنا نورا الابلات في رواية « تياترو في فلرت » . فقد كان لها موقف عناء في هذه الرواية ، ولما كان صوتها لا يصلح في الغناء ، استبدلوا بصوتها صوت مغنية أخرى . ولا بد أن الكثيرين قد لاحظوا أن صوتها في موقف الغناء كان أتم منه اثناء الكلام

وهكذا عرف المخرجون كيف يحفظون كثيرين من الممثلين من خطر السقوط ، وصاروا لهم مستقلا راجحاً بالانتصارات بعد أن كانوا على وشك الوقوع في هوة النسيان

اللغات والسينما الناطقة

هذا ولم تقتصر شركات الاخراج على اخراج أفلامها بلغة واحدة ، فقد لاحظت أن اقتصارها على لغة واحدة لا يكفي لضمان انتشار أشرطتها في جميع أنحاء العالم فأخذت تلقي تمثيلها لغات أخرى ، حتى أصبح هناك الآن عدد كبير من الممثلين يعرفون عدة لغات بعد ان كانوا لا يعرفون الا لغة واحدة . ويرى القارىء بين الصور المنشورة مع هذا الكلام ، صورة الممثل الالماني ويلي فريتش وهو يتعلم اللغة الصينية على يدي اختصاصي في هذه اللغة ، وذلك لان الفيلم الذي يمثل فيه تقع حوادثه في هنغاريا

ولم يقتصر المخرجون على هذا الامر فقط ، بل أخذوا يعدون العدة لاخراج أفلامهم بلغة الاسبرانتو التي ترمي الى ان تكون لغة العالم أجمع . وهكذا يعملون كل الوسائل لنجاح السينما الناطقة ، صارفين عرض الحائط بكل ما يشتم منه محاولة القضاء عليها

ولم تقف الشركات عند هذا الحد فقط ، بل راحت تخرج جرائد الاخبار السينما الناطقة أيضاً . وذلك لكي لا تحرم نفسها من سماع خطب بعض المشهورين موسوليني مثلا ، أو محاضرة يلقيها برنارد شو أو . . أو . . . ومن ذلك منصور على الكلام مثلاً . بل بات تسمع أيضاً أصوات الطيارات وصفير القواطر وما الى ذلك فيخيل اليك عند مشاهدة الشريط وأنت جالس على كرسيك في دار السينما . بأنك تشاهد الحوادث الذي تسمع كلامها وانك تعيش في نفس المكان الذي تشاهد وتسمع فيه أي حادثة من تلك الحوادث

مستقبل الفيلم الناطق

أمام هذا كله ، وأمام السيل الجارف من الروايات الناطقة التي أخرجتها شركات أميركا وانجلترا وألمانيا ، اضطر النقاد أن يعترفوا بانتصار السينما الناطقة ، ولو ان فيهم من ينتقد ان هذا شيء وقتي ، وانه ينتظر لها الفشل الذريع

وعلى كل فان هذا الامر من الصعب البت فيه الآن ، لان كل اختراع جديد يلاقي دائماً معاكسة جمة ، فضلاً عن سحرية الساحرين وشعوذة الشامتين والمستقبل كفيل بأن يرينا النتيجة الحاسمة التي تتوقف كلاً عند حده . فما كانت السينما الصامتة ولا أي اختراع آخر ليحول في أول أمره من ساحر ينحرش به ، أو منتقد شر عليه الرأي العام

فان كانت السينما الناطقة قائمة على أساس متين فلا بد من نجاحها كما نجح غيرها من الاختراعات ، وان كانت قائمة على أساس واه فلا شك في انهيار صرحها وضياعه

السيد عيسى العاذوري

تركيب الفضاء

دلالة نظريات اينشتين وعلاقتها بالبحوث الروحانية

للسير أوليفر لودج العالم الانجليزي المشهور

ان علم العلوم الطبيعية يختص الآن بالافكار الثورية عن الفضاء أي هذا الفرع الذي لا نحس فيه بمادة جامدة . وهذا الفضاء الذي يحيط بالمادة هو أهم وأخطر من المادة ذاتها . فقد عرف العلماء منذ أيام فراداي ان لهذا الفضاء خواص طبيعية ، فقد كان فراداي أول من أشار الى ان التيار الكهربائي لا يسير في المادة وانما يسير حولها وان المادة الكهربية لا تحتوي على الطاقة الكهربائية وانما هذه الطاقة تحيط بها ، أي ان الطاقة في الفضاء فقط أو في « الحقل » كما هي اللفظة التي استعملها اينشتين أخيراً وقد كان بوينتج يقول بما يشبه ذلك عن الجاذبية أيضاً فانه عرف انها في الفضاء بين النوم ولكنه لم يستطع ايضاحها . وشرح اينشتين في ايضاحها ومع اننا نعارل في البداية فقد ظهرت في الآثار نتائج حسنة سيشعر في حقيقة الفضاء أو الاثير فنعرف عنه يتألف ويتركب

وقد شرح اينشتين في درس جوهر الحركة فبين انها ان جميع الافكار عن الحركة نسبية لانها تتوقف على المادة المتحركة ، ولكنه وجد سرعة مطلقة لا تتغير في الكون تسمى الآن «سرعة C» وهي تؤثر في جميع أنواع الحركة في المادة وغايته بتعيين هي أكثر الاشياء مطلقة أي التي ليست نسبية والاهتداء الى تركيب الفضاء ومعرفة ما هو في صفته هذا التركيب وأنا أفضل تسميته باسم الاثير وأعني به شيئاً مادياً لا نعرف ماهيته الآن . وقد سماه بوينتج بهذا الاسم وأنا أتابعه في ذلك وكذلك يفعل اينشتين أحياناً

وهذا الشيء الذي نجهله في الفضاء أي هذا الاثير هو صاحب الاثر في الجاذبية والنور ويجهد اينشتين في ان يجعل من الكهربائية والمغنطيسية شيئاً عاش الجاذبية ويسير سيرها . وهو يستعمل لذلك هندسة خاصة ليست هندسة اقليدس ولا هندسة ريمان ، وانما هي هندسة خاصة به غاية في براعة التأليف ولكنها في اعتقادي تصل في النهاية الى السقوط

وأظن ان نظرية اينشتين هي خطوة نحو التوحيد الذي كان العلامة بشدونه دون ان يستطيعوا تحقيقه ، وليس لها الآن علاقة بالحياة أو العقل . أما غيري أنا فهي دخل الحياة والعقل في هذه النظرية ، وهذا هو الغرض من بحوثي النفسية . وأنا أعتقد ان المادة ليست تحتوي في الاصل على الحياة وان الحياة في الاثير أولاً ثم في المادة ثانياً . فنحن نتصل بالمادة مدة قصيرة ولكن لما

كيان دائم في الفضاء والمادة تبلى وتفنى ولكن الاثير لا يبلى ولا يفنى ولذلك فان الجسم المؤلف من الاثير يبقى ويعيش خالداً وليست العقوبة في نظرنا بعد الموت وانما هي في اتصالنا بالمادة

وأجسامنا « المادية » هي لباس يصعب علينا ان نلبسه وان نخلعه . والمادة تبلى بالسنين وهي مدانها ناقصة ولكن « جسمنا الاثيري » الذي أعتقد ان حاسوناً عليه لا يبلى ونحن لا نحس بهذا الجسم لان حواسنا لا تحس سوى المادة ، أما الاثير فلا نحس به . ولكننا نتصل رويداً رويداً بأناس تخلصوا من أجسامهم « المادية » وصارت لهم أجسام « أثيرية »

والاثير أو الفضاء لا يؤثر في حواسنا الخمس التي ورثناها عن الحيوان ، ثم هي لا تتيح لنا الفحص عن الاثير الا عن سبيل المادة . وهذه طريقة معوقة بالمتاعب . وجميع تجاربنا تجرب على المادة وعلينا ان نستنتج النتائج عقولنا وهذا هو السبب في ان النظريات العلمية عندما تنتقل بها من معالجة المادة الجامدة الى الفضاء الفارغ تبرع من الطريقة الاستقرائية المبنية على شواهد الحس الى الطريقة الاستدلالية المبنية على استنباح العقل

وقد رأينا في القرنين أو الثلاثة القرون الماضية رقياً عظيماً في العلوم الطبيعية . فقد امتازت بصور الخير على أيدي نيوتن وفراداي وماكسويل وتوجهت نحو الوحدة الذي حاول ايشتين في نظرياته الثلاث عن النسبة . ولكن معارفنا عن عالم « ما فوق الطبيعة » قد بقيت كما هي لم تتقدم وسيكون من واجبات العلم في السنين التي يقبل بها علماء الروح ان يقبلوا بها الاطوار التي اجتازتها العلوم الطبيعية في السنين الطويلة الماضية . وحتى الآن جميع الحقائق النفسية أدوات مادية متصلة بها ونحن في العلوم الطبيعية ندرس بعض هذه الادوات ونؤلف كتباً عنها ونسميها بحوث الحديثة ولكن « الطبيعيات » أو « العلوم الطبيعية » لم تبلغ بعد ان تستقر على درس هذه الحقائق النفسية أيضاً . وبدرس الآن ايشتين وغيره التركيب الطبيعي للفضاء واحسن انهم بذلك يهيئون الميدان لدرس واف أوسع مدى وأوضح نوعاً لما نسميه الآن « ما فوق الطبيعة »

[خاصة الهلال]

ابواب الهلال

سيد العلوم والفنون

آلة لصعق اللصوص من الفرن

جربت في العهر الماضي بباريس آلة جديدة للاقتاد من السرق اخترعها الدكتور بورو . وهذه الآلة عبارة عن سقف عام من الحديد يفتح عند اشتداد الخطر فيطير فيه الشخص ويبقى في مأمن من السرق . وترى هنا صورة اختراع وبيده اجهار قبل تجربته

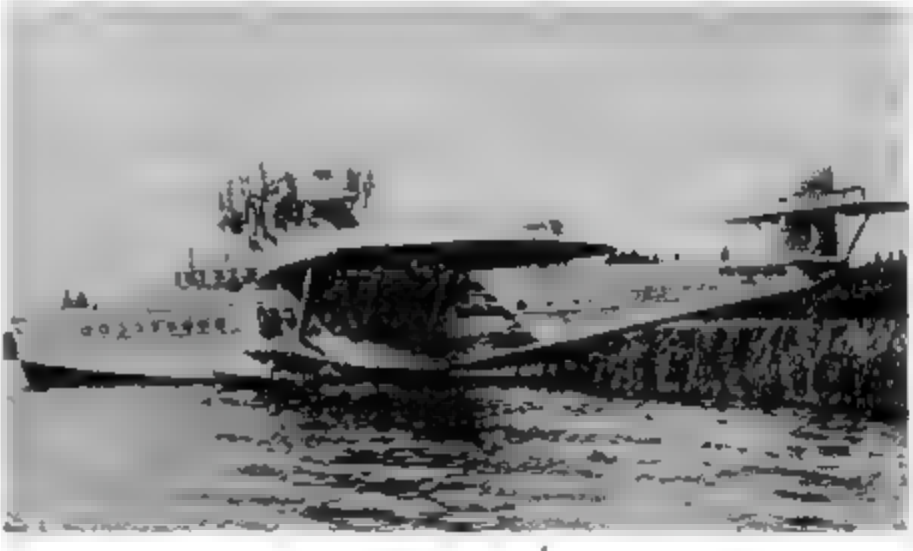

بحرة أكبر طيارة مائية في العالم

تعد الطيارة الالمانية Do X التي ترى صورتها في أعلى أكبر طيارة مائية في العالم وفيها ١٢ محركاً وقوتها ٦ آلاف حصان وطولها ٤٠ متراً وارتفاعها ١٠ أمتار وتتسع لماكن لركوب مائة مسافر وقد قامت بالتجربة الاولى لمعرفة مكاب من الطيران تركبها ١٦٩ شخصاً وطارت على بحيرة كونستانس في سويسرا

طيارة بلا ذيل

صنع مهندس الماني اسمه ليبيش طيارة بلا ذيل وتركبها هو وسواق في مطار تمبلهوف قريبا من برلين وجربها أمام جمهور غفير من المشاهدين فنجحت التجربة كل النجاح . وترى الطيارة في الصورة طائرة

أحدث تحويج في الخلقة المفقودة !!

كل يوم يجيئنا العلماء بخبر جديد عن المخلوق الذي كان يربط الانسان بالقرد كما يزعمون فهم لهذه صورة الخلقة المفقودة والبوم عثروا لسلفه المفقود من صور حي بكين في الصين فصورها سلتزوبس بكيتنز ويعول الدوصور البوت من شبها أنها لا تقل في عظم شأنها عما وجد في جاوا وانجلترا ويقدر اعمار الثلاثة بنحو مليون سنة

١ — نجد في هذه الصورة رأس قرد من نوع الشمبانزي لمقارنته برؤوس الخلقات المفقودة

٢ — رأس الخلقة المفقودة التي وجدت في جاوا

٣ — رأس الخلقة المفقودة التي وجدت في بكين

٤ — رأس الخلقة المفقودة التي وجدت في سكس من انجلترا . وهذه الصور الثلاثة بمثابة صورها مصور بناء على معلومات علمية

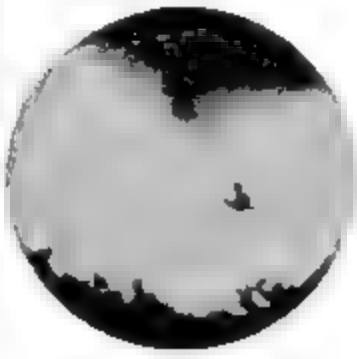

حرطوشة
للتصوير

البندقية المصورة
ترى هنا صورة البندقية التي تستعمل للتصوير في أثناء الصيد

طائر قتل في دائرة المرمى
أربع صور (بحجمها الطبيعي) مأخوذة بالحرطوشة المصورة وفوقها السور الاربع بكرة ومنها يعرف الصائد مبلغ خطئه او اصابته

قبيل أعلام الفونوغراف في مكتبة الحكومة السوفية ببرلين أستاذ اسمه دوجن رأى ، ورأيه للوقوف الى الصواب أن يأخذ أصوات الحيوانات المعاصرة لنا على اسطوانات تعاصر تعيش ١٠ آلاف سنة . وغرضه من ذلك أن يقارن أحفادنا بين أصوات الحيوانات المعاصرة لهم وأصوات حيواناتنا لعلهم يستفيدون من ذلك فائدة علمية . وهو في الصورة يأخذ صوت قبل مطرب

طريقة جديدة

لتجديد الشباب

حرب طبيب بولوني مقيم في باريس اسمه جابورسكي وهو أحد أعضاء جمعية الطب الباريسية تجارب لتجديد الشباب كان لها وقع عظيم هناك . ذلك أنه حقن شيخاً يريد تجديد شبابه — ومن لا يريد هذا من منا أحد — في شبابه وقد قال الطبيب : « إن ١٢ حقنة في الأوردة لا يزيد مقدار الحقنة على ٥ سنتيمترات مكعبة في الأكثر كافية وهي كل علاجي » . وسيصبح معملاً للحقن تكون له هذا التأثير نفسه . ويرى في الصورة وهو يحقن مخزوناً دردبياً في ساعدها لعلها تعود كما لا

الدكتور فورونوف

حتما بالسوبرمان الذي يريد الدكتور فورونوف ان يصنعه لنا فيخرج كاملا في كل شيء متفوقاً على سائر الافراد في القوة والنظر والذكاء كما يتفوق السور دريدنوط على الدريدنوط . والآن يقال لنا ان الدكتور فورونوف يريد بالطريقة عينها في التلقيح « بعدد » القرود والسلامس أن يخلق لنا جروفاً اسمه « سوبر جروف » متفوقاً على أقرانه وقريناته من الشمبانزي والنمناج كما يتفوق السوبرمان على سائر الناس والسوبر دريدنوط على سائر الدوارج والدرجات . وترى الى اليمين صورة الدكتور فورونوف قائداً جروفه بعد العملية

العين الجوية

اخترع المستر فرنسيس جنكنس احد المشتغلين بالتلغرفون آلة سماها العين الجوية تمكن الطيارات في زمن الحرب من التجسس على مواقع الاعداء ومداصها واستحكاماتها وحاملاتها وتوزيع جيوشها وارسال صورها بالتلغرفون الى اركان حربها بحيث يرونها كأنهم يشاهدونها بالعين المجردة . وقد اهتمت الدول العظمى أشد الاهتمام بهذا الاختراع

ويقول المخترع ان ضباط الدفعية يستطيعون باختراعه ان يجلسوا امام ستار موضوع امامهم فيروا صور المدافع ويديروها على مقتضى الحال من غير ان يتحركوا من اماكنهم وقد شرعوا يعتنون طيارة خاصة لحمل هذه الآلة على غية تجربتها قريباً

آلة الرؤية في الظلام

اخترع البروفسور [illegible] آلة سماها « نوكتوفيزر » أي الرؤية بالليل يرى بها الانسان في الصالب المكتنف بالظلام من غير أن يكون معه نور . وقد قال في حديث مع بعضهم : منذ سنتين شرحت مبدأ هذه الآلة امام الجمعية البريطانية فجلس البعض في غرفة مظلمة لايرى الواحد منهم جاره فرأى فريق آخر كانوا جالسين في غرفة عادية . وكنت حينئذ مقتصراً على اثبات هذا المبدأ في مسافات قصيرة لا تتجاوز بضع اقدام ، اما الآن فقد تناولت في تجاربي الاخيرة المسافات الطويلة التي تقاس بالاميال . وكل شيء يتوقف على هذه المسألة وهي اننا لا نرى الأشعة التي أمام اللون الاحمر من ألوان الطيف الشمسي في حين ان هذه الأشعة تخترق الظلام والضباب الى درجة عظيمة وهي تخترق كذلك خشب الأبنوس الصلب وان كنا لا نرى . ولكن النوكتوفيزر » تهتدي الى هذه الأشعة غير المنظورة وتحولها أشعة منظورة »

ثم أشار الى نور يتلألأ من مكان بعيد وقال لمحدثه « ذلك النور الذي تراه هو نور سيارتي وهي على بعد ثلاثة أميال من هذا المكان » ثم لمس النور فقال « ان مساعدي غطى النور الآن بقطعة من خشب الابنوس فلا تراه » . ودار الى « النوكتوفيزر » وأداره الى النور المضيء ووضع ستاراً وراءه فظهرت عليه نقطة بيضاء صغيرة هي مصباح السيارة على بعد ثلاثة أميال ، قال ان الآلة ترى الاشياح التي هي أبعد من ذلك

وعلق أحد النوكتوفيزر وضعت آلة من هذا طرازها على كل باخرة من البواخر التي تمخر عباب البحار فتمكنها من استخدام البواخر بعضها ببعض . ويرجو الاستاذ ان يرى انه سيصنع آلات حتى تصير في يد كل من يريدها

عمق المناجم

بلغ أقصى عمق في المناجم نزل الانسان اليه حتى الآن ٧٣٠٠ قدم . ويقول البروفسور جراتون مدير مدرسة الهندسة في جامعة هارفرد انه يمكن الهبوط في التنقيب الى عمق ١٠ آلاف قدم يجد الانسان فيها ثروة جديدة من المعادن

القراءة في استراليا

يؤخذ من الاحصاء ان واحداً من كل أربعة من الاستراليين يقرأ كتباً وان معظم أهل استراليا يستمدون معارفهم من الجرائد

المشروبات البريئة في أميركا

زاد بيع المشروبات غير الروحية في أميركا مدة السنوات العشر الماضية فزاد المشروب المعروف باسم « جنجر آيل » ٧٠ في المائة والمدرمة مثله والماء المعروج بمستخلص الشعير ٦٣ في المائة وعصير العنب ٣٢ في المائة

نوع جديد من الفود

وجد المستر تشارلس بارت العالم الطبيعي في استراليا دوداً كبيراً قد يبلغ طول الواحدة منه ١١ قدماً وبيض يبلغ طول الواحدة منه ٣ بوصات واذا مشى الانسان فوقه أحدث صوتاً كبيراً يشبه صهيل بعض الافاعي . ويقول المستر بارت أن الواحدة منها تكفي طعاماً لسمك . طول فصل الصيد كله

جبابرة الحشرات الصغيرة

أصدر المستر وورد عالم الحشرات في أطلنطا كتاباً سماه : « عجائب العالم الحيواني » وصف فيه حشرة لقبها شمشون الحشرات لأنها تستطيع أن تدفع جسماً ثقله ٥٣٠ ضعف جسمها وتجر جسماً ثقله ٣٧ ضعف جسمها . ولو كان للانسان قوتها لاستطاع أن يدفع مركبتين من مركبات الغمش في سكة الحديد ثقل كل منها ٣٠ طناً ويجر معها ثقله ٤٠ قنطاراً مصرياً

الشهب في القمر

يقولون ان من جملة الاسباب التي تجعل الحياة على القمر مستحيلة شدة تعرضه للشهب والبارك . حتى لقد قال بعض الفلكيين انها هي التي سببت براكينه المشهورة . أما سبب كثرة الشهب والبارك عليه وتأثيرها في سطحه فعدم وجود هواء كاف فيه يحميه منها . ولو كنا على سطحه ما كنا نحس منظر تساقط الشهب عليه من الناظر الجميلة الشائقة كما نحسها على أرضنا لاننا لا نرى منها شيئاً الا حال سقوطها علينا بسرعة تزيد مائة ضعف على سرعة رصاصة البندقية وحينئذ نضطر ان نهرب منها ونحتمي من فعلها في حفر نحفرها لأنفسنا

مسحوق الفضة

وجد كيبالي الثاني اسمه الدكتور كروز كرور انه اذا سحقت الفضة ودر مسحوقها على ماء فيه بكتريا أماتها . ومسحوق قمحة واحدة منها تكفي لقتل جميع البكروبات في ٣٠ الف جالون ماء ويبقى فعلها الى ملايين الله مهما تغير الماء

سرعة الطيران في المستقبل

قال الطيار لند برج الشهور في حديث أن سرعة طيراننا في العشر السنوات المقبلة يتوقف على عوامل كثيرة لا يمكن الانباء بها الآن . ومن رأيه ان طيارات النقل تطير بسرعة ١٥٠ ميلاً في الساعة وطيارات المسافرة بسرعة ٣٠٠ ميل عند الاقتضاء وطيارات السباق ٤٠٠ ميل او اكثر

النور الحي

قال الدكتور هارفي أستاذ الفسيولوجيا في جامعة برنستون انه يمكن صنع النور الحي في مستقبل قريب . ويراد بالنور الحي النور الذي يضيء من غير ان يتفق وقوداً

وقد خطب على المعهد العلمي الاميركي حديثاً فقال « ان ذلك يتوقف على استطاعتنا تركيب المواد البروتينية كما تركب الدهن والسكر وبعض المواد البوتينية البسيطة . أما المركبة ومنها الكوسيفرين المضيء فلا بد ان يهتدي الى صنعها

في المستقبل . وشوه الجانب ضوء لا خفة فيه لانه يأخذ وقوده من زيت يعود فيتكون ليحرق ثانية »

اينشتين ومذهبه

أهدى الدكتور البرت اينشتين صاحب مذهب النسبية نسخة خطية شرح فيها مذهبه الى الجامعة « الوسليان » في أميركا وهي ذات ثماني صفحات ضمنها خلاصة الجهود التي بذلها مدة ست سنوات لشرح النسبية أما النسخة الاصلية فأهداها الى الجامعة العبرية في القدس

هل للاشياء الوان

نحن معتادون ان نقول عن العشب انه أخضر وعن الورد انه أحمر او أبيض او اصفر وعن الجلد انه أزرق ولكن الاشياء انما هي لا لون لها اذا أردنا التدقيق العلمي . وكان الناس يجهلون ذلك قبل السر ايزاك نيوتن واختراعه للمنشور الذي يحلل النور الى ألوانه السبعة بين كان يقولون ان الاشياع تلون النور وقد ولكن نيوتن اكتشف ان لون الشمس الابيض يحتوي على جميع الالوان البسيطة وان الاشياء تلونها لا لون لها بل تمتص الالوان الواقعة عليها فتمتص بعضها فلا تظهر وتعكس البعض الآخر فتظهر بلونه

فليس العشب والحالة هذه أخضر ولكنه يمتص سائر الالوان الا الاخضر فلا يمتصه ولا يسمح بعكسه هواء . والسحب التي تظهر حمراء عند غروب الشمس تمتص كل ألوان الطيف الشمسي الا الاحمر فانه يخترقها ويقع على العين فتراه

كذلك أشعة الشمس لا لون لها سواء كانت الوانها السبعة ممزوجاً بعضها ببعض فتظهر لنا بيضاء او معلة الى تلك الالوان شوس قزح او المنشور . وسبب ذلك أن اشعة الشمس لما تموجت في ذلك الشيء غير المنظور المعروف باسم الاثير فان الجواهر الحمراء الحالية في الشمس تهتز فتحدث تلك التموجات وتموجات الاثير أو امواجه تختلف طولا واقصر التموجات الممكنة عن أي مادة تحملنا نرى اللون البنفسجي واطولها تحملنا نرى اللون الاحمر ولكن القصيرة والطويلة هي في الحقيقة لا لون كالاشياء التي حولنا وانما تحدث فينا الشعور باللون عند وقوعها على شبكية العين وتنقل ذلك الاثر الى الدماغ

فاذا قلنا لك ان الحشيش اخضر كان المعنى ان الحشيش يمتص بعض الامواج العديمة لتكون النشا فيه ويعكس الى عيوننا الامواج المتوسطة الطول فتحرك فينا الشعور بالاخضر . ولو لم تمتص الاولى وامتصت الثانية لرأينا الحشيش أحمر

المكتريا كسماد

تستعمل المكتريا الآن في الاكثر البطريات الكهربائية لحفظه ولمنع الصدأ بها ولكن ظهر للباحثين أن في النباتات شيئاً قليلاً منها وانه اذا أريد زيادة حصها وجب أن يؤتى لها بذلك الشيء القليل لأنها تحتاج الى المكتريا كما تحتاج الجسم الانساني الى الملح . وقد قررت ادارة الزراعة الاميركية أن تعمل التجارب لمعرفة تأثير المكتريا عملياً في إنماء النباتات وذلك بعد أن زرعت الطماطم في بعض جهات فلوريدا فلم تنجح زراعتها فأسلموا الى التربة شيئاً من السماد الذي جيء به من ولايات أميركا الوسطى فنجحت زراعته فحلل كيميائيو الادارة هذا السماد فوجدوا أن العنصر الفعّال فيه هو المكتريا التي تستخلصها النباتات

الولايات المتوسطة وحيواناتها من تربتها . ولا يبعد أن يكون للعصر يا تأثير كبير في الحيوانات عليه الآن . قد قرأ الدكتور فيوجرادوف ورقة في أكادمي العلوم بمدينة ليننجراد (بطرسبرج سابقاً) أثبت فيها وجود الملاريا في كثير من الحشرات ولا سيما بعض أنواع القمل

بناء الطرق في المستقبل

خطب البروفسور لي في اجتماع جمعيته الخيرية البريطانية في جنوب افريقية عما صنع العلم في سبيل الصحة وتساءل عن طرق المستقبل هل تفرش بالصلب أم بالقش أم بالاسمنت ؟ ولا يزال السر هنري ما يري العلم الانجليزي يذكر اليوم الذي انقلب فيه برميل من القطران في طريق من طرق انجلترا فكان ذلك فاتحة صناعة قطرنة الطرق ولا يعلم الآن ما يقر الرأي عليه في هذه المسألة اذ لا بد من تركيبها في بعض المكسيك بحسب خصائص الاسمنت والصلب و . . . كيماوية ليخبرنا اي من هذه المواد كلها اكثر احتمالا للعمل ولتقلبات الجو من حر وبرد وجفاف ورطوبة

قلب الارض

قال الدكتور دالي من جامعة هارفرد ان قلب الارض مؤلف من نحو من الزجاج الذائب الكثيف وحوله طبقات متعددة والطبقة الخارجية المعروفة باسم قشرة الارض سمكها ٣٠ ميلاً

سن النبوغ

قال الاستاذ كارل بيرسن ان الانسان يبلغ أشده من الوجهة العقلية في سن الساعة والعشرين ثم يأخذ بالتقهقر بعد ذلك . وقد تحدثوا قوله هذا فاحتجوا واستشهدوا بكثير من الأمثلة التاريخية المعروفة . فقد بدأ بيرون نظم « تشيلدهارولد » وعمره ٢٤ سنة ونظم معظم قصائده الشهيرة قبل بلوغه الثلاثين

ونظم كتس قصيدة اندميون وعمره ٢٣ سنة وهيرون وعمره ٢٥

ونظم شلي « الملكة ماب » قبل العشرين وبرومثيوس في سن السابعة والعشرين

وكتب الروائي ديكنز « بكويك بيبرز » و « نكلبي » و « أوليفر تويست » وغيرها قبل بلوغه السابعة والعشرين

ولكن هناك شواهد كثيرة على ان هذا الحكم لا يطابق الواقع . فبين الثلاثين والخمسين كتب [illegible] شعراء وكتاب [illegible] وردسورث . جونسون . أدمسن [illegible] سبنسر . مكولي . دي كويسي . جرين [illegible] دوماس . ثكري . جولدسمث . سكوت [illegible] لام . رابلي . فتزجيرالد . ثكسر

ونشر سرفنتس الروائي الاسباني الجزء الأول من رواية « دون كيكسوت » الغرلبة الشهيرة وسنه ٥٢ . وكتب الروائي ديمو رواية « روبنسن كروزو » وعمره ٥٨ . وملتون « الفردوس المفقود » وعمره ٥٨ . وكتب آدم سمث الاقتصادي الشهير كتاب « ثروة الأمم » وعمره ٥٣ . والفيلسوف لوك مقالته في الادراك وعمره ٥٨ والكاتب الانجليزي الهرلي دين سوفت كتاب « أسفار جليفر » وعمره ٥٩ . ورتارد شعر روايته « بالك تومتوشلج » وعمره ٦٥ سنة

شؤون الدار

سر الانفلونزا

كتب طبيب انجليزي كلمة عن الانفلونزا بمناسبة اشتدادها في الشتاء الماضي بين الانجليز فقال : لا يستطيع أحد الانباء الآن أن تعيد الانفلونزا سيرتها الماضية ثم تكون جديدة لا يأبه بها لان هذا كله يتوقف على حالة الجو وعلى طبيعة العدوى نفسها وهذه الاخيرة يجهلها العلم أو لا يدري عنها الا القليل . وكل ما نعلم عنها أن هناك نوعاً من الباسلس يسمى انفلونزا ولكني أشك كثيراً في هل هو وحده يمكن يلعب هذا الدور الكبير في الانفلونزا

والناس عامة يعتقدون بناء على ما سمعوا وقرأوا ان الانفلونزا نوع واحد حسب عدد وآخر الدماغ وثالث الاذن أو سائر أعضاء الجسم . ولست أظن هذا الاعتقاد صحيحاً بل من رأي ان الانفلونزا مرض خاص له ميزاته عند أول هجومه ولكن أعراضه تختلف فيما بعد تبعاً لقابلية الجسم فتشتد في بعضها لان الضعف العام الذي يحدثه الداء يبدو في الاكثر على العضو الاضعف فينا

مثال ذلك ان الذين يصابون بسوء الهضم آناً بعد آن تظهر أعراض الانفلونزا فيهم على أشدها في جهازهم الهضمي أو معدتهم فذلك يكون هذا النوع من الانفلونزا الانفلونزا المعدية . ولكن مما لا ريب فيه انه في بعض الامراض الوافدة تصاب بعض أعضاء الجسم بأعراض المرض دون البعض الآخر في الانفلونزا الماضية ظهرت الاعراض على آذان كثيرين . وفي وافدة سنة ١٩١٨ ظهر أشد الاعراض على الرئتين

ومع ذلك نرى ان الانفلونزا مرض مستقل بذاته وانه يجب الاحتياط لهذا المرض احتياطاً كبيراً قبل ان يتمدى الى المكروب المسبب له ويحرز على عدوه المكين علاجه بالحقن والتلقيح

ومع كل ذلك لا يجب الاحتياط له على قدر الامكان بحفظ الاجسام والخلق نظيفين . ولا بد من القول هنا ان مقاومة وش مواد مضادة للفساد قوية على الاجسام والخلق مضر ومعدم بالخطر لان ذلك مما يهيج الغشاء المخاطي فيهما ويخفض قدرته على المقاومة فيصير بذلك اكثر قبولا لجراثيم المرض مما لو ترك وشأنه . فيكفي والحالة هذه برش محلول ضعيف جداً عليهما مرتين في اليوم أي في الصباح والمساء

فلا يبقى بعد ذلك الا اجتناب التعرض للبرد فاذا دخلت الانفلونزا أحداً بعد هذه التحوطات ورأى ان حرارته ارتفعت فليلزم سريره . وشر مضاعفات هذا المرض ذات الرئة . فاذا عرف الجمهور ذلك واحتاطوا له في وقته قلت وفيات هذا المرض كثيراً

الادوية السرية

حرمت سويسرا بيع الادوية التي يبقى سر تركيبها مكتوماً وأوجبت على الذين يريدون عرضها في السوق ان يبوحوا بسر تركيبها لمستوصف الحكومة في مدينة برن

الخفاش لا يأكل البعوض

ليس بين الحشرات ما هو أكثر ازعاجاً للانسان وأضره من البعوض أو الناموس ووجه ضرره أن لدغ بعض أصنافه يحدث الملاريا والحمى الصفراء . وإيذاؤه ليست بالامر اليسير لأن بعوضة واحدة تمص آلافاً من اللابين في ساعة . وقد اقتصر الانسان حتى الآن في مكافحته على تجفيف المستنقعات ورش الزيوت على سطح الماء الذي يعيش ويتكاثر فيها ووضع السمك فيها ليأكل البعوض ويضه معاً. وقد وجد حديثاً أن الخفاش مولعة بأكل البعوض فضمه بالآلاف ورم في أميركا يبيعون أوراحاً خاصة لتربية الخفافيش واستعمالها لابادة البعوض بها

الفقر شر العادات

قال احد القسس الموكل بهم زيارة السجونين في سجونهم ان في كل المجرمين صفة حسنة الا واحداً

وقد تكون هذه الصفة مخبوءة فيهم لا يهتدي اليها الا بعد تعب وصبر ولكنك لا بد أن تجد أخيراً زاوية فيهم أخذاً فيها العطف أو المروءة أو غيرها الا الفقر فانك لن تجد في قلبه عاطفة حسنة

وهذا يصدق فيه لاول وهلة لأن كلاً منا ميال الى أن يقول ان القاتل واللص مثلاً شر من الفاقر . ولكن الذين اشتغلوا في السجون يقولون غير هذا القول . ذلك لأن كثيراً من أفظع الجرائم ارتكب في ساعة تجربة شديدة وشهوة قوية من غضب او جوع أو حزن او ما أشبهها ولكن الفاقر يحمل من دنه وحطامه عادة له . والعادة الرديئة أشد عملاً في المرء من ارتكاب الجرائم الكبيرة

قال القس المشار اليه : أن الفاقر لا يبالي اذا كانت روحه وأولاده يتصورون جوعاً وانما يبالي بشيء واحد وهو التعب . وليس في وسعك أن تحمله على الدرس والدرية او أن ترجو تركه هذه العادة واستبدال عادة من العادات الحسنة بها

البرد والصور

كان من نتيجة اشتداد البرد في أوربا في الشتاء الماضي ان محت الصور التي صورها كبار المصورين لحقها شيء من التلف . فظهر على صورهم وجسوم الحمراء » التي صورها روبنس وجسماً صوراً نيجان/ودوورس أشباه تشبه الارواح أو النور

دوار البحر

كتب الدكتور بوزرسكي من معهد باستور فصلاً عن دوار البحر قال في وصفه « انه يفقد الرجل شهيته في الطعام ويفقد المرأة دلالها وغنجها . وقد يكون وقتياً فيهما فيستعيدان توازنهما الفسيولوجي ويشعران بقوة وعافية لم يشعرا بها قبلا بعد بضعة أيام من وجودهما في الباخرة فتضاعف شهية الرجل الى الطعام ويعود الى المرأة طرفها القديم وحلاتها التي فارقتها

« ولكنه أحياناً يستعصي ولا يفارق صاحبه قيد شعرة طول مدة سفره . وتشتد الاعراض

عينها في كل سفرة . وقد نكب الانسان بالدوار منذ أول عهده بالوجود ولطالما بحث الناس فيه وفي أسبابه على نية معالجته فلم يظفروا منه بطائل . ويقال اجمالا ان الوصايا الآتية خير ما عرف من علاج دوار البحر حتى الآن :

١ ــ اربط (أو اربطي) حول المعدة والبطن رباطاً شديداً يمنع تحرك الاحشاء

٢ ــ لا تحش معدتك بالطعام بل ليكن أكلك خفيفاً في فترات متقاربة

٣ ــ اشغل نفسك بالقراءة والحركة والنشرة السارة وتناس الدوار ما أمكن

٤ ــ اذا جاءك الدوار فاقلل من الحركة ما أمكن واضطجع على كرسي في قلب الباخرة حيث الترنح أقل منه على الجوانب ولكن اضطجاعك أقلبياً واقفل عينيك ولا تشغل أفكارك بمسائل يستعصي حلها

الزكام وسببه وعلاجه

جاء فصل الزكام فلا بأس من أن نقول كلة فيه من قبل التذكير عسى ان ينفع التذكير

ان ما يسهل تعرض الجسم للزكام وهو الحركة أو تعطلها في بعض أجزاء الجهاز التنفسي مما يهون على الميكروبات ان تتأصل فيها وتنمو وتزكو . وأول أعراض نموها زيادة افراز السائل في عاري التنفس وهذه الزيادة هي بغاية محاولة الطبيعة اعادة الحالة الى ما كانت قبلا لطرد الميكروبات من مجرى النفس . ولعل أعظم أسباب الزكام عادة التنفس بالفم . وكثيرون يلجأون اليها اضطراراً وهي ليست فيهم عادة وذلك لان أنوفهم لا تصلح للتنفس لسوء تركيبها أو لوجود عوائق تعوق الهواء في الزعير والشهيق . والهواء الذي يدخل الرئتين بطريق الفم يكون مملوءاً عاراً ماراً يرسب على الحلق والقورتين أو يدخل الرئتين فيلوثهما . أما الذي يدخل بطريق الانف فيصفى بواسطة الغشاء المخاطي الذي يبطن الانف ولكنه انما يستطيع عمل ذلك اذا كان سليما مرطباً . واذا حلسا في غرفة فيها وسائل التدفئة الصناعية فان الغشاء الذي يبطن الانف يجف ويخشن فلا يعود يصلح كمصفاة للهواء

ولتجنب الزكام وعواقبه يجب أولاً ان يستشار الطبيب ليفحص الانف ويرى هل هو خال من كل تشويه . وثانياً ان تزال عوائق التنفس التي في الانف وتستأصل القورتان اذا كانت متضخمتين ويجتنب هواء الغرف الحار الساكن

وليس التيار الهوائي سوى مجرى هواء بارد مار في مكان غير حار نسبياً ومع ذلك فان سبب الضرر فيه هو الهواء الحي لا التيار نفسه

أخذنا ما نقدم من طبيب شهد الحرب العمومي الكبرى مع الجنود في الخنادق قال : ولم أر منه الحرب جندياً واحداً في الخنادق شكا الزكام مرة ولو كانت الاحوال المحيطة بهم في الخنادق موجودة في مدينة من المدن لكانت كارثة على سكانها . ولكن اذا عدوا من بين أهلهم بعد قضاء مدة أجازتهم صكت أرام مركومين لا يستطيعون الكلام من شدة الزكام وذلك لانهم كانوا يعيشون في هواء ساخن ويقضون على بساط الراحة

أقم في الهواء ما استطعت واجتنب الاماكن المقفلة وقاعات الموسيقى وغيرها من الاماكن المشبعة بميكروبات . وتمرن على التنفس العميق صباح مساء عن طريق الفم وأنشف الى هذه الرئة حماماً بارداً صباح كل يوم يقوّ جهما تكاد مغالبة الزكام والتغلب عليه أحياناً

اعمار الاطباء

يؤخذ من احصاء لبعض شركات التأمين ان متوسط أعمار الاطباء ليس أطول من متوسط اعمار كثيرين من أصحاب الاعمال والاشغال والحرف المختلفة بل ثبت على العكس من ذلك انهم لا يبلغون من العمر ما يبلغه كثيرون من المؤمنين على حياتهم . فاذا بدأ الطب عمله في الثلاثين كما يبتدئه عادة وباوربا فان « انتظار العمر » عند الاطباء كما يسمى في شركات التأمين اقل منه في سائر الناس بسبع وسبب ذلك ان الدربة التي تكتسب على غيره وهي معرفته كيف يعنى بنفسه ترجحها أشياء أخرى كثيرة منها عدم انتظام ساعات عمله وأكله وقيامه وقعوده ومنامه وراحته وكثرة الكوارث التي يعرض لها في صناعته من طب وجراحة

الجبن داء

من رأي الدكتور توماس جونس احد اطباء التحليل العقلي ان الانسان شجاع بفطرته وان الجبان مريض وليس رجلا صحيحاً فقد قرأ على جمعية السيكولوجيا البريطانية في جلسة عقدتها حديثاً ورقة جاء فيها قوله :

« للعقل حالات تعرض له اسميها « حالات القلق » ومن اعراضها العقلية خلل الجهاز العصبي وافرار العرق الكثير . ومن اعراضها العقلية شدة الخوف وهذا الخوف لا يتناسب مع سببه في حجمها فهو شبيه بما يقال عن خوف الفيل من الفارة . وهذه الاعراض تشتد احياناً حتى تتحول شيئاً فشيئاً الى الاضطراب العقلي

وهذا يشير به تلك المخاوف العامة وغير المحدودة ميالي الى أن يأخذ كل الشذوذ عن الحالات من الخاطر ولكن الذي اظهروا مزيد الحذر في بعض الطوارىء غير المنتظرة قد يكونون مرضى بهذا الداء اي داء القلق وهو مرض يشفى بشيء من العلاج والعناية على يد طبيب اخصائي

توأمتان غريبتان

كل التوائم المشهورة التي عرفها الناس كان الواحد منها علامة خاصة تميزه عن الآخر الا التوأمتين التين نحن بصدد الكلام عنهما اسم احداهما كليوربا والاخرى جاوربا ولدتهما امرأة اميركية في مدينة لوس انجلس بولاية كليفورنيا ولما رأت انها لا تستطيع ان تعرف الواحدة من اختها صبغتهما لونين شديدي التشابه حتى لا يبقى سبيل ما الى تمييزهما . وقد دخلا احدى مدارس الموسيقى في المدينة ولما رأت المديرة انها لا تستطيع التمييز بينهما بوجه من الوجوه طلبت من امهما أن تلبسهما ملابس تعرف بها الفتاة الواحدة من اختها . ومن غريب ما يحكى انهما متشابهتان في علاماتهما حتى ان الفتاتين المعلمات ان ذلك ناتج عن تدبير منهما لكن احداهما ترجح بداية في الرقص ومعلمة الرقص لا تعرف الراجحة من المرجوحة . واحداهما تفضل الاخرى في صوتها ومعلمة الصوت لا تعرف الفاضلة من المفضولة الا بالتجربة أمامها

ولما حارت المعلمات فيهما قالت كليوربا « ولعلها جاوربا » نحن متشابهتان كل التشابه في كل شيء فماذا تعنين هذه العناية بالتفريق بيننا ولماذا لا تعاملننا معاملة شخص واحد . وليس بينهما فرق حتى في الصورة

وسائل حفظ الثروة

بلغ من اهتمام الغربيين بحفظ ثروتهم أنهم يحرصون على كل صغير وطفيف وما تظن عادة

أن لا قيمة له في سبيل المحافظة على ثروة الامة ، فانشأوا لذلك فروعاً من الاقتصاد لا عداد لها وجمعوا من اهون الأشياء ثروات لا يستهان بها يقولون لك مثلا أن هذه الخرق (الكهنة) التي ترمينا في مصانع الزبالة ذات قيمة كبيرة اذا تجمعت فان طناً منها يعطي رجلا وامرأتين من العمال عملا مدة اسبوع . وطناً من علب الصفيح القديمة يعطي كذا وكذا من العمال عملا مدة كيت وكيت وهكذا الى سائر ما لا يدور لنا في خلد ولا يخطر ببال

وقد عرض على لجنة وزارة الداخلية البريطانية حديثاً مشروع لجمع الزبالة من منازل لندن وتحويلها الى مواد كيميائية مختلفة فيكون من ذلك عمل لكثير من العمال الذين سيعرضون جميع هذه الزبالة على الصفيح والزجاج والخرق والورق والعظام فترسل كل نوع منها الى معمل خاص بها لاعراض شتى . ويزعم بانصوة لجنة هذه المعامل من احراق بقية الزبالة وجمع من الرماد المتبقي من الحريق بلاط وأنابيب وما اشبه

وهو مشروع كبير اذا تأملناه فان مدينة كلاسجو مثلاً تبيع كل سنة الى طن من علب الصفيح القديم ورمتجهام خمسة آلاف وفيها معمل من مثل المعامل التي يراد انشاؤها في لندن لانفاذ المشروع المتقدم ترجع سنه ٣٥ الف جنيه كل سنة

وفي حي ايست اند بلندن شركة تشتغل بعناية كل شيء فتجمعها وتعاملها بمعنى المعاملة ثم ترسلها الى معاملها الخاصة لتعمل كالمواد الخام

فيرسل الحرير القديم الى كندا حيث يحول لباداً للسقوف ويستخرج القصدير من علب الصفيح القديم ويستعمل الصلب الذي يبقى لصنع علب أخرى أو لعمل عوارض من الصلب

وقد كانت المانيا اولى البلاد التي عرفت قيمة الغاية واحتفت بها فكانت قبل الحرب تستورد من الخارج ما زنته ٧٠ الف طن من علب الصفيح وتستخرج نحو الف طن لتصدير منها ولكن اميركا فاقتها الآن فانها تستخرج بهذه الطريقة من القصدير ما قيمته ٩ ملايين جنيه كل سنة

وقد عرفت الصين انها في مقدمة الامم التي تستورد الغاية من الخارج فان جزءاً كبيراً من الثياب القديمة ترسل اليها وفيها سوق للورق القديم .

العمال والاجور في أميركا

اشتهر عن اميركا أن أجور العمال فيها تزيد عما هي في سائر بلدان العالم ولكن قوة النقود الشرائية فيها صحت كثيراً في السنوات الثلاث الماضية وهذا يقلل الفرق بين قيمة النقود الاميركية والنقود في خارج اميركا ويقلل بالتالي الفرق بين حالة العمال فيها وحالتهم في خارجها . اذ ليست العبرة كلها بمقدار أجرة العامل بل بما يستطيع أن يشتري بها . والمشهور عن اميركا أن النقود رخيصة فيها والعروض غالية بالنسبة الى انجلترا مثلاً فاذا كانت أجرة العامل فيها ثلاثة دولارات في اليوم أو ١٢ شلناً وكانت أجرة العامل في انجلترا ٩ شلنات فان اجرتهما تكاد تكون متساوية

في عالم الأدب

طبعة جديدة للمصحف الشريف

بمطبعة بولاق الاميرية

كانت الحكومة المصرية تستورد لتلاميذ مدارسها المختلفة نسخاً عديدة من المصحف الشريف من طبعات يقدمها الموردون مما هو مطبوع في الخارج وكان معظم ما يطبع منه لا يخلو من أخطاء جوهرية حتى اضطرت الحكومة غير مرة لاعلان السبع التي ظهر فيه الخطأ . وأخيراً صممت على ضرورة طبع مصحف شريف صحيح وشرعت في ذلك والفرض سنة ١٩٠٧ وأوكلت لمطبعة الاميرية العمل فراجعت المصاحف جميعها من مصححين العلماء بالاصول الفنية وبولاق مشهد الازهر المراجعة الدقيقة . وكلفت الحكومة مصلحة المساحة عمية الطبع على طريقتها المعروفة حتى ظهرت الطبعة الاولى . ثم أردفتها بطبعة أخرى رجيعة حتى يتسنى لكل مسلم عياً كان أو قديراً أن يقتني نسخة من هذا المصحف الصحيح

وها هي الآن تصدر للمرة الثالثة مصحفاً شريفاً مستوفياً كل ما يلزم لصورة طبق الاصل للرسم العثماني مع طبع اكبر عدد ممكن منه لتقوم بشئون العالم الاسلامي على قدر الامكان بلغ عدد النسخ التي طبعت خمسين ألفاً وحمل النسخة عشرة قروش وهي قيمة تكاليف الطبع والتجليد فقط . وأودعت النسخ لدى مطبوعات الحكومة وتباع بالمخلة والقسم في صالة البيع بعمارة وزارة المالية في شارع الدواوين

مقدمة علم القضاء والقدر

أو سر تأخر الامم الاسلامية

لمؤلفها الفاضل حضرة بدوي القاش يوزباشي بالجيش المصري في سكك حديد السودان سابقاً أهدى لنا مع رسالة يقول فيها : علة الشرق الجهل الجمود وعدم الاهتمام الجدي كما يقول العلماء الغرب وعندي أن ذلك يرجع في الغالب الى عقيدة القدر التي قال عنها المرحوم الشيخ محمد عبده « هي عقدة لا تحل وانها فوق العقول » . وبعد اطلاعكم على هذه المقدمة تروني ان القرآن الكريم يحل العقدة نهائياً . وارجو أن تمكنني الظروف من أن ارسل لكم الجزء الاول والثاني من علم القضاء والقدر . وخلاصة الرسالة وجوب نهوض الشرق والمسلمين خوصاً ، والعمل مستقلين بانفسهم في كل علم وفن والسير الى الامام

وقد ذكر تلك المذاهب الكبرى الثلاثة التي انقسم اليها قادة الافكار الاسلامية وهي الجبرية والمعتزلة والاشعرية ثم قال : وانني أقول صراحة انها كلها باطلة لان نظام الله تعالى في القرآن الحكيم

يختص بالكتساب الانسان وعلاقته بالله تعالى فيما فوق كل ذلك

« أما عدم ملاءمة هذه المذاهب الثلاثة للحقيقة والقرآن والعقل فواضح بديهي « فالجبر » من الله تعالى على الانسان في كل ما يصدر لا وجود له مطلقاً بالبداهة العقلية وحرية الانسان الواضحة في الاكتساب وكل الآيات القرآنية تؤيد ذلك مما يجعل الانفراد بهذا الاعتقاد محال . . . وكذا فرض « المنزلة » هو محال أيضاً لان الله تعالى منح للانسان الطريقين في وقت واحد « وهديناه النجدين » وان من أراد الكفر بحريته محال أن يريده الله تعالى الى الايمان الا اذا رجع اليه بحريته كما أنه تعالى يجازي بالخير وقدره لمن يختار الكفر بحريته بالمذكورة « وهل نجازي الا الكفور » أو يعمل عملا ما يستحق جزاءه « وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله » وكل ذلك ينفي فرض المنزلة نفياً قاطعاً أيضاً . . وأما مذهب « الاشعرية » الذين يريدون جمع هذين الطريقين المتضادين فهو أكفر « واستحالة » منهما . لان من البديهيات العقلية الثابتة أن الجمع بين الضدين في محل واحد . . في واحدة محال . . فمع فرضهما الغير المعقول ظنية وعقلا من أول وهلة فهو باطل أيضاً لانه يرجع بطبيعة العقل والحقيقة الى مذهب « الجبرية » وان كان فيه « فرضا » نوع اكتساب لسبي أو تقديري للانسان »

قال الفيلسوف « ابن رشد » عن مذهب « الاشعرية » وعدم انطباقه على الحقيقة ما يأتي :

« وأما التوسط الذي تروم الاشعرية ان تكون هي صاحبته الحق بوجوده فليس له وجود أصلا اذ لا يجعلون للانسان من اسم الاكتساب الا الفرق الذي يدرك الانسان من حركة يده عند الرعشة وتحريك يده باختياره فانه لا معنى لاعتقادهم بهذا الفرق اذ قالوا ان الحركتين ليستا من قبلنا . لانه اذا لم تكن من قبلنا فليس لنا قدرة على الامتناع منها فنحن مضطرون »

الكواكب الدرية

في تاريخ ظهور البابية والبهائية

هو الجزء الاول في هذا الموضوع لمؤلفه العلامة ميرزا عبد الحسين آوراه الفارسي ترجمه عن الفارسية حضرة احمد فائق رشد ونشره الفاضل عمر افندي العطار حفيد العلامة المرحوم الشيخ سليم العطار الدمشقي . ومن مباحثه نشوء الباب وسيرته وظهوره واعماله وأواخر ايامه وقتله

كتاب الاعراب

المدارس الثانوية ودار المعلمين في بغداد عنيت بنشره مكتبة الطلبة لصاحبها يوسف سعيد افندي وهو ملخص من شواهد علم النحو

الشعر النسائي المصري

وهو يتضمن بعض ما نظمته الشاعرات المصريات ورتبه سيدتي وعائشة تيمور وأمينة حسن وهو كتاب حسن المباحث . أصدرته مكتبة الوحدة بباب الخلق وثمنه ٣٠ مليماً

اصول علم النفس

واسرار العقل الباطن

يحتوي على أحدث ما كتب في هذا العلم باسهل اسالب الكتابة وفيه فصول بحثة عن العلامة فرويد واميل كوي وستر ورجر وغيرهم عن الغريزة والنوم والتعب والاحلام والعادة وتأثير كل من العقل والجسم في الآخر وشكة الاعصاب والتنفيذ وايحاء وتغيراته الكيمياوية ونوم اليقظة والارادة واستخدامها في تحقيق الحرائم الى غير ذلك . وقد ترجمه الى العربية حضرة الاديب يوسف أفندي اسكندر جريس

معرب اصول المنطق والعدالة وتاج العذراء ونحمه

١٥ قرشاً قال في دياجته :

«أحسن ما تلقاني على اخراج هذا الكتاب أن ما ظهر في علم النفس باللغة العربية للآن كتابان أو ثلاثة — ولم يكن غرضي أن أخرج كتاباً راقياً أو ضليعاً في هذا العلم الذي اعتبره بحق زينة العلوم — بل كان أمامي غرضان آخران أرجو أن أكون وفقت اليهما وهما : —

(١) أن يكون كتابي جامعاً لاهمات الابحاث بطريقة منظمة وهو نتيجة دراسة طويلة لاهمات المراجع . وقد عنيت عناية خاصة لاول مرة في اللغة العربية بدراسة تلك الغريزة التي يعتبرها العلامة سيجموند فرويد أساساً للابحاث النفسية ألا وهي الغريزة الجنسية والغرائز الاخرى المتفرعة منها كغريزة حب السيادة في الذكر وغريزة حب الاقتناء في الانثى وغريزة الاياب النفسي وحب الاستطلاع كما عنيت بدرس نظرية إميل كوي في الايحاء النفسي ونظرية فرويد في التحليل النفسي بطريقة واضحة بالامثلة »

فوزي الغزالي

نبذة من تاريخ حياة فقيد سوريا المرحوم فوزي الغزي أستاذ الحقوق الدولية العامة في المعهد الحقوقي ونائب دمشق والرئيس الثاني للمجلس السوري من قلم نسيبه الاديب لطفي اليافي

مقام الصحابي الجليل

سيدنا عكاشة

أهدى الينا كراس بهذه العنوان يتضمن وصف اعتداء اليهود في فلسطين على مقام سيدنا عكاشة وصور تبين هذا الاعتداء . والوصف مكتوب باللغتين العربية والانجليزية

الاجتماعيات

مجموعة مقالات وابحاث وحكم قلم الاديب كامل صموئيل مسيحة للدرس بمدرسة السلط الثانوية في شرق الاردن وقد أهداها الى سمو الامير عبد الله أمير شرق الأردن

حزب الفلاح المصري

وضع حضرة الكاتب الاديب اسماعيل مظهر أفندي صاحب مجلة « العصور » ومحررها مشروعاً لتأسيس حزب الفلاح المصري بينه في رسالة صغيرة قدمها الى صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصري واقترح فيها انشاء هذا الحزب ثم رغبته ثم أتى بمذكرة تمهيدية لبيان المبررات الاجتماعية والاقتصادية التي تدعوا الى الاسراع في تأسيس هذا الحزب قال فيها :

«لاحظ أن اعتقاد المصريين بحقهم في الحياة أخذ يزداد ، وكذلك حسهم بالاستقلال في الرأي واحترام ما ، وأن لهم في الحياة ما يشبه النفس . اذا ثبت هذا الاعتقاد . وهو لاشك من أمجد ما يجب أن نسعى لترسيخه في نفوس المصريين ، ثم استشهد لحالي على ما نرى من تحكم الطبقات وعدم الاعتراف بحق الفلاح في الحياة على نسبة أدنى وأوسع بحيث ترضى هذه النسبة مشاعره ومعتقداته ، تكون بجانب هذه المشاعر والمعتقدات اعمال يرداد أثره ، وهما على وهن وحالاً بعد حال ، حتى اذا بلغ أشده كان الاعتبار وكانت الثورات الفعالية ، ولا تسائل العقل بعد هذا في شيء ، بل سائل المشاعر الهوجاء وسائل الرغبات الثورية ، وسائل الثورات الشبوبية ، اذ كنت تحفل بجواب »

مذكرات لورد غراي

مذكرات لورد غراي وتبعة الحرب العالمية الكبرى قلم وزير لورد غراي الذي تولى وزارة

الخارجية من سنة ١٨٩٢ الى ١٩١٦ السنة الثانية من سني الحرب العظمى . وقد عربها حضرة الفاضل علي احمد شكري المحرر في البلاغ ولا ريب ان عظم اطلاع الاستاذ على دقائق اللغتين معاً مما يكفل لنا معاني صحيحة في الفاظ صحيحة سهلة محكمة

وقد أكثر من الصور فيه وصدره بمقدمة صافية تدل على دقة تتبعه للسياسة الخارجية وهي تشغل ١٧٦ صفحة من صفحات الكتاب بالقطع الكبير وتزيد على مذكرات اللورد حراي . ومن موضوعاتها الطرفة فصول في أهمية مصر في نظر السياسة البريطانية وبريطانيا والرجل المريض وتركيا والسياسة الاعتبارية وسياسة تمزيق السلطنة العثمانية و تعاقد سنة ١٩٠٤

وذكر قبل المقدمة بعض المراجع الانجليزية التي اعتمد عليها فيها وما ذكره منها يبلغ نحو الاربعين وكلها لاكابر الساسة والكتاب من اللورد هلدين والبكونن ر مكدونل و دوك فرنش والسر فايف الصحفي الشهير والسر اسكويث (اللورد اكسفورد فيما بعد) ونرسس هندبرج والاميرال تربتز وغيرهم

وفي الحق انه الكتاب العربي الوحيد الذي صدر عندنا وفيه بيان وافٍ عن أسباب الحرب العظمى . فعسى ان يجد من اقبال القراء ما يستحق الجهد والتنقيب والسهر التي بذلها عليه قبل اخراجه

همس الشاعر

ديوان شعر من نظم الدكتور جورج صوايا في بوانس ايرس (الارجنتين) وهو من الشعر العلمي الراقي الذي يشعر من يتلوه بأن مصدره القلب لا الرأس فهو لذلك شعر لا نظم . وفيه قصائد معظمها قصير كالقطعات في مقاصد شتى مثل : همس الشاعر . الفتاة المحتضرة . نجوى الشباب . نشيد وطني . يا طفل . أم الامهات . الحب والحرية الخ

أحاديث المجد والوجد

من مؤلفات ابي الفضل الوليد وهو اسم مستعار لكاتب لم يشكرم بشيء عن هويته ولو تلميحاً ولا عن مكانه ورمانه ، وقد يكون ذلك مستحسناً في المقالات أي أن ينشرها صاحبها عملاً من الأعمال وأما في كتاب مثل هذا فلا نستحسنه وهو كله من النثر الفني سموه الشعر المنثور او شعر في نثر . وفيه المعاني الرائعة المفرغة في ألفاظ منسجمة

يوبيل لسان الحال الذهبي

لسان الحال إقدم جريدة عربية في سوريا ظهرت سنة ١٨٧٧ واحتفل بمرور ٥٠ سنة على انشائها سنة ١٩٢٧ وقد ذكر في مقدمة الكلام عنها انها « أول جريدة في لغة العرب » وبعد ذلك بسطرين « عمر الجرائد العربية في العالم ١٣٠ عاماً » اولها الحوادث اليومية انشأها نابليون في مصر وتلتها الوقائع المصرية أصدرها محمد علي بلشا سنة ١٨٢٨ ولا تزال حية » وذكر جرائد غيرها اقدم من لسان الحال صدرت في الجزائر والاستانة وسوريا نفسها منها « حديقة الاخبار ظهرت سنة ١٨٥٨ وغير سوريا ١٨٦٠ والفتوة ١٨٦٦ والنشير ١٨٧٧

والكتاب يشتمل على وقائع اليوبيل مفصلة والحوادث التي مرت بين انشاء الجريدة وعام اليوبيل وما قيل في ذلك من نثر وشعر

بين الهلال وقرائه

سؤال في علم الطبيعة

﴿ العراق . ناصرية المنتفك ﴾ ابرهيم الشيخ أحمد

الارض كروية لا ريب في ذلك فلو ثقبناها من جهة حتى انتهينا الى الجهة المقابلة وألقينا في الثقب صخراً فهل يسقط من الجهة الاخرى ؟

﴿ الهلال ﴾ كلا بل يحكون بين عاملين عامل جذب الارض له وعامل يدفع قوة الاستمرار المعروفة في الانجليزية باسم Inertia فاذا بلغ مركز الارض عاد جذب الى ساقطاً تحاً هذه القوة وقوة تلك Momentum حتى تضعف هذه القوة وتغلب عليها قوة الجذب الى المركز فيعود ويندفع الى الجهة الاخرى وهكذا يظل كرقاص الساعة في خطران الى آخر الدوران

مجتهدو كربلاء

﴿ فلسطين . طولكرم ﴾ ي . ح

من هم مجتهدو كربلاء وما هو مذهبهم وهل تعكس مقارنتهم من رجال الاصلاح في أوربا في العصور الوسطى ؟

﴿ الهلال ﴾ هم من الشيعة كما لا يخفى لان كربلاء معقل الشيعة هي والنجف الاشرف وهناك قتل الحسين ودفن في كربلاء على ما يقال . وربما عقدت مقارنتهم بجماعة البيوريتان من الانجليين في القرون الوسطى وبالوهابيين من أهل السنة في هذا العصر

حديث خرافة

﴿ فلسطين . جنين ﴾ صديق مشترك

قال أحدهم انه رأى بعيني رأسه طائراً خرج من داخل صخرة حياً بعد كسرها بالمفرقعات . وبعد ان طار مسافة قصيرة سقط ميتاً مع العلم بان الصخرة هذه كانت قبل الكسر صحيحة ملساء ليس فيها أثر شق أو خرق وان مركز الصخرة وحدها هو الذي تضم الطائر . وان كان هذا خرافاً وليس بمعقول واراوي يؤيد قوله ويدعمه بشهود عدد أرجو بيان رأيكم في الموضوع ؟

﴿ الهلال ﴾ نشكركم على هذه التفاصيل التي لا تترك مجالاً للشك في ان هذه الرواية ينطبق عليها قول أبي تمام :

تخرص وأحاديث ملفقة
ليست بنبع اذا عدت ولا غرب

ولا بأس — ما دام الراوي والشهود مجهولين عندنا وعند القراء — بتجيء من المدامعة البرئة

نسخة من القرآن بالانجليزية

﴿ مصر ﴾ زكي حلمي طالب بكلية الحقوق

يريد الحصول على نسخة من القرآن الكريم بالانجليزية وقد بحثت عنها في المكاتب فلم أجدها .

فهل ذلك لان الكتاب غير مطلوب أو غير مصرح ببيعه ؟

﴿الهلال﴾ العلة ان أصحاب المكاتب عندنا لا يحضرون نسخاً كثيرة منه لقلته ولكونه غير مطلوب لا لانه غير مصرح ببيعه واذا لم تجدوه هنا فيمكنكم طلبه من انجلترا

طول أعمار القدماء

﴿ . . . . ﴾ ط . د

هل لكم ان تطلعونا أمراً حيّر عقلنا وهو اذا كان القدماء يعيشون مئات السنين في حين ان الانسان في هذا الزمان لا يعيش أكثر من ٨٠ سنة الا في النادر ؟

﴿الهلال﴾ جاء في التوراة ان متوشلح عاش ٩٦٩ سنة ونوحاً ٩٥٠ وغيرهما مثل ذلك أو أقل قليلاً . وعلماء تفسير التوراة يقولون انه لا يراد بالسنة ٣٦٥ يوماً بل يجب ان يراد بها الشهر وعلى ذلك يكون متوشلح قد عاش ٨٠ سنة أو نحو ذلك . وقد كان في العرب من يعيش أكثر من مائة سنة قبل ١٢٠ أو ١٥٠ في مصر وسائر بلاد العرب وهكذا كان الحال قديماً ولكن هؤلاء نادرون لا يبنى عليهم حكم وهذه مراعير داود مزمور لموسى كليم الله يقول فيه ان عمر الانسان سبعون سنة وقد يطول الى الثمانين وهذا يطابق حساب علماء التفسير عن عمر متوشلح

ويقال اجمالاً ان متوسط العمر في زماننا أطول منه كثيراً في الزمن القديم وهذا طبيعي بسبب تقدم علم الطب والجراحة والمكروبات وقلة وفيات الاطفال في بلدان الحضارة . يكفي ان تقابل بين وفيات الاوبئة قديماً وبينها في العصر لتعلم الفرق بين العصرين من هذه الجهة

الجن وأحلامهم

﴿مصر﴾ علي أمين الفولي

تتبع العامة ان سيدي عبد الله الشاوري استخدم الجن في فتح الكهف المدعون به الآن فكيف تعللون ذلك ؟

﴿الهلال﴾ كنا نحب أن نكتفي في الجواب عن هذا السؤال بقولنا كعدد العامة فيما يشيعون ولكن نرى ان نضيف الى ذلك ما يأتي :

ورد ذكر ظهور الجن والشياطين على الارض في الزمن القديم . في التوراة قيل عن شاول (طالوت) اول ملوك بني اسرائيل أنه طلب من عرافة ان تبين له النبي صموئيل ليسأله اذا تخلى الله عنه فعلت . وورد في الاناجيل ان المسيح كان يخرج الشياطين من الذين دخلتهم الشياطين وعند المسيحيين ان الله سبحانه وتعالى سمح بظهور الشياطين في ذلك الزمان ليبين للناس مقدرة المسيح على طردها وبالتالي صحة رسالته وقد يمكن تعليل تسلط ابليس حربه ضده عليه السلام وتحريره عملاءه ومن الصعب جداً ان يطلق الشياطين في زمان السيد المسيح بأنه لا يراد بهم الخرافة وانما المراد بهم الافكار الشريرة التي تسيطر على قلب الانسان . ذلك لان دقة التفاصيل عنهم وعن ظهورهم واختفائهم وحديثهم تمنع ذلك التعليل

وقد كان سليمان يسخر الجن كما جاء في الكتابات الاسلامية . وقال شاعر قديم :

الا سليمان اذ قال الاله له
قم في البريه فاحدوها عن الفند
وجيش الجن اني قد ابدت لهم
يسيرون تدمر بالصفاح والعمد

وأيضاً دهشت في بلاد الحضارة تسمع العامة يحدثونك عن البيوت المسكونة وهرب المستأجرين

منها بسبب أعمال التخريب التي يأتيها الجن فيها . وعندك رجال يخاطرون من شاء بأنهم يقيمون في منازل مثل هذه ما شاء من غير أن يحاولوا أو يضايقهم بسوء على أن يدفع قيمة الرهان ولم نسمع أن أحداً قبل ذلك . وفي بعض الحوادث التي حققت وتمت الى الآخر ظهر أن الجن بريئة من حوادث التخريب هذه براءة الذئب من دم ابن يعقوب وانها حدثت بعمل فاعل من الانس وأن من الانس من هو أشد مكراً وحيلاً من الجن

وبعد هذا البيان الصافي يقول لك العلم أن الجن والعفاريت والشياطين وأن أوصاف هؤلاء تنطبق على الانسان فالتمس لنفسك ما يعلو

أنواع الحب

﴿ ... ﴾ فوكيه حنا

ما هي أنواع الحب ومنشؤها وتأثير كل منها في الاخلاق

﴿ الهلال ﴾ لا نعرف عن أنواع الحب أكثر مما عرف المتنبي القائل في مطلع إحدى قصائده .

ضروب الناس عشاق ضروبا

فعذرتم أشقهم حبيبا

أي ان كل ضرب أو صنف من المحبين يحب ضرباً أو صنفاً من المحبوبين وكل فصل هذا الحبيب غيره كان محبوبه معذوراً في حبه . ولكن هَوَل السائل بالاختصار بين الحب وعان تشملان الاول الحب السامي والثاني الحب الدنيء والاول مرق للاخلاق والثاني مسفل لها . ومنشؤها كلها الغريزة الحيوانية التي غايتها حفظ النسل فالحب عمل العاية وان يكن دوائي السير وأقرب في هذا الخيال منه الى الحقيقة الملموسة . وهذا الموضوع لا تكفيه مقالة بل قد لا تسعه بطون مجلدات ضخمة وربما كان أكثر الموضوعات احتمالا للهو والحشو ولكن رسالته لا تزيد على ما قدمنا

التشنج العصبي

﴿ ... ﴾ ومنه

ما هو أحسن دواء للتشنج العصبي ؟

﴿ الهلال ﴾ التشنج العصبي على أنواع تعالج كلها بالراحة وتسكين الاعصاب ويستشار في ذلك الاطباء الاخصائيون . وأما ما كان منه من تأثير السحارت فالعامة عندنا يعالجونه بالزار كما تعلم

الحياة وماهيتها

﴿ مصر ﴾ سيد عبد المجيد الزهيري

ما هي الحياة ولم خلق ابن آدم — أليشقى أم ليعلم ويجتهد ؟

﴿ الهلال ﴾ لم يعرف أحد طبيعة الحياة حتى الآن ولم يتفق العلماء على تعريفها فالبعض يقولون اليوم إنها تفاعل كيميائي وآخذ ورد كهربائي بين الحي والمحيط الذي يعيش فيه . فالمحيط يوصل تأثيره اليه وهو يتأثر وينفعل به . ويكادون يقولون بكلمة أو كلتين إن الحياة ظاهرة كهربائية لا غير

أما كون الانسان يخلق للشقاء أو للنعيم فمن الموضوعات التي يفيء الناس فيها ويهيم في كل بيداء ولكن المشاهد أن في الناس الشقي وفيهم السعيد وهذا نتيجة السعي من جهة ونتيجة الحظ من الجهة الاخرى

من هنا وهناك

الجنرال لودندروف حي

الجنرال لودندروف هو رئيس أركان حرب الجيوش الالمانية في الحرب العامية وقد بلغ الآن الرابعة والستين من سنه وأصدر مجلة أسبوعية جديدة في مونخ عاصمة بافاريا وقال ان خطتها ضد اليهود وضد الماسون وضد أشياء أخر لم تذكر ! !

الطيران في أوربا وأميركا

تفوق أوربا أميركا في مطارات ركاب وتفوق أميركا أوربا في طيارات البريد

الرئيس الاميركي جاراً حراثي

حاد المستر وورتفن السائح الاميركي من رحلة في قلب آسيا فروى ان بعض الفول يقولون عن المستر هوفر الرئيس الاميركي انه « جار حراثي يعلم جميع الناس » ! وقال انه أرى بعض الفول صور رجال من هنود أميركا فقالوا انهم من أقاربهم وقد فقدوا منذ زمن بعيد

الورد بالفور

أقام الورد بالفور الشهور بوعده ستين سنة في ميزله بلندن وقد عرضه الآن للبيع بعد ترك الاشتغال بالسياسة على أثر وباء أصاب حضرته وعمره الآن ٨٩ سنة

المخدرات في مصر

نقلت احدى صحف أميركا هذا الخبر عن المخدرات في مصر قالت : باتت تجارة المخدرات وباء على مصر . وقد قدر « الكولونل رسل رئيس مكتب مقاومة المخدرات في مصر » ان نصف مليون مصري من ١٥ مليوناً يستعملون المخدرات بأشكال من الاشكال وينفقون على ذلك ٢٥ مليون دولار في السنة »

أرباح معامل السيارات

يزيد عن مراجعه حسابات ستة مصانع كبيرة من مصانع السيارات الاميركية سنة ١٩٢٨ أن أرباحها قد زادت ١٩ في المائة على أرباحها سنة ١٩٢٧ . وهي تخرج ٤٥ في المائة من مجموع السيارات التي تصنع في أميركا

قلة جرائم القتل في انجلترا

جاء في تقرير انجليزي رسمي ان جرائم القتل في انجلترا قلت ستة فستة ويعزو التقرير ذلك الى سهولة الاهتداء الى القتلة وانزال العقاب بهم

نيويورك ومساحة جوها

قدر الاحصائيون ان في جو نيويورك الكبرى أي المدينة وضواحيها ثلاثة آلاف مليون

قدم مكعبة من الهواء وان في هذا الهواء ٢١٠٠ على من الغبار والرماد في أيام الهدوء والصفاء

مهاجرة اليهود من أوربا

هاجر في السنة الماضية ١١٩٥٩٨ يهودياً من بلدان أوربا المختلفة الى الولايات المتحدة الاميركية و٢٠ ألفاً الى الارجنتين والبرازيل وغيرهما من بلدان أميركا الجنوبية

تغير شكل البلاد

لاحظ الآباء اليسوعيون منذ ٢٣٠ سنة أن شبه جزيرة كليفورنيا ينشق من رأسه وعليه يقدرون انه سيلتئم بعد عدة قرون بالحرر الصغيرة التي حوله

أبدع طيارة في العالم

أوصى رجل أميركي من مدينة وروتس جميع طيارة بديعة صنعوها ، فدفع عنها مائة ألف دولار . وهي أجمل طيارات العالم وأسرعها وتسير بثلاثة موطرات قوة كل منها ٤٠٠ حصان وسرعتها العادية نحو ٢٢٠ ميلا ويمكن ان تزاد الى ١٥٠ ميلا

ديون انجلترا

تنفق انجلترا كل سنة على ديون الحرب ومعاشات الحرب ٤٢٦ مليون جنيه . وعلى معداتها البحرية والحربية الحاضرة ١١٤ مليوناً أي ٥٤٠ مليوناً وعلى كل شيء آخر ٢٠٠ مليون ولولا الحرب الماضية والخوف من الحروب المستقبلة لأمكن تخفيض الضرائب في انجلترا الى ربع ما هي الآن

العمران في اميركا وغيرها

كانت مدينة نيويورك وحدها في الأشهر الأربعة من السنة الجارية ١٢٣ مليون جنيه على الأبنية الجديدة . ويقدرون ان قيمة الأبنية الجديدة التي بنيت في انجلترا كلها لم ترد على ١٧٥ مليوناً في السنة الماضية

سباق بين التلغراف وحمام الزاجل

أرسلوا بالأمس من مكان في أميركا الى آخر رسالتين بمعنى واحد في وقت واحد احداهما بالتلغراف والأخرى مع حمامة من حمام الزاجل فسبقت الحمامة التلغراف وعملها وسعاته بعشر دقائق

سنة أميال في الدقيقة

لما كتبت سنة ١٩١٣ جائزة كاس شليخر في أول سباق للطيران أقيم لها بلغت سرعة السابق يومئذ ٤٥ ميلا في الساعة . ولم يخطر لأحد ان هذه السرعة لا تمضي ١٦ سنة حتى تزيد هذه السرعة على سبعة أضعاف . فقد أقيم هذا السباق الأمس في أحد أفرع الطيران واجتازت الجائزة الاطلانطية بسرعة ٣٢٨ ميلا ونصف ميل في الساعة وقد كانت هذه السرعة المتوسط في مسافة مائتي ميل مرت الطيارة البحرية فيها بأربعة عشر « كوعاً » ويقال ان السرعة بلغت في حين من الأحيان ٣٥٠ ميلا . وعلى هذا القياس يقطع المسافر المسافة بين انجلترا واستراليا في أقل من يومين

وقد ذكرت هذه السرعة أمام سيدة انجليزية متقدمة في السن وقيل لها ان الانسان يمكنه أن يقطع المسافة بين لندن وادنبرا بنحو ساعة فضحكت وقالت ان أمها كانت تخاف ركوب القطار في زمانها لعظم سرعته ولم تكن تجاوز ٣٠ ميلا في الساعة

طبائع الفل

ظهر لعلماء تخصصوا في درس طبائع الفل أن الفل لا يسمع الاصوات التي تأتي بطريق الهواء ولكنه شديد السمع والشعور بالاهتزازات التي تصله بطريق الارض وهو يحس هذه الاهتزازات ولذلك فما يدخل أذنه فيها آلات صنعية تحدث اهتزازات شديدة كالطبول أو نحوها

القطن في العراق

يقدرون ان سهول العراق يمكن أن تخرج في السنة ٣٠٠ الف بالة قطن بعد اصلاح الري ووجود العمال الكافيين للعمل . ومن أعظم المشتغلين بزراعته هناك الملك فيصل فان له أربع مزارع واحدة قرب قصره ومساحتها أربعة آلاف فدان وقد زرع عشرة قطن في السنة الماضية . فأخرج الفدان أربعة قناطير من القطن الحاوج . وله مزرعة مساحتها ١٢ الف فدان زرع ٢٤٠٠ فدان منها قطناً عند السنة وقد يكد العراق يخرج قطن سنة ١٩٢١ ولكن عاد تأت سنة ١٩٢٦ حتى زاد المحصول الى ٦٠ صنفاً وعاد فهبط الى النصف سنة ١٩٢٧ ثم عاد فزاد أربعة أضعاف في السنة الماضية . والقطن الذي يخرج من الصنف الجيد

ارتقاء سرعة السيارة

أول سباق أقيم للسيارات كان سنة ١٨٩٩ فسبقت سيارة رجل اسمه كيل جنتي واسمها « لا جابيه كونتات » وكانت تحرك بالكهربائية فبلغت سرعتها ميلاً في الدقيقة وهي عادية أو دون العادية اليوم . وبقي سائق على هذا السوال تقريباً حتى سنة ١٩٢٢ حينما أقيم سباق في فلوريدا بأميركا سبق فيه السنيور هوجدال اذ بلغت سرعته ١٨٠ ميلا في الساعة

وأقيم سباق بعده كان المجلي فيه الساحور سجراف الانجليزي على سيارته المسماة « صنيم » فبلغت سرعته ٢٠٣ أميال وكسوراً في الساعة . وكان السابق كذلك في سباق آخر أقيم في فلوريدا حيث فاز السنيور هوجدال فكانت سرعة سجراف هذه المرة ٢٠٧ أميال الا عشر الميل وجرى هذا السباق في مارس سنة ١٩٢٨ وكان اسم سيارته « الطائر الازرق » وفيها هركان قوة كل منها ٥٠٠ حصان . وكان المسلك قد صنع خصيصاً ليحتمل السير مسافة ٢٠٠ ميل في الساعة مدة ثلاث دقائق ونصف . وفي مدة سيره هبت عليه عاصفة قدار كما تدور عجلة الاولاد وفي أثناء هذه العاصفة قفز وانقلب راكبه الى البحر ولكن راكبه نجا

وبعد خمار قصب السبق في سباق آخر رامي كيس على سيارة قوتها ١٥٠٠ حصان اذ قطع ٢٠٧ أميال وكسر من في الساعة . فهب سجراف لتحديه وصنع سيارة اسمها « السهم الفضي » وسيرها في سباق ينتظر ان تبلغ السرعة فيه أربعة أميال في الدقيقة

السلة المصرية في لندن

قررت بلدية لندن ان تعلق عند قاعدة المسلة المصرية او مسلة كليوباترا المصورة في مكان يشرف على نهر التايمز لوحا من البرونز لتفسير الكتابة الهيروغليفية التي عليها . ولم يخطر لتحوتميس الثالث الذي صنع هذه المسلة وغيرها علامة على عظمته — لم يخطر له ببال ان برابرة البريطانيين يرونها في مستقبل الزمان ويستولون عليها وينقلونها الى مدينة لا تعرف فرعون وذلك بعد أن نصبها في مكانها الاول بنحو ٥٣٠٠ سنة

طائفة الاعياد والافراح

شرر وحبب

للآنسة ي

عندما تبدو أفراح العيد في بهجة مخالها يحق أن تتحرك ناحية من أعوار النفس حيث رسمت ذكرى عيد قديم وأفراحه الخالدة المحمولة

* * *

الفرح شعاع الوجود ولكل علام يظهر الشعاع بعض الناس وبعض الاشياء بمظهر غير جميل ؟

* * *

لئن كانت الافراح [illegible] الناس في الحال يوفقون بين الفرح و[illegible] يفرحون في عيد « الميلاد » ؛ وفي « رأس » السنة ، وفي كل « قدوم » وفي كل « فتح » . لأن « الابتداء » مبعث الرجاء ورمز له ؟

* * *

انهم الناس على الاحتفاء أفراداً وجماعات ببعض المواسم والاعياد بصفة رسمية . فهل تشرك النفوس وأسرارها في تلك الأفراح الظاهرة الشائعة ؟

* * *

أتستطيع أن تتصور ساعة الفرح خالية من العطور ؟

* * *

لبعض الازهار لون الافراح الملتهبة الضاجّة ، كالوردة الحمراء الملتهبة ولبعضها لون الافراح الخفية المهمة ، كالوردة الزهرية البديعة ولأخرى لون الكآبة الوديعة والشجن كزهرة البنفسج . ولغيرها لون الغيرة والأثرة والدعوى ، كزهرة الاقحوان الصفراء . ولبعضها لون الحالة النفسية التي تخلق الفرح ولا تدري ماذا هو مقبل ، كجميع الازهار البيضاء .

* * *

الاعياد والمواسم تضخم صور الحزن وتكثر صور الرضا والسرور

* * *

لكل عيد معنى مبهم غير معناه الحقيقي هو الذي ينبثق من وجه يسيطر عليك عن قرب أو عن بعد

* * *

للاعياد وجوه شتى ، وهي من بعض الوجوه صادرة عن وجه عيد تجمعت فيه لك معاني أعياده وتجاربه .

* * *

المواسم والاعياد ترتد في نفس الفرد وأعظم صورها عند الخاص أن تكون صاحب الوجه الموحي معنى الحب في الموسم وفي العيد

* * *

من ذا يشرح لي علام تزهد الاعياد فيما عواطف الحنان فتبدو لنا حاجتنا الى تحقيق الآمال

* * *

أعذب كلمات العيد وأشهاها كلمة لم تتحرك بها الشفتان

صبي

استفتاء الهلال

أهم حادث أثر في مجرى حياتي

لكل من هؤلاء المشاهير ذكرى خاصة ميزته عن صاحبيه ، فالدكتور منصور فهمي سيتحدث عن حادث خصص في حياته ، وخليل بك مطران شاعر سبع في نظم القريض ، ومحمد بك مسعود عالم محقق اشتهر بالمؤلفات العلمية ، ولكن الثلاثة يجتمعون في الأدب . فاذا قرأت أحاديثهم رأيت ثلاث صور مختلفة من صور الحياة التالية [الهلال]

الدكتور منصور فهمي

« أعتقد أن الحوادث الكبيرة التي تمر بالانسان قد تأثيرها العميق في أفكاره وفي عواطفه ، وفي تكييف مواقفه في الحياة الاجتماعية . . والمؤثرات تختلف باختلاف الاشخاص ، ولا ينهي أثرها الا بالموت . وقد يتعلم الانسان في الصغر الى الكبر وهو قل تعلم فقد من يتأثر . وقد يعيش الانسان على حال مدة طويلة من الزمن ، ثم تحدث في آخر أيامه حادثة تغير حياته . كما قد يكون ملحداً طول عمره ثم تحدث قبيل وفاته ظروف تدفعه الى الايمان

« وعندما أستعرض الحوادث الكبيرة التي كان لها أثر لا أكبر في حياتي أرى « شيخ المرأة » يظهر فيها بوضوح وجلاء . واذا ذكرت المرأة فاني اذكر تأثيرها في شخصيتي من الناحية الخلقية . فقد كنت تلميذاً بمدرسة المنصورة الابتدائية لا أتجاوز العام الثالث عشر ، وكنت وقتئذ أعد من المهملين في نظامهم . المتأخرين في أخلاقهم وفي دراستهم ، القذرين في ثيابهم ، الذين لم أدنى الى ألا يرجى منهم شيء . وصادف أن عرفت فتاة مسيحية اقل مني سناً ، وكانت تلميذة في مدرسة من مدارس البنات الاجنبية . فحدثني اليها نوع من العواطف الغريبة ، وعندئذ تغير اسلوبي في الحياة . فانتقلت من فصل مدرج الى فصل مرتب ، ومن طفل لمع الى صف آخذ في الشاذ ، ومن طفل شرس الى طفل وادع متلطف . إذن في تاريخ عواطفي أثر حسن « لشيخ المرأة »

« وفي مستهل دراستي الثانوية كنت في مدرسة داخلية بالقاهرة اسمها « المدرسة الفرنسية » — ومكانها الآن « دار جريدة اللواء » — وكان يعاونني ناظرها سيدة فاضلة رأيت منها عطفاً عليّ شديداً . فهذا العطف حملني أعمل لأكون موضعاً له عن استحقاق وجدارة ، وتوجهت بعدي الى المثل الأعلى في الاجتهاد والأدب والأخلاق . وتغيرت حياتي تماماً ، وأصبح أهلي ينظرون اليّ نظرتهم للأمل

تناشيء عند ان كانوا على يأس مني ـ

و يدن في حياة التعدد الناعمه «أثرت » بشيع المرأة »

« وأراد الله عند ما كنت في دور الشباب ان أرتاد مدرسه الحقوق والتحق بالبعثة الاولى التي أرسلتها الجامعه المصريه الى باريس لمراسه الفلسفه وهناك عرفت فتاة روسية من اسرة يهودية بالمال الاجتماعيه العليا ، للوعات بالمذهب الديمقراطيه ، فأثرت معرفتي بها في توجيه في دراسة المسائل الاجتماعية وتقويمه عطفي على الطبقات الضعيفه وحب الانسانيه الواسعه ـ وإدن ، في دور الشباب أثر في « شيع المرأة »

« ولما شارفت الاربعين تزوجت ، فشاهدت في حياتي الزوجيه ما قد يصادف البيت من الآلام الاليمه وما يعرض لبعض الناس في سنين ذلك من الخاطر ، وبحثت عن وظيفة الامومة أكبر درس في احترام المرأة والشفقه عليها وتقديس العرض ، وأصبحت أنظر نظر شديد الى من يستخف بحرمه الاعراض وبمسائل العفه ، التي قد تعرض الحياة للخطر ـ

« إدن في كل دور من أدوار حياتي أرى « شيع المرأة » ماثلا أمامي ـ في حيرته الطفولة ، وفي حياة الشباب ، وفي حياة الزوجة ـ ليوصل الى نفسي وحيا طبيعيا مسموعا

« وإذا انتقلت حياتي الى حيث ، بلا أمل ، أثر المرأة في حياتي ، كان من حقي أن اقول ، ان المرأة هي من أعظم المؤثرات في حوادث حياتي وقد وسعته سامحه لي أنها أحسنت تقديرها ، لاحلت نفسي عن كل حب وعطف سوي في نفسي ، وعن كل عمل من شأنه أن يصغر أثرها في نفسي ويوجب [illegible]

تفضيل لك مطرد

« مارست الصحافه اثني عشرة سنه [illegible] في الانتقاديات ، فهل تعتقد أن حادث الذي أثر في مجرى حياتي طوعها من حال الى حال ، عظيم الشأن ؟ كلا ، فانه حادث بسيط جداً ، ولكنه هو الذي غير حياتي هذا التغيير الكبير ، فصرفها عن الصحافه الى الاشتغال بمسائل الاقتصادية

« ذلك أني اشتغلت بالتحرير في جريدتي الاهرام ، والمؤيد وغيرهما في سنوات ، ثم عن لي ان اشتغل بحساب بعض ، فاشتريت « لحلة مصرية » بعض شهرية ، وعلى أثرها اصدرت « الجوائب المصرية » فوجدت من الناس اقبالا ومؤازره عظيمه ، ولكن نوع المؤازره الذي كان في هذا الوقت لا يلائم طبعي ، لان رواج الصحف لم يكن وقتئذ بالاعلان او بواسطه المتعهدين كما هو اليوم ، بل كان بالاشتراك وكثرة عدد الاصدقاء والمحبين

« ومما يمض النفس ان دافع الاشتراك في ذلك الحين كان عدة صاحب فضل في حياة محرره وفي كل ما يلمه صاحبها من عز او مال وكرامة . وكنا نسمع من هذا القبيل مدّ ملاحد في تعلق بالجرائد المعروفة في ذلك الوقت . وأنا لخلق جور من سماع امتنان على هذه الصورة خصوصاً وأنا كنت على علم تام بما يعانيه صاحب الجريدة وحرره من مشقة وإعنات

« وقد كنت أمتعض وأحس أن بي ميلا الى العمل لورقي في غير الصحافة حينما يعود « الخالي » الي فيشير أن فلانا المشترك قال كذا ، وفلانا قال كذا من الاقوال التي وان امتزج المدح بها عاطفة تسيء الى النفس لانها تأتي أشبه بذكرى الخيل او الذكير به

« وذات مساء رجع الي « الخالي » من جولته ، وأطلعني ان صديقاً لي ممن كنت أعاشرهم معاشرة متصلة استمهله في اداء ما عليه ، ولم يكن ذلك للمرة الاولى ، ويظهر ان « الخالي » ألح عليه باعتبار ما جرى من الصلة الحميمة بيننا ، فالتفت الي هذا الصديق وحاجه بقوله . « هو عن عيش » فلما سمعت هذه العبارة ، خيل الي أن كل من أرسل اليه جريدتي ، وإن تلطف في الظاهر ، يحسبني متطفلاً عليه وبها انقاصه منه ، ولا يقدر لقاء ذلك ما يبذل من جهد في التحرير ومن نفقات في الطبع والبريد وما الى ذلك من اعمال تستنفد مجهوداً ووقتاً ومالاً

« وكان أن صممت على اعتزال الصحافة ، وصرت أرمض للفرصة الاولى حتى تسنح فأخرج من الميدان موفور العرض ، سليم الشرف والكرامة ، فوهبت جريدتي ، ومحت مطبعتي ، وصرفت الى عمارة الاعمال الاقتصادية ، وما زلت عليها الى الآن »

محمد بك مسعود

« ثم حادث اثر في مجرى حياتي وحملني على الصحافة والى ما يرجع الى ما بين العاشرة والثالثة عشرة من عمري . فقد كنت في هذه السن ولا أزيد وحلي ، ورئيسة رأس التين امعي ايام الجمع منها غنماً وبقراً في باحة حوشه مكشه والذي من مخرجات للمجلات والصحف التي كانت تظهر لوقته وكان من كتابها وقتئذ من سبق ذكرهم في هذه الصفحات ، وهم سليم سركيس المصري ، وسليم النقاش وعلة الحمص ، ومحمد بك المويلحي الذي كنت أقف على عتبة بابه وهو خارج من مرحضها حتى استقت موضوعاتها في داكرين ، وهو يتحدث الى مكرم عبيد وحمود سامي البارودي واعدادها . ونشأ عن ولوعي بها ان أحببت الصحافة وتمنيت لو أكون في مستوى صحفها وعكفت على التفكير في ذلك كل وقتي حتى تحسست هذه الامنية في خيالي ولم يبارحني شبحها عندما انتقلت من المدارس الاميرية الى مدرسة الفنون بالاسكندرية (مدرسة سانت كاترين) وكنت تلميذاً داخليا فيها وكانت لا تأخذني سنة من النوم قبل أن ينتصف الليل واضع ساعة المنبه عند ارتفاع الساعة واضعها وأنا لا هم لي الا التفكير في شيء من صحف واصنف من مؤلفات في كل بحث ومطلب

« وشاء ربك ان تحقق لي بعض أمنيتي اذ وقعت يدي يوما على ورد الي من الصحف على العدد الاول من مجلة « الآداب » لصاحبها المرحومين الشيخ علي يوسف والشيخ احمد حسن الزيات فاعجبت نفسي على مواقاتها بمثال في بحث عني موقع اختياري على المنطقة (الدونات) وسر اختراعها فكتبته وارسلته اليهما مصدراً بالبيتين الآتيين من نظمي :

وكأنما البالون حين صعوده في الجو بين مشرق ومغرب
نسر يخل عظيمه قربية والناس زرقه عرعر تحت

« وكنت لما استقر في حلقي من عظمة الجرائد والمجلات ورفعة شأنها اقرب الي الاعتقاد بان مقالي سيلقى حتفه في سلة المهملات مرشوقة بسطرات التهكم والاستهزاء

« ولذا لبثت أرتقب ورود العدد التالي وأنا على أحر من جمر الغضا فلما ورد ورأيت اضطراب بديع لمقال تالي من الطرب والسرور ما حرأني على مواصلة الكتابة في تلك المجلة . ولقد حرصت بعد بالمرحوم (الشيخ علي يوسف) بالاسكندرية فرودني من نصائحه وارشاداته بما جعلني أعتزم المضي حتى النهاية في خطتي

« وصدر المؤيد بعد ذلك عام أو أكثر وعينت محررا بمدرسة رأس التين التي نشأت فيها نشأتي الأولى فواتيته بفصول متتابعة في الرد على الكردينال لافيجري ، الذي كان قد شرع حملة على الاسلام بشدة الريبق ، حتى رحمه الله أنهى حياته رضاء للمغفور له رياض باشا ، وذلك يوم حضر الى الاسكندرية ليقنع والدي بأن أترك العمل بمدرسته لأنضم اليه وهو يوافق والدي . فعدت في وطيفتي أواصل تزويد مكاتبي ، حتى اذا لبى نداء ربه هجرتها الى المؤيد الذي مدته بجهودي ١٤ عاما ، مما تحاميه أسوام كاملة مع صديقي حافظ بك عوض صاحب كوكب الشرق

« وحدث في أوائل عملي بالمؤيد أن تنازل الي المرحوم صاحبها عن مجلة الآداب التي في ساحبها الرحبة خطوت خطواتي الصحفية الأولى بالتردد فأصدرتها عامين وأصدرت معها صحيفة سياسية باللغتين العربية والعربية باسم (مصباح) ذهب ضحاياها في الأرجاء صوت لهجتها المتطرفة التي هدوء من أجلها مرارا بالنفي ، وعرضت حرية الصحافة لكسدي وحرب القسم الحلي من جريدة السفور احتياجا وأصدرت جمعة بعربي لمكتب جمعية بالاشتراك مع جمعة صاحب العزة كامل بك ابراهيم وكيل محكمة استئناف مصر والمرحومين علي بك أبي الفتوح وكل وزارة المعارف وصالح بك نور الذي من موظفي نظارة المعارف في جملة مرحومين بك الاقصر ، وبني خيموس

« وأنشأت بعد تزايلها صحيفة سمو فجر سنة ١٩١٤ وتوقفت بعد صدور اثنين شهرين عقب اشتعال الحرب الوطني ، وهي التي كنت أعتزم بها خدمة وطني الصحفي فتعطلت بعد ١٦ عاما توليت ادارتها في الثلاث السنوات الأخيرة وهو عمل لا يعنيني الاضطلاع بمثل حكومي عوال هذه البلدة التي كنت به في اتصال غير منقطع بالصحافة والصحفيين وهأنذا وقد تنحيت عن هذا العمل بعد أربع سنوات مارست أمت اليه صلات عدة ، مما اعتراني اصدر مجلة علمية وصي الترخيص بها بعد ستة أشهر ، وتعيني أخيراً لمباشرة أعمال مجلة مصلحة التجارة والصناعة

« أما المصنفات والمترجمات فقد طبع المطبوع لي حتى الآن ٤٥ مجلداً منها ١٧ للتقويم . وقد كان أول كتاب أصدرته كتاب « تخطيط الاسكندرية » الذي رسمت رسومه المطبوعة على الحجر بيدي . أما ما لم يطبع فكثير ، آخره هو ما ترى بين يدي من ترجمة كتاب شارل جيد في الاقتصاد السياسي رسم وزارة المعارف العمومية ولا أنسى الرحلة للتكليف بالتوجيه البحري والتفلي في سنتي ١٩٢٠ و ١٩٢١ ورحلة قناة السويس والبحر الأحمر في سنة ١٩٢٦ وقد تم طبع هذه الرحلة في مطبعة دار الكتب المصرية

« فأنت ترى من موجز حياتي العملية أنها ترجع الى أمر واحد هو التكلف بمطالعة الصحف والمجلات في سني الطفولة وأن هذه الصنعة الصغيرة هي التي أدت الى هذه النتائج التي أرجو دوام التوفيق لاستزادتها خدمة للوطن المفدى »

ساعة مع عبد البهاء

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

كلما اشتد قلق الضمائر في بلاد الغرب وكثرت أسقامها في الدين والعقيدة توجهوا الى الشرق يبحثون في أديانه القديمة والحديثة عسى أن يجدوا فيها راحة من ذلك القلق وهداية الى وحي جديد ، لأنهم علموا ان الشرق مصدر الاديان من أقدم الازمان ، فهو عندهم كمثيل بأمر الدين كله وزعيم لهداية الحائرين الى قراره ، ولان الشرق مجهول في بلادهم فهو قريب من عالم المجهول ، وبين العالمين تناسب أو تقارب في الروح والخيال

ومن الاديان التي يتحدثون عنها ويكثرون في موضوعها كثيراً في هذه الايام دين البهائية الذي يصيف غراة الجدة عندهم الى الفراية الشرقية ، ويستقبل أحلام أفئدتهم بأمل لم يجربوه وغداة عصرية تحسب الدين يسيرون اليه ولا يسيرون هيهم في هذا العصر ، لمخترعات والعلوم

وقد اطلعت على مؤلف حديث في البهائية وقرأت بعض الصفحات التي يتنأ بها كتابهم لهذا المذهب فأحببت أن أدون لقراء « الهلال » ما كتبته بعض المفكرين من ذكريات زعيمه « عباس عبد البهاء » وبين كان في الاسكندرية من نحو عشرة أيام وكنت في بدء عهدي بدراسة الاديان والبحث في أمر المعاد . فقد شغلت يومئذ بمذهب الدهريين ومقابلات الاديان التي كنت على « صوته » كما يقولون ، فكنا لا نجتمع إلا دار في هذا الموضوع بحث ووقع فيه خلاف ، وذهبت الى الاسكندرية فلفيني صاحب مشغول بأمر الدين كان يتردد على عباس أفندي ويوده ويوشك أن يميل الى عقيدته . فرحبي في زيارته وقال لي : « انك ستري شيئاً مبحثاً جداً من هذه المباحث التي يسرك أن تطلع عليها في الكتب » ، واتفقنا على زيارته عصر يوم من أيام الاستقبال عنده في الدار التي كان يقيم فيها بصاحبة باكوس

ذهبت اليه وأنا استعيد في ذهني ما قرأته عن « باكوس » الاله الاغريقي للخمر وما أعرفه عن « عبد البهاء » الثني الفارسي الجديد ، وبين هذا وذاك دنيا واسعة من التواريخ والآراء التي كنت مشغولا بها في ذلك الحين . فلما دعينا الى مجلسه اذا شيخ وقور أشيب لوح عليه سمت الحكمة والعلم أكثر من سمت النسك والنبوءة ، واذا بحضرته كأنس قد انتحى

فكرسيه جاساً من الغرفة على مسافة خطوات يتلقى من عبدالبهاء رسالة علمنا فيما بعد انها مكتوبة الى شوكت باشا وزير الحربية التركية . فحيانا بحية خفيفة ، وأشار الينا بالجلوس فجلسنا ومضى يتم املاء الرسالة حتى فرغ منها . وجيء لنا بأقداح الشاي في هذه الأثناء بحملها رجل من أسرة الفرس تحسب ثروته بالالوف، فوقف حتى شربنا وقدم الينا الخاشع ، ثم أخذ الأقداح متراجعاً وهو يستقبل عبد البهاء بوجهه حتى خرج من الباب

وكانت السماء تمطر رذاذاً ثم يدفق المطر غزيراً نحو نصف ساعة ثم ينجلي بالاقلاع ، وكنا في غرفة - أو في شرفة - مسورة بالزجاج معلقة الواحد تلو منها على حديقة الدار وننظر الى الاشجار يتلاعب بها الهواء وبحلوها المطر مرداد رواء وخضرة . فنظر الينا عبد البهاء طويلاً ثم التفت الينا كأنه يعيي من سبات أو يوقظنا من سبات . وقال :

« سبحان الله ! لكل شيء زهرة ، فحيثما كان الشجر تزين اليه المطر »

قلت : « أو حيثما كان المطر نبت هناك الشجر »

فنظر الي متأملاً وقال : « أو هو كذلك ! »

فغلت وفي نفسي خواطر لا أدري أهي الكثرة والاقوال تتصارع في عقلي والجسد والاجتهاد :

« فأي القولين أفرضها ؟ »

قال في نفسه لا تفارقها الاناة والشكية

« كلاهما قريب ، وكلاهما صحيح »

ثم صمت قليلاً وعاد يقول « ننظر الى الاقوال من حيث تتفق لا من حيث تفترق ، فنرى بين كل قولين صلة وان ظهرا مختلفين متباعدين »

واسترسل في تلك النغمة التي لا تعارفها الاناة ولا يلوح عليها التعب : تعب الرجل الذي تكرر عليه هذه الحقيقة مرات وتكرر ارشاده الناس اليها مرات ، فحمل يقول

« كم من خلاف بين الناس هو أدنى الى الوفاق ! أليست الاديان كلها من معدن واحد؟ أليست الامم كلها من عنصر واحد ، ولكنهم يختلفون ، لماذا ؟ لأنهم لا يرقون كيف يتفقون »

وهنا اغتنمت هذه الفرصة وقدمت اليه كتاب « خلاصة اليومية » الذي طبعته قبل ذلك باسابيع قليلة ، وهو أول كتاب ظهر لي في المطبعة ، تحيته بذلك الاسم لأنه كان مجموعة خواطر شتى كتبتها في مذكراتي اليومية وأضفت لها ما عنّ لي في أثناء القراءة . وقلت في صدرها الاولى من الخاصة الانسانية :

« ان افراد كل صنع مخصوصية تميزه من سواه وتقدم الناس الى الاشتراك حيناً في الحاجة الى تلك الخصوصيات حسب اتساع مطالبهم وتقدم العمران ، مما يدل على ان كل الناس مرتبطون بكل الارض وان حواجز الاوطان ستتطلس معالمها لتصير الارض الوطن العام لنوع الانسان . وهذه الحركة الاقتصادية التي حادت بين أمم الشعوب لتبادل منفعه ستؤدي حتماً الى توحد المصالح العامة بين الامم بحيث تتعاضد كلها في الاعمال والعوامل الاقتصادية التي تؤثر على بعضها ، وهو ما يؤذن بانقضاء الحروب وسيادة السكينة والسلام

« وما زالت العوامل الاجتماعية منذ القدم تقذف بالانسان في دائرة أشبه بزرد الماء يسع محيطها شيئاً فشيئاً فيشمل في كل دور ما كان خارجاً عنه في الدور الذي تقدمه . فان تكوّن القبيلة من العائلة ، والشعب من القبيلة ، والامة من الشعب ، والجامعة من الامة — يؤذن ان الخطوة التالية ستتقدم بنا الى الغاية التي طالما اشتغل كبار المصلحين لتحقيقها ، وهي دخول أمم الارض جمعاء تحت لواء جامعة واحدة ، هي الجامعة الانسانية »

فناولته الكتاب وأنا أشير الى مكان هذه الجملة ، فتمهل قليلاً حسباً وقرأ الجملة معمماً ثم ردد : « ان شاء الله ... ما شاء الله أحسن أحسن »

وكأنه أحس بوعي ان العصر الاقتصادي الذي كان عاملاً عليّ في تلك الفترة ... فقال :

« ولكن العالم الآن مستغرق في مادته ولا سبيل الى اسلامه إلا من جانب الروح . العالم لا يطير إلا بجناحين جناح من مادته وجناح من روحه . وهو الآن يطير بجناح واحد ويموزه الجناح الآخر ، فهو سقيم في نفسه لا يستقيم حتى يتعادل فيه المطالب المادية والمطالب الروحية ، فاذا ما ارجحت يسير الآن فسنحمل به — وفقنا الله وإياكم — لكنه مرهون بزلزله جبناً وتفتح عيونه على الصراط المستقيم ولكن بعد أهوال لا تطاق »

كان ذلك قبل الحرب العالمية بسنتين ، وأذكر اني سكنت في الناصرية بعد ذلك بشهور وكنت أتردد مع بعض أصدقائي على دكان حلوى لانفلاني فارسي كان يسميه انفلاني الفيلسوف لانه كان يعيش عيشة الفلاسفة ويتحدث في الاديان والسياسات بحديث العارف المتكين ، فسمعت منه يوماً كلاماً يمحى ما تقدم من كلام عبد البهاء . فقلت له . « أنهيتي أنت يا حاج حسين ؟ » قال : « نعم » قلت : « أتكلمت هذا الكلام من عبد البهاء ؟ » قال « نعم ، تكلمته منه وهو كأن لا محالة »

فكأن عباس أفندي كان يتذرع بالحكمة الكبرى ويعيد هذا التدبير كلما عرضت له مناسبة ، ولا نشك في ان أتباعه يعدون ذلك من النفحات الصادقات

ولا أدري كيف تطرق بنا الحديث الى قصة الزواج وما اليها من قصص العرب والفرس فاذا عباس أفندي مطلع على هذه الناحية من تاريخ أحسن اطلاع . إلا اني أذكر اننا تحدثنا عن الشرق والغرب وما بينهما من اختلاف مستحكم في العصر الحاضر وما كان للشرق من المجد القديم . فدار الكلام على ما أطن الى تلك القصص التاريخية وتنقل اليها عباس أفندي ترويحاً لسامعيه . وكانوا يرددون لحظه بعد لحظه ، فامسك عن الخوض في المباحث الفكرية واستطرد الى القصص التي يألفها جميع السامعين

على ان أحد الحاضرين فاتحه متحمساً الكلام في مسائل الاديان المنزلة والفرق بين الاسلام والمسيحية ثم يتسرع الى هذا الاقتحام كثيراً ولكنه قال على ما أذكر ان عيسى هو روح الله عند المسيحيين وعند المسلمين ، وان سورات المسحية تشير الى ما بعدها من رسالات الانبياء ، فكلهم سواء في عبادة الله ، وسواء في جوهر العقيدة ، والخلاف في الظواهر لا يصح أن يلغي كل ذلك الاتفاق بين هذين الدينين ، بل بين جميع الاديان

وكان تكلم العربية [illegible] في تصحيحه [illegible] الحروف . فاستأذناه في الانصراف حين [illegible] يكادون يحين أذن العو[illegible] في فرصة أخرى ، ولكننا اضطررنا الى السفر [illegible]

* * *

وهم يتأولون الآ[illegible] عن نشر عبد البهاء [illegible] ما يدعو اليه من التوفيق بين العقائد ، فيقول أنصاره ثم يذيع لأنه مذهب صالح مواتٍ للعلم الحديث . ويقول نحن أن افلاح مذهب من المذاهب لا يتعلق بصلاحه المفروض بعد انتشاره ، كما يتعلق بالبواعث التي تبعث النفوس قسراً على الايمان به ، وان مواتاة العلم الحديث لن يؤسس الايمان أبداً لان العلم الحديث أصغر من الانسان وليس وراء علماً انسانياً كيفما كان ، والانسان لا يؤمن إلا بما هو اكبر منه وأقوى وأقنن منه بالهيبة والخشوع

عباس محمود العقاد

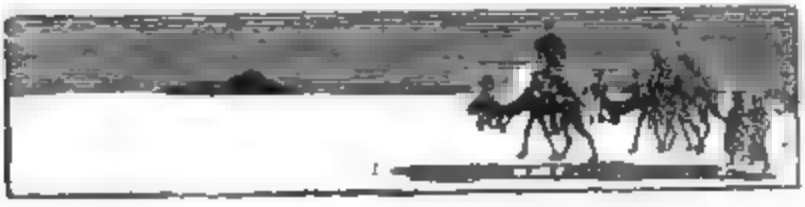

التربية بين أساليب السلطة والحرية

بقلم الاستاذ الدكتور منصور فهمي

أستاذ الفلسفة بالجامعة المصرية

تمهيد

من حين من الدهر على المشتغلين بالتربية وهم يحاولون في أتحاد الوسائل التي من شأنها ان تحصل بين المعلم والمتعلم تعاونه سلطان الأول وتحسم حدوده . واضاف حريه الثاني وتوكيد إدعاءه . ونشأ عن هذه المنافسة نوع من المقاومة الاصلاحية لاحلال مبادىء الحرية في التربية محل السلطة المستبدة . وكان من كبار المفكرين أمثال روسو وبستالوزي وتلستوي ومونتسوري من دعوا في الأخذ بالاساليب التي تدني المسافة بين المعلم والمتعلم باطلاق حرية هذا وتخفيف سيطرة ذا - في جو من التفاهم بين المتعلم على إظهار رغباته واستعداداته ، والكشف عن مواضع قوته وضعفه ، حتى المعلم على معرفة مواطن الاخطاء ومظاهر السلامة عند تنبيهه يصلح من الأولى ويستغل الثانية لتوجيهها وجهة الخير

ولا شك ان رغبة السلطة المستبدة التي استوت حتى عام التربية كان من شأنها تحير الناشئين من العلم ، وقتل مواهب المفكرين منهم ، ومما لا شك في أن التفاهم والحرية في التربية من شأنهما أن يقبلا الى المدرسة ، ومدرسا لاستعداداتهم ، ومحببا المتعلمين الى معاهد التعليم ويرفعا الشخصيات الى الكرامة

وإحساب أن الفوائد التي تترتب على اشاع جو المدرسة بالحرية أصبحت من الوضوح بحيث لا تحتاج الى دليل ، لكن مرادنا من هذا المقال الوجيز ان نثبت ان النفس تحتاج الى السلطة والاسناد كما هي في حاجة الى الحرية ، وان السلطة والاستناد اذا عولجا في شؤون التربية بمقدارهما المناسب ، وفي موضوعهما ، يفيدان كما تفيد العناصر السامة في مزيج الأدوية الشافية ، وان اهمية كل امهارة في فن التربية ان يكون المعلم في موقف بين رغبات التفاهم والسلطان يحيث يستطيع بتلك المهارة الفنية ألا يفوت حاجة النفس من فوائد التفاهم وفوائد السلطان

الأدلة النفسية على الحاجة الى السلطة

والادلة التي تبين حاجة النفوس الى السلطة تلتمس من علم النفس ومن علم الاجتماع .

فلو نظرنا الى الطفل الصغير من نشأته ، لوجدنا ان حاجته من التغذية والملابس والايواء

وضرورة العناية المختصة كل ذلك من شأنه أن يدخل على نفسه الطفل شعوراً قوياً بسلطة القائمين بأمره حيال الأشياء التي هو في حاجة اليها ، ويرى انهم له ملجأ والملاذ ، وانه لا يعثر بما يحتاج اليه إلا بسلطانهم وجهودهم ، وقد يتملك هذا الشعور من نفوس الاحداث ، حتى قد يخيل لهم ان الآباء أو من هم في موضعهم قادرون على أن يمطروا القمر من السماء الى الأرض

الدور الأول في التربية ومعنى السلطة فيه

وفي هذا الدور من نموه الذي يستمر من بدايته لادراكات الاولية حتى قبل الدوع ينحو الطفل نحو على المربي ألا يتراخى في إظهار جهوده وألا يفرط في مظهر السلطة التي يتلمس الناشيء في جوها عند أهله ويشعر بها وبالحاجة اليها . ولكن لو حللت العناصر التي تتكون منها هذه السلطة لوجدنا ان مدتها الأولى ترجع الى العطف الطبيعي الذي تحمله نفوس الآباء لأبنائهم ، والذي يدفع الآباء الى استخدام جهلهم وجهودهم وتضحيتهم على الموجودات لجلب منافعها للابناء ودفع مضارها عنهم . وإذن تكون السلطة التي يراها الاطفال لأهلهم ومن في حكم الأهل ، هي وليدة العطف ومن تحمله [illegible] على المربي في هذه الحالة ان يمرح شدته بعطف وتشجيع [illegible] ويطور تسلطه الذي نشأ فيه الطفل وتدرج وهو في دوره الطفلي

ويعتقد أن المربي في هذا الدور [illegible] يجب أن يكون المقدمة المفضلة وقد أشار الفيلسوف الفرنسي [illegible] يجب كل ما [illegible] يرحل في مهنة التربية عند البداية

الدور الثاني ومعنى السلطة في تربية المراهق

ثم يأتي على الناشيء دور آخر وهو في عمره دور شديد الخطورة ، وذلك هو دور المراهقة ومقاربة الحلم ، وهذا الدور قد تبدأ ارهاصاته في نحو الثالثة عشرة من العمر ويستمر نحو خمسة أو ستة أعوام . وفيه يصيب بعض الاعضاء اضطراب و لعدد والاحلام تغيرات طبيعية يكون لها تأثير على الجسم وعلى النفس معاً . وفي هذا الدور يحس الناشيء بشخصيته ويأخذ في الاعتداد بها ، ثم يأخذ في الشعور بسلطانه وجهوده في أمور الوجود الذي يحيط به ، ويأخذ نفسه في الثورة على سلطان غيره ، ومن ثم نوع من التمرد على القائمين بأمره من الأهل والمربين وتبرز هذا التمرد لديه عروره بنفسه وإحساسه بقدرته على المكافحة في الحياة . وبينما يرى المراهق بعض سلطة الغير ليحكم لنفسه سلطاناً ، يرى الطفل الصغير يستسلم لسلطان غيره من أهله ويعتمد جهودهم ، وبينما يكون المثل الأعلى للصغير منزعاً مما حوله ومن بيئته ، يكون المثل الاعلى للمراهق منزعاً من تصوراته وخيالاته ، ومن ثم الخروج على التقاليد والعمل على تجريح المألوف

وخلاصة القول ان أهم ما يبدو في هذا الدور هو تغير في الجسم ، وتمرد في النفس ، ورغبة في الخروج عن المألوف ، وروعة المقاومة لسلطة الاهلين وعلى هذا ينبغي أن يتسلح المربي بسلطة قوامها الشدة الحازمة الفاهمة للتمكن بها من كبح التمرد ، وردع نزعات الاعتداء ، وجميع المقاومة الممنوعة

هذا الدور هو أعسر أدوار التربية وينبغي أن يكون القائمون فيه بها وحالا تحت وجوانهم ، واستكملت قواهم النفسية والجسمية ، وإذا كنا نصح باستخدام العنف في هذه المرحلة من مراحل التربية فذلك لأن في طبيعة المراهق عنفاً شاملا شديداً لا يؤخذ إلا بمثله ، وأن بعض حالات المراهقة اضطرابات وأمراض لا يصلحها الا السلطة ومظاهرها المختلفة سواء أكانت نفسية أم مادية

الدور الثالث في تربية الشباب ومعنى السلطة فيه

وحوالي سن الثامنة عشرة من العمر يخف عنف الصبا ، وتصفو حدته ، ويبدأ رويداً الى أن يحل الدور الذي تستقيم فيه أحكام الشيء فيتغير موقفه من مظاهر حياة ومسائلها بنظرة تم عن شيء من الحكمة والاعتدال ويتحد نسبة للتفكير في حكام المنطق ، وتأخذ خيالاته في التقاصر . واجمالا في الانحناء وفي هذا الدور يؤخذ الشيء من سبيل الاقناع وتكون السلطة فيه أدبية عقلية ويحل فيه الأبوة محل الرهبة التي تصحب مراهقته وشدودها

خلاصة وتلخيص

يتبين لنا مما تقدم أن الانسان يحتاج في تنشئته وهو يرقى في كل أدوار حياته ، الا أن هذه السلطة تكون على أنواع ثلاثة تتفق والمراحل الثلاث من حياة الناشيء . فدور الطفولة يلائمه السلطة الممزوجة بالعطف ، ودور المراهقة يلائم السلطة المتصلة بالقهر والعنف ، ودور الشباب يلائمه السلطة المتصلة بالاقناع

واذا أردنا أن نطبق هذه المراحل التي يمر فيها الانسان على معاهد التعليم وأنواعها نجد أن دور الطفولة هو دور المدارس الابتدائية ونرى أن يتولى النساء شؤونه ، والدور الثاني هو دور المدارس الثانوية ، ونرى أن تتولى أمورها الرجال من ذوي الشخصية والبأس ، والدور الثالث هو دور المدارس العالية ، ونرى أن يتولى أمورها أكثر المعلمين ثقافة وأملكهم لحظ واسع من العلم ، وحظ وافر من الحجة

ولمناسبة ذكر أنواع معاهد التربية الثلاثة الابتدائي والمتوسط والعالي المهيأة لأدوار التربي في الطفولة والمراهقة والرشد يصح أن نلفت النظر الى مراعاة ما في المراهقة من الاضطرابات

الروحي ، وعدم استقرار النفس ، حتى ان الناشيء رغم شعوره بشخصيته ، واعتداده بها ، وغروره ، فانه يظل في تخبط ودهش لمعرفة نفسه على حقيقتها والتثبت من ميوله ومزاجه وهذا يرى من الخير أن لا يتحمل التلاميذ نظام تدارس ومن التخصص اذ يحسن أن تكون الدراسة المتوسطة غير عميقة ، وتجمع بين التلاميذ في ثقافة واحدة مشتركة ولا مكره أن تكون مدة الدراسة الثانوية واحدة لكل الناشئين كذلك . ضمنا أن اطالة الزمن الذي يجلس على الدرية في دور اراهقه ، وجمع الناشئين فيه على أسلوب واحد من التعليم ، وتأخير وقت التخصص ، كل ذلك له — عدا فوائده الخاصة من تسيير الطالب في الدراسة العالية وفق ميوله المستقرة — فوائد أظهر من حيث الناحية الاجتماعية وذلك ليكون في الامة جيل متشابه الاسلوب في تفكيره ونظره ، وهذا أجدى للتفاهم والتضامن بين أفراد الجماعة الواحدة

تأييد علم الاجتماع لما سلف

مئت لنا مما عدده وذكرناه ان الشاهد مستمدة من علم النفس تبين لنا الحاجة الى استخدام القود والسلطان في التربية وان استخدام هذا على صورتهما يتسرعه هو الاجدى في مرحلتين من مراحل حياة الناشيء وان حرمانه لا يؤتي ثمرته فيه الا في الدور الاخير من أدوار التربية . ونفس الاستنتاج في علم الاجتماع نجده هذا هو هذا بعد التتابع المتقدمة التي وصلنا اليها عن طريق علم النفس ، وذلك لان الفرد لا يخلو في أدوار حياته صورة من الادوار الاجتماعية التي مر عليها نوع الانسان والجماعات البشرية فاذا تتبعنا هذه الادوار الاجتماعية وجدناها تتلخص في ثلاثة من حيث نظام الحكم فالدور الاول كان سلطة العائل أو شيخ القبيلة ظاهرة في تسيير الافراد والدور الثاني تمارست فيه العائل وتواضعت وأصبحت شبه بالحكم الملكي ودوي السلطان المطلق والدور الثالث هو الذي تحكم فيه الافراد بمظاهر السلطات الشوريه

هذه الادوار الثلاثة التي مرت عليها أكثر الشعوب في تدرجاتها الاجتماعية ، ترجح ان الفرد — وقد مرت عليه في مدى تطورها — مر بنوعه من أصناف الحكم — يحتاج لان يتحد في تربيته دور تماثل دور حكم العائل أو شيخ القبيلة ، ودور يماثل دور الحكم المطلق ، ودور ثالث يماثل حكم الشورى . وهذه الادوار يحتاج أولها الى السلطة مع العاطفة كما قدمنا ، وثانيها الى السلطة بعاطفة الحرمة ، وثالثها الى سلطة العقل والمنطق . هذه الآراء توفقها لتدعيم مبدأ القود والسلطان في التربية ولا سكر بذلك على المدرسة الحديثة مشاريعها الى تقدير الحرية ، لكن المطلوب حقاً هو استخدام كل من الحرية والسلطة بنجاح وتوفيق في عالم التربية

منصور فهمي

القارب الطيار الضخم والاسفار العالمية

بعض مسائل تتطلب الحل

بقلم الدكتور هوزبال واضع نظام القارب الطيار الضخم المعروف باسم دوكس Dox

[خاصة للهلال]

الدكتور هوزبال واضع نظام القارب الطيار

اذا شئنا التلخيص تاوع المديونحدنا أنه لا يزيد على زاع لتقصير المسافات . فان عددا من الخزعات الخاصة بالمدن كان له تأثير عظيم في ارتفاع الاثمان وافضى الى انقلابات سياسية عظيمة . فالسكك البرانية والبواخر وسكك الحديد جعلت تتبع المستعمرات في غير الامكان . ويظهر أن الطيران حل مسألة الابعاد ، لأنه يمكن من قيام مسافات شاسعة في وقت قصير جداً وهذا من شأنه أن يربط أجزاء [illegible] بعضها من بعض أكثر من جوه اختبار اختصارات قد تكون الى الغد القريب اختصارات [illegible] أجزاء ان هذه الامور من شأن ما تحاية المشؤومة التي تحلق آمالنا بها

قد عرف الناس [illegible] وتحسين [illegible] على البر والبحر . وان مساحة سطحه ٤٩٠ مترا مربعا وقوة آلاته ٥٠٠ حصان وثقله ٥٦ الف كيلو . اردوا كثيراً في مكان سير آلة صغيرة من هذه وحاولوا ان زيادة حجمه غير مقدرة على الطيران ولكن هذه المحاولة في غير محلها . فقد جربناه حتى مرة أو أكثر ودلت التجارب على ان قامه يتم بأعظم ما يكون من السرعة وأقل ما يكون من الوقت . ولم نجد صعوبة ما في الدوران به ولو كان محملا الى أقصى ما يمكن

والذي يحدنا على مزيد الرجاء هو ان زيادة حجمه لم تؤثر أقل تأثير في ثقله . والمرجح انا نشكل من زيادة سمنه حمل الاثقال شيئاً فشيئاً . وهذا تمكننا ذلك الى حد كبير . الا ان هناك مصاعب أخرى يجب التغلب عليها . ولكنها مصاعب بسيطة لا يهوك أمرها . وقد دل طيران هذا القارب ثمانية وتسعين عاماً مع ١٥٠ من ركاب على ما يستطيع أن يصنعه

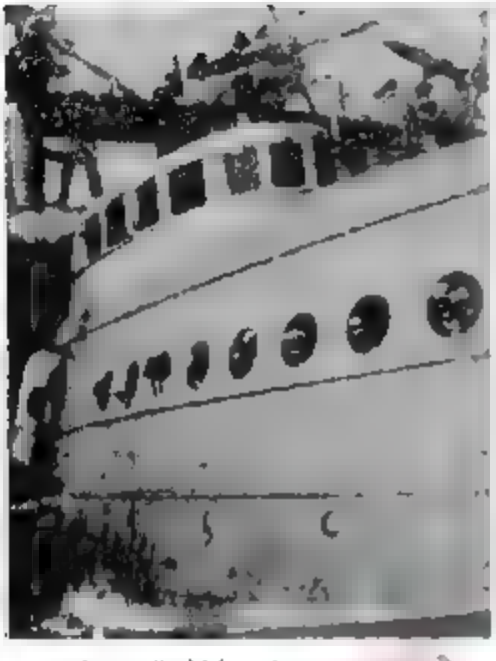

عند الاقتضاء . ومنذ عهد غير بعيد كان يحسب الطيران بخمسة وعشرين نقاً من الاعمال الخارقة

وجميع النتائج التي وصلنا اليها حتى الآن هي ثمرة تحسين بطيء مستمر من الطيارة المائية (هيدروبلان) من طراز ليبلن الى سوبرمول الى دواكس

وقد استعملت في بناء دواكس الالومنيوم المقسى بطريقة خصوصة ما عدا أجزاء معرضة لتحمل ضغط شديد فهذه صنعتها من الصلب ويسوءني اني لم أتمكن من استعمال الصلب في أجزاء أخرى منه لان الصلب يفوق سائر المعادن في قوة احتماله وهو أقتصاداً من الخشب

[illegible] الطيارة العظيمة [illegible]

نعم ان الطيارات المائية لا تحتاج [illegible] من الاسباب في ذلك اقتصادي وسياسي [illegible] يشبه [illegible] بالخشب ولكنها تصنع أفضل أنواع الصلب وهي تصنع لآلات خصصت للطيارات الكبيرة من الصلب لا تخرج عيوب الخط هذا النوع من الصلب لا الآلات فقد [illegible] فاذا أقدمنا على بناء عدد عظيم من الطيارة العظيمة فحينئذ تنخفض صنعة الطيارات وصنعة الصلب من ذلك أيما انتفاع

وهناك ثلاث مسائل هامة يجب الالتفات اليها في صنع هذه الطيارات الاولى الاعتماد التام على صلاحية الطيارات للعمل والثانية بقص الثمل والثالثة بخفض استهلاك البنزين ولاريب ان آلات البترول الخام ستبقى مستعملة حتى وتكنها لا تزال في دور التجربة . ويجب قبل كل شيء ان نسعى في تخفيض ثمن الآلات ففي الطيارة الذي وصفته ١٢ آلة قوتها ٦٣٠٠ حصان بدلا من التسع التي عزمت أولا على وضعها وقوتها ٤٢٠٠ حصان

ومن رأيي بناء على التجارب التي جريتها ان الطيارة العظيمة تأتي بالنتائج المرجوة منها متمكن من انشاء خطوط للطيران البعيد المركات والعمش اللازم بحيث يعود على هذه الخطوط بمغانم وأرباحها ولا ريب ان كثيراً من قوة آلات الطيارات يضيع في حمل الطيارات في

الهواء وحمل وقوده ولكن ما يدخر من التحسين عليه يمكننا من زيادة مسافته الى ٣٦٠٠ كيلو متر

واعتقادي انه يمكن ان نزيد كل سنة عشر مئات الكيلومترات على الرقم المتقدم وهكذا نصول المسافات شيئاً فشيئاً فنحن نستطيع الآن ان نطير بطيارة تحمله حمولة راكب عشرين مسافة الف كيلو متر من غير ان نقف فاذا زدنا المسافة الى الف كيلو متر فان في الطيارة قوة كافية لحمل عشرة ركاب فقط وبعود بالربح عليها

أما المشروع الذي نويه فهو انشاء خط منتظم بخار الاتلانتيك الجنوبي وسيكون هذا الخط اقصر من أنجع خط آخر للركاب فسيعتمد بذلك وفد عظيما بالنسبة الى البواخر . فان الباخرة تقطع المسافة في ١٨ يوماً في حين ان القارب الطيار يقطعها في يومين سواء في ذلك حمل الركاب أو البضائع

ولاريب انه سيكون للقوارب الطيارة دور عظيم في تجارة العالم فقد اخترعت لاسباب اقتصادية وستأتي بالفرض الذي عين لاجله فتكون عاملا جديداً لترويج الاقتصاد في المواصلات العالمية

القارب الطيار الضخم DoX الذي وضع تصميمه الدكتور دورنيه

السفر الى القمر وهل هو ممكن علمياً ؟

نجاح تجربة الانتقال بواسطة السهام النارية

تحدث في هذا الموضوع ألف مقالة ومقالة وكل ما تحدثه منها تنطبق عليه الحكمة الانجليزية القائلة « الفكرة من الرعشة » أي ان الكاتب شاقه حب السفر الى القمر فبنى فكرته على هذا الشوق . وعليه كان كل ما كتب في هذا الصدد أقرب الى رواية منه الى الحقيقة العلمية سواء في ذلك ما كتبه فلاماريون وغيره من الذين سبقوه أو تأخروا عنه . على أن فلاماريون يوصف كونه عالماً فلكياً حشا أسفاره الى القمر وغيره من كواكب السماء بالحقائق العلمية المعروفة في زمانه فخرجت رواياته خاتمة بين صدق العلم وكذب الخيال الروائي

ومعظم الذين تحدثوا عن الرحلات القمرية افترضوا لها طريقاً قرّبوه ما أمكن من المعقول . ومنهم من لم يطابق بين الحقيقة والخيال بل تاه في صحراء واسعة خرج فيها عن كل معقول ومقبول كالذي اعتلى الى الكواكب شاطئ الرمل وظهور حمارات سندباد سلطان أو حملته اليها طيور الرخ كما حمل السندباد البحري أو ركب بين كتفي عفريت كالذي ركبه السندباد البري وهكذا أما الذين افترضوا الى تلك السفرات طريقاً معقولاً فهم الذين عرفوا جاذبية القمر وطبيعة الفضاء الفاصل بينه وبين الارض حتى ما وصل بالعلم وحققوا أكثر مطابقته تلك المعرفة

مثال ذلك انهم عرفوا أن القمر كوكب تابع للارض تدور حوله بقوة جذبها له من جهة وجذب الشمس له من جهة أخرى فاحتاطوا لقذف جسمه إياه بقدر ما يخرجوا من دائرة جاذبية الارض بشيء يحول دون هول الصدمة

وعرفوا أن القمر لا هواء فيه فأحدثوا معهم هواء كافياً لتنفسهم مدة وجودهم على سطحه

وعرفوا ان ظلامه دامس في الظلال فأحدثوا معهم نوراً . وأن برده وبرد الفضاء شديد جداً فأحدثوا ناراً ووسائل للتدفئة تقيهم قرّها

وعرفوا أن لا طعام فيه ولا ماء فأحدثوا زاداً كافياً منهما الى آخر ما هنالك

ولكن مهما كان أهم ما في السفر الى القمر مسألة الركوبة التي تحملهم اليه وسرعتها افترضوا لذلك افتراضات شتى أهم ما فيها انها تنقذهم عرضهم وتعود بهم سليمين من غير أن ينطبق أحدها على العقل . فان الموطرات التي تدعى الطيارات في حومانا لا تصلح لجو ليس فيه هواء . ومع ذلك فقد افترض بعضهم لركوبته موطراً قوته كذا وكذا من الخيل وسرعته كذا وكذا فسافر الى القمر وعاد بمثل لمح البصر وقفز من أثناء رحلته ما يطابق قول الفلكيين عنه وما يخالفه من مثل أنهم رأوا فيه سكاناً عمالقين أو هم أشبه بالقمم منهم بالناس جسمهم اسود وصدرهم بني . أو حيوانات أو

حسان وهكذا ... واتهم تفاهموا معهم بالاشارات دون الكلام وودعوهم بعد أن وعدوهم برد الزيارة في آن أوان ردها

أمثلة هذا التحريف كثيرة أكثر من أن الرواية لا تشمل عليه من الحقائق على جودة حبكها وحبس سبكه حتى يلوح قريبا من الحقائق ما أمكن . وأول مقالة جدية عنية ان ما علينا في هذا الموضوع أو هي في أوائل المقالات العلمية مقالة تشرتشيل « وسكوري » الانجليزي التي في لجنة أمثالها أمثال « السر جورج جينز » و « السر جيمس كيسون » و « البروفسور سوارد » و « البروفسور كوراي » من مشاهير العلماء

وهذه المقالة مبنية على آخر فكرة من فكر مرمى السفر الى القمر وهي أن تكون الدفع لمركبة التي تسافر اليه سلسلة من الاسهم النارية يطلق الواحد بعد الآخر فرجي لتصيبه الى القمر سلسلة بعد مسافة غير طويلة . وقد حررت اطلاق الاسهم النارية في ابا على قدر صغير فظهر ان مبدأه ليس بالمبدأ الخيالي الصرف ، بل مما قد يمكن تحقيقه مع الزمن وتحسين الوسائل . فالمقالة

حررت المحررون أو واضع الاصل [illegible] النارية [illegible] وعليه شرع يجرب تجارب على [illegible] أعظم ليحصل سهامه تسير بأعظم سرعة ممكنة

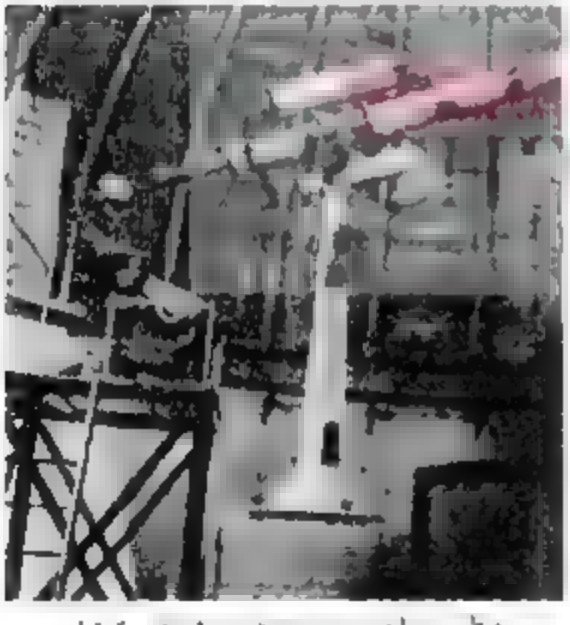

[illegible] الاستاذ ما هدف في مرصده

في ٢٠ سبتمبر الماضي سمع أهالي ضواحي برلين صوت آلة طائرة فوق رؤوسهم وحولها سحابة من دخان . وبالرغم من شدة أصوات الانفجار الحادث عن السهام حملت هذه السهام الطيارة مسافة ميل ثم هبطت الطيارة بشدة على الارض

ومن المخترعين من يرى أن تصاعد الغاز تحت الضغط الشديد قد يولد سرعات أعظم بكثير من سرعة الآلة التجارية وان الاسهم النارية قد صلح وسيطه لهذه الغاية وسواء قدر لانسان أن يصل الى القمر أو لم يقدر فيكاد يكون من المؤكد ان حالة سطح القمر لا تمكن انسانا من العيش عليه ولكن ذلك يجب ألا يحول دون عمل التجارب اللازمة للسفر اليه لأنه مهما تكن محاولة السفر

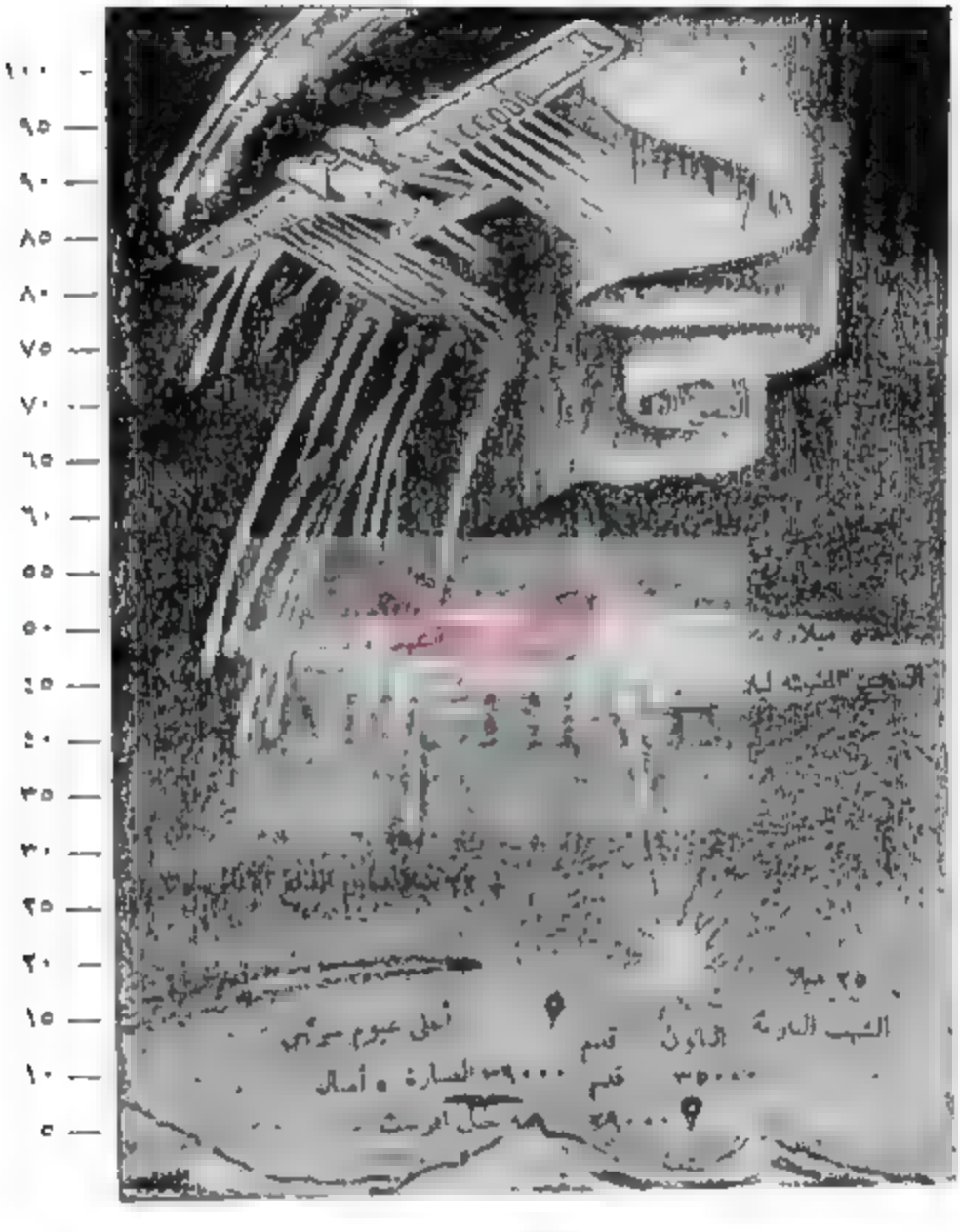

صورة خيالية لطيارة طارت في طبقة الجو العليا الباردة على ارتفاع ٢٥ ميلا
لاوش الفوائق على ارتفاع ١٠ أميال الى ١٥٠ ميلا حيث تكون بين طارات الشهب
والبارك وأنواع الشفق القطبي الخيالي

اليه خرقاء في شكل قمي تحتوي على عناصر من المعارف لا تتهيأ بها والقمر يرى من الارض بوضوح حتى ضئيلا يعرف عنه ما لا يعرف عن غيره من الاجرام السماوية

ومعظم المشروعات المبنية على السهام الطائرة فرضت لقضيا في مبدأ الامر مدفعا يطلق منه مع ما في ذلك من الصعوبات العظيمة . والذين سعوا لتاريخ هذا الموضوع اهتدوا باختراع المرحوم نوبل لأن طريقة دفع الطيارة به تختلف عن طريقة اندفع وقد وصفها مرسل التلغراف قال .

« مد شريط سكة حديد طوله ٣٠٠ قدما ووضع في آخر الخط شيء يمنع الصدمة ووضعت الطيارة في أول الخط على مركبة « تزولي » يدفعها سهم كما يدفع العمارة . فابتدأت التزولي على الشريط بسرعة عظيمة حتى اذا بلغت آخر الخط وصدمت « الممتص » انطلقت العمارة في الهواء وعند انطلاقها اشتعل « فتيل أوتل » سهام الطيران فانفجرت العمارة بالمرة بقوة انفجار سهامها وكان في العمارة سهام تنطلق في جهة معتدلة لتخفيف سرعة هبوط العمارة ومنع الصدمة . وسارت الطيارة بسرعة عظيمة وسط سحابة كثيفة من الدخان واللهب وصوت يصم الآذان حتى اذا طارت ميلاً سقطت على الارض بقوة شديدة تخرج راكبها الميوت من مقعده للوقوف عدة الاسبوس التي تحول دون وصول النار اليه »

ويفهم من هذا الوصف [illegible] أوتل [illegible] من حوال الانجار . والمظنون انه لو كان بناء الطيارة [illegible] الآن [illegible] السهام التي [illegible] لها للحطار واستقبل كفيل ببيان الحقيقة

ولاهتمام عظيم الآن [illegible] ١٩٢٣ [illegible] وأوبرت [illegible] عنوانه « السفر الى السيارات بالسهام » [illegible] في [illegible] عدة جمعيات للغرض عينه وعين حائزة له في فرنسا [illegible] وأوبرت [illegible] وشركات السفن في المانيا في إظهار أفلام تمثل السفر الى القمر . منها رواية اسمها « المرأة في القمر » تمثل سفر طيارة الى القمر بواسطة السهام تحمل ركابا وأمتعة . وقد ألفت بمساعدة الاستاذ « أوبرت » وارشاده العلمي

ولحوى الرواية [illegible] اسمه هالبوس وصديقا له اسمه وندجر بنيا طيارة على أساس مذهب ارتآه البروفسور « منغد » في مؤتمر فسكي وهو ان القمر يمكن الوصول اليه وان فيه معدنا ذهبيا يمكن جمع كمية منه بسهولة . فاتفق الصديقان على السفر اليه ومعهما حطية الثاني التي سمت الرواية باسمها والاستاذ « منغد » المذكور وأميركي من شيكاغو

وفي يوم معين بدأت السفينة الجوية رحلتها برجيها السهام الناريه أمام جمهور غفير من المشاهدين ولم تمض بضع دقائق حتى غابت عن الابصار

والاغلاب بين الوسائل العلمية التي استخدمها ركاب السفينة الجويه لمقاومة الضغط غير الطبيعي ومقاومة الجاذبية والاحوال الشاذة التي لقوها في أعالي الجو . وبين الصور صور تمثل البروفسور « منغد » يدير البصيرة في الفضاء ويوجهها الى الجهات التي يريدها ويرقب القمر من عرفة الخاصة

به والسفينة تندفع اليه بأعظم سرعة

وبعد رحلة دامت ٣٠٦ ساعة نزلت الى بر القمر بسلام ولكن في الجزء الذي لا يرى من الارض وقد فطن خرجو الاقلام الى الرأي القائل ان في ذلك الجزء من القمر هواء وماء وسائر ما يتطلبه وجود الحياة فأخرجوا ركاب السفينة فيه وتركوهم ليكتشفوا حل الذهب الذي قال البروفسور بعقد بوجوده هناك وليفتاتوا عليه

الرجال وما يقيد بدير السفينة في الفضاء .

فأقاموا هناك زمنا داروا وجالوا في نواحي ذلك الجزء المختلفة ثم عادوا فتركوا هناك اثنين منهم بمقدار لسفينة [illegible] القمر وعلى [illegible] وجود الهواء في ذلك الجزء من القمر جعل الذين يهتمون أحد أجهزة التنفس الصناعي . وهذا الاختراع مبني على مذهب من قال ان حول القمر طبقة غازية عوضاً عن [illegible] قرب القمر وهو هلال فان ذلك لا يكون بلا وصول هواء [illegible] وهذا الهواء إن وجد لا يمكن أن يكون من نوع هوائنا . هذا من حيث الهواء . وأما من حيث الاحياء فمن المؤكد ان القمر خال منها

واذا كان القمر لا هواء فيه وأمكن الانسان الذي نعرفه أن يعيش بالتنفس الصناعي ، فهو مضطر أن يحتاط كذلك في ليالية البرد القصاصي الذي لا حد ومقدار قطبي الارض شذوذاً في حدته ونقصان من جهة أخرى انه اذا لم يكن للاحياء النباتية وجود في القمر فمن المحتمل أن بعض صور الاحياء الثانية الدنيا ، كالطحالب تنمو على سطوحه

والظاهر ان نجاح هذه الاقلام أقنعت مرجعيها بامكان السفر الى القمر على سهم ناري بدليل انهم دعوا الى البروفسور « أوبرت » ملاّ يبني به سفينة ناقلة معتقدين ان السفر الى سيار آخر من سيارات النظام الشمسي عما هو مسألة قوة لا غير . ولذلك فهم مفكرون في بناء سفينة سريعة تتمكن من مقاومة جاذبية الارض . ومعلوم ان طبقة الهواء المحيط بالارض لا يزيد سمكها على نحو مائة ميل . وان الاميال العشرة الاولى منها كثيفة الهواء فتستحيل طيارتنا العادية ذات المحرك بهذه الكثافة على الانتقال من مكان الى مكان وما وراء ذلك لا يمنعها . فالسفينة التي تصعد السفر الى الفضاء الخالي من الهواء يجب أن يكون فيها جهاز خاص يدفعها من غير أن يعتمد على الهواء .

ان من البيان لسحرا

حكاية شاعر في احدى قبائل البادية

خليل بك مطران

أنشدت هذه القصيدة في حفلة جمعت اساطين العلم والادب وأرباب الرأي والقلم من مصريين وأحباب . وبعد أن أتمها ناظمها ألقمه العربية ترجمها الى لغة الفرنسيس ليفهم الاحباب مضمونها ويتبينوا شيئاً من روائع لغة الضاد التي يظنون الظنون بمحاسنها ولا يكادون يعرفون شيئاً مما في أسلوبها البياني الجديد من البدائع التي تناقض بدائع شعرائهم العصريين . وهذه القصيدة هي مما نظمه شاعر القطرين قديماً ، فلما وقف اليه من لا مرد لأمره في انشادها بين أولئك النخبة من رجال الشرق والغرب أعاد فيها النظر وزادها ما تقضي بزيادته الفرض الروم منها ، ليظهر ذلك الفرض للاحباب بكل جلائه وعلى النحو الاقرب الى الجماد أذهانهم، فالقصيدة أشبه بالجدة . وقد كان لها أحسن موقع من نفوس سامعيها فأردنا ألا نحرم قراء الهلال من هذه الطرفة البديعة

شغل السداري طرفهن بشاعر فالحي زائر
وبما يردد عن مجالسه الاصاغر والاكابر
إلا [illegible] عن ذاك حاضر
وزجرن عن [illegible] لأمر الزاجر
درءاً [illegible] حفيظة الحرائر
فأبين إلا [illegible] هدية التوتر
واحتلن كي يلقينه متصونات بالتفاتر
فوجدنه رجلاً [illegible] حلته حسن الطواهر
لاشيء يفتضح الفتى فيه كما ادعت التواهر
أتكون في منظومه آياته الكبر السواحر ؟

* * *

فتقدمن فيما حوله عقداً كمنظوم الجواهر
وسألنه انشاد شيء من طرائفه الحواضر
فاطاعهن ، ومن ترى يعصي الجميلات الاوامر

رفع الرباب يساعدبـــــهوفكره في الغيب ناظر
وأثار في الاوتار نغـــــريداً كأنَّ العود طائر
ثم أجرى يروي روايتـــه وتتبعه الخواطر

كان الامير «مهند» بطلا شهيراً في العشائر
من آل «بدرَ» الباذلين الباذلين ذوي المفاخر
ينضم تحت لوائه الف من الاسد القساور
رجل كما تهوى الحـ ـامد خلقه والخلق ماهر
ذو صولـة معروفة بين الوادي والحواضر
وشجاعة في القلب تحـ ـيها العذوبة في الخواطر
تخشى الفـوت لقاءه وتود رؤيته الجآذر
يروى فعـ ـله من بـ ـ ـ«حمَد»الكرام ذوي المآثر
لكلّ من أبى ذلك ـ ـه وبينه وتراً لواتر
فسعى ليحصدها حتـ ـ ـفاناً يسعى خاسر
عصفت جيوشه بـ ـ ـ ـاهيك بالعصب الخاطر
فصرائم برحلـ ـ ـ ـه ويكل ذي ثأر يضافر
فتلاحموا يومين لم يظهر من الجيشين ظاهر
حتى غدا ذاك الثرا لك كأنه بعض الجازر
فدعا «مهنـد» لابرا ز وقام يشهم كل حاضر
ماجال إلا حولتي أسد يزير وهو زائر
حتى أجرى منهم له متلثم ضافي الذفائر
فنشل شديد في الكرّ بهٍ بأسه والعود باسر
فتحاولا وكلاهما متعجم كالصقر كاسر
سرطان ما خطا الرماح فابدلاها بالبواتر
وتواثبا متهالكين كلاهما جلد مصابر

وكلاهما متغضب بسماته لكن بكاظر
كان المتم لا يحا لس مقتلا ممن يثافر
بل يتقي اجهاده لينال منه وهو خاثر
حتى تحين منه ما يتحين الفيق المداور
فسطا عليه مبادراً ان السعادة للمبادر
ألقى به متقطراً من حيث بوعت وهوسادر
وعلاه فاطش بالظبا ـــــدة وهي تحت ركاب ناحر
قال الامير لقد ظفر ت ألست تعفو عفو قادر
فأجابه من فوره أبشر فانك أنت ظافر
وغضى القتام فانبرت شمس أشعتها صعاثر
هي منية الملك التي خاض الردى فيها بغامر
فشاهداً وشاهدا بيمينها . لا بالخناصر
وتصالح الجمعان في عرض صفت فيه السرائر
مرت مواردهم وقـــ كل بعدهم جات المصادر

* * *

فأطافت نفسات في ذلك من الافكار دائر
وشهدن تلك الحادثـــات كأن ماضيهن غابر
وكأنهن رأين بالابصـــار ما رأت البصائر
ثم استردن فزاد ما خلب العقول من النوادر
حتى اذا هبط النها ر كحط راحلة المسافر
ختم الكلام بمن حديـــث هواه في الامثال سائر
ادكى وأبلغ من عرنـــه جنة لهوى محامر
اولى ولي ان يهـــيم العاشقون له شعائر
قيس ومن كفؤ له بين الاوائل والاواخر
وصف الملوح في المهامه وهو ساجي الطرف حائر
كلف طريد لا عذيـــر ولا نصير ولا مؤازر

ه ولربما مر الفرا ل به فيأنس وهو نافر
يبكي ويستبكي بشـــعر حالص الدمع منه قاطر
ويلم الوحش الاسى ويلين أحجار المقابر
حتى قضى في يأسه دهماً مشوقاً غير صابر
نامت نواظره ولكـــن قلبه في الغير ساهر »

•°•

فبكين قبلاً والاسى ملء الجوانح والضمائر
ونظرنه في شكل من أبكى بما هو عنه ذاكر
ثم انثنين مكفكفا ت دمعهن عن المحاجر
متلفتات نحو من هو منه بين وشاعر
كل يقول بمقلتيه يقيس ان بت عامر

تالله ما صنعت الرو ح بمثل هذا غير ساحر

خليل مطران

حكم خالدة

• احتمال الالم أخف من احتمال الحقد

سعد زغلول باشا

• أشد أعوانك الحاجة اليك

• القناعة ثوب تخرقه الحاجة

الشيخ محمد عبده

• الوطنية تصل ولا تسلن عن نفسها

قاسم بك أمين

طريقي الى النجاح

مع احمد بك عبد الوهاب وكيل المالية

آراء جليلة في نهضة مصر الاقتصادية

تولى سعادة احمد بك عبد الوهاب وكيل وزارة المالية لجنة التعريفة الجمركية الجديدة وهو أكبر مشروع مالي وضع في السنين الاخيرة ولما كان عبد الوهاب بك من رجالنا العصاميين الذين شقوا طريقهم الى النجاح بكدهم واجتهادهم رأى الاستاذ كريم ثابت أن يفتح هذا البحث الطريف في الطريق الذي سار عليه وكيل المالية للوصول الى منصبه السامي)

سلوح العلم والاجتهاد

احمد بك عبد الوهاب من رجالنا القليلين الذين بلغوا أعلى المراتب بحدهم ومقدرتهم واجتهادهم ، وهو يفخر ، وله أن يفخر ، بأنه نشأ نشأة بسيطة وان والده لم يكن الا عمدة ، وانه لم يبلغ المنصب الذي بلغه بعض حظوة أو في ظل عظمة ، وانما بكده وسعيه ، وبراعته في تحين الفرص التي ساعدت على ظهوره

نعم انه كان للحظ أثر كبير في تقدم احمد بك عبد الوهاب وارتقائه ، ولكن كثيرين غيره أتاح لهم الحظ اقتراب عظمة من يديهم ولم يعوا ، فقعدوا على ما هم يتحسرون وعلى جور القدر يحملون ، وأني عاد ذلك على الذين يرى فيهم الجد وتساعده الظروف على تحقيق غرضه ومرماه وطرفه ، فقد روى عن المسيو ن أحد أساتذته شام فيه دلائل النبوغ منذ حداثته قال عنه : « ان هذا الفتى سيصنع مدى بعيداً اذا ساعدته الظروف على ذلك » فالظروف لا تخلق الرجال ، وانما تساعد على ظهور الرجال ، والرجل الذي يعرف كيف يتحين الظروف ويتذرع بها هو الرجل الفذ الذي أعدته مؤهلاته الشخصية لأرفع المناصب وقد عرف احمد بك عبدالوهاب كيف يرقب الظروف ، ثم عرف كيف يقتنصها ويتوسل بها ، فكان ذلك الرجل !

ورجل كأحمد بك عبد الوهاب بلغ ما بلغه لا شيء سوى علمه واجتهاده وخصاله ، جدير بأن يجعله الكتاب موضع بحثهم وموضوع كتاباتهم لأن في سيرته قدوة حسنة يستطيع الشبان أن يقتدوا بها وينهجوا على منوالها ، فاذا نحن اعتمدنا الكتابة عنه فلا يعنينا منه شخصه أو اسمه ، ولكن الذي يعنينا منه بوجه خاص هو الطريق الذي سار عليه للوصول الى غايته لان في هذا الطريق مثالا يحتذى

العناية في تأدية الواجبات

يعتقد عبد الوهاب بك انه كان للمدة التي قضاها في التدريس في مدرسة التجارة العليا بعد عودته من انجلترا فضل كبير في ترسيخ العلوم في ذهنه وفي تمكينه من استيعاب تفاصيلها في غيبته ، فانه رجع الى مصر قبيل وقوع الحرب العظمى ، أي في الوقت الذي اضطر فيه كثيرون من أساتذة تلك المدرسة الى مغادرتها والانقطاع عن التدريس فيها ، فتعين على المدرسين المصريين أن يحلوا محلهم ويقوموا مقامهم ، وكان من جراء ذلك أن طلب الى عبد الوهاب بك أن يلقي أربعاً وعشرين محاضرة في الاسبوع ، في حين ان الاستاذ لا يلقي اليوم سوى ست محاضرات في الاسبوع ، وكان يعني به أن يعد تلك المحاضرات باللغة العربية وهي غير اللغة التي درس بها في البلاد الانجليزية ، ولم يكد سعادته يشرع في مهمته حتى وجد أن الطلبة يفتقرون الى ترجمة بعض الاصطلاحات العلمية ، فوضع في السنة الثانية كتابين صغيرين بحجمهما ، كبيرين بأهميتهما ، أحدهما في ترجمة بعض الاصطلاحات والكلمات ، والآخر في طرق التجارة ومسك الدفاتر

وكان من البديهي أن يعنى عبد الوهاب بك في السنة الاولى من سني تدريسه باعداد كل محاضرة من محاضراته ، ولكنه ظل يعنى على هذه الحصة طوال السنين التي قضاها في التدريس في مدرسة التجارة العليا ، على انه مهما كان عنايته بها فانه يوماً بعد يوم يلقي الآن محاضرات منتعشة في مدرسة التجارة العليا على حالة مصر الحاضرة ، وقد اعترف لي مرة في سياق حديثه بأنه يعد هذه المحاضرات يوماً بعد يوم وحصة بعد حصة ، فلا يدخل يوم حتى كما كان يفعل في سنة ١٩١٤ عند ما عاد من بلاد الانجليز وعين مدرساً في مدرسة التجارة العليا

ومن هنا يستخرج الباحث انه مهما زادت معلومات المرء واتسعت خبرته ، يجب عليه أن يؤدي المهام الملقاة على عاتقه بنفس العناية التي كان يبذلها في تأديتها في بادىء الامر ، لان العناية من أهم أسرار النجاح

صفات الشهاوي

ورأى عبد الوهاب بك أن الشان الذين في سنه يكثرون من غشيان الشهاوي فيضيعون الشيء الكثير من وقتهم — وأحياناً من نقودهم — ولا يكسبون سوى توليد الخمول في نفوسهم ، فأخذ يبحث عن عمل اضافي يضمه الى جانب عمله العادي على أن يكون فيه فائدة له من الوجهة العلمية لا المادية فقط ، فعين خبيراً حسابياً أمام وزارة الحقانية ، فأتاحت له هذه الوظيفة سبل الاطلاع على حسابات الدوائر الكبرى كدائرة علي باشا فهمي ودائرة الامير احمد سيف الدين ودائرة الشواربي باشا وغيرها ، فاكتسب بذلك خبرة عملية ثمينة علاوة على الخبرة

التي اكتسبها بدرس أخلاق كثيرين من الكبراء والعظماء ولا سيما افتقارهم الى ما يسميه الكتاب الفربيون « الروح الاقتصادية »

ولم يكتم عبد الوهاب بك نفسه ان عمله في تلك الوظيفة عرز فيه روح الجرأة ، فقد كان خجولا بطبيعته ، وكان بسبب هذا الخجل يحجم عن الرد على المتنديات العامة حتى انه كان اذا دخل محل « جروني » طريق المصادفة ليجتمع بصديق له يكون على موعد معه تبادر الى ذهنه ان جميع الجالسين في المحل يصوبون أنظارهم اليه فيجد في سيره ، وهو لا يعي شيئاً ، لكي يصل الى كرسي صديقه بأسرع ما في استطاعته

وكان سعادة المالي الكبير طلعت بك حرب يعرف احمد بك عبد الوهاب من مدرسة التجارة العليا ، فلما فكر مع صحبه الاجلاء في انشاء « بنك مصر » رأى أن يستعين بآرائه وعمله عند اعداد مشروع هذا المصرف الوطني الاهلي فكان سعادته عند حسن ظنهم به ، ولما أنشىء البنك عرض عليه أن يكون مراقباً لحساباته علاوة على اشتغاله بالتدريس ، فرضي عن طيب خاطر ، وكان أول مراقب عين لحسابات بنك مصر

الحظ ونصيب في النجاح

وهنا يبدأ تاريخ عظمة [illegible] عبد الوهاب على حقيقته . وسيرى القارىء عند تتبعها كيف عرف سعادته أن يجعل [illegible] حتى داعب له فتلقف ثمرها واستفاد بها

في سنة ١٩٢٠ عرض وزارة الاشغال على عبد الوهاب بك أن يسافر إلى انجلترا ليتخصص في بعض مواد لتدريسها على أن يعود عند عودته الى مصر أستاذاً في الجامعة المصرية ، وكان وزير المعارف يومئذ دون يحيى ابراهيم [illegible] أن يسافر إلى بلاد الانجليز اصعر الى قطع العلاقات الكثيرة التي له مع بنك مصر ومع غيره من الشركات التي عينه مراقباً لحساباتها أسوة به ، فقيل له انه اذا عين استاذاً في الجامعة فان مرتبه يزاد زيادة كبيرة ، فلم يثنه هذا الاغراء عن رأيه ، وظل مصراً على رفضه ، فعين معتمداً بادارة التعليم الفني في وزارة المعارف

وبعد ستة أشهر من ذلك التاريخ فكرت الحكومة في انشاء نظام اللامركزية في مأبة المصالح الحكومية أي أن يكون لكل وزارة قسم للحسابات خاص بها فعين عبد الوهاب بك مديراً لحسابات وزارة المعارف مع بقائه مراقباً لحسابات بنك مصر

وفي شهر مارس سنة ١٩٢٢ أعلن التصريح السياسي المشهور المعروف بتصريح ٢٨ فبراير فأعرب الكولونل الجود السكرتير المالي لوزارة المعارف عن رغبته في اعتزال خدمة الحكومة المصرية ، وكان معالي مصطفى ماهر باشا وزيراً للمعارف يومئذ فرشح عبد الوهاب بك بدلا منه

وفعلا تم تعيينه سكرتيراً مالياً لوزارة المعارف ، وانما كان تابعاً لوزارة المالية فمكث في هذا المنصب سنة كاملة شعر في ختامها بأن العمل فيه غير كاف فطلب عنه الى وزارة المالية لعله يجد فيها من العمل ما يطابق أمنيته

وبحث ولاة الامور طلبه وقرروا اجابته اليه ، ولكنهم أبلغوه ان المنصب الوحيد الشاغر في وزارة المالية هو منصب وكيل مراقب ، ولا يخفى ان هذا المنصب أقل من المنصب الذي كان يتقلده كسكرتير مالي لوزارة المعارف ، فقال سعادته إن أسماء المناصب لا تهمه كثيراً وانما الذي يهمه هو نتيجة العمل وكميته، وانه يرضى تقلد منصب وكيل مراقب ارادته وملء اختياره ، فتقلد اياه ، وكان وزير المالية في ذلك العهد المغفور له احمد حشمت باشا

وكان المراقب انجليزياً فما كاد قانون التعويضات يذاع حتى طلب ترك الحكومة فعين عبد الوهاب بك محله من أول يناير سنة ١٩٢٤ وفي دسمبر سنة ١٩٢٤ نقل صالح عنان باشا الوكيل المساعد لوزارة المالية وكيلا لوزارة الاشغال . ولما كان عبد الوهاب بك يتقلد أكبر منصب يتقلده مصري في المالية عين وكيلا مساعداً حفاظاً له وفي يناير سنة ١٩٢٧ رقي وكيلا

النهضة الاقتصادية في مصر

وقد خطر لي أن أسأل عبد الوهاب بك في بدء حديث كان يدور بينه وبيني عن رأيه في مستقبل مصر الاقتصادي . فقال سعادته ان المغاربة كانوا يقولون قبلا ان المشروعات الاقتصادية تحتاج الى عوامل ثلاثة بسيطة . وهي رأس مال . وأما اليوم فصاروا يضيفون الى تلك العوامل عاملين جوهريين آخرين ، وهما التجارة . والتنظيم . وقد كان مصريون حتى المدة الأخيرة يضنون بأموالهم على المشروعات الاقتصادية ويحجمون عن المخاطرة خوفاً من عواقبها ويجهلون التنظيم ومبادئه ، ولكنهم بدأوا أخيراً يقلعون عن تلك الخطط القديمة ، وها هو بنك مصر والشركات التي تفرعت عليه برهان ساطع على اشراق فجر النهضة الاقتصادية في مصر

وزاد عبد الوهاب على ذلك قوله ان المصريين كانوا ينظرون فيما مضى الى المشتغلين بالتجارة والشؤون الاقتصادية نظرة تختلف عن التي كانوا ينظرون بها الى الموظفين مثلا ، أو المحامين، أما اليوم فقد بدأ هذا التعصب يزول من نفوسهم ولا سيما لما فتحت أبواب العمل للشبان المصريين في الدور المالية والتجارية وفي الشركات المصرية والاجنبية . وهنا قال سعادته ان شباننا كانوا يشعرون قبلا بأنه من الصعب عليهم الانتظام كمستخدمين بسيطين في المحال التجارية والدور المالية تحت اشراف عشرات الرؤساء والمدربين ظناً منهم ان في قبولهم لهذه الوظائف الصغيرة مساساً بكرامتهم ، ولكنهم بدأوا اليوم يدركون ولله الحمد ان هذه الوظائف وحدها هي التي تخلق الرجال والمصامين ونحن في ظلمت تلك حرب أكبر شاهد على صحة ذلك

كريم ثابت

مع المؤرخ الدعائي الكبير

اميل لدويج

اعجابه العظيم بتوماس اديسون - رأيه في مصطفى كمال باشا

عطفه على جمعية الارحام وتفاؤله بمستقبلها

[زار مصر في خلال الشهر الفصرم جناب الدكتور اميل لدويج الكاتب والمؤرخ الالماني المشهور وقد اجتمع به الكاتب غير مره ووقف منه على هذه البيانات التي أوردها هنا]

عبقرية اميل لدويج

أهم ما استوقف نظري في الدكتور اميل لدويغ عيناه ، فانه يظهر لك دائما بمظهر الشخص الذي يريد دائماً أن يسمع شيئاً جديداً أو بعبارة أصح ان يتعلم شيئاً جديداً ، وهذه صفة عهدتها في جميع عظماء الرجال الذين عرفتهم في مصر أو قابلتهم في أوربه ، حتى اني لما اجتمعت بالسير موسوليني في روما ذهلني رغبته الشديدة في الوقوف على معلومات جديدة عن بلاد الشرق الادنى ، وقد عدت هذه الصفة في الدكتور لدويغ من اظهر مظاهرها حتى انه كثيراً ما يمسك عن الكلام ليدعني اتحدث في شؤون مصر لاحاطة بتفاصيلها من جميع نواحيها ، وقد يحدث مظهر هذا الرجل وهلة . فانه لا يكتب عن جميع هذا الرجل الذي لا يثير أي اهتمام محدثه ان يولد هذا الاهتمام في كتاباته ، ولكنك اذا لاحظته وعاشرته وسمعته يدلي ببعض احاديثه وآرائه تثبت انه مفكر كبير ، وان تفكيره لا يقتصر على النواحي البارزة التي قد يراها أكثر من انسان واحد في جهة واحدة ، ولكنه يتناول نواحي صغيرة دقيقة تغيب عن أنظار كثيرين ، فيحلل هذه النواحي تحليلاً دقيقاً مستفيضاً ويخرج لك تلك الكتابات التي أكسبته الشهرة الواسعة التي يتمتع بها الآن في جميع أرجاء العالم

ولم يكتف اميل لدويج بالاحاطة بمزاجم مشاهير الرجال المتوفين ومالكتابة عن فريق منهم بل اهتم أيضاً بمعرفة عظماء الرجال الاحياء ولا إخالني مخطئاً اذا قلت ان اهتمامه بهم يجاوز اهتمامه بالاولين حتى اني كنت مراراً معه يوماً أمام حديقة الحيوانات في الجيزة فقال لي انه أصدقاً حباً يهمني أكثر من أسد محنط في المتحف ، وهكذا شأني في الرجال أيضاً » وقد اتيح له أن يجتمع بأكبر الملوك ورؤساء الجمهوريات وبأعظم الوزراء والعلماء والادباء في اوربا وأميركا . وقد كان آخر عظيم اجتمع به قبل قدومه الى مصر ، فخامة الغازي مصطفى كمال باشا رئيس

الجمهورية التركية ، وقد استبقاه فخامته في حضرته ثلاث ساعات ، مع انه يمر على كثير من كبار الكتاب والصحافيين بمقابلات قصيرة لا تستغرق أكثر من دقائق قليلة

اعجابه باديسون

وقد خطر لي ان أسأل الدكتور لدوج عن الرجال الستة الذين يرى انهم أعظم أشخاص في العالم الآن ، فقال لي باسماً : « ومن هن أجمل ست سيدات رأيتهن ! ت في اسبني الخمس الماضية »
فقلت له : « من الصعب أن أحصرهن » فقال : « ومن الصعب عليّ أنا إذن أن أقول من هم أعظم ستة رجال في العالم لأنه كما أن هذه السيدة الجميلة تمتاز عن تلك بجمال وقتها أو بجمال رجلها أو بجمال عينيها كذلك هذا العظيم يمتاز عن ذاك بناحية من نواحي عظمته في حين ان الآخر يمتاز عليه بناحية أخرى »
فقلت له : « اذاً من هو العظيم الذي أنت معجب به أكثر من إعجابك بأي رجل آخر بين عظماء العالم الاحياء »
فقال : « انه بلا شك توماس اديسن العالم الاميركي الجليل الشأن »
وإذ تطرت اليه نظرة من تستفسر منه عن سبب إعجابه عن هذا الاعجاب معنى في كلامه وقال :
« لقد زرت المستر اديسن في بيته في اميركا وجلست عنده ضيفاً ثلاثة أيام كاملة فألفيته رجلاً لا يسع المرء إلا أن يرفع به همته إجلالاً ، حتى إنه لدن جميل الشكل . . كلا . بل هو أصم كما تعلمون . . . كلا . بل هو يعيش في بيت لا تسوده من مظاهر هذه الدنيا سوى بساطة . . . كلا . . بل هو قليل الكلام يعنى به عنه بأسراره . . . انه « انسان » عظيم . . بل هو يمثل اسمى روح الانسانية . . بل هو الانسانية بذاتها . . . انك تشعر وأنت تنظر اليه وتسمع حديثه انه ملاك رحمة ورسول انسانية . . . انه عالم جليل وإنساني عظيم . . انه رجل جدير بكل إعجاب وتبجيل واحترام . . واذا كان لي أن أكون سعيداً في هذه الحياة ، فلأني عرفت اديسن ، وفهمت نفسية اديسن ، وأدركت روح اديسن . . . فهو الرجل الذي أنا معجب به أكثر من إعجابي بأي رجل آخر في العالم »

رأيه في الغازي

ولما كان الدكتور لدوج قد قابل الغازي مصطفى كمال باشا قبل قدومه الى مصر كما ذكرت آنفاً سألته عن رأيه في فخامته فقال : « إنه رجل عظيم وسأكتب عنه في بعض المجلات الاميركية »
فقلت له : « اني قرأت لكم في مقالة نشرتموها في أوائل سنة ١٩٢٩ م ما يدل على انكم

لا تحبون «لفواد كثيراً ، فكيف تظنون إعجابكم «لعاري الآن ؟ »

فقال : « هذا صحيح ! ولكن مصطفى كمال باشا ليس قائداً كبيراً فقط بل هو اكبر من ذلك وهذا سر عظمته . . . إنه سياسي رفيع الشأن (un éminent Homme d'état) »

فقلت له : « وهل تحدون فيه شبهاً بالميون بونبرت مثلاً ؟ »

فقال : « ذلك ما سأبسطه في كتابي عنه . إنه يتخذ من نابليون مثلاً أعلى في بعض الامور ولكنه في أمور أخرى يتعمده إبتعاداً مراً وقد لاحظت ان الاسباب التي يبني عليها ابتعاده وجيهة وسأسردها عند كلامي عنه أيضاً فيمكنكم أن تطلعوا عليها عندئذ »

وهنا رأيت أن أسأل المؤرخ الالماني الكبير عن رأيه في الاصلاحات الخطيرة التي عملها الغازي مصطفى كمال باشا في بلاده بعدما فاز بنظام الحكم فيها

فقال : « ان النتيجة التي أسفرت عنها تلك الاصلاحات حسنة وثبت على الأرتياح حتى الآن »

فقلت : « وهل تعتقدون أن مصيرها مضمون ؟ » فقال : « أعتقد ذلك »

عطف على جمعية الامم

والدكتور لدويج من أشد انصار السلم وقد سألته عن رأيه في جمعية فلسطين فأجاب : « مهما يكن رأيي خاصاً في تلك الجمعية فاني أشجع كل مشروع أدعى فيها » فقلت له . « وما هو أحسن كتاب ظهر في سنة ١٩٢٩ لتمرين روح السلم ؟ » . فقال « الكتاب الذي وضعه الكاتب الالماني ريمارك وأسماه (لا شيء من جديد في الغرب) وقد روج أكثر من كل كتاب آخر ظهر في خلال هذه السنة » . فقلت له . « وما رأيكم في جمعية الامم »

فقال : « هل عندكم أولاد ؟ » . فقلت « كلا »

قال . « إن جمعية الامم كولد عمره عشر سنوات ، وكل ولد يبلغ من العمر عشر سنوات له هفوات وغلطات ، ولكن هل هذه الهفوات تسوغ القضاء عليه ؟ أو هل هذه الغلطات توجب اليأس منه . . كذلك جمعية الامم فانها ككل هيئة جديدة ترتكب هفوات وقد يكون لها غلطات وربما قصرت في بعض المشكلات ، ولكن هل هذا يكفي لمحاربتها والسعي لتقويض أركانها ؟

« اني أرى ان جمعية الامم هيئة مفيدة ، ولأنها هيئة عظيمة ، ولأن مسئوليتها عظيمة ، وتعنتها عظيمة ، لا ينتظر أن يستقيم العمل فيها بين عشيه وضحاها . فلنعطها الفرصة اللازمة لذلك ولنساعدها بكل قوانا على تأييد مراميها . . . وهب انها لا تحل من كل عشر مشكلات إلا مشكلة واحدة فان ذلك يكفي للدلالة على أنها ضرورية ومفيدة »

ك . . .

بين القانون العرفي والناموس الادبي

ما قولكم دام فضلكم ؟

[حوادث واقعية نقتطفها عن مجلة انجليزية شهيرة تستفتي قراءها في هذه الوقائع لتعلم رأيهم فيها ، في هذا الموضوع الذي قام بين القانون العادي والناموس الادبي]

بين مهندسين

استخدمت شركة انجليزية في مناجم النحاس بجنوب أفريقية مهندساً أميركياً . وبعد ان خدمها مدة سنوات سافر بالاجازة الى بلاده بطريق باريس . وفيما هو جالس في قهوة هناك سمع رجلاً حول مائدة قريبة منه يتحدثون عن المناجم واذا هو يرى مدة كبيرة تعرض ثمن قبض وقال عارضها انها تعرض بهذا الثمن لانها وصلت الى يده بلا هندسة . فالتفت الاميركي الى صاحبها فعرف انه زميل له في الشركة فأبلغ الشركة الخبر

وروى هذه الحادثة أمام مهندس أميركي آخر هو أبغض الشاكي . فقال لو كنت مكانه ما فعلت فعلته لان الشركة استخدمته مهندساً لا [illegible] من هذه الشركة ومن مستقبل ؟

بين شاب واحدى شركات التأمين

تزوج شاب وأمن على [illegible] كانت [illegible] على الطريق الى مدة ثلاث سنوات . وبعدما مضت [illegible] أمن [illegible] على حياتها الى مبلغ آخر من غير ان يخطر الشركة . والشركة بالطبع اعتبرت [illegible] في [illegible] وعرفه فحمل الشاب حمل البوليصة للمؤمن عليها ملتفتاً

ولم يمض الا القليل حتى احترقت أثاث منزله فأبلغ الشركة خبر ما جرى له ، فماذا تصنع الشركة ؟

لا ريب انها مسئولة أدبياً لانه لو عرض عليها خبر عزمه على الانتقال الى المنزل الثاني لقدمت تسليم كل طريق . ولكنها ليست مسئولة قانوناً لان البوليصة عقدت على أثاث في محل معين نقل الشاب أثاثه منه

ولكن الشركة مع ذلك دفعت قيمة البوليصة ، فهل أحسنت فيما صنعت ؟ أو كان الواجب ان يدفع الشاب ثمن اهماله ؟ وكم هو ثمن هذا الاهمال ؟

هل هذه سمسرة صحيحة ؟

لزيد مزرعة كبيرة وهو عنى عامد . وهند أرملة متوسطة الحال ولها مزرعة صغيرة . وحدث منذ زمان غير بعيد ان كان عندها خمس خيرات تريد بيعها . فعرف زيد ذلك وعرف ان خالد وهو فلاح آخر يفتش عن خير يضيفه الى قطيع عنده . فذهب زيد الى هند وسألها كم تطلب ثمن

ثمراتها الخمس ؟ فأجابت مائة حبة . وكان هذا الثمن معتدلا في أيام هذه المساومة لخمس ثمرات حلوة فأعجب زيد هذا كثير وأما أدفع ٩٠ حبة فقلت عد زيد قليل . فأخذ زيد الثمرات وباعها لخالد مائة حبة . وكان بمتجر خالد ربح ١٠ حبات في ساعة زمانية ؟ فأين محل هذا العمل من الفجور ؟ أفتونا

صفقة غريبة

وكيل شركة اميركية جاء يوماً الى تاجر من تجار الحلة ، وطلب أن يشتري مقداراً كبيراً من الخوخ وكان أقل ثمن عينته الشركة ٣٠ قرشاً البارودة ، ولكن التاجر كان كثير المساومة في الماضي فطلب من الوكيل ٣٢ قرشاً ثمن البارودة أي زيادة قرشين عما عينته الشركة وبعد أخذ ورد باع البارودة بمبلغ ٢٨ قرشاً ونصف قرش أي زيادة نصف قرش عما يشتري به سائر العملاء . وفي أثناء حديثهما قال الوكيل ان ٣٠ قرشاً هو أقل ما تبيع به الشركة صناعتها بلا خصم لاحد ما ، ثم افترق الشاري والبائع راضيين . ولكن . . .

بين تاجر وشعير

طلب أميركي من تاجر قمح عينة من قمح وسط الوطن في الصالو والنصف ناعم للطحن . ولما فتح التاجر وحد عينة من انتقاء الكيل بالقرش والنصف حسب المطلوب . ولما كان القمح من القطع الكبير لا يصلح به قود في الصاد لعدم توافر الكمية التي تملأ الوقع ويطلب القمح الذي أوصى به

فرد عليه التاجر طالبا أن يسلم ما أوصاه به بخصم ٢٥ في المائة وقال إنه سيجرب القمح فان وافقه فيها والا أعاده وعرض أن يدفع له ثمنه فرفض التاجر أن يأخذ ثمن إلا بعد التجربة . ووجد التاجر أن حجم القمح بهذه الصورة أفضل مما لو جعله القمح هي حسب طلبه . فهل يقبل خصم ٢٥ في المائة ؟ وهل يكون قبول هذا الخصم حلالا أدبياً ؟

قرش خمسة جنيهات

قال رجل شيخ في فندق وطلب من الصندوق أن يصرف له ورقة تكون عشرة جنيهات . فوضع الصراف الورقة بين الأوراق الكثيرة وناوله عشرة جنيهات ، اعتدها عداً والفرق قروشاً. فقال الشيخ مدهوشاً به أعطاه ورقة بخمسة جنيهات وهما يتحاورون وصلت روحه الشيخ فأخبرها روحها بما حدث ، فقالت إن روحي لم يكن معه ورقة بعشرة جنيهات اليوم . ثم اتفقا على أن يعود الصراف صندوقه مساء وفي الصباح يخبر الشيخ بالنتيجة

وبعد العود وجد الصراف أن الحق معه أي أن الشيخ دفع له عشرة جنيهات . وفي صباح اليوم الثاني قصد الشيخ اليه فتناول الصراف ورقة بخمسة جنيهات يريد أن يدفعها اليه فاعتذر الشيخ بقوله : « لا بد أن تكون عرفت يا ابني اني معيد وانك مخطىء فاحضر مرة أخرى انه

تتخلى عن دراهمك بمثل هذه السرعة » ثم أدار ظهره ومشى من غير أن ينتظر ما يقوله الصراف فهز الصراف كتفيه ووقف هنيهة يفكر وذهب الشيخ في سبيله

بيع غريب

قال زيد لخالد « اذا حدثني بنسخة من رواية طبعت منذ مدة وبعدت جميع نسخها أبيعك بعشرة حبات فتأخذ نصفها » وبينما خالد يروي صديقاً له وجد عنده نسخة من الرواية المطلوبة فسأله « هل قرأت هذه الرواية ؟ »

فأجاب : « نعم ولم أستحسنها فحدها ان شئت »

فقال ملهوفة عبر المكترث : « وهل تريدها ثانية » ؟ فأجاب : « لا »

فأخذ خالد النسخة ودفعها الى زيد فأعطاه خمسة حبات ولم يذكر خالد شيئاً من الامر أمام صديقه الذي أعطاه اياها

فهل كان عليه أن يعطيه شيئاً من المال ؟ وهل تحسب هذا البيع جائزاً من جهة ما

رحلة بالغواصة الى القطب الشمالي

لفتح طريق تجاري وللاكتشاف العلمي

بقلم السير هوبرت وتمس الحدث العلمي المشهور

طالما كان عرض البحار كسد طريق يحصر في البحر بين اوربا وآسيا . وبين الاسكا في شمال امريكا وفلوريدا في جنوبها الشرقي . وبين سيتل وبيويورك . وبين اماكن أخرى . والسفر بين المكانين الاخيرين اقصر طريق يوجد سيرين منه بطريق قال ساما ولكن التفتيش عن طريق بحري الى الشمال الغربي او الشمال الشرقي لم يأت بنتيجة سوى هلاك مئات النفوس واضاعة ملايين الاموال

وقد تمكنت انا ورود وامندسن وايلسن من أن نثبت أن الطيارات تستطيع استخدام الطريق الاقصر الى الاوقيانوس الشمالي فتوفر ٥٠ في المائة من الوقت والمسافة بين المدن الشمالية . ولا يعمي الا القليل حتى يستطيع ركاب الطيارات أن يطيروا بامان فوق المحيط الشمالي كما يطيرون فوق جليد الاسكا وسلاسل الجبال المكسوة ثلجاً ولكن لا بد من السفن لحمل الشحن الثقيل من الحبوب من اراضي شمال روسيا الغنية وألاسكا وكندا مما لا يزرع الآن ولكن لا بد من زرعه متى اهتدى الى طريقة اقتصادية امينة للنقل . وقد ساعدتنا الآلات الحديثة كثيراً في الطيران فوق

ضرر الاصطدام فانها تستطيع ان تسير باعظم سرعة ولا تصاب باذى ولو اصطدمت بالجد

وساقوم برحلة على غواصة في صيف سنة ١٩٣٠ وانا اتجد لها كل أهبة وفيها جهاز يمكننا من اصلاح كل خلل فيها من الخارج ومن الخروج منها الى قعر البحر للاكتشاف وجمع النماذج الطبيعية المختلفة ومن الصعود الى سطح البحر اذا اقتضى الامر كسر الجد لهذا الغرض . وكسر الجد يكون بان يوكل الى رجل وضع المواد المتفجرة تحته وبان يبتعد الى حيث يكون في مأمن من الانفجار ومعه جهاز يرشده الى مكان الانفجار . وقد بلغ سمك الجد ١٥ قدماً فاكثر ولكنا قد نجد في أواخر الصيف منه ما لا يزيد سمكه على ٣ أقدام . وكسر الجد من تحت اسهل جداً من كسره من سطح الماء

ولا نقتصر في رحلتنا هذه على اثبات فائدة استعمال الغواصات التجارية في الاصقاع الشمالية ، بل نظهر ايضاً بجميع الاجهزة العلمية للبحث والاكتشاف العلمي . من مثل قياس الاعماق ومعرفة الاختلافات المغناطيسية ، وعن مختار القطب شمالي القطب المغناطيسي ومراقبة التيارات القطبية ومعرفة جهتها وقوتها وحرارتها وضغطها وحياة ما في الجو من الاجسام الدقيقة وتصويرها . وفي مدة راحتنا لتجديد البطاريات بين مرسى ما بالقرب من القطب وحسب العادة وعما بالنظر الى الاسلاك ونصور ما على الارض من اثر وقد هذا القرن من حيث الثلوج والاحوال الجوية وفي ذلك ما فيه من النفع للانظار في المستقبل

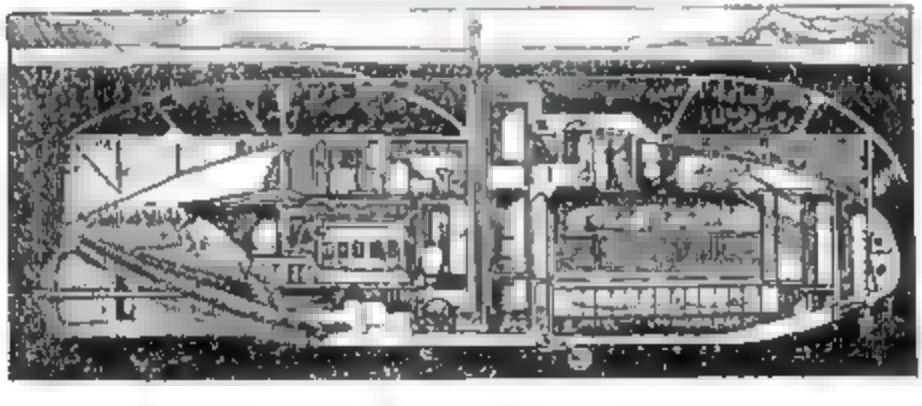

رسم داخل الغواصة التي سوف تستعملها السفير ايلسورث في القطب الشمالي بعد الجد

خواطر في الايحاء

بقلم الاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

الوقت الاصيل ، وانا جالس أمام البيت في صحرائي — صحرائي التي أحس أنها لي وان كنت أرى الناس محجورون عليها ويشيدون فوقها وهي كما هي ، لا تنقص فيما يحس النفس — قلبي على الاقل — أو تأخذ العين . وكثيراً ما يحدث ، وانا وحدي ، أن تتسق حركات الجسم وتتدفق في مجرى واحد مع خواطر النفس ، فاذا كان الرء طرباً ، على صوت حبيب ، أو كان رجلاً شهماً دهب يتخذ من الحلمات والاشارات والنظرات ما يعتقد أنه اوقع في النفوس وأبلغ في التأثير واكمل ما كساه الاحترام او الحب أو المجاملة التي يطلبها عند الظاهير ، واذا كان يفكر في حفلة راقصة شهيها وليلة أحياها على قدميه دائراً على اعلام الجارنامد — أو تشارها على الاصح — دهب يدق برجليه على الارض ، ويحرك ذراعه وقد يرفع رأسه . وقد يكون تفكيره في المال فتراه يرسم بأصابعه في الهواء أرقاماً أو خطوطاً ينحني على الرمال . وهكذا ، وهو يعمل ذلك كله عفواً وبلا قصد ، وكذلك كنت أفعل ، وما لبثت أن تنبهت واذا بي كنت أدكك الارض بعصاي وأخطط بها على الرمل ، ثم اذا بي قد كنت على غير قصد مني [illegible] ، فكرهت صوفيا ،

فابتسمت ونهضت ومضيت أمشي وأفكر :

وذكرت وانا سائر فوق [illegible] ، وفكر الرء في حرف من حروف الهجاء ، وليكن « الدال » مثلاً ، وصوره ، فمن صوره له يتم عضلات الفم أو الشفتين الى الحركة اللازمة لاخراج الصوت فاذا فكر [illegible] هو أقل صورة من حركة الشفتين التي تخرجه صوتاً ، والحركة ترتسم في العضلات التي تحرك الشفتين فهي [illegible] وفي وسعك أن تقيس على ذلك وأن تقول إن الانسان تختلج عضلات وجهه و [illegible] جرى مثلاً ، أو عضلات [illegible] ووجهه ورقبته اذا جرت الخطابة ماله ، وليس معنى هذا أن كل تصور لحركة من الحركات لا بد أن يتبع الحركة نفسها ، الى حد ما ، فعلى هذا يرجع الأمر فيه الى قوة التصور ، أو مقاومة أدق ، الى قوة ايحاء الصورة الذهنية الى العضلات التي لها علاقة بها ، ثم الى مقدار مقاومة الارادة لحصول الحركة بالفعل . فاذا كانت الصورة ضعيفة أو فاترة الايحاء ، او اذا كانت مقاومة الوعي شديدة ، لم يظهر لها أثر يحس في العضلات ، أما اذا كان وحي الصورة قوياً واستيلاؤها على النفس شديداً ، ولم تكن مقاومة الارادة كافية ، فان الحركة تكون محسوسة في العضلات

وكل امرىء قد جرب التفكير صوت عال ، أو مسموع على الاقل ، فما من أحد الا وقد حدث نفسه مرات ، وكثيراً ما يسمع الانسان أو يتسمع ، أو يشور بيديه ، أو ترتسم على وجهه حركات تشي بالمعنى الذي تضطرب به نفسه ، ومن الناس من يقرأ صوت مسموع وهو يحسب أنه يقرأ « في سره » . وعلى ذكر القراءة « في السر » أقول اني الاحظ وانا أقرأ — غير صوت — اني اسمع صوت نفسي ، أسمعه واضحاً وأدرك انه صوتي وأحس له رنينه المألوف في أذني ، بل أنا الآن و انا

اكتب ، أنطق « في سري » كل لفظ يجري به القلم ، وأحس لصوتي الدفين هذا ، بتراتيه المختلفة ولو أني استطعت أن أنظر في مرآة وانا أكتب ، لرأيتني على التحقيق أؤدي كل الحركات اللاأرادية حين يتكلم المرء ، من هز الرأس والتقطيب ، وحركات الشفتين ، وتغير نظرة العين تبعاً لنوع المعنى الذي أريد العبارة عنه ، وفي وسع كل امرىء ان يجرب ذلك في نفسه اذا جعل باله اليه وأرصد عقله له ، وقد يحدث أحياناً ان تكون حالاً مع صاحب لك وكل منكما صامت مشغول بنفسه ، واذا بصاحبك يلتفت اليك فجأة ويسألك « نعم ماذا تقول ؟ » فتدهشه وتؤكد له انك لم تقل شيئاً وانه واهم وأنه لعله سمع صوتاً آخر غيره فتهوله صوتك أنت ، ويكون صاحبك هو المصيب وأنت المخطىء أو الوهم ، ويكون الواقع ان ما كنت تفكر فيه أو تتصوره قد استغرق حسك وبلغ من قوته ان بدرت عن فمك كلمة او كلمات وانت لا تدري ، فلو طلب اليك ان تقسم لأقسمت جاهداً انك لم تتكلم

واكثر ما يحدث المرء نفسه صوت مسموع أو يكون كثير الاشارة ، اذا كان ممن لا يبالون بالدنيا كيف تكون ، ما داموا راضين عن أنفسهم قادرين على الاستمتاع بالعيش فيها مستطيعين ان يتصرفوا منها كل ما تفيده من الروح والانس والمتعة ، أو اذا كان ممن لم يجتازوا ضغط عواطفهم وكبح جماحها والمحافظة على اتزان نفوسهم : أو اذا كان من قوم مشغوفي النفوس بالفطرة أو بعمل الجو أو غير ذلك من الاسباب ، فهؤلاء هم الذين لا يكادون في الصدد على صوت وأشد صوغاء واكثر اشارات وحركات في كلامهم من أولئك الجامدين والذين هم على ضد ذلك ، وقد يكون المرء مدرساً أو سياسياً أو مفكراً [illegible] ويستعين على ذلك كله ويشتد عليه ويحكم اعصابه ويروض جسمه على أن يتم عليه ويستوي له ، وانك لتجد كثيراً ممن [illegible] هادئة ونظرة شديدة وأقل حركات حتى حين يخطب او يحاضر ، بل ان الصوت نفسه يكاد يكون [illegible] ، وليس ذلك لأنهم أقوى احساساً أو أن اللاتهيبين أعمق منهم عواطف وأحر نفوساً ، بل لأنهم مجبولون على ضبط النفس ولأن تربيتهم استقلالية اوسع معاني الضبط وأوفاها

على أن هذا الذي نلاحظه حين يكلم المرء نفسه أو يكثر من الأشارات والايماءات ، هو مظهر بارز قد يحدث دائماً في كل تصور وان كان لا يحسه المرء ولا يفطن اليه ، فما من كلمة تجري ببالنا الا ونحن نتطلب بالشفتين وان لم نشعر باختلاجها ، وما من حركة نتصورها الا تمثلها العضلات المختصة بها ، ونحن لا نفكر الا بصور الالفاظ وما اليها من صور الحركة ، فكل خاطر لنا يتجسد صورة من اللفظ او الحركة ، وكوننا لا نشعر بذلك لا ينفي حدوثه ، ونحن عضو في طبقة مؤثرين في الناس ومتأثرين بهم من غير أن ندرك ذلك لأنه كما تثير الكلمة التي تخطر على البال صورة حركتها كذلك الكلمة المسموعة تنقل حركتها الى سامعها ، وقس على ذلك ، والامثال وضح مظهر لهذا ، لأنهم في دور التكوين ، فهم يخلون كل أثر يطبعه في نفوسهم أهلوهم ومحيطهم بالكلام والاشارة والسلوك .

ذكرت هذا كله — وهو ليس من اختراعي او ابتكاري او كان بعض ما قرره العلم وأثبته من الحقائق — وأنا أفكر فيما خططت على الرمل بعصاي ثم سألت نفسي « ترى كنا نحن المصريين

احراراً في بلادنا كرماء لصيوفنا ؟ » ولم يكن مرادي من السؤال أن انكر أن فينا كرماً او غير ذلك ، ولكني لم أستطع أن أخلي ذهني من اعتراض هو أن الامم عيوباً فيها ولا شك مثل ما فيها من الكرم ، ولما من الحرية أوفر من القسط الذي استطعنا ان نحوزه ، على اني قصدت بالسؤال الى شيء آخر هو انا « عرفنا » انا كرماء لصيوف و « عرفنا » ان نشيد الحرية في بلادنا مذ نادى بذلك مصطفى كامل فصارت هذه العبارة العربية التي لا تكاد تنطوي على معنى يستحق الذكر شعاراً للامة ناشرها ثم اصبحت عنواناً عيناً ورمزاً لشخصيتنا القومية وروحنا العامة

و « الشخصية القومية » و « الروح العامة » عبارات والفاظ ليس لها كبير معنى ، وهي على كل حال من الغموض والابهام بحيث يتعذر ضبط معناها او تحديد مدلولها ، والشخصية القومية تتغير تبعاً للعصور وما تخلقه من الاثر في نفوس اجتماعه ، والروح العامة لا ثبات لها ولا اطراد لسيرتها وهي تتخذ لونها من القوى التي توحي اليها ، أو عبارة اخرى تكون كما يريد الزعماء أن يصلوها والزعماء في كل أمة هم الموحون اليها والذين يوجهونها ويصوغونها على صورهم ، فاذا كانوا رجال فضيلة ونصحية كانت الامة كذلك في جملتها ، واذا كانوا رجال حرب ومغامرة ، خلقوا منها غزاة وابطالا ، لانها تكتسب ميولها ورغباتها وخواطرها من قادتها الذين يوحون اليها ويوجهونها ، والفرق بين أمة وأمة ان واحدة تكون انشط وأسمى فاستعدادها يكون أقوى و أشد ، وهذا فرق في الكم وليس في الكيف [illegible] أو بين الصبغة التجارية والصبغة الشراعية ، ولو أن الاسكندر [illegible] كما قد أمته ، ولكنه كان حقيقاً ألا يستطيع [illegible] فرق كما فعل ، لان أمته الجبلية في تونس والتي يستطيع استثارتها لا تملع أن تكون كما [illegible] ولم تكن في عهد كذلك فلم تجد الحديد وجمعها اليه وهي من الحديد ، وكما [illegible] ولم يكن لهذه القوة حد يحب [illegible] ذلك ، ولو حثت تل من الذهب الابريز لما [illegible] من هذه القوة ، كما ان الاعتقاد [illegible] أنه فوق مستوى الناس أو من طراز غير طرازهم أو [illegible] من غير طبيعتهم ، بل هو لا بد أن يكون قرب اليهم وأشبه بهم وأدنى الى مستواهم ، واقدر على التفاهم معهم وشعارهم انه منهم وانه ليس غريباً عنهم ، لا فوقهم اي علو يفقدهم الاتصال به ويضعف وقع الايحاء منه اليهم

والالفاظ اكبر واسطة لنقل الخواطر والاحساسات ، ولكل لفظ معناه المعهود في أذهان الناس ، بطول الاستعمال واعتياد التعبير به عن معنى معين ، فاذا كانت الالفاظ التي تتخذها المرء للآراء ، معبرة عن معانيها المقررة ومستعملة للاغراض المألوفة ، فان تلقف الجمهور المراد يكون أسرع لانتقاء كل صعوبة واتقاء كل مغايرة لما اعتيد فهمه من الالفاظ ، ومن هنا كانت الصحافة اليومية عوناً كبيراً لادعة الايحاء الى الجمهور ، لانها لسكونها يومية لا يتسع وقت كتابها للتفكير الدقيق او للتعمق في البحث أو للابتكار في المعاني ، فلا يشق على القراء أن يتناولوا ما تهديه اليهم وتؤديه لهم وأن يسيغوه بلا عناء ، ويتقبلوه بلا كلفة أو مشقة ويتأثروا به أيضاً من دون سبب . لان سهولة مدخله على النفس وولوجه الى العقل تمنع أن تحس النفس صدمة فيمتزج بما هناك ويعمل عمله ، ولما كان لا صعوبة في تلقيه ولا مصادمة منه لما هو مقرر في الذهن ، فان القارىء لا يتنبه

الى وجوب النظر والتدبر ولا يمر وقوفه يتدبر ويفكر الى محاولة المقاومة — كما هي العادة حيال كل جديد

والجماهير — على العموم — سطحية ، والطبيعة ، كما هو معروف ، تؤثر السهل السل ، فالماء الذي تهطل به الامطار فوق الجبال يسيل ويتحدر الى السهول والوديان ولا يحاول أن يصعد فوق الصخور الناهضة في الهواء اذا وجد سبيلا له في الارض الليئة والتراب الذي يسهل ان يشق لنفسه مجرى فيه وهو اذا اعترضه حجر مال عنه ودار حوله وآثر أن يحفر طريقه في التربة الهشة على أن يخرق الصخر أو يثب من فوقه ، كذلك الانسان يميل عما يتعبه الى ما لا يتعبه ، أو على الاصح يؤثر ما هو أقل إجهاداً له ، والكاتب الذي يتراءى أمامه الوقت وتتسع له فرصة التفكير ، يكون أصبح ، وأدق تعبيراً ، وقد يجعل الالفاظ تعني مولداً ، أو يسوق معناها المألوف أو يوسعه ، أو يراوح بينها على نحو جديد يعيد التأمل صورة طريقه،والتأمل متعة ، والتفكير مشقة ، والبحث عن المراد الذي لا ينقل الى الذهن بسهولة ، كد ، وأسهل من ذلك أن يميل القارىء — القارىء على العموم لا كل قارىء — الى كاتب لا يثقل ألفاظه بالمعاني ولا يحشوها بما يتعب الخاطر ولا يحوج الذهن الى التدبر والاستباط ، ومن هنا كانت المجلات الدورية — الشهرية مثلا — أقل شيوعاً وأمثل لذلك تأثيراً من الصحف اليومية ، لا أقل توحي كتاب النشر والتعريب وحملوا ذلك عرضهم

وأحد الناس عن الجماهير وأثرهم تأثيراً سيئاً في أدبهم هؤلاء الكتاب ، المفكرون ، لانهم يتأنون بنفوسهم وخواطرهم ، يسمون بها عن مستواها فيكون بعدهم عن مستواها لأزم فيها ، والمغناطيس يجذب برادة الحديد ، ولكن بين مغناطيس قوي جداً وبين قوة جذبه ، حتى اذا تجاوزت الطاقة ، بقيت البرادة متفككة متناثرة ، لا تتجمع ولا تلتصق ولا تخضع لقوة الجذب في ناحية المغناطيس ، وما دامت واسطة التفاهم الكبرى هي الالفاظ ، فستظل قدرة البعض على تحميلها أكثر من مألوف الجماهير ، سبباً في البعد بينهما الى حد ما ، وقدرة البعض الآخر على سوقها غير مخلة بأكثر مما درج الناس على انتظاره منها ، سبباً في التقرب والتفاهم وسهولة الايحاء والاستجابة

جرى هذا بالي وأنا أفكر في هذا وأحرار في بلادنا كرماء لصيقاء ، وقلت ما أسهل ما صرنا كذلك بعد أن نطق بها قائلها ، وروحتها الصحف وقررتها في النفوس . والعبارة ليس فيها كبير معنى أو صغير ، ولكني حاولت أن أصوغها في عبارة اخرى تكون لها مثل هذه السهولة والحرم وفيها ما حملت به من العبر والشعور بالذات وغير ذلك مما أفادها هذه الصيرورة — فحيرت ونفضت يدي يائساً وعدت الى البيت وأنا امقت لطبيعة الجماعات ولقوة الايحاء . وذكرت المتنبي والشريف الرضي ، وكثرة المعاني المشتركة بينهما واستئثار المتنبي مع ذلك بصيرورة الحكم وكثرة الأمثال للتداولة ولكن هذا مبحث آخر ارجو أن أوفق الى تناوله في مقال غير هذا .

ابراهيم عبد القادر المازني

مقام المرأة في المجتمع الغربي

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

اعتاد معظم الكتاب من شرقيين وغربيين أن ينعتوا هذا العصر الذي عقب الحرب بعصر المرأة

فقد منحت المرأة بعد الحرب في معظم بلاد العالم كل ما كانت تصبو اليه من حرية سياسية فأصبحت ناخبة ومنتخبة مثلها مثل الرجل ومحت قسطه من الحياة العامة الا التجنيد فهي ما تزال بمعزل عن حمل السلاح

على ان من ينعم النظر جيداً في هذه الظاهرة لا يلبث ان يعزو الامر الى ماقبل الحرب والى أسباب ليس للحرب فيها يد كبيرة . فاستقلال المرأة ليس للحرب فيه سبب مباشر ، بل يمتد الى مافي النظام الاجتماعي في أوربا وأميركا من دعائم قامت على الحاجة الاقتصادية

فلا يخفى ان الحياة الصناعية التي قلبت النظم الاقتصادية في الغرب رأساً على عقب رفعت مستوى المعيشة مبدأ الشعور بهذا الضغط الاقتصادي في الطبقة العاملة أولاً ثم أخذ يتسرب الى ما عداها من الطبقات الاجتماعية

هناك رب عائلة لم يعد عمله يكفي أن يقوم بأود نفسه وأود امرأته وأولاده فاضطرت المرأة أن تبذل له يد المعونة فخرجت تعمل بيدها وعقلها وكلما ازدادت الحاجة بازدياد المطامع في تحسين المعيشة ازداد معها عدد المرأة في سوق العمل وقد رأت نفسها تدر مالا يقل عن معونة الرجل — امرأة مستقلة

هذا هو الاصل في استقلال المرأة

وهو أمر طبيعي في كل الاحياء

فمن لم يعد عالة على غيره فهو مستقل لا شك في ذلك ولا نزاع

إن أول حجر وضع في بناء استقلال المرأة كان في استقلالها عنه اقتصادياً وكان في هذه المصانع التي بدأت تعمل فيها المرأة عملا وضيعاً أصبح الآن لا قوام له إلا بها

وهذا الاستقلال ولدته الحياة الصناعية في الغرب وهي حياة تقدمت الحرب بسنين ثم جاءت الحرب فدفعت بها أشواطاً الى الامام

لذلك كان ما جاءها بعد ذلك من الاعتراف بحقوقها السياسية أسوة بالرجل نتيجة محتمة لذلك الاستقلال الاقتصادي

فلا تخلط هذا بذاك

فلو لم تخرج المرأة الى ميدان العمل الاقتصادي لتكسب ما يكسبه الرجل بعقلها وبيدها لما تساوت به . فاعطاؤها الحق السياسي لا يكسبها شيئاً من المساواة الحقيقية . ان هو الا مظهر من مظاهر استقلالها الحقيقي الذي تم لها بسعيها معتمدة على العمل بحذاء الرجل

وليس الامر الا نتيجة معقولة للحضارة الغربية التي تأخذ بالحقائق الملموسة دون الظواهر الخداعة ألا ترى الى هذا الحق السياسي الذي اعطي للمرأة لو كان قد تم لها قبل المساواة الاقتصادية بالرجل أكان يبقى ساعة أو كانت تحس المرأة الاستطلاع بأعماله ؟ كلا

فكأن الاستقلال الاقتصادي مدة من الزمن تمضيها المرأة قبل أن يتسنى لها الاستمتاع بالحق السياسي ولا تعريك الالفاظ الخلابة بأن هذا حق طبيعي للمرء وذاك متاع مباح للكل فان كثيراً من هذه الحمل الرنانة لا تلبث أن تذوب أو ينقلب معناها اذا ما اصطدمت بمعترك الامر الواقع

يدهش الرجل الشرقي منا إذا زار أوربا وكان يسمع أن المرأة عندهم محل كل تبجيل ظاهري وتكريم

يدهش إذ يرى في قصور من ترى المرأة تمشي على بعض من حين فلا يراها ، والرجال من دونها قعود لا يخلون لها بمحافل

ويجب أن يظهر للمرء الرجل المؤثر فيتحمى عن سيده عدو سيده يسوقه الى عربة أو باب ملعب فلا يكسب حقد ولا خسر موضعه . قد حسب لكل هم الاهم وعرى يده ولكل لا تلبث المشاهدات ان ترده الى الحقيقة وهو انه في بلاد تساوى فيها الرجل بالمرأة مساواة تامة هذه احدى نتائجها فلن تجد مثل امرأة عربية الا بقدر هذا الفرض الضمني بأنك القوي تتلطف وتتكرم وانها الضعيف اللطيف يمنح ويدلل

بل ترى في الطرق وفي المعابد وفي الملاعب وعلى شواطىء البحار شخصين عازمين على مكافحة الحياة وعلى الاستمتاع بالحياة متزاحمين مرة متساندين مرة أخرى هما ذكر وأنثى وهذا كل ما بينهما من فارق

فالحرب العالمية التي أصعقت الرجل وقللت عدده والتي سمحت للمرأة أن تسرع فيما كانت قد بدأت به من السعي للعمل أسوة بالرجل ما عملت الا ان كرست هذا الجهاد واعطاه المرأة كل حقوق الرجل

فما معنى هذا الاستقلال النسائي وهل له من أثر طيب أو سيء على الحياة الاجتماعية يجب ـ للاجابة على هذا ـ ان نتجرد من كثير من اوهام الموروث والانانية الرجلية ندع جانباً البحث في استعباد الرجل للمرأة فيما سلف فهذا أمر مفروغ منه لم يعد له

مسوغ ولن تجد له أثراً الآن ، بل لتنظر الى العصر الذي تقدم أيامنا هذه ، ذلك العصر الذي جعل المرأة محل احترام وحب وتنحية عن العمل . ذلك عصر الفروسية

فكأن ميزة ذلك العصر كانت في تعذيب المرأة ووضعها هدفاً أعلى للحب وللجمال . ولكنه كان عصراً حالياً من التراحم التجاري وكاد يكون مقصوراً على الزراعة وما يليها

وقد بدل هذا العصر بعصور أخرى تلته اشتدت فيها الحاجة الاقتصادية واشتد فيها السعي للعمل فزالت الزراعة من أوربا أو كادت ولكن نظر ذلك العصر للمرأة بقي لم يتغير لأنه نظر لديد للرجل في موضع كبريائه وأنانيته وعبيديته في الحب وفي الحنان ولديد للمرأة اذ يضعها موضعاً لم يكن بالحقيقة مساوياً للرجل بل فوقه

ولكن أوربا قارة احتضنها الطبيعة بشكل جغرافي ـ سواء أكان في بحارها أم جبالها أم جوها ـ جعل سكانها أهل كفاح وجهاد وسعي دائم لا يكل من أهم طواهره هذه الحروب التي لا يشبعون منها ولا يتحمون فحلها تتغير وتتبدل وتتحول الى ان ظهرت المرأة عاملة فزلت من عالم الخيال وهبطت الى عالم الحقيقة . والحقيقة هي ان تتساوى بالرجل في الواجب وبالتالي في الحقوق

اذن ليست هذه [illegible] ولا هذه هي ضرورة اجتماعية يجب ان ينظر اليها بعين مجردة من الوهم . وقد أدركت المرأة الغربية ذلك الآن فزاحمت الرجل في المدرسة وفي الحقل وفي المصنع وفي الحانوت لا يطلب منها [illegible] كما كانت تطلب في سالف العصور ـ ولا تعمل نزولاً بل مساواة تامة وكل عقد [illegible] عن ذلك فهو باطل ولم يعقد

* * *

قلنا بوجوب التجرد عن الأوهام وعن الخلق الموروث في النظر الى هذا الأمر

ذلك ان عدداً لا يستهان به من الرجال لا يريد أن يرى في المرأة الا مثال جمال وحب . ولا يستطيع صبراً على حرمان المرأة مما كان لها من أنوثة محمومة أو حنونة لذيذة

كما ان الأثرة التي تلقاها عن آبائه المذكور منذ سالف الدهر تأبى عليه أخلاق الحرية فلا بد على ان لكل زمان فلسفة ولكل عصر معيار للجمال بل معيار للأخلاق

فمساواة الرجل بالمرأة في الحياة ضرورة اجتماعية محتمة شاء الرجل أم أبى

وسيتبع هذه الضرورة تكييف في نظرنا الى الجمال ، فسوف يستاء الرجولة في المرأة وسوف يستاء النشاط والخفة والرياضة البدنية معياراً للحسن في الفتاة

وسوف يستاء حب امرأة لها مالنا وعليها ما علينا مضمها على أخرى حبها الامتداد في ناحية من المنزل

بل الى نظرنا الى ما يطلق عليه اسم حسن السلوك والاخلاق سيتغير ونعتاد ان نتطر الى جوهر الامر لا الى شكله

ولامرأة حرة تتصرف على ارادتها ، خير من مقيدة تعبث بها أهواء الرجل قائدة الرأي مكفوفة النظر

على ان كل ما يعدم يسري على المرأة الغربية أما امرأتنا الشرقية فلم تجربها الحياة الآلية الاقتصادية الى الخروج الى ميدان العمل بعد وليست محرومة من حقوق كانت أختها الغربية محرومة منها حتى الآن

فسبيلها الى التمتع بكل ما للرجل من حقوق وما عليه من واجبات يجب أن يكون سبيلاً بطيئاً تمهده الضرورة وسبباً له التعليم والتهذيب وهذا — والحمد لله — ما نشاهده في البلاد الآن

سامي الجريديني

أمثال وحكم غربية

ف — لفين الذي عدته أفضل من الكثير الذي عده غيره (عصفور في اليد ولا عشرة على الشجرة)

ا — لا قيمة للراحة التي لا تكتسب بالتعب

ا — لا يرعث ما يصيب من الملاذ فلا بد أن يجيء يوم

ا — لا تربية مثل تربية المصائب (يعني التجارب حلوة كانت او مرة حتى ولو فوق تربية الاب)

ا — لا تقل عن سنك شراً حتى تتصرم

ف — سعادة الحياة هي التي تجلب مجد الممات

ا — قليون لهم كل ما يحتاجون اليه وليس لاحد كل ما يشتهي

ف — اذا لم تشته شيئاً فلسوف تشتهي الموت

ا — الوطن أفضل كل مكان مهما يكن حقيراً

ف — ليس للقلب عضون وتجاعيد

ف — العيون شبابيك تتفتح على النفس

ا — علمك ايها الجاهل حلوة واسعه في سبيل المعرفة

ا — لا تشرب شيئاً من غير ان تراه ولا تمس شيئاً من غير ان تقرأه

ا — ما كان العمل الشريف بالسهل يوماً

ا — كل انسان فهو مهندس بناء مصيره

طريق النجاح

آراء بعض العظماء الاميركيين

سئل بعض عظماء الاميركيين عن آرائهم في النجاح والسبل التي تؤدي اليه فاجابوا عما يلي نقدمه الى قرائنا من الشبان الذين يستعدون للخروج الى العالم والشروع في الاعمال المختلفة لعلهم يجدون فيه هاديا لهم ومشجعاً على الدأب والسعي . ونوجه الانظار على الخصوص الى ما يقوله بهذا الصدد المستر تفت أحد رؤساء الجمهورية الاميركية سابقاً

المستر شوب

رئيس شركة صلب بيت لهم في نيويورك

اذا سألني شاب يعمل في صناعة او تجارة ما ان أشير عليه بمشورة او انصح له بنصيحة قلت :

« لا تحف ان تصر صحتك او تعطي الشركة التي تدفع اليك مرتبك بعض ساعات علاوة على المطلوب منك ، وكن متفانياً كل عملك مهما تكن حقيراً او مهما تكن كارهاً له

« ان الذي يعد نفسه ويتدرب على أن يكون في بعض عالمه مقدوراً له يعمل . وانما ينجح الرجل في الاعمال التي يقوم بها حين يبدأ حقيراً ويتدرج بها الى مراتب عالية بشرط ان يفكر فيها أكثر من الذين يعملون معه . ان الذي يحس بكيفية تقدم وتحسن مؤسسته يعمل ، فلن يطلب منه ان يعمل عملاً كبيراً

« ان رؤساء الاعمال لا يعتنون عن أن يبحثوا عن الادمغة الحية و عن الامانة المخلصة . والادمغة تزداد لاتحاد مشورة عدد من يعملون رؤوس

« وعندي ان خير ما يعمله الشاب الحديث العهد بالاعمال ان يقف كل وقته وهمته على العمل بلا ملل »

ادوارد بلمر

رئيس شركة بلمر اخوان في شيكاغو

كل رجل هو ذو حرارة أحياناً ـ هذه تدوم حرارته ٣٠ دقيقة ، وذاك ٣٠ يوماً ولكن الذي تدوم حرارته ٣٠ سنة هو الذي يفلح في عمله

وليام هوبس

مدير شركة الضمان الوطنية في نيويورك

هذه هي وصفتي للفلاح في الاعمال :

(١) الفلاح لا يشتري
(٢) ولا يوجد
(٣) ولا يسرق
(٤) ولا يؤخذ هدية
(٥) ولا يورث

وله سكة سلطانية واحدة وهي :

اعمل عملك على منوال تفوق به كل من عمل مثله قبلك ، وحاول ان تفوق به كل من يأتي بعدك

برونه

رئيس احدى الشركات الكبرى في مونتريال

ان العامل الامين الذي حمل « الحركة الدائمة » شعاراً له والذي يؤمن بشرف العمل — هذا العامل يتشجع باحسار العاملين الساهرين ويستخدمها في حل مسائل الحاضر الحي ، وهو ينمي في نفسه أخلاقا عالية ويكون على احترام الآخرين ويحسن التعاون والتعلم للمستقبل في سبيل النجاح التام والاستقلال الذي لا يحسده عليه حاسد

نورثر بابلك

في كليفورنيا

يحسن بالذين يفكرون ان يغيروا فكارهم ان يعملوا ان ينموها بطبيعه ، ويحسن بالذين لا يفكرون ان يغيروا مرتب ميولهم كل حين من العمر

ان الامانة والاستقامة تدعان رباحاً اكثر من الخطط الموحية ، والتعليم لا يسع على أحد قوة جديدة وانما يمرن قوى الفطرة على السير في مجار طبيعية وناجعة لتكون سيرة العمر ناجحة وسعيدة فلا يلمع زرع الحياة او يحصد وطأ قبلما يثمر الفكر والخبرة ثمارها الصالحة ويؤتيان أكلهما

هنري مكسيم

في نيوجرسي

الطبيعة تثيب النافع والذي يخدم الغير يخدم نفسه

نحن ننمو ماديا على ما نأكل ، ونمو عقلياً وماديا على ما نعمل . وكلما كبر الشيء الذي نعمله ننمو نحن معه

انما الحياة احد ورد بين الفرد والعوامل المحيطه به . وكل فرد فلا بد ان يسمو عقلا وجسما تبعاً لذلك الاخذ وذلك الرد

صدقوني ان لا نصيحة يمكن أن تبث في حمس كلمة احسن من حكمة الكون دولي في كتابه « خراب الملك » قال :

« كل حكمة وكل كمال وكل شريعة وكل فضيلة وكل فلسفة ، تقوم بتعيد الاوليات والدلائل المؤسسة على نظامنا وهي : « احفظ نفسك . علم نفسك . اعتمد . عش لاجلك وطنك لكي يعيشوا لك »

كولفاله دوبرنت

اذا شئت ان تنجح في الحياة فاعمل بالقواعد الآتية :

قف دائماً بلا خالق

كن في عملك قبلما يمضي في الصفارة

لا تقف في عملك بعد النفخ في الصفارة حتى تصل الى وقف

اذا شرعت في عمل فوجه جميع [illegible] الله حتى تنهي على تمام

واعمل مثل ذلك في امتك

عد قليلاً وأفكر ما بعد

[illegible] لم تحب عملك فلا تم [illegible] لان الله [illegible] لك

كن امينا على الدوام ولو الفيسة خاصاً

قبلما تشرع في عمل افكر اولا وثانياً

لا توجد السعادة في مكان ما لانها حالة من حالات النفس

ستوارت

رئيس احدى الشركات الكبرى

اذ كان امرؤ سعيداً في بيته فهو سعيد في عمله والسعادة سبيل النجاح

اذ أطال المرء فكره قبل العمل ، صبح نظره الى الاشياء العادية اكثر قيمة للحمية الانسانية واذا فكر تماما عقلياً

فشر بلت الغني

في نيويورك

عدم الثقة والجهل يبيتان في فراش واحد متعاديين متصارعين . فاذا كان المرء ذا ثقة في عمل اقدم فيه ولكن اذا عدم الثقة فخير له الا يقدم على عمل لان الثقة بنت البصيرة والعلم . قال لي مرة

رجل من اعظم اقطاب العمل : «ان من اعظم الامور عائدة و نفعاً على الاعمال في اميركا وعلى سلام النفس والعقل ان توسع الحقائق موضع الاشاعات لأن العمل الطيب هو احلال العلم محل الحدس »

جورج بلكر

ضع في عمل كل يوم احسن ابتكاراتك تما يعوق جهد الذين ليس لهم قصدك وبعد نظرك . فانك اذا صلت ذلك جاءتك السعادة وجاءك الرضا والانبساط من طريق انك اضفت شيئاً من الجميل والنافع الى ذخيرة العالم منهما . وهذا يكفيك

وليام تفت

رئيس المحكمة العليا الاميركية وأحد رؤساء الجمهورية سابقاً

لم يمر زمن في تاريخ الصناعة والتجارة مثل هذا الزمن من حيث سرعة اهتداء ارباب الاعمال الى الذين يحبون العمل حقاً وحسن تقديرهم لهم وترفيههم اياهم . ولهذا سبب هو ان كثيراً من الشبان يتطلعون الى الاعمال الحسنة والمراكز الناجحة حيث الراتب كبير والعمل صغير . وهم يفكرون في راتبهم لا في العمل الذي يؤديه مقابله . وهذه روح سقيمة عليهم . والعمل اعظم منحة منحها الانسان ولو عاش بغير عمل لكان عبئاً على وجه الارض وحضوره غير ممكن

والعمل ينطوي على معاونة [illegible] والاسراف في الفرح واللهو ويمرن امره على امتلاك نفسه ويمكن فيه عامله من العمل حتى عليه يحمله على مراعاته وسعادته

وكل نجاح دائم انما متوقف على العمل . فقد عرفت عدداً من الشبان الموصوفين بالجمال والحادية والادب الرائع والفصاحة وحسن البشر . وكان كل شيء يبشر بانهم سيكونون قادة للناس ، فمضت الايام ولم يتقدموا ، في حين ان غيرهم من الشبان الذين كانوا مهملين ايام كانت اسماؤهم على كل شفة ولسان ظهروا وتقدموا ومروا بهم وتركوهم خلفهم مقصرين . فلماذا هذا ؟

ذلك بانهم اتكلوا على مزاياهم الطبيعية فوقفوا ، والعمل الشاق لازم لمشاة الايام وقضاء مطالبها وحاجاتها ومطالب الاجتماع والاعمال والحرف وسائر ضروب النشاط الانساني وهي كل يوم في شان

ان الرجل اذا كان متوسط العقل ولكنه ذو امتلاك لنفسه وله غرض محدود يسعى اليه وبصيرة صافية يرى بها كيف يبلغ غرضه . وله فوق ذلك قدرة على التطبيق والعمل — ذلك الرجل هو الذي يفوز في النهاية

أعجوبة مدائن القرن العشرين

هوليوود عاصمة السينما

بين حين وآخر يطلع علينا الصحف على اختلاف أنواعها بما تحدثها من أخبار وما تحدث من حوادث . حتى أن الطفل الصغير الذي لم تتعد معارفه الجغرافية حدود البلد الذي يعيش فيه ، إذا سألته هل عرف شيئاً عن هوليوود ؟ أجابك في الحال « وكيف لا . . أليست تأتينا منها أفلام شارلي شابلن ودوجلاس فيربنكس وماري بيكفورد ؟ » فإذا سألته عن موقعها ولم يكن يعرف ذلك بالضبط ، فليس أقل من أن يحدثك « انها بقعة أميركية لطيفة »

من هذا يمكنك أن تعرف مقدار الشهرة التي نالتها « هوليوود » الآن . ولعلنا في ذلك راجع بالطبع الى ما في السينما . فلولا ان أرباحها وأقطابها كانوا يبحثون عن بقعة يتخذونها وسطاً تلتم على شرط أن تمتاز عن غيرها من البلدان بوفرة ضوئها واعتدال طقسها وجودة هوائها وكثرة مناظرها الطبيعية ورخاء أرجائها ، لولا ذلك كله لبقيت « هوليوود » كما كانت . . ضاحية مهجورة من ضواحي « لوس انجليس »

فانظر الفرق الشاسع بين « هوليوود » كما كانت بالأمس وكما هي اليوم . كانت ضاحية مجهولة لا يكاد يعرفها سكان أقرب بقعة الى لوس انجليس . فأصبحت بقعة مشهورة يعرفها سكان العالم قاطبة .

كانت بعيدة عن المدينة بعشرة ، فإذا بها اليوم موطد للعصمة والنهية . كانت لا يسكنها من الناس إلا عدد قليل . فإذا هي اليوم [illegible] وكانت خالية إلا أكواخ خشبية متداعية فإذا بها اليوم من العمائر بحيث [illegible] تجري عليه عربات تجرها خيول ، ولكن الآن [illegible] تجري عليه عربات تجرها قوة الكهرباء ، فضلا عن السيارات التي تملأ [illegible] وكانت . . ثم أصبحت . . وأصبحت وكلها فخر انها « هوليوود » التي يعرفها العالم أجمع ، والتي تخلق فوق ربوعها روح كل ذي أمل عظيم ، روح كل طامح الى المجد والخلد ، والشهرة والثروة

• • •

مساكنها ومساكنها

وإذا كنا نقول إن « هوليوود » ضاحية من ضواحي « لوس انجليس » فليس هذا معناه انها كغيرها من ضواحي البلدان . . قرية صغيرة كما قد يتصور البعض ، كلا . . فهي مدينة واسعة النطاق يعيش بها خمسة وعشرون ميلا مربعاً

هناك في تلك المدينة السحرية يقيم مشاهير كواكب السينما في قصورهم الفاخرة التي تشيد معظمها على الطراز الاسباني . فهي إذن ليست — كما قد يتخيل البعض — قصوراً عالية تتطاول السحب بها ، كلا . . فهي من البساطة بحيث لا يريد ارتفاع الواحد منها عن طابقين يعلوهما سقف من القرميد . وأما

الجدران فهي مصنوعة من الخشب الرتقالي اللون . وأما الغرف الداخلية فهي منسقة تنسيقاً بديعاً ازدانت جدرانها بالمرشومات الجميلة التي تدل اختيارها على سلامة في الذوق وبعد عن مظاهر الفخفخة الكاذبة . وتزيد منظر القصر من الخارج بهاء وبهجة، روحة خضراء، ملأى بأشجار النخيل، تحيط به إحاطة السوار بالمعصم

ويشد بعض الكواكب في تشييد مساكنهم ، بحيث إذا دخلتها تشعر كأنك في بلدة أخرى غير « هوليوود » ، فقد شيدت بورد تالمدج منزلها الواقع على ساحل الباسفيك على الطراز العربي وشيد حوله حديقة منزله فوق قمة تل على طراز منازل رعاة الأقطار . وقد أطلق عليه اسم « عش النسر » لأنه واقع في أعلى جبل في « بيفرلي هلز » بحيث يمكن للشاهد أن يرى « هوليوود » كلها ممتدة تحت ناظريه . وقد شيد المأسوف عليه فرد تومسون منزله على الطراز المغربي ، وقد باعته روحه فرانسز ماريون الكاتبة السينمائية الشهيرة بعد وفاة زوجها بأيام قلائل

وينصل معظم كواكب السينما في « هوليوود » ، المعيشة وسط المزارع والتلال القريبة من ساحل المحيط فمنك ترى في « بيفرلي هيلز » منازل كوربي جريفث ، وصامويل جولدوين ، وجلوريا سوانسون ، وانتونيو مورينو . . الخ

منظر ستوديو جريفرسان ، وهو محور تكتل ما يقوم لصناعة المناظر السينمائية من عمارة وحدادة وغيرهما

وفضلا عن المساكن العديدة التي شيدها مشاهير الكواكب ، فهناك أيضا فنادق عديدة يسكنها صغار الممثلين الذين لا يستطيعون أجورهم على اقتناء القصور . ولعل أشهرها الفندق المعروف باسم « الأوتيل القديم » ، ثم فندق شد في هوليوود . وقد كان يسكنه شارلي شابلن وتوم ميكس وليليان جيش وغيرهم قبل أن يبلغوا شهرتهم الحالية

ثم هناك من الفنادق ما يتوفر فيه كل شروط الراحة والرفاهة . نذكر من بينها فندق « بلازا أوبل » الذي يبعد ارتفاعه إثني عشر طابقا . وهو يطل على شارع « هوليوود بوليفارد »

وأعجب ما في هوليوود من المساكن « مدينة النجوم » الواقعة في الجنوب . هناك تمتد هذه المدينة الصغيرة بمساكنها الواطئة التي لا يزيد ارتفاع كل منها عن طابق واحد . فكأنها قطعة سندسي رسمت في نواحيها مساكن صغيرة بيضاء اللون حولها مروج خضراء . إذا ما ارتحت عينك لهذه المناظر الصغيرة جذبت أنظارك عظمة من المباني رائعة تلذ الأعين وتسحر الأفئدة . وهذه المساكن الصغيرة « للنجوم » يقطنها كبار الممثلين أمثال شارلي ودوجلاس وبلمندو وبارمور . وهم لا يستعملونها للسكنى فحسب ، بل يستعملونها أيضا لتغيير الملابس التي يرتدونها أثناء تمثيل رواياتهم ، ولعمل المكياج واللوليت اللازم للوقوف أمام « الكميرا » آلة التصوير ومدينة « النجوم » هذه واقعة خلف مصورات « يونيفرسل » التي تجذب إليها كثيرا من أنظار السياح الذين يقصدون إلى « هوليوود » كل عام لرؤية كواكبها

وبنت « هوليوود » مصورة على شكل الممثلين ومن إليهم من مشتغلين بهذا الفن . فهناك أصحاب صناعات أخرى يسكنون في هذه المدينة ، مصورون للنجوم ليلتقطوا لهم كل آن وحين . ويمكننا أن نطلق على « هوليوود » اسم « عاصمة الممثلين » فهناك تجد ممثلين من الأمريكي ، الانجليزي والفرنسي والألماني والايطالي والاسباني والمكسيكي والصيني والهندي وغيرهم كل له عمل يؤديه ، وكل له قسط في ذلك المجهود الفني الذي تشتهر به هوليوود

* * *

طبيعتها

وإذا تكلمنا عن « هوليوود » من الوجهة الطبيعية ، فإنا نقول إن مناخها من أهم العناصر التي تساعد على إخراج الأشرطة دون أي صعوبة يلاقيها المخرجون أثناء تأدية وظائفهم . فهناك تؤخذ مناظر كثيرة تحت سماء هوليوود ذات الشمس الوضاءة ، وهناك تكون الجو دافئا حتى في أواسط فصل الشتاء

هذا من جهة المناخ ، وأما من جهة المناظر الطبيعية فحدث عنها ولا حرج . هناك السر الذي جعل المخرجين يفضلونها على غيرها من البلدان لإخراج أشرطتهم ، فإنه فضلا عن وفرة المناظر الطبيعية وفسحة الأرجاء ، فإن الجهات المحيطة بها تمتاز أيضا بكثرة المناظر التي تتسع عن البصر إلى أقاصي أطراف المصورة

في الإمكان أن تترك أي « ستوديو » في هوليوود في الساعة السادسة مساءا ، ولا تمضي ساعة ونصف حتى تجد نفسك في مزرعة فسيحة لا تقل مساحتها عن ١٧٠٠٠ فدان . وفي مدة

أربع ساعات تجد نفسك وسط سلسلة جبال شاهقة ترى كثيراً على الستار الفضي في روايات رعاة الاقمار. وفي ظرف يوم ونصف يمكن الوصول الى مكان منطقي الثلوج يؤجد فيه الكثير من المناظر الثلجية. وفي مدة ثلاثة أرباع ساعة يجد الانسان نفسه على ساحل المحيط الباسيفيكي. وفي مدة ثلاث ساعات يصل الى صحراء واسعة استخدمت كثيراً في تصوير الروايات الصحراوية. وفي ظرف ساعة يمكن الوصول الى مياه بحري كبير جداً من موانىء الولايات المتحدة من حيث كثرتها وسهولة الملاحة بها. وإذا احتاج المخرج إلى حرية لتصوير بعض مناظر تقع حوادثها في إحدى حرر المحيط، يقرره « كاتالينا آيلند » توفر عليهم مشقة الانتقال

أمام هذا كله تجد « هوليوود » أعني مدى العالم بوفرة مناظرها الواقعة داخل تخومها، والمحيطة بها. ولا غالٍ إذا قلنا إن « هوليوود » هي العالم أجمع. وان العالم يوجد في « هوليوود »

* * *

صناعاتها

ان أول ما يتبادر إلى الذهن اذا ما أردنا أن نتكلم عن صناعات هوليوود، هو أن هذه المدينة ليس فيها من الصناعات غير صناعة السينما. ولكن الواقع غير ذلك، فهناك صناعات أخرى سنتكلم عنها بعد ان نتحدث الى القارىء عن صناعة السينما فهي الاولى بين صناعات « هوليوود »

هناك يهتمون بصناعة السينما اهتماماً عظيماً يأخذ عليهم كل مشاعرهم، فلا تكاد تخطو خطوة إلا وتجد شيئاً يشعرك بسلطان هذا الفن وعظمته. ترى هنا داراً من دور التصوير قامت فيها الحركة على قدم وساق، وترى هناك جماعة من الممثلين وقوفاً في أحد الشوارع يمثلون منظراً من المناظر

ولمامهم المصورون يختارون مناظرهم من جهات مختلفة . وفي مكان آخر نرى عدة ستارات بعض منها من الممثلين والمخرجين والمصورين وهي اليوم ، عرفة الشوارع فاتنة أحد تلك الحيدة التمثيل

واذا دخلت أحد « الستوديوات » ليلا لا تكاد تجد هناك في ليل حقيقة أو في نهار وأنت داخل ؟ فالأنوار الصناعية التي يستعملونها أثناء التصوير ليلا ، لها من القوة ما يجعل من الليل النهار راهنا . ومن الظلام الدامس نورا مختلف الاعصار

والستوديوات التي تضع فيها أشرطة السينما في « هوليوود » لا يعف حصرها عند حد . لا رأها العين في الشوارع والمحيات ، كلا . فما أكثر وجودها فيها هناك ، فهي كلها واقعة خارج « هوليوود » وعلى بعد أميال منها . ترها قائمة كأنها الروح الشيدة تشيد معظمه في السينما ومعرلته بين الفنون والصناعات

فهو أنك قمت من « هوليوود بوليفارد » وأردت أن تقصد « ستوديو يونيفرسال » — وهو من أكبر وأعظم مصورات هوليوود — لوجدت أمامك نحو خمسة أميال تقطعها شمالا للوصول الى هناك . وقد تعجب إذا قلنا إن هذا الستوديو ، أو هذه المدينة الصغيرة أصح ، لها محطتها الخاص ومكتب البريد وعدة للبوليس ورجال المطافيء ومزرعة لتربية الحيوانات وعلى بعد أميال قلائل من مدينة يونيفرسال تجد « ستوديو فوكس هيلس » وهو من أقدم وأحدث مصورات هوليوود وأكثرها تناسبا للاشراطة . وفي جهة الجنوب من هوليوود ، وعلى بعد بضعة أميال منها تجد « كالفرسيتي » . هناك ترى « ستوديو مترو جولدوين ماير » — وهو مدينة صغيرة قائمة بذاتها . وعلى مقربة منه « ستوديو بارامونت » و « مال رونش »

وعلى بعد أميال من « بوفي الجنس » ترى « ستوديو وارنر بروس » . وعلى مقربة منه ستوديو شارلي شابلن ، وستوديو كلمبيا وفوكس ، وستوديو هارولد لويد ، وستوديو يونيفرسل حيث تخرج أشرطة بورد وكوسمنس ماكبوج وجون باريمور وجلوريا سوانسون وغيرهم من مشاهير الممثلين أصحاب الثروات الطائلة ثم ترى أيضا « ستوديو فوكس فيم » ، وهو واقع على جانبي « وسترن افنيو » عند تقاطعه بشارع « سانسيت بوليفارد » . وفي الجهة الواقعة بين شارعي « هوليوود بوليفارد » و « سانسيت بوليفارد » يقع « ستوديو بارامونت » المعروف باسم « فيمس بلايرز لاسكي »

وفي الجهة الشرقية الواقعة خارج هوليوود يقع مصور « ملك سينت » حيث تمثل معظم أشرطة فتات النهار . اذ أن هذا الستوديو متخصص في اخراج هذا النوع من الاشرطة وغير ذلك من الستوديوات التي نترك للقارىء اكتشافها في الخريطة الموضوعة هنا ، فيها ما يعي عن الوصف والكلام

ولا ننسى في هذا المقام أن نأتي على ذكر « مكتب الوظائف السينمية » ، فان هذا المكتب أو بعبارة أخرى هذه المصلحة الكبرى ، تمد شركات السينما عن تطلبهم من ممثلين وممثلات ومن اليهم . في سجلاتها تجد آلاف الوافدين الى هوليوود من رجال ونساء وأطفال على أمل الاشتغال

بالسيف . وإن الشاهد ليرى أمام هذه الدار صفوف متراصة من النساء والرجال كل ينتظر دوره للمثول عن عمل له . وكم من آمال حطمت هنا ، وكم من أقدام خيبت ، وكم من ضحايا راحت فداء فن السينما ، وكم من مآس ومحن ، وكم من عري وفلس ، وكم . . وكم . . كل ذلك في سبيل الاشتغال بصناعة السينما التي أصبح دون منال مركز فيها خرط القتاد

* * *

مناظرها وممثليها

وبخلف صناعة السينما وما تتصل بها من صناعات ، توجد في هوليوود مناظر وملاهي يضيق عن حصرها المقام . ولنطرق « هوليوود بولفارد » هيبة لنرى ما فيه من مشاهد وما يجري فيه من حوادث ، فهو أعظم شوارع هوليوود حركة وأكثرها ملاهي ومناظر

نرى في الجانب الشمالي من هذا الشارع ، مطعم « هنري رستورانت » الذي كان شارلي شابلن يعتمد عليه من حسابه الخاص ثم تركه لرجل أمامي ما زال يديره حتى الآن . يقصد هذا المطعم معظم كواكب هوليوود ، كلهم يحب مديره « هنري برجمان » ، فهو رجل محبب ونشيط يفتح مطعمه نهاراً وليلا وما أكثر ما تكون الحركة فيه عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل . في هذه الساعة يذهب الى هناك كثيرون من ممثلي السينما وكبرائها وشهدائها يتناولون السندوتش التركي والقهوة التركية اللذين اشتهر في صنعهما « برجمان » ، وقد صور هذا المطعم في كثير من روايات شارلي شابلن . وعلى مقربة من مطعم هنري ، نرى أكبر مصرف في هوليوود وقد ظهر أيضاً في كثير من روايات السينما التي ظهر فيها بولفارد . وأمام هذا المصرف منحر لبيع الأحذية والجوارب ، وعلى مقربة منه محوث للحلاقة هذه كوافير هوليوود وغيره من الحوانيت

وفي الجهة الجنوبية من بولفارد ، نرى دار « سيما حرومان المصرية » . وهي من أعظم دور السينما في هوليوود وأحدثها تنميقاً وتزييناً . وصاحبها مؤسسها « سيد حرومان » على الطراز المصري القديم ، كل مستخدميها يرتدون الملابس المصرية القديمة . فالداخل الى هذه الدار يشعر كأنه رجع الى الوراء آلاف السنين ، اذ يجد حوله عاملاً بكل ما هو مصري قديم ، أو سيارة أجرة يشعر كأن الفراعنة بعثوا من جديد في هوليوود ، فأصبح يعاشرهم ويشاركهم في همومهم وطربهم

وعلى مقربة من ستارو حرومان « نرى » مقهى بولنه » الذي يتردد اليه ممثلو الملابس تلابسهم التمثيلية ، لتناول الغداء على مقربة منه « مقهى موغارتز » ، وهو أشهر وأعظم مقاهي هوليوود . يتردد اليه مشاهير الكواكب لتناول الغداء وإقامة الحفلات . الحركة في هذا المقهى تفوق غيرها نشاطاً ، حتى أن الداخل اليه يصعب عليه الحصول على مكان فيه اذا لم يحجز قبل ذلك بليلة أو ليلتين

وعلى مقربة من الموغارتز « تياترو الكاميو » الذي تمثل فيه الفرق المسرحية التي تزور هوليوود . وبالقرب من هذا الستارو دار « سيما حرومان الصينية » . وهي دار جديدة بناها حرومان على الطراز الصيني وهي واقعة على مقربة من « هوليوود أوتيل القديم » الذي ذكرناه في أول هذا المقال

وهناك مناظر متحركة تمثل السينما وعاجزون متلاكمها أمام نظار ، مثلا لذلك « بدء فلوجرا » شقيقة « فولا دانا » فهي تدير معهداً للتجارب يحضره للتطربة كثيرات من ممثلات هوليوود . وأيما كاتلين كلبورد ، فهي تملك عدة حوانيت لبيع الأزهار . وعلى الرغم من أنها تبعها بأسعار غالية فان الاقبال على حوانيتها يفوق حد الوصف . و « هانلي حوردون » يدير متجراً لبيع الحوارب . و « مارين دجيز » تملك حانوتاً لبيع الملابس . و . . . و الخ

وليس ذلك كل ما في هوليوود من مناظر وملاهي ، فهناك مئات منها يضيق المقام عن سردها ويكفي أن نقول إن الحركة فيها تفوق ما نراه في أعظم مدائن العالم كنيويورك وباريس ولندن وبرلين وما اليها من العواصم الشهيرة

* * *

وارداتها وصادراتها

بلاد العالم كلها تعامل سينما بمصر ، فقدر ما تأخذ هذه من تلك ، يجب على الثانية أن تأخذ من الاولى مقداراً يحفظ التسوية بينهما . ولكن هوليوود تمتاز عن بلاد العالم أجمع بأنها قد تأخذ ولا تأخذ أيضاً ، ولكنها تعطي على الدوام فيما لا يصدر إليها شيء من مصر مثلا ، ترى هذه ترد إليها كل عام مئات من الروايات السينمائية التي تصنع هناك وهكذا عرفت هوليوود كيف تجعل العالم أجمع يخاطبها في مصنعها دون أن تضطر هي الى أن تخاطب العالم إلا من حيث توريع أشرطتها عليه

منظر لاحد الحوانيت الخارجية لستوديو فوكس الحديث المخصص لصنع الافلام الناطقة . وقد روعت حول السور الخارجي حديقة صغيرة تمثل مسارح المناظر الناطقة بعيدة عن الضوضاء

منظر من السودو ويبدو في الوسط هوليوود وترى على بعد السودو

وما نعرف شيئاً عن [illegible] وقد تكون هوليوود شوربة حاجتها واوزارها من [illegible] فان كان هوليوود [illegible] فهذا الفضل راجع الى تشجيعها الصناعات الامريكية وهو ما يجب [illegible] وبعد أن تكاثرا أقبلت على المصنوعات الاميركية حرباً طاحنة [illegible] فاشترته أميركا ما زالت تقبض عليها كالسيف الحاد في [illegible] مع أنها — أي الفضة — ظلت لآلاف مكانة لا بأس بها في احراج الاشرفة من [illegible] وقوة الاحراج واتقان التمثيل

وما صح أن يعامل الانسان من حيث انتقاله من بلد الى آخر، بان تقول عنه انه وارد أكثر أو صادر أميركا، فان هوليوود وقد تعوقت على غيرها من البلاد في توريد الممثلين والمخرجين وغيرهم من الفنانين دون تصورهم، فانه لا يمضي عام دون أن يكون بين واردائها نفر كثيرون من هؤلاء ممارون بانهم خلاصة المشتغلين بهذا الفن في الخارج فهي تغريهم بمرتبات الصحة والرواتب الضخمة الرنانة فلا يلبثون حتى يهجروا بلادهم الى هوليوود سعياً وراء المال والشهرة. وهوليوود بدورها تستميلهم وتستغل مواهبهم التي قلما يوجد مثلها لدى الاميركيين

* * *

هذه هي هوليوود أعجوبة هذا القرن العشرين. وهي فضلاً عن أنها أغنى بلاد العالم طراً أكثرها [illegible] وأعظمها ثروة وغنى. فهي بكنهها الاسرار من كل جنس. وتلؤها الناس من كل حدب. وقد [illegible] من ذلك كله. ليس هناك من محجم عن الذهاب اليها او استطلاع الى ذلك سبيلاً

السيد محمد جمعة

مثال البذل والجهاد : محمد بك فريد

رئيس الحزب الوطني

(بمناسبة مرور عشر سنوات على وفاته)

كان رزء الامة المصرية بفقد زعيمها الكبير محمد بك فريد الذي راح ضحية جهاده طول حياته من أكرم ما ارتضت له أرجاؤها ، واهترت لشدته نفوس أبنائها ، لما عرف عنه رحمه الله من بذل وتضحية في سبيل أمته التي وهب نفسه وماله فداء لها ، ورد من أوج الارستقراطية التي تربى فيها الى ساحة الجهاد حباً في بلاده ، وعزاءاً لضمائر عم الله كم تقسى فيه من عنت واعنات لم يؤثروا في عقيدته ، ولم يزعزعوا من وطنيته منذ دفع بنفسه في ميدان السياسة الى ان غادره شهيداً ، فكان موته خسارة عظيمة ، وكارثة وطنية كبيرة ، أصابت البلاد من أقصاها الى أقصاها

وقد وجدنا فرصاً علينا أن نقدم للقراء هذه المعلومات الصافية عن نشأته وجهاده في سبيل القضية الوطنية بمناسبة مرور عشر سنوات على وفاته . ونحن على يقين أننا لو استوفيناها كلها لاحتجنا في ذلك الى كتاب ضخم ، ولكن فيما نورده هنا كفاية تفيد الذين يعنون بآثار زعماء النهضة الحاضرة ، وما انطوى عليه تاريخهم من عبر وأمثلة عليا

نشأته وكيف اشتغل بالسياسة

محمد بك فريد هو ابن أحمد فريد باشا الذي كان ناظراً للبحر ، وقد ولد في سنة ١٨٦٨ ، وحاز شهادة الحقوق سنة ١٨٨٧ وكانت أسرته من الاسر الارستقراطية عظيمة مكانتها ومركزها ، وما لها من جاه ونفوذ . ولا نظن بنو ، بشيء عن الحديث عن هذه الاسرة فرد ، فيتنزل أبهة الجاه ، ونعيم الثراء ، ويبرز لنا سمو النفس وعلو الهمة في سلكه . ولكن فريداً الذي عرف مصطفى كامل باشا وهو يتردد في مدرسة الحقوق ، وكان أول الناصرين له والداعين لمبدئه لم يجد غضاضة على نفسه أن يضحي بنعيم الجاه والمال راحة لداعي وطنه الذي قلّ ناصروه ، واستظل على هضم حقوقه غاصبوه ، فناصر مصطفى كامل وكان اليد المساعدة له

غير انه لما أتم دراسته في مدرسة الحقوق اضطر الى الابتعاد عن السياسة تعلقاً ظاهرياً ، اذ عين رئيساً لنيابة قضايا الدائرة السنية ، فمكث بهذه الوظيفة الى ان انتقل الى النيابة ، فتقلد منصب وكيل نيابة ، ثم ارتقى الى رتبة رئيس نيابة وفي كذلك حتى حدثت حادثة التعرافات التي اتهم فيها الشيخ علي يوسف سنة ١٨٩٦ . وذلك انه لما أعدت الحملة على دنقلة كانت أحمالها تصل الى وزارة الحربية سراً بالتعراف ، وكان الرأي العام مهتماً بها لاعتقاده ان الانجليز يريدون بهذه الحملة لاخذ السودان ، فاتفق الشيخ علي يوسف رئيس تحرير جريدة المؤيد إذ ذاك مع موظف بالتعراف على أن يوافيه بأخبار الحملة ، فكان هذا الموظف يتسمع الى نقرات التلغراف عن بعد ويدونها ، ثم يوافي بها الشيخ علي يوسف فينشرها في المؤيد ، فأثار ذلك ضجة في الحكومة والوكالة البريطانية ، وأخذوا

يبحثون عن الناقل حتى قبضوا عليه وفي حيازته الأوراق التي تتضمن نصوص الاعترافات ، فرفعت عليه وعلى الشيخ علي يوسف قضية جنائية باعتباره شريكاً له ، ولكن الحكم انتهى ببراءة الشيخ علي يوسف ، وقد كان فريد بك وكيل النيابة المترافع عنه في هذه القضية ، فأسكر عليه مستشار الخقانية هذا المسلك ، وأمر بنقله الى بني سويف ، فلما بلغه خبر النقل قال : « اني لا أمنع عن النقل اذا كان تعسفي مخالفاً للقانون ، أما والامر على خلاف ذلك فاني لا أقبل عقوبة على شيء أعتقد انه حق » ورفض رحمه الله ان ينتقل الى بني سويف وقدم استقالته

فريد بك في ميدان السياسة

اعتزل فريد بك الحكومة وظهر في ميدان السياسة فكان عضداً قوياً لمصطفى كامل باشا ، وقد اشتغل بعد ان هجر الوظائف الحكومية بالمحاماة أمام المحاكم الاهلية والمختلطة واتخذ مكتباً بعابدين وكان به ستة عاملين يشتغلون تحت يده منهم : حسن بشا عبد الرازق ، ومحمود بك أبو النصر ، وصبحي بك لطفي ، وخلاف بك عارف . وفي هذه الاثناء كان من بواكير الحركة الوطنية . لطيف باشا سليم ، وفؤاد بك سليم ، وعلي بك فخري ، ومصطفى باشا كامل ، ومحمد فريد بك ، شاهدوا قيادة مصطفى حبر جهاد في ان أعلن مصطفى كامل باشا تأسيس الحزب الوطني في ديسمبر سنة ١٩٠٧ ، فانتخب فريد بك وكيلاً له

وفي سنة ١٩٠٨ توفي مصطفى كامل باشا فأخذت الآراء على انتخاب فريد بك خلفاً له . وكانت التركة الوطنية التي خلفها مصطفى كامل تستلزم عملاً ، اذا كان على [illegible] دوى جهاده في سبيل القضية الوطنية — عدة جرائد يومية وأسبوعية أنشأها مصطفى كامل لنشر مبادئ اللواء العربي ، واللواء الانجليزي ، واللواء الفرنسي ، وحملة اللواء ، ولما كانت التركة تستلزم عملاً على فريد بك ولكنه لم يعد من اللائق ان يحمل أو يستغرق أعباء ثقيلة وطنية من الواجب عليه حملها مع كلفه ذلك مشقة وعناء ، وأولها بدأ به من تأخير عن دروس ادرته لهذه الجرائد التي ورثها الجمعية ، ثم رأى ان يحافظ على حياتها فاقترح ان تكون ادارتها شركة لا شخصية ، وكان ما اقترحه وتألفت الشركة غير ان بعض الدساسين أثاروا بين بعض أعضاء الشركة ، فحدث خلاف بينهم انتهى برفع دعوى حراسة في المحكمة المختلطة ، وعين بالفعل حارس لهذه الجرائد ، فكانت نتيجة ذلك أن رفعت يد فريد بك عن ادارتها . ولكن ذلك لم يقعد فريد بك عن سعيه وجهاده ، وبالرغم من وجود قانون المطبوعات الصارم تمكن من اصدار جريدته العلم التي كان يرأس تحريرها المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش . غير ان هذه الجريدة لم تلبث ان أوقفت شهرين بعد ظهور ١٢ عدداً منها ، فاتخذ فريد بك ست جرائد أسبوعية كانت تظهر كل يوم واحدة منها لتستمر الحرب الوطني في اعلان آرائه ومبادئه

وفي أثناء ادارته لهذه الجرائد كتب عدة مقالات بعنوان « ماذا يقولون ؟ » تناول فيها الكلام على فروض عقدها الخديوي السابق ، وكان من شروطها أنه اذا خرج الانجليز من مصر حلت جميع الاقساط ، فاحتج فريد بك على ذلك بعدة مقالات كانت سبباً في فتور العلاقات بينه وبين الخديوي ، وقد أوجدت هذا واسعاً للدساسين حتى زعموا ان لجنة الحزب الوطني لا توافق عليها ،

وانعقدت اللجنة في اليوم التالي ، وقررت موافقتها على هذه المقالات وأيدت فريد بك في حملته

سجنه ستة أشهر

وفي سنة ١٩١٠ كتب الشيخ علي الغاياتي مقالات وطنية في جريدة اللواء ، ثم أراد جمعها فطلب من محمد بك فريد والشيخ عبد العزيز جاويش ان يصدرها كل منهما بكلمة ، ففعلا ، وسمى الكتاب «عنوان » وطنيتي » فهاجمت الجرائد العادية للحزب الوطني ، وطلبت من الحكومة التحقيق في شأن هذه المقالات باعتبارها جريمة وان رئيس الحزب الوطني يحمدها ، فحققت الحكومة في هذه القضية ، وكان فريد بك وقتئذ في اوربا ، فأشار عليه بعض أصدقائه عدم العودة الى مصر ، فأبى ، وحضر لها كفة وحكم عليه بالسجن ستة أشهر في الوقت الذي حكم على الشيخ عبد العزيز جاويش بالسجن ثلاثة أشهر . وقتئذ فتح المرحوم أمين بك الرافعي استفتاء في جريدة الشعب لاستطلاع آراء علماء القانون في هذا التعريض ، وكان نشرها تابعاً للرأي العام . وكانت حجة المحكمة ان ذلك ان سب هذا التعريض في الحكم يرجع الى ان فريد بك يعرف القانون ، فاباحه لهذه الجريمة المخالفة للقانون فتحمت التشديد عليه وحدته في العقوبة

دخل فريد بك سجن الاستئناف لاستيفاء هذا الحكم الذي استوفاه الى نهايته . وحدث أن أرسل بعض ذوي الشأن بعرض صدور عفو عن فريد بك كان قد صدر في أوربا ، فحضر وطلبوا منه ان يعامل فريد بك في السجن وأن يعامل على أساس انه على وشك الحصول على صدور العفو عنه من الخديوي اذا كتب عريضة بذلك ، فكان من فريد بك رفضه ذلك ، فتوسط أحد الكبراء في هذا الامر ، فرفض فريد بك رفضاً باتاً وقال لا السيدة جريمة بأن تكتب عريضة تطلب العفو عنه ، فلم يزل فريد بك يحاول ويتوسل بمختلف الوسائل في ان يحمله على ذلك ، فلم يفعل ، واستوفى فريد بك مدة الحكم كلها

خروجه من مصر

وفي سنة ١٩١٢ اقترح اللورد كتشنر ان ينشأ في مصر صندوق للتوفير ، خاص بالفلاح ، يكون تأسيسه صراني البلاد ، فما سمعت جمعية الحزب الوطني خطب فريد بك خطته السوية وندد فيها بهذا الاقتراح ، فاعتبرت الحكومة أن هذه الخطة مخالفة للقانون ، وتهم فريد بك للتحقيق ، ولكن بعض اعضاء اللجنة الادارية رأوا ان سجنه لا يقتصر هذه المرة على مدة وجيزة ، فحتموا عليه ان يترك القطر المصري ، فسافر الى اوربا تاركا عائلته

وبعد سياحته في اوربا مدة اتخذ الاستانة مركزاً له . وقد عرضت عليه ركيا في هذه الاثناء ان يكون والياً لها على حدى ولاياتها ، فكان جوابه : « اني لم اخرج من بلادي للبحث عن وظيفة ، انما خرجت لخدمتها ، وسأبقى كذلك الى ان اموت » ، وبقي رحمه الله مجاهداً فلم يترك فرصة دون ان يرفع فيها صوته بالمطالبة بحقوق مصر . وقد ساب عنها في كثير من المؤتمرات التي امكنه ان يحصل منها على قرارات هامة في شأن استقلال مصر . وقد قضى في انشاء وجوده في اوربا جمعيات « ابي الهول » التي كان لها فرع في كل عاصمة من عواصم اوربا

وفي سنة ١٩١٠ — اي قبل حادثة الخطة الشائعة — سعى فريد بك في عقد مؤتمر وطني بباريس للنظر في المسألة المصرية ، وحدد لذلك يوم ١٤ سبتمبر وهو يوم ذكرى دخول الانجليز القاهرة ، فأتت الحكومة الفرنسية عقد هذا المؤتمر باسمها ، ثم يتم ذلك عزم فريد بك و ستطلع ان يعقد المؤتمر في اليوم المحدد له بروكسل عاصمة البلجيك ، وقد قامت من مصر باخرة خاصة تقل اعضاء الحزب الوطني لحضور هذا المؤتمر ، واشترك فيه كثير من رجال السياسة في البلاد الغربية ، وطبعت اعمال المؤتمر في كتاب ضخم يبلغ صفحاته

وفي اثناء وجود فريد بك باوربا كانت العلاقات متوترة بينه وبين الخديوي السابق ، فكتب في جريدة السبكل مقالات ضده ، فترجمتها جريدته المؤيد ، وطلبت من اللجنة الادارية للحزب الوطني ان تقول كلمتها في هذه المقالات التي كتبها رئيسها وينشرها في الخارج ، كما طلبت من نادي المدارس العليا الذي كان فريد بك عضواً به ان يقول كلمته ايضاً . وقدم اقتراح للجنة الحزب الوطني ولجنة نادي المدارس بعزل فريد بك من رئاسة الحزب وعضويته النادي ، ولكن لم تنجح كل هذه المساعي ، وبقي فريد بك رئيساً للحزب،وعضواً في نادي المدارس العليا الى أن توفاه الله

جهاده ضد الحرب الكبرى

في سبيل مصر نسي فريد بك سوء التفاهم الذي كان بينه وبين الخديوي عباس قبل الحرب الكبرى ، ومد يده لمدوه سعوه على حدمه لقضيه المصريه ، وقد مكنه ان يحصل بسعيه المتواصل على تصريح من مجلس الوزراء بمستقبل مصر والاشارة الى ذلك في خطبة العرش

ولما تولى الرئيس ويلسن رئاسة الولايات المتحدة — وكان له مطامع في عرش مصر — وجد فريد بك معتصماً بمصريته ، ورأى الرئيس ويلسن ان هو لقدمه المكنود في سبيله فاراد ان يتحرش به ليحمله على الخروج من تركيا ، فرجى اليه بعض من له مكانته شارته الوطنية التي كان مرسوماً عليها هو هوى ، ومكتوباً بها « مصر للمصريين » ، فرفض فريد بك ان يخضع لهذا الامر ، فارسل اليه ثانية يهدده فالبى ، فكان جوابه : « ان جميع البلاد تنتوى عندي ما دمت قد حرمت من الاقامة بمصر » ، وعلى اثر ذلك غادر الاستانة وسافر الى سويسرا

وفي سويسرا أصدر مجلة اسبوعية لخدمة القضية الوطنية . وكان لا يترك فرصة تمر دون ان يخدم بلاده ، وما سمع او قرأ عن مؤتمر إلا شد اليه الرحال ، فحضر مؤتمر استكهلم ، ومؤتمر الصلح بين روسيا واليابان وغيرهما وقدم لكل مذكرة دفاعه عن القضية الوطنية

وقد حضر مؤتمر سويسرا وهو مريض ، وعرض عليه بعض الدكاترة الالمان أن يجري له عملية جراحية ، فكان يؤجلها من وقت لآخر لكثرة اشغاله . وقد يفكر في اجرائها الا اخيراً فنقل بالطيارة من سويسرا الى برلين

معيشته في اوربا

شاعت عن أواخر ايام فريد بك التي قضاها في اوربا أنباء اكثرها لا نصيب له من الصحة ، فقد قيل عنه رحمه الله انه كان يخطب ليكسب قوت يومه ، وانه كان يلبس بدلة مرقعة ، ومثل

هذا مما لم يقع مطلقاً. والحقيقة ان فريد بك كان يصله قبل نشوب الحرب الكبرى من عائلته عشرون جنيهاً لمصاريفه الفردية كل شهر ، ولما قامت الحرب الكبرى انقطعت عنه موارد بلده ، فكان يضطر احياناً الى الاقتراض . وقد رأي من الحكمة ان يقتصد في هذه الاثناء من نفقاته ، فسكن غرفة واحدة بالدور الخامس بمنزل في سويسرا ، وكان يتغذى غرفتين واحد ثم يكتفي بكوز من الذرة المشوي ، وذلك اقتصاداً في النفقة حتى لا ينفد ما معه من النقود سريعاً

ولكن مهما يكن من الامر فلا نستطيع ان نقول بان فريد بك كان قبل وفاته في ضيقة من العيش ، غير اننا نعيب ان تمحي تلك الاشاعات الكاذبة التي ذاعت عن حالته الشخصية ، ويجدر بنا ان نعلن عن لسان أحد الذين حضروه في أيامه الاخيرة انه توفي رحمه الله وعنده اثنا عشرة بدلة وعدد من النعي الثمينة التي لا يقل ثمن بعضها عن أربعين جنيهاً

تركته

ورث فريد بك الثراء عن والده وأسرته ، وكان ناظراً لوقف والده زمناً ، ثم رأى ان يقسمه بين المستحقين قسمة نهائية حتماً في غاء الاتفاق بينهم ، وترك لكل منهم ان يتصرف في نصيبه بالزراعة أو التأجير . وقد كان دخله الشهري لا يقل عن مائة جنيه ، غير ريع العمارات الكبيرة التي كان يمتلكها ، ولكن هذه الاملاك ذهب جميعها لجهاده الوطني ، وتخريص بعض المتسلطين عليه الذين حاصروه السوء ان تحمله على دفع مرتب شهري في بعض الجهات ، ولما لم يتمكن من اجابة طلبها قوضت عمارته بأسرها على رؤوس أصحابها .

وكان لفريد بك مكتبة جمعها في باريس اهداها الى نادي المدارس العليا . وقد انضمت الآن الى دار الكتب المصرية ضمن كتب نادي المدارس

سياحاته ومؤلفاته

كان فريد بك مغرماً بالسياحة في البلاد الاجنبية سواء أكانت شرقية أم غربية ، وخصوصاً بعد أن حمل عبء الجهاد في سبيل الوطن الذي وقف عليه حياته ، وقد بدأ سياحاته سنة ١٨٩٥ ، وزار الاندلس سنة ١٩٠١ ، وطاف المغرب الاقصى ، فحضر مؤتمر الجزائر ، ومر بتونس وطرابلس ، ورحل الى الجزائر ، وذهب الى الجهات الشمالية لمشاهدة الشمس في منتصف الليل

وكتب عن سياحاته في تونس والجزائر ومراكش كتباً مطبوعة الآن . وقد قال الاستاذ عبد العزيز الثعالبي : « ان المؤسس الحقيقي للحركة الوطنية في تونس هو فريد بك لزياراته لها وكتاباته عنها »

ومن مؤلفاته رسالة في تاريخ العائلة الخديوية ، وتاريخ الرومان ، وتاريخ الدولة العثمانية ، وغيرها مما لم يحضرنا ذكره الآن ، ولكنه يدل على خدمات فريد بك التي كان يسديها الى العلم فضلا عن خدماته للقضية المصرية

أخلاقه

أخلاق محمد فريد بك أخلاق رجل دستوراطي شعبي يميل الى البساطة ومجالسة الناس والسماع الى حديثهم ولو كانوا أقل منه قدراً . والذي كان يراه في رقته وسهولة صنعه يحسب أنه لم يعش بين ذلك الوسط الارستقراطي الذي يعيش فيه كثير من ذوي الترفع والاروماء على الناس ، فقد كان رحمه الله هادىء الطبع كريم النفس متواضعاً سمح الاخلاق ينفق الانفاق بصدر رحب دون تبذير أو غرور ، وكان لا يكره ان يعامله أحد ويصحبه براحة في سبيل راحة زائره ، ولم يُر قط عابساً لقاصده عما يكره كما يحدث في هذا العصر ممن وضعت أصولهم وتم تهذيبهم تربية ولا أخلاق . ذلك لانه كان كريم المحتد شريف النسب ، وجده لامه من أسرة شهيرة بالجاه والسؤدد

كيف مات فريد

كان لظروف الجهاد التي تنفس فيها فقيد الوطن محمد بك فريد تأثير كبير في صحته بما حمله من مشقة وآلام هدت من قوى جسمه وأضعفت منته ، خصوصاً هذا التقشف الذي مارسه في عزلته أثناء الحرب وحدها ولم يكن قد تعداه ، فجاء على صحته بالاجهاد الدائم وسوء التغذية التي لم تتعادل مع ما كان يبذله من مجهود نفسي في سبيل بلاده ، حتى بدت عليه قوة وعاد اليه مرض قديم في الكبد ، وما لبث ان أصيب بداء الاستسقاء . فكانت الحرب الكبرى و نيأس العظيم ، ومكث يعالج آلامه ستة أشهر ، وكان سواء وحده الذي يعني بها وقد ان جنب الخبر للعصافير الجائعة حوله . وقد استمر جهاد الفقيد العظيم حتى اليوم الذي فارق فيه الحياة وهو يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ المشئوم عليه الجميل ، فكان آخر ما نطق به ان أوصى بألا يدفن جثمانه الى مصر ما دام فيها محتل اجنبي ، فراح شهيد الاخلاص و وطنية الصادقة يبكيه أبناء مصر جيلاً بعد جيل

ولا يفوتنا هنا ان نقول ان رئيس الحزب الوطني الالماني ، الكونت رفنتلو ، رثى فقيد الوطن بعد وفاته رثاء يشيد بعمله ، فقال : « ان صيحة الحرب الكبرى أظهرت لنا ان فريد بك كان أبعد نظراً من هيئة أركان حرب جيشنا اذ كانت لا تمر فرصة دون ان يقابل أركان الحرب ويفهم لهم الادلة على ان الميدان الحاسم هو مصر ، وانها لو احتلت لكانت كقطع العمود الفقري لانجلترا ، وبذلك تنتهي الحرب ، ولكن هيئة أركان الحرب كانت تعتقد أن هذا الالحاح من فريد لم يكن الباعث عليه الا حبه لوطنه ، والآن نعتقد جميعاً ان رأيه كان الصواب »

هذا محل جهاد محمد فريد بك في سبيل مصر ، فهل لنا ان نفتدي بوطنيته واخلاصه . . .

طاهر الطناحي

كيف غرقت السفينة «تيتانيك»

أفجع قصة وقعية شهدتها البحار [1]

في صباح يوم الاثنين الخامس عشر من شهر أبريل سنة ١٩١٢ حمل البرق الى أنحاء العالم نبأ غرق السفينة « تيتانيك » وروّع الناس لهذه الكارثة التي تعتبر بحق أفجع حادثة غرق دوّنها تاريخ البحار . واذا قلنا ان العالم قد روّع فلأن هذه الكارثة قد أودت بحياة نيف وستمائة والف من الأرواح البشرية ، ولأنها قد جعلت آمال في الانسان فيما طبعوه انتصاراً للعلم على الطبيعة ، ولأن هذا العدد العظيم من الضحايا مثل يقاوم الموت في أفظع صورة ساعات طويلة ، ولأنه كان بين هؤلاء الضحايا كثيرون من مشهوري الرجال في العالم

غادرت التيتانيك في صباح ١٠ أبريل سنة ١٩١٢ ميناء ساوثمبتن في طريقها الى نيويورك وان شئت قل في طريقها الى العماد ، وقد تجلت في صنعها عبقرية الانسان وكل ما وصلت اليه معارف البشر ، وكأن الطبيعة تستفز ذرية الانسان [illegible] فسلطت عليه جباراً من عناصرها العاتية يضربه الضربة التي تحطمه وتريه أنه مهما كبر وعظم لوي فسلطان الطبيعة أكبر منه وأقوى

كانت التيتانيك الى عام ١٩١٢ أكبر سفينة عرفت البحار إذ يبلغ طولها ٢٧٢ متراً وعرضها ٢٩ متراً وارتفاعها ثلاثة وعشرين متراً وحمولتها تبلغ نحو ٤٦ الف طن وتمريحها ستين الف طن . وقد توافر فيها لراحة المسافرين وبعضهم من الموسرين ما لم يتوافر لمثله في أية سفينة أخرى وأعدت بها من مظاهر البذخ والترف ما لا يصدق أحد أنه يوجد في بحر . فقد كان ركاب الدرجة الأولى مثلا يتعاون من وسط السفينة حتى طبقات عدة فوق حتى تصل بينها ثلاثة مصاعد كهربائية . وقد خصص لهم مهبط كبير للاجتماع ، وصالون فخم للطعام . وآخر للتدخين . وثالث للاستراحة ، ورابع للمطالعة ، وغرفة للمائدة طولها خمسة وثلاثون متراً وعرضها عرض السفينة ، ومطعم لمن يريد أن يتناول بعض المأكولات في خلال النهار ومقهى على أفخم ما تكون عليه المقاهي وحديقة من نوع الحدائق الشتوية (Jardins d'hiver) وحمام بحري ، ومضمار لسباق العربات ، وحوش للتنس وقاعات للألعاب الرياضية . وقد وضعت الجدران والسقوف على الطراز الفرنسي في عهد لويس

---

(١) قد اعتمدنا في كتابة هذا الفصل على أوثق المصادر — نذكر منها .

(أ) تقرير مستر براید رئيس محطة اللاسلكي بالباخرة تيتانيك عن الحادثة

(ب) كتاب « الكوارث الكبرى » تأليف ارابيس ورانماري

(ج) موسوعات لاروس الشهرية عدد شهر يونيو سنة ١٩١٢

(د) تقرير لجنة مجلس الشيوخ الاميركي عن الحادثة

الخامس عشر ولويس السادس عشر والامبراطوريه ، وعلى الطراز الايطالي في عهد النهضة ، وعلى الطراز الانجليزي في عهد الملكة آن ، وعلى الطراز الأدبي القديم والحديث . وفصلت بين طبقات الدرجة الاولى التي تشغل لكل منها غرفة استقبال وقاعة للطعام وحجرة للنوم ذات سريرين أو سريرين أو ثلاثة وحمام . وبالجملة فقد أخرجت هذه السفينة على أكمل وأجمل ما تخرجه فوتا الفن والمال مجتمعين ، وحسبك أن تعلم أن شركة « وايت ستار » قد أنفقت في انشاء التيتانيك مليوناً من الجنيهات وملؤت آخر على تأثيثها وزخرفتها وانها استخدمت في هذه الزخرفه أشهر وأمهر من عرفوا في عالم الرسم والنقش والتنسيق

ولقد وقفت عشرات الالوف من الشعب الانجليزي على رصيف الميناء تودع البواخر الزمر الحديد لعظمة الساعة البريطانية وتحييها في زهو وخيلاء ، وذهب الصحف تملأ أعمدتها بما احتوته السفينة العظيمة من محاسن الفن ومدهشات الابتكار ، وطفقت تسهب في وصف عرفها الفاخره وسطوحها الواسعة ومداخلها الاربع الكبيرة التي تسع كل منها قطارين من قطارات السكك الحديديه . واستطردت الى تقدير كمه الزاد التي تحملها بالك مدينة السائحة فوق الماء لتعدي سكانها وقد بلغوا الفين وأربعمائه عدداً ، ثم الى ذكر ما تحمله من الودائع الثمينة في عرف حجراتها وأبوابها من الحديد وتقدر قيمه هذه الودائع بعشره ملايين من الجنيهات ، وتتحدث عن أكياس البريد وقد بلغ عددها عن ثلاثة آلاف وخمسمائه كيس منها ملايين مطروف ، ولم تدع بالك لصحف عصره من مدينة الانشاء والابتكار إلا أثبتته في سياق الحديث عن مفاخر التيتانيك ، ولا عجب فان الشعب الانجليزي كان معتزاً بهذه السفينة الجديدة التي أطلقها في الاوقيانوس تستهزئ بموجه وتقهر من عواصفه وأنوائه

ولقد كان الذين حجزوا لهم مقاعد على التيتانيك خليطاً من الاوساط الراقيه : فمن كبار أصحاب المال الى كبار الممثلين الى كبار الساسه الى كبار الادباء . ذكر منهم ما كوف سكوت ملك القاموس وروحته وهي أصغر منه ثلاثين عاماً وقد رزقا في حجرا وفصد ذهبي الجديد يغنيان بها شهر العسل . . . وماجور بات مستشار الرئيس تافت ومستر هاري ملك السكك الحديدية ومستر جوجنهايم ملك النحاس والمالي المشهور فندر والكاتب توريلا للنشر بالسلام في العالم ومستر وليام سيد صاحب مجلة المجلات الانجليزيه ومستر ستروس أكبر تجار نيويورك ومستر اسماي رئيس شركة الملاحه « وايت ستار » صاحبه التيتانيك ومستر استورر الهندس ذو السيرة العالمية وكثير غير هؤلاء ممن لا سبيل الى ايراد أسمائهم الآن وكان بعضهم قد حجزوا أماكن للسفر في بواخر أخرى ولكنهم عدلوا عنها وأرجأوا سفرهم أياماً حتى يتموا برحلة بهي العالمين فوق ظهر هذه السفينة المسحرة سيدة البحر وقاهرة العباب

أقلعت التيتانيك وسارت تقطع في الساعة عشرين عقدة وعقدة (٣٩ كيلو متراً) وأمضت من سفرها أربعة أيام قضاها المسافرون في خير ما يقضي فيه الاحياء اوقاتهم حتى كان يوم الاحد ١٤ أبريل

في هذا اليوم وردت الانباء على التيتانيك من السفن الاخرى تنبهها الى أن جبالا من الثلج

تسبح في المحيط وفي أثناء حادث رمان الباخرة كاربانيا رصيفه رمان التيتانيك بالاسلكي خبراً من جبال ثلجية كبيرة الحجم لم يشاهد مثلها من قبل ولكن مستر ايسماي رئيس الشركة لم يعبأ بكل هذا وأبى الا ان يسير السفينة بأقصى سرعتها قائلا : « أن أكبر باخرة يجب ان تكون أسرع باخرة ويجب أن تضرب التيتانيك الرقم القياسي الذي وضعته السفن الالمانية حتى اليوم »

كان الليل قد أوشك ان ينتصف والسماء صافية الاديم تزهو فيها النجوم فلا تحجبها عن العيون غيوم . وكان البحر هادئاً مصقولا كوجه المرآة ، والنسيم يعرف في الهواء الكثير . وعندما يصل المسافرون الى نيويورك فلا بد أن يجدوا ليتهم الاخيرة من هذه السفرة البديعة لهواً ورقصاً ولعباً ، فتفرقوا فرقاً ، بعضها يلعب الورق ، والبعض الآخر يرقص ويلهو وحتى الرمان حيث بين لاعبي « البردج » في غرفة التدخين ، ووقف مستر مدلوك ضابط السفينة الاول على المرقب يرقب المحيط ويشرف على سير الباخرة وأذا رقيب الباخرة يهبط بسرعة ويهرول متعوراً الى الضابط ويقول : « اني أرى شبحاً أبيض هائلا يبدو من بعيد ويخيل الى ظني أنه جبل من الثلج » فهز الضابط كتفيه مستهيناً ، ولعمر الحق ما الذي يستطيعه جبل من الثلج حيال جبل من الصلب والحديد ؟ ولكن رقيب الباخرة لم يقنع بهزة الكتفين وقال « انه جبل كبير جداً . . . كبير من السفينة . . . » وهنا تبسم الضابط وأمره أن يستمر في مراقبته فأرسل الرقيب الكلمة وسلط أشعتها القوية على المحيط فتفتت ظلام الليل ووقف الماء على كثير من سطحه هادئاً قد انعكس فيه ضوء النجوم فوق سطح الماء وامتدت الى حيث لا تستطيع الانوار الكاشفة أن تصل وكان يقوم بعيد مدهشة وقد انعكس بريق النجوم على جسمه اللامع فبدا كما لو كان مرصعاً بالجواهر لا يوصف

وسطرب الضابط وأخذ يحدق فيه بكل ما أوتي من قوة ، ثم أمر بأن يضاء الكشاف ليوقف العمل سير السفينة ، ولكنهم وجدوها قد أخذت تنحرف نحو اليمين قد قضي والقضاء حم والقلق الحلان

* * *

جبال الثلج ظاهرة طبيعية مألوفة تبدو في القسم الشمالي من المحيط الاطلنطي بالقرب من الشواطئ ، وعلى الاخص جنوب جزيرة الارض الجديدة وأكثر ما يكون ظهورها فيما بين أبريل ويوليو من كل عام . أما هذه الجبال فتنشأ عن تجمد مياه المحيط الشمالي في فصل الشتاء ، حتى ليصبح هذا المحيط كتلة واحدة من الثلج ، ثم يطفو عليها شمس الربيع فتذيب سطحها فتتشقق وتسير كتلا ضخمة الاحجام تدفعها التيارات البحرية الى حيث تجري . ومن هذه التيارات ما يتجه نحو الجنوب قوياً سريعاً ، فيدفع تلك الكتل الى الجنوب أيضاً حتى تصل بها وهي تتضاءل في الطريق في جميع اشكالها وفيه تلتقي بالتيار المعروف باسم « خليج ستريم » ذي الماء الساخن الذي يذيبها حتى يأتي على آخرها

ومعلوم أن الثلج اذا سبح في الماء ظهر عشره وغاص تحت الماء تسعة أعشاره وعلى ذلك يكون ارتفاع الكتلة التي صدمت التيتانيك ثلاثة آلاف من الامتار . أما سطحها فقد قدروه

بمائتين وأربعة وستين كيلو مترا مربعا . وهذا لعمري كاف ليعرف القارىء ان كتلة كهذه اذا ارتطمت بقارة لأحدثت بها عطبا

* * *

التي احتلان فكانت هزة شعر بشدتها من كانوا في مقدمة السفينة أو بالقرب من جانبيها اما سكان الدرجة الأولى الذين يتعاون الوسط فلم يشعروا الا بشيء طفيف لم ينبهوا لحقيقته بل لم يكلفوا انفسهم مشقة الاستفهام عنه حتى أقبل عليهم الضباط يحذرونهم أن السفينة قد أصطدمت بكتلة من الثلج ويبادرون الى تطمينهم وتأكيد أن ليس ثم خطر لأن « التيتانيك » التي تزن خمسة وأربعين الف كيلو جرام أقوى وأمتن من أن تتأثر من مثل هذا الاصطدام .

هذا ما قاله ضباط الباخرة وهذا ما كانوا يعتقدونه اول وهلة . اما الواقع فهو أن مقدمة السفينة تحطمت كما يحطم السطوح الوسطى والجدران الخارجية وأختلط عالي المقدمة بسافلها وتطاير الخشب والحديد الى السطوح القريبة فكونا اكداساً متداخلاً بعضها في بعض كالهشيم ، و فتحت في أسفل الباخرة ثغرة هائلة عند مبدأ انحناء . وكانت الابواب مفتحة على السطوح فتدفقت منها المياه الى الداخل وحاول البحارة أن يغلقوها فربطوا فيها سلاسل قوية واجتمع على كل باب عشرة يجذبونه ولكن كانت قوة الماء أعظم من قوتهم فما استطاعوا شيئاً

حدث ذلك وكان [illegible] فدخل ربان الباخرة غرفة اللاسلكي وهي شقيقة [illegible] وقال: « لقد اصطدمنا بقطعة من الثلج فارسلوا إشارة الخطر C. Q. D. » اي Danger [illegible] ومعناها « انا في خطر » وهذه أشارة متفق عليها بين السفن وكل سفينة كان يصطدم بها تطلب النجدة بواسطتها ولكنه مالبث حتى عاد بعد برهة وقد منع لونه و صفرت أساريره وقال له « ارسلوا إشارة S. O. S. » و S. O. S. احتمال الكلمات « Save our souls » أي انقذوا ارواحنا » وهي اشارة الخطر الدائم وعلامة طلب النجدة السريعة

كان الليل قد انتصف تماماً والموسيقى ما تزال تصدح بأنغامها الشجية واكثر المسافرين لا يعلمون ما حل بالسفينة وقد أقبل عامل اللاسلكي على الآلات يرسلون الاحرف S. O. S. لا انقطاع على احسن الأثير فتلقتها السفن فرحيبيان وباريزيان والاسيك وكارباثيا . . وكانت الاخيرتان أقرب البواخر المسافرة الى التيتانيك وعلى بعد سبعين من الاميال البحرية ، وهذه مسافة لا تقطع في أقل من خمس ساعات اذن فمن العبث الانتظار

عندئذ وقف الربان على السطح الاعلى وأصدر الأمر بايقاظ جميع الركاب فما اجتمعوا لديه نادى : « الرجال الى الوراء ولتقدم النساء والأطفال » . والى هنا لم يكن أحد من اولئك المسافرين ليصدق أن الخطر محدق بهم الى هذا الحد . فما كاد أمر الربان ينتشر بينهم حتى بدأ الخوف يستولي عليهم واصطفوا الى الوراء واجمين . ثم أبصروا فأدا مقدم السفينة يغوص شيئاً في الماء وادا بالماء يعلو حتى يغمر السطوح السفلى والبحارة يفكون حبال قوارب النجاة

كانت لحظة وجوم اعقبتها حركة فوضى واضطراب سرعان ما قضى عليها الزمان والضبط عند ما شرعوا بأنفسهم المسدسات مهددين بالقتل من حدثته نفسه بالتقدم الى القوارب قبل أن يجيء دوره ثم وقف الرجال مشتتي الذهن مستوفي العمل لا يلوون على شيء

لقد كان عدد قوارب النجاة ستة عشر ، وكان هذا العدد يكفي لأن يحمل ١١٧٨ من الركاب . ولكن حسن الثلج في ارتطامه بالسفينة كان قد حطم وأتلف منها اربعة وتبقى اثنا عشر ، وقف امام كل واحد منها ضابط ولمندس يمينه يشرف على النظام . ومالت السفينة الى الامام فغادر البحارة الى توزيع طوافي النجاة ويعاونون الاطفال والنساء في ركوب القوارب وقد تطوع مستر آستور والمحرومات لمساعدة كل من كان منهم في حاجة الى المساعدة ولقد شوهدا اكثر من مرة يحارقان بجانبهما ويعدمان في غير تردد على حركات خطرة في سبيل الأحد بيد امرأة او إنسان عمل الى أمه ، ولقد أرحكت مستر آستور روحه في الزورق الأول وعانقها وقال : « الى اللقاء في نيويورك يا حبيبي » ثم انصرف مع رفيله وظلا يتمشيان حتى اغتمرهما الموج وكل منهما يمسك بذراع أخيه

ولما ملأ الركاب أحد عشر زورقا ولم يبق غير الاخير قامت عليه بين المسافرين معركة دامية دوى فيها رصاص المسدسات واستعملت لدى وقتئذ سكاكين من الحديد وحلوى كل ان يستبق لنفسه فيه مكانا . وأخيراً انزل هذا القارب وفيه [illegible] على متن السفينة اكثر من الف وستمائة من الناس وكان على هؤلاء ان يلتمسوا النجاة بوسائلهم الخاصة و يعتمدوا انفسهم فريسة للامواج . وقد وقف [illegible] يشاهدان هذا المشهد الى ان تركب الزورق أمت وعوقب رجلها بمراعاتها وقالت له « لقد عشنا معاً حتى اليوم ويجب أن نموت معاً » وظلا معانقين حتى حال بينهما الموج وقتا من الزمن ، ذلك كان مستر استروس وزوجها كبير تجار نيويورك

واستولى اليأس على بعض ورى الناجين أن لا حيلة في النجاة فعمدوا الى قطع من الاخشاب ربطوها الى بعض حبال وحملوا منها نوعاً من الرومس ولكنهم ما اووه الى البحر حتى تساقط عليه الناس من أعلى السفينة واحتلوه . وكان أو حد يعمد الى كتلة ربط عليها نفسه و الى لوح من الخشب يختصه ويحدف بباقيه بينما الآخر يتابعه هذا الامل الضئيل في النجاة ويستميت في النزاع قوة اليائس المستميت . وتخلد الكثيرون اطوافي النجاة وانفسهم الى الماء الثلوج فشل البرد اطرافهم وهووا الى القاع ، وابتعدت القوارب عن فيها وسمع الرنين برقة الموسيقى وأمرها أن تعزف نشيد « نحن في حماك يا ألله » « Plus près de toi, Seigneur » فكان لحان هذا النشيد الاخير تمتزج صيحات اليأس وصرخات الاستغاثة فتكون جواً تمزق القلوب . وصاح الربان فيمن بقي حوله . « ليس أمامنا غير دقائق فليعتد نفسه من استطاع » فرمى البائسون الى الماء يسبح منهم من يقدر على السباحة ويغرق من لا يقدر . وبعث المياه الراحل فانفجرت وسمع لانفجارها دوي مفزع مخيف وانكسرت السفينة عند وسطها وانشطرت شطرين وعند الساعة الثانية من الصباح غاص القسم الامامي في الماء وبعد ذلك بعشر دقائق انغمس القسم الخلفي

في الهواء ودار حول نفسه مرة وقد تلألأت الأنوار في جميع انحائه وامتدت ألسنة النار من فتحاته فكان منظره كقصر مضيء وبعضه كالجحيم تفتحت بوابته ، ثم استقر دقيقة وهوى الى القاع وعم مكان الفاجعة سكون وظلام

على أن هذا السكون لم يطل طويلاً ، أذ ما هو الا أن غابت الشمس عن الأبصار واطبقت عليها أمواج المحيط حتى علا الفرح والمرح والصياح والعويل ، ذلك ان النجدة في اندفاعها نحو القاع أحدثت اضطراباً في سطح البحر كان من شأنه ان اقلب بعض الزوارق عن قصد وبدأت في هذه الزوارق عملية الانقاذ من جديد . ولما عاد المكوثون الى زوارقهم بدأوا يسمعون أصوات الاستغاثة تتصاعد من قريب ومن بعيد فرحال ينادون زوجاتهم واطفال يكون مستجدين بآبائهم وهذه الزوجة تسمع صوت زوجها فتريد أن ترجع بالزورق اليه وهذا الطفل يرى شبحاً في الماء يظنه أباه فيضم وجه البحار بديه ليأتوه به . وكادت الحالة تسوء والفوضى تعم لولا أن اتفق الرجال على أن ينتدبوا صوت عال وفي وقت واحد نشيداً عالياً يحول دون سماع النساء والأطفال تلك الأصوات المنبعثة من كل مكان

وقدر لقليل من أولئك البؤساء الذين القوا بأنفسهم في الماء أن يستلم زورق او زورقين أو أن يتعلقوا بقطعة من الخشب عوموا اليها وكان من بين هؤلاء [illegible] كبير المهندسين مستر وايد رئيس محطة اللاسلكي بسفينته وزميله مستر فنس الذي [illegible] ان تركا الزوارق مع الراكبين وقالا : « ان لواحب بعض الرجال ان يحرص على بعض » وقد مكثا على التلعراف يرسلان أحرف الاستغاثة حتى غطى الماء [illegible] عندما قفز رجل سفينة تائهة للنجاة في جوف الظلام عندئذ قفز في الماء وبلا سباحة حتى الخشب حاملاً ورقاً ، وهو مستر وايد صاحب التقرير الهام عن الفاجعة ذلك التقرير الذي [illegible] من هذا المثال والذي يعتبر من أهم الوثائق التي رجع اليها في تحقيق هذا الحادث الخطير

والآن وقد مضى على هذا الحادث ستة عشر عاماً ما زال لتيتانيك راسه وما تحويه من الكنوز على عمق آلاف من الامتار في قاع الاوقيانوس وقد حاولت بعض الشركات العينية ان تنتشلها منه أو ان تستخرج بعض ما فيها ولكن دهمت كل هذه المحاولات سدى وما زال البحر يضم بين جوانحه هذه الكنز الثمين

* * *

قدنا ان الباخرة « كارباثيا » من بواخر شركة كونارد كانت أقرب السفن الى التيتانيك فما تسلمت اشارة الاستغاثة حتى أدرك ربانها ان ما حدث منه رميه سمت قد وقع ، وأمر في الحال بالاتجاه نحو مكان الفاجعة بأقصى سرعة فوصلت اليه حين كانت الساعة الرابعة من الصباح . وهناك لم تجد كارباثيا أثراً للتيتانيك الهيم الا بعض مقاعد من القش وبعض الواح وصناديق من الخشب متعثرة فوق سطح الماء . وبعد ربع ساعة امضته في البحث عثرت على غريق يجاهد الامواج انتشلته ثم ظلت تبحث حتى التقت بالزوارق العائدة في الاوقيانوس.

وقد استيقظ ركاب كارباثيا مذعورين ورأوا باخرتهم واقفة لا تتحرك في وسط قوارب ملأى بالصائحين والباكين والمتوسلين ولما أبصروا حركة الفرح فيها والبحارة يرمون قوارب النجاة والسلم يسرى الهبع الى قلوبهم وظنوا أنهم غرقون وهنا وفي وسط هذه المأساة حدثت أمور لا يستطيع لأحد أن يراها ولا يضحك من ذلك أن سيدة سمعت كلمات .. غرق .. وغرقي وانتفاء ورأت المكوين في رؤوسهم قطار صوانها فجعلت تولول مأعلى صوتها وهي تعدو قميص النوم في طرقات الباخرة وصالوناتها وتوقف الناجين . وهنم أرجه من ركاب الدرجة الاولى على أحد الزوارق يأبون الا أن يكونوا أول من ينقذ من الغارقين وعثا حاول الضابط ان يفهمهم بأنه لم تحدث للباخرة شيء وليس احد الركاب طوق النجاة والقى نفسه في الماء ولما تشل وعلم الحقيقة أسف لهذا الخام البارد المتلوج

وقد نزل ركاب كارباثيا عن عرفهم وأسرتهم لمكوني التيتانيك ورضوا أن يناموا في الممشى والدهاليز ، وأحاطوا بالمنكوبين مواسوهم وخلعوا عليهم الثياب اللازمة واقتسم السيدات نحطى لهم — حتى من أعطية لاسرة — ملابس ، ونقل الجرحى وعددهم ستة وعشرون الى مستشفى السفينة فلقوا فيها العناية الواجبة . وقد تحدث أولئك المكوبون في بعد واسهبوا في الثناء على ربان كارباثيا وضباطها وركابها وما لقوه منهم من عطف وحسن مواساة في مصابهم الكبير .

استمرت عملية الانقاذ نحو ساعتين وكانت [illegible] من [illegible] وحملت [illegible] من [illegible] ٢٠٦ من البحارة (وكان عددهم ٩٨٥) و ٤ [illegible] (من ٣٢ و ٣٤ و ٣٧ من ركاب الدرجة الأولى (من ٣٤١) و ١١٥ من ركاب [illegible] (من ٢٦٢) و ١٧٨ من ركاب الدرجة الثالثة (من ٨٨٠) ثم وصلت الباخرة اولامبك ([illegible]) وانضمت الى أخواتها وسارت الجميع الى نيويورك على بعد ٧٠ ميلا في الساعة وأمضت في الطريق ٧ أيام و ٢٠ ساعة و أربعين دقيقة . وعلى ذلك يكون عدد الهالكين في هذه الكارثة الف وستمائة وخمسة وثلاثين نفسا

* * *

وما طلع الصباح على مدينة نيويورك حتى كانت أخبار الفاجعة قد وصلت اليها ولكنها كانت أخباراً لا تحوي شيئاً من الحقيقة . فقد ذكرت الوقيات الأولى « أن التيتانيك قد ارتطمت في صخر وأنها سائرة في طريقها الى هاليفاكس وأنها لم تصب بسوء » وعند الظهر كان وكيل شركة « وايت ستار » في نيويورك على خبر غرق التيتانيك ولكنه يؤكد في الوقت نفسه ان جميع الركاب سالمون . وأصدرت صحف المساء طبعات خاصة وملاحق وصفت فيها عملية الانقاذ واسهبت في وصف الكارثة و سببها وظل الناس يتلقون هذه الاخبار المتضاربة وهم في حيرة واضطراب حتى وصلت برقية من ربان كارباثيا قال فيها إنه لم يستطع ان يحتمل غير سبعمائة وخمسة من ركاب التيتانيك . فكان هذه البرقية اثر مرعج للنفوس واحتشد الناس أمام مكاتب الشركة يبحثون في نشرة فاتحة بأسماء المنقذين وانهالت الجماهير تندي سخطها واحتقارها من الاخبار الكاذبة التي أذاعتها الشركة وزاد الاضطراب وكاد يتحول الى مظاهرة عدائية ضد عملها حتى خيل الى البعض ان المدينة في ثورة

ظلت أسلاك البرق ساكنة لا تأتي بجديد وفي الصباح هرع الناس الى مشتري الاخبار وتسلم

الاشاعات فارتدوا عصراً وسخطاً لم يعلهم منها شيء . وتقدم بعض الأعياء الذين كان لهم أقارب على ظهر التيتانيك عالج جسيمة من المال يشترون بها أو يسترقون بأ صحيحاً . ولكن الانباء التي كانت ترد من الناجين فرحيان وأولامك كانت لا تفيد شفاء . أما كارباثيا فقد صمتت صمت الاموات

والحقيقة ان ربان الاولمبك كان قد أرسل باللاسلكي تقريراً وافياً عن الكارثة ولكن الشركة أخفته عن الناس . وقد كان للمضاربين ولشركات التأمين أكبر يد في هذه الماورات . وهكذا انقضت بانقضاء يوم الاربعاء ثلاثة أيام كاملة والناس في حيرة لا يقوون على شيء . ولما علمت الجماهير أن وليس شركة « وايت ستار » كان في طليعة المنقذين ارتدوا هياجاً وعلا منهم الضجيج والصخب وتدفقوا الى داخل مكاتب الشركة صائحين مهددين وتدخلت قوى البوليس لمنع الهرج والاخلال النظام عن القوس والاسطرلاب . فلما كان يوم الخميس علم الناس ان الباخرة كارباثيا تسرع في طريقها الى نيويورك لأن حالة المرضى والجرحى تحتم ذلك فزاد الفلع والفزع وهرعت الجماهير تستعلم عن ساعة وصولها ولكن شركة كونارد أبت هي الاخرى ان تمدهم بالمعلومات

وفي هذه الاثناء كانت الاخبار تتوارد على الرصيف الشرقي لنيويورك عن أسماء الناجين وأدوات الاسعاف ولم يسمح لاحد بالدنو من الرصيف غير أقارب الناجين وبعض ممثلي الصحافة . ولما انقضت الساعة العاشرة دخلت كارباثيا الميناء وأقبلت على جانبيها زوارق البوليس وعلى ظهر التيتانيك . وقد وقف في مقدمتهم شاب وشابة عالمي السمت يتفرسان في الوجوه بلهفة وقلق ويتسمعان الى من هي قميص النوم ومن تنسى ملفوفاً في شكل فستان ومن ترتدي بذلة رجل ، وسواء هؤلاء أمهات يحملن أطفالهن وأطفال لا يصحبهم أحد وقد عجزوا ان يكن مصدر الى من يتولى الاعتناء بأمرهم . وبينما كان المكوثون يتسمعون النعيب شاب صيحات الفرح فتح الجرح والالم ، والاعناق تشرئب متطلعة ، والناس يتدافعون محاولين الاقتراب من السلم حتى استطاع . فكانت حركة مد وجزر لا تنقطع . ثم جاء دور ارتال الجرحى والمرضى فحولت النعالات تحملهم الى سيارات لنقل يتولها الممرضون والاطباء . ولما انتهى هذا الموكب الحزين شرع ركاب الباخرة كارباثيا في النزول . وعندئذ علا البكاء والعويل وأيقن الباقون على الرصيف أن لا أمل لهم في لقاء من ينتظرون

وقد اختار مجلس الشيوخ لجنة عهد اليها تحقيق الحادثة فكان مما أظهره تحقيقها ان قوارب النجاة بالتيتانيك ماكان يسع نصف ركاب السفينة التي كان يسع ثلاثة آلاف وخمسمائة مسافر ، وان شركة وايت ستار استخدم في سفنها صغارها وخارتها من لم تصح معلوماتهم البحرية ومن ليسوا بعد أهلا لارتياد المحيط الاطلنطي . أما القبطان سميث فقد حوكم وحكم بريئته من جهتي الاهمال والتقصير

كليمنصو - نمر لا أسد

بقلم الاستاذ حسن الشريف

يعرف القراء تفاصيل حياة نمر فرنسا العظيم جورج كليمنصو . ولكن قليل هم الذين يعرفون العوامل النفسية التي كانت تحرك هذا الرجل وتدفعه الى الجهاد للتواصل والكفاح للنشر . وهذه المقالة القيمة دراسة عميقة لرجل من هذه الناحية [المحرر]

كليمنصو رجل تعلمت الطبيعة في نفسه على كل عامل آخر حتى جعلته يرى الشر في كل انسان وفي كل مكان . ولعل هذه الطبيعة السيئة هي التي جعلته يقضي حياته في مكافحة معاصريه من رجال السياسة ، لا لأن أولئك المعاصرين أساءوا اليه أو الى وطنهم أو الى فكرة من الفكر التي كان يحبها ، بل لانه توهمهم شريرين مسيئين تجب مقاومتهم دفاعاً عن المثل العليا الوطنية التي عاش محارباً في سبيلها

واذا كان الجيل الحالي قد لقب كليمنصو بالنمر فلأن غرائز النمر كانت غرائز هذا السياسي العجيب . ولعلك تتساءل : لم لم يلقبوه بالاسد مثلاً . والاسد أشرف من النمر اسماً وأشد قوة ؟ فأجيبك أن الاسد أكرم خلقاً من النمر وأكثر شجاعة وهو - على ما يقول علماء الحيوان - لا يفترس الانسان ولا يبحث عن الفريسة بل ينتظرها . أما النمر فشرير بفطرته ، شرير بالمظاهر التي تتجلى فيها هذه الفطرة . وهو عدو لا لا يتوانى بعد الساعة فحسب بل يفترس ارضاء لشهوة الافتراس . وقد كانت شهوة كليمنصو

ولقد لازمته هذه الشهوة وحشية حتى آخر يوم عاشه وهو يقترب السنين الطوال ولا التحارب المدة في الحد منها ولا في تلطيفها . حتى لقد سئل قبيل مماته « لم لم تدوّن ذكرياتك في كتاب ؟ » فقال : « لاني أقضي فيها على كثير من الرجال » . . وسئل لم لم تتقدم الى مجمع العلماء بعد انتخابك بخطاب ؟ » فأجاب : « لان العرف يقضي أن أمدح سلفي ولست أحد في سلفي ما يستحق المدح » . . .

و « النمر » لقب لم يطلقه جمال الجماهير عبثاً على كليمنصو وانما اكتسبه الرجل عن جدارة واستحقاق حتى ان جامعة أوكسفورد وهي تمنحه لقب « الدكتوراه » لم تتحرج في أن تضيف الى قائمة ألقابه في البراءة الرسمية هاتين الكلمتين "Tigrem Gallicum" أي النمر الفرنسي وهكذا سجل هذا اللقب على اسم الرجل وسيتعدم كليمنصو الى الاجيال القادمة في صورة وحش كاسر سيء لانه عاش وحشاً كاسراً سيئاً

أمضى كليمنصو خمسة وستين عاماً من حياته في النقد والتجريح والهدم حتى بات اسمه من موجبات الفزع لساسة فرنسا وحكامها وحتى تحاشاه الجميع وظل أربعين عاماً لم يغامر في خلالها رئيس جمهورية بدعوته الى تأليف وزارة ، ولم يغامر رئيس وزارة بدعوته الى الانتظام في سلك زملائه . وهكذا أمضى الجزء الاكبر من حياته السياسية معارضاً يمثل المعارضة الحادة المتحدية المتواصلة المحتدة حيناً والمسيئة في أغلب الاحيان على أقسى وأبشع ما تكون عليه من الاشكال

وكليمنصو لا يحارب الفكرة بعناها فكرة بل يتخذ الفكرة وسيلة لمحاربة أصحابها . وفي ذلك يقول المسيو ستيفن لوزان في كتابه « Les Hommes que j'ai vus » : « ان الآراء السياسية على اختلاف أنواعها لاتبدو أمام كليمنصو الا لابسة وجه رجل (١) فاذا كان الوجه محبوباً أحب كليمنصو الرأي الذي يحمله . أما اذا كان بغيضاً فالرأي بغيض أيضاً يجب مقاومته : كانت أميركا تحمل وجه الرئيس ويلسون ، وكليمنصو لايحب الرئيس ويلسون ، فكم من العقبات أقامها في وجه هذا الرئيس حتى كاد يحرم فرنسا عطف أميركا وولاءها . وكانت اليونان تحمل وجه فنزيلوس ، وكليمنصو لا يحب فنزيلوس فكم من العوائق نصبها في طريق تحقيق مطالب اليونان . وكانت حملة سالونيك تحمل وجه المسيو ريان وكليمنصو لا يحب ريان فحارب فكرة ارسال هذه الحملة حتى كاد يقضي عليها . ولولا تحمس ريان وشدة مراسه في الدفاع عنها ، لفوت النصر على الحلفاء هذه الفكرة مظلمة [illegible] وكانت تحمل وجه لويد جورج وكليمنصو يحب لويد جورج سلم لانجلترا الموصل وصبح على فرنسا هذا الفم الكبير »

ولقد حقر كليمنصو كل رؤساء حكومته وكل الوزراء الذين تعاقبوا على فرنسا في زمنه وانتقص أقدارهم ووصمهم جميعاً بالصغر وقلة الاهلية وعدم الدراية وأسند اليهم أشنع التهم ووسمهم بأبشع الالقاب . حتى لم ينج واحد منهم من ضربة مخلب أو ضربة ناب . فالمسيو ستيفن بيشون « كلب أحبه ولكني أركله في الوقت المناسب » والمسيو تارديو « آلة مفيدة في حاجة الى من يديرها » والمسيو كايو « جيفة حية لا تحدثوني عنها » والمسيو بانليفه « رياضي يجهل حساب السياسة » والمسيو ريان « صبيح جاهل » والمسيو فيفياني « لسان ذرب وكب في رأس حمار » وهكذا لا يمر بذهنه أحد أولئك الساسة العظام حتى يدمغه بعبارة ملؤها القذع والتجريح

والحقيقة ان كليمنصو كان لا يؤمن الا بنفسه ولا يعترف بالاهلية والكفاية لغير شخصه

(١) يريد أنه لا ينظر الى الآراء من حيث هي آراء بل ينظر الى شخص القائل بها

ولعل ذلك هو الذي جعله يقول ساعة أن جاءه نبأ فشله في الانتخاب لرياسة الجمهورية : « ويل لاولئك اللئام . . ولكنهم سيطعنون ان هذا الفشل سمة لاهلي وضربة لفرنسا »

ولقد اتخذ لحياته السياسية شعاراً قوله : « يجب على الانسان أن يعمل ، وأن يتخذ العمل مبدأ ووسيلة وغاية » ثم طبق هذا الشعار على حياته الى حدوده القصوى فكانت هذه الحياة سلسلة طويلة من الاعمال المتواصلة لا تتخللها هدنة ولا فترة راحة

ما نشبت حرب سنة ١٨٧٠ بين النمسا وفرنسا كان كليمنصو لاجئاً الى اميركا هارباً من عسف الحكم الامبراطوري ولما عاد الى وطنه وناسيون الثالث على وشك السقوط الى فرنسا أمام أمرين : إما التسليم لعدو ، وإما المقاومة وليس الى المقاومة سبيل . عندئذ طهر كليمنصو وأملت عليه فطرته وجوب المقاومة فصار يدعو الى المقاومة حتى النهاية وبكافة الوسائل وبصرف النظر عما قد تؤول اليه . ووقف في الجمعية الوطنية التي انعقدت في بوردو يناضل فكرة التسليم ويأبى النزول عن الالزاس واللورين ويرمي القائلين بالنزول عنهما بأفظع واشنع ما يرمى به وطني في وطنيته .

ثم حازب اليساريين من أعضاء الجمعية الوطنية فنصب منه رئيساً عليهم وابتدأت من ذلك اليوم حملاته على الوزارات ، تلك الحملات التي استمرت عشرين عاماً أسقط في خلالها اكثر من عشر وزارات متعاقبة الى أن ظهرت في فرنسا الصحيحة بمرونة مصيبة « بانما » وكان اسم كليمنصو في طليعة الاسماء التي تلوثت فيها حتى يوهم الناس أن حياته السياسية قد انتهت ، وزادهم اعتقاداً في ذلك سقوطه في انتخابات سنة ١٨٩٣ سقوطاً مريعاً ولكن الدهر لبث ينتحين الفرصة حتى تهيأت له في قضية دريفوس اذ وقف في صفوف المدافعين عن الضابط المتهم البريء وصمد للاغلبية يناضل عن الحق والقانون بكل ما أوتي من قوة المعارضة وشدة البأس والمراس حتى استرد اعجاب الناس وعطف الناخبين ، وعاد الى البرلمان أقوى شكيمة وأحد أظفاراً . وتهيأت له أيضاً وسائل الحكم بعد مدة قصيرة أمضاها وزيراً في وزارة « ساريان » فشكل في عام ١٩٠٦ وزارة بقيت في الحكم ثلاث سنوات كانت سنوات نضال بين الحكومة ورجال الدين من ناحية وبينها وبين أصحاب المذاهب الاجتماعية من ناحية أخرى حتى صحت فرنسا من هذه الثار المشتعلة في احشائها فأسقط النواب وزارة كليمنصو طلبا للسلام الداخلي والطمأنينة والهدوء

ويظهر أنه كان لفقدان فرنسا الالزاس واللورين أعمق أثر في نفس كليمنصو حتى أنه كرس حياته لاسترداد هذا القطر المفقود من الوطن . ولقد تسيطرت فكرة الاسترداد على تفكير الرجل حتى صرفته عن سواها وحولت اتجاهه السياسي نحو تهيئة الزمن وبحث عن فكره

كل خطة ترمي الى خدمة فرنسا من طريق آخر . ومن يدري ؟ فعله كان يرى ما وراء يستبارك من أن فرنسا اذا اشتغلت بالاستعمار كان اشتغالها به دليلا على انصرافها عن الالزاس واللورين. ولعل ذلك يفسر — ان لم يبرر — معاونته لكل سياسة ترمي الى مد النفوذ الفرنسي الى ما وراء البحار ويفسر محاربته لمشروع استيلاء فرنسا على بلاد التونكين وتونس وسوريا وتركه مصر غنيمة لبريطانيا لعظمى بقصته على وزارتي جامبتا وفريسينيه . والواقع أن سياسته الخارجية تركزت كلها في فكرة واحدة وهي « الانتقام » وفي سبيل تحقيق هذه الفكرة احتاز لجانب بريطانيا العظمى مضحياً بكثير من مصالح فرنسا بل وشيء من كرامتها القومية . ولقد توثقت عرى الصداقة بينه وبين الانجليز وصارت له في هوسهم مكانة ممتازة كان يظن ان سيكون لها أثرها في مفاوضات الصلح بمؤتمر فرساي . ولكن الذي يدعو الى الدهشة ان هذه الصداقة لم تنق الى وقت الحاجة اليها ، اذ ما انعقد مؤتمر فرساي وجلست انجلترا الى جانب صديقها كليمنصو يسوبان مشاكل العالم حتى تنكر لويد جورج لهذا الصديق ولم يسلم له بشيء فكانت نتيجة هذه الصداقة القديمة ان اكتسبت بريطانيا العظمى كل شيء ولم تكتسب فرنسا شيئاً

* * *

ولقد تنبأ كليمنصو بالحرب الكبرى قبل وقوعها لأن طبيعته العسيرة كانت تحس بكل شر قبل وقوعه . فلما نشبت هذه الحرب — وكان إذ ذاك مريضاً في ريف فرنسا — أيقن أن الأزمة قد أزفت وأن لفرنسا من رجالها كافة . فخرج من عزلته مستجمعاً قواه يشن الغارة على الجميع . فتناول بسنة حادة وعبارة لاذعة ومنطق رهيب بالنقص والتشهير والتجريح غير عابيء بما قد يترتب على هذه الحملة العنيفة من الاثر السيء في روح بلاده . وسعى الى ان صار رئيساً للجنتين الهامتين في مجلس الشيوخ : لجنة الحربية ، ولجنة الشؤون الخارجية ، وصارت هاتان اللجنتان في يده سلاحاً سياسياً يفتك به خصومه ويستخدم ما يتلقاه فيهما من المعلومات ليحشو جريدته في الصباح بالمطاعن والمثالب وحفلته في المساء بالمطاعن والمثالب

وكانت سنة ١٩١٧ إذ بدأت صحيفة الحرب للملكي « لاكسيون فرانسير » حملتها على من أسمتهم « الخونة » فقد كليمنصو دراعيه واختص الفكرة ووضع نفسه في طليعة المطالبين بالتحقيق في جرائم الخيانة منادياً بأن الخطر الخارجي لا يذكر اذا هو قيس بالخطر الداخلي ، خطر الخيانة والخائنين

وكليمنصو من تلاميذ رجال الثورة الفرنسية : روسير وماراه ودانتون ، أو هو من اصراهم إذ أن وطنيته الحادة التي يذكيها سوء الظن بالناس وبالاشياء ، تصور له أن في قرارة نفس كل سياسي جرثومة من الخيانة تنعشها مصالح الخاصة والاطماع . فاذا أضفت الى هذا

النوع من الوطنية ، فطرته الزراعة الى الحرب والكفاح ، استطاعت ان تفسر حملاته العنيفة على كل رجال فرنسا واستطاعت ان تدرك سر تلك الشهوة التي كانت تدفعه الى الانتقام من خصومه السياسيين

ولقد أتى على فرنسا في محنها حين كان الشعب الفرنسي يشعر في خلاله بما كان يشعر به أسلافه أيام الثورة الكبرى فلقد كان الفرنسيون يشعرون ان الوطن حيال خطرين : خطر خارجي وهو دول أوربا الوسطى ، وخطر داخلي وهو الخونة من زعمائه ورجال الحكم فيه . ولقد عرف كليمنصو كيف يستغل هذا الشعور كما عرف مارا ودانتون وروبسبير كيف يستغلونه في أيامهم . لذلك رأيناه يقيم الشعب ويقعده بكلمتي « الخيانة والخونة » ويلهب النفوس والعقول بعبارات « اعداء الوطن القضاء على المجرمين . . . أعداء فرنسا في الداخل . . . العدو المجهول . . . » واستمرأ هذا المرعى وسدر فيه حتى بات بمثابة الرجل الذي لا يد منه لانقاذ فرنسا وألفى المسيو بوانكاريه ، رئيس الجمهورية يومئذ ، نفسه أمام الامر الذي لا سبيل الى تلافيه وهو أن يدعو خصمه الالد الى تولي الحكم في البلاد

والواقع ان كليمنصو كان عندئذ رجل الساعة بل قد كانت فرنسا في عام ١٩١٧ بحاجة الى آرائه وحدته وفطنته وشراسته

كان كليمنصو ينادي من أول الحرب بوجوب تعميم الهجوم . وكان الساسة والقواد يعتقدون ان الهجوم لعبة الذي يضحي به الجيش لا يربح عليه إلا كرمه تذهب بكل شيء ، ولكل ذلك كليمنصو يدعو الى الهجوم ، وهم لا يحرون يرضون حتى دخلت أميركا الحرب في صف الحلفاء وأصبح الهجوم ممكناً ، بل ومشروعاً غير مشروع . وعندئذ ولى كليمنصو الحكم وكانت سياسة بريان التي قضت بارسال حملة سالونيك قد بدأت تؤتي ثمارها العنيفة ووهنت قوى بلغاريا والنمسا وحارت القوى في ميادين الشرق الادنى ، فاتضح مجال العمل لكليمنصو ، ووجدت فكرة الهجوم إقبالاً من الجميع فكان ما كان

وفي هذه الساعات الشديدة الحرج لم ينس كليمنصو حزازاته وخصوماته ، وكان يشعر أن الرأي العام في حاجة الى ما يشغله ، أو الى ما يطمئنه الى أن هناك حكومة قوية ساهرة ، فلم يتردد في القبض على كايو وعلى مالفي وعلى شارل همبر ، وبدأت قضايا الخيانة الكبرى مما لا فائدة في ترديده في هذا المجال

ولقد استعان كليمنصو بمؤهلاته البرلمانية في الاستحواذ على الثقة العامة : فلقد كان رجلاً ذا خلق متين ، وإرادة عالية ، وطبع حاد ، وفي الاوقات العصيبة التي كان رجال السياسة ينزعون فيها من المسئوليات كان كليمنصو يقبل على حمل هذه المسئوليات برغبة صادقة غير عابئة

بما اذا كان يدرك حقيقة الموقف أو لا يدركها . ولقد بدأت فرنسا في وقت من الاوقات تسأم ساستها الضعفاء أو الشديدي الحذر ، أو العيدي النظر الذين لا يبرمون أمراً قبل أن يقلبوه على شتى وجوهه ، بل قل انها بدأت تحس الحاجة الى حاكم بأمره يحمل المسئوليات كلها ويبت في نفسها الطمأنينة والثقة . ومَن غير كليمنصو أمنها في هذه اللحظة ؟ انه الرجل الذي طالما جهر بأن حكام فرنسا هم الذين يطيلون أجل الحرب بخوفهم وترددهم ، وهو الرجل الذي وضع أصبعه على فريق من الكبراء وصاح : أولئك هم الخونة . ثم هو فضلاً عن ذلك الرجل الجريء الذي لا يتردد . والقوي الشكيمة الذي يعرف كيف يقف في وجه العدو . اذاً فليتول الحكم ، وقد تولاه . فاذا سألت عن سر نجاح كليمنصو في حكمه لفرنسا فابحث عنه في الظروف المعاونة وابحث عنه في أخطاء خصومه وسقطاته

تولى الحكم وتقدم الى مجلس النواب يعرض سياسته فقال : « سياستي الداخلية هي اني أحارب ، وسياستي الخارجية هي اني أحارب ، وليست لي سياسة غير ذلك وسأظل أحارب حتى ربع الساعة الاخير »

ولقد عمد سلفاؤه في الحكم الى سياسة الاتحاد المقدس وجمع الاحزاب حول علم الجهاد ولكن مدلول الاتحاد المقدس في عهد رجل مثل كليمنصو كليمنصو بحكم فلا بد اذاً أن يشعر خصومه بأنه يحكم ، اذاً لا بد له من خصوم . فهوى يهوي على بعض خصومه الاقدمين وعلى الذين لا يرون وجوب الاستمرار في الحرب الى النهاية ، ووجوب أن يهوي بها على الاشتراكيين ولكنه مضى في الوقت نفسه الى أن في استطاعتهم أن يشلوا حركة تسليح الجيش فامتنع

أما سياسته الحربية فقد جعلته يترك لقواد الجيش الحرية المطلقة في تصريف شئون الحرب بعد أن كانت هذه الحرية يحدها تدخل الوزراء والبرلمان ويقول لهم : « اعملوا وأنا اسئول » ولم يكن كليمنصو عسكرياً ولكن كانت فيه روح حربية كامنة استيقظت اذ احتكت بالحرب والجيش . وكيف لا يكون ذلك وحبه للكفاح والاقدام والنظام والامر والنهي والشجاعة من الصفات الحربية ؟

ولقد خرج كليمنصو من الحرب الكبرى يحمل فوق رأسه هالة العازي المنتصر واذا كان هذا حقاً فانه حق الى حد ما لان فرنسا لو خسرت الحرب لحمل كليمنصو كل تبعة الهزيمة ولحملها التاريخ كل أدوارها . ولان كليمنصو قد عاون فرنسا في الانتصار بالحزم الذي أبداه في سياسته الداخلية وبنشره الثقة بالجيش في قلب الشعب وبتعميمه لفكرة مواصلة الحرب الى النهاية

ولكن المؤرخ يخون الحقائق الثابتة اذا لم يقرر أن كليمنصو قد استفاد كثيراً من عمل

الذين سقوه في الحكم وان النتيجة الباهرة التي توج بها جهده العظيم انما ترتبت الى حد ما على ما قام به سلفاؤه من الاعمال

ولا يستطيع المؤرخ المنصف أن ينسى أن من أسباب انتصار الحلفاء حملة سالونيك وقد كان كليمنصو أكبر أعدائها وإن من هذه الاسباب بل أهمها اشتراك اميركا في الحرب ووقوفها في صف الحلفاء وان هذا الاشتراك لم يضرب فيه كليمنصو بسهم

هم كليمنصو باعتزال الحكم عقب اعلان الهدنة ، ولكن كانت طبيعة الاحوال تقضي بأن يبقى فيه حتى يتم الصلح وحتى تستعيد فرنسا ما أحرزه من المكانة على حل مشكلات السلام

ونقد يطول بنا القول اذا نحن أردنا أن نتكلم عن الدور الذي لعبه كليمنصو في مؤتمر فرساي ولكنا بين التهم التي يكيله إياها اسيو سنيمان لوزان في كتابه السالف الذكر وبين امتداح التي يكيله إياها صديقه تارديو في كتابه « الصلح » نميل الى الظن بأن معاهدة كمعاهدة فرساي تعاورت فيها مطامع الدول العظمى واشتبكت مصالحها الى هذا الحد البعيد — ما كان من الممكن أن تخرج للناس مثلا أعلى لحكمة البشر وانه لا يجوز عدلا أن يحمل كليمنصو وحده تبعة ما حوته من مساوىء وشروط لا يمكن تطبيقها ، ولا تبعة ما قد تجره في المستقبل من اصطدام تذهب فيه أرواح ملايين أخرى من بني الانسان

ولكننا سود فضول ان الطبيعة المسيطرة على عبقرية كليمنصو وبأسه من صلاح البشر قد أثرا الى حد بعيد في سلوكه . ولعل أهم شيء في معاهدة فرساي وهو عصبة الامم قد خرج من يديه ناقصاً ومشوهاً فلأن طبيعته كانت توحي اليه أن عصبة الامم أحلوبة مؤقتة لا تستحق الاهتمام وان السلام العام حلم حليق بالأطفال حتى أنه قال يوماً لصديق يحادثه : « أأنت من الذين يؤمنون بهذه السخافة الكبرى التي تسمونها عصبة الامم ؟ » وحتى أنه كان يسخر علناً من نظريات الرئيس ويلسون ولا يرحمها من سخرياته ولا من كلماته اللاذعة . ولا شك أنه لا ينتظر من رجل ينكر التقدم البشري ويكفر بصلاحية الحمية الانسانية للكمال — أن يعمد في وسط اشكال هام كتسوية المشاكل التي خلفتها الحرب ، الى الاهتمام ببناء مستقبل للعالم هو نفسه لا يؤمن به . لذلك رأيناه في المؤتمر سياسياً فرنسياً يعمل لصالح فرنسا على الوجه الذي طنه أكمل فحسب

لقد كان كليمنصو يعلم ان عمله ميدان واسع للنقد والتجريح وكان يعلم ما تنتهي معاهدة فرساي للمستقبل انما هو قصور من الورق لا تلبث أن تتداعى ، حتى انه صرح يوم عقد الهدنة لصديق كان يمتدح ذكاءه وتوقد عقله فقال : « كلا لست رجلا ذكياً كما تقول والا لو كنت رجلا

ذكياً أو على الاقل رجلا ذا أطلاع ، أتدري ماذا كنت أفعل ؟ كنت أموت الليلة فأضمن لاسمي الخلود أو على الاقل أضمن لحتى حنارة فخمة »

ولكن الطبيعة البشرية قلب لا تستعر على شيء . فلقد رأينا هذا الراهد في الحكم وفي نعيم الحياة يستحلي الحكم ويحاول الاسرادة منه حتى رشح نفسه لرياسة الجمهورية ، أي للمنصب الذي افنى سني حياته واستنفد مداد اعمار في تحقيره والتشهير به ، ولعل الناس يذكرون أن احتقاره لهذا المنصب كان يجعله يرشح له اقل السياسيين كفاءة له حتى أنه أعان على توليه امثال « سادي كارنو » « وايلين لوبيه » و « ارمان فاليير » . ثم دار الزمان دورته وأصبح كليمنصو نفسه يطمع في هذا المنصب

رشح كليمنصو نفسه لرياسة الجمهورية ولكنه كان يجهل أن البرلمان الفرنسي الذي أقر معاهدة فرساي تحت ضغطة وتحت تأثير الظروف ، انما كان يتلمس الفرصة ليظهر له سخطه وقد هيأ البرلمان هذه الفرصة بنفسه فكانت النتيجة أن فاز عليه اقل معاصريه جدارة بهذا المنصب وهو « ديشانيل » رئيس مجلس النواب اذ ذاك

كانت الصدمة قوية على نفس الرجل حتى انها اذرفت الدموع من عينيه . ويالبيت شعري هل بكى من ألم فراق الحكم ، أم بكى من جحود معاصريه فضله ، أم بكى لانه لم يعرف كيف يغادر الحكم على وجه أصون للكرامة وأبقى على حفظ هذا الاسم كبير في صفحات التاريخ ؟ ومن يدري فلعله بكى لهذه الاسباب جميعاً

على أن كليمنصو رغم علاته وحشمة قصرته ورغم كل ما نسب اليه ، يغادر هذا العالم واثقاً أن اسمه سيظل باقيا ما بقيت فرنسا وأن صورته ستبقى من أهم الصور التي يسجلها تاريخ السياسة والسياسيين

ولعلنا لا نظلم الرجل اذا رأينا في النهاية ما يراه المسيو ستيفان لوران عند ما يقول : « لقد قدر لذلك الرجل العجيب ان يرتفع الى أروع الذري وأعلى المصائر ، ولقد كرس هذه الحياة الطويلة لخدم كل شيء ثم أتاحت له المقادير ساعة اتحد فيها بناء مجد فرنسا وأنقذ كل شيء . إن هذا الرجل قد عاون على بناء اعظم نصر حربي عرفته التاريخ ، وعاون على بناء اكبر هزيمة سياسية عرفها التاريخ ، ألا وهي «معاهدة فرساي» . لقد كان في أستطاعة هذا الرجل أن يكون أسد فرنسا ولكنه مع الاسف لم يكن سوى نمرها »

حسن الشريف

سير العلوم والفنون

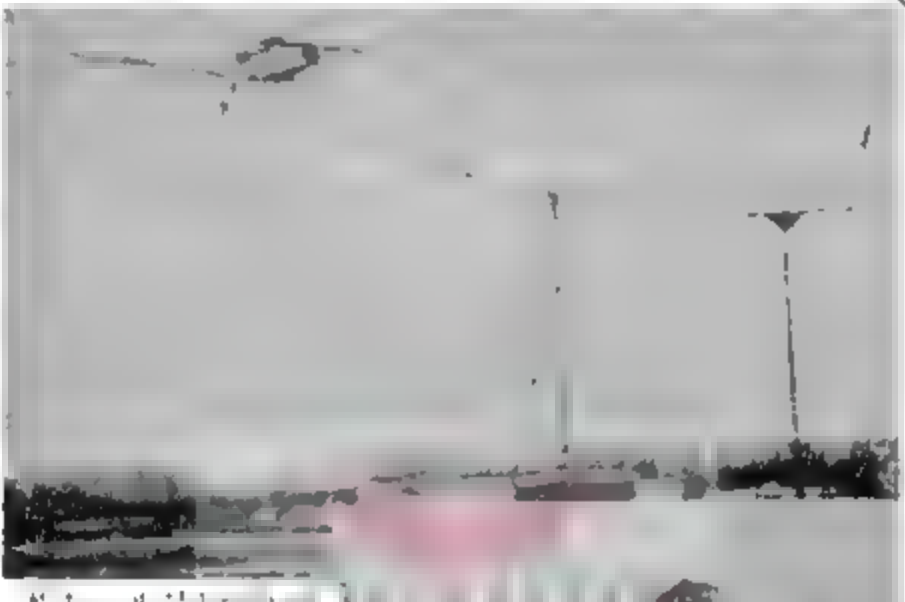

ل الطائرات للتدريب في الجو
وهي طائرة

أثر باقي عمره ٣٠٠٠ سنة

المستر هوراس جاي مدير متحف جامعة بنسلفانيا الامريكية ممسكا بيديه رأس عجل
وجمراً من عهد الملك سوحد حمر المذكور في التوراة

جهاز لاقلاع صيد الطيارات
من البحر

أعلن وزارة البحرية البريطانية انها تجد
المهندس جهاز أنشيه بكنه
لسه الهندي في رأسه
بكنة للواسته مكنه من التقر
على سطح الماء وستجهز جميع
الواسات الانجليزية بهذه الآلة
التي ترى صورتها الى اليسار

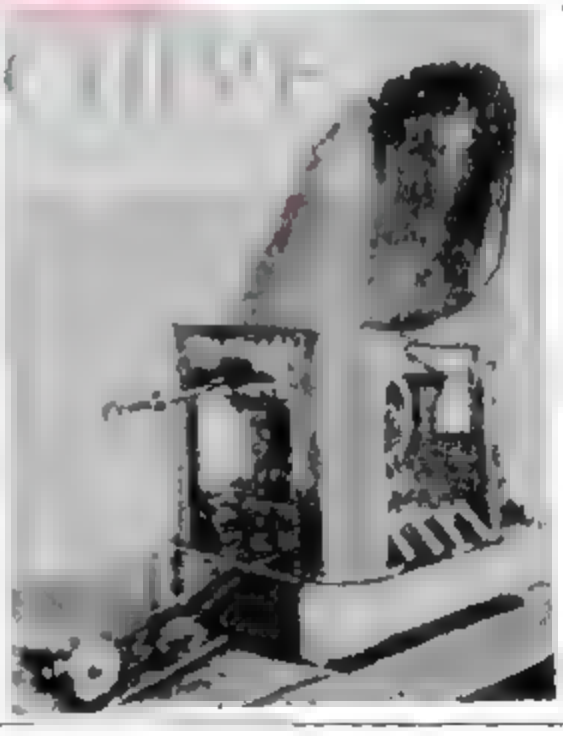

ان عمل كل مهندس الطيارة
مشروع لامريكيين هذه الآلة التي
ترى في الصورة وصوتها بيروتكو
وهي من عيار الزوبعة أي الآلات
التي تهوم عليها الناس في أعماقه ويحار
هنا عمل مهندس الطيارة أو ساعة
وقد وضعت في طيارة مطارت ليلا من
اوهيو الى واشنطن وبيوورك وعادت
الى اوهيو ساعة من غير أن يكون في
الطيارة مهندس

قارب بوتقار رقاب الطيارات

هو أسرع قارب في [illegible] وازال الى بحر التاسع في ٢١ نوفمبر الماضي في اسطنبول بأمر وسيكون [illegible] لقاذ ركاب الطيارات التي تضطر الى النزول في البحر [illegible] وحمولته [illegible] بمحركان قوة كل [illegible]

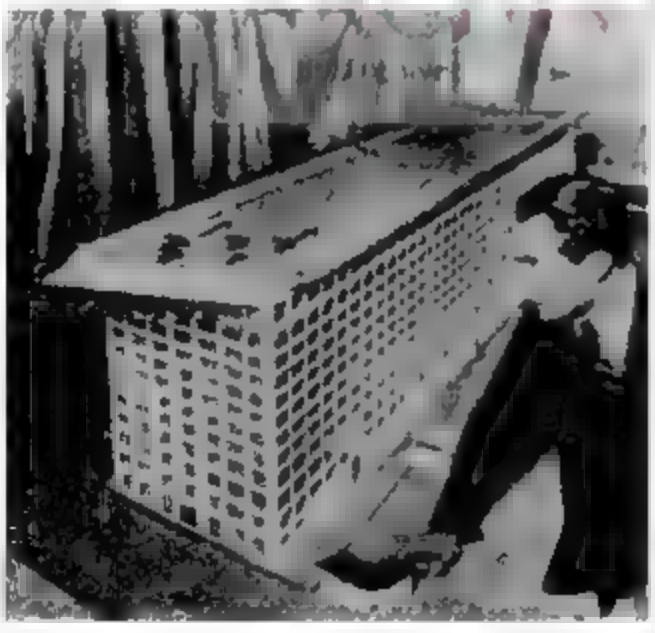

أنموذج أصدى لمرافئ السحاب للطيارات

ترى الى اليسار نموذجا لبناية من الابنية التي أطلق الاميركيون عليها اسم مرافئ للسحاب ولكن هذه البناية يراد استعمالها محطة لطيارات في مدينة لوس انجلس بولاية كليفورنيا في أقصى الغرب وستكون اثنى عشر طابقا وتبلغ نفقتها ١٠ مليون دولار

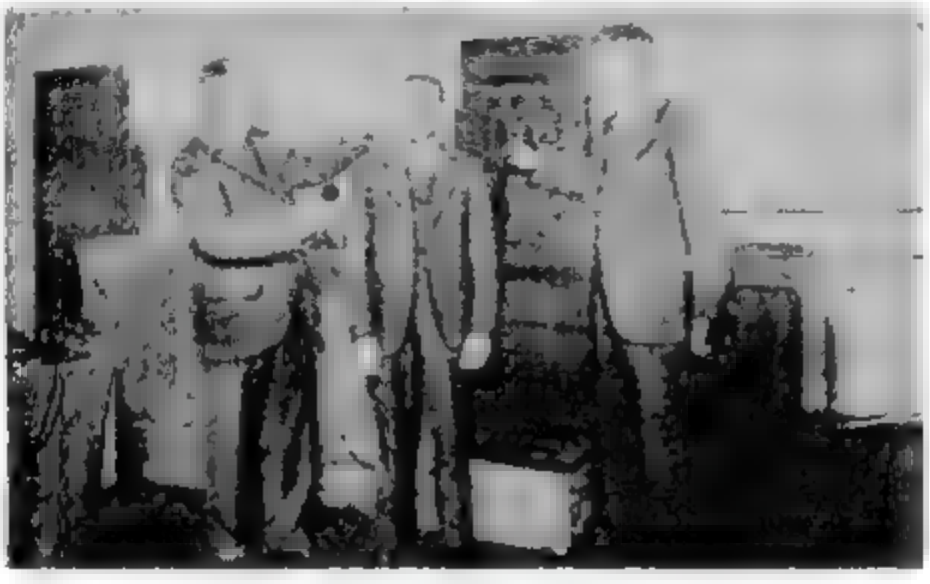

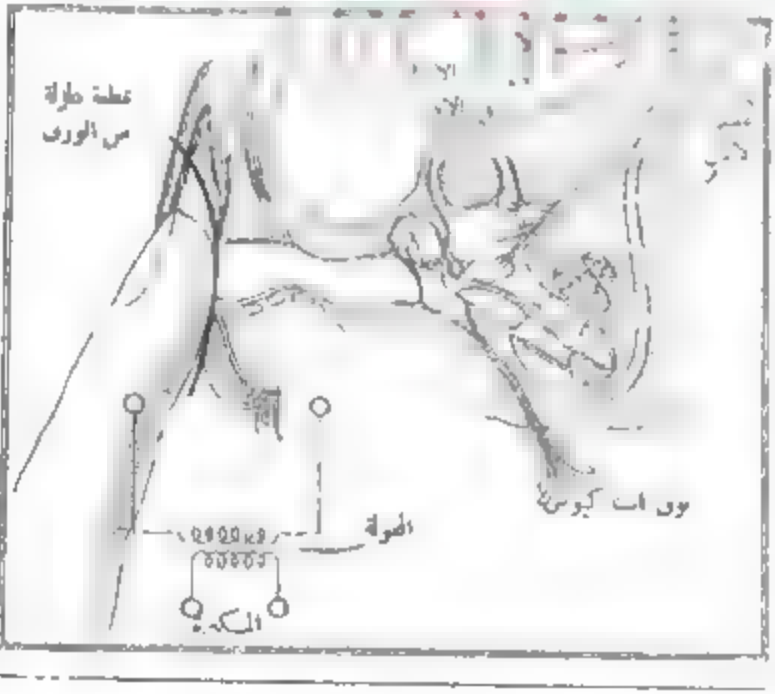
قطعة طويلة
من الورق
الصولة
البكرة

البارافين للتحنيط

بدء يعمل في معمل استعمال البارافين لحشو الحيوانات التي يراد حفظها فيقوم بذلك مقام المواد الاخرى التي تستعمل للتحنيط . وقد اشتهر هذه الطريقة الحديثة الدكتور هوشستتر البريطاني

بعض الحيوانات البحرية والزواحف التي يراد تحنيطها بالبارافين وقد وضعت في حمامات خاصة قبل حشوها بالبارافين

صيد صيني غريب

تمثل هذه الصور الاربع عركا رومانيا من صيد الصيني لتعريف كيف يصيد السمك الطريقة
هذه كبير في الماء فتنقضها من فمه فيطير السمك على سطح الماء فتبيض الانثى
بيضها في الماء ينقض الذكر على هذه البيض واحدة بعد الاخرى ويعطيها الى السمك فتلتصق به
وتحرسه حتى تفقس البيض ثم تأكلها

دجاج بلا أجنحة

من مآل النشوء تحسين الاعضاء والصفات النافعة في الحيوان والنبات و طراح غير النافعة على تعادي الزمن . والناس يساعدون الطبيعة على تحسين النافع واطراح غير النافع لمصلحة لهم كما يفعل بعض مربو الحيوانات الاهلية النافعة فقد قرأنا عن أحد مربي الدجاج في ولاية أوماها الاميركية انه يأتي بدجاجة عادية فينتف ريش جناحيها كل سنة مدة حتى سنوات وفي خلال هذه المدة يقل بيضها ولكنها بعد انقضاء هذه المدة تصبح بلا جناحين ويكثر بيضها حتى يبلغ متوسط ما تبيضه في السنة ٣٠٠ بيضة . ثم انها تفقد أظافر رجليها فتصبح غير قادرة على الاضرار بالشاتلات في الحدائق التي تدخلها

الحرارة واكتشاف المعادن

يؤخذ من بعض التجارب التي جريت في صواعي بعض المناجم [illegible] ارتفاع في حرارة مناجم البترول وبعض [illegible] وعليه يقولون انه لا بعد أن يستعمل الترمومتر في المستقبل للدلالة على مناجم المعادن واستنباطها منها وخصوصاً البترول والفحم واللح

أصل الحضارة القديمة

في وادي دجلة والفرات والنيل

كانت جامعة أكسفورد ومتحف العاديات في شيكاغو قد أوفدا منذ سنتين بعثة أثرية لاكتشاف آثار المدنية القديمة في وادي دجلة وفي شمال شبه جزيرة العرب حيث بعثة أكسفورد فيلد . وفيلد هذا هو مدير المتحف المذكور وقد كان عضواً في البعثة فقضى في وادي دجلة زمناً ثم ولى النقب عن الآثار في الصحراء الواقعة شمالي شبه جزيرة العرب

ويؤخذ مما نشره عن العاديات التي وجدت هناك أنهم حفروا في « كش » الى عمق ٦٠ قدماً تحت سطح الارض حتى بلغوا تربة جديدة كل ما تكوم فوقها من التراب تكوم على مر القرون . ولما وصلوا الى عمق ٣٠ قدماً وجدوا آثاراً من عهد سرجون قبل المسيح بستة قرون أو سبعة ثم حفروا على طبقة كثيفة من التربة الحمراء التي لا تصلح للزرع . وتحتها آثار طوفان عظيم موضعي لنهر الفرات . وهذه الآثار هي طبقة راسبة من طميه سمكها ١٨ قدماً . ومن رأي أعضاء البعثة أن هذه الطبقة هي من آثار طوفان نوح الذي حدث قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة

وتحت هذه الطبقة آثار زمان طويل كان في [illegible] من العصر الحجري القديم وينتهي الى العصر الحجري الجديد

[illegible] فيلد آثاراً مما بين العصر الحجري القديم والعصر الحديد كما وجد في وادي دجلة والفرات ـ ومنها ما يرجع عهده الى عشرين الف سنة . وقد اتفق المنقبون كلهم على أن بادية الشام وبادية شمال شبه جزيرة العرب كانتا ارضاً خصبة كثيرة المياه والروح والغابات وان أهلها كانوا فريقين رحلا ومقيمين يحرثون الارض ويزرعونها

ومن رأي الدكتور فيلد ان هواء البلاد لا بد أن يكون قد تغير كثيراً ، وان تحولها من الخصب الى الجدب أكره اهلها على الهاجرة شرقاً وغرباً . ولعلهم الشعب الذي أسس الحضارة القديمة في وادي الفرات ودجلة وفي وادي النيل ايضاً

ولكن الدكتور ستيفن لنجدون أستاذ اللغة والعاديات الاشورية في جامعة اكسفورد ، وهو

من الثقات في أحوال الشعوب التي عاشت فيما بين النهرين لا يوافق المستر فيلد على رأيه هذا ويقول: « ان عدد آثار مدينية فيما بين النهرين أقدم بكثير مما وجد في الدينيين ، وهذه الآثار هي أختام وكتابات وحفر على النحاس وآنية خزف وفخار مدهونة مصورة ، يمكن أن تكون قد أتت من الشرق (عيلام) ، وجهة أواسط آسيا ولا يمكن ان تثبت وجودها في البلاد التي يقول المستر فيلد ان أهلها اسسوا مدنية وادي الفرات ، ويظهر ان علماء الآثار ميالون الى هذا الرأي الاخير

صوت الافاعي

المعروف ان الافاعي لا صوت لها ولكن لها فحيحاً يشبه الصفير لا أقل ولا أكثر . ولكن بعض العلماء يقول انها تحدث صوتاً ، وبما ان هناك كثيراً من الحيوانات . فقد رأى عالم طوله ٢٤ قدماً يجمع نفسه في دوره حتى يصير الى نصف طوله ثم يحدث صوتاً يشبه تماماً هزار الصفير أو مخال الخيل ، والغرض من ذلك إغراء هذه الحيوانات حتى تدنو من ناحيته الصوت فيسهل عليه صيدها

وسمع بعضهم أصواتاً في « نياسالند » تشبه الاجراس ولم يرَ مصدر الصوت ، ولما سأل الاهالي عنها قيل له انها صوت أفاعٍ ولكنهم لم يكونوا مقتنعين بهذا القول على ما يظهر لأنهم قالوا ان هذا الصوت قد يكون صوت جرس في قرية قريبة

والحقيقة غير معروفة فلو كان للافاعي صوت لوجب ان يسمعه الناس في الاماكن التي تكثر فيها مثل آسيا وأفريقية وأستراليا وأميركا ولكن يقال من جهة أخرى ان ليس ثمة مانع طبيعي يمنع ان يكون للافاعي صوت فقد كان الفلاح يهدد غيره بالافعى ان صوت مثله

دودة الفاكهة

سطت على حدائق البرتقال والاترج في ولاية فلوريدا الاميركية دودة جاءتها من برمودا وبهاما . والاولى تبعد ٩٠٠ ميل عنها . والثانية ١٥٠ ميلاً . وحدائق فلوريدا هذه مصدر عيش لأميركا وفيها من الاثمار ما لا يقدر له في أميركا الا ولاية كليفورنيا في أقصى الغرب . والاميركيون حائرون مضطربون لا يدرون كيف يقفون شر هذه الآفة

المجمع المصري للثقافة العلمية

﴿ بيان عام ﴾

بحث عزيمة طائفة من المشتغلين بالعلم وفكروا في هذا الفطر على تأسيس مجمع علمي سموه « المجمع المصري للثقافة العلمية » تكون أغراضه :

(أولاً) نشر العلم وتعريبه باللغة العربية

(ثانياً) تربية اللغة العربية بكتابة البحث العلمية بها ونشرها

(ثالثاً) انشاء رابطة للمشتغلين بالعلم من أبناء اللغة العربية

والطريقة التي يسوغ ان يجري عليها لتحقيق أغراضه هذه هي :

(أولاً) عقد مؤتمر سنوي لالقاء الخطب العلمية وتلخيصها ونشرها ملخصة في الصحف السيارة والمجلات ثم طبعها كاملة في مجموعة تودع وتباع

(ثانياً) القاء خطب علمية دورية

(ثالثاً) عدم تعرضه للسياسة والدين

أما لغته فالعربية وأما مركزه فالقاهرة عاصمة المملكة المصرية

* * *

وفيما يلي أسماء الفضلاء الذين قبلوا حق كتابة هذه السطور أن ينتظموا في هيئة مجلسه التأسيسي:

الدكتور علي ابراهيم بك — رئيس المجمع لسنة ١٩٣٠

الدكتور محمد شاهين باشا
الدكتور فارس نمر
الدكتور خليل عبد الخالق
الدكتور عبد العزيز احمد
الدكتور علي مصطفى مشرفه
الدكتور حسن بك صادق
الدكتور محمد شرف
الدكتور محمد رضا مدور
الدكتور كامل منصور
الدكتور جورجي صحي
الدكتور علي حسن
الدكتور احمد زكي أبو شادي
الدكتور شحاتيري
الاستاذ اسماعيل مظهر
الاستاذ سلامة موسى
الاستاذ فؤاد صروف « سكرتير علم دائم »
الاستاذ كامل كيلاني « مساعد سكرتير »

وقد اجتمع المجلس التأسيسي وقرر أن يعقد مؤتمره السنوي الاول في الاسبوع الثاني من فبراير الذي يبتدىء في يوم الجمعة ٧ فبراير وينتهي في ١٤ منه وسيعلن عن برنامج هذا المؤتمر وأسماء الخطباء وموضوعات خطبهم ومكان القائها في أواسط يناير القادم

السكرتير العام الدائم

تعب المعادن

وجد علماء المعادن أن المعادن تتعب وتكل كما تتعب الاحياء . فاذا أعيت صدمات صغيرة متتالية فقد تتكسر بلا سبب ظاهر ولا سبيل الى تلافي ذلك الا إراحتها . وقد اخترع البروفسور مور من أساتذة جامعة اليوبر الاميركية طريقة يعرض بها المعدن لاكثر من مائة مليون صدمة صغيرة . وظهر له من فحصه بالمكرسكوب بعد ذلك أن المعدن بدأ يشعر بالتعب . وعلامة هذا الشعور انفصام واحدة من البلورات الصغيرة التي يتألف منها الى اثنتين . فاذا استمر الاعياء جعلت البلورات الاخرى تنقسم ثم يتكسر المعدن

ومنذ مدة وجيزة انكسر جسر حديدي في [illegible] بلا [illegible] فلم يجدوا لانكساره سبيلا سوى تعب الصلب الناشيء من توالي [illegible]

تعليل جديد للشفق القطبي

علل الشفق القطبي الذي يرى جلياً في البلدان الشمالية وقد عدد آثاره الى أماكن عديدة منها — تعاليل كثيرة أحدثها أن جواهر الهواء والذرات الاخرى التي تتصاعد من البلدان الحارة الى أعالي الجو تتكهرب بفعل أشعة الشمس التي ما وراء البنفسجي فيجذب حينئذ قطبا الارض المغناطيسيان كما يجذب قطبا المغناطيس العادي برادة الحديد فتندفع في الهواء بسرعة خمسة آلاف ميل في الساعة أو أكثر وهي مصاحبة من البلدان الحارة ونازلة الى القطب حيث الشفق القطبي (اورورا بوريالس) حول القطب الشمالي ، والشفق القطبي (اورورا اوستراليس) حول القطب الجنوبي

سيارة جديدة

اخترع اميركي اسمه جيمس مارتن من صناع الطيارات في نيويورك سيارة لراكبين عرضها حمس أقدام وثقلها ٦٠٠ رطل وتتسع خلوناً من البارولين أو البنزين في مسافة ٥٠ كيلو متراً وثمنها ٢٠٠ دولار (٤٠ جنيها) وسرعتها ٦٠ ميلا في الساعة

ربح المخترعين من الاشياء الصغيرة

قال أحد الكتاب المطلعين على ربح المخترعات وبجاحها : ما شئت ان تتعهد الاختراع مهنة لك فالزم الاشياء الصغيرة وحاذر الكبيرة فان اتقان دبوس قبض أكثر ربحاً وفائدة على المخترع من اختراع محرك جديد (موتور) لانه اذا كان المحرك نافعاً حقيقياً وجدت من يشتريه بثمن حسن واذا كان المحرك يحدث انقلاباً عظيماً في الآلات المحركة التي حلت محلها فقد تكون من أصحاب المصالح المختصين تحول دون ظهوره مدة طويلة

فقد اخترع انجليزي منذ مدة نوعاً جديداً من الطوب لتسوي الماء يفوق انواع الطوب الموجودة في متانته وقلة امتصاصه الرطوبة . وهما مزيتان عظيمتان لان أنواع الطوب الموجودة تمتص ماء ورطوبة كثيرة فيبقى البيت المبني بها رطباً مدة طويلة . وكان لهذا الطوب الجديد مزية ثالثة ربما كانت أهم من الاخريين وهي رخص ثمنه . ولكن ماذا حدث ؟ رأى أصحاب معامل الطوب الموجودة انه اذا تقدم هذا الطوب الى السوق بارت صناعتهم فاضطروا الى هدم معاملهم والتعيش عن أعمال أخرى فهبوا يقاومون المخترع واختراعه فبقي يعمل طوبه بلا ربح

شاهد ثان : مازال الناس منذ القدم يطحنون باستخدام حركة الموج من مد وجزر الحصول على القوة المحركة . ويقال عن ثقة ان أميركياً اخترع طريقة للحصول على قوة كهربائية من هذه الحركة بتكلفة ليست كثيرة . وعرض مخترعه على لجنة من الخبراء فشكت صحته ولكن ماذا كانت النتيجة ؟

ذلك ان شركات النور والقوة المحركة رأوا في هذا المخترع وسيلة لخراب صناعتهم ومتاجرهم اذا ترك ليعمل ، فاشتروه متحدين

شاهد ثالث : منذ سنوات اخترع عالم طريقة لجمع كهربائية الجو و لا نفاع بها في الاعمال فحول الى منزله بحرى قوته ٥٠٠ فولطاً وأنار به ولكن لم يلبث ان عدل عنه هذا لانه يقلب نظام القوة المحركة الطبيعي رأساً على عقب

شاهد رابع : بلغ منذ سنين ان مخترعاً ركب ذهباً من مواد مختلفة يصير به أرخص من الرصاص فأخذ الى مستشفى المجاذيب وطمس خبره وخبر مخترعه

شاهد خامس : اخترع عالم أميركي في كليفورنيا مغناطيساً يجذب الذهب بأسهل مما يجذب المغاطيس العادي الحديد . فذكر هذا الاكتشاف في الصحف اليومية ثم سكت عنه . فهل كان العالم مخدوعاً ؟ أم هل شعر ملوك الذهب بالخطر الذي يتهددهم من هذا الاكتشاف فعملوا ما عملوا لاسكات هذا العالم ؟ ووجه الخطر من اكتشافه انه يمكن الناس من استخراج الذهب بمقادير عظيمة فيكثر وجوده وتهبط بالتالي قيمته

نجم الشعرى

نجم الشعرى اللامع ألمع النجوم الثابتة من الارض ويسميه الانجليز سيريوس أو نجم الكلب ، وكان الرومانيون يسمون آخر أيام السنة من ٣ يوليو الى ١١ أعطس أيام الكلب لانهم لاحظوا ولاحظ اليونانيون قبلهم ان نجم الشعرى يشرق في هذه المدة قبل الشمس ، فملؤه تعة للصناعات والطواعين التي كانت تكثر أيام شروقه الباكر . وبحدثنا الكتاب الرومانيون عن ذبح الكلاب في هذه المدة لكتم غيظ سيريوس هذا أو « النجم السوري » كما كانوا يسمونه فانه « ينضج عن بعد فيملأ الجو فاذا بساعة الكريه »

لكن علم الهيئة الحديث وعلم سبكتروسكوب أو الظواهر الجوية يقولان بان نجم الشعرى منهم بريء وانه صحيح من ضحايا الصاروخ لا يمر فلا علاقة له بالهواء وتقلباته والطقس وتغيراته ذاتاً . والتعليل العلمي لاشتداد الحر في المدة المذكورة لا في ايام الصيف أو بعبارة الانقلاب الصيفي في ٢٣ يونيو ، هو ان الحرارة تتبع الشمس كما ان أحر ساعات النهار ليس الظهر بل ساعة أو ساعتين بعده . وأحر الصيف ليس منتصف الصيف بل بعد شعلة الانقلاب بقليل

وكان الكتاب الاقدمون يصفون الشعرى بأنها حمراء كالنار وأشد احمراراً من المريخ ولكنها اليوم بيضاء مزرقة . ويظهر ان هذا التغير في لونها حدث منذ نحو الف سنة لان الكتاب كلهم منذ القرن الحادي عشر المسيح عن وصفها بالاحمرار

مقارنة بين الانجليزي والاميركي

قال كاتب أميركي ان الرجل الانجليزي لا يستطيع أن يفهم عقلية الاميركي التي تجعله يتحمس في العمل ، ويشد اللهو واللعب ، فيعمل وقتاً أطول ويلعب وقتاً أقصر . وحقيقة الامر ان الاميركي يحسب العمل لعباً ولهواً . وتوسيع عمله وجمع ماله هما عنده ما الالعاب عند الانجليزي . وليس جمع الاميركي للثروة سوى نوع من اللهو يشبه لهو الانجليزي بالكريكيت

هذا رأي . ولكن هناك رأياً آخر ارتآه رجل أميركي أعظم مقاماً وعموداً وأنفذ كلمة من هذا الكاتب الاميركي وهو به الستر تحت رئيس الجمهورية الاميركية وسيد البيت الابيض ورئيس المحكمة العليا الآن . فقد كتب مقالاً ينفي فيه عن قومه شدة استمساكهم بجامعاتهم وسائر مدارسهم العالية وغيرتهم في لعبة الغولف وغيرها من الالعاب الرياضية ، وأخبرهم بسوء العاقبة اذا ظلوا يسيرون هذا السير من الانهماك في اللعب وترك العلم ، أو وضعه في مرتبة دون مرتبة اللهو واللعب

وقد علقت الجريدة التي نشرت له المقالة على مقاله باحصائية جاء فيها ان جامعة ييل باعت سنة ١٩٢٨ تذاكر لحضور حفلة المباراة السنوية التي تشبهها عيون دولار بلغ صافي ربحها منها أكثر من نصف مليون . وبلغ ربح جامعة هارفرد من حفلة مثلها ما يزيد على ٤٢٠ الف دولار وبرنستون نحو ٣٠٠ الف دولار

وجامعة مشيغان ما يزيد على ٤٠٠ الف دولار

شئون الدار

النور والقراءة

لا ريب في أن أشعة الشمس تنعم الجسم إذا وقعت عليه سمحاً أو شتاء بشرط أن يقي الرأس والعينان في أثناء ذلك . والقراءة في نور الشمس الشديد ووضح النهار مؤذية للعين فيجب اتقاء وقايتهما بتخفيف النور واحتمال ما يستطاع من الظل . وكما يقال عن القراءة في نور الشمس يقال عن القراءة في النور الصناعي والأحسن أن يقع النور على ما يقرأ وما يكتب من خلف ومن فوق الكتف اليسرى ما أمكن ذلك . فوقوع النور من فوق الكتف اليمنى يلقي ظلا على الحروف فلا يتبينها القارئ أو الكاتب جيداً

ثم ان عادة القراءة في الفراش تحمل العينين تعباً كثيراً اذا دام كان مصدر أذى كبير لهما

مادة جديدة في البيض

تذر باخلاب عظيم في صفة النوع

ليس هناك ما يقلق بال الأم مثل ولادة طفل لها ، حجمه أصغر من الحجم العادي . وليس هناك ما يسرها مثل معرفتها ان في السوق شيئاً يبلغ اذا استعملته لطفلها غذا وترعرع وأصبح حجمه عادياً . وقد اكتشف العلم هذا الشيء فما يقال ولكنه لا يزعمه في السوق البيع كما تعرض السلع قبلما يثبت الامتحان نجاحه بعد تجارب كثيرة . ومن خواص هذا الشيء انه يسمي عظام الطفل بسرعة فتصير أنسجة جسمه الاخرى أن تماشي العظام في نموها فتكسوها لحماً وشحماً . وقد خيف أن تكون سرعة نمو الجسم على حساب الدماغ فينشأ الطفل جباراً عملاقاً في جسمه قزماً في عقله ، وهذا ما لا يريده أحد أن يتصف طفل له به . ولكن أرال خوفهم هبا ذهب بهبوبها في جراء الكلام مجرورة بطلاء ما يدور ، فقد أطمئنت من جسمه ذاوه فشاف أكثر من أقرانها وأجمل نمواً وأسرع فهما

وقد كان العلماء يقولون منذ زمان طويل ان نمو الانسان العقلي بلغ حده لأن هناك أسباباً فسيولوجية تحول دون ولادة الاطفال برءوس أكبر من رءوسهم الحاضرة ، وهذا ما يحدد حجم الادمغة . ولكن اذا كان الاطفال أكبر كان هناك مجال لتكون رءوسهم والتالي أدمغتهم أكبر مما هي الآن

ولا يعرف تأكيد هل تؤثر هذه المادة في النظام والانسجة مباشرة أو بواسطة الغدة

الخلفية عند قاعدة الدماغ . فان تهيج هذه الغدة يضخم الاجسام ويولد جبابرة ولكنهم لا يكونون طوال الاعمار ولا على حانب عظيم من الذكاء ، فان كان فعل هذه المادة في الغدة النخامية فليس هذا الاكتشاف من الاكتشافات المرغوب فيها ولكن الدلائل تدل حتى الآن على أنها تفعل في الجسم مباشرة لا بواسطة الغدة المذكورة . فان الحيوانات التي أكلتها نشأت قوية وذكية في وقت معاً

وهذه المادة توجد في جميع أنواع البيض حتى الذكور ، فان ثمرة الخيط اذا سقطت على الارض تفسد وتموت اذا لم تكن فيها هذه المادة ، ولكن وجود هذه المادة فيها يجعلها تنمو وتنشأ شجرة كبيرة مثل أمثالها

وقد عرف مربو الكلاب منذ زمان طويل ان في صفار البيض العادي مادة تجعل الجراء تنمو نمواً سريعاً وتبلغ حجماً فوق المعتاد وتحتفظ قوامها . وقد حلل الكيموي بيكلي البيض في مختبره بباريس ، وقد عزل هذه المادة عن سائر مادة البيض وهو متمكن من معرفة العناصر التي تتركب منها ليتمكن تركيبها تركيباً صناعياً ، وقد عرف الى الآن انها مركبات فصفورية ولا بد من تمام اكتشافه قبلما يحق الناس تجاره

ويؤملون من هذا الاكتشاف منافع كثيرة منها تعليل الجرائم فقد عرف ان المجرمين الذين اعتادوا ارتكاب الجرائم حرفة لهم هم في العالم أصغر أجساماً من سائر الناس في قومهم ، ومن طبقة الفقراء وهم ذوو عائلات كثيرة ولا يهمهم هل يستطيعون تربيتها تربية حسنة أم لا . وتكون النتيجة انتشار جيش من الاولاد ضعاف الاجسام تخلق البقية لا يصلحون الا للاجرام . فاذا نجحت هذه التجارب وأمكن استخراج هذه المادة على قدر كبير بحيث يكثر وجودها في السوق وتباع بثمن رخيص يعطى منها هؤلاء الاولاد فينشأون أصحاء أقوياء يعملون على رزقهم بعرق جبينهم وكد يمينهم

وقد جرب طبيب الماني هذه المادة في خنازير غينيا وفي الجرذان ، فوجد أن سرعة نموها أعظم بستين في المائة من سرعة نمو حيوانات أخرى لم تطعم هذه المادة

والمظنون أن فعل هذه المادة وسائر الانسجة جعل العناصر التي تتكون منها العظام في الدم ترسب بسرعة في العظام وسائر أنسجة الجسم

الزي في الاسماء

وجد أستاذ في جامعة كليفورنيا ان أسماء الطالبات فيها تجري على نظام دوري . فأكثر الاسماء شيوعاً كان اسم البرابث وكان اسم ماري أكثر شيوعاً منه منذ بضع سنوات . وان الاسماء مابيل وآن وكانا شائعين من قبل وسيعودان كما كانا لان الاسماء تجري على نظام دوري كما تقدم وتتغير بتغير الازياء

قوة العقل والجسم

من الخرافات الشائعة ان قوة العقل وقوة الجسم يعز ان تجتمعا لشخص واحد بندرة اجتماع التفوق في الشعر والتفوق في الكتابة . ولكن أستاذاً من جامعة كولمبيا أثبت بتجاربه كذب هذا الاعتقاد . فقد وجد أن متوسط طول الطلبة الاذكياء الذين سنهم عشر سنوات في احدى مدارس نيويورك ٩٠ر٥٢ البوصة وطول

الذين دونهم في الذكاء ٢ و ٥١ البوصة . ومتوسط ثقل الواحد من الاولين ٧٤ رطلاً ومن الآخرين ٩ و ٦٣ الرطل . ومتوسط قوة شد الواحد من الاولين ١١ و ٥٥ من الرطل بزيادة ٥٣ و ٣ على قوة شد الآخرين

الامراض المجهولة

حار العلماء في سبب المرض المعروف عادة باسم مرض النوم وهو غير مرض النوم الحادث من لدغ ذبابة تسمى الافريقية واسمه العلمي (Encephalitis Lethargica) . وقد جرم منه سيره الحق المستمر في أوربا ولم يهتدوا بعد الى سببه ولا الى معالجته وهو على الغالب قتال وحديث العهد في انجلترا ولم يزل مكروهه بعد ان كان معدماً

وقد ظهر هذا المرض بغته في سوريا بعد الحرب ولزم سيراً معلوماً على خط معين . فسار شمالا ولم يجاوز حداً معلوماً الى جنوبه . وكانت أكثر اصاباته في بيروت ثم سار فيها وسار شمالا بشرق قريباً منها ومات به بعض الكبراء منهم الدكتور حراهام أستاذ الباتولوجيا في الجامعة الاميركية وأشهر أطباء التشخيص والعلاج في سوريا . وهذا من قبيل سخرية القدر التي يسميها الانجليز irony of fate أي أن يموت بهذا الداء رجل الذي هو أعلم الناس به فلا يبقى بعده من يعنى بتشخيصه ومداواته

على أن أهول النوازل التي نزلت بالناس في الأوبئة التي حداثت العالم سائرة عبراً وقفت للاولين في أثناء رحلها . ومعظمها قديم جداً فيعسر معرفة أصله وسببه . وفي مقدمتها الطاعون ويرجحون أنه قتل من الناس أكثر مما قتلته الامراض كلها مجتمعة . وقد ظهر أولا في الاستانة سنة ٥٤٤ للميلاد ويقال انه جاءها عابراً فارس . ومنذ ذلك الحين لم يبق مكان في آسيا واوربا الا اجتاحه . وكان شر زواراته لاوربا سنة ١٣٤٨ — ١٣٥٠ اذ قتل ربع سكانها

ولم يظهر الهواء الاصفر في شرق اوربا حتى القرن التاسع عشر، فظهر أولا سنة ١٨١٧ فقتل خمسة آلاف نفس في خمسة الايام الاولى . وفي سنة ١٨٢٦ زحف غرباً لأول مرة . وبعد ذلك بخمس سنوات ظهر في انجلترا فاجتاح البلاد كلها واجتاز الاتلنتيكي الى اميركا . وفي سنة ١٨٤٨ قتل ٥٣ الف نسمه في انجلترا ، ولم تستأصل شأفته حتى سنة ١٨٧٨ او ١٨٧٩.

وقد قتل الجدري خلقاً كثيراً في جميع البلدان و عصور . ولا زال يفتك حتى الآن حيثما حل . وقد بذل العلم بعض أعظم جهده في قطع دابره هو و على السفر . وموطن هذه سواحل جميع البحر الابيض وسواحل آسيا وسيبريا في غرب أوربه . وهي مرض خاص بالأقاليم الحارة ولا يجاوز درجة ٣٨ من العرض الشمالي ولا ٣٢ من العرض الجنوبي . وكل يوم يكتشف معمل لهذا الداء أو ذاك ، ولكن الداء المعروف « كالا ازار » أعيا كل طبيب وهو من أقتل أمراض البلدان الحارة . ويعرف عند الانجليز باسم « الداء الاسود » ظهر بغته على ساحل جنوب أفريقية سنة ١٨٦٩ فمات به ٩٧ في المائة من المصابين وانتشر بعد ذلك حتى وسط شبه جزيرة العرب وهو يتجه الآن غرباً ويخشى الانجليز أن يصل الى انجلترا

تاريخ الحركة القومية المصرية
وتطور نظام الحكم في مصر

وهو الجزء الثاني من الكتاب لمؤلفه الاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك يشتمل على وقائع تاريخ الحركة من اعادة الديوان في عهد نابليون الى ارتقاء محمد علي أريكة مصر بارادة الشعب

وقد تناول الكلام فيه على حركات نابليون في مصر والحملة على سورية وبوادر الثورة في الاقاليم المصرية وعودة نابليون الى مصر بعد هزيمته في سورية واضطراب الاحوال في فرنسا ورحيل نابليون عن مصر وجلاء الجنرال كليبر ومقتله وخلاء الفرنسيين عن مصر وحالته السياسية فيها بعد هذا الجلاء ومؤامرة الانراك على الممالك وموقف المماليك ، وثورة الشعب على المماليك وعلى الوالي التركي وولاية خورشد باشا ورجوع محمد علي الى القاهرة وتعيينه والياً لحداثة وعاونة ابعاده من مصر وخلع خورشد باشا والمناداة بمحمد علي والياً لمصر وختام الثورة

ولنا القارىء شيئاً عن « خلع خورشد باشا والمناداة بمحمد علي والياً لمصر في ١٣ مايو سنة ١٨٠٥ :

« لم يجب أحد من زعماء الشعب دعوة الوالي ولم يذهبوا الى القلعة ، فخوفهم وعدم امتثالهم عن الذهاب اليه ثورة وعصياناً ، وتلقاء ذلك رفض اجابة المطالب التي قرروها

« وكان هذا الرفض مبعثاً لسير الحوادث ، فاجتمع وكلاء الشعب من العلماء وتقدم الصناع في اليوم التالي (الاثنين ١٤ مايو سنة ١٨٠٥ — ١٣ صفر سنة ١٢٢٠) بدار المحكمة ليتداولوا في الموقف ، واحتشدت الجماهير في فناء المحكمة وحولها يؤيدون وكلاءهم ، وهناك اتفقت كلمة نواب الشعب وأجمعوا رأيهم على عزل خورشيد باشا وتعيين محمد علي والياً بدله ، وعندئذ قاموا وانتقلوا الى دار محمد علي لتنفيذ قرارهم وأبلغوه ما اتفقوا عليه وقالوا :

« انا لا نريد هذا الباغا والياً علينا ولا بد من ولي من الولاية »

« وتأدى السيد عمر مكرم بالنيابة عنهم وقال :

« انا جميعاً من الولاية »

« فقال محمد علي : « ومن تريدونه والياً »

« وقال محمد بصوت واحد : « لا نرضى إلا بك ونكون [illegible] وعدا [illegible] من العدالة والخير »

« فظهر محمد علي تردداً وامتناعاً حتى لا ينسب اليه انه المحرض على هذه الثورة ، وقال انه لا يستحق هذا المنصب وان هذا التعيين قد يمس حقوق السلطان فأجاب وكلاء الشعب عليه وقالوا جميعاً قد اخترناك برأي الجميع والمكاتبة ، ونحن وجميع أهل البلاد ، وأخذوا عليه العهود والمواثيق أن يسير بالعدل وألا يبرم أمراً إلا بمشورتهم

« وقبل محمد علي ولاية الحكم ونهض السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوي وأعلنا عليه الولاية وكان ذلك وقت العصر

« وبذلك تمت مبايعة نواب الشعب لمحمد علي وأمروا بأن ينادى به في أنحاء المدينة والياً لمصر »

تراجم مصرية وغربية

آخر مؤلفات الاستاذ الدكتور محمد حسين هيكل بك رئيس تحرير السياسة يشتمل على تراجم عشرة من مشاهير المصريين غير الاحياء وهم كليوباطرة واسماعيل باشا وتوفيق باشا ومحمد قدري باشا وبطرس غالي باشا ومصطفى كامل باشا وقاسم أمين بك واسماعيل سيري باشا ومحمود سليمان باشا وعبد الخالق ثروت باشا

وعلى أربعة من مشاهير الغربيين وهم بتهوفن الموسيقي الالماني وتين الكاتب الفرنسي وشكسبير وشلي الشاعران الانجليزيان

قال فيه عن علاقة المرحوم بطرس غالي باشا باتفاقية السودان التي عقدت سنة ١٨٩٩ :

« وفي سنة ١٨٩٩ وقع مع انجلترا في ١٩ يناير اتفاقية السودان التي كانت بعض ما جاريه به خصومه في حياته وبعض ما اتخذه قاتله ابراهيم ناصف الوردان حجة له في اقدامه على ارتكاب جريمة القتل السياسي ، وفي ما ان مع سيء من المصريين عليها ونظر كثيرين منهم لها على انها من أعمال خيانة الوطن

« كان خصومه يقولون : وإنه المسئول الاول والاخير ، فهو الذي وقع بنفسه ويده . ثم انه فضلا عن ذلك كان أكثر من كل الوزراء الذين معه مسئولية لانه كان أقواهم وأدكاهم وأقدرهم ، بل لعله هو الذي فرضهم بالقبول . فبطرس اذن قد وقع اتفاقية السودان ممالاة للانجليز وتفريطاً في حقوق بلاده »

« كذلك كان يقول خصوم بطرس ، وكذلك ما يزال البعض يحسب ، ولو في دخيلة نفسه ، جرماً على وحدة الامة المقدسة في الايام الحاضرة . لكن التاريخ حكما آخر تجب الجاهرة به احقاقا للحق . فحين وقع اتفاقية السودان كانت تابعة لتركيا وكانت لا تستطيع أن تنفي اتفاقا تنقص به من سلطتها او سيادتها على أي جزء من الاجزاء التابعة لها ، أو التي كانت تابعة لها وعادت اليها ، وقد أعلنت الحكومة المصرية حكومة الباب العالي ان انجلترا تريد ان تتفق مع مصر اتفاقاً مقصوراً على ادارة السودان ، لتتمكن بذلك من الغاء الامتيازات الاجنبية فيه وتستطيع بما تبيحه لها الفرصة في الادارة أن تسهر على أملاكها الافريقية من غير أن يضر ذلك حقوق مصر في السودان باعتباره ولاية منها تابعة لملكها الخديوي . وبالرغم من تكرار الكتابة في هذا الامر الى الحكومة التركية فانها لم تحرك ساكناً ولم تصر بنصيحة ولم تظهر مجرد استعدادها لتعضيد مصر اذا هي وقفت بازاء انجلترا موقفاً خاصاً . وعلى ذلك ألفت مصر نفسها وحيدة بازاء انجلترا مضطرة أن تحمل منها هذه العقدة بعد أن كانت فرنسا قد ضربت قبيل ذلك في حادثة فاشودة عما قطع كل رجاء في مقاومتها كما انقطع الرجاء في مقاومة غيرها من الدول . ومع هذا لم يخرج اتفاق يناير سنة ١٨٩٩ السودان من ولاية صاحب عرش مصر ولم يجعل انجلترا شريكة فيه ، بل هو اتفاق مقصور على ادارة السودان بنصه ، وبتفسير لورد كرومر نفسه ، ورد كرومر من كتاب الانجليز ما سنتكلم عليه بتفصيل في المدة التي تلت عاشره »

قصص وحكايات عربية

Arabian Romances and Folk Tales

كان الكاتب السوري الاميركي جبران ابراهيم كاتبه قد أصدر كتاباً بالانجليزية ترجمة عنوانه حرفياً « ليال عربية أخرى » أي الف ليلة وليلة أخرى لان الانجليز يسمون حكايات الف ليلة وليلة « الليالي العربية » ، فنال اقبالا عظيما من الجمهور الاميركي وخصوصاً الشبان والاولاد لاحتوائه على حكايات طريفة عربية تتعلق بالجن والمردة وما أشبه فتحمسه هذا على اصدار الكتاب الذي نحن بصدد الكلام عنه وترجمة عنوانه « قصص وحكايات عربية »

والفرق بين الكتابين انه أتى في الاول

على تاريخ حلب وعلاقتهم بالناس معتمداً في ذلك على عدث حيالي سماه الحاج أبو الخضر . أما في هذا الثاني فانه على حكايات وقصص قد لا تكون عربية في أصلها ولكن رواة العرب اقتبسوها وغيروا فيها على ما يلائم خيالهم وخيال قرائهم مثل حكاية « مغامرات الاسكندر الكبير » و « عوج بن عناق » و « هبوط الخضر الى الارض » وغيرها . وأضاف الى هذه قصصاً أخرى مصرية مثل قصة « نبي القديس حورحوس » و « واقعة الثلاث لوحيدة » و « حكم قره قوش » و « خرافة الاسد والثور »

والكتاب مزين بالصور الجيلة وقد تولت طبعه شركة سكر بنر وأولاده في نيويورك ولندن

الاعلام

اسم قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين في الجاهلية والاسلام والعصر الحاضر » من تأليف الكاتب والشاعر الاديب خير الدين الزركلي السوري أصلاً المصري مقاماً . وهو الجزء الثالث من القاموس، وبه ينتهي الكتاب وليه المستدرك يبدأ بحرف الكاف تجد فيها كافور الاخشيدي وكامل ي علي الخ (أبي سيف الدولة) ولاون ممدوح المتنبي ومذمومه في مصر والثاني ممدوحه ومعاتبه في الشام . ونجد من المعاصرين كريبلوس مديث الطبيب والعالم والمرسل الاميركي في سورية في النصف الثاني من القرن الماضي ونجد تحت لفظة « محمد » كل الذين اشتهروا بهذا الاسم من صاحب الرسالة الاسلامية الى الشيخ محمد عبده الامام والمفتي « وأحد كبار المصلحين المجددين في الاسلام » كما قال عنه

القاموس المصري

أهدانا حضرة الفاضل الياس أنطون الياس صاحب القاموس المصري المعروف بنسخة من الطبعة الثالثة منقحة ومكبرة اذ أضاف اليها نحو ٣٣ الف كلمة عربية تشمل ما استحدث الى الآن في مختلف العلوم والفنون، وتنقح عربية القاموس وزاد زيادة وافرة في صوره ويؤخذ من جدول نشره ان في الطبعة الاولى نحو ٣٣ الف كلمة وفي الثانية ٣٣ الفاً وفي الثالثة ٥٦ الفاً

تبديد الظلام

أو أصل الماسونية

أهدى هذا الكتاب حضرة عوض أفندي خوري في بيروت مترجماً اياه عن الفرنسية . ومن مباحثه كلمة عن جرائم مؤسس الجمعية الماسونية كما يقال وتأسيس أول محفل ، وهكذا الى آخر ما هناك من المباحث التي تهم المتصلين بالماسونية

سبيل السعادة

في فلسفة الاخلاق الدينية وأسرار الشريعة الاسلامية واثبات الروحانيات وفيه رد جليل على الطبيعيين تأليف فضيلة الاستاذ يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء بالازهر ورئيس جمعية النهضة الدينية الاسلامية . أهديت الينا نسخة من طبعته الثانية فنشكر المهدي على هديته

أزمة الحقوق

كتيب من تأليف الاستاذ حسين عفيف حمله دفاعاً عن طائفة المحامين الذين هو منهم قال فيه: « ان في الحقوق أزمة شديدة تمر المحامين بأزمة في كراسهم » . ثم تطرق الى موضوعه فبحث في أهمية مهنة الحكم ومن يعتبرون حكاماً وتأثير مهنة الحكم على سائر المهن وحاجة الحاكم الى عقل كبير ونفسية نبيلة وشخصية قوية وانتقل الى ضرورة الاصلاح وكيفيته بوجه التفصيل

وخلاصة ما يريد من دفاعه « ان رجل القانون يقوم بأهم عمل في المجتمع فيجب أن يحظى بأسمى مكانة فيه وأن يكون له مركز ممتاز . ولهذا الغرض يكفله أمران: حسن اختيار رجال القانون ودوام التفكير في استنباط كل ما يؤثر في مركزهم. واسمى ما يصلح لهذا الغرض تقليل الداخلين في كلية الحقوق حتى يعود التوازن بينهم وبين الحاجة اليهم »

الفتاة والشيخ

كانت الآنسة نظيرة زين الدين كريمة حضرة سعيد بك زين الدين النائب العام في محكمتي تمييز والاستئناف ، والرئيس الاول لمحكمة الاستئناف في الجمهورية اللبنانية سابقاً ، قد أصدرت كتاباً في السفور والحجاب وقع وقعاً عظيماً عند قرائه فأصدرت الآن مجلداً سمته الفتاة والشيخ أقوال الكتاب والصحف في كتابها الاول من تقريظ أو انتقاد

الآلهة

أوبرا رمزية ذات فصول ثلاثة من نظم الكاتب المتفنن والشاعر المطبوع الدكتور احمد زكي ابي شادي . أودعها ما عن له مناسباً لموضوعها من بطرائف الخيال والطبيعة والعواطف والتنزيه كما يوحي العلم الذي تعالى عن المناقشات ... وحرص على الصورة الفنية للتأليف مراعياً موجبات العبرة من ايجاز يناسب الغناء وسلاسة في الاسلوب وتنويع في الاوزان وانسجام في العبارة

وهي تبلغ نحو ٥٠٠ بيتاً قال عنها انها ليست الا نموذجاً لهذا النوع من التأليف . وهي موجهة لخدمة الفضيلة ولتحويل نزعات الشهوة الى مثل عال

وخلاصة موضوعها :

« يستيقظ الشاعر الفيلسوف في غابة الطبيعة على نشيد إلاهة الجمال التي تلتقيه وتخبره بأنها المتصرفة في الدنيا ، وتعده بالسعادة الحقة اذا ما أطاع إرشادها وتعرض عليه أمثلة من تقودها وتضليلها ، وتسبح له في جنود سلطانها بمصاحبة شقيقتها إلاهة الحب التي تكلفها بزيادة إرشاده . ولكن الاهة الشهوة تعارض الاهة القوة الناشئة بجهلائه يحمد ايحاءاته بالجمال والحب ، فيشقى ويتيه في العالم تعاني السخط ويندم بعد أن ينال منه الشقاء والاعياء ، ويشعر الاهتي الجمال والحب لجدته ويغمى عليه . فيستيقظ وهو بجواره صالحتين عنه ، وتهديان اليه سعادة الدنيا وتؤهلانه الى سعادة الخلود »

بين الهلال وقرائه

أعظم رجل في القرن التاسع عشر والقرن العشرين

﴿ عطية مالك . مصر ﴾ عبد الواحد سليمان من هو أعظم رجل في القرن التاسع عشر وكذلك في القرن العشرين ؟

﴿ الهلال ﴾ طبعاً مقياس العظمة هنا النفع العام فكأنك تسأل عن الرجلين اللذين كان أكثر نفعاً للناس في القرنين المذكورين . وعندنا ان باستور أعظم رجل في القرن التاسع عشر ، لانه اكتشف مبدأ التعفين وطبقه على الحمى وحمة ثم سمه (رو) على الدفتيريا ، وغيرها على الحمى السوداء وحمى الامراض الخلدية وهكذا فتح الباب في وجه العلاج بالتلقيح . واذا تمكن الناس في الزمان المستقبل من معالجة سائر الادوية بالتعفين كان باستور أعظم الناس في كل قرن لا في القرن التاسع عشر وحده

وقد يزاحم باستور على هذه العظمة مكتشف قوة البخار ومكتشف قوة الكهرباء فكل هذا الاخير من أهل القرن الثامن عشر

أما القرن العشرون فلم يمض منه سوى ثلثه بعد ، ويقال اجمالا ان أعظم رجل فيه حتى الآن مكتشف مبدأ الطيران

اقتباس المدنية الغربية

﴿ القاهرة . مصر ﴾ ابراهيم أفندي تادرس أيهما أفضل للامة المصرية اقتباس المدنية الغربية بجملتها أم بلا تعديل ؟

﴿ الهلال ﴾ أصل لنا اقتباس ما يلائم منها عاداتنا وأدواقنا وحالتنا العامة بلا تعديل ، وترك الباقي واقتباسه بلا تعديل أولى وأسلم ، لان العوام لم يصلوا الى ما وصل اليه الا بعد قرون كثيرة وتجربة كثيرة ، فالذي من صفاتهم وأخلاقهم وأعمالهم مؤسس على العلم ومقرون بعد عناية كثيرة لانتخاب الصالح جدير بنا ان نقبله كما هو ان كان ملائما لاحوالنا والا فعلى اصلاحه بادخال التعديل عليه . وما كان غير ملائم فنتركه ظهريا

السيلان المزمن

﴿ الفاشر . السودان ﴾ م . د

ما هو أحدث علاج للسيلان القديم والنقطة العسكرية ، هل بالحقن وشرب المحوب من غير اضطرار إلى الكهربائية ؟

﴿ الهلال ﴾ لا نرى من الذوق والليباقة الكتابة عن مثل هذا الداء في الجرائد السيارة غير الطبية . ونرى من وضع الشيء في محله استشارة طبيب خاص استشارة سرية في هذا المرض السري

أسحر أم ماذا ؟

﴿ باورو . البرازيل ﴾ كارلوس ماشي

أرجو الفلق عن تعليل حادثة رأيتها بعيني. ذلك انه حضر الى هذه المدينة عراقي أو ساحر أو لا أعرف ماذا أسميه (واسمه عندنا سيركو) وأعلن انه سيري الناس مشاهد سحرية ، والادوار تبتدىء الساعة التاسعة ليلا ورسم الدخول مائة قرش . فكان الاقبال عظيما . وفي الساعة المعينة لم يظهر شيء فمال صبر الحاضرين وأخذوا يصيحون فظهر أحد مديري المسرح وأعلن ان الادوار لا تتأخر كثيراً . فصبرنا ولكنا لم نر شيئاً وكنا في كل نصف ساعة نصيح فيظهر ويعلن قرب ابتداء التمثيل حتى فقد الحاضرون صبرهم وخرج منهم عدد كثير ساخطين وبقي منهم ينتظر وكنت منهم وسكوت هذه الحال الى قبيل نصف الليل بقليل فاذا الرجل قد ظهر وحده كئيباً فاسداً فصاح الجمهور يصرخون ما هذا الاستهزاء ما هذه السخرية في النصب ؟ ؟

فأجابهم بهدوء ماذا تصيحون وتصخبون أم تعلمون اننا سنبدأ العمل الساعة التاسعة تماماً . فقالوا نعم . وقد مضت التاسعة والعاشرة والحادية عشرة والآن نصف الليل . فأجابهم أنتم مخطئون فانظروا الى ساعاتكم وأخرج كل ساعته ونظر اليها ، ولشد ما كانت الدهشة اذ رأى كل ان الساعة التاسعة الا خمس دقائق . فجعلوا يحركون عيونهم ويطرون أولا وثانياً ويتساءلون وكل ينظر الى ساعة جاره فيراها التاسعة الا خمس دقائق

قال هذا ودخل وهو يقول ليلة سعيدة . فخرجنا الى خارج المسرح فاذا ما نرى الساعة الثانية عشرة تماماً . فما تعليل ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ ليست هذه الحادثة بأعجب من غيرها مما يريك هؤلاء المشعوذون ويسمعونك من العجائب والغرائب . فقد رأينا مشعوذاً هندياً في روق شرد والكتتبال يصنع رفيقاً له في صندوق على مرأى كل السياح ثم يحيطون به من كل جهة ثم يفتح الصندوق فلا نرى لرفيقه من أثر ثم يعيد عطاءه ويفتحه فاذا رفيقه هناك . ورأيناه يخرج البيض من فم الواحدة بعد الاخرى فعقص اماما كت كيت (صيصان) ثم يعيدها بيضاً . ونحن لا نعرف تعبير هذه ما نحسن من تعبير ذلك . والاخلين يجمعونها كلها في عبارة مصاقبا « خفة اليد » ولكنا لا نفهم كيف ان خفة اليد تريك الساعة الثانية عشرة التاسعة ولا كيف تخفي رجلا وضع في صندوق أمام عينيك ، ولعل ما ذكرتم يدخل في باب التنويم المغناطيسي

آنية الالومنيوم

﴿ بيروت . لبنان ﴾ عبد الله صقر

قرأت في احدى مجلات الخديثة ان الاواني التي تتخذ للطبخ اذا كانت من الالومنيوم فانها تضر بالصحة وتسمم الجسم تدريجاً خلافاً للمشهور فما هو الصحيح ؟

﴿ الهلال ﴾ كنا نطبخ طعامنا في آنية نحاسية بقصبا مدة عديدة خوفاً من صداء النحاس الفتاك أو زعاره ثم حدا بنا ان نستبدل بها آنية من هذا المعدن ، وقد تركه فيها حتى يبرد ونعود فنتعهد هم صب بأدى ما ولم نسمع أن أحداً أصيب بأذى من أكل طعام طبخ في آنية من الالومنيوم ، وكل يوم نسمع عن حوادث تسمم من أكل طعام حفظ في آنية نحاسية

هذا جوابنا من الوجهة العلمية . وقد قرأنا في الكتب وكلها تجمع على أن الالومنيوم لا صدأ وان هذه مزية فيه على النحاس والحديد وغيرهما

دوران الارض حول الشمس

﴿ الاسكندرية . مصر ﴾ دانيال لبقي

يدعي العلماء أن الارض تدور حول الشمس ونحن نرى أن الشمس تدور حول الارض . وهل يتعذر بناء علم الفلك على أساس ان الارض ثابتة والشمس والكواكب تدور حولها ؟

﴿ الهلال ﴾ حسب أصغر كتاب في مبادىء الجغرافيا تجده يبسط هذه المسألة على سوال يفهمه لصار فتراجع هناك الادلة والبراهين على أن الارض تدور حول الشمس واذا كنا نشك في أبسط النظريات العلمية التي نحسب الآن في حكم البداهة والاوليات فحري أن يولي العلم ظهورنا

راحة يوم الاثنين

﴿ حيفا . فلسطين ﴾ ي . ب

يعيد المسيحيون يوم الاحد والمسلمون الجمعة واليهود السبت والايزيديون الثلاثاء . وكان المصريون القدماء يعيدون الخميس والاشوريون الاربعاء فهل تعرفون من كان يعيد يوم الاثنين ؟

﴿ الهلال ﴾ كلا

سؤال طبي

﴿ المنصورة . مصر ﴾ محمد عبد الله شاهين

عندنا بنت رأينا في رأسها بثمة تخلو من الشعر تدريجاً وبعض مكانها . وطفل حرارة رأسه أعلى من حرارة سائر جسمه على الدوام

﴿ الهلال ﴾ أما البنت فمصابة بمرض جلدي فخذها الى طبيب . وأما الابن فان شعوركم بأن حرارة رأسه أعلى من حرارة سائر جسمه انما هو شعور كاذب ، فظنوا حرارته تجدوها طبيعية الا اذا كان مريضاً وحينئذ تكون الحرارة مرتفعة في الجسم كله

أقدم الحضارات

﴿ بغداد . العراق ﴾ عبد الرحمن البلجيجي

ما هي اقدم دول العالم حضارة وهل هناك آثار قديمة تثبت ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ قد تكون الحضارة المصرية أقدم الحضارات وقد تكون حضارة بابل وأشور أقدم منها . وقد اكتشف بعضهم آثاراً حديثة فيما بين النهرين جعلته يقول ان الحضارة الكلدانية الحديثة أصل حضارة المصرية وخالفه غيره في ذلك (راجع باب سير العلوم والفنون في هذا الجزء)

اختراع النار

﴿ [illegible] ﴾

في أي عصر من العصور التاريخية اخترعت النار وكيف اخترعت ولماذا تكون حارة ؟

﴿ الهلال ﴾ اخترعت النار قبل عصر التاريخ فقد وجد العلماء أدوات بسيطة كان الانسان الهمجي يشعل بها النار بواسطة الاحتكاك الكثير كان يأتي قطعة خشب حادة على هيئة عصا وقطعة أخرى مثلها فيحدد طرف الواحدة ويجوف طرف الاخرى ويحيل الاول في الثاني بسرعة فتتولد النار . ولا تزال بعض القبائل الهمجية العائشة الآن تشعل النار بهذه الطريقة . ولعل أول نار رآها الانسان أتته مع البارك أو من البراكين

أما لماذا تكون النار حارة فجوابه كجواب لماذا يكون الثلج بارداً والسكر حلواً والملح مالحاً

والكيا مرة . أما اذا سألتنا كيف تشتعل النار أحياناً انها تشتعل من اتحاد اكسجين الهواء بكربون الوقود

شرب اللبن يوم الاربعاء

﴿ الاسكندرية . مصر ﴾ ا . م

هل شرب اللبن مضر يوم الاربعاء ؟ وما قولكم في كلام أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . قال : وما شربت اللبن يوم الاربعاء قط »

﴿ الهلال ﴾ الطعام السائغ بجمع الجسم الصحيح كل يوم وليس بين الاطعمة طعام أنفع من اللبن وأوفى غذاء وأسهل هضما ، الا في أحوال شاذة . ولست أدري كيف فهم المفسرون قول الامام علي اذا ثبت اسناده اليه ؟ أفلا نفسره بأنه قاله على سبيل الحض كما حض لاربعة يوم صام له على سبيل الندب ، يعني فيه عن أكل كل طعام حتى اللبن كما يصنع كثير من الناس في الاربعاء أو في غيره . وليس في كتاب منزل أو كتاب علمي شيء بهذا المعنى

أصل شكسبير عربي

﴿ اسكندرية . مصر ﴾ أحمد عبد الحميد علي

يدعي العرب بأن شكسبير شاعر الانجليز الشهير ينسب اليهم وان اسمه الحقيقي الشيخ زبير طرق الافرنج اسمه . والافرنج يسفهون هذا القول ويسكرون كون شكسبير عربياً . فمن هو شكسبير والى من ينتمي ؟

﴿ الهلال ﴾ شكسبير أعظم شعراء الانجليز بل أعظم شعراء العرب طراً في الشعر الحكمي التمثيلي باجماع الرأي . وقد سمعنا من يقول في معرض الهزل ان أصله عربي وان أصل اسمه الشيخ زبير

ولا ريب ان شكسبير والد هو وأبوه في انجلترا وعاش فيها في عهد الملكة اليزابث والملك جيمس الثاني أي في أواخر القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر . أما ان كان أصله غير انجليزي فما لا يعلمه الا علام الغيوب . ولم يقل أحد في معرض الجد ان أصله غير انجليزي

أما ما قالوه في معرض الجد فهو ان شعره المنسوب اليه ليس له بل لمخترعه اياه وان ناظمه الحقيقي الفيلسوف باكون الذي كان معاصراً لشكسبير . قال هذا القول قلة قليلة من الانجليز والاميركيين ، ودعموا قولهم هذا بحجج كثيرة ليس هذا محل ذكرها . على ان الغالبية الكبرى من هذين القومين وقسم عظيم من بقية العالم المتمدن يعدون هذا القول هذيان طويل وجدال تضيق عنه مقالة من مقالات فصلا عن فذلكة مثل هذه

وليس شكسبير بأول من أنكر عليه شعره بل أنكروا على هوميروس شعره في الالياذة والاوديسة وقالوا انه لم يكن سوى راوية له بل منشد لانه كان أعمى يدور في جوانب آسيا الصغرى منسولا على الابواب يسترزق من انشاده لشعر نحله على مر الزمن

وقالوا مثل هذا القول عن عنترة العبسي وعن شعره ومنهم من أنكر وجوده

وليس في ذلك كله شيء مستغرب فاننا نعلم ان خلف الاحمر والاصمعي كانا ينتحلان ويثران وينتحلان شعرهما وشعر غيرهما ، وقد اعترف الاول بذلك قبل مماته

اراء في العلم والتعليم

لمعالي محمد بهي الدين بركات بك

وزير المعارف العمومية الجديد

[تنقل معالي الاستاذ محمد بهي الدين بك بركات وزارة المعارف العمومية في الوزارة البرلمانية الجديدة، ولما كان القراء يتوقون الى الوقوف على بعض آراء معاليه في العلم والتعليم واراء الاستاذ كريم ثابت بهذا المقام الشائق ، وقد ضمنه خلاصة حديث طويل جرى له مع وزير المعارف الجديد بعد تقلده منصبه بأيام]

وزير المعارف الجديد

على اثر تأليف الوزارة الوفدية الحالية التي يتصدرها معالي علي الشمسي باشا وزير المعارف الوفدي السابق عدا الحديث على اعضاء الوزارة الجديدة ، فقال معاليه « انه لمن دواعي اغتباطي العظيم ان تكون وزارة المعارف قد عادت فيها الدين بك بركات فانه خير من يسعه النهوض باعبائها والعمل على نجاح تنفيذ مشروعاتها » وهي شهادة لها قيمة خاصة لاعتبارين جوهريين : اولهما ان الشمسي باشا عهد لوزارة المعارف مدة صعبة واطلع على دخائلها واحاط بمقتضيات العمل فيها ، وثانيهما انه صديق شخصي للوزير الجديد ويعرف كفاءته ومقدرته والمؤهلات التي تؤهله لتصدر الخطير

وقد اتيح لي في الشهر المنصرم ان اجتمع بالاستاذ محمد بهي الدين بك بركات اجتماعاً طويلا وقفت في اثنائه على آراء شتى لمعاليه في العلم والتعليم وهي آراء جليلة رأيت ان انقلها الى قراء « الهلال » كما وعدتها . اذ كرة لطالما انها ستقابل منهم بما هي جديرة به من عناية واعتبار ، وخصوصاً أن مسألة التعليم اصبحت من أهم المسائل التي تشغل الرأي العام عندنا في السنوات الاخيرة . وحسبي قبل الشروع في ايراد هذا الحديث ان انوه بالاهمية التي علقها معاليه على التعليم في سير الحديثة فكان اول وزير عرفناه يعنى في احاديثه الى هذا الموضوع الحيوي

أساليب التعليم المدرسي

استهل معالي الوزير حديثه بقوله :

« تغيرت طرق التعليم المدرسي وأساليبه تغيراً عظيماً في هذا العصر عما كانت عليه في

العصور السابقة وشمل هذا التبدل التعليم بجميع فروعه وأدواره وأخذ المشتغلون به ينبذون التقاليد العتيقة ويواصلون البحث والتحري في فن يعد من أعوص الفنون وأعظمها شأناً ، لأنه خاص بأشرف المخلوقات ، ولأن عليه الاعتماد في تكييف الافراد والشعوب ورقية العمران ولا يزال الناشطون من المشتغلين بالتعليم يجهدون القرائح لاخراج خير المناهج وبلوغ أفضل النتائج النفسية والعقلية واليدية ليجعلوا التعليم المدرسي تربية ووسيلة لتهذيب الملكات وصقلها واعداد المتعلم لأداء نصيبه من الواجب العام علاوة على المهام الخاصة به وتطبيق أساليب التعليم على حاجة البلاد الى غير ذلك من الاغراض السامية التي جعلت التربية المدرسية مقاماً رفيعاً بين المباحث التي يعالجها محبو التقدم والراغبون في اعلاء شأن الحضارة وتوثيق عرى الوئام بين الشعوب »

العناية بتعليم الاطفال

ثم استطرد معالي محدثي الى الكلام عن أول حلقات التعليم المدرسي فقال :

« غير ان الجمهور لا يعنى بالاحرى إلا بالتعليم المدرسي في أقسامه الأولية والثانوية والعالية فهو يجعل عادة كل ما يسبق ذلك من تعليم الطفل الصغير الذي يترك بيته ويخرج من كنف والدته وهو في السنة أو السادسة ليمضي نهاره وعشيه أفراد ليس لهم به صلة قرابة وربما كان ذلك أشد ما يعانيه الصبي في مستهل حياته فانه يبعد جانباً من النهار عن عطف الام الحنون ومحبوره الاخوة والاخوان ويرى محيطاً مألوفاً عنده من غرف وحديقة وأثاث وصور وأشياء أخرى الى وصف كل ما فيه جديد وغريب وهو في سن تتأثر فيها نفسه وعقله بكل مؤثر صغيراً كان أو كبيراً . ومثله في ذلك مثل بذرة صغيرة تقتلعها من مكانها لتغرسها في مكان آخر . وعلى كيفية هذا الاقتلاع والنقل والغرس يتوقف جانب كبير من حسن نموها أو ذبولها في مغرسها الجديد »

أهمية رياض الاطفال

وكأن معاليه أراد زيادة البسط في هذه الناحية من نواحي التعليم الاساسية ، فمضى في حديثه قائلاً :

« وهذا الاعتبار هو الذي حمل الذين تناولوا اصلاح نظم تعليم الاطفال على ما يجب أن يضموه نصب العيون وهو حمل الطفل على الشعور بأن المدرسة بيت آخر ، وان الذين فيها ليسوا سوى عائلة جديدة كسبها وصار من أعضائها ، واتاحة الفرص الملائمة لتحقيق رغبته الفطرية

المتقدمة من حب الاجتماع بأقرانه والنشاء خير العلاقات بهم — وهذا هو الاصل في مدارس الاطفال التي أنشأها الالمان في منتصف القرن التاسع عشر وأسموها الكندرجارتن ودعوناها في مصر روضة الاطفال، وهي ترجمة حرفية للاسم الالماني . وجعلوا الغرض منها ما تقدم واعتبار ان للطفل حقاً على معلمه ومؤدبه، وانه يجب أن ينال صبياً كبيراً من العناية لكي يعد لما يلي سن الطفولة من المطالب المدرسية وغير المدرسية . وقد أدخل نظام رياض الاطفال في التعليم المصري مقتبساً من الغرب، كما أدخل غيره من الانظمة وجميع النتائج التي أسفر عنها حتى الآن تبعث على حسن التفاؤل بمصيره »

نشر التعليم وترقيته

وانتقل وزير المعارف الجديد من ذلك الى الكلام عن التعليم الالزامي الاولي فقال :

« وقد كانت مسألة نشر التعليم في مصر وترقيته ورفع مستواه من المسائل التي أجمعت الامة عليها اجماعاً تاماً، فكل ما بذلته وزارة المعارف — وما ستمضي في بذله — من الجهد في انشاء المدارس وتحسين مناهج تعليمها وتوسيع دائرته ورفع مستواه يقصد به تلبية أمنية الامة لان الناس أدركوا بعد انتصار مصر في ميدان الحرية وعودتهم الى ما يتمتعون به من السلم واحاطتهم بأسباب ارتقائها واطلاعهم على نتيجة التعليم الذي في مصر نفسها والفروق التي أحدثتها بين المتعلم والجاهل بعد ما كانا يستويان في القدرة والكفاءة بطريقة من القول ان الناس أدركوا ان هذا التعليم سلاح أو ان شئت فقل زاد يزودهم به في رحلة الحياة ويشتد عليه في سرعة السير وبلوغ الغاية التي يقصدها وبعد كان هذا الشعور في نفوس الشعب من أعظم البواعث على انتشار التعليم وزيادة المدارس وبعد ما كان هذا الاقبال محصوراً في تعليم الصبيان تجاوزه الى تعليم البنات »

التعليم الصناعي وكيف يكون

ومن بواعث السرور ان يكون معالي الوزير قد أشار في سياق حديثه الى الخطأ الذي لازم سياستنا التعليمية الى ما قبل السنين الاخيرة الماضية، فان وزارة المعارف كانت ترى ان مهمتها تنتهي عند اخراج التلاميذ في مدارسها بقطع النظر عما يكون مصيرهم بعد ذلك، وهذا اذا جاز في ميدان أخرى متنوعة الاعمال كثيرة مرافق الحياة والتعليم المدرسي فيها لزوم مهما كانت طبائع الاعمال التي يتخذها المتعلمون بعد مغادرة المدارس لا يجوز عندنا ونحن في مستهل النهضة التعليمية وأوائل العمل للمتعلمين لا تزال محصورة في دوائر ضيقة بحكم التقاليد .

غير ان الذين تتبعوا عمل وزارة المعارف في السنين الاخيرة يعترفون بالجهود التي ما فتئت تبذلها لسد حاجات البلاد بأنواع التعليم الاخرى كالفني والصناعي، وهي جهود يرى وزير المعارف الجديد أنها جديرة بالتشجيع والثناء، بل انه يرى أكثر من ذلك ويعتقد ان تنشيط التعليم الصناعي نفسه يجب ان يجري بحكمة وتؤدة فلا تنفق أموال الدولة الا على تنشيط الصناعات التي يرجى منها فائدة عملية ومادية في وقت واحد أو بعبارة أخرى ان معاليه يعتقد ان هناك صناعات يجب تنشيطها أكثر من غيرها لانها أوفى بحاجات البلاد من الصناعات الاخرى

وزاد معاليه على ما تقدم قوله . « هذا من جهة أما من جهة اخرى فاني اظن انه قد يكون من الحكمة ان يقتصر التعليم الصناعي على المدن في بادىء الامر لكيلا يحول ابناء الفلاحين عن ارض آبائهم واجدادهم تحولا تسوده الطفرة فيلتوي علينا المقصد »

خطر التعليم الالزامي وكيف يتوقى

فعلت لمعاليه « ان عبارتكم هذه مهدت السبيل الى خوض الموضوع الذي كنت ارقب ولوجه في هذا الحديث . فان كثيرين من المفكرين يخشون ان طبقت نظمة التعليم الالزامي بدون تحفظ ان يؤول بعضهم على هذا المنوال ان نشوء حالة شاذة لا يخفى على فطنتكم خطرها فان السواد الاعظم من ابناء الفلاحين انما يحصل بعضهم التعليم الالزامي سيفقدون بعد انتهاء مدة هذا التعليم غير قادرين على النهوض في وراثة آبائهم بل يعجزون بعضهم عن دفع النفقات المدرسية فاذا طلب اليهم عندئذ ان يرجعوا الى الحقل ترفعوا و تنزهوا لأنهم يحسبون انفسهم « افندية » وان هم حاولوا ان يجدوا وظائف ويرقون بها اخفقت محاولتهم لأن الفسط الذي تلقوه من المعارف والعلوم لا يؤهلهم لتقلد تلك الوظائف ، فينجم عن ذلك ان عدد العاطلين يزداد زيادة عظيمة فتصبح مشكلتهم من أهم المشكلات الداخلية في البلاد »

فعال معالي الوزير انه يشاطر اصحاب هذا الرأي رأيهم ثم مضى في كلامه قائلا : « واني اطمئنهم بان في وزارة المعارف لجنة خاصة تعنى بدرس هذه المسألة دراسة دقيقة جدية لكي يجيء تنفيذ انظمة التعليم الالزامي محاطاً بجميع التحفظات والضمانات التي تكفل تحقيق الامنية التي تصبو اليها الامة على الوجه المطلوب . ولم يتسع لي الوقت حتى الآن لدرس تفصيل البحوث التي قامت بها هذه اللجنة ، ولكني أعلم انها جادة في مهمتها بعناية واهتمام . أما أهم ما أراه انا من جهتي فهو ان يتم انشاء تلك المدارس الالزامية في القرى نفسها وعلى مقربة من الحقول بحيث لا يفقد ابناء الفلاحين تأثير البيئة التي ولدوا فيها وان يختار معلموهم من مناطقهم ومراكزهم

على قدر الامكان بحيث يرس المعلمون في تلاميذهم حب « التيط » ووجوب التعلق بمسقط الرأس . والاختصار ان المحيط الذي يتعلم فيه اولئك التلاميذ يجب أن يخلو من جميع المؤثرات ، حتى مؤثرات الملابس ، التي قد تعرهم من حياة الحقل »

العناية بالكتب المدرسية

وتكلم معالي الوزير عن الكتب المدرسية فقال :

« لا يخفى ان للكتب المدرسية خصوصاً في المدارس الاولية والابتدائية والثانوية مقاماً رفيعاً في كفاءة التعليم المدرسي ، فنحن في عصر تسير فيه العلوم والمعارف سيراً حثيثاً بما يكتشف من الحقائق وما يحاط عنه المقام من المعلومات ، فالكتب المدرسية الوافية بالغرض المطلوب منها هي التي تجاري هذا التقدم السريع المطرد . اما الكتب — ولا سيما العصية منها — التي كانت تعلم التدريس من عشرة اعوام فانه يغلب على الظن انها لا تكون صالحة له الآن

« ثم ان لقوة الابتكار في كيفية ابراز الموضوعات التعليمية وتقريبها الى اذهان الطلبة تأثيراً عظيما في تسهيل مهمة المدرس والعناية من ساعة تعليمهم في عهد الابجدية الى أن يصلوا الى الرياضيات العالية . وليس بين الذين درسوا العلم في مدارس اهلية الا من يذكر بعض الكتب العويصة التي فرض عليه درسها ، بعض المدرسين الذين كانوا مع غزارة علمهم يعجزون عن اختيار الاسلوب الممكن أن يعرض به موضوع الدرس أو شرحه لهم شرحاً يسهل عليه من افهامهم »

وهنا قال معالي الوزير ان وزارة المعارف قررت في السنوات الاخيرة ان يكون شراء الوزارة لحق المؤلف لمدة ثلاث سنوات حتى تضمن تجدد الكتب تجدداً يساير التقدم المطرد في العلوم والفنون . قال معاليه : « وهذا اصلاح عظيم القدر تتوقع منه فوائد جليلة علاوة على أن المشروع اذا نفذ التنفيذ الصحيح المطلوب يكفل نوع خير النتائج بدون أن يهظ خازن الخزينة بالنفقات ، وبدون أن يكون هناك احتكار كالذي ما برح موضوع نقد الذين أحاطوا بهذا الموضوع »

* * *

تلك هي طائفة من الآراء السديدة التي تضمنها حديث معالي الاستاذ محمد بك بهي الدين بركات ، وقد حملته بسطها بطلاقة لسانه المعروفة بعد تقلده منصبه الجديد بأيام ، وفقه الله في مهمته وسدد خطاه في مساعيه

كريم ثابت

أهم حادث أثر في مجرى حياتي

توفيق دوس باشا . الآنسة مي . احمد فريد رفاعي

تلمح في اجوبة هؤلاء المشاهير الثلاثة روح النزعة والزعامة ، وكيف تؤثر كل منهما في حياة الانسان ، فتسمو به الى ان يتبوأ مركزاً عالياً في المجتمع . وحسبك أن يكون سعادة توفيق دوس باشا وزيراً سابقاً ومحامياً مقتدراً ، والآنسة مي كاتبة نابغة ، والدكتور احمد فريد رفاعي عالماً مؤرخاً له في ميدان التأليف والكتابة شأن كبير بما اخرجه من نفيس الكتب وما دبجه من مقالات ضافية [المحرر]

توفيق دوس باشا

« كنت أثناء دراستي في مدرسة الفنون شغوفاً بفن التصوير لا أود في مستقبل حياتي إلا أن أكون مصوراً ، لذلك كنت أقضي معظم أوقاتي في حمل الأحذية في عبوة صغيرة كانت أمتنا أرأف عن كنت ما يجريه من العمليات وأحضر معه معظم ، وكنت كثير الشك في أن الطب سيكون نصيبي في الحياة العملية

« وفي يوم ما علم صديقي المرحوم [illegible] وكنت إذ ذاك في السنة الثالثة من دراستي بالمدرسة ستقطر في محكمة الاستئناف الحربية وسيترافع فيها عن أحد المحامين الكبار المرحوم الحسيني بك ، وكان المرحوم توما بك ، والأستاذ مرقص فهمي — فاتفقنا نحن الطلبة على أن نتسرب إلى الجلسة ، وكانت حقيقة مرافعات بديعة مشهورة لساحبها ، وكان لها في نفسي وقع عميق أثر كبير . لقد كنت أعشق الخطابة وأعتقد أني أضرب بسهم فيها ، فعاهدت نفسي أن أكون محامياً ، ولماذا لا يكون لي نصيب مثل هؤلاء المحامين في عالم القانون . إن عمل الطبيب على أهميته عمل مستور عن أعين الجماهير في حين أن عمل المحامي الكفء محل إعجابهم دائماً ، وتقديرهم تقديراً خاصاً ، ثم إن اللذة الكبرى التي يشعر بها المحامي الخطيب وهو يرى سامعيه يقدرون مجهوده ، ويلبدان الفصيح الذي يطرق منه المحامي أبواب العمل في دوائر متنوعة — كل ذلك بدأ يساورني في عصر هذا اليوم كله وجزء من الليل غير يسير ، حتى اذا أقبل الصباح كنت قد صممت تصميماً جازماً على دراسة الحقوق

« حدث ذلك ونحن في السنة الثالثة من الدراسة الثانوية ، وكانت هي آخر سنة حسب النظام

المعمول به في ذلك العهد . ولما نلت شهادة البكالوريا كان المرحوم والدي يعلم ميلي في الانصراف الى دراسة الطب دون أن يعلم ما طرأ عليها من التغيير . ولكن بعد ظهور نتيجة الامتحان طلبني في قاعته ، وقال لي إنه علم أن مدرسة الحقوق الملكية أضافت قسماً تدرس فيه الحقوق باللغة الانجليزية ، وستبدأ الدراسة فيه من ذلك العام ، وهو يرى ان مستقبل الطلبة الذين يتخصصون به سيكون عظيماً لأنهم يكونون أول فرقة درست الحقوق باللغة الانجليزية وقد تحتاج اليهم الحكومة في مصالحها ، لذلك هو يفضل بأن التحق بهذا القسم اذا كنت معه في هذا الرأي . وعندئذ اعتقدت أن العناية الإلهية تؤيدني في انتويته من تغيير خطة السير في حياتي المستقبلة ، ورحبت بفكرة المرحوم والدي ، وإن كنت أضاعف في الوقت على قبولها . والتحقت بالقسم الانجليزي بمدرسة الحقوق

« ولما نلت شهادة الليسانس طلبني للاشتغال بالمحاماة كاتب أسراري الخاص براتب يزيد كثيراً عن رواتب رملائي الذين معي مما عطفت به فكرة المرحوم والدي ، ولكني لم أقبل هذه الوصية ، واعتذرت للمستشار بأني التحقت بمدرسة الحقوق لأكون محامياً لا موظفاً

« وما زلت أعتز مهنة المحاماة على ما بها من نقائص كما كنت أعتقدها سنة ١٨٩٩ حينما حصرت قصبة الاركيد التي كان لحضوري فيها أثر عظيم في تغيير مجرى حياتي تغييراً تاماً »

الأستاذ حسن

« في مشاهد لبنان الجميلة حيث تحدر الروابي بمحاسن الطبيعة الضاحكة ، والجبال الشرقة بخلالها على البحر المنبسط عند قدم هاتيك الربى الخضراء كنت أقضي الصيف في عشية وصحابها وأنا صبية صغيرة بمدرسة عينطورة ، وكان تؤنسني في تلقي معاني العلم ، فتحدس بي شعراً أسطره في أوقات الفراغ وأثناء الدروس التي كنت أتلقى فيها نظم الشعر وتدوينه حتى جمع لي منه مجموعة باللغة الفرنسية سميتها « أزهار حلم » ، ونشرتها مطبعة « برس كوبيه » سنة ١٩١١ بعد أن زرت مصر مع والدي . وكانت هذه المجموعة أول كتاب صدر لي في عالم التأليف

« ولما رأى المحيطون بي أني أكتب باللغة الفرنسية دون العربية نصحوني بدراسة العربي ومطالعة الكتابات العربية الفصحى ، وكان والدي رحمه الله قد أصدر في هذا العهد جريدة المحروسة ، فأحسنت المرأة عناية كل ما يكتب فيها كبار الكتاب حتى تكونت لي ملكة عربية شجعتني على ترجمة رواية فرنسية عنوان « رجوع للوحة » وكانت أول كتاب نشرته باللغة العربية . وفي هذه المدة كنت أتابع دروسي باللغة الالمانية والفرنسية والانجليزية ، ثم ترجمت رواية هجرة الفرنسيين الى أميركا بعنوان « الحب في العذاب » وقد تقررت في برامج المدارس الثانوية بعدئذ

« وأحدث أتابع الترجمة والكتابة فترجمت عن اللغة الالمانية رواية « غرام أثاني » ونشرتها بعنوان « انتقامات ودموع » ، وفي سنة ١٩١٣ زارنا المرحوم الاستاذ سليم سركيس ودعاني لإلقاء خطاب جبران خليل جبران في حفلة تكريم خليل بك مطران فقبلت هذه الدعوة ، وكانت أول مرة وقفت فيها فتاة عربية تتكلم باللغة العربية في حفلة رسمية تحت رعاية الخديو افتتحها رئيسها

حضرة صاحب السعو الرئيس محمد علي علوبة . وبعد أن تلوت الخطبة ديباتها بكلمة من عندي لتحية المحتفل به فلقيت من الحاضرين تشجيعاً عظيماً . وبعد ذلك امتد أجتمع عندنا شبه « صالون أدبي » كل يوم ثلاثاء مكث أعواماً تحت رئاسة المرحوم اسماعيل باشا صبري فاقتبست منه تهذيباً عربياً بما كان يدق فيه أثناء الحديث باللغة العربية الفصحى

« وفي سنة ١٩١٤ أرادوا أن يؤسسوا ناديا أدبياً مختلطاً من الشرقيين والغربيين بدعوة من الكونتس أولغا دي ليديف . فدعيت الى الاشتراك فيه ، وكان معظم المجتمعين فيه من أمراء السابقين وأمراء الدول وقرباتهم والعظماء والأدباء وكبار القوم . وفي هذا الاجتماع قال لي الاستاذ لطفي السيد بث أثناء حديثه معي : « لابد لك يا آنسة من تلاوة القرآن الكريم لكي تقتبسي من فصاحة أسلوبه وبلاغته » فقلت له : « ليس عندي نسخة من القرآن » فقال : « أنا أهدي لك نسخة منه » ومنحني له مع كتب أخرى ، فابتدأت أفهم اتجاه الاسلوب العربي وما في القرآن من روعة جذابة ساعدتني على تنسيق كتابتي

« وفي خلال الحرب التحقت بالجامعة المصرية ، فكنت أدرس بها تاريخ الفلسفة العامة وتاريخ الفلسفة العربية وعلم الاخلاق على المستشرق الانساني الكونت دي جلارزا ، وتاريخ الآداب العربية للشيخ محمد المهدي ، وتاريخ الدول الاسلامية للشيخ محمد الخضري الى أن انتهت الحرب الكبرى وقامت الحركة الوطنية بمصر . وهنا كان بقلمي الأدبي الصحفي ، وخطبي الجديد الذي أمدتني تلك الحركة بروحه

« ولما توفيت والدته كتبت مقالة في « المحروسة » كان الناس يقرأونها والفقيدة العزيزة محمولة على الاعناق فعظم بذلك صيتي في التعبير وطلب مني أن أكتب لصفحتها عما كانت تنادي به الفقيدة الراحلة فكتبت سلسلة مقالاتي عنها في كتاب « باحثة البادية » وكان أول كتاب كتبته امرأة عربية باللغة العربية في القرن العشرين . وكان هذا أول مؤلف لي باللغة العربية وأول كتاب لي باللغة العربية وقد صدر سنة ١٩٢٠

« وعلى ذلك أستطيع أن أقول إن أهم ما أثر في مجرى حياتي الكتابية ثلاثة أشياء : أولاها الشعر الى جمال الطبيعة ، والثاني القرآن الكريم بفصاحته وبلاغته الرائعة ، والثالث الحركة الوطنية التي لولاها ما لمست هذه السرعة في التطور الفكري »

الدكتور احمد فريد رفاعي بك

« أبا » رحمها الله بالمعنى الروحي العام ، وقابلها الله في الخير العظمى الخاص ، — فتراجعي الى الماضي لأستعرض لك طرفاً مما صادفته في حياتي ، أعترف لك أنه لم يحن حتى وقت الاعداد خطرها وهامها . . . فأنت مقدر مسئوليه الوالد والروح ، ومسئوليه من له أصدقاء وانصالات ، ومسئولية من يقدر صلته الروحية في ضرورة مخاطبة جيلنا الحاضر عما كان من تجاربنا السوداء أو البيضاء ، بالصراحة والامانة والاخلاص ، وبقدر ما يتاح لموظف يجب أن تحدد دائرة كلامه فيما يجوز التحدث به فقط . . . !

« اذن في هذه الدائرة الكلامية المشروعة سأقص عليك اليوم طرفاً مما ترون :

« كان صديق القديم (. . . .) حاراً في عمل والدي رحمه الله ، وكنت حينذاك تلميذاً بالمدرسة الخديوية عام ١٩٠٩ طرحاً الى قراءة الصحف ، وراغباً في إنشاء ناد يجمع شملنا . وربما كانت الغاية الاساسية في تفكيري في إنشاء ذلك النادي أن أستمتع بمحاضرات تاريخية وأدبية واجتماعية كالتي يستمتع بها طلبة المدارس العليا . ولا أدري هل كنت أستر وراء تلك الدعوة شهوة شخصية في أن أحاضر ، أما ، عما كنت بدأت في استيعابه حينذاك من كتب التواريخ الاسلامية وغيرها . وربما بدأت في قراءته مع أستاذ للغة الانجليزية في جزء من كتب « هربرت سبنسر » وسواه .. وانما الذي أذكره تماماً اني حاولت إعداد كلمات قليلة افتتاحي لتلقى في جريدة « الحزب الوطني » حينذاك . . . والذي أذكره تماماً ان جاري (. . . .) اخذها مني . . . وانه فاجأني بعد يومين باسمي « أنا » مطبوعاً في أسفل المقالة ومنشوراً في « الجورنال » ! !

« مشاعر وحولة ، وتيارات افتتان ، ومشاعر سرور ، ومصطلحات اعجاب ، وحلبات اعتداد بالنفس ، ثم نشوات من حبور الانتصار وتيه الغرور — كل هذه الاحاسيس هجمت عليّ بكامل جنودها ، وأنا اتلقاها الاعزل من كل سلاح . . لا علم ، ولا خبرة ، ولا سن

« مرت أيام قصار ثم جاءني أحد أقراني وبيده كتاب « عيسى بن هشام . . . » ومعه مقالة « أنا » قائلاً في تهكم مر : « ايك يا حضرة الفيلسوف قد سرقت الشيء الاخير من مقترحاتك عن النادي وفوائد الادب من كتاب عيسى بن هشام . . فما تحتمل وما يعار ! »

« ولكن شيئاً عظيماً من التصميم العنيف الذي لا يعرف وهي حدود ، سجود علي . ولقد أصبح هذا التصميم العنيف حتماً ملازماً في بعض ما هو وارد في . . ي ، وولد عنه نوع من العناد والصلابة ، لك ان تعبر عنه بحدة عنوية وقسوة . ولكن عليك ان تؤمن ان العصر المؤزر له في النهاية ، مالي ذلك رب . وكان من جراء هذا التصميم العنيف ان بدأت أقرأ وأستظهر . ثم صحبت مدرسي المدرسة ورجهري وقرأت عليهما حتى حاضرت عيداً من أقراني في حديقة الاسماك في عام ١٩٠٩ عام الاغارة الادبية عليها عن حماة الاسلام وأبطاله ! ! !

« أنشأت هذا النادي للتواصل الهتاف الناجم عن دعوى الاغارة الادبية ، والصارخ في سوداء الاعماق والذي خلق خلقاً جديداً تعدى من صفات نفسه وراثية وتقوى من وسط وبيئة ؛ اعترضت الاختلاف الى الجامعة لسبع جماعة للمستشرقين . ثم تقلب الاختلاف الى انتساب ، وكان قبله حوار ، فتعارف ، فملازمة ، فاخاء بيني وبين الاستاذ الدكتور طه حسين . ثم كان تشجيع من « الجريدة » في نشر كتاباتي في أولى صباباتها ، الى تعارف فاخاء بيني وبين المرحوم فرح أنطون ، ثم تشجيع منه في نشر فصولي تلك افتتاحيات في المجموعة المعنونة « باحث » . ثم ترشيح للتحرير في المؤيد بعد عهد الاستاذ الدكتور سيد كامل بك ، فكتابة فيه انتهت صلتي الاولى بالمرحوم ثروت باشا عام ١٩١٤ حيث بدأت حياتي الحكومية الصدفة التي تعبر منها بعض العبرة كلها . . .

« فهل كان ناتج لكلمة الادبية واكتشاف سر الاغارة الادبية عام ١٩٠٩ الدفع القوي في اتجاه مجرى حياتي الى شطيء الآداب ؟ وهل كانت فصة تلك الاغارة الادبية السبب في صلتي

بالصحافة ، ثم بالمطبوعات ، ثم بتمثيل الحكومة في مؤتمر الصحافة ، ثم بمجاراتي في ادخال المشروعات الاصلاحية بالمطبوعات بعد عودتي من مهمتي في أوربا في العام الماضي ، ثم تركي للمطبوعات وهي عرجاء شوهاء ، لا قائمة بحمودها الاول حيث كانت لا تمنع ولا تضر ، ولا حية قوية مستمتعة بما في الحياة من نشاط ونفع ! . . .

« وكنت قد اعتزمت في نهاية عام ١٩١٢ السفر الى سويسرا ، وأعد المرحوم والدي كل ما يلزم لسفرتي تلك من عدة وعتاد ، وكنت مصمماً دراسة العلوم الادبية والاجتماعية والسياسية . . .

« ثم ماذا ؟ ثم كانت قوة القدر الذي يكيف حياتنا واتجاهاتنا وميولنا ويقذف بنا بتنوع أساليه ودوافعه حيث يريد هو لا نريد ، أو حيث نريد نحن لا يريد لنا . وكان من قوة القدر اصابة والدي بمرض أودى بنظره وكبت وحيده . وكان من قوة القدر ان عاد والدي قبيل اليوم المحدد لسفري حاره الاستاذ المرحوم الشيخ حمزة فتح الله . وكان من قوة القدر ان لقي الاستاذ الجو كله عابساً قاتماً من والد ووجوه وحيطان ورمان ومكان ، الكل عابس والكل قاتم . وكان من قوة القدر ان أمسك الاستاذ بخنوه ونظر الي متجهماً حدد ن وقف على حلية الامر ، وبعد ان « كبى الله المؤمنين القتال » وبعد « أن كبى الله الشر » . ثم كان من قوة القدر أيضاً ان خطفني الاستاذ بقوله في أناة وتطويل الفاء : « أمعزم يا ولدي بالفرقف والعقار . . . ! م ألا تريد ان تكون سؤمان نراء وترعة مال » « كان من قوة القدر أيضاً ان سألني الاستاذ حين لم أفهم فرقعه ولا سؤمانه . . . « كتب ، عب و نفع ولا تمرأ كتب الادبي لابي علي القالي ! »

« فهل يا ترى صح لك ان تعتبر هذه الفرقف هذه من حوادث التي أثرت في مجرى حياتي التي انتهت بفرقف اساسب وفرقف الانتقاء ، وهي احكومة ؟

« وكانت صلتي بالطبقة سامية في شخص المرحوم [illegible] عن عدم تمثيلها . . . الى أن اختارني القوم لتمثيل طلبتها في إلقاء كلمة الامة في حفلة تأبين المرحومة الاميرة فاطمة هانم اسماعيل عام ١٩١٨ . وربما كان هذا الحفل بعض السبب في ترشيح بعض من الجهات العالية مديراً لمطبوعات عام ١٩٢١ ، وفي تكليفهم أحد أصدقائي الدكتور طه حسين في اقناعي بالقبول حينذاك . . . ولكني رفضت ، لاعتبارات طويلة لا محل لاثباتها هنا . . .

« فهل يا ترى كان لرفضي لمطبوعات تغيير لمجرى حياتي من سنة ١٩٢١ الى اليوم ؟

« ثم كانت ظروف ، وموظفات ، واتصالات بالزعماء وكبار الرجال . ولكل من هذه الجهات أثرها العميق . . . »

عقلية المرأة وعقلية الرجل

بقلم الدكتور منصور فهمي

طالما شغل المفكرون منذ أقدم العصور حتى الآن بما يقال عن المرأة والرجل فيما بين أحوالهما النفسية من فروق . ويلوح لي ان العلم لم يزل بعد في حاجة الى الاستزادة من المباحث الدقيقة ليتبين الباحثين فيما يمكنون اليه فيما يقال عن وجود الفروق أو عدم وجودها . وكثير من عامة الناس وعامتهم يميلون الى اثبات التباين بين عقلية الجنسين المتمم كل منهما للآخر والمكونين لتاريخ الانسان. وان في تدوين أهم ما قيل في هذا الموضوع فائدة لمن يتناول بالبحث موضوع التربية المشتركة بين الرجال والنساء، وكذلك من يتناولون المسائل الاجتماعية الخاصة بعمل المرأة وحقوقها وواجباتها في الحياة

ولكي يكون الكاتب والقارىء أدنى الى التوفيق في أحكامهما وفي استجلاء هذا الموضوع ينبغي ان يروضا النفس على صبر المحصلين وحذر المستقرئين الذين لا يأمنون تحصيل الوقائع المعقدة واتيانها واقتناص الحريات الوعرة ليستعينوا بها على تكوين أحكام أقرب الى الصواب

نظرات كل من الجنسين للآخر

في سنة ١٩٠٧ قامت [illegible] في جنيف بأخذ [illegible] على تلاميذ المدارس الابتدائية وتلميذاتها ممن تتراوح اعمارهم بين السن الحادية عشرة والثامنة والعشرين . وهذه الاختبارات التي تعتمد على الأسئلة والاجوبة كان الغرض منها بحث ما يجول في خلد هؤلاء الصغار من جنسي الرجل والمرأة من حيث تقدير كل من الجنسين للآخر وآرائه فيه وحكمه عليه ، وذلك بقدر ما تسمح به تفكيرات هذه العقول الناشئة . وقد أجملت نتيجة هذه الاختبارات في مقال نشر بالمجلة المذكورة في فبراير سنة ١٩٠٨ . وخلاصة ما جاء به هذا المقال أن البنين يرون في البنات الصغيرات صفة الرعب والخوف ، وانهن كثيرات التذمر والنصب ، وانهن صبيات الجامدة تجلات في تكليف ما يتكلن ، وانهن لا يتورعن في التجسس لأخبار المخطئين خطأ الرفق المتعطشين ، وانهن يتكئن لأوهى الأسباب ، وانهن ثرثارات يسهل عليهن الغيبة والنميمة ، وانهن مسرفات في الزينة والتأنق

أما صغار البنات فيؤخذن صغار السن بميلهم الى الصخب من غير ما تدعو ضرورة ، وبالخشونة والقسوة ، والاستخفاف بالنظام وعدم العناية في الهندام ، وقلة المبالاة وعدم الاكتراث

ويظهر مما تقدم من هذه الاحكام الساذجة البريئة أن الجنس الخشن يرى منذ حداثة السن أن عقلية المرأة وأحوالها النفسية تغاير عقلية الرجل . وكذلك الحال من جهة الجنس اللطيف فقد يرى في نفسية الرجل ما يباين . ورغم سذاجة هذه الاحكام فان لها قيمتها عند استقصاء ما يقال عن نفسية المرأة والرجل . على أننا لو صرفنا النظر عن أحكام أحداث السن من الجنسين لوجدنا الراشدين المسئولين من النساء والرجال الذين أوتوا بسطة في العلم والتجارب آراء في تعاوت العقليتين يسعى الاعلام بها . ففي مجلة الخير العام في سنة ١٩١٩ دونت الآنسة « مرغريت فارد » وهي من أشهر

الباحثات في أخلاق لمراقبة ما رأت إنناه من فروق بين عقلية الجنسين فذكرت : إن ميدان العواطف أخص بالمرأة من الرجل حتى ان « كونت » الفيلسوف عد الجنس اللطيف بشدة الانفعال ، وعد جنس الرجل بشدة الارادة . وترى الكاتبة أن لحياة الاستقرار العالة على المرأة وان لتركيبها الجسمي وأن لطبيعة اعصابها اللينة شأناً مذكوراً في قابلية التأثر . وترى ان خلايا العصب التي لها أثر كبير في أفكار الانسان وميوله وارادته هي أشد أثراً في حياة المرأة من الرجل . وان احياء الوحدانية التي درست في نحو ٣٥١٣ شخصاً ظهرت في ٥٩ ٪ من النساء و ٤٥ ٪ من الرجال ، وأن الحساسية التي يبدو من اختبارات الخطوط ظهرت في ٧٣ ٪ من النساء وفي ٦٦ ٪ من الرجال ، وأن ما يصيب النساء من الامراض العصبية أكثره نشأ من ظروف كان تأثير الحياة الوحدانية أظهر فيها ، بخلاف ما يصيب الرجال من تلك الامراض فكان نحو ثلاثة أرباعه يرجع الى أسباب اجتماعية شأن الفكر فيها أوضح . وترى كذلك السيدة الكاتبة ان خلق الايثار أسمى عند المرأة من الرجل ، وأن المعقولات المجردة والتغول الى العلوم الفكرية والكلية أقرب الى نفس الرجل منه الى نفس المرأة بخلاف شئون الحياة الاجتماعية وتطبيقها كالشعور بالحق والقيام بواجب وحب الحقيقة ، فللمرأة فيه السبق على الرجال ، وأن المرأة أكثر محافظة على التقاليد والعادات وأكثر ميلا للتدين وما يتصل بالدين من مسائل الغيبيات والتصورات

ولنقتصر على ما تقدم ذكره مما ذهبت اليه السيدة الكاتبة في الفروق بين الجنسين ، ولنسطر في يقول المميزون من الرجال

صورة من آراء الرجال في الفروق بين الجنسين

قام كل من السيدين الامريكيين « بورت » و « ... » بأبحاث في هذا الموضوع ظهرت في مجلة التربية النفسية الامريكية في سنة ١٩١٢ وأثبت هذه الابحاث الدقيقة على أنه يوجد فروق نفسية لكنها ليست ذات أثر كبير في الحياة العملية . ولا تناسب قط مع ما يرى من الفروق الجسمية بين الرجل والمرأة . واذا لوحظت هذه الفروق الطفيفة فسلوف من التدرج بين البسط المظاهر النفسية كالحس وأعقدها كالتفكير ، بعد انها تضعف وتتضاءل كلما تدرجنا من الأبسط الى الأعقد حتى لا تكاد تبدو . وخلاصة بحث « بورت » و « مور » ان الفروق النفسية بين المرأة والرجل هي في التفاوت والكمية دون الكيفية وليس أحد الجنسين متجرداً من صفة من صفات الجنس الآخر أو من سحية من سجاياه . وخلاصة ما في تفصيلات البحث المذكور ان للمرأة ميزة على الرجل وتفوق من حيث شدة الشعور بالحس المجرد ، وان الرجل أمير من المرأة وأقدر من حيث شدة الشعور بتمييز الفوارق بين مختلف الاحساسات ، وان المرأة أحس من الرجل بالروائح والألوان والأصوات ودقة اللمس (وهي احساسات بسيطة ذات صلة بعالم الخيال والعواطف) . وأما الرجل فهو أقوى شعوراً من المرأة بالاحساسات المركبة ذات الأثر في الحياة العملية كحس الحركة والأثقال والسطوح . وان المرأة تبز الرجل في القابلية لخط الحديد ، بخلاف الرجل فانه يتفوق عليها في سرعة التعيد ودقة الترتيب عند إظهار ما حفظته منه . وان المرأة تمتاز على

الرجل في شدة تأثر والاضمحلال وفي تفكيرها وإرادتها ، والرجل في القدرة على شدة الانتباه وحصر قوى العقل وتركيزها للتفكير

ومن الجهة التشريحية يرى الباحثان للدكتورين فروقاً دقيقة في صورة المخ عند الرجل العالم وعند المرأة العالمة . . فبينما تكون قشرة المخيط الخارجي للمخ عند الرجل العالم أوضح في تكوينها عند السرير العصبي (الذي هو في أسفل جذع المخ) عند المرأة العالمة أوضح في تكوينه منه في الرجل . وبما أن القشرة المخية من حيث وظائفها أمور التمييز الحسي بخلاف جذع المخ الذي هو أدنى الى أن يكون متصلا بحس وظائف الشعور الحسي والانفعالات ، فمن المحتمل كثيراً أن عقلية المرأة أدنى أن تكون متأثرة بالأنفعالات بخلاف عقلية الرجل فأدنى الى أن تكون متأثرة بالتفكير كما مر ذكر ذلك فيما سلف

الخلاصة

والخلاصة مما تقدم انه يوجد ثمة فروق في استعدادات جنسي الرجل والمرأة حيال أمور الحياة وشئونها . وقد مر بنا أن هذه الفروق تخص المرأة ذات حظ أوفر من حظيرة الوجدانيات والعواطف وما يتصل بها أو يترتب عليها ، وأن للرجل حظاً أوفر في حظيرة المنطق وما يتصل به ويترتب عليه . وربما يكون مرد ذلك أكثر شيء من حيث تصور وحدة الجنسي ، والرجل نصيب أشد من حيث متانة الأنسجة العصبية ومرونتها . وليس المقصود بهذه الفروق من شأنه أن يحقق لجنسي من الجنسين رفعة مطلقة أو يجعل لأحدهما فضلاً على الآخر . وكل ما يهمنا من شأن هذه الفروق أن تصبح أو تصح دائرة عمل الجنسين ، وأعمال كل جنس وواجباته كما ان لكل من شأنها كذلك ان تحسن في الحياة سلامتها وتقدمها . وعلى هذا فان جنسي الجنسين في صورهما الجنسية ، ويمكن من شأن هذه الفروق أن تفيد المرء أحياناً لتمييز كل جنس في عمل كلفه به حسب استعداده ليكون أنجح وأنفع ، وأحياناً أخرى قد يستفيد المرء من معرفة هذه الفروق لتوخي صناعة مواضع الضعف في ملكات الجنسين حتى تتناسب قوى النفس جميعاً بالقدر المستطاع . وكما يستفيد المرء من مثل هذه الدراسة فقد يستفيد الاجتماعي لتقدير توزيع الأعمال بين الجنسين على أفضل أسلوب

وعلى كل حال مهما تكن الأمور من نظرات المفكرين في الفروق بين الجنسين ومن نظرات القاصرين أو المسرفين ممن يتطرفون في موضوع المرأة والرجل فرضوا أو يتسوا عن جنس أو آخر حقوقاً وواجبات ، فان الطبيعة وحدها هي أعدل حكم في الأمر ولا تماً تقول أحد ولا تخضع لنزعات أحد ، ولكنها تنير كل جنس ، بل وكل فرد في جنسه اللائق لوجوده على أحسن حال ممكنة فيه لقدرته في الكفاح الحيوي والحياة الاجتماعية . ولنختم هذه الكلمة بما نقل عن أبي سليمان المنطقي ويجوز ذكره في موضوعنا او يقول : « نحن نقضي بما علينا ونجتهد فيما لنا ، ويجري الدهر بما شئنا أو أبينا »

منصور فهمي

ماذا رأيت في الولايات المتحدة

من حديث مع سعادة محمود سامي باشا

وزير مصر الفوض في واشنطن سابقاً

منذ حلمت الولايات المتحدة بير الاستعمار البريطاني سنة ١٧٨٣ اخذت تسير في سبيل الرقي سيراً حثيثاً متواصلا حتى بلغت درجة من الرقي والحضارة اصبحت تنافس بها اعظم دول العالم في كل نواحي الحياة المادية والادبية . والفضل في ذلك يرجع الى ما طبع عليه الاميركيون من نشاط ومثابرة على الجد والعمل ، والى مواهبهم الطبيعية من ارض خصبة بمعادنها وخيراتها وسطحتها المعتدلة التي ساعدت على نمائها واستغلال ما فيها من نبات وحيوان استغلالا راقياً ما زال يزيد في ثروتهم ، ويتقدم بهم كل يوم الى الامام

التعليم

وقد عرف الاميركيون أن أهم مايوصلهم الى الرقي الدائم هو التعليم والعناية بنشره في انحاء بلادهم ، لذلك كان من اول ما وجهوا اليه عنايتهم تعليم الاطفال وتربيتهم تربية صحيحة ملائمة لروح العصر الحاضر . وهم يصرفون على كل تلميذ في هذا القسم ٣ جنيهات سوى ما يصرف على التعليم الجامعي . وذا علمنا ان عدد سكان الولايات المتحدة ١٢٥ مليوناً كان متوسط ما يصرف على تعليم التلميذ فيها ٢٤ جنيهاً في العام الواحد بصفة تقريبية ، نظر لما يصرف في مصر على تعليم التلميذ الذي لا يتجاوز سنويا ريالا واحداً

وفي كثير من الولايات يصرفون ٨٠ في مائة من ايرادها على التعليم وانشاء الطرق ، فاذا علمنا بهذه النسبة في مصر لزم أن تصرف ٣٠ مليون جنيه من ايرادها على التعليم والطرق ، وهو مبلغ اذا قيس بالايراد كله لم تستطع مصر أن تقوم بباقي حاجاتها الاخرى مع انها احوج ما تكون الى نشر التعليم من أية ولاية من الولايات الاميركية

ونظام التعليم في الولايات المتحدة يخالف غيره من الانظمة التعليمية في أية دولة اخرى ، فهناك تقترن التربية العملية بالتعليم ، ولا يقتصر على تلقين التلميذ المعلومات النظرية دون أن يستفيد منها فائدة عملية في حياته . ولذلك فانهم يعلمون الطفل على الاعتماد على النفس واستعمال فكره بقدر الامكان ، فتجد الام الاميركية تترك ابنها في كثير من الاحيان يقوم بقضاء لوازمه ويساعدها في اوقات فراغه في القيام بمهامها المنزلية كي ينشأ رجلاً عملياً معتمداً على نفسه في ميدان الحياة

وفي كثير من المدارس يقوم التلميذ باداء خدمات لزميله في نظير أجر يساعده على المعيشة

ودفع المصروفات المدرسية . وفي أوقات الاجازة يتم التلميذ فرصة للاشتغال ببعض الاعمال الاخرى كسياقة الاتومبيلات أو النزهة للسائحين ، أو الخدمة في مكتب او ما شابه ذلك للحصول على مبالغ تمكنه من المعيشة وشراء الملابس اللازمة له ، وتسديد المصروفات المدرسية في السنة المقبلة ولا يقتصر ذلك على اولاد الفقراء ، بل أن اغنياء التلاميذ لا يترفعون عن مزاولة هذه الاعمال لنفس الغرض الذي يسعى اليه غيرهم

ويعنى الاميركيون في مدارسهم بالتخصص ، فترى المدرسة مقسمة الى عدة فروع مختلفة يتخصص في كل فرع منها طائفة من التلامذة لا يمارسون غيره . ففي مدرسة الهندسة الغربية من بوستون نحو ١٨ فرعاً في الهندسة يدرس كلا منها عدد من التلاميذ مهيأون لأن يتخرجوا في الفرع الذي تخصصوا فيه دون سواه

ويتوخون في التعليم الطريقة العملية في سائر أدواره ، حتى انهم يأتون للاطفال بعدد الراديو أو التلفون أو غيرها من الآلات الاخرى ، ويكلفونهم بأن يفكوها ثم يعيدوها تحت أشراف معلميهم . وذلك في أثناء اللعب كي يرسوا عندهم حب العمل ويوجهوا أفكارهم الى البحث والاختراع . ومن هذا نرى الى درجة عناية عندهم في جعل الاولاد من صناعات العالم

الزراعة

أما الزراعة فقد بلغوا في سبيلها درجة كبيرة . وما زالوا يواصلون الجهد في تحسين شأنها وهم لا يفتأون عن توزيع النشرات على جميع فروع الزراعة توجيه أنظار الزراع الى انتخاب البذور الصالحة لضمان الحصول على أحسن . وقد تمكنهم بذلك أن يصلوا الى درجة من التفوق الزراعي في السكينة والنوع بحيث ان أراضيهم الزراعية تنتج كل عام أكبر كمية ممكنة من القطن والفواكه والحبوب الجيدة

وقد شاهد سعادة محمود سامي الشا عند أحد المزارعين الاميركيين شجيرة قطن بها ٥١٧ لوزة منتجة ، وهذه الكمية تعرب عن عشرة اضعاف ما تنتجه شجيرة القطن في مصر ومن ذلك نرى مبلغ ما وصلت اليه زراعتهم من الجودة . وهم يجتهدون الآن للحصول على نوع من القطن يفوق القطن المصري . ولا شك ان نجاحهم في غيره من الانواع الاخرى يشجعهم على مواصلة الجهد في هذا السبيل حتى يفوزوا يوماً ما ببغيته النهائية

ولا ننسى ان زراعة الفواكه في أميركا من أكبر موارد المال والرزق ، وهم يصدرونها الى كافة بلاد العالم . ومن أنواعها التفاح والبرتقال ، والخوخ ، واللوز ، وعين الجمل ، والتين ، والعنب والبرقوق والبطيخ والشمام ، وتستورد مصر منها بعض هذه الانواع

وكمية القمح وسائر الحبوب الاخرى عظيمة ، وبلغ ثمن الوبية من القمح ٢٤ قرشاً أما الخضراوات فجميع أنواعها موجودة بأميركا حتى الثامية والملوخية

التجارة وملك السيارات

للاميركيين نظام خاص في التجارة يجعل لهم الربح ، وذلك انهم يكتفون بالمكسب القليل في مقابل انهم يبيعون أكبر قدر ممكن من بضائعهم بحيث لا تمكث في السوق وقتاً طويلا فتكون معرضة فيه للزوال باقبال الناس على ما يرد من البضائع الجديدة الاخرى . وهم يسعون لمعرفة الاذواق المختلفة ، والحصول على ما يرضي هذه الاذواق ولو بتصحيح جانب من رغبتهم وبذلك يغتنمون الفرصة لسرعة تصريف بضائعهم ، وعمل كل تسهيل للزبائن وحسن معاملتهم كما يعمل عندنا بعض التجار المشهورين، بل كما يعمل « فورد » الذي يعد مثلاً أعلى لتجار العالم

فان طريقة فورد في التجارة هي طريقة الرجل الذي يقدم زبونه أحسن ما يمكن من البضاعة بأقل ما يستطيع من الثمن فيضمن بذلك كثرة التصريف التي تدر عليه ربحاً طائلا . وقد حدثنا محمود سامي باشا انه كان في مأدبة جمعته بملك السيارات اعظم ، فسأله عن نفقة السيارة الواحدة التي تصنع في مصانعه ، فأجابه انها تبلغ ٢٨ ريالا ومقدار ما تستغرقه السيارة من العمل ثلث ساعة

وأخبرنا سامي باشا ان فورد كثير الحياء ، وسكنه دون حيه وأدنى جمع ، وقد كان أبوه قاضي خط في بعض القرى ، فنشأ بين الفلاحين ، ورأى كيف يتعاونون الذل والعذاب فرق قلبه لهم ، ووجه فكره من عهد نشأته الى مساعدة الفقراء وتخفيف البؤس عليهم

وذات يوم فسدت ساعته ، فتركها وأخذ يبحث أجزاءها حتى فكها ثم أعادها كما كانت بعد ان أصلحها ، فلاحظ من ذلك أن عنده ملكة ميكانيكية ، فأخذ يواصل تهذيبها ، واشتغل في أحد المصانع ، وكان كلما انتهى من عمله أخذ يعمل لايجاد مخترع جديد ، الى أن توصل الى عمل سيارة ثم عكف على تحسينها عشرين سنة حتى فاز بصنع سيارة متينة نالت نجاحاً باهراً

وبعد ذلك استطاع أن يؤلف شركة من ثلاثة عشر عضواً برأس مال بسيط ، فاستمرت هذه الشركة في التقدم بفضل ما كان يبذله من عنايه ومجهود حتى أصبح له فيها بعد بضعة سنوات ٥١ في المائة من اسهمها ، ثم زادت اسهمه فيها الى ٥٩ في المائة . ولم تمض سنوات قليلة حتى اشترى بقية الاسهم باسم ابنه ، فتخلى عن رئاسة الشركة وعمل ابنه رئيساً لها ، ومن ذلك الحين لم يعرف مقدار رأس ماله أحد غيره هو وابنه ووزارة المالية التي تحصل منه الضرائب

ومن أهم أسباب نجاح فورد في عمله سياسته الحريصة في تقسيم العمل والاجتهاد في توفير الراحة لعماله وارضائهم سواء أكان ذلك في مدة العمل التي لا تزيد عن أربعة أيام في الاسبوع

باعتبار الاسبوع سبعة أيام يتقاضى العامل أجره فيها كاملا ، أم كان في مبلغ الأجر الكبير الذي يهيء للعامل كل وسائل الراحة والترفيه عن النفس بحيث يشعر أنه متمتع ببسط من الحياة السعيدة التي تزيد رغبته في العمل وتدعوه الى النشاط والاجتهاد

وقد هيأ مصانعه بكافة الملاهي والمرفهات عن النفس كالسينما توغراف والملاعب الرياضية وغيرها ، وفتح عدة مدارس يتعلم فيها أبناء العمال . وأنشأ عنده قسماً مخصوصاً وظيفته اعداد الوسائل اللازمة لشراء مساكن العمال من أصل ما يتقاضونه واذا كان عند بعض العمال نقود للتوفير أمكنه أن يودعها ادارة فورد بربح يبلغ ١٢ في المائة أي ضعف ما يأخذه عليها العامل اذا أودعها ادارة أي شركة أخرى

وفي ادارة فورد قسم يدعى « القسم الاجتماعي » ، ومهمته ان ينظر في شكاوي العمال ويعمل على تلافي كل ما من شأنه ان يضجر العامل او يجعله متبرماً بعمله فاذا سئم أحد العمال مثلا مزاولة عمل معين ، ورغب في مزاولة عمل آخر أمكنه ان يقدم رغبته أو شكواه الى « القسم الاجتماعي » ينظر فيها ويعمل لنقله الى عمل آخر يتلاءم مع ما خصص له دون ان يضر ذلك بمصلحة العمل

وبأراحة العمال وارضائهم أمكن فورد ان يجني من ورائهم ربحاً كبيراً فوق ما يجنيه من وسائل الاقتصاد الاخرى كصنع الآلات التي تصنع السيارات . والاجتهاد في توفير الزمن بحيث يجعل كل عمل يستغرق اقل وقت ممكن : فقد كان يحتاج لانجازه وتماً كاملا اجتهد في أن ينجزه في ساعة واحدة . وبذلك خفض وقته بمقدار الثلثين في توزيع العمل على العاملين ، وقد علمنا كيف أن صنع السيارة في مصنعه يستغرق ثلث ساعة بعد ان كان يستغرق اثنتي عشرة ساعة مروراً منطقياً بواسطة سير شريط وقف العمال على جانبيه لقيام كل واحد منهم بما خصص له

ولفورد عناية خاصة بالتجديد والتحسين المطرد تبعاً لما تطلبه ظروف العصر الحاضر مضحياً بالربح في سبيل التقدم ورقعة الشعاع التجاري . وقد اوقف في سنة ١٩٢٧ جميع ادوات مصانعه وجددها كلها في مساحة سنة كاملة مع انها صالحة للاستعمال ، ولكنه ضحى بها في سبيل تحسين سياراته واخراج طراز احسن يفوق غيره ، وقد بلغ ما انفقه من الربح عن كل يوم من ايام هذه السنة مبلغ مليون دولار ، اي انه خسر ٣٦٦ مليون دولار في سبيل تحسين مصانعه وسياراته

مستوى المعيشة في اميركا

مستوى المعيشة في اميركا أرقى من مثله في اي بلد من بلدان العالم ، ويتمتع الصانع قبل التاجر بعيشة طيبة فيها كل وسائل الرفاهية ، ولا نتجاوز حد المبالغة اذا قلنا أن عند كل عائلة من العائلات الاميركية سيارة ، اذ يبلغ عدد السيارات الموجودة في انحاء الولايات المتحدة ٢٥

فورد بين رفاقه وهو شاب في احدى الشركات . وهو الثاني من اليمين في الصف الثاني

مليون ، وعدد السكان ١٢٥ مليون نفس . فيكون لكل خمسة اشخاص سيارة . واذا أهملنا الاطفال والعجزة والمساكين فكما ان هناك من يملك اثنين من الاميركيين سيارة واحدة

وفي الولايات المتحدة عشرة ملايين راديو تنشر الاخبار الصناعية والزراعية والاغاني المختلفة بحيث يستطيع الشخص في منزله ان يقف على سائر ما يحدث حوله في الخارج . وقد اصبح الراديو في اميركا من اهم طرق النشر والاعلان عن البضائع وغيرها

اما طرق المواصلات فانها سهلة ، وهم مهتمون بها اهتماماً عظيماً لانها اهم ما يربط اجزاء الولايات بعضها ببعض ، ويسهل سير التجارة فيها ، والانتقال بين مساقاتها الشاسعة . وقد بلغ مقدار ما يصرفونه في العام على طرق المواصلات ٣ بليون دولار اي نحو ٦٠٠ مليون جنيه مصري . وقد نظمت هذه الطرق تنظيماً حسناً بحيث يتسنى للسائرين ان ينعموا بجميع وسائل الراحة ورؤية المناظر الطبيعية الجميلة من مزارع وانهار ، وبحيرات وجبال كسيها الطبيعة ثوباً من الروعة والجمال

. . .

العمران في الاصقاع القطبية

وتأثيره في مستقبل العالم الاقتصادي

بقلم السير هيوبرت ونكنس المكتشف المشهور

[خاصة بالهلال]

لا يكاد امرء يظن انه يمكن ان توجد علاقة مباشرة بين التجارة والعمران حول القطب الجنوبي أو عبر المحيط الاتلنتيكي، ولكن هناك علاقة مباشرة بينهما ولم نستطع الى هذا الزمان الاخير ان يبنوا هذه العلاقة فعامة وأهل الاعمال

ومنذ سنين كثيرة كان زعماء الحملات الاكتشافية مجدون صعوبة في افهام الناس الغرض من هذه الرحلات فتكلموا كثيراً عن السفر الى القطب ومشقاته وأهواله وقيمة النتائج العلمية ولكنهم لم يقدروا ان يشيروا الى شيء ذي فائدة اقتصادية تنشأ عنه

ونحن ما زال الى الآن مخفرين عن ذكر فائدة اقتصادية عاجلة تنتج عن تلك الرحلات ولكننا نستطيع ان نشير من بعيد الى شيء من العمل يمكن في تلك الاصقاع . ونستطيع ذلك على أثر جهود المكتشفين الاولين وجهودهم هذه مقترنة بجهود المكتشفين المتأخرين مثلنا تحملنا على الاعتقاد ان بلاد القطب يمكن ان تحول بحالة تصبح يمكن في المستقبل من التنبؤ بتقلبات الهواء قبل وقوعها

وقد مضى زمان طويل والناس يقولون اننا اذا عرفنا شيئاً عن أحوال القطب واستطعنا جمع الارصاد من تلك العروض القاصية أمكننا في المستقبل ان نتنبأ بالاحوال الجوية قبل مجيئها بسنين . وأول من ارتأى هذا الرأي أحد أسلافي سنة ١٩٤٣ . وعليه فاذا استطعنا الانذار بالطقس وامكننا الفلاح من معرفة نوع النبات الذي يزرعه وزمان زرعه ومعرفة نوع الطقس من مطر وجفاف . وامكننا الزراعة من معرفة عدد المواشي التي يمكنهم تسريحها في بقعة معينه وفي سنة معلومة ، فان ذلك كله يؤثر تأثيراً عظيماً في تثبيت الاسعار وبهنا جميعاً سواء أكنا من المشتغلين بالصناعة أو بالتجارة

وسأقص عليكم قصة جرت على باخرة من بواخر المحيط الاتلنتيكي . ذلك اني كنت ألقي

شه محاضرة فسألني بعض الرجال أن أتمشى معهم ، وقال أحدهم : « يظن انك مشغول بهذا العمل على أمل أن تجني منه شيئاً »

قلت : « ذلك كما تقول »

قال : « اذا شئت أعطيناك مرتباً كبيراً بقية عمرك »

قلت : « أحب المرتب الكبير ، ولكن لا أفهم ما تريد »

قال : « نحن نعلم أنك أن استطعت انقاذ مشروعك الذي بسطته لنا اليوم فانك تقضي على أعمالك وأشغالك . فنحن مضاربون بالحبوب واذا نجح مشروعك قضيت على المضاربة لانك تستطيع بحمل الفلاحين على اخراج المقدار الذي تريده من الحبوب ان تتحكم في الاسعار ومنع المضاربة أو منع معظمها . فنحن مستعدون ان ندفع اليك ما تريد مقابل ترومك السكوت »

وأنا أعيش الآن على ما يستطيع المكتشفون ان يعيشوا عليه لا على ذلك المرتب الضخم

ولا يمكننا الجزم بأن الارصاد التي نحصلها في القطب الجنوبي تفضي الى تلك النتيجة المرومة في عالم الاقتصاد ، ولكننا نعتقد أنها تفضي اليها وتوالي كل ذلك على سبيل التوكيد . وهذا الاعتقاد مبني على ما هو معروف من أن حكومة الارجنتين أنشأت محطة في الاصقاع القطبية الجنوبية مدة ٢٣ سنة حتى وقد دلت ارصاد تلك المحطة على وجود علاقة مباشرة بين الحالة الجوية في الاصقاع القطبية وبينها في استراليا وكليدونيا ومصر والهند والارجنتين

فاذا عرفنا ان ثمة علاقة مباشرة بين الاحوال الجوية في جزيرة تبعد ٧٥٠٠ ميلا جنوباً عن رأس هورن (الطرف الجنوبي من قارة أميركا الجنوبية) وبين الاحوال الجوية في تلك البلدان التي تخرج الكثير من الحبوب ، فيجب تقيم محطات كثيرة في تلك الاصقاع تمكننا من الاحاطة بمجرى النفثات الجوية في نصف الكرة الجنوبي ومقارنة ارصاد هذه الجهة بالارصاد التي تأتينا من جهات أخرى تمكن في المستقبل من الانباء بالاحوال الجوية قبل وقوعها بوهذا لا نستطيعه في سنة ولا في عشر سنين

وليس في وسعنا ضمان نتائجنا الا بعد اجراء الارصاد ، وعندي أن هذا المشروع لا يتطلب نفقات كثيرة . ولجواد (وقد عرض على الجمعيات الجغرافية منذ سنين) ان ينشئ في الاصقاع القطبية الشمالية نحو ثلاثين محطة للارصاد غير الموجود منها الآن . وهذه الارصاد هي الآن في يد جمعية معروفة باسم الجمعية الجوية القطبية ومركزها العام في برلين وتأخذ بياناتها من كل حكومة في نصف الكرة الشمالي . وهي شارعة في ارسال بالون صحي الى الشمال لانشاء بعض هذه المحطات . ولا ريب عندي أن بعضها يقام في الاراضي التي اكتشفتها أناوايلسون السنة الماضية في المحيط القطبي الشمالي

فاذا أنشيء ٣٠ محطة هناك غير الموجود منها الآن أحطنا بالحالة الجوية العمومية في الاصقاع الشمالية التي لها علاقة مباشرة بالحالة الجوية في ولايات أميركا الوسطى الغربية وكندا وروسيا والصين واليابان و بحارها وسائر بلدان أوربه (تم الجزء الاول من هذه المقالة ويليه الجزء الثاني

وليس المحيط القطبي الشمالي سوى بحر أصغر من البحر المتوسط تحيط به أحوال مختلفة وتعلوه طبقة رقيقة من الجمد لا يزيد متوسط سمكها على خمسة عشر قدماً . ومقدار الجمد في الاصقاع الشمالية قليل بالنسبة الى الاصقاع الجنوبية حيث البر والبحر تعلوهما طبقة من الجمد كان سمكها في بعض الاماكن ثلاثة آلاف قدم وهو لا يزيد الآن على ١٨٠٠ فمقدار الجمد فيها هائل

ومع ذلك فاننا نعتقد أننا نستطيع أن نعلل الاحوال الجوية في الاصقاع الجنوبية تعليلا متريولوجيا بأسهل مما نستطيع تعليلها في الاصقاع الشمالية وبأقل نفقة . والسبب في ذلك أن القارة الجنوبية للقطبة تغير حجمها كثيراً وفي مدد لا نستطيع تقديرها . وهذا نفهمه اذا عرفنا ان على حوافي تلك القارة المتجمدة دائرة من الجمد تتسع في المياه التي الى شمالها . وهذا الجمد يكون أحياناً ملتصقاً بشاطئ القارة ، وربما تجمد وأحال أخرى ينفصل عنها شمالا الى المحيط الباسيفيكي والاتلنتيكي والهندي

ويعتقد كثير من علماء متريولوجيا ان تغير هذا الجمد في مقدار البحرية هو أعظم عامل يعين الاحوال الجوية في نصف الكرة الجنوبي . وقد رؤي في اثناء سبع محطات حول حوافي القارة المتجمدة وحسن في الجزر المحيطة فجمع منها الارصاد عن حالة الجو والجمد وتوزيعه وتأثيره . وعند مقارنة هذه الارصاد بارصاد أخرى أحدث في سائر أنحاء العالم ومنها الاصقاع الشمالية نستطيع الاحاطة بمتريولوجيا الارض كلها على ما نعتقد

وتقدر النفقات اللازمة للعمل في الاصقاع الجنوبية بنحو عشرة ملايين دولار في عشر سنين . ويظهر لاول وهلة أن هذا المال كثير على المتريولوجيا ولكنه مال يغطي النفقات في عشر سنوات ، ويؤخذ من كل حكومة من حكومات نصف الارض الجنوبي

وقد أسعدني الحظ بمنافشة حكومة جنوب أفريقية واستراليا والارجنتين والبرازيل وتشيلي وبيرو والهند في هذا المشروع فوجدتها جميعاً ميالة اليه ، وقد علمت انهن اذا استطعن حمل غيرهن على معاونتهن فانهن يشتركن في العمل . ولعلنا بعد سنين قليلة نتمكن من انشاء مكتب متريولوجي دولي ينفق على الاثني عشرة محطة في الاصقاع الجنوبية

وعلمت الحساب النسبي لهذا المشروع مبنياً ارقامه على عدد السكان والاراضي المزروعة . ففي

أوستراليا ست مقاطعات لا تسأل احداهن ان تدفع أكثر من عشرة آلاف دولار في السنة كحصتها في نفقات هذا المكتب الذي ترجو منه النفع الكثير

على ان بعض رؤساء الادارة في الحكومات المختلفة يظنون ان تقديري للنفقات أقل بكثير مما يقدرون . ولكنهم قالوا مع ذلك «اننا نريد اعانتنا مائة في المائة اذا وافق علماء المتيورولوجيا على المشروع واذا قالت الحميات العلمية انك تستطيع ان تخرجه من القول الى الفعل وتجني منه الثمرات التي تنتظرها »

وهذه الهيئة قامت بعض أعاظم علماء المتيورولوجيا مثل الدكتور بجركنيس النرويجي . والدكتور بابير شو الانجليزي . فأكدا لي انها اذا أنشأت محطات كافية تتوي انشاءها في الشمال والجنوب قدمنا بعد ارصاد سنة واحدة معارفنا المتيورولوجية وقدرنا على الانباء بالاحوال الجوية ٥٠ في المائة . وهما قالا ان دقة أرصادنا الآن لا تزيد على ٣٠ في المائة . ولكن انشاء المحطات يزيد هذه الدقة الى ٤٥ في المائة ولا بد لنا من السير على هذا النهاج ١١ سنة على القليل (أي مدة دورة واحدة من أدوار الكلف الشمسية) لنعلم هل يلزمنا السير عليه الى أجل غير مسمى

وليس هذا المشروع هو الشيء الوحيد الذي نحتاج اليه للانباء بدقيق بالاحوال الجوية ولكنه يساعدنا على ذلك . ولا نعتقد ان الاحوال الجوية توجد بعد في الاقاليم القطبية ، بل نعتقد ان في جو الارض نظاماً دوريا . فالهواء المرتفع عن خط الاستواء بسبب الحرارة ، يندفع الهواء البارد من الشمال والجنوب ليحل محله ثم يبتعد عند الهواء بدوره فيرتفع ويعود فيهبط عند القطبين . ويعتقد علماء المتيورولوجيا ان للشمس تأثيراً كبيراً في طقسنا ولا يستطيع درس هذا التأثير بأبعد من الاقاليم القطبية فاذا قدرنا على رصد الاحوال الجوية فيها وتأثيرها في الاراضي المتاخمة لها فقد نستطيع بعد سنين كثيرة الانباء بحالة الجو في الاقاليم المعتدلة

وطالما سمعت الناس يقولون « ما نفع اكتشاف الاراضي في الشمال أو في الجنوب ؟ » ويسرني أن أقول أن ليس لاكتشاف الاراضي أقل نفع اقتصادي مباشر نرجوه من الارض نفسها . ونعلم ان في الاصقاع القطبية احتوية رواسب فحم حجري تزيد على الموجود في أي مكان معروف . وقد شاهدنا خطاً من الفحم الحجري ممتداً مسافة مائة ميل وبسمك ٣٠ قدماً الى ٥٠ ونحن لا نحتاج الى هذا الفحم مدة سنين طويلة . كذلك دلت المباحث الجيولوجية على وجود رواسب معدنية أخرى في القارة القطبية الجنوبية ، ولكننا لا نرجو ان نجسمها . أما الارض ففائدتها انها تكون قاعدة للارصاد المتيورولوجية وهذه الارصاد تمكننا من جني منافع اقتصادية مباشرة

بلاد الزلازل والبراكين

نكبة اليابان سنة ١٩٢٣

[نشرنا في هلال الشهر الماضي الحلقة الاولى من هذه السلسلة تحت عنوان « كيف عرفت سفينة تيتانيك » وقلنا أن نذكر أنها للاستاذ حسن الشريف ، واليوم نقدم للقراء الحلقة الثانية واعتماد الكاتب فيها على مصدر وثائقي لا يدع مجالا للشك في صحة ما أورده فيها من الوقائع المروعة والوصف المدهش]

المحرر

كانت اليابان من قديم الزمان ولا تزال أكثر بقاع الأرض تعرضاً لثورة عناصر الطبيعة وعلى الأخص الزلازل والبراكين . في سنة ١٧٠٣ ثار فيها بركان دمر مدينة يدو (والآن توكيو وهي العاصمة) تدميراً شاملاً لم يبق فيها على شيء . وقد هلك من سكانها في تلك الكارثة سبعة وثلاثون الفاً وهلك من سكان أقليم ساجامي المجاور لها مائة الف من الناس

وقد طلت الزلازل و[illegible] البراكين [illegible] في فترات متقطعة خلال قرن كامل فتحدث بها أضراراً فادحة ، حتى كان اليوم الثاني من شهر نوفمبر سنة ١٨٥٥ اذ زلزلت الارض زلزالا عنيفاً متقطعاً استمر ستة عشر يوماً شب في خلالها حريق هائل استمر هو لآخر ستة عشر يوماً فأودى بمائة الف نسمة وعشرة آلاف من بقاري ومنازل لا تحصى

ولقد هب اليابانيون الى العمل فأعادوا بناء ما تهدم من مساكنهم على قدر ما كانت عليه قبله ، ولكن أتت الطبيعة الا أن تكتب مرة أخرى فزلزلت الأرض زلزالا عنيفاً بالغريب وسط حرورة « يوكوهاما » ودمرت مدن « ياكوهاما » و « ياكوسوكا » و « كاماكورا » عمرانا ، كما دمرت المدن الأربع أوجاكي وجيفو وتاجيكاما وكارماتو ، ودفن اثنى عشر الف نفس تحت أنقاض مائتي الف منزل انهارت من شدة الزلازل

وبعد خمس سنوات من هذه الفاجعة وبينما كان السكان يقيمون عيداً اعتادوا أن يقيموه للأقحوان في كل عام ، زلزلت الأرض من تحت البحر زلزالا ابتلع مدينة كاماكورا حتى لم يبق منها على أثر . كان الناس فرحين لاهين وراحوا يشاهدون الجو يكفهر ملأة والهواء يكتئب ويكاد يصير خانقاً وسماء تتلبد بالغيوم والمطر يتحدر سيولا ثم اذا بالأرض تهتز تحت أقدامهم هتزازاً عنيفاً لم يأبه له أحد بادىء الأمر ، ولكن ما كاد الصدق يشير رويداً على الوجود حتى سمع الناس دوياً مروعاً تحت الأرض ثم إذا بالبحر يثور فتطفو منه موجة هائلة تمتد إلى المدينة فتغطيها على ارتفاع خمسة وعشرين متراً من سطح الأرض ولما انسحبت هذه الموجة بعد ربع ساعة لم يبق من تلك المدينة أثر غير حث ثلاثة وعشرين الف نفس تحت قليل من الخرائب والأطلال

على أن مدينة طوكيو كانت قد أمنت شر الزلازل من زمن بعيد . فمن سنة ١٨٥٥ [illegible] سنة

١٩٢٣ لم تحل بها كارثة من كوارث الطبيعة وقد تبدلت حال المدينة غير حالها الاولى فاتخذت فيها المنازل الخشبية أو كادت وحلت محلها بنايات شاهقة وعمارات شامخة من الصلب والحديد والحجر المسلح واطمأن الأهلون الى متانة هذه البنايات التي تقاوم كل شيء . وانصرفوا عن الاحتياط ضد الطوارىء الى التقدم في مدارج السياسة والصناعة والتجارة ولم يخطر ببال يباني أن الطبيعة قد أمعنت هذا الزمن الطويل وكأنها تستجمع قواها وتتخير لموقع بوطه الكارثة الدهماء . اذ ما حل يوم أول سبتمبر سنة ١٩٢٣ حتى كانت الساعة الواحدة بعد الظهر حتى حق باليابان أفدح خطب وعته ذاكرة البشر وأبشع كارثة يرويها التاريخ

شعر سكان طوكيو بهزة أرضية قوية ، وشعروا قوية لأنا لا نعرف في اللغة ما نعبر به عن شدة تلك الهزة وهي لا تزال حتى تقلب هذا العمر حراناً لا تعبر العين فيه الا رسوماً وأطلالا . فقد تهدمت شوارع بأكملها ولم يبق من مبانيها غير أكوام من الطوب وأكداس من الخشب والحديد تحدث سماري أنه كانت هنا بيوت عامرة . أما المخازن التجارية والمصارف المالية ودور التمثيل ومصانع السفن ومباني الحكومة وسفارات أميركا وفرنسا وبطالبا ومحطات السكك الحديدية فقد أصبحت والارض البسيطة سواء بسواء . وأما قصر الامبراطور فكلما أردت العناية الالهية أن تستقيه بعد ما تشققت جدرانه وتزعزعت أركانه لتأوي اليه أولى وأوفى من الذين ماتوا ولا مأوى لهم . وهكذا قدر على تسعة أعشار من خمسة عشر حياً التي تتألف منها طوكيو أن تبيد

وكأني بالمدينة أتت إلا أن تستتم كارثة الزلزال كارثة أفظع وأنكى وهي كارثة الحريق

سمعت قنصل اليابان في الاسكندرية وهو يروي بعض هذه النكبة لوزير الخارجية المصرية بعد سابيع من وقوعها فقال : لقد حدث الزلزال حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر وهي الساعة التي تكون فيها جميع مصابيح المدينة موقدة وجميع الآلات مشتغلة لأي مصنع توصله من مصابيح الشركات الى تلك المصابيح . وقد حدث أن تقطعت بعض الأسلاك من عنف الهزة الارضية في أماكن متعددة من المدينة فشبت النيران في جميع تلك الاماكن في آن واحد ومن هنا نشأت الطامة الكبرى . فاذا كان الزلزال قد هدم خمسين الف منزل فان النار قد التهمت ثلاثة أضعاف هذا العدد ، واذا أضفت الى هذه الارقام الضخمة عشرة آلاف يبت نفسها رجال الاطفاء ليحصروا النيران حتى لا تتصل بما حولها استطعت أن تتصور كم كانت فداحة تلك النكبة

على أن النكبة لم تقتصر على تدمير طوكيو ، بل تناولت مدينة يوكوهاما غاهو أدهى وأفظع . فان ما أتى عليه الزلزال امتدت اليه النيران وما أتت عليه النيران طمت عليه موجة هائلة قذف بها البحر الثائر فمحت نلدية وأكسحت في دهائها وإياباً كل ما صادفته . وقد تقطعت أنابيب الغاز وانحدرت أنابيب الماء كما تقطعت أسلاك التلغراف والتليفون وقضبان السكك الحديدية حتى ان لساري ما كان يعبر بتيساً وشمالاً غير أكوام من الحديد المحترق

« وحدث ان ظهر على سكة سارا كو الحديدية والقطار السريع في داخله ، فلم ينج أحد من الثمانمائة مسافر الذين كانوا فيه . وقد اضطرت مياه البحر اضطراباً أغرق خمسين قاطرة كانت راسية

في البناء ثم اشتد الاضطراب حتى قذف الى الارض بباخرتين عظيمتين ما استقرتا على الشاطىء حتى التهمتهما النيران

« أما الحرائق التي شبت عقب الهزة الارضية فقد حولت المدينة الى بحر من نار ولكن همة الشعب وحزم حكومته استطاعا ان يقفا في وجه الكارثة بقدر ما تستطيع القوة البشرية أن تقف في وجه الطبيعة الهائجة . فقد بادرت الحكومة وأرسلت أربعين ألف جندي من الجيش ليباشروا عملية الانقاذ . ورغماً عن الحريقين الهائلين اللذين كانا يلتهمان طوكيو ويوكوهاما في آن واحد ويعملان كلاهما معي جميعاً مستمراً ، ورغماً عن مئات الألوف من الناس الذين باتوا في العراء ، ورغماً عن الصدمات التي انتهزت فرصة الاضطراب و خلال النظام فسلب والنهب ، ورغماً عن نقص الأقوات وتكاثر الجياع ، ورغماً عما عن تحسس الوزراء منه إذ أصيب رئيسه بجراح قاتلة وهلك اثنان من أعضائه ، رغماً عن كل ذلك فقد استطاعت الحكومة أن تسيطر على الموقف وان تقمع الفوضى وان تباشر عمليه الانقاذ في أكثر ما يكون من الحزم والنشاط

« ولقد ظلت الحكومة تقاوم عناصر الطبيعة الهائجة سبعة أيام وسبع ليال فكان أمامها أن تطفىء حريقين هائلين يأبيان إلا أن يأتيا على آخر مدينتين هما أعظم مدن اليابان ، وكان أمامها تلك المدينتان وقد أصبحتا اطلالاً دارسة ورسوماً عافية ، وكان أمامها خمسة ملايين من الأنفس يتناوبهم الجوع والعطش والبرد والعراء وخمسمائة ألف جثة بشرية تحت الانقاض وفي الطرقات ، وكانت أمامها والى جانب كل هذا خطوط السكك الحديدية مقطعة وجميع وسائل المواصلات معدومة . ولكنها سلكت طريق الحزم و الحكمة فصانت في زمن قليل شهد الحيرة حتى وفقت الى تحقيق اصلاح عظيم في وسط هذه الحراب الشامل وهذا الدمار الشامل

« وكان أول ما فعلته [illegible] هي العاصمة فأقامت على الفور كل الذي كدس فيها التجار بضائعهم ذات القيمة العالية حرسها بالجنود واقامت المصارف من ورق ودهب نقلتها الحكومة بحراسة الجيش الى مكان أمين . ثم حوصرت الاماكن المحتوي على المواد المشتعلة وأحيطت المنازل المهددة بخطر الحريق وسدت المنازل القريبة من النيران حتى لا تمتد اليها ومنها الى ما بعدها . وألقيت جثث الموتى في النار حتى لا تنتشر منها الروائح والامراض وسيرت القطرات البحرية وقوافل من سيارات النقل تحمل الى المدائن المنكوبة الاقوات والارزاق . وجيء بفرق من رجال المطافىء من أنحاء اليابان وحشدت جميعها في المدينتين لمقاومة النار . وأقبل المهندسون يتطوعون لمعاونة الحكومة وعمالها في اصلاح السكك الحديدية ووسائل المواصلات . وما حل اليوم السادس لوقوع الفاجعة حتى كان معظم هذه السكك والخطوط يعمل منتظم ، كما كانت الاسلاك البحرية ما بين لندن وطوكيو قد أعيدت الى ما كانت عليه »

ولعل القراء يتساءلون كيف كانت أنباء الكارثة تصل الى العالم وأسلاك البرق مقطعة فأقول لهم أنه قبل ان تصلح وسائل المواصلات بين اليابان والعالم كانت الحكومة الاميركية قد نظمت المواصلات عن طريق سفن وضعتها على امداد مقطعة في الاقيانوس الهادي، فكانت هذه السفن تتلقى الاخبار باللاسلكي وتوصلها الى أميركا ومنها تصل الى باقي أطراف الدنيا

وقد قرأت للسيو آريل فارج (M. Ariel Varges) وصفاً لحريق طوكيو ويوكوهاما كما رآهما من طيارته ويطيب لي أن أنقل قصه استمتاعاً للفائدة . قال :

« في اليوم الخامس من وقوع الكارثة ركبنا طيارتنا وطرنا فوق طوكيو ويوكوهاما والنيران تستعر فيهما استعاراً . ولما بدأنا سياحتنا الجوية من مدينة كوبي كانت السماء صافية لا أثر للسحب فيها ، ولكننا لم نسر في الجو ساعة حتى حلت تعلو وروقها تكتسي بلون سحابي قاتم صار يزداد اقتاماً الى ان أشرف على السواد . وقد يكدس الدخان الذي ظل يتصعد من الحرائق المستعرة أربع ليال وخمسة أيام فكون طبقات سميكة سوداء كانت تحكر الجو وتملأ السماء كأنها الغيوم الكثيفة وليس ثم غيوم . وبعد سير نصف ساعة أبصرنا قمة كبيرة قاتمة ذات قاعدة حمراء ، وكأن تلك القاعدة الحمراء تنبعث من الارض وتتصعد وتنتشر من كافة نواحيها ثم تستفيض على وجه البسيطة . ثم هبطنا لندنو من الارض فاذا بهذا الذي حسبناه غيوماً كثيفة أعمدة من الدخان تصعد في الجو وهي تتلوى ولذا بالقاعدة الحمراء بحر من نار . . .

« بطرفة ألقينا النيران تنبعث من نحو ألف مكان في آن واحد . واللهب يتجمع في الجو ويبدو واضحاً تحت سحائب الدخان . وكنا وقتئذ نطير على ارتفاع سمائة متر من سطح المدينة المحترقة بين مشهدين مروعين : أحدهما فوقنا وهو طبقات سميكة من الدخان الاقتم والثاني تحتنا وهو لجحيم تتدبع السنته نحو كل صوب . وكنا نسمع في الجو لا نستطيع أن نميز شيئاً من اللهب ولا من الارض ولا من الناس ، وقد صورت حرارة هذا الجحيم وخوف فظاعته كل شيء في الجو الأعلى هواء أصلح للتنفس من هذا الذي كنا نطير فيه . . . الى جانب هذا المنظر كان مروعاً وهان أن يمحي من ذاكرة من رآه » .

والواقع أن نار الحريق كانت لا تقاوم لأنها تأكل كل شيء يصطدم بها ، ولعل أعظم ما كان يزكيها أن بيوت العاصمة التي كانت تحترق وتسقط كانت تقذف النار من مكان ساكن أخرى في دقيقة واحدة . لذلك عدل رجال المطافيء عن مقاومتها وقصروا مهمتهم على محاصرتها جهد المستطاع .

أما الخسائر في مجموعها فشيء مما لا يمكن أن يتناوله الحصر الدقيق على أنها لا يمكن أن تقل عن ألف مليون من الجنيهات وهو التقدير الرسمي الذي قدرته حكومة اليابان . وقد بادرت الحكومة الى اعداد كتاب عام اقترحه حلالة الامبراطور مليون ين وتلقته الحكومة بعشرة ملايين ين

ولقد ظن العالم أن هذه الكارثة ستقعد باليابان زمناً طويلا وأنها ستؤثر في مركزها الاقتصادي أثراً له ما بعده ، بل لقد ذهب بعض المتحمسين الى حد القول بأن هذه الكارثة ستقعد اليابان مركزها السياسي كدولة عظمى . ولكن أولئك المتكهنين انما تكهنوا بما قالوا غير حاسبين لنشاط الشعب الياباني وهمته وشدة الحكومة اليابانية وحزمها أي حساب

وها نحن أولاء نرى اليابان بعد هذه الفاجعة العظمى بست سنوات وقد أعادت كل شيء الى ما كان عليه وهاهما طوكيو ويوكوهاما مدينتان زهرتان كأن لم تحل بهما أكبر كارثة عرفها التاريخ

حسن الشريف

هل يمنع المريض من الزواج ؟

بحث طبي اجتماعي

لا يصح القول على سبيل القطع والتحتيم ان الذين لا يستطيعون صحة تامة يجب ألا يتزوجوا لان كثيرين أقدموا على الزواج وهم مصابون بمرض مزمن أو عاهة طبيعية فجاء زواجهم على أسعد ما يتصور ان يكون الزواج

ولكن الاطباء مجمعون على القول بأنه لا يجوز لمن كان مصاباً بمرض من الامراض السرية ولم يشف منه ان يتزوج . لأن هذه الأمراض تشوه اذا عولجت في الاوان اللازم علاجاً منتظماً فلا يجوز لذلك أدبياً ان يقدم رجل على الزواج وهو لا يزال بؤرة للعدوى . وانه يجب ان يمنع زوج مثل هذا بنص قانون يحرّمه كما يمنع بعض البلدان

ذلك لأن هذه الأمراض تهدم البنية الزوجية بطرق شتى وتضعف الحيوية وتحل روابط السرور والسعادة في العائلات . وهي سبب كثير من العمليات الجراحية التي تعمل للرجال والنساء . ومضاعفاتها وعواقبها تجعل ضحاياً من الفئات تتألف من الزوج كثيراً من حياته ولذته وأفراحه . وليس ذلك بسبب تأثيرها في الزوجين والاولاد فقط ، بل لسبب عواقبها الادبية وما تثيره من الشقاق في العائلة

وبقي الامراض السرية الامراض الاخرى المزمنة التي هي ... يجب ... لها أعظم حساب قبل عقد أي قران . وعليه يجب على ... الذين هم ... زواج بنت من بناتها ان تفحص ذلك الشاب . وهو مفروض ... على كل ... يعتزم ... الصحة طبياً قبل الزواج اذ لا يجوز أدبياً ولا اجتماعياً ان يكون مصاباً ... بمرض ... كالسل أو مرض القلب ان يتزوج من غير ان تعلم عروسه المقبلة بمبلغ الاخطار التي ... والا كان الزواج كله خداعاً وغشاً ، وكل قران يبنى على الخداع فاسد يجب الغاؤه

ولكن اذا عرف كل من الزوجين حالة الآخر تماماً وأنذر بالخطر الذي ينال أولادهما من زواجهما وبقيا مصرين على الزواج وعلى تحمل أعبائه فلا حق لاحد حينئذ في ان يقيم العقبة عليهما ، لان المسألة مسألة قرار شخصي وتبعة شخصية

أما الامراض التي عرف انها وراثية فليست كثيرة فلذلك لا يجوز لنا القول انه يجب على الزوجين ان يحرما أنفسهما لذة الاولاد خوفاً من ان يرثا عنهما أمراضاً كالسكر ، ومصر الصرع مثلا فانهما مرضان لا ينتقلان بالوراثة بل لا نستطيع الجزم ان الصرع وبعض الامراض العقلية تنتقل بالوراثة

وقد يعمد في بعض الاحوال الى التعقيم لمنع ولادة الاولاد فيعيش الزوجان او احدهما مع الآخر ويغضيان واحات الزوجية من غير ان يفكر سعادتهما خوف ولادة أولاد لهما يكونون مصابين بأمراضهما وعاهاتهما

هذا من حيث الامراض قبل الزواج ، وأما الامراض التي تصيب أحد الزوجين بعد الزواج فيجب ان تكون على اهتمام الزوج الآخر وكل ما يهدد سعادة العائلة يجب ان يستشار فيه الطبيب حالا

وكثير من ملصقات الادوية التي تعرض للزوجية ، أساسها عيب من العيوب الجنسية . فسرعة الانفعال وضيق الخلق وعدم ضبط النفس قد لا تدل على ان الحب ميت في صدور الزوجين أو ان زواجهما مخفق ، بل قد تكون أعراضاً لالتهاب الزائدة الرئوية أو لقرحة في المعدة أو لنقص في الغدد . ففي هذه الحالة تعض سكين الجراح أو العلاج في اعادة السعادة الزوجية ما لا يعمله طول الحجاج والنضال الذين يقيمهما الزوجان حول اختلافاتهما وما أكثرها

والمرض هو العدو الاعظم الذي يكشف عن ضعف رابطة الزواج أو قوتها . فاذا جاء تصبح المحبة الصحيحة أمتن ركناً وينحسر سوء التفاهم ويطفىء حب الذات ، والمحبة الصحيحة لصيقة على الشهوة أو حب النفس تظهر كما هي في أزمة مثل هذه . وقد كان الحب بين الزوجين عميقاً ولكن من النوع الصامت الذي لا مظاهرة فيه ، فمرض أحدهما قد يجسم محبة وبركة . فان بعض الناس يستطيعون التحدث عن كل شيء ما عدا الاشياء التي يشعرون بها من أعماق قلوبهم كأنهم يقيمون حول عواطفهم سوراً من الحيطة فتظهر بمظهر عدم المبالاة مما يعني أحياناً لي سوء تفاهم بينهم وبين الذين يحبونهم . لكن مرض ومخاوفه من الانفصال الدائم واضطرار الواحد منهما الى تمريض الآخر وخدمته ومظاهر التعطف والرقة والغيرة — هذه كلها تهدم ذلك السور وتظهر قوة الحب الحقيقية

واذا مرض أحد الاولاد فان ما يبديه الوالدان من تلهفه وما يسامون من العذاب وما يحتملون من التعب والنصب والاهتمام وقد ينهار كل واحد منهما من جلقته ، فان المرض يحمل معه قوة تعزز الحياة الزوجية وتوحدهما في الاخلاص نحوه وتحاربه أخرى ان الصغار يقربون الوالدين الواحد من الآخر ولا سيما اذا كانا يشعران بالسعة والواجب

ويعني ألا يحيط الاهتمام بالمريض والضعيف والعطف عليه الى دركة الشفقة . فان العطف والعهم رابطان تربط الناس بعضهم ببعض ولكن الشفقة تباعد بينهم لانها تنطوي على شيء من السمو والرفعة يبدوان من الشفق على المشفق عليه . وان تجد رجلاً أصعب مراساً من الرجل الذي يشعر بأنه على شفقة الآخرين

وكثيراً ما يؤدي المرض الى التفريق بين الزوجين وخاصة اذا طال عهده وقطع الرجاء من شفاء المريض وخيف ان طول المرض يدعو الى نفقات لا تحتملها العائلة . ثم ان شرب المسكرات واعتياد المخدرات وما يصحبهما من القسوة والوحشية والعربدة والهذيان والشكوك والوهم والشبهات — هما خطر شديد على كل زواج

ومن أسباب اختلاف الزوجين عقم الرجل ، وهذا قد تكون الزوجة سببه كالمرأة . فاذا كان الزواج عقيماً فالواجب ألا تكون تلك سبب تشاحن بينهما ، بل يجب ان يواجها هذه الحالة بعين قريرة وسكون بال ويعاملها ليعلما من هو سبب العقم وهل هذا العقم مما يمكن اصلاحه

ولعل أصعب الامراض ما اختص منها بالجهاز العصبي كالوستيريا وغيرها مما ينشأ عن الخوف وقلق البال . ومنها ما سببه كثرة التصادم في الحياة الزوجية والفرق الحاصل بين العيشة كما يريدها ونشتهيها ، والعيشة كما هي في واقع الامر . أو الفرق بين الافكار الروائية والاحيلة البديعة التي نحزها ونريد تحقيقها ، وبين العيشة التي نعيشها فعلا وما فيها من عنف وتدقيق وشدة

ومن الاشخاص من هم مرضى الاعصاب فعلا فأمثال هؤلاء لا يكفي فيهم ان يقال انهم عصبيون وان شدة اعصابهم وتلفهم هي نتيجة هذه « العصبية » التي ربما كان سببها أكلة ضحمة أو اجهاد في عمل عقلي أو بدني في البيت أو في المكتب — بل يجب ان يعالجوا علاجاً صحيحاً كما لو كانوا مصابين بالحمى أو بمرض شديد . والشخص الذي يحرص من غير ان يعلم انه مريض والذي يصاب بأعراض مختلفة كالاغماء الهستيري والخفقان والعمى المتقطع — هذا الشخص يحتاج الى عناية عاطفة تامة . فان دعي الاوصاب الى الحزن والشفقة ما تعلق منها بالجانب العقلي ، وانقلاب الشخص حالة من الشدة الى الوساوس أو من اللطف الى القساوة أو من التفتير الى الاسراف ، قد يكون انذاراً بجنون عاجل أو آجل

فالصحة أو العافية هي قلب النظام الروحي ولها علاقة شديدة بكل مظهر من مظاهر الروح ومشاعل الروحيين في الهيئة الاجتماعية وحالتهما الاقتصادية وعيشتهما الزوجية . وهي ليست فقد المرض فحسب ، بل هي فوق ذلك حالة صحيحة يعمل فيها جميع وظائف العضو والجسم الطبيعية من غير ان نشعر بواحدة منها . ومن آثارها في الروح اطلاق الروحيين وحسن معيشتهما

أخطار التدخين وتخفيف مضاره

وصايا طبيب أميركي

يؤخذ من الاحصاءات في أميركا وأوربا ان تدخين السجائر كل يوم في ازدياد وشركاتها يكاد يحطم العد . وهذا ما وجه أنظار رجال الطب اليه والبحث في مضاره ومضاره . ولما عقد أطباء أميركا مؤتمرهم السنوي في العام الماضي في مدينة أوهايو بعث اليهم الدكتور بوخن برسالة تتضمن خلاصة مباحثه في عواقب التدخين الفسيولوجية والكيمياوية وفي دعاوى شركات السجائر الطويلة العريضة عن منفعة التدخين

وقد اشتملت رسالته على وصايا في التدخين لتخفيف مضاره على قدر الامكان وهي :

« دخن السجائر بمضغات صغيرة متقطعة ولا تبق السجارة في يدك أكثر من عشر دقائق »

« دع السجارة بعد ان تدخن ثلثيها »

« لا تدخل الدخان في عينك »

« انتخب الدخان الشرقي »

« لا تدخن قبل الطعام »

وقد نشر هذه الوصايا بعد ما فحص خمسين نوعاً من الدخان الذي يباع في الاسواق الاميركية .

قوة التقليد[1]

بحث نفسي اجتماعي جليل

ليس في العلم الحديث موضوع هو أمتع ، ولا أبهج ، ولا أحس وقعاً في النفوس ، ولا أشد اتصالاً بحياتنا الاجتماعية من البحث في التقليد واضاح قوانينه النفسيه والاجتماعيه . فلا تنشأ شخصيه الانسان الا على أركان العدوى والتلقين ولا تنتشر آثار الحضارة في الهيئة الاجتماعية الا بالتقليد . ولو كان الناس يعرفون قوة هذه الغريزة في التربية والحضارة لأحسنوا الاعتناء بها ، ولهذبوها من غير تعاقل في سبيل صلاح شأنهم ، ولكنهم في الغالب من بين مصرف الى هواه ومفتون بنفسه ومعدول بالحب وحب الظهور عن التقليد النافع . فنحن اذا بحثنا في قوانين التقليد بدلالة واضحة واشارة حسنة استطعنا ان نضع شروط حياتنا الاجتماعيه ونتعمد على الفوضى الممكنة منها

فما هو التقليد

هو حالة نفسيه شعوريه كانت أولا شعوريه من شأنها اعادة حالة نفسية سابقه (Lalande, Vocabulaire, tome I) وعلى ذلك فالتقليد قد يكون عن غير شعور وارادة وقد يكون على عكس ذلك عمومياً ، لا شعورياً ، ولا ارادياً . فاذا كان النفسي عن ارادة المقلد سمي بالتقليد الحقيقي ، واذا كان المقلد غير مريد للعمل الذي يقلده سمي نفسيه بالعدوى النفسية . فالأعمال الممكنة على اختلاف أنواعها من تهذيب وتعلم وتعاون وتعاهد وتعاقد ، والاحوال الانفعاليه من خوف وغضب وخجل ، كل ذلك سبيل للعدوى ، وعلى هذه الطريقة يمكن تقسيم التقليد الى نوعين : تقليد غريزي وتقليد ارادي . فالعدوى بسبب هذه الاسباب الثلاثة التي ذكرناها هي التي يقلد العمل في هذه الشروط لا يشعر به ولا يقصد اليه

وأحسن تحديد لمعاني هذه الالفاظ ما ذكره العلم الفرنسي (مالابر) في كتاب علم النفس[2] حيث قال بالتقليد على اقتباس الشخص لما يراه عند غيره ، وبالعدوى على انتقال الفعل من غير شعور ولا ارادة ، وبالتلقين على توليد حالة شعوريه بارادة الملقن في نفس شخص غير مريد لها

فالافكار والعواطف والاعمال تنتقل من شخص الى آخر بواسطة هذه الاحوال ، فكل فكرة تلاقي عند انتشارها لاول مرة مقاومة ، فاذا كثر مريدوها أحدث الناس مألوفيها عن مخالفة وصارت تلك الفكرة عادة مألوفة ، لان طبيعه ثانية

---

(١) وراجع هذه الكتب :

G. Tarde , Les lois de l'imitation, Paris
« L'opinion et la foule, Paris
« La logique sociale Alcan Paris
Baldwin, Mental development in the Child and the Race
Lalande, Vocabulaire de la philosophie
Dumas, Traité de psychologie, Alcan, Paris
Malapert Leçons de philosophie t. I p. 128 Paris lib. Hatier (٢)

التقليد عبرة عصبية واجتماعية معاً ، لانه يعين على انتقال الصفات من شخص الى شخص ومن جماعة الى جماعة ، حتى لقد يكون تقليد الجماعات أدعى الى الاعتبار من تقليد الافراد كأن هناك وتراً واحداً مشتركاً بين جميع الناس فاذا قرع الوتر في شخص سرى اهتزازه الى الآخرين

واذا شئت ان تعرف قوة التقليد وعمله في حياة الانسان فانظر في الطفل ، ان للتقليد أثراً عظيماً في اكتساب الطفل لكثير من الافعال والصفات ، مثل الكلام والحركات البسيطة والاخلاق ، فالطفل يعد أمه بالعبرة فيبتسم لها ويحزن لحزنها ، حتى لقد تحد القسم العظيم من أفعاله مقتبساً من تقليده والديه . تقلد الطفلة أمها فتصنع لعبها في السرور وهي لها وتغذيها وتنوع عنها ثيابها ، ويقلد الطفل أباه فيلعب لعبه الاب ويتوهم به والد ويرضى اخوته ورفاقه ان يكونوا أولاداً له . ان قوة التقليد عظيمة عند الطفل . والسبب في ذلك سعة وجهله وميله الى التأثر وعدم نموّ شخصيته حتى لقد تجد عنده عطفاً على الآخرين فيقدم لانه يحبهم ، ويبخل عنهم لانه يحسد فيهم ما يرفعه ، فيفرض نفسه بائعاً ، أو حداداً ، أو نجاراً ، أو فارساً ، أو حوذياً ، أو سيارة ، أو قطاراً ، فيقلد كل هذه الافعال والحركات كأنما يعي بذلك ان يتهيأ للحياة الاجتماعية

ان اعتقادنا بكمال الآخرين يدعونا الى ارادة ما يريدون لانفسهم فنميل الى السير على منوالهم ، ونقلد أفعالهم وأفكارهم وأذواقهم ونزعاتهم ، ونقتبس من عواطفهم ورغائبهم واعتقاداتهم ، ونقدر قيمة العلم والادب والفن على ضوء [illegible] ونعتقد ما يعتقدون ونذهب الى حيث يذهبون ، ونقيم حيث يقيمون ونعرش سوء [illegible] ونتردد على المعبد تأوف عندهم ونحجب [illegible] الذي اتجهوه ونتبع [illegible] عند النهر الذي عبر تقتهم . فالتقليد يربط الفرد بالجماعة ويدعو الى اشتراكهما في الصفات والمحاسن في الميول . بذلك الافراد بعضهم بعضاً فيتحدون في الافعال ويتحالفون في الاهداف . لان التقليد وسيلة تقريب وتوحيد ودليل على وجود العطف والميل

التقليد ، واضح كان او خفياً ، موجود في جميع صفات الشعب وفي جميع أنواع الاجتماع من بداوة وحضارة . فقد كان في بلاط الملوك في مصر والصين ، وآشور ، وروما ، وبلاد الاسكوريال ، وفرساي ، وغيرها من المواصم حجاب محافظون على آداب الملوك فيبدون حماسة والرغبة الى المسائل التي يجب مراعاتها في حضرة الملك من أدب في الزي والخطاب والسؤال وغير ذلك :

ان الملوك لا يخاطبونا ولا اذا ماوا يحادثونا
وفي المقال لا يراجعونا وفي العطاس لا يشمتونا
وفي الخطاب لا يكنونا يثني عليهم ويمدحونا(١)

فقد هزأ الانسان اليوم بوظيفة هؤلاء الحجاب وسخر منهم ، ولكنه اذا نظر الى بدية الحاضرة وقاطنيها تلك الصور زال عجبه . فان الخياطين والحلاقات والصحافيين والروتيين يسيطرون اليوم على أزيائنا وآدابنا وأفكارنا بما يبتكرون من الاشكال والصور ، فهم اشبه

(١) العقد الفريد ج ٢ ، ص ٩

بعض الفلاسفة لا بل أكثر تأثيراً منهم لانهم يؤثرون في الشعب مباشرة . أو ليس عندنا اليوم آداب عامة في السلام والمقابلة والمجالسة ، والزيارة ، والمؤاكلة ، والعيادة ، فاذا ذهب أحدنا الى حفلة راقصة أو الى امتحان رسمي لبس رداء خاصاً ، حتى لقد جعلت المدنية الحديثة آداباً خاصة للمجالس بحسب أنواعها ، وألسنة للرجال والنساء متناسبة مع الفصول والاوقات فلا نتربا في الصباح عما نتربا به في المساء . والسبب في ذلك ان لكل وضع من الاوضاع الاجتماعية نمطاً خاصاً به . فالعلم والدين والسياسة ، والحقوق والحروب ، والفنون الجميلة من بناء وموسيقى وتصوير وشعر وأدب كل ذلك انماط متسلسلة الاجزاء متناسبة العناصر ، فلكل زمان لغة وسياسة وموسيقى وآداب خاصة متفقة مع شروط البيئة الاجتماعية ، فلا تحتاج الانسان في الائتلاف مع أمثاله الى اكثر من تقليدهم ، ولا يعدو تقليده بعض المسائل العامة حتى يصبح مشابهاً لغيره في الظاهر والباطن

على ان التقليد ، عموماً كان أو ارادياً ، يخضع لقوانين عامة جمعها (تارد) في كتاب (قوانين التقليد) . تدل على ما لهذه الغريزة من الاثر العظيم في الحياة النفسية والاجتماعية . واليك بعض هذه القوانين :

١ ــ القانون الاول

يقول (تارد) إن سبب التقليد هو عدم على عدم التغير . أي أن سبب تقليد الافكار والآراء والعواطف قبل تقليدنا لبس في أشكالها وصورها وأوضاعها هو على حد انتقال الاراء من أمة الى أمة أو من طبقة في طبقة فلا بد ان تضيف كل أمة أو طبقة من الشعب شيئاً جديداً لا بد شعورها بعواطف مشابهة لعواطف تلك الطبقة ، ولا تكتفي بتقليد في الامور الدينية لا بد تضيف شيئاً من الامور المعنوية لان كل تقليد مادي هو فعل ترجمة من حالة نفسية ما . فالزي لم يتنقل في القرن السادس عشر من انسان في فرنسا الا بعد ان اقتبس فيها آداب الاسبانية في ظل السلطان الاسباني . ولم تنتشر الفنون الجميلة والآداب في أوروبا في القرن السابع عشر الا بعد أن تفوق الفرنسيون في الادب والسياسة على كل الامم الاوروبية ، وعلى ذلك فان النهضات الادبية تسبق النهضات المدنية وكثيراً ما يكون انتشار الفوائد الدينية أسرع من انتقال الطقوس ، فنجد في الديانة الجديدة آثاراً عديدة من طقوس الديانة القديمة . وشبيه ذلك أيضاً بانتقال الافكار والمعاني فانه أسرع من انتقال الالفاظ ، وكذلك الأهواء فانها أسرع انتشاراً من الشهوات . والاعجاب والثقة والحب والاستسلام أسرع انتقالا من الاحتقار والحسد والعصاء ، وكذلك الامن فهو اكثر ذيوعاً من الضلال ، والكسل اشد من الطمع . فالامم يفقد حصناً في الافكار قبل التقليد في الاعمال . واذا أردت أن أوضح ذلك بعبارة أخرى قلت إن التقليد يكون في الاشياء المعنوية قبل الاشياء المادية ، ومعنى ذلك :

١ ــ ان تقليد الافكار يسبق تقليد الالفاظ والآثار

٢ ــ وان تقليد المقاصد والغايات مقدم على تقليد وسائل المؤدية لها

وعلى ذلك فان الامم التي ترغب في توسيع ملكها ترسل الدعاة والمبشرين ليهيئوا لها الأسباب

ويحقروا في الشعب استعداداً لقبول سلطانها . فالحضارة تسوق التجارة ، والرسول متقدم في الزمان على السبيل ، الرسول يهيء الافكار ، والسبيل يجلب البضاعه كما أن المشير يحقق الحاجه فتعايه ويمهد السبيل لدخول الفاتح

وهذه الصفات التي ذكرها (تارد) كان يريد بها تعليل الامور الاجتماعيه بالاحوال النفسية وما أظن أنه مصيب في تعميم هذا القانون على كل حالة ، فان سير التقليد من الباطن الى الظاهر ليس مطرداً في كل أمر ، بل قد يقلد الانسان ظاهر الحياة قبل أن يقلد باطنها . فالبابون أخذوا عن الاوربيين جميع معدات الحياة المادية من محربة وبرية وادارة وتجاره وصناعة ، لعلمهم أن قوة الدولة في العصر الحاضر قائمه على هذه الاركان ، فحافظوا على كل صور حياتهم الشرقيه من من ودينية وعواطف وأخلاق وعادات وغير ذلك من الامور المعنوية ، لم يقلدوا الاوربيين الا في ظاهر حياتهم صارفين صفحاً عن كل الامور التي لها مساس بالباطن

وكثيراً ما تقلد الظاهر قبل أن تقلد الباطن فنرى أبناء الآخرين قبل أن يشعر بالعواطف التي يشعرون بها فتغير ظاهرها في سبيل تغير داخلها . وهذه القاعدة تنطبق خاصة على النساء والاطفال، وتنطبق أيضاً على الصنع الذي يريد تغيير دخيلة الشعب بتبديل حروف لغته ، وتنطبق أيضاً على الشعب الذي يسلم عليك بالفرنسية أو بالانجليزية ، وهو لا يعرف من هاتين اللغتين الا عبارة السلام

وهنالك أمثلة أخرى تخالف رأيهم (تارد) وتؤيد [illegible] من الظاهر الى الباطن حيناً ومن الباطن الى الظاهر حيناً آخر

٢ ـ القانون الثاني

يسير التقليد من الدنيء إلى [illegible] من الشخص الحقير يقلد الشخص العالي ، والصغير يقلد الكبير ، والوضيع يقلد الرفيع والضعيف يقلد القوي ، والمغلوب يقلد الغالب ، والتليد يقلد حداثته ورفاقه ، والتاجر الصغير يقلد التاجر الكبير ، والنساء يقلدن الرجال ، والرجال يقلدون النساء في الامور التي يتفوق بها النساء عليهم ، والرعية تقلد ملوكها وقد قيل « الناس على دين ملوكهم » فحاشيه تقلد الامير ، والخاصة تتبع الحاشية ، والشعب يقتبس عن الخاصة ألفاظه وآراءه (١) فاذا سر الامير ان يرى أحد أزرار صداره فقد رجال البلاط وصار ذلك زراً مألوفاً في المملكة . واذا كانت الامرة عرضة للحيه فاخترعت خصلة تستر بها عرض جبينها أصبحت هذه الخصلة زيناً عند النساء

ومن نتائج تقليد الصغير للكبير تقليد الأحفاد للاجداد . لاعتقادهم أن الأجداد قد سبقوا الأمة تقدماً وحققوا فلاحاً ونجاحاً على نشوء عاداتها وأخلاقها فتنتقل تلك العادات من جيل الى جيل ويدعو ذلك الى ارتباط الحاضر بالماضي

ومن نتائج ذلك أيضاً تقليد الأمم الذليلة للامم الحاكمه في جميع الاحوال ، فالعرب قلدت الترك عندما كان الترك قوياً ، والشرق يقلد اليوم الغرب لأنه يعتقد ان الغرب أقوى منه مادة ومعنى ،

(١) Baudrillart: Histoire du luxe

الا ان هذه القاعدة لا تنطبق على الأمم المتوحشة إذا كانت هذه الأمم متمكنة من الحضارة والعمران ، مثال ذلك ان روما علمت اليونان فنونها المادية ، ولكن اليونان لم يقلدوها لأنهم كانوا أوسع منها في الحضارة ، فأخذ الرومان يقلدون اليونان ويكتسبون منهم العلم والعلم والاخلاق ، وشتان بين أمر العرب والترك من الاتراك تغلبوا على العرب في أثناء دولتهم بالقوة المادية ، ولكن العرب تغلبوا عليهم بآدابهم وعلومهم

ومما يؤيد هذه القاعدة تقليد الارياف للعواصم ، فالارياف وان كانت تحب المحافظة على عاداتها الخاصة فانها تقلد العواصم وتتبعها في هواها لما في ذلك من المباهاة والمنافسة في علو القدر ، فسيطر العاصمة على الاقاليم بأفكارها وسياستها وصناعتها وأزيائها وأدواتها وتلعب دوراً في توحيد البلاد بهذه الاشعة الصادرة عنها فكأنها شمس ساطعة تهدي الارياف نورها او هي كما قال (تارد) [1] حبل كبير شده بحبل هملايا متبع منه نهر يسقي الوطن كله فهملايا فرنسا باريز ، وهملايا مصر القاهرة

تبدأ الاصلاحات الدينية والحركات الاجتماعية في المدن ، ثم بعد ذلك تنتشر في البلاد ، فالمسيحية والاسلام والثورة الفرنسية والاشتراكية ظهرت في العواصم والمدن قبل الارياف والقرى ، لأن جماعات المدن وكتائب الاجتماعية أقوى تأثيراً في نمو الحركات الفكرية وتوليدها

كل ذلك يدل على أن الوطني يفقد العالمي دائماً ، لأنه يحده فيه كالا . العبد يقلد سيده ، والتابع يقلد المتبوع ، والعاشق يقلد المعشوق ، والمحب يقلد المحبوب ، ولكن التقليد ربما قد التكبير كان ذلك باعثاً في بعض الاحيان على تحقير المكبر عنه وحمل الشيء الذي يقلده فيه ، فقد انكر الاعباء في اوربا فضل الشعر فاضل بعض الفلاسفة ، وربما يكون في هذه العبارة ما يبرر شيوع بعض المرأة الارستقراطية عن العامة فتتخذ لغتها عن لغة العامة في الالفاظ عن عبرها ، وكذلك الامر في الألبسة فانها بعد ان كانت تقليد فصارت وسيلة أن صار تقليدها مذموماً . ولقد حكي لي ان بعض الموظفين كان يقلد لباس رئيسه فكان ابرز بكرهه بسبب ذلك ، لأنه يريد أن يمتاز عنه بأدبه فضلاً عن امتيازه في المركز

غير ان الوطني لا يفقد كل حال ، بل قد تعد العالمي اقرب منه فقلده . فالطفل يقلد رفاقه قبل معلمه ، والفقير يقلد الاغنياء حتى انه قد كان في الشعب طبقة وحيدة تقلد طبقة عالية فذلك دليل على ان المسافة بين الطبقتين قد تناقصت

والصفات التي تجعل الانسان مختاراً عالياً ليست بالضرورة صفات مادية ، بل قد تكون أدبية ، فيقلد القوي الضعيف او الغني الفقير أحياناً ويعز عليه أدباً وأعلى همة ، فقد نشر الاخيل في روما الارستقراطية بين من اليهود المساكين لان دعة الاخيل كانت أكمل من دياثة الرومان . وقد تؤدي الضعة الى انتشار الشيء بالرغم من عدم الاستعداد لقبوله ، فقد كان المصريون القدماء يحتقرون آسية وسكان آسية وكل ما أتاهم عن طريق آسية ، فلم يمنعهم ذلك من الارتفاق بالحصان الاسيوي ، لأنه أكمل وأحسن وأنفع من الحمار . وقد يكون التكبر مانعاً من التقليد فان هنود اميركا يضلوا للآن للمدنية الاوربية لاحتقارهم لها

(١) Tarde, Les lois de l'imitation p. 245

ان حب الامتياز في الناس مألوف عند جميع الافراد ، فان الشيء الذي يدعو الى غلاء أسعار حوض (دوري) مع رواجها ، عدم وجود قطعتين من لون واحد بحيث اذا لمست قطعة منها لا تجد شخصاً غيرك مرتدياً مثلك . والنساء يرعين في ذلك ، ويردن أن يكون الشخص الذي أحدثه ممتازاً بزيه وهيئته وقوته وجماله

يدل ذلك على ما للتقليد من الاثر في حياتنا الاجتماعية ، ومما يؤيد ذلك أيضاً سرعة انتشار الازياء في جميع طبقات الشعب ، فالزي قد استولى على كل شيء وأحاط بجميع الاوضاع الاجتماعية ، فلا يقتصر على تطويل الشعر وتقصيره وتضييق السلطون أو توسيعه ؟ أو كي الشعر واستعمال العوبات والمناديل الملونة ، بل يجر الناس على سماع بعض الآراء واكتساب بعض الاذواق وتفضيل بعض الكتب على غيرها ، كالمشي الرياضة والرقص والذهاب الى السماء ، والى العلم والادب والسياحة حتى لقد يضطرهم الى بعض الاعمال حباً بمساواة غيرهم ، فلا يذهبون الى المصايف حباً باكتساب الصحة وترويح الذهن وعيش الغنى ، بل يذهبون اليها بحكم الزي الذي يحث الناس في الصيف الى ارتياد الارياف ويذهبون اليها أيضاً تحت تأثير الاعلان فقد نجح الاوربيون في ذلك كثيراً حتى اتبعوا الاساليب الغريبة في الاعلانات التجارية والصناعية فطغوها على الادب والعلم والاخلاق والسياسة لانهم يعلمون ان أكثر الناس [illegible] كثيرون .

قال لي أحد تجار [illegible] وهو في أحد مصايف [illegible] ان حالته الاقتصادية لا تسمح له بالاقامة في الجبل . وانه لا يستطيع ان يخالف العادة التي [illegible] لانها اذا خالفها خسر مركزه في أعين الناس .

فقد يكون بيت الانسان [illegible] ربما أحب هو من البيت الذي اعتاد له في مصيفه ، ولكنه يترك منزله الاول في سبيل تغيير الهواء ، ومنزله الثاني في سبيل تغيير الاجواء ، وقد يكون المحل الذي يقصده غير صالح على شروط الصحة [illegible] لكنه يختاره ويفضله على غيره ، لان الذهاب اليه زي من الازياء ، وكثيراً ما يكون الانسان مخالفاً لغيره في الرأي ، فاذا وجد في مجلس وكان تيار الحديث على غير ما يريد خضع للتيار جباً في المحافظة على سمعته

وعلى ذلك فان الانسان لا يعيش مستقلاً ، ولا يتربى ربي نفسه دائماً بل يتربى ربي الآخرين ويعيش في سبيلهم ، يتقدم في غايات أعمالهم ومقدمه في الوسائل المؤدية الى تلك الغايات . يقلد الآخرين في أدواقهم وأحاديثهم وآرائهم ومعتقداتهم وأساليبهم الادبية وبكائهم فيصبح عملهم كأنه واسطة نقية يحمل تلك الصورة لينقلها الى غيره

ومما يدل على قوة التقليد شمولة الخير والشر معاً . فقد الآخرين في الشر كما تقدم في الخير . تقدم في الرذيلة كما تقدم في الفضيلة ، حتى لقد تكون الرذيلة أسرع انتشاراً من الفضيلة من ذلك ان عدد انتحار العشاق الثائرين ازداد زيادة فظيعة في أوربا بعد انتشار كتاب (آلام فرتر) وعندما هرب الرحوم المغفور له مصطفى كامل باشا من مصر الى أوربا بعد حادثة دنشواي شاهدت تغيراً في أخلاق كثير من أصدقائي الذين قرأوها . واذا اتفق ان قتل رجل زوجه فقد في ذلك غيره حتى يصبح ذلك عادة . فالقتل والرشوة

والكفر والرياء والكذب والخداع ، كل ذلك ينتقل بالتقليد كما ينتقل الاعجاب والشوق والامل والايمان والفضيلة

وعلى ذلك فليس كل تقليد جديراً بالاعجاب . لقد أعاد (لافونتين) في وضعه التقليد الفاسد في حكاية الضفدعة التي رغبت في ان تصبح كبيرة كالثور ، وذلك أن ضفدعة رأت ثوراً فأعجبها منظره وحسن قامته ، ثم نظرت الى نفسها فاحتقرتها ما هي فيه من صغر الجسم ، فأخذت ان تقلد الثور وتمادت في هيكله فأخذت تنتفخ وتنتفخ وتقول لاختها : انظري ، هل وصلت الى درجة الثور في الجسم ، فتقول لها أختها . ولا انك لا تزالين صغيرة » . ولم تزل تجهد نفسها على الاتساع حتى انشقت ومانت

ما أكثر الناس الذين يشبهون هذه الضفدعة بتقليدهم غيرهم فيما لا يستطيعون اليه سبيلا . فينبغي للانسان أن يعرف ما عنده من الاستعداد والقوة قبل ان يحاول تقليد من لا حيلة له في مساواته . وبما أن التقليد في الشر يمكن كالتقليد في الخير ، فانه من الواجب الاقتصار في التقليد على الاعمال الحسنة الموافقة لعاداتنا وحياتنا . انا نقلد الاوربيين تماماً لفائدة (نارد) الذي ذكرناه لأنهم أقوى منا في العلوم النظرية والعملية ، وفي الحياة المادية من صناعة وتجارة وزراعة ، ولانهم أحسن منا في ترتيب حياتهم المدنية والاجتماعية . . ولكنا أصبحنا نقلدهم في كل شيء من غير أن نلتفت الى العادات الموجودة عندنا قبل ان نقلدهم ، ومن غير ان نعرف ما هي الغاية التي ينتهي اليها التقليد الفاسد ، فلا نقف على حد . الاوربيون ولا نقف مع حياتنا . والتقليد الفاسد لا يغرينا من الاوربيين الا بمساوئهم وبعدنا عن نيل الكمال

نعم ان تطور الأزياء [illegible] ظاهرة تحير الشعراء والمصورين ورجال الدين ، وليس السكوت وتقصير الرؤوس مقتصراً على النساء ، وسيكون هناك أشياء لا بد من ارتدائها وتزيا بها من عيران يكون لها معنى ، فما هو المعنى من عادة الوشم الموجودة عند العرب ، وما هي معنى وجود ستة أزرار على كم القفطان ، وفي الأزياء الغريبة التي تظهر في بعض صور المرأة على ركبتها زهرة أو فراشة ، فما هي قيمة هذا الزي وما هو جماله ؟ أيختلف عن عادة الوشم الموجودة عند العرب ؟ . لقد أصبح التحول ربما عند العامة صارت تقتصر على شيء قليل من الطعام حتى في المحافظة على اتساق هندامها ، أيختلف هذا الزي عن غيره ؟ كل الازياء رائقة تحكم لطبع لانها تابعة للزمان ، ولا يشذ عن الازياء الا الفضيلة ، لان الفضيلة خالدة أو هي كما قال (لاروبر) فوق الديمومة

ما أنس الشيء أقصدنا عن طلب الصالح نأيسا مع قرب عهده ما الاطول الاعتماد على الغير واعتياد الراحة ، وايثار التقليد على الابتكار ، حتى تمزقت شخصيتنا وانعدمت عرى قوانا ، لان كل واحد منا منصرف في التقليد الى هوى نفسه

فينبغي للعاقل أن يهتم هذه الملكة الفضية ويقتصر فيها على تقليد الاشياء الصالحة . يقول المثل : « قل لي من تعاشر لاقول لك من أنت » ويصح أن نقول أيضاً : « قل لي من تقلد لاقول لك من أنت » فقيمة كل انسان ما يقلد ، واختيار الرجل دليل على عقله

لعمري أن رعتنا في تقليد الغربيين في كل عاداتهم واتباع السلف في أمور لا تتفق مع حاجات هذا العصر ، وسهولة تأثرنا بالامور الشاذة ، كل ذلك دليل على ضعف شخصيتنا ووهن قوانا . ان في التاريخ عبرة وهدى لنا ، فلنلتفت الى الماضي ولنقرأ سير الرجال العظام ، ولنتخذ كل واحد منا لنفسه مثلاً أعلى من بين أولئك الابطال الذين خدموا البشرية باصلاحهم وعبقريتهم . الرجال العظام خالدون مع الآلهة في معبد البشرية ، فاذا كنا نريد أن تسود الفضيلة على وجه الارض فلنحي ذكر أولئك الرجال ولنحتذ على منوالهم ، لأن في حياتهم نوراً يهتدي به في هذا الدور التقليدي الذي نقطعه . وعلى اذا اقتصرنا في تقليدنا على الفضلة وكنا مثالاً صالحاً يقتدي به ، سار أولادنا على أثرنا وانتقل اليهم هذا المثل الاعلى الذي خدمناه في حياتنا

فالناس كما قال (توكرس) أشبه بالمشاعيل يسلم كل واحد منهم لرفيقه المشعل الذي بيده . فيقطع هذا السباق الشوط المخصص له ، ثم يسلمه لآخر حتى يصل هذا المشعل الى الغاية النهائية فاذا كان بيد كل واحد منا مشعل ، وجب علينا أن نسلمه لاولادنا من غير أن يخمد نوره ، وأن نحافظ على اشتعاله ، ونضم اليها دائما جديدة مغموسة بالزيت النقي الخالص من كل كدر

جميل صليبا

دكتور في الفلسفة من جامعة السوربون بباريس

امثال وحكم عربية

- اذا سد باب فتح آخر
- لا تقل لي من كان جدك وقل لي من انت :

(ليس تقي من يقول كان ابي ان التقي من يقول هأنذا)

- الحسد داء من شر أدواء النفس
- الشيخوخة هي العزلة
- نحن سريعو التصديق لما نحب ان يكون صحيحاً
- ان لم يكن الله موجوداً فالواجب ان نخترعه
- سبيل المرء الى الحصول على صديق ان يكون هو صديقاً
- العدلان ليسا عدلا
- من عزم على امر لم يقبل مشورة
- اذا شاء امرؤ ان يكون حكيما وجب ان يكون ذلك على نفقه
- المرأة الصالحة والعافية هما أحسن ثروة للمرء

مسألة المسائل

أو البقاء بعد الموت

أهم مسألة الخلود او البقاء بعد الموت تعادل سائر المسائل والمشاغل . فليس ثمة موضوع من الموضوعات يهم الكبير والصغير والعلم والجاهل والخاص والعام عشر معشار ما يهمهم هذا الموضوع فلا تجارة ولا بيع ولا عمل ولا روح ولا أكل ولا شرب ولا لذة ما من اذاب هذه الحياة تحسب لها حساب في حتما

مات سقراط وهو يحدث اصحابه عن الخلد . ومن قبل سقراط وبعده ما كان لمسألة من المسائل ما لمسألة الخلد من عظم الشأن وستبقى كذلك ما دام الانسان قابلاً والتأمل على وجه هذه الارض لست شيئاً مذكوراً . فالبحر الخضم ما بين الازل والابد

كان الخلد أمنية الاحياء ، والموتى ذكراهم ، فلهم ما وراء القبر . فقد عمى الاديان منشأ عياء ثابته تفوق في عطفها الاولى فمن عاش عمره هنيه ، ومن لم يؤمن عاش عمره كأنها كثير وبعيش ذلك كان الانسان اعظم همه بسما الطمئنه على سبيل

وغير مؤمن لا [illegible] وما كان هذا [illegible] غير مؤمن [illegible] له استسلم للاقدار و [illegible] تعيش في يومها [illegible]

لكن مع هذا كله [illegible] ان لم تحل عقد [illegible] الانسان ، معنى عقله الكبير اليوم عن [illegible] الوحوش الاولى [illegible] في الكيف لا في الكم في النوع لا في المقدار [illegible] فلا يصح به وأين هذا من ذاك . بل لا يعدل ذلك كثيراً تصور رجلاً من السذج الساذجين اليوم وامامه ديوان شكسبير او صورة لرفائيل او عمامة لبيكارت

فالانسان الذي ارتقى من ناره الاولى الى [illegible] عصوره هي ذات كأنه ليس هو . والذي درس الكواكب وعرف بعدها وحاول مادها الى عناصرها الاولية وهي عيده عنه بعداً يعادل بالسنين الضوئية . والذي قاس حركتها فضبط الضبط والدقة عن كل كسوف وخسوف ولو بعد ألف سنة . والذي عرف طريقه اشعاع النار فتغلب ولو احتدمت كل شرارة في الكون منها . والذي سخر الكهرباء في اعماله فستخدمها للحركة والنور والحرارة — ان من اسفل همه وكده

وقوة عقله — لا بالاتفاق ولا بالمصادفة — من حالة الى ضدها حتى يرد به ان يحل لغز الموت ويبين الخلود اذا كان بيده مستطاعاً . ولكن هل الخلود مستطاع ؟

قال القطريّ بن الفجاءة وهو بين اليأس والحماسة يخاطب نفسه :

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الابطال ويحك لا تراعي
فانك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تطاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع

ولكن قطرياً شاعر بدوي لا يؤخذ قوله حجة وهو لا يبحث في مسألة الخلود عقلية ، بل عما تمليه عواطفه . فان كان لهذه الابيات معنى فهو ان مسألة الخلود طرأت على بال الانسان يوم طرأ على باله الموت ، أي يوم صار الموت يشغل باله ويقع في حسه كما شاهد أمامه ميتاً لا كالحيوان يمرّ بالميتة فيهتم ان كان مما يأكل الجسم او يقف عليه ريثما يشبع ثم ينطلق في سبيله ويساها او يرفع أنفه عنها

ونحن لشدة اشتغال بهذه المسألة راينا وقت بحث الباحثين فيها ، وحلق بأي مقالة يقال لنا عنها ان هذا العالم الجحة كله ... وأي رأي سمع ان ذلك الموضوع الذي ... ولا يعريبا ويعرج عجبنا مثل قولهم ان العدد ثلاث . وله مقام معروف عند أهل العدد . كنت كنا في مسألة البقاء بعد الموت أو نشر ... ما رأى فيها احوانه العلماء مصيباً وجهاً لمؤاخذة

ولكن هذا لم يخطر ببالي قط حتى ... أن كتب السير أولفر لودج (وهو عالم طبيعي يبحث في الحقائق الموجودة لا حتى يبحث في ...) كتاباً عن ابنه ريموند عشر سنوات على إثر وفاة ابنه مقتولا في الحرب وذهب فيه الى ... بعد الموت مؤيداً رأيه هذا بأدلة كثيرة حسبما هو مبسوط في صحف الارواح . وقد قال في كتابه انه ناجى ابنه على يد وسيط فأخبره ابنه عن مونه بأمور ما كان السير أوليفر يعرفها مثل قوله له انه تصور وهو في ليمان مع بعض أصحابه ، وان صورته موجودة في المكان الفلاني فذهب السير أوليفر اليه فوجد الصورة فراد اقتناعاً بمذهبه . قال هذا القول فقامت عليه قيامة العلماء

ذلك لأن ما عدد السير أوليفر حجة مقنعة له عدّه غيره اختراعاً وقع فيه كثير من العلماء قبله مما عرضه لهزئهم وسخريتهم . ولكنه بقي ثابتاً في موقفه لم ترجعه عنه سخرية أنداد اذا عدوا لعلمهم عدّ هو في مقدمتهم . وهذا هو الذي حمله محافظاً على مركزه بينهم حتى الآن

فلو كان فيلسوفاً خيالياً لقالوا ان فكرة الخلد من نبات خياله ولتجاهلوه ، ولكنه عالم مادي يبحث في المادة ومظاهرها والطبيعة المحسوسة وقوانينها فلا يسعهم ان يتجاهلوه أو أن يصموا عن رأي يرتئيه ساحرين ، بل لا بد من أمرين لا ثالث لهما : فاما أن يسكتوا سكوت اقتناع أو أن يردوا

عليه مبينين خطأه وهذا ما فعلته « علة التأثير » في عددها الاخير الذي وصلنا

فقد قرأنا في باب الانتقاد فصلاً تنتقد فيه كتاباً جديداً أصدره السر أوليفر لودج بعنوان : « الاقناع والاعتقاد » قالت فيه :

« هذا الجدل بيان لآراء السر أوليفر لودج المشهورة في الكون والانسان والبقاء بعد الموت والخلد . ويظهر لنا أن ليس فيه شيء جديد عما وعاه كتب لفريق آخر من القراء ، وانه جعل على شكل مقالة يراد بها اقناع الذين احذوا يهجرون الاديان لأي سبب من الاسباب ويطلبون الحقيقة مستقلين . وهو بديع كفكرة عن الارواح ومساكنها يتعزى بها المفجوعون وتزول حيرة الحائرين من العامة ورجال الدين . ولكنه ليس بمقنع للمثقفين والذين لا يستسلمون للعواطف ولا يؤخذون في تيار الانفعالات

« وقد استهل كتابه بالاشارات الى انفصال المصنعين عن الكنائس شيئاً فشيئاً ، ولكن « غريزة العبادة » التي يعتقد انها في الانسان تمنعه أن يعلق الحقائق الروحية تعليقاً تاماً . وعليه فقد امكننا أن نثبت بالمظاهر الروحية ان الانسان يبقى بعد موت جسمه فحينئذ تعاد غريزة العبادة الى مقامها الاول مغرورة عما تؤكده لنا من المظاهر من أن القديسين والعظماء الذين رحلوا عن هذه الدنيا قبلنا لا يزالون احياء خالدون في عالم روحي لا يحيط به وهم مثل حب جسمه « القوة العليا » التي « ترشد الانسان في جهاده المستمر من عهد مهده بالوحي

« والظاهر أن السر أوليفر لودج يرهن بهذا الموضوع لا يشك فيه على استمرار بقاء شخصية الافراد ، فيبقى به وحده عليه أن يبين للناس طريقة هذا البقاء كيف يوفق بين البقاء بعد الموت وبين السيئات والعقوبات والثواب والغفران . فذلك كان عليه أن يبين في رأي ان المجتمع انما هو آلة للعقل ، وان الفكر لا وجود له في الدماغ الا كوجود الموسيقى في الاوتار . وان العقل لا يفكر كما يفكر الدماغ والدماغ يفكر الآلة التي هي مظهر له

« وهذا الرأي يؤدي بنا الى تلك الصورة الجميلة الخلابة وهي أن العقول تستطيع أن تظهر نفسها متى وجدت الآلة الملائمة لها . وفي هذه الارض تستخدم الاجسمة المادية الى أجل مسمى ، ولكن حياتنا الدنيا مظهر شاذ في مذهب السر اوليفر . فنحن ارواح حبسنا على المادة حتى حين فقد انتقلت الى العالم الروحاني وجدت فيه راحة لا نجدها في هذا العالم المادي

« وعلى وان كنا سجناء المادة نجد حقائق الروح تساق الينا في عالم الاحلام . فليس بناء الاحلام بالوقائع والاصوات « المباشرة » والاشارات وصفاء العيون التي يقع الانسان فيها الا دلائل على وجود الروح ومساكنها مجسمة براهين يكاد لا يرد

« كذلك من رأيه أن الشخصية تبقى بعد موت الجسم بي أن العقل يشتمل بوساطة أداة أخرى بعد زوال أداته الحاضرة (الدماغ) . وهذا المذهب مذهب جعل الشخصية يخلصنا من التسليم بفكرة

أن جميع الاحياء بقي بعد الموت وتمكنا في الوقت نفسه من ان نسمع البقاء بعد الموت على الحيوانات الداجنة المتأنسة وغيرها من الحيوانات التي تدعو عليها علامات تدل على انها تسعى عن علم وادراك الى اغراض لم تتحقق . وعبارة أخرى أن البقاء بعد الموت يتوقف على نمو غلاف الضباع الذي تعمل بواسطته العناصر التي تستحق البقاء المستمر

« ويرى السير أوليفر بعض الصعاب التي تعترض في سبيل قبول رأيه في مصير الانسان . ولكن الظهر الجديد في الطبيعيات غير معاد له لأن العلم يتحول شيئاً فشيئاً الى المذهب الحيوي وعلم الطبيعيات في الاحياء بدأ يدرس تفاعل الحياة والمادة والآراء البسيطة توضح شيئاً فشيئاً ما كان من قبل مسائل معقدة لا تحل . ويستطيع أن نفهم بعض المسائل كالصلاة والمعجزات بالالتجاء الى مثلة من الحيوانات العليا . فان الفرق التي يريد احداً ان يفتح الباب لها تحسب الانسان الذي يخدمها هذه الخدمة كائناً اسمى منها . وكل الصعاب تزول متى حسبناها اشياء أدنى ما وجد انفسنا كائنات أعلى منها

« فالعرض الروحاني يحل كثيراً من مصاعب حياة الانسان ومصيره الاخير . ومن الصعب ان نتكلم عنه بطريقه علمية قبل ان نصل الى [illegible] مجهولة من الطرق مجهولة في احوال ليست ضمن دائرة اختبارنا » وحتى نعلن ان الكلام مثل هذا لا معنى له فيه ولا عون يؤمل منه » انتهى كلام « ناشر »

* * *

وان أعظم ما تحيرنا لاقدامه على نوع من هذا البحث وهذا الموضوع فكرة انه ما من رجل رحل عن هذه الدنيا الا وله الصعب الذي لا يسهل على الذين يراهم خلفه ساعة بعد ساعة ويوم بعد يوم ان يتصوروه وراء القبر . ولم يشذ عن ذلك قديس ولا رسول ولا نبي ممن كان الله يكلمهم في هذه الدنيا من وراء حجاب او بالاحلام او بالرؤى أو بالاوريم والتميم كما في التوراة أو بواسطة عناصر الطبيعة من سحاب ونار ورعد وبرق وزوبعة وريح هادئة ونسيم عليل او حفيف اشجار كما كلم الله آدم وحواء . حتى ان المسيح ومعلمه عند المسيحيين معلوم ، قام من القبر وصعد الى السماء ثم لم يعتقد شمعه بكلمة تطيب نفوسهم وتطمئن لها قلوبهم ولا سيما المؤمنين منهم الا ما كان من قبيل الوحي والالهام ، وهذان مثلث بهما الكتب المقدسة ولكنهما لم ينفعا علة من أهل الشك

وقد مضى على دعوى مصاحبة الارواح عشرات السنين واشترك فيها العلماء وفي طليعتهم السير اوليفر لودج ولستر سفيد صاحب مجلة الخفيات التي عرفت مع الباحثة تيتانك وغيرها كثير من اهل الرأي فلم يعروها ناشراكهم فيها بل ربما زادوا الناس شكاً على شك ، ولا سيما عندما ثبت خداع الوسطاء واعتداع العلماء فليس بدعاً ان تكون السر اوليفر مخدوعاً مثلهم

وبلغ من ثقة سفيد بالمباحثة أن وعد بموافاة اصحابه في هذه الدنيا بحديث عن الآخرة يطمئن له

قلوبهم بعد موته . فلما سكت اصحابه بهلاكه عرفاً مع الذخيرة المذكورة وجدوا لهم عراء كثيراً في تلك الصحة ووقعوا بين عاملين لا يدرون أيشقون القلوب قبل الجيوب حزناً عليه ام يطرون موته لأنه يقرب منهم أوان وفائه بوعده . وقد مضى الى الآن سبع عشرة سنة على وفاته ولم يجيء منه بأ ما . فضله نبي او تناسى

ولا بد لنا في هذا المقام من القول ان دعوى مناجاة الارواح لا علاقة لها البتة بالمصير بعد الموت او ببقاء الشخصية . ونحن وان كنا سكر الاولى وندهش لتسليم عالم كبير مثل السر اوليفر بها عن بينة حسنة واعتقاد صحيح، فأنا نعطف على الثانية ونرى فيها شيئاً كثيراً من النصح العلمي للصانق لتعاليم الكتب المقدسة ولما تسعى اليه العلما، الآن من التوفيق بين العلم والدين. نعم انه يعوزنا فيها البرهان العلمي لتصير قضية مقررة لا نزاع فيها ،ولكن هناك مسائل أعظم منها تفتقر ايضاً الى برهان وليس عندنا دليل على صحتها سوى قوة الايمان واولها واعظمها وجود علة العلل . فنحن لم نملك الوجود جدلاً لان هذا التسلسل يحن لنا مسائل جمة لا تحل بالبكاء

وبعد فاذا يريدون بهذا الخلد الذي يطلبونه ولا يجدونه . هل يريدون ان يركبوا لنا اكبيراً او شيء الانسان مال صاحبه من جميع الامراض ولا يصاب بموت ولا يموت ولا طاعون ولا حمى ولا آفة ما من الآفات ؟

وهبهم ركبوا هذا الاكسير لانفسهم وبقوا احياء الى الآن وأجرى لم يتعرض لها الانسان في هذه الحياة الدنيا ؟ أثم هم ركبوا لنا اكسيراً نحو هذا لنعم حارسة فاذا شربناه وألقينا بانفسنا من شاهق لم نصب بضرر ما كان يتطلق على ... من تضعضعه و لعمل . واذا اصابتنا كرة مدفع فكأنما اصبنا بالون من ... وبار الى ... بالاعصار ... وقد ضعف نظار لم يؤثر فينا كأن احشاءنا قدتت من الصلب او ما هو أصلب منه. او اذا سقط علينا حمل وسحقنا صار ما دنا كوموا فنكون مرة ثانية وثالثة وهكذا الى ما لا نهاية له

ثم أيراد أن يقتصر الخلد علينا نحن الذين في هذه الدنيا لا يجاوزنا الى السابقين من آبائنا واجدادنا . ومن اجله نمنع عن اللاحقين من الاولاد والنسل مدى عيوب لئلا تضيق الارض دوننا ودونهم ويضايقونا في مزاحمتهم لنا

الحق اننا المايون لا نليق لخلد ولا لطول عمر . والحق ان هذه الارض لم تخلق لبخلد الانسان فيها بل ليقيم وينا يحل الحياة كما ملها ليد وتتكرر له هذه الدنيا كما تتكرر لكل من يعمر فيها بحواسه شيئاً فشيئاً كل ما يتعه بها حتى البصر وحتى السمع . وحينئذ فلتطلب الخلود في الأخرى فانها أولى به وانه أولى بها

نجيب سالم

السيادة البحرية في مختلف العصور

بمناسبة المؤتمر الحالي المنعقد في لندن

مهما تكن نتيجة البحوث التي تجريها الدول في نزع السلاح وتعقد لها مؤتمراً بعد آخر ، فلا ريب في أن تاريخ البحرية قد دخل في دور جديد فلا يستطيع أحد بعد اليوم أن يتكلم في سيادة البحار وبقي بها سيطرة دولة واحدة على طرق الملاحة وتفوق أسطولها على جميع الاساطيل حتى كأن المياه كلها ملك له . بل ذهب هذا العهد وجاء في محله عهد آخر كل شيء فيه بمقدار ولا تجد دولة فيه مجالاً لارهاب بقية الدول . وهنا يجدر بنا أن نتتبع السيادة في مراحلها المختلفة حتى نصل بها الى نهايتها الحاضرة :

كانت فارس في القرن الخامس قبل الميلاد قد أرهبت الشرق الادنى باجمعه وصارت تستحوذ على مستعمرات اليونان في آسيا الصغرى واحدة إثر أخرى فنهب اموالها وتأسر أهاليها ، وكان عاهل الحكم وأمراؤه يحكمون الشواطىء من نواقيه شمالا الى مصر جنوباً . وكان عمالهم يجبون الموانىء عنّاً على شان يدخلونهم في البحرية الفارسية . ثم عبر نحو مليون جندي مضيق الدردنيل واكتسحو مقدونيا وكادو يقهرون [illegible] ويكرهونهم على سفنهم لموقعة ماراثون التي انتصر فيها اليونان انتصاراً باهراً . عبر أن الفارسيين عادوا بعد قليل أكثر من ذي قبل وقد قاومهم ليونيدس ورجاله الفلائل الابطال ، وكان مصيرهم الصفحة ثم تعد التيا [illegible] لاسبوي حارف . وكادت أثينا تقع في أيدي الفارسيين فتحير وجهه التاريخ لو [illegible] في موقعة سلاميس البحرية التي كانت أول موقعة حاسمة في تاريخ البحر .

وكان المضيق غير واسع والبحر هادئ ولكن معظم سفنه [illegible] آلاف من المقاتلين وكان لليونانيين ٣٨٠ سفينة وللفارسيين ثلاثة أمثال هذا العدد ومع ذلك [illegible] تفوق بدنياً مادي القسوة والوحشية حتى امتلأت طيات الامواج بالجثث والاعضاء المبورة وغابا السفن المحطمة . وانتهت هذه الموقعة الرهيبة بانتصار اليونانيين على الفرس رغم قلة الاولين وضعفهم وتفصل في ذلك عائد الى تفوق السفن اليونانية حتى استطاعت أن تقطع المواصلة بين السفن الفارسية وبين الجيش الفارسي العظيم الذي كان يرتقب على الشاطىء الاسيوي ثم استطاعت تلك السفن اليونانية ايضاً أن تقطع خط الرجعة على الفارسيين الذين كانوا في ارض اليونان فهلك كثير منهم جوعاً وعاد آخرون الى آسيا الصغرى وهم في حالة يرثى لها . وهكذا كانت تلك الموقعة البحرية وحدها سبباً في انقاذ العرب من الشرق

وقد ظن البحر الابيض المتوسط في سنة بعد ذلك وهو وحده ميدان السيادة البحرية . وكان أهم ما وقع في سبيلها ذلك الكفاح التاريخي العظيم بين روما وقرطجنة الذي انتهى بتدمير الاخيرة ومحوها من الوجود ثم ذلك الصراع بين الرومانيين من جهة وبين كليوباترا ومارك انطوني من جهة أخرى . وفي كلا الحالين كان الصراع على السيادة البحرية ماثلا وداعياً للقتال

ثم تمثلت موقعة سالاميس مرة أخرى بشكلها وتأثيرها فيما بين فينسيا والاتراك اذ اجتمع كل ما كان للفرنج اوسطى من قوة وروعة في اسطول فينسيا وواجه الاسطول التركي في موقعه نيباتو فكانت مثل موقعة سالاميس منقذة للغرب من الشرق وماحية وجهه التاريخ من لتديل

وبعد ذلك أتى دور الرحلات البحرية في محاهل المحيطات وهي التي اعطت البحر الابيض المتوسط أهميته الاولى وانتقل مركز التنافس البحري الى مجال سواه أوسع منه . وقد اشتد هذا التنافس بين اسبانيا والبرتغال حتى احتكما الى البابا احتكامهما المشهور فصل بينهما بان جعل العرب لاسبانيا والشرق للبرتغال

وقد مكثت هذه القسمة بين الدولتين متعادلة مقبولة مدة سنوات طويلات حتى شرع «دربك» البحر الانجليزي الخاطر بعد ما فيا من موارثة اذ قام برحلات في مناطق من البحار لم تكن الدولتان قد عرفتاها ، وبذلك وضع الاساس لعظمة انجلترا البحرية وسيادتها المستقبلة على البحار

وكان على انجلترا قبل أن تصل الى ذلك أن تضرب الاسطول الاسباني ضربة حاسمة وقد تم ذلك اذ اقترب « الارمادا » من شواطئها فبعثه الله وأسعفته العاصفة وكان وهو قادم الى انجلترا أشبه بالموت يقترب من فريسته . وقد قام الانجليز قومة رجل واحد يريدون صد هذا الخطر الداهم وما كادوا يطلقون مدافعهم على السفن الاسبانية حتى حاقد القدر المحتوم لم يكونوا يرتقبونه اذ هبت عاصفة هوجاء فدمرت الاسطول الاسباني شر تدمير وأغرقته في اللجج العميقة . وقد كانت السفن الاسبانية ضخمة قوية ومعها [illegible] والاسلحة ، ولكن بحريتها كانوا مجرد جنود يحاربون ، أما البحارة الانجليز [illegible] الادلة على ذلك ان السفن الاسبانية كانت تطلق قذائفها [illegible] لا تمس السفن الانجليزية بينما هذه كانت تسدد مرماها فتصيب الهدف في [illegible] والاستعداد الطبيعي هو الذي أتى لانجلترا بعد ذلك [illegible] شاسعة

غير أن السيادة البحرية ظلت قريبة بعد ذلك وهي لا تزال عن التنازع فريسا مثلا فرانسوا الثالث الفائد البحري الهولندي العظيم يدخل قناة المانش ، ثم رأيت فاتل المدافع تتحطم عند حمل طارق ثم أنصرنا بالسفن الفرنسية تحاول أن تعقد السيادة الانجليزية على البحار . حتى ولد القرن التاسع عشر وكان نابليون في أوج مجده وعنفوان قوته قائم حمل سطحت فوق رأسه شمس اوسترلتز . وقد حطمته أوربا كلها وخصمت له الا جزيرة واحدة لم ترض ان تطأطىء رأسها ، بل سعت الى اسقاطه فكان هم نابليون الاكبر أن يجمع هذه الجزيرة والذلك أعد يسعد في مواوي لنقل جيوشه الظافرة فوق قناة المانش الى بريطانيا العظمى

ولم يكن في تلك الايام أسلاك برقية ولا مواصلات لاسلكية فكانت الاساطيل تتحرك وترسو أو ترحل دون أن يعرف مؤخرها الا بعد أيام أو اشهر . وكذلك ظلت انجلترا في قلق دائم ولا أن هيأ الله لها رجلا صئيل الجسم شاحب الوجه ذا ذراع واحدة وعين فريدة ، وهو الاميرال نلسون الذي أخذ يطارد الاسطول الفرنسي الى الجزر الهندية الغربية ، فاذا وصل اليها عاد نلسون فأبعده عنها

وكان نلسون احدى المعجزات اذ كان يبعث الثقة المطلقة في نفوس الانجليز و الخوف الاكبر في نفوس الفرنسيين . و تحدثنا التاريخ بان فيلنيف Villeneuve قائد الاسطول الفرنسي كان يحسب الالتحام مع الاسطول الانجليزي . و لم يكن فيلنيف جباناً ولم يكن الاسطول الفرنسي أقل عدة وعدد من مناوئه، ولكن كان هناك نلسون بشخصيته وبراعته الفذة التي داع أمرها في الارجاء، وأخيراً كانت موقعة لطرف الأغر التي لا يزال الانجليز يتغنون بها ويطولة قائدهم البحري العظيم، وكانت القاضية على قوة نابليون البحرية وعلى جميع مطامعه البعيدة كما كانت القاضية على حياة نلسون في الوقت نفسه اذ اصابته رصاصة في عموده الفقري وهو لا يزال يعطي اوامر القتال سريعاً ويدبر كلا بان يقوم بواجبه

وجاء القرن التاسع عشر بانقلاب في البحار فأنشئت البواخر وزينت قوارب النجاة وأكملت الخرائط وقصي تقريباً على القرصنة وأصبحت تجارة الرقيق . وكذلك حفر برزخ السويس فصار قناة بعد أن طريق بحري في العالم . وتحررت أيضاً السفن الحربية بصبها بثقل الحديد على الخشب والبخار على الشراع وأحكمت المدافع وصارت سدة المرمى

ولكن في أواخر هذا القرن بدأت انجلترا تجد لها منافساً جديداً على السيادة البحرية اذ أخذت المانيا تقوي اسطولها وتشيد سفنه مقابل كل سفينة تشيدها انجلترا . وصلت هذه المنافسة بين الدولتين على ميدان غير البحار حيث [illegible] الكبرى موقف معركة جوتلاند البحرية التي كانت بين الاسطولين البريطاني والالماني [illegible] اللعب بين القط والفار فقد مكث كل من الاسطولين [illegible] الآخر حتى حادث الا [illegible] يكاد في الاعتام بان الاسطول الالماني خرج من مكمنه قصد الامر [illegible] في نجدة للاقاته ، ولكن الاسطولين لم يلتقيا ولم يشتبكا في القتال حتى الان . بل وقف كل منهما على مقربة من الآخر فان أصاب أحدهما الآخر كان ذلك من بعيد [illegible] و [illegible] ثلاث قنابل المانية زلت ثلاث سفن بريطانية فهوت بها جميعاً في قاع البحر

ولا يزال العلماء حتى اليوم مختلفين على ما حدث وعلى معرفة المهزوم والمنتصر ، ولكنا نقول احتمالا ان الخسائر البريطانية كانت ضعف الخسائر الالمانية ومن هذه الوجهة تعد موقعة جوتلاند انتصاراً للالمان ، ولكنه انتصار أشبه بالهزيمة لان الاسطول الالماني لم يلبث ان انسحب دون أن يحرز ثمرة من عمله وبقيت لانجلترا سيادتها على البحار

على الساحل الغربي

الرحلات الاكتشافية الى الاقطار المجهولة

باب جديد للثقافة العلمية

فتح السينما باباً جديداً للثقافة العلمية كان إلى أمد قريب مجهول النفع والفائدة . وأدت خدمة كبيرة للمجتمع ومهدت سبل العرفان للطبقات الشعبية وكشفت عن أسرار وعجائب كانت هذه الطبقات تجهلها وتتخبط في دياجيرها . فهذه البعثات الاكتشافية التي ترسلها شركات السينما من حين لآخر الى الاقطار المجهولة تحرس ما فيها من مناظر وعرائس وعادات وتسجيلها على الشريط لتشرهد في جميع أنحاء العالم المتمدن . لهي أقطع برهان على ما تؤديه شركات السينما من خدمات وتبذله من جهود في سبيل الثقافة والعرفان

كنا فيما مضى نعتمد في ثقافتنا العلمية ودرايتنا بكل ما هو غريب عنا من البلدان والاقطار المجهولة ، على ما نقرأ في الكتب وما نسمع في المحاضرات ، ولكننا الآن أصبحنا نعتمد في ذلك كله على ما نشاهد في دور السينما من أشرطة تمثل في جميع مظاهرها أغرب وأقصى الصفات . أصبحنا نرى مشاهد الحيوان المختلفة وقتاله وعبادته وقصائد مختلفة من الوحوش والضواري وأسراباً متنوعة من الطير وغير ذلك من أجناس كثيرة غريبة

على أن هذا النوع من الاشرطة لا يلاقي في أكثر الاحيان من الجمهور الا ولا تشجيعاً . اذ كان الجمهور يعتبر الاشرطة التي من هذا النوع ، كأنها مفروضة عليه فرضاً ، على الاشرطة العلمية . وأمام هذا أعرض أصحاب المعارض الكبرى عن عرض هذه الافلام في معارضهم . ولم تجد شركات الاخراج وسيلة لتشرهد الا بواسطة عرضه في المعارض الصغيرة بأثمان بخسة لا تساعد على استرجاع النفقات التي بذلتها في سبيل اخراجه

ولم تكن الشركات السينمائية مع عظيم الفائدة العظمى التي تعود على الجمهور اذا اقبل على مشاهدة الاشرطة العلمية ، لتقف ساكنة أمام اعراض الجمهور عن هذا النوع من الاشرطة ، فراحت تبحث عن طرق ووسائل تحتال بها عليه حتى يقبل عليها ثبتاً شيئاً . فلم تجد خيراً من تقديمها له في قالب روائي أقرب الى ذوقه ومشربه . ولم تلبث حتى أخذت بعثات الشركات العلمية الى الاقطار المجهولة تدرس حوالها وعادات أهلها ووضع روايات تقع حوادثها في تلك الاقطار يمثل فيها ممثلون من صميم مواطنيها

وقد نجحت هذه الخطة وأسفرت عن نتائج باهرة كان لها طيب الاثر . فلم تبخل شركات الاخراج بعدئذ في بذل الاموال الطائلة وارسال البعثات العديدة الى جميع الجهات المجهولة في عالمنا

هذا . وها نحن أولاء أصحاب وفد حدانا أعجابنا وتقديرنا للاشرطة العلمية ، الى الاقبال على رؤيتها والانتفاع بما فيها من مشاهد

* * *

في أقطار القطب

وكان من أوائل الذين هبوا لاحراج الاشرطة العلمية الرحلة الفرنسي « بري ماليه » ، فقد قام منذ نحو عشر سنوات برحلة اكتشافية الى بلاد الاسكيمو لوضع رواية تدور حول معيشة سكان هذه البلاد وكفاحهم في سبيل الحياة . وقد سمى هذه الرواية « سيدة رحل الثلوج » ، وقد عرضت في القطر المصري منذ ستة سنوات تقريباً وشاهدنا فيها صوراً جديداً من حياة أجيا الانسان، حياته وسط الثلوج ومعاملاته في سبيل تحصيل الرزق ومعالجه هجمات الطبيعة وتقلباتها صيف شتاء ومطاردته الدببة البيضاء للفتك بها واستخراج فرائها الثمينة به واستعمال لحومها للغذاء.

وقد ألفت الرحلة « ماليه » هو وفرقه نحو سنة ونصف سنة في بلاد الاسكيمو حيث أخرج رواته بعد جهود ومشاق استغرقت منه كل عزم وقوة . فقد كان في نهاره يتتبع الأميال متنقلا الى هنا والى هناك لتصوير ما يصادفه من مناظر ومشاهد ، ومتى حل الظلام لجأ الى مأواه بعض الاشرطة التي صورت نهاره وما عرض له من [illegible] كان قد أصيب في مشهد من أحد ، أم راحت أتعابه أدراج الرياح

وقد شاهدنا في شريط آخر كيف قام الرحالة « شكلتون » في فصل الجليد بمغامرته ، وما لاق هناك هو ورحله من أهوال . وفي خلال ذلك يشاهد وهو يجمع الجليد أمامها فيركبونها ويواصلون ويسافرون بأعصابهم وسط [illegible] الى هبوب العواصف الثلجية التي كانت تصرهم داخل البيوت وفوق الثلوج بلا شعور ولا حركة ، وفي هجمات الدببة البيضاء تارة هائجة ، الى دوران الثلوج تحت أقدامهم وعوزهم الى [illegible] من هناك من كل ما يعبر عنها الوصف . كل ذلك شاهدناه ونحن جلوس على مقاعدنا بين الدهشة والاعجاب . . الدهشة مما نرى والاعجاب ببطولة من قاموا باخراج هذا الشريط ومن يقومون باخراج أمثاله من الاشرطة العالية ، باذلين في سبيل ذلك كل مرخص وغير مرخص ما دام المجتمع ينتفع من علمهم وجهادهم

في مجاهل أفريقية

وليست الرحلات الاكتشافية السينمائية مقصورة على أقطار الجليد فقط ، بل قد تعدتها الى مجاهل أفريقيه أيضاً . فاننا اذا ذكرنا ستانلي ولفنستون وغيرهما من رواد القارة المظلمة ، وجب علينا أن نذكر لهم مستر مارتن جونسون وزوجه الذين توغلا في أحراش هذه القارة ، ونقلا مناظرها إلينا على الشريط

هذان الزوجان قاما من أميركا الى أفريقية فتوغلا في أحراشها ومغاراتها ، فكان لمغامرتهما هذه جليل الشأن وعظيم الأثر . لبثا هناك سنتين أو ثلاث سنوات متنقلين بين الأدغال معرضين حياتهما وحياة من معهم من مساعدين لهجمات قاتل الزنوج وقطعان الضواري . فما كان ليثنيهما عن مواصلة

كعاصفة رئيسية سبع كاسر ولا صريح نمر مفترس ، وما كان لحوت ، دون اقدام مأربهما حائل

وكان أن شاهدنا نمار مجهوداتهما ومخاطراتهما ، فكان الواحي للطفه من أفريقة انتقلت اليها أو كانت انتقلنا إليها حديثة أصبح . فهي أمام أعيننا على الستار . . ترى سكانها على اختلاف أجناسهم وعاداتهم ، ترى وحوشها وصواريها على كثرة عددها وتباين أشكالها ، ترى كيف نجا حيوانات الافريقية التي ما زالت تعاني في دياجير الجهل والوحشة ، ترى كل ذلك على شريط من الأشرطة التي أخرجها وما زال يخرجها مستر وميسز مارتن جونسون ، فهل تقدر مجهوداتهما هذا ، ولنشيد بذكرهما وهما اللذان صرفا عمرهما لخائط بالراحة المنزلية التي تستوحيها الحياة الزوجية ؟

نعم .. فهي والحق يقال مثال البطولة والاقدام وعنوان الجرأة والشجاعة ، لأن زوجة في ربيع الحياة وروحاً في عنفوان الشباب يخاطران بنفسيهما في سبيل خدمة العلم والتاريخ ، ويتركان وراءهما بيتاً هو خير مهد لحبهما الزوجي . أقل ما يجب أن يكافأ به ، تماثيل من ذهب تقام لهما في أكثر ما يمكن من البلدان . هذا وقد عينت متاحف أميركا باقتناء أشرطتهما للرجوع إليها في كثير من المسائل العلمية ، وحازتها في ذلك متاحف كثيرة في البلاد الاخرى

في جنة البحار الجنوبية

وقد شاهدنا في مصر هذا الموسم عدة أشرطة أخذت حوادثها في حرر البحار الجنوبية نذكر من بينها « تحت الضغط الجوي » و « احتلال الاعماق » و « موت في البحار الجنوبية » والاول منها أخذ في أعماق بحر عميق وقد قام باخراجه ووضع حواشيه الاميركي « ليو كولينز »

اثنان من أعداء رؤساء القبائل في بورنيو يستعدان للقتال لمسائل غرامية ، كما ظهرا في روايه « تحت الضغط الجوي »

وصوره « ويلفرد كلان » ومساعده « هارولد سيث » . وقد لاقى ثلاثتهم مصاعب جمة في إخراجه وتصويره ودرس عادات سكان بوربلند التي من أغربها انهم يعملون المرأة السيئة . . والسيئه جداً . . على المرأة الحبيبة . فالمسألة عندهم عنوان الفتنة والجمال ومثال الرقة وحسن الطل ! ولكم كانت مفاجأة مدهشة عند ما طلب المستر « كولير » الى زعيم قبيلة « الماوري » أن يقدم اليه نفراً من أجمل نساء القبيلة لأظهارهن في الشريط ، فكان ان وجد نفسه أمام كتلة من اللحم والشحم لا يقل وزن الواحدة منهن عن ستة أو سبعة قناطير ! !

وقد شاهدنا في هذا الشريط كيف يقوم « الماوريون » ولائمهم وحفلاتهم ، مراقصهم ، وكيف يصافحون بعضهم بعضاً بحنكاك أنف الواحد بأنف الآخر . وكيف يستعدون للحروب ، وما يلاقونه من أهوال اذا ما عصت عليهم آلهتهم فانها تسلط عليهم البراكين لتدمدهم بوابل نيرانها فيهجرون مساكنهم ويهيمون في القيافي والقفار

وشريط « الخيالات البيضاء » حوادثه من هذا القبيل إلا انه يفرق عن الاول بأن بطل الرواية فيه من البيض تراحيين الى تلك البلاد ، عكس شريط « تحت الصليب الجنوبي » فان بطله من قبيلة « الماوري » نفسها

وأما شريط « موالد الجزر الجنوبية » فقد أخرجه الرحالة « روبرت فلاهرتي » ولبث في إخراجه نحو عشرين شهراً في « ساموا » حيث اشتغل كما سنوضحها . وقد درس في هذه المدة أحوال أهلها وعاداتهم وصورها على الشريط . وهو يصف سكان « ساموا » بقوله : « انهم قوم مشهورون بلين العريكة ودماثة الخلق وان الانسان لا يعدم فيهم مجرماً ، حاديتهم إلا اذا رجع الى عشيرته في العالم المتمدن . كما يمتاز بين سكان البلاد نفسها أنهم كانوا أم معاصرين ، من يقدر الجمال تقديرهم . فالرشاقة في المرأة والقوة في الرجل هما مثلهما الأعلى في الجمال »

ويذكر أيضاً شريط « شاطئ » الذي أخرجه « مارون كوبر » و « إرنست شودساك » في سام وأظهرا فيه كفاح الانسان وسط الغابات . وصراعه المستمر مع الحيوان والقبيلة منها على وجه خاص . فقد كانت قطعان القبيلة تهاجم مساكنه وتدمرها على آخرها فتتركه بلا مأوى يلجأ اليه ويتقي فيه شر الصواري . ولكنه وقد ألف أمثال هذه الاعتداءات ، كان يحتال على هذه القبيلة ويوقعها في أسره بعد جهد جهيد بواسطة أشراك نصبها لها فلا تجد حيلة إلى الخلاص

في عرض الصحراء

ولقد كان للصحراء نصيب من الرحلات الاكتشافية السينمية أيضاً . فان شريط « في عرض الصحراء » الذي أخرجه الرحالة « أنجوس بوكانان » كشف عن خبايا وعادات كثيرة كنا نجهلها عن رأسلافنا . وقد استغرق اخراجه نحو ستة عشر شهراً قطع فيها الرحالة المذكور نحو ٣٥٠٠ ميل فوق ظهور الجمال . وأبدع في هذا الشريط كيف نجا قافلة « الطوارق » في صميم الصحراء ، ما لم تقرأ أو تسمع عنه في رحلة « ريتشاردسون » الى صحراء افريقية سنة ١٨٥٠ ، والرحلة التي قضى فيها الكابتن هايوود عند ما قام من تمبوكتو الى الجزائر

وكان لرحلة الكابتن بوكانان أعظم الأثر في نفوس سكان الصحراء حتى الحيوانات العجمى .

ولعله قصد رمس احدى جزر البحار الجنوبية كما ظهرت في روايه « الجبال البيضاء »

ونذكر في سبيل الفكاهة ان [illegible] مثلا يستعمله الركوب في تنقلاته وغزواته . وقد أحسن معاملة هذا الحيوان حتى [illegible] فما ان أتم الكابتن مهمته الاكتشافية وعزم على مغادرة الصحراء [illegible] لاحد الوطنيين هناك . وعجب ان هذا تأثر في نفسه لانتقاله إلى مالك آخر فأصيب من الحزن وتعب [illegible] فلم يلبث حتى فاضت روحه في اليوم التالي أسفا على مالكه القديم .

ثم هناك شريط [illegible] وهو « الزرافة الأربعة » . وقد لقينا في سيرنا في جوف افريقيا حيوانات شتى « كالحمار الوحشي والبقر الوحشي » وقتائل العرب ، فلم يتركا شاردة ولا واردة رجدا فيها نفعا للقافلة إلا سجلاها على الشريط . وقد أضافا اليه صور مناظر السودان وغيره سجلاها واضافه الشريط الرسالية فزادا من قيمته وأهميته

***

هذه أمثلة مما تقدمه السينما إلى العلم والثقافة من خدمات وما تبذله في سبيلهما من جهد ومال . على انا وان كنا نرى منها الآن الصحب العجاب ، فان استقبال مستقبل مأمول سيرى فوق ذلك ما هو أدنى إلى المعجزات . وان كانت هذه الافلام بلغت نظر وزارة المعارف العمومية إلى أمثال هذه الأشرطة الاكتشافية ، فهي امكانها اقتناؤها أو تأجيرها من الوكالات السينمائية المنتشرة في القطر المصري ، وعرضها على طلبة مدارسها ، فهي لا تعلو فصلا عن التسلية من فائدة تساعد الطلبة على استيعاب ما يقدم اليهم من الدراسات الجغرافية ، وتولد في نفوسهم ميلا شديداً إلى أمثال هذه الدراسات التي طالما عسر عليهم فهمها قراءة وسماعاً

السيد حسن محمد

الرجل البكر

L'Homme Vierge

آخر قصة للكاتب الفرنسي الكبير مارسيل بريفو Marcel Prévost

تلخيص وتعليق : الدكتور احمد الصاوي محمد

هي قصة رجل وفتاة وفق . يراها الرجل ثم الفتاة ثم التقى كل من جانبه فاتحا براسه يؤيد وجهة نظره ويربت على أعلامه ويبدي فصائله ! . .

ما أصعب تلخيص هذه القصة ! . . سألخص لتعبي الاعذار مقدما ! . إن لقراءة تثقل الصفحات أو القوة فهي ضرب من العدوى كالتثاؤب ! . لن تريد أن تسمع من هؤلاء الفرسان الثلاثة ؟ . اما الرجل هو المذنب ، وأما الفتاة فهي الفريسة ، وأما التي هو الحكم . . إذن فآخذ الحكم ! . وسكتني أن أقول إنها هو هو الرجل البكر وندعه وندع معه المذنب وآثامه التي نرى نصفه في حين من أوشكها ونأخذ الفريسة نرى كيف تتهم البريء وتبرىء المذنب ! مسكينة « سيدونيا » فتاة لم تتكلف ولم تتكلم . . عاشت حياتها ، ونالت في الخير والشر نصيبها ، وذاقت حلوها ومرها . ولم تكن حبه ماثله

« هرفيه » Hervé ولدت كوت واسع بعض ميش في ضياع ، احاير La Gatere بعيداً عن المدن وصحبجها . رجل سيف في الرحال له زوجة كريمة النفس هي اليوم طريحة الفراش وهو من أجلها حزين وبسبب مرضها مصلوب . وكانت زوجته مارى انجليك Marie-Angélique تقبل ذلك وتنسى ألمها لتحنو على شقائه . وتنسى عليه لو التفت الى الصبية ماوسين ، ابنهما أرنال Arnal وهو ولد غض الاهاب ذكي الفؤاد . والبنت الاخرى التي تمت اليهما بعرق بعيدة وقد مات عنها أهلها فتبنوها . وهي سيدونيا Sidonie التي دخلت بدخولها البيت سعادة أهله أو شقاؤهم . بنية مليحة بكل المعاني وكانت تحنو على عمتها المريضة وتحبها لانها كانت حلوة ومتألمة . ولم تشعر الى جانبها بجناء . ذلك أنها انصرفت الى « أرنال » فرأته غرض حياتها ومرامها . وانها خلقت من أجله . أما عواطفها نحو « عمها » هرفيه فكانت مختلفة باختلاف الايام والادوار التي مرت بها . ولم تكن تلك العواطف مستمرة هادئة . بل كانت متقطعة ثائرة . كالاحلام التي يبعثها الحدر . مزيج من الحلم المخيف والكابوس ! . . أما أرنال فلو أنه عرض عليها وهما في

طفولتها أو في صباها أو في شبابها أن تمسه فعلت دون أن تودع الساما ، ودون أن تسأله الى أين يسير بها . وانها حل له بعمل بها ما يريد . وهي تذكر كيف كانا وهما يلعبان يتصارعان وكيف كانت تلقيه أرضاً لانها كانت أقوى منه ساعداً ، ثم كيف كانت تنحني عليه بعد ذلك تكل مشاعرها وتحدق في عينيه ، تود على قوتها لو أدرك أنها الضعيفة المطيعة ! . . . وانه ليس عليه الا أن يقول كلمة فترمي بنفسها عند قدميه ليصرفها هو ! وكم كانت توشك أن تسأله هذا ! . . ولكنها لم تجرؤ لان بها حياء العذارى . ولولا جده وجوده لما أمسكت لسانها وباحت له . وكانت ترى نفسها غير أثيرة عنده بأعجابه المطلق . وكان ذلك يذلها ويحطها . فينظر اليها أحياناً بقسوة تدعوها الى البكاء . فلما ؟ ذلك أنه كان يراها تتضع خضوعاً سريعاً كأنها سات شيطاني . تكونت تعطيع بدنها وظهرت وبرزت كأنها شخصيات صغيرة تنطق عن الهوى وتتكلم بلسانه ! وهذا الثوب من جانبه لحسنه ودلك الخصر الفطري فيه قبل سفره الى المانيا للدرس كان ضرباً من سوء التفاهم بينهما . أو أكثر من ذلك : حكم بأنه لا مجال للثقة بينهما . فكأنه يلومها لانها صارت امرأة قبلما يصير هو رجلا ! . . . ثم هو يمقتها بعد ذلك لانها وقد صارت امرأة لم تستطع أن تمحي في نظره الى الكائنات كلها ! . صارت شخصاً تأثر بالعين والسمع والشم والحواس كلها ويمس منه مثال من بدنه محسن ! . . ولم يكن يمنعها التجرد من طبيعتها وهو كل عملا منه أن يفعل ذلك أو يحاوله أو يحبه وليست سيدوبي آثمة لانها لم تكن استثناء

ولم تكن تحد محصر ثيابه تملأ . ولم تكن تسمع بالاعتداء على محسنته الجذابة . وكان كفيلاً بلفت نظرها ولو تلثم اثنتان من غيرها . وقد سمع بها أول يوم جاس فيه البيت وقال : « انها عبقة هذه البنت ، ولكنها قصيرة ، كأنها واقفة على راحتيها » فلما لم تنتب عن طولها طولاً صارت كأي سواها » . وقال ذلك بمسمع منها كما لو لم يعدر لها وجوداً . فمكث سيدوبيا تلك الليلة وأعولت وسحطت عليه . وأحست ما في قوله الخارج من خشونة : « قائمة على راحتيها ! » ولم تنظر الى المرآة بعد ذلك الا لتعيس عريها وسلخ جلودها عن كنفيها ! ! حتى كان صيف عامها الثاني عشر فاستوت عن طولها وطالت قامتها وكانت على كرهها للاب تضطر الى التفكير فيه عند عمل هذه المقايسة ! . . ولم يكن أوغان وحده الذي لحظ تحول سيدوبي . لان أباه لم يعد يمر بها إلا وينظر اليها كما كان يصل لاول قدومها البيت . وكانت أول مرة هاجت فيها مياه حياتها يوم نظر اليها نظرة عجلى بغتة قاطعة ، فيها التطلع وفيها التهكم ، نظرة ليست على الوجه وحده ولكن من الرأس الى القدمين في طرفة عين . فراود الدمع عينيها وسحطت عليه ولحقت بأرمال فزاد دلها الى جانب الفتى تتعرض عنها الذي يناقسها في اللعب وفي القوة كما لو كانت فتى مثله . وهي لا تنفك تفكر في الفتى دون الرجل . وترى انه لم ينظر اليها قط نظرة أبيه اليوم :

« وأنا مع ذلك لست بالسعيدة ! » . . . وكانت عند ذاك بين الثانية والثالثة عشرة من عمرها . الآن يتم عليها أنها صارت فتاة كما لو كان ذلك ذنبها . والأم يمقتها على ذلك ويحذره فيها فوق قدره ويرى في الفتاة امرأة ! . وهي تعود فتحن الى القطرة التي أحملتها وجرحتها . وقد بادرت تبحث عنها وتتشدها . وهي تتزلف طريق عنها استجداء نظراته . فاذا دنا اختبأت أو هربت . فاذا ظهر فجأة والقت عياء جبينها فكانها تمرت في مكانها ولعله نهى بذلك فقد تعددت المفاجآت والدهشات . وشعرت الفتاة بغريزتها أنها تعجبه وترضيه . بيد أنها لم تكن حريصة على ذلك بقدر ما كانت حريصة على أن تعجب وترضي أرنال

وهي الآن في سن المراهقة . وقد استبطت فيه المرأة . وتنبه القلق الحسي . وكانت في ذلك غير مذنبة لم تصنع لحمها ودمها وأعصابها وهي على بلوغها واهدة فيما يراه من فساد البنات أزاءها، تفعل عينها كي لا ترى، وتسد أذنيها كي لا تسمع . تنطوي على نفسها منفردة بذاتها فأنى لها ألا تسمع ضجيج بعلها كأنها الحي الذي يزأر من مخاض عظامها ؟ ؟ وأنى لها ألا ترى جسماً وهو يتقسم ويتكون ويبرز وينهد ويشخذ وينهض ويحولها على رغمها من بنت الى امرأة ؟!؟ وهي في هذا كله تتمنى شيئاً واحداً أن فهمها خدنها وردى لها وأقصى متاعها وفارس أحلامها وسلطان خيالها : أرنال . وكان اذا حان وقت انصرافه وقبل كلام صاحبه قبلة فاترة ذهبت الى غرفة نومها على أسف لأنها تود و أطالت نور النهار فطال معه لعبه وتمتعها بأرنال الذي صار الآن في الخامسة عشرة، وهي في الرابعة عشرة يسبل عليها سحر حديثه وإن كان يفعل بلا حسبان . وهي تحلو نفسها بلا شعور في صلاة قلبي بها في أشد حاجته الى تلك الحماية ! . وتسل عليها أشباح حبها السيوف وتشدها من شعرها وبزها من قدميها وتخمشها من بشرتها وتكهرب كأنها كلها ! فلا تفكر في غير أرنال ولا تتصور إلا أنه قريب منها غير معرض عنها حنون كما تتمناه ! . ثم يمر برق الحقيقة فتحل في مخيلتها صورة هرفيه محل صورة أرنال . فهو وحده الذي يتم لها وبعي بها ويلحظ اختلاف زينتها فيشير عليها بأن تلبس هذا الثوب أو ترفع خصلة الشعر التي تنزل على جبينها . أما أن حباً بينها وبينه فكان ما يزال عندها من المضحكات . ثم دعت هرفيه زوجته المريضة، وارادتها عنده عزيزة، الى التدخل في لعب أرنال وسيدونيا وفي درسهما . فأشرف على ذلك وكان لها خير ناصح ومسل ودنا من البنت فنشأت صداقة بينهما ولم تعد تخافه أو تحذره . وكانت تقاليد الأسرة تقضي بأن يسافر الولد البكر اذا ما بلغ أشده الى خارج فرنسا للدرس . فتقرر سفر أرنال الى ألمانيا . أحدوه عن رفيقته سيدونيا ولما تبلغ الرابعة عشرة . فحنت اليها أسفه على تركها . وهي تشعر وقد فارقها بالخلو والفراغ . فلم يعد يروقها جد ولا هزل ولا درس ولا لعب، فلم تعمد ذلك إلا معه . وهو يكتب اليها، ولكنه لا يقول إنه شقي من دونها وإنه راغب في العودة اليها وأن يلمسها ويعانقها، بل

يزعجها بتفاصيل مملة عن الطلبة والكلية وشوارع أثينا ! . . . وربما لواحدة في سبع هذا كله ! وأبى لواحدة على أبيه الذي فرق بينهما ، على أنه هو الذي كان أقرب الناس اليها بعد أورنال . فلما سافر حل محله . وهذه الخادم « أليسيا » رفيقتها الوحيدة في يومها لا تنفك إلا بذكر سيدها الكبير . وتقول . « ان أنات الملك من فتيات الحقول الى نساء القصور قد شغفهن حباً . فهو جميل حتى لتكاد تعدو تفاصيل جسمه من وراء ثيابه ! وله عينان من نار . يا لله ! . . لشد ما ارتكبت عيناه من خطايا ! . . على انه اعتدل بعد زواجه » . ولما كانت سيدويا تمتعض مدافعة عن جمال رفيقها أورنال كانت الخادم تقول ان سيدها الصغير فتى جميل حقاً كأبيه ، ولكنه دونه عظمة ، تلك التي تتجلى اذا ما دخل مكاناً فكأنه يقول . « كل ما هنا هو لي وأنتن أيتها النساء صنعاً ! » أما أورنال فهو شديد التحفظ فوق ما يتناسب وسنه ، ولم يشغل كثيراً بالنساء واذا صار رجلا فلن يتغير طبعه . ان الذي يشغل بالنساء يعمل منذ صومه الأظفار ! . ولعله لو كان على دين الأكثرية لأصبح راهباً ! . .

وسيدويا تذكر عندئذ أنها كلما ذهبت الى مكان تعمدت إطراء الفتيان حسنها على طول الطريق ، وفي الكنيسة صباح الأحد وفي الحفلات العامة التي تقيمها . فهم جميعاً يرون فيها ما لا يراه أورنال . ورد حتى هرفيه من جهته ، ويوفي درويس نفسه . وصار اذا ما انتهى الدرس أخذها تتره في السيارة الصغيرة التي يسوقها أحياناً بنفسها فيقف على الأرض وزراعها وغلمانها وهما يشقان الحقول ، مصارعة في كل دقيقة عوجت عجلة ، وأصبحا لا يفترقان . وكانت في ذلك معه شبيهة بالفتاة الكبرى مع أبيها . يملي بها حتى اذا حان زواجها غادرته دون أسف منها على نفسه ، على شجون أبيها . ولو أن أورنال عاد ريثما تزوجت في مغادرة هرفيه غير مكترثة بتركه بها ولكن لترده بعيد . وهي على حب رجل كل معاني الرجولة له جذب الحار والنفس الساحرة وكان صارماً وكان عزم الرأي ، وقد أحبها ، وصف سلطان أورنال على سيدويا فكأنه تجلى عن حنايها . صارت في طريق هرفيه معصمة العينين . وقد شاءت طبيعة العمل الذي يربطها والاشراف على الصباع أن تتناولا الغداء معاً في بيت مزرعتها التي ماتت في « أوبياك Aubiac » على بعضة كيلو مترات من « لاجتير » . وأن يناما القيلولة بعد الغداء . وقد فعلت البنت بحسن نية . ولكنها ما كانت تجهل تماماً ما يهددها من الأخطار . وقد رأت أول هبوب العاصفة ، فلم تجزع ، بل مضت قدماً تواجه كل شيء الا الفراغ ، وقد شعرت بالخوف . وطاب لها ذلك الخوف واحتبته وقد أحست أنها صارت سجينة ، ولم تعد لها الارادة لتتحرر وتنطلق وتنجو ، ولكنها ظلت أعلاها راضية . وقد ذهبت حيث تودها طبيعتها ويسوقها قدرها ، شيء من الوجل دون الأسف وشيء من الجزع دون الندم ، وليست في ذلك غير سواها من الفتيات ، بل ان كل فتاة كانت لا تفعل فعلها هي الاستثناء ،

وكأنها الفاكهة التي نضجت وحان أوان قطفها . فاذا أمسكتها اليد سقطت ، كأن الفاكهة كانت ستسقط في تلك اللحظة سيما ولو لم تمسسها يد

ثم كان اليوم الموعود . وقد دعت مع هرفيه بيت الصيعة المتعرد ، وليست أكثر أو أقل بهجة من عادتها ، وتعدينا معاً بشهية كعادتهم ، وهي تحب النبيذ ، فلم يصب لها هرفيه كأساً أكثر مما تعودت تناوله . وكانت متعبة بعد زيارة ثلاث ضياع ، فمال جلوسها الى المائدة . وجو مارس الذي تهب فيه روائح الصيف بدب فيها وبعمل عمله ، ويلبان الزهر ، ويأخذ الكرى بمعاقد أجفانها وبمج الزهر من يدها فيحملها هرفيه بين ذراعيه ويصعد بها الى غرفة نومها ، وهي تلقي برأسها الى كتفه استرسالا في التعاس

في ذلك اليوم قد وقع ما وقع بلا رعبة من جانبها ولا شدة من جانبه . والفرق بينهما انه كان في علاقتهما يسعى الى أين يذهبان . وكانت تجهل ذلك بعض الجهل . . . ولم تشعر لساعتها بانقلاب في روحها أو جسمها . ولم تشعر لساعتها بندم أو عار . لأنها ستشعر بهما فيما بعد حتماً . وكان كل ما شعرت به صرورة كتمان سرهما المشترك . والتستر على جريمتهما وقد ربطتهما الخطيئة بدل أن تفرق بينهما . ومضت ثلاثة أيام بلا حديث وفي اليوم الرابع قال لها وقد جلست في السيارة بجنوبه ، بصوت لا أثر فيه للاستعبرات « الى داهان الى أوياك » فسارت بلا تردد ، كما كانت تفعل منذ أرسله ربم نحو المجهول . أما في هذه المرة فقد صار المجهول عندها معلوماً

واقتربت أجازة الصيف . وحان عود أرمال ، فبدأ عاش حاورها ، وخيل اليها أنها ان تجرؤ على النظر اليه . وانه سيعدس على وجهها إثمها ، وان سؤالاً واحداً منه يكفي لينتزع منها سرها . وعاد أرمال من « برسيس » أشد عصباً وحماً مما سافر ، وراقته سيدونيا ، وهي اليوم الى قلبه أقرب ولكنه كان عن قلبها أبعد ، فقد أحنقها سواه ، وهي سعيدة بأنه سيعود هذه المرة الى المحلزا ، لان المحلزا أبعد من المايا وقد أرادت هدوءها وسلامها الى حد أنها لو علمت أن الحرب ستمد في بقائه بعيداً تمنت بكل أنانية أن تشب نار الحرب !

وعاشا العامين في غيبة أرمال ، سيدونيا وهرفيه ، يترددان على عش غرامهما بالبيت الصيفي في « أوياك » كأنهما معزل عن هذا العالم . وارتعت سيدونيا هذا العيش ورأت فيه قسمها ونصيبها . ولما عاد أرمال لفضاء أسابيع يلتحق بعدها بالجيش رأت أن الحياة عنها قد أرادت المفرقة بينها وبينه . ولكل امرأة كنوز من الارادة والمرعة تدافع بها عن هنائها ولو كان هذا قسماً آثماً . . وكذلك عدت نفسها هانئة ، ولعلها كانت هانئة بقدر ما يباح للنساء اهناء . . .

وسيدونيا الآن في التاسعة عشرة من عمرها وهرفيه في نحو الخمسين . ثلاثون عاماً بينهما . وهي على ذلك قد بدأت تحس في جسمها روعة الحب التي لم تتبينها من قبل ، ولم يعد السن

يساورها ، وصارت اليوم تقدر الحان والاعجاب اكثر مما كانت تعمل . وحدث ان كانا يوماً في ضيعة « أوبياك » وتعطلت السيارة ولا سبيل الى اصلاحها ليلاً كما لا سبيل الى عودتهما الى البيت راجلين فاعتزما قضاء ليلتهما في بيت « أوبياك » . وقد شعرت ليلا في ذلك البيت المنفرد باشتراكها في الجريمة اكثر مما شعرت أبداً . ولم يمض لها حين ، فانطرحت ونامت . . فاذا بالباب عند الساعة الحادية عشرة من نصف الليل يصح بريق ويدخل سيدها so nmaitre ! . . على أن ليلة « أوبياك » هذه كانت حداً فاصلاً في حياتها نالت هناء الجسم كله ، ثم ثارت ثورة الروح كلها ، ومن ذلك اليوم أحست إنها ولكنها عرفت أنه إثم جل . كانت حالية متحمسة للهوى واعية في معرفة كل شيء ، حاضعة ، متعادة مبدعة . . وكان هرفيه قديراً على أن يكشف دخائل قلب المرأة ويطلع على سريرتها . فهم وبدأ يحطم فيها بصبر ومعرفة أفكار الخير والشر في الحب . وكان يتكلم بدقة وعقيدة بحيث تحول فكرها وكان يرى أن قانون الطبيعة البديهي هو الذي يسود فانتصت . ولكل فطرات الحزن التي اصبت في قلبها والعار الذي تراه يلابسها قد حطما صبيتها . وكان هرفيه بعد ذلك من الأحكام المنشورة للوروثة على الجدود . ولم تحمد فيه حتى الحب من جانب ولا عذابات النفس من الجانب الآخر وكان لا يظن قد ذهب الى بيت « أوبياك » . والفلاحون يلحظون عادة كل شيء ، ولا حدث هذا الا تحدث به ، يذكرونهم بالحق والباطل ، فالتمسا العابات والاعراش . وآن لأرنال ان تعود لزيارة أمه في مرض موت وهي تريد أن تودع أيامها الاخيرة وهو يريد ان يستمر فيقيم في محيطه الذي نبتت فيه حتى الحياة وتسمت بايع حياتها بيدها ، وهو يحبها فيكون بجوارها ويتأسى فتدفن تحت كلكل تلك الصبا وبرعة الطفولة وهي تبكي لأنها تترك ذلك الوجه الذي يهب في نفسها كثيرة على النساء الذين يحيون حياة الخطيئة ، فيتمنون الخلاص وبدا لها أرنال الخلص ، فأحبته في ظل ندمها . وكان التغير ، عديمة التوبة ، بطيئاً متقطعاً ، ولكنه دب وسار ، بحفض من شهوة البدن ويزيد في عزة النفس ، فكانه هدية روحية تنشد السلام ، وكانه رفرفة جنحة ملائكية في جهنم الآثام .

وأحس ذلك هرفيه فثارت ثائرته ، وقال انه في بيته السيد الآمر ، وانه اذا احتمل بقاء أرنال شهراً فلن يحتمله شهرين وماتت زوجته بعد مرضها الطويل ، فعرض على سيدونيا أن تزوجه ، فأبت أشد إباء . وها في عراك دائم ، وقد صممت العناء أن تعزن وتعيش وحدها في البيت الذي ترعرت فيه بأوبياك . وأرادت أن تسأل أرنال رأيه في اعتزالها وأن تستأذنه حتى لا يجري حول ذلك العزم الصحفي القيل والقال . ولما أحمت عزمها على ذلك شاء القدر أن يراها هرفيه وهي تكاد تدق باب أرنال قبيل منتصف الليل . فيأخذها ويحملها الى غرفته وهي حائرة القوى ويبدأ يسألها كما يسأل العاصي متهماً عما كانت تريد أن تفعل؟ وقد زعم أنها

داهية تفعل مع الابن ما تفعل مع الاب ، لكنه ما عتم أن أدرك خطأه ، اذ أعلنت اليه رغبتها في مغادرة البيت واستئذان أرنال قبل ذلك ، فيتوسل اليها قائلاً ، ويستمهلها فلا تمهله ، ويعرض عليها ان تقترن به وهي تستنكر ذلك وتستهجنه وطالما يتجادلان اربع ساعات متواليات حتى تخور قوى سيدونيا وتسقط على مقعدها واهنة مغشياً عليها . فيحملها الى غرفتها ويلقيها على سريرها وهي في سبات عميق ، ويذهب يقبلها بلهفة في شعرها ووجهها وشفتيها ولا يتحرك لها طرف . . . ذلك الحقوق الجميل الذي امتع عليه منذ زمن طويل وأبى أن يعيش بعد في ظل الاثم هو الآن بين يديه ولا حياة فيه . صار مرة أخرى ملكاً لجسده وسخطه وشهوته . . . فيالها من ليلة في الليالي ! . . .

• • •

وتحطمت السيارة وفيها هرفيه وسيدونيا . ومات هرفيه وكادت سيدونيا تقضي نحبها من هول الصدمة . وقد كانت تسوق السيارة ويدها مشتبكة بيد هرفيه حتى قاوما جسراً خطراً ولم تشعر بعد ذلك شيء لأنها راحت في إغماء عميق . ترى . . أأراد هرفيه أن يموتا معاً وقد عاشا معاً وحان الفراق ؟ ! من يدري ؟ ! انها هي نفسها لا تدري . أما أرنال فهو وحده الواقف على الامر كله وله حق الشك . وقد كان هرفيه يعرف هذا فما نصح [illegible] دخلت المستشفى أخبر الطبيب أرنال بأن السيدة حامل ! . أحس هو في تلك اللحظة ببلاء الى ذكرناها كان هرفيه قد اعتزم أن ينتقم لنفسه من عادها وكرهها ورحبها في هجرها إياه وأن يربطها به على الرغم منها ومن تلك الليلة أصبحت سيدونيا أ[illegible] . وها هي الفريسة حتى بعد الموت لن تتحرر من سيدها تماماً . .

وها هي سيدونيا الآن ترقد على فراش وأرنال عند سريرها . أرنال ! . . ذلك الذي توسط عندها يوماً في زواج أبيه بها فكانت نورتها لأنه تحبه هو في الواقع ولم تحب غيره . وكانت تؤثره على حياتها وصاحت في وجهه " مرحى لنا نحول ! . أعندما تفتق عنه ذهنك انك بلا ريب على تواطؤ معه ، فقد لمحت اجتماعاتكما المتكررة ومؤامراتكما . . وهأنا أقول لك لتقول له بملء فمي أبداً أبداً . لن أكون له . لا زوجة ولا أي شيء آخر . والأولى لكما أن تقطعاني إرباً إرباً . . . يا للفظاعة ! . . إذ أعطيه الحق عليّ شرعاً ! . . قل إنه أنت أنت يا أرنال . الذي تمرح عليّ هذا الدنس ! . . على أن هذا طبيعي . فالمرأة عندك ليست شيئاً على الاطلاق . انها بهيمة . . صفقة . . كلمة . . ثم رونها : اذهبي مع هذا ! . . فتذهب . وتحسب نفسك بطلاً عظيماً لان لك في النساء هذا الرأي ! ؟ ! ولانك أنت نفسك تستعين عن النساء ؟ ! الاحرى بك ألا تفخر بهذا لو علمت ! . وان لك لسمعة طيبة . . . لو عرفت افتراءات الناس . . . لكن أنت وشأنك . وليس لك أن تمرح عليّ أفكارك . انك لا تعرف

ماهية المرأة . وكيف لك أن تعرفها ؟ أنت الذي لم تقدر . انك لا تستطيع ان تعرف قلب امرأة . . . ولا إحساسها . ولا كرامتها . . أجل ! .. كرامتها . فلا تزعم نفسك إلهاً لانك لم تمس امرأة قط ! يالله من برنامج جميل ! أي أرمال المسكين . أيها ليست بالحياة . حياتك ! . أيها حياة نبات . حياة شجر . حياة حجر ! وإني أوثر حياتي أنا . أجل لقد أحببت أخذاً مرذولا ، وكنت محبوبة ، ولكني لم أكن مائتة الشعور ، ولم أكن أنانية . ولقد أعطيت أحد الناس الهناء ، ولقد ملأت عليه حياته ، وكلّ خيرٌ من أنانيتك ، حتى والدك نعم ! نعم ! انه خير منك انه من جنس عريق ، هو ، وقد كان حقاً رجلا . وعندما أفكر في الصديق الحميم الذي كان يسعدني ويحميني ، أعتبر له كل شيء . وإني أجد حياته على وجه ما شائقة . . وهو طيب القلب حتى الصميم ، وشهم أي شهم ! أنه ليس بالرجل الذي يلقي الكلام في وجهه ولا يحرك ساكناً ! . . » وجرت سيدوريا في ذلك اليوم وهي تذرف الدموع وتصعد الزفرات . وها هي الآن لا تأتي بحركة ولا بأمة . وقد فقدت رجلها قبلما يموت ، ثم فقدته الى الابد تارة أخرى . وعادت لم يبق لها غير أرمال . الذي كان يصف حب الرجال النساء بالحيوانية والقذارة . وهو جعله في عينيها من الحلال و لأوهام التي لا تليق بالرجل وهو يرى نفسه غير أنه ليس من يسعد من دونه ما وجد رجلا يسعد المرأة بالحب ، وان كل ما يفعله الرجل هو أنه يعدي المرأة كما يأكل السمك . وكلامه عنده هو بعبوديته للآخر . حتى اذا ما انطفأت شهوة العبودية عندها سلاها يهم بها رجل أو يعبدها عبود أشد أنانية من الرجل السكر تقول : كلّ لنفسه . وليس لي الحمدي في نظره الا أعظم مظاهر الشرسة لأنانية الانسان ، وعود الى الوحشة لأول ما حرمه الاجتماع الذي يهمه سيدوريا به فيراه عندها ذل الخضوع من روح حائر خلق ليكون خادماً فهو يريد سيداً . ويلزمه آمراً ناهياً

وحده ! اليوم وغداً ووحده بقية الحياة . أجل . في هذه الوحدة قد ينشأ ضرب من عزاء بقلب . وليس في ماضيه على الاقل أي تذكار مهين . ولم يحدث له أبداً ان خدع أو دنس امرأة باسم « الحب » و « الحياة » ! ولما جاءت التضحية لم يتردد . بل وهب اسمه عن طيبة خاطر سيدوريا وابنها ، على شريطة أن يعيش وإياها كما عاشا في طفولتهما ، هما منه العطف الذي كان دائماً لها ، ولكن ليس لها أن تطمع في شيء آخر

وهي تعطي يده بالمبرات والقبلات استمتاراً واعترافاً بالجميل . ولعلها تقول في قرارة نفسها ما تقوله كل أنثى في موقفها ، تلك الكلمة ومرادفاتها المرتجى الأبدي :

« من يشتري ؟ »

احمد الصاوي محمد

المستقبل زاهر أمام الانسانية

مقالان لعالمين جليلين

١ – البروفسور آرثر طمسن العالم المشهور

لا ريب أن الصحة العامة في تقدم ، وسيدنى سيرعا الى الامام في المستقبل . فان الامراض الخاصة ببعض الحرف آخذة في الزوال والامراض الناشئة عن الطعام بات عاراً وخزياً على أهله . والامراض المكروبية تقهر شيئاً فشيئاً . وستزيد لحمه وتفنّ الشهوة اذا استمر عمل الشوه ولا بدّ من ان يستمرّ . وسكن كل اشارة جليلة نراها اليوم وكل تهكّم على يوسف (١) لا بدّ ان يؤخر مجيء الايام الطيبة التي نحلم بها

والجميع مقتنعون الآن ، لا بدّ من رياضة قوية لتشديد العضلات وإلاّ بقيت رخوة ولكنهم ليسوا مقتنعين جيداً بهذه الحقيقة التي لا تقل عن الاولى صحة ، وهي ان العقل يحتاج الى التمرين كالجسم والاّ بقي ضعيفاً بليداً

ولا فرق بين هذا التمرين او ذاك في تربية التفكير الصحيح ، فهو يقدم العلوم الرياضية وذاك النثر اللاتيني وآخر العلوم عمقاً وتجريداً علم الاخلاق . وسكن مهم التدقيق في الحقائق والاستقراء الصادق من المقدمات الثابتة وهو اول جعله الصدق في دورها الخلقي عندنا من ابوليس الى السياسي فلم نر فيها شيئاً فشيئاً سوف نبرهن على ان يكون عنتاً وخطأ

ولست اقول إن الايام الطيبة المقبلة علينا تمضي الى طول عام في قاماتنا العقلية ، ولكنني تنظر بثقة معقولة الى يوم يزداد فيه اصحاب الرءوس الصافية والعقول المفكرة في الارتقاء تفكيراً علمياً ارديادا عظيماً ، ويزداد معهم عدد الذين يفهمون عملياً ونظريا قول هكسلى ان غايته من الحياة : « ترويج المعرفة العلمية وتطبيق طرق البحث العلمية على جميع مسائل الحياة باذلاً في ذلك اقصى جهدي ومعتمداً انه لا يحسب بلايا الناس سوى صدق الفكر والعمل والوقوف في وجه العالم كما هو بعزيمة ثابتة »

وفي الايام الطيبة المنتظرة يتعود الناس تطبيق العلم على الحياة ويكون اول سؤال على الدوام

---

(١) تلميح الى قصة يوسف الصديق مع امرأة العزيز او امرأة فوطيفار كما ورد في القرآن والتوراة

ما هي حقائق المسألة ؟ والذي كيف تغير الاحوال الى أحسن منها ؟

وسبق جوهر التربية والتثقيف على الدوام ان نحط الدماغ الى حدوم مختلفة و تعلم كيف نستعمل عقولنا على درجة عالية من الثبات والدقة لنستعمل ارثنا الاجتماعي افضل مما نستعمله الآن ولكن جوهر التثقيف مؤلف من ثلاثة عناصر :

(١) ان نكون مطلعين تمام الاطلاع على الحوادث العظيمة في تاريخ امتنا وسرى تلك الحوادث

(٢) ان نعرف كيف نهتدي الى سعى طريقنا في عالم الطبيعة الذي نعيش فيه

(٣) ان نكون على بصيرة باحوال الصحة والسعادة في هذه الحياة

والتثقيف ليس مقصوراً على التربية الذهنية والعقلية بل يجب ان يشمل الحواس والمشاعر والاخلاق وزيادة العناية بالجسم على جميع ضروبه

ونحن الآن نرتعد فرائصنا من خوف فقد الفيتامين في طعامنا ومن سخف الفدة الدرقية فيتا ولكن حفدنا سوف يسألون عن تلاميذ المدارس في زمانهم هل يحصلون على الكثير من ولائم الجمال وهل لهم قوى عقلية مسيطرة

واذا دامت زيادة السكان على ما هي الآن فلا يبقى في الارض موطن قدم للوقوف . والمرجح ان ستحدث فظائع في سنة ١٩٨٠ الا في اقاليم [illegible] تحكم في المواليد . فاذا كنا نشكو الآن الكثرة في جميع انحاء الارض وفي كثير من ممالك العالم ، فان في الايام الطلية القادمة تكون مربة الناس اشد وسكنا فيه وجوده وصعوبة و تشرع المصدور

ولقد سار الشعوب القهقرى احياناً وكان سيرها احياناً كان في الامام . ومضت مئات ملايين السنين والحياة ترتفع زحفاً بطيئاً الى فوق والعقل يتحرر من ربقة العبودية شيئاً فشيئاً وليس ثمة من سبب يحملك على الشك في سير الشعوب الى الامام مدة ملايين السنين المقدورة لهذه الارض، ولكن ما هو هذا الرقي وما هو هذا السير الى الامام ؟

والجواب عن ذلك سهل فقد عرف الانسان ان حصوله على العافية والثروة ـ واريد بالثروة هنا التحكم في الموارد الطبيعية ـ يمس له رقياً يكون عبارة عن حركة توازن واتلاف في الجسم الاجتماعي الاكبر وسير الى السكان والنظام في سبيل الحصول على القيم العالية الغالية ـ اريد بها الصادق والجميل والطيب في الافراد والجماعات

لا نشك ولا نتردد في مجيء الاوقات الطلية ونحن الذين نعجلها فنسرع او نضع العراقيل في طريقها فنبطيء

٢ – السر أوليفر لودج العالم الطبيعي الانجليزي

نحن نعيش في زمن تتقلع الاشياء فيه من جذورها لنرى كيف تنمو . فقد قلب علم الطبيعيات رأساً على عقب فلا يدري أحد منا أين نحن . يدلك على عظم هذا القلب ان بعض الموجودات الاساسية كالمكان والزمان والمادة وضعت كلها في البوتقة لتصير وتصوغ ، حتى بات الناس لا يدرون هل المكان أو الفضاء حقيقة أم هو شيء لا يمكن تعريفه . أما المادة فقد تغير نظري اليها كل التغير ، وما زال نظرنا اليها دائم التغير

وقد يخيل اليك اننا نعرف الشيء الكثير عن هذا العالم، ولكن كثيراً من الاشياء التي كنا نحسبها عادية وطبيعية كثيرة الاطلاع عليها هي الآن لغز من الالغاز عندنا . ولابد لنا من درس كثير وسبر طويل لنعرف اننا لا نفهم الاشياء . والذي يجب ان نفهمه بادىء بدء ان الاشياء التي نعودناها هي غريبة عنا وخفية علينا كسائر الاشياء

على انه لا ريب مطلقاً في ان الانسان على تقدم مستمر ، ولا بد ان يجيء الزمان الذي يبلغ فيه الرجل المتوسط منا شكسبير وأفلاطون وسقراط ومن ذهب الزمان بعدهم . وبعد ذلك تبقى أمامنا قمم أعلى . هذا ما يلوح لي ان نتفاءل بشخص عنه . ولا مهى لنا من ان نعترف ان الانسان سائر الى الامام ، وانه الآن في مبدأ الامل فهو لم يتحصل منه الا على شيء يسير من كنوز لا تحصى يذخر لدوح الانساني كنوزاً كثيرة

يقول لنا الفلكيون ان الارض تدور حول نفسها كل ٢٤ ساعة ، وهذا الزمان لا يعد شيئاً مذكوراً في حساب الامل الذي نعلقه على الآتي . ومع هذا فنحن الآن نتضاءل أمام ما هو مقدور لنا في المستقبل . وكل شيء يتوقف على ما يستطيعه كل جيل مما اذ قدير ما عصر جنون يهدم كل ما بني الى الآن . فالواجب يدعو علينا جميعاً وخاصة الشبان منا ان نحذر لئلا يمر بنا عصر جنون آخر

وهناك فكرة حاطئة حقوها ان دماغ الانسان دائم الفكر ، ودائم تأليف موسيقى وشعر الشعر . فلا تحسبن ان الاشياء الكبرى تأتي كلها من جانب المادة ، بل من جانب الحقيقة – تلك القمة المجهولة. وحواسنا التي تمدنا بالمادة لا تمدنا بالاشياء الحقيقية فحسبها وبالرجاء الحاسب الذي دون غيره . فنحن كأن حولنا أسواراً تحجب عنا ما وراءها . وقد يكون هذا من الخير لنا لو استطعنا ان نرى كل شيء في الكون دفعة واحدة لطغا على أمرنا

ولقد أحزن كثيرين وأقلق خواطرهم تشبيه السر آرثر كيث لنفس الانسان بنور الشمعة . ولكن فكروا معي قليلا ، أنتم تطفئون الشمعة فأين هي ؟ ان روح الشمعة ليس في شحمها ولا في فتيلتها . فالعرض هنا النور وهذا هو روحها . والنور لا يطفىء ولا يحمد باشعاعه الى الفضاء .

ولنضرب مثلا فنقول : ان نور النار التي أضيئت في جميع حوانب الحظيرة في زمان « الارمدة »[1] لا يزال يتلألأ الى الآن . وعلى هذا المنوال نرى نور الكواكب كما كان منذ ميون سنة . وفي خلال ذلك الدهر الطويل كان النور يسير وكل شيء دخل الفضاء فلن نجد ما يصده عن السير فيه ويقف في سبيله

قلت ان الناس في غم شديد بسبب بعض هذه الاشياء المادية . وانواجب ألا يكون ذلك الغم وذلك القلق اللذان لا علة لهما الا تولية أبصارنا شطر نوحه للنظم خطأ ما . أما أنا شخصياً فأني أنا نحيا في زمان مفعم بالآمال من نوحية الدولية . أفلا تشعر معي بأنه يجري الآن شيء لم يجر مثله في تاريخ العالمين قبلاً ، وهذا الشيء هو سعي الناس سعياً أكيداً صحيحاً في تأييد مبدأ الصداقة والاخاء فيما بينهم حتى أصبح الذين كانوا أعداء بالامس أصدقاء اليوم . وانك لتستطيع النقل من مكان الى مكان بسهولة وسرعة حتى ترى العالم في عينك صغيراً مرسخاً بعضه بعض ولا أسهل من ان يعامل بعضنا بعضاً لو كان هذا يعرف لمه ذلك

تلك لاسبين في الحق الى أحفاد الام وصفاتها . وهذا يوجب علينا ان نكوّن وحدة متساندة يعضد بعضها على البعض الآخر ، وكل تساعدنا كانت سعادتنا اوفر . وليس لمه من ضرورة الى التشريع وسن القوانين كلما كلما عصبة عرمين . فقد اذا اشتد السعر من مكان الى مكان تأخذ معها حوارها ولماذا ؟ لانه قد يكون بعرم واحد بين ميون يجب على بقيه منا ان يعملوا بهذا النظام الاخرق لنظهر براءتنا

أحب أن أرى دلائل أكثر على الصداقة والوداد بين الامم ، ولا أريد ان أرى كل أمة تحسب الاخرى عدوة لها لكن كل أحد يعلن ان حاره يهم كل ساعة بمهاجمته والاعتداء عليه ولم أر بيت حداق وهو ان الانسانيين لا ان حق ان يعتدي علينا . ونحن سعق على التأهب ملأ كثيراً فسيح في حين ان نستعمله على الاقلال من السلاح فان هذا يساعدنا على المعيشة بسلام بعضنا مع بعض . ونحن فقراء ، لانا نسمع المال عن حروب الماضي والحال والاستقبال . وفي وسعنا ان نأتي شيئاً كثيراً لتخفيف هذا العبء الثقيل

وان أمام الناس مستقبلا باهراً جماعات وأفراداً . وليس النوع الانساني بالخالد والفرد فيه مقدم على الجماعة . والاشياء لا توجد للاجيال بل كأشياء فردية . هذا هو جوهر المسيحية ولبابها . فنحن نستطيع ان نعاون على رقي الانسانية وهو حرء من عملنا . فلنشكر فضل الذين يدّخرون في توثيق عرى الصداقة بين الشعوب ولنحمد كون زماننا على هذه الارض وقع في هذا العهد العجيب

أما الآن والرجاء عدتنا فنقول وحوها شطر زمان يكون أحسن من زماننا هذا . وانا نرى الافق زاهياً يبشر بصبح قريب

(خاتمة الرسول)

---

(١) الارمدة اسم أراد به الملك جيلب الثاني ملك اسبانيا فتح انجلترا في القرن السابع عشر

رب السيف والقلم

محمود سامي باشا البارودي

مضى الآن على وفاة محمود سامي باشا البارودي ربع قرن ، فلم يبرح ذكره في ميدان السيف والقلم ملأ الأذهان ، ويتردد على لسان كل قائد وأديب ، وشاعر وخطيب ، وكأن هذه المدة التي اندثر فيها كثير من الأدباء لم تنل من عظمة هذا الفارس الشاعر الذي عاش بأخلاقه وآدابه وخلا اجتمعت فيه كل صفات الرجولة العالية ، وضم بين جوانحه نفساً وليدة الشيم النبيلة ، وسليلة المجد والترفع عن كل ما يزري بكرم المحتد وشرف الأرومة فكان مثلاً حياً في أدبه وشعره وأخلاقه ، وشهد له جميع من حالطوه وعاصروه بطهارة القلب وعلو الهمة وحب الفروسية والسمو في الشعر الى حد ساوى فيه شعراء القرن الثالث للهجرة أو اقترب منهم

وقد سئل الامام الشيخ محمد عبده ذات يوم عن رأيه في البشاوي باشا ، والشيخ الشنقيطي ، ومحمود سامي باشا البارودي ، فقدم في الأول [illegible] ، وقال في الثاني انه علم من علماء النقل ، أما محمود سامي باشا البارودي فقد قال فيه [illegible] في مصر كثيرة المداون ، ولكن مصداقها سامي باشا البارودي »

وليست هذه الشهادة التي تنوه بها الأستاذ الامام إلا عن قلم رجل الذي هو من أهم أركان النهضة الحديثة وبعي عبد الشعر العربي في عصره الحديث ، بعد وهن شأنه في العصور الاخيرة بعد انهيار الدولة العباسية ، وحصره العثمانيون بلغاتهم التي أجنبت اللغة العربية ، فأخرت وضعف شعرها وشعرها ، ثم يظهر في هذه البيئة الطويلة التي تمتد بين آخر القرن الثامن ومنتصف القرن الثالث عشر للهجرة عدد أفراد معدودين لا يثير الباحث في شعرهم وشعرهم على شيء إلا كما يعثر المعدّن على فتات من المال في الفحم الحجري

ولما ظهر البارودي بآياته الشعرية الرائعة كان ذلك بمثابة فتح جديد ونشر للأدب العربي في أعلى مظاهره ، وقد مكنه حاملاً لواءه قبل أن يبن إلى سيلان وبعد فيه ، مع أنه ظهر في عصر لم يكن للشعر فيه تلك المكانة العالية التي ظفر بها البارودي ، وامتلك عنانها ، وأصبح السابق على في ميدانها ، وكانت له الامارة بحق على الشعراء

حياته الأولى

حياة البارودي الأولى سلسلة من المجد والعظمة والجاه وان تخللها بعض المواقف التي كانت سبباً في إذاعة صيته واشتهار ماله من كفاءة حربية ومقدرة في فنون الشعر ولا سيما وصف المعارك والافتخار بأصله و[illegible]

وقد ولد سنة ١٨٤٠ بالقاهرة في حياة والده حسن بك حسني أحد أمراء المدفعية في الجيش المصري ، فأحاطه برعايته ، وجعله يتلقى دروس الأخلاق الفاضلة على أبناء أسرته حتى كانت سنة ١٨٤٨ فشرع يتعلم بمدارس العلوم بإرشاد نخبة من الأساتذة الذين يحضرون اليه في منزله ، ويقتبسون من ثمرات القرائح ما انتفع به في مستقبل حياته ، وكان والده قد توفي قبل ذلك بعام ، فبقي من أسرته ما شجعه على المضي في سبيل التعليم ودخل مدرسة الحربية وعمره اثنا عشرة سنة فمكث بها مثالا للجد والتفوق ، وتخرج منها برتبة ملازم ثاني حوالي سنة ١٨٥٥ . ثم صار يتقلد المناصب السامية حتى عين وزيراً للوزراء سنة ١٢٩٩ الهجرية

وقد مارس صناعة الشعر منذ كان تلميذاً فقرأ دواوين الشعراء المحدثين على معلمي المدارس الذين كانت لهم دراية بعلومه ، ومما لبث أن أدرك تراكيب العربية البديعة فسمح على منوالها ، وأحدث بها كيفيات في روعتها وحسن انسجامها ، فنشأ مأثراً بها مقتفياً طريقة شعراء الطبقة الاولى

وقد تعلم سامي البارودي اللغة التركية وكانت في عهده لغة الطبقة العالية في مصر ، فنشأ فيها ونظم بها عدة قصائد عامرة ، كما تعلم اللغة الفارسية أيضاً واقتبس من أدبها ما كان حليه حساء فيما أتى به في أشعاره من معان رائعة

ولم يكن شأنه في ميدان الحرب بأقل منه في ميدان الشعر ، فقد أظهر كفاءة حربية نادرة فيما اشترك فيه من حرب كريد حين [illegible] سنة ١٨٦٨ ، وأرسلت مصر جيشاً لتأديبهم كان به البارودي برتبة ملازم أول حرب ، فأدى من الفنون الحربية كان لها أثر كبير في نيله احترام نظرائه من الانصار

أزهد السياسة

فعين البارودي [illegible] في عهد الخديو اسماعيل . وقد ألحق بالحرس الخديوي بعد أن رجع من حرب كريد سنة ١٨٦٨ ، فاصطفاه اسماعيل باشا ، وجعله كاتب سره الخاص ، ثم انتقل من هذه الوظيفة الى عدة وظائف أخرى حتى كانت سنة ١٨٧٩ فعين مديراً للشرقية . ولما تولى الخديو اسماعيل في هذه السنة ، واسطرت شئون مصر الادارية تتدخل الدول الاجنبية فيها ، انتدبت الحكومة محمود سامي البارودي لرئاسة النظارة ، فاعاد الامن الى نصابه ، وهدأت الخواطر الثائرة ، فكافأه الخديو توفيق على خدماته بان عينه وزيراً للاوقاف ، غير ان ظلم حكام الاقاليم في ذلك الوقت كان داعياً الى استمرار الخواطر مرة بعد أخرى . وكان البارودي من طبعه ميالا الى العدل والانصاف ، وظهر في ذلك الوقت الحزب الوطني الذي كان يدعو الى الحياة النيابية وتشريع العدالة والدستور ، فاختار البارودي وأخذ يمد سراعا بمبررحياته ويؤيد مطالبه

فكان هذا سبباً في تمزق الوطنيين به ، وفرصة انتهزها أعداؤه للكيد له عند الخديو حتى انتهى الامر باستعفائه من نظارتي الجهادية والاوقاف ، وفي ذلك يشير في قصيدته بقوله :

عسى عليَّ حميتي تألبوا ... حرباً عليَّ وأجمعوا ما أجمعوا
وسعى فريقهم بما سنوه ... سعياً يبين الى الملام توسعوا

لا عيب فيّ سوى حمية ماجد والسيف يظبه للصاء فيقطع

وما نقد شريف باشا رئاسة النظار دعا محمود سامي باشا الى نقد نظارة الجهادية ، فاصر على الرفض حتى دعاه الخديو توفيق باشا وأبدى له انه لم يسيء به ظناً قط وانه يعتقد اخلاصه وولاءه فاذعن للقبول خضوعاً لاوامره

رجع البارودي الى الحكومة ، وكان في موقفه بين الحزب الوطني والحكومة أشبه بالمتناقض ولكن هذا التناقض لم يكن الا في الظاهر فقط ، أما في الباطن فانه كان من دعاة الحياة النيابية واقامة الدستور ، ولم يظهره في مبدأ الامر عظهر الوطني الصريح الا اعتداله وعدم تهوره اتقاء ما يحم عن الطرف من وحيم العواقب خصوصاً والاجنبي واقف بالمرصاد يتنهز الفرصة لاحتلال العبيمة

وقد ثار الوطنيون على المطالبة بالحياة النيابية حتى فازوا بها ، واعتمد الخديو لائحة مجلس النواب الذي تم انتخاب أعضائه في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١ ، وكان مؤلفاً من اثنين وثمانين عضواً تحت رياسة سلطان باشا ، وكادت الامور تسير على خير ما يرام لولا دوول الغرب والمرصون الذين أخذوا يهدمون تعاول الدسائس حياة علق الوطنيون عليها أملهم في انتشال هذه الأمة من وهدتها والسير بها الى الامام

البارودي رئيس الوزارة

ولما قام الخلاف بين المجلس وأعضاء مجلس النظار في ٢ مارس سنة ١٨٨٢ بشأن الميزانية ، عارض قنصلا فرنسا وانجلترا في حق النواب في تقرير ميزانية ، فاشتد في استحكام الخلاف ، وأدى الى استقالة شريف باشا ، وتألفت نظارة برياسة محمود سامي باشا البارودي الذي ألح عليه الوطنيون في تقلد رئاسة حتى قبلها ، وعد ذلك نصراً عظيماً للحزب الوطني ، وكانت هذه الوزارة أول وزارة شعبية وليدة الانقلاب الحديث

وقد أسرع البارودي باشا بعد ان تقلد رئاسة الوزارة الى الموافقة هو وزملاؤه على لائحة المجلس وذهب بها الى النواب في ٨ فبراير من هذه السنة ، وقدمها اليهم ، ثم ألقى عليهم هذه الخطبة التي نقتطف منها ما يأتي :

« أيها السادة النواب ، اني سعيد الطالع بحضوري بينكم حاملا الى حضرتكم القانون الاساسي . . ألا اني أعلم كما تعلمون أن مجرد وضع قانون على أصول الحرية وقواعد العدالة لا يكون في وصول الى غاية المقصودة من اجتماع حضراتكم ، بل لا بد أن يضم الى ذلك حرص الهمة من كل واحد منكم في المحافظة على حدود هذا القانون ودقة النظر في الوقوف عندها بحيث تكون جميع الاعمال والافكار منحصرة في دوائره . وقد قال عقلاء السياسيين أن الوصول الى هذا النوع من الكمال ، أعني حصر جزئيات الاعمال وكلياتها في دائرة القانون ، انما يكان بعد العناء وطول التجارب ، ولكني لا أعد هذا صعباً عليكم

« وفي أمم اليكم تتحققون ما بلغ أبناء البلاد فيكم عندما تتحدثون في الاعمال المهمة التي تباشرونها الآن مباشرتها بأن تتأملوا صادق النظر قبل الوقوف على ما به خير بلادكم ، وتوجهوا الى ذلك ماضي الهمم حتى لا يضيع الزمن الطويل في الحصول على فائدة قليلة . وهذا لا يكون الا بتخليص الافكار وتعيين

الطوارئ من شوائب النزعات الشخصية ، بان تجعل الاعمال وقفاً على المصالح العمومية التي نفعها في الحقيقة عائد عليكم وعلى أبنائكم

« ان التفات النظر المحسوسيات ينمي في القلوب محامدات وصفات تحمل على الخلاف الدائم . وانكم تعلمون ان الذين وقفوا الى ذروة العز وبوح الشرف لم يبلغوا ذلك الا باخلاصهم في طلب النفع العام فاعترف العالم بفضلهم وأحبتهم القلوب ، وأحبتهم أعلى منازل ، فتذكروا في مكايهم مقاصدهم تحية الاخلاص »

على أن هذه الحياة الهانية ما لبثت أن دب حولها دبيب الفناء ، وتم بعض ضباط الثورة كسة والاحتياط بالكيد لعرابي وأنصاره ، وخرجت الحركة الوطنية من طورها السلمي الى طور العنف والاضطرار ، وقامت احتجاجا وفرنسا بارسال بلاغ ثاني الى الخديو توبخ تقولان فيه انهما يؤيدانه ضد الثوار ، وشفعتاه بلاغ آخر تطلبان به اسقاط الوزارة ، فاستقال محمود سامي باشا ولزم داره متعداً عن الحكومة ورجال الثورة العرابية ، حتى اذا شبت نار الحرب بين مصر وانجلترا دعاه عرابي باشا الى قيادة فرقة الصالحية فأحب على كره منه صد ان صحبه هو ورجاله بألا يبرحوا الحرب فلم يفعلوا ، وفي ذلك يقول :

صحت قوي وقلت الحرب مصلحة ورب ما تاح أمر غير مظنون
فالقوني وشوها مكارة وكان أولى بقومي لو أطاعوني

وانتهى الامر بانكسار العرابيين في هذا الحادث المشهور ، وكانت نتيجة ذلك ان حكم على زعماء الثورة وفيهم البارودي بالاعدام ، ثم أبدل الحكم بالنفي المؤبد ، ففي مع من نفي الى سيلان ، فمكث بها سبعة عشر عاماً الى ان كان يوم ١٧ مايو سنة ١٩٠٠ حيث صدر الامر بالعفو عنه

عوامل بعث النفس

عاد البارودي باشا الى مصر بعد ان عفا عنه الخديو عباس الثاني ، فاستقر بمصر حتى احتاط به عشاق الادب الذين ظهروا في العصر الحديث ، وأخذ يتردد على مجلسه كل من اسماعيل صبري باشا ، وخليل مك مطران ، وشوقي بك ، وحفني بك ناصف ، وحافظ بك ابراهيم ، ومحمد بك هلال ، وغيرهم من ذوي الفضل والمكانة في الشعر والادب ، وكان أهم ما يعجبهم اليه علو نفسه وعزة ادبه . وفي ذلك الوقت حمل يختار مؤلفه « مختارات البارودي » ويساعده في نسخه كاتبه الخاص الشيخ ياقوت . وصار راس المجلة المصرية التي انشأها خليل بك مطران بعض قصائده من حين الى حين ، وتوثقت بينه وبين خليل بك مطران رابطة الصداقة حتى انه لما مات عمه حبيب باشا مطران عزاه بقصيدة بائية لا نجد لها اثراً في ديوانه ومطلعها :

أعزيك لا أني ظننتك جازعاً خطب ولكني عهدت نواحي

ومما يذكره الذين عاصروه في أيامه الاخيرة انه كان مثالا للخلق العالي وعزة النفس ورقة الحاشية ، لا يجابه أحداً بما يكره ويوحي في احاديثه الى الماضي البعيد ، وكان لا يخوض في أخبار الثورة العرابية ، ويتحاشى الكلام عليها رغم الحاح بعض جلسائه ، وكان يقول اذا سأله أحد عنها : « ان الكلام في هذا الموضوع قد يتناول أشخاصاً صاروا في ذمة التاريخ ، وليس من المروءة أن نتكلم عن شخص لا يستطيع الدفاع عن نفسه »

ولم يسمع قط انه فاضل بين شعراء العصر الحاضر فقدم أحدهم على غيره ، وذلك اتقاء ما قد يصيب بعضهم من عصاصة اذا أصدر رأيًا صده . وقد حدث أن عزمت الحكومة في عهد الخديو عباس على اقامة حفلة عباسة عيد جلوسه على الاريكة المصرية ، ودعت كبار الشعراء لالقاء قصائد فيها ، وأعدت لهم مدالية مختلفة بحسب احداثهم ، وكان رئيس لجنة الاحتفال عبد القادر باشا حمدي ، فاختار للتحكيم في هذه المسابقة الشعرية . محمود سامي باشا البارودي ، والشيخ محمد عبده ، واسماعيل باشا صبري ، والاستاذ عبد الحسن الكاظمي ، وأرسل لهم عبد القادر باشا الدعوة للحضور في ميعاد التحكيم ، فلم يلبث البارودي ماشا أن اعتذر بحجة أن الحكم بين الادباء صعب ، واعتذر الشيخ محمد عبده بهذه الحجة أيضاً وتبعهما اسماعيل باشا صبري ، وذلك لكيلا يجرحوا بعض أصدقائهم من الشعراء بتركيب الحكم ومثل هذه المسألة للتاريخ الذي يحمي حسنات الاديب وزلاته ، ويستطيع بعد الاحاطة بحيثياته أن يحكم له أو عليه

وكان البارودي مثالاً للعطف وسماحة النفس ، كما كان مثالاً لنبعة الجود وايثار الصديق : أخبرنا بعض كبار الادباء أن حافظ بك ابراهيم حينما كان اماما للمؤسسة حادثه ذات يوم وأنشده قصيدته الدالية التي مطلعها :

تعمدت قتلي في الهوى وتعمدا ... فهل تحت عيبي ولا لحظه اعتدى

حتى جاء الى قوله

أثبت وفي [illegible] ... سيقضي عليها كربها اليوم أو غدا

فان لم [illegible] ... تودع مولاها وتلقى الردى

فبكى البارودي وسأل حافظ بك عن خطب حبيبه فاخبره بمرض السيدة ، ثم قام وهو مظروف به أربعون جنيهاً وهو قيمة معاشه وما تمسكه في بنك ابوظبي ، ولم يكن ملاه له قد ورد اليه ، وقال لحافظ : « اني أبكي دم قلبي على بعض قصيدة فكيف بمن يفقد من هذا القبيل »

وفي هذا الحين كان قد أصيب شوقي في عينه فاشتد عليه المرض لاطباء بالعراء عجزية بهما ، فاحزنت له ، ولكنه لم يستسلم ، فأرسل اليه صديقه الاستاذ محمد بك هلال قصيدة يهون فيها مصابه ، قال في مطلعها :

ما لعينك يا محمود من أم ... وللمكارم ما حملت من سقم

ما دا يريد زمان السوء من رجل ... جمع المكارم بين السيف والقلم

فرد عليه البارودي قصيدة نشرها لأنها لم تنشر في الديوان :

سقمت بالعين فاسمع ما وعاه فمي ... فأنت أولى بذاك الغر من كلمي

أنا هلال لقد صادفت منتصلاً ... بين الجوانح فانزله ولم ترم

أوليتني منك فضلاً قد ملكت به ... قلبي فهاك يدي بالود فاحتكم

ان المودة ان صحت عدت مثلاً ... بين الأباعد سهم عن الرحم

فثق بنعمة ود غير كاذبة ... مني وعروة حب غير منفصم

وقد لزم عبيه هذا المرض الى ان توفي في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤

مؤلفات البارودي

ليس بين أيدينا من مؤلفات البارودي غير مختاراته ، وديوانه الذي لم يكمل بعد ، ويذكر شارح ديوانه ان له مؤلفاً نثرياً سماه « قيد الأوابد » وهو من أحسن النثر وأسمه ، وقد كتبه بخط يده ، ولكنه لم يطبع بعد . وهذه المؤلفات قليلة بالنسبة لما كان عليه الرجل من علم وأدب ، ولاسيما انه كان أول من اهتم في مصر بجمع الكتب المبعثرة في المساجد ووضعها في مكان واحد ، فكانت هذه الكتب أحدى الدعامات التي أسس عليها علي باشا مبارك مكتبة دار الكتب الخديوية

غير ان الذي يستعرض حياة البارودي يجد بمجموعه من عواصف حربية وسياسية لم تدع لصاحبها فراغاً يخدم فيه دولة القلم كما خدم دولة السيف ، على أن هذه الكتب وان كانت قليلة في عددها إلا أنها حوت من التراث الأدبي ما يصح أن تفخر به اللغة العربية

فأما مختاراته فقد ضمت خلاصة ثلاثين ديواناً لأشهر الشعراء القدماء أمثال أبي نواس ، والبحتري ، وأبي تمام ، والمتنبي ، والشريف الرضي ، وابن الرومي ، ومهيار الديلمي . فانتقى من أشعارهم ما استقام وزنه ، وحسن معناه ، ووضعه في باب خاص به ، وربما أحدث فيه بعض التغييرات الطفيفة التي لا تغير بالأصل وتلائم انسجام البيت مع سائر أبيات القصيدة . ولكن هذه الطريقة — مع ما فيها من النفع لأنها تحفظ شعر هذه الطبقة في مجموعة خاصة ترجع اليها — ليست من الطريقة الأدبية حيث يفضل باب منها ، بل هي في اعتقادي تشوه جمال الشعراء ، خصوصاً اذا علمنا ان القصيدة تتحلى بنسق الشعر وتتجه اتجاهاً خاصاً من أولها الى آخرها ، فبعض أبياتها هو بمثابة نبض قلب لروح صاحبها ، وأشبه بالخيوط السحرية التي تربط أجزاء الزهرة من أوراقها والتحامها فيما بالأزهار ، وفي ذلك من صنع جمال القصيدة ما فيه

أما ديوانه فهو يحتوي على جزئين الأول يحتوي على شعره الذي نظمه قبل نفيه ، والثاني بعد الغاء ، وهذا يدل على أن الديوان كله لم يتم نظمه بعد . والسبب في ذلك انه بدىء بنظمه في أوائل الحرب الكبرى وقد غلا سعر الورق في سنة ١٩١٥ أوقف نظمه لاستغلاله قدراً كبيراً من المال . وعندي ان هذا السبب لا يقوم حجة في مقدار ما بقي من التراث الأدبي لهذا الشاعر الكبير ، لأن البارودي كان في غنى عن أن ينقل اليه شارح الديوان جميع ما ذكره « لسان العرب » في تفسير الكلمات اللغوية وشرحها والاستشهاد بشعر الجاهليين عليها ، حتى ملأ بذلك من ورق الديوان في الشرح أكبر مساحة ولا احتياج بنا عن ذلك تشويه الديوان وتأخر طبع ما بقي منه

مذهبه الشعري

كان مذهب البارودي في الشعر مذهب الذي يعتد بأن روعة اللفظ تأتي أولاً ، وقد راقبه أشد المراقبة انتقاء الأساليب الفصحى فحافظ عليها وسار على نمطها ، بل كانت نفوسه ذاكرته في بعض الأحيان فيأتي بشطرة كاملة لبعض الشعراء حين ينظم قصيدة ويدخلها في شعره كما في قوله :

عناء ويأس واشتياق وغربة ألا شد ما ألقاه في الدهر من عنى

والاصل كما في ديوان الحماسة :

عناء ويأس واشتياق وغربة ونأي حسب ان ذا لعظيم
وان امرءاً دامت مواثيق عهده على مثل هذا انه لكريم

ومثل قوله في القصيدة الاولى من الديوان :

انا ممن مطوي الفؤاد على هوى لولا الدموع دكت به الحوباء

فانه أخذ الشطر الأول من قول الشاعر :

وفي الحي مطوي الضلوع على هوى ممن يدعه داعي الغرام يلبه

ومثل ذلك شواهد كثيرة يتنبه لتطلع على ديوانه ، سواء أكان ذلك في اللفظ أم في المعنى . ونلاحظ انه كثيراً ما جاري في بعض أبيات قصائده الشريف الرضي وأبا نواس ومهيار الديلمي ، فشعر حيث سار هؤلاء في جدد ليس به عثار

على ان ذلك لا يحط شعر البارودي فكثير من قول الشعراء رأت أقدامهم فلم يحفض ذلك من شأنهم ، ولعل رأس البارودي أعلى من رأس أبي تمام ، ووريثه خير من وريث المتنبي

وقد صرح عبده الشعري في مقدمة ديوانه فقال . « وخير الكلام ما التذت الفاظه ، وأنقت معانيه ، وكان عري الأعطاف من وصمة التكلف ، بريئاً من هشوة التصنع عيا عن مرتبة عبقرية ، عرى من هذه الوصف كيف كان البارودي يفهم الشعر ويقدره وفي سبيل ائتلاف الالفاظ وبرئه من هشوة التصنع — كما يقول — صحى بكثير من المعاني التي تعد من آيات القرائح ومعجزات الاذهان . وإنك لتجد بعض أبيات قصائده شبه ما تكون بالثوب المنسوج من المكتوب . وأبيات بعض الدواوين التي تعد من روائع المعاني قصائد البحث عما تحتها من المعاني ، قال من قصيدة في الغزل :

كلف نفسه الصبر عن لقا فصب فيه الجد والشعراء
فتقصب كل فتى غرام كامن وتعطف كل مليحة حسناء
فدع التكتم يا طبيب فانما داء الهوى ولكل نفس داء

فأذا قرأت هذه الابيات رأيت فيها رقة وانسجاماً في التراكيب ، وعذوبة في الالفاظ ، فتدني المعنى وتأخذ في انشداده عندها حتى تنتهي من القصيدة ، وحينئذ اذا سألك سائل عن رأيك في القصيدة احسنت ام لم تصب قصيدة عصماء ، ولكن اذا سألك هل فهمت منها شيئاً جديراً بالفهم كان الجواب فيه نظر . . .

نعم ان للبارودي عناية بالالفاظ أدت به الى اهمال المعنى ، ولعل ذلك عدوى اصابته من بعض الشعراء أو من وسطه الادبي الذي لا بد له من التأثير فيه مهما سمت نفسه عنه وسبق فيه امداده الى ما قصرت عنه هممهم . على أن لنا من شعره مجموعة حصة تعد ثروة ثمينة في الشعر العربي

طاهر الطناحي

سيد العلوم والفنون

الأرشيف الصناعي

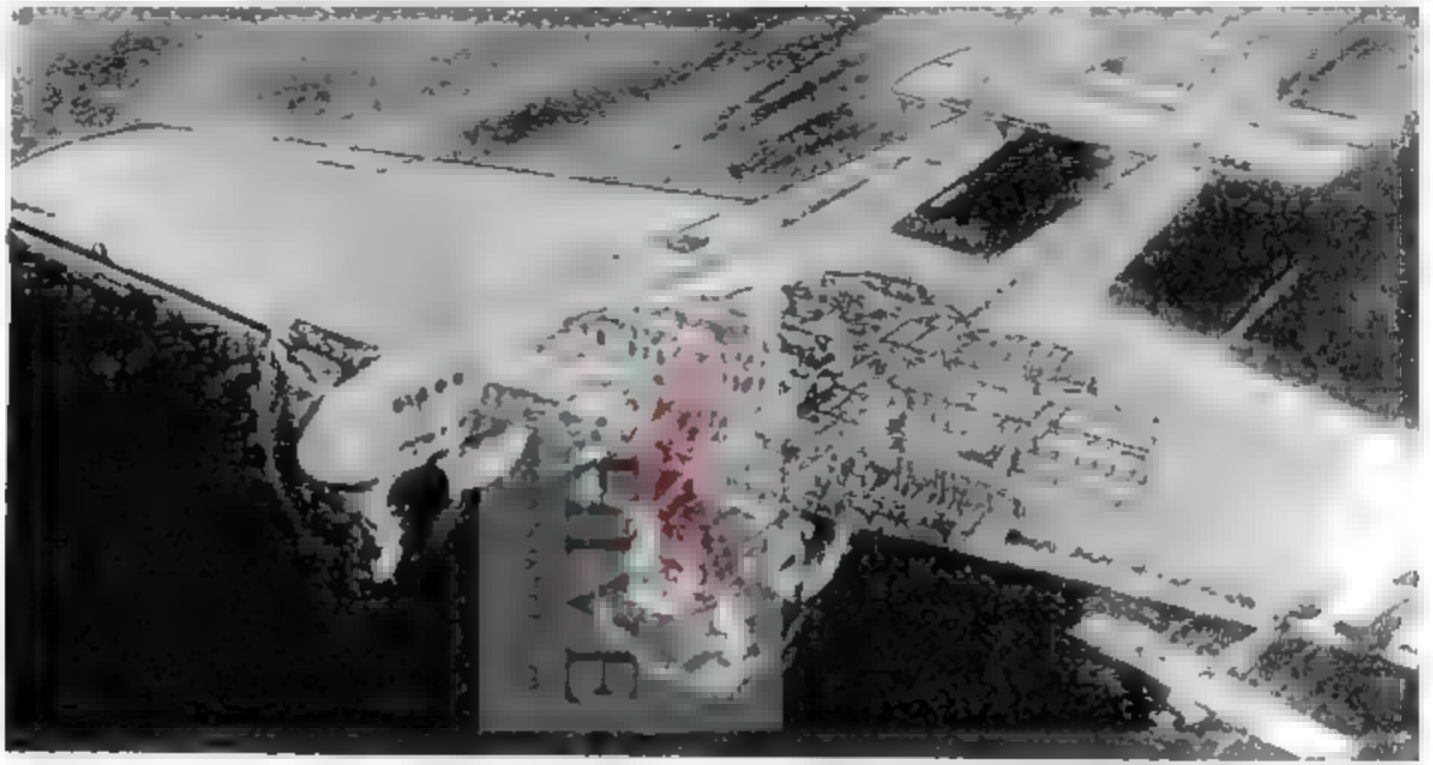

طیارہ گرنے کا منظر

KONICA

قذف بحري الاسم الذي
[illegible]
٤٠
[illegible]

الوزن عديدي عظم موطن
[illegible]

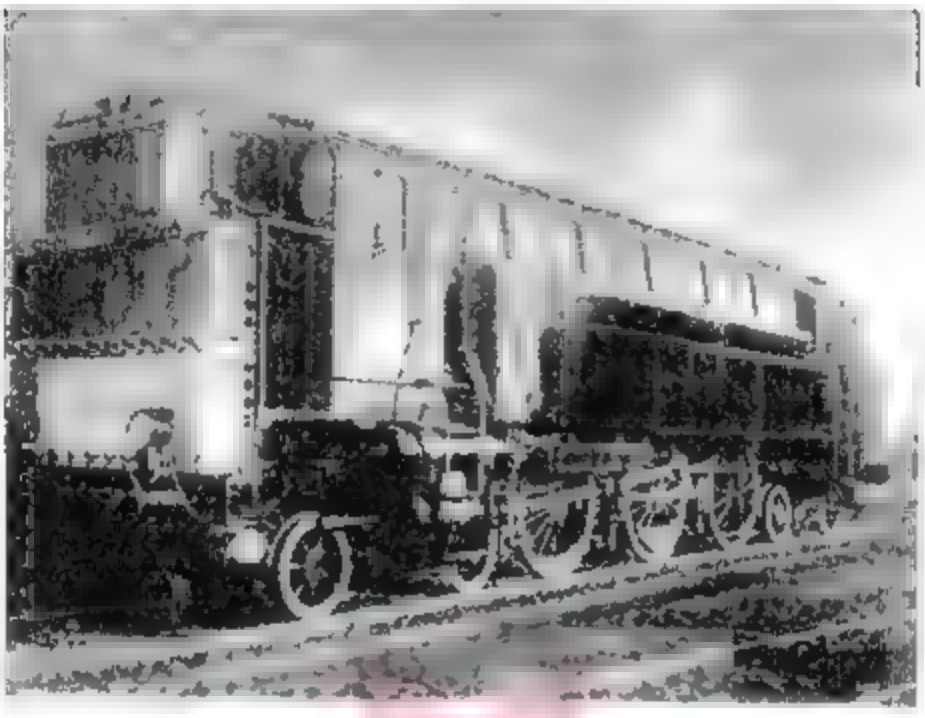

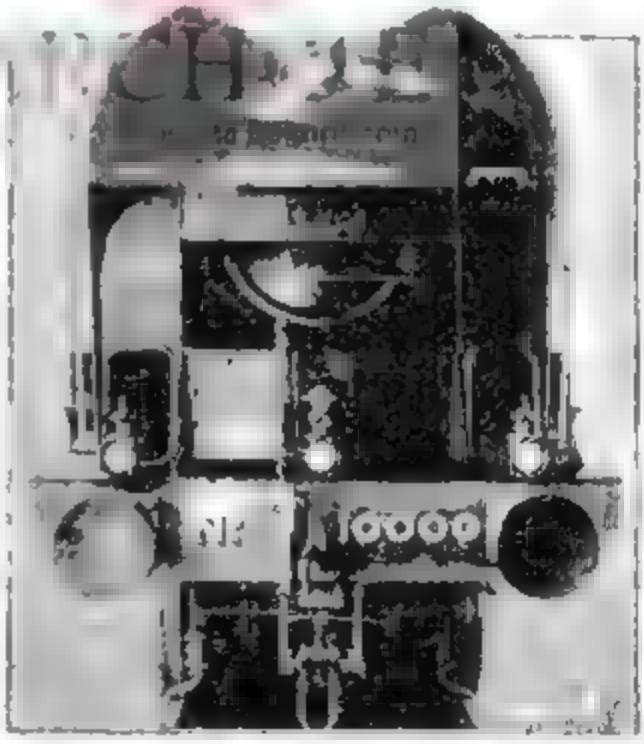

الحياة في غير الارض

مر بالقاهرة البروفسور هنري توربس وصل الاميركي أحد أساتذة جامعة برنستن . فدعته الجامعة الاميركية لالقاء خطبة فيها فلبى الدعوة وألقى مساء الاثنين في ١٣ يناير الماضي خطبة موضوعها « هل في العوالم الاخرى حياة »

وكانت القاعة غاصة بالحاضرين فخطب البروفسور خطبة دامت ساعة وكان يلقيها بسرعة لئلا تفوته الفرصة

وخلاصة الخطبة ان في الكون نحو الف مليون عالم مثل عالمنا وشمس مثل شمسنا ونظام فلكي مثل نظامنا . وتلك الشموس منها ما هو أكبر من شمسنا ومنها ما هو أصغر منها فالشمس معتدلة بينها

وهي لا أحياء فيها لشدة الحرارة ولا عجب شيئاً البتة عن سيارتها وتدور حولها [illegible] بعضها عما وصغرها عدد على قولهم ان هذه السيارات تابعة لها

فيمكننا والحالة هذه أن نقصر كلامنا على السيارات التابعة للشمس

أما المشتري (جوبتر) ونبتون وزحل (ساتورن) وعطارد (مركوري) من هذه السيارات حارة لا تعيش عليها مخلوقات مثل المخلوقات والاحياء التي نعرفها على هذه الارض

يبقى الزهرة (فينوس) والمريخ (مارس) وهما أبرد ولكن الاولى لا اوكسجين فيه بخلاف الثاني فان فيه أوكسجيناً وبخار ماء وغير ذلك مما يلائم الاحياء . والمرجح ان فيه حياة نباتية ، وأما الحياة الحيوانية فلا سبيل لنا الى معرفتها

ذوب الرصاص ومسه باليد

نشرت مجلة ناتشر عدة رسائل لكتاب عنوان « هل يمكن مس اليد في ذوب الرصاص من غير ضرر ؟ » . فورد كاتبان على ذلك يقولها انهما وضعا أيديهما في الرصاص المذاب على النار ثم رفعاها بدى . وعاد كاتب معروف فارسل الى المجلة يقول إنه اطلع في كتاب قديم تاريخه سنة ١٥٩٤ على نبذة بعنوان « كيف يستطيع الانسان ان يغمس يده في رصاص ذائب ولا يصاب بدى » . وهي مكتوبة باللغة الانجليزية القديمة وهاك بعض ما جاء فيها :

« خذ اوقية من زئبق وأوقيتين من بول امونياك ونصف أوقية كافور وأوقيتي ماء عذبي واخفق كلا على حدة ثم امزجها معاً في هاون من النحاس ثم ادهن يدك جيداً بهذا المزيج [illegible] . وقد رأيت هولنديا [illegible] وهو كيميوي عجيب يشط وضع [illegible] في الرصاص المذاب حتى صار أزرق من شدة الحر ثم حرك سبابته الى فوق وتحت الى ان تشبع كفه حباله ثم قال لعلامه أنه ليس حاميا وامره أن يبكه في كفه وثقله نحو نصف رطل فعمل وثقله الى الكف الاخرى وهكذا دواليك حتى مرات ثم القاه على الارض باردا . وقد عمل ذلك على رهان وهو ان يسقي شوب بيرة من أحسن صنف في حديقة بستورك . فعله أنا ولم أعلم غيري فكسب الرهان »

التغييرات الحديثة في الاقليم

كتب الدكتور جيمس مقالا في مجلة ناتشر عن تغير الاقليم أو الطقس على الارض في العصور الجيولوجية السابقة الى الآن ، فقال تحت

عنوان التغيرات الحديثة « ان الجبال طالما بين العلماء على تغير درجة حرارة الهواء في العصور التاريخية ، ولكن ليس عندنا دليل يذكر على أن درجة الحرارة تغيرت تغيراً محسوساً على الارض في العصور المذكورة في حين أن عندنا دلائل كثيرة على تغير مقدار المطر »

الحفريات في الوجه القبلي

طلب في مختلف جمع مال لاتمام التنقيب عن الآثار في لدراري مع البعثة التي يرأسها استر براتون وقرينته وكانت مدرسة التنقيب عن الآثار قد بدأت هذه الاعمال سنة ١٩٢٢ ثم انسحبت منها فتولى الستر براتون التنقيب مستقلا عنها فكشف عن آثار كثيرة للحضارات التي سبقت الدول المعروفة وهما الحضارة « الثانية » التي يظن أنها أقدم حضارة في وادي النيل والحضارتان الداريه والبدارية اللتان تدل على تزعزع الزراعة والتمدن عندهم في مصر في زمن ما كان يعتقد أن لهما وجود فيها . ولكن يظهر أن الصوص القار عاقوا مصدرين في هذه البقعة بوجه خاص فاذا لم تعتم الفرصة حالا للحفر يمسح البحث العلمي متعذراً عما قليل . ولم تلق اعمال الحفر هذه تأييداً يذكر من الجهة المالية فلذلك طلبت التبرعات لها . وهذه البعثة تعمل برعاية المتحف البريطاني . ومعظم الآثار ترسل اليه إلا ما يبقى منها في مصر لمصلحة الآثار المصرية

أعظم وابورات لسكك الحديد

صنعت أربعة وابورات جديدة لخط سكة حديد باريس — ليون — البحر الابيض . وأهم ما فيها أن معظم سرعتها يزيد الى ٨٠٫٥٧ ميل في الساعة وقوة الواحد منها ٥٤٠٠ حصان وهي أعظم قوة حتى الآن وطول الوابور ٧٨ قدماً وله ١٨ عجلة وثقله ٥٦ طناً ويستطيع ان يجر ما ثقله ٤٠ الف رطل

المن المذكور في التوراة

جاء في سفر خروج بني اسرائيل من مصر الى برية سيناء وهو ثاني أسفار التوراة « ان الله كان يرسل عليهم المن والسلوى طعاماً لهم في أثناء تيههم في البرية مدة أربعين سنة بقيادة موسى الكليم » . وقد اختلفت آراء العلماء في ماهية هذا المن وأصله فحسب بعضهم انه حزاز صحري وعندهم انه يوجد على أجسام التاركس من نوع الطرفاء فلما ان الانجم تفرزه فسيولوجياً أو لان الحشرات تؤذيها وتجرحها فيجرح هذا العصير من محل الجرح . وقد انتدبت الجامعة العبرية في القدس بعثة صغيرة سنة ١٩٢٧ و ١٩٢٨ الى شبه جزيرة سيناء برآسة الدكتور وايجمر والدكتور تيودور وكنت عضواً فيها عرضاً مفصلاً في الموضوع . وكان قد ظهر لها من بحثها ان المن معروف في بلدان أخرى باسم ندى العسل وهو عصير حلو تفرزه بعض الحشرات المعروفة وهي كلها تعيش على نبات التاركس المذكور آنفاً . وقد رأى رجال البعثة هذه الحشرات تفرز قطرات من هذا السائل الحلو الصافي وأثبتوا بالتجربة أنه يعرز من أوعيه الحمد

وقالوا أن هواء سيناء الجاف يبلور هذا العصير الذي يبقى على الاغصان أو يسقط على الارض بشكل حبوب بيضاء « وانه هو المن المذكور في التوراة »

استعمار الهولنديين لجاوه

انتدبت الحكومة الهولندية في الصيف الماضي البروفسور اليوت سمث ليتوب عنها في المؤتمر المسمى « مؤتمر العلوم الباسيفيك » الذي عقد في جاوه . وفي ديسمبر الماضي خطب في كلية الجامعة بلندن فقال ان أعمال الهولنديين الحديثة في جاوه تستحق عناية كل من يهتم بالحكم الاستعماري وبخاصة بتطبيق العلم على خير النوع الانساني . وقد صدق المستر اورمسبي جور اذ قال في تقرير حديث عن جاوه انها أفضل مثال اليوم على تطبيق العلم على شؤون المدن الحارة وترقيتها . وان هذا المثال لم يتعبر قطره حتى الآن في انجلترا ولا في سائر أجزاء الامبراطورية

قال : في جاوه يعد البحث العلمي شرطاً جوهرياً للتقدم الاجتماعي والاقتصادي والوجود نفسه لا شيئاً كمالياً يسعى عنه . وقد انفقوا مبالغ عظيمة في فرعي العلم المسمى بالمسرف والمسمى بالمستخدم نتيجة البحث لشؤون الاقليم وحدها بل ان روح التحقيق العلمي ظهر في جميع أعمال الحكومة ولا سيما في شؤون الاهالي نفسها . وكل زائر لجاوه يدهشه ما يرى من آثار سعادة الجماهير وحسن سلوكها وعدد سكان جاوه يساوي عدد سكان بريطانيا . ومن أعظم الاسباب في ذلك درس الشعب وعاداته وعقائده . فالقسم اهتم الحاكمين بتاريخ المحكومين ومعتقداتهم ودرسها درساً علمياً الى فهمهم لعقليتهم فتمكنوا بذلك من احترام رغباتهم والاحتفاظ بمعتقداتهم وعاداتهم

واستطرد فقال : وفوق ذلك فان جاوه ذات شأن عظيم للعالم المختص بدرس الانسان وتاريخه ففي موطن أقدم ما عرف من اعضاء السلالة البشرية وموطن كثير من النسانيس والقرود . وهي والجزر التي حولها تعد طريقاً للقبائل الاصلية العائشة الآن ، سارت عليه الى مواطنها في اوستراليا . واينما سار الانسان في جاوه رأى على آثارها القديمة وبين سكانها العائشين الآن بقايا المدنيات السائقة مثل مدنيات الصين والهند واليونان وما بين النهرين وكريت ومصر

سكن الرجل الابيض في افريقية

خطب الجنرال سماطس في جامعة أوكسفورد حديثاً فأدى أملاً كثيراً بامكان سكن الاوربيين في مستعمرات وسعة من افريقية الواقعة في منطقة الحارة . ونحسن في هذا المقام الاشارة الى ما وصلت اليه مباحث البروفسور وورد بعد درس مستفيض وتحليل . ان تعود هواء أقليم ما لا يختص بالفرد وحده ولا بجيل واحد من الناس ولكن مسألة الحقيقية هي محافظة أجيال كثيرة من الناس في وطنها الجديد على مقياس المبادىء والنظريات العصبية والعقلية والاخلاقية الذي كان لها في وطنها الاصلي . وعبارة أخرى المحافظة على الحضارة بحيث لا تنزل عن مستواها الاول . وهذا يستلزم نماء المواليد أكثر من الوفيات . وبما قاله انا نستطيع التغلب على كثير من أمراض الاقاليم الحارة ولكن سوء تأثير الهواء يبقى . وعنده أن المعيشة في الاقاليم الحارة سوف تكون أكثر راحة وسلامة على السلالة البيضاء ، ولكن تعود هوائها تعوداً تاماً حقيقياً مستحيل ومعارفنا الحاضرة على ما هي

مكافحة الجراد

اهتم الانجليز منذ عهد بعيد بمكافحة الجراد لظهوره أحياناً كثيرة في بلاد تعد أجزاء من أمبراطوريتهم أو في حكم الاجزاء مثل الاملاك البريطانية في شرق أفريقية وأواسطها وغربها وجنوبها وفلسطين وشرق الاردن والعراق وغيرها

وفي أبريل الماضي عينت لجنة من عشرة أعضاء برآسة السر هنري ميرس للبحث في الوسائل اللازمة لمكافحة الجراد وأسباب ظهوره في أدوار تكاد تكون معينة كما سيجيء مع العلم بأن بلاداً مثل كينيا في شرق افريقيه انفقت ٥٠ الف جنيه على مكافحة الجراد الذي ظهر حديثاً ولم ينقطع الى الآن حتى اضطرت حكومتها إلى منع تصدير الطعام منها الى الخارج وتعيين ٢٠٠ الف جنيه نفقات المجلس المحلي لمكافحة الجراد ومراقبة الاطعمة

وقد أصدرت اللجنة تقريرها الذي أشارت فيه باستخدام سيارات للاستكشاف وإبادة الجراد . وفي أواخر السنة الماضية كتب السر هوكن العالم بالحشرات ومؤلف في الحكومة مقالة عن الحراب الذي أحدثه الجراد في فلسطين . وقال فيه انه يؤخذ من تاريخ ظهور الجراد في فلسطين ان ظهوره حدث في فترات تكاد تكون منتظمة فقد كانت أولى زياراته البلاد على ما هو مدون سنة ١٨٦٥ ثم تلتها زيارات أخرى سنة ١٨٧٨ و ١٨٩٠ و ١٩٠٢ و١٩١٥ و ١٩٢٨ أي ان الفترة بين الزيارة والتي تليها ١٢ ـ ١٣ سنة . وقد كانت زيارته سنة ١٩١٩ شر الزيارات اذ قدرت الخسارة في يافا وحدها بنحو ٢٠٠ الف جنيه . وبلغت الخسارة في البلاد كلها مبلغاً هائلا

وقد خفف خسارة الاهالي احتلال الجيش البريطاني البلاد بسبب الحرب فانه جاء بالزاد الكثير الى البلاد وكان يدفع أجور النقل بسخاء فساعد ذلك الاهالي مساعدة عظيمة في زمان أكل الجراد فيه كل خضراء

ثم عاد الجراد فزار البلاد سنة ١٩٢٨ ثلاث مرات ولكنها كانت زيارات خفيفة لا تذكر بازاء زياراته السابقة لها . وقد خفف وطأتها توقع الناس لها واتخاذهم الاحتياط ضدها . وكان الجراد قد ظهر في حوران ومصر في السنة التي قبلها فساعد ظهوره فيها على اتخاذ الاهبة في حينها . وكانت الوسائل قد انجحت في تلك السنة بسبب احتباس المطر فلم يجد الجراد الارض ملائمة لبيض البيض في عالب الاماكن

ووصف السر هوكن أجهزة لابادة الجراد المسماة «رشاشة النار» فأفادت فائدة عظيمة في [illegible] من عدة هذا الجراد المثقب بحر . الصحراء [illegible] بعضه على بعض ليلاً . وقد شهد ملاحظون تلك القطوع بها كثيراً منه وأبادوه . وكانوا يحيطون بأرسال الجراد من كل جانب ويسوقونها الى مركز واحد ثم يرمون النار عليها من الاجهزة المعينة لهذا الغرض فيحرقونها

وقد نجحت هذه الطرق حتى ان الجراد اقتصر في وضع بيضه على صحراء النقب فقط . وكان الجراد النشيط الذي يفقس من البيض يعالج برش محلول فيه غاز ثم بالنار ومركبات الزرنيخ

وظهر أن تفشي الجراد في فلسطين نشأ عن ظهور الجراد على قدر أعظم بكثير في الوقت عينه في جنوب السودان وبلاد كينيا وتنجيقا وما يزال هناك بالزراعة هناك ولا يعلم متى يزول ولكنهم يرجحون أنه لا يزول قبل سنة ١٩٣١

شئون الدار

فساد الاسنان

يظهر ان الاسنان الفاسدة قد تكون سبب كل مرض وداء تشاركها في ذلك الملوزتان هذا هو آخر مذاهب الطب فاذا كانت أسنانك ولوزتاك سليمة فقد تعيش عمراً طويلا شرط أن تكون أحشاؤك من قلب ورئتين وكبد وكليتين ومعدة وأمعاء صحيحة . والا فما نفع الاسنان السليمة والانسان معصور او مصاب بمرض في القلب

اما الاسنان فشر آفاتها مرض البيوريا الذي فيه سماً يمتصه الجسم ليل نهار فيفسد جهازه تسمماً مطبقاً يكون سبب موت دائم وقد يفضي الى مرض ذي بال وأعراضه ان المصاب يشعر على الدوام بصعب وتعب وسوء خلق فيعمد الى المقويات لتقويته . وقد يتحول السم الى عصو مخصوص من أعضاء الجسم . والغالب أن يتحول الى المفاصل او يستقر في بعض الغدد فيصيبها كما في غدد العنق . وقد يعمل اكثر من ذلك اي انه يحدث التهاب الاعصاب المعروف بالنيوريتس وهو من الامراض المؤلمة التي يتعسر شفاؤها

وقد يصاب غشاء الرئتين (البليورا) أو القلب فيشتد الامر . وآخر الكل قد تصاب العين وليست اصابتها بأقل خطراً ولا أصغر شأناً

طريقة جديدة لعلاج السل

استعان الدكتور كلمت بمساعدة الدكتور جاران بالشلس الندرن على سائل الصفراء منذ مدة طويلة فتمكن بذلك من حمله غير مؤذ مع بقاء قوة المناعة فيه . وعمل منه مستحضراً اسمه Bile - Galmette-Guerin ومعناه بالعربي الآن كلمة واق من الندرن في الانسان والحيوان . وقد جاء من تجارب الدكتور كلمت وكوزين عمل تجارب ... نتائج في روسيا في السنوات الثلاث الماضية ... به ١٧٥٣٤ . ومن ألف ولد أو أكثر من ألف ... في أمكنة يساعد هواؤها وحالتها على انتشار السل لم يصب أحد به . ولم ينشأ عن التطعيم به مرة ومرتين عواقب ضارة . وفي اوستراليا جربه البروفسور وودرف والدكتور جريجوري لوقاية الموشي (البقر) من الندرن فطعم به عدد من العجول وكانت الجرعة تبلغ أحياناً ١٠٠ ملليجرام فلم يبد على أحد الحيوانات أعراض مضرة . ثم أخذ ٢٠ من العجول التي لقحت به ولقحت بالشلس الندرن الحي لمعرفة قوة مقاومتها فسل فتق ستة منها بالندرن المتمكن في أجسامها كلها في نحو الوقت الذي تفتق فيه عجول سليمة أخرى كانت قد لقحت بالميكروب الحي من غير أن تلقح قبلاً باستحضر المذكور .

أما الاربعة عشر مجلا الاخرى فأصيبت ببعض الاعراض ثم عادت الى حالتها الطبيعية وعند ذبحها وجد فيها بعض آثار التدرن ولكن معظمها لم يكن متقدماً فاستدل من ذلك على أن التطعيم بالمستحضر يمنح الحيوان المطعَّم شيئاً من المناعة ضد عدوى ميكروب السل

نور الشمس والصحة

ارتأى كثير من العارفين ان التعرض لنور الشمس أو للاشعة التي ما وراء البنفسجي سواء أكانت اشعة نور أم اشعة حرارة يؤثر تأثيراً نافعاً في الصحة . وقد ثبت بالتجربة والامتحان أن تعريض أجسام السائلين لنور الشمس ذو نفع عظيم مع قوة التبريد في الهواء الطلق . وكذلك ظهر أن الفيتامين من نوع (D) يتكون من المادة المعروفة باسم الجوستيرول (ergosterol) في الجلد متى عرض الجلد للاشعة البنفسجية وان قدرة الدم على قتل الجراثيم المرضية تزداد بعد تعريض الجلد لضوء الشمس مدة معلومة . ولكن لم يثبت أن هذا التعريض يزيد قدرة الجسم على مقاومة العدوى رغم ما هو شائع وذائع من ان التعرض لنور الشمس يحسن الصحة عامة

وقد صدرت بالأمس تقارير في هذا الموضوع كتبتها الدكتورة دوراكو لبروك التابعة لمجلس البحوث الطبية بعد امتحانات كثيرة ودرست بوجه خاص تأثير النور في شفاء العدوى الوعائية الصرفة وفي صحة طلبة المدارس الذين سنهم من خمس سنوات الى سبع . وامتد زمن هذه التجارب من أوغسطس سنة ١٩٢٧ الى مارس سنة ١٩٢٨

وقوى هذه التجارب تعريض الاولاد ثلاث مرات في الاسبوع لمصباح قوس الكربون وهم لابسون ملابس السباحة وعلى طريقة مخصوصة يطول شرحها هنا . وكانوا يراقبون تمام المعرفة في خلال هذه التجارب وتقاس قاماتهم ويوزنون ويسجل ما يصابون به من « القشف » بسبب البرد والزكام وغيرهما من الاصابات، فكانت النتيجة أنه لم يظهر ان التعريض للنور يفيد فائدة ما الا انه قد يزيد الوزن ويحسن الصحة قليلا

ومما يذكر ان التجارب اقتصرت على هذا النوع من النور ولم تتناول غيره

اما من جهة تأثير الاشعة البنفسجية الصادرة من مصباح الجمرة الزئبق في القروح المتعددة في الساقين ، فقد ظهر ان معالجة هذه القروح بأكسيد زنك « اوتا » والجليسرين انفع من معالجتها بالأشعة

اصل الخرافات

خص الدكتور ارمستروج جونس رئيس جمعية علم سكيبة لندن وكان موضوع خطابه الخرافات فحددها بأنها « اعتداء الايمان على حقوق العقل » . والغالب أن يكون أساسها الجهل ولذلك ثمن الصعب تعليلها بين المتعلمين . وتعرّف من الوجهة السيكولوجية انها استواء بني على غريزة الخوف . ويدخل فيه حب الاستطلاع وغريزتا الاحترام والرهبة . وكان من « المرتقة » في القرنين السادس عشر والسابع عشر عدم تصديق السحر والخرافة . واعتقد الناس الطيرة وتيمنوا أو تشاءموا بطيران الطيور وقوة الارقام والانهار وكواكب السماء . وكثير من الذين صدقوا السحر كانوا عقولين متدينين ومصابين بخلل في الشعاء ولكن الناس كانوا يحسبونهم « مسكونين » بالشياطين .

وبعض هؤلاء كانوا مصابين بنوع من الجنون سمي بالفرنسية folie a deux أو جنون واحد وقد انتشر في اوربا كلها كأنه انفلونزا عقلية واحدة

وكانوا يستشفون منه بحجارة كريمة مثقوبة يمر المصاب في ثقبها أو بحجارة كريمة تعلق في الاعناق كالتمائم والتعاويذ . والمرجح أن توقع الشفاء وعظم الرجاء يساعد الجسم على مقاومة الداء بزيادة نشاط الوظائف الحيوانية فيه . وقد فقدت العبادات القديمة قوتها اليوم ودلت تجارب بافلوف وابحاث غيره على أن فكرة ما قد تحدث تغييراً في الدم كما أن مقررات العقد الصماء تغير الافكار والآراء . وقد أفضى زوال الخرافات الى انقلاب كبير في علاج الجنون

علاج السرطان الحديث

من مقال للدكتور جورج بوروس

تغيرت علاقة المريض بالطبيب تغيراً عظيماً في السنوات العشر الماضية او العشرين فقد كان طبيب العائلة فيما مضى اذا دعي لفحص مريض فحصه وكتب التذكرة وقال كلمة أو كلتين عن حالته للعائلة . اما الآن فانه يفحصه ويصف له الدواء وينذر بالعاقبة ويصف سير المرض ويحذر من المضاعفات التي قد تصحبه ويصف فعل الدواء ويفصل طريقة المعالجة . أي ان زيادة معارف الاطباء يجب أن يصحبها زيادة معارف غير الاطباء ليسير العلاج سيراً مرضياً . واما السكوت فلا محل له ولا قيمة ولا يستر جهل الطبيب لحالة المريض الحقيقية

ولا ريب أن خريجي المدارس العالية يعرفون الآن عن فسيولوجية الجسم مثلما كان خريجوا مدارس الطب يعرفون عنها منذ ٢٥ سنة.

وقد استفاد الجمهور كثيراً من تقريب المعارف الطبية الى أفهامه ، وزادت ثقة العميل بطبيبه ، وهذا صحيح عن جميع الامراض ما عدا واحداً أو اثنين والسرطان احدهما

لا يعرف سبب السرطان بعد ، وكل طبيب وغير طبيب يعرف هذا تمام المعرفة ، وكذلك لا يجهل احد أن تقدم علاج مرض ما سبقه دائما اكتشاف سبب المرض أو حقائق المتعلقة بادوار المختلفة ، والعلة أن الذين يعالجون السرطان بالطرق الحديثة يعالجونه كمرض معد مع انه لم يثبت أن سببه ميكروبي

والسرطان ثلاثة أنواع حاد ونصف حاد ومزمن . فالاول ينمو بسرعة حتى أن الجلد الذي فوق النمو السرطاني يحمر أحياناً والعقد الليمفاوية تتضخم قبل وصول المرض الى الريض . وعلاج هذا النوع كعلاج التضخم العددي للماصات اللمفاوية الذي سيأتي ذكره أي بغير عملية جراحية لأن العملة تضعف الجسم الذي تقيمه الطبيعة مقاومة الداء . فاذا رأى شفاء المصاب بالسرطان الحاد فلواحد أو لعدد قوة مقاومته للداء وأن يرد ذلك . والاطباء يعالجون ذلك علاج النمو السرطاني بأشعة اكس أو الراديوم

والثاني أي نصف الحاد تكون فيه مقاومة المريض للمرض أقوى مما في الحاد وقد لا تكون الغدد مصابة . وفي هذه الحالات تعين مقاومة المريض صفة العلاج ، فاما أن تعمل له عملية يتقيها باستعمال الاشعة ، او يعالج بالأشعة ولا تتم العملية تم الأشعة . وأحياناً يستعمل الراديوم في وقت العملية

والثالث أي المزمن يعالج بالعملية أو ازالة النمو السرطاني بأشعة اكس أو الراديوم أو

الكهربائية . هذا عن النواحي البرطانية الخارجية ، واما الباطنية التي في البطن أو الصدر فتعالج بالعملية عادة

تمثال لخادم أنقذت طفلين ومات

نصب أهل فينا تمثالا لخادم أنقذت طفلين لسيدها وهلكت في اثناء انقاذها لهما . ذلك انها كانت تحمل عربة صغيرة وفيها طفل وعلمها أخ له عمره ثلاث سنوات وتحاول ان تقطع شارعاً مزدحماً فدهمتها مركبة من مركبات « الفوري » الكبرى فدفعت الصبي ناحية والعربة وراءه ولم تجد وقتاً لانقاذ نفسها فدهمتها الفوري فنقلت الى المستشفى ومات في طريقها اليه

ووقع نبأ موتها هذا أعظم وقع في نفوس أهل فينا وما بذلت من روح الرؤفة والنجدة فجمعوا مقداراً كبيراً من المال وأقاموا هذا التمثال على أحسن موقع فيه بحيث لا يستطيع أحد في ذلك سمة والسائرون عند ذلك الجزء جوزف ربيلك ، وبلغ من اعجاب اهل الفن بنموذجه أن أهدوا اليه جائزة وصحته وزيرة للطرق جائزة ثالثة

وهذا النموذج مصنوع من حجر رملي واسمه « العضلة » وهو يمثل الخادم مرغريت منهارت تحمو على طفلين ناعمين وهما سالمان معافيان في حضن ذراعيها الممدودتين . وقد نقش تحته بالالمانية هذه العبارة :

« مرغريت منهارت الخادم بذلت نفسها فداء طفلين »

وقد نصب هذا التمثال في أحد الميادين الخضراء التي تكثر في فينا ويقصدها الاولاد ليلعبوا فيها فتكون بمرأى منهم ومسمع

الحرير الصناعي

كلما كثر الطلب على الحرير الصناعي كثر التفتيش عن المواد الخام التي يمكن صنعه منها وآخرها أن يؤخذ قش الحور ويطحن ثم تعزل خيوط الحرير منه بعد معالجته بمقادير مختلفة ، ولم يعين المصدر الذي نقدا منه هذا الخبر نوع الحور الذي يصلح لذلك . ولكنه اكتفى بالقول ان هذه الطريقة تجرب في الهند حيث الحور كثير ورخيص . والذي نعلمه ان الحور الكثير فيها هو جوز الهند ولكن اسم جوز الهند بالانجليزية « كوكو نت » والكلام هنا عن الحور فقط

معالجة النورستينيا

كان الدكتور بارنز الانجليزي يعالج النورستينيا في حياته باستعمال شخصيته القوية في تشجيع المصابين بهذا الداء العصبي والاستعانة بد كائهم اعتقاداً منه ان مصدر هذا الداء الخوف لا خلل حقيقي في وظائف الاعضاء العصبية . وقد صدر حديثاً كتاب في انجلترا نظم الدكتورة دوروثي ماري لوميتاج بعنوان « تحدي النورستينيا » ومقدمه مدحه . وقد أسعت علة ناشر في تقريظها لهذا الكتاب الجديد لأن الدكتور بارز لم ينشر رأيه في السيكوباثولوجيا والسيكوثرابيا أي تشخيص الامراض العقلية وعلاجها

في عالم الأدب

مكتب المخابرات العام للمواد المخدرة

أصدر هذا المكتب التابع للحكومة تقريره السنوي عن سنة ١٩٢٩ الذي رفعه سعادة رسمي باشا مدير المكتب وحكمدار بوليس مصر الى حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية وجعل فيه تسعة أبواب الاول للمصادر الخارجية للمواد المخدرة . والثاني احتياطات منع التهريب . والثالث حالة في القطر المصري . والرابع الاجراءات بموجب قانون المواد المخدرة . والخامس مدمنو الخشاش والادمان . والسادس الاتجار المصري . والسابع نظام المكتب . والثامن قانون المواد المخدرة . والتاسع للمستقبل

وفيه ٢٣ صورة عن تهريب المواد المخدرة ومضبوطيها وجدول بأثمانها إلى غير ذلك

وقد قال سعادته في مقدمته :

« قال غيري العبارة التي أذكرها بعد مع شيء من التعديل الطفيف . إنه بينا ان البلاد التي تتألم من الضرر الواقع عليها تذكر الجرام والكيلو جرام في كلامها عن المواد المخدرة فان الممالك التي تضع هذه المواد في أواسط أوربا وحدتها الحسابية في الكلام عن هذه المواد هي الطونولاتة . ولا يعني أن الطونولاتة الواحدة تساوي الف كيلو جرام

« حصل حديثاً أن مملكة صورة طلبت ترخيصاً من حكومة فرنسا يبيح لها أن ترسل عن طريق الارض الفرنسية اربع طونولاتات من الهروين لشحنها بالبواخر الى الشرق الا ان حكومة فرنسا رفضت اعطاء هذا الترخيص

« ثمن وزن هذه الاربع طونولاتات هو أربعة آلاف كيلو جرام . فاذا كانت تكاليف صنع الكيلو الواحد عشرة جنيهات مصرية وكان يباع شرعاً . الكيلو الواحد من الصنع كما يعلم هو من ٢٦ الى ٢٨ جنيهاً مصرياً ، فان ربح الصنع من هذه الارسالية يكون ٧٢٠٠٠ جنيه مصري. هم أيضاً انه بعد وصول لمدة الى القطر المصري يباع الكيلو الواحد منها بمبلغ ٦٠ جنيهاً مصرياً وعندئذ يباع بمبلغ ٨٥ جنيهاً مصرياً للتاجر الذي يبيعه هو للمستهلك في النهاية بمبلغ ٣٠٠ جنيه مصري

« لا شك أن جزءاً كبيراً من هذه الاربع طونولاتات كانت وجهتها الاصلية على شرقي القطر المصري الا انه على فرض ان الكمية جميعها حضرت الى مصر فان ثمنها على المستهلك

يكون ١٢٠٠٠٠٠٠ جنيهاً مصرياً . وعلى ما أعلمه يكون ثمن في البلاد الكائنة شرقي القطر المصري أكثر من تلك القيمة

« واضح جداً ان أصحاب مصانع المخدرات في أوائل أوروبا يحصلون على ثروات هائلة بواسطة سيل هموم مصانعهم التي تصبها في القطر المصري والشرق الاقصى . وما دا يهمهم اذا كانوا يقتلون آلاف المصريين بسمومهم طالما انهم يستطيعون اشباع شهواتهم من المال »

تاريخ نابليون الاول

مات نابليون الاول منذ ١٠٩ سنوات ولا يزال الكاتبون يكتبون عنه مثل اميل لودفج الذي صدر من عهد قريب . وقد كتب عنه من الانجليز فورد روربري وأصدر كتابه قبل وفاته بضع سنين وهو [illegible] بقرأوا عن نابليون شيئاً ووجدوا ان له [illegible] جديدة لم يعثروا عليها من قبل

فتاريخ نابليون الاول الذي صدر بالعربية الآن لا يصح أن يحسب متأخراً . وعندنا ان الناس يظلون يكتبون عن نابليون بعدنا فنجد الاجيال القادمة في كتاباتهم ما لم نجدوا فيما سبق منها كأن العصري يسع على المؤرخين شيئاً من عبقريته وقوة إلهامه فيتفكرون ويجيدون

أصدر هذا التاريخ الكاتب الفاضل الياس طنوس الحويك اللبناني وهو ثلاثة أجزاء فصدر الآن الاول والثاني منها وسيصدر الثالث قريباً . وهو يبحث في مولد نابليون وحداثته وارتقائه في سلم المناصب العسكرية وقصته مع أرمة الاحكام في فرنسا وارتقائه الى عرش الامبراطورية التي أنشأها وذكر للمعارك المشهورة التي خاض غمارها وبيان الاعمال الكبيرة التي باشرها في بلاده ثم ما كان من تنكر الدهر له وانحطاره أمام أوروبا المتألبة عليه واستسلامه الى أعدائه الانجليز وارسالهم اياه الى جزيرة القديسة هيلانه في المحيط الاتلنتيكي حيث توفي عند سنة أعوام قضاها في سجن

والجزء الاول يشتمل على تاريخه من مولده الى آخر القنصلية . والثاني يبحث في عهد الامبراطورية والثالث فيما جرى له بعد سقوطه الى وفاته ونقل رفاته الى باريس والاحتفال بمرور مائة سنة على وفاته . والاشتراك في الاجزاء الثلاثة الآن ٦٠ قرشاً وبعد صدور الجزء الثالث ١٠٠ قرش

تحولات مصر السياسية

أصدر سعادة احمد شفيق باشا رئيس الديوان الخديوي ومدير عموم الاوقاف سابقاً الحولية الثالثة من حولياته وهي لسنة ١٩٢٩ . وقد قال في مقدمتها « دأب أحصيا فيها على الزعماء ومن دونهم بقليل كل أقوالهم ، وعددنا على الدوارين في ميدان السياسة جميع حركاتهم وسكناتهم ، وعرضنا لما كان يبدو ما بيننا وبين الانجليز من حسن التفاهم او سوئه » الخ

وقد أوضح بعض المسائل بصور ، ورمز الى بعض المواقف برسوم

وهذه الحولية ذات اثنى عشر باباً تبحث في مسائل مختلفة مثل موقف الوزارة الزيورية

ومركز مصر في فلسطين. ومصر لا تصلح مقراً للخلافة . واتفاق حبوب والكتاب الأخضر . واستقالة عبد العزيز فهمي باشا من رئاسة حزب الاحرار الدستوريين . وسفر جلالة الملك الى لندن . وتنازل سعد باشا عن رئاسة الوزارة . وتأليف وزارة عدلي باشا . وغير ذلك من الحوادث المهمة سنة ١٩٢٦

المجمل في تاريخ الادب العربي

وضع هذا الكتاب لجنة ألفتها وزارة المعارف من حضرات الدكاترة والاساتذة طه حسين واحمد الاسكندري واحمد أمين وعلي الجارم وعبد العزيز البشري واحمد ضيف . وقرر للسنة الثالثة في المدارس الثانوية . ووضع أسماء هؤلاء الأعلام في صدره كاف لأن يكفل للكتاب ما يريدون الانتفاع به من الطلبة وتعمم [illegible] عليه من حيث الادب العربي . وهو يبحث في العصر الجاهلي والأدب الجاهلي وصدور الاسلام والقرآن الكريم والحديث والأدب الاسلامي والتثقف العلمي الى آخر الدولة الاموية والعصر العباسي الاول ومراكز التثقيف العلمي فيه والعصر العباسي الثاني والأدب في مصر والشام والاندلس والنهضة الأدبية العصرية

حول ساحل العربية

كتب هذا الكتاب بالانجليزية الكاتب نغني عن التعريف لمين الريحاني وتولى طبعه واصدره محل كونستابل المشهور في لندن . وهو مصدر بصورة للملك حسين ملك الحجاز السابق وفي صدره خريطة شبه جزيرة العرب وقد كتب تحتها : « من كارت بوستال كانت لستعمل في عهده بالحجاز لنشر الدعوة الى انشاء سلطنة عربية »

والكتاب خمسة أقسام الاول . « مع الملك حسين في الحجاز » . والثاني : « مع الادريسي في عسير » . والثالث : « آل صباح شيوخ الكويت » . والرابع : « آل خليفة شيوخ البحرين » . والخامس « عدن والمحميات »

وهو مزين صور كثيرة . وقد وصف فيه الكاتب بلغته السهلة ما لقيه في رحلته الطويلة حول بلاد العرب ، وما شاهده فتكلم عن الراية العربية والامير زيد والسلطان احمد فضل وجنود عسير والشيخ احمد الجابر آل صباح وحرب [illegible] البحرين القديمة والسلطان عبد الكريم فيصل وسلطان نجد الى غير ذلك من الموضوعات المفيدة

والاستاذ امين الريحاني يكاد يكون الشرقي الوحيد الذي أتيح له درس هذه الموضوعات عن كثب مع الاتصال الوثيق بأولي الحل والعقد في الاقطار العربية . وفي كتابته مزيج من تحقيق العالم وطرافة الاديب قل أن يجتمعا في كتابة غيره من الكتاب

وثمن النسخة ٢١ شلناً

المرشد في الرياضة

ألف هذا الكتاب الفاضل سيد مختار لمدارسه في العلوم والرياضيات وهو الجزء الاول ومقرر للسنوات الاولى والثانية والثالثة الثانوية وهو خير معين للطالب على ما استعصى عليه فهمه

في فروع الرياضة المختلفة: الحساب والجبر والهندسة ويذكره بكل ما درسه وما يدرسه من مقررات هذه الفروع وقد اشتمل على جميع الاشكال الخاصة بحلول التمارين الهندسية

السمير المهذب

مجموعة قصص تهذيبية وحكايات خلقية وأمثال أدبية للفاضل علي فكري الأمين الاول لدار الكتب المصرية. وهو يشتمل على قصص من تأليفه واختياره وترجمته . والمجموعة التي بين أيدينا هي الجزء الرابع من الكتاب وموضوعها الاخلاق وهي وفق منهج وزارة المعارف العمومية الاخير

النظريات الاسلامية والعلاقات الدولية في السلم والحرب

صدر هذا الكتاب بالفرنسية لمؤلفه الفاضل نجيب الارمنازي المحامي في مجلس الشورى على شهادة معهد الدروس العليا السياسية وقد وضعه لاحراز شهادة الدكتوراه بمرتبة ممتاز وقد حاز في مجلس لجنة الامتحان وحضره حينئذ دولة استاذ حقوق الدول بباريس وصاحب مجلة حقوق الدول . فنهيء حضرته بشهادة الدكتوراة ومؤلفه النفيس

اليهودي شيلوخ وأقاصيص أخرى

كراس يحتوي على أقاصيص مختلفة ترجمة سامي الشمعة من دمشق . وهي: اليهودي شيلوخ لشكسبير ، وروح المرأة لموباسان ، والاعتراف ، والشوان ، والام مالفوار ، والشيطان وعمرها

الوصيف في فن المعمار

تأليف المهندس المقاول نجيب جبران بمصر وهو يبحث في مهمات البناء وموادها وتركيبها والاحجار وأنواعها والاسمنت المسلح وأنواع البناء والتصميمات والمقاييس الى آخر ما هنالك

مختارات كامل كيلاني

مختارات شتى في التاريخ والادب جمعها الفاضل كامل كيلاني مؤلف مصارع العشاق ونظرات في تاريخ الادب الاندلسي وشارح رسالة الغفران . وهي تشمل على موضوعات شتى نشرت هنا وهناك مثل الوعظ والقصص وفن الكتابة . ونظرات في تاريخ الاسلام . والمسيحية واليهودية . وآخرة العالم . ومناظرة الكمالي وسيبويه . والشعراء المعاصرون الى غير ذلك

أنواع القطن الجديدة ومميزاتها

وهي المحاضرة التي ألقاها حضرة صاحب العزة حسان فك أفندي مدير قسم الزراعة بمصلحة الاقتصاد الاجتماعي في النادي الزراعي في ديسمبر الماضي، وهذا فيه فريدة لدى كل مزارع في مصر

الثقافة والتهذيب

رسالة تبحث في أهمية التهذيب ومقامه من حياة الافراد والجماعات لأبي رهير الاندلسي في بيروت

التقرير السنوي الصحي لبغداد

عن سنة ١٩٢٨

أصدر هذا التقرير حضرة الفاضل الدكتور سامي شوكت مدير ادارة الصحة ببغداد وهو خاص بشئون ادارة الصحة فيها وينشر سنوياً

بين الهلال وقرائه

احياء الموتى

﴿ يونكا بيوبورك ﴾ حليل رشيد الزعبي

عليه قصاصة من احدى صحف هذه المدينة خلاصتها ان رجلا عمره ٤٦ سنة توفي فأعاد أحد الاطباء الحياة اليه بحقنه بالادرنالين فما رأيكم في هذه المعجزة ؟ وهل تصدقونها ؟

﴿ الهلال ﴾ أما القصاصة فهذه ترجمتها :

توفي جورج اوستن وعمره ٤٦ سنة وهو من مستخدمي شركة كودك في روتشستر وهو الآن حي يرزق

وقد أعاده الى الحياة حقنه ادرنالين حقنها الدكتور بنيامين سلايتر رئيس قسم الطب في الشركة المذكورة . وأكد الدكتور سلايتر اليوم هذه « الاعجوبة » . . . .

« مات الرجل تماماً اذ توقف التنفس وعمل القلب وطفت انكاسات بؤبؤ العين وتلون الوجه بلون اللون الرمادي . وقد وجدته ينازع في أرض غرفته ويتنفس تنفساً عسراً . وبعد ان تنفس أمامي ١٥ مرة أو ٢٠ جعلت تبدو عليه أعراض الموت . وكان معي طبيب آخر وثلاث ممرضات في أثناء العملية »

وقد عرفنا عن عودة الحياة الى المستر اوستن من اصدقائه الذين زاروه في مستشفى ستروبج التذكاري . ووصف اوستن ما شعر به عند عود الحياة اليه بقوله : « لا أعرف سوى ان شعوري كان مثل شعور انسان أغمي عليه ثم أفاق من غشيته »

وقال أطباء روتشستر في كلامهم عن هذه الحادثة ان هذا الرجل هو الرجل الوحيد الذي عاش طويلا بعد عملية مثل هذه . ويظهر أن أوستن يتماثل الى الشفاء تماثلا تاماً ويؤمن أن عوده الى الحياة حقاً . انتهى كلام الجريدة

والادرنالين معروف وفعله في انعاش الجسم مشهور ولكن ليس الى هذا الحد وقد حقن الدكتور فصمرت تعليم علامات الحياة عديمة في جسم أوستن في عظامهم الطويلة . ومع ذلك فمصعب ألا نصدق هذه الرواية إلا إذا تلقيناها عن مصدر مشهور أو دعمت بما يجمع عمي موثوق به

اكتشاف حبوب الطعام

﴿ سان جوزادوس كبوس . الفلبين ﴾ سليمان اسعد حمامه

من الذي اكتشف الحبوب كالقمح والشعير والذرة وغيرها وهل كانت تنبت في الحقول كتلك الاعشاب . وفي أي أرض وجدت بدورها؟

﴿ الهلال ﴾ وجد الانسان الارض حافلة بأنواع النبات والحيوان فاختار منها ما لاءمه ونبذ ما لم يلائمه . وما لاءمه من أصناف النبات حمل بزرعه فتحسن نوعه بتكرار زرعه . وما

لامعه من اصناف الحيوان جعل يربيه فكانت منه الحيوانات الداجنة المعروفة من بقر وغنم وماعز وجواميس الخ

البرلمان المصري وغير الاعضاء

﴿ مصر ﴾ طلعت ابراهيم

هل يقبل البرلمان المصري النظر في اقتراحات تقدم له من أشخاص ليسوا من أعضائه ؟ وما هي الطريقة التي يجب أن تتبع لعرض مشروع مفيد على البرلمان مع صيان النظر فيه إذ كان مفيداً من غير أعضائه ؟

﴿ الهلال ﴾ جواب السؤال الاول بالنفي أي ان البرلمان لا يقبل اقتراحات من غير أعضائه والسؤال الثاني مبني على الاول فيسقط بسقوطه. وعليه لا بد لأي اقتراح يراد عرضه على البرلمان من أن يتقدمه عضو من أعضائه

اختلاط الجنسين في دور التعليم

﴿ مصر ﴾ ابراهيم نادرس

هل اختلاط الجنسين في دور التعليم خير وسيلة لبث روح التربية الصحيحة

﴿ الهلال ﴾ كلا وهذا الاختلاط أكثر شيوعاً في اميركا منه في اوربا ومع ذلك فحسن روح التربية الحقيقية أقل في الأولى منه في الثانية بل هو دونه في مصر بما . واذا كان أهل اوربا لم يعمدوا إلى هذه الطريقة في دور التعليم الكبرى الا على قلة فلعلم بما تنطوي عليه هذه الطريقة من الخطر الذي يجدر بنا أن نتقدم على هذه الجرأة الخطرة لأن الهوة التي يريد العربيون أن تكون بين العقل العربي والعقل الشرقي والتي يهمنا جداً أن نسلم بها لا تزال حيث افترضوها وسيبقى كذلك دهراً طويلاً

قصر البصر

﴿ اسكندرية . مصر ﴾ ع . ح . ف .

هل توجد طريقة لتقوية البصر القصير وما أحسن طريقة لحفظه ؟

﴿ الهلال ﴾ البصر القصير يتلافى بالنظارات واذا كان اولاد قصير النصر من صغره فان بصره يتحسن بتقدمه في السن لأن قصر البصر ناشيء عن زيادة تحدب القرنية والعدسة البلورية وهاتان يقل تحدبهما مع السن فيتحسن البصر

تكون البرق

﴿ بيت لحم . فلسطين ﴾ عبد الله بندك

كثيراً ما يظهر البرق بألوان مختلفة فما السبب في ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ لم نر البرق مختلف الالوان مرة ولكن مختلف اللمعان وهذا لاختلاف في اللمعان ينشأ عن نوع السحب وكثافتها ودرجة رطوبة الهواء

أشهر المدارس الزراعية في مصر

﴿ نابلس . فلسطين ﴾ رفيق

ما هو أشهر المدارس الزراعية في القطر المصري؟

﴿ الهلال ﴾ هي مدرسة الزراعة التابعة للحكومة ومركزها القاهرة وتبدأ الدراسة فيها في أول السنة المدرسية بعد أي أوائل شهر اكتوبر

عرق الانسان سم للثعبان

﴿ باي . البرازيل ﴾ ح . ح .

قرأت في جريدة عربية ان رجلاً كان ماراً في طريق فرأى ثعباناً هائلاً فضربه بعصاه فانه هجم على الرجل وصار ينهشه . والرجل من خوفه صار العرق يتصبب منه . وبعد مضي ثوان قليلة سقط الثعبان ميتاً . فكيف ذلك . وهل صحيح ان العرق فعل فيه فعل السم ؟

﴿ الهلال ﴾ اذا صح ان الثعبان مات قبل ضربة العصا لا من عرق الانسان اذ لم يمس

الوقت الكافي لتسم الثعبان به . ولكن معى وقت كاف لتسم الانسان بسم الثعبان . فلو قيل في الخبر ان الرجل سقط ميتاً بعد سبع ثوان لصدقنا

المحسنات اللفظية والمعنوية

﴿ دمياط . مصر ﴾ ا . بدر

تصفحت (تقويم الهلال) وقرأت ما فيه من الاخبار والمعلومات فوجدت منها (آداب اللغة) قرأته حتى أتيت الى موضوع الرسائل فوجدت هذه العبارة :

« وان تكون الكتابة خالية من المحسنات اللفظية والمعنوية » ولكن ما أعرفه ان ذلك لا يختص إلا بالشعر لما فيه من التكلف أما النثر فهو يربيه ويزينه بهجة وحسن (كالسجع وحسن الابتداء والانتهاء) فكيف تطلبون هذا مع قول البعض « تحسين الكلام لا يعرف إلا بمعرفة وجوه تحسين الكلام التي تطابق مقتضى الحال »

﴿ الهلال ﴾ هذا القول لا يجوز التعويل عليه في النثاء غير صحيح لان فيه تضاداً وهو الجمع بين تعريض البديع واللاغة . فالبديع لم يعرف إلا بمعرفة وجوه تحسين الكلام وهو قسمان: معنوي ولفظي وهو مدخول على اللغة في أطوارها الاخيرة فلم يعرفه الجاهليون ولا بلغاء صدر الاسلام والدولتين الأموية والعباسية . واللاغة قديمة قدم اللغة ويعرفونها بأنها « مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته » . فقولكم « المحسنات هي ما تعرف بها وجوه تحسين الكلام لمطابق لمقتضى الحال » نصفه الاول من تعريف البديع والنصف الثاني من تعريف اللاغة

الفتح والقول في القطر المصري

﴿ الفيوم . مصر ﴾ ف . م .

أيهما أكثر استهلاكاً في القطر المصري الحنطة أم الفول ؟

﴿ الهلال ﴾ هذا سؤال لا تسهل الاجابة عنه فان معظم الاهالي يقتصرون خبزهم من القمح الذي يأكلونه في وجباتهم الثلاث . ويأكلون الفول مطبوخاً في الصباح على العالب ويعتمدون عليه عملاً لماشيتهم إذ يخلطونه بالتبن وبعض الحبوب الاخرى في الصيف والخريف حين لا يوجد البرسيم . ومع ذلك فنحن نميل الى الظن بأن المصريين أكثر استهلاكاً للحنطة منهم للفول

حرية المدينة في انجلترا

﴿ مصر ﴾ ركي حلمي بكلية الحقوق

جاء في التلغرافات الخارجية ما معناه أن مدينة السي (حي الاعمال) قد منحت المستر سودن وزير مالية انجلترا حريتها. ومنحت مدينة انجليزية أخرى حريتها للمستر هندرسن وزير الخارجية والمستر رمزي مكدونلد رئيس الوزارة فما معنى حرية المدينة هذا ؟

﴿ الهلال ﴾ لم تقل التلغرافات أن مدينة السي فضلت ما تفضل به حي السي أو قسم السي وهو حي الورشة والسوق والاعمال المالية في مدينة لندن . وحرية السي أي شرف الانتساب اليه . فالمستر مكدونلد رئيس الوزارة اسكتلندي الاصل مولود في مدينة اسكتلندية فهو ينتمي الى هذه المدينة فعلاً . ولكن يخطر مدينة منشستر مثلاً أن تمنحه حريتها لعمل عظيم من الاعمال أتاه فتعمل ذلك فينتمي اليها شرفاً ويعد من بنيها المحررين

من هنا وهناك

شكسبير كرابطة أدبية

يحكى ان عسكريين أحدهما انجليزي والآخر ألماني التقيا في أيام الحرب في أحد الميادين وتكلما عن الحرب فقال الالماني « لاي شخص تحارب فنحن كلينا نحب شيئاً واحداً ولا شيء هناك يقتضي أن نتقاتل . ونحب الاشخاص عينهم . نحب موزار وبيتهوفن وشكسبير »

ويحكى ان جنديين آخرين كانا مستلقيين على الارض مجروحين قال الانجليزي « هلا نصنع الآن اذا حثت معي واحداً آخراً وقد ذهبت معك اوخذ أسيراً » . قال الالماني « هو كذلك فاني أرى تأخذون أسيراً » . قال الانجليزي « الى مكان بعيد عن هنا وتعبرون » فقال الالماني « اذاً أكون أنا الاسير يا رفيقي . فقد كنت أسيراً الى الآن في مكان قفر ألماني وأريد أن أغيره وأذهب الى انجلترا الجميلة » . ثم نهضا وهما يمشيان متناقلين والالماني يقول « اثق بان تعاملوني معاملة حسنة لاني قرأت شكسبيركم »

جعل السنة ١٣ شهراً

تألفت في أميركا سنة ١٩٢٧ لجنة سميت اللجنة الوطنية الاميركية للنظر في اصلاح التقويم الحالي عملا باقتراح جمعية الامم . وكان تأليفها برآسة المستر جورج ايستمن صاحب شركة كوداك المشهورة وأعضاؤها يمثلون جميع المصالح المختلفة ما عدا الطوائف الدينية اذ رؤي من الحكمة ألا يكون لهذه الطوائف يد فيها

وقد عرضت حديثاً تقريرها في مسألة اصلاح التقويم وبسطه على وزير الخارجية الاميركية . ومما جاء فيه انها استمدت الرأي العام الاميركي في اصلاح التقويم فوجدته يكاد يكون مجمعاً على ذلك . وكان قد سئل عن رأيه في نوع الاصلاح الذي يفضله على غيره فوجد ان الأكثرية [illegible] جعل السنة الشهور ثلاثة عشر شهراً

ومن رأي اللجنة ان يعقد مؤتمر دولي لتقرير هذه [illegible] وان تعرب أميركا في أول فرصة عن رغبتها في الاشتراك فيه وألا يتشبث مندوبو أميركا بمشروع خاص بل ان يلزموا خطة سلبية صرفة

وصدر كتاب آخر بهذا الموضوع بعنوان « تقويم ذي ثلاثة عشر شهراً » جمعته سيدة أميركية وذكرت فيه ملخص الأدلة مع المشروع وعليه . وقالت فيه ان الرغبة في جعل الشهور ثلاثة عشر صادرة في الاكثر من جانب رجال الاعمال والاشغال الذين يرون ان جعل الشهر أربعة أسابيع يلائم أعمالهم وحساباتهم كل الملاءمة

ومن رأيي جامعة هذا الكتاب ان وضع تقويم يقبله الجميع أمر صعب وان ذلك قد يؤخر مشروع تحديد وقت لعيد الفصح المسيحي الى أجل غير مسمى

ميلاد المسيح وغلطة راهب

لم يبدأ المسيحيون يحيون عيد الميلاد قبل أوائل القرن الثاني للمسيح . وكان تاريخ ميلاده الحقيقي قد نسي حينئذ . هذا من حيث السنين أما من حيث اليوم فمن المؤكد أن السيد المسيح لم يولد في ٢٥ ديسمبر بدليل الوعد في الانجيل أنه لما ولد كان في البرية رعاة يحرسون حراسة الليل على رعيتهم . ويستحيل على ما هو معروف من برد بيت لحم (حيث ولد المسيح) في شهر ديسمبر أن يترك الرعاة سائمهم تبيت في العراء بل يتولونها في حظائر تقيها . وعليه يرجح أن يكون مولده في [illegible] أو في ولا على الأكثر

ولكن هذه الغلطة ليست أكبر الغلطات في تاريخ عيد الميلاد . فقد مضى هذا الزمن الطويل والمسيحيون يسمون خطأ بقول الراهب ديونيسيوس الملقب بالصغير ان المسيح ولد في سنة ٧٥٣ بعد تأسيس رومية . ويكاد يكون من المؤكد الآن أن هذا خطأ وان المسيح ولد قبل التاريخ المعين لولادته بعض سنوات — ثلاث أو أربع

وأعظم دليل على صحة هذا القول قول القديس لوقا ان عمر المسيح كان ٣٠ سنة في السنة الخامسة عشرة من ملك طيباريوس قيصر . وعلى هذا الحساب يكون الفرق بين تاريخ الميلاد الحقيق والتاريخ الشائع لربع سنوات

وقد ذكر هيرودتس في تاريخه خسوف القمر حدث قبل موت هيرودس ملك اليهودية من قبل رومية . وقد حسب الفلكيون بالدقة والضبط فوجدوا أن هذا الخسوف كان أحد اثنين حدث أحدهما في سبتمبر سنة ٥ قبل المسيح والثاني في مارس سنة ٤ قبل المسيح

ولا يمكن أن نعرف بالتحقيق يوم ولادة السيد المسيح ولكن يغلب على الظن ان السنة الجارية يجب أن تكون سنة ١٩٣٤ على حساب ان الفرق بين التاريخين لربع سنوات

السينما الناطق

أرسلت اميركا الى انجلترا في النصف الاول من السنة الماضية أكثر من ١٢٠ مليون قدم من أفلام السينما الناطقة . وهذا يزيد ٩ ملايين قدم على ما أرسل اليها في مثل تلك المدة من سنة ١٩٢٩ . ويوجد في انجلترا مكتب هذه الصناعة فيها عشرون من الفرنسيس والايطاليين والاسبانيين والاسوجيين تؤخذ الافلام [illegible] فتلائم بالفرنسية ثم يتلوها غيرها

السيارة وحيوان البر

من أغرب ما عنت فيه الاميركيون ضرر السيارة بحيوانات البر . فقد أصدر أحد موظفي مصلحة الزراعة في ولاية كليفورنيا تقريراً أرسله الى نادي السيارات وقال فيه انه عد ٢٥٥ جثة من جثث الحيوانات البرية في خلال رحلة قطع فيها ٦٣٢ ميلاً منها ٤٣ من ذوات الثدي و ١٤٤ طائراً و ٤٠ زحافة و ٢٨ دجاجة

البلاشفة والعلماء

جاء من أخبار روسيا ان البلاشفة عزلوا البروفسور اولدنبرج المستشرق المشهور واحد أعضاء المجمع العلمي في ليننغراد وسكرتيره الدائم مدة خمس وعشرين سنة والسبب سياسي صرف فانه اتهم رسمياً بأنه خبأ عن الحكومة في المجمع العلمي المذكور وثائق ذات شأن خطير منها النسخة الاصلية لتقارير القيصر عن العرش وبذلك حرم الحكومة عمداً من مواد قد تنفعها في تتبع الحركات التي قام بها بعض الروس يناوئون الثورة

وكان البلاشفة قد عينوا رجلا من قبلهم عضواً في المجمع العلمي منذ بضعة أشهر فاعترض أعضاء المجمع على هذا التعيين ولكن البروفسور اولدنبرج أصر على قبول لسبب لأنه كان وقتئذ من أنصار الحكومة فكان جزاؤه ان هذا شكاه إلى الحكومة فاعتدى البولشفيون على المجمع وانتهى الامر بعزل البروفسور

الجبن الحاضر وضعف الايمان

كتب المستر كولتون مقالاً في « الايمان الحديث » قال فيه : ان الشك في عقائد الدين المقبولة كان يتطلب منذ خمسين سنة شجاعة كثيرة وجرأة عظيمة ولكنه بات الآن خطأ صعباً . ومع ان ضعفه ليس دليلا على عدم صحته لكن العقل المفكر يجب أن يعترض عنه . ولقد صدق مدون حيث قال: ان الذي يفرط في الخوف من أن يبتدع يستحق أن يخدع ويخضع خداعاً عظيماً على العالم . أما انا فأميل الى موافقة ريمان على قوله ان قليلين جداً من الذين لهم الحق في انتقاد المسيحية . ولا يحق لأحد أدبياً أو عقلياً أن يعامل الدين المسيحي كأنه كتب عطلة الا اذا كان قد درس تاريخه بعناية واطلع على مركزه الحالي في المجتمع ووجد أساساً معقولاً لافتراض ان تمسك الناس في الماضي والحال به يمكن تعليله تعليلا معقولا . وقد يكون أمراً طبيعياً — وان يكن موجباً للأسف — ان تنصرف العقول الكبيرة عن حياة الدين بسبب كذب بعض مظاهره ولجاجه

ذكرى لامارك

احتفل الفرنسيون في ديسمبر الماضي بمرور مائة سنة على وفاة لامارك العالم بعلم الحيوان والبيولوجيا ومن المهدين لمذهب النشوء كما نعرفه الآن . وقد كان يزعم ان تغير البيئة يؤثر في الحيوانات لأن الحاجات المتغيرة قد تؤثر في العادات والعادات الجديدة تفضي الى تغير في الاجسام التي عاشت بها وفرض ان هذا التغير المكتسب تورثه الحيوان نسله لاعالة . فقبل العلماء هذا الرأي أولا بلا برهان ، ولكن جاء وايسمان فنقض هذا الرأي وضربه ضربة قاضية ولم يقم بين كبار علماء الحيوان من خالف وايسمان أجمعوا على القول ان وراثة الصفات المكتسبة لم تثبت وانها مستحيلة نظرياً . ولكن قام في العهد الاخير بين علماء الحيوان والنبات من عاد يؤيد فكرة لامارك ويقول بانتقال الصفات المكتسبة ووراثتها

صيد السمك في اليابان

تستخرج اليابان من السمك والحيتان وسائر ما يؤكل في البحر ميزان على في سنة أي ضعف انجلترا والولايات . وتستخدم اليابان في صيد الاسماك وتجارتها مليون نسمة و ٣٥٠ الف سفينة . وانجلترا ٩٠ ألف نفس و ٢٠ الف سفينة

الطيران في مصر

فوائده للبلاد عمرانيا وزراعيا واقتصاديا

آراء جليلة لستة من كبار رجالنا الحكوميين

[كان حديث الناس في الشهر المنصرم الرحلة الخطيرة التي رحلها الطيار المصري الجريء محمد صدقي من أوربا الى مصر وقد أدى نجاح هذه الرحلة الى تفكير كثيرين من عقلائنا في وجوب ادخال الطيران الى مدة فرأى الاستاذ كريم ثابت أن يستطلع آراء طائفة من كبار الموظفين على مصالحنا الحكومية المختلفة في هذا الصدد وأثبت وجهات نظرهم في المقال التالي]

عثمان اللواء أحمد شفيق باشا

المدير العام لمصلحة الحدود

كانت مصلحة الحدود أولى المصالح الحكومية التي اتصل بها الطيار صدقي، عند وصوله حائراً الى بلاده فانه لما هبط في مرسى مطروح بطيارته حمى رجال تلك المصلحة الى استقباله وأسدوا اليه جميع المساعدات التي كان في حاجة اليها لاستئناف سيره ثم معي في طائرته الى مطار أبي قير فمطار مصر الجديدة حيث أتى على حفلة رحلته، وقد عن لي أن أستهل هذا البحث بزيارة سعادة اللواء أحمد شفيق باشا المدير العام لمصلحة الحدود لأعلم رأيه في الموضوع الذي نحن في صدده، فاستقبلني بما طبع عليه من الدعة واللطف ولما كاشفته بالغرض من زيارتي قال

« كانت مصلحة الحدود قد طلبت الى الحكومة من نحو ثلاث سنوات أن تشتري لها طيارات لتجهز بها وحداتها فتستعملها في بعض ما يعرض لها من المهمات فتعود عليها بفائدة، ولكن أسباباً شتى وفي مقدمتها قلة الموارد المالية حالت دون تحقيق هذه الأمنية »

وهنا أبديت لشفيق باشا رغبة في الوقوف على نوع الفائدة التي أشار اليها في كلامه آنفاً فقال سعادته :

« إن الطيارات تساعدنا مساعدة عظيمة على استطلاع الحالة في الصحراوات عند ما تكون دورياتنا حادة في اقتفاء أثر المهربين فضلاً عن أن يصبح رجال تلك الدوريات أيماً برمتها في اجتياز صحراء جرداء لظنهم أنهم ربما يعثرون في ناحية من نواحيها على جماعة من جماعات المهربين تستطيع الطيارة أن تصل الى النتيجة التي يبتغونها في ساعات قصيرة عن مشقة البحث الذي لا يجدي حيث لا يرى شيئاً لا سيما، وترشدهم الى الأماكن التي يحسن بهم أن يوجهوا اليها عنايتهم حيث تلمح أثراً للمهربين . . . ومما لا ريب فيه أن الطيارات تنفع في هذه الحالة نفعاً عظيماً في الصحراوات المنبسطة، أما في الجهات التي تكثر فيها الوديان فلا أعلم اذا كان الظل الذي تولده الآكام يخفي أشباح المهربين عن أنظار الطيارين أم لا يخفيها فان هذه مسألة متوقفة على مهارة الطيار وعلى اعتبارات جوية

شق . . . وعلى كل حال بن الطيارات مفيدة لنا بدليل أننا طلبنا تجهيز مصلحتنا بعدد منها

« ثم اننا نحتاج الى الطيارات في ظروف أخرى كالظرف الذي ننا مثلاً عندما ضل بعض الصيادين الطريق في الصحراء في العام الماضي فانه لولا الطيارات الانجليزية لكانوا قد ماتوا جوعاً وعطشاً ولو كان في مصلحتنا طيارات لما اضطررنا الى تكليف السلاح الجوي البريطاني بهذه المهمة . وليس هناك ما يضمن لنا أن هذا الحادث لن يتكرر حدوثه في المستقبل فوجود الطيارات عندنا لهذا الغرض أيضاً فائدة لا يخفى عليكم مداها »

حضرة صاحب محمود فهمي بك

وكيل وزارة الاشغال العمومية

وعلى أثر حديثي من مصلحة الحدود توجهت لزيارة محمود فهمي بك المدير العام السابق لمصلحة المساحة ووكيل وزارة الاشغال الحالي المختص بشئون الصرف والري ، فأبدى اهتماماً بالموضوع وقال :

« لقد اتفقت وزارة الاشغال العمومية أخيراً مع شركة انجليزية على أن تمسح لنا الأراضي المترامية الأطراف القائمة في منطقة السدود في السودان وستوفد هذه الشركة قريباً بعض طياراتها الى تلك المنطقة لتتولى عملية « المسح » ويقصد بهذه العملية تصوير أرض المنطقة المذكورة من الطيارة لتقف على حقيقتها في تلك الأرجاء تمهيداً لإحالته عملية « مسحها » بالوسائل العادية التي تستعملها مصلحة المساحة مما يقتضي زمناً طويلا فلو كان عندنا طيارات لاستطاعت أن تؤدي هذه المهمة بدلاً من الاعتماد على طيارات تلك الشركة

« غير أنه اذا كانت الطيارات تصلح لمسح المساحات الواسعة من الأراضي التي لا يطلب مسحها دقة في التفصيل ، فاني لا أرى اذا كانت تصلح لمسح ضفاف الأرض المنخفضة مع تعيين حدودها وفواصلها وهو العمل الذي تعمله مصلحة المساحة عادة لأن الطيار لا يستطيع أن يطير على أقل من ارتفاع معين ، فهل يمكنه هذا الارتفاع من تعيين حدود مناطق الأراضي المزروعة مثلا اذا لم يكن بين هذه المناطق حدود طبيعية أو فواصل ظاهرة جلية ؟

« وتنفعنا الطيارات كمهندسين في أثناء « المرور » أي في أثناء تفقدنا لحالة الترع والمصارف والجسور فنوفر بها وقتاً طويلا لا قبل لنا على توفيره بالسيارات لأن متوسط سرعة السيارة التي عربتها لا يتجاوز أربعين كيلو متراً في الساعة . ومن هنا تستطيعون أن تدركوا مبلغ الوفر المادي الثمين الذي نستطيع أن نوفره من وقتنا اذا كان عندنا طيارات نستعملها لهذا الغرض

« ولما فاض النيل أخيراً فيضانه الخطر اضطرت وزارة الاشغال الى شراء عدد كبير من سيارات فورد ليستعملها مهندسوها في طوافهم وتفقدهم للسهر على سلامة الجسور ، فلو كان عندنا طيارات لما اضطررنا الى شراء تلك السيارات

« وقد فاتني أن أذكر لكم أننا لما أردنا « مسح » المنطقة الشرقية من خزان اسوان عهدنا في ذلك إلى إحدى الطيارات الانجليزية مع أنه كان في وسعنا أن نعمل نحن هذا العمل لو كان عندنا طيارات

« ولما كنت مديراً لمصلحة الساحة أردت السفر إلى سيوه لزيارتها ولتفقد حالة الأرض في منطقة « القطّارة » فسألت عن النفقات التي تكلفني هذه الرحلة لو أردت أن أقوم بها مع موظف من مساعدي ، فقيل لي إنها لا تقل عن مئتي جنيه في حين أن السلاح الجوي البريطاني عرض علي أن يسافر بالطيارة بأقل من نصف هذه القيمة . وفي هذه الحالة لا تستغرق رحلتنا أكثر من ثلاثة أيام بدلاً من أن تستغرق ستة أيام أو أكثر لو سافرنا بالسيارة ، فيصح لكم من ذلك كله ان الطيارات مفيدة لنا لأعمالنا الخاصة بالمرور والتفتيش »

عند جمول فريم بك

السكرتير العام لوزارة الزراعة

ولما كان أكبر موظف فني في وزارة الزراعة الآن هو حضرة صاحب العزة جلال فهيم بك السكرتير العام للوزارة قصدت اليه في صباح اليوم الذي تألفت فيه برئاسته اللجنة الجديدة للبحث في خير الوسائل التي يحسن التوسل بها لمكافحة الجراد وسألته عن الفائدة التي تستطيع وزارة الزراعة أن تجنيها من الطيران اذا كان عندنا طيارات فعال :

« على ذكر اهتمامنا الآن بمكافحة الجراد أحركم أنا نستعمل في مكافحته في بعض الأحيان مادة سامة تبيده عن بكرة أبيه ، نختبر به من نحو ثلاث سنوات أن نستعمل هذه المادة بكمية وافرة لتعم فائدتها فاتفقنا مع السلاح الجوي البريطاني على أن يخصص لنا بعض طياراته لتتولى إلقاء هذه المادة في المناطق التي يكثر فيها الجراد طبقاً لبعض البيانات التي وصلت الينا . وقد أحاطت السلطات الانجليزية الى طلبنا وحققنا الفكرة »

فقلنا : « وهل أسعر تخشفها عن الغاية المنشودة منها » فقال « لا على الوجه الذي كنا نريده تماماً » . فقلنا : « وهل عرفتم علة ذلك ؟ » . فقال « لعل ان الهواء كان يحمل المادة عند إلقائها الى منطقة أبعد من المنطقة التي كنا نريد إلقاءها فيها » . فقلنا « إن الذنب إذن ليس ذنب الطيارات بل ذنب الطيارين » . فقال جلال بك : « والذي اعتقد أن الطيارات تنفع في هذه الحالة اذا كان الطيارون مدربين على هذا العمل ودققوا في حسابهم كما يدقق الطيارون الذين يلقون القنابل في إبان الحروب »

وهنا أحرنا جلال فهيم بك أنه مما يعزز رأيه التقدم أنهم يستعملون الطيارات لهذا الغرض في الولايات المتحدة الاميركية . وفي هذا أكبر دليل على أن التجارب التي جربوها في تلك الديار آلت الى نتائج ارتاحوا اليها »

فسألنا جلال بك : « هل فائدة الطيارات لوزارة الزراعة تنحصر على مكافحة الجراد فقط »

فأجابنا حضرته بقوله : « كلا فان بعض البلدان تستعملها أيضاً في مقاومة الحشرات في المناطق الزراعية فانه عند ما يعلم ولاة الامور أن هناك نوعاً من الحشرات يتلف الزرعة في مناطق معينة من الاراضي المزروعة يعمدون الى الملاح الكيمياوي اللازم لابادة تلك الحشرات ويعهدون بها الطيارات فتحلق فوق المناطق المذكورة ويلقي عليها رحلها المادة الكيمياوية التي تكون قد أعطيت لهم فلا يلقي

وقت قصير حتى يكونوا قد نشروا هذه المادة في كل مكان في حين أنه لو أريد نشرها بالأيدي بواسطة الفلاحين أنفسهم لاقتضى ذلك زماناً طويلاً ومجهوداً شاقاً لا يستهان به »

حضرة الدكتور محمد شاهين بك

وكيل وزارة الداخلية للشئون الصحية

وكنا قد قرأنا أخيراً في بعض الصحف الأوربية أنهم بدأوا في حروب أوربية يستعملون الطيارات المدنية لنقل المرضى من المناطق الداخلية النائية الى المدن التي تقوم فيها المستشفيات والعيادات الطبية ، فقصدنا الى سعادة الدكتور محمد شاهين بك الطبيب الخاص لجلالة الملك ووكيل وزارة الداخلية للشئون الصحية ، وسألناه عن الفوائد التي تستفيدها مصلحته من الطيارات اذا ما قنعت الحكومة عدداً منها لحاجات مصالحها فأجابنا سعادته بقوله :

« إن للطيارات عيناً واحداً من الوجهة الصحية ، وهو أنها من أسرع الوسائل لنقل الأوبئة من جهة الى جهة أخرى ، ولكن هذه مسألة يمكن تلافيها بمضاعفة الرقابة على ركاب الطيارات التي ترد الينا من الأقطار الأجنبية ، فيكون في الطيارات المصرية محال خاصة لحصر الركاب القادمين من الخارج وعدم السماح لهم بمغادرتها قبل التأكد من أنهم لا يحملون الى معهم آثاراً وباء من الأوبئة الخطيرة التي نخشى منها على سلامة سكان هذا البلد

« أما فيما عدا ذلك فان فوائد الطيارات جليلة وعظيمة . ولا سيما عند حلول الكوارث . ومما لا ريب فيه أنها تنفع في مصر بوجه خاص في الجهات المنقطعة وخصوصاً في الواحات حيث تبعد المسافات ولا تتكثر المستشفيات وكثيراً ما يضطر الطبيب أن يضطر مرة الى نقل كمية من الفصل الواقي من السكاب الى مدينة بعيدة حتى يتيسر له وسيلة سريعة متيسرة وكانت حالة المصابين تقضي علينا بأن لا نتوانى في إرسال لقاح الهيم ولا نتوانى عليه لقصد من إرساله ولما لم نعلم كيف نبعث به اليوم سريعاً خطر لنا أن مخاطب السلطات الانجليزية في الأمر لعلها تضع تحت تصرفنا طيارة من طيرانها فتنقل اللقاح الى الجهة التي كنا نحي إرساله اليها فخاطبناها وأحالتنا الى طلبنا عن طيب خاطر ووصل اللقاح الى أصحابه في أوانه ، وليس هذا الحادث سوى حادث واحد من حوادث كثيرة تثبت كلها ضرورة وجود طيارات مدنية مصرية لتكون تحت تصرف المصالح الحكومية في مثل هذه الاحوال الاستثنائية

« ثم انه كثيراً ما يحدث أن تسوء حالة مريض في الوجه القبلي فيرسل أهله في طلب طبيب من العاصمة ويلحون عليه بموافاتهم في طلبهم على جناح السرعة فيضطر الطبيب للمرور الى الاعتذار عن الذهاب في كثير من الأحيان لبعد المسافة وطول مدة السفر بما يكون عنده في العاصمة عدة مرضى يدعي له عدم الانقطاع عن عيادتهم لمراقبة سير مرضهم وتحويل العلاج بما يطابق كل طارئ يطرأ على حالتهم ، في حين أنه لو كان عندنا طيارات لاستطاع هذا الطبيب أن يلبي الطلب ويعود الى العاصمة في خلال ساعات بحيث لا يغيب عن مرضاه هنا طويلا »

عند عبد الحميد سليمان باشا

المدير العام لمصلحة السكة الحديد

وفي الوقت الذي شرعنا فيه في هذا البحث أذاعت جمعية تنشيط السياحة في مصر تقريرها عن أعمالها في السنة الماضية وعن الجهود التي بذلتها في البلدان الأجنبية لحث السياح على قضاء فصل الشتاء في الديار المصرية ولما كان رئيس هذه الجمعية هو معالي عبد الحميد سليمان باشا المدير العام لمصلحة سكة الحديد زرته في ديوانه لاستطلاع رأيه فيما يستطيع الطيران أن يسديه الى السياحة في مصر في مستقبل الأيام ، فقال سعادته :

« إن هناك شركات انجليزية تشتغل الآن باعداد معدات إنشاء خط جوي بين لندن وهذيه الرأس في رأس الرجاء الصالح وجنوب أفريقية بحيث يصل المسافر من انجلترا الى الرأس في أيام قلائل بدلا من أن يضيع وقته بالسفر بحراً تطول المسافة التي تحارها البواخر في سبيل الوصول الى جنوب أفريقية وقد قام بعض طياري تلك الشركات برحلات جوية على الخط الذي تريد إنشاءه لاستطلاع حالة مرحلة المختلفة فأسفرت رحلاتهم عن نجاح بعث القائمين بالمشروع على المضي في إعداد معداته وستقف الطيارات الطائرة من لندن الى الرأس في نحو ثلاثة أيام فيتاح لركابها التفرج على أعلام المدينتين »

فسألنا عبد الحميد باشا هل يعتقد أن إنشاء خط جوي منتظم بين القاهرة والاقصر وأسوان يؤدي الى فائدة محسوسة ؟ فأجاب قائلا : « إن إنشاء خط جوي بين هذين القطرين على هذا الضرب من السفر يكون عظيما في مبدئه الأمر فقط ، ولكن المسافرين منهم بالسفر سيكونون دائما من طبقة معينة وإذا قاموا بهذه الرحلة مرة أو مرتين فانهم لا يعودون لها مرات كثيرة بعد ذلك وأعني بكلامي هذا أن عدد الذين يسافرون بالطيارات لن يكون كافياً لتغذية الخط المذكور وسد نفقات طياراته اذا قامت برحلات في أيام معينة وأوقات منتظمة

« أما فيما يتعلق بالسياح فان عدداً يسيراً منهم يصل على السفر من القاهرة الى الأقصر بالطيارات وذلك لأسباب كثيرة أهمها ان المسافة بين المدينتين ليست طويلة وأنهم يجدون في قطارات سكة الحديد مركبات للنوم ومركبات للأكل تتوفر فيها وسائل الراحة والرفاهية فلا يشعرون بحاجة الى تقصير مدة السفر ساعات وخصوصاً انهم لا يرومون إلا النزه والترويح عن النفس فيبقى هناك السياح الذين يعتنقون الطيران لمجرد التحليق في الجو . ولا أعتقد أن عدد هؤلاء يكفي لانشاء خط جوي ثابت منتظم بين القاهرة والأقصر »

وأخبرنا عبد الحميد باشا أن بعض البواخر الكبيرة التي تجتاز المحيط أو البحر الأبيض تحمل طيارات صغيرة تسع راكبين أو ثلاثة ، فاذا ما رست الباخرة في ميناء من الموانىء حلقت تلك الطيارات بركابها فوق المدينة التي يصلون اليها على سبيل النزه والتفرج

عند عبد الرحمن فكري بك

المدير العام لمصلحة التجارة والصناعة

ولم يكن يسعنا أن نختم هذا البحث بدون أن نقف على رأي الاستاذ عبد الرحمن فكري بك في الموضوع الذي نحن في شأنه وقد عهدت اليه الحكومة في تنظيم مصلحة التجارة والصناعة والاشراف على تعميد مشروعاتها وهي المصلحة التي عرّفها معالي علي ماهر باشا وزير المالية الأسبق بأنها نواة وزارة عتيدة للتجارة والصناعة في مصر ، فقال لنا حضرته :

« إن استخدام الطيارات في مصر يعيدنا من الوجهة التجارية فائدة عظيمة سواء أكان ذلك فيما يتعلق بعلاقاتنا بالأقطار المجاورة لنا أو في أعمالنا التجارية في داخل القطر نفسه ، فلو استخدمنا في الحالة الاولى طيارات كبيرة لأمكننا أن ننقل الفواكه مثلاً بين اليونان وايطاليا واسبانيا وفلسطين وسورية ومصر بسرعة تكفل عدم تسرب العطب الى الفواكه الواردة الينا أو المصدرة منا وان ما يقال عن الفواكه يصح أن يقال أيضاً عن واردات وصادرات أخرى من مصلحتنا ومصلحة عملائنا نقلها بالطيارات . ولا أخالني في حاجة الى تبيان فائدة الطيران لنا في اتصالنا بالسودان فوثيق علاقاتنا التجارية به توثيقاً تحول دونه الآن المسافات الشاسعة التي تفصله عنا »

واستطرد عبد الرحمن بك من ذلك الى القول

« أما في داخل القطر نفسه فان عدم وجود حائل في طريق سبيل الطيران فيه تسهيلاً كبيراً فتستطيع الطيارات أن تحوب أرجاءها كلها بأقل وقت ممكن لنقل الناس والخضروات والاسماك بسرعة تقيها من العطب وقد بدأوا حقاً يستعملون الطيارات في نقل الأسماك من بحيرة قارون الى الاسكندرية . فلو انتشر الطيران عندنا لاستطاعت شركة مصر لصيد الأسماك أن تنقل أسماكها من السويس الى جميع أنحاء القطر كل يوم

« هذا من جهة ومن جهة أخرى فان كثيرين من تجارنا يفضلون السفر بالطيارات لتوفير الوقت على السفر بسكة الحديد أو السيارات . وهب أنه عندنا طيارات لهذا الغرض فان تاجراً في العاصمة يستطيع أن يطير الى أسيوط ويتم صفقته فيها ثم يعود الى العاصمة طائراً بدون أن تستغرق رحلته اكثر من ساعات معدودة »

وختم مدير مصلحة التجارة كلامه قائلاً :

« ويقول رجال وزارة الزراعة ورجال مصلحة الحدود الذين زاروا الواحات إن أرضها خصبة جداً وتصلح لزراعات كثيرة ، ولكن العقبة الوحيدة القائمة في سبيل إمكان الانتفاع من تلك الواحات هي إنعدام المواصلات السريعة . ولما كان إنشاء سكك حديدية في كثير من مناطقها لا يناسب الحكومة من الوجهة المالية فليس هناك علاج لهذه المشكلة سوى الطيارات »

* * *

تلك هي آراء طائفة من كبار رجالنا العاملين في فوائد الطيران لمصر . فهل نرانا في القريب العاجل يصلون مع عزم على تحقيقها ؟ . . .

كريم ثابت

تعذيب النفس

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

في أوائل السنة الماضية ظهر في ألمانيا كتاب عن الحرب سيكون له أثر بعيد في تقرير السلم وتعريف الناس بحقيقة الحروب . ذاع هذا الكتاب في ألمانيا ذيوعاً كبيراً وترجم الى الانجليزية خلال السنة فأعيد طبعه بين شهري مارس واكتوبر أكثر من عشرين مرة ، وقيل إن حكومة ايطاليا منعت ترجمته لخوفها على الشبان أن تميل بهم قراءته الى المسالمة وتطفيء في صدورهم جذوة الحمية وحمية القتال

هذا الكتاب هو كتاب ارنست ماريا ريمارك المعروف بـ « لا جديد في الميدان الغربي » أو « كل شيء ساكن في الميدان الغربي » وهو في أسلوبه أقرب الى القصص منه الى الكتب ، وأشبه بأن يكون مادة للتفكير من أن يكون فكرة أو أفكاراً مبرعة في كتاب

فرأيته رأيت فيه ذخيرة لا تنفد من الملاحظات النفسية وخرجت منه بمحصول قلما عثرت به في رواية واحدة . وليست أريد هنا التفصيل في التنقيب عليه ولكني أريد أن أذكر مثلا واحداً من الأمثلة التي تتوالى في صفحاته وتحير في التفكير بين التأمل والعجب والاعتبار

فئة من الشبان خرجوا الى الحرب من بلد واحدة ، وقد انخدم منهم شيعة في ميدان القتال تستدر الدموع . ويصف الكاتب وصفاً أقوى ما فيه أنه صادق مفصل ما يعتري هؤلاء الشبان يعود أحدهم — وهو الكاتب — الى بلدته في أجازة قصيرة يهدأ فيها الجسم بعد عناء الشعور بكل ما كان يشعر به قبل الذهاب الى الميدان . فيخطر له أن يزور أم صديقه القتيل ليخبرها في مصابها بعض العزاء أو ليرضي في نفسه بقية من ذكرى ذلك الصديق

قال : « ليس في وسعي أن أدون هنا في الكتاب ما دار بيني وبين المرأة وهي ترتعد وتنتحب وتهزني وتصيح بي : ما بالك انت حياً وقد مات ، وتغرقني بالدموع وهي صارخة : « عيم دهتم انتم جميعاً يا بني اذا كنت انت . . . . . » ثم تمسك وتهبط على الكرسي وهي تندب وتعول :

« أرأيته ؟ أرأيته إذن ؟ كيف مات ؟ » فأقول لها : « أصابته رصاصة في القلب فمات لساعته »

فتطير الي وتشك فيما أقول وتصيح بي : « أنت تكذب . لقد عمت أكثر من هذا ، حدثني فلي عينه الشبيهة ، سمعت صوته في سكون الليل ، سمعت حشرجته وشعرت بكرباته ، قل الحق ، إني أريد أن أعلم . لا بد أن أعلم »

قلت : « كلا . لقد كنت عنده وقد مات لتوه » فعادت تتوسل الي في صخب وليس : « أخبرني ، هم ينبغي أن تخبرني ، اني لأعلم انك تريد أن تخفف عني ، ولكن ألا ترى أنك تعذبني أضعاف ما لو عرفت الحقيقة ؟ اني لا أطيق هذه الشكوك ، قل لي ما حدث وليكن ما يكون من الهول والرعب فهو أرحم لي مما يخوم في فكري لو أصررت على السكوت »

لست قاتلا . . .

لست مفصياً اليها عا تريد ولو مرقتني شيرة شيرة . وان لأرحمها ولكنها تلوح لي بليلة عيبة . فما لها لا تكف عن هذه اللجاجة ؟ ان كريش ليطل ميتاً حيث مات علت به أو لم تعلم . ومن كان مثلي قد شهد من شهد من الموتى عسير عليه أن يعهم فيم كل هذا الألم على فرد واحد ، فقلت لها في شيء من الضجر : « لقد مات لساعته ، مات ولم يشعر بشيء قط من الألم ، وكان وجهه على أهدأ ما يكون من الهدوء »

فسكتت . ثم عادت في بطء وهيبة تسأل :

— أو تقسم ؟

— نعم ! — بكل مقدس عندك ؟

يا لله ! وأي شيء مقدس عندي الآن ؟ وما أسرع ما تغيرت عما هذه الاشياء

قلت : « نعم ! لقد مات لساعته »

قالت : « أتقول لأعدت الى وطنك اذا لم يكن هذا حقاً »

قلت : « لاعدت أبداً او لم يكن قد مات لساعته »

وما كنت لأتردد في القسم على أي شيء ، فدا عليها انها صدقت ، وراحت تئن وتنتحب ، ووجب ان أقص ما حدث فاخترعت لها قصة كدت ان أخدع في صدقها ، وانصرفت لجاجة تفني ونهدي الى صورته في كبرته العسكرية وهو ... كريش على هيئة مستديرة عليها كوب من الحمة »

سألت نفسي وأنا اقرأ هذه القصة كما سألت نفسي مراراً الكثيرة لا تكف عن هذه اللجاجة ؟ نعم ما لها تريد أكثر مما بعدها وبعد في الآلام ... أرملها حرصة على أن عوت انها في ميدان القتال ميتة تليق قتلها وتكفر جريمتها كما أوشك أن يتبين ، أفعليه أن في النفس الانسانية رعة خفية تطلب العذاب وتحيل به أحداً كما كان يقول به فلاسفة اليونان على الدنيا ؟

وذكرت قصة « كرمازوف » لدستويفسكي أحد الروسي العظيم وقصها بعنوان التصيح أو الطريق يتلخص فيما تقدم ويدور في جملته على معذبين أنفسهم من الرجال والنساء وما يخلقونه لها من الشكوك التي تشعل الألم كما هنا وتستعر الشعور كما هو الرفاد . فهم بين عاشق يخلق الأوهام للشك في إخلاص معشوقه ، وعابد يخلق الأوهام للشك في إيمانه ، ومتفلسف يخلق الأوهام للشك في أمكنته الطبيا وقواعد تفكيره ، ورجل من رجال الدنيا يخلق الأوهام للشك في قيمته أو للشك في سروره وراحته ، وكلها شكوك ترمض النفس وتدع الطمأنينة دامة لا تميت فتريح ولا تحي فتتبعها المتعة بالحياة

وكان الفصل كله يدور على أن النفس الانسانية تطلب العذاب وتستحليه وتشعر فيه بشيء من التكرياء يرسبها ويشبع غرورها ويملأ جوانبها ويخيل اليها أنها قوة تثور ويثار عليها وتشتبك مع قوات الشر في صال شريف يحمها على السواء أن تنهزم أو تنتصر فيه

وأحسب أن النفس الانسانية تطلب العذاب حقاً في بعض الاحيان وتحبه ولكنها لا تطلبه لذاته أو لكي تقف عنده ، وانما تطلبه لتقضي عليه أو لتصل منه الى قرار الراحة وبرد اليقين

والنفس الانسانية لا تفعل ذلك إلا في العواطف العزيزة عليها والتي هي عرضة للآلام أكثر من

غيرها ، كحب الأنا كما رأى في القصة السابقة أو كحب المعشوق أو كحب النفس والثقة بها أو كحب الخلود والأمل في السعادة الأبدية أو ما شابه ذلك من العواطف

أما لماذا كانت هذه العواطف مناط الألم والعذاب فأمر لا يصعب فهمه وتعليله . لأنه كلما كان الحب عزيزاً كان الخوف عليه شديداً ، وكلما كان الخوف شديداً كان الاحساس بالخطر سريع التنبه متحفزاً للأعداء من جميع الجهات . فأصبح الشكوك في هذه الحالة كأنها تقتص نظام الشعور واضطرار الفوضى فيه وانطلاق الشياطين الخبيثة في أنحائه تروع وتخيف كأنها رماية الجحيم . فلا راحة ما دام الشك معقد ولا أمد في هذه الحالة من اليقين الذي يقضي على كل همسة من الوهم الضعيف وجذوة من الخطر الطفيف . وفي سبيل ذلك اليقين الجازم يسأل الانسان ويستقصي ويبحث في السؤال والاستقصاء حتى يستأصل الشك من قرار جذوره ويصل بعد ذلك الى اليقين الذي يبتغيه

فوجهة النفس العليا هي اليقين والعقيدة وليست هي الألم والعذاب . ومن ثم قول المرأة : « إني لا أطيق هذه الشكوك ، فقل لي عما حدث وليكن ما يكون من الهول والرعب فهو أرحم لي مما يحوم في فكري لو أصررت على السكوت »

ولا ريب أن أشد الوساوس إيلاماً للانسان ما اعتراه من قبل الثقة بنفسه ، فربما كان الألم الأكبر في وساوس العاشق أو وساوس العابد أو وساوس المتطلع الى الكمال انها تصيبهم في تلك الثقة فتتركهم وهم لا يعلمون ما هم فيه من حب وعبادة ولا وثوق إلى الكمال أم هم أصغر شأناً من ذلك المقام عند من يحبون وما يحبون

في الروسيا التي يكثر فيها التفاضل بين العالم الخارجي والعالم النفسي يكثر الشك في النفس تبعاً لذلك التفاضل العنيف بين العالم الخارجي بما فيه من قوة وفخر ورفعة وبين العالم النفسي استكثار وسخط وروح الى الوراء وانحناء وهضم هذا الروح بمكاشفة النفس بما فيها من ضعف وخجل ورياء وطمع ودناءة وضعة ، فتعرف وتفحص وتبغض وتبغي ما تبغيه « دستيفسكي » بالتصبيح أو التحريق ، ثم تعالج الطبيب من شعور الضآلة فيه في شتى شئونه تختلف على حسب اختلاف البيئة والمزاج ، فمن الناس من يلجأ الى الزهد ومنهم من يلجأ الى الصمت ومنهم من يتخذ من الشكوك فلسفة يسميها قلة الاكتراث وهي ناشئة في الحقيقة من فرط الاكتراث ، وهكذا يظهر أولئك الأبطال الروسيون الذين يعرفهم كل من قرأ الروايات الروسية لأي المؤلفين . أولئك الأبطال المعروفون بالشدود والاحراج وطلب العذاب وضعف الطمأنينة الى أي شيء مما يطمئن اليه الناس : أولئك الأبطال العذابيون أو المعاون في الآزة أو المتزهدون أو المتعرسون ، وكلهم صرعى « التصبيح » الذي وصفه « دستيفسكي » في رواية كرمزوف

كلا ! لا تطلب النفس العذاب ولا تقف عنده اذا هي طلبته وحيل الى الناظر أنها تتمناه وتشتهيه ، وانما هي تطلبه لتتأمله وتخفي عليه . وتطلبه لتصل منه الى إرساء معبود أو معشوق أو فكرة أو شعور ، فبعد لها أن تعرف بالعذاب قيمة من تحب وما تحب . وأن تعرف أن ما تحب جدير بما تلقى في سبيله ، وأنها إذن جديرة بذلك الحب العنيف

عباس محمود العقاد

استفتاء الهلال

أهم حادث أثر في مجرى حياتي

مصطفى ماهر باشا . الاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني . الاستاذ أنطون الجميل

[لك أن تقول أيها القارىء إنا في كل مرة نوفق الى أحسن ثلاثة مشاهير لكل منهم مزية خاصة ، فمعالي مصطفى ماهر باشا وزير ولكنه مزارع خطير ، والاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني كاتب قدير ، والاستاذ أنطون الجميل أديب صالح يأسرك بحسن الدباجة وحسن المعنى ويذهبي بك الى غاية ترتاح اليها . الحرر]

مصطفى ماهر باشا

«لم تكن حياتي في صدر شبابها على ما أريد ، فقد كنت أتعلم بمدارس الحكومة أشتهيها في مدرسة فؤاد الاول بالاسكندرية ، وكانت وقتئذ تشرع مدارس الحرير وتخرج منها عدد وافر من الوزراء ورجال الادارة والسياسة والحقوق.

«ولما كان لي ميل خاص لدراسة اللغات الاوروبية درست منها الفرنسية والانجليزية والايطالية ونلت قسطاً ليس بالقليل من التركية والفارسية ، ثم وقفت مدرساً في مدرسة الفنون الجميلة ، ودرست الحقوق مدة سنين في مدرسة الحقوق الفرنسية وعينت في أثنائها وكيلا لمديرية الاسماعيلية فانتدبت في سنة ١٨٩٥ لتأدية مأمورية هامة وهي درس حقيقة أحوال واحة سيوة وكانت في ذلك الحين شبه عاصية ، وحدأن قوفت في مهمة عير ودية وقفت جهودي كلها الى تنظيم أمورها الادارية وألحقني الحكومة الى معاملة سكانها البسطاء الفقراء بالجود والعطف فحسنت سيرتهم من وقتها . وان سئلت عن أصعب ظروف صادفتني في حياتي الادارية ما ترددت في أن أقول إنها كانت انئذ . هذه المأمورية الشاقة وقد وضعت وقتها كتابا جمع الكثير من تاريخ الواحة وعادات وأخلاق ولغة أهلها ولم يؤذن لي بطبعه لكن ارادة صاحب الجلالة ملكنا المعظم اقتضت لحسن حظي أن أنشره باللغة الفرنسية بواسطة الجمعية الجغرافية الملكية وقد نفدت الجمعية هذه الارادة السنية في إحدى مجموعات مطبوعاتها عقب الحرب العالمية وما زالت النسخة العربية الاصلية عندي أصبح الهلال الأغر باقتطاف ما يراه مناسباً منها ولو أنه مضى زمن طويل على عهدها

«وادا أردتم معرفة ما نلته من الوظائف الادارية فهاهي: وكيل مديرية البحيرة ـ وكيل محافظة الاسكندرية ـ محافظ السويس ـ مدير بني سويف ـ مدير المنيا ـ مدير الدقهلية وبقيت في تلك

المديرية أكثر من خمس سنين أمكنني فيها أن أوطد دعائم مجلس بلديه المنصورة الذي كان مؤقتاً ومرعوعاً وأنشأت فيها مصلحة للمياه وكان سكانها الملايين يعيشون شوارعهم وبيوتهم بالغبار ويشربون ماء عكراً يجلبونه غرب السكة بين . وبذلت الجهد في نشر التعليم الاولي في بلاد المديرية وانتقلت مديراً للغربية فمديراً للاوقاف العمومية ولم تكن وقتها وزارة واستقر بي المقام نهائياً الى مصلحة الدومين ، هنالك قرت بتحقيق أمنيتي لأني كنت أطمح وأنا في الوظائف الادارية الى العناية بالشئون الزراعية فمكنني السنون الثلاث التي قضيتها في تلك المصلحة من بل بعض ما كنت أجب أن يكون كل مصري رجلا يفهم ما هي الزراعة وأهلني ذلك الى أن يشرفني أحوالي في النقابة الزراعية المصرية العامة بانتخابي وكيلا للمرحوم الامير يوسف كمال فرئيسها بعد استقالة سموه . ويحضرني أن أقول انه بعد تصفية مصلحة الدومين واحالتي على المعاش أرادت حكومة الدولة العثمانية أن تعينني والياً في إحدى ولاياتها الكبرى وذهبت الى الاستانه بهذه الفكرة ، ولكن العناية الالهية ألهمتني أن أفضل رجوعاً الى وطني لما توقعت حدوثه من الكوارث في دائرة تلك الدولة . وقد كنت وزيراً للمعارف في الوزارة الثروتية الاولى ووزيراً للمالية في الوزارة العدلية المستقيلة حديثاً هذه ترجمة حياتي التي رغبتم العلم بها . واذا أردتم أن تعرفوا ما هو أحب عمل لي أعتقد به بعد استعراض ماضيات حياتي في مرآة تحليلي أكنت لكي أن أعطيه ما أفتخر به انتظامي في سلك النقابة الزراعية ووضع يدي في يدي حضرة [illegible] طوعاً وحباً [illegible] عال ولا بوقت لخدمة بلادنا العزيزة خدمة صحيحة صريحة والسعي في [illegible] وسعاد [illegible] الذين لا تتوطد أركان الرخاء العام والثروة العمومية الا على [illegible] ،

الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

وهما حادثان لا حادث واحد ، لكل منهما أثره الذي في حياتي ، وما زالا الى هذه الساعة يتناوبان التأثير : واحد يرضيني والثاني يحصيني ، وهذا يشيلني وذاك يحطني ، فلا سبيل الى الترجيح

فأما الاول والأسوأ فالمرح الذي أصبت به بلا موجب ، فما كنت سكران ولا وقعت من سطح ولا زلت في قدم ، ولا شيء غير هذا مما يكسر العظام . ولكنها كانت روحي مريضة فاجريت لها عملية جراحية ، وفي صباح اليوم التالي وقعت الى سريرها وفي عنائي الدواء ممزوجاً بالماء في كوب من الزجاج ، وحاولت أن أرفعها بيساري ، وكان السرير عالياً وأنا قصير القامة فشدت فسمعت شيئاً يطق فظننت الكوب قد انكسر وتلمست بنظر فاذا هو في كفي سليم فحاولت أن أدور على قدمي لأرى فاذا بساقي اليمنى تخذلني ولا تحملني فظننت أن الصوت منها ثم تبينت بعد ذلك أن حق الخرقعة هو الذي انكسر وعولجت ثلاثة شهور ولكن العلاج كان فيه بعض الخطأ فانحرفت عظمة الساق عن استقامتها فقصرت عن أختها فكان هذا المرح

وكان هذا في سنة ١٩١٤ فتغيرت الدنيا في عيني وزاد عمري عشر سنوات لحظة ، وأدركتني الشيخوخة في عنفوان شبابي ، فاحتشمت وصدفت مصطرداً عن مطاعم الحياة وملاهي الدنيا وكل ما فيها من رياضة ومتعة حتى التريض من ذلك ، وعمرت نفسي مرارة كان يخيل الي أني أحسها

على لساني . وتعبت أعصابي وكلت وطغت على التبرم ، وأصبت من جراء ذلك بالبراستيبيا

« فهذه واحدة ، فأما الاخرى فكانت بعد ذلك بخمس سنوات أي في سنة ١٩١٩ والثورة المصرية في إبانها . وقد تركني فورتها والاضطراب الذي جاء في أعقابها بلا عمل ، فسعيت الى الاسكندرية لأروح عن نفسي وأستجم وفي مأمولي أن أوفق بعد ذلك الى عمل هناك ، وكانت أعصابي كما قلت معتلة ، والبراستيبيا كأحد ما تكون ، ولم أكد أستقر في الاسكندرية حتى شعرت بحمى عصبية ، ثم اتفق أن وجدت مع صديق لي رواية روسية مترجمة الى الانجليزية فسألته عنها فأثنى عليها ، ولم أكن قد سمعت قبل ذلك باسم المؤلف فاشتهيت أن أقرأها واستعرتها منه ، وكانت وصية الاطباء لي أن لا أكد خاطري أو أتعب رأسي بالقراءة أو الكتابة . وهذا شر ما يوصى به مريض مثلي لأنه حقيق أن يخلو بنفسه فيطول تفكيره في أمره وتدور خواطره على أوهامه وآلامه المتخيلة فيزداد الامر سوءاً

« قرأت هذه الرواية فلم أكد أفرغ منها حتى رأيتني قد انقلبت مخلوقاً آخر : أعادني روح بطلها قوتها وحرأتها على الحياة ، وبالمثابرة في مواجهة ما يقع له فيها ، وباستقامة السيرة وسداد الاتجاه ، فشعبت واستعبت على الاطباء والمقادير وما لبثت أن كررت الى ميدان العمل وفي من النشاط والثقة ما يكفي لنفسه وغيره

« وفي سنة ١٩١٩ لم أخرج من العمل يوماً واحداً بسبب المرض ولم أنقطع إلا لعرض ، ولا أراني مع ذلك تحت أو كنت أو وددت أو شئت أو استطعت أن أتخلص عن كاهلها وأني لأعد بصري الى نفسه وبصيرته بأولئك الصور والنفحة الوطنية والاريحية سلفاً في كل ما عسى أن يكون كائناً ما كان ، وأراني كلما تعبت فكرت العزم على إحيائي فعدت فقرأت تلك الرواية فتستفيدني

« وقد أديت ما علي من ثمن لها ، فنشرتها في المرة الثانية في الطبعة « واسمها في الأصل « سابين » — وهو البطل — أما مؤلفها فهو روبرت سيمب . ونشرتها في سنة ١٩٢٢

« ولست أقول إن هذه غير رواية ، كلا ، وانما أقول إنها شفتني وقوتني ونفثت في روحاً كانت حاجتي اليها عظيمة ، ولقد كنت قبلها أعتقد أن عمري لن يطول أكثر من خمس سنوات ، فصرت بعدها أكاد أؤمن بالخلود في الدنيا ، ولقد أليت غير مرات في مآزق شديدة النكوب أثناء اضطرابات الثورة ، فكان يدهشني أني موقن أن لن أصاب ، وأن هذا الرصاص الذي يصفر فوق رأسي سيتخطاني ، وأن السوء الذي يحيق بجيري سيخطئني : الحق أني لا أكاد أعرف نفسي الآن . فقد رددت في كهولتي شاباً »

الدستور أطوله الجبل

« يقولون إن الشعوب السعيدة لا تاريخ لها . . .

« واذا كان الافراد كذلك فاني أعد من السعداء لأني لا أرى أن لي تاريخاً ينطوي على ما يستحق التسطير من الحوادث الهامة التي لها أثر بين في مجرى الحياة

« غير أنه لا يمكن أن أكون من السعداء ، ليس لأن السعادة ليست من هذا العالم كما يقولون ، بل لأن . . . بي قميصاً بل أقصه

« وحكاية ذلك :

« أنه في قديم الزمان وسالف العصر والأوان مرض أحد الملوك العظام ورأى أطباؤه أنه لا يبرأ من دائه إلا اذا ندثر قميص رجل سعيد . فقام الرسل يجوبون أنحاء المملكة طولاً وعرضاً باحثين عن الرجل السعيد ليأتوا الملك قميصه . ولكنهم ما سألوا أحداً « هل أنت سعيد ؟ » إلا كان رده « لا ! » غير أن أحد هؤلاء الرسل لما في أعالي الجبال راعياً يسوق قطيعه على نغم شبابه :

« فسأله : وأنت . أسعيد أنت ؟

« فأجاب . أي والله ! اني لسعيد !

« فقال : أسرع وهات قميصك ، ولك ما تريد من المال !

« ولشد ما كانت دهشته اذ أجابه الراعي باسماً « ولكن أنا ليس لي قميص ! »

« فاصفحوا من ذلك الوقت يقولون : الرجل السعيد لا قميص له . . .

« أما أنا فمادمت ذا قميص فاني غير سعيد : وما دمت غير سعيد فلي بدون تاريخ : قياس منطقي هو في نظري لا عبار عليه

« ولكن هذا قياس منطقي جر هو أنصع وضوح لا يرد في نظر غير هلال : ما دام لي تاريخ لا بد من التحدث الى قراء هذه الصفحة الغريزة عن شيء من حوادثه

« مقدمة طويلة عريضة أرجو ألا يملوني بقدمتها الى ما ستقرؤها من حسن سعد الفراغ عنائه

« لي إذن تاريخ كما هي من الناس قد مضى أو سيمضي ، وفي هذا التاريخ حوادث ، وإن تفهت كان لها أثر في تكوين هذا الكيان الذي هو أنا ، وفي شتى الجهات التي درجت فيه حياته من نواحيها الخلقية والأدبية والمادية

« فأما من الناحية الخلقية فان الأثر الأول والأبلغ كان لوالدتي فهي لا تزال في نظري هوان الطيبة والاستقامة والتسامح وسلامة السيرة والسريرة ، ولا أزال أشعر اني مدين لها بما قد يكون في نفسي من فضل وفضيلة ، وأن كل شعاع صلاح فيّ مستمد من نور صلاحها . انه لمن الصعب عندما يتكلم الانسان عن أثر الام في الولد أن يحصر هذا الاثر في عمل محدد أو حادث معين . فهو في حياتها وحدها كما هو في قسوتها وتأنيبها ، وهو في جلستها ومشيتها كما هو في نظراتها ونبرات صوتها سواء أضحكت أم بكت ، ولاطفت أم زجرت

« وأما من الناحية الفكرية الأدبية فالأثر الأكبر لاساتذتي وفي مقدمتهم أستاذي في البيان ، الاب بوهيه ، يوم كنت أتلقى دروسي الثانوية في الكلية اليسوعية . وكان من حسن توفيق أن تعهدني هذا الاستاذ النابغ بعنايته . وكان شاعراً أديباً عميد النظر في تاريخ الأدب وفنونه وفي أساليب الشعر وصوره . ولولا ان اعتقلته المانية أثناء الحرب العالمية وهو يؤدي الخدمة ، لكان له اليوم مقام رفيع في دولة الكتاب . فقد كان ، رحمه الله ، مالكا أعنة البيان تطيعه القوافي وتنقاد

له المعاني بسهولة عبر مألوفة حتى لكأن بنظم القصيدة ، وهي تتحاور مائة بيت ، في زمن لا يزيد كثيراً على ما يستغرقه لكتابتها . وكنت أعلل النفس باقتباس هذه السهولة في طرق شتى الموضوعات حتى أصبحت بعد تلك السنة المدرسية أفهم أنه ليس من موضوع يتعذر علي أن أحول فيه غير أن أسهلها كان يتعذر من السهولة في الكتابة لأن فيها مزلقة للحطل ومتعثراً للزلل وعقبة كأداء دون الاجادة . وكثيراً ما كان يقول لنا : « تساوي الكتابة من القيمة ما تكلف من العناء » وقد عني بنوع خاص في مساعدتنا على تحليل آثار أئمة الادب من اغريق ولاتين تحليلا بيانياً وحثنا اليه المسيح على مواصلته . فكنت وأنا في الخامسة عشرة من عمري أطمع في أن يكون لي أنا أيضاً أثر في عالم الادب يتناوله الاساتذة يوماً بالتحليل والتعليق ، كما كان استاذنا يتناول آثار عظماء الكتاب وكثيراً ما كان غرور الشباب يدفع بي الى مقارنة هؤلاء الاعلام في كتاباتهم فلا يصدني شيء عن معالجة الموضوعات التي عالجوها . وهكذا خرجت من المدرسة وأنا فرح مغتبط بشهادة البكالوريا العصبية والادبية ، ولكن فرحي العصبي كان أشد واغتباطي الفاحص أبعد مما كنت أحس في حقيقتي من كشوف طويلة دونت فيها أسماء المؤلفات الكثيرة التي كنت أتوخى أن أسمعها في مختلف فنون الادب العربي والافرنجي نثراً ونظماً . ولا أزال محتفظاً بتلك الكشوف المعزيزة بين أوراقي القديمة ولربما هي التي أوحت الي بعض ما كتبت ودفعني الى الاشتغال بالصحافة في أول أمري ثم الى اصدار مجلة « الزهور »

وبقيت الناحية الدينية في مجرى حياتي ، وقد تكون أقل النواحي سيراً في الكلام ، غير أنها أوفر النواحي نصيباً من اهتمامي لانها المظهر الخارجي الذي سيوقف أنصارهم . بل المقياس الذي اعتادوا أن يقيسوا به قيمة المرء خلقه وسلوكه

« وقد كان لمجرى حياتي [illegible] في مجرى حياتي من هذا القبيل . فالسبب في كوني « موظفاً حكومياً » يرجع الى تلك الفترة وقد عقدت في أول عهدي بالحياة أن أكون كل شيء الا « موظف حكومة » . [illegible] كيف كان ذلك فإنه في سنة ١٩١٠ عرضت الحكومة على الجمعية العمومية مسألة مد امتياز الشركة التي تستغل قناة السويس . فطلبت الجمعية عرض المعاهدات والاتفاقات الدولية الخاصة بهذا الطريق البحري العظيم الشأن ليتسنى لها بحث الموضوع . وكان كل ذلك طبعاً باللغة الفرنسية ولم يكن بد من نقله الى اللغة العربية على وجه السرعة ولم يكن لدى وزارة المالية مترجمون للقيام بهذا العمل . وكنت يومئذ محرراً في جريدتي « الاهرام » و « البيراميد » فاستدعيت وطلب إليّ ترجمة تلك الوثائق . فعلت ، ورأت الحكومة بعد ذلك أن تنشيء في ميزانية السنة التالية وظيفة مترجم من الفرجة الاولى يتولى الترجمة الرسمية . وأعلن أن من يسد اليه المنصب الجديد سيختار لامتحان مسابقة يعقد بين المرشحين . وعقد الامتحان فعلا وكان المشتركون فيه ثلاثة وسبعين مرشحاً ببطت مراجعة أوراقهم للجنة فاحصة مؤلفة من ثلاثة من كبار الموظفين برياسة الاستاذ احمد زكي باشا (السكرتير العام لمجلس الوزراء يومئذ) . فكتب لي النور ولكني مع ذلك ظللت مدة محجماً عن قبول المنصب لأن صنعة الحكومة ما كانت دخلت قط في برنامج حياتي . غير أني في آخر الامر أذعت لنصيحة اخوان أثق بنصيحتهم وصدر قرار مجلس

الوزراء في ابريل سنة ١٩١١ بتعييني مترجماً بوزارة المالية براتب شهري قدره ثمانية عشر جنيهاً فبقيت مدة أعمل في الترجمة وفي تنقيح نشرات الوزارة ومطبوعاتها فكانت لي حوادث ليس هذا مجال سردها . ثم اتسع نطاق العمل إبان الحرب فأنشىء قلم للتحرير والترجمة وأسندت إليَّ رياسته ووقعت لي في ذلك العهد حادثة بسيطة لها أيضاً علاقة بقناة السويس وكان لها أثر يذكر في مساعدتي على الترقي . ذلك أن أوامر الحكومة العامة كانت تصدر أيام الحرب عراسيم او قوانين فتنفذ في الوطنيين ، وتصدر في الوقت نفسه بأمر عسكري من القائد العام فتنفذ في الاجانب . وقد كلفت يوماً ترجمة أمر عسكري خاص بالملاحة في قناة السويس وكان فيه اشارة الى قانون أصدره أو سيصدره مجلس الوزراء . فرأيت الاصلح الرجوع الى ذلك القانون لاخذ الفقرة عنه باللغة العربية كما عرفها ، وراجعت سكرتارية المجلس في ذلك فتبين لي أن ليس هناك قانون بل مرسوم سلطاني فصحت الاصل الانجليزي وكان واسمه السر وليم هيتر للمستشار الملكي الذي صار فيما بعد رئيساً للجنة قضايا الحكومة . فتمنيت بعد يومين كلمة منه بواسطة رئيسي يشكرني بها على ما وقعت به من تصحيح خطأ وقع هو فيه سهواً . فكبر الامر في نظر رؤسائي وأنا لا أرى موظفاً صغيراً فأصبحوا من ذلك العهد يحيلون اليَّ ما يجب التدقيق في مراجعته ويوصون معظم ما أعرضه عليهم من الأوراق من غير مراجعة تيقناً منهم أني أدقق التدقيق كله فيما أكتبه . فكان هذا الحادث الصغير فاتحاً باب الترقي أمامي . وبعد هذه الحادثة بسنين كتبت بخطه [illegible] فوق تقريره [illegible] والترجمة

« وهكذا كان لقناة السويس أثر في خير ما جرى في حياتي من الحوادث لأني لولاها ما كنت لأفكر يوماً في أن أكون في موقف حكومة ، كما تقدم . ومن عرائب المصادفة أن أول ما علمت باللغة العربية كان محاضرة عن البحر الأحمر قرأها في مدرسته ومحاضره ومستمعه ، وكان لقناة السويس نصيب وافر من تلك المحاضرة

« يرى القارىء — ولا أرى معه — أن كل ذلك لم يكن ليستحق التدوين ، وكان الأصل أن أقول أنا سعيد فلا تاريخ لي يذكر . ولكن هو التعميس ، فله هو وأمثاله ! بل هو نجاح الأستاذ طاهر الطناحي ، حفظه الله ورعاه ! »

من أحسن ما قيل

* لا يهز الظالمين صوت أشد من صوت جماعة متحدة
* كل قوة لا يكون معقلها القلب تكون سمعاً
* ثمن الكرامة والحرية فادح ، ولكن الكون لذل أشد فداحة
* صيانع المرء في أمرين : الغرور بالآمال ، والتسويف في الأعمال
* رعا من كان لك في الرخاء كان عليك في الشدة
* البخيل يسخو من عرضه بمقدار ما يبخل به من ماله
* لا يغرنك الترقي السهل فما كان المتعذر وعرا
* من طوى عنك سره الذي يعيك أحون لك ممن أفشى سرك

كيف احتلت الجيوش الفرنسية الجزائر؟

الامير عبد القادر الجزائري

في عام ١٨٣٠ استولى الفرنسيون على الجزائر ونشروا المنشورات الرسمية بامتلاك البلاد واستخراجها من أيدي العثمانيين فشق ذلك على القبائل العربية القاطنة في تلك الأنحاء وانتفضوا على الفرنسيين وكان هؤلاء بقيادة الجنرال برمونت وقد بلغوا جبال الأطلس فاضطروا للتقهقر الى الشطوط وأخذوا في تحصينها ثم عادوا فاستولوا على ميناء وهران

ونشأ عن ذلك الاحتلال اضطراب الأمن في البلاد فسادت الفوضى واجتمع المرابطون ورؤساء القبائل وفي جملتهم الامير محي الدين والد الأمير عبد القادر وتشاوروا في الأمر فقر رأيهم على الانضمام الى سلطان مراكش فبعثوا اليه بذلك فوافقهم فدخلت الجزائر في سلطانه

عندئذ الفرنسيون ذلك وبعثوا الى سلطان مراكش يهددونه بالحرب أو يسحب جنوده من الجزائر ففضل الانسحاب . فاجتمع كبار أهل الجزائر وتفاوضوا في أمرهم فقرّ رأيهم على أن يقيموا الأمير محي الدين سلطاناً عليهم فاعتذر فهددوه بالقتل فعرض أن تكون السلطة لابنه عبد القادر فرضوا . وكان يحارب الفرنسيين في مكان يقال له حصن فليب فبعثوا اليه وبايعوه وسنه ٢٥ سنة

فجمع كلمة القبائل وضمها بعضها الى بعض وحارب بها عدة مواقع فار في بعضها ولا سيما موقعة وهران فانه انتصر فيها انتصاراً مبيناً وكان الفرنسيون بقيادة الجنرال ميشيل فصار يهابه الفرنسيون ويخشون بطشه . فعقدوا معه معاهدة سنة ١٨٣٤

واغتنم عبدالقادر فرصتهذه للمعاهدة لاصلاح بلاده وإعداد للعدات الحربية لاعتقاده أن الحرب لابد منها فأنشأ معامل للأسلحة والمدافع والبارود. ولما اتسعت سلطته على القبائل شق ذلك على القائد الفرنسي فمضى اليه يطلب منه أن يلزم حدوده ولا يمد يده الى خارج وهران فأجابه بأن دائرة سلطانه غير محدودة بموجب المعاهدة

فتفاوض الفريقان ولكن الفرنسيين لم يجيبوا عبد القادر الى مطالبه فأضمر لهم الشر وأمر بعض القبائل للقيمة بجوار وهران أن تزحف الى داخل البلاد لخلف هؤلاء. فلما علم الفرنسيون بعملوا حمايتهم فطلب الأمير الى الفرنسيين ألا يخرجوا فاستاؤا وشهروا عليه القتال ولكنهم اضطروا أن يتهيأوا فسار عبد القادر لملاقاتهم في مصرق وهم لا يعلمون فأبيد فيهم ولم ينج إلا قليلا منهم

فهاج الفرنسيون لذلك وأرسلوا جيشاً من فرنسا في سنة ١٨٣٥ الى وهران لمحاربته فقاتلهم ولكن رجاله تفرقوا فعاد الى عاصمته «مسكرى» وهو خائف من هجوم الفرنسيين عليه وكانوا معسكرين فيها ولكنهم أخلوها صباح يوم لعبر سبب يعلمه فدخلها وعاد اليها رجاله واشتد بهم أمره

واحتل الفرنسيون «تلمسان» فأخرجهم عبد القادر منها فأرسلوا حملات قوية من باريس لمحاربته عبد القادر مراراً وانكسر انكساراً شنيعاً في إحدى الوقائع فانتقض العرب عليه ولكنه عاد بجمع شملهم وهاجم مواقع الفرنسيين ومضايقهم حتى غلت الأرز عندهم والذخائر عنده. فدارت المفاوضة على تبادل التجارة بينهم وتم الاتفاق على ذلك وهدأت الاحوال

وبعد ذلك بيسير قدم الجنرال بوجيه من فرنسا الى وهران لمحاربة الأمير أو يقبل بثلاثة شروط. الاعتراف بسيادة فرنسا، جعل نهر الخليف حداً لسلطته، أداؤه الجزية الى فرنسا. وبعد مفاوضات طويلة عقدت معاهدة التافنا وفيها ألا يسلم

٩ يوليو الثالث يتبع الامير عبد القادر بسراي الامارة في طولون سنة ١٨٤٦

عبد القادر شيئاً من شواطىء بلاده الى دولة أجنبية إلا بعد مشورة فرنسا

وكان الفرنسيون قد استولوا على مدينة قسنطينة في الجزائر وأرادوا مد سلطتهم الى البلاد الواقعة جوارها فعارضهم وعد تهدد ووعيد عادت الحرب بين الفريقين ودامت وقائعها ست سنوات وكان يفوز عليهم في كل موقعة تقريباً فرنسا منه وأرسلت لمقاتلته الجنرال بوجيد ولكنه لم يثبت أمامه

ولما رأى ان بلاده كلها باتت دار حرب استنجد انجلترا فلم تنجده ثم استنصر سلطان مراكش فلم ينصره فاضطر أن يقاوم الفرنسيين وحده. لكن فرنسا أنجدت جيشها وأعرت سلطان مراكش بالانضمام اليها فاشتد عليه الامر ولكن حادثة النجدات من القبائل فقويت عزيمته وفارقه يأسه

وما زال في حرب مع الفرنسيين الى نهاية سنة ١٨٤٦ قبل العرب القتال وانضم بعضهم الى سلطان مراكش

وفي أواخر سنة ١٨٤٧ قدم المراكشيون لغزوه ومع خمسون ألف مقاتل فمزق شملهم غير مرة ولكنه خسر كثيراً من رجاله فعاد الى الجزائر واضطر الى التسليم وكان تسليمه في آخر سنة ١٨٤٧

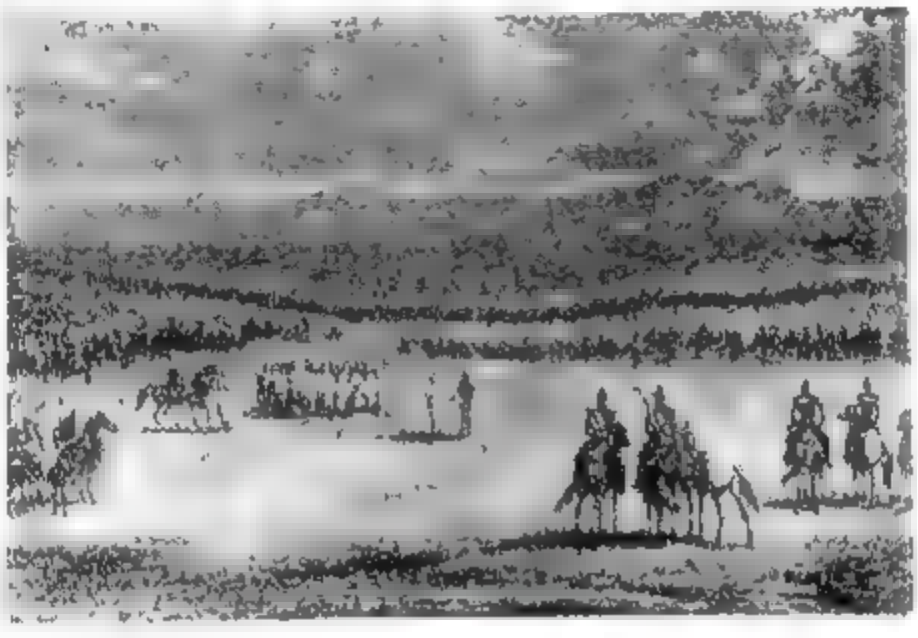

اجتماع الأمير عبد القادر بعد نزوله من باخرة [illegible] سنة ١٨٤٧

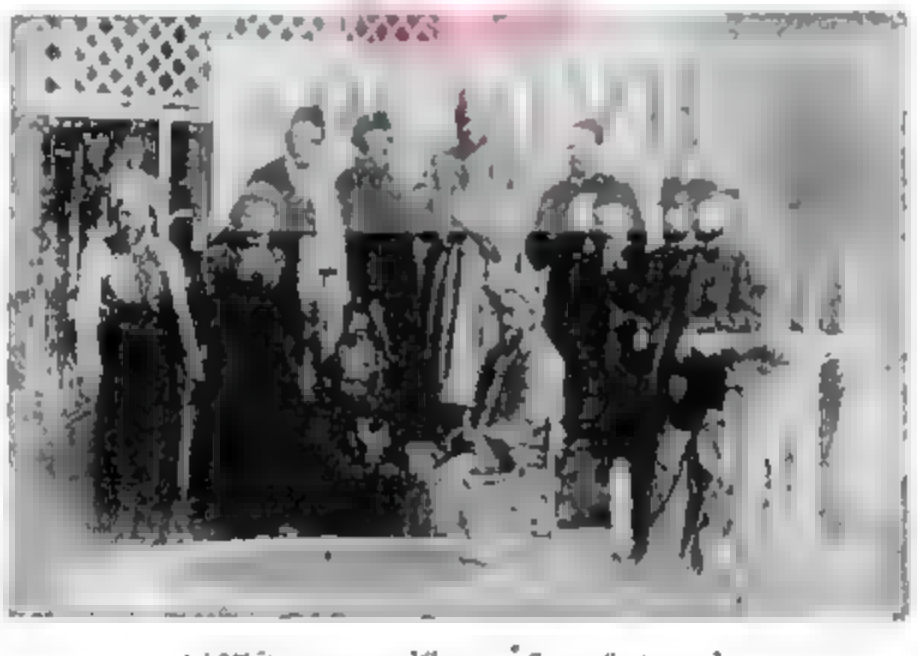

أخذت هذه الصورة للأمير عبد القادر ببورسعيد سنة ١٨٩٢

بين مصر والحبشة

[اقرأ المقال التالي]

الوداكيرلس الرابع

بين مصر والحبشة

زيارة بطاركة الاقباط للديار الحبشية

يرتبط البلدان بعلاقة الجوار الناشئة عن مجرى النيل المبارك الذي ينبع من أعالي جبال القمر في الحبشة . وإنما حياة مصر في تيلها ولولاه لكانت صحراء قاحلة . وصدق هيرودتس أبو التاريخ إذ قال بعد أن زار مصر إنها هبة النيل . وقال غيره « مصر النيل والنيل مصر »

ويقوي هذا الارتباط العلاقة الدينية بين الكنيسة القبطية في مملكة ابتوبيا وبين أمها الرسوم مصر منذ القرن الرابع للميلاد . تلك العلاقة التي أنشئت رسمياً على يد « الاوب » وهو أنبا فرومنتيوس الذي رسمه لتعديس البابا الاسكندري اثناسيوس الرسولي (العشرون في العدد ومدته ٤٦ سنة) ولقبه بالأبا سلامة الاول

كان ذلك سنة ٣٢٦ ميلادية والاحباش يعرفونه باسم « كاسي برهان » أي شعاع النور . وقام من بعده أبنا سلامة الثاني سنة ٣٦٧ وهو المسمى عندهم « برهان هرت » أي نور الأمم . ومن ثم توالت رسامة مطارنتهم في روما فكان آخر مطارنة هو الصمص فرهت سيدروس من بهجورة . رسمه في القاهرة البابا المعروف بالاسكندري ثاؤفيلس الثامن عشر في الاسم والثالث عشر بعد المائة من عدد الآباء البطاركة على الكنيسة القبطية لأن الكنيسة لا تزال تعتبر مطارنة مملكة ابتوبيا تابعين أبنا كيرلس الخامس في ٢ يونيو سنة ١٩٢٩ ووضع يده عليه مع أربعة من الاساقفة الاحباش الذين احتاروم موفدين لهذا الغرض لوسامة الاطفال وزاده تشريفاً هو بابا « الاتشيجا » أو رئيس الرهبان الاحباش في ابتوبيا . وقد وضع عصا البطريرك عند الباب يوم الخميس ٩ يناير سنة ١٩٣٠ في أديس أبابا . وكان يوماً مشهوداً بعد حملة عيد الميلاد الرسمية للقيام لاستقبال عطيته وبباقة مطراني قبا وحرحا (الأنبا لوكاس ، والأنبا يوساب) . وفيها تلقى الاول خطاباً فرنسياً استمعه الجميع بصغاء تام ، وأشار فيه الى العلاقات بين المملكتين المصرية والحبشية وعمق دوامها بينهما

والمطران الحالي هو الحادي عشر بعد المائة من مطارنة الذين أقامهم بطاركة مصر على التعاقب دواماً لهم على ابتوبيا . وكان المطران السابق لأنبا متاوس المرسوم سنة ١٨٨٦ ليكون أسقفاً على شوا في عهد ملك حاكمها . ولما ملك على الحبشة طلب من المرحوم البطريرك السالف الأبا كيرلس الخامس (١١٢ في عدد البطاركة) أن يرفع رتبة الأسقف أنبا متاوس الى رتبة المطرانية حتى يتسنى له أن يمسحه عاشياً أو ملك الملوك على الحبشة . وقد تم ذلك وظل مطراناً الى أن توفي في ٤ ديسمبر سنة ١٩٢٦ ودفن هناك

ويحسن بنا أن نأتي على قطعة طريفة وردت في صفحة ٣٠ من كتاب التعريف بالمصطلح

الشريف للقاضي شهاب الدين فضل الله العمري [1] المطبوع في القاهرة سنة ١٣١٢ وهو من علماء القرن الثامن للهجرة . والقطعة بعنوان « صاحب الجزء » فقد :

« ملك ملوك الحبشة وهو نصراني يحكم على ثمانية وتسعين ملكا وهو تمام المائة فيهم سبعة مسلمون منهم صاحب أوفات ودولواو وهديه . . .

« ولأوامر البطريرك عنده ما لشرعيه من الحرمة . وإذا كتب اليه كتاباً وأتى ذلك الكتاب خرج عبيد تلك الأرض بحمل الكتاب على رأس علم ولا يزال يحمله بيده حتى يخرجه من أرضه . وأرباب الديانة في تلك الارض كالقسوس والشماسة حوله مشاة بالأدعية فاذا خرجوا من حد أرضهم تلقاهم من يليهم أبداً كذلك في كل أرض بعد أرض حتى يصلوا الى أخرة فيخرج صاحبها بنفسه ويعمل مثل ذلك العمل . إلا أن المطران هو الذي يحمل الكتاب لعظمته لا لتأتي الملك . ثم لا يتصرف الملك في أمر ولا نهي ولا قليل ولا كثير حتى ينادي الكتاب ويجمع له يوم الأحد في الكنيسة ويقرأ والملك واقف ثم يحمله خادمه حتى يعيد ما أمره به

ورسم المكاتبة اليه

« أطال الله بقاء الحضرة العالية الملك الجليل المهام الصرغام الأسد العضنفر الخطير الباسل السميدع العالم في ملته العدل في مملكته منصف لرعيته ناصح لمن يحب في أفضله نور النصرانية ناصر الملة المسيحية ركن الامة الفسطوية عماد بني المعمودية حافظ الملة الحنوية مع الحواريين والزاهدين والقديسين معظم كنيسة صهيون أوحد ملوك اليعقوبية صديق الملوك والسلاطين (ويدعى له دعاء جماً يليق به ولا يحم له) كتب الأمير المشار اليه كما وصفه بعظم اوات)

وعلامة وضعها بالبطاقة

« وأظهر فضله على من يحاذيه من كل ملك هو بالحق منصف . ولكف الجاح العدل منتصب ، ولقطع حجاج كل معاند معتصب ، صدرت هذه المكاتبة الى حضرته العلية ، ومن حضرة القدس سراها ، ومن أسره الملك القديم سراها ، وعلى صفاء تلك السريرة الصافية تردد إن لم يكن بها عليل ، والى ذلك الصديق الصدوق المسيحي تصل ، وإن لم تكن بعثت إلا من تلقاء الخليل »

وأما الملوك المسلمون فلم يرد منهم كتاب ولا صدر اليهم خطاب

ويذكرون في التاريخ أن من ولاة الحبشة من بادر بالكرازة للرقية بمصر ثمان وثالثهم عطية الآب البطريرك الأنبا يؤنس الحالي الذي كانت رحلته موفقة إذ أتت بأحسن النتائج ، منها توثيق العلائق بين المملكتين

أما الأول فكان البطريرك الأنبا ميخائيل (٦٧ في العدد) الملقب بالحبيس إذ كان حبيساً بدير أنبا مقاريوس في عهد الخليفة المستنصر بالله المتوفى سنة ٤٢٧ الهجرية و٧٥٢ للشهداء و١٠٣٦ للبلادية حلفاً لأبيه الطاهر . والباعث على إيفاد البطريرك ان النيل لم يرتفع سنوات متوالية فتعطل الزرع

(١) هو مؤلف مسالك الابصار في ممالك الامصار وقد طبعت دار الكتب المصرية الجزء الاول منه بتحقيق الاستاذ احمد زكي باشا سنة ١٩٢٤ من لجنة أحياء الآداب العربية

وقلت المحصولات وكثر الغلاء . وإذ علم المستنصر بأن مصدر النيل من بلاد الحبشة دعا اليه البطريرك وبعثه اليها بهدية سنية برسم النجاشي، ولدى وصوله قابله باحتفال عظيم وسأله عن سبب قدومه فأعلمه بما حل بمصر وأهلها من العسف والجوع بسبب نقص زيادة النيل وأنه أتى يستعين به على إبعاد صرغة لمنع هذه العوائق عن البلاد وأهلها وقدم له هديه الخليفة المستنصر ، فأمر لذلك بفتح السد الذي يجري منه الماء الى الديار المصرية في إحدى الجهات التابعة لبلاد الحبشة لاحل قدوم البطريرك فحرت المياه منه الى أرض مصر وزاد النيل (على ما نقل وذكره ابن العميد) ثلاثة أذرع في ليلة واحدة واستمرت الزيادة حتى تكامل النيل وروى البلاد وزرعت الاراضي فارتفع الغلاء وأمنوا شر البلاء

وفي أثناء وجود هذا البطريرك بتلك الاصقاع بذل جهده في تمكين عرى العلاقات بين المستنصر وملك الأحباش . وكانت هذه جمعة أخرى قام بأدائها للخليفة غير الجمعة التي أرسله من أجلها فنال بذلك رضاه وأحسن اليه وبالغ في إكرامه . والوفد الثاني كان للأنبا كيرلس الرابع (١١٠ في العدد) الملقب بأبي الاصلاح وقد بعثه للحبشة مرتين :

الاولى وهو راهب باسم داود إذ أوفده بطريركه الأنبا بطرس الحاموي (١٠٩) في مهمة دينية فقام بها خير قيام وأصلح ذات البين . والثانية بعد إقامته بطريركا من قبل المعتمد به سعيد باشا لمهمة سياسية قبل ان سببها هو ان الاحباش و تواصروس ملك الحبشة يومئذ تعدى على بعض جهات من قليمي هرر وبرنه [illegible] كانا تحت إدارة الحكومة المصرية العالي مشورة فأوعز السلطان عبد الحميد الى سعيد باشا أن يرسل البطريرك المصري الى بلاد الحبشة لعقد اتفاقية مع ملكها تعود على المملكتين بالراحة في المستقبل . يقول بروي هذا وهو للمرحوم يعقوب حنا نخلة رفيلة في كتابه تاريخ الامة القبطية وتحت من بعض الشيوخ أنه قرأ ذلك في أحد أعداد جريدة الحوادث التي كانت تصدر في الاستانة وقد ذكرها كما سمعه منه ونبهه عليه »

وكان هذا السفر وحده وقد أبى صحبة يوم في أواخر شهر مسرى ١٥٧٢ القبطية (١٨٥٦ م) دون أن يشعر به أحد الا الذين رافقوه في السفر وبعض خدام دار البطريركية وكان من جملة الذين سافروا معه اثنان من الاعوات الترك وبقي أياماً قبل مبارحته مصر تلوح على وجهه علامات الارتباك والفكر ولا سبب أن للملك الذي كان متوجهاً اليه بهذه المأمورية هو تيودور الجبار الذي اختلف مع حكومة الكلتر حتى اضطرت أخيراً أن تجرد عليه جيشاً بقيادة السر مابير لحاربه وقهره ولما لم ير طريقاً للخلاص أو النجاة قتل نفسه سنة ١٨٦٨

وكان ما حسبه البطريرك إذ أخره تاوصروس أكثر من سنة ونصف خرج من مصر ولم يرد منه خبر أو يسمع عنه شيء . قلق الناس لذلك وعدة سنة وأربعة شهور ورد منه مكتوب ينبيء بوصوله الى الخرطوم ومعه اثنان من رجال حكومة الحبشة أحدهم قسيس الملك الخامس، والثاني أحد وزرائه فاطمأن الناس وفرحوا بوجوده على قيد الحياة بعد أن ظن بعضهم أنه مات لا محالة ، ثم وصل الى القاهرة في يوم ٧ أمشير سنة ١٥٧٤ (سنة ١٨٥٨) فهرع الناس لاستقباله فضت بهم الاريكية وشوارعها على سعتها وكان يوماً مشهوداً

وذكر المؤرخ المذكور أن سبب تأخره وحجزه وثناية وصلت للملك بأن البطريرك لم يحضر

الا ليؤدي خدمة لخديوي مصر تعود بالضرر على بلاد الحبشة . واتفق أن المرحوم سعيد باشا قام الى السودان في جيش جرار كما كانت عادته فلما علم منلك تاودروس اعتقد صحة قول الواشين وتوهم أن الباشا زاحف على بلاده لشن الغارة عليها فأوقع الحجز على الطربوك وكاد يعتدي به في حال عصبه لولا ان روحه دلت اليه ألا يتعجل في ملك حتى يقف على الحقيقة . ثم عاد سعيد باشا من السودان فتحقق الملك براءة الطربوك من هذه التهمة الشنيعة وطلب منه أن يسامحه عما وقع الناس الله لرجوعه اليهم سالماً . وما صدقوا أن عاد حتى تولى إنجاز مشروعاته العظيمة التي استحق لاتمامها لقب أبي الاصلاح القطبي . والقارىء يجد تحت رسمه ما يأتي بالخط الفرنسي : « كيرلس ، طربوك الكرارة المرقية منتهى المدارس القبطية سنة ١٨٤٩ مسيحية »

أما رحلة عطة الأسا يؤنس التاسع عشر فلم تستغرق ما يقرب من شهر من وقت تركه القاهرة في ٢١ ديسمبر الماضي . وترك الباخرة الجنرال فوران في ٢٥ ديسمبر (عيد الميلاد على الحساب الغربي) وعاد الى القاهرة مساء الاحد ١٩ يناير (عيد الغطاس على الحساب الشرقي) . فقضى في أديس أبابا ليلة عيد الميلاد على الحساب الشرقي بين أبناء الكنيسة الحبشية ومع الامبراطورة رويديتو تحري ولاقى من صنوف الحفاوة والاكرام مالا يقدر أبلغ كاتب أن يصفه كما قال الأب لوكاس أحد شهود العين

لقد كانت مدة سفارته الى أن عاد الى القاهرة قرابة واحد وعشرين يوماً . وسيذكر التاريخ أنه الطربوك المصري الوحيد الذي قضى عيد الميلاد مع أبنائه في الكنيسة الارثودكسية ، لأن من قدم لهم السر الى أيتوبيا قبله كانوا مبشرين . وما هو عاد سفيراً حتى يحضن ولده وهو في سن الشيخوخة يقرب من الثمانين . وقد هنأه جميع وفادة أبناء السر عليه

لقد تعبر الزمان ، بمر أهله ، ولكن أربعة أيام في البحر من بور سعيد الى ميناء جيبوتي وثلاثة أيام منها الى الحبشة سكة حديد ومناعب السفر كثيرة شاقة ، ويذكر أن الأنبا كيرلس الرابع سافر الى الحبشة راكباً هجيناً عن طريق السودان فكان سفراً مملا . ويقال إنه تعلم في ذلك السفر شيئاً من اللغة التركية ليستطيع فهم من كان يتحدث بها أمامه . ولكنه لم يحدث منلك أحداً لغرض في نفسه . ويقول يعقوب بك نخلة « وسمعته أنا يقول لاستاذ اللغة الانجليزية في مدرسة الاكليريكية إن من ضمن وسائط التي استعان بها على السفر الى الحبشة الاشتغال بتعلم بعض الشيء من اللغة التركية »

ومن لطيف المناسبات أن المصور اسيرون كان قد صوره أربع صور زيتية تمثله في مختلف الشئون . فواحدة في قاعة المجلس الملي العام بالقاهرة وهو في ثيابه الكهنوتية . واثنتان احداهما في عزبة دير أنطونيوس بيوش ، والثانية في دير أنطونيوس بجبل المقطم في الصحراء الشرقية قرب البحر الاحمر وهو فيها بملابسه العادية . والرابعة تمثله راكباً هجيناً عند سفره الى الحبشة وهو معتم بعمامة بيضاء . وهذه الصورة محفوظة عند حضرة صادق بك سعد القاضي حفيد المرحوم سعد بك ميخائيل عبده أحد المحسنين به

توفيق اسكاروس

الحياة المصرية
وحاجتها الى عناصر القوة والخيال

بقلم الاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

في حياة المصريين — على العموم — من القلق أكثر مما ينبغي ، وهم — على الجملة — أطلب للترف والرخاء السبيل منهم للقوة والبأس . ولهم صبر على الطاقة اذا رقت حالهم في بلادهم ، ولكنهم لا صبر لهم على المقامرة ، وقد يضطرون اليها فيخوضون ولكن نفوسهم لا تزع بهم الى معاياتها ، وخيالهم لا يطلق وراء فتنها ومغرياتها . ولست أعلم أن مصرياً سكن صحراء هليوبوليس قبل أن تفكر في استغلالها الشركة الاهلية التي عمرتها ، بل لقد احتاجت الشركة بعد أن أقامت فيها القاهرة ومدت اليها الترام أن تختلب اليها المصريين بالملاهي فمدت لهم « لونابارك » وكتبتها صيوف من الالعاب هي بالاطفال أولى وان مستوى مداركهم أقرب ، ومع ذلك كان الافرنج أسرع الى سكناها ، وقد نشأت ضواحي القاهرة — كغيرها من المدن المصرية — بالامتداد والزحف بعد الاكتظاظ ، لا لأن مصرياً آثر الخروج من بلده فضرب [illegible] حيث يقطن ، ثم تبعه غيره فحدوه الروح عليها أو يدفعه التقليد ، وهكذا حتى تسمى الضاحية وتصبح بلدة . ويتعلم بلوه ما لم يقعد ينتظر الوظيفة ، ولا يحسب هو أو أحد سواه الا حسابه أن يلتمس رزقه من طريق آخر ، فاذا اعترضت على هذا وقلت له إن القناعة كنز واسع . سألك : وماذا أصنع ؟ وكأنه غير مكلف أن يفكر ولا مطالب بأن يشعر موجبه ومعاريفه وقواه ، وما أكثر الآباء الذين يصدون أبناءهم عن ألعاب معينة لأن فيها خاطرة ، بل من سعي مسافات طويلة لانه متعب ، وقد كانت التجارة — الى زمن قريب جداً — ولا تزال عملاً لا يليق بالاشراف وأدعياء الوجاهة ، والفلاح المصري يغضبه أحياناً أن تقول له إنه فلاح وبعد ذلك سة ، ويرى فيه تجاهلاً له بأنه غير ومحور ، أي لا يحسن أساليب الحصر في الكلام والاشارة والحركة ، ولا يتقن مراسمهم وعاداتهم

قال لي مرة صديق وهو يشير الى رجل أنيق الثياب كان جالساً قبالتنا :

« إن هذا الرجل الذي تراه متجمع فيه ليس سوى سائق سيارة ، يسوقها راكبها الى حيث يريدون ويعد يده اليهم ليفتح الأجر ، ويظل يتلكأ انتظاراً « للبقشيش » ، ومع ذلك ينقلب بعد أن يفرغ من عمله كما تراه الآن : أليس مظهره خادعاً ؟ »

وأحسست من لهجته الزراية والنفور من أن يحرق هذا الذي ليس سوى صاحب سيارة أو سائقها ، أن يجلس حيث يجلس هو . فقلت له :

« أقسم لك اني لا أستنكف أن أكون مثله . بل أنا اذا ضاقت في الصحافة أو ضقت أنا بها ذرعاً ، لا أتردد أن أشتغل بأقل من ذلك ، ولا أرى بعد يمنعني أن أكون كاتباً وأديباً أو شخصاً له

احترامه على العموم ، ولا أعرف يومئذ لك أو لغيرك حقاً في الرئاسة أو السخرية . ومع ذلك ألا يعد المحامي أو الطبيب أو الموظف بل الوزير يده لتقبض مرتبه كما يمدها هذا السائق للراكب فما فرق ما بين العملين ؟ ولماذا استحق أحدهما الامتهان منك والآخر التكريم ؟ »

ولما قامت الثورة المصرية واضطربت الامور ، رأيتني ملا عمل فقلت أستريح قليلا وأستجم للمقبل من الايام الى أن تقر الثورة وتنتظم الامور ، فذهبت الى الاسكندرية وفي مأموني أن لا أعدم هناك عملا ، فلقيني صديق — كان يومئذ حيا — فسألني ماذا أصنع ؟ فقصصت عليه حكايتي فقال : « إني موظف ولي مال مدخر ومع ذلك أفزع اذا تصورت أني قد أصبح فقيراً ، فكيف يسعك أنت — ولا مال لك ولا عمل — أن تضحك وتمرح ؟ » وهو مع ذلك رجل له من الذكاء والعلم والمواهب الكثيرة ما يضحر به الماء من الصخر

ومررنا يوماً بعامل يتوسد الحجارة ولا يألم أسنتها ولا يحمل عدم استوائها وكان الوقت ظهراً والشمس تشوي وجهه بأشعتها فقال أحدنا « مسكين » وأشار الى العامل فقلت : « بل المسكين الذي لا يستطيع أن ينام كما ينام هذا العامل ، ولا يمس له جفن الا اذا كان راقداً على فراش وثير »

ومن أكثر المتاعب التي تعترض الحكومة المصرية أن كل موظف منها يطلب أن يكون مقره القاهرة حيث الاهل والاحباب والملاهي والمتنزهات . وسوان في رأي الموظفين منفى ، فكيف بالسودان ؟ وقد حدثني بعضهم أن شيئاً من هذه المخاوف أخيراً أنه كان يشيع من اسطوانة معينة أصناف ما يبيع من باقي الاسطوانات مضمومة ، وأن هذه الاسطوانة لفيفة كان يطلبها الموظفون المصريون في السودان ، وكل ما تغير به انها تذكر بالخير عن الموظفين

حتى ثياب الشبان نفسها هذه الايام فهي متشابهة كأنها للنساء لا للرجال ، تجعل للشباب تديناً وحصراً عجيباً ، وتزيد له على العموم جسماً هو للمرأة أولى ، وتظهره أطرى وأليق مما ينبغي أن يكون الرجل ، وترى الشاب في هذه الثياب المزدوجة وتنظر الى وجهه الذي عاشه بالكهرباء والادهنة فلا تعود تدري أيهما هو : فتاة أم فتى ؟ وحسن أن يطلب المرء التجمل ولكن أحسن منه وأمثل بالرجل أن يطلب الرجولة . وما أكثر ما ترى الشبان المصريين يتضاحكون من الانجليزي مثلا وركونه سكاتهم لان ثيابه رثة أو لا أناقة فيها ، أو لانه لا يبدو كل يوم في بزة جديدة ، وتنظر الى الشاب للتجمل وتسأل نفسك : ماذا يمكن أن يفكر فيه مثل هذا ؟ الى أي مدى تذهب آماله وما هو أقصى ما يطمح اليه ؟ ولا يسعك وأنت تعلمه حبك إلا أن تنبي عنه كل ما له علاقة بحياة التكدح والنصب والصبر على المتاعب واحتمال المكاره ، وإلا أن تبرئه من اللجاجة في طلب الغايات البعيدة والالحاح في المساعي الخيلة على الرغم مما عسى أن يجره من الخيبة المتكررة ، ولا يخطر لك إلا أنه طاووس مغرور عقله في ديله ، وقيمته كلها في زينة هذا الذيل ، ولا يجري ببالك أنه يطلب من الحياة أو يجري من نفسه مجرى الآمال شيئاً أكثر من أن يكون زير نساء

وصائد قلوب ، وأن تكون له سيارة يسوقها بنفسه وإلى جانبه فتاة يعارفها أو على الاصح يباهيها في ميدانها ويعاليها بملاحها وهو الجمال . ولو عقل لأدرك أن المرأة إنما تطلب مهورها الباهظة الرجولة الصحيحة لا الأنوثة المزيفة

ولو ذهبت أضرب الامثال وأسوق الشواهد لما كان لذلك آخر ، فحسبي وحسب القراء ما ذكرت فانه فوق الكفاية لمن تفعه الفعة الفالة والاشارة الفطنة ، وأحسب أن طبيعة البلاد تتجه بأهلها الى إيثار الدعة والراحة ، فليس في مصر جبل شاهق أو غابة موحشة أو وحش ضار أو مفازة مهلكة أو على الاقل مرعبة ، وأرضها مستوية وتربتها خصبة والنيل يجري فيها ، ولا يحوجها الى المطر ، والفلاح يحرث الارض ويبذر فيها الحب ثم ينصرف وينتظر ما يكون ، وليس له بعد ذلك الا عمل آلي لا يحوج الى كد الذهن واعتصار الرأس لمعالجة العسيرة أو الجو المتقلب أو شح السماء أو كثرة الارض ، أو غير ذلك ، والفلاح المصري في القرن العشرين لا يزال يجري في الزراعة على أساليب أجداده الاقدمين منذ أربعة آلاف سنة ، تغيرت فيها الدنيا وهم تتغير طبيعة مصر ولا تحمل فلاحها ولا حالته على الأرجح ، وقل في مصر من تموت جوعاً أو يعدم قوتاً أو لا يجد الكفاية من طعام وملبس — كائنة ما كانت درجة هذه الكفاية وصفتها — حتى الدين الاسلامي دخل مصر وقت فيها فاصطبغ بروح مصرية وعقلية مصرية حتى لا وجود لها في الامم الاسلامية الاخرى ، وليس أعني بذلك أن جوهره تغير ، أو أن شيئاً من قواعده اختلف ، وانما أعني أن المسلم المصري غير المسلم السوري أو التركي أو الهندي ، وأن خاصة أظهر وأظم في مصر منها في البلدان الاخرى ، وأن للتصوف صبغة في مصر خاصة لا تكاد تقع على مثله لها ، وأن القناعة في المصري فطرة

ولكن طبيعة البلاد سهلة ولم يكن من حقها أن تعني في عهد الملك والاستقلال والسعف والفتور عن مطالب الحياة القوية ، ولا كان من شأن الخصب في الارض أن يورث أهلها هذا القعود ، ولقد أنتجت مصر فيما غبر مدنية عالية لا تزال تدهش الناس وتروعهم ، وأخرجت دولا ذات بأس وقوة ، وشعباً كانت له صولة في الدنيا وعزمة في الحياة ، ولكن الجهل للتعليم وما صحبه عصور الاستبداد المختلفة ثم فساد التعليم — حتى في هذا العهد — كل ذلك أصعف الروح المصرية وأكد شر ما انطوت عليها وكتم صفاتها الطيبة ولم يتح لها فرصة حسنة للظهور والعمل

والتعليم عندنا كلام يحفظ ومعارف تلقن وليس هو بالتدريب ولا فيه إعداد للحياة ، والحياة تتطلب الخشونة والقوة والجد ، والخيال أيضاً ، ولا يتوهم القارىء أني أدعو الخيال ، مراح ، فان المرء لا بد له من أن يتحين الغاية ويحلم بها حتى تستند بهواء وتستولي على له فيسعى لها سعي المصمم . والخيال يحتاج اليه العراة الفاتحون والعلماء والرواد والمستكشفون والمخترعون كما يحتاج اليه الروائيون ، وما من شك في أن كولمب تخيل الارض دائرة وتصور الطريق حولها قبل أن

يصم على رحلته التي قادته الى الدنيا الحديثة ، ولا ريب أن « ميون » كان يحلم بأوربا تحت قدميه قبل أن تهيء له الظروف الفرصة للعبث فيها بحوشه ، والتمر يسقط كل ساعة عن شجره ، ولكن خيال ميوتون هو الذي هداه الى نظرية الجذبية وهو يرى التفاحة تهوي الى الارض ، والآلات بأنواعها التي لا آخر لها قد احتاج مخترعوها أن يتخيلوها ويرسموا لها في أذهانهم صورة ما ، قبل التفكير في صنعها وتحقيق أحلامهم بها ، وليس في مدارسنا ولا في بيوتنا شيء يشحذ الخيال أو ينمي القوى الطبيعية أو يظهر الملكات الكامنة أو يعوّد القلب الحرأة أو يعوده بالتفكير المستقل الذي يؤدي الى الابتكار والمخارعة ، وليس من الاتحاق الخاص ولا المصادفات التي لا تحلل لها ، ان أكثر من تسعين في المائة من المتخرجين في المدارس لا يفتحون كتاباً غير ما قرأوا في المدارس ، ولا يشعرون برغبة في الاستزادة من المعارف وتوسيع أفق النفس وترحيب دائرة نظرها ، وليس من المصادفة كذلك أنه لا يخطر لهم أن يقضوا أجازاتهم إلا في « بندر » أحرى اذا لم يقضوها في العاصمة . ولا يجري ببالهم مثلا أن يقوموا برحلة الى صميم اريف أو أن يخرجوا الى الصحراء فيقضوا بها أياماً في الخيام وعلى الجمال مستطلعين متمتعين أو أن يذهبوا الى مكان غير مألوف أو مطروق ، وانما كان هذا كذلك لان التنشأة المنزلية والمدرسية لا تشحذ الابتكار ولا تثير روح الاستطلاع ولا تخرج [illegible] عن عاري عقده ، وأكثر الذين يشذون عن السواد الاعظم ويقبلون على التحصيل لنفسه أو لعلومهم [illegible] في كتبهم أو مدرسهم أو في حدم أو لهوم إنما يكونون في الاعم والاغلب مدفوعين بعوامل أخرى غير ما ذكرنا من عيب المصري والمدرسة المصرية ، كأن يكونوا قد أتموا تعليمهم في بلد أجنبي أو أصدقاء ما وأوا حد المدرسة أو عمر واسطتها على الاقل ، الى آخر ما عسى أن يكون هناك من موانع تحول دون الوسط المصري

وخير لمصر أن تكون معارف أبنائها أقل وجهها أقوى وعلمهم أبسط وقلوبهم أحرأ ، في أقل ما يجي ، المحفوظ ، من العلوم والمعارف تأديه الامتحان ، ونحن قد نستطيع أن نحصل كل ما عند الغربيين من المعارف والآداب ونبقى مع ذلك نحو أرطنا ورواسم ولا يبدو لنا أمل كبير في إدراكهم واللحاق بهم ، لان العبرة بالروح التي أثمرت هذه المعارف والآداب وبالطبائع القوية التي أخرجت هذه الآثار وأنتجت الندية العربية لا بالآثار نفسها ، وأنت قد تستطيع أن تمد يدك فتجني الثمرة الناضجة من فوق الشجرة ، ولكنك لا تنقل تلك الشجرة الى حديقتك ، فيظل ما جنيت محدوداً وتظل الشجرة تثمر فاكهة أخرى ، كذلك نحن انما ننقل عن الغرب الثمار دون الاصول ، فلا تبقى لنا ، وتحد المعاصر ونبرح بها ونبيه ولا نمد بالحقائق التي هي وراءها . ولست أرى لنا أملا ما لم نعالج أنفسنا بمقدار من القوة ننشئه في كياننا ، ومن الخشونة نروض أنفسنا عليها ، ومن الخيال نرقرقه ونشيعه في حياتنا الجافة وردها به حائشة تغرينا بالمثل العليا وتدفعنا الى الطماح وتقذف بنا على المهالك ، فان الامم لا تنهض بالرقة والطراوة بل بالصعوبة والحرأة

ابراهيم عبد القادر المازني

حول بطل زنجي عظيم
رسول الوطنية توسان الفاتح

بقلم الدكتور احمد فريد رفاعي

— ١ —

الحياة سريعة العدو . وإن اختلف الناس من فلاسفة وسوقة ، جهابذة أفهام أم أحلام طغام ، في ماهية عدوها أهو يمنة أم يسرة أو هو الى الامام أم الى الوراء فقد أجمعوا راضين أو كارهين على حركتها ونشاطها كما أجمعوا على استحالتها وتعيرها . ما في ذلك ريب

بيد أن الحياة السريعة العدو . الحافلة بكل شيء من نافع للانسانية أو مؤذ لها معد للروح أو قاس عليه . هذه الحياة المصطخبة المتلاطمة قد تتطلب ما حص وقفات للتروية والتدبر . فكم فيها من دروس وكم فيها من عبر !

بل نحن بحاجة الى وقفات التدبر هذه لان سرعة عدو الجيل الذي نعيش فيه كاد يخلق منا آلات ميكانيكية قوامها جسدة وليست بشرية وفي سبيل ذلك . وإن نحب أن نقتطع لحظات قليلات ووقفات قصيرات لحياة الروحية هي لازمة

واذا كانت الحياة سريعة العدو فهي سريعة النسيان أيضاً . ولكنها مع سرعة عدوها وسرعة نسيانها ليست بعاقة ولا حاجبة عن ذي بصر وبصيرة وإن كان وهما وبصيرة يمشيان مشية السلحفاة لا مشية الارنب !

وقد تثير الحياة أثناء سرعة عدوها غباراً كثيفاً يسد العين ويحجب عن النظر بهرة الضياء وسنا النور . وقد يتلبد الغبار من جميع وصور من ذكريات وصور ، ولكن الضياء لا بد أن يسطع . وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض

— ٢ —

وأنا اليوم أخاطبك في صميم صفحات عن شخص نحن بحاجة الى أنظارنا عبار الحياة وإن كان عظيما . وإن كان قد رثاه وردسورث الشاعر الانجليزي الخالد . وإن كان « آرثر مي » الكاتب المعروف قد اختاره أحد أبطاله الخمسة عشر لتمثل رمز الحرية وليكون قدوة التضحية في الذود عن الوطن ووضع اسمه الى جنب « ابراهام لنكلن » و « جان دارك » و « واشنجتون » و « سقراط » و « لوبر ستيفنسون » وغيرهم من رسل العدالة ومحبي الوطن وخدمة الانسانية ودعاة الحق وزعماء المناقبة !

— ٣ —

تعرف جزيرة « هايتي » في الهند الغربية بالضبط الانتليكي . وقد تعرف عنها أنها جنة إذ أنها

تنبت القطن أو الأرز أو القهوة أو السكر . . . ولكني أحب أن تعرف أنها أنبتت « توسان » قبل أن تعرف أن مكتشفها « كولومبس » مكتشف أميركا . وقبل أن تعرف أنها أنبتت القطن فضلاً عن الكثير ، وقبل أن تعرف أنها بلاد القهوة قبل أكثر البقاع في بلادنا . . . أما « توسان » وصف توسان فوق ما الكثير في سماء صرح الوطن قوياً مشمخراً وحراً مستقلاً

وقد تعرف أن جزيرة « هايتي » هذه كان عدد سكانها قبيل خمسة حين اكتشفها « كولومبس » وأن سكانها حينذاك قد عدوا المليون نسمة . وقد تعرف أن التاريخ الحديث يزعم لك أن المسيحية كانت سارية بحرانها على الأهلين والمسيحيون باشراً صاحبه وأن الحكم المطلق تملك بالنلابيب كما يزعم أن « كولومبس » وجماعة الأسبان الذين معه قد جروا على سائهم في بناء المدن وتخطيط القرى ولكنهم تركوا الحمل على العارب وتركوا الدار تبني من بناها . . . وقد يكون في هذا شيء من الصحة ولكن الصحيح المأنوس أن المليون قد تضاءل الى ستين ألفاً ، وأن كل ميل مربع لانسان واحد أو كل انسان واحد يواري ميلاً مربعاً . وأن فرنسا قد وضعت يدها على الجزيرة للاستثمار أو الاتجار . وأن جماعة من البيض قد سيطروا القدر لحكم تلك الجزيرة الغنية . ولحكمها في أيام المليون أو في عصر الثورة الفرنسية . . . عصر الحرية والاخاء والمساواة !

وسنفترض أن عصر الحرية والاخاء والمساواة في تلك الاباد لا تختلف عن عصرنا الحاضر حيث لا تزال أمم يجري في عروقها دم الحرية وحب الوطن و حرية وهي راسفة بعد في ربقة الاستبداد ، ووافقة بعد في براثن الاستعمار مع وجود غصة الامم و بعد صرخة « ولسن » في حق تقرير المصير . . . ولكن المهم أن يعلم أن بعد كل [illegible] ولكن المهم أن سكان هايتي بعد الاستعمار الفرنسي حينذاك الى المليون كما كان قبل [illegible] الى تلك المعلومات شيئاً آخر قد ذكره التاريخ أيضاً . وذلك شيء هو أن [illegible] قد عمدت الى أرضنا وملأت مئات السفن من القطمان . وعشت تلك القطمان في جزيرة هايتي العسة [illegible] ولم تكن هذه القطمان المعوث بها الى الجزيرة بقطمان أغنام أو إبل أو شاء ، بل كانت قطعاناً من الانسان الاسود في أعماقه الاغلال والاصفاد . سلموه من وطنه ومن بين صحبه ودويه قسراً واغتصاباً ليكدح في سبيل غنام ، وليصلح الارض في سبيل نعيمهم وتنعيم ثروتهم

— ٤ —

يقول التاريخ إن كثيراً من سراة « باريس » الفاتنة ، باريس الجميلة ، باريس المحبوبة من الجميع ، كانوا يعيشون في أحوائها ويعمون بفاتنها ويروحون ويغدون في غاباتها وبهواتها ومسارحها من ذم الرقيق الافريقي الذي انتزعوه من أهله انتزاعاً ليعمل في هايتي ليزيد نعيمهم ويطيء شهواتهم . وقد يكون التاريخ صادقاً أو مالماً . ولكنه لم يكذب ولم يبالغ حينما حدثنا أن « توسان » الاسود قد خرج الى العالم من صلب هؤلاء السود الارقاء وأن نفسه العالية قد تألمت وبرّح بها الالم وهي تشاهد سوط العذاب يقع في كل لحظة على وملائه السود من سادتهم البيض !

يقولون إن « ابراهام لنكولن » قال كلمته المأثورة حينما شاهد الرق وحالته : « إنني اذا أتيحت

لي الفرصة للقضاء على الرق فلأتحمس عليه بشدة » ، ولم يقل لنا التاريخ ماذا قال « توسان » وانما قال لنا ماذا عمل

مهما يعذب العظيم في حياته ، فان له من عظمته ما يرفه عنه ويخلق له جواً يعيش فيه . والعظيم عظيم في كل شيء . في شخصيته . في حاديته . في فرصه . في عمله . في أثره . وللعظيم سحره أيما حل وأيما وحد . ولن يقعد بالعظيم فقره أو عوزه أو شقاؤه أو عدائه . إنه قوة يؤمن بها ويحس بها أيما كان وكيف كان

— ٥ —

لذلك لم يكن من المستبعد أن هذا الافريقي الذي بيع بيع الرق وهو فيما قيل من سلالة ملوك افريقيا ووالده شيخ قبيلة من قبائلهم قد لفت نظر مالكه مرط ذكائه وعظيم حيته ومتقد جدوته . وأنه قد تروح ربحة رغيدة وورق غاية أولاد ، وعد له بدلا من الاصفاد ، واعتق المسيحية بدلا من الوثنية

ويقولون إن « توسان » قد برع في كل شيء . فهو السائح الماهر والصائد القادر والراكب القادر وهو الى جانب تلك النواحي التي حفته الى النفوس والى مذهبها الأقران كان نعم الزوج الصالح والعامل الكادح و[illegible] وقد لا يدهش بعد ذلك أن يعلم الفرنسية الى جانب لغته الافريقية لأن مولاه فرنسي فلا بد أن يتقن منه الانجليزية الفرنسية العربية بعد الغيبة . ولكنك ستدهش بلا ريب اذا علمت أن هذا الرجل الطموح قد بدأ سعيه بالتعليم

ولنظر ما يقوله عنه « كارليل » وقد بلغ سنه الأربعين والخمسين لتعلم أن السن وان تقدمت لا تقعد بالعظيم فتحيل عن تحقيق ما هو كامن في روحه ، وفي نفس العظيم لا تصيبها الشيخوخة . هي لا تهن ولا تضعف . بل هي دائماً فتية في طموح ووثوب فيه حرارة النشاط ودم الحياة . يقول : « لما بلغ الزنجي والخمسين دفع الى حدي نفسه من سعود الثورية يطفه الفروسية والكتابة وكانت الأيام أيام الثورة الفرنسية . وكان من المحتمل أن يكون « توسان » معلماً بالقراءة . ولقد قرأ تاريخ الرقيق كما قرأ كتاباً آخر ملأه بالأمل في قرب يوم يحرر فيه شعبه . وكان ذلك الكتاب هو الكتاب المقدس »

— ٦ —

أين « كرومويل » و « كارليل » لأحس في أذهانهما أن الثورة الفرنسية التي شادت بحقوق الانسان ووصل صداها الى هايتي البعيدة النكيبة . هايتي التي أرادت أن تسهم بنصيبها في تلك الحركة العالمية نحو تحرير الانسان من رقة الانسان فمنت بوقد تحت رئاسة مندوب من السيد — ولا يهمني ولا يهمك ماهية هذا المندوب أكان مندوباً فوق العادة أم هنيا — وانما الذي يهمني ويهمك انه من العصبة من أعماق الاعماق . إنه وفد من أهالي هايتي ليعبر عن مشيئة أهلي هايتي وكفى . والذي يهمني ويهمك أن تعلم أن هذا الوفد ذهب إلى باريس ليطالب بالحرية السياسية ليطالب بوضع العنصر الأسود على قدم المساواة مع السيد الأبيض . أليس القوم ينادون بتشييد الحرية والاخاء والمساواة ،

فلماذا لا يقابل الوفد رئيس البرلمان وأعضاء البرلمان ورجال الحكومة . ولماذا لا يعد هؤلاء الرجال بحرية هايتي . ولماذا لا يعد أصحاب الاقطاعات في حرية هايتي من سراة الفرنسيين وأعضاء البرلمان في باريس تعويضهم تلك المطالب القومية العادلة ؟

أقول أني « كروبوكين » و « كارليل » لأهمس في أذنها أن رئيس ذلك الوفد قد أعدم عند عودته الى مسقط رأسه في هايتي لما كان من دعوته ودعوة الوفد في باريس ؟

— ٧ —

لا يحدم الحركات القومية قدر الشدة والعنف ، ولا يذكي حماستها ويضرم نيرانها مثل الجور والعسف . وهكذا كان في حرية هايتي أثر إعدام رئيس الوفد المطالب بالمساواة والحرية فقد انفجر بركانها وثارت ثائرتها وحمدت كتائبها وسارت في معاركها الحربية أمام فرنسا من نجاح الى نجاح

وهنا ظهر « توسان » وليد الحركة التحريرية . وزعيم النهضة القومية . ظهر ليقود وطنه . وكان الرجل من سنه وثقافته ومحاربه وتجاربه لمختلف الاعتبارات ما جعله يحول دون مجزرة تقع على البيض من الثائرين مهما كان من هؤلاء البيض أو من قومهم . ظهر رسولا للحرية وسيا للوطنية ورعيا للبلاد وقائداً للعباد . ظهر فكسر الاغلال والاصفاد . ظهر فكاد الاهلون يدينون به ملكاً بعد أن رأوا في حاكم الفرنسي على زيه الشعب وأسوة حاكم الجزيرة الثاني وحرر شعبه وانتقم لأسباه حادثه ظهر فكان أثير منه الجزيرة أحسه والشعب الصحيحة وقدرة ملائه وعروف قومه من نفوس الفرنسيين

وقد تدهش اذا علمت أن الحاكم الفرنسي في رغبته في منح الحرية السياسية لأهل هايتي ظهرة فبدأ دور « توسان » الذي لا تغره المظاهر ولا تخدعه القشور . . . . فمث وفديه الى فرنسا ليعمد في تلك العاصمة وسائل حصارتها وأخذ في إعداد العدات في سبيل الحرية السياسية بأن بناها وملأوه في حين سنوات . وكان الحاكم الفرنسي الذي وجد من توسان شخصية فذة عبقرية للبلاد مصونة من بني وطنها واقفة على مواطن الامور مطلعة على خبايات النوايا عف على أمره أخيراً ولم يفلح في كل دسائسه وفعل راحاً الى مسقط وطنه بعد أن أثار عليه جماعة أنصاره . انها جماعة « ريجود » وهو حزب يجمع بعض البيض والسود على توسان بدعوى أنه من الخائنين للفرنسيين !

— ٨ —

ولكن هذا الحكم كان من الاجنبي وما كان الاجنبي بالحكم العدل في وطن من هو وعني ولا في تقدير إخلاص من هو مخلص . وان عاطفة الشعب وسمعه وطاعته وقلبه وبغيه لاتكون إلا مع من هو منه . فقد اجتمع الشعب حول زعيمه الذي آمن به ، فقاده « توسان » وكتب كتائبه وجمع جنوده وفتح المدن وامتلك الحصون ولما وقع جماعة « ريجود » في قبضته أحدم الى الكنيسة ليعلمهم ووهبهم طعاماً ولباساً وإيواء ... !

أجل كان هذا الحكم من الاجنبي . . . . وقد صدر تصريح سياسي . . . . بيان مطبوع

وزع على الناس باتهام «توسان» بتفريطه في حق الوطن . . . . وطالما كانت يد الاحبي هي المحركة ولكن عين الشعب تحدو زعيمها بكلتها ورعايتها . وعين الشعب لا تني ولا تغفل . عين الشعب لا تنام

سحب ريجود بأمر «بليون» ظاهراً ولكن الواقع الصحيح أنه علب على أمره . ثم وافق نابليون على أن يحكم الجزيرة « توسان » ولكنها موافقة اضطرار ليس فيها من الموافقة إلا لفظها وظاهرها !

— ٩ —

وهنا قصة رائعة عن وطنية رائعة في هذا الزعيم الرائع

أظهر نابليون لتوسان رغبته في أن يطلع على علم هايتي محروف من ذهب هذه العبارة : « أذكروا معشر السود الشجعان أن الجمهورية الفرنسية هي التي منحتكم الحرية » . ولم يكتف نابليون باظهار رغبته تلك بل أصدر أمره بها . . . !

شيء جميل حقاً !

ولكن هذا كان موقف «توسان» الذي اتهمه الاحبي بأنه متساهل ، وأنه ضعيف، وأنه مفرط ، وأنه خائن !

هل قبل توسان الثائب المصري ، النبيه العزة ، الوديع المتواضع ، الشريف السمعة ، الصادق الوطنية . . . هل قبل توسان أن يخضع بأمر « نابليون فيكتب على علم وطنه ما يشعر بالتبعية وفضل الغير على أبناء جلدته ؟

وهل صحيح أن الحرية التي منحت لأهل هايتي من فرنسا أم نزعت منها انتزاعاً .

وهل الحرية التي منحها الله للبشر هي حق طبيعي للجميع

الواقع أن توسان قد رفض مطلب نابليون . رفض أن يتنازل عن كرامته كهذه على علم بلاده . رفض أن يطبع ما لا يشرف قومه على عنوان كرامتها وصفحته بهجب . وكتب لنابليون بذلك . . . ثم أصدر بياناً يدعو فيه الى الوئام . الى الوحدة . الى الطمأنينة . الى التسامح . الى السكينة . ولكنه مع ذلك كله رفض في إباء مطلب نابليون

كان توسان يقدر المسائس التي تحاك ضد بلاده في باريس ، فبدأ يكتب لنابليون في سبيل قضية بلاده وكان توسان في ذلك ملء الحماي القدير وملء الوطني العظيم

— ١٠ —

ما تزال البلاد تتصل بمرفأ الفوبية . فرنسا التي دوخت أوربا في تلك الايام . أيام الثورة الفرنسية . أيام نابليون بونابرت . وما يزال لفرنسا سفير سياسي وإن كان الحاكم توسان الوطني العظيم

بل ما تزال دسائس الدولة المستعمرة مستمرة لا تنقطع . وما يزال السفير يتدخل في أمور البلاد الداخلية . . . واذا لم يتمكن من شيء من تصريف أمورها طبق مشيئته أو لم يتمكن من خلق أحزاب تناصره وتؤيده أو تعاكس توسان وأعماله الوطنية ، فادن الى الناس والى خلق المشاكل

فماذا كان من توسان الوطني العظيم ؟

لم يتردد في وضع حد لهذا كله . . . وأخيراً اضطر الى القبض على السفير الفرنسي ووضعه على باخرة لتقله الى بلاده . . . الى فرنسا !

توسان الحاكم الزنجي يطرد سفير فرنسا ثم يقال عنه من حاكم فرنسا السابق قبله في بيان يذاع بين الاهلين إن توسان وطني خائن ومفرط فاجر

— ١١ —

ولكن توسان الزعيم الوطني قد وهبته الطبيعة ذكاء سياسياً مفرطاً . لقد وجد لاسبانيا اقطاعات أسبانية في وسط البلاد الهندية . واذا كان لفرنسا صلة سياسية . انتداب أو استعمار . أو حكم أو ماشئت . ما صفة أسبانيا ؟

وتأذا لا يمرر هذا السياسي الماهر تلك الاراضي ليضمها الى بلاده لانها قطعة من بلاده ؟

ستقوم عليه أسبانيا وهو في نفس الوقت قد أساء الى فرنسا إذ قبض على سفيرها وطرده طرداً . ثم أساء الى مليون إذ رفض كتابة العبارة الذهبية المشئومة لكرامة قومه مهما كان نوع عبوديتهم وقيمة ذهبها . فماذا يفعل ازاء تلك المشاكل الخرجة الدقيقة ؟

وجد الزعيم الوطني حلا حكيما يتفق والظروف السياسية التي تواجهها بلاده . وهذا الحل الحكيم يقضي أن يظهر للاسبان أنه على اتفاق تام معهم . وهو في الظاهر . وهكذا فعل وبهذا وفق ونجح !

— ١٢ —

ولكن شيئاً آخر . هام يريد توسان فعلا وهو لم يكشف الآن . يريد أن يستعيد قومه برجالاته وأقطابه . يريد الزنوج . السلالة الطيبة . يريد أن تكون شرعة لارواح قدسية . يريد أن يجعل مرافق البلاد للجميع . ثم يريد شيئاً آخر لا يرى في أي فرع فرنسا وهذا . وذلك الشيء الآخر هو حرية الاتجار مع الغير . وكيف تقبل فرنسا ذلك وهي تعتمد في ذلك الحين على خيرات تلك القارة الكبرة ؟

أجل لقد كان « توسان » أول من فكر في حرية التجارة قبل السير روبرت بيل بخمسين سنة . . . أو على الاقل كما يذهب الى ذلك مؤرخه « آرثر لي »

ولقد كتب « توسان » بكل ذلك الى فرنسا . وبعث عشرونغاته الى مليون الذي صاق به ذرعاً والذي لم يجب على عشرين كتاباً له

صاق نابليون ذرعاً بكل هذا . فقد وجد رأياً عاماً جديداً يحترف تلك الجزيرة احترافاً . ووجد في باريس . في رجالها صرخات من هؤلاء الزنوج . ووجد شيئاً جديداً ليس سهلا ولا لعب . وجد دعوة متأصلة وحماساً قوياً وإيماناً راسخاً ورجالا يعمل بأمرهم ويحسب حسابهم

صاق نابليون ذرعاً بكل هذا فقرر إرسال جريدة لتربية هذا الزنجي الثائر في الواقع . المطالب بحقوق قومية في ظاهر الامر . وقرر أن تكون التجريدة قوية لتردع القوم لان الدعوة القومية قد تأصلت في النفوس . فلابد أن تكون ثلاثين الفاً من خيرة جند باريس . وإذا

يجب أن ترحل تلك القوة الى «هايتي» ويجب أن يكون على رأسها شخص يثق فيه نابليون . وإذن يجب أن يكون ذلك الشخص زوج شقيقته الجنرال « لكلرك »

— ١٣ —

نعلم أن لتوسان ولدين يتعلمان في باريس . فلماذا لا يستغل نابليون المعروف بانتهاز الفرص وأنه ماكيافلي النزعة أو معاوية النزعة — لماذا لا يستغل الظرف . . ؟

أليس في مقدوره أن يدعو ولدي توسان الى وليمة وأن يهدي اليهما مالا وطيبا وما جمل منظره وإن ساء مخبره ؟

أليس في مقدوره أن يبعث بهما مكرمين معززين برسالة أو هدية أو كتاب ود وصح على باخرة ثم يتبعها في البر واللحظة بذلك الجيش العرمرم تحت إمرة صهره الذي يحمل أمراً رسمياً « ديكريتو » باعادة حالة حرية هايتي الى ما كانت عليه قبل عام ١٧٨٩ ؟

وما معنى ذلك ؟

معناه ان ٥٠٠ ألف حرة قد حكم باعادة الرق والعبودية على أهلي تلك الحرية لانها تطالب بالمزيد من حقها الطبيعي في الحياة والوجود

وهكذا فعل وقد أصر في نفسه أن يتخلص من هذا الزعيم الوطني العظيم

— ١٤ —

سفن باخرة تحمل [illegible] الجنود الفرنسيين قد رست [illegible] لى جزيرة هايتي وقد حمله « توسان » لاستقبال ولديه بصحبته [illegible] رأي ؟

رأى « لكلرك » وقد وضع مصيره تحت رحمته وتهم ما وراء، عصفور فاسقط في يده ورفض أن يستقبل الاطفال وإن كان يحمل قبلات كفيه وعبودا، قلبه

وقد حاول لكلرك أن يقنع توسان عن طريق ولديه بتسليم القائد العام إن سلم وأبى ، ورجع وتاب . . . وإلا فهو خارج عليها وعليه حكم الخوارج العصاة . فعمل الثانية على الأولى وكان لولديه من الاوفياء المخلصين

أعلن الفرنسيون الحرب . وكانت حرباً صروساً أبلى فيها «توسان» وأبناء وطنه البلاء الأوفى حتى غلب الفرنسيون على أمرهم واعترف « لكلرك » مرغماً بحرية البلاد كما كانت وبسلطان حاكمها الوطني توسان كما كان وعاد السلام الى ربوع هايتي بعد أن وعد القائد الفرنسي باحترام حقوق البلاد وترك تصاريف شئونها جميعاً الى زعيمها الوطني توسان

ومن الممتع أن نقرأ لتوسان قوله للقائد الفرنسي وقد سأله من أين يجمع الاسلحة ليحارب بها الفرنسيين فأجابه : « أنتخب الاسلحة منكم أنتم . . . »

— ١٥ —

لنترك ذكر الطاعون الذي أصاب الفرنسيين والوطنيين في تلكم الايام لأنه من يد الطبيعة وضع القدر ولنذكر طاعوناً آخر أشد خطراً على الآدمية من ذلك الطاعون الطبي . . لنذكر ذلك الطاعون الخلقي . . . . طاعون الحقد والخبل واليأس والخديعة وما ذكرنا كيف

سبق توسان وأولاد توسان وأسرة توسان الى فرنسا ليبقى بزعيم تلك البلاد في عياعب السجن لأنه كان وفياً لبلاده مخلصاً لقومه

يقول « آرثر بي » إن نابليون زعيم البيض لا يستطيع أن يحتمل توسان زعيم السود. أو أن عنصراً مما لايمكن أن يحتملهما معاً.... فذلك استدرج « لكلرك » القائد الفرنسي « توسان » الحاكم الوطني الى حفرة حيث أمسى فيها عشرون ضابطاً مدججين بالسلاح ومن ثمت الى الباخرة .... الى فرنسا

وهنا يجب أن نذكر طاعوناً آخر . . . . هو شقيقة نابليون وزوجة القائد لكلرك . . . . فقد كانت مستهترة غير حافلة بشيء أو بعفافها وشرفها وسمعتها وحلالها . . . !

وهنا يجب أن نذكر موقفاً مشرفاً لصديق توسان وأحد أتباعه وهو « العجوز كرستوف » وقد طلب اليه أحد الضباط أن يشرب شيئاً فقال له . « ألا تعلم أيها الشيء الأبيض النافه أني أشرب دمك أنت ودم قائدك ....» ثم انحدر مرحل عمره وطالت لحيته وحلقته حتى انحط عقد الاجتماع ، وقد غلك الفرع طبيع . . . . ولا يعلم إلا الله ماذا كان من أمر شقيقة نابليون وإن كان التاريخ يقول إنها سافرت الى فرنسا وحدها لأن زوجها قد أصيب بالطاعون أخيراً ثم دفن مع العظماء في « الانفيون » وكان الأحرى أن يدفن في مقابره الكهنة السفل ، ذلك الرمز الوطني العظيم الذي ترك في معقل « جوكس » حيث وجدت جثته بعد أيام

— ١٦ —

وستسألني عما كان من أمر « توسان » العظيم لقد قرأت ما فعله « دسالين » وغيره من كبرائهم بعد قضوا في الفرنسيس شر قتيل وشردوهم هنا وهناك في أنحاء تلك الجزيرة ولم يهنهم فيها عشر من سنة ولا عشر من عشر من أعمارهم من وعورة وحالهم . ولم تهجع لهم عين إلا حين رحل الفرنسيون تحت وعورة الزمان لا لحاجة به عن تلك الجزيرة المقدسة لذكرى بطلها الوطني العظيم . بقي كتب تلك موجز حياته بذكرى . وللذكرى فقط . والذي اقتبسناها لك من مؤرخ محلي منصف هو الاستاذ « آرثر بي » لا من عندياتنا ولا من عندك ، وكتبناها لك للتاريخ وعظة التاريخ

احمد فريد رفاعي

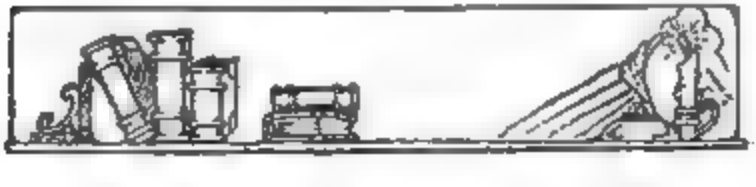

آسيا للآسيويين

خطر اليابان على المصالح الاوربية في الشرق

بقلم الاستاذ حسن الشريف

لو أن تقدم اليابان في جميع نواحي الحياة قد قام على الرغبة في اشباع المطامع المادية فحسب ، لهان أمره على أوربا ولاعدت لعلاج خطره ألف وسيلة ووسيلة . ولكن هذا التقدم ليس قوامه المشروعات الصناعية والتجارية والمالية فقط ، وانما مرده الى حد كبير ذلك فكرة بثت في دهن الشعب الياباني ورسخت فيه بعد انتصارها على الروسيا ، فكرة يمديها كتاب اليابان وحكامها وتسميها العناصر المفكرة فيها ، فكرة قائلة بأن الشعب الياباني هو الشعب المختار من العناية لانقاذ آسيا من براثن الاوربيين

فالشعب الياباني لا يقتصر في نهضته السريعة على أن يعمل ما يعمله شعب صافت به جزائره فمدأت أطرافه تتخطى البحار لتمتد الى أرض الغير ، بل يضيف الى ذلك أنه يعمل كل ما يعمله شعب يعتقد أنه مكلف برسالة يؤديها في هذه الحياة ، وموضوع هذه الرسالة أن تكون آسيا للاسيويين وأن تكون اليابان في هذه الكتلة الشرقية هي الرأس المفكر والساعد القوي

ولقد أتاحت الحرب العظمى لليابان أكثر من فرصة سنحت لغير من الدول ذات القوة والبأس مما أنمى في نفس الشعب الشعور بالعظمة والاعتزاز بالنفس والرغبة في الترقي وادراك معنى الكرامة القومية والعزة الوطنية والايمان بأنه شعب مختار لشعب مختار ، الا بد وأن تكون على هذا الشعب واجبات ، وأن هذه الواجبات لا تؤدى الا اذا كانت الدولة عظيمة ، وعظمة الدولة انما هي عظمة جيشها وعظمة مصانعها ومتاجرها وزراعتها وعظمة الاغراض التي تعمل لتحقيقها

لذلك حملت اليابان أم أغراضها منحصرة في أن تنزع عن صدر آسيا هذا الكابوس الاوروبي الذي يخنقها ويحطل رقيها وتقدمها ، وفي أن تحاول تلك الكتلة العظيمة الهامدة التي يسمونها الصين على أن تنهض وتعمل ، وأن تحقق الوحدة الاسيوية الشرقية منها ومن الصين ومالايا وأنام وسيام والهند . أي نعم والهند لان اليابان ترى أن بريطانيا العظمى قد أخفقت في تمدين الهند ورقيتها، وأن هذه المهمة يجب أن تؤول اليها لأنه لا سبيل الى التوفيق بين الشرق والغرب ، فلتتق أمور الشرق في قبضة الشرقيين

واليابان ، التي أطلقت الحرب الكبرى يدها في الشرق الأقصى سنوات طويلة لا تتردد في اغتنام كل فرصة تسنح لترجح قدم أوربا عن أرض آسيا ولتحل قدمها محله وقد وفقت في ذلك حتى اليوم توفيقاً يدعو الى الاعجاب اذا استطاعت ان توجد لنفسها في الشرق طريق الاستعمار أو طريق بسط النفوذ التجاري والاقتصادي مناطق شاسعة لتصريف بضائعها وشتى انتاجها وتمكين سلطانها

السياسي حتى بدأت أوربا تشعر بالخطر شعوراً جدياً وتحاول أن تدرأه بمختلف الوسائل وشتى الاساليب

اليابان والمستعمرات الاوروبية في آسيا : وقد بدأت اليابان في تنفيذ برنامجها الواسع بأن قصرت حركاتها في الحرب الكبرى على منطقة المحيط الهادي . فلما وضعت الحرب أوزارها وحانت ساعة التصفية وتقاسم الاسلاب ، حدت حذو بريطانيا العظمى في تأمين مواصلاتها باعتبارها دولة بحرية واحتارت من الجزر الالمانية كل ما عتبرته نقطة ارتكاز لاستوليها الحربي والتجاري في الاوقيانوس الهادي . فاستولت على جزر كارولين وملرشال ولادرون ، وكانت سقف في إبان الحرب واستولت على كياوتشاو الالمانية فأصبحت بهذا الاستيلاء في الصميم من بلاد الصين بعد أن كانت منها على الابواب فقط

ومهما يقل السياسيون في الكيان السياسي الحالي لمقاطعة شانتونج الصينية ، ومهما تعلل أوربا نفسها بنصوص القوانين الدولية ، ومهما يطلقوا على عهود اليابان في تلك المقاطعة الواسعة من الاسماء فليس ذلك بحائل بين اليابان وبين أن تكون المالكة الفعلية لهذا القسم العظيم من بلاد الصين الذي تبلغ مساحته ثلاثة أضعاف مساحة فرنسا ويقطنه عشرون مليوناً من الناس

ولقد صرفت مشاغل الحرب دول أوربا عن الاهتمام بتدخل اليابان الاقتصادي والسياسي في مستعمراتها بآسيا . فقد عادت اليها بعد الحرب أكثر هيبة في قلوب وعروق وألفت اليابان وقد تخلصت تقافتها وتجارتها فيها حتى أصبحت مراكزها لا يحراجها من أكبر الأمور

بعد الهند مثلا . في سنة ١٩١١ م يكن يقطن الهند من اليابانيين غير حالية صغيرة لا تتجاوز الثلاثين ألفاً ، وقد ازدادت هذه الحالة بعد الحرب ازدياداً روّع الحكومة البريطانية . فألفت في مدينة بومباي وحدها بدءاً من سنة ١٩١٨ نادي ومدارس ومصرفان ماليان . ولم تكن السفن التجارية التي تؤم موانيء الهند قبل الحرب إلا فيما ندر حتى أن مجموع ما كانت تحمله من البضائع بين هذه الموانيء والبلاد الاخرى لا يتجاوز ثلاثين ألف طن فاذا بها في سنة ١٩١٩ قد بلغت الستمائة ألف طن ، واذا بها في هذه الأيام قد تجاوزت المليون . أما البضائع اليابانية التي كانت تصدر الى الهند فكانت كلها تحمل على سفن انجليزية وتدخل الهند لتوزع فيها على أيدي تجار من الانجليز أو من الهنود ، فقد أصبحت بعد الحرب يصدر ٩٠ في المائة منها على سفن يابانية باسم التجار اليابانيين المقيمين بين الهنود

ولم يكن في سنغافورة قبل الحرب ياباني واحد ، وما انتهى الحرب إلا وكانت تموج باليابانيين الذين اتخذوا للتجارة والتصدير تجارة لهم حتى حدثت أزمة في المساكن شديدة لم تنفرج إلا بعد ان هبطت أسعار أدوات البناء

وتمت للمبادلات التجارية بين سيام واليابان بعد الحرب ضعف ما كانت عليه قبلها . أما في أثناء الحرب فقد حلت البضائع اليابانية على التجارة الاوروبية التي عدمت واختفت من الاسواق ، وأما في جزر الفيليبين فقد اطردت قيمة التجارة اليابانية ما بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٧ مما قيمته سبعة ملايين الى سبعة عشر مليوناً للوارد ومن سبعة ملايين الى خمسة عشر مليوناً للصادر

وفي مقدمة الأسواق التجارية الهامة التي فتحها الأوربيون واستولى عليها اليابانيون الهند الهولندية التي اقتطعت في زمن الحرب كل المواصلات بينها وبين هولاندة ، فكان لا بد لها من الاتجاه نحو أسواق أخرى : فمن منها فلم تجد أمامها سوى اليابان ، ولم يكن اليابانيون حتى قبل الحرب بسنوات يعيرون هذه الهولندية شيئاً يذكر ، أما الآن فهم فيها الصانع والتاجر والمصارف والمدارس ، حتى الصحف تصدر باللغة البلاد ويقوم بتحريرها يابانيون توقدم حكومتهم لهذا الغرض وتتفق عليهم وعلى ما يصدرون من جرائد

ويكفي أن نعلم أن صادرات هولاندة الى جاوة هبطت ما بين سنتي ١٩١٤ و ١٩١٧ مما قيمته ١١٥ مليون فلورين الى ما قيمته ثلاثين مليوناً في حين أن ارتفعت صادرات اليابان اليها مما قيمته مليونين الى ما قيمته خمسون مليوناً ، يكفي أن نعلم ذلك لنعرف كيف بدأ ظل أوروبا ينقبض من الأراضي الآسيوية شيئاً فشيئاً . ومما بلغت الخطر أن شركات يابانية تتألف في هذه الأيام وغايتها شراء كل ما يمكن شراؤه من المصانع والمتاجر والأملاك الهولاندية في جاوة وباتافيا مهما ارتفع ثمنه وقلت فائدته . وقد صحت الصحف الهولاندية منبهة حكومتها الى هذا الخطر ، ولكن الأثمان التي تعرضها الشركات اليابانية لا تدع مجالا للتفكير في أي اعتبار آخر

ولقد ارتفعت قيمة صادرات اليابان الى الحزر البريطانية في المحيط الهادي الى حد يدعو الى التساؤل عن مصير التجارة البريطانية مع مستعمرات في تلك الجهات بعد الحرب . وهذا الجدول الصغير القائم على الاحصاءات الصحيحة يظهر للقارىء كيف نشطت تجارة اليابان في سني الحرب مع المستعمرات البريطانية في الأقطار الهادي

اسم النوع	قيمته بالجنيه الانجليزي في سنة ١٩١٣	قيمته بالجنيه الانجليزي في سنة ١٩١٧
منسوجات	٤٧٥ر٠٠٠	١ر٦١٣ر٠٠٠
معادن مصنوعة	٧ر٠٠٠	١٧٢ر٠٠٠
مواد كيماوية	١٢٩ر٠٠٠	٣٦٦ر٠٠٠
خزف وزجاج	٢١ر٠٠٠	٢٦٣ر٠٠٠

والمدهش بن والأمر الذي لا يسهل تفسيره هو أن هذه النسبة لم تظل محفوظة فقط حتى الآن ، بل أخذت في الازدياد المطرد مع أنه لم يعد ثم خطر على السفن التجارية البريطانية في البحار

وانتهزت اليابان فرصة اضطراب الروسيا واختلال أمبراطوريتها وفرصة انكبار أوربا لحكومة السوفيت ومقاطعتها اياها فعقدت مع موسكو اتفاقات مالية وتجارية كان من شأنها توطد مركز اليابان في سيبريا توطيداً لا تسهل بعد اليوم زعزعته . وتذرعت اليابان بدعوى خطر البولشفية الروسية وأرسلت جنودها تحتل فلاديفوستك ومن بعدها خاباروفسك ثم تشيتا ثم بلاجوفشنسك وهكذا حتى وصلت الى ماوراء بحيرة بايكال . وها هي اليابان تسعى لدى عصبة الأمم لتجعل فلاديفوستك ميناء حراً ولن يستفيد من حرية هذا الميناء غيرها ، ولجعل الملاحة دولية حرة في مياه نهري آمور وسنجاري . ولسنا نعرف من ذا الذي يستفيد من حرية الملاحة في هذين النهرين غير

اليابان . ثم ها هي أيضاً تلك تساوم روسيا في شراء صيدها من حريره سخالين وتدعي لنفسها حق مراقبة سكة حديد الشرق الأقصى . والله يعلم ما سوف تدعيه فيما بعد من الحقوق

واذا توقفت حكومة اليابان في مدى هذه السياسة البعيدة الغور لم تتردد في أن تعلن أنها انما تحذو حذو اميركا بالتمسك بمذهب مونرو حتى ان البارون كاواكامي لم ير حرجاً من أن يصرح بأنه ما دام العالم قد استساغ فكرة « اميركا للاميركيين » فلم لا يستسيغ فكرة « آسيا للآسيويين » ؟ ..

مدى امتداد النفوذ الياباني في الصين . الصين في اعتبار اليابان الحديثة مصنع للمواد الأولية لا يعبث ، وسوق لتصريف صناعتها لا يعبث . وكيان الصين السياسي أمر ثانوي في نظر اليابان ما دامت أرض السماء مفتحة الابواب أمامها تنفذ منها الى صميم البلاد . ولقد كتب البارون كاواكامي في كتابه « اليابان والسلام العالمي » يقول : « إن اليابان بلاد صناعية لا بد لصناعتها من الفحم والحديد . فأما الحديد فينقصها ، وأما الفحم وإن كان يصدر منه الى الخارج الا أنه ينقصها منه بعض الأنواع الضرورية . فالصين هي البلاد التي تتجه اليها أنظار اليابان ، بل التي يقودها اليها المنطق وطبيعة الاشياء لاستيراد الفحم والحديد . وهذا هو الذي يحمل اليابان تلح للحصول على امتيازات في مناجم الصين قبل أن تكون حكومة الصين قد رهنت كل مناجمها لدول أوربا »

اذن فالاستيلاء على ما يمكن الاستيلاء عليه من مناجم الصين والحيلولة بين أوربا وبين اكتساب حقوق جديدة في الصين مسألة حياة أو موت للصناعة اليابانية . فلا عجب اذن اذا رأينا هذه السلسلة الطويلة من الاتفاقات السرية والعلنية يعقدها اليابان قبل من شأنها أن تفتح أسواق الصين للصنائع اليابانية وأن تمهد السبيل لاستغلال مناجم الفحم والحديد في شركات من اليابان

ولقد عنيت حكومة طوكيو عناية خاصة بشئون المعادن في الصين واغتنمت حكومة بكين الى المال وفرصة اشتغال أوربا عنها بالحرب وشئون الثورة في الصين واغتنمت عن كل ما سوى ذلك فقدمت الحكومة الصينية من امتيازات في مناجمها ما لم يكن في حسبان أحد ، وبيعت بأبخس الاثمان لتحارف أموالها فتكيلها هيلا وهيلمانا الحكومة مصطرمة مرتعزعة على وشك الافلاس من غير أن تحتاط بسلامة هذه الاموال . وما ذا يكون الاحتياط اذا لم يكن هو رهن موارد البلاد وصيانة لسداد تلك الديون ؟

وقصت اليابان اذن الى غرضين هامين في آن واحد الأول استغلال ثروتها أموالها بطريقة مضمونة مستحبة ، والثاني الاستيلاء على مرافق الصين الاقتصادية وحبلها تحت رحمتها . ولا سبيل الى معرفة ما بلغت اليه ديون الصين لليابان حتى اليوم لأن الدائن والمدين لا يريدان نشر شيء من الارقام ، وهذا ما يقلق بال أوربا ويحملها تنظر الى حكومة الشمس المشرقة بعين الريبة والحذر . على أن المعلوم أن هذه الديون قد بلغت حتى عام ١٩١٨ أربعين أو خمسين مليوناً من الجنيهات الانجليزية انفقت كلها على مرتبات الجيش وعلى شراء الذخائر والمدافع ، وفي مقابل هذا المبلغ رهنت الصين لدائنتها إيراد الدخان ، وايراد مصالح الفنار والبريد ، وسكة منشوريا الحديدية ، وغابات مقاطعتي هايلونجكيانج وكيرين ، ومناجم الرصاص والزنك في مقاطعة هونان ، ومناجم الحديد في هوانج شان بالقرب من بامكين التي كانت قبل الحرب في أيدي الالمان ، ومناجم كوانج تونج كما أعطت اليابان امتيازات لمد خطوط حديدية بين تسي هو وشوين تي فو وبين كيرين وهوي ثن لونج

وطول هذا الخط وحده ٤٤٦ كيلو مترا وهذه الامتيازات قبل الحرب قد أعطيت لانجلترا أيضاً

على أن رهن كل هذه المرافق الهامة لا يطمئن حكومة اليابان على أموالها وأموال رعاياها فيجب أن ينص في الاتفاقات بين الطرفين على أن تستورد الصين كل عام من اليابان مقدار كذا من النوع الفلاني ومقدار كذا من النوع الفلاني وهي الانواع التي كانت تستوردها عادة من أوربا ، وبما أن هذا الاحتياط لا يكفي أيضاً ، ينبغي لضمان سلامة هذه الاموال أن تتوافر للصين ادارة حكيمة ـ ومحال أن تتوفر هذه الادارة الحكيمة اذا ترك حكم البلاد لاهلها ـ فيجب اذن أن يشرف مستشارون يابانيون على تنظيم المالية الصينية ... ونحن المصريين علم من معاني اشراف المستشارين الانجليز على مصر ما علم ... وفي مقابل كل ذلك تتعهد اليابان باحترام استقلال الصين وسلامة أرضها . وعلى الجملة فاليابان تتبع حيال الصين تلك السياسة التي تتبعها على أساتذة الغرب من دول الاستعمار وهي سياسة ابداع جزء من الاموال في بلد ، ثم التدخل في شئون هذا البلد بدعوى المحافظة على المصالح الخاصة ثم الانتهاء الى الاستيلاء عليه

وتتابعت الحوادث وقضت طبيعتها أن تصبح اليابان والصين حليفتين ، فتحالفتا هما الأخريان عالمة الند للند ... ودنا خطر الجيوش الروسية البلشفية وهدد سيبريا وبالتالي منشوريا وكوريا ، فكان لا بد من الاستعداد لدفع هذا الخطر ولا يكون ذلك الا بعهد مشترك بين الحليفتين ومن هنا نشأت اتفاقية ٣٠ مايو سنة ١٩١٨ وتنص [illegible] بين الدولتين في أحوال واضحات ، فكان من نتائجها أن سمح للجيش الياباني بالمرور في الأرض الصينية لقصد حمايتها من اغارة العدو المشترك . . على أنه اذا كان القسم الذي ظهر من هذه الاتفاقية علناً ، فان القسم الذي بقي عليه في ملحق سري هو الأهم . ومن مقتضيات هذا الملحق ما يأتي

أولا : توحيد النقد للعملتين الياباني والصيني على أن تكون له مثة حرية يابانية تدريب جيش حليفتها

ثانياً : توحيد الاسلحة للجيشين على أن تتعهد الصين باستيراد أسلحتها من اليابان

ثالثاً : بناء مصانع للسلاح مشتركة بين الحليفتين في بلاد الصين

رابعاً : تخول حكومة الصين أن تعين مستشارين يابانيين يتصلون بوزارة الحربية والبحرية والمالية

خامساً : تدريب البوليس الصيني بمعرفة ضباط يابانيين وتوظيف ضباط من البوليس الياباني في العاصمة بكين وهانكيو وتانكين وبعض مدن أخرى كبيرة

سادساً : انشاء محطات للاشعاع اللاسلكي يديرها ضباط يابانيون

سابعاً : تكون الموانىء الصينية مفتوحة للاسطول الياباني في أي وقت الخ . . . الخ . . .

نعم ان هذه الاتفاقية قد أهاجت عواطف الصينيين الوطنية وأثارتهم على حكومتهم ثورة جعلت اليابان تتراجع تراجعاً جيداً في تنفيذ نصوص هذه الاتفاقية ولكن الزمن وهو حليف القوي كان كفيلا بتحقيق ما صبت اليه اليابان . وها هي الصين قد أصبحت شبه مستعمرة يابانية لا تستطيع الخلاص من الشباك القوية التي حيكت حولها

حسن الشريف

كيف كان المصريون يعبدون الحيوان[1]

بحث في عبادة الفراعنة

أساء العلماء والمؤرخون كما أساء سائر الناس على مدى العصور فهم حقيقة تقديس قدماء المصريين لبعض الحيوانات فذهبوا الى أنهم كانوا يعبدونها آلهة فيعبدون العجل أو القط أو التمساح أو أبا قردان لما يعتقدونه في كل من هذه الحيوانات من المزايا والمنافع ، والى أن كلا من هذه الحيوانات انما كان إلهاً بذاته يقدس اسمه وتقام له الطقوس والشعائر . وليس أدل على ما ذهب اليه العلماء في فهم ديانة قدماء المصريين من قول كليمان الاسكندري في كتابه عن الدين في عصر الفراعنة : « أما العام المقدس فمعطف يتسيج من خيوط الذهب . واذا سرت الى داخله تلقاك أحد الكهنة القائمين بخدمته وهو يرتل صلاة خاصة . فاذا أراح الستر يده وأبصت النظر أمامك القيت قطاً أو تمساحاً أو ثعباناً أو أي حيوان آخر . ذلك هو الاله . . وحتى متربع فوق بساط من الحشيش وعود بأغلى ما تحوكه يد الانسان »

صحيح أنه كان في كل مقام مقدس وحتى وليكن هذا الوحش لم يكن هو الاله المعبود كما توهم الناس أزماناً طويلة ، وانما هو رمز حي لاله معين يعبدونه . وما عبد قدماء المصريين قط حيواناً وانما عبدوا آلهة رمزوا الى كل منها بحيوان

ولعمر الحق ما يكون من أمر كاهن من كهنة قدماء المصريين وأسبح له أن يشير من قرب وأن يدخن إحدى الكبائس في هيكل ربه ، فيصور فيلا هذا الكاهن في إحدى تلك الكنائس وهو يجهل لغتنا ويجهل كل شيء من ديانة المسيحية وتقاليدها وشعائرها وأسرارها . انه يتقدم الى الهيكل فيرى صورة العذراء مريم مثبتة عليه والقس يسجي أمامها فلا يتردد هو الآخر في الاعتقاد طبعاً أن هذا الحيوان انما هو كبش الرب آمون . ثم يميل للطرف حتى يقع على صورة الحمامة التي يرمز بها المسيحيون الى الروح القدس فيخطر له أن أبا قردان لا يؤم هذا البلد ، ولذلك استبدل به القوم حمامة وأن هذه الحمامة لا تزال رمز الاله طوط حتى هذه الأزمان

ولو مر هذا الكاهن بحديقة كنيسة صغيرة ورأى فيها حملا أو حماماً لأيقن ان قساوسة هذه العصور انما يصونون تربية الحيوانات المقدسة لتشغل في حد مكانها في المعابد والهياكل

ألا ان هذه الفكرة التي تتكون في ذهن الكاهن المصري من الديانة المسيحية وهو يجهل رموزها وأسرارها هي الفكرة التي تكونت في أذهان العلماء والمحققين من ديانة قدماء المصريين قبل أن يقفوا على أسرار اللغة الهيروغليفية ، تلك الفكرة الخاطئة التي حسبهم يرون في التمساح والدلفين والثعبان والقط آلهة قادرة متوحشة بينما هي لم تكن أكثر من رموز يعبر كل منها عن إله

---

(١) هذه المقالة مقتطفة من فصل طويل من كتاب « La vie privée des anciens » تأليف ميفار وسوفاجو جزء ١ صحيفة ٢١ وما بعدها

ولقد دهش عند ما لاحظ اختلاف تقدير المصريين للحيوانات التي كانوا يتخذونها رموزاً لآلهتهم وتفاوت درجات احترامهم لتلك الحيوانات . فبينما كان فريق منهم يقدسون التمساح والدلفين كان معظم الشعب يمقت هذين الاسمين ويرى فيهما رمز الشر والعاصفة . وبعد أن كان الكبش المنتسب الى الرب آمون سيد الحيوانات اصبح محل شأنه وعلا شأن العجل آبيس . ولكن هذه الدهشة لا تلبث حتى تزول متى علمنا أن هذا التفاوت وذلك الاختلاف يرجعان الى أسباب سياسية . ذلك أن كل قبيلة من القبائل التي تتألف منها الامة المصرية القديمة كانت تعيش في شبه استقلال عن غيرها ولها عَلَمها الخاص بها وقد رسمت على هذا العلم صورة الحيوان الذي ترمز به الى الاله الذي تعبده . وكانت هذه القبائل في حراك دائم فما يبنها فاذا حدث وتغلبت قبيلة على غيرها فرضت عليها اعتناق دينها وأصبح حيوانها صاحب المرتبة الرفيعة بين الحيوانات . فلما صارت ثيبة مثلا عاصمة للصعيد صار الكبش أرفع الحيوانات مقاماً لان ثيبة كانت تعبد آمون والكبش رمزه . ولما عظم شأن منفيس وكانت تعبد الرب أوزوريس عظم شأن العجل آبيس حتى أصبح الرمز الاعلى للآلهة بين الحيوانات

وكان كل من الحيوانات المقدسة يربى في معبد الاله الذي يرمز به اليه . وعلى ذلك كان معبد آمون مرتعاً للكبش كما كان معبد أوزوريس مرتعاً للعجل

أما العجل آبيس فكان كما سبق أرفع حيوانات المقدسة شأناً وأعلاها مقاماً وكانت له علامات يتميز بها عن سائر العجول . وكان الكهنة يقررون أن النور الذي وسعه يتبعها نور ، وانما نفذ الى بطنها الحمل بشعاع من أشعة القمر . . .

وكان لآبيس عدد معين من الناس يعشقه فاذا حان وقت أحس بذلك وذهب من تلقاء نفسه الى حب عميق يلقي نفسه فيه ، ولا شك أن وجوده في حب سر من أسرار الكهنة لا نعلمه ولكن هكذا كانت تقيد الناس . فاذا حان حين أن يتبع الاحن معين له فعلى الشعب بأسره أن يحزن حزناً قومياً ، وأن يلبس ملابس الحداد الوطني ، وأن يظل باكياً حزيناً حتى يوفق الاله أوزوريس الكهنة الى العثور على عجل آخر من نوعه يحمل علاماته المعروفة

واذا مات آبيس انطلق الكهنة في أرجاء البلاد وشرقوا والارصاد باحثين منقبين عن عجلة يخلف العجل الراحل فاذا وجدوه اتخذ الحداد الوطني فرحاً عاماً وعيداً قومياً ، وحيء بالعجل الجديد في مشهد حافل بالكهنة ورجال الجيش والعلماء وعهد له مندوباً في المكان الذي عثروا عليه فيه وظلوا يتعبدونه بالقرب أربعة أشهر . فاذا ما أكملت سارعوا به في موكب رهيب وأركبوه سفينة تجري به الى العاصمة منفيس . وهناك يدخلونه المقام المقدس ويخصونه بمراعي واسعة يرعون له فيها خير أنواع العشب والكلأ ويحملون له بئراً خاصاً لا يشرب منه الا هو والكهنة المكلفون بخدمته لانه كان من المحرم على آبيس أن يشرب من ماء النيل

ولقد ذكر المؤرخ بلوتارخوس بئر العجل في كتابه « ايزيس وأوزوريس » فقال :

« قيل إن الكهنة المصريين ما كانوا يشربون من ماء النيل ولا يدعون العجل آبيس يشربه

منها الا الأهم يحتفرون هذا النهر الذي يأوي اليه التماسيح . ولكن الحقيقة غير ذلك اذ ما كان الكهنة يقدسون شيئاً تقديسهم لنهر النيل المبارك ، ولكنهم كانوا يعتقدون أن مياهه معدية مسمة ويرون أنه لا يحمل بالتحل للقدس أن يكون عليط الجسم كما لا يحمل بالكهنة أن تسكن أرواحهم الا في أجسام حيوانات لا تتعب فيها ملذه الشحم الغليظ على جوهر الروح الخالد »

ويقول المؤرخ ملريت مانتو في سياق الكلام عن الاله أوزيريس : « أن هذا الاله الرحيم أبى الا أن يقاسم البشر آلامهم في الحياة فهبط اليهم في صورة أحقر دوات الأربع وهو العجل . وكان المعروف عند قدماء المصريين ان البقرة التي تلد آبيس لا بد أن تكون بقرة بكراً وتظل بكراً حتى بعد ولادته . ذلك لأنها لا تحمل من ثور كما يحمل سائر البقر بالقاح واغا هو الاله « فتاح » رب الحكمة يتحول الى نار قدسية تهبط الى أحشائها فتحمل ثم تلد . وعلى ذلك يكون العجل آبيس رمزاً عجيباً للاله أوزيريس بفضل الاله فتاح

« وكان من المسلم به لدى الكهنة والشعب أن الاله أوزيريس تجلى يوماً على العباد في صورة عجل مولود بحمل الثماني والعشرين علامة التي تميز آبيس عن غيره من العجول وقد وقع هذا التجلي في فترة كان فيها مدود ملكاً خالياً إذ كان آبيس قد مات ولم يعثر الكهنة بعد على خليفته . وما شاهد الناس العجل المولود حتى عمهم السرور وقضى معظم الافراح في أرجاء البلاد وأيقنوا ان ظهور العجل في تلك الفترة هو علامة من علامات الصالحة ورضاه عن شعوبهم

« وكان آبيس قد مات موت حتف وقضوا في مصر بيوم الذي ستكشفنا غياباه في أطلال سقارة . أما اذا أدركه الهرم وتجاوز السنة الرابعة والعشرين من عمره وهي السن التي عاشها الرب أوزيريس فانهم يخنقونه غير هذا أما حفارو العجل آبيس فكانت تهم على أعظم ما تقدم عليه الحفارات وكانوا يصنعون حفرته في باطن جبل ويعدونه في سراديب أي قبر سراپيس ولا شك ان كلمة سراپيس اليونانية اغا هي تحريف لكلمتي أوزيريس و آبيس »

وقد ظل العجل آبيس موضع تقديس للمصريين ما طالت مصر القديمة بيد أنه أدخلت تعديلات هامة على هذا التقديس عبرت عن أشكاله ومظاهره ، وذلك من اليوم الذي أغار فيه قمبيز ملك الفرس على مصر ودخل عاصمتهم منفيس . وفي ذلك يقول هيرودوتس عميد المؤرخين : « لما دخل قمبيز منفيس للمرة الثانية كان أهلها يقيمون عيداً دينياً للعجل آبيس وقد لبسوا الجديد وأقاموا معالم الافراح في كل مكان ، فظن لذلك أنهم قد يظهرون شماتتهم لما حل بجيوشه من الكبات فاستدعى قضاة المدينة وسألهم : « ما سبب هذا الفرح الذي يديه أهل منفيس هذه المرة ؟ ولماذا لم يبدوا مثله لما كنت بينهم في سلف ؟ أترام فرحين لأني قتلت خيراً من حيثي ؟ » فقال له القضاة إنه أساء تأويل فرح السكان وإنه ما من سبب لهذا الفرح الا ان دخوله سالماً يوم عيد العجل آبيس . ولم يرتح قمبيز الى هذا التفسير وأمر باعدام القضاة لأنهم استهزأوا به وخادعوه . ثم أمر علي به بالكهنة بين يديه وألقى عليهم نفس السؤال فتلقى ذات الجواب فقال : « اذن إلي بهذا الاله لأراه بعيني ولأختبر ألوهيته » وذهب الكهنة لاستحضار العجل المقدس

« أما آبيس — وباليونانية « أبيدوس » — فهو وليد بقرة بكر لم تلد قبله ولا تلد بعده ويعتقد المصريون أنها لم تحمله من لقاح وإنما هو شعاع سماوي نفذ إلى بطنها فكان آبيس . ولهذا العجل علامات عددها ثمانية وعشرون منها أنه أسود اللون على جبينه وبين عينيه مربع أبيض وعلى ظهره صورة نسر وتحت لبته صورة حمران وفي ذيله شعر ين معدولة عدلا طبيعياً

« ولما جاء الكهنة بالعجل جرد قمبيز سيفه وضربه بطن السيف في فخذ آبيس وخر على الأرض يخور خواراً عالياً فضحك قمبيز وقال : « أهذا إلهكم أيها الجبناء ؟ حقاً إنه إله جدير بالذين يعبدونه . ولكني لن أدعكم هذا اليوم تسخرون مني وتتوارون خلف هذا الحيوان » ثم أمر رجاله أن يجلدوا الكهنة بالسوط وأمر بقتل كل مصري يحتفل هذا اليوم بالعجل آبيس . وانتهى العيد هذه النهاية المحزنة ومات العجل متأثراً من جرحه فحزن الشعب حزناً سرياً عميقاً وليس الحداد القومي على العجل الشهيد ولم يهدأ الحقد في روع الكهنة إذ ما عاب قمبيز عن أبطارم حتى أعدوا آبيس في موكب رهيب وسار وا به إلى سراديبه ليدفنوه . والكهنة المصريون يؤكدون أن قمبيز مات مجنوناً لأنه انتهك حرمة الرب أوزيريس وأقدم على القتيل برمزه آبيس على هذا النحو الشنيع . ولكن الحقيقة هي أن قمبيز ملك الفرس كان مصاباً بالجنون في عقله من قبل

ولم يقف قدماء المصريين عند تقديس العجل آبيس وحده بل كانوا يقدسون الى جانبه حيوانات أخرى . بيد أنهم لم يكن يمنحون هذه الحيوانات الأخرى من التكريم والعبادة ما كان لآبيس . ويؤكد هيرودوتس « أنه إذا مات قط في بيت أحد قدماء المصريين وجب على سكان البيت جميعاً أن يحلقوا شعر حواجبهم أما إذا مات كلب فقد وجب أن يحلقوا رؤوسهم وكل ما يحملهم من الشعر . وكانوا يحنطون الحيوانات المقدسة بعد موتها في الأماكن الطاهرة المعدة لدفنها وكان لكل نوع منها قبره خاصة يدفن فيه الا القطط والكلاب فقد كانت تدفن في المكان الذي ماتت فيه »

ويضيف المؤرخ اليوناني الكبير الى ما تقدم قوله « إن القانون كان يفرض على المصريين العناية بالحيوانات المقدسة وتقديم الغذاء لها . وكان لكل نوع من تلك الحيوانات عدد معين من الرجال والنساء يقوم بخدمتها ورعايتها وكانت هذه الوظائف من الوظائف الصحيحة التي يرثها الأبناء عن الآباء ويتباهون بها بين الناس . وكان من العادات المرعية لدى قدماء المصريين أنه اذا مات كلب حلق أهل البيت شعر رؤوسهم وأجسامهم ووضعوا هذا الشعر في كفة من كفتي ميزان ووضعوا في الكفة الأخرى قطعاً من النقود يظلون يزيدونها حتى ترجح على الأولى وعندئذ يعهدون بهذه النقود الى امرأة تشتري بها حنكاً تغطيه قطعاً صغيرة تعدي بها الحيوانات الأخرى .

واذا قتل إنسان عمداً كلباً أو قطاً أو أي حيوان آخر من الحيوانات المقدسة عوقب بالاعدام أما اذا قتله خطأ فانه يعاقب بما يفرضه عليه الكهنة وتكون مناسبة مع مقدار ثروته . أما اذا ارتكبت جريمة القتل ضد صقر أو أي قردان وسواء أكان القتل عمداً أم خطأ فليس أمام الفاعل أقل من عقوبة الاعدام »

فجائع الحرب العظمى

كما شاهدناها على الستار الفضي

من المطبوعات العربية التي صدرت أخيراً والتي كان العرض الاول من اصدارها الدعوة الى السلم وسد الخروب ، رواية مسرحية اسمها « نهاية رحلة » وضعها للكاتب الانكليزي و . ر . ك . شريف ، ورواية اسمها « لا حديد على الحدود العربية » للكاتب الالماني « إريك ريمارك » . وقد صدر هذان الكتابان في وقت سئم فيه الناس قراءة الكتب ومشاهدة الروايات التي تدور حوادثها حول الحرب العظمى ، والتي ما تزال الكتاب فصلا عن السينمائيين والمسرحيين ، يعطرون بها العالم منذ اعلان الهدنة . ولكن ارواية المسرحية والرواية الثانية المذكورتين لقيا من قرائها ومشاهدي الأولى منهم على حشة المسرح كل اقبال وتشجيع ، وكان لها أعظم الأثر في نفوسهم لما توحاه كاتباها في كتابتها من صراحة خالية من التنميق المصطنع والتدويق المشوه

وكلا الكاتبين خدما في الحرب العظمى مما ساعدهما على تصوير وقائعها في كتابيهما أحسن تصوير . وتقديمها فصلاً كما شاهداها وارزها في حلة تتمثل فيها فظاعة الحروب وهولها فصلا عما يدل فيها من تضحيات وما يبدو من [illegible] و الاقدام . ولم يكن الكاتبان قد احترفا الكتابة من قبل ، وما كان في [illegible] الادب و الفن . ولكن الحرب العظمى خلقت فيهما شعوراً دفعهما الى اظهار عظائمها و فظائعها حتى تتجنب العالم الحروب ما أمكن . فخرج مجهودهما كاملا ليس فيه نقص أو عجز شأن الكثير من الكتب التي وضعها الكتاب عن الحرب العظمى

وضع « شريف » مسرحيته [illegible] بعد الهدنة بقليل ، وأما « ريمارك » فقد وضع روايته بعد أن وضعت الحرب أوزارها بسبع أعوام عدة لكسب معاشه ، ولكن طموح نفسه لم يكن ليرضيه أن يبحث عما تذكره مجهوداً من العالم ، فقرر أخيراً أن يخوض غمار التأليف فألف روايته « لا حديد في الحدود العربية » فكانت تحفة نادرة . ولم يمض شركات السينما بإخراج هاتين الروايتين بعد الذي رأيته من نجاحهما على حشة المسرح . وفي تطوف الكتب ، فكان ظهورهما على الستار الفضي انتصاراً عظيماً للروايات الحربية بعد أن أعرض الجمهور عنها في المدة الاخيرة حيث كانت شركات الاخراج بعد الذي شاهدته من اقبال الجمهور على هذا النوع من الروايات ، تستغل هذه الناحية وتقدم للجمهور أشرطة كان العرض الاول من إخراجها المتأخرة خلب

السينما والدعوة الى السلم

وقد كنا تكلم عن نجاح هاتين الروايتين على حشة المسرح وفي تطوف الكتب ، فان نجاحهما على الستار الفضي قد نبع من غير شك أضعاف أضعاف ما لمعه في الناحيتين السابقتين . ذلك لان الرواية التي تمثل على حشة المسرح والتي تطبع في الكتب لا يزيد مشاهدوها وقراؤها عن عشرات

الاثوف . وأما الرواية التي تمثل على الستار الفضي فان مشاهديها يبلغون الملايين . واذن فالسينما أعظم واسطة للدعوة الى السلم ، لان جمهورها يعد بالملايين . وكلما كانت الدعاية موجهة الى أكثر عدد من الناس فان أثرها يكون مضمون النفع والفائدة

ولما كان العالم قد قاسى من الحرب العظمى ما قاسى ، فحري بأمثاله أن يتحدوا وقوع حرب مثلها ، وأن يعملوا على نشر السلم والقضاء على كل مساورة يرد بها شبوب حرب أخرى . هذا وان كان العرف يقضي بأن الحروب من المسائل الخطيرة التي تتصرف فيها كبار ساسة الدول دون غيرهم فان المدنية الحاضرة تعكس هذه النظرية وتقضي بأن يكون لافراد الشعوب حق حرية في تصريف أمور بلادهم . فان شاءوا قيام حرب أخرى كان لهم ذلك ، وان راقوا احسابها فهذا من شأنهم . ولما كانت السينما أداة شعبية لها أعظم الاثر في نفوس الشعوب ، ولما كانت شركات السينما لا تتوانى في إخراج لائحة التي تظهر فظائع الحروب وحب الناس في السلم ، فان الدعوة الى السلم بواسطة السينما تكون بلا شك محمودة النتائج مضمونة الفائدة

وان من أقوى الدواعي التي تدعو الى شبوب حرب جديدة ان الشعوب تنسى بسرعة وبكل سهولة الحرب الماضية ، والطبيعة نفسها تساعد على ذلك . فان شأن اليوم وهو بطبيعة حاكم قوام أمهم وفرسها في كل ساعة . كان وقت شبوب الحرب العظمى أطفالا يستحق عقولهم عن أن تميز فظائع الحروب وهولها . وان في صالح الانسانية أن يعرف هؤلاء الشبان ومن يأتون بعدهم هذه الفظائع وأن يروها ممثلة أمامهم أدق تمثيل حتى يهيج بعوسهم عند ذكر الحروب ، لا حماساً وحفوفاً ولكن شفقة بالانسانية من أن يصيبها مصير مرة أخرى

والسينما وحدها أصلح أداة لتصوير أهوال الحروب وبشاعتها . ومعلوم أن شبان اليوم قد أسرفوا بها الى حد انهم يفضلونها على غيرها من ضواحي اللهو والتسلية . فبدلا الى جانب ذلك من الفائدة — فهي اذن لا بد أن تكون لها أعظم الاثر في نفوسهم حيث تضع فوقها ما تعكسه لهم أمام أبصارهم ، فيصحوا وكأنهم قد عاصروا غمار الحرب ودهتهم بلاياها ومصائبها . ويزيد المناظر التي يروونها روعة ، ان بعض الروايات الحربية أخرجتها بعض الشركات بالسينما الناطقة فكان المشاهد يشعر كأن قاعة العرض التي يشاهد فيها الرواية قد تحولت الى ساحة تدوي فيها القنابل كالرعد القاصف ، وتسمع فيها صرخات القتلى وأنين الجرحى . ومن هنا يكون التأثير أشد معمولا وأقوى رسوخاً في نفس المشاهد

أبطال الحروب

ويظن البعض أن العظمة والخلود في قادة الحروب وشن الغارات حيث تتحلى بسالة أحدي بأجلى معانيها وعظمة تضحياته ومعاناته . ولكن هذا ظن باطل لا يصدر إلا عن عقول عقله الخيال فلم يعد يميز بين الصالح والطالح . فليس من الخطل في شيء أن نلقي بأنفسنا في شعلة من نار كي نثبت للملأ بطولة رجال مطافئ وكفايتهم . كذلك لسنا في حاجة الى إقامة الحروب لنثبت بطولة جنودنا وعظمة تضحياتهم . فهم أبطال من غير شك . فيجب علينا أن نثق ثقة لا مرد فيها

بطولتهم وبسالتهم ، ويجب علينا ألا نلقي بهم في التهلكة فهم قوام المجتمع وأساس نهضته

ولا يخفى أن أمة كارثة تحل بأمة من الامم ، كغرق سفينة من سفنها ، أو مصيبة ألمت ببعض أفرادها ، لا بد أن تحد رجالا ونساء على تمام الاستعداد لان يثأروا لامتهم بادلين في سبيل ذلك أموالهم وأرواحهم . فتكون مشاحنة بين أمة وأمة ، ثم ثورة ثم حرب تشترك فيها أمم أخرى في صف الامتين ثم خراب ودمار . والعالم أعمى ما يكون عن حرب مثل هذه بعد الذي قاساه من الحرب العظمى ، بل هو أحوج ما يكون الى السلم فلماذا نحمل عليه به وهو لن يستعد منا عشر معشار ما تستعده الأمة المحروب وشن الغارات ؟

واننا نرى الآن كثيراً من الامم التي اشتركت في الحرب العظمى واستهدفت لنقماتها وجائحها ، تسعى الى السلم . حتى لقد قام بعض رجالها المفكرين يبشرون الدعوة السلمية في جميع أنحاء العالم وأقربها الى الذهن « ميثاق كيلوج » الذي كان من حظ مصر أن اشتركت في الموافقة على ما جاء فيه من نصوص تدعو الى السلم ونبذ الحروب

ولو أن أنصار السلم اتخذوا السينما أداة لنشر دعايتهم ، لضمنوا لانفسهم فوزاً مبيناً ولكانت هذه الدعاية أقرب الى نفوس الشعوب وأدنى الى أفئدتها ، فيكون أثرها بالغاً جداً عاماً للفائدة المقصودة . هذا وان كان العلم الحديث يميل على أن يقضي على كاهل المتدين عبء الحروب ، وبحول القنابل والغارات في مواقع تستخدمها سكان يكونون في معاون ، فان السينما تعمل ما يعمله العلم ولكن بطريقة أقرب الى الفهم وأروح للنفس

تصوير المشرحة الحربية

ولا يكفي أن نتكلم عن أثر الاشرطة الحربية في جمهور المشاهدين بعطفه من السينما وخلال شأنه ، بل يجب أيضاً أن نستعرض هذه الدعاوى ، كيف صنع هذه الاشرطة كي يعرف مقدار المصاعب التي يلاقيها المخرجون في سبيل إخراجها . فهناك تعبئة الجيوش واقامة الحصون والمتاريس وتدبير الخطط الحربية وغير ذلك من مستلزمات الحروب . كل ذلك يتحمل المخرجون عبأه ، فتزام أثناء إخراج روايتهم الحربية كأنهم قواد جابرة يديرون دقة أعمالهم بحذق وبراعة ، فتشعر اذا حضرت إخراج رواية من هذه الروايات كأنك وسط معمعة رهيبة دار فيها رحى القتال ودوت القنابل مرتفعة على جوانبها أعلام للموت

ولقد شاهدنا في مصر أشرطة حربية عدة أدهشنا ما فيها من مناظر لا تفرق في شيء عما كان يجري في ميادين القتال إبان الحرب العظمى . ومن بين هذه الاشرطة « الاستعراض العظيم » و « في سبيل المجد » و « الاماء الارجة » و « فردون » و « موقعة جوتلاند » . ولعل الشريط الاول أعظمها اجراجاً وأدقها تصويراً لاهوال الحروب . وقد أعقت عليه شركة « مترو جولدوين ماير » الاميركية نحو الاربعة ملايين من الدولارات ، وراحت تبني القلاع وتشيد البلدان وتغرس الغابات وتقيم الحصون لتصويرها وتدميرها . ولم تقتصر على مجهودات مخرجيها ومديريها وممثليها ، بل

طلبت الى حكومة الولايات المتحدة أن تعدها للمساعدة . فعدتها بمرتة كبيرة مكونة من عشرة آلاف مدفع ثقيل سنوي ، وأربعة آلاف سيارة من السيارات الكبرى التي تستعمل لنقل الجنود ، وعدد كبير من الموتوسكلات والشاحنات والمدافع ، وغير ذلك مما يستعمل في الحروب

وحوله بسيطه حول قصة « تورب سلم هوسمود » تكشف عن أعمال الولايات المتحدة ، في الوقت الذي كانت تخرج فيه رواية « الاستعراض العظيم » تكشف الناظر عن مشاهد غريبة لا يصدق وجودها في وقت السلم . فهناك أقيمت الخنادق وحفرت الحفريات وورت الجثث والصادق من تحت الانقاض ، وهناك أكوام غريبة وغلان محترقة وطيارات مهشمة ، مما يدل دلالة على أن هذا المكان وقعت فيه حرب ضروس ، ولم يكن ذلك كله سوى موقعة من المواقع التي صورت من أجل إظهارها على الشريط ، موقعة لا تدل فيها الأرواح ولكن بذلت فيها الأموال والجهود الخطيرة التي تمثل الحروب لا بقصد الحرب والتدمير ولكن لخدمة الانسانية

ومما زاد في عظمة رواية « الاستعراض العظيم » وقوعه مناظره « مناظر نيويورك » أن جميع

الفتيات يودعن الفرد المتطوعين ، من رواية « الاستعراض العظيم »

LIVE

الجنود الذين استعصموا فيها تمترسوا على الخروب من قبل . وقد قام عبادتهم أثناء تصوير المناظر الخزان مانون والكيرنل ه . ج . بيشوب الملحق عندنا في الحرب العظمى ، حتى لقد أسند إليهما ولى ضاطها إخراج جميع المناظر التي تمثل فيها الوقائع الحربية دون أن يشترك في ذلك مخرج الرواية العني . وقد عهد إلى الكيرنل بيشوب ارشاد المصورين لتصوير المناظر من الجهات المناسبة . وشيدت الشركة لهذا الغرض عدة بروج حديدية عالية يقف فوقها مع المصورين للاشراف على جميع المناظر وتصويرها . ولما كانت المسافات عديدة بين هذه البروج وبين مواقع كتائب الجنود المرتبطة في جهات مختلفة في انتظار الاوامر ، فقد كان الكيرنل يصدر اليها أوامره بواسطة أعلام حمراء اصطلح على استعمالها أثناء التصوير للاشارة بها لحركات خاصة تعرف بها صيغة الامر

ولكي تكون المناظر أكثر هولا ، وضعت الشركة في بعض الجهات ألغاما تحت الارض كانت تنفجر عند الطلب ، فتدمر كل ما هو محيط بها وتتطاير شظاياها متساقطة فوق الرءوس . وبطبيعة الحال كانت الاحتياطات قد اتخذت كيلا ينقلب التمثيل الى حقيقة ، فتروح الجنود ضحية تطوعهم لتصوير هذه المناظر . فقد كانت الالغام تنفجر في الوقت الذي يكون فيه الجنود في مكان بعيد عنها . وأما قنابل المدافع فلم تكن حقيقية ، إذ أنهم استعملوا قنابل خاصة مركبة من مواد غير قاتلة . فلا يرى لها عند انفجارها سوى دخان رمادي ليس له أدنى تأثير

واذا تكلمنا عن المدن والقرى التي دمرتها القنابل والالغام في رواية « الاستعراض العظيم » فقد نشعر أول وهلة أنها كانت الشركة أموالا طائلة كانت تكفي دون شك بها مدناً حقيقية يمكن العيش فيها . وكم من أموال بذلها شركات السينما في سبيل إخراج رواياتها كي تخرج مطابقة للواقع . فهي تنفق هذه الاموال عن سعة خاصة انما داد أضعاف أضعافها بعد تقديم هذه الروايات للعرض وشريط « الاستعراض العظيم » وحده عاد على الشركة التي أخرجته بأرباح تضاءلت بجانبها أرباح الاشرطة التي أخرجتها في عام ١٩٢٦

تصوير المواقع الحربية

ولو أننا تكلمنا عن كل رواية من الروايات الحربية التي رأيناها في مصر وبينا ما لقيته الشركات التي أخرجتها في اخراجها من متاعب وما بذلته من جهود لضاق المقام عن ذلك . ولكن يكفي أن يعرف القارىء الغاية السامية التي ترمي اليها شركات السينما في إخراج الاشرطة الحربية ، تلك الغاية التي تسعى اليها الامم وترجو تحقيقها وهي القضاء على الحروب . فأمام هذه الغاية يسهل كل سعب ويرخص كل ثمين ، وفي سبيلها لا تحجم أي شركة كبيرة عن أن تبذل جهد الطاقة لاظهار محاسن السلم وهول الحروب في أشرطتها مهما كلفها ذلك من جهد ومال

والحكومات الغربية بدورها لا تحجم عن مد يد المساعدة الى شركات السينما كي تخرج أشرطتها

ARCHIVE

كاملة من كل الوجوه . هذا وليست هذه المساعدات مقطا الحكومات في البر فقط بل تعدتها الى البحر أيضاً . فقد رأينا في رواية « بحرنا » التي أخرجها ركس الحرام المخرج الاميركي مشاهد تكاد لا تصدق العين وجودها في شريط سينمائي . فيه بوارج هائلة تشق عباب البحر وكأنها زهو تيهاً وعجباً بضخامتها وعظمتها ، الى غواصات كبيرة تزحف حولها شياطين الهلاك ، الى غير ذلك من قناطة وضباط وبحارة كانوا تكامل عددهم تحت اشراف المخرج اخراجاً . وهو بدهائه وسوعه عرف كيف يستخدمهم براعة وحكمة فخرجت روايته وقد ظهرت فيها عظمة القوات البحرية وهول المعارك التي تشع فيها

ولم تكن المساعدات التي قدمتها الحكومة الاميركية لمخرجي رواية « الحطام الحي » ، والتي قدمتها الحكومة الالمانية لمخرجي رواية « إمدن » ، والتي قدمتها الحكومة الانجليزية لمخرجي رواية « ملازم العلم » ، لتقل شأناً عن التي قدمتها الحكومة الفرنسية لمخرج رواية « بحرنا » . فقد كان لهذه الرواية عظيم الشأن في الاوساط الحربية ، حتى لقد اشترت الحكومات الغربية نسخاً منها وحفظتها لاستخدامها عند اللزوم

* * *

يتبين القارىء مما تقدم خلال الخدمات التي قدمتها السينما للجميع وهام أولاء أولياؤها لا يتركون ناحية من نواحي الخدمة دون بذله في سبيلها مجتهدون في السير قدماً لا يتباطؤن الى إظهارها في مظهر جذاب قريب الى أفهام قرائهم ومشاهديهم . وما كان هذا شأنه الحرب والسلم من المسائل التي شغلت الامم أعواماً عدة دون أن تصل إلى حل لها . فقد رأى أرباب السينما أن يستخدموا فنهم في سبيل هذه الغاية بعلهم يوصلون بدورهم الى حل لها . وكان أن أخرجوا تلك الروايات التي شاهدناها ، فصارت خطوة جريئة ناجحة وقفوا فيها من كل الوجوه . وها نحن نرى أثر الاشرطة الحربية في حواس الجماهير ، فالكل أصبح يمقت السلم والكل أصبح يرجو أن يعم العالم في أسعد حال بعيداً عن الحروب وبلياتها . فلنشد هؤلاء العاملين الأعداد ولنقدر جهودهم فهم لا يقلون شأناً عن « كيلوج » وأمثاله ممن حاولوا تعميم السلام في العالم

السيد عيسى العجمي

الرجل ذو القناع الحديدي [1]

عباءة التاريخ ملأى بالألغاز والاسرار ، ولكني لا أعرف لغزاً تاريخياً أسال من مداد الحبر ما أسأله اللغز المعروف باسم « الرجل ذي القناع الحديدي » ، ولا أعرف سراً أثار من اهتمام المؤرخين وأهاج من عقولهم ما أثاره وأهاجه هذا السر الغريب . فقد ذهب فريق إلى أن « ذا القناع الحديدي » انما هو الشخص الذي كان يجب أن يعتلي عرش فرنسا باسم لويس الرابع عشر . وذهب فريق آخر إلى أنه ... وقال فريق ثالث إنه لورد انجليزي ، وقال البعض انه دوق بوفور ، وانه دوق مونموث ، وانه الوزير فوكيه ، وانه ابن الملكة آن دوتريش من عشيقها دوق بوكنجهام ، وانه ابن ملكة فرنسا من الكردينال مازارين ، وانه الشاعر موليير ، وانه حد نابليون الاول . وقال غيرهم غير ذلك

وأنه ، والحق يقال ، شيء لا يشرف التاريخ ولا المؤرخين أن تثار مسألة « الرجل ذي القناع الحديدي » في خلال مئات من السنين ، وأن يكتب فيها الكاتبون ... ومنهم من يعتبرون حجة في التأليف التاريخي ـ حتى كتاباً يذهبون في تحقيق مذهبهم مذاهب شتى ، ثم لا يشرون حلا أو تفسيراً للغز لا يمكن أن يكون له أكثر من حل واحد قائم على حقيقة واحدة

واذا كان قارىء هذه السطور الصحيحة حائراً في بعض أمره مما يرى من مسافة الخلف بين جميع هذه الآراء ، فانه لتقريبه الدهشة اذا يرى من وراء الغلاف في مقدمة أسماء هذا الكتاب ، ثم انه ليتولاه شيء يقرب من الذهول عندما يتحقق في النهاية من أن موضوعه هو تفصيل لأكبر مؤرخي « الرجل ذي القناع الحديدي » وأنه صاحب الغريزة التي استمد منها الكتاب جلاءهم في الأساطير التي وضعوها لحل هذا اللغز التاريخي الكبير

• • •

ابتدأت مشكلة « الرجل ذي القناع الحديدي » من اليوم الذي اطلع فيه بعض المستقرئين في محفوظات سجن الباستيل على مذكرات يومية كان يكتبها مسيو دي جوسكا نائب الملك في هذا السجن. وقد جاءت في تلك المذكرات بتاريخ ١٨ سبتمبر سنة ١٦٩٨ عبارة هذا نصها : « في الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم رأيت لأول مرة مسيو دي سانمارس [2] وقد حضر لاستلام مهام وظيفته الجديدة

---

(١) اعتمدنا في كتابة هذا الفصل على الوثائق التي نشرت في كتاب « أساطير ومحفوظات الباستيل » تأليف المؤرخ الكبير دوفك براتو وعلى كتاب « القضايا التاريخية الكبرى » لنقيب هنري دوبير

(٢) مسيو دي سانمارس كان حاكم قلعة بينيرول التي كانت تعتبر من سجون فرنسا الحصينة ثم عين حاكما لجزائر سانت مرجريت (وبها سجن حصين أيضا) ثم عين حاكما لسجن الباستيل

ومعه مسيو ده روزارج وقد أحضرا معهما سجيناً من سجن سيرون يحمل فوق وجهه قناعاً لا يفارقه ، واسم هذا السجين مجهول من الجميع ولا يمكن معرفته . وقد أدخله مسيو ده سانمارس فوراً الى برج ماسينير حتى إذا ما حل الليل عدته ومعي مسيو دوروارج الى الحجرة الثالثة من برج برتوديير وهي الغرفة التي فرشتها خصيصاً قبل مجيئه بيومين أيام ، وذلك بناء على الاوامر الصادرة اليَّ من مسيو ده سانمارس حاكم الباستيل الجديد . أما هذا السجين فقد عهد إلى مسيو ده دوروارج في أمر العناية به على أن لا يناوله الطعام غير حاكم السجن نفسه »

تلك بداية وقصة الرجل ذي القناع الحديدي» في مذكرات ده جونكا . وإذا ظللنا نتصفح تلك المذكرات وجدنا فيها بتاريخ ٢٠ نوفمبر سنة ١٧٠٣ ، أي بعد خمس سنوات من البدء السابقة ما يأتي : « ان السجين المجهول الذي ظل طوال هذا الزمن يحمل فوق وجهه قناعاً من القطيفة السوداء ، والذي كان يخرجه من سنوات عدة مسيو ده سانمارس في سجن سيرون وسجن سانت مرجريت — قد أحس بالمرض صبيحة عيد أمام وقد توفي في الساعة العاشرة من مساء أمس من غير أن يعتريه مرض شديد . وقد أدى فريضة الاعتراف وتلقى جيرو الذي دعش عند ما علم بموته . وقد دفن في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم بمقبرة القديس بولس ، وشهد على سجل الوفاة كل من مسيو ده روزارج ومسيو أراي » ، وبعد ذلك خلط كاتب صاحب المذكرات : « علمت أنهم أطلقوا على السجين المجهول اسم دوماسك ماركيولي « Marchioli » ، وانهم أنفقوا أربعين جنيها على دفنه »

وقد تتبع الباحثون حقيقة هذا [illegible] في سجن [illegible] بمقبرة القديس بولس وبتاريخ ٢٠ نوفمبر سنة ١٧٠٣ باسم ماركيولي « Marchioli » ، وقد وقع على السجل كل من مسيو ده روزارج ومسيو أراي

تلك هي الوثائق الثلاث الصحيحة التي دونها شهود لا يرقى الشك الى صدق شهادتهم . واذا كانت هذه الوثائق الثلاث لا تبرد غلته ولا تعلم الناس من هو السجين ذو القناع الحديدي ، فلا أقل من أنها تعتبر المرجع الاول والاخير لمن يريد الاهتداء الى حقيقة السر الرهيب

ولقد ظلت مسألة « الرجل ذي القناع الحديدي » خامدة لا تشغل بال الناس ولا تثير اهتمامهم حتى سنة ١٧٤٥ ويكاد الباحث في خلال الأربعين عاماً التي انقضت بين وفاة السجين وهذا التاريخ لا يعثر على شيء عن هذا الرجل لا في كتب التاريخ ولا في المذكرات الخاصة غير عبارتين قصيرتين كتبتهما الأميرة « بالاتين » عمة لويس الرابع عشر الى صديقتها دوقة هانوفر ، وذلك في سنة ١٧١١ قالت في الأولى : « علمت أن رجلاً قضى سنوات طويلة في سجن الباستيل يحمل على وجهه قناعاً ، وقد مات ودفن بهذا القناع ، ولم يعلم أحد حقيقة اسمه ولا شيئاً عن شخصه » . وقالت في الثانية « كنت البث في رسالتي السابقة عن السجين ذي القناع الذي مات في الباستيل . ولكن أستطيع أن أقول لك ما علمته ، وهو أن هذا الرجل لورد انجليزي اشترك في مؤامرة دوق برويك ضد الملك غيليوم »

ولكن هاتين العبارتين فصلا عن خطأ ما بهما من المعلومات لم تحدثا أثراً . وظل الصمت

يخيم على ذكرى السجين المجهول حتى كان عام ١٧٤٥ اذ ظهر كتاب مطبوع في هولاندة عنوانه : « مذكرات سرية عن تاريخ بلاد الفرس » لا يحمل اسم مؤلفه . وقد وردت في هذا الكتاب عدة قصص ونوادر عن بلاط الملك لويس الرابع عشر كتبت على طريقة القصص الشرقية التي كانت دائعة في ذلك الزمان. ومن تلك القصص التي حواها الكتاب قصة موضوعها : أن مكان الشاه عباس (والشاه عباس هذا رمز للملك لويس الرابع عشر) ولد من احدى عشيقاته اسمه جمعر (الكونت دي فرماندوا) وأن جعفر هذا تشاجر مع ابن الشاه الشرعي أي ولي العهد ولطمه على وجهه . ولما كان لا بد من عقاب للصبي الزعيم على ولي العهد ، آثر الشاه عباس أن يسجنه طول حياته على أن يأمر باعدامه فسجنه في الباستيل بعد أن وضع على وجهه قناعاً من حديد أمره أن لا يخلعه أبداً حتى لا يعرفه أحد »

وقد لاقت هذه القصة الشائعة ارتياحاً عند الكثيرين وصدقت رواجاً وقبلا ورسخ في أذهان الناس بل حتى أن سجين الباستيل المقنع هو الكونت دي فرماندوا ابن لويس الرابع عشر من عشيقته مدموزيل لافاليير . ورغم أن الوثائق الرسمية تثبت ان الكونت دي فرماندوا مات سنة ١٦٨٣ أي قبل وفاة السجين المقنع بخمسة عشر عاماً ، فقد ظل الناس موقنين أن صاحب القصة لا محالة صادق فيما رواه ، وان الرسميات هي التي فضت بأن يذكر اسم الكونت في سجل الاموات ستراً للفضيحة وصرفاً للافكار

ثم ظهر كتاب فولتير المسمى « تاريخ عصر لويس الرابع عشر » وفولتير حجة التاريخ في القرن الثامن عشر وقد جاء فيه ما يلي : « وفاة [illegible] وهي من الحوادث بصمة أشهر حادث لم يسبق له مثيل . ولعل أغرب ما في هذا الحادث أن جميع الذين شهدوه وما يزالون يجهلونه حتى اليوم . ذلك أن رجلاً يزج في سجن بناسبة مرتجلة وقد أحيط سجنه في هذا السجن بالاسرار العميقة . أما هذا السجين المجهول الاسم الذي حول وجهه بقناع من حديد ذي مفصلات عند موضع الذقن والفكين ليسمح لخادمه أن يأكل وهو لابسه ، وقد صدرت الاوامر لحاكم السجن أن يقتله اذا حاول رفع قناعه ، أو أن يهوه بكلمة تطن حقيقته . وقد زاره الوزير لوفوا في سجنه ونزل بحاطه واقفاً احتراماً لمقامه . وقد نقل هذا السجين فيما بعد الى الباستيل حيث أسكنوه أنظر حجرة فيه وأحاطوه بأتم مظاهر العناية والرعاية والاحترام حتى أن حاكم السجن ما كان ليسمح لنفسه بالجلوس في حضرته . وقد توفي هذا الرجل سنة ١٧٠٣ ودفن في مقبرة القديس بولس »

وما قرأ الناس هذه الفقرة من قلم الكاتب العظيم مؤرخ الملك الاكبر حتى انطلقت الألسنة وهامت العقول في بادي الظنون وذهب كل في التكهن مذهباً . ونجح فولتير فيما أراد الوصول اليه وحرك في الناس ارعته في تعرف سر « الرجل ذي القناع الحديدي » ولم يرد أن يعتق على ما أورده من الاخبار بكلمة ، بل كانها للقارئ تحفة مبهمة شائقة تحري بالبحث والاستقصاء والتنقيب

ثم عاد فولتير الداهية عدو اللوك والملكية فأعاد الكرة في « استئنافه على الموسوعات » وذكر السجين « ذا القناع الحديدي » وقال : « واذا كانوا قد وضعوا على وجه الرجل قناعاً ، فأغا وضعوه

ليبحثوا عن العيون مشابهة بينه وبين شخص آخر لا تزيد الناظر الى أحدهما في الغرف على الآخر . ولا شك انه كان لهذه المشابهة أثر في سياسة الدولة خطيرة . . . وقد عاد المؤرخ الى موضوعات اخرى عاد الى أسطورته فقال : « . . . وكان حاكم السجن يحضر بنفسه أطباق الطعام ويضعها على المائدة بيده ثم ينسحب ويغلق الابواب . وحدث ان خطر لسجين يوماً ان شوكة الطعام على صفحة عين من الفضة مسطوراً وألقى الصحن من نافذة السجن الى سفينة راسية على الشاطئ قريبة من برج السجن . فالتقط الصحن صياد وأعاده الى الحاكم . فلما تناوله سيوده سامارس وقرأ ما هو مسطور عليه تولاه الذعر وسأل الصياد : هل قرأت ما كتب على هذا الصحن وهل أطلعت عليه أحداً ؟ فقال لا . لست أعرف القراءة ولم يره معي أحد . فقال إذن أنت سعيد بهذا الجهل إذ لو كنت قرأت ما هو مكتوب لأعدمتك في الحال » . . . وفي الطريق الى الباستيل كان سيوده سامارس يرى مع السجين من الفرنة متى حان وقت الطعام ويضرب طبقاً تنصب فيه المائدة ويجلس أمامه الحاكم وتكل يد من يديه عبارة مصوبة الى صدر السجين حتى لا يفوه بكلمة أو يحاول الفرار ... اني أعلم من أمر الرجل ذي القناع الحديدي الشيء الكثير ولكني لا أستطيع أن أبوح بشيء . . . . . »

ثم لم يرد فولتير أن يبوح بشيء ولكن الشيء الذي لم يرد أن يبوح به ، بل الفرية التي لم يرد أن ينسبها لنفسه ، كان جعلها على لسان سامارس وشارحها وهي هذا ويدون في أسفل الصحيفة ما عليه علمه مؤلف بعضاً على من يكون « ذو القناع الحديدي » هو ولا شك لأخ الاكبر لملك وس رابع عشر وقد حدث بعد وفاة الكردينال ان علم لويس حقيقة مولده وانه ليس بن لوس الثالث عشر وانه هو ابن الملكة مع الكاردينال مازارين وزيرها وان له أخاً هو ابن الملك شقيق وارث العرش شرعاً هو نسباً . وان الملكة في تخلفها به (أي بلويس الرابع عشر) لانه ابنها الاول من عشيقها الحقيقي قد أجلسه على العرش حياً وعدوناً . ولم يكن أمام الملك واخاه هذا لا أحد سبيلين إما أن يمضي على حياته لاخ وإما أن يخفيه عن الابصار والاسماع . وقد حدا الى الحل الثاني حرصاً على سلامة عرشه وعلى طمأنينة الدولة . ولا شك ان وفاءه وكرم خلقه آثرا سجن أخيه وتغطية وجهه بقناع من الحديد على أن يرتكبا جريمة قتل كانت تحتمها ظروف السياسة وتبررها حالة فرنسا . . . »

هذه هي الفرية التي كان فولتير يريد أن يصورها ، وهذه هي الفضة المسمومة المصوبة الى صدر الملكية ، وهذا هو السهم القاتل الذي ريشه عنق الملوك الى الصميم من قلب النظام الملكي

كان الفرنسيون يقدسون ملوكهم لان هؤلاء الملوك قد تقلدوا حقهم من الله ، ولذلك فهم يرث هذا الحق السماوي عن أبيه ، وهذا سر احترام الشعب للعرش ولشخص الجالس عليه ، ولكن ماذا يقول الشعب الآن وقد أصبح يعلم ان اكبر ملوكه سناً وأضخمهم منكباً وأرهبهم عنصراً قد اغتصب عرشه من أخيه الشرعي وقضى على هذا الاخ بالسجن الدائم ظلماً وعسفاً ؟ وماذا يصبح تقديس وراثة العرش والشعب يرى أولاد الخطا يعتلون العرش ويملأون بأسمائهم صفحات التاريخ بينما ورثة العرش الشرعيون يقضون حياتهم في الباستيل ويغطون وجوههم بقناع من حديد ؟

ثم لقد نجح فولتير فيما أراد وذاعت في الشعب فكرة ان الجالس على عرش فرنسا والذين سيقوم اليه وعدين سيجلعونه عليه لا يتلقون حقهم من الله وانما يتلقونه من زيد النحي والأثم والاحرام فتقديس وراثة العرش خرافة كبرى ، وسماوية الحق للملكي خرافة أكبر ، فاذا لم يكن الحكم الملكي صالحاً بذاته كان أحق به أن يزول ، وما ان هذا الحكم قد صار في فرنسا سيرة العظم والاستئساد فيجب أن يمحي ويزول

عبثاً حاول بعض المؤرخين أن يعيدوا الامور الى نصابها وان يصححوا الوقائع ، ولكن أنى لصوت العقل أن يصل الى عقلات الجماهير ؟ وما التي تستطيعه الوثائق الرسمية والحجج المنطقية حيال فكرة رسخت في أذهان الجماعات ؟

وارداد الناس يقيناً من صحة الرواية عندما قرأوا ما كتبه الباروني دي حليش من ان اقصاء هذا السر الرهيب قد أنفق من ملوك فرنسا وكافة أفراد الأسرة الوريثية ، وكيف لا يكون ذلك وهم يعلمون ان الملكة التي حملت سفاحاً من ورثها الكاردينال قد أجلست نتيجة هذا السفاح على عرش فرنسا ورضيت نفسها أن يصبح ابنها الشرعي الرجل ذا القناع الحديدي ؟ »

ونشرت بعد ذلك مذكرات رجل باشروها ايها الكاردينال ريشيو وهي مذكرات لاشك اليوم في أنها مزورة على الورق العطر ، وفي هذه المذكرات تأييد واضح لرواية فولتير ، فهل بقي بعد كل ذلك للريب مجال ؟ كلا ... ويستمر هؤلاء المؤرخون يكافحون عبثاً ، ويكون من أم الاسباب في توزع أركان العرش ملكي ومن أقوى البراهين في ثورة الشعب على ملكيه وملوك

ولم تقف الاسطورة عند حد تسويغ ما جرى من خلع سر العرش ولرتقت الى أدنى الملك لويس الخامس عشر إذ ... الكاردينال دي شولز من حقيقة امر الرجل ذي القناع الحديدي فأجابه الملك جواباً غامضاً إذ قال : « لو علمت حقيقة هذا الرجل لأدركت ان مسألته أهم وأخطر مما تظن » ولكن الكاردينال دي شولز لم يقنع بهذا الجواب وأوحى الى الملكة دي بومبادور أن تسأل وان تلح في السؤال فاشهرت فرصة وجودها بين ذراعي الملك وهي تداعبه وتدلله وتحاول بالسؤال عن الرجل ذي القناع الحديدي فلم يستطع أن يرفض الاجابة وقال : « إنه كان وزيراً لاحد أمراء ايطاليا » ثم جاءت الملكة ماري انطوانيت بدورها وسألت زوجها لويس السادس عشر فأجابها بأنه لا يعلم عن هذا السر شيئاً وأمر بالبحث في الاوراق القديمة ولما لم يهتد منها الى شيء لجأ الى وزيره ومورياه فأجابه « ان الرجل ذا القناع الحديدي كان أحد رعايا دوق مانتوا وكان رجلاً لا يؤمن خطره لكثرة دسائسه » وهذا الجواب مدون في مذكرات مدام كامبان كبيرة وصيفات الملكة ماري انطوانيت . ولكن هذا تمهيد رواية لموت وورثائهم في دحض فرية فولتير الذي كان يشعل وطيفة « مؤرخ الملك » وما الذي يحديه تأكيدات هؤلاء الملوك وهم متهمون ؟

واستمرت أسطورة « الرجل ذي القناع الحديدي » تتغلب على المعقول والمقبول حتى جاء عصر نابليون وخطر لأحد المؤرخين المتقربين بالزلفى اليه أن يبرر اعتلاءه عرش فرنسا فأدعى ان الامبراطور من سلالة السحيين المقبح وفي ذلك يقول هذا المؤرخ العجيب : « ان الرجل ذا القناع الحديدي أحب ابنة أحد حراسه وقد تملك عواطفها جمال وجهه (لعله يريد أن يقول جمال قناعه)

حملت منه ووضعت غلاماً نزحت به الى جزيرة كورسيكا وعهدت تربيته الى امرأة صالحة أوصتها به خيراً قائلة لها أنه من مصدر عظيم — والفرنسية " de bonne part " وبالايطالية " buona parta " ومعناها اسم بونابرت " Bonaparte " — وتما ان دا الفناع الحديدي ابن ملك فرنسا ووارث عرشها الشرعي فلا شك في أحقية حفيدة مازيون في هذا العرش . . »

ومضى القرن الثامن عشر وجاء القرن الذي تلاه وشغلت قصة الرجل ذي القناع الحديدي فريقاً من المؤرخين صرف عن معظمهم صمتاً ولا شغف بهم إلا عند اسكندر دوماس الكبير ومبتكراته. واذا حشرنا دوماس في زمرة المؤرخين فلأن كل رواياته ترجع الى التاريخ . وانا لنقرأ روايته الشهيرة « الكونت دي مونت كريستو » فنجد فيها الاسقف دبريلاي يخاطب السجين المقنع ويقول : « انت ابن الملك لويس الثالث عشر . . انت أخو الملك لويس الرابع عشر . . انت وارث عرش فرنسا . . يا لويس الرابع عشر الحقيقي ستجلس على عرشك وعرش آبائك بعد أن يكون الله قد أزاح عنه الغاصب لزيم » والسجين المقنع في نظر الاسقف دبريلاي هو فيليب دي فرانس الذي كان يحب أن يلقب بلويس الرابع عشر ، وهي، ميشليه ، ميشليه مؤرخ الثورة الكبرى والعلم الجحة الثقة فيكتب عنه ليؤيد الاسطورة الذائعة فيقول : « . . واذا كان الملك لويس السادس عشر قد قال لزوجته ماري انطوانيت انه يعرف سر الرجل المقنع فلأنه كان يعلم حقيقة ذلك السر ولكنه كان يعني به أن يدير [illegible] . واني أرجح ان الرجل ذا القناع الحديدي كان أخاً للويس الرابع عشر ، وكان يهم [illegible] لا يعلم الناس ان هذا الملك قد اغتصب العرش من أخيه . . »

بيد أن أسطورة دوما أخذت تتلاشى شيئاً فشيئاً من جانب المؤرخين الذين تصدوا لدحضها وتكذيبها وبدأت تتحدد في آخر القرن التاسع عشر شكلاً آخر. فقد وقف الاستاذان بورخو وباررو وهما من العلماء المحققين في اسكتلندا مشروع همته لاصطلاحه (الشعر) التي كان لويس الرابع عشر يكتب بها رسائله السرية . واستطاعا بهذه الوسيلة قراءة كثير من الاوراق التي ظلت الى عهدهما سراً مغلقاً في وجه الجميع . ومن بين هذه الاوراق رسالة بأمضاء الوزير لوفوا وخط يده موجهة الى الحراس « كاتينا » وفيها يقول : « . . . ولا أراني محاجة الى القول بأن جلالة الملك قد استاء أعا سياء المحطة العنيفة التي اتبعها مسيو ده بولوند (١) والتي جعلته يرفع الحصار ولا ينتظر النجدة التي أمرته بانتظارها . لذلك يرى جلالته أن تأمر بالقبض عليه وأن تسجنه في قلعة بينيرول وأن تحوطه بالحراس الأمناء الذين يرصدون عليه الابواب ليلا ونهاراً ولا يسمحون له بالتنزه الا فوق سطوح القلعة على شرط أن يضع فوق وجهه قناعاً حتى لا يبصره أحد »

ما عثر الاستاذان بورخو وباررو على هذه الوثيقة حتى صاحا صيحة الفوز والطرب ، وأعلنا في غير تحفظ انهما وضعا أصبعهما على حل اللغز الخالد ، وأن الرجل ذا القناع الحديدي انما هو الحراس ده بولوند وليس من دليل على ذلك أكبر من أنه كان سجيناً خلفة بينيرول وأنه كان يلبس قناعاً . .

(١) مسيو ده بولوند قائد من قواد الجيش سلك سلوكاً سيئاً في معركة كوني وغضب عليه الملك وسجنه

ولقد كانت هذه النظرية تكون صحيحة لو أن التحقيق التاريخي لم يثبت ان مسيو دي سانمارس غادر قلعة بنيرول بسجينه القناع قبل القبض على دي بولوند بزمن طويل . أما والتاريخ يثبت ذلك فلا سبيل الى تصديق بورجو وزميله على أن هناك دليلا قطع الشك من هذا وهو أنهم عثروا على ورقة خط الحبر ل دي بولوند تاريخها سنة ١٧٠٥ أي بعد وفاة ذي القناع الحديدي بعامين . فماذا يبقى من التأويل الجديد ؟ لا شيء : اذن لا بد من البحث في اتجاه آخر . وهذا الاتجاه الآخر والصحيح هو الذي اتجه اليه المؤرخ المدقق الكبير الاستاذ فولك راتانو في كتابه الجليل : « أساطير وحقوطات سجن الباستيل » والذي أقره ووافقه عليه المسيو هنري رويير نقيب المحامين السابق في الجزء الرابع من كتابه « القضايا التاريخية الكبرى » فقد كتب كل من هذين العالمين الكبيرين فصلا ضافيا الذيول عن قصة الرجل ذي القناع الحديدي أماط فيه التمام عن حقيقة الشخص واسمه ومركزه الاجتماعي وتاريخه حتى لم يبق سر ولا مستور . ولا مرية في أن هذين المؤلفين قد أراحا الباحثين من الضلال في بيداء الاوهام والظنون ، وكشفا الناس عن سر رهيب ظل يحير العقول مئات من السنين

واما لبادر الى اجابة سؤال القارىء الذي تصل عناعتنا الى هنا فنقول إن الرجل ذا القناع الحديدي لم يوجد . وان الذي وجد حقيقة سجن كان سر الجزء الأعلى من وجهه بقناع من القطيفة الخفيفة السوداء كالذي يستعمله الناس في هذه الأيام في أعياد المرح ، وان هذا السجين الذي ذهب المؤرخون في استكناه اسمه كل مذهب [illegible] هو مركز [illegible] أنطونيو ماتيولي ، وزير شارل الرابع أمير مانتوا وسجين لويس الرابع عشر في سجن [illegible]

* * *

كان الامير شارل الرابع دوق [illegible] يعاني [illegible] متلافاً أرهق نفسه وخزانة دولته بالديون وأوصلت في وجهه أبواب الافلاس في عهد عسر مالي شديد . وكان الملك لويس الرابع عشر يعلم عنه ذلك ، ويعلم في الوقت نفسه أن من أملاك هذا الامير قلعة تسمى قلعة كازال تشرف على الحدود الفرنسية التي تحمي مانتوا ، وانها لازمة لحماية تلك الحدود . فأوعز اليه سفيره الفس دبستراد بمساومه في شرائها وعرض عليه الثمن الذي ينقذه مما هو فيه . وقد أبان هذا الفس لوزير الامير الكونت ماتيولي رغبة الملك في شراء القلعة فصادف هذا العرض هوى في نفس الوزير وانفقا على أن يسافر هذا الأخير بعد موافقة أميره ليتم جلالة الملك بنفسه ويفاوضه في الأمر

وفي الرابع عشر من شهر اكتوبر سنة ١٦٧٨ تسلم الوزير ماتيولي من سيده الامير شارل الرابع تفويضاً في بيع قلعة كازال وسافر الى فرساي مزوداً بأوامر تقضي بسرعة انهاء الصفقة مع تكتم الامر والحذر من تسربه الى الخارج . وفي الخامس عشر من شهر ديسمبر كان ماتيولي يوقع مع الوزير لوفوا معاهدة ود وصداقة سرية بين مملكة فرنسا وامارة مانتوا ، ومن شأن هذه المعاهدة السرية أن تحتل الجيوش الفرنسية قلعة كازال لتصدها حماية الدولتين المتحالفتين . . . .

وفي المساء استقبل الملك لويس الرابع عشر الوزير الامير استقبالا سرياً في مجلسه الخاص

وأراد أن يكافئه على قيامه بتلك المفاوضة الناجحة فأهدى اليه قطعة من الماس الثمين وسلمها مرسياً من قبل وأصرف السفير شاكراً للملك كرمه واعداً بكتمان السر ما شاء الملك أن يكتم

ولكنه ما كاد يطأ أرض ايطاليا حتى حنث بوعده وكشف سر المعاهدة وأطلع بعضها الى ملاد تورين والى حكومة السفيه والى الحكومة الاسبانية وأقام تلك الحكومات وأقعدها بذلك الشيء الفظيع . وكان من النتائج المباشرة لافشاء هذا السر أن قبضت السلطات في السفيه على الدرون داسيد الذي أوفده الملك ليستولي عرقه من جيشه على القلعة ، وأحبط مشروع البيع وألغيت المعاهدة

هنا ثارت ثائرة الملك لويس الرابع عشر وصب جام غضبه على وزيره لوفوا وكبر عليه أن يتلاعب به وزير حقير كمانيولي وأصر في نفسه على الانتقام . وجاء السفير ديستراد لبشي عليه من عزيمته فاقترح على الملك فكرة مخادعة مانيولي واستدراجه الى الحدود الفرنسية حتى اذا ما حل بها قبضوا عليه واقتادوه الى حيث يشاء غضب الملك أن يكون . وقبل الملك ما عرضه عليه سفيره وأوصاه بشدة الحذر والاحتياط . وذهب السفير الفني وأحكم صلات المودة بينه وبين الوزير ودعاه يوماً الى حفلة صيد طلا فيها حتى أقبل المساء ونظر مانيولي فألفى نفسه في غابة لا يعرفها وضيع السفير ورجاله أنهم سلوا الطريق وظلوا يبحثون لعلهم يهتدون . وكانت اشارة متفق عليها فأحاط الرجال بالوزير وأوثقوه كتافاً وكبلوه بالحديد وحملوه الى قصبة بينرول الفرنسية من الحدود . وفي ذلك يقول القائد كابيفيل في مذكراته عن لوفوا : « وما كاد يحدث كل ذلك في قصر فرساي حتى يكون من الصعب وصف الدهشة والسرور اللذين عمّا الناس جميعاً عدا الملك الذين أسروه وكبلوه وساقوه الى السجن »

وفي القلعة قيدوا معه وأسلموه الى سجن السجناء ولكن سجن « مانيولي » بدأ يظهر شيئاً فشيئاً في مراسلات الوزير لوفوا مع السفير ساندراس بشكل لا يدع مجالاً للشك في أن مانيولي هو « الرجل ذو القناع الحديدي » الذي حير المؤرخين . ففي سنة ١٦٨١ كتب لوفوا تعليماته الى ساندراس في اليوم الذي عين فيه حاكماً لسانت مارجريت ويقول فيها : « وسترسل اليك قبل بعد سجينك القديم . . . » . وكتب ساندراس الى السفير ديستراد يقول : « تسلمت بالامس أمر تعييني وسأصحب اثنين من المساجين وهما معروفان باسم ساكي الحجرة السفلى . أما مانيولي فسيبقى هنا مع سجينين آخرين »

وبعد ذلك بقليل نقل مانيولي الى حجرة سانت مارجريت وصار تحت حراسة ساندراس ، وهذا ثابت في سجل سجن سانت مارجريت . وقد كتب ساندراس الى لوفوا : « ان الناس حائرون في أمر سجيني اياه ويودون بشق الانفس لو يعلمون من هو . وقد باح بسرهم أنه دوق بوفور وأنه لورد انجيري وهأنذا أختلق لهم كل يوم حكاية لأصرفهم عن معرفة حقيقته . . . » وفي ١٩ يوليو سنة ١٦٩٨ كتب الوزير الى ساندراس : « ان جلالته يستصوب أن تنقل سجينك القديم الى سجن الباستيل » فلدا أصبحنا في هذه الوثائق وثيقة موت الرجل ذي القناع الحديدي والتي دون فيها ان اسمه ماركيولي وماركيولي تحريف لكلمة مانيولي تجلت لنا حقيقة الامر وعلمنا أن لويس

الخامس عشر كان صادقاً عندما قال للماركيزة دي بومبدور « ان السجين القناع كان وزيراً لاحد أمراء بطالية » وان الوزير « موريا » كان صادقاً أيضاً عندما قال للويس السادس عشر « انه كان أحد رعايا دوق مانتو وانه كان لا يؤمن خطره لكثرة دسائسه »

أما السر في لبس القناع وفي شدة الحرص على كتمان اسمه فيصعب ان القصد على وزير دولة أجنبية وسجنه بلا محاكمة أمر لا تجيزه القواعد المرعية ولا تقاليد الملوك فكان من المهم لدى لويس الرابع عشر أن يتتم لنفسه بدون أن يعرض سياسة فرنسا الى الاصطدام مع غيرها في مسألة من هذا النوع الشاذ

* * *

تلك حقيقة الرجل ذي القناع الحديدي التي شغلت الناس ثلاثمائة عام ولا شك ان الاستاذ فوك رائدنا لو باشرة القلم عن هذا السر العظيم قد حرم الكتاب والمؤرخين مادة واسعة تجري فيها الظنون مطلقة العنان كما حرم مؤلفي الروايات وكتاب المسارح مادة كانت تسعفهم في وقت الحاجة بكثير من الحوادث الخيالية التي يطيب سماعها وتطيب قراءتها للجماهير . ولكن التحقيق العلمي لا يجامل والحق أحق أن يقال

« ج . ا . »

أمثال وحكم غربية

- القدوة الصالحة خير من ألف نصيحة
- النفس العالية والهمة تكتسب ولا تكتسب
- الصداقة لا تعني في صحب كثير
- الضمير النقي ورقة رابحة (مستعارة من ورق اللعب)
- الكلام اللين يساوي كثيراً ويكلف قليلا
- الأدب يكلف قليلا ويساوي كثيراً
- الجمال هو توقيع الله على أعماله
- تفاءل خيراً إذا اقطعت الاخبار
- الحظ وحده قد يجعل الجنون حكمة
- من يطارد آخر لا يهدأ هو نفسه
- النظام يعلمنا اكتساب الوقت
- كم من امرىء يتعب ليوم لن يراه
- حياة القلوب الرجاء

مستقبل العالم الاقتصادي
في مناطقه الثلاث

الولايات المتحدة الاميركية ـ الامبراطورية البريطانية ـ البلاد المتحدة الاوربية

رالت في الحرب الماضية ثلاث دول من اوربا كان دنوها إثارة مخاوف العالم وهو احسه كل خطر لها أن تعمل ذلك . وهذه الدول هي : دولة هوهنزلرن في المانيا ، ودولة هبسبرج في النمسا ، ودولة رومانوف في روسيا . ويبعد على الظن أن تتحد هذه الدول أو أن تقوم دول أخرى مقامها . بل المرجح أن تكون أمبراطوريات المستقبل من صنف يختلف عن الامبراطوريات التي قامت في الماضي والقائمة الآن ، أي أنها تكون عالمية أمم ومستعمرات مرتبط بعضها ببعض لا بروابط حب الفتح الحربي والتوسع السياسي وعبد الاسر المالكة بل بأوعر القوة الاقتصادية على صول لم يسبق له مثيل من قبل في الاتساع والعظمة

الولايات المتحدة الاميركية والامبراطورية البريطانية

ويقال اجمالا إن في الأرض الآن ثلاثة من هذه النوع ، وهما ولايات المتحدة الاميركية والامبراطورية البريطانية . ولم يمر زمن يكون من المرجح أميركا هي تقدمت سائر بلدان العالم في تصدير محصولاتها الى الخارج وارتفت في الثروة والسار الى ذروه تغز عي دول أوربا وتطول . أما الامبراطورية البريطانية ، فقد رأت ما أصابها من التضعضع على أثر الحرب حملت همها الاول ضم أطرافها الى قلبها لتنمية مصادرها ومواردها الكثيرة ولتوطيد جهودها الاقتصادية

ولهذا الغرض أقامت معرض الامبراطورية المشهورة في ومبلي . واستعت الرسوم الجركية التفضيلية التي تعمل بها أجزاء الامبراطورية على غيرها . وأثارت الحرب القائمة الآن في سبيل الحرية التجارية ضمن حدود الامبراطورية . ونشرت الاعلانات في طول الامبراطورية وعرضها وشعارها « اشتروا سلع الامبراطورية وصانعها » . وقصد أحد رجال الوزارة الحاضرة (السر توماس) الى كندا لحضها على شراء المصانع الانجليزية تحبيذاً للبطالة في انجلترا

ومن رأي السر توماس هوسد أن في هاتين الامبراطوريتين الاقتصاديتين من القوة والثروة ما تستطيعان به منع أي حرب كبرة تهدد العالم بالتحكم معاً في المعادن التي تملكانها والتي لا غنى للتجارة وللحرب عنها

الاتحاد الدوري الاقتصادي أو الولايات المتحدة الاوربية

أما الامبراطورية الاقتصادية الثالثة التي يمكن أن نتأمل بها في مصادرها ومواردها وكفايتها الصناعية ، فلم يتم تأليفها بعد . ولكنهم يتحدثون بها من آن الى آخر . وقد سموها مقدماً الولايات المتحدة الاوربية تشبيهاً لها بالولايات المتحدة الاميركية

ويكون أهم نتائج هذا الاتحاد الاوربي أن الصوت الي قضت القرون في شقاق دائم تتضام الآن على مثال الشركات التجارية الكبرى المساة « ترانست » موجهة همها الى تأييد السلام وترويج وسائل الخير والرفاه لرعاياها وزيادة قوة الانتاج فيها وتهوين أسباب العيش على العامل والفقير من أهل الطبقة الدنيا

وأعظم مروجي هذه الفكرة هو السيو بريان الوزير الفرنسي الشهير . وعنده أن تعاون أوربا الاقتصادي لازم كل اللزوم للسلام الاوربي . فقد قال حديثاً « إن اوربا في حالة قوضى فالبلدان الصغيرة التي في مكنتها أن تبيع محصولاتها ربح وافر لانتيجها لتعقها في سبيل إنشاء صناعات وطنية وبينها وبين جاراتها أسوار جمركية لا يمكن اجتيازها »

ولا ريب في أن قوة اوربا الشرائية زادت زيادة عظيمة بعد انقضاء الحرب ولكن مقياس معيشة أهلها انحط انحطاطاً شديداً . وكان من نتائج الحرب أنها ألجأت الآلات الصناعية القديمة واضطرت أرباب المعامل الى ادخال آلات وأدوات صناعية جديدة وزادت بذلك الى حد كبير الاستقلال الوطني الاقتصادي المثل الاعلى في الاقتصاد . وعليه زيدت أصناف الرسوم الجمركية على ما كانت عليه قبل الحرب وتعقدت وزيد مقدارها ٧٥ في المائة

حرية التجارة تسبب زيادة الانتاج وزيادة الرخاء

ويرى العارفون أنه اذا آلت هذه الحركة الى اتحاد اوربي شامل واسع النطاق أو الى اتحاد جمركي ، فان ذلك يفضي إلى ثورة في حياة أوربا الاقتصادية فتتمتع حينئذ بما يعد أعظم نعمة اقتصادية تتمتع بها الولايات المتحدة الاميركية ، وهو حرية التجارة في قارة برمتها . فتسقط الأسوار الجمركية التي تقسم أوربا الى ست وعشرين سوقاً ، وكل سوق منها محاطة برسوم جمركية فتصبح سوقاً واحدة . ويجد الفلاح في رومانيا وايطاليا والصانع في ليون وسلفورف أن مصرف محصولاتهما وسلعهما اتسع الى آخر حد . وتصبح الآلات والثروات الألمانية في متناول الفلاح الهولندي والفرنسي كما هي في متناول الفلاح الألماني

ويحتفظ بالحنطة في المجر ورومانيا وفرنسا لاطعام أهل أوربا بلا نظر الى المال والعمل ولا يصدر شيء منها الى الخارج . وتتمتع أوربا المتحدة بنتائج العلم الالماني والتنظيم الالماني والصناعة الفرنسية

والايطاليه . وتصح أوربا الغربية المشهوره بصناعتها والاراضي الزراعية في الشرق والجنوب مكملة بعضها لبعض

ويرجع الفضل الأكبر في رخاء اميركا الحديث الى كثرة محصولاتها مما يخص صفة المال . ثم إن أجور العمال العالية في اميركا رفع القوة الشرائية في الأمة إلى مستوى تتمكن فيه من استهلاك ٩٠ في المائة من محصولاتها . والقدر يتكها من هذا كون المنتج الاميركي يبيع في سوق أهلية هي قارة برمتها ولا حواجز جمركية فيها

فاذا سمحت للمنتج الاوربي فرص مثل هذه فلا يبعد عليه أن يصنع في أوربا ما صنعه مقدار الانتاج في اميركا ، لأنه يجد أمامه أسواقاً خالية من الرسوم الجمركية ومفتوحة لمحصولاته الزراعية وسعه التجارية ومعسوعات معاملة . وهذا في قارة سكانها ضعف سكان اميركا

فلا ريب والحالة هذه أن الانتاج — وبالتالي الرخاء ومقياس المعيشة في اوربا المتحدة — يرتفع ارتفاعاً عظيماً . ولكن الصانع الاوربي يجد أمامه صعوبة لم تعرض لزميله الاميركي وهي تعدد الهيئات الاجتماعية واختلافها في اوربا على حين توحدها في اميركا . فاللغات فيها كثيرة والتقاليد والعادات وأنواع المعيشة لا عداد لها . وقد يزول تعدد الهيئات الاجتماعية هذا أمام عوامل المركزية القوية التي تعمل في أوربا المتحدة توحداً سريعاً كما حدث في ايطاليا وفرنسا والمانيا حيث زالت اللهجات المحلية وعادت اللغة الفصحى وحدها . ولكن هذا يقتضي زماناً طويلاً ، ولكن كثيرين من الاقتصاديين لا يتقدرون بأن كل هذه الاخلاق

اضراب سوسيال كبرا من الاتحاد الاوربي

وقد ترى روسيا نفسها مضطرة في آخر الامر الى دخول هذا الاتحاد لأسباب شتى معروفة لها بالدخول . فان المانيا بوجه خاص تبدي اهتماماً شديداً بروسيا كسوق لتصريف المصانع وكمصدر للمواد الخام . ولكن روسيا والمجلترا ترتعشان من حساب هذا الاتحاد . أما روسيا فلأن نظامها الاقتصادي بعيد ، واما المجلترا فلانها عدت حرماً من أمبراطورية اقتصادية مستقلة

ومع خروج روسيا والمجلترا من هذا الاتحاد الذي بحث فيه ساسة وزراء حديثاً فان مساحة البلدان التي يراد ادخالها فيه تزيد على مساحة الولايات المتحدة الاميركية وعدد سكانها يقرب من ثلاثة أضعاف سكان اميركا أي ٣٢٢ مليوناً (وعدد سكان اميركا نحو ١٢٠ مليوناً) وان أضيف اليها المستعمرات التابعة لها فان مساحتها وعدد سكانها يزيدان على مساحة الامبراطورية البريطانية وعدد سكانها . ولا تقل مواردها عن موارد النظام الاقتصادي الاميركي والنظام الاقتصادي البريطاني . فتخرج من الحنطة والصوف أكثر مما تخرج اميركا . ومن الفحم أكثر مما تخرج الامبراطورية البريطانية ومن الصلب أربعة أخماس ما تخرج اميركا . ومن الحديد أكثر مما تخرج اميركا بمقدار الثلث . ومقداراً يذكر من البترول (٧٠ مليون برميل) . وأكثر من ثلث المستك في العالم .

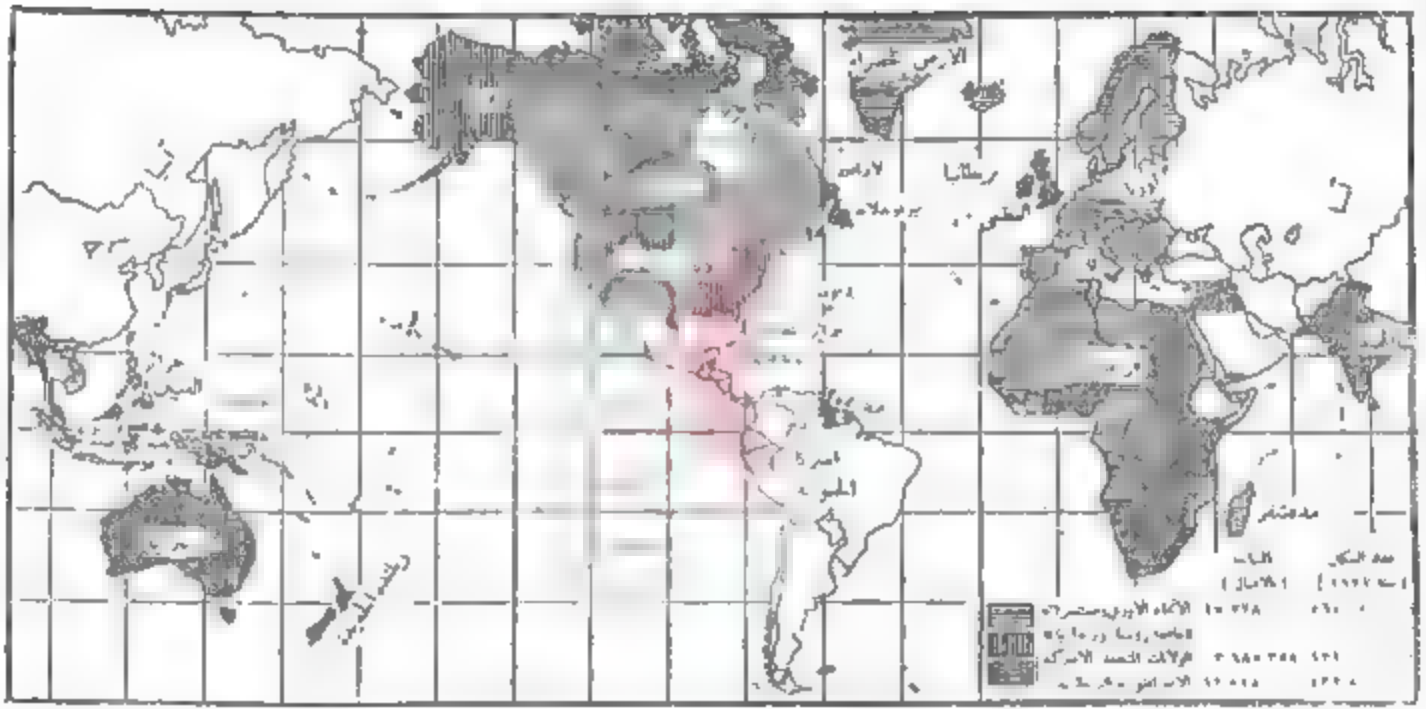

المناطق الاقتصادية الثلاث في العالم . وهي : الولايات المتحدة الامريكية ، الامبراطورية البريطانية ، والبلاد المتحدة الاوربية (ماعدا روسيا وبريطانيا)

ومن اللحم أكثر من اميركا بكثير . وتكون عدد سفنها التجارية أكثر من سفن الامبراطورية البريطانية ، وتجارتها بناء على احصاء سنة ١٩٣٧ أكثر من ٣٧ في المائة من مجموع تجارة العالم

اخراج روسيا وادخال انجلترا في الاتحاد

وقد أخرج للستر هوبسن الاقتصادي الانجليزي روسيا من هذا الاتحاد وأدخل انجلترا فيه فقال :

« واذا استثنينا روسيا من هذا الاتحاد الاقتصادي التعاوني بقي أن مساحة سائر أوربا تكون أوسع من مساحة أميركا بكثير وعدد سكانها ضعفا سكان أميركا أو أكثر . وتكون على القليل مساوية لاميركا فيما تخرج من الطعام وما فيها من اللحم والمعادن والمواد الخام الاخرى . واذا أدخلت روسيا والمستعمرات الاوربية في هذا الحساب فأن هذا الاتحاد الاقتصادي يفوق اميركا بمراحل من كل جهة

« واذ قابلنا الطبقات المتعلمة في معظم البلدان الاوربية ومعارفهم وتربيتهم العلمية والعملية وكفايتهم في الاعمال والاشغال المختلفة بالطبقات المتعلمة في اميركا لم نعد نجد بين الفريقين فرقاً يذكر ، بل إن أهل بعض البلدان الاوربية وخصوصاً سويسرا وبلاد [illegible] يفوقون الاميركيين في النشاط العملي والعلمي والتربية [illegible] واعتقد أن انجلترا تفوقهم أيضاً من هذا القبيل

« وسبب تفوق اميركا في [illegible] هو أن [illegible] وسطه . واذا أزيلت الحواجز في اوربا دون رؤوس الاموال والصناع والافكار وكان هناك حرية للتنقل والتجول في ميدانها فلا مانع لاستنباط مصادر الطبيعة وكشوفها بسرعة تزيد [illegible] نحو المقياس الاميركي »

ويقال اجمالا ان الوحدة الاقتصادية في الامبراطورية الانجليزية وسط بين اوربا المتحدة والولايات المتحدة الاميركية . وهي أكثر توحيداً بكثير من اوربا وأقل بكثير من اميركا . وهي ليست أمة واحدة مثل اميركا بل عصبة أمم مختلفة المصالح الاقتصادية

عظمة انجلترا الاقتصادية بمستعمراتها

ومن جهة أخرى تختلف عن أوربا في أن ستاً من الامم التي تكونها هي من دمها وتتكلم لغتها وحسبها منها أمم حديثة العهد بالوجود السياسي . وهي تريد التعاون مع انجلترا ومع بعضها البعض ، ولكن على شرط استقلال صناعاتها وحمايتها على المثال الاميركي برسوم جمركية . وقد اقتصر تصح المصنوعات الانجليزية رسوماً تفضيلية ولكنها لا تمنح هذه الرسوم على الاشياء التي تصنع هي مثلها و تجلترا تستصدر [illegible] حنطتها من الخارج و [illegible] حاجتها من اللحم وكل قطنها و [illegible] حديدها الخام

و بجد صدقها وحشها ، فهي في حاجة الى شراء طعامها وموادها الخام من المستعمرات واصدار مصنوعاتها اليها . وقد كان منشأ شر الدعوة الى توثيق عرى التجارة الامبراطورية وتروجها بعد الحرب تفلص الاسواق الاوربية في وجه البضائع الانجليزية وأمل انجلترا أن تعوض ذلك بزيادة استهلاك مستعمراتها لتلك البضائع

وقد بذلت مساع أخرى لحمل أهل انجلترا على شراء حاجتهم من الامبراطورية بدلا من شرائها من البلدان الاجنبية . فقد حسب أن ٧٥ في المائة من واردات انجلترا سنة ١٩١٣ كانت من البلدان الاجنبية والباقي من الامبراطورية . وفي سنة ١٩٢١ قصت هذه الواردات الى ٦٩ في المائة ولكنها عادت فارتفعت الى ٧٣ سنة ١٩٢٧ . وفي أثناء ذلك زادت صادراتها الى مستعمراتها أو أملاكها المستقلة . فصادراتها الى استراليا ونيوزيلندا تضاعفت والى جنوب افريقية زادت كثيراً . أما كندا فنقص ما تستصدره من انجلترا وزاد ما تستصدره من اميركا

مقارنة بين صادرات الامبراطورية والاتحادين الدولي والاميركي

واذا قارنا صادرات الامبراطورية البريطانية بصادرات الولايات المتحدة و اميركا وجدنا أن مساحة الاولى ١٢ مليون ميل مربع وسكانها ٤٣٧ مليوناً . وهي تخرج من القطن أكثر مما تخرج اميركا ومن الصوف أكثر من اوربا واميركا معاً . وتنتج أكثر من نصف القطن الاميركي . وتخرجها مثل نصف اوربا . وحديدها الخام وفحمها الحجري كل منهما يبلغ ربع ما في اميركا . وسكانها تخرج نصف قصدير العالم وأكثر من نصف النيكل والذهب وأكثر من نصف الكاكاو والشاي ، وسعيها التجارية نحو ثمن سعي العالم وتجارتها ٢٩ في المائة من مجموع تجارة العالم . وكانت تجارة اميركا نحو نصف تجارة انجلترا سنة ١٩٢٧ . وما يخرج من نصف الكرة الغربي يزيد على ما يخرج من اوربا واميركا ومستعمراتهما معاً

وقدر بعض الاخصائيين ان الامبراطورية البريطانية واميركا تخرجان أكثر من ثلثي المعادن التي يستهلكها العالم سنوياً . والعالم يستهلك سنوياً ألفي مليون طن منها

صادرات أميركا ووارداتها

أما اميركا فيخرج منها أكثر من نصف قطن العالم ونحو نصف صلبه وحديده الخام وأكثر من نصف نحاسه ونحو ثلثي بتروله ، ومثل الامبراطورية البريطانية قمحاً وأكثر من اوربا أو الامبراطورية البريطانية لحم . وثلاثة أضعاف اوربا والامبراطورية البريطانية زنكا . ومصنوعاتها نحو ٤٠ في المائة من مصنوعات العالم كله ومعادنها نحو ٣٦ في المائة وطاقتها نحو ١٩ في المائة . ووقودها وسائر مصادر القوة ٤٠ في المائة . وفيها نحو ١٧ في المائة من مجموع سكان الارض ومع

ذلك تستهلك ٧٥ في المائة من محصول العالم سنوياً و٣٦ من القمح و٨٠ من السيارات

وهي تستهلك معظم مصنوعاتها وتعتمد في موادها الخام على أرضها في الأكثر ولكنها تستورد من الخارج كثيراً من حاجتها ، فالمسك تأتيها من مستعمرات انجلترا وهو لدا ، والقصدير من ملايا وبوليفيا ، والحرير من الصين واليابان ، وكثير من صوفها من استراليا وسكرها من كوبا وجزر الهند الغربية ، والكاكاو من شط الذهب ، والتوت من شيلي . وتستورد من الاطعمة كل سنة ما قيمته ألف مليون دولار . وقد زادت وارداتها ١٤٧ في المائة منذ سنة ١٩١٤ وصادراتها ١٢٤ في المائة

مصادر الاتحادات التجارية الاقتصادية

وإلى القارىء هذا الجدول الذي يتضمن مقارنة بين مصادر الاتحادات الثلاثة الاقتصادية ، وقد أخرجت روسيا من أوربا وأدخلت مستعمراتها مكانها . وهذا الجدول مأخوذ من كتاب الاحصاء الدولي لجمعية الامم

	أوربا	اميركا	بريطانيا	سائر العالم
الذهب (بالكيلو)	١٤٣٢٩	٧٠٧١٩	٤٢٩٤٣٨	٦١١٣٩٥
الفضة »	٤٢٧٧٧٣	١٨٧٩٣٩٥	١١٥٥٣١٧	٧٨١٣٣٣٨
القمح (بالطن)	٣٢٠٦١٨٠٠٠	٥١٩٦٠٠٠٠	٣١٧٣٧٧٠٠٠	١٢٨٣٠٨٨٠٠٠
البترول (بالجالون)	٧١٣٠٠٠٠٠	٩٠٢٠٠٠٠٠٠	١٦٧٠٠٠٠٠	١٣٢٣٠٠٠٠٠٠
سائل الحديد (بالطن)	٣٥١٥٩٠٠٠	٣٨٦١٢٠٠٠	٩٥٢٣٠٠٠	٨٨٤٥٠٠٠٠
الصلب (بالطن)	٤٠٦٧١٠٠٠	٥٢٢١٦٠٠٠	١١٠٧٢٠٠٠	١١٠٢٥٠٠٠٠
القمح (بالقنطار)	٣٤٩٠٩٠٠٠٠	٢٣٧٠٠٠٠٠٠	٢٦٣٢٤٨٠٠٠	١١٧٣٩١٢٠٠٠
البقر (بالرأس)	٩٨٥٩٥٠٠٠	٥٦٨٣٣٠٠٠	١٧٦٤٥٩٠٠٠	
الغنم »	١١٣٠٤٠٠٠٠	٤٤٩٤٠٠٠٠	٢٢٨٦٦٢٠٠٠	
الخنازير »	٧١٥٥٠٠٠٠	٦٩٥٣٧٠٠٠	١١٤٧٤٠٠٠	
الفول (بالقنطار)	١١٤٠٠٠٠٠	١٣٢٠٠٠	٣١١٠٠٠	١٧٦٥٥٠٠
قصب السكر »	٢٤٠٥٠٠٠٠	١٤٨٢٥٠٠٠	٤٣٢١١٠٠٠	١٦١٩٩٦٠٠٠
السكر »	٦٢٧٣٣٠٠٠	١٠٩٢٧٠٠٠	٢٤٦٩٠٠٠	٨٩٥٦٦٠٠٠
الصوف (بالطن)	٢٤٢٠٠٠	١٤٨٠٠٠	٦٤٨٠٠٠	١٤٦٩٠٠٠
القطن (بالقنطار)	١٨٥٠٠٠	٢٨٠٨٩٠٠٠	١١٢٥٦٠٠٠	٥٠٨٩٦٠٠٠
معادن القطن	٣٩٠٥٩٠٠٠	٣٧٣٧٤٠٠٠	٦٧٤١٦٠٠٠	١٦٤٦١٦٠٠٠
الكتان (بالطن)	٢٤٢٠٠٠		٣٨٨٠٠٠	٦٦٧٠٠٠
شحن السفن »	٢٢٦٥٢٠٠٠	١٤٦٣٤٠٠٠	٢٠٩٩٩٠٠٠٠	٦٦٩٥٥٠٠٠

لا تقدم بلا تسامح

فضيلة التسامح في العلم ونقيصة التعصب ضده

سبق أن نشرنا في الهلال شيئاً عن التلسكوب الكبير الذي يريد الأمريكيون عمله لزيادة معارف الناس عن الافلاك وكواكبها وسائر ما يختص بها . ويكون قطر مرآته ٢٠٠ بوصة أي ضعفي أكبر تلسكوب صنعه الانسان حتى الآن

والذي عجل في هذه الخطوة قرار على التعليم الدولي على منح ستة ملايين دولار لهذا المشروع الكبير . ومتى تم إنشاؤه فسيريا الفضاء الى مدى هو ضعفا ما يصل اليه أكبر تلسكوب موجود . وقد تمكنا بالمناظير والادوات التي عندنا من الاهتداء الى أشياء ما كانت لتخطر على البال مثل معرفة سرعة النور وقياس بعد النجوم التي يصل نورها الينا في ١٤٠ مليون سنة فأكثر . فأي شيء لا نعرفه من أسرار الافلاك بعد صنع هذا التلسكوب الأكبر

ونحن اليوم نطرب لكل اكتشاف أو اختراع جديد ونكره الاقامة في مكان واحد مدة طويلة ونحب التنقل خلافاً لأجدادنا الذين كانوا يمرون بشدة تمكنهم من تقدم وعدم تقدمهم عليه سواء أكان ذلك من الوجهة الطبيعية أم الأدبية فمن كان أسرع ؟

إن بيوتن شهير من معاصري الناس منذ مائتي سنة وقيل عنه إنه رجل شديد الخطر وإن مذاهبه العلمية خداعة مستندة مصدره لتعليم التعصب ضده

ولما ظهر كتابا داروين سنة ١٨٥٩ وسنة ١٨٧١ في أصل الأنواع وتسلسل الانسان قوبلا بسيل من الذم والطعن لا مثيل له

وقبله قامت القيامة على جيمس سمبسون الطبيب الاسكتلندي وذم من مناظر البروكستانت والكاثوليك على السواء لأنه أشار باستعمال المخدرات في العمليات الجراحية النسائية وليس العهد بذلك بعيداً

وقبل أكثر من ذلك في سنة وهكسلي ونالت الجامعات الأميركية منهما ولما يمض قرن عليهما

بل أدهى من هذا كله وأمر أنه ما قامت الحكومة الأميركية وعبرها بحارين الحمى الصفراوية بتدابيرهن الحكيمة عارض الناس في تلك التدابير معارضة شديدة ولجأوا الى القوة الوحشية بدعوى أن في ذلك اعتراضاً على أحكام الله المحيطة على خطايا الناس !

وإذا تفهقرنا قليلا في التاريخ رأينا الكراهة علاجهم الحمراء وقد عقدوا مجلساً لمحاكمة غاليليو على قوله إن هذه الارض التي اختص الله عمله بها ليست مركز النظام الشمسي ، بل سيار يدور حول الشمس كسائر السيارات عالماً بذلك قوة التوراة عبها

ومع ذلك فانه لم يخطر على بال كوبر نيكوس ولا غليليو ولا نيوتن ما نعرفه نحن الآن عن الأرض والشمس وأحوالها . فقد كانوا يظنون مع أهل عصرهم أن عمر الأرض ستة آلاف سنة وأنها خلقت دفعة واحدة ، والآن نعرف عنها أن عمرها لا يقل عن ألفي مليون سنة ، وأنها تدور حول الشمس في فلك واسع منذ الأزل ، وأن النظام الشمسي بسياراته وأقماره لا يعدّ شيئاً مذكوراً بالنسبة الى نظم الشموس والكواكب الاخرى . فنحن كما قال أحد كبار الفلكيين نقطع أطوار الفضاء وعلى سيار قرم يدور حول كوكب قرم ، بالنسبة الى حضارة الشموس الاخرى

وقد بلغنا الآن عصراً متعطشاً الى المعرفة . فيوم قام بشتين يعلن الى الملأ مذهبه الذي يقلب الدعوة قاطبة راعتين أن ما جاء في الاولى لا يجوز في الثانية . فقد مكث معلمان في مدرسة أمريكية لا تهمها سوى الى بادجر يبحث في الملكية والرأسمالية والعلاقات الدولية ، كما يبحث أهل الكيمياء والطبيعيات ويسألون الأسئلة في جميع النظريات للتسلم بها عندنا والتي ليست سوى ميراث عن الماضي

وعند هؤلاء أن الانسان إما أن يكون عالماً أو متطرفاً حطرفاً . فان كانت آراؤه التي تصدر عنه ومباحثه خاصة بالجوهر الفرد وعلاقاته به فهو العالم الفاضل . وإن كان يبحث في الانسان وعلاقاته وعلاقته بأحوانه في البشرية فهو المشتغل بما ليس من شأنه وقلب أمره

يعيش الآن في عصر نحن فيه لا نمتحن عن الحقائق ونصدر الاحكام الاشياء أو عليها بحسب استحقاقها . وليس عندنا من دور الاختصاص ومناطق نحيط كل منها بسور يحول دون دخول على كل من يريد الدخول والفحص وسؤال ما يحب أن يكون الدخول مباحاً في كل جامعة ومدرسة لمبيلو أودروين أو كارل مكس أو بيتر والمال الذي يرجى من دخوله اضافة شيء الى معارفنا الباشرة الى الامام

ومن المسلم به أن المسيحية نفسه وغيره مذهب وأن عقيدة من على العالم اعتقادات مع الجماعة يحكم الفرد ما كما يفكر الفطيع كله ولكن ليس ثمة موضوع قلب فيه الكلمة الأخيرة . فكما أن بعض الموسوعات تحذو على مبدأ عدم تحيط أورافها حتى اذا حدث شيء في موضوع تنزع الورقة القديمة فيه وتوضع أخرى جديدة موضعها . هكذا نحن في حاجة أن ترتب صفحات أذهاننا بحيث يسهل انتزاع فكرة قديمة خاطئة منها وإحلال أخرى جديدة صحيحة محلها

وليس في تاريخ الانسان ما هو أكثر تصديماً للقلوب وأدعى إلى الشجن من الحزم الذي كان كل جيل من الأجيال الماضية يتدرع به في إعلان الحقيقة كما رآها وحسبها

في اللاهوت قال كلفن كلمته الأخيرة في عصره . وبعد قرن جاء ملزر فأدخل عليها تغييراً . وبعد ذلك بثلاثين سنة جاء ادواردس تغييراً كاملا . واللاهوتيون الحديثون هدموا البناء القديم كله وعنوا مكانه بناء مختلفاً كل الاختلاف عنه

وفي الفلسفة قام مذهب في إثر مذهب مدة ثلاثة آلاف سنة

وفي ميدان القانون مع مذهب كل جيل في العدل ونظره اليه أعلى درى الحياة والحاجة في وقت معاً

وليس تاريخ العلم الطبيعي بأحسن حالا . فقد قال أستاذ جامعة لتلاميذه مرة إن مجال الاجتهاد في الكيمياء والطبيعيات بات ضيقاً وإن الباب أوصد دون الاكتشاف فيهما في المستقبل ، ولكن أعمال علماء الطبيعة والكيمياء الحديثة تدل على أن ديك العلمين ما يزالان في عهد صغولهما

عرف الانسان أسرار الكون شيئاً فشيئاً سواء أكانت مدفونة فيه أم في أصغر الجواهر أم في أقاصي الفضاء الواسع ، ولن يبلغ النهاية في شيء . ومعرفته هذه هي التي تكسبه بعد نظر لا راحة فيه وتسامحاً لا غبياً . وتسامحه هذا هو الذي يهتدي به الى ميادين واسعة للبحث والكشف ، ولكن لا يهدأ له فيها بال ولا يقر له قرار

كم يعيش الانسان ؟...

من قلم طبيب انجليزي

يعتقد العامة وبعض الخاصة حتى من الأطباء أن مدى عمر الانسان سبعون سنة على المتوسط كما جاء في التوراة وقل أن يجاوز ذلك . وموقف رئيس مدرسة طب يوم حطياً في تلاميذه فقال أظن أن الأدلة التي توجد بين دلالة مقنعة على أن الصحة تحسن بعد مرور زمان ما وأن هناك حداً محدوداً لعمر الانسان

قد صح قول هذا المدير فإن الأسباب الكثيرة التي تنشأ عنها دورة العمر هي ثابتة غير متغيرة ودون متناول العلم

ولنفرض أن منطقة مثل رأينا المشهورة بأمراضها الكثيرة تختلف عن سائر العالم . وكما نجهل فيها مجهل أحوال الحياة والموت في العالم أجمع . فهل حسب ذلك لنا نقول إن كثرة الوفيات في هذه المنطقة وقصر العمر أمور معينة بحكم الطبيعة وان الحكم فيها دون متناول العلم

الفرق بين الامرين هو في الدرجة لا في النوع فان جهل الانسان بعض الامراض هو الذي يحول دون تقليل الوفيات وإطالة الاعمار في العالم . ودورة العمر كما سبينا متغيرة قابلة لتأثير العلم فيها . والذي يعارضني في ذلك أسأله أي دورة من أدوار العمر هي الثابتة ؟

دورة العمر في الهند أم في بوريلندا أم في اميركا أم في منطقة الفقال ؟ وأي الحرف التي تعترفها تقول عنها إن دورة العمر فيها ثابتة وطبيعية أحرفة العسكري التي الوفيات فيها ١٥ الى ٢٠ في المائة تحت المتوسط ، أم الحامدة التي الوفيات فيها ٥ الى ١٥ فوق المتوسط ، أم تطريز الشبابيك التي الوفيات فيها ٤٠ الى ٦٠ في المائة فوق المتوسط

هذه أمثلة على عظم الفرق في متوسط الوفيات بين بعض الحرف على ما في احصاءات بعض شركات التأمين . وهناك أدلة كثيرة على أن أدوار الحياة بين الاحياء ومنها الانسان تتغير تغيراً عظيماً بالوسائل الصناعية ، وان أدوار الحياة في بعض الاحياء تزيد كثيراً عما تقدر للانسان . فماذا تعيش

سير العلوم والفنون

اسطرلاب لوسكس

رسم فوتغرافي
من علو ٣٢٠٠ متر
تستعد احدى شركات تصوير
في ميونخ بالمانيا آلة جديدة
لتصوير من الجو ذات قمة
عمسات. وهي ستمثل لتصوير
امساحات التي تراه وري في
أسفل صورة فوتغرافية أخذت
من علو ٣٢٠٠ متر بهذه الآلة
وري صورتها الى اليسار
وكانت تصور مثلا لناظر في
نقطة مساحتها ٥ كيلو مت
مربع . أما الآن فتصور
مساحة ٢٥٠ كيلو مترا
مربعاً

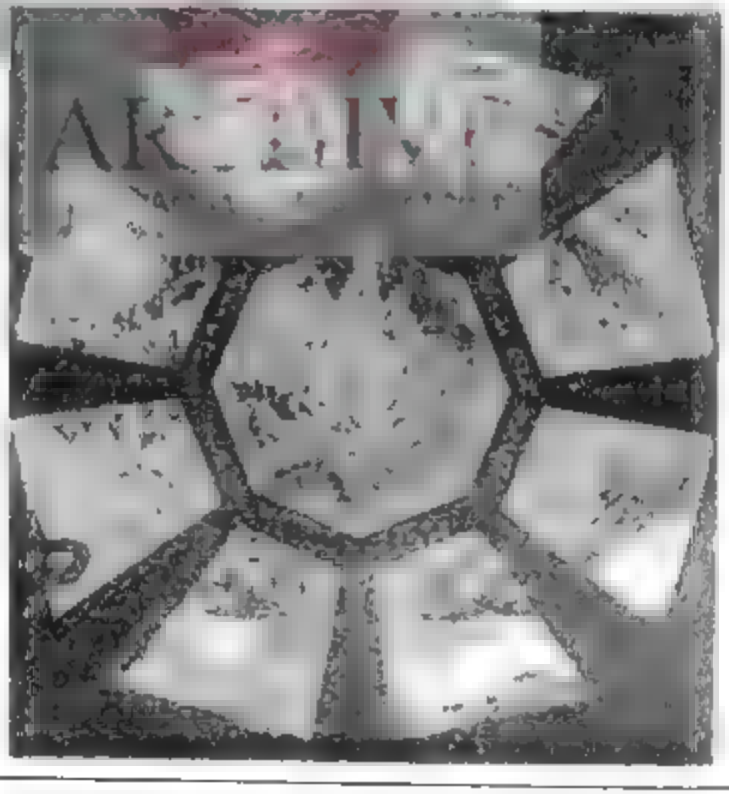

اصطناع بالغ للعصى

آلة لتنظيف قطرات سكة الحديد

اخترع في الولايات المتحدة الاميركية آلة جديدة لتنظيف سكة الحديد وتلميعها. وهذه الآلة أرخص في عملها وأسرع بدلاً من عشرة رجال كانت تستخدمهم الحكومة في نفس العمل في عدد من القطار حديثاً استغنت الآلة عن خدماتهم

عقل الصور بالتصراف

صوره ... الفنان ... لجسده ... العقل الصور ... وان ... ك ... الرسم الأول ... لاحت ... صفة الصور ... أن ... وهو ... أن ... صوره ... وكان الصوره ... الذي ... إلى ... بهذه ... لتحديده ... رسال ... صاحبه ... وهي كما ... من ... بعد ... ارتباط ... في ...

تصوير أشعاع الجاذبية

أرسلت جميع صور هذا العدد بواسطة الراديو من مدينة لندن إلى مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية. وهذه الصور تمثل ظلام داخل خلق العالم، وترى في الرسم الأعلى سورة توحش يجري بسطوة على السملك وبعده وفي الثاني صور بعض الحيوانات القريبة التي في أعلى الصخرة تلي ذلك صورة الديناصور كما هي في الواقع وبعده صورة أقدم من عصر الجاذبية الذي يعيش

صانع الصين البهدى

حجم الاحياء

أعظم الأحياء حجماً النباتات كالاشجار كليفورنيا التي تبلغ زنة الشجرة منها نحو الف طن

وأعظم الحيوانات حجماً هي الحيتان التي قد يربو وزن أحدها كثيراً على مائة طن والحيتان أكبر الحيوانات العائشة الآن وأكبر كثير من الحيوانات الضخمة البائدة لأن الزحافات الهائلة التي كانت تعيش في العصور الماضية لا يمكن أن يكون وزن إحداها قد زاد على ٥٠ طناً

وأكبر الحيوانات التي لا فقار لها هي بين ذوات الاصداف فان منها ما يبلغ ثقله ثلاثة أطنان . على أن أرقاها الثقيل وزنة أكبرها لا تزيد على جرم . وأكبر فرد من حلزوني على نحو مليون نحلة وهي لا يزيد ثقلها كلها على ثقل رجل ضخم . وأوقيه من البعوض تحتوي على ٨٠ ألف بعوضة

ويظهر أن الطبيعة . تحد من ضخامة والاقتصاد أن تصنع حيوانا كبيرا يكون حاجاته أقل من صنع مئات من ملايين حلازين . فمثلا نجدها تدخر اذ رأيا صغيراً لحجم النحل مثلا. وأعجب من ذلك أن تحد حشرة كبعض أصناف الخنافس أضعف من بعضة الاسد في الناس ومع ذلك تجد لها عيونا مركبة وجهازاً عصبياً وثلاثة أزواج من الفكوك ومن الارجل وأجنحة ذات عروق وعضلات مخططة . وأصغر الحيوانات الفقرية هي الضفدع لا السمكة . وأكبر الأفيال يجد مكاناً رحباً داخل جلد الحوت . وعظم الحيوانات المعروفة التي يتراوح ثقله بين ١٠ جرامات و١٠٠ كيلو جرام

ازالة المطر بالصناعة

كان المطر قليلا جداً في مستعمرة هنغ كنغ الانجليزية شرقي الصين مدة السنة التي انتهت في يوليو الماضي فضايق الناس كثيراً لقلة الماء. فرأت الحكومة المحلية أن تعالج احالة ما زال المطر صناعياً وذلك أن يأمر مستوفي الكلولين من الطيارات على السحب التي رجح أنها متكاثفة وأن الماء فيها كثير كما جرى في كثير من البلدان . ولكن جربت هذه الطريقة في هنغ كنغ فلم تأت نتيجة

تكون الندى

كان الرأي عند الطبيعيين أن الندى يتكون بهذه الطريقة ، وهي : أن الاجسام تبرد في ليالي الصيف الحارة بالاشعاع فلا لامس الهواء ماشح عنها من الرطوبة ندى على الاجسام . ويمكن من بعض العلماء أن الندى الحقيقي يتكون بتصاعد البخار من الارض وتكاثفه على الاجسام الباردة التي قرب سطح الارض

بعثة الى القطب الجنوبي

سافرت بعثة إنجليزية من مدينة الرأس في أكتوبر الماضي على الباخرة دسكوري رئاسة السير دوجلاس موسن للاكتشاف في بلاد القطب الجنوبي . وقد نشر الرئيس بياناً عن الطريق التي ستسير فيه الباخرة ، وأهم ما فيه انها ستقصد الى جبال الجليد العائمة في البحر والتي على الاطراف الجنوبية من القارة القطبية فتسير على حاذائها اذا أمكنها ذلك حتى تبلغ الياسة فينزل بعض رجالها جماعات الى البر للاستطلاع وقطع مسافات قصيرة على المركبات الزحافة ثم تعود البعثة من رحلتها هذه في أبريل القادم

بين البيض والسود

يؤخذ من درس بعض الاميركيين لأجسام البيض والسود أن هناك فرقاً كبيراً في مناعتها وفي قبولها للامراض المختلفة . مثال ذلك ان حوادث الموت من إصابة الغدة الصنوبية والاعضاء العددية المتعلقة بها أقل في السود منها في البيض ، أما حوادث الموت من إصابات الدورة الدموية والجهاز التنفسي فأكثر في السود منها في البيض

مدفع جديد في روسيا

يقال إن في جيش اللاتفة الملقب بالجيش الاحمر مدفعاً سريع الطلقات يطلق ١٥٠ طلقاً في الدقيقة ، وانه لذلك أسرع المدافع التي من صنعه مثل مدفع لويس . ومخترعه روسي اسمه دجتاريف وهو يصنع في مصانع روسيه وعياره ٨ ملليمترات أي نحو ١٨ رطلاً في حين أن ثقل مدفع لويس ٣١ رطلاً . وهذا يطلق ١٢٥ طلقاً فقط في الدقيقة . ومداه ٦٠٠ متر الى ٨٠٠

فضل العرب على المدنية الحاضرة

نشر الدكتور تشارلس سنجر مقالة في مجلة « ريالست » عنوانها « عصور العلم المظلمة » قال فيها : إن العلم نظام يمكن عكسه كسائر النظم وانه ليس في التاريخ كله قسمة لعصور العلم أوضح من قسمتها الى العصور المتوسطة الاولى أو « العصر المظلم » ، والعصور المتوسطة الثانية أو « العصر التعليمي السكولسي » . وقد كان ظهور السمود العربي في القرن الثاني عشر والثالث عشر هو الحادثة أو الواقعة الخاصة بين العصرين فاذا أطلع مؤرخو العلم الآن على وثيقة جديدة من وثائق القرون الوسطى كان أول سؤال يبدر الى أذهانهم : هل في هذه الوثيقة أثر للسمود العربي؟ فاذا وجد فيها هذا الأثر وضعت في الفئة الثانية والا ففي الاولى

الجانب الايمن

ظهر من مباحث بعض العلماء ان الجانب الايمن من بعض الحيوانات يختلف عن الجانب الايسر ، وان أكثر الرجال يقدمون أرجلهم اليمنى عند ابتداء مشيهم على أرجلهم اليسرى وان هذا شأن كل حيوان يمشي على يديه أو رجليه ويتسلق أو يصطاد غيره

الغابات والامطار

ظهر تقرير بقلم السير نكلسون مدير مصلحة الغابات في مستعمرة كينيا الانجليزية بشرق أفريقية عن الغابات وتأثيرها في هواء البلاد ونزول الامطار فيها . وقد أنكر فيه قول من قال إن تأثير الغابات في زيادة الامطار قليل ولكنه م[illegible] على أن هذا التأثير كبير . ومن رأيه أن غابات الجبل تجلب الندى بتكاثف وترسبه على السحاب وقد يبلغ مقداره في الاحوال الملائمة ربع مقدار المطر الذي ينزل في السنة . والامطار الموسمية تزيد بواسطة الغابات ٣ في المائة على المقدار المعتاد

جمجمة رجل بكين

اكتشف قرب بكين جمجمة قديمة سميت جمجمة سينثروبوس أو « رجل بكين » وقد صورت أول مرة وعرضها البروفسور اليوت سميث في جلسة الجمعية الانثروبولوجية التي عقدت في ٢١ يناير الماضي بمدينة لندن وشرح الصورة مبيناً أهم ما يميزها عن سائر الجماجم القديمة المشهورة

جمعية الزولوجيا في لندن

عقدت جمعية تربية الحيوانات حفلة في لندن أعلنت فيها أن عدد الذين زاروا حدائقها في السنة الماضية زاد على مليونين وأن دخلها بلغ ٤٤ الف جنيه

تقطير الفحم

في مدينة دنستون الانجليزية معمل لتقطير الفحم يستخرج من طن الفحم الصغير من فحم نورثمبرلند ١٦ جالوناً من زيت القطران و٢ الطن من الفحم المعروف باسم فحم الكوك ويقدرون أن معامل الشمال تأخذ الفحم كادة خام لها فيستخرج منه الكهربائية وسيرتو المحركات وزيت الوقود والكربوزوت والزفت وسائر ما يستخرج من القطران

تطهير حمامات السباحة العمومية

كتب كثير من الاطباء في أوربا عن امكان انتقال الامراض بالعدوى في حمامات السباحة العمومية فاصدرت وزارة الصحة في انجلترا تقريراً بحثت فيه المسألة . ويؤخذ منه أنه اذا لم يتغير الماء من وقت الى آخر أو لم يطهر فانه يتلوث من أجساد المستحمين أو ملابسهم . وفي هذه الحالة تنتقل العدوى من القصاب الى السليم ولكن لا الى الحد الذي هولوا به . وبما كانت بركة الاستحمام كبيرة والماء الجديد يصب اليها على الدوام فيمكن الاعتماد على التطهير الطبيعي فيها . أما البرك الصغيرة فان تغيير الماء فيها لازم على الدوام واذا كانت الطريقة المتبعة الآن كثيرة النفقة فان التقرير يقترح الطرق في طريقة أقل نفقة منها . ومن رأيه أن تصفية الماء وتهويته واجبان . ولكن طريقة من طرق التطهير بالكلورين مع التصفية أفضل من ذلك

احتفالات علمية سنة ١٩٣٠

يحتفل هذه السنة بمرور ثلاثمائة سنة على وفاة كبار العالم الفلكي المشهور . وثلاثمائة سنة على ولادة الكيميائي الالماني كنكل الذي كان أول من فصل بين علم الكيمياء الحديثة والكيمياء القديمة المعروفة باسم « الكمي » . وبمرور مائتي سنة على ولادة بوشار دي سارون الفلكي الفرنسي ومسيو الفلكي أيضاً . وبمرور مائة سنة على وفاة فوريه العالم الطبيعي الفرنسي

قدم الامراض

فحصت بعض المومياء التي اكتشفت في أميركا الجنوبية بالاشعة اكس . وذلك بان اخذ شيء منها ووضع في محل حصين من الفوتوغرافين ووضع عليه بعض الحصوات فامكن تمييز عدة العظام والاعصاب والاوتار والشرايين وغيرها وسوهد بذلك أثر المرض في جدران الشرايين . وعرف من الامراض مرض اسمه اوتا وهو مرض كريه يصيب الفم والانف بواسطة بعض الحلم في الدم وظهرت آثاره في جمجمة اكتشفت وبذل الجرح على ان جراحا حاول قطع الجزء المصاب . وعرفه مرض جلدي اسمه « فيروجا بروانا » وآخر اسمه جونسو ووجدت على مومياء الاولاد آثار أمراض قتلة اما الكساح فلا اثر له ووجدت اعراض ادواء عدة من أدواء الاسنان فوجد مثلا ان النسوس اقل من البيورنا . وكانت العظام تجبر بطريقة غير متقنة . ومعظم العمليات الجراحية انحصرت في الرأس وكان تقب الجمجمة امراً شائعاً وكانت الحرارة تستعمل ضد الالتهاب

شئون الدار

علاج الشيخوخة

كتب الدكتور حاروسكي مقالة في الايرو فيل الباريسية عن الشباب والشيخوخة وإطالة العمر قال فيها :

ـ ليست اعادة الشباب بالضرورة إطالة العمر بل مقاومة ضعف الشيخوخة وإطالة النشاط الحيوي الى حد ما . وليست الشيخوخة سوى تعب وانحلال وليس في الارض أحد إلا وهو يحب أن يعود شاباً

وكثير من المخترعات العصرية كالسيارة والتلفون والراديو والسينما تزيد حياتنا إتساعاً وتؤثر في أعصابنا الى درجة عظيمة فيوم واحد من أيامنا هذه يساوي في أتعابه ١٠ أيام من القرن الثالث عشر مثلا

في الصباح تلبه الصحف أعصابنا بحملنا على الاشتراك في أعمال العالم كله . وفي المساء تعمل اسداء الراديو فينا ونحن في منازلنا ما تفعل الصحف صباحاً وهكذا التلفون والسيارة وغيرها

ونحن نجمع الماضي في رءوسنا فيحركها كما تحركها حوادث الحال . فلا نستطيع أن نستعيد الشباب حقيقة وان كانت أعجوبة فوست لا يمكن تحقيقها فاننا نريد على القليل أن نبقى في عهود الشباب وأن نموت ميتة طبيعية وهذا يمكن عمله . فالصورة التي ناقلناها عن العهود القديمة ـ صورة الشيخ حالماً في إحدى روايا بيته أمام النار يصطلي ويرتجف برداً أحدث تزول وأحدث صورة اجمل منها تحل محلها

وقد ظهرت روايات عصرية كثيرة عن تجديد الشباب في السنين الاخيرة . والحقيقة اننا ما زال بعيدين كثيراً عن هذه الاحلام الحلوة . فضلا عن أن المرض الاولي من تجديد الشباب ليس الشيخوخة ، بل مع الناس أن يصيروا شيوخاً

وسيبقى المستقبل القريب الى أي مدى تعمل في السن وراء هذه الغاية . وقد درس مورين دو والتف هذا الموضوع فأثبت أن كثيرين من الشيوخ صاروا شباناً

فالشيخوخة هي التعب والشعور به والتعب يبلي الاعضاء . وفي الناس رجال شاخوا في سن الاربعين ورجال لا يزالون صغاراً وهم في الستين . ورجال بلغوا السبعين وعيونهم سليمة ولكن أسنانهم ليست كذلك وآخرون بقل سمعهم أو تقل شهوتهم أو ينفر النوم من عيونهم

فالتعب يسبب خور القوى ولكنه يزيد هنا وهناك تبعاً لأحوال موضعية ناشئة في الراحة عن تسمم موضعي

أما الطرائق التي استعملت لتجديد الشباب خمس . الأولى طريقة ستينياخ وقد أفضت الى

نتائج حسنة فيه وفي تلاميذه وان تكن أخفقت في غيرهم

والثانية طريقة فورونوف ونتائجه على الغالب بديعة ودائمة . ولكن العملية يصعب تكرارها حال فشلها

والثالثة طريقة دوبار الطبيب التونسي

والرابعة طريقة بوسكيه وغواها الحقن بمصل ثور . ويمكن استعمالها في الرجال والنساء

وطريقتي أنا هي إدخال دم شاف في جسم شيخ وهي طريقة بريئة اذ يقتصر فيها على استعمال مصل معقم للحقن ورد الفعل فيها كيمياني لا بيولوجي . ولا علم ما هو الجوهر الفعال في الدم

المكروبات والرطوبة

ظهر من فحص الحلوى التي تباع في الأسواق ان الرطوبة تزيد المكروبات على سطح قشر هذه الحلوى واجفافه يقللها ويميتها ، وان المكروبات على أنواع الحلوى المصنوعة في البيت أو المغموفة بالورق تبقى على عددها مدة طويلة وان مكروبات التسمم والتعفن في جبن أسبوعين الى ٥ أسابيع على تكولاته مغموفة بورق التصدير ، وأن أوراق السلوفان الشفافة وغير الشفافة أحسن ما يكون لحزم التكولاته وسائر أصناف الحلوى

حمى البيضاء

تصاب النساء وبعض أصناف الطيور الاخرى بمرض ينتقل الى الناس بكثرة ملامسة الطائر المصاب . وأعراضه في الانسان حمى تشبه التيفويد مع مصاحبات من الالتهاب الشعبي أو ذات الرئة وقلما يشتد في الانسان ، ولكن الاصابات الخفيفة كثيرة حتى يشتبه بينه وبين أمراض أخرى . وقد ظهر بشكل وافد في الارجنتين في الصيف الماضي ويؤخذ من إحصاء أن ٣٨ اصابة حدثت به في أميركا . وسبب العدوى فيه مكروبات كان أول من عزلها بوكارسة ١٨٩٣ وظهر الآن في مصر

علاج جديد للانيميا الخبيثة

في الطب مرض اسمه المرض الاخضر (كلوروسس) يصيب الذين يعيشون في مارستانات وقد يخرجون منها والذين يلبسون ملابس شبيهة فذلك كاد ينحصر هذا الداء في النساء ، ولكن الحال تغير كثيراً بعد تغير هذه العادات فاصبحت الملابس واسعة وأصبح الخروج من المنازل القاعدة ، والاقامة بها شذوذاً للقاعدة . واعظم اعراض المرض الاخضر نقص الكريات الحمراء وقلة المادة الحمراء في الدم مما يفضي الى حالة تسمى الانيميا الثانوية وهي نوع من فقر الدم غير الخبث . وكانت هذه الانيميا البسيطة تعالج بتراب الحديد والزرنيخ

ولكن وجد يمس الباحثين في معمل جامعة روتشستر بنيويورك بعد سنين انه اذا فصد حيوان حتى قل دمه فانه يمكن إضافة دم جديد اليه حالاً بحقنه . حقاً ، وان الكبد والكليتين أفضل اللحم لذلك . وكان يظن أن فعل الكبد والكليتين هذا ناشيء عن كثرة الحديد فيها . ولكن يمس الباحثين اثبت أن مادة الكبد تنبه تكوين الدم في النخاع وتمنع تحلل كريات الدم الحمراء في الجسم ، فصح السبيل بذلك الى معالجة الانيميا الخبيثة التي كانت تعد من قبل داء عقاماً

وظن اولا انه يمكن شفاء الانيميا البسيطة في المصابين بإطعامهم من الكبد فاطعموا منها بثة وفي صورة خلاصة الكبد فلم يجد ذلك نفعاً وقد درس الدكتوران كيمر وبانج من مدرسة الطب في تكيين مرض الانيميا البسيطة وفعل الحديد

وحده فيه والكبد البقرة وحدها فوجدا أن الحديد وحده فعال في تجديد الدم بالذين عملت لهم عمليات جراحية فقدوا فيها كثيراً من دمهم أو الذين كانوا مصابين بمرض « الهوكورم » الناشيء عن قلة التغذية . ووجدا أيضاً أن الكبد والحديد معاً أفضل في تجديد الدم مما إذا استعمل كل منهما وحده

هذا من حيث الانيميا البسيطة . أما الانيميا الخبيثة فقد حرب ثلاثة من الاطباء وهم: الدكتوران ستارجيس ، وايزاكس من معهد سمدسون الطبي التابع لجامعة شيمان الاميركية ، والدكتور شارب من معهد التجارب الطبية التابع لشركة بارك دايفس الشهورة . حرب هؤلاء الثلاثة معالجة الانيميا الخبيثة بعدة الخمير المجففة وأعطوا لخاص تجاربهم وان اوقية من خلاصة معدة الخنزير المجففة والمسحوقة تفعل في شفاء الانيميا الخبيثة فعل رطل من الكبد او يفوقه في من خلاصته أية أصناف الكبد

وبعد ما ظهر سنة ١٩٣٦ كما تقدم القول أن إطعام الكبد للمصابين بالانيميا الخبيثة شفيهم منها علت أسعار الكبد بعد ما كانت ارخص اللحم ثم استخرجت منها المادة الفعالة واعطيت جرعات معينة للمصابين بدلا من أن يأكلوا مقادير كبيرة من الكبد البقرة

الشلل العام والملاريا

ظهر من علاج الشلل العام بالملاريا في انجلترا من سنة ١٩٢٢ الى ١٩٢٧ أن ١٥٩٧ نفساً عولجوا بهذه الطريقة فمات ٥٤١ منهم وشفي ٤٠٤ وبقي ٦٥٢ تحت العلاج ، وان هذه الطريقة تطيل حياة المصابين على وجه الاحتمال وتحسن حالتهم . وفي نية القيمين يقولون معالجة المصابين بهذه الطريقة أن يضيفوا اليها المعالجة بالادوية المضادة للزهري اذ يؤمنون الحصول على نتيجة احسن

التدخين والامراض

ظهر من إحصاء أن في كل مائة ممن يموتون بالذبحة الصدرية ٧٠ يدخنون و ٣٠ لا يدخنون وان متوسط عمر المدخنين ٦١ سنة و٣ أشهر ومتوسط عمر غير المدخنين ٦٢ سنة وخمس وان التدخين لا يؤثر في ضغط الدم ولا يخفف السمن كما هو شائع

العواطف والهضم

يقول الاطباء إن كل عاطفة شديدة من حزن أو فرح تضر بسير الهضم لأنها تدفع الدم من المعدة اليها فيقل عن المقدار اللازم منه لسير الهضم سيراً طبيعياً أو يزيد عليه . وبعبارة أخرى حين الانسان يأكل الانسان وهو حزين أو خائف وعصبي أو فرح أو حاقد أو تحت تأثير موجه من هذه العواطف ، فالأكل بلا فكر أحسن الحالات للأكل

التسانيس وأمراض الانسان

خطب السر لوفيل في جمعية الطب الملكية بلندن خطبة عن التسانيس وأمراض الانسان فأبان أن كثيراً من التمرات الرصية في أمعاء التسانيس المحبوسة في الاقفاص تأتي من ميكروبات توجد عادة في أمعاء الانسان ، ومن هذه الاحوال الرصية التدرن ولكن الفرق بين الانسان والتسانيس أن التسانيس تصاب بالميكروبين وموتها على الغالب بالتدرن البشري

ويمكن ان تطعم القرود بلقاح الحمى الصفراء والحصبة فتصاب بهما

وتكلم الدكتور اندرو بقور فقال انه يسوق تحتي الحمى الصفراء في أميركا الجنوبية تحتي ما يمكن أن يكون حمى صفراء بين الدنابيس ولكن ليس لدينا دليل أكيد على ذلك

وجاء في خطبة للدكتور فوكس أستاذ باثولوجيا المقاطعة في جامعة فيلادلفيا أن الكلاب والقطة والضباع والاسود تصاب بأمراض معدية كالانسان وأن الجرذ والقندد والسنجاب تصاب بمرض رابط (الدول الزلالي أو التهاب الكليتين) وأن الحيوانات ذات الحوافر والقرون تصاب بأمراض القلب

سد فاك

قرأنا في احدى صحف الصحة الانجليزية نبذة بهذا العنوان تقول :

تتصل الرئتان بالهواء الخارجي عن طريق الفم والانف . وفي أيام البرد القارس الزلة أم الشئون الصحية الاهتمام بهذا الطريق الحي، فتبطن بالاغشية المخاطية والاوعية الشعرية الدقيقة فان أقل هواء بارد يدخله يؤدي الى تورم الاغشية واحتقان الدم في الاوعية وبالتالي إلى الالتهابات الخفيفة أو الشديدة مثل التهاب الاورتين والحنجرة والشعب الرئوية ذوات الرئة . أو قد تدخل الميكروبات الانف والفم فتولد في الجسم أمراضاً مختلفة كالزكام البسيط أو الانفلونزا أو ذات الرئة

وأفضل طرق الوقاية أن يتنفس الانسان من أنفه لان الانف مخلوق لتنفس فلذلك أعدت فيه شباك من الاوعية الدموية لتسخين الهواء . اما الفم فلا شيء فيه من ذلك غير شعار المرء في أيام البرد هو « أبق فمك مسدوداً »

ومن طرق الوقاية اتقاء الفم والانف بطيفين . فاذا تفشى مرض معد كالانفلونزا فليغسلا بمسائل مضاد للفساد كل يوم معاً للمكروبات المنتشرة في الهواء من دخولها . عند ذلك يأوزة من بلورات برمنجنات البوتاس وأذيبها في كأس ماء بارد واغسل فاك وأنفك تسلم من الانفلونزا باذن الله

الاصوات في الرأس

الاصوات في الرأس ليست شيئاً طبيعياً فاذا وجدت فيه دلت على حالة غير طبيعية في الاذن عالباً . ولكنها قد تنشأ عن اضطراب في الاعصاب وكثيراً ما تسمع في الورستيريا الحادة

وهذه الاصوات على أنواع ودرجات مختلفة وأنت تعرف ماهيتها ومصدرها من درجة علوها او وضع نوعها . فمن هذه الاصوات ما سببه وجود قطع صلب صغير في الاذن . وهذه القطع تصطدم بغشاء الاذن فيسمع تلك الاصوات . وفي هذه الحالة تكون الاصوات عالية رنانة كثيرة الاهتزازات حيث لا يمكن أحداً ان يخطئها . وهي تحدث عند البلع أو تحريك الفك

وهناك نوع آخر من هذه الاصوات أصعب مراساً من هذه . يبدأ في الاذن من غير أن يبالي المصاب به ويتقدم تدريجاً حتى يسمع بلا انقطاع وهو أشبه بالصفير منه بشيء آخر ويصحبه سمع قليل يشتد شيئاً فشيئاً . وسببه التهاب في الاذن الوسطى . فاذا شعرت بشيء من هذا فشاور الطبيب الاخصائي لا غير

ومن الناس من يسمع على الدوام ضجيجاً خفيفاً في الاذن كالذي يسمع بعد الاكثار من تناول بعض العقاقير الطبية كالكينا فليشاور الطبيب أيضاً

في عالم الأدب

عيون الاخبار

كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هو آخر الكتب الادبية المشهورة التي تتولى دار الكتب المصرية طبعها فتخرج موذجاً في الاتقان اللغوي والفني

والمجلد الذي بين أيدينا هو المجلد الثالث وفيه ثلاثة كتب — كتاب الاخوان وكتاب الخواتم وكتاب الطعام

فمن مباحث الكتاب الاول الاخوان والحب والزيارة والمعانسة والصداقة والتعاون والايثار والاعتذار والشهادة وما لشهادة

ومن مباحث الثاني استنجاح الحوائج (أي طلب قضائها) بالرشوة والهدية ووصف الكلام والمواعيد وتنجيزها والشكر والثناء الخ

ومن مباحث الثالث صوف الاطعمة عند العرب وآداب الاكل والضيافة والحبة والنخمة ومصار الاطعمة ومنافعها

جاء في الكلام عن الاستنجاح بالرشوة والهدية

« حدثني زيد بن أخرم عن عبد الله بن داود قال : سمعت سفيان الثوري يقول . اذا أردت أن تزوج فاهد للأم . والعرب تقول : « من صانع لم يحتشم من طلب الحاجة »

قال ميمون بن ميمون : اذا كانت حاجتك الى كاتب فليكن رسولك الطمع . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : نعم الشيء الهدية أمام الحاجة . وقال رؤبة :

لما رأيت الشفعاء جدوا
وسألوا أميرهم فأنكدوا
ناعمتهم برشوة فأقردوا
وسهل الله بها ما شددوا

وقال آخر :

وكنت اذا خاصمت خصما كبته
على الوجه حتى خاصمتني الدراهم

فما تارعنا الخصومة غلبت
علي وقالوا قم فانك ظالم

والعرب تقول في مثل هذا المعنى : « من يحمل الحسناء يعط مهراً » يريدون من طلب حاجة مهمة بذل فيها

وقال بعض المحدثين :

ما من صديق وان تمت صداقته
يوماً بأنجح في الحاجات من طبق
اذا تثم بالمنديل منطلقاً
لم يخش نوبة بواب ولا علق
لا تكذبن فان الناس مذ خلقوا
لرغبة يكرمون الناس أو فرق

وقال آخر :

ما أرسل الاقوام في حاجة
أمضى ولا أنجح من درهم

يأتيك عفوا بالذي تشتهي
نعم ورسول الرحل السلم

وثمن هذا الجزء ١٥ قرشاً

فهرس دار الكتب

كذلك أصدرت دار الكتب الجزء الرابع من الفهرس لرصيد الدار الخاص بكتب التاريخ وثمنه خمسة قروش ويطلب منها

الأدب الحي

مجموعة مقالات وبحوث في الأدب والنقد مدبلة نفيسة ودراسة كاملة من تأليف الأديب الناهض ابرهيم أفندي المصري . ولا نرى في وصفها أحسن مما قاله صاحبها في مقدمته فيها :

« في هذا الكتاب عدة مقالات نشرت في بعض المجلات والصحف رأيت أن أجمعها على أن تكون شبه مقدمة نظرية لأعمال أدبية فنية أعالج الآن تحقيقها

« وإن القارىء ليجد في صورة مختلفة للفكر يحاول أن يتلمس بين شتى الجواهر الأدبية وعناصر شخصيات الكتاب حقيقة مستقلة وحالا فنياً خاصاً يساعده على استكمال عمل في مستقبل حين

أما الأديب الناقد فقد يرى فيها شيئاً من التناقض في الفكر والمزج ولكن هذا التناقض نفسه دليل الحث وعدم الاستقرار وهو ما يمتاز به أدب عهد الشباب من حيث الرغبة الحارة في تقبل الأفكار والشخصيات جميعاً ولو أنها لا تصادف رضاها من نفسه كل الهوى وكل الإيثار

« إلى جانب هذا أردت أن أودع الكتاب شيئاً من الأدب المفكر الذي لا بد أن تثمره نظرتنا الخاصة الى الحياة وإلا كنا نحن أدوات عاجزة الا عن نقل الثقافات الأجنبية بحسب

« وان تعني (سخرية الميول) و (الأمانية) المذيلة بهما هذه المجموعة في محاولات في هذا السبيل أرجو أن أوفق فيما بعد لاستكمالها في عمل فني يمكن أن يشفي وترضى عنه نفسي ولو بعض الرضاء »

أما المقالات فهذه بعض موضوعاتها : شخصية الأديب الفنان . بين البوغ والعقرية . الشاعر الهندي تاغور . شعراؤنا وجنون الطرب من القصص في مصر . أين هو الأدب المصري الخ

ديوان المثالث والمثاني

أهدى الينا الجزء الثاني من هذا الديوان لناظمه الشاعر السوري المعروف حليم دموس وهو يشتمل على قصائد ومقطعات فذا في مناسبات مختلفة، منها قصيدة عنوانها : بين الوطن والمهجر وجرى لأمومة وغيرها بيروت، ومشاهد لبنان، ونحة شوقي . ونظمه في غير ذلك شيء كثير

ومن أرق نظمه شطيره لبعض قصيدة لابن الفارض قال :

١ ـ أنت السبب إليك المشتكى
(والرفق بالفؤاد الموجع)
(في ظلام الليل في رأد الضحى)
قد دعوناك وإن لم تسمع

٢ ـ جئنك الزق اليه واتكا
(فأنن يجرح بين الأربع)
(مر بي بين الغواني بأسها)
وسقاني أربعاً في أربع

٣ ـ غشيت عيناي من طول البكا
(وجرى نهر الهوى من أدمعي)
(فتكت من فيض دمعي مقلتي)
وبكى بعضي على بعضي معي

٤ ـ هكذا فكر بالين بكى
(هائم في ليله لم يهجع)

(هو يبكي قبل أن ناقي النوى)

وعمه يبكي لما لم يقع

٥ ـ قد عا حي هلي وركا

(وتشتى الشوق طي الأضلع)

(أنا أهواك ودمعي شاهد)

لا تقل في الحب إني مدعي ! . .

مذكرات اسامة بن منقذ

An Arab-Syrian Gentleman and Warrior in the Period of the Crusades

اسامة بن منقذ فارس وشاعر عربي عاش أيام الحروب الصليبية واشترك في بعض وقائعها وقد لعب دوراً مهماً فيها وتنقل في الاقطار العربية بين مصر وسورية والعراق ثم دون وصف هذه الحياة التي عاشها والامور التي شاهدها بمذكرات قيمة لم يعرف منها سوى نسخة خطية بمديرية عامة بلاد الاسبان وهي النسخة التي عمد اليها الدكتور فيليب حتي مدير تاريخ في جامعة بيروت الاميركية سابقاً وجامعة برنستون الآن فنقلها الى اللغة الانكليزية وأصدرتها مطبعة جامعة كولومبيا وقد تبع الدكتور في ترجمتها الطريق العلمية الخالصة ونوه أقسامها وعنون فصولها وعلق عليها شروحاً قيمة تدل على قدرته ودقته وجهده

يصور اسامة بمذكراته هذه نواحي متعددة من الحياة العربية في كل الاقطار التي عاش أو مر بها فهو يطلعنا على البلاط الفاطمي والحياة فيه وعلى حياة الجند العربي ذلك الزمن وعلى الصيد وطرقه عند العرب

ويصور لنا اسامة أيضاً حياة الافرنج كما رآها في الصليبيين فيصف أخلاقهم وعاداتهم وعلاقاتهم مع العرب اثناء البلاد زمن الحرب وزمن السلم ويطلعنا في مواقف متعددة من مذكراته على حياة عادية كان يحياها هؤلاء المحاربون من كلا الفريقين العرب والفرنجة ما كنا نعرفها قبلاً

وبالجملة فالكتاب من خير المصادر لفهم الحياة العربية والفرنجية بذلك العصر يفتح أمام مؤرخي الحروب الصليبية في هذه الاقطار العربية باباً جديداً

ج . ج .

من هم الدروز ؟

ORIGINS OF THE DRUZE PEOPLE AND RELIGION, With Extracts from their Sacred Writings.

ان اقرب ما يكون جوابا شافياً عن هذه الاحجية التاريخية التي حار في حلها كبار علماء التاريخ والاديان هو الرسالة المذكورة في رأس هذه السطور وقد صدرت اخيراً عن مطبعة جامعة كولومبيا (قسم الدروس الشرقية) لمؤلفها الدكتور فيليب حتي ـ من جامعة برنستون ـ وسابقاً من الجامعة الاميركية في بيروت

ويتلخص جواب الاستاذ الفاضل بالقول ان الدروز هم ـ جنساً ـ من الفرس او العرب الذين من اصل فارسي في العصور الجاهلية نزحوا الى وادي التيم ـ سورية ـ فوجد فيهم الفارسي ـ داعي الخليفة الفاطمي المشهور الحاكم بامر الله ـ أرضاً صالحة لالقاء بذور تعاليمه الباطنية العربية التي يرجع كثير منها الى الافكار والعقائد الدينية الفارسية

اما ـ دينياً ـ فيقول الدكتور حتي : « إن الخيوط التي يتألف منها نسيج الدرزية الكثير الالوان هي الافلاطونية الجديدة او الاشراقية التي تأثرت عنها شيعة « العارفين » المسيحية في القرن الثاني للمسيح ـ والزردشتية والمندوكية

والشيعة الباطنية وقليل من الصوفية الاسلاميين »

ويتبع الكتاب ذيولا هي مقتطفات من كتابات الدروز الدينية

وكتاب الدكتور حتي فوق قيمة تاريخية جليلة يقدرها أرباب هذه البحوث وتثق انه سينال التقدير الذي يستحقه بين العلماء والطبقة المتنورة

التسالي في سهرات الليالي

مجموعة ملح ونكات وبوادر وألغاز علمية واجتماعية وأقوال وحكم وصنائع وأخبار وأمثال والغاز ولغات رمزية ومسائل رياضية فكاهية وغيرها

ألف هذا الكتاب وجمعه الدكتور هلال فارحي . وهو من الاطباء الذين عمدوا جميعا الى الاشتغال بعلاج المرضى لاشتغال الدم نفسه وبعد في مصر من المتطببين على بعض المعرفة وما تصح تسميته بعلم المقابلة بينها وبين احوالها اللغات الشرقية الاخرى كالعربية

وقد قال في مقدمة كتابه «ولما كانت مكاتبنا العربية خالية من كتب كهذه فكاهية اجتماعية أدبية تناسب الافراد حسب سنهم فتروض العقول بعد الاتعاب اليومية في أوقات الفراغ والفرص المناسبة والليالي والسهرات الاجتماعات العائلية . . . وضمنت كثيراً من أبواب هذا الكتاب مدة سنوات وأضفت اليها فيما بعد كثيراً مما اقتبسته من المكاهات والمعلومات المفيدة الحديثة التي نشرت في الكتب والجرائد والمجلات الوطنية الخ »

ومن موضوعات الكتاب : اللعب الورقي والدومينو والرياضة الحسابية والارقام والاعداد والمربعات والعاب علمية فكاهية والاحاجي والالغاز . والمرأة وما يقال لها وعليها . والامثال الفارسية مما يزيد على ٢٠٠ مثل

مطبوعات جديدة

﴿ البطريرك غريغوريوس الحداد ﴾ كراس عنوانه ذكرى مرور السنة الاولى على وفاة الطيب العين والاثر غريغوريوس احداد بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس من قلم المؤرخ المشهور عيسى اسكندر المعلوف

﴿ الحصاد الاول ﴾ احدى وثلاثون قصة عراقية وضع أمورشاؤل في بغداد . ويقدم للطبع قريباً الحصاد الثاني وهو مجموعة قصص افرنجية لاشهر قصصي العالم من ترجمته

﴿ تربية دودة القز ﴾ كراس في تربية دودة القز وقد نظمه حضرة احمد فندي رزهم محمد مدير المعلمين في مديرية أسيوط وهي تحتوي على ما يجب البحث عن الحرير وتاريخ صناعته وشجر التوت وأطوار حياة دودة القز وكيفية تربيتها الى أن تخرج حريراً

﴿ رحلة الاعلم الشامي ﴾ المحاضرة التي ألقاها الاستاذ مصطفى مبرأدم في دار الجمعية الجغرافية الملكية سنة ١٩٢٨ وقد وضعت على صفة الجسن الكبير للعمور له الشيخ عبد الرحيم الدمرداش باشا

﴿ رواية مكارم الاخلاق ﴾ لمصنفها محمود افندي شكري رئيس ادارة مديرية البحيرة سابقاً

﴿ سلسلة الثقافة العامة ﴾ سلسلة الثقافة العامة على ضفاف النيل في عصور القراءة تأليف محمد افندي مرزوك ماجستير ليسانسيه الطبين العليا في التربية والآداب

بين الهلال وقرائه

نقل الصور بالتلغراف

﴿ ريو دي جنيرو ـ البرازيل ﴾ شكري فرح الله

ترى عندما تذكر سراً عن اليابان مثلاً كموت رجل كبير أو اصطدام قطار ومع النبأ صورة الرجل وصورة القطار فكيف تعمل ذلك؟

﴿ الهلال ﴾ تعمل ذلك بالطريقة المشهورة من نقل الصور بالتلغراف وهي طريقة حديثة ولكنها شائعة في كل البلدان وترى في صور هذا الجزء شيئاً عنها

جمعية لجنة الاسبرانتو

﴿ الحلة ـ العراق ﴾ يوسف موسى ناقري

ما هو عنوان مركز جمعية لجنة الاسبرانتو وما شروط الانتساب اليها؟

﴿ الهلال ﴾ ربما استطاعت مدرسة الاسبرانتو في نور سعيد أن تدلكم على شروط الانتساب الى جمعية لجنة الاسبرانتو الدولية ومركزها

تغير لون الحرباء

﴿ المنيا ـ مصر ﴾ م . م . د

هل تتغير لون الحرباء تبعاً لأوراق الشجر التي تتسلقها كما قيل لنا؟

﴿ الهلال ﴾ كثير من الحشرات والطيور وسائر الحيوانات يتحد لون المكان الذي يعيش فيه توقيه من أعدائه فلا تعود تراه. وهذه هبة حسنة الطبيعة بها. فالضفدع التي تعيش بين النباتات لونها أخضر والتي تعيش حيث يقل النبات تتحد لوناً يشبه لون الارض التي تعيش فيها. ولون الدب الذي يعيش في بلاد القطب أبيض والذي يعيش في غيرها أسمر أغبر بلون الارض التي يعيش فيها. وهذا النوع لا يغير جلده بتغير الفصول ولكن هناك نوعاً يغيرها في البلاد المعتدلة حيث يكثر الثلج بتغير فصل الحيوانات جلودها كالسمور وبعض اصناف الثعالب والارانب وحيوانات الفراء فتبدو شتاء بلون الثلج وفي الفصول الاخرى بلون الارض. ولكن هذا التغير ليس سريعاً كتغير لون الحرباء

هل عندنا فلاسفة

﴿ هوبلن ـ وست فرجينيا بأميركا ﴾ هزيعة فريجات

هل يوجد عندنا فلاسفة ومن هم وأين هم؟

﴿ الهلال ﴾ لا يوجد عندنا فلاسفة كما لا يوجد علماء بالمعنى المشهور. فالفيلسوف يجب أن يكون صاحب مذهب في الفلسفة وصل اليه باجتهاده وهكذا العالم. وليس عندنا فيلسوف ولا عالم بهذا المعنى وانما عندنا أشخاص فهموا بعض المذاهب الفلسفية والآراء العلمية فهماً قد

لا يكون على العالم كاملاً . فسبنسر فيلسوف لأن له آراء خاصة في الحياة والاجتماع وداروين عالم لأن له رأياً في نشوء الانسان والحيوان خاصاً به وهو أول من ابتدعه وبسطه بسطاً وافياً وان يكن قد ألم به بعض الذين تقدموه إلماماً قليلاً ورأى شذرة منه قليلاً . ونحن قد فهم مذاهب الرجلين كل الفهم ولكن فهمت لها لا يجعلنا فلاسفة وعلماء . وقد كان ذوق ارجل ممن بحث كثيراً في المذهب الداروين ولكن العلماء لم يعدوه يوماً منهم

تأثير القمر في الزراعة

﴿ السالمية ـ مصر ﴾ محمد بشار

لماذا كان من خواص القمر التأثير في الماكهة الخضراء كالطبيخ مثلا فينضجه بسرعة وفي انماء السكتان بسرعة ايضاً ؟

﴿ الهلال ﴾ لا نعلم أن للقمر هذا التأثير وكل تأثيره هو أنه سبب [illegible] في الأرض لا غير

الشذوذ في الحيوانات

﴿ سان باولو ـ البرازيل ﴾ نعيم اوسترا

اطلعنا على رسمي حيوانين هما من شذوذ الطبيعة ولدا في بلدة فرانكا من ولاية سان باولو فالأول ديك بأربع أرجل . والثاني عجل خلف له وجهان . وقد بقي الاول حياً سبعة اسابيع ومات بحادث غير طبيعي . فما سبب هذا الشذوذ

﴿ الهلال ﴾ سبب هذا الشذوذ في الحيوانات خلل في تركيب البيضة تخرج به عن القاعدة فيأتي الجنين ناقصاً او زائداً كما في الرسمين اللذين اطلعتم عليهما فاذا كان النقص في عضو جوهري لم يعش الحيوان واذا كانت الزيادة لا تحدث خللا في عضو جوهري عاش . والتوائم في الناس من هذا القبيل

الاستعمار

﴿ القاهرة ـ مصر ﴾ ابراهيم تادرس

هل الاستعمار مفيد للأمم المستعمرة أم مضر بها؟

﴿ الهلال ﴾ اذا كان قصدكم بالمستعمرة بكسر الميم أي اسم فاعل فقد وقع الاستعمار كثيرا مثلا في توسيع نطاق امبراطوريتها في الهند وأمريكية واستراليا وجزر البحر . وأضر بأسبانيا مثلا لان حكامها في المستعمرات جاوزوا حدود الظلم فنفرت منهم فكارت عليهم واستقلت مثل بيرو وشيلي في اميركا الجنوبية . ومن رأي علماء طبائع الانسان أن الاستعمار موهبة في هذه الامة دون تلك ويعدون هولندا واعتبارا المثل الأعلى للدول المستعمرة جميعها الطبيعة موهبة الاستعمار دون غيرها . ويعدون فرنسا في القسم الثاني لأنها تحفظ النظم في بلاد المستعمرة قوتها لا تحب الاهلي ما [illegible] في الجزائر منذ مائة سنة وليس [illegible] أثر صوت في العالم . والذي حال بين الجزائر وسموه الهولندية من حيث رضا الاهلي وارتياحهم عن الحيثة الحاكمة يرى الفرق بين استعمار الدولتين

واذا كان قصدكم بالمستعمرة منح البلاد أي اسم للقبول فقد نفع الاستعمار أمما مستعمرة وأضر أمما أخرى كما يفهم من البيان المتقدم

الايرانيون ويوم الثلاثاء

﴿ حيفا ـ فلسطين ﴾ علي احسان ايراني

قرأت في مجلتكم سؤالا من حيفا تحت عنوان راحة يوم الاثنين قال فيه السائل : ويعيد المسيحيون يوم الاحد والمسلمون الجمعة واليهود السبت والايرانيون الثلاثاء وكان المصريون القدماء يعيدون الخميس والاشوريون الاربعاء . فهل تعرفون من كان يعيد يوم الاثنين ؟ » فكان جوابكم كلا

وأنا اقول إن السائل مخطيء في سؤاله من جهة الايرانيين وقوله إنهم يعيدون يوم الثلاثاء فهذا غير صحيح لانهم مسلمون يعيدون يوم الجمعة واذا كان يقصد الايرانيين الذين في فلسطين فهؤلاء بهائيون والبهائيون في فلسطين وايران وأميركا والمانيا وسائر العالم يعيدون يوم الاحد لا يوم الثلاثاء

زواج الفتاة بخالها

﴿ مصر ﴾ أمين حنا

لماذا تحرم المسيحية زواج الفتاة بخالها مع أن الله عندما خاطب موسى ذاكراً له من لا يحل للانسان أن يتزوجه لم يحرم الزواج من بنت الاخت . وبناء على هذا الاعتقاد وتلك الشريعة ترى بعض اليهود الى يومنا هذا يتزوجون بنات اخوتهم فهل هذا جائز شرعاً ؟

﴿ الهلال ﴾ أولا شرائع المسيحية لا تحظر الزواج ليست مبنية على اليهودية ولا تمنع الاكل والشراب والنساء وجميع الامور الشخصية

وثانياً أن اليهودية تحرم زواج الانسان ببنت أخيه أو أخته وبالتالي زواج البنت بعمها أو خالها بدليل ماورد في سفر اللاويين (٢٠ - ١٩) حيث يقول « عورة أخت أمك أو أخت أبيك لا تكشف . انه قد عرى قريبته . يحملان ذنبهما » . ومعنى ذلك أنه لا يجوز لرجل أن يتزوج خالته أو عمته (أو للخالة أن تتزوج ابن أختها أو للعمة ابن أخيها) لانه يكون قد عرى قريبته واذا عمل أو عملت فان اثمها عليها »

فلا مجال للقول بعد هذا ان اليهودية تحلل زواجاً مثل هذا . ولكن يشاهد أحياناً بين اليهود أن يتزوج الخال بنت أخته أو الخالة من أختها طبقاً لبعض أحكام تلمودية تقليدية ولكن اليهود عامة يستنكرون زواجاً مثل هذا

وقد حدث بين المسيحيين حوادث زواج مثل هذا ولكنها قليلة جداً يذكرونها على الدوام بالنفور والاستنكار

الصداقة

وله أيضاً :

من هم أصدقاء الانسان في الحياة ؟

﴿ الهلال ﴾ تعب الفلاسفة في تعريف الصداقة والصديق وقيل في الصداقة من الحكم والشعر ما لم يقل في غيرها مثل : صديقك من صدقك . والصديق عند الضيق

وقول الشاعر :

ما من صديق وان حمت صداقته
يوماً بأنجح في الحاجات من طبق
دلالة الطبع بالمنديل منطلقاً
لم يخش نبوة بواب ولا غلق

وقول الآخر :

احذر ﴿ كصوك ﴾ مرة
واحذر صديقك الف مره
فلربما انقلب الصديـ
ـق فصار أعلم بالمضره

وقد سمي الصديق في الانجيل « القريب » ويظهر من مثل السامري الصالح الذي صنعه للمسيح أن صديقك وأخاك هو الذي يعطف عليك في بلواك ويساعدك وقد صدق الشاعر القائل :

إن أخاك الحق من كان معك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا صرف الزمان صدعك
شتت فيه شمله ليجمعك

ولكن هذا غير موجود . وقد حسبوا للصديق ثلاثة وهي العون والعقل والصديق الوفي

من هنا وهناك

بهلوان غريب

من أغرب البهلوانية شاب فرنسي تعلم في إحدى مدارس الطيران وقضى سنتين يلعب ألعابًا بهلوانية عربية في فرنسا وهو الآن في لندن يدهش أهلها بهذه الألعاب. ومن أغرب أعماله وثوبه من طيارة الى أخرى وهما طائرتان في الجو بسرعة ١٠٠ ميل وربط إحدى رجليه بخطاف طيارة ثم ألقاء نحوه ورأسه الى أسفل والطيارة تطير. ونزوله بالواقية ورأسه الى تحت

ومن أعماله المدهشة في باريس مهيئة حفلة الطبقة العليا من بريطانيا العظمى وبلغه أنه قد موارته ثم استعادته بسرعة من مع البحر

ومنها أنه ركب سيارة من سيارات السباق فسارت بأعظم قوتها في جهة معينة وإذا بطيارة قادمة من الجهة المقابلة وقد تدلى منها حبل حتى اذا صارت فوق السيارة ومس الحبل السيارة تعلق بالحبل وصعد عليه الى الطيارة

شعر الدُّمى

الدُّمى هي البرانس التي يلبس بها الصغار وشعورها ما بين أسود حالك وأصفر ذهبي وأحمر قرمزي. ويظن أنها مصنوعة من أحقر المواد وأغلاها، والحقيقة انها مصنوعة من مادة الصوف توجد تارة مع الماشية وتحلق وتغسل وترتب وتصنع منها شعور ملايين الدُّمى التي توزع على جميع جهات المعمور. وأول من فكر في صنعها لهذا الغرض رجل شيخ من مدينة برادفورد كان يقصد الى دار الصنون حيث معامل الصوف ويشتري نفاياته فكان يظن أنه يصنع منها الشواربه واللحى في وجوه « الساخر » ثم ظهر أنه يصنع شعر البرانس منها

صندوق وستة عرسان

كان بالامس صبي في لندن يلعب ألعابًا يقتد بها الصبيان وجد في صندوق صغير فوجد في داخله صندوقًا من الخشب طوله سبع بوصات وعليه صور طيور وأشجار وكان جده قد جاء بها من الهند وهو عسكري منذ خمسين سنة فلما فتحها الولد بين يديه فتحها فوجد فيها رسائل فرنسية كتبها رجال أخذوا أسرى في حروب نابليون ووضعوا في صندوق كانت راسيه في أحد موانيء انجلترا وكانوا يطعمون أسوأ الطعام ويلبسون الاسمال ولا رجاء لهم في النجاة وفي سنة ١٨١٠ أطلق سراح أحدهم فصنع هذا الصندوق أولاً ثم سرواد خطر لهم أن يكتبوا الى أهلهم ويرسلوا رسائلهم معه. وهكذا فعلوا وبعد أن كتبوا الكتب صنعوا صندوقًا ووضعوا الرسائل فيه وسلموه الى الأسير المطلق واسمه انتوان دافيز. ولكن الرسائل لم تصل أصحابها. أما كيف وصلت الى الهند وجاء بها الجندي جد

العبي منها فهذا ما لا يعلمه إلا الله

في سبيل أكرام ادبسن

احتفل في اميركا بافتتاح معهد الصناعات الذي أهداه المستر فورد الى ديترن وسمي باسم ادبسن وكان خطيب الحفلة المستر هوفر الرئيس الاميركي فقال في خطابه : « ان علماءنا ومخترعينا هم من أعظم ممتلكاتنا الوطنية قيمة . وليس ثمة مال مهما عظمت قيمته لا يقدمه العالم الى أولئك الرجال الذين عرفوا بالابتكار والغيرة على ترقية الفكر العلمي والسير به في خطوات طويلة سريعة حتى ينتشر في كل بيت ويعمي الى رخاء أهله . ولا نستطيع أن نقيس ما صنعوا به العالم بمجموع أرباح البوك فيه . وم أقل الناس اهتماماً بالنتائج المقيسة بالنقود . وانما يهتمون بأعمالهم وتقديم ذرة ولو صغيرة تضاف الى مخازن تصنع جزءاً من آلة الرقي العظيمة . و كتاباتهم لا تقصد الاعلان عنها بالسطور الضوئية و الحروف السكبيرة وأعمالهم لا يعرفها إلا القليل

« لكن الامة مدينة لهم تشرف عظيم وتفخر بأن تظهر واسطة ادبسن اليوم انها تقدر جهدهم حق قدره . تدفع جزيتها الى رجال من هذا الصنف بالتوسع في نتائج أعمالهم . وهي تحتاج اليوم الى معونة أكثر للبحث والى معامل أكثر »

غلام بطل

في الجزء الشمالي من الترنسفال مدرسة للمرسلين السويسريين لتعليم الاولاد الوطنيين . وفيما كان الاولاد يلعبون في حوش المدرسة ذات يوم هجمت عليهم امعى سامة من النوع المعروف باسم « مجا » عندهم فقر الاولاد الى غرفة المدرس جميعاً . وهذا الصنف من الافاعي شديد الخبث يخافه الرجل الابيض وهو يحمل بندقيته أكثر ما يخاف الاسد لان لسعته تميت الملدوغ في خمس دقائق

دخل الاولاد كلهم غرفة المدرس ماعدا ثلاثة اعترضتهم الافعى وحالت دون دخولهم اليها . وكان بين هؤلاء الثلاثة غلام اسمه بيت عمره احدى عشرة سنة فتناول ثلاثة أحجار وكان مشهوراً بحسن الاصابة في الرماية ودنا من الافعى فتربصت الافعى قليلا ووقفت وهي تصفر وتنتفخ للهجوم ثم تدحرجت على إحدى ساقيه تريد لسعها فانتدرها بحجر القاها به على الارض وأجهز عليها بالحجرين الآخرين

وقد روى معلم المدرسة هذه القصة لمراسل الجريدة التي نقلناها عنه وقال : « ان هؤلاء الطلبة السود يطلعون على جريدة اوربية اسمها « جريدة الاولاد » ويقرأون ما فيها من قصص الاولاد في جميع انحاء العالم ويحبونها جداً . وقد طلب لقائل الافعى ان سأرسل الى جريدة الاولاد قصة قتله فاقصر نبأ هذا البأ أكثر من سروره بقتل الافعى »

وقد فيست الافعى فوجد ان طولها ٩ اقدام

ذاكرة زنجي

اشتهر زنجي اميركي بقوة ذاكرته فأراد بعضهم أن يمتحنه فلقيه ذات يوم وسأله « هل تحب البيض يا « سامبو » ؟ » قال « نعم » وتقول الحكاية ان هذا البارد ترك الزنجي عشر سنوات ثم جاء يسأل « وكيف ؟ » فأجاب الزنجي « مقلواً ! ! »

وهذه الحكاية التي قد لا تكون سوى حكاية مخترعة تذكرنا ما روى عن قوة حافظة ابي العلاء . وذلك ان شاعراً لقيه مرة في الشام وأنشده شيئاً من شعره فقال له « أنت أشعر من

في الشام » . فتركه ثلاثين سنة واتفق أنهما تقابلا في بغداد فأنشده شيئاً من شعره ولم يخبره باسمه فقال ابو العلاء بعد سماع الشعر « ومن في العراق » والواو حرف عطف والجملة معطوفة على أنت أشعر من في الشام

وهذه الحكاية قد تكون مخترعة أيضاً والله أعلم

قيمة الذهب في المستقبل

يتوقف مستقبل قيمة الذهب على الطلب والعرض كسائر سلعة اخرى وقد استخرج منه ٢٩ مليون حنيه سنة ١٩٢٠ فزاد المستخرج الى ٨٣ مليون وصف سنة ١٩٢٨ وهذا المقدار الاخير اقل بنحو ١٢ في المائة عن المستخرج سنة ١٩١٣ . ولكن قيمته تتوقف على الطلب اكثر مما تتوقف على العرض . ومنذ الحرب لم تعمد دولة ما الى استعمال الذهب نقوداً كما كان الحال قبل الحرب

زلزلة في البحر

حدثت في يوم ١٨ نوفمبر الماضي زلزلة عظيمة لم تعين المراصد مركزها في اول الامر لجهلها اياه وكل ما عرف عنها حينئذ أنها قطعت ١٢ سلكا من اسلاك التلغراف المغمورة في الاتلنتيكي بين اوربا واميركا ، وانصت الى طغيان ماء الاوقيانوس على ساحل نيوفولند وشعر أهل اميركا بها على مدى ٩٤٠ ميلا في ساحلها الشرقي . وكانت الباخرة اوتلك في عرض الاتلنتيكي وعلى بعد ٣٠٠ ميل من مركز الزلزلة كما عرف فيما بعد فاعلن ربانها انه شعر باهتزاز باخرته بغتة كأن قد أنفصل عنها جزء من محركها وتلا ذلك ارتجاج دام دقيقتين وبعد فحص الباخرة ظهر أنها سليمة

ولم يمض على حدوث الزلزلة ساعتان ونصف حتى طفت امواج الاوقيانوس على سواحل نيوفند لند الجنوبية فخربت فرضة الصيد في بعض الموانىء وارتفعت موجة الى علو ١٥ قدماً في مدينة بورين فخربت بضعة منازل وقتلت ٢٩ اشخاص و ١٧ شخصاً في بلدين آخرين . ومن الاسلاك البحرية التي تقطعت سبعة كانت على عمق ٢٠٠ قامة وسلك على عمق ٢٠٠٠ قامة . والمظنون أن مركز الزلزلة مكان في قلب الاتلنتيكي على درجة ٤٤ من العرض الشمالي و ٥٧ من الطول الغربي وانها اوسع الزلازل التي حدثت منذ حين سنة اذ يقدرون مساحة البقعة التي اثرت فيها بمليون ميل مربع ونصف

الوفيات والمواليد في انجلترا

بلغ متوسط المواليد في انجلترا وويلس ١٦٫٣ في الالف سنة ١٩٢٩ وهو أقل متوسط عرف . ومتوسط وفيات ١٣٫٤ في الألف وهو أكثر أيضاً منذ سنة ١٩٢٨ . وتكاد زيادة الوفيات تنحصر على الربع الاول من السنة بسبب انتشار الانفلونزا واشتداد البرد فيه . وبلغ متوسط وفيات الاطفال الذين سنهم أقل من سنة ٧٤ في الألف للأسباب عينها وكان ٦٥ سنة ١٩٢٨

الجرذان

يقدرون أن في العالم ستة آلاف مليون جرذ وأنه ليس تحت الشمس مكان خال منها . وأنه حيث وُجد انسان فهناك جرذ أو اكثر معه . والجرذان تسافر من قارة الى قارة في البواخر ومن بلاد الى بلاد في القطرات اذ تختبىء في البضائع . وقد وُجد أحدها حديثاً في غرفة راكب في إحدى الطيارات

الدين وأثره الاجتماعي

أنشاء عصبة عامة للاديان

أحاديث مع شيخ الازهر . وبطريرك الاقباط . وحاخام اليهود

[مناسبة ما نقلت البرقيات الخارجة عن أنباء الاضطهاد الديني في روسيا السوفياتية حظر للاستاذ كريم ثابت أن يحادث حضرات رؤساء الاديان الثلاثة الكبيرة في مصر عن الدين وأثره في الحياة الاجتماعية فأدلوا اليه بآراء اجتماعية جليلة ضمنها في هذا المقال]

عند شيخ الازهر

فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ الأحمدي الظواهري ، شيخ الجامع الازهر الحالي ، من العلماء الذين يطيب للمرء التحدث معهم أو الاصغاء الى حديثهم ، وهو اذا جلس أمام محدثه أو محدثيه ألقى اليهم سمعه واحتشد بجماع أفكاره حتى اذا استوثق من عبارتهم سقطهم الى غايتهم وأخذ عليهم الفجاج وسد طرق الكلام ، فاذا عمدوا الى ثغرات الطريق شق لهم جدده وأعاد عليهم كلامه بعد ان كانوا عدتين أصبحوا سبعين . وفضيلته من أكثر علمائنا تضلعاً في أصول الدين وشئونه ، وقد تجلى علمه وحكمته في مظاهرها في جميع المناصب الدينية التي تقلدها وقد كان آخرها رئاسة معهد فؤاد الاحمدي للغة العربية في حياة والده المغفور له ، وقد انصرف فضيلته منذ انتقاله الى مشيخة الازهر الى احياء تعاليم الدين ورفع مستواه ، وكان أهم عمله في هذا الصدد وقوفه في سبيل الملاحدة الذين يحاولون في الخارج أن يشوهوا سمعة الدين الاسلامي أو ان يسيئوا الى كرامة النبي عليه الصلاة والسلام عن طريق السخرية منها في بعض النشرات الدورية أو بما يحاولون ان يصوروا به النبي في بعض الشرائط السينماتوغرافية ، يحاطف فضيلته المقامات الحكومية المختصة بوجوب السعي لاحباط تلك الحملات بمختلف الوسائل الدبلوماسية ما دام لها علاقات دولية مع البلدان الاوربية والاميركية ، وهذا علاوة على الجهود التي بذلها فضيلته في المدة القصيرة التي انقضت على وجوده في الازهر الشريف لاصلاح حالة الوعظ والارشاد في أرجاء القطر واحلالها المحل التي هي حقيقة به من العناية والاهتمام

تناول فضيلته موضوع الدين وأثره من الناحية الاجتماعية فأسهب فيه إسهاباً جيداً استهله بقوله إن الدين ينفع في الانسان أحياناً روح الوجل والخوف ، وبعثه أحياناً أخرى على الأمل والرجاء ، أما الوجل والخوف فمن قضاء ينزل به في الآخرة على ما يقترفه في دنياه من آثام ، وأما الرجاء فيما يعلقه من آمال على مكافأة يخصه بها الباري في دار البقاء ، وبين هذين العاملين ، عامل الخوف من جهة وعامل الرجاء من جهة أخرى ، يمضي المؤمن حياته فاذا أراد الاقدام على عمل من الاعمال الخطيرة انتابه شعور الوجل أو شعور الرجاء ، حسب نوع العمل وغايته ، فيسلك عندئذ المسلك

الذي يوحي اليه به عقله مقرراً النتيجة في الحالتين طبقاً لما ينطوي عليه كل من ذينك العاملين

قال الاستاذ الاكبر : « ولا يخفى ما في ذلك من التأثير النفساني في الانسان الذي كثيراً ما يجد في الدين أكبر وازع له وخصوصاً في ساعات القنوط والفشل عند ما تخور قواه النفسية ويفقد شجاعته الادبية فيفكر في التخلص من هذه الدنيا بالقضاء على نفسه إراحة لها من متاعب البقية الباقية من حياته، ولولا الدين لعمد الى تنفيذ فكرته، ولكن ايمانه يحمله على التريث والتصبر بدافع من الرجاء والأمل بأن الباري لا يضيع أجره في الآخرة فيعود الى خوض معترك الحياة مصارعاً المصاعب روح فتية جديدة لا يولدها في قلب الانسان سوى الدين

« ثم إن الدين ما زال الدعامة الكبرى التي تقوم عليها سعادة العائلة ، فهو الذي يعزز علاقات الزوجين أحدهما بالآخر، ويصون هذه العلاقات من الاخطار التي تحيط بها وتهددها ، ولولاه لتفككت عرى الزوجية التي هي أقدس العرى وأشرفها ، ولكان من نتيجة تفككها القضاء على العواطف التي ترتبط الاولاد بوالديهم من جهة ، وترتبط بعضهم ببعض من جهة أخرى ، ويندر أن تكون هناك عائلة أهمل أحد الوالدين واجباته الزوجية لانصرافه الى شهواته الخصوصية، وتجد أولاد هذه العائلة يحبون والديهما أو يعطفون عليهما . بل يندر أن ترى أولاد مثل هذه العائلة مفطورين على حب الخير والصلاح لأن الفضيلة الحسنة التي كان يتمتع بها هذا الزوج في نفس الى تسفيم فيها مشاربهم وأخلاقهم وخصالهم غير متوقعة من فيشون مما رأين على الضد من الذي ألفوه في بيت والديهم وكثيراً ما تكون لوالدة في مقدمة من حسن عاقبة هذا النقص في أخلاق أولادها

« ومن ما يصح أن نقول من ذلك الصحيح أن [illegible] على المجموع البشري أيضاً ، ولكن بعبارة أوسع وأعم طبقاً [illegible] الحسن [illegible] الشعوب في الاساليب التي يجدر التوسل بها لنشر السلام بين الامم والقضاء على الحروب في العالم ، ولكن نحن لا نعرف عن ماهو وهي تجد وراء تلك الوسائل أن الدين يجيء في مقدمتها أياً كان نوع هذا الدين. فان الاديان على اختلافها وتباين طقوسها متفقة على توصية البشر بنشر ألوية السلام العام، فالذين يحاولون محاربة الدين ومناهضته انما يناوئون أقدس نظام يقرر علاقات الناس بعضهم ببعض تقريراً لا تستطيعه القوانين المدنية، ولا سيما في البلدان التي لم ينتشر فيها التعليم انتشاراً واسعاً ، الا اذا كان الى جانب كل امرىء رجل من رجال البوليس يحرسه ويراقبه ، ومن يدريا أن رجل البوليس نفسه لا يكون محتاجاً في هذه الحالة الى أن يتولى حراسته ومراقبته بدوره . . . وبهذه المناسبة أذكر لكم أن مأمور كفر الزيات كتب الي يقول إنه يستصحب الواعظ الديني الذي عينته مشيخة الازهر في سفره في جميع غدواته وروحاته ، لان التجربة أثبتت له أن الحرائم تنقصت نقصاً محسوساً في كل جهة يزل بها ذلك الواعظ ويخطب فيها حاثاً الأهلين على اتباع الصراط المستقيم ، وفي هذا أكبر دليل على ما للدين من التأثير العظيم في النفوس وخصوصاً في الطبقات الفقيرة التي تعلق كل آمالها على سعادة الآخرة

« إن الأمية ما زالت متفشية في بلادنا ، والسواد الاعظم من الأهلين ما زال يجهل القوانين المدنية ، وليس هناك سوى الدين رادعاً للناس ووازعاً لهم ، فمن تحدثه نفسه بمحاربة الدين يكون في

الواقع بحارب مصلحة بلاده ومصلحة قومه ومصلحة بيته ،ولا أحال انساناً يعد نفسه عاقلاً يقدم على محاربة تلك المصالح الثلاث المشتركة »

وهب اتمم فضيلة الاستاذ الاكبر وقال : « قد يعيش الملحدون أفراداً وجماعات في وسط شعب متدين،ويحسون أن إلحادهم مع مراعاة مقتضيات المدنية بينة على عدم لزوم الدين،وينسون أن معظم المبادىء التي يعملون بها انما تلقوها من متدينين ، أو ورثوها عن أهل دين ، أو اقتبسوها من هذه المدنية التي ترجع في أصولها الى الدين »

وزاد فضيلته على ذلك قوله: «إن الحكومة الايطالية الحالية عادت الى تدريس الدين في مدارسها الثانوية ،وانه يرجو أن تعنى حكومتنا بهذه المسألة فتهتم بتدريس دين الدولة في مدارسها الثانوية لما يعود من وراء ذلك من الفائدة العظيمة على الناشئة الجديدة »

وختم الاستاذ الاكبر حديثه موهماً بما يدله جلالة الملك من الجهود الصادقة لأعلاء شأن الدين والمحافظة على التعاليم والتقاليد الدينية في أرجاء مملكته

عند بطريرك الاقباط

ليس بين الذين يعرفون غبطة الحبر الجليل الانبا يؤنس بطريرك الاقباط الارثوذكس الحالي من لا يعجب بتوقد ذهنه ولمعان عبقريته وقوة بداهته ورغم هذه سجوحته وضعف صحته ، وكأنه أراد أن يقيم الدليل على صحة ذلك فشد ركابه أخيراً الى بلاد الحبشة زيارة أمبراطورتها وارأس تفري موقناً أن من شأن هذه الزيارة أن تقوي روابط الكنيسة الحبشية بالكنيسة القبطية وان تساعد على ابقاء العلائق الحسنة القائمة بين البلدين مساعدة لا يستطيع الا غبطته أن يحصل عليها ،فالبطريرك الاقباط من الثقة الراسخة في نفوس الاحباش،فأقدم على تلك الرحلة عن طيب خاطر غير مكترث لاعتلال صحته وضعف بنيته فأسفرت زيارته عن النتائج التي كان يتوخاها ويصبو اليها ، وما كاد يعود الى مصر وهو يتفلت على فراش المرض حتى وفد عليه جميع عظماء البلاد على اختلاف أديانهم وأجناسهم لتهنئته بسلامة الوصول وللاعتراف له بما أسداه الى بلاده وقومه من خدمة جليلة . وإذا رأى القارىء معنا أن منصب البطريرك هو منصب سياسي أكثر منه ديني أمكنه ان يقدر ما أظهره غبطته من الحكمة وبعد النظر في تصريف شئون كنيسته منذ اعتلائه الكرسي البطريركي الرفيع الشأن

وتناول غبطة البطريرك الموضوع عينه بادئاً بالكلام عن الالحاد فقال :

« الالحاد كسائر أنواع الشر طارىء على النفس البشرية ، أي أنه ليس من طبيعتها ولا هو شيء متأصل فيها ، والواقع أن درس هذه الطبيعة يبين ان في أعماق النفس حاجة إلى التدين بدين ما . والدليل على هذا أن رواد الدين اكتشفوا المجاهل في أقطار الأرض ، لم يجدوا في قبائل البشر قبيلا بلا دين ،فالدين لم يعرفوا الله تعالى منهم مشاوه حسب تصوراتهم في الآلهة التي اتخذوها لأنفسهم

« وقد ظهر في كل جيل تقريباً ملاحدة وهراطقة وأعداء للدين ولكنهم كانوا وما زالوا قلة لا يؤبه بها ولم تصادف دعايتهم هوى إلا في زمر يسير من ضعاف النفوس وبقيت الكتلة البشرية

متدينة بقطع النظر عن تعدد أشكال الدين

« نعم ان موجة الالحاد عظمت إلى حدّ ما في السنوات الأخيرة لسوء الحظ غير أن ذلك انما وقع على أثر الحرب العالمية التي ارتكبت فيها الخبوش من صروب الفسوة ما هزّ الأعصاب وروّع العقائد . ويغلب على الظن أن هذه الموجة ستأخذ في الحزر والانحسار شيئاً فشيئاً حين يعود النشر الى صوابهم لأنهم كما قلنا لا يستغنون عن الدين بحكم غريزتهم »

وهنا حدق البابا غبطته وقال وهو يشدد في كل لفظة من ألفاظه :

« وإذا وجد مقاومون للدين في بعض البلدان فهؤلاء لا يقاومونه لأنهم وجدوا فيه مطعناً ، بل لأنه يكبتهم على أمور يأتونها ولا يطيقون رقيباً عليهم فيها ، كالذئب الذي يبغض القانون لأنه يبث الأرصاد عليه ، ولو لم يكن الدين قوياً لما جحدوا القوى لمحاربته مع أنه ملاحيش ولا سلطان إلا سلطان مبادئه »

ثم استطرد البطريرك الجليل إلى الكلام عن الدين من الناحية الاجتماعية فقال :

« ومما يستوقف النظر أن الطبقات التي تساق طوعاً أو كرهاً لكراهية الدين هي الطبقات التي يحميها الدين ويحض على رعايتها ، فالدين هو الذي حرر العبيد في اميركا وحرر الرقيق في أفريقية والدين هو الذي آخى بين الأسود والأبيض والأصفر وعلمهم أنهم مصنوعون من دم واحد ، والدين هو الذي ساوى بين الغني والفقير وبين الأوضاع المتباينة بحض المال والجاه والسلطة القائم الأول بجعل الدين هدفه للتضحية ولو كان صاحبها رئيس الدولة ، والدين هو الذي أنشأ جمعيات الصليب الاحمر والهلال الاحمر لتخفيف ويلات الحروب وتطبيب الجرحى عنها ، ولولا الدين ما وجدت هذه المدارس لتعليم والمستشفيات والملاجىء والمصحات ومعاهد البر وجمعيات رعاية الأمهات والاطفال والرفق بالحيوان الاعجم ، وولاء هم وحدهم هؤلاء المكتشفون الذين يبذلون نفوسهم رخيصة لخير المجموع

« أما الذين يزعمون أن ذلك كله هو نتيجة التأدب بآداب الحضارة والتهذيب الطبيعي فليسوا على الحق لأن ما يصدر أحياناً عن اللادينيين من هذه الآداب انما هو ثمرة التربية الدينية التي نشأ فيها آباؤهم وأمهاتهم فتديّنوا في حداثتهم ، والدين هو الذي هدهم وهم لا يشعرون أو يشعرون ويتجاهلون

« والواقع أن كل ما في العالم من خير وصلاح ورحمة وصدق وشرف وشجاعة ومحبة هو غرس الدين ، وكل ما فيه من مفسدات ذلك هو نتيجة الانتقاص على الدين والتمرد على تعاليمه السامية

« فالدين إذن وضع لمصلحة البشر وسعادتهم وما أرسل الله أنبياءه إلا لأرشادهم إلى سلوك السبل المؤدية إلى سلامهم وطمأنينتهم ، وتبكيت طرق الشر التي ينغص عيشهم ويكدر صفوهم في حياتهم

« وأخيراً إذا أنت أمعنت النظر في أحوال الامم علمة ألفيت أرقاها قدراً وأنجحها طريقاً أقربها الى الدين وأحرسها على أحكامه والعكس بالعكس . وهذا وحده برهان قاطع على فساد رأي الذين يقاومون الدين أو يضطهدون رجاله لانهم بذلك انما يظلمون أنفسهم ويجنون على هنائهم بايديهم »

وختم غبطة الابا يؤنس كلامه متمنياً أن تتكاتف الشعوب ، على اختلاف أديانها ، على مقاومة

حركة الالحاد لأن الذين يقومون بها لم يلجأوا اليها الا لما حطت مساعيهم لتقويض أركان النظم السياسية فوجوا جهودهم نحو الدين ظناً منهم أنهم اذا فازوا بالقضاء على المعاهد الدينية وتعاليمها يشقون طريق النجاح إلى ذلك دعائم النظم السياسية والاجتماعية الحالية. فيجب على العالم المتمدن أن يقف لهم بالمرصاد، وأن يحبب آمالهم من هذه الناحية كما خيبها من الناحية السياسية، وليس ذلك لخير أمة دون أخرى، أو لمنفعة طائفة دون أخرى، ولكن لسعادة العالم كله ورفاهيته ولا سيما في هذا الوقت الذي يعقد فيه ساسة أوربا وأميركا الخناصر على نحو شبح الحرب وإحلال السلام والوئام محل الشقاق والخصام

عند هانام الاسرائيليين

يشرف على شئون الاسرائيليين الذين يعيشون في هذا القطر عالم جليل عرف علمه وكفاءته وتنقله في جميع البلدان التي قضى حقبة من الزمن فيها فقد درس سياسته العرفية والعلوم الدينية الاولية في الديار الفلسطينية ثم تعلم العربية في سورية حيث كان يتردد على الشيخ ابرهيم اليازجي، وسافر بعد ذلك الى القسطنطينية ونال شهاداته الثانوية من كلياتها الفرنسية وتعلم في أثناء إقامته فيها اللغة التركية ثم قصد إلى باريس وانتظم في سلك كلية العلوم العليا ليحصل على شهاداته العالية. وقد أعد بعضها على يد اريست رنان الفيلسوف الفرنسي الكبير، ثم عكف على تأهيل نفسه لتقلد منصب الحاخامية الدينية في المعهد الديني الخاص بالاسرائيليين في فرنسا. ولما انتهى من دراسته فيه عاد الى تركيا وتقلد ذلك المنصب فيها فما لبثت ان لفت انظار الترك وأصحاب الرأي فيهم ان تبوأ مقامه العلمي والفكري المرفيع فأجلوه واحترموه وعهدت اليه حكومة تركية في مهام شتى أداها لها أحسن تأدية. ولسيادته بحوث أدبية وتاريخية قيمة تشهد بغزارة علمه وسعة الاطلاع وهو يشتغل الآن بوضع تاريخ مفصل للعاصمين في الطريقة العلية الحديثة

وأهم ما جاء في حديث سيادة الحاخام عن موضوع الذي نحن في صدده أنه اذا كانت الدول قد اهتمت بانشاء جمعية دولية في مدينة جنيف تدعى جمعية الأمم لتسوية الخلافات والمشكلات التي تنشأ بينها، ولتقرير جميع المسائل التي من شأنها أن توطد أركان السلم، وتعزز دعائمه، فحري بأقطاب الاديان أن يؤسسوا الى جانب جمعية الامم جمعية للاديان يكون غرضها الجوهري مقاومة الالحاد وأعداء الدين أسوة بجمعية الأمم التي ترمي الى مقاومة فكرة الحرب وأعداء السلام العام على أن تكون جمعية الاديان مؤلفة من أقطاب جميع الاديان المعروفة في العالم من الشهود لهم برحابة الصدر وسعة الاطلاع وغزارة العلم فيجتمعوا لا ليبحثوا في تفاصيل الشئون الدينية والطائفية، بل للبحث في الاخطار التي تهدد الاديان جمعاء واتخاذ التدابير والاحتياطات التي يحسن التذرع بها لدرء تلك الاخطار. وهنا نص علينا سيادة الحاخام أنه في اجتماع عقده لفيف من رجال الدين في أميركا خطب كبير من كبار رجال الدين اليابانيين فقال إن الحروب السياسية تنسى مشاحناتها وخلافاتها الداخلية عند ما تواجه بلادها خطراً عاماً فتتحد كلها لتواجه ذلك الخطر بجبهة واحدة كما فعلت ايرلندا باتحادها مع انجلترا في أول الحرب العظمى، فلماذا لا تتحد الاديان على محاربة الالحاد ومقاومته ما دام الالحاد عدواً مشتركاً لجميع الاديان لا عدو دين دون آخر

وقد اتيحت فرصة مقابلتي لفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر واستطلعته رأيه في هذا الاقتراح فأعرب عن ارتياحه اليه، وقال إن التعاون بين الاديان الى حد ما لأجل مقاومة الالحاد مستطاع

وكان الحديث يدور بين سيادة الحاخام وبيننا باللغة الفرنسية فقال سيادته : « إن كلمة religion الفرنسية (أي دين) مشتقة من لفظة religare اللاتينية ومعناها العاشرة الاجتماعية Sociabilité فتكون أحكام الدين والحالة هذه هي الاحكام التي تحدد علاقات الناس بعضهم ببعض وتقررها على منوال لا تسمح فيه القوانين المدنية لأنها لا تتناول ولا تستطيع أن تتناول أهم ما تتناوله التعاليم الدينية وأحكامها أي الذكاء وكيفية تحويله والاحساس والارادة »

قال سيادته : « إن المشرعين الذين وضعوا القوانين المدنية وجدوا انهم لا يستطيعون تطبيقها وحمل الناس على احترامها إلا اذا عززوها بسلطات تمنح للاهلين على الاذعان لها ، أما الدين فلم يتوسل بقوة زمنية لتنفيذ أحكامه وأي قوة تستطيع أن تكرهك مثلا على حب الغير اذا كنت لا تريد ذلك في حين ان الدين يوصيك بحب الغير وأي قانون يستطيع ان يمرنك في معاملك ويخفف من لوعة قسك في تكتلك في حين أن الدين هو أكبر ساوى للفرد في أوقات الاحزان والافراح وأي قانون يستطيع أن ينظم شعور العطف أو شعور الشفقة أو شعور المودة أو شعور الاحسان اذا كنت لا تريد شيئاً من ذلك في حين أن الدين يغرس هذه المعاني كلها وينظمها تنظيماً دقيقاً يقوم عليه أهم ركن من أركان الحضارة

« ثم هل يظن المشرعون أن السلطات التي تعتز بها قوانينهم تكفي وحدها لتنفيذ هذه القوانين وتطبيقها لو لم يكن في الاديان أكبر رادع للناس عن قطع الشر وسلوك سوي السبيل

« وأي هو القانون الذي اذا وجدت في مشروع من مشروعات تدعك الى تكرار المحاولة لعلك تنجح في التجربة الثانية في حين أن الدين يشجعك على الارادة يدفعك نحو تلك المحاولة الثانية ويبث فيك روح العزيمة والنشاط بدلا من أن يسودها الفتور والخور

« إن الدين هو فلسفة الحياة ، وفلسفة الحياة هي الدين ، فالانسان شيء واحد لا يتجزأ مهما حاول دعاة الالحاد أن يجزئوه لأن النفس تتغذى بالدين دون أن يشعر صاحبه بهذه التغذية

« إن العلاقات القائمة بين الناس لم تقررها القوانين المدنية الزمنية وانما قررتها التعاليم والاحكام الدينية فاذا انتفت هذه التعاليم والاحكام انتفى معها مفعول القوانين المدنية »

وختم سيادة الحاخام حديثه ببسط فكرة « جمعية الاديان » منوهاً بأهميتها وفائدتها وهو يرى انها خير علاج يحسن بالعالم المتمدن ان يتدرع به الآن لمقاومة الحركة التي يقوم بها بعض أعداء الحضارة لتقويض أركانها ولو الى حين لأنه مهما عصب الطيش عليهم وأعمت الاهواء والشهوات بصائرهم ، فانهم سيعطفون يوماً الى حظائم فيرجعون الى صوابهم والله الهادي الى سواء السبيل

كريم ثابت

مستقبل الطيران في مصر

ساعة مع الطيار الجغرافي احمد بك حسنين

الطيران كوسيلة من وسائل النقل - أغطاء الطيران - كيف يتخلص الطيار من الخطر - الطيران والجغرافيا - خطوط طيران بمصر - وسائل نشر الطيران

منذ أربعة وعشرين عاماً أقيمت في هليوبوليس حفلة لتطيير ن محصور بوبار باشا محل بوبار باشا الكبير ، تجري فيها عدد من الطيارات الاجنبية ، وكانت أقصى مدة يقيم فيها الطيار على متن الهواء نصف ساعة أو خمسين دقيقة على الأكثر . وقد وضع بوبار باشا في هذه الحفلة جائزة سنية لمن يذهب الى الهرم ويعود طائراً ، فأحقق كل من الطيارين في قطع هذه المسافة القصيرة . وقبيل الحرب الكبرى وفد على مصر الطيار الفرنسي « مدرن » محلقاً بطيارته من فرنسا الى مصر ، فاحتفت به القاهرة احتفالا باهراً اشترك فيه الشعراء والكتاب ، ثم أعقبه بعد ذلك عدد من الطيارين العثمانيين قادمين من البلاد التركية ، فهبّ المصريون الى الاحتفال بقدومهم بعد أن هبّت واحدة منهم في الطريق ، وتحمس الشبان لهذا الاحتفال وكانت الفكرة الوطنية ما تزال متجهة نحو النهضة التركية . ثم كان سنة ١٩٢٦ حين اعتزم صاحب السعادة حسن سري باشا الطيران الى مصر ، ولكن الظروف حالت دون إتمام رحلته بعد أن قطع مرحلة جوية من برلين الى بلاد اليونان . ولم يمض على ذلك عامان حتى رأينا صاحب العزة احمد بك حسنين وعبد الهادي صدقي يضربان لنا مثلا حسناً في الجرأة والاقدام في عالم الطيران

ولسنا نريد من هذا سرد تلك المراحل التي قطعها الطيران منذ نشأته الى مصر إلا لنبين مبلغ هذا التطوّر الكبير الذي مرّ بهذا المخترع الحديث ، فضلا عما ناله من التقدم السريع في البلاد العربية ، وكيف اتجهت اليه أنظار المصريين ، وأعلى الشبان الباسلون على تحمله وفي مقدمتهم هؤلاء الثلاثة الافذاذ

وقد علم القراء تفاصيل رحلاتهم وما أظهروا فيها من صفات الشجاعة والاقدام والمخاطرة ، ولا سيما ما بدا من صاحب العزة احمد بك حسنين في تلك الرحلة الجوية الخطرة التي كانت عثمة تجربة شاقة لما حمل عليه من هذه الصفات العظيمة التي بفضلها اقتحم صحراء لوبيا من الشمال الى الجنوب بين لهيب الشمس المحرق ووعورة الطريق ، واجتاز المسافة من اجدابيا الى ايطاليا في فصل الأنواء الشديدة والرياح العاصفة وهو محلق في الجو فوق قمم الجبال تارة ، وبين حواسها تارة أخرى ، والسحاب يترشه ، والعباب يعلله ، وتحته عميق الهول أو أمواج البحار

تلك كانت رحلة من أشق الرحلات الجوية التي تعد النجاة منها معجزة وشرفاً في عالم الطيران. ولا ريب فان لنا أن نفخر باحمد بك حسنين الذي قطع الرحلة من لندن الى ايطاليا ، وهي أشق

مراحل هذه الرحلة ، حتى أن أصدقاءه من الانجليز عتبوا عليه وصوله الى ايطاليا بهنيئة باختياره هذه المسافة العظيمة . ولولا قرب زيارة ملكي الضحيك للديار المصرية وحتمه من تأخره عن خدمة مليكه لتابع الرحلة الجوية الى مصر ، ووصل اليها مادام لله سلماً

الطيران كوسيلة من وسائل النقل

واذا كان احمد بك حسين اشتهر بهذه الاكتشافات الجغرافية القيمة التي قام بها في الصحراء ، وعدّ لأجلها من رجال الاكتشاف العلمي الحديث ، فان في هذه الرحلة الجوية التي بدأها بها ما يشجعنا على الاعتماد برأيه وصحة اختياراته في الطيران ، على الرغم من أنه لم يزاول ركوب الطيارة غير ثلاثة اشهر

قلت لحضرته : « هل يسمح طيارنا الجغرافي بابداء رأيه في الطيران كوسيلة من وسائل النقل ؟ »

فقال : « الطيران أهم وسيلة من وسائل النقل يمكن الاعتماد عليها في جميع ما يحتاج اليه الافراد في الانتقال من مكان الى مكان ، فقد أصبح محل التقدم العظيم الذي وصل اليه في العصر الحاضر من أسهل الوسائل لنقل المسافرين والصنائع الخفيفة والبريد ، وهو في الوقت نفسه مفيد من الوجهة الاقتصادية والوجهة الاجتماعية بتقريبه للمسافات الشاسعة وقضائه في الوقت ، ولا سيما في البلاد ذات المسافات الطويلة كالولايات المتحدة . ولا بد أن يصبح وسيلة لا بد منها للمدن من حد الى حد ومن قطر الى قطر ، غير أنه يكاد يكون قليل الفائدة في بلاد قصيرة المسافات كانجلترا العظمى ، فان الانتقال بالطيارة في مثل هذه البلاد لا يوفر من الوقت ما يوفره في البلاد من نيويورك الى سان فرنسسكو

« أما مصر فانها بالنسبة الى اخواتها البعيدة على حدود [illegible] والانتقال بالطيارة فيها مفيد من جميع الوجوه . ويساعد في انتشار الطيران فيها اتساعها وقلة كثافته ، وسهولة أرضها المستوية ، فان جو مصر من أصلح الاجواء للطيران لخلوه من السحب الكثيفة والرياح العاصفة ، وأرضها منبسطة لا يتعرض الطائر فيها لشوامخ الجبال ، ولا يرى ما يراه في غيرها من العوائق والاخطار »

أخطار الطيران

قلت : « هل هذه الاخطار التي تذكرونها كثيرة الوقوع بالنسبة للطيارات دون السكك الحديدية ، وما هي أهم هذه الاخطار التي يخافها الطائر ؟ »

فقال : « تحدث للطيارات عدة حوادث خطرة ، ولكن اذا قارناها بما يحدث لقطارات السكك الحديدية فاننا نجدها أقل منها ، وقد عملت أخيراً مقارنة بين أخطار الطيران وأخطار السكك الحديدية في انجلترا ، فظهر أن نسبة الاولى الى الثانية قليلة ، وعلى ذلك اذا انتشر الطيران فاننا نجده من السهولة وعدم الخطر بحيث نعتمد على ركوب القطار والباخرة

« أما أهم ما يخافه الطيار أثناء طيرانه ، فهو الضباب ، لان الطيار اذا وقع في منطقة منه تعسر عليه أن يرى ما أمامه ، فيكون إذ ذاك رهن الخطر باصطدامه بأحد الجبال . وقد حدث أن دخلت بطيارتي في منطقة من الضباب وأنا أعبر الى أحد الاودية ، فأعلق عليّ الطريق ، وكان بيني وبين قمة أحد الجبال ثلاثة أمتار فقط بحيث لو جاءني اتجاهي في هذا المكان لاصطدمت بالجبل

« ويلي الضباب في الخطر شدة الرياح العاصفة ، فانها تحمل الطيار على متابعتها أيا شاءت ، وهي بعظم الخطر على الطيار اذا وقع بين جبلين متقابلين ، فان أي انحراف في السير يؤدي الى هلاكه . واذا أراد النزول في مثل هذا المكان فانه يتصدر أو يستحيل عليه خصوصاً اذا كان تحته ارتفاع واحتباس . ثم يلي هذا الخطر وقوف المكنة فجأة أو حدوث خلل فيها لا يستطيع اصلاحه وهو عالق في الجو وغير متمكن من النزول لعدم استواء الأرض أو أن يكون تحته ماء ، وعندئذ إما أن تقع الطيارة بصاحبها دون أن يموت ، وإما أن تتحطم ويذهب ضحيتها . وربما كان من الفكاهة أن أذكر لك ما حدثني به أحد الاخبار عن نزول الطيارة ، فقال : « النزول ثلاثة أنواع نزول حسن ، وهو يكون اذا نزلت الطيارة والطيار سالمان ، ونزول رديء اذا انكسرت الطيارة وسلم الطيار ، ونزول رديء جداً اذا تحطمت الطيارة ومات الطيار » . . .

كيف يتخلص الطيار من الخطر

قلت : « وما هي الصفات التي يتدرع بها الطيار للخلاص من الخطر ؟ »

قال : « الاتزان ورباطة الجأش وامتلاك الاعصاب بحيث لا يحمل للخوف سبيلا الى التغلب عليه حتى لا يضعف أمام الخطر وكره العاقبة . واذا علمت أن الحوادث تقع فجأة وبسرعة هائلة استطعت أن تقف على ما ينبغي للطيار من الاسراع والتصرف السريع في جزء من الثانية . وقد ظهر ذلك في الحادثة الهائلة التي وقعت للطيار الايطالي « كابروني » الذي صار طيارا في قسم ابتداء سفري من نابولي ، فانه عند وصوله الى طيره على خطر عظيم ، فتعذر عليه التصرف براعته في تداركه وأفضل قبل اصطدامه بالأرض البيت الحكومي على مقدار ٢ كيلو متر في ٩ على ٢٠ من الثانية ، ولكنه سقط بالطيارة وقتل هو والمدعوه الذي كان يصحبه رحمهما الله

« وقد وقع لي بعض الاخطار من هذا القبيل ومرة إذ كانت الريح شديدة والامطار تنهمل علي والجبال تحيط بي من جانبين ، ولكن تعالى الله وتعذر علي الحصول على مأمن وهدوء لم يحملا للارتياح سبيلا الى نفسي ، وبذلك أمكني أن أختار هذه الطبقة بسلام »

الطيران والجغرافيا

قلت : « نعلم أنك عالم جغرافي ، ولكن بما أنك ذكرت أنك في هذه الغزة القصيرة التي قضيتها في الطيران أحطت بكثير من معلوماته ، فهل تسمح لنا بعد ذلك أن نسألك عن فائدة الطيران بالنسبة الى الجغرافيا ؟ »

فأجاب : « الطيران من أهم الاشياء التي تساعد على الاكتشاف ومعرفة البلاد وحدودها معرفة صحيحة ، فان من السهل أن يطير الانسان على جهة من الجهات ليكتشفها ويعرف حدودها . وقد ظهرت فوائد الطيران في اكتشاف القطبين ، فلولاه لما أمكن هؤلاء العلماء أن يقوموا بهذه الاكتشافات الخطيرة في تلك الاماكن القاصية التي يستحيل على البواخر اجتيازها . وربما كان الشيء الوحيد الذي دفعني الى تعلم الطيران هو نظري اليه باعتباره مساعداً لي على بلوغ آمالي الجغرافية ، ولا شك أن في الطيران لذة خاصة يشعر بها الطيار أثناء تحليقه فوق الاراضي ، فانه

يرى البلاد والانهار والبحار وسائر الاماكن التي تحته كأنها مرسومة على خريطة كبيرة في شكل حقيقي جميل . وهذا لا يراه المكتشف اذا سار بواسطة الحيوان أو القطار والسواخر »

خطوط طيران بمصر

قلت : « لقد شوقتنا يا صاحب العزة الى الطيران حتى عرمنا به ، فهل تسمح أن تدلي الينا برأيك في إنشاء خطوط للطيران بمصر ؟ »

فقال : « مصر من أصلح الاقطار للطيران لانبساط أرضها وهدوء جوها ، فمن السهل جدا انشاء عدة مطارات في كل جهاتها ، وربط أجزائها بخطوط هوائية منتظمة لايحدث لها من التعطيل ما يحدث مثلها في أوربا بسبب رداءة الجو . وبذلك تستفيد البلاد من ورائها اقتصاداً في الوقت وتوفيراً في النفقة . ولا ننس أن مصر تكاد تكون أكبر محطة هوائية في العالم ، وهذه الصفة حازتها لمركزها الجغرافي بين ثلاثة قارات كبيرة ، ولذلك فهي المحطة الوحيدة التي ترتبط أجزاء هذه القارات ببعضها ، فمن الفوائد التي يجني من ورائها الخير أن يكون للطيران فيها أهمية خاصة ، وأن ينتشر بين أرجائها ، وتنشأ له المطارات والخطوط »

وسائل نشر الطيران بمصر

قلت : « إذن ما هي الوسائل التي نستطيع بها أن ننشر الطيران في مصر ؟ »

قال : « إن البلاد المصرية فيها الاستعداد كل الكفاية لنشر فكرة الطيران بين أبنائها ، وإن إنشاء نادي الطيران بمصر من الوسائل الناجعة في تشجيع هذا الفن وإقبال الشبان عليه ، وأنا أرجو أن ينتج النادي النتائج المنتظرة له ، وآمل أن تلتحق مصر قريباً بالاتحاد الدولي للطيران ، فان ذلك من العوامل المهمة في تحرير هذه الفكرة وجعلها جزءاً من دولية فجعل مصر مركزاً معدوداً

« غير أنا في حياتنا الجديدة في الطيران يجب أن يكون ابتداؤنا منتجاً ، بمعنى أنا اذا منحنا شهادات في الطيران ينبغي أن نراعي الدقة والتشديد في الامتحان حتى نخرج لنا طائفة تستطيع أن تقوم بمهمتها دون ان تعثر في مفتتح الطريق ، لنسلم من القيل والقال اللذين يوجههما الينا الغربيون اذا عجز أحدهم عن القيام ببعض الاعمال التي يقومون بها »

* * *

وهكذا قد اعتصينا حاتاً كبيراً من وقته ، فاستأذنا من عزته وانصرفنا ونحن معجبون بهذه الشخصية البارزة التي اشتملت فيها المرأة والشجاعة والاقدام ، وتحلت برقة الحاشية ووراثة الطبع ودعة الخلق ، حتى ليحار من يرى احمد بك حسين في هدوئه ووقاره انه ليس ذلك الرجل الكبير الذي يستهين بالمخاطر ويتغلب على شراسة الحوادث بين عنيت الهواء وعواصف الصحراء

طاهر الطناحي

التربية المشتركة بين الجنسين

بقلم الاستاذ الدكتور منصور فهمي

ليس بين كتابنا من هو أعلم من الدكتور منصور فهمي بشرق هذا البحث الخطير الذي تضاربت فيه الآراء وكثرت المذاهب . وقد جاء بحثه هذا جامعاً وافياً ، عرض فيه آراء الغربيين ثم حكم عليها ، وخرج من دراسته كلها ان رأيه الخاص في هذا الشأن ولا شك أن قراءنا سيقدرون هذا المقال القيم [المحرر]

تمهيد

مسألة اشتراك الرجل والمرأة في معاهد التربية والتعليم أو الفصل بينهما هي من المسائل التي شغف بها علماء النفس والتربية وبهتم بها الناس جميعاً . وفي الحق انها مسألة كبيرة لا يستطاع بحثها بحثاً علمياً صحيحاً إلا إذا تيسر للباحث أن يتخلص عند الطاقة البشرية من تأثير الآراء المتناقضة المتصلة بهذا الموضوع فلا يتأثر بدعوة القائلين بوجوب المساواة بين المرأة والرجل ولا بزعم خالفيهم القائلين بتفوق الرجل وبخصائص لا توجد في المرأة . وكذلك لا يتأثر بما يجري إلى القول بعدم سلامة الخلق والتربية الا عند الفصل بين الجنسين تماماً ومهدت لها سبل الاختلاط

وعلى كل حال نجد ما يسمح ببحث هذا الموضوع أن نلخص آراء المختلفين وأدلة خصومهم ثم نحكم على تلك الآراء والأدلة بما يبدو لنا صحيحاً

أهم آراء القائلين بالفصل

يعتمد أنصار الفصل بين الجنسين في معاهد التربية والتعليم على تقرير وجود الفروق الجسمية والعقلية بين المرأة والرجل ، فلا يستطيع مع ذلك أن ينفي أحد الجنسين العلم على نحو ما يفيده الآخر مع اختلاف القدرة في تحمل كمية العلم وأنماطه المختلفة . والأمر عند أنصار الفصل ليس قاصراً على ثمن الجهود ولكنه يتعدى ذلك الى تقرير عدم تساوي القدرة في استيعاب مختلف العلوم لاختلاف في درجة الفاعلية للجنسين حيال شتى الفنون والمعارف . ومثل هذا الرأي يقول به « ستانلي هول » الأمريكي ومن يحذو حذوه

ولا يعتمد عليه كذلك أنصار الفصل إعتقادهم بأن كلا من الجنسين فيه تكميل للجنس الآخر . ولكي نتأكد بين الجنسين هذا التكميل الذي يتم عند تكوين العائلة يجب أن يشتد التجاذب وتقوى الميول بين الطرفين الذين في كل منهما تمام للآخر ، ولتقوية التجاذب وتمنى نجس الرجل أن يتبادى في رجولته ، وكذلك تتبادى المرأة في توفير صفاتها وكمالاتها الجنسية . فاذا أسرف في الاختلاط وكثرت معايشة الرجال للنساء قد يخشى أن تضعف صفات الرجولة ، وكذلك تضمحل

صفات الأبوة ويتأثر من هذا الضعف ما يدعي أن يكون بين الجنسين من الحب والتراحم . وهذا رأي يقول به « فورستر » الالماني ومن يسير سيره كذلك يذهب الاستاذ الدكتور « ريدي » الانكليزي ، بل ذهب هذا الاخير الى مدى أبعد حتى رأى أن التربية المشتركة لا تضمر مساوئها على تعطيل السير في الكمال الجنسي واضعافه ولكنها تعري الى تنقط عوائر جنسية ذات آثار سيئة اذ هي كمنت أو اذا أرخي لها لزمام ، وعنده يكون الخير كل الخير في عملة العوائر الجنسية فلا تنقط إلا عند مناسباتها وفي مواقيتها المشروعة . وكذلك يرى الدكتور « ريدي » أن في التربية المشتركة ما ييسر إضعاف الارادة عند الرجل وحل عزمه وتضييق دائرة حظه من الأنس والشدة الجديرين بمظاهر الرجولة وفي التحمس المناسب لصعب الحياة

والقول بفصل الجنسين عن بعضهما في حظائر التعليم الذي يقول به أمثال « ستانلي هول » الاميركي و « فورستر » الالماني و « ريدي » الانكليزي يجد قبولا عند دهماء الناس بطائفته لميولهم الظاهرة في آرائهم السائرة وأقوالهم الدارجة في العرف . ولطالما سمعنا من بعض الناس من ذوي أهل التراحي والسوقة بأنهم تربية نساء أو من يسرف في محالستهن ، ولطالما عرفنا من بعض الآباء من العامة من يفزع صغار الصبيان اذا هم أسرفوا في مراملة الفتيات الصغيرات أو القرب منهن وكأنهم يتوجسون بذلك شعورهم بأن كثرة الاختلاط بين صغار الجنسين مسبب لتقويض مظاهر الرجولة

أقسم آراء القائلين بالتربية المشتركة

أما من يؤثرون جمع الجنسين في كل مراحل التعليم ، فأقوى ما يعتمدون عليه من الادلة مستمد من نظريات الدكتور « وود » ويقول بها الاخرون إلا في الصغار منذ نشأتهم عوائر وميولا جنسية قد اختصتهم بها الطبيعة حتى ان لكل جنس من عند البصولة على الجنس المقابل . وتترجم هذه الميول عند الصغيرات بمظاهر الدلال والصدود والتأنق ، وهي ذلك ضرب من الاعراب عن الشعور الجنسي ، ولكنه اعراب على صورة تتناسب مع أعمارهن . وكذلك يشاهد في الاطفال نوع بريء من التظرف والتلطف حيال الجنس المقابل لا يستدل منهما الا على الاشعار بالعوائر الجنسية . وعلى ذلك ليس يحسن مقاومة الصغيرة في حاجتها الاساسية ، وانما الذي يحسن عمله هو ان توجه الميول الجنسية الى وجهة مشروعة مقبولة ، فاذا ما احتفظ الصبيان منذ الصغر وتحولت العوائر الجنسية الى أساليب للغزل البريء واصطناع الاناقة والتحمل اللائق بكل جنس والتعاون في الاعمال المدرسية والاشتراك في الاغاني والرقص والملاعب فان كل ذلك يلطف حدة الطبائع الجنسية في كل من جنسي الرجل والمرأة ، بل يرفعها الى مظاهر سامية لا يتسبب عنها ضرر ولا ضرار . وقد يذكرون لتأييد مذهبهم في ترجيح خير الاختلاط ما يقول به بعض المشتغلين بطبائع الحيوانات من علمائها من دلالة المشاهدة والتجربة على ان الحيوانات التي يفصل بين ذكورها وأنثاها تصبح احدّ في ميولها الجنسية من التي يعيش انثاها وذكورها معاً

وفصل الجنسين على رأي القائلين بالجمع فيه مقاومة للطبيعة لا تموته دون أن تتنقم لنفسها

شر انتقام في أمراض النفوس والاجساد بألوان من الانحرافات الجنسية لها أبلغ ضرر في نفوس الناشئين وفي أجسامهم

ومن آراء أنصار الجمع خلاف ما تقدم انهم يجدون في التربية المشتركة ما قد يعين الذكور على تلطيف الخشونة الخاصة بجنس الرجل وتبيين القسوة المتصلة بطبائعه . وذلك وصول شيء من رقة النساء الى تلك الطبائع عن طريق العدوى العصبية ، وكذلك يستفيد النساء من وفرة خلطة الرجال فتغدو حاسيتهن وتقوى أمزجتهن ويصرن الى الصدق في مظاهرهن بالتخلص من الكثير من التكلف المملوء والحيل الكاذب الرخيص . وعلى الجملة في الخلطة تتعدل مظاهر الرجال ومظاهر النساء وتكتسب الحياة الاجتماعية من السير الى التوازن والاعتدال

تمحيص ونقد

ومما تقدم يتبين للقارىء مخارج من أهم أدلة المفرقين من أنصار الفصل أو الجمع بين الرجال والنساء في معاهد التربية والتعليم

على انه عند تمحيصنا يحق لنا أنها مع اختلافها لا تخلو من مواضع للتصويب أو موضع للتجريح . ومهما يكن من أمر صوابها أو شططها فقد لا يترتب عليها كل الفيحة التي يريد الوصول اليها كل من الفريقين المختلفين من أنصار الفصل أو الجمع

وذلك لأن ما قيل من الفروق الجسمية والعقلية بين الرجل والمرأة ، مما لا شك فيه ، قد يترتب عليه رجحان الفوز بمواضع معينة لكل جنس . وهذا الفوز لا يتم في مدة الدراسة وفي اختلاف المواد التي يدرس وفي اختيار المهيئات التي تخلف أثر الحياة العاملة والتلقين وغير ذلك . وفي الواقع قد كان يلاحظ منذ زمن ليس بالقريب في الولايات المتحدة في بعض مدارس البنات المختلطة بالبنين تفوق البنات في أول الأمر . وكذلك يجب أن تختلف بعض مواد الدرس للذكور عن الاناث فقد تكون بعض الموضوعات معينة من الكيمياء أو من التربية أو من قواعد الصحة أكثر من حاجة الرجل الى هذه الموضوعات . وان الرجل كذلك قد تكون حاجته في بعض نواحي العلوم والفنون التي تهيئه لمستقبله والاعمال اللائقة به أكثر من حاجة الفتاة . وقد يكون في الالعاب الرياضية والاعمال اليدوية التي هي من أهم موارد التعليم ما هو أنسب لجنس دون جنس . وقد يلائم المعلم المتعلمة أو المتعلم بأسلوب يختلف بالحظ فيه حساسية الفتاة والظروف الخاصة بها ، وهكذا نجد ان اشتراك الجنسين تماماً في مسائل التعليم ليس هو المثل الاعلى وان كان رجال التربية الحديثة يرعون في ملاحظة الفرد عند تعليمه في مجموعته ومشخصاته الفردية الخاصة فمن باب أولى يجب أن يراعى المميزات الخاصة لجنسي الرجل والمرأة . واذا أضفنا الى ما تقدم ما هو مقرر من ان نمو الفتاة عقلياً هو أسرع بنحو سنتين تقريباً من نمو الفتى ، وذلك من حوالي سن الثامنة الى نحو الثالثة عشرة فلا أظن أن حجة القائلين بأفراد تعليم لكل من الجنسين هي أصح من حجة خصومهم بل هي أقوى وأقرب الى الحق والواقع

أما ما يقال من ان الجمع بين الذكور والاناث مضعف لأنوثة المرأة ورجولة الرجل فقد يكون صواباً بالنسبة لشق الاول على انه رغم صوابه في شقه أو في كله ليست تؤيد الشاهدة

كل النتائج التي ينتهي اليها القائلون بهذا الرأي من ضعف الناحية الرعوية فيها بين الجنسين أو من ضعف أسباب الدرس والرحولة والمقاومة في الرجال. ومن الادلة على ذلك ما نراه من الاختلاط في القرى دون أن ينشأ من ذلك ضعف في الناحية الجنسية أو في بأس الرجال وشدتهم وتحملهم لصعاب الحياة وعندي ان مثل هذه الآراء عند تمحيصها الدقيق لا تقيم وزناً لفريق دون فريق

أما الذين يقولون بجمع الجنسين في حظائر التربية تفادياً من حدة الميول الجنسية عند فصل الجنسين ومصارعتها فقد رأى انه اذا سلمنا بذلك فلا نسلم ان وفرة الجمع بين الجنسين ليست هي الطريق الوحيد المأمون لتخفيف الحدة المقول بها أو دفع مضار الكبت، واننا في مقدور المربين ان يجدوا مختلف الوسائل التي هي أسلم عاقبة من الجمع لصرف كل من الجنسين الى غير التفكير في الامور الجنسية. ويكون ذلك بتسييرهم وتوجيههم الى مختلف الامور التي تصرف الناشئين عن الانشغال بدواعي الغرائز الجنسية ليتوفروا على ما يرفع النفوس ويعليها وتنوى به الاحكام

النقد والتعليق

إذن يتبين لنا مما تقدم من نقد وتمحيص ان أو ما يرجح فصل الجنسين هو فيما يرجى من الفائدة عند تكييف التعليم بما يناسب مع قوى كل جنس وخصائصه من حيث قوة العاطفة أو ضعفها لأصناف العلوم وفروعها ورغم ما يبدو من [illegible] في الرأي [illegible] العناصر من الجمع بين الذكور والاناث في معاهد [illegible] وفي جميع أدوار [illegible] الامر عند ما يبدو له تفاوت الفاعلية بين الجنسين

أما ما يقال عن المساواة [illegible] الاختلاف الذي يحصل من تعدد كل جنس عن الآخر وحجته عنه سواء [illegible] في [illegible] أو في حياته أو في الحياة الاجتماعية، فانا نقول إن مبرر الافراد في عمل الجنسين لا [illegible] الخصوصي المتبعة في جمع الجنسين في جميع أدوار التعليم. وكما أن الافراط في العزل والتضييق في وسائل الحيطة قد يترتب عنهما انحراف فقد يترتب كذلك أسلوب من الانحراف عند العزوف عن توفير الحيطة

وعندما أن ما قد يذكره أنصار الجمع لتبرير رأيهم ومصلحة مذهبهم من أن بعض المدارس الابتدائية التي تتوخى تجارب التربية المشتركة كمدرسة « أوبرلين » و « فيكرسدورف » تقرر انه لم يترتب من جمع الجنسين ما هو موضع الخوف على سلامة الاعراض رغم ما يقوم به التلاميذ ذكوراً واناثاً من بعض التمرينات الرياضية وهم شبه عراة الاجسام ورغم انهم يسبحون معاً في النهر أو البحر. أقول عندنا ان هذه الأمثلة التي تساق لتكون أدلة لصالح مذهب الجمع لا تؤدي إلا إلى توكيد ما نذهب اليه من أن المبالغة في هذا العزل قد يكون مدعاة لأسلوب من الانحراف. وذلك لأن الجنس الذي يفقد حالة الخجل خصوصاً جنس المرأة لا يكون فقدانه لها إلا ضرباً من الانحراف، والخجل أمر طبيعي للانسان ومظهره في المرأة أكثر من مظهره في الرجل وربما يكون في الاشارة إلى حالة الخجل والنظر الى التربية المشتركة من ناحيتها ما من نتائجه ترجيح جانب الفصل بين الجنسين في معاهد التربية والتعليم. ودون أن أتعرض لدرس حالة الخجل عند المرأة وما قد توصل اليه تلك

الدراسة النفسية والاجتماعية في موضوع بحثنا فاني أرجح أن الآراء المعتدلة والنزعات المتصلة بها هي أفضل أثراً عند تطبيقها في مسائل التربية

وعلى ذلك نرى ان الصرر يمتنع في الجمع بين صغار الذكور وصغار الاناث في أوائل أدوار التربية والتعليم على شرط مراقبة ذوي الوراثات الجنسية المنحرفة ومرضى النفوس من الصغار ووجوب عزلهم عند تبينهم في خطائر التعليم في هذا الدور الاول

أما الدور الثاني من التعليم الذي يتمثل بحاصة في مدارس الثانوية والاقسام العالية من المدارس الابتدائية ، فنرى ان الجمع قد يترتب عليه جملة أضرار بعضها قد يكون خلقياً وبعضاً من جهة التربية وبعضها علمياً من جهة التعليم نفسه ونوصي كما أشرنا الى ذلك في قول سابق بضرورة مراقبة المعلمين وشدة اليقظة في أمرهم ووفرة العناية بكل ما يتصل بهذا الدور من اختيار العلم وأساليبه وشدته

وأما الدور الثالث في التربية والتعليم الذي نجد مظهره في المدارس العالية والجامعات والذي يبدأ فيه فهم الرشد وسن النضج والذي يتميز بالوسعة في حرية اختيار المواد العلمية الموافقة للميول فلا نجد بأساً من ترك أبوابه مفتوحة للنساء والرجال في صعيد واحد

وما شاهدناه في ذلك في أوربا وفي مصر لم ينتج منه إلا ان الطالب أو الطالبة في دور العلم العالية يقدرون ما يترتب على كل عمل من أعمالهم من النتائج الخلقية ويعلمون طريق الخير وطريق الشر ويفهمون معنى الفضيلة ومعنى الرذيلة وهم من حسن تربيتهم في معنى ومن سلطانهم على أنفسهم وحسن أخلاقهم ما يزيل كل سوء للحفلة ويحترس من وقوعه

منصور فهمي

أمثال وحكم غربية

* في الغناء سرور وفي الواجب عبء
* اذا كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب (وعندنا — « إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب »)
* الشهوات تضع تحت الاقدام كل حساب
* الورد يسقط والشوك يبقى
* في التفهقر من الشجاعة أحياناً ما ليس في القتال
* قلما يستحيل شيء على الجد والحذق
* يتغلب على الشر الذي لا يمكن تجنبه باستقباله بالصبر
* الحق كالزيت يطفو على الدوام
* السعادة تجلب حب الذات
* التفكير في الحب هو اضاعة الفكر

مصر المستقلة قبل الفتح العثماني

بقلم الاستاذ ابرهيم بك جلال مدير ادارة المطبوعات

[على رأس ادارة المطبوعات الان أديب كبير وعالم جليل هو الاستاذ ابراهيم بك جلال . ويسرنا أن نقدم الى القراء هذا الفصل الشائق من كتاب « مصر المستقلة قبل الفتح العثماني » الذي يتم حضرته بتأليفه]

تمهيد

كانت مصر مستقر العالم ومستودع المالك ومنتقى رغبات العروش مما تقلب عليها من دول وتوالى من حقب وما انطوى عليه أديمها من ملوك حتى لقد أصبح تراها من مبين ظلك وصريح المتوجين

وللعالم معاذيره في الافتتان بها فهي بهجة الدنيا وزينتها فيها ووادية سهل منبسط وبحارها الضاربة شمالا وشرقاً

وقد صار حقاً علينا نحن اوارثين مجدها الرافعين في محموجة وغدها أن نكون أبرّ البنين بها فندفع عنها قالة القائلين من الذين يعزون منها من عهد الآباء الاولين من فدماء المصريين قد فقدت استقلالها وخصبها الفرس فاليونان فالرومان فالعرب قالت

ولكل التاريخ لا يزال بيدنا وهو يشهد بحق أن مصر ساقت لمدة الاستقلال عصوراً طويلة وأجيالا عظيمة ، في العصور الوسطى حين كانت أوروبا وآسيا وأفريقية تصطدم في حروب طاحنة فكانت الحروب الصليبية تحصد الاسماء وشرق أوروبا من أيدي ملوك أروم الشرقيين وضياع الأندلس من أيدي العرب

وانها لاجيال لا تضاهيها أوروبا ولا الشرق بقول ما خلفت وحدت

وبينما كانت أوروبا يتشاغل بالظلام والجهل وتخترق ممالكها الجنود الصليبية في غزو الشرق كانت مصر بلا ريب دولة الشرق العظمى يمتد سلطانها الى أقصى البلاد الجنوبية شمالا ، ثم الى بلاد النوبة فبلاد لمين فالبحر الاحمر جنوباً ، ويمتد شرقها الى ما وراء الحجاز وعسابه ثم الى العراق . وكان على عرشها ملوك الشراكسة الذين حلوا صولجانها ثلاثة قرون كاملة من ٦٥٧ هـ الى ٩٢٢ هـ حين زالوا من الوجود السياسي بسيف سليم الاول العثماني

وأجل ظواهر مجدهم استقلال مصر استقلالا سياسياً تاماً

وكانوا أباة الضيم حقاً حافظوا على ملكهم تلك الاجيال الثلاثة . وما تمتعت في دول الاسلام التي عاشت في الشام والعراق وشمال أفريقية ومصر أن دولة منهم طالت أيامها وحافظت على

ملكها من الضياع كما فعلت دولة الشراكسة بمصر ، وفي عصرها ظهرت نجابة المصريين وملكاتهم ونبغ منهم العلماء والكتاب والشعراء والمؤرخون والمهندسون والخطاطون وأهل الفنون الجميلة ذلك النبوغ الذي تراه في مساجد القاهرة وكنوز دار الآثار العربية ودار الكتب الكبرى والمتحف القبطي

وكان أسطول مصري يجري في البحر الابيض المتوسط فدانت له قبرص ورودس

وفي البحر الاحمر فاخضع لجبة وزبيد من بلاد اليمن ، وشيد القلاع في جزائر قمران ووالى أسفاره الى الهند فاكتسح من طريقه عمارة البرتغاليين . ولو ترك العثمانيون مصر للسلاطين الشراكسة لكفوا عن الهند غزو البرتغاليين وغيرهم من دول أوربا ولوقفت مصر الى جانب العثمانيين في وجه مطامع أوربا

وإن القاهرة سيدة مدائن الشرق لتنبيه أبد الدهر بالمساجد التي شيدوها . فان مسجد السلطان حسن قد نهض بمشاركة يسيرة قلعة القطم في مجدها وعلاها ، كما أن مساجد قلاوون وبرقوق والمؤيد وقايتباي والغوري وغيرها وغيرها مما بنى المهندس المصري والعامل المصري والفنان المصري هي أصدق شهود على أنه كان بمصر أندلس أخرى وان النيل كان ملتقى وادي النيل الوادي الكبير ، وأن عواصمه واشبيلية وقرطبة كانت هي أشباه في القاهرة والاسكندرية والمحلة الكبرى ، وكان القطر حافلا بالسكان وعددهم ١٣ مليوناً نسمة ، كما كانت الاراضي المزروعة خمسة ملايين وربع مليون من الافدنة ، ومع وفرة السكان وكبر المساحة التي تزرع فان الصنائع والفنون كانت على أحسنها

وكان من المتعذر أن يسمع بين الوطنيين باطل ، وكانت تجارة مصر في المنزلة الاولى مع أوربا والهند والصين ، وكانت جدة محط رحال الشرق كما كانت الاسكندرية موردا لتجارة أوربا

المماليك مصريون

لقد كان المماليك رقيقاً جلبهم التجاسون من بلاد القوقاز وهبطوا بهم مدينة حلب ثم نقلهم التجار الى مصر غلماناً صغاراً . وكان بالقاهرة سوق لهذا الرقيق تعقد في خان الخليلي المشهور ، وكان للسلاطين عمال يختارون لهم الصالحين من الغلمان ، كما كان الامراء والوزراء والقضاة يختارون من شاءوا منهم إناثا وذكوراً ، فيذهبون بالنجباء منهم الى المدارس يلقنونهم العلم والاخلاق والتاريخ على أساتذة من علماء مصر ، ثم يدربون على فنون الحرب وقيادة الجند ، ويلحقون على التوالي بمراتب الدولة حسب كفاية الرجل منهم ومبلغ عرفانه ، ويدرجون من مرتبة الى اخرى

فمنهم سقاة السلطان . ومنهم جماعات يدفون الطبول على ابواب الامراء والسلاطين ، وربما قضى الواحد حياته في مثل تلك المهن ، وكان الحظ يبسم لبعضهم ، فيفسح له صدر المراتب العسكرية ويدنيه السلطان متى توسم فيه النجابة والشجاعة وحسن التدبير حتى يصل به الى أن يكون من الطبقة الممتازة التي يختار من بينها سلطان البلاد

من ذلك ترى أن المماليك ما كانوا ليعرفوا لأنفسهم وطناً غير مصر فكيف يسمون أجانب عنها أو أنهم تملكوها واستعبدوا أهلها ، مع أن النتيجة المعلومة أن تكون أمة مغلوبة في حكم أمة عالية فأين هي الامة المغلوبة وأين العالية ؟

ما كان المماليك أمة ولكن كانوا افراداً اتخذوا من مصر وطناً ومن أخلاق اهلها ولغتها وعلومها وطباعها وتقاليدها زياً لهم فتقلدوه ، واقاموا مع المصريين وخالطوهم وصاهروهم وأشركوهم في الملك معهم واصبحوا لهم في كل مرافق الدولة

لقد حكم مصر اليونان فالرومان فكان للعنصر الحاكم طابع ظاهر في آداب الامة وأخلاقها وعمائرها فأين هو طابع المماليك الشركسي الذي نقل الينا بحكم النسبة ؟ لقد كان الطابع الشرقي هو المتحكم في كافة العناصر المصرية حتى في المماليك . في قصورهم وعمائرهم ومساجدهم وأزيائهم ومزاج ملوكهم وجندهم . وشهد الله أنهم كانوا قوماً متدينين ملوكاً وأمراء وأفراداً على ما كان منهم من قسوة وجبروت . وقد كان عصرهم حافلا بالأولياء والصالحين من المصريين الذين اكتسبوا اجلالهم وشفاعتهم في كثير من المصريين ، واصبحوا لنفوذهم مكفوفين عن كثير من المظالم

ابراهيم جلال

مقالات في كلمات

* الافراط في القسوة عند تربية الأولاد تكسر العقل . فاذا استطعنا بهذه الطريقة حمل شاب على ترك التمرد والعناد خرج لنا بدلا منه مخلوق حائر القوى ضعيف النفس

* إن الذي يسقط في الخطيئة انسان . والذي يندم عليها قد يكون قديساً . والذي يفخر بها شيطان

* أي الرجال تبعد به طبيعته عن الضرر الى حد انه لا يشتهيه في أحد

* اني أطيق لسعة العقارب واللثي في ساحات نار مضطرمة والموت في هوات من الجمد الدائم وأن يقذف بي في مهالك لا آخر لها ولكنني لا أطيق الحياة في الخزي والعار

* الصمت هو هيكل أنقى أفكارنا وأسماها

* السكوت أكمل تعبير بالفرح واذا استطعت قياس فرحي فان هذا الفرح قليل وضئيل

استفتاء الهلال

أهم حادث أثر في مجرى حياتي

سعادة عثمان مرتضى باشا . الاستاذ عبد القادر حمزة . الاستاذ مصطفى عبد الرازق

في هذا العدد تتحف القراء بأحوبة ثلاثة من المشاهير كما أتحفناهم في الاعداد الماضية بأحوبة بعض المشاهير عن هذا الاستفتاء المفكر الذي يعد تحفة ثمينة من التاريخ والادب والاجتماع . وثلاثتنا اليوم هم : صاحب السعادة عثمان مرتضى باشا السياسي المفكر، والاستاذ عبد القادر حمزة الصحافي الخطير ، والاستاذ مصطفى بك عبد الرازق العالم الجليل

[الهرد]

« وفقني عناية الله لأن أكون خادماً لوطني اثنين وثلاثين عاماً قمت أثناءها متنقلاً في دوائر حكومية بين ثلاثة أنواع من وظائف القضاء ، والتشريع ، والسياسة

« وكان أهم ما تأثرت به حتى أعرفه هو الهلال الذي عرفته ، ذلك أني كنت في زمرة هؤلاء الوطنيين الذين مكنهم مركزهم الحكومي من مشاركة فعلية في الاصلاحات التي قاموا بها لوطني ، والتي كانت غاية مقدرتها في سلسلة العصور الحديثة في أقرب وقت لم تعلنا التواريخ بسبق أمة أخرى مثله لا في عداد حسناتها ولا في مدى كل فيه السر في تبوئه المركز الشريف الذي هو فيه الآن وفي تهيؤ الاسباب للذكاء الفطري من الظهور والنمو والنضوج للدرجات الرفيعة ـ فيما هو مطلوب من كل فرد نحو وطنه من الفرائض والواجبات

« وبهذا أتاحت لي الفرص العدة لتقدير العمل الجليل الذي قام به احوانا البريطانيون والذي سمح لي باعتبارهم أمرّ أصدقائنا بين المصريين

« وبالرغم من شعوري للتقدم العظيم وتقديري لما يعود على وطني من المزايا العديدة اذا توفقنا التحالف معهم في السلم والحرب على قواعد عادلة مقبولة ، أهمها الاعتراف بحرية مصر ، وبالتمكين الفعلي لابنائها من مشاركتهم الحكم في السودان من غير تفاضل ولا تفضيل بين الفريقين ، فقد راعني من هؤلاء الاصدقاء في أوائل سني الحرب معاجلة مدهشة أثبتت بجلاء الحكمة التي قصدها ذلك القائل :

يقضي على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

« إذ فاجأتني السلطة العسكرية بقرار يقضي بنفي الى مالطة واعتقالي في قلعة فيروزه التي هي أشبه الأشياء بقلعة القاهرة عاصمة ثلاث كردونات من مدافع وبنادق وأسلحة ، وباعتباري كأسير حرب ! !

« ولا أخفي على القراء أني عند سماعي ذلك القرار المرجح شعرت بعاطفتين متناقضتين في آن واحد :

« عاطفة ارتحن الخطير الذي يشعر بجلال مركزه، وبأنه لولا وم رجال العسكرية بأن وجوده في وطنه قد يزعزع الأمن العام الذي تحتاج اليه السلطة لسير الحرب على ما ترجوه من الظفر ، لما كان ثمة هناك ما يدعو الى إقصائه الى قلاع محصنة تحرسها قوات ضخمة تحيطها في صفوف ثلاثة متباعدة إحاطة السوار بالمعصم

« والعاطفة الثانية عاطفة الرجل المدني الذي لم يتمتع طول حياته في أي نظام عسكري ، والذي ما كان يخطر بباله أن يقع يوماً من حياته في الأسر العسكري

« وكذلك شعرت بعاطفة ثالثة هي عاطفة رجل العدل والشرائع الذي يقدر ما أحلته الشرائع وما لم تحله ، والعارف بأنها أجمعت بعا فيها القوانين العسكرية نفسها على عدم المساس بحرية غير المحاربين وغير المشاغبين من الأهلي حتى من كان منهم تابعاً للدولة العدوة التي تتحارب معها ، كما أجمعت على ضرورة المحاكمة على كل حال في حالات المخالفة للأوامر العسكرية ليس غير

« ولكني روعت بالمخالفة الصارخة لجميع قوانين العالم المتمدين . بأن صدر أمر من السلطة العسكرية بإبعادي عن بلادي الى منفاه إلى أجل غير محدود ، ومن غير سؤال ولا محاكمة ، ومن غير أن أتبين العلة التي لها ترجع [illegible] في قامت على انتهاك قداسة القوانين الدولية

وقد تبينت فيما بعد أن كل السبب الفعال المباشر لهذا لا تعد أني كنت الموظف الكبير الوحيد الذي استقال في مصر من وظائفه غير احتجاجه على [illegible] وقد رفع الخديو بأربع وعشرين ساعة ، والذي ألح عليه بالاستمرار عن الاستقالة غير جدوى ، وكنت رئيساً الديوان لعلي الخديوي

« والله يعلم أني ما كنت أقصد من إصراري على الاستقالة إلا مجرد الوفاء بالأمانة التي كانت في عنق أمام ضميري وأمام التاريخ صريحاً في إخلاصي وولائي للعرش وللوطن نفس هذه الأمانة وبهذه الصراحة التي لازمتني ملازمة الظل للشبح حتى يومي هذا . فما كنت يوماً من الأيام دساساً أو عاشاً بالأمن، بل كنت محباً للشرائع حبي لوطني،ولاخواني المصريين، وللحرية في صدق وثبات

« وهما أقول إن أمر الاعتقال لم يقف معي عند حد الارعاج والتعرض للاخطار ومقاساة أنواع الشقاء والألم ، بل انتقل بي إلى نوع آخر كان لي منه مرايا جمة قد وسعت دائرة عرفاني الى حد ما كنت أحلم به ساعة من ساعات حياتي الماضية ، فقد علمني الاعتقال ما تكون عليه « الحياة في الأسر أثناء الحرب »

« وها هي أخصص باقتضاب فيما يلي تمكيفة لقراء هذه المجلة المحبوبة ،ومنها يدرك اخواني المصريون وطنية الأمم العربية وبسالتهم وتمسكهم بحب بلادهم حتى في الساعات العصيبة التي تمر عليهم والتي كانت لتشغلهم عنه بعض الشغل فأقول :

« كانت قلعة قيرواله مؤلفة من معسكر ضخم يضم ألفي أسير وبيفاً من ملل مختلفة أهمها الألمان والنمساويون والعرب والأتراك ، وكان من بينهم الزنوس الشاب فرنسوا حوريف . وقد

فرض على جميع الاصطناف مرتين في الصباح والغروب لتنظيم عيشهم حشية الهرب

«وكانوا بالرغم من اختلاف أجناسهم كأبناء عائلة واحدة قد اتخذ كل جنس لنفسه لواءه الوطني، يخدم بعضهم بعضاً بحماس يذكر. فكان فيهم المعلم للغة الانكليزية والايطالية والفرنسية والعربية والتركية استعداداً لحياتهم المستقبلة في البلاد التي صمموا على تعليمهم فيها بعد اطلاق حريتهم. فكانت قيروانه في هذا المعنى أكبر معهد علمي عرف لا يضارعه فيها إلا النوادر من جامعات أميركا ولوندرة، وكان فيها الطاهي والحلاق والخياط والمصور والمثال وعشاب الصانع، وكان بعضهم يتفاضى من بعض أجراً تافهاً. ولم يقتصر الامر على ذلك بل شكلوا فيما بينهم جماعة تشجي أسماعهم بالآلات الموسيقية التي أنشأوها مما كان في أيديهم من أدوات طريفة حسب ما اتفق لهم الحصول عليها، فكانت تخفف عنهم وحشة الأسر من غير نزاع. وكانت قيروانه في هذا المعنى مدينة آهلة بالسكان المتحدي المطلب والدين تجمعهم غاية واحدة هي انتصار أممهم على هؤلاء الأعداء الذين يقومون في الأسر. فكنت كلما وردت أخبار تنبيء عن انتصار لاحدى تلك الأمم كالانكليز مثلاً أسمع من جميع هذه الارواح المتآلفة هتافات تصعد إلى السماء لترحبها هنيئاً وصباحها وطرباً من قلوب خافقة تهزها لو عمم السرور والانشراح التي لا سبيل لوصفها على ما كنت أسمعها وأراها مرتسمة على محيا ذلك الجمع المتحد التصاوير الراقي لهدف واحد

«وعندما تبينت أن بلاغ عبارتي سامية عن بيان ما قد أجمعت على حبرها من شعورها، تهديها إلى ما ينغي عليها عمله كما تهدي سوسنة ريان النسمة في مرساه

«كذلك عندما تبين لي هو وجب على أحد في الصين من مسرورة تعلقه الحكمة من جمع شتات كلمتهم في كلة واحدة هي [illegible] وجب التضحية أرواحاً وأموالاً في سبيل هذا الحب مهما بلغت»

الاستاذ عبد القادر حمزة

«كانت جريدة الأهالي التي أنشأتها في الاسكندرية هي الجريدة الوحيدة التي حاربت مشروع اللورد ملنر، وقررت أنه مشروع مضرّ يقصد منه بسط الحماية على مصر، وكانت في ذلك تتحدى كل من يعطف عليه، وتنتقد بعض الزعماء في سياستهم ارادة. وقد كنت في ذلك الوقت غير متشيع للمغفور له الفقيد العظيم سعد زغلول باشا، ولكن لما عاد رحمه الله في مفتتح سنة ١٩٢١ وخطب تلك الخطبة البليغة في قصر المحسنيك، وقال فيها: «إنه ليس بيني وبين جريدة الاتحادي (ويعني بها جريدة الأهالي) إلا أن تعلم اني أرفض مشروع ملنر حتى يزول كل خلاف بيني وبينها» كان ذلك أقوى ما أثر في مجرى حياتي وجعلها تسير على ما هي عليه الآن. فانني عقب هذه الخطبة التي لم أحضرها انطرت حتى وصل الى القاهرة وذهبت لمقابلته، وشكرت له هذا التصريح الجليل، فقابلني رحمه الله بما جبل عليه من عطف وأخلاق نبيلة

«وحدث بعد ذلك أن اشتد الخلاف بين سعد باشا والوزارة القائمة في ذلك العهد، فحاربت هذه الوزارة الجرائد التي كانت تناصر الوفد. وأقفلتها واحدة بعد أخرى. فرأى الفقيد العظيم

انه لم تبق في مصر جريدة تؤيده أرسل الي يخبرني بأنه يرغب أن أنقل جريدة الأهالي من الاسكندرية الى القاهرة لتكون لساناً للوفد المصري ، فأسرعت الى تلبية طلبه ، وسعيت لدى وزارة الداخلية في نقل جريدتي الى القاهرة دون أن أظهر لها بطبيعة الحال أنها ستؤيد الوفد المصري ، وبعد مساع وجهود استمرت شهرين تقريباً حصلت على التصريح ، وجئت الى القاهرة ، واتحدت الأهبة بالاشتراك مع زميلي أحمد بك حافظ عوض في إصدار العدد الأول بدار المؤيد . وكنت أحب أن تشعر وزارة الداخلية بما أنا عازم عليه دفعي التصريح الذي أعطتنيه ، فكان من رأيي أن يكون العدد الأول بلا لون سياسي حتى يصبح نقل الجريدة الى القاهرة أمراً واقعاً

« ولكن المغفور له سعد باشا أبى إلا أن يصدر العدد الأول بلون الوفد السياسي، فعملت برغبته وصدر هذا العدد ولم يحرره غيرنا أنا وزميلي حافظ بك . وعلى أثر ذلك شرعنا في تأليف هيئة التحرير ، ومكث على هذا العمل الى أن طرأ من الحوادث ما عطل جريدة الاهالي ، ولكن مبدئي استمر على مناصرة مبدأ سعد كما تراه كل يوم في جريدة البلاغ »

الاستاذ مصطفى بك عبد الرازق

« من قبل أن تسألني مجلة الهلال عن أهم حادث أثر في مجرى حياتي لم أكن ألقيت هذا السؤال على نفسي وما كنت لأتصور أن حادثاً من أحداث الزمن يستطيع أن يؤثر في مجرى الحياة

« ولقد كنت شيخاً من شيوخ الازهر أحمل شهادته وألقي دروساً فيه وألقي دروساً في مدرسة القضاء الشرعي ، ثم سافرت من مدرسة القضاء الشرعي وترك الازهر وذهبت الى أوربا أطلب العلم هناك

« ولقد اشتعلت الحرب العالمية فاضطررت الى العودة الى مصر قبل أن أنال الشهادة التي كنت منها قاب قوسين أو أدنى

« وعينت سكرتيراً لمجلس الأزهر الأعلى ثم نقلت مفتشاً في المحاكم الشرعية وانتهى بي الامر الى التدريس في الجامعة المصرية

« كل ذلك مر بي في الحياة مقترناً بحوادث قد تستطيع ذاكرتي أن تستعيدها ، ولكن الحياة عندي هي شيء وراء هذه الظواهر ومجرى الحياة الذي توجهها فيه طبائعنا ووراثاتنا وتفكيراتنا أرسخ من أن يغيره حادث طارىء مهما كان كبيراً

« ولكني وعدت الأستاذ محرر الهلال بأن أكتب اليه جواباً عن سؤاله وهو لا يزال يستحثني الوفاء بما وعدت فلا أرحمن اذاً الى عهد الشباب الأول فقد يكون في أحداثه ما يصلح على وجه ما جواباً لما سئلت عنه

« كنت طالباً أزهرياً شديد الحياء منصرفاً بكليتي الى دراستي وتأثرت في أول أمري بأشد الأوساط الأزهرية رجعية وجموداً، ثم اتصلت بالشيخ محمد عبده فتأثرت بدروسه وآرائه واصطدمت في نفسي تلك النقطة الفكرية التي نبه الشيخ محمد عبده في عقول تلاميذه بما كنا نتلقى عن شيوخ لم ترضيا معارفهم ولا مذاهبهم ، ولكن ثم في نفوسنا على كل حال حباً وإجلالاً

« كنت يومئذ شاباً تتفتق عنه غلائل الطفولة ، ولم تكن سني قوية ولا أعصابي متينة من أثر الجهد العنيف في دراسة غير منظمة فعراني سأم من الدراسة في الأزهر ومن الحياة الأزهرية كلها ، واشتد هذا السأم حتى صار ألماً ملازماً وسقماً عميقاً حتى بت أن يخرجني الى غير لائق بالسداد . وكانت طبيعة الحياء تعوقني في ذلك الوقت عن ان آت مايي الى أحد

« ثم رأيت أن أكتب الى الاستاذ الشيخ عبده كتاباً أضمنه ما تنطوي عليه نفسي من ألم وهتفت بالشيخ أن ينقدني منه

« وقد نشرت مجلة المنار في العدد الخامس من المجلد الثامن في صفحة ٢٠٠ بتاريخ ٦ مايو سنة ١٩٠٥ هذا الكتاب ونصه :

« إني نظرت في أمري بعد أن قضيت ما قضيت في الجامع الازهر وأصبت من صحتي وشبابي في طلب العلم فلم أجد نفعاً مما بذلت الا مزيداً من الصور والخيالات لايغني الصبرة ، ولا يبعث العزيمة ، ولا يعد للسعادة في الحياة الدنيا ولا في الآخرة :

ليت الحوادث باعتني الذي أخذت مني بعلمي الذي أعطت وغربني

« طلبت السبيل إلى الكمال والعلم النافع ، فما وجدت الدليل ولا اهتديت إلى السبيل . وكيف أطلب الخير من بين معشر — أعيذك يا مولاي — كلهم شر . وقد هدتني اليك عناية اللطائف ولطائف العناية ، فجئتك أسألك أن تعفني مما علمك الله ولا تكلني إلى رأيي

« وهأنذا أبسط يد الرجاء اليك ولم أبسط لغيرك يداً . وأرفع اليك أعيني في الحياة وقد وضعت أملي بابك ومثلك من لا يخيب عنده الأمل » .

« كنت كتبت هذا الى الاستاذ ولم أسمع له جواباً وعلى أثر مجيء الاستاذ إلى دارنا ودعاني اليه فلم يزد بطيب نفسي بانه هو مرادي هذه المدة في أيام درسه ، وانه يرى فيّ مخايل يمدحها ولا يذمها ، ثم نصح لي بأن أستمر على دروس الازهر حتى أنال شهادته ، على أن يتولى الاستاذ هدايتي الى مطالعات في غير أوقات الدراسة . وحسبي يومئذ من العطف والتشجيع بما بدل يأسي أملاً وأحاله سآمتي عزماً ونشاطاً

« وكثيراً ماحاشت اليّ النفس في عمرات الحياة فكنت أستمد العزم والصبر من حديث الاستاذ الامام في ذلك المجلس ، ومما كتبه الي بعد ذلك في خطاب : « لك عندي خالص الدعاء أن يمتعني الله من نهايتك بما تعرسته في بدايتك ، وأن يخلص فيك سرك ويقدرك على الهداية اليه وينشط نفسك لجمع قومك عليه ، والسلام »

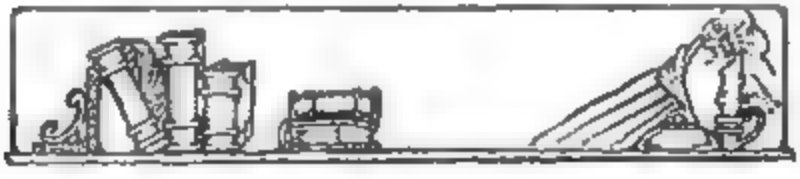

والموضوع الذي اقتبسناه أيضاً متصل عنوانه بما يحيط حولنا ، غير أن جوهره تحليق في جوّ الخيال، من عالم لا تعيش فيه إلا مفردات لسان العرب وألفاظ محيط المحيط

إنما أدعو إلى العلم والصناعة منا الى « الأدب » . وربما يدهش القراء إذا علموا أن الأدب الصحيح قد كثر في أوربا وأميركا اليوم ، ورغم كونه أدباً صحيحاً في مجموعه فان تلك الممالك الاوربية والاميركية لا ترحب به ترحيبها بالعلم . فأساتذة الكيمياء والنبات والحيوان والطبيعة وسائر « العلوم » لا يكمون ساحة المدارس والكليات ، وذلك لأن جميع المصانع والمصالح تحتاج اليهم ، بعكس زملائهم المشتغلين بالأدب

وقد كان أحد أساتذة الكيمياء يعمل في أحد معاهد القاهرة الكبرى منذ عامين ، ولما أن عاد الى بلاده النحق بمعمل الكيمياء في مصنع سكر عرتب يعادل مرتب الوزير المصري . وهذا التطوّر العظيم ناتج عن استخدام العلم استخداماً عملياً في الحياة ، بدلا من استخدام الأدب في بلادنا لأغراض خيالية غير عملية

ولا شك أن الفاصل بين العلم والأدب ليس واضحاً وضوحاً تاماً يمكن القارىء من أن يقول هذا علم وهذا أدب ، لأن الواحد متداخل في الآخر في كثير من الأحوال . فالعلم أدب من بعض الوجوه والأدب علم من بعض الوجوه . وكما أن العلم في حاجة الى أدب يحمل رسالته إلى القراء من جميع طبقات الناس ، حتى يستطيعوا الانتفاع به في حياتهم وأعمالهم اليومية ، كذلك الأدب يحتاج للعلم حتى تكون عباراته مؤيدة معززة مستندة على عمد فولاذية متينة من الحقائق الواقعية ، والآراء الواقعية التي تحسب حساباً ، وتخرج من نوعه التجارب الصحيحة ، وورثت في الموازين الفنية فوجدت كاملة

* * *

بهذه المقدمة أردت أن أمهد للقارىء الأسباب التي حدت بي الى اتخاذ العنوان السالف موضوعاً لمقالي . يسوءني أن أعتقد وأصرح أن معظم حياتنا العقلية والتفكيرية مشبعة بالأدب ، الذي أسميه الأدب الشرقي ، وأن هذا النوع من الأدب حلو في العالم من البرعة العلمية ، معدوم من الروح العلمي ، أجوف ، كثير الزهر ، عديم الثمر ، سطحي ، فقير المعنى ، منمق خارجه ، فارغ داخله .

وربما كان نوع التربية التي نشأنا عليها في مدارسنا سبب ابتلائنا بهذا الضرب من الأدب . فعلم الانشاء في معاهدنا في عزلة عن العالم الخارجي ، بل عن المعهد الذي هو فيه . فالطالب يتعلم الكهرباء ، والتاريخ ، وعلم الصحة ، والاقتصاد السياسي ، وعلم سياسة الدول ، ولكنه لا يستمد منها آراء في كتابة الانشاء ، لأن معلمه في الغالب يحد الكلام في هذه الموضوعات خروجاً عن دائرة الانشاء ، لأن الانشاء في نظره لا تتجاوز حدود « الأدب » ، وكأن هذا العلم يريد تلاميذه أن « يفكروا في فراغ » كما يقول الفيلسوف ديوي (think in a vacuum)

ومن العجيب أن الطلبة أيضاً لا يحاولون التعبير عن آرائهم في غير حصة الانشاء بلغة سليمة ، ظناً منهم أن مثل هذه اللغة خلقت للانشاء ، لأنهم اعتادوا أن يشاهدوا معلم الانشاء يعنى بحرف

اللفظ وترويق الكلام دون المعنى . فهم معذورون اذا نظروا الى الكتابة نظرة مجردة عن العلم ، وقراءة الصحف والمجلات معذورون اذا كان همهم منصرفاً الى بلاغة الكاتب ، وجلال ألفاظه ، وصحامة مفرداته ، وجمال عبارته ، وحلاوتها واسجامها ، وقوافيها ، ومحسناتها البديعية واستعاراتها ومجازاتها ، بغض النظر عن آراء صاحبها ، وطريقته العلمية في التفكير .

اني لا أعيب جمال الكتابة وبلاغة التعبير وحلاوة اللفظ ، ولكني أعيب انصرافنا الى هذا النوع من الأدب ، وبقاءنا عليه في سماء الخيال أجيالاً طوالاً ، وبعدنا عن عالم الحقيقة ، عالم الحياة والعمل . إن الشعر بديع جميل ، كذلك التصوير والتماثيل جميلة ، كذلك الموسيقى والرقص والغناء والطرب ، كذلك التفكير في الروحيات والأبدية والعالم الآخر . ولكن ، اذا وجهنا كل همنا وصرفنا كل جهدنا الى هذه كلها ، وتخاذلنا الحركة العلمية والعملية حولنا ، فضيعنا الحياة في عالم الخيال بدلاً من عالم الحقيقة ، وعشنا في الآخرة عقولنا وأرواحنا ، وان كنا في الدنيا بأجسامنا ، ويقول مصطفى كامل باشا : إن الشرق يعيش في الآخرة في عالم الابدية ، والغرب يعيش في الدنيا

وربما كانت أكبر الفروق بين الكتابة في الشرق والكتابة في الغرب ، أن الغربيين ينظرون الى اللغة كوسيلة الى غاية ، عربة نقل ، تحمل المعاني على جناح الكلمات ، أما نحن الشرقيين فننظر اليها كغاية في ذاتها . الغربيون يعدّون اللغة مطية تحمل اختبارات الماضي ، الى المستقبل ، وعلوم السلف الى الخلف ، وتنقل تجارب هم وعلمه الى أجيالهم ، ومعارفهم وشوارعها ، وأنديتها ومدارسها ، وسائر مظاهر حياتهم . أما نحن الشرقيين فنتخذ اللغة شعراً نتغنى به مدحاً وقدحاً ومداهنة ومعاملة ، وزعماً وطرباً ، ولا نعبأ به وبعلومه وعلوم الحياة الذي نعيش فيه ، ونترفق منه

ومن الغريب أن الغرب الذي كان يقدس اللغة ويتعرف في ناحية من النواحي ، فيما نجد الغرب اليوم يعبد الآلات والصناعات ويمجد المصارف والبنوك والكهرباء ، ويقدم الذبائح والضحايا للمصانع وعوض تأدية ([illegible]) والتعبد (utilitarianism) ، نجد الشرق مكباً على عبادة آلهته القديمة « الأدب » وما يتبعها من التقاريظ والمقاريض و . . . . .

• • •

صار للمغفور له السلطان حسين كامل على يخته الى الصعيد في آخر عهده ، وعند ما أقبلت الوفود لزيارته في إحدى المديريات تقدم اليه أحدهم بقصيدة ألقاها في حضرته ، جاء في مطلع أحد أبياتها ، أنت البدر . . . . ، فما كاد يأتي على آخرها حتى نظر السلطان الى الحاضرين قائلا : كذب . وعاق ، هؤلاء الشعراء يقولون ما يطابق الأوزان ، وليس ما يطابق مقتضيات الاحوال . . .

ولعل هذا القول أبلغ ما كان يمكن أن يقال في ذلك الطرف الخاص . ولست أنكر أن مثل هذا الكلام ينطبق على كثير من الشعر العربي أيضاً ، غير أني أريد أن أذكر القارىء مرة أخرى أن العلة ليست في الشعر أو في الادب الشرقي ، انما العلة في الاكثار منها ، وملء أعمدة الجرائد والمجلات والكتب بها ، مع خلوها من عبر للمعنى ، أو احتوائها على الدرر ليسير منه

لا يكفي أن يكون تمثال جميلا ، ولا يكفي أن يجرح أزميل المثال آيه في الحسن والاتقان ، ولا يكفي أن تخرج ريشة المصور صورة تزري بجمال الطبيعة ومثلها الأعلى ، بل يجب فوق ذلك أن يحمل

التمثال رمزاً ومعنى ، وأن تشمل الصورة معنى ودرساً

ألم يمثل رفائيل ، وداڤينشي ، وميشيل انجلو ، وڤانديك ، في صورهم وتماثيلهم فضائل وآراء ومثاليات تطابق مقتضى الحال في العصور التي عاشوا فيها ؟ ألم ينفخ الشاعون والفنانون في أرمان قدماء المصريين والاغريق والرومان روح بلادهم ومعتقدات أهلها فيما تركوا من اللوحات الخالدة والاحجار الناطقة ؟ الا يكاد تمثال عنتر في ميدان باب الحديد في القاهرة ينطق بالعرض من نصبه ، ويفيض معنى بعنوان النهضة المصرية ؟

كذلك الشعر يجب أن تحمل ألفاظه المدنة ، ومفرداته المسبوكة ، وكلماته المسقة ، الموشاة بالذهب على أستار الحرير ، جميل المعاني ، التي تتفق مع اللفظ روعة وجلالاً

أنظر الى الفلسفة العميقة التي تتجلى في قصيدة أبي العلاء المعرّي حيث يقول : —

صاح هذي قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما أظن أديم الأر ض إلا من هذه الاجساد
وقبيح بنا وإن قدم العهـــد هوان الآباء والاجداد
سر إن استطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً على رفات العباد
رب لحد قد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الاضداد

قرأت وحفظت هذه القصيدة كلها ، وما زلت أعيش مع شعر هذا الشاعر العظيم ، غير اني لم أدرك معانيها حق درست فلسفة سبنسر ، ذلك العبد الهولاندي الذي عاش في القرن السابع عشر (١٦٣٢ — ١٦٧٧) وعاش عيشة فقيرة شقية على الارض فصار عوداً ، وبدت العود سنبلة ، وتحمل السنبلة قمحاً وهذا القمح يطحن ويخبز خبزاً ثم يحول الخبز في جسم الرجل دماً ، والدم يتحيل نطفة منويه ، وهذه النطفة في رحم امرأة جنيناً ، وحين يولد طفلا ، وهذا يشب غلاماً فشاباً فكهلا فشيخاً . ثم يموت الشيخ ويدفن ، ويتحلل رفاته تراباً ، يختلط بالتربة ، والتربة تغذي الحبة والحبة تنبت عوداً والعود سنبلة وهكذا دواليك الى ما لانهاية له . فكأن الفيلسوف سبنسر يقول إن الحياة تسير على نظام دائري حلقي ، والانسان من التراب والى التراب يعود . كذلك يقول أبو العلاء المعري وقد عاش قبل سبنسر بتسعة أجيال (٩٧٣ — ١٠٥٨) ما لا يختلف معنى عما قاله سبنسر ، الفيلسوف الهولاندي

ولست أريد بهذا أن يكون جميع الشعراء فلاسفة ، ولكني أريد أن يكون الشعر ذا معنى ، وأن يشتمل الشعراء موضوعات اجتماعية حيوية ولا يقتصرون على الوصف . والمديح . أريد أيضاً أن يخفف الشرقيون من وطأة الشعر ويوجهون ميولهم الى ناحية أخرى من النواحي التي تنقصنا

إن كثيراً من الشعر « والادب » الذي نقرأه ونكتبه من قبل الشعر الذي كان يقال في بعض العصور السالفة ، وكانت نتيجته « . . . . فأعطاه ألف دينار »

هلم معي نقرأ عدداً من الصحف والمجلات الأوربية ، وأرني عدد القصائد التي تنشر فيها في شهر واحد مثلا . سل أصحاب الصحف المصرية والمجلات الشرقية عن عدد القصائد التي ترد اليهم فيكون نصيبها سلال المهملات ، وسلهم عن موضوعاتها والافكار التي يطرقونها فيها ؟ لست أنكر

أن الحالة أفضل مما كانت منذ بضع سنوات ، حينما كنا نقرأ عنه قصائد من نظم صراني الخفر مدحاً في معاوني البوليس . غير أني لا أزال أعتقد ، ويشاركني في الاعتقاد كثيرون ، أن شعرنا أكثر مما يجب ، وأن معانيه ضئيلة أو معدومة

ومن المتفق عليه أن اللفظ يسمو ويحرفه ويزداد تمتعاً كلما تدهور المعنى ونقص ظل العلم (Science) . وقد قال الفيلسوف بيكون في مقالته عن ملتون : « إن الشعر كالفانوس السحري ، لا يزهو الا في غرفة مظلمة ، فكما أن الصور التي يعكسها الفانوس السحري لا تظهر الا على لوحة في حجرة سوداء ، كذلك الشعر و « الأدب » لا يبدعان الا في العصور المظلمة »

واذا رجعنا الى النهضة العربية ، وجدنا أن العرب كانوا يسمون بنقل علوم الاغريق دون آدابهم ، وكانوا فوق ذلك يصونها في دولة التجار ، ويخرجونها منقحة كاملة ، ثم ينشرونها على الملأ . ويقول كاتب انجليزي حديث إن علوم العرب التجريبية أصل النهضة الاوربية ، وأضاف على ذلك أن الادب الاغريقي في ذلك العصر ، كالفلسفة والمنطق كان يعمل لتدهور الحضارة الاوربية في الوقت الذي كانت فيه « علوم » العرب تعمل لتقدمها

وقد قال بيكون منذ أكثر من سبعة قرون إني لو حيرت ، لألقيت جميع الكتب التي وضعها أرسطو ، طعمة للنار ، لان درسها لا يؤدي الا الى ضياع الوقت ولا ينتج غير الجهل

ويقول الكثيرون من علماء الغرب اليوم ما شبه هذا القول في معظم نظريات الحب والهندسة والمنطق والفلسفة ابتدعه و [illegible] علوم عليها اليوم في العلم الحديث (pragmatic philosophy) ولا أدري ماذا يقولون عن الادب الشرقي

وقد أدى ولع الشعب « بالادب » الى ضغط فظ وقهر من الحكام أحياناً في درس الألفاظ واشتقاقها والرجوع بها الى أصولها ، فقد حكي في أيام فاضل أن أحد عهده بدرس النحو كان صدمة شديدة على نفسه ، فقد قضى ستة شهور يصغي الى معلم كان يشرح عبارة واحدة لا تتغير ، تتحلص في أن « دو » أصلها « دوو » . وقال إنه كان يغلب عليه النعاس ثم يفيق فيسمع العبارة تقرع أذنيه ، وهي « دو » أصلها « دوو » . وهكذا مضت عليه شهور ، كان يستيقظ في خلالها ليلاً ، مهرولا من فراشه ، وصدى معلمه يزعجه في حلم « دو » أصلها « دوو »

ومما يدل على تأثرنا « بالادب » وتسلط الادب علينا أن أحد سراة الافاضل ، الذي له في كل مشروع خيري يد بيضاء ، تبرع بانشاء مدرسة للبنات وأوقف لها عدداً من الفدادين ، ينفق من ريعها على هذه المدرسة ، واشترط أن تمنح جوائز مالية كبيرة للفتيات اللاتي يبلغن في الشعر بها . ومع احترامي للسري الكبير ، كنت أود لو جعل شرط الوقف مقترناً بتعليم فن الطهي أو التطريز أو صناعة الصابون أو العناية بالطفل أو فن التمدية (dietetics) أو الالعاب السويدية أو الكهرباء المنزلية أو غيرها من الاشياء العملية التي تحتاج اليها الفتاة المصرية ، بدلا من الشعر ، وكلنا شعراء و « أدباء »

وقد ذكرتني هذه المسألة بعض الاميركيين الذين يحجمون عن ارسال بنيهم وبناتهم الى مدارس الحكومة الابتدائية والثانوية والتعليم فيها بغير مصروفات ، ثم ينشئون مدارس خاصة يتعلم فيها

أولادهم وأولاد من على شاكلتهم ، ويكون الغرض الوحيد من إنشاء هذه المدارس ادخال الرقص الارلندى ، أو نعناع الربي ، أو غيرهما من الاشياء التي لا تدخل ضمن مناهج مدارس الحكومة

وقد وقع نظري من عهد قريب على بطاقة كتب عليها صاحبها ما يأتي ، تحت الاسم .

« كاتب وشاعر وصحفي وأديب ومؤلف وطالب علم »

ولا بد أن يكون صاحب هذه البطاقة شاذاً ، عياً ، غير أن هذه الالقاب التي انتحلها أو استحلها لنفسه ، دليل على ما يدور في ذهنه من أحلام اليقظة ، فهو يرغب في أن يكون كذلك ، لان هذا في نظره نهاية النجاح في الحياة . وهو دليل على تأثر عقليتنا بما نسميه الادب

وقيل انه في أول عهد معهد من المعاهد عاد الحساب ، ورغ على الطلبة مؤلف في هذه المادة الدراسية على أمل أن يقفوا على أهم عملياتها . وفي آخر العام المدرسي توجه المفتش الى المعهد حتى يشهد النتيجة . ولم يكد يلم بالحقيقة حتى حبب للعلم والطلبة وجاءه لانه وجد العلم كله قد قضي في اعراب تعريف الحساب ـ الحساب هو علم الاعداد . « ال » للتعريف ، وقد تكون « ا » للحنس ، وهكذا مرّ العام بين اعراب الجملة للتقدمة ، ودرس مشتقاتها وارجاع الكلمات الى أصولها ، وضمير الشأن والمبتدأ والخبر الخ . الخ

ولا يضحك القارىء كثيراً لهذه الأحدوثة ، فان البلاغة غير العلمية لا تزال قائمة في مصر ، وان ما يشاهد يومياً لا يبعد عن هذه الحكاية كثيراً ، ومن وصف مسجد فؤاد وما ورد فيه من القفاقيع والالفاظ الجوفاء والبعد عن المعنى والحقيقة والواقع المحسوس لا ضرب من الاعراب المبوه عنه في درس مادة الحساب

ومما يؤسف له أن العدد في الفكاهة الدمي ، ولو انه نافذة قد تساوى حتى طلاب العلم ، كما يتضح من المقررات التي أوردناها . وقد سمعت من أحد كبار مدرسي ، وهو ناظر مدرسة عالية اليوم ، أنه كان معلماً للعلوم في إحدى المدارس وكان مدرس الاوكسجين . وبعد أن تعب في تحضير عدة زجاجات من الاوكسجين ، وقام تجارب عدة لأثبات خواصه وطبيعته ، أعطى طلبته فرصة لتوجيه الاسئلة اليه . وكان أول سؤال يتبرع عن البعد عن الروح العلمية والروح للخيال والشعر والادب والروحيات ، فقد كان منطوق هذا السؤال كالآتي : ـ

الاوكسجين يا أستاذ ، طاهر أم نجس ؟

• • •

إن نوع الأدب الذي نطرقه قديم جداً ، ولم يدخل عليه تغيير أو تعديل أو تحسين ، ولم يتأثر بالعلوم الحديثة ، والاستكشافات والمخترعات ، ولم يتمش مع الرقي والحضارة . ولا بد أن نعلم أن أحدث المخترعين اليوم يعدّ قديماً ، وأحدث المشتغلين بالعلم يعوقهم سوام في كل ساعة من ساعات الحياة . فالعالم الشهير اديسون يعدّ في الكهرباء « مودة قديمة » ، في حين أن اسطق الذي وضعه الاغريق منذ ألفي سنة ، يعتبر حديثاً ، لأنه أحدث ما وصل الى معارفنا عنه ، ولأنه بقي جامداً لم يزد عليه حرف واحد ، وكذلك الهندسة ونظرياتها

والطريق الوحيد الذي يوصلنا الى ان نجعل أدبنا حديثاً ، مصوغاً بالصبغة العلمية ، مطبوعاً

بالطابع العلمي ، هو أن يبدأ تأسيسنا وبناءنا في معاهدنا ، فعير من كتب الانشاء وكتب المطالعة التي لا تعنى الا بالالفاظ ، ولا تنقل الى أذهان الطلبة الحقائق والمعلومات العلمية التي تعتق أذهانهم ، وتحببهم في العلم . ان الغربيين يحبون العلم لفرحة الحبون ، كما يولع نحن بالأدب لفرحة الحبون . عرفت شاباً منذ أربع سنوات من هؤلاء « الطليين » ، كان يقضي الليالي في أميركا في الغابات يتتبع حذراً درس عنه في علم الحيوان ، ويُريد أن يضع لحياته شريطاً للصور المتحركة ، لأن كتب الحيوان لم تذكر عن حياته الا الدور اليسير

يوجد في القاهرة اليوم أحد المشتغلين بالعلم من بعثة روكفلر . ولهذا العالم حكاية واقعية طريفة . منذ عامين كان قد اكتشف جرثومة لمرض معروف في بلاد الصين ، فوضع أرقاماً من هذه الجراثيم في زجاجة صغيرة في سائل تعيش فيه ، وعاد الى أميركا عن طريق سان فرنسيسكو . ولما فتشه عامل الجمرك رفض أن يسمح له بادخال الجراثيم بغير إذن مصلحة الصحة . فلقي صاحبنا أن يترك معموداته ، الجراثيم ، في الجمرك ، حتى تتم الاجراءات ، وخطرت على باله فكرة ، فعاد الى تعبئتها في الحال ، وهي أنه شرب محتويات الزجاجة وسافر في الحال الى جامعة جونز هوبكنز ، وهناك في كليتها الطبية استخرج من معدته الجراثيم ، وقد بقي عددها بعد الولادة في معدته في فترة السفر ، نحو الثمانية

لا أريد أن تكون جميع بعثاتنا من هذا الطراز ، من الطراز الأول ، بل كل ما أريد أن تقلل من « الأدب » وتكثر من العلم ، حتى تتعلم على الأقل التفكير العلمي والدقة العلمية ، وحتى تكون كتاباتنا عنها في مصنفاتنا لا فيها ، من مركبة بأصنافها وعناصرها

وإني أختم كلمتي بعبارة موجزة من مفكر فرنسي كبير ، أذكرها هنا بهذه المناسبة ، وتفكهة للقراء ، وهي :

« انك اذا طالعت صفحة من كتاب انجليزي ، تكتسب صفحة كاملة من الآراء ، واذا طالعت صفحة من كتاب فرنسي ، تكتسب نصف صفحة من الآراء ، واذا طالعت صفحة من كتاب عربي ، لم تكتسب شيئاً »

من المقول أن هذا القول مبالغ فيه ، وأن من العبث أن ناخذ به على علاته ، ولكنه يؤلمنا جميعاً أن نعترف بالواقع ، وهو أن في هذه العبارة جزءاً من الحقيقة ، وجزءاً كبيراً . . .

أمير بقطر

السينما في خدمة الأديان

تمثيل قصص الكتب المقدسة على اللوحة الفضية

في العهد القديم قصص طالما استهوى المؤلفون الى وقائعها في وضع مؤلفاتهم . فهم يعرفون أن أروع ما يخلقه في الكتاب الروائي هو ما ينقل عن هذه القصص . لانها أصدق مرجع يرجع اليه في تصوير عبقرية الانسان كما في هذه من كل خلاق أو بريء . ولأنها الروي الذي لا ينضب في روي الى الخيال . بل الى الحقيقة . حقيقة الحياة كما هي عند فيها من قوة وضعف وليل ونهار وحب وبغض

انظر الى الكتاب العربيين الذين ظهروا منذ بدأ النهضة تنتشر في أنحاء العالم كيف كانوا يستمدون الوحي من الكتاب المقدس لوضع روايات كانت تلاقي نجاحا عظيما . ومحلت اليهم شهرة خالدة . وكيف أن الجماهير كانت تقبل على مطالعة هذه الروايات لما فيها من قصص بديع قلما نجدونه في روايات الأخرى ؟ هؤلاء الكتاب كانوا يلاحظون هذه . فقال الناس على مطالعة الكتب المقدسة لأنهم يعتقدون أن محتوياتها انما هي دروس تتلى عليهم [illegible] أولوها في شيء من الاهتمام شأنهم في عهد الطفولة حين يعمون عن حكايته وقصصه [illegible] يتضجرون من إلقاء عينها فوق كاهلهم . ولهذا لم يجد الكتاب [illegible] قصص الدين في الأدب و [illegible] في الكتب المقدسة من عظات بالغات . سوى أن يضعوه أمام [illegible] وهم يعلمون أن هذه الكتب فيها يكونون قد خدموا الاديان أحسن الخدمة . ويرقى بها [illegible] وانه له فوق أثره الأدبي في النفوس أثر ديني بالغ . وكان أن عمدوا هذه [illegible] فكتب جميع [illegible]

ابن حور

وقد جرى وأرمين سنة قدم كاتب أمريكي يدعى [illegible] لوولاس رواية اسمها « ابن حور » هتز لها العالم الأدبي حتى صارت نجاحا لم يسبق مثله في تاريخ الآداب . ويدور حوادث هذه الرواية حول اضطهاد الرومانيين لليهود واستيلائهم على بيت المقدس في عهد المسيح . ومنذ أن شاهد أفلام المسرح في أمريكا ذلك النجاح الذي حققه رواية « ابن حور » طالب بعضهم الى مؤلفها أن يصرح له باخراجها على خشبة المسرح . ولكن لأسباب دينية رفض لوولاس السماح لأحد باخراج روايته بل كان يعتقد أن تمثيل المسيح على المسرح خروج على قدس واعتداء على سمو مكانة هذا النبي العظيم في النفوس

ولكن لم يأت عام ١٨٩٩ حتى تمكن مخرج أمريكي يدعى [illegible] من الحصول على تصريح بتمثيل هذه الرواية من مؤلفها بعد [illegible] أن أذن له سمو الغاية التي يرمي اليها من اخراجها . فتكللت الرواية بالظهور على المسرح الامريكي حتى أقيمت بعد عظيم من شركات توزيع المطبوعات على طلب

منظر من رواية «بن هور» [illegible]

إعادة طبع الرواية ، فأعد إخراجها مرارا [illegible] حتى [illegible]
جرائدنا اليومية إلى العربية منذ عشرين [illegible]

وقد ظهرت «بن هور» [illegible] على خشبة المسرح في «تياترو برودواي» نيويورك في التاسع والعشرين من نوفمبر عام ١٨٩٩ ودام تمثيلها في هذا المسرح مائة وأربعة وتسعين ليلة كانت كلها نجاحا لم يشهد مثله في تاريخ المسرح الأمريكي . وذاع صيت هذه الرواية في جميع أنحاء العالم ، فتقدم أصحاب المسارح الأوربية على إخراجها . وظلت على هذه الحال تنتقل من مسرح إلى آخر حتى كان عام ١٩٢٠ فمثلت لآخر مرة في فلادلفيا ومنذ ذلك الوقت لم تظهر على مسرح آخر حتى قدر لها الظهور على الستار الفضي في الشريط الذي أخرجته شركة «مترو جولدوين ماير» الأمريكية منذ نحو أربع سنوات

ثورة دينية

ورواية «بن هور» واحدة من روايات عدة نقلت عن الكتاب المقدس وظهرت على الستار الفضي . وقد يظن القارئ أن إخراج أمثال هذه الروايات كان من السهل بحيث لا يمانع أحد في ذلك . كلا . . بل إن مجرد التفكير في إخراج أشرطة سينمائية منقولة عن الكتاب المقدس جعل الهيئات الدينية تثور في أول الأمر ضد المخرجين السينمائيين وراحت تحاربهم بكل وسيلة لإيقافهم

عند حدهم . ولو أن هذه الثورة كانت صادرة عن قوم لا تطمع المرة الدينية المحتة على نفوسهم ربما كانت قد لقيت أشد مقاومة من أقطاب السينما ولكنها صدرت عن جماعات تعتبر أن السينما حتى قبل أن يفكر أقطابها في خرج أشرطة دينية — انما هي كفر وخطيئة . وانما هي داعية الى الآثام والعدوان . وإزاء ذلك نجد المخرجين الا أن يعمدوا الطرف عن هذه الثورة ويتجاهلوها عند

على أن المخرجين عرفوا كيف يتقلون من سخط هذه الجماعات عليهم . فانهم حاولوا ما يحاولون من قصص دينية في خفة وعناية بمقتضاه روعته وجلاله . مما جعل جماعات المتدينين يبادرون الى استدراك خطئهم وتقدير الجهود التي تقوم بها أرباب السينما والجمهور نفسه لو أنه شعر أن المخرجين يريدون أن يرتكبوا أمراً منكراً ويحاولون خدعه . فانه لا بد ناثر منه وهازه كل محاولة من هذه . ولحسن الحظ عرف المخرجون كيف يحسنون التصرف في ادناء القصة . التي اعتمدوا اليها في إخراج رواياتهم . وفوق ذلك كانوا أمهر في تقديمها عن يشوهونها أو يحورون في معالمها شأنهم في الكثير من الروايات غير الدينية . كما انهم راعوا في هذه الروايات الناحية الفنية فجعلوا منها أداة للتسلية قبل أن يجعلوها أداة للتهذيب والتعليم

السينما والأديان

ولئن هناك شك بعد ذلك في ان السينما تستطيع الاضطلاع بمهمة التعليم . فقد لاحظ علماء التهذيب أن تعليم الاطفال عن طريق مشاهدة الصور أثر في نفوسهم وأقرب الى مداركهم وبرغائبهم منه عن طريق القراءة والاستذكار . ولقد أثبت رجال الدين في جميع الأديان أن الشرعة الدينية أداة للتعليم حتى لقد اقترح عليهم أن يجعلوا هذه الشرعة في السينما على أبلغ الآثار فلاقى اقتراحهم هذا كل تأييد . وان كان بعض المتدينين قد ثار عليه فان هذه الثورة لم تلبث أن خمدت

ولم تترك شركات السينما قصة من قصص الانبياء إلا وقدمت على إخراجها . وكان أول ما أخرجته من هذه القصص . قصة بدء الخليقة أو آدم وحواء .

وتبعتها قصص أخرى كانت تتبع حسب ترتيب دورها وأوضاعها في الكتاب المقدس. وكان من هذه القصص قصة لفت الانظار باهتمام إخراجها ودقة رسمها وهي « ملكة سبأ » . هذه القصة فوق كونها مثلا من أمثلة الحب العذري حيث نرى فيها كيف يقع النبي سليمان عليه السلام في شباك غرام ملكة سبأ . وكيف يسعى لامتلاك فؤادها . كانت ملاك بانطلاب الناصف فتاتان من أتباع سليمان يحتكمان اليه للفصل في أمر راعيهما حول طفل يدعي كل منهما أنه ابنها . فيرى سليمان وقد وقف أمامهما وقد أمسك الطفل باحدى يديه . وباليد الأخرى سيف اقترح أن يقطع به الطفل شطرين لأحد كل منهما شطراً منه . فتتراجع الأم الحقيقية عن ابنها للأم المدعية فكان أن رجع اليها طفلها حزاً وفاقاً

وحادثة هاتين الأمين كنا نقرأ عنهما في الكتاب فلم يكن لنؤثر عليه تأثير مشاهدتها بأعين رءوسنا . ولقد أصبحت أرسخ في نفوسنا مما كانت قبل ذلك . وما كان الغرض من ادراج الكتب المقدسة تهذيب النفوس وتلقيح الأحكام الدينية للنشء . فاقتداء المخرجين على تصوير هذه الاحكام على

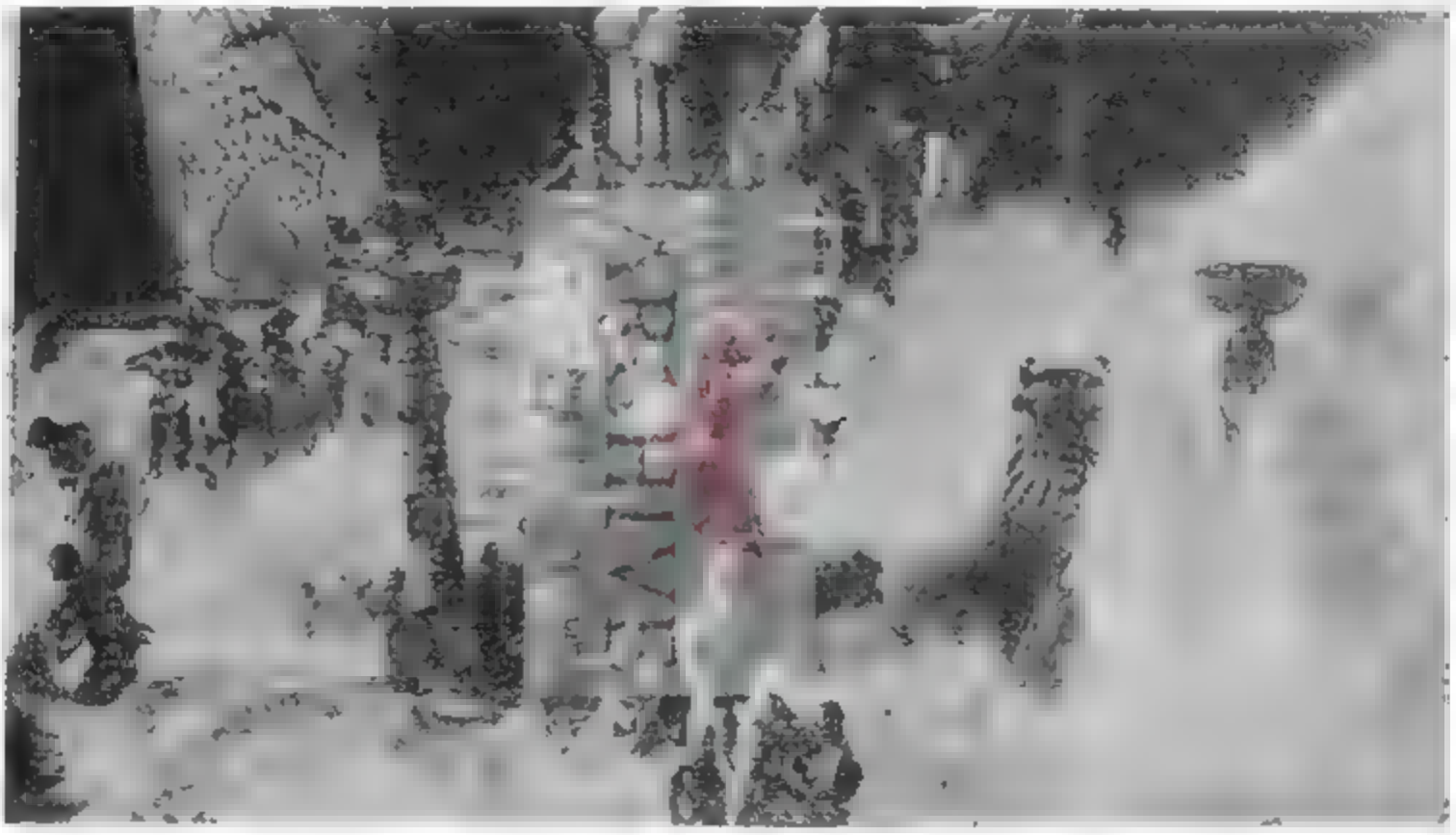

منظر من رواية « سفينة نوح » وهو يمثل احتماع [illegible] الطوفان [illegible] والناس

الشريط [illegible] في الواقع [illegible] يقومون بها في المجتمع . [illegible] رسالات [illegible]
[illegible] حديث [illegible] أنواعها المعروف في [illegible] ، [illegible] [illegible] الظهور

بين عهدين .. القديم والحديث

وكانت الاشرطة [illegible] في أول أمرها مقصورة على قصص العهد القديم . كالأشرطة ، [illegible] [illegible] [illegible] ويوسف وإخوته . ولكن المخرجين فكروا في السنوات الاخيرة [illegible] هذه القصص في أخرى [illegible] حتى تكون [illegible] أثراً في النفوس [illegible] وعدد روايات [illegible] فموضوعها يدور حول عهدين [illegible] عهد وجود الاسرائيليين في مصر في أيام النبي موسى عليه السلام ، حيث نرى كيف [illegible] [illegible] فرعون ، وكيف [illegible] في [illegible] وأتباعه [illegible] كانوا [illegible] موسى وقومه ، وكيف أن قوم موسى [illegible] هذا [illegible] حول الطور [illegible] العجل الذهبي [illegible] والثاني عهدنا الحديث [illegible] وكيف أن أحد [illegible] لا يدين بكون مثلا [illegible] والصلاح ، [illegible] الآخر [illegible] ويعبد الذهب دون الاله [illegible] ويعبد [illegible] [illegible] [illegible] أمره [illegible] كنيسة [illegible] في [illegible] مواد [illegible] [illegible] [illegible] أن [illegible] [illegible] وكان أن [illegible] [illegible] الكنيسة التي [illegible] [illegible] [illegible] والعق . ولم يبق من الكنيسة سوى [illegible] واحد [illegible] [illegible] ، فكانت [illegible] [illegible] [illegible]

وقد [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] الحديث إلى [illegible] القديم [illegible] [illegible] [illegible] قوم [illegible] العجل الذهبي [illegible] من دون الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الغضب على [illegible] من العهدين [illegible] من [illegible] على [illegible] ، [illegible] قوم موسى [illegible] [illegible]

وقصة أخرى [illegible] [illegible] [illegible] بين عهدين [illegible] [illegible] [illegible] الأثر في النفوس [illegible] قصة [illegible] المخرجين في [illegible] عهد [illegible] [illegible] في قصة [illegible] [illegible] [illegible] العهدين القديم والحديث [illegible] من الشريط الاول

وهكذا تبين للمخرجين أن الاشرطة التي تجمع بين عهدين هي التي تكون أعظم نجاحاً وأكثر [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قصة أخرى [illegible] [illegible] [illegible] الاولى [illegible] [illegible] إلى ذلك مما [illegible] المخرجين [illegible] في [illegible] [illegible]

منظر من رواية « ملك الملوك » التي صنع عرضها في القطر المصري لأسباب دينية

كيف أخرجت الوصايا العشر

ورواية « الوصايا العشر » من الروايات الخالدة التي تتمرد بعظمة مناظرها ودقة اخراجها وقد اعتمد مخرجها على كثير من الكتب المؤلفة التي تبحث في عادات قدماء المصريين وأحوال معيشتهم حتى تخرج الرواية من بين يديه طبق الأصل ليس فيها خروج أو بعد عن حقيقة الواقع

وهناك في كاليفورنيا على بعد مائتي ميل من هوليوود أقام المخرج مدينة مصرية قديمة كمدينة الملك رمسيس فرعون مصر الذي ظهر في رواية « الوصايا العشر » . وقد احتوت حوانيت هذه المدينة كثيراً من المباني والتماثيل التي تشهر بصنعها قدماء المصريين وهي تكاد تكون هذه المباني والتماثيل مصرية في الواقع . بل صنعت في أمريكا طبقاً لما جاء في كتب التاريخ المصري . على أنه لا يكاد هناك فرق في الشكل بينها وبين ما صنعه المصريون القدماء في بلادهم . فان الجدران في انحاء مدينة رمسيس التي شيدت خصيصاً للرواية يشعر كأنه في مدينة مصرية كل ما فيها مصنوع بطابع مصري

وقد شيدت هذه المدينة في بحبوحة أساسع وعمل فيها نحو ٢٥٠٠ نفس ما بين رجال ونساء وأطفال متفاوتي الاعمار ، جميعهم متفكر في زي مصري قديم والبعض الآخر في زي سرائيلي . وفضلاً عن هذه المدينة فقد شيدت غير نحو خمسة كيلو متر تكون المشتى أشباه قراهم من عملهم . وحوض كبير لماء يسع نحو ٣٦٠٠ جالون [illegible] وقد كان ما يستهلك المثلون الذين ذهبوا الى هذه المدينة في اليوم يقدر بنحو ٧٥٠ رطل من السكر و ١٢٠٠ رطل من البطاطس و ١٥٠٠ رطل من اللحوم و ١٢٠٠ جالون قهوة و ٥٠٠٠ بيضة و ٩٠٠ رطل زبدة و ١٢٠٠ رطل خبز و ١٥٠ جالون سائل غازي [illegible] الأشياء التي صنعت من ملابسهم فقدرت بنحو ٣٣٣٣ ألف بردة وبلغ مقدار المناديل والمدهون التي استعملت للتنكر نحو طنين من المسحوق وخمسمائة جالون من الحلاوين

على أن ذلك كله يتضاءل حتى الجهود والمكاليف التي بذلت في سبيل تصوير منظر الشاطئ البحر الاحمر في هذه الرواية . فقد استلزم ذلك بناء حوضين كبيرين وهيئت حوافيها بالزفت ووصلت بينهما مواسير ضخمة تتدفق منها المياه بشدة هائلة كي تساعد على تمثيل منظر الغرق ومنظر انشقاق البحر وظهورهما في أروع ما ظهر على شريط .

واجمالاً نقول إن تصوير قصص العهد القديم يتكلف أضعاف ما تتكلفه تصوير قصص العهد الحديث . وعلى الرغم من ذلك لم يحجم المخرجون عن اخراج هذا النوع من القصص فقد تبين لهم عظيم فائدته وجلال قدره . فهم كانوا يسحت فرصة لاخراج احدى هذه القصص يبذلون كل مرتخص وغال لاخراجها . والعالم من جهته يقبل عليها ويتزاحم على مشاهدتها . وفي ذلك ما يعوض المخرجين اتعابهم ونفقاتهم وما تحملهم يتفانون في خدمة الجمهور واسترضائه بكل وسيلة ممكنة

السيد حسن محمد

الحياة في سجن الباستيل

الباستيل سجن أرستقراطي لا قبر للاحياء !

بقلم الاستاذ حسن الشريف

[يعلم كاتب هذا المقال أنه يفاجيء بعض القراء بمعلومات غريبة عن الحياة في سجن الباستيل ، معلومات لا تتفق والصورة التي انطبعت في أذهان الناس عن ذلك السجن الرهيب . لذلك يهمه أن يقرر أنه اعتمد في هذا البحث على المصدرين الآتيين :

ا ـ كتاب Legendes & Archives de la Bastille تأليف المؤرخ فرنك براندو مصور مجمع العلماء الفرنسي ، ذلك الكتاب الذي نالت طبعته الاولى جائزة الاكاديمية الفرنسية ونالت طبعته السابعة جائزة مجمع العلماء

ب ـ كتاب Paris Revolutionnaire المؤرخ جورج لينوتر عضو الاكاديمية الفرنسية جزء ٤ وهو يكفي أن نقول ان هذين المؤرخين يعتبران مرجع الكتاب والباحثين في العصر الحالي]

[المحرر]

الباستيل قبر الاحياء !

من ذا الذي يذكر سجن الباستيل ولا يشعر بدنه وتتعالى في ذهنه سلسلة من الصور البشعة ، صور أولئك الشهداء الذين كان يقضي عليهم أن يعيشوا في أحجار من الارض لا يعرفون الهواء ولا يعرفهم ضوء النهار ، أحجار ترتع فيها الجرذان وترحف الثعابين وتعشش العقارب ؟ ومن ذا الذي لا تثور صدره كلما ذكر « لانود » سجين الباستيل الذي أمضى من حياته خمسة وثلاثين عاماً مطلقاً في وجهه فوق كومة من القش المذل برطوبة الارض مكبل اليدين والقدمين بسلاسل من الحديد لا يستطيع من ثقلها أن يحرك يداً ولا قدماً ؟ ومن ذا الذي لا تستقر نفسه كلما ذكر ذلك الحكم الاستبدادي الغاشم الذي كان يرجّ المحكوم عليهم الى تلك المقابر ، مقابر الاحياء ، ثم لا يحكم بموتهم ولا يتيح لهم الخلاص منها ؟ ومن ذا الذي يقرأ كل هذا أو يسمع به ولا يحمد الله الذي أنقذ قرننا من الانسانية من غلظة الاستبداد والمستبدين ؟ . . . .

خذ أي سفر من أسفار التاريخ و قرأ ما دوّنه في صفحاته عن سجن الباستيل ، فماذا تجد فيه ؟ تجد الصورة التي قدمنا وتجد أفظع منها وأبشع ، تجد صوراً وقصصاً وأساطير لو عمد الرواة الى الاعتراف منها أو الى استيحائها لألفوا منها سفراً لا يضخم وكتاباً لا يعنى . ولكن ما أظلم التاريخ تسطره الاهواء وتمليه الاغراض ! وما أخصب خيالات الجماهير تنمو فيها الاسطورة اخرافية فتزهر وتنمو وتصبح بعد حين شجرة مشتبكة الاغصان متراصة الاعصان ، فاذا حاولت استئصالها ألفيت جذوعها متشعبة في أذهان الناس حتى لترتد عنها وأنت كليل

وهل تاريخ الباستيل أو ما يطيب للناس أن يسموه تاريخ الباستيل إلا أسطورة أو خرافة أداعها « لانود » وهو « نصاب » كل رأس ماله أنه كان سجين الباستيل ، واستثمرها « لانجه » وهو أديب بائس ألقى في نشر هذه الخرافة مورداً للعيش؟ وهل كل ما حلّ بالباستيل وما سنّ

بالاسرة المالكة في فرنسا من حراك الا تحققاً لنبوءة شفاليه وكيل سجن الباستيل يوم كتب الى مدير الشرطة يلفت نظره الى الاشاعات التي تدور حول السجن، وعما قد يترتب عليها من الخطر فقال . « إن هذه الاشاعات وإن كانت كلها كاذبة ستصبح ذات خطر حدّي يوماً من الايام . وذلك بفضل تهافت الناس عليها وبفضل ما يجده مروّجوها في ترويجها من الفوائد »

* * *

تاريخ سجن الباستيل

الباستيل قلعة حربية قديمة يرجع تاريخ بنائها الى النصف الثاني من القرن الرابع عشر . وقد صيرها ملوك فرنسا فيما بعد قصراً منيعاً Chateau fort يسجنون فيه ذوي الشأن ممن يحبون عليهم ، ثم استحالت بحكم سير الاشياء الى سجن عادي هدمه غوغاء باريس في الرابع عشر من شهر يوليو عام ١٧٨٩

ولقد كانت قلعة الباستيل وعلى الاخص في القرن السابع عشر سجناً أرستقراطياً لا عار على أحد أن يسجن فيه . يؤيد ذلك ما كتبه ايطالي اسمه سباستيان لوكاتلي وهو يصف لمواطنيه رحلته الى باريس : « ان ملك فرنسا لا يسجن في الباستيل الا الذين يحوطهم برعايته من المدنيين » وما كتبه الوزير « ناري الى رميله دارجانسون « اني لا أعرف الشخص الذي حدثني عنه من الاعتبار ما يجعله أهلا لشرف الاعتقال في الباستيل » ولو شئنا أن نورد من هذه الأقوال لأوردنا منها الشيء الكثير

بيد أن أرستقراطية السجين لم تتجاوز نهاية القرن السابع عشر إذ غلف الباستيل كما قدمنا سجناً عادياً لا يتميز عن غيره من السجون إلا بأهمية نزلائه وبمستوى الى كانوا يعاملون بها فيه . حتى أن غوغاء باريس لم يجدوا في حجراته يوم دكوها غير ستة سجناء أربعة مزورين ومعتوه وخمار وفاسق اعتقل تحقيقاً لرغبة دوبه ولكنه ما كاد حبه الرئيسي يوم جمع الرعاع جموعهم وهدموا أسوار السجن الرهيب وأخذوا يحصون لاستنقاذ من فيه ضحايا المستبدين ، فاذا بهذه الضحايا أولئك السبعة، واذا بأولئك السبعة أولى الآسفين لخلاصهم من هذا الاعتقال الذي يدر عليهم الخير والبركة وطيب العيش وحسن المقام

ولعمري كلما تمثلت أمامي ذكرى ١٤ يوليو سنة ١٧٨٩ وصورة غوغاء باريس يترنحون طرباً وفي وسطهم أولئك السبعة الضحايا يحملون فوق الاسنة رأسي دلوني حاكم السجن ورءوس معاونيه ، لعمري كلما تمثل ذلك أمامي ذكرت بهيبة هذه الشعلة المتحركة المضطرمة من الرأي العام التي يسمونها الغوغاء ، وذكرت حماقة الذين يدينون لها أو لرأيها بأي نوع من أنواع الاحترام

الملك ينفق على المساجين

يقول فرنك راتاو : « أما في القرن الثامن عشر فقد كان الباستيل قصراً يسجن فيه الملك من يرى وحبس سجنه لسبب أو لآخر . وللمسجونين أن يعيشوا فيه كما يودون . فلهم أن يختاروا لمعيشتهم ما يروقهم من الأثاث أو أن يفرشوها بأثاث يأتون به من منازلهم . ولهم من الطعام ما يشتهون ، يأمرون فيؤتى لهم به أو يشترونه من الخارج لحسابهم الخاص . ولكل منهم أن يستخدم من الخدم من يشاء . واذا كان

السجين غنياً استطاع أن يعيش في الباستيل عيشة الأمراء ، واذا كان فقيراً تولى الملك أمره وصرف له من المال ما يكفيه لينفق على نفسه . وكثيراً ما تجاوزت هذه الاموال حدّ الكفاية حتى كان للسجونين يقتصدون منها ويدخرون ما يقتصدونه ليعيشوا به بعد مغادرة السجن عيشة الترف والسعة

« . . . وقد تعدّل هذا النظام فيما بعد ، فكان الملك يرصد على السجين الفقير مبلغاً من المال ينفق عليه . ولكن طالما حدث أن كان السجين يستكثر هذا المبلغ ويطلب أن يستبقى له منه جانب . وهكذا غادر كثير من سجناء الباستيل سجنهم مزوّدين بثروة لا بأس بها . ولعلنا نتبين من ذلك ما اذا كان بعض أولئك السجناء يأبون مغادرة الباستيل أو يرتكبون عقب خروجهم منه ما يعيدهم اليه ولعل ذلك يفسر قول السجين مورلنه والحراس يدفعونه الى خارج الأسوار « أحرق الله ثوب هؤلاء الطغاة الخبثاء ! » . . . .

« ولم يقف طمع بعض رؤساء الباستيل عند حدّ اضطر الملك حياله الى أن يأمر بألا يصرف اذن الخصص للانفاق على السجناء إلا فيما حصل له »

أما عرف السجن فقد طلت أشد الاشياء بعرف القصور المنيعة أو القلاع ، حتى كانت أواخر القرن السابع عشر فتحولت حوادث مرور المسجونين بطرق حملت الباستيل هرؤة الحارثين وسحرية الساحرين ، حتى لم تر حكومة بدّاً من تحويل كثير من غرفه الى غرف سجون حقيقية أحكمت على نوافذها قضبان حديدية وصدئت أبوابها بالسلاسل والاقفال

كيف يقبضون على مسجونى الباستيل

والآن لكي نمثل للقارىء تصور حقيقة الحياة في سجن الباستيل نسير بالسجين من ساعة القبض عليه الى ساعة الافراج عنه ، عارضين فيما بين ذلك الى كل ناحية في ذلك السجن العجيب

يصدر المرسوم الملكي Lettre de cachet بالقبض على فلان فيحمله ضابط من ضباط الشرطة ويسير به اليه في وسط حرسة من الجنود . فما يدخل عليه يقرأ له المرسوم ثم يمس كتفه بعصا قصيرة بيضاء فيهمس الشخص ويتبع الضابط الى باب البيت حيث تكون عربة مغلقة كعربات البلاء تنتظرها وبركان لتسير بهما الى الباستيل . وكانت التقاليد والتعليمات تقضي على ضباط الشرطة أن يسلكوا مع المقبوض عليهم خير مسالك المجاملة وحسن المعاملة . حتى أنه ما كان يخطر ببال من يشهد حادثة من تلك الحوادث أنه حيال قبض على شخص قضي عليه بالسجن ، ولولا وجود الجند الخيل الى الناس أن ضيفاً يدعو صديقه الى حفلة . وقد جاء ليأخذه من داره اليها . وإنا لنروي الحادثة التالية مصداقاً لما نقول :

حدث أن اختطف رجل اسمه « لوفور » فتاة انجليزية وجاء بها ليعاشرها في باريس ورفع أهلها أمره الى الملك فأمر بسجنه في الباستيل سترّاً للفضيحة وانهاء لعلاقة ليس في تقديمها الى القضاء ما يشرف أسرة نبيلة كأسرة الفتاة . وذهب ضابط الشرطة الى دار « لوفور » في مراسم القبض التي وصفناها حتى خيل الى خادم الرجل أن سيده مدعو الى وليمة . فلما ركب السيد الى جانب الضابط أسرع الخادم الى المقعد الخلفي وتبوأه . ولشدّ ما كانت دهشة الجميع لما وصلوا الى سجن الباستيل

وأشهروا الحادم يهبط بسرعة ويفتح لسيده باب العربة . ولشدة ما كانت دهشة الخادم لما علم أنه وسيده بين جدران الباستيل . على أنه لما أراد الانصراف قيل له : « أما وقد صحبت سيدك الى هذا المكان فيجب أن تبقى معه فيه »

أما السلاء وعلية القوم وكبار موظفي البلاط والحكومة فكان يكفي للقبض عليهم أن يكتب الملك الى الواحد منهم كتاباً يقول فيه : « أرغب أن تكون في قصري الباستيل في الساعة كذا من اليوم الفلاني » . وهذه الدعوة عثابة أمر القبض . وأي نبيل يدعوه الملك الى قصره ولا يلبي الدعوة ؟!

الدخول الى السجن

ومتى وصل المذنب الى الباستيل بادر الضباط الى تقديمه لحاكم السجن الذي يعامله ويهديء روعه وبعد أن يستكمله عبارة مؤداها أنه تصرف بتسلم الرسوم القضي بسجنه يدعوه الى تناول الطعام معه كما يدعو الذين يكونون قد صحبوه الى السجن من الاهل والاصدقاء . وفي هذه الاثناء يكون عمال السجن قد فرغوا من إعداد الغرفة الخاصة به وفق ما يقتضيه مقامه في الهيئة الاجتماعية . وإذا حدث ولم تكن ادارة السجن على استعداد لاستقبال السجين طلبت اليه أن يمضي ليلة أو ليلتين حيث يشاء حتى تعد له المكان اللائق به . يؤيد ذلك ما ورد في مذكرات مسيو دي جوسكا نائب الملك في سجن الباستيل بتاريخ ٢٦ يناير سنة ١٦٩٥ : « قدم الينا أمس مسيو دهكور لاندون قائد الفرسان يحمل أمراً ملكياً بسجنه فرجا منه الحاكم أن يقضي الليلة في فندق من أفخر الفنادق وأن يعود في الغد ريثما يكون قد جهز له غرفة وعند الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي عاد مسيو دهكور لاندون الى الباستيل وتناول طعام الغداء مع الحاكم العام وبعد الانتهاء من الطعام صحبه إلى غرفته »

وكانوا قبل أن يدخلوا السجين غرفته يحصون ما يحمله معه الا سرة الكبرى حيث يطلبون منه أن يسلم كل ما يحمله من الأشياء التي لا يسمح بسجين باستصحابها فاذا كان يحمل نقوداً أو جواهر أو سلاحاً أو غير ذلك حرمت هذه الاشياء وسجلت بها ورقة تحفظ صاحبها بختمه أو يوضع عليها ختم الباستيل إذا لم يكن لصاحبها ختم

أبراج الباستيل وغرفه الفخمة

وكان سجن الباستيل يشتمل على ثمانية أبراج يشتمل كل برج منها على أربع أو خمس طبقات من الغرف أسوأها حالا تلك التي كانت في الطابق الاسفل ، وهي التي أطلق عليها مؤرخو الباستيل كلمة « الزنازين » Cachots فقد كانت حجراً مبنية تحت الارض رطبة مظلمة لا ينفذ اليها الهواء النقي ولا الضوء ، وقد خصصت هذه الزنازين لمحكوم عليهم بالاعدام . ويؤكد فولتير وغيره أنها لم تستعمل من أول عهد الملك لويس الخامس عشر إلا لمعاقبة السجناء الذين استحقوا ذلك سلوكهم أو محاولتهم الفرار عقوبة رادعة . على أن عقوبة الاقامة بتلك الزنازين لم تكن تتجاوز ستة أيام ، هذا وقد حرم الملك لويس السادس عشر استعمالها تحريماً باتاً ، ولم يذكر أحد السجناء الذين مثلوا أمام هيئة التحقيق الثورية أنه أدخل سجناً في إحدى تلك الزنازين

أما سائر غرف القصر فكانت تدفأ بالمدافىء الثابتة أو المتحركة ، وكانت حوائطها مبيضة بالجير

وأرضها مبلطة بالآجر. أما الجدران فقد زينها السجناء بمختلف الرسوم والنقوش التي كانوا يقضون أوقاتهم في التفنن فيها. وحدث أن لاحظ الحاكم العام أن سجيناً قد ولع بالرسم وبرع فيه حتى غطى جدران حجرته برسوم جميلة فحمل بنفسه من غرفة إلى أخرى حتى أتم نقش كثير من غرف الباستيل

وكان نزلاء الباستيل كما أسلفنا يستوردون أثاث حجرهم من بيوتهم أو يستوردونها من الخارج، ولكن هذه الطريقة كانت تسمح لكثير منهم بالاتصال بأشخاص لا تؤمن عاقبة اتصالهم بهم، لذلك لم يعد أولو الأمر بدأ من العدول عنها الى فرش الحجر على نفقة الحكومة مع استيفاء ثمنها لمن يريد أن يؤثثه على نفقته من عظماء النزلاء

وتحدثنا مدام دي سنال في مذكراتها بأنها قد زينت حوائط غرفتها بأستار ثمينة وغطت النوافذ بستائر من المخمل، وان للماركيز دي ساد الفاسق الاشهر كان يطلق على الجدران صور بعض جميلات النساء ولعلهن من عشيقاته. ويقول فولتير راتانوتمثلاً عن محفوظات الباستيل إن القس ريجو فرش غرفته بخمسة مقاعد كبيرة وثمانية من الكراسي ومكتب ومنضدتين وثلاث لوحات زيتية كل منها في أطار ضخم، وان الكونت دي لالي لما غادر السجن حمل معه أمتعته. وهي مكتبة حوت ثلاثة عشر وأدوات مائدة كلها من الفضة المنقوشة وستة دزن أستار من القطيفة الموشى بالذهب ومرآتان كبيرتان وضع مقاعد كثيرة وأخرى صغيرة ولوحات مصورة، ومناضد وخزائن ومصابيح من النحاس للقصص وخمسون قطعة من الفضة الخالصة. وهذا أمر لا نكاد لا نصادفه في أفخم الفنادق حتى في هذه الايام

العدالة في سجن الباستيل

وعرف المسئلة حتى أن بعض قصة نزيل الباستيل في اليوم الاول لقدومه، ولكن كثيراً ما حدث أن أهمل التحقيق لأسباب استدعت التأجيل. وهذا يكذب بتاتاً ما يقال من أن السجين كان يرمى به في الباستيل وهو لا يعرف جريمته. أما تحقيق القضايا الهامة فكان يجري أمام هيئة قضائية مؤلفة من ثلاثة. وقد وصف السجين دوموريه قضاته فقال: «كان الرئيس مستشاراً مسناً ذكياً لبقاً، ولكنه فظ حشن الطبع واسمه ملرفيل. أما العضو الثاني فرجل مؤدب فظ وهو مسيو دي سارتين. وأما الثالث واسمه مسيو دي فيلمو فكان رجلاً ما كراً عادعاً حاد الطبع لا يلين.» وكانت نتيجة التحقيق ترفع عند الانتهاء منه الى جهة عليا تبت في أمر المتهم، أما بأقرار الحكم، واما بالأفراج. وإذا تبين للمحقق أن السجين مظلوم استصدر في الحال مرسوماً ملكياً بأطلاق سراحه. وكانت مراسيم الأفراج تصدر بسرعة تنمي لو ان اجراءات العدالة في العصر الحالي تسير بمثلها. ولعل مما يشرف النظام الاستبدادي في القرنين السابع والثامن عشر أن نقول إن المتهم الذي كانت تتضح براءته كانت الحكومة تدفع له تعويضاً عما أصابه من الغرم. وأمثلة ذلك كثيرة نختار بعضها. فهذا علم اسمه سويه قبض عليه بتهمة نشر كتاب تطاول فيه على مقام الملك وسجن من أجله تحت التحقيق ثمانية عشر يوماً، فما ظهرت براءته صرفت له الحكومة تعويضاً يعادل ثلاثة جنيه من عملتنا المصرية. وهذا المدعو بيريرا

أمضى بالباستيل خمسة أشهر ثم أقام الدليل على براءته ، فرتب له الملك دخلا سنوياً يعادل مائة جنيه . وأحسن من هذا النظام العادل أن الحكومة كانت تتولى الانفاق على الأسر الفقيرة التي يسجن عائلها في الباستيل مهما كان دينه عظيماً . يؤيد ذلك ما نقرأه في كتاب الوزير ده شوازيل الى وكيل الباستيل ، « شرفت باستلام الخطاب الذي تفضلتم بكتابته إليَّ خاصاً بالمدعو جونكير شاير سجين الباستيل ويسرني اني أخبركم بانني قد حصلت لاولاده من الحكومة على اعانة جديدة قدرها ثمانمائة ليرة وذلك نظراً لحالة العائلة التي وجدوا انفسهم فيها بعد سجن عائلهم » وأمر المعاش الذي رتبته الحكومة للفيلسوف فولتير عقب خروجه من الباستيل أمر معروف

كيف يقضي السجين يومه ؟

واذا دخل السجين الباستيل ظل أمره مكتوماً إلا على ضباط السجن حتى يتم تحقيق قضيته ، فكان لا يتصل بزملائه نزلاء السجن ولا عوظفيه ولا يسمح لأحد بالاقتراب منه سوى خادمه اذا كان قد استصحب خادماً . ولعل أغرب ما في مسألة وجود الخدم بالباستيل أن الحكومة كانت تنفق عليهم وتدفع مرتباتهم طول مدة اقامتهم مع سادتهم في السجن . ولما كانت الوحدة من أشق الاشياء على نفوس المسجونين ، فان ادارة الباستيل كانت تسمح لكل اثنين أو ثلاثة أن يقيموا معاً في حجرة واحدة ، وكان اختيار السجين لمن يعيش معه أمراً متروكاً لرغبته . ولقد يستطيع القارىء أن يكون لنفسه فكرة صحيحة من الحياة في الباستيل اذا هو قرأ مذكرات كل من مدام دي سفال وجورفيل وبومي . فولتان وهيسكان وغيرهم من الذين أمضوا حيناً من حياتهم في قصر الباستيل . فان هذه المذكرات تصرح بأن كثيراً من المسجونين كانوا يمرحون في الباستيل كما يمرحون ، فيزورون أصدقاءهم ويتناولون طعامهم في غرفهم في أي ساعة من النهار ، وكانوا يمضون اليوم في مزاولة الالعاب الرياضية على اختلاف أنواعها . ويقول بومي رابوتان بأنه كان يستقبل في غرفته زوجته وأصدقاءه الذين يمنعون من الخارج زيارته ، وانه كان يقيم الولائم ويدعو اليها بعض رجال البلاط . ويؤكد مدام دي ستال انه كان يصرح لبعض نزلاء الباستيل بالخروج منه لقضاء بعض الاعمال في المدينة على أن يعودوا اليه في المساء . وها نحن أولاء ننقل من مذكراتها هذه الفقرة التي تدلنا على مبلغ ما كان يتمتع به المسجونون من الحرية في سجن الباستيل قالت : « وكنا نقضي جزءاً من النهار عند حاكم السجن في غرفته حيث كنت ألعب الورق مع سيده بومادور وسيده دي وادانس . واذا انتهينا من اللعب انتقلنا الى حجرتي حيث تنعقد جمعية من أصدقائنا فنمضي الوقت في اللهو والسمر . أما السهرة فكنا نقضيها في العالم عند الحاكم »

طعام المسجونين الشهي

أما فيما يتعلق بطعام المسجونين فأمر يكاد العقل لا يصدقه . ومهما أقمنا على صدق رواياتنا من الراهين فسيرتاب القارىء في تصديقنا . ذلك أن الملك كان يخصص لكل سجين بمرتب يومي لغذائه يتناسب ومركزه الاجتماعي . وكان هذا المرتب يختلف مابين ستين قرشاً ومائتين وأربعين قرشاً من عملة مصر . ويقال إن الكردينال روهان كان ينفق بالباستيل كل يوم مايعادل عشرة جنيهات وان الدوق دي كورلاند أنفق في خمسة أشهر أقامها بالباستيل ما يعادل ألفي جنيه . بعد ذلك لا يجوز لنا أن ندهش اذا سمعنا عن عظمة الأطعمة

التي كانت تقدم لنزلاء الباستيل . تلك الفخامة التي لا نجد لها مثيلاً في كثير من الولائم التي تقام في أيامنا الحاضرة

يقول رينفيل وقوله حجة في الموضوع لانه من الذين أمضوا حياتهم في التشهير بسجن الباستيل: «... ودخل السجان ووضع أمامي طعام العشاء فألفيت أمامي شوربة بالبسلة الخضراء والحس ذات لون جميل وطعم طيب . وفي داخلها ربع دجاجة . وفي صحن آخر قطعة من اللحم البقري عليها هالة من الزبد والبقدونس المخروط . وفي صحن ثالث قطعة كبيرة من الكعكة ربيت حولها قطع من حصبة الصحل وحصية الديك والحلبون وعيش الغراب . وفي صحن رابع لسان ضأن مطبوخاً مع بعض الخضر، ثم قطعاً من السكويت الحلو وثمانحتين وإلى جانب كل ذلك زجاجة من نبيذ البورجوني . ولما أبصرت هذا العشاء الفاخر سألت السجان هل أدفع ثمن كل ذلك ، أو الملك الذي يدفع . فطمأني وقال لي : « أطلب ما شئت وحلالة الملك يدفع الثمن » ولا يتوهمن القارىء أن رينفيل هذا رجل ذو شأن فما كان سوى جاسوس حقير

وهذا شاهد آخر وهو السجين دوموريبه يصف لنا طعامه وعدد الالوان التي تقدم له فيقول : «كانوا يقدمون لي ستة ألوان منها شوربة بالحبري وحيوانات غربية أخرى ثم سمكة من النوع المعروف بسمك موسى وحراً من الطير بلشوي وأنواعاً من الخضر والفاكهة والحلوى المطبوخة . وحدث أن طلب دوموريبه دجاجة لعشائه وكان اليوم يوم الجمعة فاعترض السجان بأن الدين يحرم أكل الطير يوم الجمعة فصرخ دوموريبه في وجهه « ... ثم أمره على أحسنما أم أعده على عقائدنا . اذهب وحضر بدجاجة في الحال ، ولم يمض غير برهة وكان الجمعة أدمه يحشو بها معدته الساعة

وهذا حطاب من وكيل السجن يحدث فيه عن سجين سمه فيل لا يأكل لحم الضأن ولا العجل ولا البقر فيقول « وهو من أولئك المتعبين الذين لا تقدم له سوى لحوم الطير لانه يزعم أن لحم الحيوان لا يوافق معدته . . . »

وهذا لاعجب الذي أثرى من التشهير بالباستيل يعترف بأن طباخ السجن كان يحضر له كل يوم فائمة بالمأكولات فيؤشر قلمه على كل ما يشتهيه منها فيقدم اليه

ويقول المؤرخ فوبك برانتو إنه قرأ في محفوظات الباستيل ما قدم الى مسجون حقير الشأن اسمه تافرنييه في خلال شهر واحد هو مارس عام ١٧٨٩ فأدهشه ماوجده فيها من عدد زجاجات الخمر والنبيذ والبيرة وكيلات التبغ والقهوة والسكر، حتى ايليتركرم مدير الباستيل اسرافاً ليس بعده اسراف

ملابس المسجونين الانيقة

والآن ننتقل الى ملابس المسجونين وقد قدمنا أن الملك كان يكسو قرباءهم من مال الدولة فحدد انهم ما كانوا يلبسون ملابس السجون العادية ، بل كانوا يرتدون معاطف من النوع الذي يعرفه باسم Robe de Chambre مشوة بالقطن أو هرو الأرانب وثياباً مبطنة بالقطيفة الحريرية. وكانو ينتخبون الألوان التي تروق أذواقهم ، حتى أن سجينة تدعى سوفي آمدت رغبتها في الحصول على ثوب من الحرير الأبيض مزين بأزهار خضراء فخطت روحة وكيل الباستيل تجوب باريس باحثة لدى الخائطات عن ثوب تتوافر

فيه هذه الاوصاف ولما لم تجد غير قوب من حرير أبيض مخطط بخطوط خضراء أرسلوا الى السجينة يرجونها أن تصنع به إذ لم يتيسر لهم إيجاد الآخر

وبين محفوظات الباستيل خطاب من سجين اسمه هوجوبه الى وكيل السجن يقول له فيه :

« سيدي الوكيل إن الأقمصة التي أحضروها الي أمس ليست هي التي طلبتها . وأذكر اني طلبت أقمصة من قماش ناعم ودات أكمام مطرزة لا هذه الأقمصة الخشنة التي لا تصلح الا للسجانين والتي أرجو أن ترجعها الى الحاكم ليحفظها لنفسه اذا شاء أما أنا فلا أريدها . . . . »

رياضة المسجونين وتسليتهم

وكان للسجناء حق استحضار الكتب وقد أسفنا خبر الحكومة عن ليل الذي جمع في حجرته أكثر من ثلاثة كتاب ، وهذا رميه لاوميل وقد جمع منها أكثر من مائة ولم تكن الحكومة لتضن عليهم بشراء الكتب التي يرغبون أنها لازمة لما يقومون به من البحوث والدراسات . وبلغ بالحكومة التسامح الى أن أباحت مطالعة الصحف لنزلاء الباستيل

أما رياضة المسجونين فكانت أمراً مباحاً إذ كان لهم أن يتنزهوا فوق سطح الأبراج وفي حديقة السجن وأن يعنوا بتربية بعض الحيوانات الأليفة والطيور . وأن يستعملوا آلات الموسيقى على اختلاف أنواعها كما كانوا أحراراً في أن يشتغلوا بأي عمل يختارونه من الاعمال . فكان بعضهم يشتغل بالحفارة وآخرون بالتجليد وغيرهم بالخياطة والتطريز وزوي وكيل الباستيل ، « أن أحد المسجونين وهو مسيو دي فيلروا لم يكن له عمل غير حلاقة لحيته ، وكان يحلقها سبع مرات في اليوم . »

وكانوا يلعبون النرد والشطرنج « الدومينو » وحدث في سنة ١٧٨٨ أن طلب بعض السجناء « بلياردو » يلعبون عليه فأجيب طلبهم ونصب لهم البلياردو في غرفة واسعة

كيف يغادرون الباستيل

وكان المرسوم قد صدر بالافراج عن سجين حمله البريد إلى إدارة السجن أو سلم إلى أهل السجين فيأتون به ليبرحوا أبيه البشرى بأنفسهم ، وسرعان ما كانت إدارة السجن تأذن إلى تسليم السجين أوراقه وحوائجه وبعد أن يوقع تعهداً بألا يعود إلى ارتكاب ما سجن من أجله وبأن يظل مخلصاً للعرش وللملك يفتحون له الابواب ليذهب إلى حيث يشاء

ويذكر ريتيل أن كثيراً من السجناء كانوا يغادرون الباستيل رغم أنوفهم متمنين لو طالت اقامتهم فيه وسيرة السجين « لا تود » الذي كان اذا غادر الباستيل أسرع فاركب ما يجده اليه أشهر من أن نذكرها في هذا السياق

تلك هي الحياة في الباستيل وهذا هو نظام السجن الذي ظلمه التاريخ وألصق اسمه بأشنع السير وأبشع الذكريات الا فما أظلم التاريخ تحطه الأغراض وتغلبه الأهواء ويا رحمة الله على أولئك الضحايا المستبدين الذين ما ألفنا بظلمهم إلا بعد أن قاسينا عدل العصر الذي نعيش فيه

حسن الشريف

ثورة بركان فيزوف سنة ١٩٠٦

كان سكان نابولي وضواحيها يعتقدون حتى عام ١٩٠٦ أن بركان فيزوف قد هرم ولم تعد فيه تلك القوة التي كانت تهدد مدينتهم بالحريق والزوال. وكانوا قد اطمأنوا الى هذه العقيدة حتى اعتبروا هذا البركان من المناظر الجميلة التي تزين تلك الضواحي البديعة، والتي طالما جلبت اليهم السياح من أطراف المعمورة يتمتعون بالطرف بمرأى خليج نابولي وعلى مدخله ذلك الحصن القديم يذكر الناس بما كان منه في القرن الأول من الميلاد إذ دمر مدينتين زاهرتين هما هرقولانوم وبومبياه

نعم ان جبل فيزوف الناري كان يثور من قرن لآخر ثورة تخرب بعض القرى وتهلك بضع مئات من الناس، ولكن عهد الثوران الحادّ كان الزمن قد تقادم عليه حتى صار من الأساطير. وما كان أهل نابولي ليصدقوا علماء طبقات الارض عند ما كانوا يتوجسون الشر من هذا الجبل الدائم ويؤكدون أن جوف الارض لا يهرم، وأن عناصر الطبيعة المخربة الكامنة فيه ذات شباب يتجدد بتجدد الايام

وجاء شهر مارس من سنة ١٩٠٦ فدب على البركان نشاط غير عادي إذ بدأ شيء من الدخان يتصعد من فوهته، وعلا أثر ذلك دوي للمطرب واحسّ الناس بهزات خفيفة متقطعة كانت تعقب هذا الاثر الذي كان يحدث حيناً ويرتفع أحياناً

ولكن هذه العلامات كلها لم تشعر أهل نابولي حتى أنهم لم يروا فيها إلا حشرجة في صدر الجبل الفاني أو حسبوها النسيم الذي ما كان من حركاته يوم الشباب. ولم أن العلماء لا يستسلمون للأماني والاوهام، بل يمررون الحقائق كما هي مهما كانت قاسية أو مروعة أو مخيبة للآمال. لذلك أعلن الاستاذ ماتوتشي مدير مرصد فيزوف أن تلك العلامات مخيفة وانها ستنتهي لا محالة ثورة هائلة وأنه لن تمضي أيام حتى تحل بنابولي أو ضواحيها فاجعة لا يعلم مدى فداحتها إلا الله

وما حلّ اليوم الرابع من شهر ابريل حتى انبعثت في أحد جوانب الجبل فوهة جديدة كانت الحمم[1] تتحدر منها الى ناحية القرى المجاورة. وفي المساء شاهد السكان مطراً كثيفاً من الرماد لناعم ينهال عليهم ثم تكاثف هذا المطر في اليوم التالي حتى اعتمّ منه الجو واقتتمت السماء. وسرعان ما برح بعض سكان القرى القائمة على سفح الجبل عن منازلهم الى جهات أبعد عن الخطر وأصول للحياة. أما الباقون فقد استسلموا لما قد يجري به قلم القضاء، وشرعوا في أن يجعلوا بينهم وبين الجبل الثائر سداً قوياً من الرمال والحجارة والطين يعصمهم من تدفق الحمم المهلكة ويقيهم شرّ ما يجيشه بطن الارض من عناصر الابادة والتخريب

---

(١) الحمم: طين سائل ساخن الى درجة الغليان

ولكن أي سد هذا الذي يقوى على الوقوف في وجه السيل الجارف من الطين المحرق الملتهب بل أي سد يعصم القوم من أمر الله أو من ثورة العناصر اذ تألبت على الانسان ؟

وبزغت شمس اليوم السابع من شهر ابريل زاهية ترسل على تلك الصواحي البديعة أشعتها اللامعة تحلو محاسنها التي طالما تغنى بها الشعراء وأتوا في وصفها بمعجزات البديع والبيان . وكأنما أرادت الطبيعة أن تبدو للناس في ذلك اليوم بوجه متهلل بسام وهي تخبي لهم في طيات صدرها بلوت الرؤام. فما توسطت الشمس السماء حتى ارتداد الجبل هياجاً وارتداد باطنه اضطراباً ، واندفعت الحمم سيولا تجرف كل ما تصادفه في طريقها من انسان وجماد حتى وصلت الى قرية بوسكوريكلزه وشعر سكانها بحرارة الحمم ترتفع من الارض فتلفح الوجوه وتصهر الاجسام ، ثم اهتزت الارض هزات عنيفة متتالية ، وانصدعت فوهة الجبل دفعة واحدة فتصعدت منها نحو السماء أعمدة من الدخان الابيض أعقبتها أعمدة من الدخان الاسود فكونت سحاباً كثيفة حجبت أشعة الشمس عن الابصار . ثم سمع الناس دوياً هائلا ينبعث من بطن الارض ثم زلزلت الارض زلزالا قوياً انتشر جميع دقائق ثم انكمش الجو وحيم الظلام على المدينة وضواحيها حتى أقفل الليل وأرخى سدوله على الكائنات

ليت شعري ! أي قلم يستطيع أن يصف منظر هذا الليل بما وقع فيه معا أوتي هذا القلم من دقة الملاحظة وقوة التعبير ؟ لا بل أي مصور يستطيع أن يصور ريشته منظر مدينة نابولي في الظلام وأمواج خليجها تحسر تتحسر على شواطئها الوادعة ، وأنوار السماء والارصفة تنعكس على المياه فتنيرها نور مستنير ساطع . وهذا الضلال البهيمي الذي يسود المدينة وقوف قائم وحده في الطرف الآخر يقذف وجه السماء بأعمدة من نار ودخان وحمل من الحديد الملتهب والصخر المصهور ، وتتحدر على جوانبه الجمر والنيران فتندفع بجارفه نحو القرى فتهلك الحرث ، وتبيد النسل ولا تبقي ولا تذر

ثم ماذا تكون الحالة التي وصف بها المتنبي وقد لم تكن في نواحي نابولي والسوريلو والخليج والمياه ؟ وماذا تكون حالهم اذا لم تكن هي ذلك الجبل المستعر الذي يقذف من جوفه ما حوى فيضيء ما حوله الى أبعاد شاسعة ويرسل من باطنه أصواتا مفزعة تذهب اللب وتصم الآذان ؟

الحالة وقد سلطت عليها الطبيعة نار الجحيم ! تلك هي الصورة من اراد ان يصور تلك الليلة التي جل فيها بايطاليا الخطب وعم المصاب

انتصف الليل وكان فيزوف قد اتخذ شكلا عجيباً اذ كانت النيران تندفع من فوهته وترتفع الى مائة وخمسين متراً في الهواء محوطة بطبقات من الدخان لا تحجب على كثافتها ذلك الوهج الناصع مصحوبة بأصوات تنبعث من باطن الارض مختلفة الأنغام بين ارتجاز وحشي ، والصفير الحاد ، والخوار الاجش . وبين هنيهة وأخرى يقذف الجبل الى السماء كتلا بيضاء تعلو في الجو خمسمائة متر ثم تهوي الى البحر فتحدث فيه ما تحدثه كتل الحديد المصهور اذا القيت في الماء ، أو تهوي الى الارض فتمحق ما تصادفه عليها من المباني التي لا تلبث حتى تستحيل الى شعلة من نار . واحياناً كانت

هذه السكتة الصحمة البيضاء تتتابع في الفضاء كما تتتابع الأسهم في الالعاب النارية فما بحت صفيرها المرعج حتى يسمع الناس صوت وقوعها في البحر وصوت الماء تعلي من حرارتها . ثم يعقب ذلك سكوت قصير يملؤه دوي هائل كأن أحشاء الارض تحترق من هول ما بها . ثم تنفتح في أحد جوانب البركان فجوة تجري فيها الحمم السوداء مع لهاث غريب تحت صوء الفوهة الستمرة وتنحدر كالشلال بشدة سريعة نحو القاعدة . كل هذه وسماء نابولي تمطر رمادية و ملأى من الرماد والتراب والحجارة وماء الساحل وقد امتلأ الجو بطبقات من الضباب تحجب وراءها كل شيء

ولما مضت الساعة الثانية من الصبح زلزلت الارض زلزالا جديداً هدم بعض المساكن، وحطم زجاج جميع النوافذ، ثم تفجرت من الفوهة ينابيع حرب منها الحمم انهاراً نحو قرية بوسكو تريكاره ودخلت شكلها في مسارلم وكادت تحيط بهم من كل صوب . وفزع السكان وحزموا ما عز عليهم من متاعهم لا حنين الى اخلاء المرحب . ودوى صفير الجنود يطلبون الناس باقتراب الخطر فهرع الناس يتلمسون سبل النجاة وكانت رحمة القدير قد ألهمتهم فانهيتهم حتى انتجدو عن هذا الموت الراصد فما كادوا ينجلون عن قريتهم حتى انقضت عليها ينابيع الحم بهدا فرعين عرض احدهما مائتا متر أحاطا بها من اليمين والشمال ، وتدفقت الحم عليها فلم تكن الا برهة قصيرة حتى كانت هذه القرية الكبيرة أثرا مشتعلا

وفي الساعة السادسة كان معظم السكان قد انجلوا عن القرى المجاورة للبركان وتركوا بيوتهم وامتعتهم طعاما للنار ولم يبق في مكانهم الا بعض مراصد فوق التلال ظلوا يرصدون حركات البركان بالقرب من هذا الجحيم معرضين انفسهم لخطر الحرق والزوال وقد ارتفعت درجة الحرارة حتى سحبت آلات رصده و سرقت من الانجلو فصفر لاستاذ ماتوتشي الى الانسحاب مع رجاله تاركين المرصد لرحمة القدير

وعطى لرماد سكة البركان الجديدية المعروفة بسكة بوكو ، و ردد هبوب الجنوب الى حدّ حمله يقذف الصخور الكبيرة الى ارتفاع ثمانمائة متر او الف متر في الهواء ، وتركت تلك الصخور مع الرماد والحم على الخطوط الحديدية الموصلة الى محطة توري انونسيتا والى توري دينجريكو حتى اضطرت الحكومة الى ارسال سفينتين لانتشال الاهالي من رأس لموت

وقد استولى الفزع على سكان نابولي الذين مانوا واسارت رفض بهم فما صدق بعضهم أن لاحت أضواء الفجر الاولى حتى هرعوا الى الحقول هاربين من اعسار الدور . وحدث عندئذ أن أقفل مهاجرو القرى على المدينة بيوتهم ويمموا وقد زادوا عن المائة وخمسين الفاً ، حتى اضطرت السلطات الى اعلان الاحكام العرفية وحاصرة المدينة بالقوت المسلحة لحفظ النظام وعهدت السلطة المطلقة الى دوق داوستا . وأقفل الملك والملكة وأعضاء الاسرة المالكة يواسون المنكوبين ويشتركون في اغاثة الجرحى والملهوفين

وقد عمد الاهالي الى إقامة الصلوات والابتهال الى الله عسى أن يخفف عنهم هذا الهول ، وكأن هذا الشعور الديني ملك الجميع حتى أخرجهم عن دائرة المعقول . فكنت ترام يتكدسون في كنائس نابولي و لحظر محدق بهم من كل ناحية ثم يخرجون منها أفواجاً يسيرون في الطرقات عراة الرؤوس

يحملون الشموع المضيئة والصلبان وصور القديسين مستهدفين ذلك المطر من الرماد الساخن والحجارة المحترقة مستمعين الى شهيق البركان الثائر وزفيره صائحين باكين . وكان اليأس كلا استولى على قلوب الناس عمدوا الى الكاتدرائية الكبرى يصرخون فيها الى الله أن يرفع عنهم مقته وغضبه. وكان الجنود يجولون دون احتشدوا في مكان واحد خشية أن تنهار عليهم السقوف من شدة وقع الحجارة عليها فتكثر الضحايا . ولكن الاهالي تجمهروا مرة وقاوموا الجنود ودخلوا الكاتدرائية عنوة وانتزعوا منها صورة القديس بيار (حامي نابولي) وخرجوا بها الى الشوارع في موكب لا نهاية له يرتلون الصلوات ويرسلون الدعوات الحارة قائلين : « أيها القديس العظيم انا كثيرو الخطأ كثيرو الذنوب ولكنا نسألك بنعمة رحمة بأولادنا الاطهار . وإنا نعاهدك اذا غفرت لنا ألا نعود الى ارتكاب الخطايا والذنوب . . أيها القديس العظيم تلك نابولي مدينتك المحبة وأنت حاميها فاشملها برحمتك ولا تتخل عنها في هذا اليوم الرهيب » وحدث وقتئذ أن صعقت ناحية من السماء وبدا فيها شعاع من الشمس ما رآه الناس حتى استبشروا فرحين مهللين . ولكنه فرحة لم تدم أكثر من دقائق معدودة اذ عادت الحال الى ما كانت عليه وازدادت شدة على شدة

وسرت عدوى الصلاة من المدينة الى القرى حتى اجتمع أهل تورى اونسيانا وراء قسيس كبيرهم يتضاعون سبل الخير وكما مضى فلما اقترب منهم ذلك الجمع الكافر الذي لا يعبأ بالصلاة ولا بالتعاويذ أهبت السموم المتقدمة منهم وقد الآخرون بالسموم الخانقة بوسائل أخرى غير وسائل الدين

وانقضى اليوم التاسع من شهر ديسمبر على هذا الحال وقضى منه اليوم العاشر . فلما كان الحادي عشر تزايد اضطراب البركان وازداد هديره وتصبحت قذائفه بعيدة المرمى حتى هدمت خمس كنائس في بلدة اوتاناو وهلك فيها مائة من المصلين وتكاثف الرماد حتى كان يسد الآذان والأنوف والحلوق . وكانت الاسرة المالكة قد أرسلت العطوف في القرى المكوبة ولكن وعورة الحجارة للتهبة حال دون ذلك

وفي صباح اليوم التالي انهار سقف السوق الكبير في شارع توليدو من شدة الزلزال وكان يمتلئ باللاجئين اليه فهلك منهم ضعف مئات تحت الانقاض ووردت الانباء من بوسكوتريكاز تفيد أن هذه المدينة قد محيت من سطح الكرة الارضية حتى لم يبق منها أثر ولا عين

وجمع قسيس قرية توري اونسيانا أهل بلدته في الكنيسة ليقيموا صلاة الاستغاثة فانهدم عليهم سقف الكنيسة وقتل تحته حقاً كثيراً معظمهم من النساء والاطفال . ودفنت قرية بورتيشي تحت تلال من الرماد والحجارة، وسقطت ثلاث كنائس وخمس عمارات في قرية سورمانا، وباتت قرى توري دياجريكو وسان جاورو وسارنو فريسة النيران . أما المطروحات الزراعية والمحاصيل فقد بادت في دائرة قطرها عدة أميال . هذا وقد تكاثف الهواء وامتزج بالدخان ورائحة الكبريت حتى اعتبر لونه وصار غير صالح للتنفس . وهبت زوابع من الرماد حجبت منظر البركان عن الانظار وارتفعت من باطن الارض أصوات غريبة مرعبة لم يعهدها الناس من قبل ، فولى الكثيرون الأدبار

هاربين مما علاه أن يعقب هذه الأصوات .

ومن المضحكات في هذه المأساة المبكية أن حراس مستشفى الجاديف فروا تاركين كثيراً من المجانين طلقاء فانطلق هؤلاء المجانين من مستشفاهم هائمين على وجوههم وعلم الناس عما كان من أمر خروجهم الى الطرقات فكانوا كلما رأوا شخصاً يجري أو يولول طلوه أحد المجاديب وصاحوا « احذروا المجنون . . . احذروا المجنون . . . » وجروا أمامه صائحين مستغيثين

وانتهز سجناء سجن سان فرنشسكو فرصة الاضطراب العام وأشعلوا الحريق في أبواب السجن بغية الهرب ، ولكن أولياء الامور تنبهوا اليهم في الوقت المناسب فقدموهم تحت حراسة الجنود الى محكمة بالرما

ولقد أبدى الملك فيكتور أمانويل شجاعة تذكر فتشكر إذ أبى إلا أن يشاطر شعبه الآلام والاحزان ، فحاول أن يطوف بسيارته في القرى ولكن عجلات السيارة كانت تغوص في أكوام الرماد فلا تدور . فاضطر حواداً سار به تحت مطر من الحجارة التي يقذفها الجند بلاطف من يصادفونه في الطريق ويدخل على المنكوبين في دورهم معزياً ومواسياً . ذلك في الوقت الذي كانت فيه الملكة توزع بيدها الاقوات والاموال على الخائفين وتضمد الجرحى وتتعهد المصابين

وفي الثالث عشر من شهر أبريل بدأ البركان يسكن وقذ حربان الجسم وسكت عن قذف الرماد وكفت اذا سرت في شوارع نابولي وفي أرقها لا ترى إلا شوعاً متجمدة حول صور الرسل والقديسين وقد أحيطت هذه الصور بالازهار والرياحين شكراً على ما شملوا به الناس من رحمتهم اذ استجابوا دعاءهم ، وعلى الرغم من هذه الرحمة حق بهذا الجبل كل هذه

وفي اليوم الرابع عشر أبلغ ثورة البركان وهدأ خوف الارض وانطفت الزلازل والاصوات المفزعة وعادت الطمأنينة الى النفوس وعاد الناس الى منازلهم يحصون خسائرهم في الارواح والاموال . أما هذه الخسائر فمن العسير تقديرها فهي تشمل أنواعاً مختلفة من الاشياء . ومن ذا الذي يستطيع أن يقدر ثمن مدن بأسرها دفنت ضحية النار وقرى دمرتها الزلازل وأميال من الاراضي المزروعة تما عليها من المحاصيل والاقوات دفنت تحت الرماد وقصور تحوي كنوز الفنون ومالا يثمن من التحف والعاديات سطا عليها الفيضوم أو دمرتها الحجارة أو التهمتها النيران ؟

ولقد كتب الدكتور هانس بارت مراسل البرليرتاحلاط بعض ما رآه بعينه وكان في قطار من قطارات الاسعاف قال ما نقتطف بعضه :

« . . . وعلى بعد عشر دقائق من مدينة نابولي وقف بنا القطار اذ لم تستطع عجلاته أن تغوص طبقات الرماد المتراكمة على القضبان . وكنا نطر بياً وشمالا فلا نرى أثراً للمزروعات ولا لشيء حي . أما المنازل فكانت مغطاة بطبقة سميكة من الرماد الابيض كما لو كان الثلج يكسوها من جميع الجهات . وقد ارتفع ستار كثيف من الدخان الاصفر ممتداً وراء سان جيوفاني يهدد الاحياء بالهلاك . تلك كانت مطبقة الجسم وهذا الستار الكثيف من الدخان يرتفع منها الى علو شاهق فيكسب السماء ألواناً كانت تتغير من آن لآخر . فمن أحمر صارت الى الصفرة الى سنجابي فاتم الى بنفسجي مشبع بحمرة قاتمة ، ولولا خوفنا على حياتنا لوقفنا طويلا نشاهد هذه الالوان وجمالها

الحرن الأخاذ عجامع القلوب . على أن الانسان يستطيع أن يكوّن لنفسه فكرة صحيحة من تغير هذه الالوان اذا نظر الى السماء من خلال قطع من الزجاج الملون .. ثم تمددت كثافة هذا الستار شيئاً ما وبدا من ورائه البركان المائل يقذف الى الجو الاعلى أعمدة ضخمة من الدخان السمحي فكان منظره لولا فظاعة أثره لكان من أجمل ما تراه العيون . .

« . . . وكانت الحجارة المتساقطة قد هشمت رجح مواقد العربات فملأ الرماد الحجرات وسدّ أفواهنا وحلوقنا حتى كدنا نختنق . ولما تعذر سير القطار نزلنا جميعاً وأخذ كل منا يذر الذي يتلوه وأما نحن الشاغل وسرنا سيراً طويلا نخوض في كوام الرماد حتى الساق . وقطعنا كيلو مترين بهذا السير المضني تحت وابل من الحجارة الملتهبة وكانت الساعة الثالثة بعد الظهر إلا أننا كنا نحسب أنفسنا في منتصف الليل . . .

« وبينما نحن نسير على هدى الشاغل اذ تغير لون الوجود دفعة واحدة وصرنا نرى السماء حمراء ومياه الخليج حمراء والارض حمراء وكل ما حولنا أحمر . ذلك أن جبل قذف كتلة عظيمة من الدخان الأحمر كانت بلا شك أكبر منه حجماً وانتشرت في الفضاء وتناثرت منها كتل من حجارة مختلفة الاحجام . شخصنا بأبصارنا إلى هذا المنظر الجميل المرعب وحدثت أنفسنا بنجاتنا أو نقمة أم هو حلم مهيج ! . . . ثم تعدد اللون الاحمر وعاد الظلام يخيم علينا واستأنفنا السير الشاق نتوقع الموت ما بين خطوة وخطوة حتى وصلنا الى بلدة . . . »

مفاخر أمة

ما يفاخر به الاميركيون

عند كاتب اميركي مشهور مفاخر قومه القديمة ، وعند آخر مفاخرها الحديثة ، كأنهما يتناظران وليس بينهما مناظرة ، لأن كلا منهما كتب مستقلا عن الآخر وفي زمانين مختلفين ومكانين مختلفين

ونريد بالمفاخر القديمة ما حدث منها في القرن الماضي لا أبعد منه لانك اذا تقهقرت من القرن الماضي لا تكاد تخطو خطوات معدودات في الذي قبله أي في القرن الثامن عشر حتى تجد الامة الاميركية طفلة السن خرجت منتصرة في حربها مع انجلترا وأخذت على أثر تلك الحرب استقلالها في الربع الاخير من ذلك القرن فهي الآن ست مائة وخمسين سنة وعندك من الافراد ما يزيد عمرهم الآن على المائة والخمسين . فأين هي من انجلترا وأين هي من فرنسا ، بل أين هي من مصر والصين وغيرها من البلدان التي طال عليها العهد وتأدت عشرات منها هرم ؟

كذلك نريد بالمفاخر الحديثة ما حدث منها في هذا القرن وما لا يزال يحدث تحت أعيننا

والكاتب الاول منهما جعل بين قصيده والمحور الذي يدور عليه تعداده أدبياً او ما هو بمقام

الأدبي ، والثاني ماديا صرفا تماهو من سلع هذا الزمان المادي

قال الاول :

لقد أعطت أميركا الحكومة المطلقة بعد ان طلبت ان لا عيش لشعب حيرها . وذلك لان لها ايمانا بالشعب وعهدت اليه في حكمها على الرغبة والثقة

والغت طبقة الاعيان فليس في أميركا الآن طبقات معترف بها

وجعلت التعليم الشعبي حرية وواجبا وحطت في سبيل تعليم العامة الى مدى لم يبلغه شعب غيرها

وفصلت الدين عن التعليم وأصرت على تعليم كل صبي وبنت شيئا

وكسرت أغلال الرقيق ثمن كثير من الدم الهرق بعد ما أثبت رحله في أعماق الرجال

وساعدت أمم أوربا على نيل الديمقراطية وبرهنت على رعتها في الفصال عن مبدئها في أرض غير أرضها

وهي تسعى الآن وتبذل جهدا هائلا في التحرر من رقة الطمع وأسر الشركات المتحدة

وقد اعترفت بمساواة المرأة للرجل في حقوق الانتخاب والحكم . اذ مضت قرون كان الحاكم فيها الرجل وحده . وهي أول أمة اعترفت بأن المرأة مساوية للرجل أمام القانون

وهي تدأب الآن بلا ملل ولا كلل في مقاومة المكدرات والمخدرات

* * *

وقال الثاني :

اذا طاف سائح أميركي شوارع لندن رأى على حوانيت كثيرة كتب عليها « بونس دي كاش » فاستغرب هذا الاسم وظنه قديما ثم لا يلبث ان يرى كثيرا منه . وإذا قعد هذه الحانات وحدث انها تبلغ مجاهاة ، ثم يريد استفسار عن هذا فاذا عرفه ناسبة عن بعض الاميركي الذي مر به

ثم ذهب الى أوربا رأى بعد البحث علامات كثيرة على تفوق أميركا التاجرة في أسواقها . فهو لا يعلم الا بعد السؤال والبحث ان الشركة المعروفة في باريس باسم « كومباني نسترنال دي بترول » أميركية ، وان شركة الآلات الزراعية الدولية الحاملة اسما فرنسيا شركة اميركية وان شركة البترول الاسوجية الكبرى انما هي شركة ستندرد اويل فيها

وفي سنة ١٩٢٣ كان لشركات السيارات الاميركية ستة معامل في خارج أميركا ، والآن لها ٢٩ معملا . وعورد شارع في ساء معمل هائل قرب لندن يخرج ٢٠٠ الف سيارة كل سنة وهذا يبلغ صنعي ما تصنعه الشركات الانجليزية كلها معا وعددها ٦٨ شركة

وهو يبني معملا في روسيا يخرج ١٠٠ الف سيارة في السنة

وشركة جنرال موتورز لم تقصر في هذا الصدد فقد استولت على مصانع شركة اوبل التي صنعت في العام الماضي نصف سيارات المانيا . ويشاع انها تفاوض في شراء مصانع شركة ستروين للفقسة عورد فرنسا ومعامل شركة موريس للفقسة عورد انجلترا

وفي أوربا ٢٧٢٣٨ مرسحا للصور المتحركة للشركات الاميركية مصانع فيها يصعب تقديرها ولكننا نعلم انها أرسلت من شريط السينما الاميركي الى الخارج ما قيمته ٢٢٢ مليون دولار في العام

الماضي فكانت نتيجة ذلك أن صاغ شريط الميلا خرج اميركا انهموا مانشا سعى في استعباد أوربا بصورنا فأقبل عصم أنوبهم دونما لا يشترون شريطا . وترى العيظين من الاميركيين يقلدون سلعهم من كل صنف ونوع . في برشلونة تشتري كوكا كولا مصنوعاً في اسبانيا وهو سمة اميركية . وابنما دهشت تشتري صابون « ماموليف » مصنوعاً في أوربا . ومفتاح « يايل ونون » من صنع اوربا وهو مفتاح اميركي . وتركب مرقاة (اسنسير) وتنزل من ملركة مصنوعه في أوربا وهي اميركية . وتاكل « كوايكراوتس » من صنع أوربا وهو اميركي

وقد أحدث شركة امواس جيليت الاميركية مقاولة تقديم الشفرات اللازمة للجيش الانجليزي في مشارق الارض ومغاربها . ولها مصنع لهذه الشفرات في سلو بانجلترا . وترى اسم شركة كودالك الاميركية وعبرها في جميع انحاء انجلترا . وبيانات دعلل المشهورة ضد الاحبار تباع في انجلترا في دكاكين لشركة شولت الاميركية

وشركات الكاوتش والكهربائية الاميركية تملأ روسيا وروح . وهي وشركة شيدر الفرنسية المشهورة تقتسمان بالسوية صنع الآلات الكهربائية الثقيلة

والشركات الاميركية تمد طرق السيارات في جميع جهات أوربا حتى ايطاليا

وفي اليونان عهد الى شركة اميركية في نحو ١٦٠ الف فدان من ارض السهل اوصاً زراعية وعندها خمسة آلاف فلاح يعملون كل يوم ويسيدوم عملهم خمس سنوات

في اثينا يصلح المهندسون الاميركيون ماء الشرب ويحرونه من سهول مرانون المشهورة ويجرون ماء الرش في شوارع من شوارعها . وهم يستخدمون في معاملهم هذه حجراً من القنوات التي بناها هدريانوس لما كان الثغر اثيني

وقد عهد الى شركة اميركية في مد سكة حديد تحت الارض في لندن وجراء من سكة حديد الترو بول الباريسية

وفي روسيا تقام الدلي في كل ناحية مادرة مهندسين اميركيين

• • •

وقد عطف هذا الكاتب الاخير على ماتقدم قوله: لكن يجب على الاميركيين ان يعلموا مايجري في بلادهم على ايدي الاجانب فيحفظوا من غلوائهم ويبرلوا من كبريائهم ، فصدنا شركة الصناع المعروفة باسم « اسكو فوتو برودكتس » وهي فرع شركة الماية . وهل هناك شيء اكثر اميركية من « مكنات سنجر » ولكن كم بعض من الاميركيين انها ملك شركة انجليزية . وعندك صابون بيرس ولوكس ورنسو وتويلك ولايف بوي لم يصنع في اميركا ولكنه ملك شركة ليفر الانجليزية المعروفة

وشركة الخيوط الاميركية التي لها فروع في جميع اميركا تابعة لشركة انجليزية مشهورة

واميركا اعظم البلدان احتراماً للحرية الصناعي واستهلاكاً له ، ولكن المعامل التي تصنعه ملك انجليز والبلجيين وفرنسيين الا القليل

وعشرة في المائة من بترولنا ملك شركة انجليزية

أساطيل الجو تهدد سلام العالم

لليكوماندر كنوارذي عضو البرلمان البريطاني

تحدث اللورد بيلتي أحد كبار الساسة في جنوب أفريقيه ومن أنصار السلام العام خطبة قال فيها : « إذا استطاع المؤتمر البحري أن ينقص الاساطيل عشرة مدفوعة فتح السبيل لمكافحة مسألة أصعب منه بمراحل وهي نزع السلاح البري والجوي . ونزع سلاح الجو أهم وأنفع لأن الحرب الجوية أشد هبوب الحرب خطراً على الحضارة لأنها لا توجه إلى الصفوف العسكرية فقط بل تشمل السكان الآمنين في بيوتهم »

وعلى أثر هذه الخطبة كتب الليكوماندر كنوارذي عضو البرلمان البريطاني المشهور مقالة يبين فيها نظائم هذه الحرب تحت العنوان المتقدم فحصناها فما يلي :

ليست أبحث في هل تقوم حرب عالمية أخرى بل أكتفي بالقول إن حروب الدفاع مسموح بها مسلماً في معاهدة بريان ـ كيلوج . تلك المعاهدة الخارجة على القانون . وعلى الرغم عن عهد جميع الأمم والحركة السلمية العامة عند جميع أممهم أمم أوربا ـ وأمي بيدها ـ بمقدار أكثر مما في مفدورهن على السلاح

وهذا الحكم يصدق على البلاد أخذاً في حين أن أمريكا تفوق على جنوب وعدتها وسلاحها الجوي أكبر كثيراً مما كانت تفوق من الجنوب العظمى . ومع أن كلا الدولتين في أن عند اندلاع الأمم سوف يحوم دون شك حروب في مستقبل فلا شك أن الحكمة من الجمعية العامة لتلك الدول العظمى ترى أن الحرب أمر لا مفر منه وإلا ما أعدت الأموال لتحضيرها

وإذا حدثت حرب عظمى أخرى فلا مفر منها على جميع الدول التي تشترك فيها وقع الصاعقة لأنه غير مستعد لها . وستكون الحرب القادمة في الجو وينتصر فيها الدولة التي تكون أقدر من غيرها على التنكيل بالسكان الآمنين فتعمل عوامل الحرب في الرجال الضعفاء والنساء والأولاد الى حد يتضع عنده ما نسميه بالحضارة وينتف نسيجها فتحل

وسبب ذلك أن الطيران وسع ميادين القتال الى حد غير محدود حتى صار في الامكان الالتجاء الى أدمغة أهل الكيمياء والبكتريولوجيا ضد المدن مزدحمة بالصناع والعمال . قال الجنرال غوش في عدة قبل موته قولا هادئاً تقدره قدره لأنه صادر عن مفكر حاذق وتمرس بالحروب وعرف وحر :

« إن مدى التغيرات في الهجوم واسع لا يقدر ولكن هجوماً مثل هذا قد يؤثر في جماهير الآمنين إلى حد تكره فيه الحكومات على التسليم فيكون فاصلا بسبب عظم تأثيره للصوبين الامة »

والحرب سببان في عرف العسكري والمؤرخ ـ حرب محدودة وحرب غير محدودة . والحد بينهما واسع . فالحرب المحدودة هي بين دول تحملها أحاد شاسعة تتقاتل على أعراض محدودة

كالحرب الأخيرة بين انجلترا وأمريكا . وحرب تركيا وايطاليا التي نشبت في أول هذا القرن . فان ايطاليا لم تكن تريد مهاجمة تركيا . وتركيا لم تكن تقدر على مهاجمة ايطاليا . وكانت حرباً صغيرة . وفي الحروب المحدودة التي قد تحدث في المستقبل تكثر الغارات الجوية على المدن ومهاجمة المستعمرات ومناطق الثغور . وفي وسع انجلترا وأمريكا أن تشتركا معاً في هذه الحرب بقيت كندا على الحياد

أما الحروب غير المحدودة فتقع بين أمم قوية واسعة الثروة والتجارة قريب بعضها من بعض فيعبئ جميع جيوشها وتستخدم جميع مصادرها ومواردها لحرب دنيا حياتها أو موتها . وقد كانت الحرب العظمى من هذا النوع وحرب مثلها يمكن أن تثور في المستقبل بين انجلترا وفرنسا أو فرنسا وايطاليا أو انجلترا وأمريكا وكندا داخلة فيها

وعرض جميع الحروب المحدودة وغير المحدودة التشديد على بحر الحاربين ومضايقتهم الى درجة يضطر الجانب فيها الى طلب الصلح . وهذه الدرجة قد يوصل اليها من غير أن تكسر الجيوش في الميادين . واذا نشبت حرب أوربية عظيمة في المستقبل فهذا ما سيحدث فيها . فان حصار ألمانيا البحري في الحرب الماضية سبب تضعضع الأمة الألمانية في حين أن الجيوش كانت قادرة على الثبات مدة طويلة بتقصير خطوطها . وقد حاول الألمانيون الانتقام من انجلترا بوجه خاص فأثاروا حرب الغواصات على بوارج التجارة وحرب الجو على مدنها الكبرى

لكن الطيران كان في عهد طفولته حينئذ فلم يتمكن الألمانيون جهد بحر على بلوغ أهدافهم أولا ثم عمدوا الى طياراتهم ولكن كان صغيراً بالنسبة الى ما هو الآن ولم يستطيعوا توفير كثير منها بسبب حاجتهم اليها في الجبهات المختلفة

أما في المرة القادمة فيوشك أن تكون أحكامه عظيمة ولا سيما اذا استخدت الدول العظمى الحرب مقدماً والاموال التي تنفق الآن على السلاح داهمة مساعدة لأن تفوق في سلاح قديم لا يفيد في حروب المستقبل وليس بين الأمم الآن أمة تستعد للحرب على بوارج الخطوط وأمراء البحر الذين يعتقدون أن الحرب القادمة ستكون كالماضية لا يرون نقوداً عظيمة

وعلى كلنا تنفق مبالغ عظيمة على أشياء مهجورة مثل الشاة والفرسان والدبابات والمدرعات مثال ذلك ان فرنسا تحتفظ بجيش لمشاة القدم وتنفق الأموال الهائلة على التحصينات والخنادق والسراديب الدائمة وغيرها على حدودها ولكن الحرب القادمة سوف يقصى فيها من الجو فلا تكون قوات البر والبحر سوى عوائق لا نفع منها

إن جيش المستقبل سيكون طيراً لا زحفاً فاذا علمت دولة قوية ذلك واستعدت له سراً فانها تقهر الغارة التي هي فيها من أولها الى آخرها . فقد حمل حكيرخان الغازي المغولي جيشه كله من الفرسان وقادته فرسان فتمكن بسرعة حركته من قهر معظم العالم المعروف حينئذ . ولم يكن من الفرسان في جيوش عدوه سوى الأعيان فاضطروا أن يرجعوا عنه لمشاة جيش الشاة

أما جيش الجو فأسرع من الفرسان بكثير حتى انه يستطيع ان يكل بالمكان الآمنين ويتجاهل جيوش عدوه وأساطيله . وقد كان أعظم هجوم جوي هاجم به الألمانيون لندن يوم عيد العنصرة

رسم رمزي يمثل أحد عباقرة المدن الكبرى وقد أصلته الطيارات بوابل القنابل والنيران الناريه

سنة ١٩١٨ واشتركت فيه ٣٣٠ طيارة وركبها ١٠٠ طيار . وكانت القوة المدافعة مؤلفة من ٨٠٠ مدفع و٤٠٠ مور كشاف و١٠٠ طيارة للقتال موزعة على جنوب انجلترا . وأتى هناك فرقة من الجيش لتدرب لتشارك الدفاع وكان لكل هجوم ملائم كل ثلاثة للمدافعين ومع ذلك لم يسقط الأخير سوى ست طيارات من الطيارات الثلاثة . أما الطيارات الباقية فأفرغت حمولتها وبقيت قادرة ضعيفة كما هو معلوم

وكان معظم طيارات الجيش المدافع والمقاوم للطيارات قد عد ما عدده من القاذفات والرجال ولم يبق في الطيارات غير . ولو كان عدد الألمانيين مائة طيارة أخرى تأتي مقذوفاتها على لندن لوقفت مكتوفي الايدي لا تستطيع شيئاً

وفي الحرب القادمة سوف تستعمل الغازات السامة ومواد سامة أخرى يستحيل وقاية المدن منها وقد عرف عدة أصناف من الغاز لا تنفع الكمائم ولا الخنادق فيها لأنها تستقر في الخنادق أيضاً لا تتزعزع منها . وإذا أطلقت أيدي رجال الكيميا فانهم يستطيعون قصف سكان المدن بشرط أن تتمكن عدة طيارات من خرق نطاق الدفاع وتأتي ما تحمله من جراثيم الأمراض على المدن . أما كونها تستطيع اختراق نطاق الدفاع فشيء لا يختلف اثنان فيه

ويؤخذ من المعلومات التي عندي أن لدى الحلفاء الآن ١٢٠٠ طيارة حربية . وإذا دعا الداعي عدت ٤٠٠٠ من عدة الجيش العامل بضعة أيام . وإذا كان الألمانيون قد عملوا ما عملوا سنة ١٩١٨ ثلاث وثلاثين طيارة من طراز حوت فما بالك بهذا العدد العديد من الطيارات . ثم ان فرنسا لبست الدولة الوحيدة في العالم وهي ذلك فهي تحتل مقاعد على الجيش والبحرية

والطيارات الحديثة رخيصة قد لا تزيد عن الطيارة عن تقدف القنابل على الف جنيه . ويمكن تدريب الطيارين رجالا ونساء على العمل في مدة أسابيع ولا أرى داعي لأن عندنا طيارات تدار باللاسلكي عن بعد وهذه تخرق نطاق الدفاع وتأتي قنابلها ومقذوفاتها من غير أن يكون فيها رجل أي باللاسلكي . ولا يهم كثيراً أعادت أم لم تعد شرط أن تتم مهمتها من إلقاء القنابل وأدوات الهلاك والدمار

وفي حرب غير محدودة بين انجلترا وفرنسا مثلا تصبح باريس ولندن وسائر مدائن فرنسا وانجلترا الكبرى معرضة لغزو الطيارات عدة ساعات من اعلان الحرب . وفي حرب غير محدودة بين الامبراطورية البريطانية واميركا تكون كذا سانحتها تصبح المدن من الجانبين معرضة لمثل ما تقدم

وجميع الخبيرين بشئون السلاح الجوي يقولون لك إن كل وسائل الدفاع ضد هجوم الطيارات ليلا ضعيفة لا ترد غارة ولا تدفع مقذوراً . وقد قال ذلك حديثاً اللورد طمسن ، والجنرال بيلي وأولهما كان وزيراً للطيران في وزارة العمال الماضية وهو وزيره الآن والثاني كان وزيراً للطيران في وزارة المحافظين فالطيارات أرخص بكثير وأفعل بكثير من سلاح البر والبحر معاً

وقد دلت التجارب التي جرت على ساحل اميركا الشرقي منذ سنوات بأمر مجلس الامة

مدمل للدمار والتهديم

ذلك وذاك لمحة من الطائرات التي قامت على صنع هذا الفتح العدو

والواحد التي يمكن أن تؤثر في ساحات القتال . ولو أن الالمانيين اعتمدوا على هؤلاء هم أنواع الحرب بدل الاعتماد على البوارج لكسبوا الحرب قبل دخول أميركا فيها . والطائرات أعظم تأثيراً في مهاجمة البوارج وشل حركة البواخر من الغواصات بما لا يقاس

هذا هو بالاختصار بعض تأثير الطيارة في حروب المستقبل ولا يسعنا بعد هذا الا ان نهنئ الحلفاء بالمعاهدات ثبتاً وكل أمة عندها المصادر والموارد الهندسية والعلمية الكافية تستطيع أن تزحف الطائرات الحربية بأسرع من تعبئة الجيوش والأساطيل وعندها بالمعدات اللازمة

وقد كانت الحرب هنا كثير الشقة قبل استعمال الطيارات وحلق الحرب جوية . وأما وقد أصبحت مثلثة فسوف تكون هائلة مروعة حتى اذا شبت على نار غير محدود لا نقضي في وجهها حضارة ولا نظام ما من النظم الاجتماعية

الماريشال ناي

بين نابليون ولويس الثامن عشر

[يتضمن هذا المقال المنتخ صفحة من تاريخ الماريشال ناي أحد قواد نابليون وتارت الذي وقف موقفاً حرجاً بين واجب الوطن ودواعي الضمير . أيهما رجحه على الآخر ؟ ثم اضطر الى تلبية الواجب الوطني بعد ان أفرغ كل ما في وسعه وفاء بالعهد الذي قطعه لملك لويس الثامن عشر واخيم الى نابليون ، فكان جزاؤه بعد موقعة واترلو ان اتهمه الملك بالمؤامرة وقبض عليه بعد فراره وحوكم امام محكمة الاعيان الفرنسية فقضت عليه بالاعدام]

كنت أقرأ وصف معركة واترلو في كتاب البؤساء لفكتور هوجو وقد وقف نظري وتفكيري عند هذه الصحيفة من قلم الكاتب العظيم :

« . . . وكان الماريشال ناي مهتاج النفس مذهولا يبحث عن الموت مستهدفاً لجميع القذائف في هذا القتال العنيف . وقد قتل تحته خمسة خياد فاعلى صهوة السادس والعرق يتصبب من جبينه والزبد يغطي فمه والشرر يتطاير من عينيه . وقد تفككت أزرار كسوته وتقطعت شارة الكتف بضربة سيف وكسا الدم والغبار رأسه ووجهه ومعصمه . وأمسك سيفه المكسور ونادى تعالوا وانظروا كيف تموت مارشال فرنسا في ميدان القتال . ثم اشتد به الذهول وراع منه البصر وكبر عنده أن يرى شمس الحرية مقبلا فتفر نحو الشرق الصعوف . وصاح اد أبصر قبلة تقتل من كان حوله من الرجال : « لا يصيبني الصدمة مثل هذه ؟ كم أتمنى لو تحولت إلى صدري الآن جميع قنابل الاعداء ولا أنها لتكون . إنك لن تموت رصاص العدو لأن القدر يدخرك لموت برصاص الفرنسيين ! »

وقف نظري وتفكيري عند هذه الصحيفة وحسب أستعرض سيرة الماريشال ناي ، هذا القائد العظيم ، أعظم أنعم تلك الثريا الزاهية من القواد العظام الذين شيدوا عظمة فرنسا في عهد نابليون والذين دوّخوا الممالك وأذلوا الملوك وبسطوا سلطان سيدهم على أوربا ولو لم تقصف في وجههم عصمة الاقدار لبسطوه على العالم . وجعلت أتأمل في مصير هذا البطل ، بطل الابطال كما كان يسميه الجيش ، وكما كان يسميه الامبراطور ، وكيف أبقى عليه الموت في مائة معركة حربية ليموت ميتة الخونة وليسقط تحت رصاص اثني عشر جندياً من جنود فرنسا الذين طالما قادهم الى المجد في ميادين الجهاد

وليت شعري أي قلم هذا الذي لا يؤثر أن يجعد مداده على أن يخط هاتين الكلمتين « ناي الخائن » وأي عقل هذا الذي يتصور أن ناي يخون

ناي ماريشال فرنسا ، ودوق ايلشتن ، وأمير الموسكوفا ، وحامل الاوشحة الكبرى من ياشين فرقة الشرف والنسر الكبير والمسيح ، وحامل أوسمة التاج الحديدي والقديس لويس ، وعضو على الاعيان ، وبطل حملة الروسيا وواجرام وبينا ومارنجو واسترليتز ، ناي وهذه أسماؤه وألقابه يتهم بالخيانة العظمى ويحكم عليه بالاعدام ويموت كما يموت الخونة المجرمون ؟ حقاً لذلك كبرى الكبر

وحقاً إن هذا الحكم الذي أصدره على الاعيان سيظل الى جانب الحكم على الدوق دانجان أبشع وصمة في جبين المحاكمات السياسية وصدق من قال إن السياسة اذا دخلت من الباب ولت العدالة من النافذة

* * *

كان ذلك في عام ١٨١٥ وقد تنازل نابليون الاول عن عرش فرنسا وارتمى جزيرة ألبا (١) مقاماً وعاد الحكم للملكي الى فرنسا وارتقى عرشها الملك لويس الثامن عشر

في السادس من شهر مارس كان المارشال ناي يقضي أجازة طويلة بمزرعة له قريبة من مدينة شاتودان وقد جاءه رسول من قبل وزير الحربية يحمل اليه أمراً بالارتحال الى مدينة بيرانسون حيث تنتظره أوامر مستعجلة عهد اليه في تنفيذها . ولم يكن الرسول يعلم من سر المسألة أكثر مما قال كما لم يكن لدى المارشال من الاخبار ما يجيبه على معرفة شيء مما عسى أن تكونه هذه الاوامر المستعجلة

سرعان ما حزم المارشال أمتعته وارتحل قاصداً بيرانسون الا أنه عرّج في طريقه اليها على باريس . وفي باريس التقى صديقاً له اسدره بسؤاله : « وما قولك يا مارشال في الحادث الجديد ؟ » قال . « أي حادث ؟ ... لست أعلم شيئاً . » وهنا قص عليه الصديق أن الامبراطور نابليون ، وكأنه قد مل الفراغ في جزيرة ألبا ، قد غادرها وتحفز في مرسيليا في جيش صغير ليسترد عرشه ، وأن سكان المدائن والقرى يستقبلونه بالدعاء له والهتاف باسمه وهم يلتفون في ركابه الى العاصمة ، وأنه قد أوشك أن يستولي على مدينة ليون بعد أن استولى على مدينة فينه من غير أن يلقى مقاومة

سمع المارشال هذه الاخبار وكأنه قد استعرض في ذهنه وفي خلال لحظة كل ما قد يجره على فرنسا عودة نابليون إلى الحكم وسلطانه المطلق وجمع ثوره ، فأطرق هنيهة وقال : « تلك مصيبة » ثم نظر إلى وجه محدثه وقال : « وأية قوة لدى الحكومة تصد بها هذا الرجل ؟ » وانصرف مفكراً مهموماً

واستقبله وزير الحربية وأنبأه أن جلالة الملك ، تقديراً لشخصه ولمزاياه ، قد اختاره لقيادة الحملة التي حردها على نابليون وأن عليه أن يسافر في الحال ليتصل بشقيق الملك الذي وكل اليه تجهيز تلك الحملة والاشراف على شئونها

وطلب المارشال مقابلة للملك فكان له ما أراد وقال له صاحب العرش : « إنه يعتمد على مكانته بين رجال الجيش وعلى شهرته بين الشعب وعلى كفاءته العسكرية في وقف زحف بونابرت وأعادته الى حيث كان »

وكأن هذه الكلمات المرضية للكبرياء قد صادفت الوتر الحساس في نفس المارشال فألهته عن تذكر تعلق الشعب بنابليون وعن تذكر ضعف الحكومة الملكية وقوة خصمها ، فاندفع يؤكد للملك وثوقه من النصر ويطمئنه من مخاوفه ويردد « انه سيضع نابليون في قفص من حديد يحمله به الى باريس »

(١) « ألبا » جزيرة صغيرة واقعة شرق جزيرة كورسيكا وهي من أملاك فرنسا

واقه يعلم أن الماريشال كان مخلصاً في هذا الاندفاع وأنه ، عند ما كان يرجو من الملك أن يثق به ويعتمد عليه ، ما كان يسر في نفسه شيئاً ولا يبيت أمراً . فقد خدم فرنسا في أمانة ونزاهة وبطولة ولم يأبه يوماً لنظام الحكم القائم فيها فسواء لديه أكان هذا الحكم جمهورياً أم امبراطورياً أم ملكياً أم غير ذلك . كان جندياً في جيش الملك لويس السادس عشر ثم ضد سابقه في جيش حكومة الثورة ثم ساطاً فقائداً في حكومة القنصلية ثم ماريشالاً في العهد الامبراطوري ثم Pair de France في عودة الملكية . ولقد خدم في ظل هذه الحكومات المختلفة النوع الشابة الشرب بالعاطفة التي تشعر بها النفس المخلصة التي تعلم أنها خلقت لتقوم بالواجب وأنها قامت بالواجب . وكان يرد بما ردّ به الوزير تاليران على الذين أخذوا عليه تقلبه في المبادىء تقلبه في خدمة أنظمة الحكم المختلفة: « انني لا أخدم حزباً وإنما أخدم فرنسا »

سافر الماريشال الى بيرانسون مطمئناً واثقاً ، ولكنه ما وصل اليها حتى بدأ يشعر ببوادر خيبة الأمل فان الجيش الكامل العدد والعدد الذي قيل إنه سيجمعه تحت إمرته في بيرانسون لم يجتمعه غير فتول لا مدفعية لديها ولا يمكن الاعتماد عليها . وجاء الدوق دي مايين ، ليون وأشار الى الماريشال أن حالة جيش الكونت دارتوا لا يمكن أن تكون أسوأ مما هي عليه . فروح التمرد والعصيان سائدة على الجنود الذين بانوا يحنون الى أمبراطورهم العظيم ونابليون ثم اختاسه أينما سار وتلهب طلعته النفوس حيثما حل وما هو إلا أن يلوح ناظريه أو أن تتصور أنهم تكلمهم بكلمات التي يعرف كيف يتخيرها حتى تنطلق الأنفس هاتفة باسمه ولا تكف مستغفة له ولا تقدم حارية في ركابه . وهو ينتقل من بلد الى بلد في سرعة لم تتفق في جيوش الملكيين على أي نحو . وأضاف الدوق الى هذه الأخبار المزعجة أن الكونت دارتوا ما زال في حيرة وتردد حتى أنه صار لا يأوي على شيء وأنه يرغب في الالتقاء به ليتشاوروا في الأمر

ورحل الماريشال الى فريبورغ وسويسرة بينما جيش الكونت دارتوا وينتظر تعليمات جديدة وكتب الى الدوق يحيطه علماً بحالة الجيش ويطلب تحرير قواه بالمدفعية وبفرق جديدة من الجيش ولكن قبل أن تصل اليه هذه الصورة الحقيقية كان حاكم القاعدة قد أبلغه أن مدينة ليون استسلمت من غير قتال وان الكونت دارتوا انسحب بغير مقاومة وان جزءاً كبيراً من جيشه هجر العلم ليضم الى جيش الامبراطور . ثم راحت في الوقت نفسه اشاعة تقول ها أن الملك قد غادر باريس هارباً مع أعضاء البيت المالك ورجال البلاط

نعم بدأ الماريشال ماي يشعر ببوادر خيبة الأمل ويُيقن أنه يدافع عن قضية خاسرة ، ولكنه حاول أن يقوم بالواجب جهد المستطاع فكتب الى وزير الحربية يشرح له خرج الوقف ويستحثه لارسال النجدات اللازمة وذكر في كتابه : « ان بونابرت قد بهر الناس بسرعة حركاته وسرعة تقدمه . أما الشعب فقد مهد كل وسائل النجاح وسرت عدوى الاعجاب بالامبراطور الى الجنود . فلا مندوحة لنا في حالة هذه من أن نقوم بحركة خاطفة حتى نستأصل الداء من جذوره وذلك لا يتيسر الا ببذل جهود صادقة تعتمد في نجاحها على ما ستبادر بارساله الينا من الرجال والذخائر »

ولكن نابليون كان يهب الأرض نهباً ويتوغل في المدائن والقرى والمساكر كما تتوغل النار في الهشيم فلقد استولى على ليون ثم شالون ثم بورغان بريس ثم اوتين ثم ديجون وكل ذلك غير قتال فما هو الا أن يهل على بلد حتى يخرج اليه اهله هاتفين : « يحيا الامبراطور » وما احلة فان فرنسا كانت ترتمي بين ذراع امبراطورها كما ترتمي الحسناء على صدر من تحب

وكان الرسل يسبقون نابليون الى المدن فيبشون فيها مروجين له داعين الى الالتفاف حوله ، مذكرين السكان بعظمة الرجل الذي رفع اسم فرنسا الى السماك الأعلى حتى شخصت اليه أبصار العالم معجبة ذاهلة وأثمرت هذه الدعاية الواسعة النشطة ثمارها وبدأ الجنود يتمردون ، وأحس الماريشال أنه فقد نفوذه في الجيش ، وأن كل عوامل الصبر قد تبرت من بين أضلعه ، وان العاصمة تستجمع قواها لتنقض على رأسه . وحتى يستعرض الحالة فألقى بعينه وحيداً فلا الملك يوافيه بأوامره ، ولا وزير الحربية يسعفه بالنجدة ولا الكونت دارتوا يتصل به ، وها هي المدن والقرى تفتح أبوابها في وجه الامبراطور وها هم الاهالي قد استولوا على الدفعة التي كانت في طريقها اليه وسلموها لنابليون ثم ها هو نفسه لا يملك من الامر شيئاً وليس أمامه الا جيشه الضئيل وهو لا يثق به ولا يعتمد عليه

وبينما هو يستعرض الحالة ويرى فيها كل سوء اذا برسل من قبل نابليون قد وفدوا اليه وسلموه رسالة من الجنرال برتران رئيس أركان حرب الامبراطور يقول له فيها : « إن المقاومة جهد ضائع غير لك ألا تحاول استحسن ، و د ب الامبراطور قد غادر جزيرة ألبا متفقاً مع حكومتي النمسا وانجلترا وأن هاتين الحكومتين رضتا أن يعود الى عرشه بشرائط وضعها وإياه تسوية شاملة لجميع أنواع الخلاف التي كانت تجر الى الحروب ، والى تفكير صدر السلام فلا محل اذن للخوف من أن يعود الامبراطور فيجر فرنسا وورا ، الى حروب لا نهاية لها » وأضاف الى ما تقدم . « أن الملك مورا صهر نابوليون يسير في طليعة جيش كبير يقدمه ثم الجيش الامبراطوري ، فمن العبث إذن أن تعمد الى مقاومة مقضي عليها بالفشل ، بل إن من الأجرم أن تسوق فرنسا الى حرب أهلية لا تسيل فيها غير دماء الفرنسيين » وختم الجنرال برتران رسالته بأن ذكر الماريشال بتلك الأيام المجيدة التي قادهم فيها سيدهم العظيم المجيادين الجهاد والشرف ، وبأن كل ما يتمتعون به من جاه وثروة وألقاب انما هو من فيض نعمة ذلك السيد الذي يحق له أن يعتمد عليهم في مثل هذا اليوم وان الخيانة ، اذا كان ثم خيانة ، انما هي في أن يشهر السيف في وجه ذلك الذي وضع السيف في يده ليكون له نصيراً اذا جد الجد ودعا داعي الفداء

قرأ الماريشال هذه الرسالة وأعاد تلاوتها ثانية وثالثة ثم أرسل نظره الى الأفق وحمل رأسه بين يديه وجعل يفكر :

كل ما جاء في الرسالة صحيح . وصحيح أن المقاومة جهد ضائع ، وأن جيشه لا يستطيع غير الساعة التي يهرع فيها نحو الامبراطور ليحارب تحت لوائه ، وأن الملك قد هجر العاصمة مرتحلاً راحلة المسي على عنف الجهاد ، وأن كل شيء يشير بنجاح نابوليون ويؤذن بانتصاره ، وأن المقاومة في مثل هذه الحالة انما هي الحرب الأهلية من أجل قضية هجرها أصحابها وتألبت عليها القوى من كل صوب وناحية ؟

مادا يعمل ؟ صحيح أنه أقسم للملك لويس الثامن عشر يمين الاخلاص والطاعة . وأن من الكرامه أن يظل مخلصاً له ومطيعاً ، ولكن اذا كان الملك قد غادر ملكه وخان بهراره قصية عرشه ، فمن ذا الذي يطلب من ناي أن يكون أكثر تشيعاً للملكية من الملك نفسه ؟ ثم علامَ التشيع للملكية وقيمَ التحمس لها الى حد إيقاد نار الحرب الاهلية في البلاد ؟ ثم ما الذي يذكره المارشال ناي وغير المارشال ناي من حسنات احكم الملكي عليه وعلى رملائه المارشالات الذين شيدوا عظمة فرنسا وبسطوا سلطانها على أوربا ؟ انهم لا يذكرون غير تلك المعاملة الشاذة القريبة من الاحتقار التي كان نبلاء البلاط يقابلونهم بها ، وذلك النفور الذي كانت روحانيهم تلقاه من دوقات البلاط وأميراته . وانهم ليذكرون تلك السهرات الملكية التي كانت لساؤم تعود منها باكيات لفرط ما لقيه من سخرية السلاء والنبلات، كأن كل تلك الحروب المفخمة ، وكل تلك الانتصارات الباهرة وكل ذلك الشرف لتكتسب في ميادين القتال ، كأن كل ذلك لا يكفي ليجعل العصامي نبيلاً في نظر أولئك العظاميين الذين لا يعترفون إلا بالدم للوروث ولا يحاذون الا المجد التالد والحسب القديم . وبعد فاذا يكون المارشال ناي اذا لم يكن صنيعة نابليون ورجله ؟ واذا قدّر عليه أن ينسى كل شيء فكيف ينسى الألقاب وعلامات الشرف التي أغدقها عليه الامبراطور ؟ واذا نسي ذلك فكيف ينسى تلك الذكريات العظيمة ، ذكريات الحروب التي خاضها مع الامبراطور جنباً الى جنب ، وذكريات ذلك الماضي الخالد بالعظائم وجلائل الامور ، وذكريات تلك السنين من حياته التي أمضاها في حب نابليون وخدمته وتمجيده ؟ وهو هذا الجندي ، هذا العصامي ، هذا هو يبتدعه فهل يصمّ أذنيه فلا يسمع النداء ؟

وأخرج أحد الرسل ورقة نشرها أمام ناي وقال إن الامبراطور يريد أن تقرأ على الجيش هذا النداء . وتناول ناي الورقة وقرأ . أيها الجنود ، إن أسرة البوربون قد قضي عليها القضاء الذي لا مردّ له وآن لفرنسا أن تتحرر من سلطة الذين يحكمونها فيختنقون عواطفها ويدوسون حقوقها ولا يحترمون ما يعبر فؤادها من أمان وآمال . أيها الضباط ، أيها الجنود ، لقد تدثكم مراراً تحت أعلام النصر في ميادين الشرف والجهاد ، وهأنذا أقودكم اليوم الى باريس حيث تتحقق سعادة فرنسا مما أتمنيه وتتمنونه لها من العزة في ظل اليسر والسلام ليحيا الامبراطور »

وقام في نفس المارشال صراع عنيف بين ما تدعمه اليه العاطفة وما يوحيه اليه الواجب فأراد أن يبرىء ذمته باستشارة أهل الرأي من رجاله فاستدعى الجنرال لكورب و الجنرال بورمون وعرض عليهما الامر ، ولكنهما لم يفضيا اليه برأي وتركاه يهيج الهيج الذي تقضي به المصلحة الوطنية وطبيعة سير الامور

* * *

وجمع المارشال الجيش وتلا عليه نداء الامبراطور وعقب عليه بقوله : « أيها الضباط ، أيها الجنود ، نعم إن قضية آل بوربون قد قضي عليها القضاء الأخير . وإن الأسرة الشرعية التي اختارتها

درنا ورميت عنها عائدة اليوم لاعتلاء عرشها . وليس لاحد أن يدّعي حقاً في عرش بلادنا الجليلة غير جلالة الامبراطور نابليون » وما أتم للماريشال عبارته حتى صاح الجيش بأجمعه «يحيا الامبراطور» ولكن ضابطاً شقّ لنفسه طريقاً بين الصفوف وجرى بجواده إلى أن بلغ الماريشال وتناول السيف بيديه وكسره على مقدمة سرجه وصاح بقوة « يحيا الملك » وأدار جواده واختفى عن الانظار ذلك كان الكونت دي جريفيل وحذا حذوه ضابط نبيل آخر هو الكونت دي لاحتير فكتب إلى الماريشال كتاباً قال فيه : « عما أني لا أستطيع أن أتعامى عما يمليه عليّ الواجب والشرف وعما أني لم أحلل من اليمين التي أقسمتها للملك يوم أنعم عليّ بوسام القديس لويس فأني أعادر لمعسكر في الحال غير آسف على شيء وإذا كان في سلوكي هذا ما قد يؤثر في مجرى حياتي فاني أضحي بحياتي في سبيل واجبي » وقدم مدير الاقليم ومعه الكولونيل دوبان وأكدا للماريشال ولاءهما على الولاء للملك .

وكان من جراء ذلك أن أمر نابليون بالقبض عليهم وعلى الجنرال بورمون والجنرال ليكوربه وعساكرهم أملاكهم جميعاً

ولم يرد الماريشال أن يظهر في مظهر الخاضع لفكرة طارئة أو السير بأرادة غير ارادته فصرّح لكل الذين اتصلوا به أنه انما يتبع خطة مرسومة من قبل ، وأنه كان على اتصال بالأمبراطور . ولا شك أنه كان لهذه التصريحات أثرها في الحكم عليه بالاعدام

وذهب نابي الى منزله وكتب الى نابليون ما دعى عنه بدوره بقوله : « إعلم يا مولاي أني ما أقدمت على ما أقدمت عليه تمرداً بك ولا اصراراً لتحسك فقد حرّمت أعمالك على وطني مصائب كثيرة وحسائر فادحة وقد أوجدت حروبك لعدة الدول والتقل والأحزان على جميع الأسر والبيوت . فذلك أريد أن أقسم لي يوم وأنت تعاهدني على أن تعمل في المستقبل على إصلاح ما فات وأن يكون كل همك في إسعاد الشعب والعمل على رفاهيته وألا تشهر السلاح إلا للدفاع عن الوطن إذ هذه سلامته خطر وإني أحس هذا العهد شرطاً لاتمامي البيت هذا الانتقام الذي أقدمت عليه حرصاً على ألا تشبّ في البلاد نار الحرب الأهلية »

وكان عناد وكان عناد وعادت الأمور بين الامبراطور والماريشال على ما كانت عليه من قبل كان الملكية لم تعد إلى فرنسا أو كأن عودتها كانت قوساً فتح ثم أقفل ولم يترتب عليه شيء

* * *

وانتهت معركة واترلو إلى هزيمة نابليون ونفيه وعاد الملك لويس الثامن عشر إلى العرش ودقت ساعة الحساب

وكان الماريشال يظن أن المادة الثانية عشرة من الاتفاقية العسكرية التي عقدت بين الدول المتحاربة تحميه من انتقام الملك إذ أن هذه المادة تنص على : « أنه لا يجوز أن يسأل إنسان أو يحاسب أو يعاقب على أي عمل أو رأي أو إحراء وقع منه قبل تاريخ هذه الاتفاقية » ولكن ما لبث هذا الظن حتى تبدّد لما أعلن الملك عزمه على « الاقتصاص من المذنبين بقوة القانون » ولما عاد فأكد ذلك في منشور أذاعه في الشعب وقال فيه : « أما أولئك من شعبي الذين

المسلمون بقولهم وإني أعد وأنا القوي لا أحس بوعدي أن أعود عليهم جميعاً . أما المسلمون ، أما أولئك الذين أسلموا دماء أبنائي الفرنسيين عباتهم لي خيانة ليست لها سابقة في التاريخ فاني سأدفع بهم الى عدالة المجلسين لتعاقبهم على مؤامرتهم السافلة . . . »

وأيقن الماريشال أنه المقصود بهذا المنشور فصمم حتى حصل على جواز سفر باسم مستعار وحاول أن يغادر فرنسا إلى سويسرا ولكنه لم يتم الحدود حتى علم أن الجيش الملكي يحرسها خوفاً من وجوده شطر هذه الناحية وأقام في أيامه باسم « الفاحور دوبريت » ثم دعته روحه إلى اللحاق بها حيث كانت تقيم لدى أقاربها في قصر بسوى عصفته أحد من أن تتجه اليها أنظار البوليس

وحدث أن شاهد بعض زائري القصر سيفاً تركياً قديماً قد رصعت قبضته بالاحجار الكريمة فأخذوا يتساءلون عن صاحب هذا السيف وظلوا يتساءلون ويتناقلون الخبر حتى أصبح أصحاب القصر ذات يوم وهذا بالجنود يحاصرونه وقد اقتحم بعض الضباط الأبواب باحثين عن الماريشال . وكان في القصر نفق سري يعرف أحد أبراجه عائلة فريدة ولكن الماريشال أبى أن يفر وأسلم نفسه في غير مقاومة

وألف مجلس عسكري عال لمحاكمة الماريشال مؤلف من أربعة ماريشالات وثلاثة قواد وأسندت الرئاسة الى الماريشال موسي الذي أبى أن يجلس لمحاكمة ناي وكتب إلى ذلك الكتاب الآتي :

« مولاي . أما وقد وجدت نفسي من غير إرادتي عضواً في أمر جلالتكم وإما أن أعصي ضميري فاني أريد أن أنهي إلى جلالتكم أني لا أرى في هذه المحاكمة إلى نفسه « مولاي لا تثبت للعرش انصاراً ولا أصدقاء وما كان يوجد لحكم الذي أصدره عليه في مواجهة يوماً ما يوم واذا كان أحد هؤلاء فرنسا بالأمس وحلفاؤها اليوم . والذين يتحدون جلالتكم بصحبة أعلى أمناء فرنسا شأناً وأسمهم ذكراً فانهم يتحدون ذلك بصوت « مولاي بصوت الشعب و برياء من طريقهم تلك الرءوس الكبيرة والاسماء الصحيحة التي ذكرتها أنوه بأولئك الباحثين من الذلة والصغار . إنهم لا يقصدون الى توطيد عرشك و ما يقصدون الى غير عارهم فلا صبح لهم يا مولاي

« أما أن أحس لأحاكم الماريشال ناي ولأنت في مصيره فذلك لي يكون واسمح لي يا مولاي أن أسائل نفسي وأن أسائل جلالتكم أين كان أعداؤه الذين يتهمونه اليوم يوم كان ناي منتدباً من أوربا ميدان قتال يرفع فيه شأن فرنسا ويعلي ذكرها ؟ واذا كانت الروسيا لا تعفو عن أمير اسكوفا فهل تنسى فرنسا بطل البيرينا ؟ (١)

« أرجو يا مولاي ألا تخصك هذه الصراحة من جندي قديم لم يقدس في حياته غير الواجب والوطن وانها لصراحة كانت تستتبع خطراً لو أني توجهت بها الى مليك غير جدير بمحوره من الحكمة وأصالة الرأي . على أنه مهما يكن من الامر فاني اذا مت فسأستطيع أن أردد قوله أحد سلفائك العظام : « لقد خسرنا كل شيء الا الشرف » وعندئذ أموت سعيداً مغتبطاً »

وقد رد الملك على هذا الكتاب الذي يفيض كرامة وبلاغة بسجن موقعه ثلاثة أشهر

(١) اشارة الى بطولة ناي في حملة الروسيا تلك البطولة التي استحق من أجلها لقب أمير

وفي العاشر من شهر نوفمبر سنة ١٨١٥ انعقد المجلس العسكري وعصبت قاعة المحكمة عملية القوم من وطنيين وأجانب شوهد بينهم بعض الأمراء الروسيين والبروس متيريخ وقواد جيوش الحلفاء . ودخل المارشال ناي فاشرأبت اليه الاعناق وعنت الوجوه لما قضاته النحية العسكرية وقابلوها بمثلها وكان يرتدي ثوب المارشالية ورصيعة الوشاح الاكبر من نشان فرقة الشرف . وسأله رئيس المجلس : « هل يتحمل حضرة المارشال فيقول لنا ما اسمه ولقبه ومحل ولادته وسنه ووظيفته » . فنهض ناي متثاقلاً وقال : « إني أدفع بعدم اختصاص هذا المجلس منظر قضيتي لأني عضو في مجلس الأعيان الذي هو الجهة الوحيدة المختصة بمحاكمتي وسيشرح ذلك لكم حضرات المحامين »

وكأنما كان المجلس ينتظر هذا الدفع ليرفع عن نفسه ثقل هذا الموقف الحرج فلم تكن إلا مناقشة قصيرة أعقبتها مداولة أقصر وأعلن المجلس عدم اختصاصه وخرج القضاة فرحين بخلاصهم من أحد أمرين أحدهما ثقيل وأحلاهما مر : إما الحكم باعدام بطل من أبطال فرنسا المبرزين ، وإما الحكم ببراءته ووراء ذلك ما وراءه من غضب الملك والحكومة

وأجلت القضية لتنظر أمام مجلس الأعيان فدافع المحامون ودافع المارشال عن نفسه بقوله إنما فعل ما فعل ليجنب فرنسا من شرور الحرب الاهلية واعترف بأنه أخطأ خطأ لا يزري بالكرامة ولا يجوز اعتباره جريمة لا عتب . ودافع النائب العام فقال : « إن بعض ظروف قاضية تلك التي تهدم طوداً من المجد والبطولة وبعض عاص حقير بالعظائم فلا تدعه لا وهو كوام من الطين لقدر . وإنه لشديد على نفوسنا أن يكون المارشال ناي الذي نقدر باسمه والعصمه طول حياته العسكرية هو نفس المتهم الذي نحسه اليوم هي أخس حالة ويسكب أحواله المجرمون . على أن كل ماضي المارشال لا يمكن أن يشفع لحاضره ولا أن يعطف من قسوة حكم التاريخ عليه . تسألوني عن الدافع الذي حدا به الى سلوك هذا المسلك المعيب ، فأقول لكم إنه حاد عن طريق الشرف ليسلك طريق المجد ، وما يطلق النائب العام بهذه الجملة حتى انتفض المارشال من مقعده غاضباً صائحاً ووثب على خصمه كمن يريد أن يفتك به ، ولكن محاميه تعلب على ثورته وأجلسه وهو يزمجر كالأسد المغلوب

وحدث أن عمد محاميه الى دفع يبطل به اختصاص مجلس الاعيان بنظر القضية فقال إن المارشال ناي مولود بمدينة سارلوي التي فصلت عن فرنسا بمقتضى المعاهدات الاخيرة فان يكن فرنسياً اليوم بقلبه فهو ليس فرنسياً بمولده ولا بموطنه . . . وعندئذ هب المارشال مرة أخرى وصاح في وجه محاميه : « ماذا تقول يا هذا . اني ولدت فرنسياً وأريد أن أموت فرنسياً ، فقل شيئاً غير ذلك أو فاسكت »

واعتقل المجلس للمداولة وطالت هذه المداولة وتشعبت فيها الآراء ووقف الدوق دي بروجلي ودافع عن المارشال دفاعاً عنيداً وقال : « لا يمكن أن تكون جريمة ما لم يتوفر سبق الاصرار وليس بينا من يقول إن المارشال ناي قد نفذ مؤامرة مدبرة من قبل . وكل ما يمكن أن يقال في الموضوع الذي نحن بصدده إن المارشال قد انساق في اللحظة الاخيرة أمام دافع من عواطفه وخضع

حكم الظروف المحيطة به . وهذه ولا شك سقطة ذات خطر ولكنها ليست بالجناية التي تقع تحت طائلة القانون . إعلموا أيها السادة أن من الحوادث ما يتعلى على ارادة البشر فمن الظلم أن نترك تقديره إلى حكمة البشر أو أن نحكم فيه عدالة الانسان فاتركوا سقطة المارشال ناي لحكم التاريخ والتاريخ أعدل الحاكمين »

ولقد كان هذا قولة الحق ولو أصغى مجلس الاعيان لأخذ بها ولكن قلّ ما تسيطر الحكمة على المحاكمات السياسية ، لذلك صدر حكم المجلس باعدام المارشال ناي بطل فرنسا وبطل أبطالها رمياً بالرصاص وتورعت الاصوات بالشكل الآتي :

١٣٨ صوتاً بالاعدام و٩ أصوات لم تبد رأياً وصوت واحد بالبراءة

وأصغى المارشال الى الحكم الرهيب في أكثر ما يكون من الشجاعة ورباطة الجأش والرزانة حتى أن كاتم سر المجلس وهو يقرأ الحكم أراد أن يسرد ألقاب الرجل فقاطعه هذا قائلاً : « دعنا من كل هذا يا سيدي وقل ميشيل ناي »

واستغل في السجن مسجل العقود وصفه وصيته ثم استغل روحته وأولاده فكانت مقابلة مؤثرة ضجت المارشالة تبكي وتنتحب في خلالها حتى وصت فائدة الصواب وأراد الرجل أن يخفف عن امرأته بعض حزنها فأوعز اليها أن قد يكون هناك بعض الأمل في انقاذه إذا هي قابلت الملك والتمست منه العفو عنه

وقد كتب المارشال الى بعض رؤسائه كتاباً مؤثراً قال فيه « ... قضيتي وقد قرأ علي كاتم أسرار المجلس الحكم على الاعدام فرجوته ألا يعجل وإلى الشيخ بهذا النبأ المرعع الذي قد يكون له وقع سيء على ... الاخيرة . وقبل أن يمضي ثمانون ساعة أكون قد لقيت الله ولست آسف إلا على شيء واحد وهو أني لم أتمكن من خدمته وعلى كثرة ما فعلت ، ولكن الله يعلم أني صادق عند ما أقول إني لم أفعل شيئاً يؤاخى عليه ضميري »

وجاءت عربة أقلت المارشال من سجنه الى مكان الاعدام . ونزل المارشال واتجه مباشرة الى الحائط واسند اليه ظهره مواجها فصيلة الجند التي ستنفذ الحكم فيه . ولما طلب منه قائدها أن يجثو على ركبتيه قال : « ألا تعم يا ولدي أن رجلا مثلي لا يجثو على ركبتيه ؟ » . ولما أرادوا أن يعصبوا عينيه ابتسم وقال : « إني أمضيت خمسة وعشرين عاماً من حياتي وأنا أستقبل رصاص جيوش أوربا وقذائف مدافعها فلا تخجلوني بادقكم أيها الأطفال ؟ »

وبعد هنيهة فتح المارشال فمه ولكنه لم يتكلم فسأله الضابط اذا كان يريد أن يقول شيئاً فقال : « انني احتج على الحكم الذي أصدروه ضدي ، احتج عليه أمام الناس وأمام الله وأمام التاريخ . والآن قم بواجبك يا سيدي »

وسدد الجنود بنادقهم الى رأسه فصاح : « اضربوا في القلب أيها الجنود » وسقط على الارض جثة هامدة

رأي اينشتين في البقاء بعد الموت

« الحياة تنتهي بموت الجسم ولو بقيت صورة الى ما لا نهاية له . وما المرء الا خيط في نسيج نهائي عجيب »

جرى حديث بين الكاتب الاميركي المفكر جورج فيرك وبين الفيلسوف اينشتين الشهور صاحب مذهب النسبية في منزل اينشتين ببرلين . وصف الكاتب الغرفة التي احتمعا فيها فقال :

« غرفة بسيطة رياشها قديم وفيها بعض مذكرات وكتب وعلى جدرانها علقت صور نيوتن وهلمهولتز وكبلر وغيرهم . وفيها آثار فنية هنا وهناك وهي أقرب الى أن تكون غرفة موسيقي من أن تكون غرفة أشهر عالم طبيعي »

النسبية

كان الحديث بينهما على صورة السؤال والجواب ، وبدأه الكاتب فيرك بالسؤال الآتي :

فيرك ـ لقد قابلتك آخر مرة شرحت لي سرّ النسبية فهمت كل شيء جوهري فيها . وقد علمت نفسي حينئذ بأني أحد العشرة الذين فهموا تلك النظرية . ولكن لم يطلع عليّ صباح اليوم التالي حتى نسيت كل شيء (تبسم اينشتين) فلن أكون قد فهمت مذهبك بعد آخر يجعل عملي في العالم نسمة فقط يفهمونه

اينشتين ـ معنى النسبية أنه يستحيل على العالم الطبيعي أن يستعمل مقاييس معينة لقياس الفضاء من غير أن يعين نسبتها الى نقطة محدودة من الزمان . فالزمان هو البعد الرابع (والثلاثة الاخرى هي الطول والعرض والسمك أو العمق) والنور هو الذي يقيس بها الفضاء

فيرك ـ وكيف هذا ؟

اينشتين ـ هذا لانه لا يمكن أن يكون في الكون ما هو أسرع من النور . فسرعة النور مضروبة في مربع الحجم تساوي القوة الجوهرية (نسبة الى الجوهر الفرد) المخزونة في جسم ما . والمعادلة بسيطة فهي : . . .

فيرك ـ لا تقل لي شيئاً أكثر إذ من السهل فهم العبارة على اجمالها شرط ان تحذف منها التفسير الرياضي . وقل لي ما هو آخر اكتشاف اكتشفته وصمته الصفحات الست التي اشتملت بها هذه السنين الطوال ؟

المرء خيط في نسيج العمر

اينشتين ـ آخر نظرية لي نظرية مبنية على الحدس والتخمين ولم تثبت بعد بالبرهان . فقد اكتشفت قانوناً يعبر عن الجاذبية بألفاظ كهربائية

فيرك ـ وما هي الكهربائية ؟

اينشتين ـ قد تكون الكهربائية هي القوة الاساسية التي تهيمن على الكواكب كلها

فيرك ـ هل تريد القول بأن الكهرباتية هي الله ؟

أينشتين ـ أتردد في التلفظ بعبارة طائشة مثل هذه

فيرك ـ هل اطلعت على كتاب فرود ، الذي عنوانه : « مستقبل وهم » ، وهو الذي يطبق فيه التحليل النفسي (Psychoanalysis) على الدين ؟

أينشتين ـ قرأته ولكني لا أوافق فرود عليه

فيرك ـ هل تعتقد بالخلود الشخصي ؟ (أي بقاء الشخصية بعد الموت)

أينشتين ـ لا ، بل أعتقد أن كل فرد ما هو نتيجة اقتران فردين آخرين ، ولا أرى أين منح الكائن الجديد شيئاً ولا متى منحها . وأشه النوع الانساني بشجرة ذات غصون وأغصان كثيرة . فليس لكل غصن وكل غصين حياة مستقلة (وفي الأصل روح أو نفس فردية)

فيرك ـ ما هو الفرد ؟

أينشتين ـ الحياة نسيج عظيم والفرد خيط صغير في نموذج هائل عجيب

فيرك ـ هل تتوق إلى الخلود الشخصي ؟

أينشتين ـ كلا ، حياة واحدة كافية لي

فيرك ـ سألت مرة صديق المرحوم [illegible] هو وجد روح من جماعة هارفرد وهل تؤمن ببقاء الشخصية بعد الموت ؟ ، فأجاب : « ولا أستطيع تصور الشخصية أشيء يحدها الزمن » . فهمت من هذا الكلام أنه اعتبر أن الجواب عن سؤالي

أينشتين ـ لا أرى رأساً أن هذا الجواب هو كل ما يمكن من الجواب عن سؤالك

السور برمانه

فيرك ـ ألسنا خالدين بمعنى أن كل صورة ترسم الحياة تبقى إلى الأبد ؟ فلو فرضنا شخصاً ينظر إلى أرسما من كوكب بعيد فقد يرى في هذه اللحظة ولادة المسيح وصلبه . وفي نظره أن بيلاطس ومريم المجدلية وسائر الذين اشتركوا في مأساة الصلب يعيشون . ولو كان الكوكب أبعد لرأى ذلك الشخص موسى وقومه يعبرون البحر الأحمر . ان هذه الصورة اختفت في نظر أهل هذه الدنيا ولكنها لا تزال تسير في الفضاء إلى الأبد . في العوالم البعيدة يصلب المسيح كل يوم وموسى وقومه لا يزالون يعبرون البحر الأحمر

أينشتين ـ يلوح لي أن هذا الكلام سفسطة . فلن الحياة تصل إلى غاية محدودة ولو أن صورتها حملت إلى الكواكب الثابتة على تعاقب ما لا يحصى من السنين النورية . فالموت حقيقة بل هو حق اليقين

فيرك ـ وما هو حد الموت ؟

أينشتين ـ الحياة تنتهي في امرىء ما متى بات بحيث لا يؤثر بأعماله في البيئة والمحيط الذين يكتنفانه

فيرك ـ لكن أفكاره قد تبقى حية

اينشتين ـ نعم ولكنه لا يمكن من أن يضيف نقطة واحدة الى مجموعة حقائقه ولا أن ينقص منها ولا أن يبدل فيها بعض من الطائي

فيرك ـ يشم من حوائك هذا شيء مما كان يدور في عقل عمر الخيام حيث أنشد :

« الأصبع المتحركة تكتب وبعد أن تكتب تعود فتتحرك . وكل تقواك وذكائك لا يمحوانها بأن تعود فتمحو نصف سطر ولا دموعك جميعاً تغسل كلمة منها »

فطأطأ اينشتين رأسه ولم يجب بكلمة

فيرك ـ أتريد أن تقول لي إن حياة الفرد عبث أو أنا نستطيع أن نرفع مستوى الوجود الانساني؟

اينشتين ـ ان عمل الفرد مهما يكن شأنه لا يزيد على ما يضيفه حيوان مرجاني في قعر البحر الى جبل مرجاني أشم . فالتقدم الانساني بطيء . ووجود الانسان ليس الا كسر ثانية في عمر الأرض

فيرك ـ انتقدني بعض الكتاب لأن بطل روايتي « اليهودي التائه » التي كتبت أنا وتوم الدريدج لا يرتقي الى سوبرمان في مدة وجوده الطويل أي ألفي سنة [1]

اينشتين ـ ان ألفي سنة لا تكفيان لنمو السوبرمان . فان طفلك اسحاق لا تدعم عصور كثير من الناس بالجسم الطبيعي الذي أعطته عند ولادته فذلك لا يستطيع أن يجاوز حدود ما أعطي . ولكن في وسعه الاستمتاع بما في تلك الحدود

فيرك ـ هل هناك قوة تعين حدودنا ؟

اينشتين ـ أظن كل شيء في الكون له حد

فيرك ـ هل تؤمن بالله إلهاً سيدور

اينشتين ـ أظن الدهشة على سؤالك هذا رسمي التي أرسلتها جواباً لظرائف صديق اميركي قال لي فيه إن أحد رجال الدين يحسبني لا أؤمن بوجود الله . ولم أكن أريد شر جوابي . ولا أحد في العالم خطر بباله أن يرسل تلغرافاً الى رجل يسأله فيه : « هل تؤمن بوجود الله؟» إلا فلكان اميركي

ان سؤالك أصعب الأسئلة في العالم . فهو ليس سؤالاً يجاب بنعم أو لا . أما أنا فلست ملحداً ولا أعلم هل يصح في القول بأني « باتيست » (حلولي ؟) . فان المسألة أوسع نطاقاً من عقولنا المحدودة

فيرك ـ إن الرجل الذي يكتشف أن الزمان والمكان محيطان ويحس القوة الجوهرية في معادلة واحدة يجب ألا يهوله الوقوف في وجه غير المحدود

اينشتين ـ سمح لي أن أجيب بمثل . إن العقل البشري مهما يكن عليه من عظم التدريب وهو التفكير عاجز عن الاحاطة بالكون . فنحن أشبه الاشياء بطفل دخل مكتبة كبيرة ارتفعت كتبها إلى السقف حتى عطن جدرانها وهي مكتوبة بلغات كثيرة . فالطفل يعلم أنه لا بد أن يكون

(١) هي غير الرواية الفرنسية المعروفة بهذا الاسم لمؤلفها اوجين سو

أحد قد كتب تلك الكتب ولكنه لا يعرف من كتبها ولا كيف كانت كتابته لها وهو لا يفهم اللغات التي كتبت بها

ثم ان الطفل يلحظ أن هناك طريقة معينة في ترتيب الكتب ونظاماً خفياً لا يدركه ولكنه يعلم بوجوده علماً مبهماً . وهذا على ما أرى هو شأن العقل الانساني من اعلاه مهما يكن عليه ذلك العقل من السمو والعظمة والتثقيف العالي

فيرك — أليس في وسع أحد حتى أصحاب العقول العظيمة أن يحلوا لنا هذا اللغز ؟

اينشتين — ربي كون بديع الترتيب حسماً لنواميس معينة ، ونحن اذ نفهم تلك النواميس فهماً مبهماً وعقولنا المحدودة لا تدرك القوة الخفية التي تهيمن على عالميع النجوم

فيرك — يعترف سبينوزا الذي تحب به أنت بوجود قوة مدركة (والعبارة لأصحبه « عالم يملأه العقل »)

اينشتين — أنا مسحور بمذهب الحلول أو ألوهية العلم الذي يقول به سبينوزا ولكني أرفض لبس « الجاكتة » الضيقة التي لفلسفة أي انسان

فيرك — ما هو أعظم أثر لسبينوزا في الفلسفة الحديثة ؟

اينشتين — سبينوزا أنقذ الفلاسفة من الاعتقاد بأن الله شيء مختلف عن الكون والجسم كواحد لاكائنين منفصلين

فيرك — لم يسبقه أحد في هذا ؟

اينشتين — معظم الفلاسفة مدينون للهندوس ، وفلسفة سبينوزا هي بعث فكره لان الهندوس يتحاشون الجسم في فلسفتهم ويسعون أن تصوروا وحدة جوهرية بين الروح والجسد

فيرك — أليست آسيا الأرض كلها

اينشتين — يظهر انها حرمان الفكر الكبير . وان الشيوعية حرمت فيها منذ آلاف السنين

فيرك — هل تظن ان العالم الغربي لا بد أن يمر في دور شيوعي ؟

اينشتين — لا يستبعد ذلك

فيرك — وكيف تصنع في ظل نظام مثل هذا ؟

اينشتين — أظن اني اكون سعيداً سعادة « نسبية »

فيرك — هل توافق لبن ان « الحرية هوى من أهواء الطبقة الوسطى » ؟

اينشتين — قد يكون صحيحاً فان الحرية التامة مناقضة للحضارة . فان كنت لا أريد من أحد أن يدوس على أصابع قدمي فواجب علي أن أضع قوانين ونظم تقيد حريتي . وكلما زاد عدد المتعبين والمتأديين في بلد زادت تضحيات الحرية الشخصية التي تطلب من الفرد وهذه التضحيات هي ما ندفعه ثمناً للحضارة »

وبذلك انتهى الحديث

كيف مات ماكسويني

رواية الآنسة ماكسويني شقيقته

يخيل اليا . كلما تصفحنا تاريخ الثورة الايرلندية وقرأنا سير أبطالها وشهدائها ، أنا بصدد أسطورة من أساطير البطولة في العصور القديمة ، بل إنا لنبحث في هذه الأساطير فلا نجد بطولة الزعماء الايرلنديين مثيلا

والواقع أن ليست لعظمة الثورة الايرلندية سابقة في التاريخ ، فلا عجب إذا أنجبت رجالا ليست لبطولتها أيضاً سابقة في التاريخ

أفهم الوطنية والتضحية ، وأفهم أن أموت مجاهداً في ميدان القتال أو محل المشنقة إذ كان من وراء ذلك فائدة لقضية بلادي ، أفهم ذلك لأن مثل هذه التضحية لا تستغرق أكثر من دقائق تنتهي بعدها الآلام وتندي به دموع الاسى وحلود الذكر وثناء المواطنين . أما أن أمتنع عن الطعام أربعة وسبعين يوماً وأنا في فيضة عدو لا يرق ولا يرثي ، وأم الجوع شر الآلام ، وأن أظل أربعة وسبعين يوماً وأنا أرقب الموت يدب الي ولا أمل في اخلاص ولا عزاء حتى ذلك الكذب البريء الذي يطلق به الطبيب المريض المحتضر ، وأن أعيش وموت أربعة وسبعين يوماً في حجرة واحدة أترقب أن ينقض علي ما بين ساعة وأخرى وهو يرحل عني كلما تراءى لي جهد يستطيع ، وأن أرضى بأن أموت وأمت كل يوم ، وأن أظل موت في أربعة وسبعين يوماً كل يوم مرة أو مرتين ، كل هذا لأصرب لمواطني مثلا في الشجاعة والاستهانة بالموت ولأنول لهم بعض حقوق بلادي أطالب علانية لقاء موت لا إلى هذا لا يصدق بشر أن هذا يوم طاقة الانسان

* * *

كان مستر ملك كورن محامي عبقري كورك قد دخل في حومات الثورة وكان لا بد ممن يخالفه في هذا المنصب الشاق . ومن عرف القاريء أن كورك كان مهد الثورة وميدانها استطاع أن يدرك أن مجرد الاقدام على تولي هذا المنصب من قبل الحكومة الثورية ورغم أنف السلطات البريطانية انما هو تضحية لا يستهان بها

ولكن الشاب تيرانس ماكسويني أحب داعي الوطنية ولم يتردد في قبول المنصب ولكنه لم يمض فيه أربعة أشهر حتى قبض عليه الانجليز وأسندوا اليه تهماً مختلفة لو ثبتت عليه واحدة منها لكفت للحكم عليه بالاعدام . ولكن القضاء لدى رغبة في التوفيق بين ما يقتضيه العدل وما تحتمه ظروف السياسة حكم عليه بالاشغال الشاقة سنتين وأخذوه من ايرلندة ليسجن في لوندرة بعيداً عن مظاهرات الشعب وعواصي الثائرين . ولكن الشاب ماكسويني لم يقتنع بمثل هذا الحكم لأنه صادر عنده من قضاء أجنبي ومن قضاة هم بطبيعة الحالة أعداء لانهم أعداء بلاده فقابله بالامتناع عن الطعام أربعة وسبعين يوماً فقضى نحبه بعدها فكانت هذه التضحية العالية فذة في تاريخ التضحيات

ومستر تيرانس ماكسويني شاعر عظيم الاثر في الثورة الايرلندية حظي بحب الشعب وتقدير

الخاصة وإحلال الخصوم . وكان ينشر شعره السياسي فيبعث من قلبه ناراً تلهب النفوس ولقد وقف في صف زعماء الثورة من بدايتها فكان أحد المثل العليا الوطنية الحادة والرغبة في إفناء الذات في سبيل القضية المقدسة ، تلك المثل العليا التي صورتها ايرلندة العظيمة للامم المعتوهة على أمرها فما مات كانت ميتته أبلغ وأعلى مثلا عرفه التاريخ

* * *

تحدثت مس ماكسويني الى الصحفية الفرنسية سيمون تيري التي أوردت هذا الحديث في كتابها « ايرلندة بين حرب الاستقلال والحرب الاهلية » قالت :

« لست أقول شيئاً عن كيفية استقبال أخي تيرنس للموت فقد كان راضياً به مرتاحاً اليه يعلم ويقول إن الشعوب المظلومة لا تستفيد من التعاليم النظرية غير ما تستفيد من الامثلة التي تضرب لها ولم أسمع منه يوماً كلمة ضجر أو عبارة شكوى . أما أنا فلم أكن ، وقد كنا عاشا في اللحظة الاخيرة ، فهذا ما لا أستطيع أن أذكره بدون أن يثور كل شيء في نفسي . لقد سمحت لنا السلطات الانجليزية بأن نبقى بجانبه لعل العاطفة الاخوية تتغلب عليها فتريه بالطعام . وكانت السلطات قوية الأمل في ذلك ولكن أحدنا ما كان يسمح لنا أن نفاتحه في ذلك

« وطال انتظار الاخت الاخيرة التي كانت تنتظر من وجود في حرب براس فبدأوا يستعملون مختلف الوسائل حتى [illegible] على التهديد ، ولكن مهما يكن فما يستطيعه خيال ارادة من الحديد لا تلين ولا تفتر !

« وحدث في اليوم الثاني من هذا الصوم المشؤوم أن أخي وعاف عن الصوات فجاء الطبيب وأراد أن يطعمه بالوسائل العنيفة فحاول دون ذلك وأفهمه أن تلك رغبة السجين . ولما أقبل تيرانس وروبرت فاخبرتهما بما حدث قال . « لا موجب الى ذلك مرة أخرى فان أولئك الوحوش قد تعهدوا لكما بعد بأنكما القاتلان قتلتماني جوعاً . فدعهم يعملوا ما يشاءون وليطعموني وأنا في حالة السبوتة اذا أرادوا فليس ذلك بمجد شيئاً لأني سأستأنف الاضراب عن الطعام متى استعدت قوة عقلي . ولا شك أن ذلك إذا تكرر وبلغ سمع العالم فان الضمير الانساني سيثور حتى على هؤلاء الطالمين »

« وبعد نهاية عشر يوماً بدأوا يسقونه عصير الليمون والماء الملح حتى لا يتطرق التعفن إلى الجسم . وقد زعموا أن في هاتين المادتين غذاء كافياً وأشاعوا بين الناس أن سر احتمال أخي للجوع انما هو هذه التغذية . ولكني حصلت منها جزءاً وجعلته لدى الصيدلي ثم عدت فيه غير الماء والملح وعصير الليمون . ولم أستطع أن أعلن ذلك خشية أن يطردنا الانجليز من السجن فتركناهم يشيعون ما يشيعون ويبثون في أذهان الناس أن هذه البطولة المصطنعة إنما تقبل الطعام سراً ولا تحتج عليه

« وبعد انتهاء اليوم الثلاثين بدأ تيرانس يحس بآلام قوية في الرأس وفي القراعين والكتفين والساقين والعمود الفقري ثم في الأعصاب ضعيفاً وبدأت نوبات الاغماء تنتابه متتالية ضع مرات في اليوم وكان يهذي في إغمائه ومعماه مرة يغني نشيدنا الوطني « ألا لفوا حول جسمي العلم الأحمر . . . »

ومرة أخرى يعي للرسليز ولكنه ما وصل منها الى عبارة : «هيا بنا هيا بنا نسير» حتى خانته قواه فلم يقو على الاستمرار . . .

«ومضت الأيام حتى تم الشهران فكان لايبرح من فراشه ولا يقوى على الحركة ولكن شجاعته لم تخنه لحظة واحدة . وكان إذا رآنا نبكي أدار عينيه محونا واقترت شفتاه عن ابتسامة ملؤها الحنو كأننا نحن الفتان نستحق الرثاء

« وأطبق عينيه مرة وشهق شهيقاً عربياً ثم سكن فظننا قد مات وأجهشت أختي في البكاء ففتح عينيه وأحهد نفسه حتى حرك ذراعه وتناول يدها وقبلها . فاهتبت عيه بقبله فمد يده ومسح دموعها بأصابعه ثم ارتمى ذراعه الى جانبه بعد ذلك الجهد العنيف . وأطعموه رغم إرادته وإرادتنا وهو غائب عن الصواب . ولكن أية فائدة كانت ترجى من وراء ذلك غير إطالة عذابه ؟ ثم وصلت بنا الحال الى درجة جعلتنا نتمنى من الله أن يضع حداً لهذه الآلام

« ويئس الأطباء منا وأيقنوا أن لا فائدة لهم من بقائنا معه فطردونا من السجن قبل وفاته بأيام . ثم طلبنا أن نزوره فأدخلونا الى سجن السجن ولم يسمحوا لنا بالوصول اليه . ولبثنا ننتظر طول اليوم واليوم الذي تلاه أن يسمح لنا بالدخول عليه . وفي اليوم الثالث خرج الينا شقيق الثاني ، وكانوا قد أذنوا له بملازمته لعلهم يأخذون منه ما يأبه منا . خرج الينا بلون مهمر الصوت ففهمنا أن الفضاء قد حم وأن روح أخيه قد صعدت تتمشى لعلها في السماء»

* * *

والقراء يذكرون ما أحدثه موت ماكسويني من دوي الأثر في كافة الدوائر السياسية . فإن شبابه وبطولته وامتناعه عن الطعام أربعة وستين يوماً ، كل ذلك أثار عطف العالم عليه وإعجابه به . ولم تذهب هذه التضحية النبيلة هدراً ، بل لقد لفتت أنظار العالم الى إيرلندة وجعلت ثورتها موضوع اهتمام الأمم والحكومات

لقد كان الرأي العام في العالم لا يعلم عن الثورة الايرلندية إلا ما كانت تنشره الصحف الانجليزية وشركات التلغراف الانجليزية ، وما كانت هذه لتنشر إلا كل ما من شأنه تحريف الوقائع وتشويه الاغراض النبيلة التي قامت من أجلها الثورة . حتى لقد أتى على العالم حين من الزمن كان يظن فيه أن الشعب الايرلندي شعب فوضى واضطراب ، وأن ثورته عبث عابثين أو ثورة من الزعماء بسذاجة الشعب البريء . فلما مات ماكسويني واتصلت بالعالم تفاصيل موته أيقن العالم أن من المحال أن يكون أمثال أولئك الزعماء تجار وطنية ودعاة فوضى وشغب ، وأن مثل هذه التضحية العالية لا تقدم إلا على هيكل قضية مقدسة . ومن ذلك اليوم بدأ العالم يعطف على ايرلندة وعلى قضيتها ولقد كان لهذا العطف أكبر أثر في تراجع الانجليز

مدام ريكاميه

فاتنة الملوك ومهبط الوحي للفنانين والشعراء

إذا ذكرت مدام ريكاميه ذكر بجمال الفتان والمحاسن الخلابة ، وذكرت رشاقة الجسم ولدانة القوام وتناسب الملامح وتناسب التقاطيع ، فقد كانت القيثارة التي يحي عليها الحب أنشودته الأبدية ، كانت البلبل الصداح الذي يعرد لحن القلوب الكسيرة والأفئدة المنسحقة ، كانت المهل العذب الذي يغترف منه الفنانون الوحي ، والآلهة التي يتبرك منها الشعراء الالهام ، فتهافت عليها أشهر رجال العصر وأدبهم صيتاً ، فيحمد الفنانون منهم ، مثل دافيد وجيرار وكاوفا جمالها الخلاب على لوحة التصوير ورخام التماثيل ، ويستوحي رجال الأدب مثل فيكتور هيجو ولامرتين وشاتوبريان وسانت بيف حمايا العواطف ويستوعبوا دقائق الابداع

ولم يكن رجال السياسة ورجال السيف أقل من هؤلاء شغفاً بمحاسنها ، فقد كان نابليون سيد أوربا عج إلى كعبتها كما عج اليها سائر الملوك والاشراف ، لكنهم يرتعون أمام صوبها وعفافها كما يرتد الفراش المتهافت على المصباح ، وقد هبس حاشه وباء بخيبة الأمل وفشل الأماني

ولدت جوليت برنار — وهو اسمها العائلي — في مدينه ليون ، وكان أمها فتنة للناظرين قد استكملت جميع المحاسن فورثت عنها أثيب الخصال ، ولم تبلغ الخامس عشر ربيعاً حتى كانت فتانة المحاسن ، حذاقة القلوب أحدوثة الألسنة ، وكانت بعينها قياصه للشعور يتدفق منها العطف والحنان ، فلما أتت الى باريس سنة ١٧٩٣ كانت الثورة الفرنسية في إبان اشتعالها ، ترسل كل يوم الى المقصلة مئات الضحايا ، فيهز الرعب افئدة هؤلاء عشاق جوليت فيسطر فؤادها أسى ولوعة ، ويزيد ذلك في احاشة عواطفها ويذكي إحساسها

ولما تفتح قلبها للحب واستعرت شعلته المقدسة في فؤادها الغض ، بطمت فيه حولها عليها تجد عواطفها عبثاً تأنس اليه وتعتزج به لكنها لم تألف الى أحد ، لأن النبات التي أثارتها أوتار قلوب المحيطين بها لم تجد شعوراً في قلبها ولا وقعاً في سمعها

وكان صديق لعائلة ريكاميه العي صاحب المصرف الشهير يتردد على بيت أبويها فخطبها الى أمها ، فرضيت هذه به وألحت على ابنتها بأن تتزوجه ، فرضيت جوليت أن تغدر ربيع حياتها بحريف أيامه ، فلبت أن تتزوج وهي في الخامسة عشرة من عمرها برجل لم تجد له في قلبها غير اجلال واحترام لأن سنه تربو على الاربعين

ولم يكن ريكاميه أنانياً عما لدانه يريد تضحية هناء فتاة في سبيل استمتاعه وملاذه ، ولكن هناك سراً انطوت عليه حواشه منذ أمد بعيد ، وهو انه شغف بمدام برنار أم جوليت واستولدها هذه الابنة

ولما كان من معجبي الثورة ومن مناوئيها ، وكانت حياته على وشك الاصرام لايقانه بأن الثوار

لا يفون ولا يرحمون ، تزوج من ابنته ليترك لها بعد أيام قليلة اسمه وثروته التي تعد بالملايين ، فيكفل لها هناء العيش وراحة الحياة ، دون أن يثير ظنون السوء والشبهات فيما اذا تصرف تصرفاً آخر وترك لها ثروته

وكان زواج ريكامييه بجوليت مقتصراً على الظواهر الخارجية دون تآنس ولا تواصل ، ولذا عجبت جوليت من تصرف زوجها ولم يلتفت لها تأويله لأنها كانت تجهل صلة زوجها بأمها

ولما كانت شديدة الحياء ، ذات طهر وعفاف وعواطف ترفعها عن مستوى الميول الحسية ، رغبت فيما رغب به ريكامييه ، وسمت بنفسها الطاهرة عن كل عاطفة حسية

وقد شاءت الأقدار أن تعث بتدبير ريكامييه ، فلم يقض عليه دعاة الثورة ، ولم يعتم ليترك ابنته حرة طليقة ذات ثروة طائلة ، بل قيدته بها تقييداً تاماً فلا هو بمحجم عما أقدم عليه ، ولا ابنته التي رام اسعادها دون إثارة ظنون أبيها ، قادرة من فك عقالها والتمتع بزوج يعاملها سمحاً ويشاكلها عواطف

وكانت العواصف الهوجاء تمر وتشتد مرارا فتكتسح كل شيء حتى أخلاق أهلها ، فقد تولدت فيهم بعد زوال رويا الحروب عواطف مادية غاية في الخطورة وظمأ شديد الى الصخب واللهو ، فكانت الحفلات هي الحفلات ، والأعياد هي الأعياد ، والناس يلهون ويطربون وقد تراخت أخلاقهم وسفلت ميولهم ، ولكن مدام ريكامييه الفتاة ذات الجمال الذي يسبي العقول كانت تمر بكل هذه النقائص دون أن يعلق بها منها شيء ، فكانت وحدها هذه الأشعة بالذهب الابريز الذي لا تزيده النار إلا بهاء ورواء ، فكانت أن حفت تثير الاعجاب حتى أن حسنها وملاحتها كسبا حسن وبهاء الجمال في ذلك العصر ، فشعرت مدام هلفان ومدام بيكار اللتان كانتا إلهتي الحسن والجمال في ذلك الزمن بعوامل الغيرة والحسد تدب في نفسيهما عندما وقفت أعينهما على ذلك المحيا الفتان وذلك الدلال الفتي

وكان ريكامييه ينيه فخراً بما تثيره ابنته وزوجته في آن واحد من إعجاب الناس طراً بدلالها وجمالها ورشاقتها ، فسارت في طريق الحياة وقد التف حولها المفتونون بها من نخبة الاشراف والموسرين ، وكل يبغي منها عطفاً ويلتمس التفاتة رضا ، وهي لا تبأ بتزلفهم ولا تفكر في تملقهم ، لأن قلبها لم يتفتح بعد للحب والغرام رغماً عن بلوغها التاسعة عشرة ، حتى كان ذات يوم وقد دعت الى قصرها في كليشي علية القوم وزهرة الارستقراطية الفرنسية ، وبينما المدعوون يلعبون المجاورة في نواحي حديقة القصر وبين حمائله ، وركض شاب جميل هو ابن أخت ريكامييه وراءها وهي تفر منه فرور الظبي الشارد وتضحك من عجزه عن اللحاق بها ، حتى اذا أمسك بها طرق مسمعها همس اهتزت له عواطفها وتحركت له مشاعرها ، وأحست بقبلة حارة طبعت على عنقها وتخبطت بين يديه حتى إذا أفلتت منه تطلعت بشعر وحملق الى ذلك الفتى الجريء

وكانت هذه الحادثة البريئة التي هيجت فيها كوامن الشعور أشبه بانذار طبيعي ، فأحست بأنها امرأة وأنها جميلة ، وان الواجب الطبيعي يقضي عليها باثارة إعجاب الناس بها ، فأظهرت من الدلال والرشاقة ما جلب لب رجالات العصر البارزين : مثل جيو والجنرال ماسينا ومورو وغيرهم ، تاهيك

سائر الفتيان الذين كانوا من اشراف الأمة وأرباتها ، لكنها كانت في ذلك كاللاعب بالنار ، فقد لعبت حسبها أمير لوسيان بوبارت أخي نابليون ، وكان شاباً جميل الطلعة رشيق القوام لم يعتد أن يصادف صداً من ربات الخال معها علا قدرهن وسمت مكانتهن ، فلازمها وحاصرها مضيقاً عليها الخناق ، لكنها أفلتت منه بمهارة دون أن تستثير غضبه ، لأنها كانت تعرف كيف تزرع الحب وتحصد الصداقة

وكانت تسير بين أغاصير هذه الحياة الملآى بالشرور والآثام وهي طاهرة الخصر عفيفة العرض نقية القلب من أدران الهوى ، يقيها هموم المحبين بها المتفانين غرامها المأسورين بدلالها وبهائها حتى أصبحت نجمة باريس المتلألئة ومعبودة أهلها التي لا يجدون مهراً من حرق بخور قلوبهم على مذبح حبها وغرامها

لكنها أحدث تشعر بأن أموراً في حياتها لا تتمشى مع النواميس الطبيعية ، فكانت فتاة في ريعان العمر وربيع الحياة تشعر بكل عواطف الشباب تسحر في فؤادها وتضطرب فيه ، ونفس تخفقان قلبها ووجيبه لكنها لا تجد له مجيباً لأنها كانت الزوجة العذراء التي شاءت الاقدار أن تحوطها بكل ما أوتيت امرأة حواء من جمال ودلال ومال ، لكنها حرمت عليها أن تتمتع بما تتمتع به أقل واحدة من بنات جنسها ، وهو الحب

وبينما هي في تنازع العواطف وتضارب الأهواء سابق لها القدر الكاتبة الشهيرة مدام دي ستايل التي أصبحت لها صديقة وفية حتى فقدت عهدها حتى آخر أيامها

ورغماً عما كان بين هاتين الفتاتين من مدى البعد والتباين تطابع فقد ألفت الصداقة ما بين قلبيهما حتى ظهر أثرها جلياً في حياتهما

وكانت مدام دي ستايل على نقيض صديقتها حرة الارادة طليقة اللب لا تأسرها اذا حاشت ولا تقيدها اذا انطلقت ، فكانت تسير في حياتها التي كلها تمرد وشادة يقيها المحبون بها ، الذين يبادون أحلاقاً للمحبين بجمال مدام ريكاميه وسمو أخلاقها وقويم مبادئها

ولما كانت مدام دي ستايل وثابة العواطف تناولت الحمة أيضاً فتاة يراعها ، فطفقت تحمل في كتاباتها على نابليون الذي لم يزل بعد قنصلا ، فحقد عليها وأضمر لها الشر منحياً الغرض ليثأر منها ويجعلها عبرة لسواها

وكان صيت مدام ريكاميه يتعاظم ويشيع من يوم الى آخر ، حتى أصبح ملء الافواه يتحدث به الخاص والعام ويذكره الباريسيون مقرونا بكل تجلة واحترام ، لعمة محاسنه وظهرها مع ما كانت عليه من الخال الساحر الذي يسبي العقول ويخلب الالباب

ولم يكن نابليون رغماً عما اشتهر به من الخلق الحربي الخاف معزل عن التأثر بجمال هذه الفاتنة ، التي حيت بحق حوليات السماوية والالهية ، لأنها لم تكن تقترب من انسان مهما سمت قلبه وتحررت مشاعره وصلت عواطفه إلا وهتت في فؤاده سحر جمالها وقيدته بين أسرى صبابتها وغرامها

فلما وقعت عيا نابليون على هذه الفاتنة في حفلة أقيمت في قصر أخيه لوسيان الذي كان وقتئذ

وزيراً للداخلية اضطرب تحت تأثير نظراتها الساحرة ، لكنها مرت به مداعبة لعوباً كما مرت بغيره دون أن يعلق بذهنها منه شيء . فتمخض الفصل الأول من عدم اكتراثها به ، وصمم على اذلالها واخضاعها لارادته مهما كلفه ذلك

وكان الزمن جو معوان له فاتكل عليه وسخره مقاليد أموره ليفعل بها ما يشاء ، لكن الحظ الذي يلازم انساناً لا يتخلى عنه دقيقة واحدة ، فقد كان أبو حوليت مديراً عاماً للبوستة الفرنسية وكان ملكي النزعة ، فساعد على ايصال المكاتبات للحزب الملكي المناوىء للحكم لتفصلي ، فاكتشف أمره وقبض عليه وأودع السجن ليحاكم في اليوم الثاني بتهمة الخيانة العظمى

اضطربت حوليت العانية من هذا النبأ وسعت لدى أصدقائها العديدين ملتمسة منهم عضداً لها وسنداً ، فتوسط لها الجنرال برنادوت وقادها الى قصر التويلري لمقابلة الفصل الاول الذي كان وقتئذ الحاكم بأمره في كل فرنسا — وهكذا شاءت الاقدار أن تضع مرة أخرى الحمامة الوديعة أمام النسر الجارح — فتلقاها نابوليون بالاكرام والحفاوة وأمر بالافراج عن الذي تظنه أباها في الحال وأمر بحفظ الدعوى ، ولم يطاوعه قلبه للحظ ولا عواطفه الوطنى على مناوأة المرأة الحسناء التي كان ظهورها وحده كافياً لشل كل حركة عدائية نحوها وتحويلها الى رعاية لها واسراع في تلبية رغائبها

ومرت الايام سراعاً مفتطمة بدمها أحراء الحياة الشريفة اللاهية ، وأصبح نابليون أمبراطوراً عظيم القدر كبير الحول والطول ، لا يحول بينه وبين مرامه حائل ، ولا يقف عائق في سبيل ارادته مهما كانت عزيزة المطلب ، فضرب معارضيه بيد من حديد فقتل منهم من رآه يستحق القتل ، وشرد منهم من وجده قليل الوزن ضعيف النصب ، وكان من بين الذين اضطرهم مدام دي ستايل التي سلكت طريق المنفى غير آسفة الا على فراق صديقتها الوفية مدام ريكامييه

ورغماً عن السؤدد و بعد الصيت بين الخلق بأجمعهم لم تبرح من ذهنه حوليت العانية ، فعرض عليها ان تكون وصيفة لزوجته الامبراطورة لتكون دائماً بقربه فأبت ، فألح عليها بذلك في مقابلة جرت بينه وبينها مبدياً لها مشيئته الامبراطورية التي لا ترد فرفضت ، فضاق صدره من تحديها ودلالها عليه وعزم على إخضاعها لأمره وإذلالها لارادته بكل الطرق التي يراها ملائمة

ومن ثم أصبحت عرضة للاضطهاد الشنيع ، فأشيعت الأراجيف السافلة الكاذبة لتثلم شرفها وإساءة سمعتها ، وأذاع ذات يوم أعوان السوء في أنحاء باريس أن بنك ريكامييه الشهير على وشك الافلاس ، وقد قطع بنك فرنسا عنه كل معونة مالية مما أدى إلى احراج مركزه ، فأسرع الناس اليه لسحب الودائع الموجودة فيه ، وتهافتوا عليه من كل صوب حتى أصبح عاجزاً عن تلبية كل طلباتهم وأوشك ان يقدم دائره

وكانت الحالة حرجة ولا ينقذها غير الأمبراطور الذي منع المدد عن مصرف ريكامييه بأمر منه ، فتوسلت حوليت إلى حينو حاكم باريس أن يستدر عطف نابليون ، لكن الامبراطور رفض ملتمسه صائحاً بتهاتة :

«لم يوضع مال الأمة لمساعدة أناس يبددون الأموال تبذيراً فينفقون في السنة ٦٠٠,٠٠٠ الف

فرنك على ملادم (أي ما يقارب الاربعة والعشرين الف حبه) ولست أنا عشيقاً لمدام ريكامييه لاتخذها من هذه الورطة »

فأفلس مصرف ريكامييه وسقطت جوليت من ذروة الثراء إلى حضيض الفقر . ولما كانت المصائب لا تأتي فرادى فقد تبع ذلك موت أمها . وعند ما احست هذه بدنو أجلها أرادت اطلاع ابنتها على سر مولدها والاستماع منها عما حتته عليها فقالت لها :

أرجو منك عفواً يا جوليت ، فاني لم أحصك على مثل هذا الزواج إلا لعلمي بأن دقائق ريكامييه كانت معدودة . . . »

ولم يمهلها الموت لتبوح لابنتها بسرها بل عاجلها قبل أن تتم كلامها ، فذهبت حاملة معها ذلك السر الذي كان السبب في تغيض حياة ابنتها الجميلة ، فظنت هذه أن ما قاله والدتها لم يخرج عن حد هذيان الحمى فلم تعلق عليه أهمية ما

ولما أصيبت بهذه النوازل ذهبت الى صديقتها مدام دي ستايل في قصرها الكائن على شاطىء بحيرة ليمان في سويسرا ، فقابلت هناك البرنس أوغست البروسي فتدله هذا بحبها وتدلهت به وصارح لها عما تأجج في قلبه من نار هواها ، وكانت جوليت وقتئذ في الثلاثين من عمرها وقلبها لم يعرف الحب بعد لكنه حقق بشدة عند ما طرقت أذنها كلمات الامير وشعرت بعاطفة جديدة لم تعرف كنهها قد اختلجت بين جوانحها

طلب منها البرنس البروسي الكف عن روحها وحضها على طلاقها للزوج عن اختاره قلبها ، ففعلت ذلك وفؤادها يكاد يتمطر حزناً على مفارقة ريكامييه ، فورد اليها منه جواب يخبرها فيه بأنها قاسية القلب لا ترقى لحاله ولا ترحم . وانه أصبح عليها خبراته كلها حتى لم يبق لديه منها شيء . فاذا أرادت ان تتبلغ الآن وقد أصبح فقيراً تعساً فانه يقبل ذلك حباً بها وبقاء على هنائها وسعادتها

فأت عليها مرورتها الحملي عنه فذهب البرنس أوغست وهو داني القلب منفطر الفؤاد فشيعته وهي تقول في نفسها : هذا هو الرجل الوحيد الذي أحبته

ودفنت من ذلك الوقت غرامها في أعماق قلبها فأخذ يقرض حبل حياتها حتى آذنت عمارتها بالذبول ، فقد تولاها أرق شديد ، فشرعت تتعاطى الافيون بناء على اشارة أطبائها وأكثرت منه

ولما رأت ان الموت يهرب منها تناولت كمية كبيرة من الافيون وهي واثقة من انها ستجد فيها الراحة الابدية . لكنها لم تكد تقربها من فمها حتى انتزعها منها زوجها أو ماجري أبوها الذي كان ساهراً عليها وألقاها بعيداً وهو يصيح : ابنتي ، ابنتي . . .

فهل آن لتلك التعسة ان تعرف كنه السر الذي كان ينطوي عليه صدر ذلك الاب الذي تدعوه بزوجها ؟

لا فقد أبت الاقدار الا حيطه وعدم اطلاعها عليه ، اذ حالما شرع ريكامييه يفضي اليها به ، دخل (أبوها) برنار ، وكأنها كانت وقتئذ بين الشك واليقين من جهة نسبها وصلتها بريكامييه ، فأخذت تنقل طرفها من زوجها الى برنار أبيها ، حتى استقر على هذا الاخير ، فصاحت له دراعيها وصاحت : أبي . أجبك من صميم فؤادي

فوضع ريكاميه رأسه بين يديه وتمتم : لقد آن أوان العقوبة

وتوالت السنون ، ولاشت أحزان حديدة هذه المحن والرزايا ، ولكن حقد بابليون عليها لم يخمد له أوار ولم تطفأ له نار ، بل ظل اصطهاده ملازماً لها حتى حرمها من البقية الباقية لها من حطام هذه الدنيا ، ولم يكتف بذلك بل نفاها خارج فرنسا ، فقلت ذلك مصر وجد حفيظاً لطهرها

ولما دالت دولة هذا الجبار رجعت الى باريس وقد أشرفت على الاربعين ، فاعتزلت العالم في دير الابيي دي يوا ، ولكن مأواها لم يلبث أن أصبح منتجعاً لكل رجال العلم والادب وفي مقدمتهم الفيكونت دي شاتوبريان

وعند ما تاهزت السمين علماً وذبلت زهرة جمالها ودوى عصن بهائها ، وضعف بصرها حتى أوشكت ان تصبح كفيفة النظر ، واختطف الموت كل قريب لها ومعين عرض عليها شاتوبريان الزواج ، فتناولت مرآة وتطلعت فيها حيين كادت السنون والاحزان تطوي نورها ، فالمت ذلك الوجه الصبوح الفتان قد تجعد ، وذلك النظر الساحر قد حما ضوءه فتنهدت وقالت له :

« أيها الصديق . ان حبك لي هو آخر زهرة تنبع في طريق حياتي ، ولكن أصوات من سقوني الى عالم الابدية ترن في أذني طالبة مني ان ألتث كما كنت مدام ريكاميه ، ومع ذلك فأية فائدة لنا من صم قلبنا وجمع حسبنا ونحن على أبواب القبر ؟ »

هذه حياة تلك العاشقة ، لو كان أشبه بحياة بعض من تعاشرهم ، هب عليها أعاصير هذه الحياة بسمومها ولفحاتها ، لكنها لم تنل من نقائها ، ولم يغير من أريج عطرها ، الذي ظل فياحاً يعطر الطهر والعفاف حتى أتت عليه يد الرمس

جورج بقطر دس

هل يموت الانسان اذا بطل عمل قلبه ؟

حديث مع البروفسور دوبان أستاذ الكيمياء الطبية غير المضوية في جامعة لندن

قال البروفسور دوبان في حديث مع بعضهم إن زميله الاستاذ ارشيبلد فيبان هل قرب من حل لغز الحياة والموت ان لم يكن قد حله

فما كاد حديثه يعلن حتى قام له الناس في انجلترا وفعدوا ، وقابله كثيرون غير صاحب الحديث الأول ، واستغربوا عما جاء في حديثه مما اذا صح فلا يعلم الا الله ما يكون تأثيره في نظام حياة الانسان على هذه الارض . فأعلن الى أحد محدثيه اكتشافاً لم يعلن قبل الآن وهو أن الانسان لا يموت اذا كف قلبه عن الضرب . وهاك ملخص حديثه :

« ما دام يمكن وصول الاكسجين والكربون الى خلايا الجسم فمن الممكن احياؤه . فالاكتشاف الجوهري الذي اكتشفه زميلي البروفسور ارشيبلد فيبان هل هو ان خلايا الجسم انما تتدثر وتتحلل متى انقطع عنها غذاؤها من الاكسجين والكربون

« وهذا الاكتشاف يدخل الحياة والموت في منطقة نفوذ العمل الكيميائي . أقول هذا القول وأعلم أن بين الاشاعات الشائعة هو أن البروفسور هل بدأ في معمله خلق الاحياء بالتركيب الكيميائي ! ! وهذه الاشاعة من أقاويل العمد و « حواديتهم » ونحن لنا « حواديت » كثيرا خلافاً لما يظن ولكننا نسمي هذه « الحواديت » وهذا الفصول ما والتحدث بما لا يجدي « عجاً علمياً »

« وليس في وسع أي زميل أن يحر على التمام بما يجري في معمل زميله ، ولكني أذهب الى مدى القول بأني وإن كنت أحسب اكتشاف البروفسور هل غاية في الخطر وعظم الشأن بل أعظم الاكتشافات طراً — لا يزال بعيداً حد البعد عن خلق الاحياء بالتركيب الكيميائي

« ولما كانت الحياة قد نشأت من البحر (وحمله من الماء كل شيء حي) فمن البحر يجب أن نستخرج البكتيريا اللازمة لصنع الخلية الحية . وعندي أن أهم من خلق الخلية الحية ان اكتشاف البروفسور هل يمكن أن يفضي فيما بعد الى اكتشاف طريقة يقي بها الموت وتحفظ خلايا جسم الانسان مما يلزمها من الاكسجين والسكر اللذين تحل بدونهما الخلايا التي يتألف منها جسم الانسان وتتدثر

« وقد كان تصريحي بخطة سير البروفسور هل في عمله على العمد من رغبته ولكن عظم شأنها حملني على الجهر بها والاعلان الى الناس ، وقد سطرت البروفسور من علاني هذا كل الاضطراب وقال إن من الحق أن نقال انه يوشك ان يكتشف اكتشافاً خطير الشأن . لكن البروفسور رجل متواضع وليس في العالم قوة تحمله على أن اكتشافه عجيب . على ان ذلك لا يغير من هذه الحقيقة ، وهي أنه دلنا على الطريق الى حل [illegible] الذي أعيا الانسان حله عدد ملايين السنين (كذا) التي ظهر فيها على هذه الارض [illegible] الحياء والموت

« وقد قرأت آراء خيالية مختلفة من مآلها انه اذا كان البروفسور هل قد حل حقيقة مسألة الخلق الفجائي فسيخلق في المعمل الكيميائي صنف جديد من الخلق يختلف كل الاختلاف عنا . ولا تختلف هذه الخلائق الجديدة بعضها عن بعض في الذكورة والانوثة اذ لا حاجة بنا الى الأب و لأم من الوجهة البيولوجية

« ولا يخشى والحالة هذه من ازدحام الارض بسكانها ، ولا من بطالة العمال . إذ يخلق الاحياء بمقدار لا يزيد عن الحاجة . فبرغم عن الآدميين بمجموعات حيوانية انسانية ميكانيكية من خلايا الحية

« وهذا الخيال لا يعوقه شيء في عراته . فان مجرد التفكير في شيء مثل هذا يعد اهانة للذكاء الانساني . ولكن شيئاً واحداً لا بد أن يعمي اكتشاف البروفسور اليه وهو إعادة الاعمار على طريقة أشق وأدق من طريقة التلقيح بالعمد كما هو مشهور

« إذا وقفت ساعتك عن الحركة لأنك نسيت أن تملأها فهذه الساعة ليست عديمة النفع وانما تحتاج إلى أن تملأ

« وليس عرض البروفسور هل خلق الأحياء بتركيبها وان يكن هذا شيئاً لا عين عنه في مجموع عمله . واما عرضه الأوفى لشر الأحياء بعد موتهم بتقديم الأكسجين والسكر اليهم ثانية وادخالهما بالقوة إلى خلايا أجسامهم

« وقد أحيى في الصور الحديثة كثيرون من الذين ظنوا أنهم ماتوا بطرق عجيبة . خذ مثلا الطريقة الحديثة في حقن القلب بالادرينالين . فالادرينالين مادة تفررها الغدد الصماء . ولا علم بعد علم اليقين هل قوة انعاش القلب التي فيها بعد أن يكون القلب قد كف عن الحركة ناشئة عن كونها مادة منبهة كثائر المنبهات أو عن شيء آخر . وقد ظن أولا أن هذا هو السبب . ولكنا نتساءل الآن هل تحقق هذه المادة في الخلايا اتحاد السكر والاكسجين الحيوي أو تساعد الخلايا على خلقه . أم هل تملأ الخلايا قوة لا نعلم كنهها بعد فلا حاجة بنا في المستقبل لحيئ الى الأمد إلا الى أن نملأ خلايا أجسامنا من تلك القوة

« واذا كان ذلك كذلك فماذا يكون مدى عمر الانسان في المستقبل . وبعبارة أخرى كم مرة يرور الانسان الطبيب ليملأ له خلاياه فماذا يقول له : « يسوءني أن هذه آخر مرة أستطيع فيها أن أملأ لك خلاياك لأنها قد أصبحت عتيقة بالية »

ومن رأي البروفسور دوبان صاحب هذا الحديث أنه بين كائنات الحياء نشأت من الجماد فان صورها الأولى لا بد انها كانت حية في العصر كما يؤيد أقوال المستر وار الذي يصف الأحياء الأولى بأنها ذات خلية واحدة فقط . « وأقرب ما نعلمه الحاضر من الأشياء الغريبة التي يسميها علماء البكتريولوجيا « الفيروس المصفى » (Filtrable Virus) وهذه بكتريا حية شديدة الصغر الى حد انها لا ترى بأدق الميكروسكوبات وتمر بسهولة من مسام « فلتر » تشمبرلند الخزفية الدقيقة

وقد بدأ العلم يبحث في أمر هذه البكتريا الآن مع انه كل عنها في العهود الماضية فاخترع بشولدوفلا في أحد معاهد فرنكفورت العلمية طريقة جديدة يمكن بها رؤية هذه البكتريا وقياسها

« وتحوي هذه الطريقة تذهيبها أي طلاؤها بالذهب لتكبر كما تكبر ذرات الفضة في مادة سلبية لم تعرّض للتعريض الكافي . وبهذه الطريقة نحصل في آخر الأمر على هيكل معدني لهذه البكتريا

« والمرجح أن أمثال هذه الأحياء الشديدة الصغر كانت الأحياء الوحيدة على الأرض منذ مائة مليون سنة . ولا بد لنا أن نعود بالفكر ملايين السنين قبلما نستطيع التفكير في المستقبل إذ لا نستطيع العثور على طرق جديدة قبل فهم الطرق الأولية القديمة . أما من جهة المستقبل فرأيي أنه لا بد من مرور بضع مئات من السنين قبل حل اللغز العظيم الذي لحيا هيكله الآن »

وختم البروفسور حديثه بقوله : « ليست حقيقة العلم موت الالغاز والأسرار بل ولادتها »

[خاصة بالهلال]

سير العلوم والفنون

عدسات بدل النظارات

[illegible] الدكتور هيب الاسباني [illegible] الاستغناء عن النظارات وهي توضع فوق العين وتلصقها على جسم العين « افرازات الغدد الدمعية » وهذه العدسات تمتاز عن النظارات [illegible] في جيبه يستطيع ان [illegible] الى جيبه الخاص كما يركب سائر النظارات

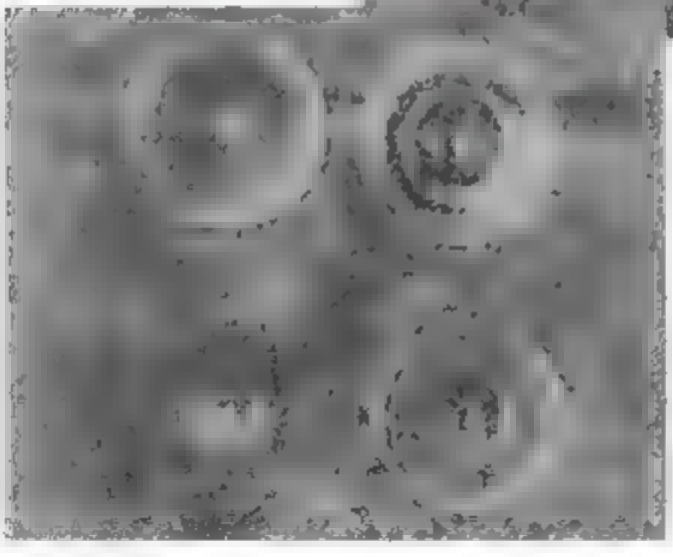

في أعلى :
الدكتور هيب مخترع العدسات الدمعية

في اليسار :
بعض العدسات الدقيقة التي صنعها الدكتور هيب لتوضع في العين بدلا من النظارات

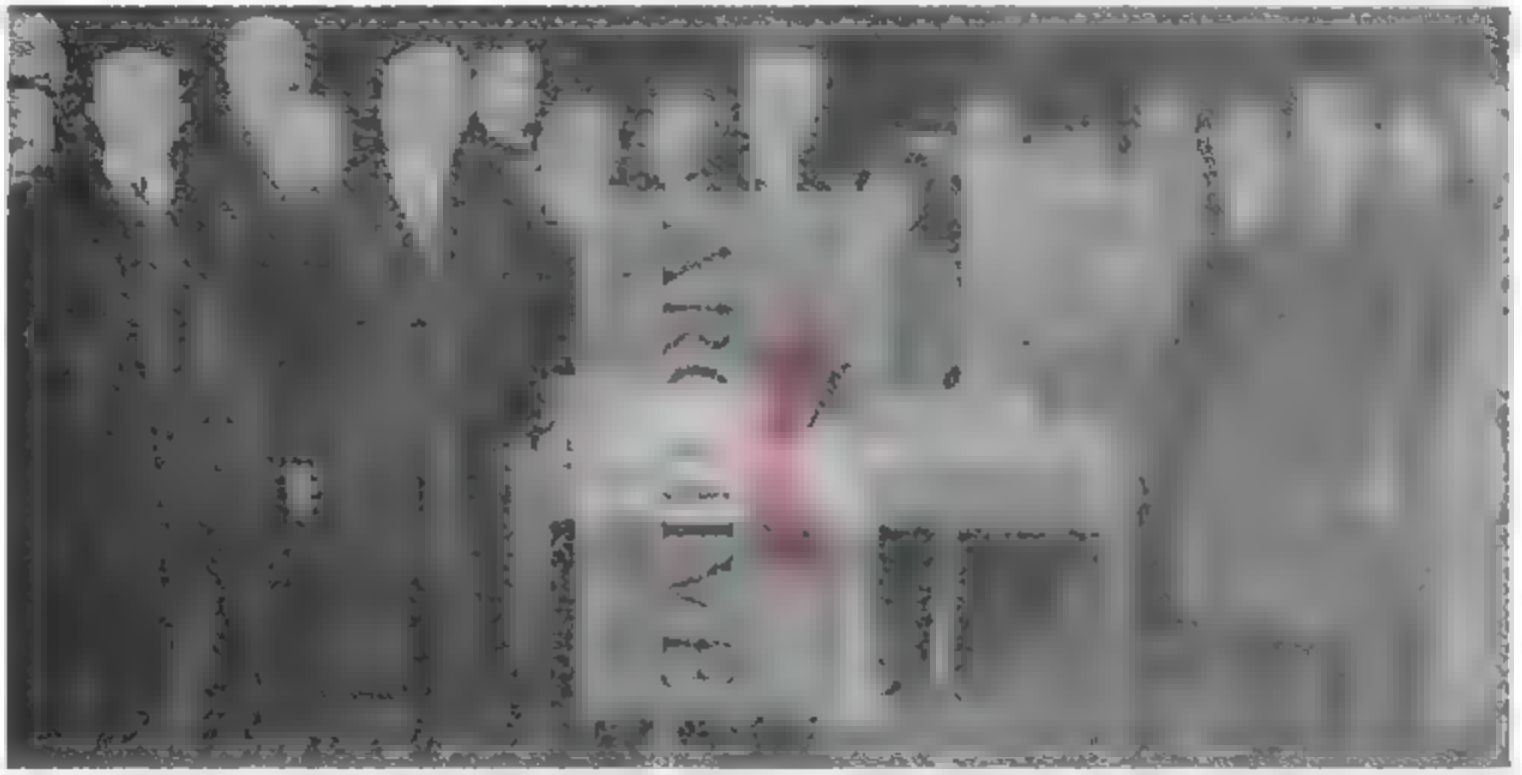

طريقة جديدة للتصويت في البرلمان الفرنسي

احترع المسيو لافلوا الفرنسي مؤخراً « اوتوماتيكية » للتصويت في البرلمان . والجهاز الذي صمم عبارة عن « أزرار » توضع أمام النائب وهي متصلة بآلة للاحصاء تسجل الصوت عن « زر » الايجاب او النفي وتسجل الآلة صوته . وترى هنا المسيو بنو الوزير الفرنسي وهو يجرب الجهاز وقد وقف

دراسات جوية
في وسط المحيط

جوية بعض الطائرات الكبرى التي تعبر المحيط بين اوربا واميركا بالاشعة فوق البنفسجية لتعرض صفات الجو . وهذه الصورة اخذت في اثناء تطير طائرة من نوع الباخرة « سيدا هوربتا » الالمانية في وسط المحيط وترى على جناح الباخرة وهو يقوم بارتفاعه في الجو بواسطة جهاز خاص

مفاجأة زيارة البيفاد

طبيب في جامعة

اصدقاء جامعة ريدج لانجلترة الشهيرة قرب لندن منح الاطباء تأييد لها تعمل فيه الزيدة واصناف اخرى ، وفيه اسطبل يحتوي على ٥٠ فرسا ... وسباح ... تعمل في الاسواق لقد بنى الكلات وفي القسم المذكور ١٥٠ غرفة ... وزي معين في العد ... من ٤

مركبة اطفاء جديدة

[illegible]

بقرة عجيبة
البقرة لانوبولا وعمرها ٥ سنوات وتزن ٦٠٠ كيلو وبها ثلاث أثداء وأربعة أرجل . واضح بسبب تكوين بطنها أن الأرجل الخلفية ليست لها

مرض الموز

سطا على زراعة الموز في جزر الهند الغربية وبلدان اميركا الجنوبية التي تزرعه مرض فطري مجهول السبب . ومعلوم أن الموز في تلك البلدان طعام لا فاكهة ومنه يستخرجون ملابسهم ومواد كثيرة لحاجات معاشهم وهو فوق ذلك مصدر ثروتهم لكثرة ما يصدرونه منه فكل ما يتعرض لفوته يحسب له أعظم حساب

وظهر هذا المرض لأول مرة في مقاطعة بنما سنة ١٩٠٣ فعرف منذ ذلك الحين باسم مرض بنما ولم تمض بضع سنوات حتى أهلك زراعات الموز في مساحة واسعة من بنما وكوستاريكا . وقد ثبت تلك المساحة أرساً بوراً الى الآن

وانتشر من هناك الى جامايكا وهندوراس الانجليزية وغيانا وكوبا وبورتوريكو وترينيداد وغيرها من جزر الهند الغربية وهددت آثاره في الهند وهاواي

ويؤخذ من درس سيره انه يبطل أولا على الجذور فتتحلل وبعضها داخل الشجر فتصفر الاوراق أو تظهر عليها نقط ثم تجف وينقط الحمل كله . ولم يقفوا له على علاج وكل ما يصنعون أنهم يزرعون أصنافاً أخرى من الموز ظهر الى الآن انها ذات مناعة من المرض

أقدم الحيوانات الداجنة

قال الدكتور لويس روبنسن : « ان كان الكلب أول حيوان صيره الانسان أليفاً ، فالبقرة هي الثانية ، والخروف هو الثالث »

بين الصيد والزرع

قابل بعضهم بين محصول مياه الصيد وأراضي الزرع فوجد ان محصول فدان من مياه الصيد الكثيرة السمك يبلغ في أسوء محصول فدان من أحسن الاراضي الزراعية في سنة

أسباب الرخاء الاميركي

عينت الحكومة الاميركية لجنة لدرس أسباب الرخاء الاميركي في السنوات السبع ١٩٢٢ – ١٩٢٩ التي سميت السنوات السمينة أو سنوات السبع اشارة الى سني السبع التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة وعمت مصر في أيام يوسف الصديق

وقد أصدرت اللجنة تقريراً ضخماً تضمن مسائل الاستهلاك والتعليم التجاري والنقل والاسعار والعمل والزراعة والمالية والاسواق الخارجية والدخل الاهلي

ومن رأي اللجنة ان « السرعة والانتظار هما سبب الرخاء الاميركي في السنوات السبع الماضية لا طرقه تعتبر أساسي في الطرق لاقصر الزمن » ومعنى ذلك ان الحياة الاقتصادية الاميركية زادت سرعة على ما كانت فيما مضى بما دعى القوة الى الصناعة أي بزيادة الآلات الصناعية بما زاد قوة الانسان وحذقه للاعمال حتى زاد نتاج الصناعة الثلث في السنين المذكورة واستعمل وفر الايراد وأس مال لمشروعات جديدة وأضت زيادة الرخاء الى زيادة شهية الامة هو الاستهلاك

وقد كان من نتائج زيادة هذه القوة انتشار الأمية المعروفة سواطح السحاب من نيويورك الى عشرات من مدن أميركا . وزيادة طرق المواصلات الجوية بين الولايات المختلفة حتى بلغ طولها ٢٠ الف ميل وبلغت زنة البضائع التي تنقل كل سنة في سكك الحديد والترع والبحيرات ١٥٠٠ مليون طن . وبلغ عدد السيارات ٢٥

مليوناً . وعدد المنازل المضاءة بالكهربائية ١٧ مليوناً . وعدد التلاميذ الذين يرسلون كل سنة الى المدارس العالية نحو ٣ مليون . والى الكليات مليون شاب وشابة . وبلغ عدد الاميركيين ١٢٠ مليوناً تشغل بلادهم جزءاً من عشرين جزءاً من مساحة الارض المصورة

ومما جاء في هذا التقرير قولهم : ان معامل الحرير الصناعي عملت ساعات كاملة بمزيد السرعة في حين ان معامل القطن عملت ساعات ناقصة . ومن المعامل التي زادت حركتها معامل الجوارب الحريرية والاحذية والفراء والقبعات والزبدة وما يستخرج منها . وأما المعامل التي حمت حركتها فمعامل الصوف وغزل الصوف . وكانت سوق القمح كاسدة وقامت مشاكل كثيرة في سوق القمح

وقد نقصت أسعار الحاجات عشر الواحد في المائة في السنة ، وزادت الاجور ١ و ٢ في المائة في السنة ، وقل اهتمام الشعب الاميركي بالحاجات الاولية من طعام ولباس ومأوى واستعاض بزيادة الغداء الفسيح بغداء « غلاء الحبر بعيشه » . وقل لبسهم الملابس العادية المصنوعة من القطن والصوف وزاد لبسهم « للدمقس والحرير »

وظهر تأثير زيادة الأجور ونقص ساعات العمل وازدياد « الايفورية » في ازدياد الاهتمام بالفنون والعلوم والسياحة والقراءة والتثقيف وزادت الحركة في الاعمال التي تشمل الجماهير مثل الفنادق والمطاعم والمقاهي والمكاتب وما شابهها

أكبر مركبات سكك الحديد

صنعت في انجلترا مركبة تعد أكبر مركبات سكك الحديد فيها اذ بلغت زنتها ٢٢٠ طناً وحمولتها ١٥٠ طناً وعدد عجلاتها ٥٦ عجلة

زلة العالم

قالوا ان زل العالم زل زلته العالم. والحق ان هفوة العالم لا تعتبر لانها تشمل معه كثيرين غيره فقد شاع منذ مدة وحيرة أنهم وجدوا بالقرب من مدينة تنوان في شمال المغرب الاقصى هيكل حيوان من نوع الحيوان الضخم الذي كان عائشاً في العصر الجليدي ثم انقرض والمعروف باسم ديبوسور . فأثار اكتشافه هناك حيرة العلماء ودهشتهم لان هذا الحيوان لم يعش الا في أميركا الشمالية . وعليه قصد جماعة منهم الى تلك الناحية ليشاهدوا تلك البقية العظمة القديمة فاذا هم يرون بدل الهيكل العظمي اضلاع مدراة حديدية لدرية القمح جد الحصاد . وظهر من التحقيق أنها كانت لفلاح اسباني اشتراها من كندا ثم شحنها مكسبا في سنة ١٩١٧ فطمرت بالتراب على مر الايام حتى بعثرت معالمها وظن انها هيكل الحيوان العالد

قال احدى الصحف العلمية في التعليق على هذه الحادثة : « ولكن هذا الخطأ معتبر لان مدراة كمدراة هيكل الديبسور اذا طمرت بالتراب زمناً . وآلات كثيرة مثلها وأضخم منها اذا تركت مكانها وهيل عليها الرمل والتراب ثم أخرجت من تحت الانقاض يخيل الى الناظر اليها انها حيوانات أهول من الديبسور وأضخم واذا مر عليها الوف السنين وهي مطمورة بالتراب ثم وجدها علماء القرون القادمة وهم يبحثون عن آثار السالفين استدلوا منها على ان الارض كان يسكنها في القرن العشرين قوم من العالقة فهم حيوانات من العمالقة مثلهم وأضخم كثيراً من الحيوانات التي عرفها أسلافنا في العصور الغابرة »

الكوكب هوفريا

اكتشف البروفسور يوهان بالبرات النمسوي سيارا صغيراً فسماه بعض جمعية فينا هوفريا على اسم رئيس أميركا الحالي اعترافاً بفضله في الحرب الماضية إذ أنقذ أوربا من المجاعة

هنري فورد وحكومة بارا

عقد اتفاق بين السنر هنري فورد صاحب معامل السيارات المشهور وحكومة بارا في البرازيل على منحه امتيازاً بزرع شجر المطاط في أرض مساحتها ٣٧٠٠٠٠٠٠ فدان فتتعهد شركة فورد الصناعية في البرازيل من جانبها بزرع شجر المطاط على نسبة معلومة في السنة وبدفع شيء في المائة الى حكومة بارا بعد مرور ١٢ سنة من ابتداء الزراعة. وتتعهد حكومة بارا من جانبها باعفاء الآلات والادوات الاخرى التي تستوردها الشركة من الرسوم الجمركية وبأن تسمح لها ببناء أرصفة ومخازن ومعامل وغيرها من الابنية اللازمة وباصدار المطاط الذي تستخرجه من أرضها بلا مراقبة

تذكار داروين

سعى الانجليز حديثاً في تخليد ذكرى داروين العالم المشهور وأول من بسط مذهب النشوء وكتب الكتب الكثيرة فيه فاشتروا منزله المعروف باسم «داون هوس» في ضواحي لندن من حفيده البروفسور تشارلس غلتون داروين ودفع ثمن المنزل المستر جورج بكسون برون الجراح الانجليزي ووضع المنزل تحت وصاية الجمعية البريطانية لترقية العلم وفتح المنزل في الصيف الماضي للجمهور يزورونه بلا مقابل

وهذا المنزل هو المكان الذي كتب فيه داروين مؤلفاته البيولوجية المشهورة مثل: «أصل الانواع» و «تسلسل الانسان» وغيرهما. وقد عرضت فيه آثار داروين الطبيعية وطلب من جميع العلماء الطبيعيين أن يرسلوا اليه تعاليق طبيعية مما يخص المذهب الداروني أو ما يسمونه «داروينيانا»

وقد جدد أثاث الغرفة التي كتب فيها داروين «أصل الانواع». واشتهر المصور المشهور جون كولير لنقل صور داروين وهكسلي وتعليقها في المعرض. وسيكون هذا المنزل بحديقته موئلاً للعلماء الطبيعيين يتردون فيه خطوات داروين ويتناقشون ويتحاورون فيه وفي حديقته ومروجه والسر الذي سماه داروين «الرولق للفكر» وهو رواق رملي في الحديقة كان يكثر من تمشي فيه وهو آخذ في تأليف كتابه «أصل الانواع» الذي قلب نظرية العلماء في الطبيعة الحية كما قلبت نسبية اينشتين نظرياتهم في الطبيعة الجامدة

مستقبل شمال افريقية

من أعظم المشروعات التي يفكر فيها الانسان تحويل قسم كبير من أرض الصحراء العظمى بحراً فيتغير بذلك هواؤها الشديد الحر الى هواء بارد رطب. فقد عرف ان كثيراً من تلك الارض مؤلف من بحيرات جافة متصل بعضها ببعض تنزع جافة وهي كلها أوطأ من سطح البحر. والمشروع المشار اليه يقصد به حفر ترعة من البحر الابيض المتوسط اليها فتتم حفرها وأطلق ماء البحر فيها ملأ تلك الارض فتكون من ذلك بحيرة مساحتها ٣٠ الف ميل فاذا هبت الرياح الجنوبية الحارة مارة فوق البحيرة حملت في أردانها بخاراً كثيراً الى رؤوس الجبال الشمالية حيث يتعقد مطراً فتخضر بذلك طبيعة الاقليم كله

وقد أثبت الامتحان ان تربة تلك الارض خصبة في طبيعتها ولا يعوزها الا الماء لزرعها واخراج ثمراتها ، ولا ريب ان انجاز هذا المشروع يجعل شمال افريقية من أطيب البقاع هواء وأخصبها تربة

بعد الأفق

يختلف بعد الافق باختلاف ارتفاع الناظر اليه فاذا كان ارتفاعه ٥ أقدام كان بعد الافق نحو ٣ أميال . واذا كان الارتفاع ٢٠ قدماً كان البعد نحو ٦ أميال . واذا كان ٥٠ كان البعد ٩ وكسوراً . واذا كان ١٠٠ كان البعد ١٣ وكسوراً . واذا كان ٥٠٠ كان البعد ٢٩ . واذا كان ألفاً كان البعد ٤١ وكسوراً واذا كان ٥٠٠٠ كان البعد ٩٣ ميلا واذا كان ٢٠ ألف كان البعد ١٨٦ ميلا

الكسوف والخسوف سنة ١٩٣٠

يخسف القمر مرتين وتكسف الشمس مرتين هذه السنة . في ١٣ ابريل القادم أي أحد العيد عيد السيحيين قبل العيد الكبير بأسبوع يخسف القمر أول مرة ويكون خسوفه جزئياً . وفي ٢٨ منه تكسف الشمس أول مرة ويكون كسوفها كلياً في بعض الاماكن . وفي ٧ اكتوبر يخسف القمر خسوفاً جزئياً . وفي ٢١ منه تكسف الشمس كسوفاً كلياً

أمراض البلاد الحارة

طلبت الجمعية الملكية الانجليزية لامراض البلاد الحارة أموالا بالاكتتاب لتبني بناء لها تطلق عليه اسم « منسون هوس » تذكاراً للسر باريل منسون الذي توفي منذ ثماني سنوات ولم يسمع به وهو لا يزال حياً يرزق سوى القليل من قومه ولكن ملايين منهم مدينون له بحياتهم . قالت إحدى الصحف الانجليزية : « ولولاه ما فتحت ترعة بناما ولبقيت بلاد شط العرب في غرب افريقية « قبر الرجل الابيض » الى زمان طويل

ويذكرون عنه ان والديه أرادا أن يبقياه المهندسة ولكنه درس الطب لانه وجد نفسه ميالا اليه ثم سافر الى الصين فاكتشف فيها الاكتشاف الذي طب وجه الارض . وهو ان البعوضة التي تدب داء الفيل تنقل بواسطته بعض أمراض الحمى وقد اكتشف لاول مرة ان الحشرات قد تكون واسطة لنقل العدوى . ثم ان السر رونالد روس أثبت بعد ذلك ان البعوض ينقل الملاريا . ومنسون كان قد اعتقد قبله بزمن طويل ان الحشرات هي المجرمة الاولى . وقد كان أعظم ما عاد روس على اكتشافاته ما آراه وخصائصه

وفي سنة ١٨٩٧ اعترف رسمياً بقيمة عمله اذ عين مستشاراً طبياً لوزارة المستعمرات . وبعد ذلك أسس في لندن مدرسة علاج أمراض البلاد الحارة بمساعدة السير جوزف تشمبرلن (أبي السر أوستن تشمبرلن وزير الخارجية السابق) وغيره من الكبراء ودرس فيها عشرين سنة

وفي سنة ١٩٠٧ كان في جملة مؤسسي جمعية طب وهيجين البلاد الحارة وسميت سنة ١٩٢١ « الجمعية الملكية لطب وهيجين البلاد الحارة » وعين أول رئيس لها

شئون الدار

الخوف من الهررة

لا يكاد يصدق ان الرجل الذي يصمد للنمر أو الأسد يقف مدعوراً أمام الهرة ولكن هذا ما يحدث أحياناً . وقد سمى العلماء هذا الخوف ايلوروفوبيا ، ومعناه الخوف من القطط . فقد ذكر هيرودوتس في تاريخه انه رأى الهرة البيته المتأنسة في مصر لأول مرة فيها ايلوروس أو حركة الذنب فاشتقت لفظة ايلوروفوبيا من هذا

أما الذي يخاف الهررة فأعراض خوفه هذا غثيان وشعور كأن هناك ناراً تسري على ظهره ، وارتجاف الركبتين ، وخفقان القلب ، وارتعاش اليدين ، ووقوف الشعر . وقد يكون بين هذه الاعراض التشنج وفقد البصر وقتياً

يحكى عن قائد شهير كان لا يبالي برصاص البادق أغمي عليه ذات يوم، ولما سئل عن سبب اغمائه قال ان في عرفته هرة فتتشوا فوجدوا جروا صغيراً وراء الكتب

وغريب في هذا الخوف ان المصابين به يعلمون تمام العلم ان الهررة لا تضرهم ، ولكنهم يتوهمون ان لها ضرراً لا يدركونه ولا يفهمون سببه ووسيلته . ويزيد خوفهم هذا تخيلهم ان الهررة مشغوفة بهم فاذا جلسوا ونامت الى أحضانهم أو أكتافهم ، أو وقفوا تبعتهم الى حيث يذهبون

وليس خوف الهررة هو الخوف الوحيد في بابه وان كان الاسم العلمي خاصاً بها . فان من الناس من يخاف الفئران أكثر من خوفه من أي الحيوانات . والعجب ان هذا الخوف خاص بالنساء

وتزعم بعض بنات بغداد ان مزيد الخوف من الفئران صغيرها ولا يخفى ما يخاف الاولاد منه عادة كالظلام والعفاريت

وقد علل بعضهم خوف القائد المشار اليه من الهرة — مع انه يربيها — بأن وجود هذه الحيوانات يجلب نوبة الارما للذين يصابون بها . وفي هذه الحالة يحسن ألا يقتني شيء من الحيوانات الداجنة في المنازل

الكذب بين الاولاد

درست طبية انجليزية عادة الكذب بين الصغار فرأت ان ٣٥ في المائة من الاولاد الذين سنهم بين ست سنوات و ١٥ سنة يكذبون

ويعتقدون ضرورة الكذب في هذا العمر. وتقول إن الاولاد الذين دون الخامسة لا يكذبون عمداً أي انهم لا يتعمدون الكذب قصد الغش والخداع. ومن الخامسة الى العاشرة يكذب الولد تقليداً لغيره أو فراراً من القصاص

أمراض الحيوانات المستأنسة

على ذكر مرض البغاء الذي ظهر في بعض جهات مصر والمعروف باسم «ببتا كوسيز» اتجهت الانظار الى الحيوانات الداجنة المستأنسة كالطير والكلب والى ما عسى ان تنقل الى عائليها من الناس من الامراض المعدية. وقد قالوا عن مرض البغاء انه اذا كانت البغاء فدجنه في المنزل فلا خوف من عدوها ولا خوف من الطيور الجديدة. ومن شاء ان يقتني هذه الطيور في زمن وبائها وجب عليه ان يعنى عناية بنظافتها ويحذر ملامستها ولا سيما عند اكلها الطعام من فمه كما يفعلون

أما الهرة فعلى كونها أنظف الحيوانات الداجنة عرف انها تصاب بالدفتريا وتنقلها الى الاولاد عطاسها وسعالها. ومثل الهرة الارنب والفأرة البيضاء وغيرهما

أما الكلاب فلا تنقل العدوى الا بطريق عضها كعدوى مرض الحرب ولكن أخطر أمراضها «الكلب» وهو أكثر انتشاراً في الاقاليم الحارة منه في الباردة

وتنقل حمى مالطة بواسطة لبن الماعز والسل بواسطة لبن البقر والبغاء والارما بواسطة جلود الفررة والكلاب

هل النوم لازم للجسم

رويت حكايات كثيرة عن أناس قضوا أياماً وليالي لم يناموا فيها البتة، ولكن أغربها حكاية رجل من نيوكاسل بانجلترا يزعم أنه لم ينم منذ عشرين سنة. وقد رآه الاطباء فحاروا فيه ولم يستطيعوا تعليل حالته ولا وصف علاج لها

رؤية الاشباح مقلوبة

اهتم الأطباء الفرنسيون في داكار عاصمة السنغال الفرنسية في غرب أفريقية بأمر فتاة سوداء ترى كل شيء مقلوباً. ترى الناس كأنهم يمشون على رءوسهم وأقدامهم الى فوق وترى سقف الغرفة مكان أرضها وأرضها مكان سقفها وكل «فوق» عند الناس «تحت» عندها والعكس. والاشجار في غصب نمو الى تحت والشلالات عندها في فوق. وترى الرفيع الاعلى تحت والثقيل فوق والمطر ينزل صعداً

ولسهولة تصور حالها تصور غرفة في سقفها مرآة فهي ترى في حالتها الطبيعية ما تراه أنت في هذه المرآة. واذا نظرت هي الى هذه المرآة رأت كل شيء فيها كما ترى نحن الاشباح بأعيننا فالصحة غير مقلوبة. واذا وقفت أو جلست على كرسي ظهر لها كأن قدميها فوق رأسها

ومعلوم ان الاشباح التي نراها بأعيننا تقع صورتها على شبكية العين مقلوبة أي أن الرجل الواقف أمامك تقع صورته على شبكية العين مقلوبة رأسه الى تحت وقدماه الى فوق ولكنك لا تراه مقلوباً أما البنت الزنجية فتراه مقلوباً. أما لماذا لا نرى الاشباح مقلوبة مع انها مقلوبة في

عيوننا فذلك ما لم يعلل تعللاً . وليس ببعيد أن قدرتنا على قلب الاشباح لم تكن موجودة فيما على الدوام وانما اكتسبناها شيئاً فشيئاً في خلال النشوء . فان كان الامر كذلك فهذه الزنجية نموذج من العودة الى الاصل

ولكن ان كانت هذه القوة موجودة فيما منذ أول ظهور العيون في هذه الزنجية نقص أو عيب خلقي لا يعرف الآن سببه وربما كان سبب هذا العيب ان الجزء المختص برؤية الاشباح في الدماغ مفقود فيها

الصلب الذي لا يصدأ

من أغرب المعروضات في معرض الصناعات الاخيرية المقام في لندن الآن الصلب الذي لا يصدأ . يعرض في الصور والدوات كثيرة مختلفة مصنوعة من الصلب الذي لا يصدأ من السكاكين والشوك والملاعق . تكون هذا الصلب يفوقها جودة كأنه ليس منها . ومعلوم ان جو لندن ضبابه الكثير يؤثر في جميع المعادن حتى يكدرها . ولكن هذه الكدورة ناشئة عن الكبريت الذي في الهواء ويزال حالاً بالصابون والماء

التطعيم ضد الجمرة الخبيثة

وصف الدكتور ماريو ماروتشي الايطالي في إحدى المجلات الطبية طريقة جديدة في التطعيم جربها ضد الجمرة الخبيثة (انثراكس) وهي تختلف عن طريقة باستور المشهورة في انه استعمل فيها مكروبات الجمرة حية غير محمة كما في الجدري وكان يحقن الحيوان حقنة واحدة وبعد ١٢ يوماً من الحقنة يحمل الحيوان على مصله كاملة حتى انه يحتمل حقنة قوية من هذه المكروبات . واذا حقن بها حيوان لم يحصل على المناعة مات بعد ٤ ساعة الى ٦٠

وصايا جفرسن العشر

١ ـ لا تؤجل الى الغد ما تستطيع عمله اليوم

٢ ـ لا تنفق المال قبل ان تحرزه

٣ ـ لا تشتر شيئاً لا حاجة لك فيه بحجة انه رخيص

٤ ـ لا تأسف على عدم اكلك كثيراً

٥ ـ العمل الذي يقوم به الانسان عتاراً لا تتمه

٦ ـ لا تحسن سيرك لعمل ما تستطيع عمله رجلك

٧ ـ الحمى والحيلاء يكلفاننا اكثر مما يكلفنا الجوع والعطش

٨ ـ باشر الامور من اولها

٩ ـ حذار ان تستسلم الى الهموم والاحزان التي لا وجود لها الا في مخيلتك ولا تعبئك ابداً

١٠ ـ عد العشرة قبل ان تتكلم حين تكون مسرور وعد مائة حين تكون غضبان

في عالم الأدب

فردوس الحكمة في الطب

لابي الحسن علي بن سهل ربن الطبري ، اعتنى بنسخه وتصحيحه من نسخة برلين والمورد البريطانية الدكتور محمد زبير الصديقي مدير الشعبة العربية بجامعة لكنو واتفق عليه من أوقاف دكري الستر حب وطبع في مطبعة اللغات الشرقية ببرلين

قال ناسخه ومصححه في مقدمته .

« أما بعد فان جهول النساء وحذاق الاطباء وان كانوا اشتغلوا بنقل الكتب الطبيه من الالسنة الطبية مثل اليونانية الى اللغة العربية عند انقراض خلافة الامويه ، لكن هذه النهضة الطبية القديمة اليونانية لم تبلغ مداها ولا نالت حظوظها في عهد الخلافة العباسية حتى تولت هذه الامة وكفلها ـ مثل حنين بن اسحاق واسحاق بن حنين حبيش ويحيى ابن ماسويه وعيسى بن يحيى وغيرهم ـ نقل هذا الفن الشريف من الالسنة اليونانية والهندية وغيرها الى اللغة العربية واستنفدت إلا ما شاء الله ، وما اقتصروا على النقل الجيد من لغة الى لغة بل جددوا وأضافوا اليه فصنفوا رسائل بديعة مؤسسة على ما شاهدوه من الادواء واسبابها وجربوه من الادوية وخواصها ، وألفوا كتابات حوت الفنون الطبية المتنوعة وجمعت شتاتها ، فذلل لطلبة الطب بذلك ما كان صعبا وسهل لهم تناوله بعد أن كان عسراً

« ومن تلك الكتابات الطبية القديمة التي نقلت الى اللغة العربية أو ألفت فيها في عهد الخلافة العباسية أو قبلها لم يذكر مصنفو العرب إلا هذه السبع : ثلاث لجرجاس لاوويا سوس وثلاث كتابات لاهرون القس وموسى الاجابيطي وسورجس أبي بختيشوع وفردوس الحكمة لعلي بن ربن الطبري ، الذي هو أول المجموعات الطبية التي ألفت باللغة العربية ، ومن هذه الكتابات السبع لم يصل غير فردوس الحكمة فأقدمه فقراء الكرام بعد أن بالغت جهدي في تصحيحه وترتيبه وتهذيبه »

والكتابة في اللغة بضم الكاف وتشديد الشين الاصول التي تتشعب منها الفروع . هكذا في المحاكم ، وألف سميها كتاباً على التذكير

وقد أهدى الكتاب الى المرحوم الاستاذ برجستر من كبار أساتذة اللغات الشرقية في مصر وتوفي ، فبان الكتاب كله على سبعة انواع من العلم وهذه الانواع ثلاثون مقالة ومقالاتها كلها ثلاثة وستون باباً »

وهو يبحث في مثل الموضوعات الآتية : الطبائع المفردة والمركبة . الكون والفساد . الفعل والانفعال . الشهب والالوان . كون (تكون) الجنين . علة كون الذكر والانثى . قول ابقراط في الحمل وعلاماته . الاسقاط وتسهيل الولادة . علل كون المراحات (تكون الامرحة) . الاحتلام والطمث ، وانها ليست عرض ولا مزاج من المزاجات . علامات مراض القلب والكبد والمعدة . تربية الاطفال وحفظ الصحة . أنواع الاغذية . علامات الامراض الباطنة وعلاجها . علاج المعدة والسل (مثلا)

قوى البقول (حواصها) والثمار والفحان (اللحوم) والالبان والاجبان والاقشرحات (الصارات) والكوامخ (جمع كامخ أي ادام) والحلاوات (أي الاطعمة الحلوة كالعسل والسكر) والابازرة (التوابل والجمع أبازير بلا تاء) منافع أعضاء الحيوانات الى آخر ما هنالك

جاء في الكلام على علاج السل :

« فأما السل فانه ينفع منه أن يتمهد الحمام ويستنقع في ازن ماء حار طيب ثم يخرج ويلتحف بثوب لين ويطلي جسده بلطخة طيبة أو يتبسمن ويشم الرياحين الطيبة ويأكل الاغذية المعتدلة في البرد ويضرب ابن الاتي يحب بين يديه ، ويضرب منه سبعة أساتير بلطفة عسل لأن العسل يلطف الفين ويهضمه ، فاذا نضى أربع ساعات وعلم ان الفين قد انهضم دخل أيضا في الآزن ثم يخرج ويدهن بدهن ورد أو دهن بنفس ويضرب أيضا الفين ، فان قوى أن يضرب ثلاث مرات على هذه الصفة « شربه » ، وإلا شرب في المرة الثالثة ماء [illegible] وطيب من العذب أو مما يرى من شراب طيب الرائحة أو عتيد الزبيب لأن [illegible] يوسن رطوبة الماء الى العروق ويذيبها ، وان كان يبس البدن من البرودة شرب الاشياء المعتدلة في الحرارة وزاد في الفين من العسل »

الامتيازات الاجنبية

في هذا الطرف الذي تبحث فيه المسألة المصرية بين يدي المفاوضين أخرج الاستاذ محمد عبد الباري سكرتير مجلس مديرية المنوفية هذا الكتاب الثمين الذي درس فيه موضوعاً قانونياً من أهم الموضوعات التي ترتبط بحياة مصر القضائية والاقتصادية ، وهو الامتيازات الاجنبية ، فبحثها من عهد نشأتها الى الآن ، وأظهر خطأ الفكرة التي تعزوها الى الدولة الاسلامية ، وأبان انها ترجع الى عهد قديم عند كان الفاتحون الرومان يمنحون الولايات الاجنبية الراقية حق تنظيم علاقاتها الداخلية بتطبيق قوانينها المحلية دون القانون الروماني ما عدا ما يتعلق بالمسائل العامة . ثم ذكر التطورات الهامة التي اعترت الامتيازات الاجنبية وما أدت اليه من اتفاقية سنة ١٩٠٤ بين انجلترا وفرنسا ، وكيف ان انجلترا وقفت موقفاً مهماً ازاء هذه الامتيازات كان من شأنه تبريرها ، وناقش آراء اللورد كرومر في تعديلها ، ومشروع السير سمل هرست الذي ربط مسألة الامتيازات بمسألة تسوية القضية المصرية ، وأشار الى النصوص المتعلقة بالامتيازات في مشروع كرزون ومشروع (نروت ـ تشمبرلين) الذي يعتبر أساساً للمقترحات البريطانية . ومن رأيه أن هذه المقترحات اذا عدلت بشكلها الحالي فيما يتعلق بالامتيازات زاد ذلك النفوذ البريطاني في القضاء والتشريع . وللمؤلف اقتراحات سديدة في آخر الكتاب جدير برجال القانون الاطلاع عليها .

أما أسلوب الكتاب فهو أسلوب جمهوري سهل بعيد عن المسائل الفنية الدقيقة بحيث يتاح لكل قارىء ان يفهمه . وقد أحسنت لجنة التأليف والترجمة والنشر في طبع هذا الكتاب وضمه الى سلسلة المعارف العامة التي تقوم بنشرها

وقد قال صاحب المقدمة في بيان غرض الكتاب

« . . والغرض الاول من الكتاب هو نشر الدعوة بحق ضد نظام الامتيازات الاجنبية » فذلك نرى في أسلوب المؤلف شيئاً من حدة النفس والغيرة ، هي طبيعية في نفس مصري يضطرب وجهة النظر المصرية في مسألة كمسألة الامتيازات كانت دائماً مقتولة لاعتداءات متكررة من جانب الدول ذوات الامتيازات على حقوق المصريين وسيادة الدولة المصرية . والكتاب فيه علم وفير . وتغلب فيه الناحية التاريخية والسياسية ، وهي الناحية الجذابة التي تجعل القارىء يقبل على قراءة الكتاب فلا يدعه حتى ينهيه ذلك بحق لنا أن نغتبط الرجاء في ان يحدث ظهور هذا الكتاب أثره الطيب في نفوس القراء وفي نفوسهم أشد ما يكون حاجة الى الالمام بهذه المسألة بعد ما وضع قريباً موضع البحث الدقيق في المفاوضات الجارية »

الاصول العربية لتاريخ سورية

في عهد محمد علي باشا

أحسن الدكتور أسد رستم في تأليف هذا الكتاب الثمين الذي يعد خير مرجع لتلك الوثائق السياسية الهامة التي تكشف لنا القناع عن حقائق تاريخية تتعلق بتاريخ بلاد الشام في عهد محمد علي باشا وابنه ابرهيم وما وقع فيه من حوادث خطيرة بعناية المحققين ممن يهمهم تمحيص الاخبار قبل تدوينها . وقد اهتم الدكتور رستم بهذه الوثائق فقسمها الى أوراق ، وتواريخ ، وجعل الاوراق ثلاثة أقسام : سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وأفرد للقسم الاول هذا المجلد الذي أودع فيه جميع ما هو موجود من هذا النوع في سجلات المحاكم الشرعية والقنصلية البريطانية ، وهو في المقر بركة الباروني في بكركي ، ومكتبة جامعة بيروت ، ومجموعات البيوتات الكبيرة ، وقد قال في المقدمة :

« . . . وقد رتبنا هذه الاوراق بحسب تاريخها ، ولفرزناها بموجب فصوص تراتيب العلم الحديث ، فوضعنا لكل رسالة منها مقدمة وجيزة بحرف صغير أبنا فيها حجم الورق المكتوبة عليه ونوعه وسمكه ، ثم اجتهدنا في أمر تعيين تاريخها اذا كانت مجهولة التاريخ ، وتعيين مؤلفها اذا كان مجهولا أيضا ، وذكرنا مكان وجودها الآن ، وعدد نسخها وأسماء الكتب والمجلات التي ظهرت فيها ، فيما اذا كانت قد نشرت من قبل . أما الرسائل نفسها فاننا نشرناها بحرف كبير وضبطنا قراءتها بقدر الامكان . . . »

ومن ذلك تتضح عناية المؤلف بهذه الوثائق القيمة ومقدار ما بذل في جمعها من مجهود خطير مالشاق ، خصوصاً اذا علمنا ما يحتاج اليه تأليف هذا الكتاب من التجوال في أرجاء البلاد السورية وتحمل مشاق الاسفار

يحكى أن

هذا الكتاب يحتوي على مجموعة طريفة من القصص المصرية التي تتضمن كثيراً من صور الحياة الاجتماعية الحاضرة بما فيها من عادات وآداب دارجة تحتاج من كتاب العصر الى العناية بتطهيرها وتنبيه اذهان الجمهور الى عيوبها السارية التي تحط من قدر المجتمع . وقد عني الاديب محمود طاهر لاشين في هذه القصص بعرض عدة صور من الحياة الاجتماعية في مصر ، فيها العبرة المؤثرة والفكاهة اللاذعة ، وحلل أشخاصها تحليلاً دقيقاً يطابق الحقيقة الواقعة ، وأبرز كل قصة في ثوب يجتذب عامة القراء ، واختار لعناوينها حللاً مشوقة مثل : « ولكنها الحياة » ، « أو . . . » ، « لون الخجل » ، « يحكى أن » . وهذا العنوان الاخير جعله صورة مكبرة كما جعله عنواناً لأحدى القصص . وهذا نجاح الدوري ، نروع للمؤلف الى الحديد للسكر في قلوب القراء

اصلاح التعليم الابتدائي

قلم الأستاذ محمود علي يوسف ليساهم في التربية والآداب وفي الحقوق المدنية وناظر مدرسة الرمل الابتدائية . بحث في التعليم الاولي والنظام الحالي للتعليم الابتدائي وعيوبه وأورد اقتراحاته لاصلاحه

مؤتمر المستشرقين الدولي

السابع عشر

بين أيدينا كتاب بالانجليزية عن « أعمال مؤتمر المستشرقين الدولي السابع عشر في اكسفورد سنة ١٩٢٨ » أهداه الينا السير همفري ملفورد مدير مطبعة جامعة اكسفورد

وهو يتضمن كشوفاً بالمؤتمرات السابقة وأسماء موظفي المؤتمر الحالي وأعضائه والحكومات والمعاهد التي مثلت فيه وأعمال لجانه وهي تسع لجان الاولى العامة . والثانية لجنة اللغة الانسورية وتوابعها . والثالثة مصر وأفريقية . والرابعة أواسط آسيا وشمالها . والخامسة الشرق الاقصى . والسادسة ثلاثة أقسام الاول الهند القديمة ـ والثاني الهند الحديثة أي حروب الهند وسلان ـ والثالث ايران وارمينية والقوقاس . والسابعة العهد القديم من التوراة بالعبرية والآرامية . والثامنة الاسلام وتركيا . والتاسعة الفن الشرقي

وثمن النسخة ٧ شلن ونصف

الدفاع عن النفس

بطريقة المصارعة اليابانية

ألف هذا الكتاب الإستاذ رياض داود يوسف لبساتيه في المغرب وطريقة تحقيق الشخصية والمباحث الحديثة والبوليس في الجزائر . ويراد بطريقة المصارعة اليابانية المعروفة باسم جوجستو . وقال في اهدائه إنه اهداه الى القائد المصري الكبير عزيز بك علي المصري الذي يرجع كل الفضل في وضعه الى ارشاده وتشجيعه وانتدابه المؤلف لتدريس موضوعه لطلبة مدرسة البوليس والادارة

وفيه مقدمة وكلام عام على المصارعة اليابانية وسبعة فصول في حركات المصارعة اليابانية . وحركات الحل . وحركات الطرح على الارض وهي تشغل القسم الاكبر من الكتاب . وحركات السيطرة على الخصم . وحركات مقاومة القبض على الزور . وحركات الضغط على الشريان السباتي . وحركات وضربات ومقابلات مختلفة

والكتاب مطبوع طبعاً جميلاً وفيه رسوم كثيرة بديعة لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحاته البالغة نحو ١٥٠ صفحة

والحق يقال ان الكتاب جدير باقتناء كل مولع بفنون الالعاب الرياضية والمصارعة

رواية الشاعر عبد السلام بن رغبان

ألفها الاديب السيد لبيب عريضة أحد أفراد الرابطة القلمية في نيويورك ، ووضعها في القالب التمثيلي باللغة العربية الاستاذ ميشيل أوبري ، وهي تحتوي على أربعة فصول في ٦٥ صفحة من القطع المتوسط . ويدور محور هذه القصة على موضوع غرامي بين شاعر مسلم ، وفتاة مسيحية كان يحول كأس السعادة لولا يد الاقدار التي تحول دون هذه الامنية . وينحلل هذه القصة مقطوعات شعرية طريفة مما يناسب المقام ، وهي في أسلوبها البسيط مما يشوق القراء الاطلاع عليها

الهدية الزينبية في الواجبات المنزلية

نظم الآنسة الفاضلة زينب محمد ابرهيم المدرسة بالمدارس الاميرية . وهذا الكتاب يحتوي على ٨٢ صفحة من القطع المتوسط ، وقد بذلت فيه المؤلفة عناية جديرة بالثناء فيما يتعلق بواجبات المرأة إزاء منزلها ، وبينت في تفصيل طرق الطرق العملية التي يجب على ربة المنزل أن تزاولها في تحضير الاطعمة المختلفة ، وكيف تستطيع أن تقوم بمهمتها في تنظيف أنحاء المنزل وملابس زوجها وما يحتاج اليه أطفالها . وكل ذلك في أسلوب سهل رقيق

بين الهلال وقرائه

٤٥ ولداً لامرأة واحدة

﴿ بونس ايرس – الارجنتين ﴾ حامد الله مداح

قرأت في مجلة ارجنتينية ان امرأة اسبانية ولدت خمسة وارسين ولداً كلهم أحياء. وعمر أصغرهم ستة أيام فهل تصدقون ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ الخبر مدهش يصعب تصديقه إذا لو تزوجت المرأة وهي بنت خمس عشرة سنة وولد لها كل سنة ولد لبلغ عدد أولادها ٤٥ وهي في سن الستين . ومعروف أن المرأة قلما تلد بعد الخمسين . والغالب أن يكون هؤلاء أولادها وأحفادها

علاج السل

﴿ كوم امبو – مصر ﴾ محمد كامل

هل اخترع مصل ضد السل ؟ وما هو أنجع دواء له ؟

﴿ الهلال ﴾ تجدون جواب سؤالكم تحت الصورة المنشورة في هذا الجزء عن مصح السل المشهور في سويسرا . وخلاصته أن الشمس والهواء النقي والتغذية هي أنجع علاج له حتى الآن . وكان يظن لما تمكن الدكتور كوخ الألماني من عزل مكروب السل ان اكتشاف علاج له مسألة أيام وأشهر ، ولكن انقضى على عزله زمان طويل ولم يكتشف له علاج شاف

الاكثار من المسهلات

﴿ المنصورة – مصر ﴾ جورج تادرس

هل شرب شيء من محلول سلفات الصودا صباحاً كل يوم مضر اذ يهيج للصرع ؟

﴿ الهلال ﴾ الاكثار من المسهلات مضر على كل حال فان كنتم تشكون امساكاً في الامعاء مستمراً فاطلبوا هو الذي يصف الدواء

الآداب العربية المبعثرة

﴿ حمص – سورية ﴾ فتى العرب

ذكر المرحوم العلامة جرجي زيدان في الجزء الثالث والرابع من تاريخ آداب اللغة العربية طائفة صالحة من أمهات الكتب العربية في الأدب والتاريخ والاجتماع مشيراً الى محال وجودها مبعثرة في مكاتب فرنسا وبرلين ولندن والاسكوريال ، فهل فكرت الحكومة المصرية وهي أكثر الدول الاسلامية العربية حباً للعلم وتنقيباً عن مخلفات العصور العربية الزاهرة في ايعاز من ينسخ لها المهم من هذه المؤلفات الخالدة ؟

﴿ الهلال ﴾ لا يظن ذلك لاشتغالها بالحالة السياسية فقد فرغت من هذه تفرغت للاخرى وفوق كل ذي علم عليم

دعاية خطرة !

ومنه

ما رأيكم في الدعاية الخطرة التي يرأسها

الدكتور محمد حسين هيكل والتي ترمي الى نقد الآداب والتقاليد العربية والاستعاضة عنها بخلق أدب مصري فرعوني بحت ؟

﴿ الهلال ﴾ لا نعلم عن هذه الدعاية أو الدعاوة كما يقول بعض المتحذلقين شيئاً ومع ذلك فقد نشرنا سؤالكم لعل رئيس هذه الدعاية اذا اطلع عليه يرد عليكم الجواب

أصل اللغات

﴿ بغداد ـ العراق ﴾ سيد رءوف آل شبيه

هل كان الناس في بدء الخليقة يتكلمون لغة واحدة ؟ واذا كان الامر كذلك فكيف تعددت اللغات ؟ وما اسم أول لغة ؟

﴿ الهلال ﴾ يقولون ان الناس كانوا يتكلمون في الاصل لغة واحدة ، جاء في سفر التكوين من التوراة قوله « وكان الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة ، فلما شرع الناس يبنون برج بابل خشية أن يتبددوا ويتفرقوا ! بلبل الله ألسنتهم فتكاموا لغات مختلفة وبابوا لا يفهم بعضهم بعضاً فكفوا عن بناء البرج

وجاء في البيان والتبيين للجاحظ ان أول من تكلم باللغة العربية اسماعيل بن ابرهيم عليهما السلام وان اسماعيل تكلم بها بالوحي ارتجالا

معنى الاشارات

وله :

اذا تكلم الناس أشاروا بأيديهم ورءوسهم وعيونهم وحواجبهم الخ فأي شيء تعللون ذلك وهل له علاقة بقوة العقلية وضعفها ؟

﴿ الهلال ﴾ الاشارات طبيعية في الانسان وسائر الحيوان فالاسد والنمر والفهد والهر وسائر حيوانات هذه العشيرة تحرك أذنابها اذا غضبت . والكلب وهو من فصيلة أخرى يحرك ذنبه علامة السرور . كذلك يحرك الاسد عفرته عند التغضب ويردها الى بافوخه « حتى تصير لرأسه اكليلا » كما قال المتنبي . فالاشارات في الانسان ميراث حيواني وهي تساعده على بيان أفكاره اذا أعياه لسانه

الطراد امدن الالماني

﴿ القاهرة ﴾ ركي حلمي طالب بالحقوق

سمعت كثيراً عن الطراد امدن الالماني وما قام به من أعمال القرصنة في الحرب العظمى فأين أغرقه الاسطول الانجليزي ؟ ومن أين كان يتموّن مع امه في ثلاثة أشهر بعداً عن قواعده ؟

﴿ الهلال ﴾ كان الطراد امدن يسطو على بواخر الحلفاء التجارية بعد نشوب الحرب فأغرق في مدة ثلاثة أشهر عشر بواخر وطراداً روسياً صغيراً وضربيداً فرنسياً وفي نوفمبر سنة ١٩١٤ حاول تخريب محطة لاسلكية في جزر كوكوس فحاصره طراد استرالي أقوى منه ودارت بينهما معركة عنيفة انتهت بغرق امدن حتى جنح على الشاطىء واسم الطراد الاسترالي « سدني »

مجلة الهلال والشهور الهجرية

﴿ جنين . فلسطين ﴾ صديق

ألا تستحسنون اصدار الهلال في أول الشهر الهجري عند ظهور الهلال ؟

﴿ الهلال ﴾ نستحسن الفكرة لما فيها من الحماس التام وهو من ضروب البديع ولكنه البديع اللفظي ونحن أكثر عناية بالمعاني منا بالالفاظ . وما دامت مصر كلها تتبع في أعمالها وأشغالها التاريخ الميلادي فليس من المصلحة مخالفة الاجماع

كذبة ابريل

﴿ كنجستون . جامايكا ﴾ فريدحنا

لماذا أجازوا الكذب في أول نيسان لا في غيره ؟

﴿ الهلال ﴾ لم يجز الكذب أحد ولا يجوز الكذب على الاطلاق ولكن كذبة ابريل ليست كذباً بالمعنى المفهوم من الكذب بل هي مداعبة وقتية لا يرد بها عاش ولا خداع لحر منعة كما يراد من الكذب

الاسكيمو

﴿ يافا . فلسطين ﴾ جورج طوباشي

من هم الاسكيمو وما هي ديانتهم وعاداتهم وكم عددهم الخ ؟

﴿ الهلال ﴾ هم سكان الاصقاع الشمالية القطبية التابعة لأميركا وأقصى آسيا الشمالي الشرقي ومعنى اسمهم « آكلو لحم النيء » والمظنون انهم من سلالة هنود أميركا الأصليين غير انهم أقرام متوسط طول الواحد منهم ٤ أقدام ويستعدون معظم طعامهم ولباسهم وسقوف مبانيهم وحدرانها ودهن الاستصباح والوقود من فعل البحر فهو لهم كالحقل للبدوي . وأفكارهم الدينية مبهمة غير حية وهم يؤمنون بحياة البحر ويبذلون جهداً كثيراً لاستمالتها وبينهم بعض المسيحيين

منافع الخس

﴿ القاهرة ﴾ ك . ف

هل أكل الخس مفيد أو مضر ؟

﴿ الهلال ﴾ يقول بعض الناس ان أكل الخس والدبس يمنع الصدر ويقول غيرهم انه مساعد على النوم لأن فيه مادة مخدرة . وكان حاصاً بالبلاد التي في حوض البحر الابيض المتوسط وكان اليونانيون والرومانيون القدماء يستعملونه « سلطة » وهو الآن يزرع حيث يلائمه الهواء

ولكنه ليس مضراً على كل حال لأنه يليّن الامعاء ككثير من البقول . ومع ذلك فهو مصدر خطر كثير لأنه كثيراً ما يحمل مكروبات الحمى التيفوئيدية فيصاب بها آكلوه ولا سيما اذا لم يطهوه تنظيفاً وافياً ومثله الفجل والجرجير والكرات فانها تؤكل بمقادير عظيمة عندنا ولا يمي الغاية الكافية تنظيفها

ازالة النمش والاساريز

ومنه :

ما هي أحسن الزيوت والمساحيق والادهان لمنع تمشون الوجه وتحمداته وأساريره ؟

﴿ الهلال ﴾ لا شيء يمنعها سوى الشباب الدائم وهذا غير متيسر . بقي انه يمكن تأخيرها بالعناية بالصحة وفي الهم وابعاد دواعي الصدر. قال الشاعر

واهم يحرم الحسيم نحافة
ويثيب ناصية الصبي ويهرم

والعناية وحدها لا تكفي بل يجب ان يكون لها عون من الوراثة فانك تجد أناساً خالين من الهموم أعضاء ذوي عافية شديدي العناية بصحتهم ووجوههم كثيرة التحمدات قبل الاوان . وقد ترانهم فقراء « لا حيل عندهم ولا مال » ولا يحصلون على رغبتهم الا بعد تعب كثير ولا يصون بصحتهم ومع ذلك يحملون على التيجوخة وليس في وجوههم أثر للتحمدات

وهناك شيء اسمه « المساج » أو التدليك يجربوه

من هنا وهناك

البطالة في انجلترا وألمانيا وأميركا

في أميركا الآن ٣٥٠٠٠٠٠ عامل بلا عمل من ١٠٦ ملايين نسمة . وفي ألمانيا ١٧٥٠٠٠٠ من ٦٣ مليوناً . وفي انجلترا ١٥٠٠٠٠٠ من ٤٥ مليوناً . أي ان نسبة العمال العاطلين الى مجموع السكان في أميركا وانجلترا ٣٣ في الالف وفي المانيا ٢٨ في الالف

وظاهر الامر ان البطالة في أميركا منها في انجلترا وان الحال أحسن حالاً في ألمانيا . والامر ليس كذلك لأسباب كثيرة أهمها ان مقدار البطالة في أميركا تقريبي ، وان البطالة فيها ليست ثابتة كما في انجلترا وان سكان أميركا يزيدون نحو ١٢٠ مليوناً سنة ١٩٢٨ لا كما تقدم ، وهذا يخفض نسبة البطالة فيها الى ٢٩ في الالف

سرعتا الأرض

للأرض دورتان دورتها حول الشمس ودورتها حول محورها وسرعتها في الاولى ٦٦٦٠٠ ميل في الساعة . وأما في الثانية فتختلف سرعتها باختلاف السكان الذي على سطحها . فاذا كان على خط الاستواء فسرعته نحو ألف ميل في الساعة

سكان انجلترا

كان عدد سكان انجلترا سنة ١٠٦٦ أي عند الغزوة النورمندية مليوناً ونصف مليون . فزاد الى ٣ ملايين سنة ١٤١٥ أي تضاعف في ٣٥٠ سنة والى ٤ ملايين سنة ١٥٠٩ و٥ ملايين في أوائل ملك جيمس الاول وأواخر عهد شكسبير اي سنة ١٦٠٣ وصار ٧ ملايين سنة ١٧٦٠ . وكل هذه الاحصاءات تقريبية ولكنها أصبحت دقيقة من ابتداء القرن الماضي . ففي سنة ١٨٠١ بلغ عددهم ٨٩٢ر٥٣٦ فزادوا الى ١٥ر٩١٤ر١٤٨ سنة ١٨٤٠ أي تضاعفوا في ٤٠ سنة . وزادوا الى ٢٥ر٨٧٤ر٤٣٩ سنة ١٨٨١ أي في الاحقاب المصري بستين وفي ٣٤ر٨٨٥ر٣٤٢ سنة ١٩٢١ وهو الاحصاء الاخير . ويدخل في هذا الاحصاء أهل انجلترا الأصلية وويلس التي كانت تعرف قديماً باسم غاليا وتخرج منه أهل اسكتلندا وارلندا

البوليس الانجليزي في القرن الماضي

كانت حالة لندن عجيبة في أوائل القرن الماضي من كثرة الجرائم فيها وعظم انتشار الشر بين أهلها فقرر السر روبرت بيل رئيس الوزارة الانجليزية أن يصنع شيئاً لاصلاح الحال وهذا الشيء هو إنشاء قوة البوليس وماكاد الناس يسمعون بهذا الخبر حتى روّعوا وقاموا ينادون بأن حرية الأمة في خطر وحسبوا ألف حساب لطرق البوليس للمنازل ولانتشار التجسس

ولكن الوزير سعى إلى تسكين روع الجمهور وليبين لهم أن البوليس ليس قسما من الجيش أمر فألبسوا قبعات طويلة كالملكيين . ولكن ذلك لم يخفف روعهم كثيراً . ففي سنة ١٨٣٠ خرج الملك عوكبه ذات يوم لزيارة لندن فمشى البوليس في حوسها لحفظ النظام ولكن عفت على الجدران اعلانات هذه ترجمتها :

« الحرية أو الموت ! أيها الانجليز ! أيها البريتون وكرام الرجال ! لقد أزفت الساعة . سنجتمع لندن كلها يوم الثلاثاء . فأتوا مسلحين . نؤكد لكم بناء على شهود العيان ان ٦٠٠٠ خودة نفت من البرج لاستعمال عصابة بيل الجرمة . ذكروا حضرات العرش المدون . هذا البوليس المشئوم سيسلح الآن . فهل تطيقون هذا أيها الانجليز ؟ »

ولما جرت المصادمة بين البوليس وجمع من الشاغبين جرح بعض رجال البوليس وقتل أحدهم فكان عطف الجمهور على الضحية عظيماً . ثم سيقوا إلى المحاكمة فشهد شهود بأن رجال البوليس كانوا سكارى فصدر حكم المحلفين ببراءة القتلة وبأن القتل له ما يبرره ولكن الاستئناف نقض هذا الحكم

سكان الارض

يقدر سكان الارض الآن بنحو ١٨٥٠ مليوناً منهم ٧٢٥ مليوناً من السلالة البيضاء القوقاسية و ٦٨٠ من الصفراء المغولية و ٢١٠ ملايين من السوداء الزنجية و ١٠٤ من قبائل ملايا و ١٠٠ مليون من الساميين من عرب ويهود و ٣٠ مليوناً من هنود أميركا

عدد رجال الاحزاب الانجليزية

يبلغ عدد أعضاء حزب العمال في انجلترا ٢٨٧ والمحافظين ٢٥٩ والاحرار ٥٩ والمستقلين ٩ . ورئيس المجلس غير داخل في هذا الحساب

عجائب الذاكرة

نشر في انجلترا حديثاً ثلاث روايات عن المفاوضات التي دارت بين انجلترا وروسيا أفضت الى سقوط وزارة العمال الاخيرة . احداها ظهرت في كتاب اللورد هولدين الذي صدر أخيراً . والثانية رواها المستر مكدونلد رئيس الوزارة . والثالثة للمستر بوفنوني أحد كبار المحامين . وهي مختلفة في وقائعها في كثير من النقط الجوهرية . وقد قالت احدى الصحف الانجليزية في تعليقها على وجوه الخلاف هذه : « ولو لم يكن هناك أوراق وكانت المسئلة مسئلة ذاكرة تقارن بذاكرة لسلمنا بما رواه اللورد هولدين واطرحنا روايات غيره لانه كان ذا ذاكرة عجيبة حتى بين المحامين أنفسهم »

ولكن أعجب الذاكرات بين الانجليز الذين اشتهروا في رجال الاحرار ذاكرة اللورد سرانكلايد فكان ما شاء الكلام في البرلمان ورد على خصماء الذين تقدموه وكانوا يلقون خمسة عشر خطيباً أحياناً وجمع خطبهم الواحدة اثر الواحدة ورد على جميع النقط الواردة فيها من غير أن يأخذ مذكرة بها

واشتهر في الحرب الماضية أحد رجال البوليس السري من الانجليز بحسن ذاكرته فكان يجمع كل شيء فيها مما يتجسسه في أرض العدو ولا يستعين بآلة للتصوير ولا بخريطة ولا بمذكرة . وقوة ذاكرته هذه أنقذته من الموت لانه ضبط مراراً كثيرة وليس بيده شيء يستوجب الاشتباه فيه فكان يطلق سراحه كل مرة ولو أمكنهم الاطلاع على ما في ذاكرته

لوجدوها مشوبة بالمعلومات التي يمنع عدوم الاطلاع عليها

سرعة طائر السنونو

تقدر سرعة طائر السنونو بمائة وخمسين ميلا في الساعة والنسر بنحو نصف هذه السرعة

ثقل دم الانسان

يبلغ متوسط ثقل دم الرجل البالغ جزءاً من ١٣ من ثقل جسمه ودم الفرس جزءاً من ١٨ والثور جزءاً من ٣٠

أبطال شكسبير

حسبوا ان عدد أكثر أبطال شكسبير كلاماً فان أقواله تبلغ ١٥٦٩ سطراً في الرواية . ويليه ريتشرد وعدد الاسطر التي قالها بها ١١٦١ ثم اياجو وعدد أسطره ١١١٧ . وسائر الابطال أقل من ألف

عظم سرعة السيارات

من أعجب التجارب وأحكمها تجربة حديثاً في مدينة شيكاغو الاميركية للدلالة على ان زيادة سرعة السيارات لا فائدة منها البتة في توفير الوقت على حين ان ضررها عظيم من جهات أخرى . ولجوى التجربة ان سيارتين خرجتا معاً من مكان قاصدتين الى مكان آخر يبعد تسعة أميال وكانت سرعة الاولى أقصى سرعة وسرعة الثانية معتدلة فوصلت السرعة قبل العطبة بأربع دقائق . ولكن الاولى تعرضت لاخطار كثيرة من صدم الناس وتكسير الاشياء ومخالفة القانون — كل هذا لتكسب أربع دقائق من الوقت . ولنفرض ان راكبها مليونير يريد مقابلة مليونير آخر في مشروعات عظيمة فانه بعد وصوله الى محله ومقابلته اياه يضيع أكثر من أربع دقائق — قبل التحدث في المشروعات العظيمة — على حديث سرعته وما جرى له في أثناء الطريق وكيف انه كاد يصدم امرأة أو حصاناً أو كيف جرى البوليس خلف سيارته يحاول أخذ غرمه أفلح أم لم يفلح

ولما كان راكب السيارة يقدر قيمة نصف الدقيقة الذي يريد توفيره أكثر من السنين الطويلة التي يرجو أن يعيشها فليسرع فان سيارات هنري فورد أسرع من المركبات القديمة التي تجرها الجياد ! !

الحيوانات البرية في أستراليا

كتب فلاح من جنوب استراليا الى احدى المجلات الانجليزية يقول إنه في أيام طفولته وشبابه بين سنة ١٨٨٠ و١٨٩٨ كان في أرضه حيوانات برية كثيرة مثل الدحو والكنجرو والذئب [illegible] الرومية البرية والارنب مساحتها ٣٠٠٠ فدان وقد مضى عليه ١٥ سنة لم يرَ حيواناً من بعض هذه الاصناف وقد بادت الارانب البرية بعد ادخال الثعلب وكادت الارانب الاهلية تبيد طفيلي قرانها

مطعم الصم

فتح حديثاً في برلين مطعم للصم يسود فيه السكوت التام في حين يكون الضجاج واللجاج شديدين فيه بين رواده الصم . والخدم فيه صم كالرواد ولا يسمح فيه سوى معاملة السكاكين والملاعق والشوك على الاطباق والصحون ورنة الفلوس بين آن وآن وهو حائط الدهن من كل ذلك!!

سكك حديد الحكومة

طول سكك الحديد في الهند نحو ٤٠ ألف ميل وقد شرع في مدها سنة ١٨٥٣ وقيمة رءوس المال المودعة فيها ٧٢ مليون جنيه وعدد مستخدميها نحو ثلاثة أرباع المليون

توفيق نسيم باشا

في دروس الحياة العامة

[دولة توفيق نسيم باشا رئيس الديوان الملكي من عظماء مصر الذين كانت لهم يد طولى في ادارة دفة السياسة المصرية في اخطر العصر الاخيرة ، وقد اشتهر بتواضعه وبساطته وابتعاده عن الظهور العامة وفي هذا ما يجعل الكلام عنه من صعاب وقت حتى الآن الى أحد حديث منه في أي موضوع كان ، ولكن لما كان دولته من الشخصيات البارزة التي يتوق القراء الى جمع أخبارها والوقوف على معلومات عنها فقد فاز الاستاذ كريم ثابت في آخر الامر باستخلاص البيانات التي نشرها في هذا المقال]

صورة لا تختفي

كان للمغفور له والد توفيق نسيم باشا صديق يتردد عليه يومياً في محل تجارته ليقضي عنده أوقات فراغه إما بتجاذب اطراف الحديث معه أو بمطالعة الصحف التي ترد على محله

وفي ذات يوم وقع ذلك الصديق في إشكال قضائي فأخذ يفكر في مخرج له منه وأخيراً تذكر أن الشاب توفيق نسيم يعمل في النيابة وأن والده من أعز أصدقائه فخطر له أن يكلفه السعي لدى نجله لكي يحل تلك الاشكال قبل استفحال خطره ، ومنذ ذلك الوقت لم يكن يرتاد محله في ذلك اليوم كعادته حتى اذا أقفل عليه في ميعاده كاشفه عما حل به وعرض عليه مشكلته وطلب منه أن يذهب الى بيته ويعود اليه بعد دقائق فانطلق الرجل بهذا الكلام منه أن يذهب الى بيته ويعود الأوبة الى منزله لكي يسرع بمخاطبة نجله ثم يعود وجد اليه حاملا البشرى جاهزة في مهمته

وعاد والد توفيق باشا الى محله وجد نجله جالساً في حجرة مكتبه وأخذ منه « حجة » ملكية داره ثم سار الى دكان صديقه ولما لمحه هذا مقبلاً اليه خرج بغتة وهو في النفس بباع كلة منه يروي بها غليله ولكنه لم يكد يراه حتى رأى نجله حتى أخرج « الحجة » من جيبه وقال له « انه لا سهل علي يا فلان أن أتنازل لك عن حجة بيتي من أن أتوسط لك عند نجلي » ... فسكت الرجل ولم يخاطبه في هذا الشأن مرة أخرى

ولبست الواقعة المتقدمة قصة موضوعة أو حادثة مجهولة عن كثيرين من أحياء دولة نسيم باشا يعرفون تفصيل ظروفها وأسماء أبطالها وقد بدا لنا على سوقها الى القراء في مستهل كلامنا مشاطرتنا لرأي القائلين بأنها تصور الاخلاق التي اتصف بها نسيم باشا منذ حداثته خير تصوير ، تصوره كرجل يؤدي ما عليه بصدق وأمانة ويكسب احترام جميع المحيطين به حتى أبيه فيحجم عن توسيطه في أمر متعلق بعمله ولو كان ذلك لاجل صديق !

شعاره في حياته

ومن عرفنا أن دولة نسيم باشا ارتقى سلم المجد درجة درجة، وانه بدأ حياته العملية كموظف صغير

في السياسة العمومية ثم ظل يتقلب في المناصب العالية الى أن صار رئيساً لوزارة ورئيساً لمجلس الشيوخ ورئيساً للديوان الملكي — حتى عرفنا ذلك كله أدركنا ما كان للاخلاق المشار اليها آنفاً من الفضل الجزيل في بناء صرح نجاحه وتفوقه ، وقد كنا جالسين مرة مع نسيم باشا فدار الحديث على أسرار النجاح بين الشان فنوه دولته بحكمة القول الفرنسي المأثور الذي يقول « اعمل ما عليك ولا تكترث بكلام الناس » فرأينا الفرصة سانحة لأن نسأله عن الشعار الذي وضعه نصب عينيه في جميع مراحل حياته ، فقال دولته بلا تردد « الصدق في القول والعمل »

فقلنا : « الصدق حتى في السياسة ؟ »

فقال : « حتى في السياسة ! . . . قد يظهر بعضهم بعتقد ان الكذب من أهم مقتضيات السياسة ولكني لا أرى رأيهم في هذا الصدد . . . نعم ان السياسة تقضي على السياسي بألا يبوح بخططه وأسراره ، ولكن هذا لا يسمى كذباً بل تكتماً والفرق واضح بين الاثنين »

ثم أردف دولته ما تقدم قوله : « وقد يضطر الكذب مرة أو مرتين أو ثلاثاً وربما نجح أكثر من ذلك في عدد المرات ولكن مصير الكاذب ان يعثر يوماً ما لا محالة فينفضح عندئذ أمره وتنتفي الثقة فيه ، واذا انتفت ثقة الرأي العام في سياسي عد في حالة لا تحمد سياسته نتيجة فيها كثيراً »

التضحية في سبيل المصلحة العامة

وليس بين الذين تشعر بحرى سياسته للمصريين بين سنة ١٩٢١ وسنة ١٩٢٤ من يجهل الظروف الدقيقة التي استقال فيها دولته نسيم باشا من رئاسة الوزارة مرتين ، وكيف تم عليه التمم في المرتين لاشاعات حاكها خصومه حوله ولم يستطع دفعها يومئذ لاسباب كثيرة ، ولكن لما هدأت العاصفة وأتيح للمغفور له سعد زغلول باشا ان يقف على حقيقة بواعث الامور ظاهر رحمه الله على رءوس الاشهاد بأن نسيم باشا « استحق تقدير الوطن » وانقلب سخط الجماهير على دولته الى اعجاب مقرون باحترام إذ أدرك الجميع ان الرجل كان بريئاً مما نسب اليه ، وانه تو حى في كل مسلك سلكه مصلحة بلاده . واذا كان الناس لا يزالون يجهلون حتى الآن تفصيل الظروف التي استقال فيها دولته في المرة الثانية بسبب الدستور ، فسوف يجيء يوم يماط فيه اللثام عن مدى الخدمة الجليلة التي أسداها دولته الى بلاده ومليكه في تلك الساعة العصيبة المحفوفة بالاخطار مضحياً باسمه كمرد وبمقامه كسياسي ولو الى حين !

وقد اسنحنا لانفسنا ان نسأل نسيم باشا عما كانت تعربه في تلك الأيام عند ما كان يسمع المئات العدائية ضده تملأ الفضاء في نهاره وليله ويرى الحجارة تنهال على نوافذ داره ويقرأ الاعمدة الطويلة التي كانت الصحف كلها تقريباً تنعاها على مناوأته والحمل عليه . . . سألناه عما كانت تعربه في تلك الايام وهل كان في شعوره أن الناس سوف يعلمون الحقيقة يوماً ما فتعتبر لحاله ، فارتسمت على ثغره ابتسامته الهادئة المعروفة وقال :

وكلا . . . وانما كانت تعزيتي في شعوري بأني شهيد ، فكان هذا الشعور يولد فيَّ لذة خاصة تفويني على احتمال المأساة العنيفة التي كنت هدفها وعشت هذه اللذة في نفسي على مر الايام حتى أصبحت أنظر الى جميع مظاهر ذلك السخط بسرور » . . .

وهنا توقف دولته عن الكلام كأنه خشي ان يكون قد استرسل فيه أكثر مما ينبغي ، ولكن كلا فان نسيم باشا ليس بالرجل الذي يخشى على نفسه من الاسترسال في الكلام فانه سيبين به حتى على نفسه ، ولكنه كان قد وصل في حديثه الى موطن شعر فيه بأنه اذا مضى في الكلام بعده ربما تبادر الى الاذهان انه خرج عن تواضعه المألوف فسكت ، وماذا كنا نريد منه ان يقول بعد ذلك ، أيقول ان الحق لم يشأ ان تحلى فاحترموه وعبدوه . . .

ولعه بالشعر والادب

ونسيم باشا مطبوع في جميع أعماله وهو يعزو هذا الطبع فيه الى ولعه بالرياضيات في حداثته فقد كان لا يمنع مسألة رياضية عويصة في مجلة من المجلات العلمية الا ويكب على حلها وله في مجلة المقتطف في أحد أعداد سنة ١٨٨٩ أو ٨٧ حلول مسائل رياضية عجز كثيرون من الذين كانوا أكبر منه سناً عن حلها

وهو الى جانب ذلك أديب عشق الشعر والادب وقد نظم في الشعر في شبابه عندما تعلم قواعده وأصوله على يد أستاذ متضلع بالعربية فان لنا دولته :

« ولكني أعترف لكم بأني لم أكن شاعراً طبيعياً من يطبع الشعر طبقاً للاصول التي لقنني إياها أستاذي »

ويحفظ دولته شعراً كثيراً عن ظهر قلب وقد قرأ معظم الدواوين الشهيرة وعنده في داره مكتبة كبيرة تحتوي على مجموعة نفيسة من الكتب الادبية العربية القديمة التي كان يطالع فيها دائماً في أوقات فراغه قبل أن يفقد مناصه العالية الاخيرة فانها لم تعد تترك له متسعاً من الوقت لهذا الضرب من التسلية

وتحتوي مكتبته أيضاً على طائفة عظيمة من الكتب العلمية والاجتماعية العربية والافرنجية وهذه علاوة على ما تحويه من الكتب القانونية الكثيرة التي اقتناها في أثناء اشتغاله بالقضاء . وهنا يجدر بنا أن نذكر ان دولته من أصحاب الرأي القائل بأن سني المدرسة وحدها لا تكفي لاعداد الرجل . قال :

« وقد كنت وأنا تلميذ لا أكتفي بالعلوم التي أحصلها على مقاعد المدرسة فلا أكاد أرجع الى بيتي حتى أكب على مطالعة الكتب التي كنت أشعر بأنها تزيد معارفي وتوسع مداركي وظلت هذه خطتي بعد معادرتي للمدرسة فكنت أقرأ دائماً كل كتاب أعتقد ان في قراءته تعزيزاً لعلمي وتعدية لمعارفي فان من لا يريد معلوماته دائماً لا يجاري العصر في تقدمه ومقتضياته فلا يتقدم ، والذي

لا يتقدم يقال واقعاً في مكانه ، وليس الوقوف في مكان واحد في مثل هذه الحالة سوى تقهقر في الواقع »

وعناسبة كلام دولة نسيم باشا عن الشعر سألناه هل يتأثر عند سماع أبيات رقيقة مؤثرة فقال : « أتأثر كثيراً . . . حتى أني أتأثر من سماع قصة عادية اذا قصها عليّ المتكلم عبارة تضرب على أوتار القلوب »

ولدولته ذوق خاص في الكتابة وهو شديد التدقيق في اختيار الفاظه وتنميق عباراته . وبما يحضرنا عنه في هذه الساعة أنه دعا اليه يوماً سكرتيره الخاص وكلفه كتابة خطاب شكر الى مؤلف اهدى اليه كتاباً من تأليفه صاد اليه السكرتير بعد قليل حاملا مسودة الكتاب الذي أعده لهذا الغرض وقد جاء في مستهله : « ويسرني ان « يتصرف » مجهود المجتهدين مشكم الى العناية بمثل هذه الموضوعات . . . » فلما قرأ دولته هذه العبارة لم يرتح اليها وقال للسكرتير « أظن ان لفظة يتصرف التي وردت في هذه العبارة لم ترد في محلها الصحيح لأنه يستفاد منها أن مجهود الكاتب كله انصرف برمته الى تأليف ذلك الكتاب مع ان الأمر ليس كذلك لأنه بمي بشئون كثيرة أخرى » فسكت السكرتير ووقف ينتظر اللفظة التي تشير بها دولته للاستعاضة بها عن لفظة « يتصرف » المتقدمة فلم يلبث أن قال : « وددت عندي أن تضع لفظة « تتجه » بدلاً من « يتصرف » فتجيء أصح منها وأوفى بالمرام » فعمل السكرتير باشارته

حبه للعمل

وقد اشتهر نسيم باشا بحبه على العمل وحقد عليه ، وأظن ان هذه هي الشكوى الوحيدة التي لم يوجه منه ، فعنّ لنا أن نسأله عن العمل الاكثر الذي يعرو اليه تعبه . فقال انه يجد في العمل لذة لا يجدها في الراحة فيبحث عن العمل دائماً . قال دولته : « وانني أعتقد ان صاحب العمل يجب أن يكون مستعداً للعمل في كل وقت يطلب منه ذلك ، وأحب الاوقات اليّ للعمل هي ساعات الصباح الاولى فاني أستيقظ مكراً ، وقد أقول مكراً جداً فأنتج اكثر جزء من العمل الملقى على عاتقي »

ويندر أن تجد شخصاً يستطيع أن يقول لك انه شاهد نسيم باشا في يوم ما في احدى دور التمثيل أو السينما أو في أي ملهى من ملاهي المدينة العامة كما انه يندر أن تراه يتنزه في احدى حدائق العاصمة المزروعة أو في احدى ضواحيها المطروقة فتتساءل كيف يمضي دولته ساعة رياضته وأين يمضيها؟ وهو عين السؤال الذي خطر لي وحرت فيه جواباً فلم أر مندوحة عن سؤاله عنه فأجابني باسماً :

« رياضتي هي المشي في بقعة محرمة . . . لا يصل اليّ فيها الصحافيون ! »

كريم ثابت

النقائض

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

كثير من نقائض الأخلاق ليس بنقائض ، ولا سيما في أخلاق العظماء . وانما يبدو لنا كذلك لاننا نخلط بين الباعث والأثر أو ننظر اليه من وجهة غير وجهته فنفهمه على معنى غير معناه ، فلا نرى فرقا بين باعث الخلق وأثره أو نظرنا اليه من وجهته المستقيمة بدا لنا في بساطة لا تعقيد فيها ولا التواء ، وعلمنا ان كثيراً من العظماء الذين خلدهم التاريخ مبهمة وعمداً معضلة هم غير ذلك في حقيقة أمرهم بل هم أحق ان يعدوا من حقاير الناس لانهم يحسبونهم ألغازاً وما هم بالغاز ويرونهم عقداً وما هم بعقد

والبساطة هي الصفة الغالبة على نفوس العظماء حتى ليتقارب الشبه بينهم وبين الاطفال ويحيل الى من يتقدم بهم أعمار جاهلون قيداً التحف عنهم من جديد : تحب الانسان من هؤلاء الافراد الخارقين للمألوف الذين يفوقون كل الناس في ناحية وقد يفوقهم كل الناس في ناحية أخرى ، وانهم في الحقيقة لفي مستوى واحد وانما الناس هم الذين يرتفعون حولهم وينهبطون فيبطرون اليهم كأنهم في مستويين

الأحظ ذلك كلما قرأت سيرة عظيم من عظماء العلم والأدب أو الاعمال ، والأحظ معه ان عجب الناس من تناقض أوشك العظماء هو الأحق بالنقص في أكثر الاحوال ، فالجمل الذي يبدو أحقر من ناحية وأحرد من ناحية أخرى ومتلوحاً في أعلاه ومتسماً في سموحه لا يتناقض مع نفسه ولا مع قوانين الطبيعة ، وانما التناقض ان يكون في عين ماء صغيرة يرد من الجمل السامق أن يكون كالقصعة الصغيرة حمراء واسعة واحدة أو سوداء ضيقة واحدة ، ومتلوحة كلها أو متقدة كلها ، والا كانت من التمرد الذي لا يطاق على قياس

* * *

في ترجمة « لنكولن » التي كتبها أميل لدفج ونشرت بالانجليزية حديثاً عالج شتى من هذه الاخلاق التي تبدو للناس كالنقائض وما هي من النقائض في شيء

كان لنكولن بعيد عن طريقه ليعد حزيراً مورط في الوحل ، ولكنه كان لا يعد يده الى امرأته ليأخذ يدها في النزول أو الارتفاع كما يصنع السادة الظرفاء

أفهذا تناقض في الاخلاق ؟

نعم ، كما يقول السواد الأعظم

ولا ، كما تقول الحقيقة البينة

وانما يخطيء السواد الأعظم فيحيل خطأه على طبيعة الرجل المظلومة ، بل يظن السواد الاعظم انه معصوم من الخطأ فكل ما يستعيره فلا بد أن يكون عربياً وكل ما يستنكره فلا بد أن تكون النبعة فيه على سواه

وحسبك السواد الأعظم هنا أنه يخلط بين الرحمة في عرف المجتمع والرحمة في طبيعة النفس الانسانية فالرجل « الشريف » الذي يمد يده الى امرأته ليساعدها على النزول أو على الارتقاء لا يفعل ذلك لانه يرحمها أو لانها عاجزة عن الحركة ، كلا ! بل يفعله لانه مضطر الى فعله بحكم العرف الذي لا يفقه معناه ، بل بحكم العرف الذي يناقض نفسه بنفسه لانه يمرض في المرأة عجزاً عن الحركة ويمرض فيها رشاقة بطرية ينعي أن تفوق رشاقة الرجال : ولا رحمة هناك ولا مساعدة ولا لذة لان المرأة التي تعان على النزول أو الارتقاء قد تكون أقدر من روحها وأسرع في مشيتها وأصبر على السير والوقوف ، فهو اذا مدّ اليها يده لا يصدر إلا عن أوضاع آلية لا علاقة لها بالرقة والغطة بل كثيراً ما تدل على الغلظة والشاء ، وإلا فما أعمى الرجل الذي يعين امرأة على النزول من رابية قريبة وهو يردديها في ذات نفسه اذا لم تكن من رشاقة الحركة بحيث تقوى على النزول !

أما اعانة خنزير تورط في الوحل فلا تكون إلا لرحمة في طبع الانسان : رحمة مطبوعة نفلت على العرف الشائع الذي ينظر الى الخنزير نظرة السخرية أو نظرة الاشمئزاز

فهذه الغصة المسخرية أحجى أن تسمى دليلاً على استقامة في طبع « لكولن » لا على النواء أو عراية فيه ، فهو اذا رحم استقامت رحمته الى وجهتها غير آبهة لعرف يعترضها أو عادات تحيد بها ، واذا لم يكن ثمة داع الى الرحمة فهو مأمون سكونها و[illegible] الذي لا تستفزه الطبائع الموجاء

***

وصورة نيتشه معروفة

وآراؤه في معاملة الضعفاء معروفة

فمن نظر الى تلك الصورة أو اطلع على تلك الآراء علم أن نيتشه في هيئة صارية وفكره من وحوش الآدمية التي تعد الضعف عيباً وتجعل لذتها الكبرى في العبث والعسف والايذاء

ولكنك تطلع على رسائل نيتشه الى أصحابه ومراسليه فلا تجد إلا وداعة ولطفاً واخلاصاً في القول وصفاء في الطوية ، فتعجب لهذا التباين بين الرجل والفيلسوف ، وتسأل : أفيهما تناقض ؟ والجواب نعم ، ولا

« نعم » على حسب الظاهر ، و« لا » على حسب الحقيقة . فالذين يقسو عليهم نيتشه غير الذين يجرفهم بالمقابلة أو بالمراسلة ، والذين يقسو عليهم هم الناس في « الفكرة » أو الناس في التصور ، أما الذين يلقاهم أو يراسلهم فهم الناس في اللحم والدم أو الناس ذوو الوجوه والعواطف والنفوس والعلاقات التي يتصل بها الحب والولاء . وأنت قد تسمع عن قتل مليون انسان في حوادث التاريخ فلا تجيش لك نفس ولا تدمع لك عين ، ثم تقرأ قصة موضوعة عن انسان واحد فتبكي لمصاب حل به دون القتل ودون الهلاك ، لان هذا الانسان الواحد انسان في اللحم والدم قد اتصلت بينك وبينه العواطف وعرفته على نوع من الحياة المنظورة وان لم يكن له وجود ، أما المليون الذين قتلوا في حوادث التاريخ فهم رقم أو كلمة أو فكرة لا تمس قلبك ولا تمت اليك بقرابة ، وان كانوا رمماً من الأرمان أحياء ولم يكونوا أشباحاً من أبطال الروايات

وكثيراً ما تكون الوداعة سبباً من أسباب القسوة والضراوة كما نشاهد من أخلاق بعض الودعاء

أو لا تذكر قصة الرجل الذي ضرب الطفل لانه لوح للكلب بالطعام فلما دنا منه قذفه بحجر ؟ هذه قصة نرى فيها القسوة التي تصدر عن الوداعة وفرط الرحمة . فان الرجل قد غضب لكلب يؤذى فاستدعى الطفل الذي آذاه ولوح له بالحلوى وضربه حين دنا منه كما ضرب هو الكلب المخدوع، فلو اننا أخذنا صورة الكلب والطفل وصورة الطفل والرجل كلا منهما على حدة لظهر لنا ان الرجل قاس كالطفل أو أشد منه قسوة وأكثر منه ورراً ، ولكننا نضم الصورتين معاً فنعلم حينئذ ان ضرب الكلب قسوة ولكن ضرب الطفل فرط وداعة ، وان الضربين لهما مظهر واحد ولكنهما في البواعث حد مختلفين

وربما اتفق لنا كثيراً أن نرى صديقاً وديعاً دمثاً يغضب ويحتدم فاذا هو مارد لا يطاق ، فلو انه كان قاسياً خشناً لما غضب ذلك الغضب ولا احتدم ذلك الاحتدام ، لانه ينال من الناس فوق ما ينالون منه ويظلمهم قبل أن يظلموه ، ولكنه على وداعته ودماثته يجاوز الحد في الغضب لانه يعلم في سريرته مقدار ما صنعه وصبر عليه ليتقي الناس ويعيش معهم بالحسنى فما أعنى عنه ما صنع ، فيحن جونه ويطيش حلمه ويبالغ في القسوة لانه يبالغ في انكارها من القساة

وب هيجة نفس كانت تأبى على الرحمة من صغير الكلب والناس

* * *

ويتفق كذلك كثيراً ان نرى أناساً من كامل الطبقة وذوي العزائم القوية يعترون من مناقشة الحجة بالحجة ويجنحون الى الامر والاستبداد ، فهل معنى ذلك ان الحجة والاستدلال تضيان ؟

لا نظن ذلك ، وانما يستعمل هذه الطبقة أحياناً لانهم يفكرون في القوة المطلقة امتيازاً لا مثيل له بين جمهرة الناس ، فهم لهذا يعجزون عن فهم الناس الذين يخرج لهم في حكم البديهيات ، ويجربون المنطق والحجة فيعجزون لان الحقائق الظاهرة تخفى عمن يحاطونهم كل ذلك الخفاء وتفتقر في الابانة عنها الى كل ذلك العناء ، فيطرحون الحجة لانها لا تجدي ويعمدون الى الامر لانه أوجز طريق ، ومثلهم في ذلك مثل رجل يرى على مسافة مائة ميل يمشي مع جماعة لا يرون إلا على مسافة أميال ، فماذا يصنع اذا هو رأى الخطر من بعيد ولم يروه ولم يصدقوه ؟ ان استطاع أن يأمرهم ويعدل بهم عن وجهتهم فلم يعمل فذلك هو الصحيح

* * *

كل ما في نفوس العظماء بسيط غاية في البساطة ، ولكنه مع هذه البساطة كبير جليل لا يحده النظر القصير ، ومن هنا تختلف النظرات وتلتبس الصفات على الناقدين فيحسبونها ألغازاً وما هي بألغاز ، ولعل العظماء يحجبون من نظرة الناس اليهم أشد من تعجب الناس حين ينظرون الى العظماء

عباس محمود العقاد

في طريق الحياة

بقلم الاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

كانت عادتي – الى بضع سنوات – ألا أبرح بيتي إلا وفي يدي كتاب ، وكنت لا أكاد أستقر في « الترام » حتى أفتح الكتاب وأقبل عليه وانصرف عن الدنيا التي حولي . حتى حين أخرج للرياضة . كنت أتخير الطرق المهجورة مأمن البها لينسى لي أن أقرأ في كتابي وأنا أتمشى ، وقلما كنت أقرأ مؤلفاً حديثاً ، أو كتاباً أو ديواناً لست على يقين جازم من جودته ، فكان علمي بالدنيا ومعرفتي بالحياة قاصرين على ما يفيده المرء من الكتب ، وكنت أشعر – من أجل ذلك – كأني معزب عن الناس وأن الذي بيني وبينهم حجاب لا عهد به ، وكنت أتصور الحياة معنى لا ألمس له حقيقة ولا أضع يدي على صور لها محسوسة ، وكان نهمي للحياة واحساسي بوقعها عن طريق النظر في جوانب نفسي ، وذلك لأني اعتدت أن أرد عيني عن النظر الى ما هو أمامي وان أديرها في سريرتي ، وكانت تجاربي هي مشاغلي للكتب لاحساسي بحضوره ذهني وكشف لي عنه من وجوه الاثم والخير والخطأ والاثم ، وعشت خير عمري لا أعرف حقيقة الفرح والهول ولا السرور والحزن وما أعرف ما يوصف لي من وقعها ، فكان قلبي أبداً يخفق بالوهم على حاشية الخيال ولا يراه سحر العواطف والخواطر المدونة ، وكنت أرهن ذلك وأضرع نفسي فيه وأقول : وما حاجتي الى التجريب لشخصي لتتحرك في هذه العواطف ؟ وهي حركت وحركت فيّ أطمع أن أجرب كل شيء ؟ وما دام أن بي حاجة الى الكتب لتسد لي النقص في تجاربي فالي لا أجعل هذه الكتب معولي كله ومعتمدي في التجريب ؟ ان الغرض من التجريب العاطفة والمعرفة ، وليس أقدر من الكتب على اثارة تلك العواطف التي تجعل حوادث الحياة أشد تحريكا للنفس وتعطيلها – أي النفس – أتم استعداداً لقبول المؤثرات على اختلاف انواعها ودرجاتها ، فحسبي « ظاهر » التجريب الذي تهيئه لي القراءة ، وسواء علي على كل حال أن تؤثر في المرء الحقيقة الواضحة بالذات ، أو يأتي التأثير من طريق آخر كالرموز المغطية التي تمثل صفات هذه الحقيقة وتصور وقعها

كذلك كنت ، فما أغرب ما حدث ! لست أحمل الآن الكتب معي حيث ما أكون ولا أنا أعالي بقيمتها أو استغني بها عن حقيقة التجريب الشخصي ، فقد طلعت الحياة تصدمني وترجني وتدفع في وجهي وصدري حتى ردتني اليها وفتحت عيني على مظاهرها ، ثم أفقت من

دهشتي وأجلت بصري في نفسي وفي الدنيا ثم دهمت أتساءل : كيف حدث هذا ؟ لقد كانت قدمي ثابتة وأنا أقطع طريقي في الحياة ، ولم يكن يخالجني شك في دقة علمي بالطريق وكفاية حاطتي بطبيعته فمن أين جاءت هذه الزحاليق ؟ ماذا جرى حتى زحت أندحرج وتتلقفني الصخور ؟ ؟ وأردت أن أعرض على ذهني ما أمدتني به الكتب من اهداية وان ابسط تحت عيني المصور الذي رسمته نفسي بعونها ، فاذا الذي في رأسي من الكتب سراب ، واذا المصور متداخل دروبه ومسالكه ومختلط حتى لا سبيل الى التمييز بينها واذا « ظاهر » التجريب لا يغني عن التجريب ، وتوهم الفهم ليس سماه الفهم الصحيح ، واذا بي قد شارفت الاربعين وما زلت في مبادئ علمي بالدنيا وبغيي للحياة وادراكي لحقائقها ، طفلا يمد أصابعه الى الجمرات يحسبها لعبة أو طعاماً

وأنا الآن أعلم نفسي من جديد ، وأعالج تعثثة ابني معي . كلانا طفل يتخبط ويجرب ، وكل ما بيني وبينه من الفرق أن ورائي تجربة مرة لا تفتأ تزجرني عن الكرة الى مثل ما أوقع فيها ، وان ذهنه جديد لم ترجمه شيء ، وان نفسه صافية لا شوبها رنق ولا كدر ؟ ووالله ما أدري وأنا أسير معه في حياة . وبيده في يدي — أنا الذي يسير بصاحبه أو أبا الذي يأخذ بيد رفيقه

وكثيراً ما يخيل لي اذ أراه سبلا هو في الدرس وفي بعراء حديقة التي يحمل فيها كتبه وكراساته ، كأنه يعالج في محل مسألة حسابية أو يتذكر حقيقة جغرافية ، فأصاحبه وأقول له : « فيم كنت تفكر ؟ »

فيقول : « لا شيء » فأقول له : « ليت هذا يكون صحيحاً . وماذا أبصرت في الطريق ؟ »

فيكرر كلمة : « لا شيء » فأدعوه أن يرجع معي ويراقبني مسافة ، وأحل عنه الحقيقة تخفيفاً عنه وانصافاً له ، وأروح أنعته الى أن الناس لا يحسنون السير في الطريق ، وأبين له بعبارة يسهل عليه فهمها أن أكثر من ترى في الطريق من عابريه تبدو عليهم مظاهر القلق والعجلة ، حتى الذين لا يدعوهم شيء الى العجلة ولا موجب لاضطرابهم أو قلقهم ، كأنما يعديهم سواهم بذلك ، وهناك آخرون يحتلي الذعر في وجوههم ضرباً من الكسل المرذول والفتور الثقيل لا يدلان على سكون النفس ولا يبان عن استقرار واطمئنان . فهذان طرفان متناقضان تؤدي اليهما حالة نفسية واحدة . كلا الفريقين مضطرب ، ولكل واحداً يجعله اضطرابه كالذي يساق في حياته بالسياط ، والآخر يعتريه الاضطراب ويرخي أعصابه

وهذا الرجل الذي يتهادى ويختال في مشيته ويدق الارض بعصاه ولا يعنّ برفع بصره الى ربطة رقبته ليثبت « الدبوس » في الظاهر وليلفتنا الى ربق الزجاج الذي يريد أن يوهمنا أنه ماسة كريمة ، والذي يتظاهر بعدم الاكتراث لأحد ، لا يزال مع ذلك يمط الى الناس

خاصة ـ تأمله . ألست تحس أن تحت قناع السكون وقلة المبالاة حمى قلق تنتي بها اختلاجات حفوه وشفتيه وجاني منخريه ؟ أتعلم ما ذا هو ؟ إنه تسمار . وهو لا يتمنى وانما هو يتحز ! يتحز لثوب على فريسة . ولست أعرف ظاهرة المدنية الحاضرة أبرز من هذا القلق أو اذا شئت فقل من إفتقار عناصرها المكونة لها ، الى السكون . فالناس يذهبون الى المسارح ويخرجون منها ، ويدخلون المدارس وينصرفون عنها ، ويزاولون أعمالهم ثم يكفون ـ وكأنهم جميعاً معجلون ، وتراهم يؤثرون الركوب ويفضلون أن يحتفظوا بسياراتهم ، لأن الركوب أسرع من المشي ، ولأن الوقت ضيق . فلماذا هو ضيق ؟ يجب ان نعده واسعاً غير ضيق . وأن نشعر أنفسنا هذه السعة وأن نقنع عقولنا بانتفاء الضيق لتستقر أعصابنا ونهدأ وليتيسر لنا بعد ذلك أن نجود عملنا وان نخرجه ناصعاً . ان فكرة ضيق الوقت وهم ليس إلا ، وهي تؤثر في أعصابنا وتفسدها ، وما على الانسان إلا أن ينحي عن نفسه خاطر الزمن والا أن ينسى هذا الوقت وثق أن عمله حينئذ يكون أسرع وأجود ، لأن رأسه في هذه الحالة يكون خالياً من التفكير في وجوب العجلة فلا يعود يزعجه شيء ، فيطرد الفكر ويستقيم وتتسق الخواطر

ويتفق أحياناً أن ترى في الطريق رجلا يسوقه حمار لا لأنه يريد أن يقضي اليه شيء ولا لأنه أوحشه ـ فقد كان معه أمس أو في ساعات ـ على غير سفر طاهر ، ويقول أحدهما وهو يهز يد صاحبه : « كيف الحال ؟ » وكأنه يرجو أن يكون قد حدث شيء . فيقول الآخر : « الحمد لله » أو « لا بأس » أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى ، وهو يشعر بأن الذراع الذي في رأسه شبيها في رأس صاحبه . وهذا ذلك فوه صمت وحيرة تتلاقى في خلالها العيون متكلفة الابتسام وتصاعد في الفم الكلمات اذا كانت لم تغرق ، ثم يرسل أحدهما نفساً طويلا وينظر الى يمينه ، ويذهب صاحبه ينظر الى الناحية الاخرى وتكون الكفان قد ارتدتا الى الجانبين ، وانرأسان مشغولين بالبحث عن كلام يصلح أن يقال واذا بأحدهما يقول فجأة ، وكأنه ذكر شيئاً : « أستأذن » فيقول الآخر : « تفضل » ويفترقان ليكررا هذه السخافة كلما التقيا . وقد اتفق لي أنا مثل ذلك ، ولكن سوء حظي كان يطيل الوقفة حتى كان يخيل لي ان الأمر قد صار يتطلب أن يدعى « الوليس » ليفصلنا . وقد علمتني التجربة أن خير وسيلة للفكاك من هذا الاسر في وسط الطريق العام ان تلقي الى آسرك بنكتة ، ولا تجعل بالك الى قيمة النكتة ولا تعن نفسك ببراعتها أو موافقتها فانه يكفي ان تقول شيئاً وان تضحك ليضحك صاحبك فتخلص يدك وتستطيع بعد ذلك أن تفر

على أن هذه العادة مغتفرة اذا لم تكن متخذة سلماً الى غرض خفي ، فقد وجدت البعض يستوقفني ويعترضني وابلا من الأسئلة يشغلني بالاجابة عنها ، ولاحظت في كل مرة انه كان في اثناء تجشمي تعب الاجابة ، يلقي بالنظرة تلو النظرة الى نافذة أمامه ويحني رأسه ويستر هذا

استفتاء الهلال

أهم حادث أثر في مجرى حياتي

حمد باشا الباسل . داود بك بركات . احمد بك فهمي المعروسي

وكيل الوفد ، وشيخ الصحافة ، وناظر مدرسة المعلمين العليا . هؤلاء هم الثلاثة المشهورون الذين نقرأ اليوم أحاديثهم عن استفتاء الهلال ، نرى فيها ثلاث صور من الحياة تختلف تلك عن البداوة والسياسة ، الى الجهاد في الصحافة . الى التربية والتعليم ، فتقف منها على تعدد الحوادث ، وكيف تؤثر في مجرى حياة الرجال [المحرر]

سعادة محمد باشا الباسل

« ابتدأت حياتي بدوية لما من صفات البداوة وسهولتها الطبيعية ما امتاز به البدويون في اخلاقهم وعاداتهم ونظرهم الى الحياة نظرة بسيطة لا كلفة فيها ولا تعقيد . وتلقيت القراءة والكتابة في بحبوحة هذه الايام الصافية التي تمضي في الغنى لا تلتفت الى الحياة وتعلم ما تفكر في كنهها الخطير . وما كان لي من غرض أرمي اليه وهدف اعمد إلا ما يرمي اليه كل بدوي جبهته سمة إلى علو الهمة والشجاعة والمروءة وسائر ما يلازم البدوي في حياته ، وما يعتبر فيه ناقصاً أسمى ما يرمي اليه إنسان

« ولعل هذه الصفات وما يضاف اليها من مآكل ومشارب هي ما تألف منها الحياة في نظر البدوي ، فاذا سألته يوماً عن معنى حياته ، أجابك بأنها هي الشجاعة والمروءة والضرب في البيداء والقفار للحصول على العيش من الوبر ، وما الارعاء واللبن ، فانه لا يعرف منها إلا نور الشمس والقمر ، وكرم المجتدي وشرف الانساب

« وربما كان في هذه النظرة البسيطة ما يسهل الحياة على صاحبها ، ولا سيما الفائل للتبديه التي تقتصر على الضروري في عيشها ولا تعنى بوسائل الترف والكمال . ولذلك ترى الحياة عندها على وتيرة واحدة ليس فيها من التغيير والتحويل ما يؤدي إلى الانتاج والتطور كما هي الحال في حياة أهل الحضارة

« وكذلك كانت حياتي في مبدأ أمرها ناسجة على هذا المنوال البدوي إلى أن أتيحت لي فرصة الاسفار إلى بلاد أوربا وآسيا وافريقية ، واحتفظت بشعوبها اختلفه ، وقرأت المجلات الراقية ، فأثر ذلك في حياتي أعظم التأثير

« ففي هذه الاسفار اكتسبت خبرة كبيرة في شئون الحياة ، واطلعت على مختلف العادات والتقاليد وشاهدت بها ما أضاء الحياة أمامي ، فاتسعت دائرتها في نظري بعد أن كانت ضيقة الجوانب لا تتجاوز ما كنت أراه في البادية — وفي المجلات الراقية قرأت ما حمل لي كثيراً من اسرار الحياة ، وفتح لي باباً من

الثقافة والمرفق لا زلت أعتد به وأعزو اليه حاماً كبيراً من التأثير في مجرى حياتي

« وكان من نتيجة ذلك أن تغيرت عندي صورة الحياة ، وانتقلت من الدعوة إلى الحضارة ، فاكتسبت من الصفات المدنية ما جعل الرابطة بيني وبين المجموع رابطة قوية تشترك فيها عشيرتي وسائر أبناء وطني ، حتى اني كنت أشعر وأنا في أثناء الثورة الوطنية ان كل ما تلاقيه من آلام واضطهاد ليس من شأنه ان يزعزع عقيدتي أو يحل تلك الرابطة القوية . ولا أحي عليك اني ما أحسست يوماً بأي أثر مزعج أثناء اعتقالاتي ، والحكم عليّ بالاعدام ، بل بالعكس كنت كالجندي الذي يخرج إلى ميدان القتال وهو موطد النفس على التضحية بالروح ، فاذا قطعت رجله أو يده فلا يثنيه ذلك عن مواصلة الجهاد

« وبعد ، فهل تريد أن تسألني عن مطمحي في الحياة ، فأجيبك بي كوطني ووكيل الوفد « ليس لي مطمع في الحياة غير استقلال مصر التام » فاذا حصلت على هذا المطمع ، فاني أقول معه كما قال القائل:

« لأن أمسي الحيا يوماً فانها تجدني وقد قضيت مهامآربي »

الاستاذ داود بك برقلس

« ما أعدت نفسي للصحافة وما وجهت فكري إلى الاشتغال بها في مقتبل حياتي ، لأني نشأت شغوفاً بالعلوم الرياضية آثر على دراستها والعمل بها بعد أن تخرجت من المدرسة فعينت مهندساً في « مصلحة التنزيل » التي تدعى الآن « مصلحة مساحة » ، ولكني كنت ككل شاب متعلم يميل الى الاطلاع على العلوم والآداب ، فأخذت أقرأ الشعر والنثر ، وأنظم بعض القصائد وأكتب الفصول النثرية في موضوعات عامة كانت تصادف مني شيئاً من الاستحسان . لا أدري أكان ذلك رياء ومجاملة من الناس ، أم ان ملكتي قد راقت حقاً

« ومن هنا نشأ شعوري عن الرياضة لأنها تحمل صاحب وقف نفس الناس بها أو يعرفون قيمة الرياضي . وانحرفت نحو الآداب شعراً ونثراً إلى ان تملكني كراهة الشعر ، فحرفت كل ما نظمته من الحوادث التاريخية والقصصية . ثم تولى التدريس مدة قصيرة الى أن وقعت تلك الحادثة المشئومة التي ذهبت بصديق عزيز عليّ في حريق نشب في مدة وفي حيث حاصره اللهب في مكان حرج جعل يروح فيه ويجيء مستغيثاً من هذه النيران الثائرة التي كادت تمد ألسنتها اليه من كل جانب ، والناس حوله يسمعون صراخه وصياحه ولا يستطيعون اغاثته حتى أحاطت به النار والتهمته التهاماً

فكان لهذا الحادث أعظم التأثير في نفسي ، وحررت لمصاب صديقي حزناً أليماً ، وكنت في رثائه ووصف هذا الحريق فصلاً نشرته جريدة المحروسة . ويظهر أنه حز قبولاً عند صاحب هذه الجريدة ، فأرسل إليّ على إثر نشره يطلب مني ان أتولى رئاسة التحرير ، فأجبته الى رغبته ، وكان ذلك حتماً لمهدي العمل الأول ، وفاتحة الاشتغال بالصحافة

« وكانت جريدة المحروسة اذ ذاك أسبوعية ، فتولیت رئاسة تحريرها وجعلت أحرر أيضاً في جريدة (النيل) لصاحبها المرحوم حسن حسني الطوراني ، وحررت في جريدة (القاهرة) التي كان

يحررها الشيخ جمال الدين أحد أتباع الشيخ أبي الهدى الصيادي للمشورة. ثم اتفقت مع الاستاذ الشيخ يوسف الخازن على اصدار جريدة (الاخبار) اليومية ، ومكثت ثلاث سنين في رئاسة تحريرها . ثم تركتها للاشتغال بالتجارة ، ولكن ابى القدر إلا أن أعود الى الصحافة بعد أن اتخذت العدة لهذا السبيل

« وذلك ان صديقي خليل بك مطران الذي كان يراسل الاهرام من القاهرة أيام كانت ادارتها بالاسكندرية أخذ أجرة من صاحب الاهرام يقضيها في سورية ، فطلب مني أن أقوم بمراسلتها الى أن يعود من اجازته ، ولما كانت عزمتي معقودة على ترك الصحافة قلت من صديقي أن أقوم مقامه ليتمكن من التمتع بالراحة على شرط ألا تكون لي صلة بادارة الاهرام من أي وجه غير المراسلة ، وان تكون لصاحب الاهرام الحرية في نشر رسائلي أو اهمالها . وعلى هذه الصورة سارت الامور أيامًا ، الى ان عزم المرحوم بشارة باشا تقلا على السفر الى اوربا فكتب الي يطلب مني أن أزيد على الرسائل بعض مقالات افتتاحية ، فأجبته حتى عاد هو من أوربا والاستاذ خليل بك من سورية

« ولما اهتم صاحب الاهرام بنقل جريدته الى القاهرة ، وأعد العدة لذلك طلب مني أن أتولى رئاسة التحرير فترددت في أول الأمر ، ولكنه ألحّ عليّ كثيراً ، فلم أر بدًّا من الانقياد الى رغبته على أن يكون ذلك مساعدة للجريدة مدة بعد نقلها الى القاهرة ، ولكن هذه المساعدة تحولت الى العمل الدائم الذي أمارسه الى الآن »

الاستاذ احمد فريد الصروسي

لما كنت بباريس أصيف العام ١٨٩٧ عنَّ لي أن أذهب الى « سان كلو » وهي ضاحية جميلة من ضواحي باريس يؤمها الناس للاستجمام ، فاشتريت كتابًا صغيراً من تلك الكتب المكدسة على نهر السين بسعر عشرين ليكون سلوتي في تلك الرحلة وحدتي ، لأني عدت انهم قالوا : « وخير أنيس في الزمان كتاب »

« أما الكتاب فعنوانه « الكهرباء » ، وفي فاتحته يقول مؤلفه : « قبل أن أعرف لك علم الكهرباء أقص عليك ان المسيو جوريف برتران كبير علماء الرياضيات في العالم تقدمت اليه ذات يوم سيدة وهو في مجلس حافل بكبار الرجال والسيدات بباريس ، وسألته : هل القمر معمور ؟ فقال لها : لا أدري ، فقالت : أصحيح ما تتحدث به الجرائد والمجلات العلمية من ان في الامكان صنع مجهر عظيم يرى القمر على بعد متر واحد ؟ ، فأجابها هوله . لا أدري ، فقالت له : اذن ما فائدة كونك من كبار العلماء في هذه العلوم ؟ ، فقال لها : الفائدة يا سيدتي أن أقول لا أدري حين لا أدري »

ثم أخذ المؤلف يعقب على ذلك القصص بأن كنه الكهرباء ما يزال مجهولا كجميع القوى الطبيعية الاخرى من المغناطيس والصوء وسواها ، وانما المعروف آثارها . ثم قال : « لذلك لا أتعرض لطبيعة الكهرباء ، ولا لتعريفها كما يفعل بعض المؤلفين ، ولكني أذكر لك في هذه الاوراق القليلة العدد أشهر تطبيقاتها التي نستخدمها في شئون حياتنا »

« قرأت تلك المقدمة فأثرت في نفسي أعظم تأثير ، وملكت عليّ مشاعري ، فخصصت لها وما أزال خاضعاً الى اليوم ، وأرجو أن أبقى كذلك ما دمت حياً . ذلك لأنها علمتني أن أكون أميناً على العلم ، وصادقاً في صناعة التدريس ولتعليم التي أعددت نفسي لها ، ولا أزال مقتطاً بها معضلاً لها على ما عداها . فقد أتيحت لي فرص كثيرة للعمل في الفضاء الاهلي ، وفي الادارات لكني لم أسع لها سعياً وان كثر فيها المال واتسع الرزق ، لأني وجدت نفسي قنعت بالتدريس والتعليم ، ووجدته أشرف وأسمى عمل يقوم به الانسان لنفع نفسه ونفع أمته . ولعل من الاشياء التي حببت التدريس اليّ علمي بأنه قد جاء في الأثر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوماً لبعض أصحابه : « لأن يهدي الله على يديك رجلاً ، خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت »

« ان حب الحق وتحري الامانة والصدق يجعل العالم وأستاذ التدريس متواضعاً ساكناً كما كان أمبروز يقول ، لأن ذلك يدعوه الى البحث والتقصي بلا انقطاع ، والى عدم الرضا بالقليل من العلم وحينئذ يصدق ان العلم أعظم من أن يحاط به وانه بحر لا ساحل له ، ويؤمن بقول القرآن الكريم « وفوق كل ذي علم عليم »

« قال الفيلسوف مونتين : « ان مثل تواضع العلماء كمثل شجرة القمح تظهر في أول حياتها شامخة برأسها الى السماء لأنها فارغة من الحب . فاذا طهرت سنابلها وامتلأت فروعها طأطأت رأسها الى الارض » . لقد تحببت بهذا المثل الى كل الاصحاب ولكني لما رجعت الى كتوزنا الشرقية رأيته مسبوقاً بمثل الحكيم ، فقد قال بأن [illegible] في الحلم والعقل ، في كتاب الامام أبي الحسن الماوردي المعروف بأدب الدنيا والدين يقول : « من حد العلم معجباً ، وما أدرك مفتخراً الا من كان جهلاً معسراً . وانما من كان به مستكثراً فانه يعم من حد غايته والقصر عن ادراك نهايته ما يصده عن التعجب به كما يمنع من البحر خضم صوبها وزاك جريها . وما سدت منه عظم الصوت واشتد الخرير » . وقال الشعبي : « العلم ثلاثة أشبار ، فمن نال منه شبراً شمخ بأنفه وعن أنه نال ، ومن نال الشبر الذي صغرت اليه نفسه ، وعلم أنه لم ينله ، وأما الشبر الثالث فهيهات أن ينله أحد أبداً »

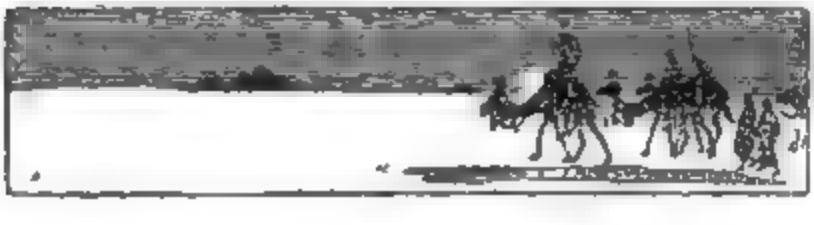

كيف يصيدون الغزال

في بادية الشام

نحن في سيارة متنة سريعة قد نزعنا عنها « كوتيها » حتى لا يعيقها عن السرعة في الجري إذ هبت الريح ، نحن على حافة بادية الشام « الدو » ، وقد تركنا مدن سوريه وقراها وراءنا ، واستقبلنا نسيم الصباح الشرقي هنيئاً عند الفجر من البادية الشامة حاملاً رائحة زكية من نبت الشيح والقيصوم

إلى يميننا سلسلة من الجبال تمتد من قلب البادية إلى غوطة دمشق — هي الحبال الشرقية التي كان يتردد اليها يزيد بن معاوية الأموي مع نفر من صحبه يقصدون الصيد ، إلى هذا الجبل عن يميننا نسمي بين الوعول كان يأتي يزيد لصيد الأبائل التي ما تزال كثيرة إلى هذا اليوم ، والتي ما يزال يقصدها أكثر المولعين بالصيد من الأمراء للصريين وغيرهم حتى وقتنا هذا . وفي جبل عطوس وكتلة من يميننا ترى خلايا سهام الصيادين القدماء الذين كانوا يقصدون اقتناص البقر البري والحمر الوحشية التي انقرضت في سورية من زمن بعيد ، وإلى يسارنا سلسلة أخرى لا نراها لبعدها تمتد من شمالي حمص حيث أول (جرح) النهر الكبير ونحن نتوغل إلى البادية ونتعرف إلى الشعاب عند أطلال تدمر القديمة ، ومن الجنوب سهل ممتد كبير لا نكاد نبت نتوغل اليه حتى يرتد البك وهو حسير ، ولو كانت الشمس طالعة وقت لعاد البرق بصره يمنة إلى عينك سوراً واشكالا لحيرات وانهار ، وقوس وشعاع يخدع ، إلى وما هي إلا سراب في سراب

نحن منفردون في أول بادية الشام ، ويكفي ذكر كلمة البادية لتحدث في نفسك روعة ورعشة عظيمتين والبدو تقول « البادو » في صدورهم . سكون وهدوء تحت بهما حلة خيالات السيارة وحركة محركها وآلتها بتخلفها في بعض الفترات صوت طائر أزعجه مرورها فانطلق من بشمه منتصباً من شرها بالسماء

نحن منفردون في تلك الأرجاء تخبط السيارة بنا في سيرها على غير هدى ، ولولا ثقة لنا بسائقها ونصري قروي خبير برشده إلى أين يسير ، لزادت رعشتنا كلما زادت سرعتها واحدث بنا عن المحور

ها هي العرانة قد ذرّ قرنها ، وهاهو ذا السهل ينكشف أمامنا تماماً ، هو ذا نظن قد اقتفته حلبة السيارة فنر من مصحه امامها مسرعاً — وراءه يا شوفير ، — ٦٠ — ٧٠ — ٨٠ كيلو متر بلغت سرعة السيارة وإذ بالمسكين قيد ٢٠ متراً عنا . . أربع طلقات وإذ به يتخبط بدمه : هو ذا أشد الحيوانات حيلة بين أيدينا

والتفت إلى دليلنا العربي سائلا : « ولكن أين الغزال يا أخا العرب ؟ » أجاب . « اصبر يا صاح فنحن ما زال في أول السهل » وما أن قطعنا بضعة كيلو مترات حتى رأينا غزالين — أنثى وخشفها — فقد ما اجتن تلك الوثبة التي يثبها الغزال لأول وهلة . . هما هما ذان يعدوان مطاقين كالسهم أمامنا . « اسرع يا شويعر » هو ذا واد صغير أمامهما تقطعه الأم فتعبر وإن سرنا وراءها لأهلكت فيه وبقي الخشف (الجدي) مواريا الوادي في عدوه . « وراء الجدي ! » ست طلقات فتكته أمه

كنا أربعة في السيارة خلسنا الشوفر . . . الدليل العربي بقربه ونحن الثلاثة في المؤخرة . كلما سنح عدد السائق وقديصعب عليك أن تعرف من يد أيا يسقط الطريد . هوذا الدليل يشق بطن الجدي ويري امعاءه تكيلا بعبد الفحم ويلقيه باطرافه الى جانب السيارة ، ويسير السائق على مهل شوقاً بارشاد الدليل فتصادف غزالين آخرين وتقتل واحداً منهما برمية واحدة من أحدنا وينفلت الثاني معتصما بثلة وعرة عن يميننا ، ثم تتابع سيرنا شوقاً أيضاً فلاقي ثعلباً آخر وتقتله بعد أن سرنا وراءه نحو ١٠ كيلو مترات وهو يروغ ويلتوي في عدوه ذات اليمين وذات الشمال ولم يسقط بل الاخرى لم نصبه إلا في الطلقة الرابعة عشرة ، وتلاقي غزالا منفرداً إلى يسارنا فيحاول السكين أن يعبر امام السيارة لنصطاد نحن الذي عن يمينه فتدركه منه . .

ها نحن نستريح الآن بعد أن جبنا الجانب من السهل وتناولنا قليلا من الزاد — والشمس في الضحى — إذ نقطيع صغير من الغزلان يجملا على مسيرة في عدوه وكمنا في ذلك السهل الفسيح. وأي صياد بأكل زاداً أو يستريح طمعاً بالرأي الصيد أملك . .

ها قد تحركت السيارة ما وبيننا وبين القطيع نحو اربعة كيلو مترات . هو ذا راقبه يسجل الـ ٩٠ كيلو متراً ثم إلى ١٠٠ في الساعة ! — وحماك الله ! أي حفر تلافي فيها او ظهر أمامنا بقنة واد صغير ، أو حفرة كبيرة ، أو حسك أو حجر رمته الأقدار في تلك البادية المبسطة ، عادا لو افلتت عجلة من عجلات السيارة ، أو فتى مقودها بيد السائق — إلى الحضيض حتماً هامدة — طعماً لكواسر الطير وحوارح الوحوش — ولكن شيئاً من ذلك لم يكن — وقد قربت السيارة من القطيع — بضعة لا غير تتقدمها أنفي . .

أندري كيف يصدو القطيع ؟ « صفاً واحداً ! الغزال تلو الآخر ! كأنه قطار ولكن أين سرعة القطار من سرعته » — المتقدم كالقاطرة وبقية العقود وأني يعد يجر القطيع وراءه واحداً واحداً كالسابع وإذا هلك العقود أحد القيادة لمتقدم بعده ، وإذا هلك هذا فما بعده وهلم جراً — ولن يحيد التابع عن طريق المتبوع قيد شعر . . ثم كأنه قطار عرباته عقد غزلانه بوعجلاتها تلك السيقان الرفيعة كالمسابيك تظهر لسرعة العدو كالدوالب . .

عشر دقائق مرت ولم يزل العداد عن الـ ١٠٠ وإذا بتكة الماء المربوطة إلى جانب السيارة تدلت

وتدفع وراء السيارة بمثل سرعتها . انه لمشهد عجيب ، ولكنك ايها القارىء اخترت شيئاً مثل هذا عند نزولك من قطار مسرع

قد قربنا من القطيع — هو على يسارنا الآن وعلى بعد ٦٠ متراً فقط . .

ها قد طهرت الستة السبعة محدودة من المياه والنصف ! هو ذا الدليل العربي يصيح فرحاً ويقول « الأثيل لا يتعب ! » السبعة الغزلان كلها ذكور ، قرونها طويلة منتصبة إلى فوق ومنحنية عند رءوسها الواحد إلى رفيقه ، والاثنان — النحود — قصيرة القرنين — يكادان لا يظهران — ما تزال بعيدة في المقدمة رقيقة هزيلة ولكنها لم تدل عليها دلائل التعب بعد . .

نحن على ٣٠ متراً من القطيع — على عشرين فقط — واشتطت نار بنادقنا كلها فسقط ثلاثة من سلسلة القطيع . . . . . يالله ما أسهل صيده الآن

هو على بعد عشرة أمتار فقط . . تكاد السيارة تطأه بعجلاتها ونحن نحشو بنادقنا مرة ثانية بخرطوش من الخردق (الرشاش) الكبير . . وأبى يفلت الصيد الآن !

ها قد عادت نار بنادقنا الى صدره وكان أسرعنا في رميه الآن أسقمنا في حشو بندقيته وضبط هدفه . . ولقد صرنا نعرف الآن من رمى هذا الغزال ومن رمى ذاك !

عفوك اللهم ! لم تصب الا النحود وأخرى كانت في المؤخرة سقطت ثم قامت تطلع مصاباً بسأفه واضحى في قراره جهة الحلق . ولولا وجود كبير رأه الدليل — بارك الله فيه — من بعد (ونحن في تلك الساعة الحرجة) فأرشد السائق أن يسير عليها ٥ و خمسين الى سرعة تلو سرعة خلف النحود ولولا الدليل لما نجونا نحن ولكنا بحثنا للصيد جريحا الآن . لاحظ يا صاحبي ، في ذلك السهل بقايا أكثر من سيارة أودى بها وبركابها وقع صيد الغزال

على مهلك يا شوفير ! . . . رويداً . . رويداً . . ولم تقف السيارة بعد تلك السرعة الا على بعد أكثر من كيلو متر عن آخر الصيد الذي رميناه . وعدنا — والعود احمد — متتبعين آثار دواليب السيارة لنعرف موضع سقوط صيدنا ، ولولا سيرنا في أرض يسهل اقتفاء أثر السيارة فيها لكنا رميناً سهاماً وبعثت اليها شارات حمر ترشدنا الى أماكن الصيد الذي ترميه بنادقنا

ها نحن نجمع الصيد ونربط بعضه الى جانبي السيارة والبعض الآخر الى مؤخرتها وهو ذا أحدنا يتناول كودا كه الصغيرة فيوسم الصيد وصياديه

* * *

هذه طريقة خطرة لصيد الغزال أما الطرق التي يتبعها الصيادون في تلك السهول على صفاف البادية فهي أقل خطراً غير أنه لا بد للصياد عندئذ أن يكون نشيطاً صبوراً ماهراً يحسن الرمي عن قرب وعن بعد من طلقة واحدة فقد لا تمكنه الطريدة من رميها بعد المباغتة الاولى

بين القبائل العربية التي عرفت بالصيد واشتهرت به قبيلة صليب وهي قبيلة عشيرة عند العرب —

قوم مسالمون لا يتعرون ولا يُغرون، ولعلك تدهش اذا أخبرتك أن بعضهم يرجع أصل هذه القبيلة الى الافرنج الذين دخلوا سورية في الحروب الصليبية . ولست الآن في موقف البحث عن صحة هذا الزعم أو خطئه فقد يحتاج هذا الى مقال خاص انما يهمني أن أحدثك كيف يصيد رجال هذه القبيلة الغزلان وأريدك أن تعرف أن بعضهم يتخذ الصيد مهنة يعتاش عليه ولصيدهم سوق رائجة في كل وقت .

يربون الكلاب وأسرعها في صيد الغزال السلوقية وهي مرتفعة الاطراف ضامرة الاحشاء دقيقة رقيقة يستصحبونها معهم ويطلقونها على الصيد اذا رأوه وقد كشم رائحة الصيد لدنها فتندفع وراءه بحيث يديره أخيراً عن مجراه وترجعه الى جهة الصيادين فيعترض لسابقهم وقد تدرك هذه الكلاب الغزال فيسقط بين مخالبها صريعاً وقد يعاون كلبان في أغلب الاحيان على صيد غزال واحد وبعد ذلك تدر أن يفلت منها بحيث يدان عليه الطرق

ومنهم من يرى النسور ويدربها على الصيد . صيد الطير على أنواعه وصيد الحيوان من غزال وأرنب وثعلب وما شابهها . يربون الصيد فيطلقون الصقر من قفصه أو مربطه وما هي الا لحظة حتى تراه حلق بالفضاء فابتعد أمامه السهل بحيث يرى بعينيه الثاقبتين فريسته فينقض عليها كالشهاب فتسقط بين مخالبه أولا فيعفها عن الجري بمناجاته يضرب بها عند رأسها وعينيها حتى يتركها الصيادون ويحجزون عنها ويعطى لصقر نصيب منها ويعاد الى مربطه

وهناك طريقة لا يستصحبون فيها كلباً ولا صقراً انما يلبسون أيديهم من جلود الغزلان (وما أكثر هذه الثياب عندهم) ويسيرون الى أرض الصيد فاذا ما أبصروا سرباً من الغزال انقسموا الى فئتين تتكون أفراد واحدة منهما من كمة مرتفع صدقه وراء مرتفعات صغيرة من الارض او شجيرات بيت الشيح أو لاشان ممدون على ظهورهم وسيرون واحد عن الآخر وتذهب الفئة الثانية وراء الصيد (وقد تستغرق حركة الالتفاف هذه أكثر من ساعتين) ومن ثم يطردون الصيد من بعيد الى جهة رفاقهم الكامنين حتى يصل اليهم فيهاجمونه برصاصهم أو حرديهم فيسقط ما يسقط ويمر ما يفر وهم يعرفون طبائع هذا الحيوان فوديع فتراهم يكمنون بالامكنة التي يؤثرها الصيد على غيرها للمرور أثناء هربه وقد يبلغ بهم التحفز والتستر الى درجة بحيث يمر الغزال بينهم وبموتهم دون أن يشعر بهم

وأجمل من هذه الطرق كلها طريقة يتمكن القرويون بواسطتها من القبض على الغزال حياً ومتى علمت انه حيما يدخل صغير الغزال (الخشف) اليوم الثاني من عمره يضعف عندك أن تدركه في الجري ، أدركت قوة تلك الفكرة التي أبدعت هذه الحيلة الآتي ذكرها للقبض عليه حياً

والغزال من الحيوانات التي تهاجر متنقلة في الصيف والشتاء من موضع الى آخر ، فهو يشتو في الصحراء ولما يدنو الصيف وينقطع الماء من البادية وتنشف الغدران ويبس العشب يهاجر الى المعمور فيقصد أراضي القرى المتطرفة يرعى عشب سهولها وقد يتسلط ليلا على زروعها ويرد

ماء عدرائها ، وفي سيره اليها ومنها يتبع طرقاً معينة ندر أن يحيد عنها . فمتى اذا عترضه في سبيله حبل فهو ينظر من بعيد الى أوطأ منخفض في ذلك الحبل ليرتمه (والغزال خلاف الوعل لا يحب الجبل) وقد عرف الصيادون الفرويون هذا الامر فراحوا ألفوا شركات صغيرة وشرعوا يصيدون الغزال بها حياً

يبدأون من قلب السهل فيرصفون حائطين من حجارة بسيطة يلتقطونها من الأرض حولهم يصفون الواحدة فوق الأخرى إلى علو نحو متر بحيث يكون عند الحائط عند أوله في السهل عن الحائط الآخر نحو مترين ويرتفع علو الحائطين ويقترب الواحد من الآخر كلما اقتربا من المنخفض في الجبل حتى يكادا يلتقيان عند الممر الذي تقصده أسراب الغزلان ثم يعرجون ثانية ويلتقيان بعد أن يكونا قد كونا حلقة فيكون الشكل كله كالملقط ويسمي الصيادون وسط الحلقة « دار الصيدة » ويتركون بحيطان الحلقة ثغوراً قد حفروا من ورائها آباراً كبيرة عمق نحو ٥ أمتار وقطر نحو ١٠ أمتار يسع الواحد منها نحو ١٠٠ غزال . وكيفية سقوط الغزال بها هي انه يقصد هذا المعرج (الممر) وهو في السهل ويمر بين الحائطين دون أن يشعر بوجودهما ثم لا يلبث أن يراهما عن يمينه ويساره فيسرع في هربه الى الامام ليتخلص منهما ويختار بينهما ويدخل الحلقة (الدار) وهناك يرى نفسه داخل الدائرة المحيطة به فيحاول الخروج فيسقط في حفرة ويقع من داخل الدار فوق الثغور وثبة واحدة فيسقط في الآبار وهناك يكمن الصيادون في حفر مأولة المصيدة وبعد أن يدخل بدورهم ويسدون الثغور بحجارة ضخمة فيحول دون الغزال والسقوط بالآبار ولا أبالغ اذا قلت لك انهم يصيدون أكثر من ٥٠ غزالاً في بعض الأحيان بالمصيدة الواحدة . ذلك يتوقف فقط على عدد المصيدة

بعد يقتلون الكبير ويعولون على الصغير فيعودونه لهو ويعلمونه الغزل .

جبرائيل جبور

امثال وحكم غربية

* صديق هو الذي يساعدني لا الذي يشفق علي
* الانسانية أفضل من الناس
* نحاول عبثاً حل ما أبرما
* أعظم فضائل الفضل أنه لا يفكر
* الحمق لا يتصنون شيئاً من الغفلاء وسكن الغفلاء يتصنون كثيراً من الحمق
* خاب أمل من يحاول اسعاد الناس بالشؤون السياسية
* الله يعطي الطير طعامه وعلى الطير ان يطير اليه
* الفضول والنميمة أختان توأمان
* ليس بين رفيع والحقير سوى خطوة واحدة

ساحة اللقاء

بين الاشتراكية ورأس المال

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

يعرف القراء الدكتور عبد الرحمن شهبندر زعيماً وطنياً جاهد غير جهاد في سبيل القضية السورية ومن يطالع هذا المقال يتضح له انه — فضلا عن ذلك — كاتب مفكر واسع الاطلاع يتناول الموضوعات الاجتماعية ببحثها تحليلا علميا هادئا ويقلبها على جميع وجوهها بغية الوصول الى النتيجة المنشودة [المحرر]

يتعذر على الباحث أن يطرح موضوعاً جوهرياً يتناول جل أوجه الحياة البشرية من سياسة واقتصاد واجتماع كما هو حال موضوع الاشتراك ورأس المال دون أن يرى نفسه مندفعاً في تيار من المواقف المسئولة عليه أو منقاداً لافكار سابقة لا يستطيع التخلص منها لكل بحثاً دقيقاً مثل هذا البحث يتناوله الكتاب من وجهات نظر متباينة يجب أن يبقى بعيداً عن الغرض والمصالح الذاتية ومصوغاً بصياغ النزاهة التي لا بد منها لكل استقراء صحيح على الوصول فيه إلى نتيجة قطعية قائمة على الحقيقة المجردة وتحريره الصحيح يخلص من هذا الاضطراب الاجتماعي الذي يجيش به صدر المجتمع

نشأة النظرية الاقتصادية في تعليل التاريخ ورأي الاشتراكية فيها

تدعي الاشتراكية انها نظرية علمية تحاول توزيع موارد الامة بطريقة عادلة تؤدي إلى تخفيف ويلات المجتمع . وهذه النظرية ابنة وكتب وشهداء وحروب مقدسة قائمة في أنحاء الارض إذن فهي دين اجتماعي جديد أجمعت الكلمة على ان واضعه رجل شرقي مثل كثير من أصحاب الاديان الاخرى اسمه (كارل ماركس) بن (هيرش ماركس) الحقوقي الالماني المعروف

ولد (كارل ماركس) في (تريز) من مدن المانيا سنة ١٨١٨ ودرس الفلسفة والحقوق في مدينتي (بون) و (برلين) ونال شهادة الدكتوراه في (يينا) سنة ١٨٤١ وعندما اضطهدته حكومته وعطلت جريدته غادر بلاده إلى البلدان الاخرى فاجتمع في (باريز) برجل عظيم بالشهرة فيما بعد يدعى (فريدريك انجلس) فوجده الرجل الذي يجب أن تعقد معه أواصر الصداقة والاشتراك في العمل . وفي سنة ١٨٥٩ وهي السنة المنازة يظهور كتاب (أصل الانواع) لمؤلفه (تشارلس داروين) نشر (ماركس) كتابه (الاضافة إلى نقد علم الاقتصاد) وقد قدر لكل من هذين الكتابين إحداث ثورة في دائرته: ذاك في علم الحياة ، وهذا في علم الثروة العمومية

ذكر (ماركس) في مقدمة كتابه النظرية التي تدل على شأن الاقتصاديات في تعليل حوادث التاريخ وتفسير التطورات الاجتماعية وهي نظرية لا بدّ من الاحاطة بها لفهم المشاكل العالمية ومعالجتها بالطرق الناجعة فقال ما خلاصته :

ان العلائق القائمة على الشرائع بين الناس والاشكال التي عليها الحكومات في العالم لا يمكن فهمها بحدداتها ولا تعليلها بنظرية « الارتقاء العقلي العام » بل ان جذورها متأصلة في الاحوال المادية التي تحيط بالحياة البشرية مما أطلق عليه (هيجل) اسم « المجتمع المدني » . ولئن كان علم التشريع هو أساس الطب فان « تشريح » هذا المجتمع المدني هو الاقتصاد السياسي . ورأى (ماركس) أن الناس في عمل المنتجات التي ينتجونها يدخل بعضهم مع بعض في علائق لا محيد عنها ولا ارتباط لها بارادتهم واختيارهم . وتتناسب هذه العلائق دائماً مع ما هم عليه من الارتقاء في القوة المادية وتكون على قدر الوسائل العملية التي يستخدمونها في الانتاج . ويؤلف مجموع هذه العلائق الانتاجية النظام الاقتصادي في الهيئة الاجتماعية ، وهذا المجموع هو الاساس الحقيقي الذي يقوم عليه البناء الشرعي والاقتصادي وينطبق عليه نوع الارتقاء الاجتماعي العام . وتتخذ الطرائق الاجتماعية والسياسية والروحية تنحيها العام بين الناس بعمل طريقة الانتاج التي هم عليها في حياتهم المادية . وعلى هذا فان الناس هو الذي يؤلف حياتهم على سطح الارض ويعين وجودهم بعضهم مع بعض ، على ما يكون ان وجودهم الاجتماعي وما هم عليه من وضع انتاجي هو الذي يعين إنتباههم الذهني وادراكهم العام .

وقد تؤثر هذه الاحوال المادية التي تحيط بالحياة البشرية أثراً عاماً حتى في التصورات اللاهوتية (ديموه) في عصر لكون أو تلفت الاسرائيلي كان في نظر اليهود الهاً موضعياً في القبيلة كالآلهة الاخرى في القبائل الاخرى بجوارهم ، ولكنه كان أشد بأساً وأعظم قوة فلما ارتقت الروح الوطنية وتقدم الشعور الاسرائيلي الملي أمسى « يهوه » ملك الملوك ورب الارباب وكان في أيام الضيق وساعات الشدة « رب الحروب » ولكنه كان في أوقات الرخاء « رب السلام »

قال (سارجو) و (أرنز) في كتابهما « مبادىء الاشتراكية » :

«نرى في كل دين تقريباً ان تصور الحياة الاخرى هو صورة انعكاسية كمالية للحياة الدنيا فالقبيلة التي تعيش على الصيد والقنص تعتقد بآخرة حافلة بوحوش الصيد ، والشعب الذي يعاني الكد والفقر يتطلع إلى حياة أخروية فيها الراحة والرخاء . وتعاد المملكة الارضية صورة منعكسة طبق الاصل في السماء وتصير الجمعية البشرية المؤلفة من طبقات على سطح الارض جزءاً من تصور المجتمع السماوي »

وقد توسع (ماركس) في هذا الموضوع وضرب عليه الأمثال مما يطول شرحه ولا يعرف أحداً من أهل الاختصاص في علم الاجتماع والسياسة يناقضه الفهم إلا إذا فهم أحد أن

المقصود بالنظرية الاقتصادية لتحليل المجتمع هو الاقتصار على الاقتصاد وحده دون غيره من العوامل في تسيير التطورات أو ان تحقيق الغايات المادية هو هدف الحضارة البشرية . حينئذ يحق للكثيرين أن يتهموا كما تهمى الاستاذ (هكسلي) من قبل أن يجرف هذه الدنيا السابحة نجم مذنب ضخم ليتقد الكون من شرر أبائها

ويرى هنا أن التفت أنظار القارىء الى ان اهمام الاشتراكيين بالقوة السياسية لا يقل عن اهتمام السياسيين وان هدف الاشتراكية الاسمى هو أن يكون دخل الافراد متساوياً اجمالا ، لكن هذا الهدف هو غاية بعيدة تتطورها عقبات هم أقدر الناس على تحليلها وتفهم دقائقها . ولئن اختلفوا فيما بينهم على طرق تذليل هذه العقبات فهم لا يختلفون على ان الاشتراكية تتألف من أمرين جوهريين اقتصادي وسياسي فالاقتصادي ما يتعلق بالمنتجات وتوزيعها والسياسي مايتعلق بالقوة وتوزيعها

وقد ذهب (برتراندرسل) وزوجه (دورا رسل) في كتابهما «مستقبل المدنية الصناعية» ص ٩٨ الى ان الاشتراكية تقضي بأن تكون الأرض ورأس المال جميعاً ملكا للدولة ، وان جاز للدولة في بعض الاحيان أن تفتدي بعض الممتلكات الانتاجية الكبرى أو بعض الجماعات المستهلكة للاستيلاء عليها أو ادارتها كشركات للعمال مثلا أو الاتحادات التجارية . وأما توزيع المنتوج فأساسه ان يكون الاجر الذي يؤدى عن كل عمل محدد تعينه سلطة عامة ، وان يكون حده الأدنى الحاجيات الضرورية التي تقوم بها حياته وحده الأعلى تشجيعات الكبرى أو البواعث التي تدفعه الى احداث الاعلى من اجل المجتمع بأجمعه

وتتناقر الاشتراكية من وجهة السياسة مع الادارة الاستبدادية الفردية أو مع سيطرة الاقليات المتغلبة وهي ترى أن كل فرد بالغ عاقل يجب أن ينال حصة مساوية لغيره في القوة السياسية التي هي المرجع الاخير . حتى ان البولشفيك وهم يعاونون الديمقراطية في عصر التحول يرون أن هذا التساوي جزء من المثل الأعلى الذي ينشدونه، ويعترفون بأن الاشتراكية لا تتحقق ما لم يعد في الامكان تحقيق تلك الاوضاع الديمقراطية الحرة من تصويت عام واطلاق للاقلام وحرية في الكلام

ويرى كتاب « مستقبل المدنية الصناعية » انه من المحال أن تستمر الصناعات منتجة الى حين ما لم تنظم تنظيما اشتراكياً ، ذلك لأن طريقة الربح الفردي الخاص تثير استياء العمال وهم الاكثرية المطلقة وتزرع فيهم الشعور بانظم هذا من جهة ، ومن الجهة الاخرى فان الاستيلاء على رأس المال والارض وتملكها تملكا فردياً يؤدي الى اكتساب أصحابها سيطرة على الافراد الوطنيين وعلى الدولة محفوفة بالاخطار لأنها تستخدم لتزييد الربح الفردي والقوة الفردية لا لمصلحة المجموع

نظرية رأس المال

للكاتب الانكليزي (برنارد شو) طريقة رشيقة مستملحة لتقريب الموضوعات العلمية من أذهان الناس ، وذلك بمعالجتها بألفاظ بعيدة عن المصطلحات الفنية والحلل العويصة ومن أحسن ما كتبه بهذا المعنى شرحه نظرية رأس المال شرحاً وافياً وان كانت حملته فيها على المتمولين حملة منكرة سداها الشعور بالاشتراكية ولحمتها الحث على تطبيقها لانقاذ المجتمع

قال في كتابه « دليل المرأة العاقلة » صفحة ٣٠ في باب توزيع الثروة ما خلاصته :

« ومن الطرق لتوزيع الثروة بين الناس أن يأخذ شخصاً واحداً من عشرة أشخاص فنجعله غنياً من غير عمل يعمله ، وذلك بحمل التسعة الآخرين على العمل الجهد الطويل كل يوم آذنين لهم بامة من العيش فقط تبقيهم في قيد الحياة وتمكنهم من ايلاد اولاد يحملون عبء هذه العبودية متى أصبح آباؤهم في الشيخوخة وعلى أبواب القبور . وهذا ما يجري في يومنا فان العشر الواحد من الناس الانكليزي يملك تسعة أعشار جميع الممتلكات في انكلترا في حين أن معظم الاعشار التسعة الباقية من الاهلين لا يملكون شيئاً وهم يعيشون من أسبوع الى آخر على أجور لا تكاد تكفي لسد الرمق الذي يكون والشقاء الذي يشربون . والميزة التي يدعيها بعض الناس لهذه الطريقة هي أن تؤدي بجميع الناس الى الارستقراطية ، يعني بطبقة من الناس أغنياء في وسعهم أن يتفرغوا ويهبوا أنفسهم لهذه الشدة الكفية فيصبحوا أهل الحكم البلاد ومن شرائعها والدفاع عن هذه الشرائع وأن يحموا العلوم والمعارف والفنون والآداب والحكمة والدين وسائر الاوضاع الصالحة للمدنية الخ . فنصيب عن الحضارة الحديثة المنتشرة في مجموعة من القرى فقط ، وأن يسمروا العمارات الرائعة ويلبسوا الالبسة الفاخرة ويردعوا الرعية في قلوب المتمردين وينصبوا المثل العليا التي يحتذى بها في آداب السيرة وأبهة المعيشة . وأهم من ذلك كله ما يظن رجل التجارة والعمل من أنا معطاتنا أهل هذه الطبقة مقداراً من المال يربو كثيراً على ما هم بحاجة الى صرفه تمكنهم من توفير تلك المبالغ العظيمة من الوفر الذي يدعى رأس المال والذي يصرف على عمل السكك الحديدية والمتاجر والمعامل الحافلة بالآلات وغير ذلك من الوسائل التي تستحدث بها الثروة بمقادير باهظة

« ان هذه الطريقة المسماة «بالاوليجاركي» أو طريقة الحكم بأقلية حرمانية توصد الابواب دون غيرها هي الطريقة الانكليزية القديمة النافذة في تقسيمنا معاشر الانكليز الى طبقة عظامية ارستقراطية تعيش على الاملاك والى طبقة عصامية عامية تعيش على العمل وهي طريقة الاقلية الغنية الموسرة والاكثرية الفقيرة المعدمة ، وقد عملت عملها زماناً طويلاً وما تزال تعمل حتى يومنا هذا ، ومن البديهي ان ربح الاغنياء لو أخذ منهم وفرق على الفقراء بالحالة التي نحن عليها فان

حالة هؤلاء لا تتحسن الا قليلا ثم ان الحصول على رأس المال يمنع لأن الناس لا يجود في طاقتهم التوفير فتصاب القصور بالخراب والعلوم والفنون والآداب وسائر ما يطلق عليه كلمة الثقافة بالانقراض ، وهذا ما يحمل الكثير من الناس على تأييد هذه الطريقة والوقوف بجانب الارستقراطية مع أنهم هم أنفسهم من الفقراء ، وتراهم يقولون : لو أن عشر نساء يستثمرن بعملهن ١١٠ جنيهات في السنة لكل واحدة منهن فقد يكون من الافضل أن تكتفي تسع منهن بخمسين جنيهاً للواحدة في السنة لتكون العاشرة سيدة محظية بالتربية ومتفرغة للحكم ، وذلك بمنحها ٥٠٠ جنيه مساهمة من غير أن تضطر الى العمل بناتاً او من غير اي مرغب يرغبها في العمل سوى الامل بجعل عملها أكثر فائدة لها بدلا من ان تحرم كل واحدة منهن على ١١٠ جنيهات في السنة ومع اننا نسير على هذا النزيف الآن لاننا مجبرون عليه او لأننا غالباً نجهل اننا نعمله فيجوز اننا لو كنا نعرف ماذا نعمل أو كنا أحراراً في تنفيذه أو في توقيفه بحسب ما يتراءى لنا لبقينا نعمله حرصاً منا على طبقة ارستقراطية تزود عن النفائس في الدنيا أكثر من حرصنا على مجموعة تعيسة من الرقاع متساوية في فقرها ومقيدة بالعمل اليدوي الابتدائي

« بيد أن المساوىء الناشئة عن هذه الطريقة هي بحيث الى حد أن العالم أصبح يقاومها فاذا ما أردنا الاستمرار على قانون عمله علينا حتى في تعيين الشخص الباشر في صدر كلامنا بعني السيدة المحظية التي أشرنا اليها فكيف يمكن هذا التعيين ؟ هل يمكننا أن نبدأ بعمل قرعة أولا ثم نترك الطبقة الارستقراطية التي يعنيها وزراءنا تتزاوج فيما بينها وتتوالد ويختارها الكبر من أبنائها . لكن الشر كل الشر في ذلك هو أنه بعد ما تفقد الطبقة الارستقراطية لا يكون لدينا الضمان الكافي بأنه سيعمل دائماً من الاشياء التي أردناها أن تعمل وقدمناها للذل في سبيله . ومع تقديم الاحترام اللائق للطبقة الارستقراطية نحكم ايلاد حكماً فاسداً جداً ذلك لأنها منزعة عن الطبقة العامة نزعاً لا تستطيع معه فهم حاجيات الشعب . ويستخدم رجال هذه الطبقة الارستقراطية قوتهم لتزييد ثروتهم باحتكار العامة على الكد المزايد والرضاء بالاجر المتناقص ، وتراهم يصرفون امتع احاسيسهم على الولائم والالعاب والمراهنة والفحفحة مع شيء قليل تافه يصرفونه على العلوم والمعارف ولكنون وهم يسمون العمر على عيار أوسع بتحويلهم العمل من المشروعات المثمرة الى الخدمة الحقيرة العصفاصة . وهم في الخدمة العسكرية وجهان فاما أن يتصلوا منها أو يجولوا الجيش الى سطاة أو الى آلة للحكام والظالم في الداخل والفتح والبسطة في الخارج . وهم يضعون التعليم في الكليات والجامعات ويشترونه بالدراهم لتمجيد أنفسهم بالباطل وستر عجزهم . ويحنون هذا النحو مع الكنيسة أيضاً ، ويسعون لابقاء سواد الشعب فقيراً جاهلا وحقيراً حتى يجعلوا أنفسهم ضرورة لازمة تزداد الحاجة اليها . ولا مفر أخيراً من تجريدهم من وظائفهم وتنفيذ هذه الوظائف على أيدي المجالس النيابية والموظفين

الملكيين ووزارة الحربية ووزارة البحرية والمجالس المحلية والهيئات الادارية ذات الرواتب والجمعيات والمؤسسات المتنوعة التي تعيش على الضرائب أو على الاكتتاب العام

« ومتى تم هذا — وقد تم حقاً — فالدواعي السياسية والأدبية لبقاء طبقة ارستقراطية تزول من الوجود . وهـذا ما يحدث دائماً كلما تمت الحياة المدنية — يعني داخل المدن — حلت محل الحياة الريفية . ومتى اتخذت سيدة مبجلة سكناً لها على مزارعها في نقعة من الاريف حيث الحياة بسيطة جداً وحيث أقرب الاشياء الى شكل المدينة قرية تبعد عشرة أميال عن محطة السكة الحديد فالناس هناك يتوقعون من هذه السيدة الشيء الكثير — يتوقعون منها كل ما لا يحصلون عليه باتعابهم اليومية — وهي تمثل في نظرهم روعة المدينة وعظمتها وكل شيء خيالي فيها ، وتقوم بالكثير من الاعمال التي يجهلون كيف يعملونها لانفسهم . وعلى هذا النمط كان لكل قبيلة جبلية من قبائل اسكوتلاندة قبل تحضيرها شيخ على رأسها فكان رجال القبيلة يعطونه حصة الاسد من الاراضي والسلع التي يحصلون عليها ومن الكسب الذي يغالونه في غزواتهم وقد فعلوا ذلك لأنهم لم يكن في مقدورهم أن يحاربوا والنصر حليفهم من غير زعيم يتولاهم ولا أن يعيش بعضهم مع بعض من غير مشروع عصبي يجمعهم وهو مقام الشيخ عندهم الا مقام موسى بين الامم الذين في البادية . والواضح أن هذا الشيخ كان ملكاً في قبيلته بكل ما في هذه الكلمة من معنى للعيلي كان « الخاتون » والسيدة صاحبة الموماة اليها ملكة في ضياعها وأطيانها . وكانت الدعة له والانصياع لاوامره غريزة في النفس طبيعية

« ولكن متى اعتاد الشيخ الجلي الى مدينه صاحبته تصبح أقل من محطة أوتوبيس يلتقي به على الطريق والواضح أن هذا كان في بعض الاحيان يضيق على الشيخ فتأخذه السلطة في المدينة فتشنقه . وعند ما تترك السيدة أو «الخاتون» املاكها وتنتقل الى لندن لقضاء الفصل المناسب فيها تمسي عدماً الهم الا عند بعض من يعرفونها . وكل شيء تعمله لاتباعها في الضاحية فانما يعمل في لندن بواسطة الموظفين المتنوعين من أهل الرواتب ومتى غادرت ارضها وأقامت في أماركا أو في القارة تجنباً للضريبة البريطانية الموضوعة على الدخل فان لندن لا تخسرها بل كل شيء يبقى على ما كان . غير أن المستأجرين منها الذين يتوجب عليهم أن يجمعوا المال الذي تصرفه في الخارج لا يرحبون شيئاً بواسطتها ويتهربونها هؤلاء قرارية متنية

« لا غرو إذن ألا يرضى الناس عن حكومة الاقلية باختيارهم . ومعظم المال الذي يحصل عليه افراد هـذه الاقلية اليوم يسترد منهم بواسطة الضرائب والرسوم الموضوعة على الميراث . وهكذا تنخفض البيوتات القديمة سريعاً الى مستوى الرعية الاعتيادية . وعند ما تتلاشى املاكهم وهو ما سيتم بعد بضعة أجيال من هذه الضرائب الناعظة على الميراث فالالقاب الضخمة التي يحملونها تجعل الفقر الذي يعانونه يوشك مثار الهزء والسخرية . ونرى منذ الساعة

عدداً عديداً من اشهر البيوت التي شادوا أركانها في الضاحية آهلة أما سائلات تجارية غنية من النوع الاعتيادي أو مؤسسات تعاونية أمثال الدور الصحية لتنفه أو الاماكن المعدة للمؤتمرات والمنتزهات أو فنادق أو مدارس أو مارستانات

« فعليك اذن أيتها المرأة العاقلة أن تواجهي الحقيقة الواقعة وهي ان مدينة مثل مدينتنا يعيش معظم الناس فيها في المدن وحيث السكك الحديد والسيارات والبرق والبريد والهاتف والمحمول والراديو تحملت جهات من جلب الثقافة المدنية والطرائق البلدية الى الارياف وحيث القرى حتى احقرها لها احتياجاتها الخاصة وشرطتها المشتركة فلم يبق ثمة داعٍ من الدواعي المدعية جعل عدد قليل من الناس منحصرين بقوة طائلة بينما سائر الناس يجدون أنه الليل وأطراف النهار للحصول على كفافهم »فالطريقة المذكورة والحالة هذه لم تعد صالحة حتى في المناطق الجبلية

« بيد أن هناك سبباً آخر من أسباب الاحتفاظ بطبقة مفرطة التي على حساب غيرها وهذا السبب في نظر رجال الاعمال هو أقوى الاسباب جميعها وخلاصته أنه يولد رأس المال بتأديته بعض الناس مالا اكثر مما يصرفونه بسهولة فيتمكنون بهذه الواسطة من التوفير من غير تقتير (ورأس المال هو ما يوفر) ومعنى هذه الحجة هو أن الدخل لو وزع على الناس بصورة أقرب الى التساوي لكان الوفر الذي قليلا جداً يجب صرفه الى صرف جميع مواردنا فلا يبقى ثمت مال يستعمل الآلات وماء يصلح وسد السكك الحديد وحفر المناجم وغير ذلك

« اننا لا ننكر أن مثل هذا التوفير ضروري ولازم لحياة الراقية . ولكن يصعب علينا أن نتصور طريقة اكثر اسرافاً ومدعاة من هذه الطريقة للحصول على مثل هذه الغاية

« ومن أهم المهمات أولا الا يكون هناك وفر ما لم يكن صرف يكفي صاحبه فالصرف مقدم، والامة التي تحصل على المحركات البخارية قبل أن تحصل أعضاءها على ما يسد حاجتهم من الغذاء لشد ركبهم حتى تقوى هذه الركب على حمل أجسامهم تكون قد اختارت ما يختاره الاحمق واستبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير . ومع ذلك فهذا ما نعمله سواء كنا هذه الطريقة المعوجة من جعل الزرر الفاحلين أغنياء وسواد الشعب فقراء . حتى أننا لو فحصنا المحرك البخاري فقدمناه على الفأس اللازم لاولادنا فليس في خطتنا هذه ما يضمن لنا الحصول على المحرك بل لو حصلنا عليه فليس ما يضمن استعماله في بلادنا . وكما أن جزءاً عظيماً من المال الذي أعطياه للارستقراطيين في انكلترا على احتمال تشجيعهم الفن وانما قد صرفوه على ملذاتهم في سوق الخيل وصراع الديوك كذلك يذهب شطر مربح من المال الذي تقدمه اياه على أمل استخدامه رأس مال في سبيل شهواتهم . ويناسب أن نقول هنا عن المفرطين في غناهم انهم لا يبدأون بالتوفير حتى يحجزوا عن الاستزادة من المصروف والتبذير وتراهم مهمكين دائماً في اختراع أنواع

البذخ الثمين واستحداث طرائق الاسراف مما كان في باب المستحيلات قبل مائة سنة . ومتى ارداد دخلهم على بذخهم بحيث يتحتم عليهم ان يستخدموا الرائد رأس مال أو أن يبددوه فلا مانع يمنعهم من استيداعه في أميركا الجنوبية أو افريقية الجنوبية أو روسيا أو الصين على حين اننا عاجزون عن تطهير لاحياء العدرة في بلادنا لقلة رأس المال المحفوظ بين أيدينا أو المستخدم لمنافعنا . وفي كل سنة يذهب الى خارج البلاد مئات الملايين من الجنيهات على هذا النمط ونحن نشكو مزاحمة الاجانب لنا في حين نسمح للمتمولين منا أن يزودوهم على حسابنا بنفس الاداة التي يساعون بواسطتها صناعنا منا

«وبديهي أن المتمولين يدعون أن هذه الحال لا تزيدنا فقراً لان العوائد على رؤوس أموالهم تعود الى انجلترا من البلدان التي استثمروها فيها . وما أنهم يستخدمونها في الخارج للحصول على فائدة اكبر مما هي في الوطن ، فهم يؤكدون لنا أننا نكون اكثر غنى بسبب هذا التصدير لرأس المال لان ذلك يمكنهم من الصرف عن سعة في الوطن مما يساعدهم على تقليل البطالة بفتح أبواب الاستخدام لعدد زائد من العمال البريطانيين . ولكن أين لنا من يضمن أنهم يصرفون هذه الفائدة في الوطن ؟ بل من المحتمل جداً أن يصرفوها في (مونت كارلو) وفي (الماديرا) وفي (مصر) وغير ذلك من أماكن اللهو والسباحة . ولن صح أن يصرفوها في الوطن فيفتحوا بها باب الاستخدام فما هو نوع هذا الاستخدام الذي ؟ هل تدخل حقولنا وتخرب مصانعنا وتتلف مصانع تصنع في بلادنا بسبب سيادة طاقتها وباسها من الخارج بدلا من الداخل فلا يكفي أن يعود لنا أصحاب المال ما أن هذا بدلا من الحصول خير الميادين للعب (الجولف) وبدلا من المصحن والمصحن أخر للصدق وبدلا من المهندسين وصناع السفن والخازن والنجارين والحاكين الابشون (المعرجية) والمواشط والوصيفون والوصيفات وحراس الصيد وسفات الخمر وغير ذلك من ذيول البذخ وكلهم أحسن لباساً وأغزر أجرة ممن يحون محلهم من العمال المتحين . وعلينا أن نفكر في الحال التي نصير اليها عند ما يمسي عمالنا عاجزين عن اعالة أنفسهم واعالتنا كما هو حال الاغنياء من أهل الكسل أنفسهم . ولنفرض أن البلدان الاجنبية منعت عنا مؤونتنا إما بسبب ثورة أهلها أنكار صريح لديون اصحاب رؤوس الاموال كما هو حال روسيا مثلا أو بسبب ضرب الضرائب واضافتها على الدخل المستورد من الاموال المودعة فاذا تكون حالنا يومئذ يازى ؟

«بل ما هو حالنا اليوم والضريبة على الدخل تنتشر بازدياد في البلدان الاجنبية ؟ وفي معدور الخادم الانكليزي ان يفتخر حتى هذه الساعة بأن انكلترا تستطيع وضع رداح على حداء الرجل «الملتمين» أو صاحب الملايين أكثر لمعاناً من أي رداح آخر في بلاد أخرى ، ولكن ما هي الفائدة لنا من هذا الرداح عند ما يصنع هذا الذي «الملتمين» معدماً لا حذاء عنده للتلميع

من كثرة الضرائب التي تنهال على رأسه والتجريد الذي يصيبه في املاكه »

هذا فصل مقتضب في نظرية رأس المال أورد فيه السنر (برنارد شو) ما شاء من الاعتراضات وارد عليها . واندفاعه في تيار الاشتراكية ظاهر لا يحتاج الى تعليق ، وعنده ان رأس المال لا يمكن أن يهضم المرء الا اذا اعتبره فضلة من الطعام والشراب يميزها الفرد الواحد الشعان الى الآخر الجوعان ليستعين بها على القيام بالاعمال اللازمة التي تمكنه من ردها لأصحابها اما بالتقسيط أو دفعة واحدة . اذن فهذه الفضلة اذا تأخر استخراجها أصيبت بالتعفن والبلاء ، والذهب المودع في المصارف انما هو قيمة معادلة لما يوفره الافراد من أرغفة الخبز وقوالب الجبن وقطع اللحم الخ وقدره قائم على توزيعه خبزاً وجبناً ولحماً على المحتاجين من أهل العمل المنتج ، والمال الذي لا يوزع على هذا الشكل هو عقيم ولا فائدة من حزنه مطلقاً

ويرى السنر (برنارد شو) ان العالم سيسير نحو الاشتراكية شاء أم أبى . فمد الطرق والمعابر والجسور وحدائق البلديات والبريد والبرق والسكة الحديد وغير ذلك من الاعمال التي تقوم بها الحكومات انما هي أعمال اشتراكية يعود نفعها على الجميع ، وفي وسع المجتمع منذ الآن أن يسير في هذا المضمار أشواطاً بعيدة فيضم اعمالا أخرى مهمة الى اعماله الاشتراكية الحالية كالمصارف مثلا

لكن المتمولين يوجهون على الاشتراكية اعتراضات جمة لا يسع المجال لتفنيدها ، منها ان الاشتراكية التي تقضي على المتمولين استثمارهم للعمال بحجة ضمان حقوق هؤلاء العمال أنفسهم بواسطة نفوذ التي جوها يعاونون على منصة الحكم عبيد الدولة وهذا هو الرق بعينه في مدلول الرق الاخير . وقد أورد عبد الاجور في وسعه الافلات من سيده الى سيد آخر فينتقل مثلا من معمل الحرير الى معمل القطن فمعمل الحديد او لمعاونون لكن عبد الدولة لا يستطيع الفرار ابداً لأنه ليس له الا سيد واحد هو الدولة .

ومنها ان الاشتراكية تبالغ كثيراً في شأن العمل البدوي ، فتدعي انه هو وحده مصدر الثروة في حين ان العمل العقلي اكثر انتاجا . ونرى في المعامل ان تلك الطبقة من المستأجرين الموكل اليها التنظيم والارشاد والاشراف هي أشد تأثيراً في زيادة الانتاج من الطبقة التي تعمل بأيديها . لذلك لا قيمة لما تدعيه الاشتراكية من أن أرباب رؤوس الاموال « يسرقون من أهل العمل البدوي ثلثي منتوجهم »

ومنها ان الاشتراكيين يتحمسون عادة ذكر مثلهم الاعلى وهو التساوي في الدخل لما يتجه عليه من الاعتراضات الثقيلة فيصون مكان هذا التساوي قاعدة تشبه كلام الحكماء الاقدمين وهي « يؤخذ من كل فرد بحسب طاقته ويعطى لكل فرد بحسب حاجته » وهذه جملة تبدو عند التمحيص الدقيق مبهمة غير قابلة التعليق

وعندنا ان أهم هذه الاعتراضات زوال المشوقات الصحيحة الى العمل الكافي في جودته ومقداره متى طبقت قاعدة التساوي في الموارد بين الافراد . وذلك لان النشاط الذي يشعر به العامل في الطريق الرأسمالي من جراء الربح الذي يتوقع الحصول عليه بجده الزائد يزول متى أصبح الدخل متساوياً وكان العمل سواسية من هذا القبيل

وقد خطا مثل هذه النتيجة في كثير من الممتلكات الموقوفة في بلاد الشرق خصوصاً حيث الاشراف ناقص واقامة الوكلاء ممنوعة . ففي ضواحي دمشق مثلا قرية تدعى (عين التينة) ينمو فيها نوع من الفستق ممتاز بحجمه وطعمه ولم ير ما يضارعه في الجودة في جهات الشمال من سورية ويبيع الرطل منه عادة بضعفي ما يباع به الفستق الحلبي . وقد زرت هذه القرية لاول مرة في أوائل القرن الحاضر فرأيت أشجار الفستق فيها محدودة وأعمارها مديدة فسألت الاهلين لم لا يزيدون في زرعة هذه الكنوز الباسقة فعلموا ان أشجارهم يرجع عهدها الى زمن الامام علي بن أبي طالب — وما أكثر الاشجار المنسوبة الى عهده في سورية — ولا فائدة يرجوها الفرد من زرع غيرها ما دام المحصول وقفاً على جميع السكان والحصة التي تصيبه من زرع الفستق لا تزيد شيئاً بل تكون عرضة لعدم ركاوته مساوياً له

ورأينا مزارع في غوطة دمشق تبدل بحبها الى حصص حتى أدت الحكومة بتوزيعها على الافراد من المستحقين بدلا من تركها وقفاً عليهم

قال المستر (نيل ستيوارت) في كتابه « السياسة والاقتصاد » ما يأتي :

« ويحدث في العامل صغيرة (أو الورش الجيدة) بدلا من ان يعطى العامل الواحد على نسبة المنتوج الذي ينتجه نعطى الجماعة أو العصبة من عمل على نسبة المنتوجات المشتركة التي ينتجونها فيكون مجموع العطاء مقسما على الاعضاء على نسبة متفق عليها . وحينما حلت فيها بعد قاعدة التأدية الفردية القائمة على المنتوج الفردي بدلاً من قاعدة التأدية المشتركة القائمة على المنتوج العام فالحصول من المنتوجات يزداد احتلالاً وسبب ذلك أن العامل الواحد في الطريقة الفردية هو أقدر على معرفة مقدار ما يتوقف على مساعيه الشخصية من اجادة أو النقص في المكافأة . فاذا صحت هذه القاعدة في جمع من الناس صغير يمني بين بضعة أفراد فما أصعبها بين العدد العديد من الناس في معمل كبير حيث التباين وعدم التناسب بين المكافأة على النجاح والمجازاة على الفشل أشد كثيراً مما هو الحال في العطاء الفردي بحسب المنتوج الشخصي ومتى طبقت قاعدة الجماعة المشتركة هذه ليس على معمل واحد فقط بل على مجموع الصناعة كلها فالعواقب أسوأ وأشد تأثيراً

« ولا مراء أن هذه الوجهة الاقتصادية هي وجهة نفسية بسيكولوجية . والواجب أن يتناول بحثها جميع النظرية المتعلقة بالحرية الشخصية . واني قانع بوجوب الاحتفاظ بقاعدة التبعة الفردية — يعني

كل فرد مسؤول عن عمله الشخصي — في المسائل المادية كما هو الحال في المسائل المعنوية على أن ذلك لا يعفي حاجزاً دون القاعدة الأخرى المهمة المتعلقة بالسعي المشترك وكثيراً ما فشل التعاون والتشارك وغير ذلك من أشكال التسامح أو الربح المشترك بسبب عدم التناسب بين سعي الفرد ومقدار حصته من الربح الموزع »

هذه آراء نظرية وعلمية في الاشتراك ورأس المال نعتقدها للعلم أنها القطب الذي تدور حوله الشئون السياسية الداخلية والخارجية في انحاء العالم ولتاعذرنا في استشهادنا بكلام هؤلاء الكتاب المتباينين مع شيء من التطويل لاننا حرصنا ان نعرض آراءهم بمثل هذا الحياد ليتمكن القارىء من ان يكوّن لنفسه وبجتهاده الفكرة التي يروقه وقد نشر المتمولون اعتراضات اخرى على الاشتراكية ، خلاصتها ان الاشتراكية تقتضي مصادرة الاموال والاملاك ونهبها وانها ترمي الى هدم الاسرة واحلال « الحب الطليق » محلها ، وانها قائمة على الانانية المتحطة والمادة الخانقة أو على العدمية والايثار على النفس والشرف مما يتطلب شيئاً ارقى من الشر الذي عيش معه ، او ان الاشتراكية ثورة فجائية يتوصل بها الاشتراكيون لعمل ما يحتاج الى مدرج مديد ، أو انها لم تجرب بعد ، او انها جربت ولكنها لم تنجح ، او انها هادمة قادمة ، او قائلة للعين او مخالفة للطبيعة البشرية وغير ذلك ، ولكل ساحة بناء في نظرها بين الاشتراكية ورأس المال ستكون فيما يقوله الاشتراكيون عن المتمولين أنهم ، وهم لاولية نفسية ، يعيشون بالمدح والتكسل على أكتاف الاكثرية المهملة لمصيرها ، وفيما يقوله المتمولون عن الاشتراكيين انهم بمحاولتهم جعل الناس سواسية في الدخل يقصون على جميع المشوقات الى الاعمال النافعة

ومحن وان كنا نسير بعيداً عن الاعتراض العملي الخطير على الاشتراكية ونعترف بأننا نعيش في عصر مادي يباهي بحاجة الفرد فيه بما يكدسه من الاصفر الرنان وان سواد الناس فيه يتشوقون الى العمل الصحيح على عيار واسع بسبب المصلحة المادية التي يحققونها من ورائه اجمالاً — الا اننا نرى من واجب الفراغة والصدق أن نحلل العلم الصحيح الذي تردان به رءوس المكتشفين والمخترعين أن تستغل الى أخذ نشوته واهمامه من هذه المغريات الحقيرة ، فهؤلاء الاطباء الذين يموتون في الاغوار والتحاريب ورافت ووحداناً وهؤلاء المكتشفون رواد المناطق المجهولة الذين تدوب مهجهم على الجليد المتجمد في القطب لا يموتون في سبيل المادة ابداً ، ومن قدر له أن يرى الشيخ الجليل (توماس اديسن) وراء آلاته في معمله كما رأيناه وحادثناه ونظر الى لحيته فرآها في حاجة الى الحلق وانى قميصه فرآه في حاجة الى التغيير والى لباسه فوجده في حاجة الى المكوة أيضاً كما أيقنا أن العلم الفنان الذي تصبح فيه العقول هو شيء وراء المدائق والدينار .

القاهرة في ١٨ مارس سنة ١٩٣٠

عبد الرحمن شهبندر

الخلافة العباسية ببغداد ثم بمصر

بقلم الاستاذ ابرهيم بك جلال

[فصل من كتاب جليل يعنى بتأليفه الاستاذ ابرهيم بك جلال
مدير ادارة المطبوعات عنوانه : مصر المستقلة قبل الفتح العثماني]

كانت الدولة العباسية أعظم دول الاسلام عداً ونطاقاً وسعة ، وكان الخليفة ملكاً على عروش الدنيا المعروفة في ذلك الزمان يحوم صولجانه حول الأندلس والمغرب الأقصى وأفريقية الشمالية ومصر وجزيرة العرب والعراق وفارس وخراسان الى أقصى بلاد الهند ثم بلاد التركستان

ومما كان بمرأى تلك الدولة من الفرس فقد كانت عصبيتهم ظاهرة في تكوينها ـ واستطاع الخليفة العباسي ومن ورائه عصبيته من بني هاشم أن يدفع طغيان الموجة الفارسية والتركية قرناً كاملاً من أيام السفاح حتى أيام المتوكل ، وقضى على كل نهضة فارسية أو تركية أريد بها اغتصاب الملك من العرب ، وظهر ذلك جلياً يوم نكب أبو جعفر المنصور وزيره أبا مسلم الخراساني ، ويوم نكب الرشيد وزراءه البرامكة ، وكانت أول ثلمة في دولة بني العباس ضياع الأندلس حيث استقل بها عبد الرحمن بن هشام ، وعلى أثرها ضاع المغرب الأقصى الذي استقل به ادريس بن عبدالله واستفحل أمر الاتراك المصطنعون ، فكان أول حدث هو ان قتلوا الخليفة المتوكل على الله

واقتطعت مراكش من أملاك العباسيين وحدها سلخت طبرستان والديلم يد الحسن بن زيد العلوي وسلخت اليمن يد يعفر بن محمد ، وسلخت مصر يد ابن طولون والاهواز يد صاحب الزنج وسلخت السند وما وراء النهر يد بني سامان ، وسلخت معهم يد أحمد بن طولون وسلخت الموصل يد بني حمدان

كل ذلك حدث خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، فكان العباسيين لم تزالوا مستكملين ملكهم محتفظين بجاههم وهيبتهم قرناً كاملاً

وانتهى أمر خلفاء بني العباس بعد ذلك القرن ان صاروا ملوكاً على نواحي السواد والجزيرة فقط ولهم بغداد

وليتهم كانوا ملوكاً مستقلين فان الديلم دخلوا بغداد وأدخلوا الخليفة في طاعتهم أيام المستكفي بالله سنة ٣٣٠ هـ وبعد الديلم حامت الدولة السلجوقية فاستولت على بغداد سنة ٤٤٠ هـ الى ٦٠٠ ثم جاء التتار وعليهم هلاكو فقتل الخليفة المستعصم بالله سنة ٦٥٦ هـ وأزال تلك البقية من الدولة من بغداد

فالذين يزعمون ان بني العباس ملكوا بلاد الاسلام خمسة قرون قد ظلموا التاريخ وبالغوا فيما ذكروا ، لأن العباسيين لم يستقروا على أسرة ملكهم إلا قرناً كاملاً كما أسلفنا ، وبعد ذلك خسروا ذلك الشبر العريض قطعة قطعة ، ثم تقدموا مظاهر الملك في عقر دارهم وحاضرة ملكهم بغداد ، واستبد بالأمر أمراء الترك الذين كانت لهم حماية المال وقيادة الجند وجباه الدولة وسلطانها ، وما كان للخليفة إلا اسمه وإلا التحدث على ضياعه وجبايتها ، وبقيت له صفته الدينية ، وهي انه رمز لمن حفظوا رسول

الله صلى الله عليه وسلم من الخلفاء السابقين، وبهذه الصفة نال احترام السلاطين واستمدوا منه التقليد كما سمعت أحدهم على سرير ملكه

وأول من أسس دعائم الخلافة العباسية بمصر السلطان الظاهر بيبرس البندقداري فانه بعد قتل الخليفة المستعصم سنة ٦٥٦ كما ذكرنا آنفاً حضر جمع من البدو بينهم رجل من بني العباس وأشهد السلطان انه من أبناء الخلفاء وبايعه ثم أوفده الى بغداد مع جيش ليوطد دار الخلافة ولكن التتار قاوموه

فحضر من بغداد آخر من بني العباس فعقد له السلطان مجلساً من العلماء والامراء وأثبت فيه صحة نسبه وبايعه بالخلافة ودعاه أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله العباسي سنة ٦٦٠ هـ وجعل له المنزلة الأولى بعده ونقش اسمه على النقود مع اسم السلطان ودعا له على منابر مصر قبل الدعاء للسلطان وأسكنه مناظر الكبش المطلة على النيل وهي التي بناها أحمد بن طولون ، وأصبح الخليفة من مظاهر الدولة التركية بمصر يصعد على رأس القضاة الأربعة والامراء في هلال الشهر العربي لتهنئة السلطان بالشهر الجديد

وبسط مؤرخو مصر مركز الخليفة في المواكب السلطانية وحفلات تتويج السلاطين حيث كان يمشي كافة الأمراء على الأقدام بين يدي السلطان ما عدا خليفته فانه كان يركب من الركائب السلطانية وليس بعده أحد لا من الوزراء ولا من الأمراء إلا السلطان وكان يلبس العمامة البغدادية ذات العذبتين وعليه قباء بعلبكي مصري أسود حرير وفوق رأسه راية الخلافة السوداء . ولبثت الخلافة بمصر ثلاثة قرون من منتصف القرن الثالث عشر الى قرب منتصف العاشر . وكان سلاطين مصر من لدن بيبرس الى طومان باي يعطون الخليفة اقطاعات واسعة رزقاً لهم ، وسمت قرية اسمانة وجزيرة ابن الصابوني اقطاعاً للخليفة لى ان حرمه منها السلطان قايتباي وكان للخليفة بحاب ذلك حق النظر على مشهد السيدة نفيسة والاسبلاء على جيرانه ، فكان مورد رزق واسع لهم ولأهلهم وظلوا من أجل ذلك في سعة من العيش فلما منع السلطان سليم مصر قطع عن الخليفة تلك الأرزاق

وكان مقر الخلفاء بالقلعة مع السلاطين ، ولكن حدث أيام السلطان قايتباي حريق في معظم الطباق فظنوا الخليفة وقالوا ان الحريق نشأ من مطبخه فكرهه السلطان على ترك القلعة والسكنى بدار قرب مسجد السيدة نفيسة، وخلف هذا المسجد ترى مقابر الخلفاء الذين ولوا الخلافة بمصر وقد ضربت عليهم قبة وأحيطوا ببلاط

وأعظم أعمال الخليفة بمصر تقليد سلطان مصر الملك ويكون ذلك يوم التتويج بحضرة العلماء والقضاة وكافة الامراء ويتلى ذلك التقليد في مجلس السلطنة، وكان ملوك المسلمين بالهند وغيرها يرسلون الى الخليفة بمصر يسألونه ان يمنحهم تقليداً بالملك على بلادهم كما فعل أحد ملوك الهند الملك غياث الدين في دولة السلطان قايتباي ، وكذلك أرسل الخليفة في ذلك العصر تقليداً بالملك الى السلطان بايزيد الثاني سلطان العثمانيين

ولما توفي الخليفة المتعصد بالله سنة ٨٤٥ هـ نزل السلطان من القلعة وحضر جنازته وصلى عليه احتفالاً به وتوقيراً لمنزلته الدينية

وارتداد نفوذ الخلفاء في مصر حتى تدخلوا في أعمال الدولة وحتى تطلع بعضهم الى الملك، فقد ذكر ابن إياس ان الخليفة عام ٨١٥ هـ طمع في السلطنة بعد موت السلطان وتقدم أياماً الى ان حلفه مها السلطان العظيم الشأن المؤيد شيخ المحمودي — وجلس على سرير مصر

وكان من مهام الخلافة اشتراك الخليفة في بعض أعمال الدولة كحفل اختيار السلطان الجديد بعد موت السلطان القائم . فقد مات المؤيد شيخ سنة ٨٢٤ هـ وترك طفلاً دون السنتين من العمر وأراد الأمراء أن يولوا الطفل الملك ودعوه الملك الظفر أحمد فدخل الخليفة الحكم وطلبته وقال أخشى أن يضطرب الملك اذا أقررتم ذلك، ولكن الامراء أبقوا الطفل سلطاناً وجعلوا أحد الامراء مدبراً للملك (فالتقلم)

ومن عهد دخول الخلافة بمصر الى أن أزالها العثمانيون لم يسمع عزل الخليفة إلا مرة واحدة أيام السلطان الأشرف إينال . وكان الخليفة يسمى حمزة وقد قامت وقتئذ فتنة وثار المماليك كعادتهم وخلعوا خلع السلطان وانضم بعض الامراء الى الثائرين ، وظن الخليفة انها حركة موقتة فانضم اليهم طمعاً في زوال السلطان الحديد وهانه، ولكن السلطان إينال تغلب آخر الأمر وعاقب الثائرين وقبض على الخليفة الذي أشهد على نفسه أمام العلماء والامراء انه خلع نفسه من الخلافة وخلع السلطان من السلطنة، وحضر ذلك مجلس عام من أعلام المدينين من أهل مصر وهو علم الدين البلقيني فقال: وان الخليفة بدأ بخلع نفسه ثم تبعه عزل السلطان وهو غير جائز فلا يصح منه خلع السلطان »

وتدخل الخليفة في بعض أعمال الدولة أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٩٠١ فعين الامام الكبير الشيخ جلال الدين السيوطي موكلاً على المساء الأمراء يولي منهم من يشاء ويعزل من يشاء فاعترض القضاة وقالوا : ليس لخليفة مع وجود السلطان حل ولا ربط ولا ولاية ولا عزل ، فكان اعتراضهم بشأنه جديد لسلطة الخليفة الذي عاش من عمله ومن كتابته (إيش كنت أنا)

ولما تقدم السلطان سليم العثماني لحرب السلطان الغوري سنة ٩٢٢ ومات الغوري كما يعلم هزيمة جيشه، كان الخليفة المتوكل على الله معه فوقع في أسر العثمانيين وحملت مصر من خليفة . وعندما أراد الامراء ورجال الدولة بمصر أن يولوا طومان باي سلطاناً على مصر افتقدوا الخليفة ليقوم بمهمة التقليد فتقدم اليهم والد الخليفة الذي كان بمصر واسمه يعقوب وأظهر لمجلس توكيلاً عاماً صادراً له من ولده المتوكل على الله في كافة أموره وما يتعلق منها بالخلافة فأكمل المجلس بهذا التوكيل وبايع يعقوب السلطان طومان باي بالملك وشهد أهل المجلس بذلك . ولما دخل سليم الأول مصر فاتحاً أمر الخليفة المتوكل على الله أن يسافر من مصر الى الاستانة فخرج منها كما خرج آدم من الجنة مشيعاً بحزن عام من أهل مصر على زوال الخلافة عنهم ، وكان زوالها يوم الثلاثاء ١٢ جمادى الاولى سنة ٩٢٣ هـ على أيدي العثمانيين ثم دالت على أيديهم من العدم بعد ذلك بأربعة قرون

ومن عجائب القدر ان ملك سلاطين الشراكسة كان مقروناً ببقاء الخلافة وقد زالا جميعاً في يوم واحد بيد واحدة

ابراهيم جلال

مسيو بوانكاريه

يلقب الفرنسيون المسيو ريمون بوانكاريه بالمنقذ . وانه لجدير حقا بهذا اللقب فلقد نجاب فرنسا في العشرين سنة الاخيرة كثير من المحن والشدائد ومرت بها من الازمات المعقدة ما حار في تصريفه الساسة المحنكون . فكانت ، كلما حزبها الامر وادلهم امامها الخطب، تفقد رجلها بوانكاريه فتلقيه الجدي اليقظ الذي يقول « انا لها »

ولد ريمون بوانكاريه في احدى مدن اللورين سنة ١٨٦٠ من أبوين ينتميان الى الطبقة الوسطى "La Bourgeoisie" ولهذه التفاصيل اهميتها في فهم حياة الرجل وسياسته . فقد كان عمره عشر سنوات لما نشبت الحرب بين المانيا وفرنسا ورأى بعينيه شطراً من الاقليم الذي به مسقط رأسه يقتطع من ارض الوطن ويسلم الى العدو الغاصب. وسمع بأذنيه صيحات الحزن والالم تنبعث من قلوب مواطنيه ، فشب يحفظ في اعماق النفس هذه الذكرى الاليمة وينظر الى ناحية الحدود الالمانية القريبة نظرة الحقد والبغضاء

وكان الحكم الامبراطوري قد ساء بأمور البلاد وقام على انقاضه الحكم الجمهوري الذي شب الحيل الناشيء على حبه والتمسك بمبادئه . بيد ان هذا الحكم لم يلبث حتى هب عليه عاصفة الخلاف ولا تجيه فكانت مأساة نابليون الثالث مهزلة أعقب بعض حلقاته وبرونه ، ثم ملتها فضيحة بناما التي أودت بسمعة كبار الجمهوريين وكانت سبب القضاء الجمهوري . عندئذ عن على بوانكاريه وأصدقائه أن يروا الحكم في ايدي من لا يصونون كرامته وكرامة الوطن ، وكبر عليهم أن تغرق سفينة الجمهورية وتذهب ضحيته ضحايا بعض الفسدة والملاحين . وتبين بوانكاريه في نفسه الاستعداد والكفاءة فالقى بها في خضم السياسة يقتحم اللجج لعله ينقذ السفينة المشرفة على الهلاك

واقدر الرجال لا تقوم عند السنين . لذلك لم تمض على اشتغال الشاب بالسياسة سبع سنوات حتى كان عضوا بمجلس النواب ، ولم يبلغ الخامسة والثلاثين حتى كان قد شغل المناصب الوزارية ثلاث مرات

وكان يعرف لنفسه قدرها ولكفاءته مداها الواسع ويحسب ان لا يثق للسنون بخبرة الشاب : اشفقت عليه امه يوم رأته داهبا الى الوزارة لأول مرة وهو بعد حدث عمن الاهاب فقالت : « أني لأخشى يا بني ان لا تقوى كتفاك على حمل اعباء الحكم » فنظر اليها شزراً وقال : « اذاً ما الذي ستقوليه عندما تريني احمل فوقهما ما هو أثقل واعظم ؟ » . وكان يخطب يوما في مجلس الشيوخ فندد احدهم بشباب الوزير وقلة خبرته فزجر بوانكاريه وضرب المنبر بقبضة يده وصاح : « ايها الشيوخ ان الشباب عيب تودون جميعاً لو تبتلون به »

قلنا ان بوانكاريه ولد من أبوين ينتميان الى الطبقة الوسطى . وهي الطبقة التي تعيش

من استغلال الأرض الزراعية ومن ريع سندات الحكومة . لذلك يهمها قبل كل شيء ان تدار شؤون البلاد الداخلية ادارة حسنة نزيهة متحفظة . وقد ورث بوانكاريه عن الوسط الذي تربى فيه هذه النزعة في طريقة الحكم فصارت محور سياسته الداخلية وأملت عليه السياسة المالية التي اتبعها في سنة ١٩٢٦ لانقاذ فرنسا من الافلاس ، سياسة التوفير وحسن ادارة موارد الثروة الى البلاد

والطبقة الوسطى التي اكتسبت مبادىء فلاسفة القرن الثامن عشر ودرجت عليها وقامت الثورة الكبرى على الملاء والاشراف تطبيقا لها ، كانت ولا تزال تمقت سلطان الكنيسة على العقول واختلاط السلطة الروحية بالسلطة الزمنية وتعود الاكليروس في الدولة . وقد ورث بوانكاريه عن بيئته هذا المقت للكنيسة . وذلك يفسر حملاته العنيفة وملاءه للتواصل في سبيل فصل سلطانها عن سلطان الدولة

والمسيو بوانكاريه حاد على العمل يدر مثيله . فهو لا يبرح مكتبه الا في ساعة متأخرة من الليل ولقد يمضي اليوم كله والسهرة تتمها في مطالعة التقارير ومراجعتها وكتابة الملاحظات عليها وما من ورقة مكتوبة ترفع اليه الا ويقرؤها ويعلق عليها وما تقع حادثة تهمّ قيمتها أو كبرت لا ويطلب بياناً وافياً عنها يطلع عليه بنفسه ليبدي فيه رأياً حتى لقد صاح يوماً أحد معاونيه : « ان نشاط هذا الرجل سيقتلنا »

ويذكر معاشروه أنه في عهد احتلال الروور كان مكث في وزارة الخارجية حتى منتصف الليل ثم يبرحه الى داره فيصحب أحد موظفي مكتبه معه ويمضي حتى الصباح الاخير من الليل . ويروى المسيو لوفيفر أحد مساعدي مسيو مكسيم فيو أن بوانكاريه ان الرئيس طلب مرة الى جميع قناصل الدولة في المانيا ان يوافوه بتقارير مفصلة عن حقيقة موقف الرأي العام الالماني حيال احتلال فرنسا لوادي الروور وان هذه التقارير بلغت ستة أكداس مكدسة فظل يعمل معه على استيعاب ما فيها طول اليوم وما عاد دور أحد رملائه ليحل محله في العمل وقت السهرة اعتذر اليه هذا الزميل ورجا منه أن يستمر في العمل الساعة أو الساعتين الباقيتين . . . وصحب المسيو لوفيفر الرئيس الى داره وظل يقرأ له التقارير والرئيس يدون مذكرات على ورق أمامه حتى مدت طلائع الفجر فعلت على الدار وسقط التقرير من يده وظل يغط في نومه . فلما استيقظ الى ضوء الشمس يملأ الغرفة والرئيس لا يزال جالساً أمام مكتبه يقرأ ويكتب . وأراد الشاب ان يصدر فقاطعه بوانكاريه قائلا : دعم صباحاً يا بني . . . . اكتب الى قنصلنا في مدينة كذا . . . وقل له اني قرأت تقريره ثلاث مرات ولم اتبين منه ما أريد فليرسل الينا تقريراً أوفى »

والمسيو بوانكاريه حاد المظهر قليل التواصل شديد التحفظ في علاقاته بالناس الى حد الخشونة حدث ان جاءه شاب يحمل كتاب توصية من شخص كان يحسب نفسه صديقاً للرئيس ، وقد استهل كتابه بقوله : « يسرني ان أعتمد على صداقتك وان أقدم اليك فلاناً . . . » وهنا نظر بوانكاريه الى الامضاء وطوى الكتاب قبل ان يتم قراءته وقال للشاب : « قل لصاحب هذا الامضاء اني في حاجة الى من يقدمه الي » . . .

ويظهر ان المسيو بوانكاريه لا يفهم الا الأشياء المكتوبة . ويعرف ذلك منه مديرو الادارات في الوزارات فهم لا يعرضون عليه المسائل مشافهة بل يدونونها في تقارير يرفعونها اليه. وهو يفضل أن يقرأ الخطب التي تلقى في البرلمان على ان يستمع الى الخطباء وهم يلقونها . ويكتب بيده كل خطبه قبل ان يلقيها حتى ما يكون قد اقتبسه من كلام الغير أو من الكتب أو من قصاصات الصحف ، ثم يحفظ كل ذلك عن ظهر قلب ويستعين على الحفظ بذاكرة قوية يقول عارفو الرجل أنها تستظهر معظم الشيء بعد تلاوته مرة واحدة . ولعل اتجاه المسيو بوانكاريه الى الخطب المحضرة وتقيده بالموضوع المكتوب هما الأمران اللذان يجعلانه في الصف الثاني من صفوف معاصريه من كبار الخطباء في البرلمان الفرنسي ، أي بعد بريان وبيون وبنكور من الأحياء وبعد جوريس والكونت دي مان وفيفياني من الراحلين ، أما عظمته الخطابية فتنحصر في قوة المنطق ودقة التحليل ووضوح الشرح وسلاسة العبارة وحسن التركيب وفي الصدق الذي ينبعث من كل كيانه وهو يتكلم . ولو وهب هذا الرجل صوتاً جهراً من صوته الجهاف وطلاقه في اللسان وقدرة على الارتجال لكان أعظم خطيب عرفته الثالثة ، لذلك لا نهتش اذا رأيناه على شهرته الفائقة في عالم المحاماة لم يرض أن يشتغل بالمحاماة أمام القضاء الجالس واقتصر على الاشتغال بها في الشئون المدنية التي له فيها مرافعات ستظل موضوع اعجاب القضاة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها

والمسيو بوانكاريه رجل محافظ في مبادئه السياسية أكثر منه في عقليته حتى أشياء خصومه ورجل النصوص ، وهو لا يبدع في سياسته ولا في تفكيره معنى الحكمة التي توجب مراعاة أحوال الزمان والمكان في تطبيق النصوص القوانين أو معاهدات ويحب النظر إلى العام وإلى الأشياء من خلال النصوص ، فما دام القانون ينص على شيء فكل ما يريده القانون لا ما يقضي به الظروف المحيطة بالموقف . يدلك على ذلك تصرفه في صدد كاو ومالزو وشارل هنري ، وما دامت المعاهدة تنص على شيء فليكن ما تريد المعاهدة لا ما يقضي به تطور الاحوال . يدلك على ذلك تصرفه في تطبيق أحكام معاهدة فرساي وإقدامه على إحتلال وادي الرور . ومن أطرف ما قيل في وصف بوانكاريه من هذه الناحية قول المسيو بريان : « ليس بوانكاريه هو العدل والقانون ، وإنما هو المحكمة ومدرسة الحقوق »

"Poincaré n'est pas le droit et la justice, c'est l'école de droit et le palais de justice"

ولعل أغرب ما في صفات هذا الرجل أنه مزيج من القوة والضعف والهمة والتردد والشجاعة والاحجام . يضع المخطط الجريئة الناجحة ثم يظل يتردد في تنفيذها حتى تضيع الفرصة وفي ذلك يقول أناتول فرانس « ان بوانكاريه لهو الهمة طلقتها الشجاعة »

"Poincaré, c'est le divorce entre l'énergie et le courage"

ويقول بريان أيضاً : « إن بوانكاريه يجيد تفهم الموقف ولكنه يعجز عن أن يعالجه بما يلائمه ومثله في ذلك مثل من يجيد فهم القضية ولا يعرف كيف يحكم فيها »

على أن حب بوانكاريه للنصوص وشغفه بالتمسك بها قد جعلاه مرة حينما تذكر ورقة من

مستواها السياسي في نظر الدول إلى حد بعيد . فلقد كانت للمانيا في سنة ١٩١٢ وعاصمة أزمة أغادير تحاول أن تتصل من تعهدها السابق بالتجرد عن المطامع في مراكش وتلوح لوزارة كايو بالحرب إذا هي لم تنزل لها عن امتيازات جديدة في بعض مستعمراتها الافريقية . فلما أسقط كليمنصو الوزارة وتب رجل النصوص بوانكاريه الى الحكم معلناً في حزم وصراحة : « ان النصوص هي النصوص » وانه يتمسك بالتعهد السابق ولا يتحول عن منطوقه قيد شعرة مهما كانت النتيجة التي تترتب على هذا التمسك . ولقد هبطت حرارة الامبراطور عيوم أمام هذا التصريح الحازم وخفف غلواؤه وبدأت السياسة الاوربية تتجه اتجاهاً جديداً إذ شعرت الروسيا أن حليفتها « الجمهورية الفرنسية » بدأت تتعافى ، وأحست بريطانيا العظمى التي أقلقتها مطامع عيوم أن في فرنسا من يستطيع أن يقف في وجهه

والمشهور أن المسيو بوانكاريه كان السبب في نشوب الحرب الكبرى . وهذه مسألة فيها نظر . فاذا كان القائلون بذلك يرمون الى أنه أراد الحرب ودبرها فذلك غير صحيح . أما إذا كان المراد أنه كانت لسياسته الجريئة ولوطنيته الحادة ولتصريحاته الخطيرة أثر في التعجيل بالحرب فذلك هو الصواب بعينه

كان المسيو بوانكاريه يظن ان المانيا تريد الحرب ويظن إلى جانب ذلك أن لا سبيل الى تلافي الحرب إلا إذا شعرت المانيا بقوة فرنسا وحسبت لهذه القوة كل حساب . لذلك طفق ينادي بالمساواة ولغير مساواة وان فرنسا لا تخشى الحرب . ان فرنسا لا تخشى الحرب » ثم عمد الى البرلمان فانتزع منه بواسطة صديقه بارتو قانون تمديد مدة الخدمة العسكرية الذي رأت فيه المانيا خطراً جديداً عليها . ثم سافر الى سنت بترسبورج في شهر يوليو سنة ١٩١٤ وشجع الحرب مائلي أمام العالم وتعمد أن يقول للقيصر أمام سفيري النمسا وانصرف : « إن فرنسا ستكون وفية لحلفائها » ولا شك ان التلويح بالقوة وذكر التحالف والوعد بالوفاء له في ظروف كظروف شهر يوليو سنة ١٩١٤ إنما هو تعمد متعمد مكشوف . ثم عاد إلى باريس فلما سأله سفير المانيا عما يكون من موقف فرنسا إذا اشتبكت الروسيا والنمسا في حرب ، أجابه هذا الجواب الخاف : « إن فرنسا عندئذ تستوحي الظروف وتعمد إلى ما فيه صون مصالحها »

الحق ان المسيو بوانكاريه يحمل نصيبه من تبعة الحرب وانه لنصيب وافر وما كانت المجلدات الضخمة التي كتبها في تفنيد ذلك محجدية في دفع هذه الحقيقة ، وهي أنه لو كان على رأس الجمهورية الفرنسية في سنة ١٩١٤ رجل كريان أو كايو لسارت الأمور في مجرى غير الذي سارت فيه أو على الأقل لاستنفدت فرنسا كل الوسائل المؤدية إلى حفظ السلام قبل أن تعمد إلى الحرب وتشهر السلاح

وإذا كان الدستور الفرنسي قد شل سلطة رئيس الجمهورية ولم يجعل منها إلا مظهراً فخماً غير ذي أثر عملي في تسيير الشؤون فان المسيو بوانكاريه قد انحرف عن مقتضيات الدستور في عدة مناسبات واتخذ لنفسه موقفاً إيجابياً في كثير من الظروف حتى أنه كان يتدخل في أعمال مجلس الوزراء وفي أعمال مجلس الجيش تدخلا حاسماً في بعض الشؤون . دخلت فرنسا الحرب وليس في يدها عهد من حلفائها بارجاع الالزاس واللورين اليها فجعل المسيو بريان في سنة ١٩١٧ على أن

يكتب مذكرته المشهورة إلى الحكومة البريطانية يبين فيها الاغراض التي اشتركت فرنسا من أجلها في الحرب وأولها وأهمها استرداد المقاطعتين . والمسيو بوانكاريه هو الذي حمل مؤتمر فرساي على تحديد ديون المانيا ووضع الضمانات لسدادها ، وهو الذي حمل المؤتمر على تقرير المحافظة على سلامة فرنسا من الاعتداءات المقبلة . ولو استمع كليمنصو الى كل ما كان المسيو بوانكاريه يوعز به الى الوفد الفرنسي لخرجت معاهدة فرساي من أيدي واضعيها غير صالحة للبقاء ولا للتنفيذ ولأثارت العالم على فرنسا

وإذا كان المسيو بوانكاريه قد أعلن غير مرة احتقاره لمعاهدة فرساي لأنها غير مترعة بالضمانات اللازمة لفرنسا عن ذلك لم يمنعه من التمسك بها لأن المسألة مسألة « نصوص » والنصوص واجبة الاحترام . ولقد تبين له استحالة قيام المانيا بتعهداتها المالية ولقد عبر بنفسه كيف تكون الاستحالة لما عجزت فرنسا عن القيام بتعهداتها للولايات المتحدة ولكنه ظل رغم ذلك يلح ويلحف ويتشدد في مطالبة المانيا بما تقضي به « النصوص » . تنص المعاهدة على الدفع فيجب على المانيا أن تدفع . وفي المعاهدة شروط جزائية فيجب أن تطبق الشروط الجزائية . أما كيف تدفع المانيا وماذا تكون نتيجة تطبيق الشروط الجزائية فمسائل لا شأن لها بالرجل ولا تدخل له في حساب وهنا يصدق عليه قول بريان : « إنه ليس العدل ولا القانون ، وإنما هو صكه ومدرسه الحقوق »

ولقد أتى على فرنسا حين من الدهر شعب فيه هذه الدعاية العاتية ، وشعت تلك الرحلات الأسبوعية التي كان يقوم بها إلى لندن وإنجلترا حتى ذكرت موعد الحرب فيذكي الاحقاد وروح الانتقام ، وشعت تلك العزلة التي ألفت نفسها فيها بعد أن باعد ما بينه وبوانكاريه بينها وبين حلفائها ، وشعت مظاهر التحدي التي تجلى في كل مصرعات رئيس حكومة حتى بدت فرنسا في نظر العالم كأنها عدو السلام ، شعت كل ذلك فاتهمه بالتحدث سنة ١٩٢٤ أنه اصبحت لا تريده وان خير ما يفعل أن يرحل ، فيرحل

ولقد ظن الناس أن حياة المسيو بوانكاريه السياسية قد انتهت ، أو على الأقل لن تقوم له قائمة ما دامت الأكثرية الاشتراكية قائمة . ولكن الحياة النيابية في فرنسا شيء عجب . فان أحزاب اليسار التي سرحت بوانكاريه وطردت في أثره ميلران من رياسة الجمهورية لخصامه وإياه في السياسة ، عادت لما اشتدت بفرنسا الصدمة المالية في سنة ١٩٢٦ واستدعته الى الحكم في توسل وابتهال . وهكذا قدر لبوانكاريه أن يستعيد سالف مجده وصموده وأن يقيم الدليل مرة أخرى على استحقاقه لتقدير الوطن

والآن والمسيو بوانكاريه بعيد عن الحكم اختياراً لا كرهاً لا تزال فرنسا تعقد عليه الآمال وتنظر اليه نظر الخليل الى الطبيب وحسب الرجل عظمة وعداً أن أمته التي اختلفت في تقديره وفي الحكم عليه عادت اليوم تجمع على أنه للنقد والرجل الذي لا بد منه

اكتشاف سيار جديد بين الافلاك

بعد بحث ربع قرن

كان العلماء منذ خمس وعشرين سنة يبحثون عن سيار يعتقدون أنه أحد من جميع السيارات المعروفة . وكان الاستاذ برسيفال لويل الأميركي في مقدمة القائلين بوجود هذا السيار قبل أن يشاهده أحد . وبلغ من اهتمامه به أنه بنى له مرقبا (تلسكوبا) خاصاً وظل يرصده في مرصده عدة سنوات ويبحث عنه بين الافلاك وهو واثق كل الثقة بأنه موجود ، الى أن أتيح لشاب اميركي من موظفي مرصد لويل ان يكتشفه على الزجاجة الفوتوغرافية حينما كان يصور الافلاك ذات ليلة

ولا حاجة الى وصف وقع هذا الاكتشاف في الدوائر العلمية والمراصد الفلكية فقد تلقته جميعها باهتمام لا مزيد عليه وعدوه أعظم مكاوٍ أدبيه للاستاذ لويل الذي ظل أعواماً كثيرة يقول بوجود هذا السيار ويبحث عنه بين الافلاك

والجدال لا يتسع شرح الاسباب التي حملت هذا الاستاذ وغيره من علماء الفلك على القول بوجود هذا السيار . وانما نقول ان جاذب جديد الافلاك و أثر بعضها في البعض الآخر جعل أولئك العلماء يقولون بوجود السيار أي انهم حكموا بوجوده لما بدا لهم من تأثيره في الافلاك المجاورة له . ومع ذلك لم يعثروا عليه إلا في شهر فبراير الماضي

فاكتشاف هذا السيار هو إذن نصر جديد للعلم — ولا سيما علم الرياضيات الفلكية — وانا لنعجز عن وصف الارتياح الذي يشعر به عالم كالأستاذ برسيفال لويل قضى السنين الطوال وهو يقول بوجود السيار الى أن ثبت قوله

قلنا إن الذي اكتشف السيارة هو شاب من موظفي مرصد لويل . واسم هذا الشاب « كلايد طمباو » وهو من هواة علم الفلك أولع به منذ بلوغة أطفاره ثم دخل مرصد لويل فأظهر جداً ونشاطاً عظيمين وصار يسهر الليالي الطوال يرصد الافلاك ويصورها الى ان وفق في الثامن عشر من شهر فبراير الماضي الى اكتشاف أثر السيار المنشود على زجاجة فوتوغرافية فكان فرحه عظيما جداً

على أن مرصد لويل لم يسعه أن يصدر بياناً عن هذا الاكتشاف قبل أن يثبت له ثبوتاً قاطعاً . فظل موظفوه يبحثون ويدققون الى ان زال منهم كل شك . فأعلنوا في ١٤ مارس الماضي خبر

اكتشاف السيار وأرسلوا بلاغاً عنه الى جميع مراصد العالم . إلا انهم لم يسموه باسم معين حتى الآن وانما هم يشيرون اليه موقتاً باسم « السيار الذي وراء بنتون » لأنه يبعد كثيراً عن بنتون الذي كان أبعد السيارات المعروفة حتى الآن

وقد جرى لأحد الصحافيين الاميركيين حديث مع الشاب كلايد طمبو عن اكتشاف هذا السيار . فأعرب له الشاب عن شدة اغتباطه بالاكتشاف . ولم يدع لنفسه فضلا بل قال : إن حسن الحظ هو الذي وفقه الى الاكتشاف وان الفضل الأعظم هو للاستاذ لويل الذي أنبأ بوجود السيار قبل أن يشاهده أحد . وقال الدكتور شابلي مدير مرصد هارفرد بأميركا إن اكتشاف هذا السيار هو انتصار جديد لعلم الرياضيات الفلكية لأنه أثبت أن هذا العلم قائم على أسس راسخة

ويظهر أن أول ما لفت نظر الأستاذ لويل الى وجود هذا الجرم العلوي هو ما شاهده من التأثير الغريب في أحوال السيار بنتون . علم ان ذلك التأثير هو من سيار عين موقعه بوجه التقريب . ومع ذلك لم يستطع العلماء العثور عليه الا بعد مرور اعوام كثيرة

السيارات وأبعادها

لا يخفى ان السيارات المعروفة والتي هي أعضاء النظام الشمسي — ما عدا السيار الجديد الذي نحن بصدده — عديدة . وهذه أسماؤها ومتوسط أبعادها عن الشمس .

١ — عطارد	ومتوسط بعدها عن الشمس	٣٦٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل
٢ — الزهرة	» » » »	٦٧٫٢٠٠٫٠٠٠ »
٣ — الارض	» » » »	٩٢٫٩٠٠٫٠٠٠ »
٤ — المريخ	» » » »	١٤١٫٥٠٠٫٠٠٠ »
٥ — المشتري	» » » »	٤٨٣٫٣٠٠٫٠٠٠ »
٦ — زحل	» » » »	٨٨٦٫١٠٠٫٠٠٠ »
٧ — اورانوس	» » » »	١٫٨٨٢٫٨٠٠٫٠٠٠ »
٨ — نبتون	» » » »	٢٫٧٩٣٫٥٠٠٫٠٠٠ »

أما السيار الجديد — ولنسمه موقتاً سيار لويل — فلم يتمكن العلماء من رصده حتى الآن ولكن المظنون أن متوسط بعده عن الشمس لا يقل عن ثلثمائة آلاف مليون ميل أي انه أبعد من حاره عد لا يقل عن الف ومائتي مليون ميل

كان العلماء حتى القرن الثامن عشر يقولون ان السيارات ستة ترى جميعها بالعين المجردة . إلا ان هرشل الفلكي الانجليزي المشهور عثر في سنة ١٧٨١ على سيار سابق أطلق عليه اسم اورانوس . وفي سنة ١٨٤٦ عثر ليفريه الفلكي الفرنسي على نبتون وكان جون ادمس أحد طلبة

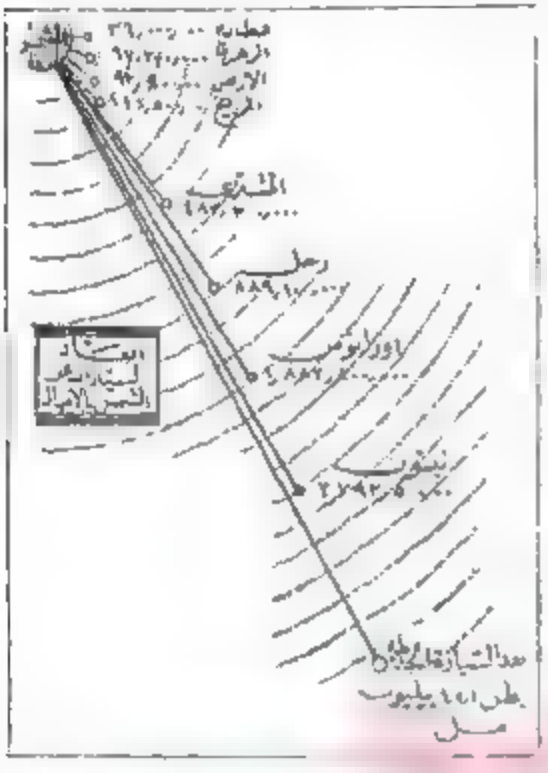

جامعة كمبردج بانجلترا قد أنبأ بوجود هذا السيار بسبب ما وصفه من التغيرات في فلك اورانوس

وظل علماء الفلك يرصدون السيارات والأجرام العلوية حتى رأوا في فلك بنتون آثاراً لم يستطيعوا معرفة سببها ولكن الأستاذ لويل أدرك أن تلك الآثار لا بد أن تكون ناشئة عن وجود جرم علوي يبعد نحو ارسة آلاف مليون ميل عن الشمس وظل متمسكا بنظريته هذه خمساً وعشرين سنة الى ان ثبتت

على أن هذا السيار لا يمكن أن يكون فيه أثر للحياة لأنه ما زال في حالة سديمية كالسيارات بنتون واورانوس ورحل. ولا ينتظر أن تمر أشياء كثيرة من حالته الداخلية قبل مرور دهور

ولا حاجة الى القول ان السيارات هي في بعد تام لاجرام العلوية لان اثنين منها على الاقل يصلحان في الوقت الحاضر لحياة . وذلك يقف في الناس موقوف على كل ما يستجد من ارصاد السيارات . والاثبات بصبحه بل في القول ان احياء غير محصورة على الكرة الارضية وانها توجد في غيرها من الاجرام

قلنا ان متوسط بعد نبتون عن الشمس هو ٢ ٧٩٣ ٥٠٠ ٠٠٠ ميل وان كرتنا الارضية لا تبعد عن الشمس سوى ٩٢ ٩٠٠ ٠٠٠ ميل ونبتون يتلقى جزءاً من سبعمائة جزء من نور الشمس . ولذلك يعتقد العلماء ان ما يتلقاه « سيار لويل » الجديد من نور الشمس لا يمكن أن يزيد على نور القمر. وهذا يجعل درجة الحرارة فيه أحط مما هي في نبتون ويجعل عنصر النتروجين فيه صلباً وعنصر الأوكسجين صلباً أو على الاقل شبه غاز كثيف . ومعنى ذلك ان السيار الجديد غير صالح للحياة (اذا فرضنا ان شروط الحياة يجب أن تكون متماثلة في جميع السيارات والاجرام العلوية)

أما دورة السيار الجديد حول الشمس فتستغرق من ثلاثمائة سنة الى ستمائة مع ان دورة الأرض حول الشمس تتم في سنة واحدة

ومما ساعد على البحث عن موقع السيار الجديد مبدأ علمي مقرر وهو ان مراكز السيارات تتغير بخلاف مراكز النجوم (أي الشموس) فانها تظل ثابتة نسبياً . وكان علماء الفلك في بحثهم

عن السيار الجديد يراقبون مراكز الاجرام العلوية ويصورونها بالزحاحة الفوتوغرافية الى أن أبصروا جرماً منها يغير مركزه من وقت الى وقت . فبعد رصده علمياً ثبت لهم انه سيار لوبن للنقود

ولا شك ان اكتشاف هذا السيار دليل جديد — اذا كان الامر يحتاج الى دليل — على دقة نظام الكون وحركاته وعلى ان ناموساً واحداً يشمل حركاته وعلى ان الاجرام العلوية مرتبط بعضها ببعض ولا بد من قوة عاقلة مسيطرة عليها . لان نواميسها وحركاتها الدقيقة المنتظمة لا يمكن أن تكون من وضع قوة غير عاقلة . ومهما أوغلنا في فضاء هذا الكون نجد الافلاك جميعها خاضعة لنواميس مماثلة ولا يمكن أن نصل الى موضع من الفضاء غير خاضع لتلك النواميس والى موضع تسود فيه الفوضى والمتناقضات

هل من حياة في غير هذا العالم

وهنا يعرض لنا السؤال الذي لا بد أن يعرض لكل من يفكر في الافلاك وهو : هل في السيارات وفي غيرها من الاجرام العلوية أثر للحياة ، أم ان الحياة مقصورة على أرضنا فقط ؟

والجواب عن هذا لا يمكن أن يكون قطعاً إلا بالنسبة الى النجوم (أي الشموس) وغيرها من الاجرام التي لا يمكن أن تكون لهم [illegible] النجوم — وهي شموس ملتهبة — لا تصلح للحياة وبعض السيارات التي ما زلنا في حاجة عن — كالزهرة والمريخ — هي بهذا الاعتبار كالشموس على ان هنالك اجراماً علوية [illegible] جميع البراهين على انها صالحة للحياة . وأمثال هذه ليس من العدل أن ننفي عنها الحياة نفياً

ترى ما الحكمة في قصر الحياة على كرتنا الارضية فقط وهي ليست أكبر من غيرها ولا أقدم ولا أفضل بل هي واحدة من ألوف الملايين التي [illegible] في هذا الفضاء فضلاً عن ذلك ان قصر الحياة عليها فقط ليس من الحكمة في شيء لانه لا ينطبق على ناموس الاقتصاد الارلي . وناموس الاقتصاد الارلي يؤكد لنا ان القوة المبدعة (وان شئت فسمها الطبيعة) لم توجد شيئاً في هذا الكون إلا لغاية معينة . فهل هي أوجدت ألوف الملايين من الاجرام العلوية وأطلقتها تسبح في الفضاء لكي يلهو سكان كرتنا الارضية بمشاهدتها ؟ ان في ذلك تبذيراً لا مبرر له

أما القول بان شروط الحياة غير متوافرة في الاجرام العلوية فلا تقوم له قائمة . إذ ليس من الضروري أن تكون شروط الحياة في جميع الاجرام مماثلة . وما أدرانا ان الكائنات الحية في بعض الاجرام العلوية (على فرض وجودها هناك) لا تتألف من الأوكسجين والماء مثلاً أو انها تستطيع أن تعيش في درجة من الحرارة لا تتحملها الحياة على هذه الارض ، أو في درجة من البرد لا طاقة للبشر به ؟

لقد أثبت العلم أخيراً ان بعض الميكروبات لا تقتلها الحرارة في درجة الغليان ولا البرد تحت درجة الصفر . فلماذا لا يجوز لنا أن نفرض ان في بعض الاجرام العلوية أنواعاً حية تحتمل الحر

والبرد في أقصى شدتهما وتستغني عن بعض عناصر المادة التي لا نستطيع نحن الاستغناء عنها ؟

ولنسلم جدلاً ان جميع الاجرام العلوية خالية من أثر الحياة ما عدا كرتنا الارضية . ونحن نعلم ان كرتنا الارضية آئلة الى الزوال وانها سوف تبرد بعد ملايين السنين بحيث لا تبقى صالحة للحياة . فهل اذا انقرضت منها الحياة تظل جميع الافلاك دائرة في الفضاء دورتها الاعتيادية ولا أثر في احداها للحياة ؟

ان هذه الفكرة وحدها تجعلنا نسلم بان الحياة لا بد أن تكون باقية خالدة . فاذا انقرضت في جرم فلكي ظلت مستمرة في غيره الى ما شاء الله

خطر التطعيم ضد الجدري

المرض الغريب الذي يعقب التطعيم وماذا عملت انجلترا لاجتنابه

منذ نحو سبع سنوات خص البروفسور مكنوتن والبروفسور تربول من مشاهير أطباء لندن سبعة أشخاص توفوا بعد تلقيحهم بالقاح معد بمعمل حكومي وكان فحصهم قد تم بناء على طلب وزارة الصحة فكتبا تقريراً يقولان فيه إن سبب وفيات التطعيم لا غير وان الاشخاص كانوا على تمام الصحة قبل دخول القاح الى دمهم .

وعلى أثر هذا التقرير عينت وزارة الصحة لجنة عرفت باسم لجنة السرور لدرس مسألة التطعيم كلها فكتبت تقريراً طويلاً جاء فيه أنها درست حالة ٦٢ اصابة بالمرض النومي (١) على أثر التطعيم ضد الجدري وانه توفي ٥٦ من المصابين . ثم بعد تحقيق دقيق . وبعد ذلك بسبع سنين عينت لجنة أخرى وأصدرت تقريراً مدهشاً قالت فيه بصريح العبارة إن طريقة التطعيم الحاضرة مفعمة بالخطر وانها عثرت على ٣٠ اصابة بالمرض النومي وتوفي ١٦ من المصابين

وأشارت بأن يكون التطعيم على هذه الطريقة وهي أن يجرح الذي يراد تطعيمه جرحاً صغيراً يوضع عليه مصل اللقاح ممزوجاً بالماء بدلاً من الطريقة المتبعة وهي جرحه أربعة جروح كبيرة يوضع عليها لقاح قوي . فلم تعمل وزارة الصحة بمشورة اللجنة الا بعد مرور سنة من كتابة تقريرها توفي في خلالها كثير من الملقحين بالمرض النومي

وقد اطلعنا على مقالة بعنوان ضحايا التطعيم يقول فيها كاتبها : وكانت وزارة الصحة قد عينت لجنة سنة ١٩٢٤ تحقق مسألة اصابات المرض النومي الحادثة بعد التطعيم . ولم يسمح لصحف انجلترا

---

(١) هو غير مرض النوم المعروف باسم Sleeping Sickiness في الانجليزية والحادث من لدغ ذبابة تسي تسي . ويفرق الانجليز بين الاثنين فيسمون هذا Sleepy Sickness وهو التهاب في الدماغ واسمه العلمي Encephal tis وقد عينا المرض النومي لتفريق بينه وبين مرض النوم

الموسيقى عند قدماء المصريين

اطوارها ومبلغ رقيها في العهد القديم

وادب خاصة الحكومة في العهد الاخير من الاسرة [illegible] عصر ، وستقدم الموسيقار زاكي العالم الالماني هذا الفرض الخطير من الاسناد عود الحي المتحرج من متوسط الوتر في المتاحف بباريس . وقد رأينا ان نمهد للموضوع لانه من محاضرة الاستاذ الحفني التي القاها في معهد الموسيقى الشرقي عن الموسيقى المصرية ومبلغ رقيها في العهد القديم

الموسيقى كغيرها من الفنون الجميلة من أمة ما تترجم عن نفسية الشعب وطبائعه ، وترسم لنا صور شعوره الناشئة من مناهج وآلام ، وأفراح وأحزان . وهي بهذه العواطف التي يشترك فيها جميع أمم العالم شرقيها وغربيها بأجناسها المختلفة . بل هي الفن الوحيد الذي يطرب له الحيوان الاعجم كما يطرب له الانسان . لذلك نرى ابل للموسيقى طبيعيا نشأ منذ نشأ الانسان والحيوان ، فكلاهما كان يطرب في العهود الاولى للاصوات الحية والدقات المنتظمة أيا كانت في صفير الريح ، وخرير الماء ، وغرات الطير على أوراق الاشجار

أحراس (منتصب وراس) بعضها غير مملوء وبعضها من العصر المتأخر

وقد دفع هذا الميل الانسان الى العناية بالموسيقى لما لها من التأثير الخطير الذي يرتاح اليها ، وأخذ يتلمس بعض الادوات ليحدث منها آلة ذات صوت جميل تعبر عن شعوره وعواطفه حتى كانت عصور المدنية الاولى وظهرت الحضارة المصرية القديمة التي هي منبع حضارة العالم فارتقى الموسيقى القديمة عصر وبلغت شأوا عظيما في عهد الدولة المصرية الحديثة أصبحت فيه المثل الأعلى للموسيقى في العالم ، كما تشهد بذلك الآثار الفنية التي عثر عليها الباحثون في أرض الفراعنة

واذا ما عالجنا موضوع الموسيقى عند قدماء المصريين ، فاننا عالجه في أقدم أمم العالم حضارة موسيقية ، ذلك لأننا سنرجع مع التاريخ الى أبعد ما يمكن ان يكشف لنا عنه لكان أقصى ما نصل اليه في هذا البحث هو الالف الرابع قبل الميلاد حيث نرى في مصر مدنية موسيقية صحيحة ، وآلات موسيقية تخطت طور النشوء ونمت تامة كاملة

موسيقى الدولتين القديمة والوسطى

عزف الناي (الدولة القديمة)

ويقسم المؤرخون الأسرات الملكية الى ثلاث طبقات،وهي : الدولة القديمة ، والدولة الوسطى ، والدولة الحديثة

وعند ما نستعرض الصور الموسيقية التي خلفتها لنا الدولة القديمة في نقوشها نجد أنفسنا أمام مدنية موسيقية غاية في الرقي والتهذيب . ففي هذه النقوش نرى فرقاً موسيقية منظمة تقوم بالغناء والترتيل وتتكون عادة من ثلاثة أقسام . وهي المغني ، وعازف الناي ، وعازف الجنك . وكثيراً ما يتكرر أفراد هذه الأقسام الثلاثة حتى نرى في بعض الصور ما لا يقل عن ثمانية من عازفي الناي وحده

المغني

وقد كان المغني يجلس أمام عازف الصولجان وبجانب عازف الناي ، وهو يلوح بإحدى يديه في الهواء يتبع حركات إيقاع الغناء وترتيب ألحانه . وبذا نجد العازف في أغلب الأحيان جالساً تجاه المغني مقتفياً حركاته

ويعتبر علماء الموسيقى في أوربا أن حركة اليد في الغناء المصري القديم هي أصل التدوين الموسيقي « كتابة النوتة » . وكان الغناء عند قدماء المصريين على النحو الذي نشاهده الآن في البلاد الشرقية : يمسك المغني عيدانه هيلا ويمسح أنفه ويشد عضلات فمه مع مد رقبته ، وكان من عادته أن يضع كفه بجانب أذنه كما هي الحال عند بعض المغنين الآن

الناي

وهو من آلات النفخ،وتألف هي قصبة من الخشب ليس لها سوى للفم ، ويقرب طولها من المتر وقطاعها ما بين سنتيمتر واحد وسنتيمترين،وهي مفتوحة الطرفين وعلى سطحها عدة ثقوب تتراوح بين الاثنين والستة ـ وطريقة استعمالها أن يجلس العازف كما يجلس المغني ، ثم يمسك بالآلة مائلة من الفم

جنك وعود ومزمار مزدوج (الأسرة الثامنة عشرة)

الى اليمين تارة والى الشمال تارة أخرى متجهة الى أسفل

عازفة الجنك (من نقوشات الاسرة العشرين) متحف برمنجهام الثالث

الزمارة المزدوجة

وهي عصا من الخشب ذات ثقوب ينفخ فيه العازف ، وكانت تستعمل دائماً مزدوجة بان تثبت زمارتان جانب بعضهما بحيث تكونان متوازيتين . وتستخدم عند استعمالها السبابة والوسطى ، وأما الخنصر والبنصر فيسندان الآلة من الخلف والابهام يسندها من الامام ، وفي كل زمارة أربعة ثقوب كما يشاهد الآن في الآلة المحفوظة بالمتحف المصري ببرلين

الجنك أو الهارب

وهو من الآلات الوترية ، وقد أحسنت الدولة الحديثة صنعه واستعماله حتى وصلت الى درجة عظيمة في الدقة والاتقان . وكان من النوع المسمى « الجنك المنحني » أو « الجنك القوس » ، وذلك لان رقبة هذه الآلة كانت منحنية

وتختلف آلة الجنك عن سواها من الآلات الوترية بان أوتارها في مستوى عمودي على صندوقها الصوت وليس موازياً له كما هو الحال في الآلات الوترية الاخرى . وقد كانت أوتار الجنك تصنع من ليف النخل ولونها أحمر يضرب الى السمرة ، وتثبت من جهة في حامل متصل بالصندوق المقوس ، ومن الجهة الاخرى تثبت في أوتار قصيرة . وكان عدد هذه الاوتار في الدولتين القديمة والوسطى يتراوح بين أربعة وسبعة فقط

جانات وأذرعة محفظة

الاوتوت القارعة

وقد كان لهاتين الدولتين كثير من الآلات الموسيقية الاخرى

الصفقات والنقرات والسحاليل والخلاخل والصنوج الخ. وكان يعمل لتسهيل الاتقاع في الموسيقى والرقص. وهذه الآلات من أقدم الآلات الموسيقية في العالم. ومنها النفخ الصفقة والأبواق الصفقة والأنواح والزمور الصفقة. وبجانب هذه الآلات كان المصريون يستعملون آلات كالأجراس خاصة بالعبادة يسمونها السترووم، وهي على شكل مقبض تعلوه قرص. ولكنها مقفلة من أثر جهاتها، ويخترق جانبيها عدة قضبان حديدية تحدث حركة الآلة كلها فتسمع لاستخدامها بها صوت كصوت الأجراس

موسيقى الدولة الحديثة

انتقلت مصر في خلال هذا العهد بعبادته الأسيوية احتلالاً وتعاقب الغزوات التي قام بها ملوك الأسرة الثامنة عشرة. فانتقل الكثير من المدنية الأسيوية الى مصر. فأثر ذلك في الموسيقى تأثيراً قوياً. وأصبحنا نرى في بلاط الملك فرقتين احداهما مصرية والأخرى أسيوية، واختفى الجدوف والعاشه وغيرها من صفات الموسيقى القديمة، وظهرت موسيقى جديدة ذات صفات تخالف الصفات الأخرى وتعملت الآلات الموسيقية. وما بقي منها دخله كثير من التغيير. فتعددت أنواع آلة الجنك وكبر حجمها. وزاد عدد أوتارها كثيراً. وعم انتشار آلة الكنارة، وحل المزمار المزدوج محل الناي. وأصبحت المغنية في موسيقى النساء من الرقيق

العود

وهو آلة وترية ذات صندوق مصوت مقوس الشكل على شكل خنزوان، وله رقبة طويلة من الخشب تخترق الصندوق المصوت من داخله. أما وجه الصندوق فله غشاء يلصق فيه بواسطة مسامير من الخشب، وتركب فوقه أوتاره. وفي وسط صندوق العود قطعتان من الخشب موضوعتان بشكل أفقي بالنسبة لرقبة العود وكان المصريون يضربون على هذه الآلة بريشة، ولا زالت موجودة باسم عصا الطنبور (برق) وهي عيدان طويلة الرقبة

عازف الطنبور (من نقوشات الدولة الحديثة) في طيبة

الجنك

كثرت آلة الجنك في الدولة الحديثة عما كانت عليه في الدولتين السابقتين، وزاد عدد أوتارها حتى وصل الى ثلاثة عشر أو أربعة عشر، وبلغت أحياناً تسعة عشر وتراً، وكبر الصندوق المصوت تبعاً لذلك

وأرقى ما وصلت اليه صناعة تلك الآلة في الأسرة العشرين. نشهد بذلك صورة جميلة تمثل آلتين من

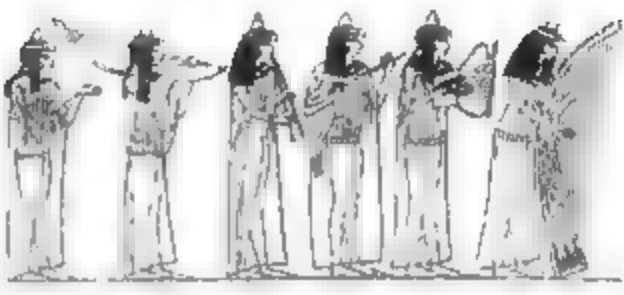

مصفقة ، سلك كنارة ، مزمار مزدوج ، طنبور ، كنارة ، بلك مرتكز (نقوش المقبرة الحديثة)

بالملك ، هما في حجمهما أكبر من الانسان ، وقد اردنا بأنواع الجواهر والحلى الثمينة ، وينتهي صندوق أحدهما بصورة رأس أبي الهول لابس تاج الوجه القبلي ، وينتهي صندوق الثاني بصورة رأس أحد الآلهة

الكنارة (لير أو لاير)

وتسمى بالهيروغليفية « كنر » وهي آلة وترية مصنوعة من الخشب ، وأوتارها موازية لصندوقها وقد ثبتت في إطار خشبي غير منتظم في بعض الاحيان . وطريقة استعمالها أن تحمل حملاً أفقياً أمام الصدر وتعزف جهة اليمين لاوتار من جهة ، وتضرب عليها اليد الاخرى من الامام بالمزهر

وقد عثر في نقوش الاسرة الثامنة عشرة على أنموذج عربي من آلة الكنارة يوضع على الارض اثناء العزف ويضرب عليه رجلان بأيديهما الاربع في وقت واحد ، وبهذا يحل للمصريين أنهم أول من استعمل آلة موسيقية تعزف عليها أربع أيد في وقت واحد

الآلات القارعة

منها الصاجات ولها نماذج موجودة الآن في المتحف البريطاني ، وكانت هذه الصاجات تستعمل بلا حامل أو يحامل على شكل مقبض شبيه بما نسميه الآن بالمقرعة ، ومن هذه الآلات القارعة الطبول وتسمى بالهيروغليفية « سر » في العهد القديم ، و « دبن » في العهد المتأخر

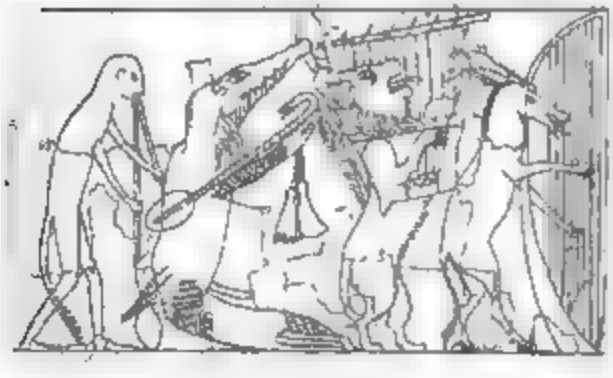

الموسيقى على لسان الحيوان (مزمار مزدوج وطنبور وكنارة وصنج)

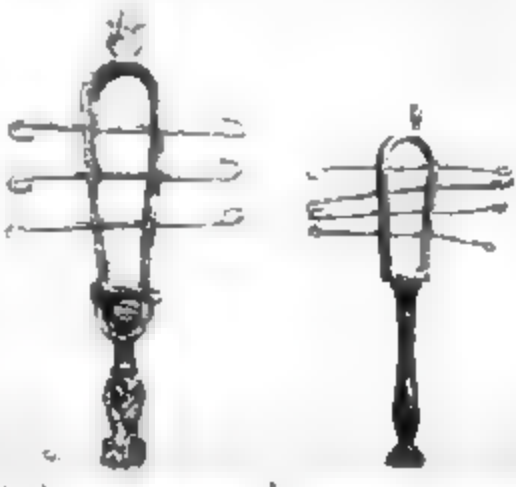

السرنوم المصري في العصر المتأخر من عصر اليونان والرومان

أما الدفوف فقد كانت خاصة بالنساء تستعملها في الرقص ، وكانت على عدة أشكال منها المستديرة ومنها المستطيلة وكذلك كانت النساء يستعملن في الرقص طبلة تسمى « طبلة البازة »

المزمار المزدوج

وهو الذي حل في الدولة الحديثة محل الناي القديم ، ويتكون من مزمارين يتصلان في جهة الفم ثم يفترقان ويزداد افتراقهما كلما بعدا عن الفم . والمزمار الأيمن يقود اللحن بينما يظل الآخر ثابتاً على نغمة واحدة لا تتغير كما هي الحال في الارغول المصري الآن

البوق

ويصنع من المعدن الأصفر على شكل مخروطي مبيلاً . وهو لا يعطي غير نغمة واحدة وحواشيها ، ولذلك لم يكن مستعملا إلا في إعطاء الاشارات في الحروب ، ويظن أنه كان مستعملا عند قدماء القرابين . وأول ظهوره كان في الدولة الحديثة إذ عثر على أول صورة له في نقوش عصر تحتمس الرابع

الرقص القديم

ولما كان الرقص فناً متكملاً للموسيقى وجزءاً تاماً لها وجب ألا نغفل ذكر شيء منه على سبيل الايجاز . فقد كان الرقص عند قدماء المصريين رمزاً للمسرات والافراح فلم يخل منه عيد من الاعياد ، وكان رقص الدولة القديمة من النوع المسمى « الرقص الجميل » وتقوم به النساء في البيوت لمسرات أسيادهن ، وكان رقصاً مهذباً راقياً بطيء الحركة تدير فيه الراقصات إلى الأمام وقد اتخذن

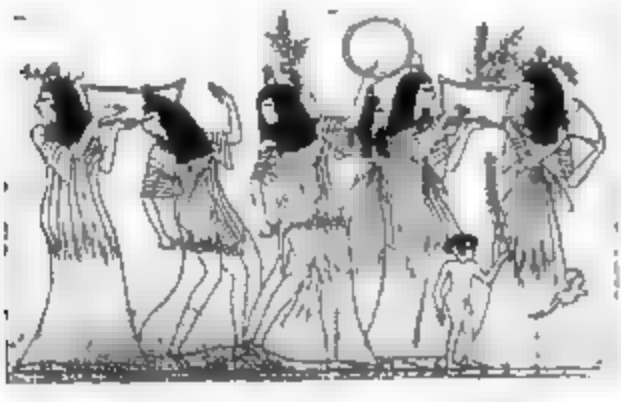

عازفات الطبول (من نقوشات الاسرة الثامنة عشرة)

طاقم الموسيقى أمام اوزريس (عهد الرعامسة)

جميعهن في اتجاه واحد على هيئة صف منتظم واحدة خلف الأخرى . وقد تضع كل راقصة يديها مفتوحتين فوق رأسها تارة ، أو قد تراعد بهما الى أعلى ، وتضع يدها اليسرى على خصرها من الخلف . وقد يصل عدد الراقصات في هذا النوع الى اثنى عشرة ومعهن ثلاث نساء أو أربع لا عمل لهن إلا التصفيق بأيديهن لحفظ الايقاع الموسيقي وتنشيط الرقص

ولم يخل الحال في الدولة القديمة من وجود الرقص السريع أحياناً كما كان يعمل الرجال حركات سريعة وهم يمسكون قطع خشبية يقرعون الواحدة منها بالاخرى . وقد عثر الأثريون على نقوش للاسرة الخامسة تمثل نساء يرقصن جماعات رقصاً نشيطاً يصارع أحدث أنواع الرقص في أيامنا

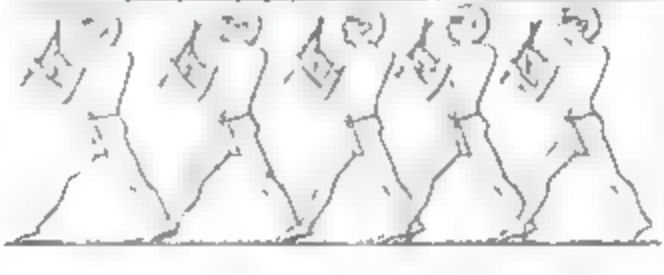

رقص الحصاد بالقصبان المستفاد من نقوشات الاسرة الخامسة

رقص العصور الحجرية (الدولة الوسطى)

الحاضرة وهو ما يسميه الاوربيون الآن « بالية » . وهناك نوع آخر من الرقص وُجد في عهود الدولة الوسطى ، وهو ما نسميه في العصر الحاضر (بالصور الحية) ونرى صور هذا الرقص في مدافن « بني حسن » ، وهو نوعان . نوع يسمونه « تحت الاقدام » ، وذلك بأن تمثل احدى الراقصات ملكاً [illegible] وتركع على احدى ركبتيها في هيئة خضوع وتمسك الاولى [illegible] وهي واقفة في هيئة الانتصار « امامه »

والنوع الثاني هو ما يسمونه « الوتد » ، وفيه تأتي احدى الراقصات ظهرها الى الخلف حتى تصل بكلتا يديها الى الارض على شكل حلقة أو وتد ، ثم تميل راقصة ثانية بجسمها على الراقصة الاولى بحيث تصل يديها الى صدرها ، وتأتي ثالثة من الجهة المقابلة هاتين الراقصتين ، وتمد ذراعيها الى الامام محاذيين جسمهما ، فيكون وضع هؤلاء الراقصات الثلاث في هيئة تشبه تمام الشبه هيئة أعواد النبات حين تميل بها الرياح وقت هبوبها . وهذا الرقص من أجمل ما عرف من الانواع الفنية حتى الآن

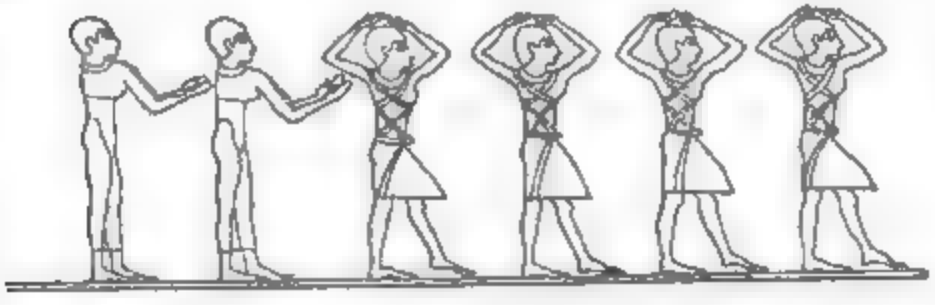

فضيحة العقد

في بلاط الملك لويس السادس عشر

اكبر وأفخم حادثة نصب واحتيال في التاريخ

بقلم الاستاذ حسن الشريف

جان دي فالوا أو الكونتس دي لاموت

لم تعش بيلة في حياتها ما عاشته « جان دي فالوا » التي عرفت فيما بعد باسم « الكونتس دي لاموت ». فقد شبت هذه الفتاة في احضان الفقر وعاشت عيشة مضطربة ملأى بالحوادث والفواجع ، فمن حياة العدم والعائلة الى حياة الترف والثروة ، الى ان انتهت الى كل ما يعني اليه المجرمون من التعذيب والسجن والتشريد.

فما كانت طفلة كانت تسير في الطرقات تبيع بعض ثمارها و[illegible] مشتريات مادة بدها الصغيرة قاتلة و اكرموا يتيمة من سلالة [illegible] فلما بلغت من عمرها ثلاثة عشر ربيعا ما بجلاً حملتها هرعت الى أمها راضية مرضية.

وتاحت لها رحمة الاقدار عند ذلك من [illegible] العدم والحياة دون من ادبرة اراهبات امضت به سنوات ثقلت سنيها في خلالها حياة الدين [illegible] فقرت من الله هالته على وجهها حتى حلت صيعة ثقيلة على اسرة كريمة في ريف فرنسا . ولما تزوج رب هذه الاسرة حتى كانت قد تزوجت بشاب فقير جاهل يحمل لقب « الكونت دي لاموت » وان كانت كل ظروفه تحمل على الشك في صحة لقبه ونسبه

وعاشت الكونتس دي لاموت وزوجها في باريس تستثمر ملاحتها وحسن قوامها وتعيش من عطف هواة الحان المخمول والعرض المباح واقتاصهم عليها

كانت جميلة فاتنة وكانت متوقدة الذهن ماكرة . عركتها صروف الزمان ، وحنكت بأسها مواضع الضعف في الانسان ، وعلمتها الحاجة سعة الحيلة وحسن التدخل ولطف التخلص واكسبتها حياة البؤس والاملاق حرية واسعة في اكتساب العطف والثقة وقدرة هائلة على الكذب والمخاتلة ، فاذا اردت ان تكذب كان كذبها اشبه الاشياء بالصدق ، فهي تستعين بحركات يديها واساريز وجهها في توكيد ما تقول حتى ليقع في حبائلها اكثر الناس احتياطا وأشدهم تنبها وحرصاً

استطاعت جان دي فالوا او الكونتس دي لاموت ان تتسلل الى بعض الاوساط الباريسية العالية ، وان تحوط نفسها برعاية كثير من الاسر النبيلة وقد حملت الارستقراطية في كل زمان على

ان تحو على البيل الفقير وهي ان تكرم عزيز قوم ذل . وهل يعطف على ذل الذيل الا نبيل ؟ وظلت حان تتنقل من وسط الى وسط تتحدث في كياسة ولباقة عن ماضيها التعس وحاضرها الحزين ، يعاونها شبابها وجمالها في كسب عطف الناس لها واستدرار عطفهم عليها . وكان ما لقيته من النجاح المتواصل جعلها لا تقنع بعشرة عظم الاسر الباريسية حسبا وارفعها شأنا وذكراً ، تحب اليها الطمع ـ والفرم اذا آنس في نفسه بعض القوة تمرد ـ ان تتقرب من الملكة ماري انطوانت زوجة الملك لويس السادس عشر

اتحدت الكونتس حان ده لاموت في سبيل الوصول الى الملكة سلا شق ، ولكن ابواب الملوك لا تفتح لكل طارق ولا تنح لكل طارىء . فلما أعيتها الحيل وضاقت بها السبل لم تجد بدا من ان تكون صديقة للملكة رغم انف الملكة ورغم ان الملكة لم تسمع بها ولم تشعر بوجودها

واطلقت حان في الاوساط الباريسية زعم ماسأليها الخادعة ان صحبة العرش لما علمت أمرها رقت لحالها واستدعتها اليها واستمعت لحديثها ثم احاطتها عنايتها وغمرتها نعمتها واصطفتها صديقة لها

وكانت حان كلما جلست الى كبير او ذات شأن تطنب في مدح الملكة والتحدث بآلائها ونعمها وتصف الدموع التي كانت تتحدر من عينيها وهي تسمع كيف كانت حان الصبرة سليلة آل فالوا ملوك فرنسا تطوف الكلك والدروب تتسول عشاءها او ثمن الدواء لامها المريضة ، وتنتقل من ذلك الى التحدث عما سمعته عنها ماري انطوانت من عم حزنه وحب وفير ، وتتدرج من هذا وذاك الى ان تسرد الى محدثها سبب صارت فيه الملكة نصاحه التي اليها تشكي الحزن والصديقة التي اليها ينتهي الجزع

الكردينال ده روهان عميد الكنيسة الفرنسية

وشاءت المصادفة [illegible] ان تعرف الكونتس حان ده لاموت بالكردينال لويس ده روهان عميد الكنيسة الفرنسية وابن عم الملك لويس السادس عشر

والكردينال ده روهان شاب جميل عي مسرف متلاف هيأه الملك سفيراً في بلاط النمسا فبهر اعيان فيينا بحشمه وحسن مظهره حتى كسبت بهته الهة البلاط . ولم يكن ثوبه الكهنوتي ولا لقبه الديني ليحولا بينه وبين ان يمرح في حياة اللهو مرح كل شاب له من جماله ويسره وماله ما يذلل أمامه حصون الخلال ومعاقل العفة والعفاف . فقد كثرت حوادثه الغرامية وذاعت صلاته النسوية لم تجد ملكة النمسا بدا من أن تكتب الى ابنتها ملكة فرنسا لتحث روحها على سحبه

وعاد الكردينال روهان إلى فرنسا وتسلم منصب عميد الكنيسة الفرنسية وهو منصب يعادل منصب وزير الأديان في هذه الايام ، وقد كانت له فيما مضى شوكة وعظمة . واستشعر الكردينال الشاب بالمستقبل واتسعت أمامه دائرة الامني والآمال وذكر ما كان من غرام الكردينال مازارين بالملكة آن دوتريش ، وما كان من غرام الكردينال ريشليو بالملكة ماري دي ميدسيس وأوحت هذه الذكرى إلى نفسه الطموحة أن يجدو حذو سالفيه العظيمين فيتخذ من قلب الملكة

ماري انطوانت سبباً يرقى به إلى الحكم فيصبح في قرنسا الملك غير المتوج ، وفي اوربا صاحب القول الفصل والامر الذي لا يرد

ولكنه ما كاد يستقر بباريس حتى شعر بنفور الملكة منه وبغضها عليه ، وأدرك أن ما كانت تكنه ملكة النمسا الى ابنتها قد أوغر صدر هذه عليه ، وان سياسة أسرته التي كانت تعارض سياسة الملكة في التقريب بين فرنسا والنمسا قد ضربت بينه وبين الملكة الشابة سداً منيعاً . عندئذ عرف من أين هبت عليه الريح التي اقتلعته من سعادة فيما وأيقن أن لا سبيل إلى تحقيق مطامعه ما دامت الملكة ساخطة عليه ، فآلى على نفسه أن يتزلف اليها ويستعيد رضاها مهما كلفه الامر وظل يتربص الفرص ويتحين الظروف

هذا هو الكردينال دي روهان بطل هذه الحادثة التاريخية الغريبة التي رويها . وتلك هي المطامع التي كانت تعمر نفسه لما تعرف بالكونتس جان دي لاموت صديقة الملكة ومستودع أسرارها على ما كانت تزعم وتقول

بين لويس دي روهان والكونتس دي لاموت

وأقبلت جان على الكردينال تحدثه عن حاضرها وماضيها فتثير عطفه وحماسه حتى خيل اليه انه اصبح من صدوق الذين وعدت روحها في الحصول على ربه في عرش . ثم توثقت بينهما رابطة الاشفاق والاعجاب من ناحيته ورابطة عرفان الجميل مع الرغبة في الانتقام من الناحية الاخرى

وجاء ذكر الملكة في سياق الاحاديث ووقف الكردينال على تلك الصلة المتينة المزعومة التي تربط صديقته الجديدة بالملكة فأيقن ما سبيلا معبداً الى تحقيق ما كان يجيش في صدره من المطامع والاماني . وكان كلما قصت البطلة الحديث عن الملكة عمل على وصفها والاشادة بها حتى فطنت الكونتس الى ما وراء هذا التشيع بالملكة وذكرها فكانت لا تعود عليه من الحديث الا بالقدر الذي يهتاج نفسه ويحرك فيها الرغبة في المزيد . وكلما أسرت اليه شأناً من شؤون الملكة الخاصة أقسمت أنها ما كانت لتبوح به له لولا انه ولي نعمتها وتستحلفه أن لا يدع هذه الاسرار الخطيرة تتسرب إلى أسماع الناس حتى لا تلوك ألسنتهم اسم الملكة وسيرتها

وعلمت مهارة المرأة فطنة الرجل ، والمرء مفطور على تصديق ما يود لو يكون ، وكشف الكردينال لصديقته الكونتس عن دخيلة نفسه ووقفها على ما يرجوه على يديها من الآمال وتوسل اليها أن تكون وسيطة خير وصلح بينه وبين الملكة وأن تبذل جهد طاقتها لترضاها عنه لعلها ترضى

ومضت بعد ذلك أيام وحان تروح وتجيء موهمة أنها ذاهبة الى القصر أو عائدة منه . وكان يحدث أن يذهب الكردينال ليزورها نهاراً فيلقاه زوجها قائلا طلحة الزوج لحرين أنها ذهبت الى فرساي فاذا أعاد الكرة في المساء ألفى الزوج يسدد حظه الذي جعل للملكة تتأثر عن روحته فتصرفها عنه وعن بيتها ويستشيره في خير الطرق واجمعها في قطع هذه العلاقة الملكية التي إن كانت تشرفه من ناحية فهي تفسد عليه حياته وتكدر صفوه من الاخرى

كل هذا والكونتس تطمئن الكردينال على حسن سير الامور ، وتؤكد أنها لا محالة ناجحة في

تحويل عواطف الملكة اليه . وكان يوم دخل فيه الكردينال على صديقته فألفاها متهللة مشرقة يكاد الفرح ينفجر من أساريرها فما ان دنا منها حتى طوقته بذراعيها وأوسعته مداعبة وتقبيلا ثم انتدبت له من روحها مكاناً قصياً وأسرت اليه حديثاً عهيد معقول وهي تتلفت ذات اليمين وذات الشمال خشية سامع أو رقيب . ان ليس أحب الى قلب الملكة من أن يكون الكردينال العظيم راغماً في رضاها ولها ترحب بمقدماته الودية أيما ترحيب ولا تنتظر غير الظروف المناسبة لتقابلها بمثلها

وسلمها الكردينال كتاباً الى الملكة ضمنه ما تحيش صدره من الاخلاص والاحترام والولاء ، وتضرع اليها فيه أن تشمله عطفها وألا تحرمه رعايتها وحملت الكونتس الكتاب وعادت اليه بعد أيام بردٍ مكتوب بخط الملكة وعليه توقيعها تقول فيه : إن صديقتها قد أزالت ما كان قد علق بفكرها من ماضي الكردينال وانها تقدر إخلاصه وولاءه واحترامه ولا يسعها أن تحرم من يتوسل اليها بهذه العواطف السامية مودتها وعطفها ورعايتها

دهشت نشوة الظفر بلب الكردينال السادح فلم يمعن إلى ان الكتاب تزوير متقن لخطها وتوقيعها وبات ليلته ساهراً يقلب الكتاب بين يديه ويقبله معتبراً هذه الورقة أساس سعادته ومجده وعظمته . ولبث شهري ما انفي كان يحدو بالكردينال إلى أن يتشكك في صدق الكونتس وفي صحة مصدر هذا الكتاب . ألست حان ده فالوا صيغته الرائعة في محبوحة فصله ونعمته ؟ أليست صديقة الملكة وأمينة سرها كما هو معلوم ومشهور ؟ ألست به من رفعة المقام وعزة الشأن وعلو الحسب وكرم النسب وحسن الادب ما يجعله أهل هذه الحظوة ؟ ولبث يكثر على نفسه ما وصل اليه ريشيليو ومازاران من عظمة وسلطان بفضل جمعه وتدبيره ؟ وأي مطمع لها من وراء ذلك وهي لم تطلب منه شيئاً ولن تطلب منه الا مزيد عطفه ورعايته

لا ، لا ! الكتاب صحيح لا ريب فيه ، والمستقبل باسم يحفل بالعظائم

تعددت الرسائل وتعددت الردود وصفت الكونتس على نوع من ورق العاجر يحمل في إحدى زواياه زهرات الزنبق الثلاث شعار الملكة . واستحسن غرور مهراسمه وريتوه ، كان شرطياً ثم صديقاً لزوجها ثم عاشقاً لها فكانت تستكتبه تلك الردود بخط نسوي يقلد به خط الملكة ، ثم تحملها الى الكردينال فيكاد يخر على قدميه فرحاً واكباراً . وانه لمن المضحك حقاً أن نتصور هذا الكردينال العظيم سيد الدوحة الملكة وأحد أقطاب الدولة العظام ، الكردينال دي روهان الذي ما عليه الا أن يشير إلى عاصي الهوى فيطيع وإلا أن ينادي لمن فتقل عليه ، الكردينال دي روهان يسهر الليالي في انشاء الرسائل ويكد ذهنه في تخير الالفاظ وبرهق مخيلته في صياغة عبارات التودد والاستعطاف ثم يكون مآل هذا الانشاء البديع الى يد ذلك الشرطي الفظ « ريتوه » يهرأ به ويسخر منه . يا لها من سخرية وما أقساها سخرية !

على أنه ما كان معقولاً أن تستمر هذه المراسلة الى ما شاء الله . وقد شعرت حان أن المواجس تساور الكردينال السادح ، وان هذه المواجس قد تفضح ريباً فتكوكا تصف ما عقدته عليه من الآمال . وشكا الكردينال اليها أن الملكة — وقد دهشت في الرضاء عنه الى حد كتابة هذه الرسائل

اليه — لا تخطو خطوة أخرى تظهر بها هذا الرضاء في شكل عملي محسوس . ولكن سرعان ما هدأت الكونتس روعه وأنامت هواجسه وأفهمته أن الملكة حائرة لا تدري ماذا تعمل فان حرب الوزير روتاي ، خصم الكردينال القوي وعدوه اللدود ، ما زال قوي النفوذ على الملك ، وان هذا الوزير يناهض مساعي الملكة لدى زوجها في تقريب الكردينال اليه ، وانه لا بد من أن يترك للملكة الوقت الكافي لتبلغ فيه الأمور فتقضي على نفوذ روتاي وحزبه وعندئذ تسير الأمور وفق ما تريد

وكانما أتت المصادفات السعيدة إلا أن تعاون الكونتس في التلاعب بفؤاد الكردينال فهيأت لها طرقاً ما كانت تحلم به ولا تجرؤ على التفكير فيه

ذلك أنها لمحت ذات يوم زوجها وهو يسير في أحد الشرفات الى جانب امرأة . فلما اقتربت منهما لتتبين تلك المرأة راعها عظم التشابه بينها وبين الملكة ماري انطوانيت : تتقاطيع الوجه متشابهة، والقوام متشابه ، ولا ينقص هذه المرأة إلا أن تتسمى باسم الملكة لتكون هي الملكة

سرعان ما أدركت الكونتس كل ما تستطيع أن تستغله من هذا الشبه العجيب فطيبت خاطر زوجها أحسن التحيات وأثنت على جمالها ورشاقتها ودعته الى بيتها وهناك توثقت بينهما روابط الألفة السريعة حتى جيل الى العربية انها بين أهلها وذويها

كانت هذه المرأة تدعى دكون وجه ، وقد أطلقت عليها الكونتس في الحال لقب البارونة وأسمتها البارونة أوليفا . وكانت حسناء شقراء ، ودعة خلق لها الملكة لا تدعي من الحياة الا عيشاً سهلا هادئاً تتدل في سفن خصوص عليه جمالها لئن يدعو الى عاشق ليلة الى رفيق يوم هازئة بالحياة مستهترة بكل شيء

وانقضت أيام وهي لا تفارق بيت الكونتس حتى دعاه لامونت ساحبه في هذا النعيم المهيء رائعة في تلك البحوحة التي لم تألفها من قبل مدهوشة من كل ما ترى وما تسمع . وقد سحرتها مولاتها الجديدة بأحاديثها عمن عرف من الكبراء والعظماء وبسطت على رأسها وادراكها حتى جعلت منها آلة تسمع فتطيع

مقابلة الملكة للكردينال دي روهان

وفي يوم من الأيام فاجأتها ماري بهذا السؤال : « ألا تودين يا أوليفا أن ترجعي ألف ليرة خمسة عشر ألف ليرة ؟ » فحملقت الفتاة في وجه صاحبتها وقالت عبر مصدقة : « وكيف يكون ذلك ؟ » قالت : « المسألة أيسر مما تتوقعين فان صديقي الملكة تريد أن تقابل رجلا في بستان قصرها وان تدعيه يحتو امامك ويقبل يديك ثم تعطيه وردة » قالت : « وبعد . . . » فقاطعتها : « وبعد ذلك لا شيء إلا أن تنالي الخمسة عشر الف ليرة ولا تسألي أكثر مما فعلت وانتظري الكونت دي لامونت الذي سيذهب بك غداً الى فرساي »

وأسرعت ماري الى الكردينال ودخلت عليه ووجهها يعبس بشراً وقصت على سمعه ما كان من ثمرة مساعيها وان خلالة الملكة قد وافقت تحت تأثيرها على أن تضرب له موعداً سرياً في

منتصف الليل عند الكشك المعروف في بستان القصر باسم كشك الزهرة

وعند الساعة الثامنة من مساء اليوم التالي دخل الكونت دي لامونت أوليفا في عربة الى قلعة فرساي وهناك سلمها الى امرأته التي عهدت بها الى امرأة اسمها « روزالي » عينت بلباسها الزي الذي أعدوه لترسيم وخفض شعرها على الطريقة التي تتخذها الملكة في خفض شعرها وبعد الفراغ من هذه العملية نظروا اليها وصاحوا . « لقد خطا » ثم ذهبوا يتمشون مارجين هارلين

وقبيل منتصف الليل بقليل قصدت حنن الى دار الكردينال وذهب الكونت الى بستان قصر فرساي الذي كانت أبوابه تترك مفتوحة للجمهور في ذلك الحين . وسارو اجميعاً حتى اختاروا أسوار القصر ووصلوا الى الخائل الكثيفة التي يكتنف كشك الزهرة والكونت دي لامونت يضغط ذراع اوليفا لتسكينه التي كانت تنتفض من الرعب والفزع ويجرها الى جانبه فلا يدع لها وقتاً للتردد والتفكير

انتصف الليل وكان الظلام حالكا والغيوم لا تنفك الى السكون الا دوراً قليلا وقد هب على البستان نسيم ليالي الصيف الدافئة فجعل يهز أغصان الأشجار هزاً خفيفاً . وجذب دي لامونت ذراع أوليفا الى مدخل الكشك وقال : « تشجعي يا ابنة يا صديقتي والا تكون قد خسرنا كل شيء » وتركها وغاب في الظلام

وقفت الفتاة حائرة في الممر فلا تسمع إلا الانتحار كاب الأشجار ولا تسمع إلا خفيف الأعصان وحرير نساء يتحدر من الجواهر اي أحراس الحسن وسعة . واستولى عليها خوف عظيم حمل قلبها يخفق خفقانا سريعاً ، وأحست بالعرق البارد يغمر جبينها واصطكت أسنانها وهمت بالفرار من هذا الموقف الرهيب . وفي هذه اللحظة سمعت وقع أقدام تقترب منها وأبصرت شبح رجل يدنو وقد لف نفسه بردائه الكبير وأرخى قلنسوته على عينيه . فلما صار منها على قيد خطوة رفع قبعته وحياها على ركبه وساوس صوت ثوبها وقال . وهمت تركبه يدها المرتجفة من ذهول فتناولها الكردينال ووضع عليها قبلة حرة ثم تنهد تنهداً عميقاً خرج من أعماق نفسه وانحدرت من عينيه دمعة ساخنة سالت على أصابع أنامل أوليفا وتمتم يقول : « مولاتي . . . مولاتي . . . »

وسحبت اوليفا يدها وانتصبت من صدرها وردة ومدتها اليه فتناول اليد والوردة بيديه وظل يضمها طويلا ثم همس وهو يمسك بيدها وأراد أن يطوق جيدها بذراعه فنطقت بكلمات غير مسموعة فهم منها أنها تقول . « كن واثقاً اني سبت الدمي » وأردت أن تفت منه ولكنه جذبها في رفق ونين الى باب الكشك وهم هو بدفعها الى داخله أقبل رينوه في ري فتى من فتيان القصر وقال بلهجة المتحمس « اسرعي يا مولاتي فان الكونت دارتوا شقيق الملك وزوجته آتيان من هذه الناحية » وتناول يد أوليفا وانصرفا

ونظر الكردينال الى ما حوله ثم لبس قبعته وضم الوردة الى صدره وانصرف وهو يحسب أن ملكة فرنسا قد وهبته قلبها في داخل هذه الوردة ووهبته جسمها اذ مدت اليه يدها بقبلها

وجعلت أنكوتنس في اليوم التالي تحدث عما كان من أمر الملكة بعد هذه المقابلة السعيدة

وقالت أنها ظلت تذكره بخير ما تذكره النساء من يحسن من الرجال ، وانها ستنهر الفرص لمقابلته كلما سنحت

وآدت الفراسة جان أن تطرق الحديد وهو ساخن فجاءته بعد يومين وهو ما يزال تحت تأثير هذه المقابلة الجديدة وأسرت اليه ان الملكة في حاجة الى خمسين الف ليرة تساعد بها عائلة فقيرة وان هذا المبلغ يقصها الآن ، فهل له أن يقرضها اياه لأجل قريب ؟ وتدور الكردينال فقدم المال للمطلوب شاكراً له تلك الظروف السعيدة التي تجعل ملكة فرنسا تعول عليه اذا شعرت بحاجة الى المال

ولكن خمسين ألفاً لا تسد فراغ جيوب ريتوه والكونت وروحه . لذلك قصدت جان الى الكردينال تسأله مائة ألف غيرها لطارىء لم تكن للملكة تتوقعه في ساعة لا يتيسر لها فيها اعادة هذا المبلغ . ودفع الكردينال المائة ألف ليرة راضياً مغتبطاً . ولا شك ان جان كانت ستعيد الكرة لولا أن أتاحت لها الظروف ما هو خير

العقد الفاخر

كانت جان تعرف فيمن تعرف تاجراً جوهرياً شأن اسمه لابورت يدعى القرابة الى جوهريين كبيرين في باريس : « بهمر » و « باساج » وأحدهما هذا المدعى بان جوهريين كانا قد صنعا عقداً فاخراً من الماس اقترض في سبيل حصول على حسابه الكبيرة مبلغ طائلة بأرباح باهظة وظنا انهما يستطيعان بيعه الى الملك لويس الخامس عشر يهديه الى عشيقته الدوقة دوباري ، ولكن الملك مات ولما تتم الصفقة . وها هذا يعقد عرضه على الملك لويس السادس عشر عسى أن يشتريه بزوجته ماري انطوانيت ، ولكن هذه أبت فيما تم عمت ان ثمنه مليون وستمائة ألف ليرة وقالت ان حاجة فرنسا الى سفن حربية تشترى بهذا المبلغ أكثر من حاجة الملكة الى التحلي بالجواهر الغالية . واستطرد المدعي حديثه وقال ان الجوهريين لما رأيا عسرهما في أزمة ملحة من حر ، هذا العقد المنحط الذي لا يقدم على شرائه أحد ، وهما وارغبا على قدمي الملكة متوسلين اليها أن تنقذهما بشرائه من الخراب والافلاس . ولكن الملكة أعرضت عنهما وقالت انها لا ترهق خزانة الدولة بتحميلها هذا المبلغ الفادح ونصحت لهما أن يقسما العقد الى قطع يبيعان كلا منها على حدة . ولكن الجوهريين يريان قيمة العقد في كونه قطعة واحدة وان تجزئته تفقده معظم قدره ، ولذلك فهما يتربصان بمبلغ كبير من المال لمن يستطيع أن يهديهما الى مشتر لهذا العقد العظيم . وألح المدعي لابورت على الكونتس أن تستعين صداقتها للملكة على تحبيذ هذه الصفقة واقناعها بوجوب الاقدام عليها حتى اذا تمت اقتسم المدعي والكونتس ذلك المبلغ الذي يتبرع به الجوهريان

فكرت جان في الامر ملياً وسرعان ما خطرت لها فكرة هائلة جعلتها تقف وتربت يدها على كتف لابورت وتقول له : « قل لبهمر أن يجتني العقد غداً »

وجاء بهمر وباساج وفتحا صندوق العقد وبدت حبات الماس الكبيرة يبهر بريقها نظر الكونتس ويحرك مطرها شهوة المال في نفسها وتناولت يديها التحفة الفنية العالية وطفقت تقلبها

ثم التفتت الى الجوهريين وقالت : « اني أعرف سيداً عظيماً يشتري هذا العقد وهو سيستدعيكما اليه لتتفقا واياه على الثمن وشروط البيع التي ترتضيانها . أما أنا فأود أن أظل بعيدة عن هذه الصفقة ولا أحب أن يذكر اسمي فيها »

كان السلاء والذين يترددون على البلاط يعلمون ما كان من رفض الملكة لهذا العقد الغالي ولكن بعض ألسنة السوء كانت تتهامس ان الملكة انما رفضته مكرهة وانها لا تشتهي شيئاً اشتهاءها الحصول عليه . وذهبت جان الى الكردينال وقالت : « ان الملكة تريد شراء هذا العقد ولكنها لا تريد أن تظهر أمام وزراء الدولة وأعيانها مظهر الملكة المسرفة المتلافة التي تؤثر زينتها على مصالح الشعب وحاجات الحكومة . ولقد فكرت الملكة طويلاً في كيفية الحصول على ثمن هذه القطعة الغالية ولكنها لم تجد الى الثمن سبيلاً . ولذلك فهي قد اعتزمت شراءه من مالها الخاص على أن تدفع الثمن أقساطاً في بضع سنين . ولكنها ، وهي ترغب في أن يظل أمر هذه الصفقة مكتوماً حريصة على أن تدفع معظم قيمتها ، ترى انه لا يحمل بها أن تنفق عليها مباشرة مع الجوهريين وتستحسن أن يكون بينها وبينهما وسيط له من الثروة والحيثية الاجتماعية ما يطمئنها على كتمها يفاوضهما في الثمن ويحرر معهما شروط الدفع ويقدمها اليها لتوقعها وبذلك يتم كل شيء . وبما أن الملكة لا تعرف من أصدقائها من تعول على فطنته مع الحرص على سرها فهي قد فكرت فيك يا مولاي وأمرتني أن أسألك اذا كنت تعتقد نفسك مستعداً في تحقيق هذا الأمر الخطير »

وأخرجت جان من صدرها كتاباً بخط الملكة . . . تقول لها فيه انها لا تستطيع تقديم هذا المبلغ الكبير دفعة واحدة . وانها ترغب في أن تكون الدفع على أربعة أقساط متساوية مدى كل منها ستة أشهر ، فاذا قبل بهمر وشريكه هذه الشروط فانها تعتمد على صدقها ده روهان في انهاء الصفقة على هذا الوجه ، وتنتظر أن يرفع اليها شروط البيع في أقرب وقت لتوقعها بأمضائها

لم ير الكردينال السمح في كل ذلك إلا روح جديدة من روح الملكة الطائشة وإلا مصداقاً لما هو معلوم من رقتها ورعونتها . ولكن عما عسى في ذلك ؟ ان المسألة لا تكلفه اكثر من معاونته الجوهريين وحملهما على قبول تقسيط الثمن فكيف يتردد في تقديم هذه الخدمة للملكة التي حازت بكل شيء في سبيل لقائه عند منتصف الليل في بستان القصر ؟

استقدم الكردينال روهان بيهمر وشريكه وسرعان ما تم الاتفاق على ما تريده الملكة وفي التاسع والعشرين من شهر يناير سنة ١٧٨٥ وقع الجوهريان شروط البيع وقد نص فيه على أن يكون الثمن مديوناً وستمائة ألف ليرة تدفع على أربعة أقساط بحيث يحل القسط الاول في اليوم الاول من شهر أغسطس . وحمل الكردينال شروط البيع الى الكونتس لتحملها الى الملكة ولم يمض يوم حتى عادت جان بالشروط من . . . قصر فرساي والى جانب كل فقرة من فقراتها كلمة « مقبول » وفي نهايتها توقيع الملكة ماري انطوانيت بنفس الخط الذي كانت تكتب به الرسائل الى الكردينال

وتسلم الجوهريان الشروط منتظرين بهذا النجاح وسلما العقد الثمين الى الكردينال ولم يخطر لأحدهما أن يتحقق من صحة توقيع الملكة ، لان صفقة بهذا عظيم كالكردينال ده روهان ابن عم

الملك وعميد الكنيسة الفرنسية وكبير أسرة روهان ، ان صفقة كهذه لا يمكن أن يتسرب اليها الشك ولا أن ترقى اليها الظنون

وفي اليوم الاول من شهر فبراير حمل روهان العقد الى بيت جان لتسلمه الى الملكة ولما اراد ان ينسحب الحت عليه في البقاء حتى جاء رسول ملري المطوات ليتسلم الوديعة . ولعمري لو ان شيئا من سوء الظن خامر الكردينال لزال في هذه اللحظة عندما رأى رسول الملكة وهو الشخص الذي هرع اليهما في بستان القصر ينبههما الى مجيء شقيق الملك وزوجته ليلة المقابلة السعيدة . . . ولكن أنى للكردينال ان يعلم ان رسول الملكة اليوم وفق القصر بالامس ما هو الا صاحبنا ريتوه الشرطي الفظ والمزور الكبير ؟

ولبث الكردينال ينتظر ان ترين الملكة بحرها بالعقد الجميل وما طال الانتظار سأل الكونتس في ذلك فقالت ان الملكة لا تريد ان يظهر هذا العقد قبل أن تكون قد سددت جزءا كبيراً من ثمنه وليكون ظهور العقد بعد دفع ثمنه مفاجأة فرحة لطيفة للملك والوزراء . وزادت في طمأنينة الرجل فأخبرته أن الملكة ترى الثمن مبهظا وانها تعتمد عليه مرة أخرى في تخفيضه وحبذا لو استطاع ان يوفر عليها من هذا الثمن مائتي الف ليرة

وفاوض الكردينال الجوهريين ونجح فيما اراد واملى عليهما كتابا رفعه بيمر بيده الى الملكة ، قال فيه : « مولاتي . ان الكونتس سيدتي قد اعجبت جلالتك وعثرت الشروط الجديدة التي عرضت عليها وضعها علامة أخرى من علامات الصنعة وولاء الذين يدين بهما لشخصك الكريم . وقد شجعني حسن قبول جلالتك لهذه الشروط على ان اعرض عليها خوختها بيد الصناع سيدخل جيد خير الملكات واجملهن في هذا الزمان »

رفع بيمر بيده تلك الرسالة الى الملكة في اثناء عشر من شهر يوليه سنة ثمانية حلية كان الملك قد أوصاه بضمها لتقدم الى مري انطوانيت في حفلة عيد مولدها الذي داعولم . وقد تناولت الملكة الرسالة ولم تفضها إلا بعد أن انصرف الجوهري . ولما قرأتها ولم تفهم منها شيئاً اعطتها الى وصيفتها مدام كامبان فلما لم تفهم هي الأخرى منها شيئاً ألقتها في الدفأ ولم تعد تفكر فيها

اكتشاف التزوير والنصب

حل أول أغسطس وحان دفع القسط الأول وظل الجوهريان ينتظران فلما لم يصلهما شيء رفعا الأمر الى الكردينال الذي بادر الى الكونتس يستعلم منها عن حلية الخز فاستمهلته حتى تسأل الملكة . . . وعادت في اليوم التالي تقول ان الملكة تطلب مهلة الى أول أكتوبر لان المال يعوزها في هذه الايام

وأشكل الأمر على الجوهريين وذهب بيمر وباسانج الى قصر فرساي وقابلا مدام كامبان وصيفة الملكة ولشد ما كانت دهشتهما عند ما قالت لهما في أكثر ما يكون من الهدوء والطمأنينة : « ان الملكة لم تشتر العقد ولا تعلم من أمر التعاقد شيئاً ... »

وهرع الجوهريان الى الكردينال ودار بين الثلاثة حديث عنيف نجح الكردينال بعده في ث

شيء من الطمأنينة الى نفسي الرجلين فانصرفا مزودين بكثير من الوعود والعهود والمواثيق . وهنا خطر للكردينال لأول مرة أن يتحقق من صحة توقيع الملكة

اتضح لروهان بعد البحث والتحقيق ان الرسائل مزورة وان الكونتس دي لامونت قد هزئت به ولعبت بعقله هذا الزمن الطويل وأيقن أنه ماث حيال مشكلة عويصة لا يعرف كيف يكون الخلاص منها . وطفق يستظهر مع نفسه سر المؤامرة وان الكونت دي لامونت وزوجته وصديقهما ربتوه قد فكوا حجارة العقد واقتسموه واطلق كل منهم يبيع نصيبه منها في أسواق انجلترا وسويسرة . فحار في أمره وصار يقلب المسألة على وجوهها فلا يرى لنفسه مخرجاً

فكر في أن يذهب الى الملك ويعترف له بكل شيء عسى ان يجدا معاً حلا لهذا المشكل . ولكن ما الذي يقوله للملك ؟ وكيف يعبر له المسألة ؟ أيقول له إنه اعتراه على غرته وسنا نظره الى جمال الملكة وسمع في حيرة قلبها وحسمها ؟ أم يوقفه على تلك المقابلة المشؤمة التي وقعت ذات ليلة تحت بوادر الملك وفي بستان قصره ؟ أم يطلعه على تلك الرسائل المزورة التي كانت الملكة تعلله فيها بالوصل القريب ؟

لا ! لا ! كل شيء إلا هذا وليس أمامه إلا أمر واحد وهو ان يستدين ثمن العقد ويدفعه بأكمله للجوهريين ويشترط عليهم كتمان الأمر الى ما شاء الله وعندئذ صح عزماً لذلك الاشكال الكبير

ولقد كانت المسألة بعد هذا الخاطر أهون وطأة على روحها نوبي السادس عشر على ما نقلته اليها هدام كاغليوستر من مسألة العقد والعنق وطفقت الملكة تستدعي الجوهريين لتسألهما عن حقيقة الأمر . فلما جاء الكردينال على ذلك وتم بينهما كان أمره بين الفضيحة قد اندلعت ولم يبق لهذا الحل بعد مكان

وجاء الجوهريان يسعيان في القصر وسألا الملكة مقابلتهما فقضيا عليها كما وقعت فهاج الأمر كرامتها إذ رأت عرضها يمس لعقة من ساقطة وأمرت الجوهري أن يقرر كل ما قاله في تقرير مكتوب ما لبثت من الرجل حتى رفعته الى الملك طالبة إجراء تحقيق دقيق سريع

ورأى الملك أن لا تتطور المسألة ما وصلت اليه ووجوب وضع تسوية لا تجعل اسم الملكة مصمة في الأنواء ولكن الملكة التي كانت ترى الفرصة سانحة للاقتصاص من عدوها الكردينال دي روهان ومن أسرة روهان رهينة الحقد صد التفاهم مع الملك اي مع مملكة أبيها وأمها لم ترض باقتراح الملك وأبت الا ان يقوم تحقيق يوزع على كل نصيبه من المسؤولية في هذا الحادث الخطير . ليست المسألة مسألة هذا أو ذاك من الناس ، وانما هي مسألة عرض الملكة وكرامتها وسمعتها بل وكرامة العرش وسمعته ، فيجب أن ينقى كل حرف مما ألمت بداه . وأثارت الملكة بهذه العبارات وأمثالها حمية الملك وهاجت كرامة الزوج فتدفع ورامها نوبي السادس عشر بحدة رأيها ويقول : « إن الجميع أمام العدل والقانون سواء »

ولكن أنى كان لملك أن يعرف في تلك الساعة ما سيجره هذا الاندفاع الاحمق على شخصه وعلى عرشه من الرزايا والكوارث ، ولو كان له أن يدرك بنظره القصير أن فضيحة العقد أول معول تضربه الثورة في قوائم عرشه وعرش أجداده وان للملكة او تثبت بوجوب القيام بالتحقيق

انما خطت بيدها سطراً من أسطر الحكم الذي قادها الى التطع في ساحة الاعدام ؟ ولكن هكذا قدر فكان !

كان يوم ١٥ اغسطس سنة ١٧٨٥ يوماً حرت العادة أن تقام في مثله من كل عام صلاة كبيرة بقصر فرساي احتفالا بعيد صعود السيد المسيح الى السماء واحتفالا بعيد مولد الملكة ماري انطوانت فكان رجال الدولة وأعيانها وكل ذي حيثية من سكان باريس وفرساي يحتمون ألوفاً في ذلك اليوم ليشهدوا الصلاة في القصر تلك الصلاة التي كان يقيمها رئيس الكنيسة الكردينال دي روهان . واحتشدت الالوف من الناس في ذلك اليوم ووقفوا ينتظرون مجيء الكردينال العظيم تبدأ الصلاة . ولكن الكردينال أبطأ وسرعان ما ذاعت إشاعة بين الحاضرين مؤدها ان الملك قد استدعاه الى مكتبه وان الحديث بينهما قد يطول . وبينما هم وقوف إذ انفتح باب حجرة الملك على مصراعيه واذا بالكردينال يخرج منه مطأطئاً رأسه شاحب اللون كثير الطرف واذا بالوزير بروتاي يصيح بأعلى صوته منادياً : « يا حضرة الفوق ده ميروا » بأمر جلالة الملك آمرك أن تقبض على حضرة الكردينال »

دخل الكردينال على لويس السادس عشر فألفى الملكة الى جانبه ووراءها صديقها الفوق ده ميروسنيل وزير الخارجية وعدوه اللدود الوزير بروتاي . ألقى على الملكة نظرة الجوهري يبصر وقد سلطت عليه الملكة عينين تتقدان حقداً وغضباً وبدت منه التفاتة وهن كأنه يرى عمي أن تحدثني عن صفقة شراء عقد الماس للملكة ؟ » ورنت هذه الكلمات على رأس الكردينال كما تنزل الصاعقة فصمت صمتاً عميقاً وقد ارتسم على وجهه الجميل يا مولاي إن محبة مؤامرة دنيئة ولكني لم أخدع أحداً ولم أقترف إثماً »

فقال الملك . « إذا كان الأمر كما تقول يا عمي فلا بأس عليك ولكن أصبت الينا بالحقيقة »

وعند نظر الكردينال الى من حوله نظرة تعرب عن بعض دهشته فلما تحدثها ، نظر فرأى الملك هادئ الحركات متجهم الوجه معقد الحاجبين ورأى الوزير ميروسنيل مطرقاً شاحب اللون متأثراً من هول الموقف ، ثم اصطدم نظره بنظر الملكة فألفى النمر يكاد يتطاير من عينيها ، ثم نظر الى الوزير بروتاي فرأى وجهه يطفح حقداً وشماتة فأطرق ولم يجب

ولاحظ الملك هول ما هو فيه فأخذته به الشفقة وقال . « ما دمت لا تستطيع الكلام فاكتب لنا ما تريد أن تقوله » وخرج الملك وتبعته ملكة والوزير بروتاي وبقي الكردينال أمام المنضدة وتناول قلماً وورقاً وكتب القصة كما وقعت . وبعد فترة من الوقت عاد الملك ومن معه وقرأ ما خطته يد الكردينال وقال :

— وأين هي هذه المرأة التي تسميها الكونتس دي لاموت ؟

— لا أعرف الآن أين هي يا مولاي

— وهذه الرسائل التي ظننت ان الملكة بعثت بها اليك أين هي ؟

— انها عندي ولكنها مزورة يا مولاي . وعم الجميع سكوت هو أشبه الاشياء بالوجوم وأطرق الملك برهة يفكر فيما يجب أن يعمل وصاحت الملكة : « وكيف أبحت نفسك يا سيدي الكردينال

ان تصدق اني الجأ اليك مجاهرة بشرفي لتعقد بالنيابة عني مثل هذه الصفقة المزرية ؟ » ووافقها الوزير بروتاي على استهجان أمر الكرديبال وعلى استنكار ما كان من سلوكه حيال ملكه وملكته وعرش بلاده وصدر النطق الملكي بالقبض على الكرديبال فخرج من حضرة الملك وسار بين صفوف الحاضرين للصلاة ثم في دهول يلثمون يديه ويشيعونه بالدعوات الطيبات

المحاكمة

وبعد أيام قعدت السلطات على الكونتس دي لاموت وكانت قد اختفت في بلدة بارسوروت كما قبضت على ريتوه في سويسرا وعلى الكاردينال أوليفا في بلجيكا وجيء بالجميع وقدموا للمحاكمة أمام البرلمان . وإذا كان القلم لا يتسع أمامنا لسرد وقائع تلك المحاكمة الهامة فلا أقل من أن نقول ان شعب فرنسا بأسره بل ان أوربا كلها قد تتبعت سيرها باهتمام كبير . ولقد انقسمت فرنسا في هذه المسألة الى فريقين . فريق سمي وقتئذ بالمساويين وهم أنصار الملكة ، وفريق السلاء والاشراف وهم أنصار الكرديبال . وحشد آل روهان قواتهم وأنصارهم يبثون الدعوة ضد الملكة ويلطخون اسمها بأقذر ما علق الحقد من التهم والأباطيل ، وانطلق أنصار الملكة من ناحيتهم يحتلقون على الكرديبال أردأ الشتائم واقذعها

ودنا يوم المحاكمة وكان يوماً مشهوداً احتشدت فيه الجموع داخل البرلمان وخارجه تنتظر حكم القضاء العادل في هذا الخلاف الخطير . ثم صدر حكم البرلمان ببراءة الكرديبال ده روهان والبارونة اوبنا وسجن الكونتس دي لاموت سجناً مؤبداً بعد جلدها علناً وسمها على ظهرها بطابع الصوص ، وبالاشغال الشاقة المؤبدة على الكونتس دي لاموت . وبادي المؤيد على ريتوه

وهكذا وقف الشعب الفرنسي في خلال هذه المحاكمة الطويلة على كثير من فضائح العرش ودخائل القصور ، وهكذا تعلم الشعب كيف يحقر العرش الذي طالما قدسه وانزله أرفع منازل الاعظام والاكبار ، كما تعلم كيف يحقر طبقة السلاء والاشراف التي طالما ظلها مخيل الفضيلة والكرامة والكمال ، وهكذا رعرعت هذه القضية أركان العرش وهزت قوائمه وعصفت بمكانة الملكية في القلوب فكانت بمثابة مقدمة للثورة الفرنسية التي شبت لتنقذ الشعب من فضائح العرش ومن فضائح النبلاء

حسن الشريف

مصادر المقال :—

١ — كتاب « قصة العقد » تأليف فرانسز فونك برانتانو عضو مجمع العلماء

٢ — كتاب « القضايا التاريخية الكبرى » جزء ٢ تأليف هنري روبير

الطب يوم كان جريمة لا تغتفر

كيف نشأ هذا العلم من الخرافات

اذا رجعت الى العلوم الحديثة وجدت أن طائفة كبيرة منها نشأت من خرافات وأوهام لا يسلم بها العقل . وعلم الفلك نشأ من التنجيم ، وعلم الكيمياء نشأ من الشعوذة ، وعلم الطب نشأ من الاوهام والاباطيل . وكانت علوم الاقدمين كلها ممزوجة باعتقادات سخيفة على الصحون بسببها المصائب والاصطهادات . ولم تكن مدارك البشر في الازمنة الغابرة قد نمت حداً تستطيع الانطلاق عنده من قيود الخرافات . ولذلك كان العلماء يبالغون في تعيين نظرياتهم أشد صنوف الظلم والارهاق

ونريد الآن أن نقف القارىء على بعض ما عاناه الأطباء في سبيل الدفاع عن مهنتهم حتى وصلت الى ما وصلت اليه في الوقت الحاضر . ولعل أقدم اشارة الى الطب والأطباء هي صورة وجدها علماء الآثار على جدران في أحد الكهوف بجبال البرانيه وقد قدروا عمرها بنحو عشرين الف سنة ولعله تقدير مبالغ فيه لأنه يرجع عهد الطب الى ما قبل الفراعنة بعدة آلاف من السنين

اذا أحدث وصفة طبية أوربية وجدتها مكتوبة باللغة اللاتينية ووجدت فيها رموزاً واشارات لا يفهمها الا القليلون . واصل هذا الرمز من بقايا العلوم التي تتصل بعلم الطب منذ أقدم الأزمنة . ويعتقد الدكتور هيجارد (أحد كبار الطب بانجلترا) أن حرف « R » الذي تصدر به كل وصفة طبية ليس الا مختصراً من كلمة « Recipe » ومعناها وصفة . بل هو مأخوذ من اسم « المشتري » الذي كان اله الآلهة عند الاقدمين . وان تصدير الوصفة الطبية بأحد حروف اسمه هو التبرك أو الدعاء . وسواء أصح هذا التعليل أم لم يصح فان أصل الطب ممزوج بكثير من الخرافات . وقد كان الكهان والسحرة قديماً يعالجون المرضى بشروب السكر والشعوذة . ولقد ظلت الحالة كذلك حتى الازمنة الاخيرة

وكثيراً ما أدى التدخل الى القضاء على حياة الطبيب . ولا يكاد يمر يوم حتى نقرأ في الصحف أخبار الدجالين الذين يتطفلون على الطب ويتسببون في موت الذين يقعهم سوء الحظ الى أيديهم

ومن أشهر الأمثلة الدالة على اختلاط علم الطب في الازمنة القديمة والمتوسطة انهم كانوا يصفون لضعاف المقترين الى الدم ما يسمى عندهم « بطب الحاجم » والطب هو الحجرة الشبيهة بالزعب تنمو على الحجارة في الاماكن الرطبة . وطب الحاجم الذي نحن بصدده هو حشرة ناعمة تنمو على جماجم الموتى المدفونة بقرب المياه الآسنة أو في الاماكن الرطبة . فهذا الطحلب — أو قل هذا الدم القذر — كانوا في العصور المتوسطة يصفونه دواء للضعف وفقر الدم

وليس هذا كل ما في الأمر . فقد كانوا يشترطون أن تكون الجمجمة لرجل حكم عليه بالموت شنقاً بسبب جناية قتل أو سرقة . ذلك لأن مثل هذا المجرم كان بلاشك من أشداء البأس ، فالطحلب الذي ينمو على جمجمته يحتوي على خواص القوة والشجاعة والشدة . فاذا عولج به ضعيف الدم شفي من دائه

فتأمل الى أي درك كانت عقول القوم منحطة في ذلك الزمن . ومثل ذلك خرافة حذور اليروح واليروح كما تعلم (وبعضهم يقول اليروح بتقديم الياء الموحدة) هو الفسّاح البري وهو شبيه بصورة الانسان وكان يعرف عند الاطباء باليروح الصيني . وبلغت قيمته في العصور المتوسطة حداً يعجز معه عن شرائه الا الاغنياء . وسبب ذلك هو الخرافات التي كانت حائمة حوله اذ كان الناس يعتقدون أنه نظراً الى مشابهته لصورة الانسان يتصف بكثير من الصفات البشرية . فاذا استؤصل من الارض خرج منه صوت يقتل كل من يسمعه من البشر أو الحيوانات . ولذلك كان جامعوه اذا أرادوا استئصاله عمدوا الى ازاحة التراب من حوله بكل دقة واعتناء الى أن تبرز جذوره للعيان . ولكن هذا النبات (في زعم القوم) يصرخ الا متى استؤصلت جذوره . فمتى حان وقت استئصالها عمدوا بكلاب ويربطون ذنبه الى النبات ربطاً محكماً ثم يضعون الاواني ويرمون الكلاب رمية مؤلمة لكي يهرب ويستأصل النبات . وبما أن صوت الأواني يحول دون سماع صوت اليروح فان ذلك المسكين هو الذي يموت وحده ويذهب ضحية النبات

والعجب أن اليروح لا قيمة طبية له على الاطلاق . ومع ذلك كان الاطباء الاقدمون ينسبون اليه قوى خارقة

* * *

ومما يدعو الى الأسف أن الاطباء القدماء كانوا يجهلون علم تشريح كل الجهل . ولم تكن معرفتهم بأعضاء الجسم الانساني وحقيقة وضعها لا تتجاوز ... ومع أن اليونان برعوا في كثير من العلوم والفنون وفي صدارته ... تمثل البشرة الا أن رجالهم كانوا يحرم تشريح الجسم لدرس وظائف أعضائه

وليس هذا الامر عرضة فقط بين الرقي المتمدين في الوقت الحاضر أناساً يحرمون تشريح الاجسام ولا سيما أجسام المخلوقات الحية وان يكن في ذلك فائدة عامة

ومما يدلك على جهل الاطباء القدماء بحقيقة أعضاء الجسم أنهم كانوا حتى القرن السادس عشر يجهلون كل الجهل حقيقة عدد الاضلاع في الجسم . فكانوا يعتقدون أن أضلاع الرجل تنقص ضلعاً واحداً عن أضلاع المرأة . وسبب ذلك ما جاء في التوراة من أن الله عندما أراد خلق حواء ألقى على روحها آدم سباتاً وأخذ منه احدى أضلاعه وخلق منها المرأة . فصبت أضلاع الرجل أقل من أضلاع المرأة ! . . .

ومما يجدر بالذكر أن النساء في الزمن السالف لم يكن يؤذن لهن في الاستعانة بطبيب مولد عند الوضع . فكن يضطررن الى الاستعانة بالقوابل اللواتي لم يكن يعلمن من فن التوليد شيئاً ولا كن يراعين مقتضيات النظافة . وكان الاعتقاد الشائع بين الجمهور في تلك الايام أن محاولة تخفيف آلام الوضع خطيئة لا تغتفر لأن الله هو الذي فرض آلام الولادة على المرأة ، وقال لها : « تكثيراً أكثر اتعاب حبلك . بالوجع تلدين أولاداً » (أنظر سفر التكوين الاصحاح الثالث والآية ١٦) فالاستعانة بطبيب على تخفيف آلام الوضع خطيئة كبيرة . وفي الواقع أن الأطباء في ذلك الزمن لم يكونوا يعرفون من فن التوليد شيئاً على الاطلاق . ويقال أن أحد أطباء هنوفر (واسمه الدكتور فيرث)

تذكر في سنة ١٥٢٢ بثياب امرأة ليدخل بين النساء ويتعلم فن التوليد . ولكن أمره انكشف لاهل مدينته فقاموا عليه وأحرقوه

وكانت مهنة الطب في العصور المتوسطة محصورة تقريباً في اليهود الذين أخذوا مهنتهم عن اليونان . وكان معظمهم يمارسون الطب سراً لان الناس في ذلك الزمن كانوا يعزون التطبب بالسحر والشعوذة ويعتبرون جميع ذلك من أعمال الشيطان . على ان الاغنياء كانوا يستعينون بالأطباء اليهود سراً ويدفعون لهم الاجور الباهظة

* * *

وكان الاقدمون يستعملون الافيون وغيره من المواد المخدرة لتسكين الآلام . ولكن فن التخدير لم يتقدم كثيراً لان الناس كانوا يعتقدون ان الله هو الذي يرسل الآلام بالانسان فمن الخطيئة محاولة ازالتها أو تخفيفها . ومثل هذا الاعتقاد اعا يدل على الجهل المطبق . قيل ان سيدة من سيدات الاسكتلنديات تدعى « بوفايم مكالين » طلبت مرة من صديقة لها تدعى « أجنس سمبسون » أن تعطيها عند ما يجيء وقت وضعها مخدراً لتخفيف آلامها . فأجابتها اجنس الى ذلك فكانت النتيجة ان الناس قاموا على اجنس وأحرقوها في أحد ميادين مدينة ادنبره

وفي أوائل القرن السابع عشر حمي وطيس القتال بين أنصار التخدير من الاطباء وجمهور المتعصبين من رجال الدين والشعب . وكان أحد أطباء الاسكتلنديين قد ابتكر طريقة التخدير « بالايتير » ولكن الناس في أوربا وأميركا هبوا لمقاومته . وكان الاسكتلنديون أشدهم تعصباً في الامر نظراً الى ما هو مشهور عنهم من التمسك بآرائهم . الا أن أحد أطبائهم وهو الدكتور جيمس سمبسون أستاذ علم التوليد عامله خلاف هذا السلوك فاستعمل مادة « الايتير » . فهاج هائج رجال الدين وأخذوا ينددون به على المنابر ويقولون ما دامت الآلام هي من عند الله فكيف يجوز للمخلوق أن يحاول ازالتها ؟

واشتدت الحملة على ذلك الطبيب فأيقن انه هالك لا محالة . وأخيراً رأى أن يقدم للقوم سلاحهم ويفحمهم بالبراهين الدينية . فقال ان التوراة تقول انه لما أراد الله أن يخلق حواء « ألقى سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً » وصنع من الضلع امرأة وأحضرها الى آدم . فالسبات الذي ألقاه الله على آدم كان ضرباً من المواد المخدرة . وذلك برهان على جواز استعمال التخدير لاغراض طبية

وأتبع هذا البرهان المرحومة الملكة فكتوريا حين انها أباحت لأطباء القصر أن يخدروها بمادة الكلوروفورم (البنج) عند وضعها مولودها السابع وهو الدوق ليوبولد

وكان ذلك ختام الكفاح بين أنصار التخدير وجمهور المتعصبين من رجال الدين وقد انتهى الكفاح بانتصار الفريق الاول . والفضل في انتصارهم للملكة فكتوريا

على انه اذا كان رجال الدين قد أظهروا تعصباً في مقاومة الاطباء وتسببوا في موت الكثيرين فان المستشفيات لم تكن لتخلو من اللوم . فقد كانت مقتضيات الصحة فيها غير مرعية والاقذار فيها متراكمة . يدلك على ذلك ما كتبه « تيون » أحد الكتاب الفرنسيين في وصف مستشفى

« اوتيل دي ديو » بباريس فقد جاء في ذلك الوصف ما يأتي :

« كان في هذا المستشفى الف ومائتا سرير منها ٤٨٦ سريراً قد خص كل واحد منها بعليل واحد وفي الاسرة ينام على كل منها مريضان أو ثلاثة أو ستة مع ان عرض السرير لم يكن يزيد على خمس أقدام . وكان في قاعات المستشفى الاخرى المطلة نحو ثمانمائة من المرضى ينامون على الارض وليس تحتهم سوى قليل من التبن »

وكتب ما كس وردو عن هذا المستشفى يقول :

« كنت ترى في السرير الواحد أربعة مرضى أو خمسة أو ستة وقد اضطجعوا وأقدام بعضهم الى رؤوس البعض الآخر والرجال مختلطون بالنساء . وكثيراً ما كان ينام في السرير الواحد اشخاص مصابون بأخبث الامراض مع أشخاص مصابين بأوجاع بسيطة . بل كنت ترى في السرير الواحد امرأة تعاني آلام الولادة والى جانبها — في السرير عينه — امرأة مصابة بحمى التيفوس وأخرى مصابة بالسل وثالثة مصابة بالجدام ورابعة مصابة بمرض آخر . وكان المستشفى كله بؤرة للميكروبات والهواء مشبعاً بجراثيم الامراض حتى كان الزائر لا يستطيع دخول احدى الغرف من دون أن يضع على أنفه منديلاً مشبعاً بالخل لكي لا يستنشق الهواء الضار . وكانت جثث الموتى تترك في المستشفى أربعاً وعشرين ساعة قبل دفنها . وفي أحيان كثيرة كان المريض يقضي ليله والى جانبه على السرير جثة أحد الموتى »

أفليس من الدهش أن بعض الذين كانوا يدخلون ذلك المستشفى كانوا يخرجون منه أحياء ؟ والعجب أن القوم اضطهدوا من يوصي أحد الاطباء (واسمه سملفس) لأنه قال بوجوب غسل اليدين وتنظيفهما قبل القيام باية عملية جراحية

ولما جاء باستور وبسّر وحدا حذوهما بعض الباحثين في وجوب التطهير والتعقيم . وبمكانهم وضع أساس جديد للجراحة . وكان جانب كبير من العمليات الجراحية — حتى البسيطة منها — ينتهي الى عاقبة وخيمة ، أي الى تسمم الدم وموت المريض . فجاء هؤلاء العلماء بهذه الجراحة الى أعلى الذرى فانقذت حياة الملايين من البشر . ومن العجب أنه في العصور التي كان يعاني فيها الاطباء جميع أصناف الارهاق والاضطهادات كان الدجالون يجدون بين طبقات الامة مرعى خصيباً . فيبيعون الرقى والتعاويذ والاحجبة . وكانت تجارتهم رائجة

ولم تكن الجراحة الباطنية معروفة حتى أواخر القرن التاسع عشر . أما الجراحة الخارجية — وأهمها بتر بعض أعضاء الجسم — فقد كانت تتم باشد ما يكون من القسوة اذ لم يكن الجراحون يستعملون المخدرات ولا كانوا يعرفون أصول التشريح أو مبادىء الجراحة . واشهر في ذلك الزمن الحلاقون فكانوا هم يقومون ببعض العمليات الجراحية بل باكثرها كبتر أعضاء الجسم والحجامة والكي أو ما أشبه . وكانت مهنة الجراحة في ذلك الزمن أشق المهن وأكثرها خطراً لأنه اذا توفي العليل من جراء العملية فان عقاب نزول بالجراح هو قطع يده أو ساقه . فاذا كان المتوفى من أصحاب السلطة أو المنزلة الرفيعة كان الجراح يعاقب بقطع الرأس . وكثيراً ما كان يعدم اياماً كثيرة قبل قطع رأسه لذلك كان أكثر الجراحين يمارسون مهنتهم سراً وظلت الحالة كذلك الى بدء العصور الحديثة

ما هي انتاركتكا ؟

قارة جديدة تضاف الى خارطة العالم

في مجاهل القطب الجنوبي

كانت خارطة العالم تشتمل حتى عهد قريب على الست القارات المعروفة وهي آسيا وافريقية واوربا واميركا الشمالية واميركا الجنوبية واوستراليا . أما اليوم فقد اتسع نطاق الخارطة باضافة قارة جديدة أطلق عليها علماء الجغرافية اسم « انتاركتكا » أي قارة القطب الجنوبي

وقد ظلت هذه القارة مستغلقة على الانسان إلى ان اقتحمها نفر من المولعين بالأسفار والمخاطرات وآخرهم الكومندور بيرد الاميركي الذي وصل الى قلب تلك القارة وشاهد عجائبها وحللها المكسوة بالجليد بعد ان كانت الطبيعة قد حجبتها أمنع من عقاب الجو

وقد ثبت الآن أن مساحة هذه القارة لا تقل عن خمسة ملايين ميل مربع أي انها أكبر من أوربا بما لا يقل عن مليوني ميل مربع . ولا شك ان العلم سيتغلب على عناصر الطبيعة فيها فيستعمر البشر « انتاركتكا » وحينئذ يرتاح العالم وتتسع أمام الانسان موارد جديدة للرزق

لا تزال هذه القارة مكسوة بالثلج والجليد وقد كانت في العصر الجليدي من أخصب بقاع العالم وأصلحها . فهل تعود يوماً ما تؤدي في حلتها الجديدة وظائفها ؟ أن يستغل كنوزها ويتمتع بمحاصيلها الواسعة ؟

ان هذه البلاد لا تزال مجهولة إلا القدر القليل منها مما اقتحمه أبطال يرد وامندسن وسكوت . ولكنها سوف يستعمرها الانسان ويجد اليها سبيلها ويهاجمها . وجميع القرائن تدل على أنها غنية بالمعادن وبالفحم وانها سوف تكون في المستقبل من أفضل قاع العالم وأخصبها

نعم ان العين لا تبصر فيها الآن سوى حلل الجليد والسطح المكسوة بالثلج على مدار السنة ولكن حالتها سوف تتغير فتصبح مقر حضارة عظيمة

ومن غرائب هذه القارة ان العين تستطيع أن تبصر فيها إلى مدى مائة وخمسين ميلا (نحو ٢٤٠ كيلو متراً) والاذن تستطيع سماع الاصوات من مسافات شاسعة . ويكثر فيها السراب وانخداع البصر وهواتها تأثير غريب في الانسان

صفحة من تاريخ انتاركتكا

ظلت « انتاركتكا » أو قارة القطب الجنوبي مجهولة حتى الربع الاخير من القرن الثامن عشر وكان ملاحو البحر الابيض المتوسط يمخرون عباب البحر في جميع الاتجاه رغبة في اكتشاف البلاد

والمناهل الحديثة . ومع انهم أوغلوا في أسفارهم إلا انهم لم يصلوا الى منبه القطب مع ان الكثيرين من علماء الجغرافيا كانوا يؤمنون بوجود بلاد واسعة الارجاء عند القطب الجنوبي . بل كانوا يعتقدون أن هنالك قارة تمتد من القطب الجنوبي الى المناطق المعتدلة . وأول من عزم على استجلاء هذه الحقيقة ملاح مشهور يدعى الكابتن جيمس كوك قام برحلتين كبيرتين كانت الثانية منهما من سنة ١٧٧٢ الى سنة ١٧٧٤ وتمكن في خلالها من اجتياز دائرة القطب الجنوبي وجاب البحار القطبية ولكنه لم يجد أثراً لقارة ممروعة ولا لأية بلاد تمتد تمثالا الى المناطق المعتدلة . وقاسى في تلك الرحلة ما يحير القلم عن وصفه . فقد كان البرد قارساً والبحار القطبية مغطاة بجبال من الجليد حسبما كوك جزائر عائمة . واستخلص مما رآه واختبره ان الاقطار القطبية — على فرض وجود قارة هنالك — لا تصلح للحياة بسبب قسوة عناصر الطبيعة والظلام الدائم

على أن كوك عثر في أثناء تلك الرحلة على عدة جزائر خارجة عن دائرة القطب الجنوبي ، ومن جملتها جزيرة « جورجيا الجنوبية » وعثر أيضاً على قطعان كثيرة من حيوان البحر قال انها مكسوة فرو كثيف . وقد أحدث كلامه هذا صحة كبيرة بين تجار الفرو في انجلترا في تلك الأيام فأخذ الكثيرون منهم يرسلون الرسل في طلب ذلك الفرو . وكانت هذه الحركة في الواقع سبب اكتشاف القارة الجديدة

ومن المشهور من اولئك الرسل ملاح انجليزي يدعى كاتن بلفر أقلع وهو في العشرين من عمره في سفينة شراعية تدعى « جيرو » في أيلول سنة ١٨٠٨ وقضى حولها ثلاث سنين طافاً وقام عدة رحلات في بحار القطب الجنوبي اكتشف في خلالها مجموعة من الجزائر الجليدية المقفرة تقرب البلاد المسماة « جزائر لند »

وكثر تجار الفرو في تلك البحار الثائه . وعثر بعضهم على جزائر أطلقوا عليها أسماء مختلفة فكان لهم فضل كبير في توسيع خارطة العالم . ولكن بلاد القطب الجنوبي « انتاركتكا » ظلت مستعصية عليهم الى ان جاء دورفيل الفرنسي . وويلكيز الاميركي . وروس الانجليزي . وقد أوفد الاخير منهم من قبل وزارة البحرية البريطانية لاكتشاف مناطق القطب

واكتشف كل من الثلاثة المذكورين بلاداً لا تزال تحوم حولها بين علماء الجغرافيا حتى الآن

فلما دورفيل فانه اخترق البحار المكسوة بالجليد في شهر يناير عام ١٨٤٠ حتى انتهى الى ارض سماها « اديلي » باسم زوجته . واكتشف ويلكيز أراضي أخرى ، وادعى بأنه وصل الى أرض « اديلي » قبل ان وصل اليها دورفيل . وكان روس الانجليزي موفقاً أكثر من دورفيل وويلكيز فانه وصل الى القارة القطبية « انتاركتكا » وتوغل في الجزء الموجه منها لقارة استراليا . وعثر على قنن جبال كثيرة ماردة من البحر وعلى جبال في البر وأحراف هادئة . وتوغل قليلا الى جهة

الشرق فمثر على بركان يقذف سيولا من الحمم فدعاه « بوريبوس » باسم سفينته . ولعل أعظم ما اكتشفه يومئذ هو الحاجز الجليدي العظيم المعروف اليوم باسمه ، وهو يمتد شرقاً من جزيرة روس القائم عليها بركان بوريبوس حتى حدود الافق . وهو أعظم حقل جليدي في العالم ، وقد حال دون توغل روس جنوباً فاضطر أن يوجه سفنه شرقاً . وقد حير اكتشافه هذا علماء الجغرافيا فان الحاجز الجليدي المذكور يشغل مساحة لا تقل عن مائة وستين الف ميل مربع

وكثر مرتادو القطب الجنوبي واشتهر بعد ذلك منهم كابتن أدير الانجليزي وجيرلاش البلجيكي وأمندسن النروجي

عصر الابطال

على ان ارتياد القطب الجنوبي لم يبدأ في الحقيقة إلا في سنة ١٩٠١ حين ذهب الكابتن سكوت (أحد ضباط البحرية البريطانية) بسفينته الى القطب . وكانت رحلته هذه بدء العصر المعروف عند علماء الجغرافيا بعصر الابطال في تاريخ اكتشاف القطب الجنوبي . وقد قسم أولئك العلماء فترة

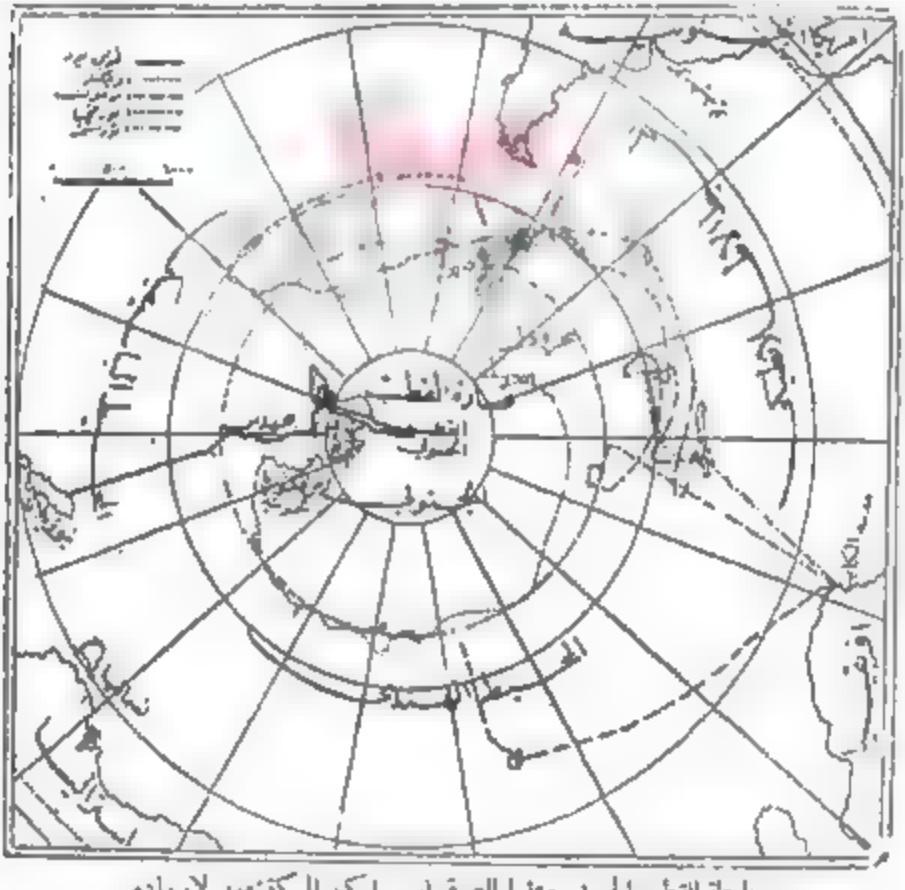

خارطة القطب الجنوبي وعليها الطرق التي سلكها المكتشفون لارياده

« انتاركتكا » الى أربعة أقسام وسموا كل قسم منها باسم القارة التي يواجهها. فهناك الربع الأوسترالي، والربع الأفريقي والربع الاميركي والربع الباسفيكي وفي الربع الاوسترالي توغل روس وسار على أثره كابتن سكوت. ثم توغل حتوناً فاكتشف سلسلة من الجبال حتى وصل الى الحزيرة المسماة باسم روس وأشرف على جبال الخليد المعروفة باسمه

وقضى كابتن روس ورفاقه فصل الشتاء في تلك الجزيرة وكان عزمهم ان يجتازوا جبال الخليد. ولم يكونوا يعرفون شدة الاخطار المحيقة بهم فلما انقضى الشتاء والربيع وأقبل الصيف شرع كابتن سكوت في رحلته ومعه رفيقان اشتهر اسمهما فيما بعد وهما الدكتور ويلسون والليوتنان شاكلتن. وكان مع الحملة تسعة عشر كلباً تجر المركبات المحملة على الثلج

وعانت الحملة ما لم يكن في الحسبان. فماتت الكلاب جميعها وأصيب الثلاثة الرجال بالامراض ولكنهم تمكنوا من اجتياز تسعمائة وخمسين ميلا على الخليد. ولما نالوا الشتاء واصلوا سيرهم وقد صمموا على التوغل الى أقصى حد من تلك المجاهل قبل العودة الى سفنهم

ووصل القوم الى الهضاب المعروفة بأرض «فكتوريا الجنوبية» ويبلغ ارتفاعها نحو تسعة آلاف قدم. ولما توغلوا فيها أدهشهم وجود من جميع آثار الحياة حيوانها ونباتها؛ وهي أقفر بلاد الله على سطح الكرة الارضية. وفي موضع من هذه الهضاب يكون من بلاد القطب الجنوبي حملة يعتقد انها بمجموعة جبال وهضاب مكسوة بالثلج والجليد على مدار السنة. الا أن الرحلة التي قام بها شاكلتن وحده بعد ذلك بضع سنوات أثبتت ان « انتاركتكا » أو بلاد القطب الجنوبي لم تكن كذلك

وكان غرض شاكلتن من رحلته الجديدة أن يصل الى ما يعرف بالقطب الجنوبي الجغرافي وان يرسل من هنالك حملة صغيرة الى ما يعرف بالقطب المغناطيسي وموقعه في شمال الهضاب المعروفة بارض «فكتوريا الجنوبية» التي كان سكوت قد اكتشفها. وسار شاكلتن مع اثنين من رفاقه لاكتشاف القطب. وبعد ان اجتازوا ٤٨٣ ميلا وصلوا الى نقطة تبعد مفتاح القطب الجنوبي وتعرف باسم « وادي بيردمور » ويبلغ طوله مائة ميل وعرضه عشرين ميلا وكله مكسو بالجليد

وقاست الحملة آلام الجوع والمرض والبرد القارس وكاد رادها ينفد. وبعد شهرين وعشرة أيام اضطرت ان تعود أدراجها الا أنها قاست في العودة أضعاف ما قاسته في المرة الأولى إذ بعد الزاد وماتت جميع البهائم فاضطر الثلاثة الرفاق أن يسيروا مسافة ألف وسبعمائة ميل على أقدامهم. وعلموا عندئذ أن فريقاً من اخوانهم الذين أوفدوهم الى القطب المغناطيسي نجحوا في مهمتهم. فكمل بذلك جزء من برنامج الحملة بعد معاناة مهالك لا يتصورها الفكر

وما كاد شاكلتن يرجع الى العالم المتمدن حتى أعلن اعتزامه الروحي عزمه على السفر الى القطب الجنوبي. وفي ١٩ اكتوبر سنة ١٩١١ أقلع صحبته أربعة رفاق وأربع مركبات تجرها الكلاب واثنان وخمسون كلباً. وعانى المعتزمون أيضاً أهوالاً عظيمة حتى انه اضطر مرة ان يقتل

أربعة وعشرين كلباً من الكلاب التي معه لحمل لحومها زاداً للحملة . وفي ١٤ ديسمبر من تلك السنة وصل الى القطب الجنوبي الجغرافي ورفع عليه علم الحكومة النروجية . وفي ٢٥ يناير سنة ١٩١٢ انتهت رحلته . وقبل انتهائها بستة أيام حانت الاقدار بأن كابتن سكوت الرحالة الانكليزي المذكور آنفاً وصل الى القطب الجنوبي وانه لما رأى آثار رحلة أمندسن شعر بخيبة عظيمة ولسوء الحظ هلك هو ورفقاه وهم عائدون من رحلتهم

ومع ان أمندسن هو أول من بلغ القطب الجنوبي إلا ان العلم لم يستفد منه بقدر ما استفاد من كابتن سكوت فان هذا جمع آثاراً كثيرة من تلك البلاد ودوّن عنها مذكرات ذات قيمة علمية عظيمة . وقد وجدت جميعها سليمة بعد موته

عصر الطيارات

وقام آخرون بعد ذلك برحلات الى القطب الجنوبي لاماطة اللثام عن قارة انتاركتكا المجهولة. وخلد جميعهم أسماءهم في سفر الابطال . وآخرهم دوخلاس موسون الرحالة الاوسترالي الشهير . إلا ان العلم وجد بعد ذلك وسائل جديدة لغزو القارة جديدة وكشف مجاهلها للعلم . وهي تلك الوسائل الطيارة واللاسلكي والوسائط الشمسية وآلات سبر الاعماق وآلات التصوير الميكانيكية ولا تزال رحلة بيرد بالطيارة الى تلك الانحاء حديث محفل العلم وقد أتمها بيرد في مدة قصيرة وكان قد أحكم لها التدابير وسلم في الطريق الى سلكها أمندسن من قبله

ومع ذلك فان ما نعرفه من أمر قارة انتاركتكا لا يزال ضئيلاً جداً ويكاد العلم يكشف لنا مجاهلها ويحل لنا أسرارها . وكل ما نعلمه عنها اليوم هو ان قارة كبيرة مكسوة بالثلج والجليد ومحاطة بالبحار العظيمة من جميع الجهات . إلا ان العلم آخذ في الازدحام بسرعة . والشر يحتاجون الى بلاد جديدة لاستعمارها . فهل يتمكنون من تذليل الضيعة القاسية في تلك الانحاء ويستعمرون بلاداً لا تقل مساحتها عن خمسة ملايين من الاميال ؟

سؤال سيجيب عنه المستقبل

دوار البحر والذبحة الصدرية

رأي جديد فيهما

لا تشعر أحشاؤنا بألم اذا مسست أو تناولتها سكين الجراح ولكنها تنكره ان تمط فاذا مطت ولو قليلا سببت لنا ألماً وارتياحاً . فما نسميه بالحرقه في المعدة هو شاهد من الشواهد الكثيرة على ما يحدث اذا مط عضو من أعضائنا الباطنيه الى أكثر من مرونته الطبيعيه . فاذا ثقل على معدة الواحد منا طعام أكله فهذا شاهد آخر على تمدد في غير محله . وقد يحدث تمدد في عضلة القلب يسبب توقفاً في عمل القلب ولا يكون عادة مجتنا ويمكن شفاء صاحبه منه وقتياً بأن يحور كخوار الثور ا :

هذا شيء من النتائج العجيبة التي تمخض عن أبحاث عالمين انجليزيين مشهورين من علماء الفسيولوجيا والذي يبدو أن تحدث انقلاباً في علم الطب . وهذان العالمان هما الدكتور بولتون والدكتور بايز من مستشفى جاي في لندن . فقد قاما بتجارب كثيرة اتخذا فيها أكياساً صغيرة من المطاط حتى اذا وضعت أمعاءهما ملأها هواء أو ماء وأنت ما يشعران به عند ذلك

ومن أغرب التجارب التي توصلا اليها بواسطة هذه الاكياس هي دوار البحر وما يشعر بعض الناس به من الدوار عند ركوبهم البحر فان هذه الاكياس تكشف عليه ولا تشير فيها الى أسفل وما شابه ذلك وعللا ذلك تعليلا جديداً لم يعرف قبلهما حتى الآن ووضعا هذه النتائج في خطة قررت حديثاً على كلية الاطباء الملكية في لندن . وخلاصة هذه النظرية ان سبب الدوار حصول تمدد وقتي في الانابيب والاكياس التي يتألف منها الجهاز الهضمي من أعلاه الى المعى الغليظ . ومن رأيهما ان عدم اصابة الاطفال بدوار البحر سببه ان أحشاءهم أخف من أحشاء البالغين وأكثر مرونة

وطريقة تجاربهما بسيطة ولكنها مرهقة فيهما يضعان الاكياس المفرغة والمملوءة ماء وأحدثا بواسطتها فيهما ما يصح ان يسمى عسر هضم صناعياً في سبيل الحصول على النتائج المذكورة آنفاً . فكانا يملآن الاكياس أحياناً الى وسط المري، وأخرى الى المعدة وآونة الى ما بعد المعدة أي الى أوائل المعى الدقيق ثم يفضيانها الى القمع المرسوم أو يملآنها ماء فتكون قابلة للضغط في الحالة الاولى أي في حالة نفخها وغير قابلة له اذا ملئت ماء

فاذا تنفس المري، أو المعدة عند وجود الكيس فيها سجلا طول التنفسات ومقدارها بآلة عند طرف الانبوبة المتصلة بالكيس من الطرف الآخر

وقد عرف الفسيولوجيون منذ زمان طويل ان أم المعدة لا يمكن ان يكون سببه ألماً عادياً في طبقات المعدة لان هذه الطبقات لا تشعر بالنفس فضلا عن الالم . وقد روى وليام هارفي مكتشف دورة الدم منذ مئات السنين ان مريضاً أصيب بفرحة في صدره تركت مكانها ثقباً يرى القلب منه فكان اذا مس الهواء الذي حول القلب لم يشعر المريض بشيء ما . وقد أثبت الجراحون ذلك مراراً كثيرة بعده

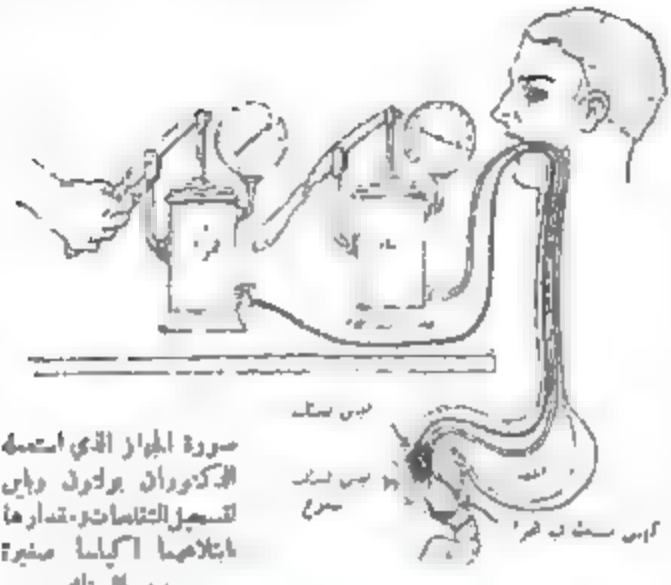

صورة الجهاز الذي استعمله الدكتوران بولارد وباين لتسجيل التقلصات وعقدارها بابتلاعهما اكياسا صغيرة من المطاط

ويقول الطبيبان المذكوران [illegible] الشعر الملمس ولا يدلان من أعصاب الحس والالم فيها أطراف خاصة تنتهي في الجلد وحوله وليكن جلد الشعر لا شعر به الا بأطراف الاعصاب الخصوصية في العين فكيف لا يحس [illegible] ولا يدل الاطراف لمشار اليها

فاذا كان الامر كذلك فما هي [illegible] في الاحشاء وهي مملوءة من أعصاب الحس والالم؟ يقول المذكوران حول هذا [illegible] أعصاباً أخرى تختلف عن أعصاب الحس والالم كما تختلف بصر والسمع عن سائر الاعصاب . فهذه الاعصاب الخصوصية هي التي تكتشف وجود التمدد في الاحشاء وهي سبب معظم آلامنا الباطنية وهذه ثلاث حواس خصوصية هي أولا العثيان الذي نشعر به قبل التقيؤ . وثانياً حرقة المعدة وهي أولى درجتي التخمة . وثالثاً الشعور بالمغص في المعدة وهو الدرجة الثانية . وهذه الثلاث ناشئة عن تمدد في جدران المعدة أو في المريء الذي يحمل الطعام من الفم الى المعدة

ويعسر كثيراً على المرء يصاب بالعثيان ان يعين موضع الشعور به فيحيل اليه انه موزع على الجسم كله وان له علاقة خاصة بالمعدة لا يستطيع تحديدها أو تعيين نوعها ولكن الدكتورين يقولان انه ناشيء عن تمدد كثير في أعلى المريء تحت الحنجرة . فاذا أدخل كيس لستك الى مريء أحد ونفخ شعر بعثيان واذا زاد النفخ شعر بألم . واذا تمددت جدران المريء أكثر بقي الالم ولكن يشعر به عادة في المعدة لا في الصدر وأما العثيان فيزول

وكثيراً ما يزيل التجشؤ الالم أو العثيان وقتياً وذلك لان البلع يفلص الانسجة العضلية التي في جدران المريء فيقل التمدد فيها وقتياً . واذا أرسل الكيس الى الفتحة الفؤادية مكان اتصال المريء بالمعدة شعر الانسان بدل العثيان كأن كرة حامية في معدته وهذا الشعور معروف عند الاطباء

باسم « حلوتس » أو السكرة . واذا نفخ الكيس كثيراً شعر الانسان بالالم

أما الحرقة في المدة فقد وجد ان سببها تمدد حدران المدة عنها وكلما زاد التمدد سواء كان ذلك بكيس الهسك أو بالشيء الذي سبب الحرقة زالت الحرقة وحل محلها الالم المعروف

فقد فهمنا هذ الشعور الناشيء عن تمدد المريء أو المدة اتضح لنا هذا الرأي الجديد عن سبب دوار البحر . ومعاد هذا الرأي ان ارتفاع الباخرة وهبوطها من شأنهما ان يمددا الجزء الاعلى من المريء كما يحدث اذا علقت ثقلا بأسفل أنبوبة لستك وهززت الانبوبة هزاً عنيفاً الى فوق وتحت . والجزء الاعلى من المريء في الانسان ملتصق بعظم العنق والمعدة في أسفله تعمل عمل الثقل في أنبوبة اللستك . وكل هبوط في الباخرة يمدد المريء ويكون هذا التمدد على أشده وأسرعه في الجزء الاعلى فيحدث غثيان النفس من ذلك . واذا دام الحال على هذا المنوال عقب الغثيان عسر في الهضم وزالت جميع أعراض الغثيان

وربما كان أهم مافي تطبيق رأي الطبيبين ما يتعلق بالقلب فان الالم الشديد الفجائي الذي يشعر به في نوب المرض المعروف باسم الالم الفؤادي قد يكون سببه تمدد حاد من القلب بازدياد الدم فيه وتوقف عمل هذا الجانب . فاذا توقف الجانبان مات المصاب ولكن اذا توقف جانب واحد فان الآخر يقوم بعمله الى ان يشفى الجانب المصاب ووجود الدم بكثرة فيه يمدد أنسجته ويؤثر في أطراف الاعصاب كما في المريء ويحدث الالم الشديد . فاذا صاح المصاب بصوت عال فان ذلك يهبي الرئة على الخلاص لان تخلص الصدر تشده يطرد الدم الزائد من القلب ويخفف الالم الحادث عن التمدد

مأثورات

- الخلاف يهدم الرأي
- عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله
- من لان عوده كثفت أغصانه
- ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن
- خير البلاد ما حملك
- السفر يسفر عن أخلاق الرجال
- ما أحببت أن يكون معك غداً فقدمه اليوم
- التزام الحق ، والقيام بالواجب ، وعفاء الضمير ، ثلاث إذا سادت العالم ساد السلام
- رب ضيق أفضل من سعة ، وعناء خير من دعة
- لا يعرنك ثناء من جهل أمرك
- الناس في الولاية رجلان : رجل يحل العمل بفضله ومروءته ، ورجل يحل بالعمل لنقصه ودناءته

سير العلوم والفنون

اكتشاف السيار التاسع

قد مرصد لويل بولاية اريزونا بامريكا حيث اكتشف الشاب كلايد الاميركي السيار التاسع وقد نشرنا مقالا عن هذا الاكتشاف الجديد في هذا الجزء من المقتطف

مكتشف السيار

اسم هذا مكتشف السيار الجديد وقد اكتشفه بواسطة مرقب (تلسكوب) ذي عدسة فاكسة ترى في الصورة . والارجح ان السيار الجديد هو اكبر من المشتري

انماء النبات بالاشعة

العالم الطبيعي فريتز هلدجراف ، الذي ترى صورته تحت هذا الكلام ، من علماء برلين وقد ابتكر طريقة لانماء النبات في نصف المدة المعتادة بتعريض بذوره للأشعة التي تحت الحمراء قبل زرعها . وقد جربت هذه الطريقة في عدة نباتات فاسفرت عن نجاح تام . وبهذه الطريقة يمكن زراعة النباتات مرتين في السنة

نبات زهرة الشمس قبل تعريضه للأشعة التي تحت الحمراء وبعد تعريضه

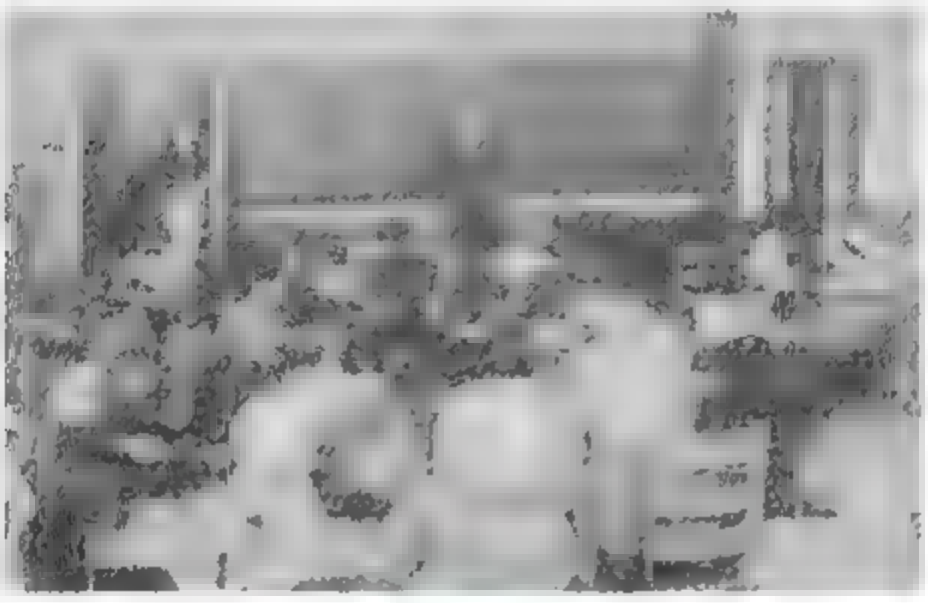

العلم والسر

سماعة تليفونية ادوينها [illegible] وعلق فيها [illegible] الفسيح و « الفرجون » [illegible] وعادات [illegible] وأستاذ السر [illegible] هو والد [illegible] الاختراع [illegible]

أصغر جهاز للإرسال عالمة

[illegible] وهو أكبر معهد للراديو في [illegible]

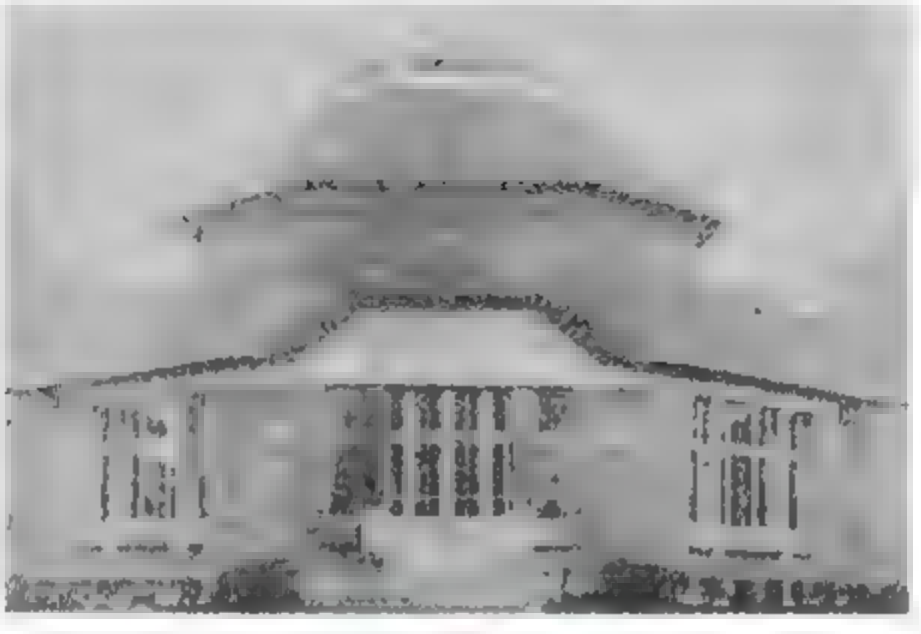

معهد للسرطان بجوار باريس

افتتح أخيراً في فيلجويف بجوار باريس معهد للسرطان فيه أحدث الوسائل التي توصل اليها العلم لمكافحة هذا المرض . وترى هنا صورة هذا المعهد

مكافحة السرطان

طبيب يفحص مرائي السرطان بعد تربيتها تربية صناعية

في اخفاص اريحا

شرع الاستاذ ماركتاند في القيام باعمال الحفر في المكان الذي يظن ان مدينة اريحا كانت قائمة عليه . واريحا هذه هي التي ذكرت التوراة انها انحرقت بامر يشوع . وقد عثر المنقبون هناك على آثار ذات قيمة تاريخية تؤيد الرواية التي وردت في التوراة عن اريحا . ونرى في الصورة آثار السور الشمالي الذي كان حول الاعداء عن المدينة

الطير الرعيد

الوفي في الصيف

من الاوفى ايضاً تخلع قبعتي الشتاء . وفي هذه الصورة منظر صبي يرى كيف صنع الاوفى لجمها بنفسها

هل نستعمر الكواكب ؟

الاستاذ جودارد الأميركي والدكتور أوبرت الألماني هما في مقدمة الذين يعملون الآن بالوصول إلى القمر بواسطة قذيفة تنطلق في الفضاء وينطلق منها في أثناء سيرها سلسلة من القذائف إلى أن تخرج من منطقة جاذبية الأرض فيسهل وصولها إلى القمر . ويعتقد هذان العالمان ان مشروعهما ليس ممكناً من الوجه العلمي فقط ، بل هو ضروري أيضاً من الوجه العمراني لان الأرض قد أخذت تردحم بسكانها وسوف يأتي يوم — وهو قريب — لا يبقى فيه محل لزيادة في سكان العالم . ولن تكون الشكلة في ضيق مساحة الأرض فقط بل في عجزها عن امداد الانسان بما يحتاج اليه من ضروريات الحياة . ولذلك يجدر بالذين هم الآن يفكرون في طريقة يستعمرون بها بعض الأجرام العلوية التي تصلح للحياة . وهذا — في اعتقاد الاستاذين المذكورين — ممكن ولا بد أن يتحقق في القريب العليل

نظارات جديدة

اخترع الدكتور ليوبولد هاس طبيب العيون الالماني بأحد مستشفيات كبال نظارات جديدة توضع على العين مباشرة وتحت الاجفان . فهي بالنسبة الى العين كالاسنان الصناعية الى الفم . وقد كتبت عنها احدى المجلات الطبية الاميركية فصلا جاء فيه ان النظارات الجديدة توضع تحت الاجفان كما توضع العيون الصناعية . وهذه النظارات مصقولة صقلا عظيما بحيث لا تتعب العين ولا تهيج غشاء الاجفان من الداخل . وقد يضايق من يستعملها في أول الامر ولكنه لا يلبث قليلا حتى يشعر براحة عظيمة

وهذه النظارات تفضل النظارات الاعتيادية من عدة وجوه أهمها انها لا تسقط على الارض ولا يعلوها الوسخ أو الغبار لان افرازات العين تسيلها على الدوام . فضلا عن انها تقي العين من ذرات الغبار وما أشبه . وقد نشرنا صورة المخترع والنظارات في الهلال الاخير

الحرائق في الارياف

يؤخذ من التحاريب الكثيرة التي قام بها الاميركيون في بلادهم أن جانباً كبيراً من الحرائق التي تحدث في الارياف ولا سيما في الولايات الحارة لا يعرف سببها بالتمام ولكن العلماء يظنون أنها تحدث من تلقاء ذاتها ولذلك يسمونها « الحرائق القاتلة » . وهذه الحرائق تنشأ عن احتكار القش أو العشب أو ما أشبه من المواد السريعة الاحتراق ثم لا تستطيع أن تمتد الى جميع الجهات وتلتهم كل ما تراه في طريقها . وهذا هو سبب معظم الحرائق التي تقع في الغابات . وكثيراً ما يقع عندنا أيضاً حرائق مثلها فيظن أنها من فعل فاعل ولكن تحريات رجال الامن العام تذهب سدى اذ لا يمكن العثور على الفاعل

ويؤخذ من بعض الاحصاءات أن قيمة الخسائر بسبب « الحرائق القاتلة » في أميركا لا تقل عن عشرين مليون ريال (أربعة ملايين جنيه) كل عام فضلا عن الحرائق التي لا يهتدي البوليس الى سببها وقد زادت الخسائر بسببها في العام الماضي على مائتي مليون دولار أو أربعين

مليون جنيه . والارجح أن حاسة كبيرا منها كان من نوع الحرائق الذاتية

فيجدر بنا أن نعنى بهذه المسألة وان نعلم أن وضع أحطاب القطن على سقوف المنازل كما يعمل الفلاحون عندنا قد يؤدي الى حدوث حرائق ذاتية وقد يتهم في احداثها الابرياء

النمل واطفاء الحرائق

نشرت مجلة « كوزموس » الالمانية مقالة لعالم الماني وصف بها كيف يتعاون النمل على اطفاء الحرائق أو البيران التي تهدد أوكاره . وهذه الخاصة العجيبة في النمل قد كانت معروفة بين فريق من علماء الحيوان وبين العامة في اوربا وأميركا أيضاً ولكن لم يكن أحد قد تصدى لاثبات هذه الحقيقة أو لنفيها حتى اشتر الاستاذ فريدريك جد الالماني جميع التجارب التي قام بها هذا الشأن . وإليك ملاخصة ما كتبته له مجلة كوزموس . قالت :

« قصد الاستاذ فريدريك جد الى احدى قمم الالب النمسوية ورل معه بستاني يدعى « هاندر » ثم سار به الى غابة يكثر فيها النمل ومعه شمعة . وما توغل في الغابة قليلا حتى انتهى الى احدى قرى النمل وكانت تضج « بما كبيرا » . فعزم على القيام بتجربة هنالك فاء بالشمعة وأضاءها ووضعها على الارض

« ولا تسل إذ ذاك عن الرعب الذي حل بالنمل . وبعد انقضاء الدهشة الاولى هجمت جمع عشرات من النمل على الشمعة وأخذت تتسلقها الى قمتها بحركات رشيقة منتظمة لا أثر للفوضى فيها على الاطلاق . وما وصلت بعض النملات الى قمة الشمعة حتى وقفت هنيهة كأنها تتأمل في الموقف لترى كيف تحارب اللهب . وجمع الاستاذ جد دائما جميعاً لطيفاً كأن أحداً رش لهيب الشمعة بسائل . وتكرر هذا الجميع عدة دقائق منقطعة حتى اطفأ لهيب الشمعة بعد أربع دقائق ونصف دقيقة من اضاءتها

« وكرر الاستاذ جد هذه التجربة مرات مؤيدة للاولى فثبت ان النمل من أمر حيلة للمطافىء

دم العجول والفحم

تقول احدى المجلات الاميركية ان عدد ما يذبح في الولايات المتحدة كل سنة من العجول والاغنام يزيد على خمسة عشر مليون رأس . وقد يبدو للقارىء ان دماء هذه الماشية تذهب ضياعا ولا ينتفع بها . والحقيقة على خلاف ذلك فان هذا الدم يجمع ويوضع في براميل خاصة ويستعمل سماداً للمزروعات . وقد يؤخذ جانب منه فيعالج بالكهرباء لمنعه من التجمد ثم يفصل بطريقة طبية يطول شرحها الى سائل أحمر (هو قولم الدم) ومصل مائي . ويجفف السائل الاحمر في غرفة هواؤها ساخن ثم يسحق فيصبح أشبه بمودرة حمراء تستعمل في صناعة صبغ الجلد

اما المصل المائي فيعالج بحامض الكبريتيك فترسب منه مادة « الفبريوجين » (وهي المادة الحمراء التي تنفصل عن الدم عندما يتجمد) . وهذه المادة تستعمل في بعض المستحضرات الطبية . اما السائل الصافي الذي يتبقى بعد رسوبها فيجفف ويحول الى مسحوق ناعم (بودرة) يصدر

لونه الى الاصفرار وليس له طعم ولا رائحة ويستعمل في الدباغة

الحضارة الحديدية

بلغ مجموع ما استخرج من الحديد الخام من مناجم الولايات المتحدة في سنة ١٩٢٨ أكثر من اثنين وستين مليون طن أي بزيادة أقل من واحد في المائة على كمية الحديد الخام الذي استخرج من تلك المناجم في السنة التي قبلها . وبلغ ثمن ذلك الحديد أكثر من ١٥٥ مليون دولار (أو ٣١ مليون جنيه) . ولا يزال هذا المعدن أهم المعادن التي نحتاج اليها العمران في الوقت الحاضر ولذلك سمي هذا العصر حضارة هذا القرن بالحضارة الحديدية

ذوات الثدي

مما يدل على سرعة تقدم العلم ان الانواع المعروفة من ذوات الثدي لم تكن تزيد منذ مائتي سنة على مائتي نوع . ولم يكن اسماء لينيوس في سنة ١٧٥٨ يعرف أكثر من ستة وثمانين نوعاً منها . وفي أيام بايرد (أي بعد لينيوس بنحو مائة سنة) بلغ عدد المعروف منها ٢٢٠ نوعاً . إلا ان العلم تقدم بعد ذلك بخطوات واسعة فلم تنقض خمس وثلاثون سنة على وفاة بايرد حتى زاد عدد الانواع المعروفة من ٢٢٠ الى ٤٤٢٣ . وبعد ذلك الحين الى الآن أضيف الى مجموعة الانواع نحو نهاية آلاف وسبعمائة نوع آخر . ولا يزال العدد يزداد بمتوسط مائتي وخمسين نوعاً كل عام

هل تنتصر على الجاذبية

يقول الدكتور ولف أحد علماء الالمان ان تجارب علمية كثيرة تجري الآن في معاهد علمية مختلفة قصد الانتصار على الجاذبية . ولا يخفى أنه لولا الجاذبية لكان كل ما على سطح الكرة من نبات وحيوان يتطاير في الفضاء لان الكرة تدور بسرعة هائلة . ولذلك يفكر العلماء في وسيلة يستطيعون بها التغلب على هذه القوة لكي يستطيع المرء أن يسير صعوداً في الهواء كما يسير الى الامام والى الوراء . وقد تبدو هذه الفكرة غريبة في أول الامر ولكنها ممكنة من الوجه النظري وذلك بأن يكتشف العلماء مادة يخترقها تيار الجاذبية كما تخترق أشعة النور الزجاج . ومتى اخترق التيار المادة تعطل تأثيره فيها فلا تكون خاضعة لناموس الجاذبية ويهبط المرء بمكبح الحركة صعوداً وانحداراً وفي جميع الجهات

النور الصناعي في المناجم

لا يخفى ان عمال المناجم — ولا سيما مناجم الفحم — قلما يرون نور الشمس في أثناء عملهم . وهذا يؤثر عليهم تأثيراً سيئاً والنور الوحيد الذي يهتدون به هو النور الكهربائي . ولذلك ترى أن صحة عمال المناجم بوجه الاجمال ليست على ما يرام . وقد اقترح أحد العلماء الاميركيين استعمال مصابيح الكوارتز للاشعة التي ورء البنفسجي للاستعاضة بها عن نور الشمس الطبيعي . فعمل أصحاب المناجم الاميركية بهذا الرأي وأوجدوا مصابيح كوارتز في المناجم . وتدل تقارير الاطباء على تحسن الحالة الصحية بين العمال وللانتظار أن تعم هذه المصابيح في مناجم كثيرة

ناطحات السحاب ورجحانها

أصبحت مدن أميركا تعنى بناطحات السحاب ويظهر أن الاميركيين لن يقفوا عند حد في اعلائها ومن غريب أمر هذه الابنية أنها لا تمتد فقط صعداً في الجو بل أن لبعضها عدة طبقات (أدوار) تحت الارض . وأعلى تلك الناطحات في مدينة نيويورك في الوقت الحاضر هي بناء شركة كوبلر اذ يبلغ ارتفاعها فوق سطح الارض ٨٠٨ أقدام وهي مؤلفة من ثمان وستين طبقة (دور) عدا الطبقات التي تحت سطح الارض . وتليها بناية ولورث وارتفاعها ٧٩٥ قدماً وبها ستون طبقة فوق سطح الارض . وتليها بناية شركة المتروبوليتان للتأمين على الحياة ويبلغ ارتفاعها سبعمئة قدم وبها ست وخمسون طبقة فوق سطح الارض

وقد ثبت بالتجارب العلمية أن هذه الابنية الشاهقة ترجح وتهتز في مهب الرياح بسبب علوها الشاهق . ثم أن رجحانها لا يشعر به سكانها الا في الاحوال النادرة ولكنه يقوى ويشتد باشتداد الاعاصير . ومع ذلك فان تأثير الزلازل فيها لا يزيد على تأثير الزلازل في أي بناء آخر . ويقول المهندسون إن ناطحة السحاب تعمر نحو مائة عام ثم يجب بعد ذلك هدمها وتجديد بنائها

درجة الصفر المطلق

لا يخفى أن العلماء لم يتوصلوا حتى الآن الى درجة الصفر المطلق وهي ٢٧٣٫١ تحت الصفر الاعتيادي (مقياس سنتجراد) أو ٤٥٩٫٦ بمقياس فهرنهيت) الا أن الاستاذ كيسوم (من أساتذة جامعة ليدن) تمكن بعد تجارب علمية كثيرة من الوصول الى ٨٢ - من درجة واحدة بمقياس سنتجراد فوق درجة الصفر المطلق . وهي أقصى ما انتهى اليه جهد العلماء في هذا السبيل . وقد أنجز الاستاذ كيسوم تجربته هذه في فراغ يبلغ حجمه مائتي سنتيمتر مكعب (أو ١٢٠٣ بوصة مكعبة)

ودرجة الصفر المطلق هي الدرجة التي لا يمكن أن توجد فيها الحياة لأنها درجة من البرد لا يستطيع الفكر أن يتصوره . وعلى كل فان الدرجة التي وصل اليها الاستاذ كيسوم هي أبرد ما عرفه العلم . واذا أمكن توليدها بالوسائل العلمية أمكن على الارجح حفظ جميع أنواع الطعام من الفساد مدة طويلة

ويعتقد السر أولفر لودج العالم الانجليزي أن درجة الصفر المطلق متناقضة لمبدأ النسبية لانها درجة لا يمكن عندها حركة الكهارب (الالكترونات) التي تتألف منها المادة وقوفاً تاماً مطلقاً لا وقوفاً نسبياً

الاقبال على العلم في اميركا

يؤخذ من احصاءات وزارة التعليم في الولايات المتحدة ان عدد تلاميذ المدارس الاميركية المتأهلة للمدارس الثانوية عندنا قد زاد في خلال الثلاثة الاعوام الماضية زيادة هائلة . فقد كان ذلك العدد في سنة ١٩١٠ — اي منذ عشرين سنة — نحو ٩١٥٠٠٠ تلميذ فاصبحوا في سنة ١٩٢٦ نحو ٣٧٥٧٠٠٠ تلميذ اي نحو اربعة اضعاف عددهم منذ ست عشرة سنة

ولا يدخل في هذا الاحصاء عدد التلاميذ الذين في المدارس المتوسطة (ولا يقل عن مليون) ولا عدد طلبة الجامعات والمدارس الابتدائية

شئون الدار

كل متى شئت وما اشتهيت

من الاعتقادات الشائعة بين الجمهور ان تنظيم الأكل وقصره على مواعيد منتظمة أكثر انطباقاً على مقتضيات الصحة وان الاكل في مواعيد غير منتظمة مفسد للهضم ومقصر للعمر

وقد قام الدكتور ولتون أستاذ قسم البيكولوجيا بجامعة ثيل الأمريكية عدة تجارب لاختبار حقيقة هذا الاعتقاد . فكان البحث الذي انتهى اليها مكذبة لهذا الاعتقاد إذ ثبت له ان المعدة تستطيع هضم الطعام في كل وقت بشرط وصوله إليها وان إرغامها على الانتظار ريثما يجيء وقت الاكل إنما هو مضر بقضيب لصحة فيجب عدم تقييد المعدة بمواعيد معينة إلا للضرورة القصوى

ومن الاعتقادات الشائعة بين الناس أيضاً ان الامتناع عن أكل بعض الأطعمة منشأه العادة . وفي الواقع ان الانسان لا يشتهي إلا من الطعام الذي تميل اليه نفسه . أما ارغامه على أكل طعام لا يميل اليه فلا يغذيه

علاج السعال الديكي قديماً

كان علم الطب حتى أواخر القرن الماضي يموج بكثير من الخرافات وكان الكتيرون من الاطباء دجالين ومشعوذين . ومع أن هذا العلم بلغ درجة عالية (نسبياً) عند المصريين القدماء الا انه كان محصوراً في طائفة الكهنة التي كانت محتكرة جميع العلوم في ذلك العهد

وقد ثبت الآن ان المصريين القدماء كانوا يعالجون السعال الديكي بلحم الجرذ والعنزان فقد ذكر الاستاذ « وارن دومن » الانجليزي في كتابه تاريخ علم الطب في مصر — ان احدى صحائف البردي التي يرجع تاريخها الى سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد تصف لحم الجرذ (بعد سلخ الجلد) لمعالجة السعال الديكي ويقول الاستاذ دومن « وجدوا في الجهاز الهضمي لبعض الاطفال المصريين المحنطين حتفهم حتى الآن بقايا لحم الجرذ والارجح ان اصحاب تلك الجثث ماتوا بالسعال الديكي بعد تناولهم لحم الجرذ

التنويم المغناطيسي والولادة

يقول الدكتور جلوت سكوت وهو من كبار الاطباء في انجلترا ومن أنصار مذهب التنويم (مخاطبة الارواح) ان في الامكان استعمال التنويم المغناطيسي لمساعدة الحامل على الوضع فان التنويم يقوم مقام التخدير ويفقدها من آلام الوضع . وقد دلت بعض التجارب التي قام بها على أن التنويم يفضل التخدير لأنه لا يترك وراءه الآثار التي يتركها التخدير

ومن رأي هذا الطبيب أيضاً أن جسم الانسان يفرز سائلا اثيرياً هو المعروف عند أصار « السرتزم » بمادة الايكتوبلازم وهذه المادة لطيفة جداً لا يمكن مشاهدتها الا في حالات معينة . والوجدان الباطني وحده هو الذي يشعر بوجودها . وهي تنبعث من كل عضو من أعضاء الجسم وتتخذ شكل ذلك العضو كأنها قالب له . وفي هذا القالب تحل الروح وتظهر بشكل شبح

وكثيراً ما تتخذ مادة الاكتوبلازم شكل عصاً قصيرة ذات أربعة جوانب أو شكل مكعب مستطيل . وهذه العصا التي يستعين بها « الوسيط » على رفع الاثقال والموائد كما يحصل كثيراً في جلسات استحضار الارواح . ولا يمكن رؤية هذه العصا لأن مادتها اثيرية كما سبق القول ومع ذلك يقول الدكتور سكوت إن لها نوراً خاصاً يستطيع الانسان رؤيته عندما يكون تحت سيطرة وجدانه الباطني

ويدعي بعض أنصار السرتزم أنهم قد تمكنوا من تصوير الارواح بالآلة الفوتوغرافية عند ظهورها بثوبها الاكتوبلازمي . ولا شك ان هذه الدعوى خرافة لا يمكن اثباتها بدليل علمي

مناعة الاحذية

ونقصد بها تأمين الاحذية حتى لا يتسرب الماء الى داخلها . ومثل هذه المناعة لازمة في البلدان التي تكثر فيها الامطار كروسيا وبريطانيا العظمى وكندا

وقد ابتكر الاشتغلون صناعة الجلود والدباغة عدة طرق لاحداث تلك المناعة نذكر منها الطريقتين الآتيتين

١ ـ أن تمزج ١٦ اوقية من البترولاتوم بأوقيتين من شمع العسل مرجاً جيداً الى أن يذوب الشمع ثم يدهن الحذاء بالمزيج من الخارج وتدعه يجف فيصبح الجلد أشبه بالمشمع الذي لا يخترقه ماء

٢ ـ أن تمزج ٨ أوقيات من البترولاتوم بأربع أوقيات من شمع الزنبور قليل من صبغ الترنتين مرجاً جيداً ثم تدهن الحذاء بالمزيج كما في الوصفة السابقة

بلاد خالية من الامراض

المعروف ان البلاد القطبية هي ذات هواء نقي وان انتشار الامراض فيها صعب جداً بسبب بردها القارس . وقد أثبت الدكتور كارسكي من علماء لنينغراد أن جزيرة « بوفا رملا » الواقعة في بحر القطب الشمالي هي خالية من جميع الميكروبات والجراثيم . فقد قضى في الرصد الاميري الموجود في تلك الجزيرة مدة طويلة وقد في خلاف تحت واسعة النطاق فثبت له ان جو الجزيرة خال من جراثيم خلواً تاماً . حتى ان الحيوانات التي تصطادها أهالي تلك الجزيرة هي خالية خلواً تاماً من كل أثر للكتيريا أو الجراثيم . وهذا يثبت صحة الاعتقاد الشائع بين العامة وهو ان المناطق القطبية هي الفردوس الاصلي الخالي من جراثيم الامراض لمن يستطيع ان يتحمل بردها القارس

التدخين والمشروبات الروحية

الحملة على التدخين والمشروبات الروحية قوية في جميع أنحاء العالم ولكن الذين ينظرون الى نتائج تلك الحملة والى صائتها يرتابون في نجاحها

وفي الواقع ان الاعتدال في كل شيء هو خير الامور حتى في التدخين والمشروبات

الروحية . ولو كان في وسع المرء أن يحكم بإرادته وأن يقتصر كل يوم على تدخين سيجارة واحدة بعد كل طعام (أي على ثلاث سيجارات أو أربع فقط في اليوم) لكانت فائدة تدخينها أكثر من فائدة الاقلاع عنها . أما والانسان ضعيف الارادة فمن الخير توقع النفع من كمية السجائر التي يدخنها كل يوم

وهكذا القول في المشروبات الروحية فقد أثبتت أحدث التجارب العلمية ان تناول كمية قليلة من تلك المشروبات هو دو نفع عظيم جداً بشرط ألا تزيد كمية الكحول على نسبة معينة وفي الوقع ان تناول جرعة صغيرة من المشروبات الروحية مرة في اليوم عند الغداء أو العشاء مما ينبه المعدة ويساعدها على الهضم وعلى عملية التحول (ميتابوليزم) وكمية من هذه الجرعة تعتبر جداً ولا يستطيع أن يكتفي جسم رجل أو بكمية قليلة من ثلاثة جرعات وهذه هي ضررها

حفظ الملابس بالكهربائية

كان المعلوم حتى الآن ان الكهربائية تبيد الفئران وبعض الأطعمة السائلة دليل ان الفئران تحتقر أو يبعد عند وقوع الصاعقة وفي الواقع ان هذه الحقيقة كانت معروفة عند فلاحي أوربا وأميركا عند أقدم الأزمنة فكانوا إذا أحسوا بدنو زوبعة جوية أو تقرب وقوع الصاعقة أسرعوا فدخلوا الفئران إلى بيوتهم وحبسوه في آنية لا تصل اليها « رائحة الصاعقة »

على ان الدكتور سيدن النمسوي قد أعلن الآن انه اكتشف طريقة لحفظ الثياب من الفساد مدة طويلة وذلك باطلاق تيار كهربائي عليه . وقد أحدث اعلانه هذا دهشة في جميع معامل اللبن وازدادت في الضواحي قرارت الحكومة النمسوية اختبار هذا الاكتشاف حتى إذا ثبت لها أشارت على الفلاحين باتباعه

ويؤخذ من أحدث الأنباء ان التجارب التي قامت بها تلك الحكومة في معاملها الخاصة أسفرت عن تأييد دعوى الدكتور سيدل . وانه لمعالجة اللبن بالتيار الكهربائي يجب تسخينه لدرجة ٤٠ سنتجراد ثم اطلاق التيار الكهربائي عليه . وهو بهذه الطريقة لا يفقد طعمه ولا الاخلاق

تطور طرق المعالجة

من يتتبع تاريخ الطب عند أقدم الأزمنة حتى الآن يرى التطور في طرق المعالجة أجلى منه في أي مظهر من مظاهر الحياة . فقد كان الاقدمون يعالجون بعض الأمراض بمواد وبطرق لا يمكن أن نعتبرها نافعة في الوقت الحاضر ولا نظن ان هنالك وسيلة من وسائل المعالجة الحاضرة كانت معروفة للامم الغابرة فقد تطورت جميعها ومرت في أدوار متعاقبة

ويظهر من تتبع سير المعالجة ان تجرع الادوية بطريق الفم أخذ في الزوال لمحل محله الحقن تحت الجلد . وتاريخ الحقن أو التلقيح حديث جداً ومع ذلك فان هنالك أمراضاً كثيرة تعالج بالابرة اما بقصد ايجاد لسعة في جسم الانسان ووقايته من المرض أو بقصد شفائه منه بعد وقوع الاصابة . وفي مقدمة تلك الأمراض الجدري والحمى التيفوئيدية والدفتيريه والزهري وسم الدم والتهاب الرئتين وأمراض أخرى

كثيرة . وجهود الاطباء منصرفة في هذا العصر الى ايجاد طريقة للحقن ضد كل مرض من الامراض . ومنهم من يسعى للعثور على مادة اذا حقن بها الجسم أكسبه مناعة ضد أمراض كثيرة بل ان بعضهم يعلل النفس بايجاد « حقنة » تشفي الانسان من جميع الامراض أو تقيه شر الاصابة بها

وكالمعالجة بالابرة المعالجة بنور الشمس وبالاشعة التي وراء البنفسجي أو التي تحت الاحمر وما الى ذلك . وقد ثبت من التجارب العلمية ان هذا النوع من المعالجة نافع في أمراض كثيرة كالكساح وفقر الدم وأمراض الصدر وهلم جرا

ومن هذه المعالجة تعرضت المعالجة بالالوان وقد ثبت نفعها في حالات كثيرة ولا سيما في الامراض العقلية اذ ثبت ان لكل لون من الالوان تأثيراً معيناً في النفس

وهنالك المعالجة بالهواء النقي وبالرجوع الى الطبيعة وبالتدريب للعاطلين وبوسائل أخرى لا يتسع المجال لشرحها وكلها تدل على سرعة تقدم فن المعالجة

وليس ذلك فقط بل ان من طرق المعالجة الحديثة ما هو عكس الطرق القديمة على خط مستقيم . وما على المرء الا أن يفكر في ما لا يزال سر المحاجز بصمه من الفقير والمولد لمعالجة بعض الامراض حتى يرى سعة الخطوات التي قد خطاها فن المعالجة في هذا القرن

كيف تعرف الالماس الحقيقي

في كتب اللغة ان الالماس حجر كريم شديد الصلابة يكسر جميع الاحجار وانما يكسره الرصاص ويسحقه . وهو معرب أدامس باليونانية وتوهم فريق من الكتاب ان الالف واللام فيه للتعريف مع انهما من أصل بناء الكلمة . وقد توصل بعض الفحاليين إلى تقييد الالماس وأثبتوا ذلك الى حد صار يتعذر معه تمييز الالماس الحقيقي من الصناعي . على ان الدكتور كونر الاميركي قد اهتدى الى طريقة اسهل وهي أن تدعك الالماس بمسحوق الكاربوندم (وهو مادة كلسية أو رصاصية) فاذا ترك به خدشاً كان الالماس صناعياً والا فهو حقيقي

وهذا مؤيد لما جاء في معجمات اللغة العربية في تعريف الالماس وهو انه يكسر جميع الاحجار وانما يكسره الرصاص ويسحقه

من اسباب تساقط الشعر

لم يمكن للاطباء حتى الآن من ابتكار طريقة لمنع تساقط الشعر منعاً تاماً . ولا شك ان السبب الكثير التساقط هو سبب عملات الشعر بسبب كثرة التفكير وتراكم الهموم . وقد قام الدكتور روجرس الاميركي جملة مباحث في أسباب الصلع فثبت له ان اشتداد وطأة الهموم على الانسان في مقدمة الاسباب التي تؤدي الى ذلك كما ان للصدمات العصبية الفجائية أيضاً تسبب تساقط الشعر

وقد لحظ الاطباء ان كبار الموسيقيين قلما يصابون بالصلع ولم يذكر التاريخ أحداً منهم — على ما نعلم — كان رأسه أصلع

ونسبة القرائن على ان الصلع آخذ في الانتشار وعلى انه سيزداد في الاجيال المقبلة زيادة كبيرة وقد يعم الشر كافة

في عالم الأدب

البهاء زهير

للاستاذ مصطفى بك عبد الرازق

البهاء زهير شاعر مصري رقيق اجتمع له من صفات الفضيلة وقوة الشخصية ما لا يجتمع الا لأهل الفطر السليمة والطبائع الصافية ، وهو فوق ذلك فصيح العبارة جيد النظم ، سهل التركيب ، وقد كان لهذه الصفات من الاثر في نفس الاستاذ مصطفى بك عبد الرازق ما دفعه الى العناية بكتابة بحث عنه بعنوان « البهاء زهير » تناول فيه حياة هذا الشاعر بالتحليل ، وعرض لشعره فبين أغراضه ومقدار ما فيه من الشخصية المتازة التي خلدت بين ما بقي لنا من تراث الأدب العربي ، وقد قال في مقدمته :

« هذا ، ولست أعرف شاعراً نفخت مصر فيه من روحها ما نفخت في البهاء زهير ، فهو مصري في عواطفه ، وفي ذوقه ، وفي لمحته الى الغاية القصوى ، وان كان مولده في بلاد الحجاز

« من أجل ذلك كله وضعت هذا البحث في البهاء زهير الشاعر المصري ، إحياء لذكرى رجل جدير بأن يحيا بيننا تذكاره »

والاستاذ مصطفى بك غني عن التقريظ فيما يتناوله من بحوث طريفة طالما رادت بها ثروة الادب العربي

دفتر المعلمين

تأليف احمد قدري الكيلاني

يحتوي هذا الكتاب على مجموعة أدب وظرف ونوادر فكاهية ممتعة عن المعلمين وقد صدره مؤلفه ببحث عن في صبغة التعليم ومرتبة المعلم وواجباته ، وقسم المعلمين الى ثلاثة أقسام : معلمون ومؤدبون ، ومدرسون ، وخص القسم الأول بمن يعلمون في الكتاتيب والمدارس ، والقسم الثاني بمن يؤدبون أولاد الخلفاء والامراء ، والقسم الثالث بمن يدرسون العلوم الشرعية في حلقات كالازهر الشريف ، ثم أتبع ذلك باخبار بعض مشاهير المعلمين ونوادرهم

وجاء هذا الكتاب حسن الوضع يسهل على كل قارىء أن يتصفحه في أوقات الفراغ دون عناء أو مشقة ، وهو الى الفكاهة والنوادر المفيدة ، ونحن ننقل هنا حكاية مما ورد في هذا الكتاب تحت عنوان : « ذكاء المعلمين » ، قال :

« كان ابن ناصح العروف بأبي عصيدة يؤدب المعتز وأخاه المنتصر ابني المتوكل — فلما أراد المتوكل أن يولي المعتز العهد حطه أبو عصيدة عن مرتبته قليلا وأخر غداءه قليلا — فلما كان وقت الانصراف أحضر له خبز دبس ، فكتب بذلك الى المتوكل فأحضره وقال له : « لم صلت هذا بالمعتز ؟ » فقال بلغني ما عزم عليه أمير المؤمنين فخططت مرتبته ، ليعرف هذا المقدار فلا يعجل بزوال نعمة أحد ، وأخرت غداءه ليعرف الجوع اذا شكي اليه ، وضربته لعبر دبس ليعرف مقدار الظلم فلا يحمل على أحد » فقال : « أحسنت » وأمر له بعشرة آلاف درهم »

والكتاب على هذا النسق من اخبار الروايات القيمة والنوادر الناعمة التي تصور كثيراً من أحوال الممثلين أثناء ممارستهم لمهنة التمثيل وما يجري بينهم وبين تلامذتهم من ظرف القول والنكات الأدبية التي يتخللها كثيراً من القطع الشعرية رقيقة ، فضلاً عن اجادة الطبع وحسن رونقه ، فنثني على الاستاذ الكيلاني ونرجو لكتابه رواجاً لائقاً

قتال السويس

للاستاذ عزيز خانكي بك

لمناسبة البحث في قناة السويس في الوقت الحاضر أصدر الاستاذ عزيز خانكي بك رسالة تاريخية طريفة ألم فيها بتاريخ انشاء هذه القناة ، وأضاف اليه بحثاً مالياً مفيداً عن هذه الرسالة لأهم ما ينبغي أن يعرفه القارىء عن هذه الطريق البحري الذي أحدث انقلاباً خطيراً في المواصلات البحرية بوصل البحر الابيض بالبحر الاحمر . ومثل هذه الرسالة مما ينبغي لكل مصري الاطلاع عليها

دانتي اليجييري

تأليف طه افندي فوزي

قليل من أدباء العرب من تناول الكتابة عن دانتي الشاعر الايطالي الشهير الا في خمسة فصول نشرتها المجلات والجرائد بمناسبة ، على ان حياة هذا الشاعر والفيلسوف الكبير جديرة بالعناية من كتاب اللغة العربية لما اشتملت عليه من تحي صاحبها بالمثل العليا وخواطر النفس النبيلة وتصوير المشاعر الانسانية تصويراً دقيقاً

وقد عنّ للاديب طه افندي فوزي الموظف بمحكمة استئناف مصر الاهلية أن يؤلف باللغة العربية كتاباً عن حياة هذا الشاعر العلمي ، فجاء لاول مرة كتاباً فريداً في بابه لما حواه من الاحاطة بكثير مما يتعلق بحياته وقد كتب مقدمته الدكتور حوفاني كاوعلا الاستاذ بالجامعة المصرية ، ويكفي لبيان قيمة هذا الكتاب أن ننقل جزءاً من هذه المقدمة . قال الدكتور :

« ان وضع كتاب عن دانتي اليجييري باللغة العربية للمرة الاولى لعمل جليل يعتبر دون شك فتحاً جديداً في هذه اللغة ، وحادثاً تاريخياً عظيماً في الادب العربي وخدمة وطنية كبرى لم يكن ليقوم بها سوى الاديب طه فوزي ، نظراً لسعة اطلاعه على الادب الايطالي وغزارة مادته فيه »

ولا شك ان المطلع على هذا الكتاب يرى مؤلفه جديراً بهذا الثناء لما بذله فيه من العناية في التأليف وجودة الاسلوب ، وسهولة العبارة وحسن الطبع

هندسة الطرق العملية

تأليف الاستاذ محمد زكي ، والاستاذ حامد القصبي

يهتم الامم دائماً بانشاء الطرق وتمهيدها لتسهيل السبل وحركة المرور ولتوصلات داخل أراضيها لتدر ويسر مسالكها ، وهذا العمل يحتاج الى دراية هندسية واسعة وخبرة بفن التنظيم العملي . وهذا الكتاب الذي ألفه كل من الاستاذين ولم داي ، وحامد القصبي من أحسن ما يرجع اليه في هذا الموضوع ، وهو الكتاب العربي الوحيد الذي ظهر لاول مرة في فن هندسة الطرق العملية ، وقد عني به مؤلفاه عناية خاصة ، ووضحا بحوثه بالرسوم المختلفة وتناولا فيه انشاء الطرق ورصفها بالزلط والحجارة والاسفلت وسائر المواد الاخرى ، وتكلما عن الطرق الزراعية وكيفية انشائها كما تكلما عن الطرق الرئيسية ، وكل ذلك بعبارة سهلة واضحة

اللبابة في قواعد الكتابة

تأليف الاستاذ محمد عبد الفتاح

جمع مؤلف هذا الكتاب خلاصة قيمة في قواعد الاملاء وأصول الكتابة العربية التي يحتاج اليها المعلم والمتعلم ، وقد توخى فيها أحدث الطرق لايصال هذه القواعد الاملائية الى أذهان الناشئة ، وتبع في سردها أسلوباً سهلا بحيث يتيسر لكل قارىء أن يدرسه في غير عناء ولا تعقيد ، وقد شفع كل قاعدة بعدة تمرينات تطبيقية مفيدة مستعملا فيها أمثلة عصرية مبتكرة

ومن أبواب الكتاب : باب الهمزة في أول الكلمة ، وباب الالف اللينة ، والوصل والفصل وغير ذلك مما يتعلق بقواعد الاملاء التي كثيراً ما تناولها الاختلاف في الرأي بين علماء الكتابة العربية ، وان ميزة هذا الكتاب هو انه اتبع خير الطرق في الاملاء العربي مما يكاد يجمع على اختياره الكتاب في عصرنا الحاضر

ونحن نثني على المؤلف ، ونرجو أن يحوز كتابه قبل الامن طائفة المعلمين والمعلمين في البلاد العربية

الرحلة الذاتية

في الممالك الالهية

تأليف الشاعر الايطالي دانتي اليجيري

وترجمة الاستاذ عبود بك أبي راشد

اشتهر الشاعر الايطالي دانتي اليجيري بأسلوبه الكتابي في نقد الخرافات التي كانت شائعة بين الجمهور في عصره ، ومن أشهر كتاباته في هذا النوع تلك الرحلة « لادنيا كوميديا » التي تخيل انه لما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره صار في غابة قفرة اضطر لاجل أن يخرج منها أن يجتاز الممالك الثلاث الالهية ، وهي : الجحيم ، والمطهر والجنة ، وشرع في رحلته التي دامت سبعة أيام بلياليها ، أي يوم وليلة في الجحيم ، ويوم وليلة في الدرور من الجحيم الى المطهر ، وثلاثة أيام بلياليها في الصعود على جبل المطهر ، ونصف يوم في الفردوس الارضي والباقي في السماء . وقد وصف ما رآه في هذه الرحلة وصفاً فنياً ممتعاً مما جعل لهذه الكوميديا أهمية خاصة في عالم الأدب

وقد ترجمها الى اللغة العربية الاستاذ عبود بك ابي راشد ، فتوخى في أسلوبها الذوق العربي دون أن يجرح عن الغرض الاصلي ، وقد عني بتقريب كل نشيد منها الى أذهان القراء بواسطة مقدمة لخص فيها محتواه وعلق عليها ببعض الحواشي والشروح المفيدة

وقد عني المؤلف في هذا الكتاب بسهولة العبارة وسلامة التركيب . كما عني بأحدث طبعاته وحسن روايته

طريقة أخذ العينات

تأليف الدكتور محمد سعيد نبيه

وهو أول كتاب من نوعه ظهر في عالم الطب حتى الآن وبحث في كيفية تشخيص الامراض وعلاجه بطريقة تسهل على الاطباء الوقوف على مواضع الفحص الكثيرة التي يخطىء في فهمها بعض الاطباء لعدم الخبرة التامة بوسائل أخذ العينات على الطريقة الفنية المطلوبة

وقد ظهر الآن الجزء الاول من هذا الكتاب وهو يتناول تشخيص عدد من الامراض الخطيرة كحمى التيفوئيد والدوسنطاريا وحمى مالطة ، والدفتيريا ، والزهري والسيلان وقد كتبه المؤلف بعبارة علمية سلسة ، وقال في مقدمته :

« أردت في وضعه أن يستخلص الطبيب منه بصفة عامة أساليب العمل المتبعة في معاهد التحليل ، وأن يتعرف به الوسائل العلمية المفروضة لاخذ عينات صالحة للفحص ، ويتفهم فيه بايضاح مدلول النتائج المرسلة اليه »

بين الهلال وقرائه

لقب « برنس اوف ويلز » .

﴿ محلة مالك ﴾ عبد الواحد سليمان غراب

هل يلقب كل ولي عهد للامبراطورية البريطانية بلقب « برنس اوف ويلز » أم ان هذا اللقب خاص بولي العهد الحالي ؟ وما معنى هذا اللقب ؟

﴿ الهلال ﴾ ويلز جزء من الجزائر البريطانية ضمتها انكلترا اليها في أواخر القرن الثالث عشر . ولقب « برنس اوف ويلز » أو أمير ويلز يلقب به جميع أولياء العهد في انكلترا منذ سنة ١٣٠١ للميلاد الى هذا اليوم . وأول من لقب به ادوارد (الثاني)

الاشتراكية والشيوعية والبلشفية

﴿ ومنه ﴾ ما معنى الالفاظ الآتية : اشتراكية ، شيوعية ، بلشفية ؟

﴿ الهلال ﴾ الاشتراكية نظام عمراني اقتصادي سياسي غرضه تسوية النزاع القائم بين أصحاب رؤوس الاموال والعمال بجعل جميع موارد الرزق والانتاج ملكا للامة وتوزيع نتاجها على ما فيه مصلحة الجمهور

وللاشتراكية مبادىء لا يتسع المجال لشرحها ومنها الاشتراكية المتطرفة أو الشيوعية . وفي الواقع ان الشيوعية اذا أصدت منها عوامل التطرف لم يبق فرق كبير بينها وبين الاشتراكية أما البلشفية فهي اللفظ الروسي للشيوعية

لغة الصينيين واليابانيين وأديانهم

﴿ ومنه ﴾ هل تختلف لغة الصينيين وعاداتهم عن لغة اليابانيين وديانتهم ؟

﴿ الهلال ﴾ تختلف اللغة الصينية عن اللغة اليابانية كل الاختلاف . وكذلك تختلف عقائد الفريقين الدينية . فالفريق الاكبر من الصينيين يدينون بالبوذية والكنفوشية (عبادة السلف) . وقد كان في عهد الامبراطورية يعتبرون الامبراطور الكاهن الاعلى والوسيط الدنيوي السماء

أما اليابانيون فتعرف ديانتهم « بالشنتو » ومعناها طريق الآلهة وهي ضرب من عبادة الطبيعة وقواتها . والشمس هي إله الآلهة عندهم وهم يعتقدون ان الميكادو (الامبراطور) هو من سلالتها

وجانب من اليابانيين يدينون بالبوذية أيضاً . وهم يبيحون الحرية لجميع الاديان

العلم ومذهب السبرتزم

﴿ بولو . البرازيل ﴾ عابل الشطر

هل لأنصار مذهب السبرتزم براهين يسلم بها العقل ؟

﴿ الهلال ﴾ لا يزال السبرتزم أو مخاطبة الأرواح من المذاهب التي لم يقم على صحتها دليل علمي قاطع مع ان الكثيرين من العلماء يؤمنون بهذا المذهب وفي مقدمتهم السر أوليفر لودج من كبار العلماء الانجليز والسر هول كاين والاستاذ هكسلي وغيرهم

شمس نصف الليل

﴿ القاهرة ﴾ زكي حلمي

كنت أتصفح كتاباً في علوم الكون فوقع نظري على مدينة همرفست في أقصى الشمال من اسكندناوة ويقال ان الشمس ترى فيها في نصف الليل . فهل هذا صحيح ؟

﴿ الهلال ﴾ نعم . وذلك لسبب انحراف محور الكرة الأرضية ٢٣ درجة ونصف بحيث يظل أي نقطة في القطب مواجهة للشمس باستمرار مهما دارت الارض على محورها . وفي القطب الشمالي نفسه تظل الشمس مشرقة ستة أشهر ابتداء من الاعتدال الربيعي

ويمكن مشاهدة شمس نصف الليل في أوقات مختلفة من السنة ثما في منتصف الصيف أو قبله أو بعده بقليل

صاحبة الجلالة الصحافة

﴿ نكلا العنب . مصر ﴾ صفاء زهير

أحب « صاحبة الجلالة » الصحافة وأميل الى الاشتراك في « بلاطها » وأنا الآن متوسط . فأي صراط يوصلني اليها ؟

﴿ الهلال ﴾ الصحافة مهنة ككل المهن لا يتسع المرء فيها إلا بالمزاولة والممارسة . ولا بد للصحافي من صفات الجرأة والاقدام وحب الاستطلاع وسرعة الخاطر وسعة الباع في الحيلة فضلاً عن البراعة في الانشاء وحسن الاسلوب

الاطعمة الحارة والباردة

﴿ بغداد العراق ﴾ أحد مشتركي الهلال

أصحيح ان الاطعمة الطبيعية تنقسم طبيعتها الى حارة وباردة ؟

﴿ الهلال ﴾ نعم فان بعضها تحتوي على مواد تزيد — بعد هضمها — في وحدات حرارة الجسم (الكالوري) وبعضها لا تزيد في تلك الوحدات زيادة محسوسة . وبعض المواد الدهنية والنشوية توصف لزيادة الحرارة

الحمى والهليون

﴿ رمل الاسكندرية . مصر ﴾ ه . ف

قرأت في احدى المجلات الطبية ان الحمى والهليون (الاسباراجوس) مضران عرض الديابيطس . ولكن الطبيب الذي يعالجني أفهمني أنه لا بأس من تناولها . فما رأيكم في هذا الامر ؟

﴿ الهلال ﴾ ونحن نرى رأي الطبيب فان كمية الكربوهيدرات (السكر) في الحمى والهليون لا تكاد تذكر ولا يمكن أن تؤثر في الديابيطس

بيولوجيا وانثروبولوجيا

﴿ الاسكندرية . مصر ﴾ منصور خليل

قرأت في مقالة في إحدى المجلات الطبية هذين

اللغطين، وهما : بيولوجيا و نثربولوجيا فما معناهما؟

﴿ الهلال ﴾ البيولوجيا علم يبحث في جميع الكائنات الحية من نباتيه وحيوانية وكيفية نشوئها والعوامل التي تؤثر فيها

والانثروبولوجيا هو علم يبحث في نشوء الانسان من نوع أحط منه والعوامل التي أدت إلى ذلك النشوء

مصر مملكة شرقية

﴿ بيت لحم . فلسطين ﴾ عبد الله بندك

هل مصر مملكة غربية أم شرقية ؟

﴿ الهلال ﴾ مصر بحسب موقعها الجغرافي مملكة شرقية افريقية . ولكن نهضتها العلمية الاجتماعية تؤيد ما قاله عنها سائر الناس عاملين بإشارة خديو مصر من أن مصر قطعة من اوربا

أشعار عنترة

﴿ كوبنهرا . وارسل ﴾ هنري فارس

هل جميع الأشعار المنسوبة الى عنترة هي من نظمه أم قد أقحم عليها بعضها ؟

﴿ الهلال ﴾ الأرجح ان جانباً من الاشعار المعزوة الى عنترة ليست في الحقيقة له بل أقحمت على شعره بعد وفاته بكثير

اينشتين والخط المستقيم

﴿ عاليه . لبنان ﴾ هاشم ط .

قرأت في مجلتكم موضوعاً تحت عنوان : « الرياضيات بين بيرتن وايشتين » وفيه يعلن ايشتين خطأ مبادىء كثيرة في الرياضيات ومنها قوله ان الخط المستقيم ليس دائماً أقصر طريق بين نقطتين معلومتين . فهل هذا صحيح ؟

﴿ الهلال ﴾ يقول ايشتين في شرح نظرية النسبية ان الخط المستقيم (نسبياً) هو خط سير الشعاع من الشمس الى جهات الفضاء المختلفة ومنها إلى الكرة الارضية . وهذا الخط يعتبر مستقيماً نسبياً فقط ولكنه ليس مستقيماً مطلقاً لأن الفضاء كروي أو هو مقوس فالشعاع الذي ينبثق من الشمس ويصل إلى الارض يسير في خط مقوس وهذا التقوس ينشأ عن وقوع الشعاع على المادة . وعلى كل فان ايشتين ينكر وجود الخط المستقيم

شركة للسينما في مصر

﴿ يونكا . نيويورك ﴾ وديع رشيد الزغبي

هل توجد في مصر شركة لأحد الصور المتحركة وما هو عنوانها ؟

﴿ الهلال ﴾ توجد شركة مصر للسينما وهي تابعة لبنك مصر ويمكنكم أن تستعلموا عنها من « بنك مصر » بشارع عماد الدين بالقاهرة . وهناك أيضاً شركة كوندور فيلم بشارع الملكة نازلي بمصر

السينما الناطق

﴿ ومنه ﴾

هل وصلت السينما الناطقة إلى مصر ومن أين تستجلب ؟

﴿ الهلال ﴾ نعم وفي مصر اليوم عدة قاعات للسينما الناطقة وقد جلبت معظمها من اميركا وبعضها من فرنسا

من هنا وهناك

الغيرة بين الطيور

وضع الاستاذ اليوت (من أساتذة جامعة كمبردج) كتاباً بعنوان : « درس في سلوك الطيور » وصف فيه حياة الطير على وجه الاجمال منذ ولادته الى حين وفاته . ووصف بوجه خاص ذلك الطور الذي يتقدم طور التزاوج فقال : « انه يمتاز بأعمال ووقائع تدل على ما في ذكر الطير من الرومنة الغريزية ومن الميل عني الى الانثى . فهو يدافع عنها ويحميها من الكبرياء على حاجاتها ولكنها لا تظهر ميلا اليه حتى تكتمل فيها الحاسة الجنسية . فهي تأخذ في استرضائها بأغاريده وحركاته وفي تلك ساعات موسيقية يعرفها بعض كبار المغرمين بصياح الحيوان . وله أيضاً حركات معينة يأتيها لمداعبته وتحريك ذيله ، وكلها من قبيل المغازلة الى أن تقع الانثى في حبائل غرامه فتقبل أن تتزوجه ومتى تم التزاوج تعاون الاثنان على بناء عشها والدفاع عنه وتربية أفراخها بطريقة غريزية مدهشة »

حوادث الآلات الراقصة

كثرت البايات الشاهقة في القاهرة والاسكندرية وأحد أصحاب الاملاك يحمرون البيوت بالآلات الراقصة (الأسانسور) ولحسن الحظ لم يقع حتى الآن إلا حادثان أو ثلاثة من حوادث الاصابات تلك الآلات نتج عنها وفاة . والفضل في ندرة هذه الحوادث لدقة صناعة الآلات الراقصة وشدة الاحتياط لتأمينها من الحوادث المفجعة ، ولعل هذه الآلات على أكثرها في الولايات المتحدة حيث تكثر البنايات المعروفة بناطحات السحاب . فقد تجد في البيت الواحد منها عشر آلات منها « المهاة السعيدة » ومنها الاعتيادية » ومنها « الاكسبرس » ويظهر من بعض احصاءات وقعت عليها ان تلك الآلات لا تخلو من حوادث مزعجة . ومع هذا أكثر من الحوادث التي تقع في غيرها من البلدان ، لانها نظراً إلى كثرتها تعتبر نادرة جداً حتى ان الجمهور لا يأبه لها والصحف قلما تشير اليها

التليفون في البيت

لا شك أن بلاد أسوج هي أغنى بلاد العالم بالتليفونات اذ قلما يخلو بيت أو عزبة أو دكان من هذه الآلة . وتليها الولايات المتحدة فقد عم استعمال التليفون فيها الى حد بعيد وأصبحت أطراف البلاد هناك مرتبطة معاً بالاسلاك التليفونية مع أن المسافات بينها شاسعة جداً

وقد بلغ مجموع عمال التليفون في اميركا في السنة الماضية أكثر من أربعمائة الف عامل ، وبلغ مجموع ثمن الآلات والعدد والاسلاك التليفونية

نحو مائة وتسعين مليون ريال (نحو ٣٨ مليون جنيه) وسع نجوع طول خطوط الشركة العروفة بشركة « بل » — وهي واحدة من عدة شركات في اميركا — مائتي الف ميل ، أي ان تلك الاسلاك تكفي لتدور حول الكرة الارضية عند خط الاستواء ثماني مرات

ومع ذلك فشكوى المشتركين في اميركا لا تكاد تذكر ، شكوى المشتركين في مصر

هل تبيع أفكارك ؟

قد يظهر لك هذا السؤال غريباً في أول الامر ولكنك لو كنت في اميركا لمررت في الصحف من وقت الى آخر اعلانات يقول فيها أصحابها : « انهم مستعدون لاعطاء المكافآت والجوائز المالية لكل من يعرض عليهم فكرة جديدة أو يعرض عليهم نظرية علمية يمكن تحقيقها والانتفاع بها مالياً » وفي مدة الحرب سمع سميرة تدر على صحبها ملايين الجنيهات وتحول في منتها لورد أو دوقة أو أي شخص آخر خطرت له الفكرة في خاطره ولم يستطع صبرا أو حر حبه الى حبر العمل فباع الفكرة لمن يشتريها

وتقول احدى المجلات الاميركية ان نجوع قيم الافكار التي بيعت على هذا الوجه في اميركا في سنة ١٩٢٨ بلغت مليوني دولار ونصف مليون (نصف مليون جنيه) أي زيادة مليون دولار على مجموع قيم الافكار التي بيعت في السنة التي قبلها

فهل لديك أفكار تبيعها ؟

ما هو « الروبوط » ؟

في السنة الماضية حاست معظم صحف العالم في وصف « الروبوط » أو الانسان الميكانيكي الذي اخترعه بعض الاميركيين وهو يقوم باعمال منزلية كثيرة ويؤدي خدمات مختلفة . فهو مثلا يكنس البيت ويغسل الثياب ويفتح الباب عند قرع الجرس . ويستعمل التليفون عند اللزوم ويتعرض للصوص عندما يسطون على المنزل

وقد حدث منذ عهد قريب جدال في الصحف الاميركية بشأن كلمة « روبوط » ومن أين جاءت لانها ليست انجليزية ولا فرنسية ولا لاتينية ولا لاتينية . وبعد مناقشات طويلة ثبت أن الكلمة هي من لغة التشيكوسلوفاكية ومعناها « الخادم الذي يصنع كل شيء » . وأول من استعملها كاتب الكاتب التشيكوسلوفاكي الشهير

كنز في بحر مكة

كان اثنان من الصيادين من أهالي حرر سلا بالجوس صيدون السمك بالقرب من جزيرة حمس فاصطادوا سمكة كبيرة من السمك المسمى « سمك السيف » ولما شقا بطنها وجدا فيها علبة حلي فاخرة وكانت دهشتهما كبيرة حين فتحاها فوجدا بها ٤٢ عقدا من اللآلىء وساعتين مرصعتين بالماس وعقيق وسلاسل ذهبية وأساور ومدلاة من الزمرد . والمظنون ان هذه الحلي كانت لسيدة غنية غرقت بها ماخرة

أخر بحث في العالم

يصنع الآن في أميركا بحث خصوصي للمستر مورجان الملون الأميركي المشهور وقد قارب تمامه النهاء، وسيكون أفخر بحث في العالم إذ هو عبارة عن قصر عائم رين داخله أبدع زينة وتكلف نشاؤه ٦٢٥٠٠٠ فرنك وهو يسمى (القرصان) مثل السفن الثلاث السابقة التي كانت للمستر مورجان ، ويسير بسرعة ١٦ عقدة في الساعة ، ويمكنه ان يقطع مسافة ٢٥٠٠٠ ميل دون أن يحتاج إلى تجديد وقوده . وفي

اليخت عدا العرف المعتادة للافطار والعداء سعة أجنحة يحتوي كل منها على صالون وغرفة النوم وغرفة للاستحمام . ومن هذه الاجنحة اثنان خاصان بالمستر مورجان أما الاخرى فهي لأعضاء أسرته أو للضيوف الذين يدعوهم. وبخلاف اليخت يبلغ عددهم ٥٣ شخصاً تحت إمرة القودان بورتر الذي مضى حتى الآن ٢٨ سنة في خدمة أسرة مورجان

ذكاء الفيلة

تحول الفيلة في مجاهل افريقية ومحاربها لمعرفة . وقد تسير في الرمال أياماً كثيرة ولا تلاقي ماء تروي به عطشها . وقد حيرت هذه المسألة كثيرين من علماء الحيوان فذهب بعضهم إلى ان الفيلة تشم رائحة الماء الذي تحت سطح الأرض بشرط ألا يكون عميقاً جداً . ثم شعرت بوجوده بعثت التراب بخراطيمها إلى أن تصل إلى الماء

وهذا الاعتقاد شائع بين بعض أهالي أفريقية أيضاً مع انه لم يثبت حتى الآن ثبوتاً تاماً . وقد ذكر الرحالة الدوبج شوستر الأماني انه شاهد مرة في أحد مجاهل أفريقية منخفضاً من الأرض فيه قطيع كبير من الفيلة تحفر الأرض بخراطيمها وفي اليوم التالي رأى المطر قد ملأ الحفر التي أوجدتها الفيلة هناك . وإذ ذاك جاءت الفيلة وشربت من الماء . ولهذا يعتقد شوستر ان الفيلة تحتال على شرب ماء المطر الذي يتجمع في حفر كالحفر للشرب اليها . والأرجح انها لا تعتمد على موارد الماء ولا توغل في الصحراء إلا إذا شعرت بقرب نزول المطر وذلك لكي تضمن ما تحتاج اليه من ماء الشرب . فما أحكم الغريزة وأدهشها

الكلية

مجلة علمية عربية

تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت

يحررها نخبة من أساتذة الجامعة

تصدر ٦ مرات في السنة حافلة بالمباحث العلمية والمقالات الشائقة في الأدب والعلم والفلسفة والتاريخ والطب والعلوم الطبيعية

بدل اشتراكها ستون قرشاً مصرياً

تطلب من وكلائها في الجهات أو من مدير أشغالها :
شحاده شحاده ، الجامعة الاميركية في بيروت ، بيروت (سوريه)

سعيد ذوالفقار باشا

في واجبات الحياة العامة

[معالي سعيد ذوالفقار باشا كبير امناء جلالة الملك من شخصيات مصر البارزة وقد انتقضى عليه نحو خمسين سنة في خدمة البلاد وهو لا يزال مثال الجد والنشاط ولما كان القراء يتوقون الى معرفة آرائه في بعض شؤون الحياة لما اكتسب من التجارب الكثيرة رأى الاستاذ كريم ثابت ان يستطلعه تلك الآراء في هذا المقال الشائق وربما كانت هذه أول مرة يوفق فيها صحافي الى مثل هذه الاقوال لمعالي سعيد ذوالفقار باشا على صفحات الصحف والمجلات] [المحرر]

نشاط سعيد باشا

لما قرر جلالة الملك في العام الماضي ان يسافر في مثل هذه الايام الى اوربا لزيارة رؤساء بعض حكوماتها أمر معالي سعيد ذوالفقار باشا الى ايطاليا قبل سفر جلالته باسبوع ومن ايطاليا استأنف سفره الى برلين ليشرف على التدابير التي تتخذها الحكومة المصرية فيها استعداداً لزيارة المليك للعاصمة الالمانية

وبعد ما أمضى سعيد باشا أياماً في برلين عاصمتها و العالم بأسره يتطلع الى ايطاليا ليكون في استقبال جلالة الملك عند وصوله الى مياه جنوى ، وهناك تضم الى حاشية جلالته ورفقته في جميع أسفاره ، فكان موضع اعجاب جميع الذين تتبح لهم مشاهدته في ركابه ، لما تجلى لهم من نشاطه ولين عريكته

وحدث في خلال زيارة جلالة الملك لفخامة رئيس الاتحاد السويسري أن دعي جلالته الى زيارة مصانع زوريخ العظيمة ، فتوجه اليها في صباح أحد الأيام من مدينة « برن » بالسكة الحديد ومعه رؤساء الحكومة السويسرية فبلغوها في ساعتين ونصف ساعة تقريباً ، وبعد ما طاف جلالته المصانع الكبيرة التي رغب في التفرج عليها زار بعد الظهر متحف المدينة ثم مدرسة الهندسة الشهيرة ، وهي تتألف من عدة أدوار واسعة الارجاء ، ولما وصل المليك الى الدور الأعلى قال للذين حوله وهو يصعد السلم « عسى ألا يكون سعيد باشا قد طاف كل هذه البناية معنا . . . » وكان جلالته يخشى أن يكون معاليه قد تعب ، من هذا الطواف الطويل الذي بدأ في ساعة مبكرة من النهار . ولكن سعيد باشا لم يكن قد تعب وبعبارة أصدق ان قوة ارادته تغلبت على تعبه فمضى في سيره وتجواله ليكون دائماً بحيث يلبي مليكه

عوامل النشاط والصحة

ومن الحادث المتقدم يستطيع القارىء أن يتصور مبلغ النشاط الذي اتصف به معالي سعيد ذوالفقار باشا منذ شبابه . وقد عنّ لي أن أسأله عن العوامل التي يعزو اليها احتفاظه بنشاطه وصحته فأجابني بقوله : « اني أعزو ذلك الى قوة بنيتي أولاً والى اعتدالي في معيشتي ثانياً . . . وقد حافظت على قوة بنيتي وعملت على صون صحتي متوسلا بالالعاب الرياضية ، فقد كنت وأنا في المدرسة في طليعة اخواني في الالعاب الحمارية ، ثم ولعت بركوب الخيل والصيد ، وما زلت حتى الآن شغوفاً بهذا الضرب الاخير من ضروب الرياضة ، وفضلا لم ينقطع معاليه عن الصيد الا في خلال مرضه من محوسنتين فقط ، ولكن انقطاعه عنه لم يدم طويلا فما لبث ان عاد اليه ، وصحباه مرة يقص على بعض اصدقائه ذكرياته عن أول عهده بالصيد لما حمل بندقية والده الكبيرة ونزل بها الى حديقة الدار وأطلق خرطوشتها على طائر محلق في الفضاء فانطلقت بشدة وكان من جراء ذلك أن سقط على الارض بقوة !

متى وفيم الخرم ؟

وقد كنا نتصفح جريدة « الاهرام » من آناء فقرأنا تحت عنوان « الاهرام من ثلاثين سنة » ان سعيد « بك » ذو الفقار عين سرخاتي ثم في نحو سنة . . وقد يتبادر الى أذهان بعضهم عند اطلاعهم على هذا السطر لأول وهلة أن معالي سعيد باشا لم يبدأ خدمته في السراي الملكية الا في سنة ١٩٠٠ بيد أن المطلعين من المتضلعين في شؤون القصور يعلمون أن معاليه انتظم في سلك الحية السنية قبل ذلك بسنوات طويلة ، فانه يؤخذ من ملف خدمته أنه عين موظفاً في نظارة الحقانية في أول مايو سنة ١٨٨١ ، وكان المغفور له والده ناظراً للحقانية وقتئذ ، وبعد انقضاء ستة أشهر على دخوله الحكومة اختاره الخديوي توفيق باشا ليكون من موظفي الحية السنية مع معالي شقيقه أحمد ذو الفقار باشا ومن ذلك الحين لم يغادر معاليه السراي سوى مرة واحدة لستة أشهر أو سبعة عند بهوصه باعباء وكالة الجمعية التشريعية

الاجتهاد والشعور بالمسئولية

ومن أعرب ما سمعته من سعيد باشا أنه قضى ثلاثين سنة في الخدمة قبل أن يأخذ إجازة واحدة . قال معاليه : « لقد بدأت الخدمة في سنة ١٨٨١ كما تعلمون وفي سنة ١٨٨٤ أصبت بانحراف في صحتي على أثر انتشار الكوليرا في مصر فسافرت الى الاستانة لتبديل الهواء ، ثم عدت الى عملي ومكثت أخدم بعد ذلك ثلاثين سنة متواصلة لم اتمتع في خلالها باجازة » ، فقلت معاليه : « ولكن عسى ألا تكونوا حريصين على تطبيق هذا المبدأ على مساعديكم » فابتسم وقال : « وما ذنبهم هم ... ان الانسان يستطيع ان يحكم على نفسه ، ولكنه لا يستطيع أن يحكم على غيره فيهذا الشأن ؟» فقلت:

« ألا تظنون أن قدوة الرئيس تؤثر في سلك مساعديه بمعنى انه اذا كان نشطاً ومجتهداً كانوا هم مجتهدين ونشيطين من جهتهم أيضاً » فقال معاليه : « مما لا ريب فيه أن القدوة تؤثر في الناس ولكني اعتقد أن تأثيرها محدود إذ ماذا تستطيع القدوة أن تصنع مع الكسلان للغلوب على الكسل بطبيعته ، وذلك أعتقد أن المجتهد يولد مجتهداً ، ولا يمكن أن تصيره مجتهداً . ولكنك تستطيع أن تحمي اجتهاده وتغريه بالتشجيع الطيب والقدوة الحسنة فيستمر فيه »

ومعنى معالي الباشا في حديثه فقال : « والشاب المجتهد يشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه ، وعندي أن هذا الشعور هو المحرك الأكبر لاجتهاده لأن الذي يشعر بالمسؤولية ويقدرها حق قدرها يحرص على تأديه الواجبات التي تفرضها عليه مهامه تأدية حسنة لا عار عليها . ولكي يؤدي هذه الواجبات على الوجه الأكمل ينبغي عليه أن يكون مجتهداً ... وأنا من الذين يؤمنون بأن الشعور بالمسؤولية من أهم عوامل النجاح »

حرية اختيار المهنة

فقلنا : « ولكن اذا أراد الانسان أن يطلب من الشاب أن يشعر بمسؤولية عمله ، فيجب أن يترك للشاب حرية اختيار الصنعة التي يريد مزاولتها في حياته »

فقال معاليه على الفور : « طبعاً فانه يجدر بالوالد أن يترك لولده حرية انتقاء الصناعة التي يأنس في نفسه ميلا اليها ، فلا يعرض عليه ما يكره . وحسب ما يقضي الحكمة هي أن يعمد هو أن يدلي الى ولده بنصائحه وآرائه وأن يترك له حرية البت في الامتثال لها أو عدم العمل بها ، وهي الخطة التي انتهجتها مع نجلي اللذين يطلبان العلم في أوربا الآن فقد تركت لكل منهما حرية تعلم العلم الذي يبغي الاشتغال به بعد انتهائه من علومه الحالية أما في غير ذلك من الامور فيجب على الوالد أن يتدخل في شؤون أولاده اذا دعت الضرورة الى هذا التدخل ، وليس للابن أن يصر على تحقيق رغباته الا بعد ما يبرهن علمه ويحوض معترك الحياة العامة »

الصبر والاناة

فقلنا معاليه : « لقد انقضى عليكم نحو خمس سنة في الخدمة بوقد تصيتم كل هذه الحقبة الطويلة من الزمان في السراي تقريباً ، وقد كانت مهمتكم تقتضي دائماً نشاطاً واجتهاداً ويقظة ويكاسه فاكتسبتم بذلك تجارب عظيمة يجدر أن ينتفع بها كل من يتشبه بكم فاذا رأيتم هذه التجارب في غيلتكم الآن ، فما هو الشعور الذي تروون انه يجب على الشاب الذي يطلب النجاح أن يتحلى به نفسه في هذه الحياة ؟ »

فأجاب معاليه قائلا : « الامانة والصدق ... لقد قلت لكم قبلا ان الشعور بالمسؤولية وتقديرها من أهم عوامل النجاح فأريد الآن على ذلك بأن مبعث الشعور بالمسؤولية هي الامانة فلانك أمين لرئيسك أو لصاحب عملك تشعر بالمسؤولية المطلوبة منك ، ولانك تشعر بهذه المسؤولية تجتهد في تأدية الواجب المفروض عليك ، ولأنك مجتهد تنجح في حياتك »

فائدة القراءة

وأحببت أن أقف من معالي محدثي عن أحب انواع التسلية اليه في أوقات فراغه فقال :

« تسليتي الوحيدة الآن في أوقات فراغي هي المطالعة ، فان من لا يقرأ لا يستطيع أن يعيش وأنتم تدركون طبعاً أي نوع من العيش أعني ، فالكتب عداء للعقول مهما تقدم المرء في سنه ومهما زادت تجاربه واتسعت معارفه وانني لا أقرأ في الفرنسية الا ما لا أجد مثله في العربية لأنه من الأسف ليس عندنا في العربية كل شيء . . . وقد كنت فيما مضى أقرأ في الصباح البكر ، أما الآن فصرت أفضل المطالعة في الليل فأتصفح الجرائد أولا ثم أعكف على المطالعة في الكتاب الذي يكون بين يدي »

فقلنا لمعاليه : « تقولون ان القراءة هي تسليتكم الوحيدة ، أفلا تتسلون مثلما عند ما تزورون أحدكم ملتفين حولكم يداعبونكم وتداعبونهم كما رأيتكم تفعلون يوماً في جيف ؟ »

فقال : « ان الأوقات التي تحسبها الحد مع أحفاده لا يصح أن تحسب من ساعات التسلية ؟ بل هي من ساعات السعادة التي تبعث في النفوس روح الأمل والرجاء »

وهنا ابتسم معاليه كأنه يتصور أحفاده الصغار وهم يسرحون حوله ويمرحون ، فتذرعت بهذا الانشراح الذي أدخله عليه سؤالي وقلت له :

« من المفيد على من كان في مقامكم ، معالي الباشا ، أن يعطي الملوك والامراء والوزراء الذين قابلهم في خلال نصف قرن ، فكرة عنهم وقد تطلع في مصر كل يوم »

« أصغوا عن مرادكم » فقلت : « أعني أن تكتبوا مذكراتكم » فقال : « لقد عنيت بكتابة مذكراتي يومياً منذ اليوم الذي دخلت فيه الخدمة حتى أواخر سنة ١٩١٣ ولكنني فقدت الأوراق التي تحتوي على هذه المذكرات في اثناء أحد أسفاري في ظروف لا محل لسردها الآن »

وهنا أقبل أحد حجاب السراي وأبلغ معالي سعيد ذوالفقار باشا أن سيارته تنتظره بالباب لتقله إلى سراي القبة العامرة فنهضت منصرفاً شاكراً له رقته وحسن مجاملته .. وإنما كان يخالجني شعور اسف شديد على مذكراته التي ضاعت لانها كانت تحتوي من المذكرات والمعلومات والحوادث ما لا تحويه مذكرات أي رجل آخر من عظماء رجالنا إذ أنها لو ثبتت حتى الآن لكانت أوفى سجل « ليوميات » السراي الملكية في خلال خمسين سنة . ولا يخفى ما لذلك من الاهمية من الوجهة التاريخية

وقد أصبح معالي سعيد ذوالفقار باشا بخبرته الطويلة وتجاربه الكثيرة بمثابة سفر جميل يرجع إليه رجال المعية في كل كبيرة وصغيرة عند وجوب تحرير أمر من الامور المتعلقة بالمراسم والتقاليد الرسمية فيفتيهم بلباقته وكياسته بما يحسن بهم أن يجروا عليه . وقد اتصل بي أن بعضهم عمد إلى تدوين فتاويه كي تكون « سوابق » يهتدون على منهجها في المستقبل

كريم ثابت

توحه

بقلم الاستاذ ابراهيم المازني

[ملاحظة : هذه القصة ليست شخصية وان كانت مسندة الى ضمير المتكلم . والحكاية في جملتها وجوهرها صحيحة ولكن التفاصيل ليست كذلك]

بتنا ساعة أو نحو ذلك نحاول أن نرفع عجلات السيارة من الطين الذي انغرزت فيه الى محاورها ، فلما أعيانا أن نخرجها بأيدينا تارة وبالآلة الراصة تارة أخرى — لأنها كانت تغوص تحت ثقل المركبة — عدنا الى مقاعدنا صامتين مطرقين ، وكان صاحبها يسوقها في أول الأمر ومعه الى جانبه زوجه ، فلما جاوزنا البلدة وغابت عن عيوننا مأذنة المسجد وصرنا الى السكة الزراعية تولت الزوجة قيادة السيارة على الرغم من اعتراضنا ، فقد كان الجو عاصفاً والظلام حالكا والمصابيح ضعيفة لا تلقي ضوءها الى أبعد من أمتار ، وكان المطر قد انقطع ولكن السماء لم تزل عاتمة والنجوم محتجبة . وقطعنا بعض الطريق في سلام ، وكانت الرياح تصفر في آذاننا وصوت انزلاق العجلات على الارض المطربة يصفع مسامعنا . ولكن الطمأنينة عادت الينا مع الوقت فانطفت الالسنة وانصرفت الاذهان عن صور الخوف والتفكير في المخاطر ، واذا بالسيدة ترسل صرخة خافتة وتميل بالسيارة الى اليسار كأنما أرادت أن تتقي الاصطدام بشيء ، وتحاول أن ترتد الى الاستقامة ، ولكن المحرك كان قد غاص فوقف المحرك وبقيت السيارة ملتوية وسط الطريق

لم نقل شيئاً لما حدث ذلك بأسرع مما تصفته ، فقد فوجئنا به ، ولما تنبهنا كنا قد وقفنا وتبينا انه لم يصنا — لا نحن ولا السيارة — سوء ، ولم نشأ أن نؤلم السيدة فلزمنا الصمت ، ولكن زوجها انتهز الفرصة وهمس في أذنها ان اسمحي لي ، فتزحزحت له وخطا فوقها منحنيا ، الى مركز القيادة ، فتنفسنا الصعداء وقلت انا لا أحول النفات الباقين عن صاحبنا وزوجته

« ان هذه الطرق فضيحة . فما في مصر كلها طريق واحد صالح للسيارات ، وليس العجب أن تقع الحوادث ، بل العجب أن لا تقع في كل ساعة »

وقال أخو الزوجة وكان رئيس نيابة : « وماذا تريد ؟ ليس في وسع أية حكومة أن تتكفل بانشاء الطرق بين نواحي القطر ، وتمهيدها وتعهدها بالاصلاح والترميم على حسابها وحدها . فان الذين يستخدمون هذه الطرق وينتفعون بها ويستغلونها يجب أن يؤدوا أجراً عن ذلك ، وهذا ما يحدث في البلاد الاخرى ، ولكن مصر تهب للاجانب ، وليس من العدل

أن تعرض ضريبة على المصريين وأن تعفى الاجانب من مثلها . وما دام ان الاجانب يتوسعون في فهم الامتيازات الى حد انهم يسمحون لانفسهم أن يعيشوا في البلاد وأن يستغلوا كل ما فيها وان يرفضوا مع هذا أن يؤدوا شيئاً في مقابل ذلك فاذا تنتظر ! بأي حق تنحي على حكومتك وحدها باللام ؟ ان المسألة هي . . . »

ولم يبين لنا ما هي المسألة فقد التفت الينا صاحب السيارة وقال لنا : « انزلوا »

وصحنا كلنا في دهشة « ننزل ؟ »

قال : « نعم . فقد غاصت العجلات في الوحل وهي في حاجة الى معونتكم لرفعها ، وأرجو أن يكون ذلك ميسوراً . . وإلا . . . »

فقلت مستحثاً : « نعم وإلا . . ؟ »

فقال وهو يبتسم : « وإلا اضطررنا أن نبقى حيث نحن الى أن يرسل الله من ينقذنا »

ولكننا لم نرفعها بل لعلنا زدناها غوصاً ، فقد كنا إذا رفعناها بعد الجهد والنصب مقدار أصبع واحد عدنا من فرط الاعياء فدعناها تهوي فتحط بكل ثقلها بعد تخلينا عنها فيزداد غوصها في الربة الطرية . ولم تبق لنا حيلة فغسلنا أيدينا بالسبخ ورجعنا إلى مقاعدنا ونحن نلهث وأيدينا وأرجلنا موحلة . وتركنا لانور مصاحة سيارته حتى ان يجد ما يرفعها به وقد بدا عليه الانزعاج وجوم طبيعي:

« ولم لا ؟ فالتجربة جديدة للمتشردين . نحن على الاقل على مقاعد وثيرة »

ولكن رئيس النادي لم يعجبه هذا فقال بلهجة حادة:

« أي متشردين ؟ انا لا أحب حياتهم . لم أعش حشونة عيشهم فنحن أعجز منهم عن احتمال ما يحتملون بالعادة . أجسامنا لم تكتسب قوة الصبر من طبيعة التي اكتسبتها أجسامهم بالتعرض والتجرد ، ونحن جهلة وحياتهم محدود ، فتاسهم هي المتاعب المادية وحدها ، ونحن متعلمون مصقولون مترفون ، ولنا خيال أوسع من خيالهم ، وهذا الخيال يضيف إلى ما نكابد آلاماً من الشقاء والعذاب لا تجري ببال المتشرد فهو لا يعرفها ولا يحسها. لا ياسيدي . لو كانت مكاناتطائفة من المتشردين لكان من دواعي اغتباطهم أن يجدوا مثل هذه المقاعد اللينة المريحة ولناموا ملء عيونهم ولما خطر لهم أن يضيعوا الصايبح تنبيهاً أو تحذيراً أو طلباً للنجدة ، بل لما خطر لهم انهم معرضون لخطر في وسط هذا الطريق »

فوافق الآخرون ـ لان ملاحظته فضلاً عن سدادها صادرة عن « رئيس نيابة » والذي هو رئيس نيابة لابد أن يكون أدرى وأعلم من ليس كذلك . وأحسست أنا ان الموافقة ليس مرجعها الى الاقتناع بل الى مركز المتكلم ، ولم يكن لاحساسي هذا من علة سوى كثرة ما اهتزت الرءوس وهو يتكلم فجنحت الى العناد وقلت معالطاً أو عادلاً بالكلام عن جهته

« ولكنه لا خير في التذمر . وليست المهارة ان نحسن الاعتذار من تذمرنا وتعللنا ، بل

أن نحسن احتمال الحالة التي نحن فيها . والمسألة ليست اننا معذورون أو غير معذورين إذا تألمنا ، وإنما هي ان نقضي ليلتنا كأحسن ما نستطيع وأن لا ندع خيالنا يجسم لنا سوء ما نحن فيه »

ولم يكن رئيس النيابة أقل مني عناداً ، وكان أبرع في اختيار نغمة المحوم فقال وهو يشور يده :

« لو كنا حيواناً من الرجال لما جادلتك . ولكن هذه أختي . . لا أظنك تريد أن تطالبها بهذا . . . . . »

ولم يتمها ، بعد وثب زوجها فجأة ، وفتح الباب من ناحيه ، وانتزع مصباحاً صغيراً معلقاً بالقرب من الزجاج المواجه لمقعد الامامي وقال « كفيت» فمدت أيدينا الى جيوبنا وناوله أحدنا علبة . فسألته : « ماذا تريد أن تصنع ؟ »

فقال وهو يدني المصباح من زوجته وهي تفتح عود الثقاب لتشعله له :

« سأنظر هل هنا بيت أو كوخ قريب يصلح للمبيت »

فقالت زوجته وهو يمضي عنها « والسيارة ؟ » فلم يزد على ان لوح بذراعه

* * *

وعاد بعد مدة كانت في حسي أطول مما هي في الحقيقة ، وكان حديثنا في خلالها متقصداً ولم يكن أحدنا يريد ان يكلمه « الكلمتين » ووعد بدأ الواحد للكلام ثم قطعه ، فقد فتر الانتظار الرغبة في الحديث وأغرانا بالصمت والتفكير حتى أمل كان يكبر كلما خيل لنا اننا نلمح شبحاً ، ثم لا يلبث أن يهزل ويتضح حين على انه صخور . وما أكثر ما كنا نسمي ان مع صاحبنا مصباحاً مضيئاً وان هذا المصباح زوده الذي لا يكذب وعلوه الذي لا يضل ، ولكننا كنا ننتظر على قلق فلا يدع اذا كان ما يجربه الوهم والامل والقلق في أول الخاطر غير مطرد في سياق من الانتظام مع حقائق الموقف

ولم يدع شيئاً محتملا أو غير محتمل إلا تصورناه ، فهو فيما كنا نتخيل يعود مرة مخففاً والمصباح في يده مطفأ ، وتارة ينادينا ويدعونا ان نهرع اليه فقد وجد بيتاً حسناً ، وطوراً يكبر في وهمنا انه راجع الينا في جماعة من الملاحين أقوياء السواعد يدفعون السيارة الى الارض الجامدة عشكرهم ويستأنف السير ، وتارة أخرى يقوم في وهمنا انه لمسه أصابه مكروه من انسان أو وحش وان كان لا وحش هناك إلا أن يكون انساناً . ومرة تصوره قد أخذ منه الكلال وأثناء حوض الوحول فكف عن البحث وارتد الينا وهو ينتفض من البرد ويرعش من الحمى وهكذا

فلما عاد كان أعجب ما حدث اننا تلمحنا صوته قبل أن نرى مصباحه المضيء وان كلا منا قريباً ، فأسرعنا الى الابواب نفتحها ونخرج حتى لنسينا أن نأخذ يد زوجته من فرط الصحة

ودهشة السرور بأونته ويدعونه المشرة بالخير . وأمطرناه وابلاً من الاسئلة من غير أن ننتظر جواباً فلم يزد على ان قال :

« لا أدري ولكن قروياً دلني على بيت قال انه الوحيد في هذه المنطقة : « بيت توحه »

فقال رئيس النيابة : « توحه ؟ »

قال : « نعم هل تعرفه ؟ »

قال : « لا ولكن الاسم مع ذلك عجيب أين هذا البيت ؟ أهو بعيد من هنا ؟ »

قال « ربع ساعة اذا سرنا على مهل تعالوا »

وسرنا الى الباب فوقفنا عنده ندقه وننادي فرادي وسوياً « توحه .. توحاه .. يانووحاه ؟ »

فلم يجبنا أحد . وطال دقنا للباب ونداؤنا توحه هذا حتى ملقنا ، وتعد صبر أحدنا فأهوى على الباب يضربه برجله مرة وبدفعه بكتفه مرة أخرى حتى انخلع فاندفع داخلاً ، ولكن رئيس النيابة وقف متردداً يراجع نفسه ويراجعنا ويحاول أن يصدنا عن اقتحام البيت ولكنا سخرنا منه ومن هذه « الحرفية » القضائية

وكانت الغرفة التي دخلناها عجيبة ذلك ان أرضها مفروشة بحصير ، على مداره مما يلي جدارين ، حشيتان رفيعتان صوفيتان ، وفي أحد الاركان عرانه كبيرة الى جانب صندوق ساذج ، وكرسي واطيء عليه فنار كبير على احداها كوز ، وعلى أحد الجدران مصباح صغير ، جلس مواجهاً له على كرسي له متكآن رجل وصفت شعر رأسه توحه ثابت الجلاق

فتقدم اليه الذي كسر الباب وقال : هل أنت توحه ؟ »

ولكنه لم يتحرك ولم يتكلم ولم يحول عينه الى محدثه ، فهمست في أذن جاري

« لعله أصم ؟ » فدنا منه هذا وصاح بأعلى صوته « يا توحه . هل أنت توحه ؟ »

فلم يحفلنا ولم يولنا أقل عناية ، فضاق صدر محادثه وأفل عليه بهر كتفه فما راعنا إلا وهو غاص في كرسيه حتى لخيل الينا انه تقوض أو دخل بعضه في بعض ، فقال رئيس النيابة « كنا نعلم ان الرجل مشلول بلا شك »

وتناوله من تحت ابطيه ورفعه وسواه على مقعده كما كان . وفي هذه اللحظة سمعنا صوتاً عذباً من ناحية الباب يقول . « أنا توحه »

فالتفتنا مذعورين فأخذت عيوننا على ضوء المصباح الخافت امرأة سمراء مستديرة المحيا دقيقة المعارف رقيقة النظرة ، في ابتسامتها المرتسمة على فمها الجميل معان من السرور والسخر والألم والجلد ، فاعتذرنا وقصصنا حكايتنا ، وكانت تستمع الينا وهي واقفة في مدخل الباب وذراعاها على الجدارين ، فلما فرغنا دعتنا الى الجلوس وقالت :

« ألا آتيكم بطعام ؟ لا تقولوا : « لا » ولكن قولوا : « نعم » وتعالوا ساعدوني على تهيئته »

فأعدنا بشرها وشرحت صدورنا سماحة نفسها فضمنا معها الى غرفة ـ ان صحت تسميتها كذلك ـ غير مسقوفة لها باب يحاذ لباب الغرفة الاخرى وفيها سلم ينتهي الى السطح، وسألتنا وهي ترشدنا الى ما تصنع :

« كيف لم تروا الباب الآخر ؟ لو طرقتموه لما احتجتم الى كسر ذاك،فانه لا يوصد أبداً »

وفي هذه اللحظة شعرنا بشيء يحك جسمه بالباب فالتفتنا منه اليها فقالت :

« هذا خفيري أتحبون أن تروه ؟ »

وفتحت الباب فدخل كلب ضخم لم يكد يرانا حتى بدأ يروم وينطر اليها فوضعت كفها على رأسه ملاطفة له وقالت : « لا تخافوا فانه لا يؤذي صيوفي »

ثم أولته ظهرها وقالت وهي تبتسم :

« من حسن حظكم انه كان معي حين جئتم ! فاشكروا لي عبقي »

ولم يكن في حركاتها ولا في كلامها شيء ريبي فقد كان لها طرف الحضرية ورقتها وكياستها في الحديث ، فأدهشنا ذلك ولم يسع رئيس البناية الا أن يسألها :

« لقد ظننا توجه هذا السلم رجل ... وجوده في أول الامر هذا الحالي هناك . فهل هو أبوك ؟ »

فقالت موجزة : « كلا »

قال : « أخوك اذن؟ »

— « كلا »

— « زوجك ؟ »

— « لا ! » ممطوطة

فأقصر وكف عن مسائلتها وقد شعر بالحرج وقالت هي وهي تحمل الطعام الى الغرفة التي كنا فيها : « هذا حمد » فزادت الامر غموضاً بهذا البيان

وصنعت لنا قهوة بعد الصيام وجلست الى جانب حمد ـ على الارض ـ وتناولت يده في كفها وجعلت تمسحها وهي تقول :

« لقد كنت في الاسكندرية قبل ذلك ـ قبل أن أجيء الى هنا وجمعت قدراً من المال لا بأس به ، أكنزه حلي . وكان حمد يعرفني . يعرفني فقط . وكان له مال غير كثير أنفق معظمه علي . وفي احدى الليالي جاء الي بيتي وانحط على كرسي ولم يقم بعدها أبداً »

وردت رأسها الى الوراء حتى حجب الكرسي وجهها عن عيوننا ومضت تقول :

« قال لي الاطباء الذين فحصوه انه سيظل هكذا أبداً . سيبقى كالطفل الرضيع الذي لا

يستغني عن عناية الأم ، وقالوا ان هذا راجع الى اسرافه في حياته . ولم يكن لي طفل ، فاشتهيت أن أتخذه طفلي وأن أتعهده بعنايتي وأن أبذل له أمومتي . أليس قد أنفق عليّ ماله ليصير طفلي ؟؟ وكرهت بعد ذلك مقامي في الاسكندرية وحياتي فيها . لقد انتهى ذلك لما وجدت طفلي . بعت حقي واشتريت قطعة أرض صغيرة هنا هي حسنا بل هي فوق الكفاية ، وابتنيت هذا الكوخ ، وما حاجتي الى أكبر منه ؟ ليس معي غير «حمد» . وهو كما ترون تكفيه وقعة الكرسي وقد كان المقام في أول الامر عسيراً وكانت الوحدة مضنية ، ولكني وطنت نفسي عليها ورضيتها على السكون الى العزلة مع «حمد» .. ثم وجدت هذا الرفيق ، وجدته صالا فأخذته وربيته فهو الآن رفيقي وأنيسي . لا يتركني قط . هو حفيدي أينما ذهبت ، يخرج معي ويؤوب معي . وهو راض عني وقانع بي لا يسألني عن شيء ولا ينهاني كما كان ينهاني أهل هذه الناحية . على انهم ادركوا انهم لا حجة بهم الى تكلف اتقاني فأني بعيدة عنهم وهم الآن يبذلون لي معونتهم اذا طلبتها . نعم »

ثم نهضت وهي تقول : « ألا تنامون ! ليس عندي غير هذه الغرفة ، فمعذرة »

وخرجت وغابت هنيهة تقرب من نصف ساعة ، وكنا في أول الامر صامتين توقعاً لعودتها بسرعة ، فلما طال غيابها نظر بعضنا الى بعض ، فلم نتكلم الا الزوجة فقد كان وجهها ناطقاً بمقت توحه واحتقارها

ورجعت توحه فأمسكت السراج بطرفها من الصوف وطلبت وقالت

« هذا للسيدة وذلك سكن حمد ، ومعذرة مرة أخرى »

وجاءت بوسادة صغيرة ووضعتها تحت مدي «حمد» ووضعت رأسها عليها الى جانبي قدميه ونامت

• • •

لما أصبحنا لم نجد توحة ولم نعثر على أثر لها لا في البيت ولا في الحقول المجاورة ، وكانت الشمس قد ارتفعت فتقدمنا واحداً بعد واحد الى «حمد» صافحه وتوديعه وعدله في كرسيه بعد كل مصافحة

وكررنا الى حيث السيارة فالفيناها قد نقلت الى الحافة اليمنى على أرض يابسة ثم بخامرنا شك في ان هذا بعض فضل توحه . فانطلقنا بها في جو مشمس رائق حتى بلغنا الاسكندرية وكانت غايتنا . ولم نكد ندخل الصدق وندع السيدة في غرفتها لتصلح من شأنها وتستريح حتى دعانا اخوها رئيس النيابة الى الدار وقال لما وقفنا صفاً الى جانبه :

« هذا نخب توحه . بارك الله فيها ! »

من يدري ؟ ربما !

ابراهيم عبد القادر المازني

أهم حادث أثر في مجرى حياتي

اللواء احمد شفيق باشا ، الدكتور عبد الرحمن شهبندر ، السيدة هدى شعراوي

يمثل اللواء احمد شفيق باشا مدير الحدود وحل الحرب المطبوع على الشجاعة واستقامة الخلق.
ويمثل الدكتور عبد الرحمن شهبندر رجل الحرب والهوس ، وهو الزعيم السوري المشهور بكفاحه وجلاده ، أما السيدة هدى شعراوي فهي مثال حسن الزعيمة النسائية الحرية على رقي ، ات جانبا ، فذلك في الاحاد ت الثلاث صور من صور الحياة تجمع بين الشهامة الحرية والاخلاص للوطن ، والدفاع عن نهضة الجنس اللطيف [المحرر]

اللواء احمد شفيق باشا

« نشأت شغوفاً بفن الهندسة ، فكنت اميل الى دراستها ، وأتمنى أن أندمج في مدرسة الهندسة بعد اتمامي الدراسة الثانوية في مدرسة التجهيزية مدرب الحامير . وكنت مصمماً كل التصميم على تحقيق أمنيتي ، وبعد في وقتها لا عتباري أن الهندسة أم أسس الحضارة والعمران . وبينما أنا على هذا التصميم والعزم في المدرسة التجهيزية قامت ثورة عرابي واشتعل لهيبها ، ودفعت كثيراً من المصريين الى الدفاع عن البلاد و لوقوف في وجه الخصوم . فر على نفسي هذا التيار ، وتغلبت عليّ فكرة الذود عن الوطن والدفاع عن حياضه دون فراب لعيرين ، واغتصاب الغاصبين

« وكان من العادة أن يأتي الينا في المدرسة التجهيزية مندوب من وزارة المعارف يسأل طلبة الفصول المتقدمة عمن له رغبة في دخول المدرسة الحربية أو مدرسة الطب . فلما وافانا هذا المندوب وسأل كعادته أعلنت له رغبتي في دراسة الفنون الحربية فقيد اسمي في مذكرته ، وعلى أثر ذلك دخلت مدرسة الحربية . وبقيت بها الى أن تخرجت منها ضابطاً

« وبعد ما تخرجت سافرت الى حلفا ومكثت بها سنتين ، ثم أعلن استرجاع السودان وكنت في مقدمة الجيش ضمن سلاح المدفعية بقيادة « سرس » . وكان أمامنا الدراويش متأهبين عند « عكاشة » على بعد ٥٠ ميلا ، ودارت رحى القتال بيننا وبينهم ، فتقهقروا وأخلوا « عكاشة » والتجأوا الى « فركه » فتابعنا القتال حتى أخلوا عن « فركه » أيضاً ، وتحصنوا بقرية « أبوطمة » في الجهة البحرية لدنقلة ، وما زالت المعارك قائمة بيننا وبينهم الى أن تم استرجاع السودان في سبتمبر سنة ١٨٩٨ . وتظمت حكومته واتجهت مأموراً في بلدة « مناحل » فمكثت سنتين ثم رجعت الى المدفعية كما كنت الى أن رقيت الى رتبة أميرالاي فعينت ناظراً للمدرسة الحربية ، ثم نقلت الى رياسة الجيش بالسودان في سبتمبر سنة ١٩٢٣ وكنت وقتئذ برتبة لواء ، وما لبثت أن انتدبت في نفس هذه السنة لأكون وكيلاً لمصلحة الحدود التي كان يتولاها مدير الخطيري . ثم صدر بعد ذلك بسنتين مرسوم ملكي بتعييني مديراً للحدود »

الدكتور عبد الرحمن شهبندر

« أتعلق حوادث المرء التي تريده أم يحقق المرء الحوادث التي يريدها ؟

سؤال سيبقى الجواب عنه معقداً مادام الناس متطرفين في عقيدهم فاعتبر من جهة أو «الاختيار من جهة أخرى ، فهم إما مجبرون ما يعملوا لوائق عن كتابهم ليحسبوا من بين اليد الذي القوانين واما ارادون يزعمون أن في مقدورهم أن يعملوا ما يشتهون حتى أن يقولوا الشيء كي فيكون . ولعل في سرد التحول الآتي الذي أحدث انقلاباً في حياتي ما يدل على أن الحوادث التي تعرض للناس قد يتحدها المرء اذا شاء أساساً لما يريده من بناء شخصيته واختياره

« قضيت شطراً من حداثتي في عصر السلطان عبد الحميد وكنت أشعر أنا والمخلصين من الاحرار الذين جمتهم بهم نكبوس نبيع على البلاد العثمانية من حرية الحاسوسية وكم الافواه والضرب على الايدي الحرة والتصرف في حيوات الامة حتى اذا بدرت بوادر الحرية في الروملي ووقف ساعة الدستور في سلانيك شمرنا عن ساعدنا في سورية لتأييد هذا الانقلاب ووقوف مع جيوشه في الجيش العثماني في وجه أهل الرجعى فألغيا المحاكم الادارية الخاصة الاعتداء والتزني في طول البلاد وعرضها وكانت دمشق لشام فاصمة هذه الحركة وكانت مركزاً للحركة العامة في سلانيك . أما القطب الذي درنا حوله في سبيله الوطنية التي تعاهد بوشك أساسه ما دونته جمعية الاتحاد والترقي في السطر الأول من نظامها الداخلي وهو جعله الامة العثمانية جمعاء عالية من غير تفريق بين عناصرها . وقد شعر بهذه الاخوة والمساواة شعوراً عميقاً حتى ان النائب الأرمني الراحوم سليم بك الحاراتي وهو من أخلص اخواني وأعز أصدقائي كان يعتبر نفسه في الاستانة تألفت عقيب الانقلاب العثماني ملتزماً العرب فاتم الاخاء العربي وقف في محطة سكة في دمشق واعتنق حسن بك اليافي وصاح بأعلى صوته « ان نسمع بتأليف جمعية سرية الاخاء العربي فكل من تحدثه نفسه بالانضمام اليها يبس له الا حد السيف » . وهذا كان شعور احرار العرب عامة في تلك الايام ولكن أحدث الاخبار تتسرب اليها من مختلف الجهات بأن الاتحاديين في الاستانة يبدون الشر بالعرب وقومهم فكنا نكذب تلك الاشاعات وعدها من باب الاختلاقات التي يروجها اعداء الحرية الى أن حدثت لي الحادثة الآتية التي أزالت من نفسي الشكوك لأنها كانت من مصدر رسمي ، وهي أن موظفاً قضائياً كبيراً من أصدقاء رجالات العرب وهو مرحوم كامل بك الصلح نقلته الحكومة من مأمورية الى دمشق فلما مر على الاستانة ليقابل وزير العدلية ـ المغفور له نجم الدين ملا بك ويتفق معه التعليمات جديدة قال له هذا : « انك ذاهب الآن الى رياسة محكمة الاستئناف في الشام فاجعل المحاكم من الآن فصاعداً بالتركية لاننا قررنا تتريك العناصر » . هذا ما قصه علي سراً رجل ترفه من أجله رجالنا على شهادة قطعية على عزم الاتحاديين على سلوك سلك عنصري جديد مع العرب ليس محكوماً عليه بالفشل فقط بل محفوفاً بالاخطار . وان هذه الحجة القضية التي تغلب في الماضي الجليل كانت فاتحة عصر جديد في حياتي إذ نقلتني من داك الاتحاد في القوميات العثمانية التذاكرة الى تأييد قوميتي العربية في الجامعة العثمانية . وكان الاتحاديون كلما حققوا في هذا المضمار ناعاً حطت العناصر الأخرى ذراعاً الى أن حلت كارثة

الحرب العامة فظن القائمون في جمعية الاتحاد والترقي أن ساعة الانتقام دنت فاربكوا تلك الموبقات والجرائم التي تقشعر منها الابدان في سورية وسائر المناطق العربية وحسبي أن أقول هنا إن نفس الضابط الكبير الذي تندّد بحمية الأحياء العربي سنة ١٩٠٨ ذهب على اعواد المشانق التي نصبها السفاح احمد جمال باشا لرجالات العرب في اليوم السادس من مايو سنة ١٩١٦

« هذا هو التحول الذي فتح عيني الى الخطر المحدق بالامة العربية فسرنا تلك السيرة القومية الجديدة اما الذين لعبوا هذه اللعبة العصرية الخطرة من الاتحاديين فقد نالوا جزاءهم على أيدي الحكومة الكمالية أو غيرها ومن سوء حظهم انهم لم ينالوا الحظوة لدى المفكرين من رجال الترك أنفسهم ، حتى اني وأنا في قلب هذا للعمعان العربي مدين في شطر عظيم من حياتي للوالي التركي الكبير المرحوم خلوصي بك ، وذلك لملاحظة دقيقة التي ابداها لي في أواخر شهر اكتوبر سنة ١٩١٥ لما حملني على مغادرة البلاد العثمانية بطريق الصحراء الى العراق فالهند فوادي النيل . واذا كان هذا مبلغ عصفا على من نحرش قوميتنا من اخواننا الترك في جمعية الاتحاد والترقي فأنت أدرى بما يعلي في صدورنا من النقمة على الاجانب المستعمرين الذين لا يطمعون في القضاء على لغتنا فقط بل يحاولون محق سائر المقومات في حياتنا العربية . ومعنى ذلك في معجم الوطنية سلسلة من الحوادث والاضطرابات لا مسكن لها الا تحقيق الرغائب القومية »

السيرة الثانية لشعراوي

« كان اسلافنا يرون في تعلم البنات مفسدة لاخلاقها وذلك كان أغلب الآباء يحرمون على بناتهم ورود مناهل العلم لعدية ويؤثرون ان تبقى جاهلة لا تعرف شيئاً من العلم والعرفان

واذا تساهل بعض الآباء فسمح لابنته بتعلم مبادىء القراءة والكتابة وحفظ بعض سور من من القرآن الكريم ليتسنى لها تأدية الفروض الدينية . وقد كدت أكون ضحية هذا الوهم القاسي ولا حادث طرأ على أثناء دراستي فأثار حنقي وكان له أطيب الأثر في حياتي خصوصاً في الاستزادة من العلم ببذل كل مجهود لتذليل الصعوبات التي كانت تعترضني في هذا السبيل

« كنت في طفولتي كمعظم اترابي أتلقى مبادىء القراءة والكتابة في الصحف الشريف بجانب القرآن الى اتقان اللغة العربية وأوجد عندي رغبة شديدة في الأدب العربي فاقتنيت بعض الكتب المفيدة بمطالعتها ولكني رأيتني لا أقوى على قراءتها لانها خالية من الشكل

« سألت معلمي عن سبب ذلك فقال : « لأنك لم تتلقي علم النحو » فرجوته أن يعطيني دروساً فيه فوقع رجائي عنده موقع الغبطة والسرور وأتى في اليوم الثاني يحمل تحت ابطه كتاباً صغيراً ولكن لسوء الحظ كان لي مرب مكلف بمراقبة تعليمي فصادف أن حضر في صباح ذلك اليوم فلما وقع نظره على الكتاب الذي أحضره المعلم سأله عنه فأجابه فرحاً مسروراً : « طلبت مني المعلم اعطاءها دروساً في النحو فلبيت طلبها وسيبتدىء اليوم في تعليم قواعد اللغة العربية » وكنت انتظر أن يقابل هذه الرغبة بمثل ما قابلها به معلمي ولكني دهشت إذ رأيته يتصدى للمعلم مستهزئاً به قائلاً له : « خذ كتابك وانصرف فانها لن تكون يوماً من الأيام عالماً . . . »

استفتاء الهلال

أهم حادث أثر في مجرى حياتي

[اقرأ المقال المتقدم]

احمد شفيق باشا

مدير مصلحة الحدود وقد شرفنا له في هذا الجزء رده على استفتاء الهلال عن اهم حادث اثر في مجرى حياتي

الدكتور عبد الرحمن شهبندر

الزعيم السوري المعروف ونزيل القاهرة . احد الثلاثة الذين نشرنا لهم في هذا الجزء من « الهلال » اجوبتهم عن اهم «حادث اثر في مجرى حياتي »

السيدة هدى شعراوي

الزعيمة المصرية المعروفة تنشر صورتها مناسبة ردها على الاستفتاء في هذا الجزء من الهلال

آثار المدنيات البائدة

ما هي أقدم الحضارات المنقرضة

المصرية أم الكلدانية ؟

في مصر وفلسطين والعراق وما بين النهرين جيوش من المنقبين عن الآثار يعملون الليل بالنهار في البحث عن المدنيات البائدة . وهم يعملون في صمت و هدوء بحيث لا يعلم أحد موجودهم الا عند عثورهم على آثار تلفت الانظار . وليس ثمة من يستطيع أن يوفيهم حقهم من الثناء . فهم يعانون حرارة الصيف وصرامة الشتاء في سبيل استجلاء الغامض من هذه الناحية التالية وصف موجز لبعض ما عثروا عليه حديثاً من آثار الشعوب والمدنيات البائدة

١ ـ أم الحضارات

لا يمر يوم إلا وتظهر فيه آثار جديدة للاقدمين ترجع تاريخ البشر أجيالاً الى الوراء وقد كان علماء التاريخ حتى عهد قريب مجمعين على ان الحضارة المصرية هي أقدم الحضارات المعروفة . ولكن الآثار التي ظهرت في خلال العشرة الاعوام الماضية دلت ان الحضارة المصرية ـ حتى في عهد بناة الاهرام أي منذ خمسة آلاف سنة ـ كانت حديثة العهد بالنسبة الى حضارة الكلدانيين والحثيين وغيرهم من الشعوب البائدة

وبعبارة أخرى ان المصريين في أيام الاسر الاولى والثانية والثالثة كانوا حديثي العهد بالحضارة بالنسبة الى الامة الكلدانية التي ظهر منها ابرهيم الخليل حتى يصح القول بان مصر في أيام الملك مينا مؤسس الاسرة الاولى كانت أمام حضارة كلدانية لا يقل عمرها عن خمسة آلاف سنة وهو ما أثبتته آثار « أور » و « سومر » وغيرها . وكما ان مدينة هليوبوليس أو مصر الجديدة تنظر الى دمشق باعتبار انها أقدم مدن العالم المعروفة كذلك كانت ممفيس وطيبة وغيرها من مدن مصر قديماً تنظر الى مدن الكلدانيين والحثيين والاشوريين

فالنتيجة الاولى التي أسفر عنها تنقيب علماء الآثار في بضعة الاعوام الاخيرة هو ارجاع تاريخ الحضارة البشرية نحو خمسة آلاف سنة الى ما وراء حضارة مصر . وقد يجيء يوم يتضح فيه ان الحضارة البشرية هي أقدم من الحضارة الكلدانية بمدة ألوف من السنين

ولعل من أحدث ما اكتشفه المنقبون عن الآثار بضعة كهوف عثروا عليها في جبل

الكرمل وفيها نقوش قديمة لا شك انها أقدم ما نقشته يد الانسان لانها ترجع الى ما قبل زمن التاريخ المعروف . وهذه النقوش ترمز في الظاهر الى جنة عدن التي يقال انها كانت في وادي الفرات . فاذا ثبت ذلك لم يبق شك في ان حكاية تلك الجنة كانت شائعة عند أقدم شعوب البشر

وقد بحث الكثيرون من العلماء عن آثار جنة عدن. ولا يزال بعضهم يوالي البحث عنها فيما بين النهرين . وقد اسفر التنقيب عن الحقيقة التي سبقت الاشارة اليها وهي ان الحضارة الكلدانية التي نشأت فيما بين النهرين هي أقدم الحضارات البشرية . وتدل الآثار أيضاً على ان ما بين النهرين كانت فيما مضى معرضة على الدوام لفيضان النهر . وفي الواقع انها أصيبت بفيضان جارف مرتين . وكان الفيضان الاخير منهما من شر الفيضانات التي مني بها العالم في الازمنة الغابرة ويعتقد الكثيرون من علماء الآثار انه هو الفيضان الذي أهلك العالم في زمن نوح لان تاريخه يتفق بوجه التقريب مع تاريخ نوح . وهنالك ما يبعث على الامل بان يجد العلماء بين ألواح الآجر الكثيرة ما يعين زمن ذلك الفيضان بوجه التحقيق

ويظهر ان نوحاً كان قد سمع باخبار الفيضان السابق وما أحدثه من الاضرار البليغة . ولعل تلك الكارثة وقعت في زمن طوفان نوح . فرأى ان يحتاط للامر ويبني لنفسه فلكاً ينجو بها هو وأهل بيته

ابراهيم أور الكلدانيين

ولا نعلم حتى الآن من أين اقتبس الكلدانيون حضارتهم . وكل ما نعلم انهم جاءوا في الاصل من مرتفعات ما بين النهرين الشمالية فوجدوا أنفسهم في منخفض من الارض المستوية المجردة من التلال والاودية . وحفز لبصرهم — تحت تأثير ذكرى الفيضانات المتوالية — ان بنوا لانفسهم برجاً « يتصل طرفه بالسماء » ويحققون به غايتين كبيرتين : الاولى عبادة آلهتهم واقامة مختلف الشعائر الدينية لها . والثانية الاعتصام بذلك البرج عند حدوث فيضان جديد . وهذا البرج أقدم من اهرام الجيزة وهندسته شديدة الشبه بهندسة الاهرام التي لا تزال آثارها باقية في بوكتان بلاد المكسيك

ويظهر ان الكلدانيين كانوا معروفين بهندسة الابنية والمنشآت الضخمة ، ولهذا بنوا برج بابل كما بنوا المقاطر الضخمة التي لا تزال آثارها باقية الى هذا اليوم

وعن الكلدانيين أخذ البابليون جميع علومهم وفنونهم ونظمهم العمرانية والاجتماعية . وكان ببوخذ نصر أشهر ملوكهم وهو الذي بنى المدن وأحاطها بالحصون الكثيرة وأنجز أعمالاً

هندسية تدل على المهارة والرقي . وكان يسخر في ذلك الحيوش الجرارة من العبيد . ومن أشهر أعماله الهندسية فراديس بابل المعلقة وهي إحدى عجائب الدنيا السبع . قيل انه بناها لزوجته « أموحيا » لانها كانت تحن دائماً الى حدائق بلادها « ميديا » . وقيل أيضاً ان الفراديس المعلقة هي في الاصل برج بابل المشهور وان الملك نبوخذ نصر أمر بتنظيم حدائق لولبية حوله حتى أعلى قمته

وفي مدينة « أور » الكلدانية نشأ ابرهيم الخليل وترعرع . وكانت تلك المدينة ذات حضارة قديمة جداً مما يدل على ان المدينة بنيت قبل ابرهيم ببضعة آلاف من السنين . وكان اسم أبي ابرهيم على ما في التقاليد «تيراح» واسم أخيه «ناحور» . وتزوج ابرهيم فتاة تدعى «ساراي» أو «سارة» وكان لاخيه ولد يدعى لوطاً . وكان ابرهيم واسع الثروة والخبرة وعلى جانب عظيم من المعرفة باحوال العالم . ومع انه لم يكن من أهل البادية فقد وقع له ولاهله ما حتمهم على هجر معيشة الحضر والتماس البادية . وفي بعض التقاليد انه هرب من المدن ليتقي شر الحروب ولكن عن الآثار قد أماط لثام التام عن السبب الحقيقي الذي دفعه الى هجران المدن وهو كرهه لديانة القوم في ذلك الزمن ورغبته في الفرار من شعائرهم الدينية المنفرة كما سيجيء

٢ ـ حضارة أور الكلدانية

قلنا ان حضارة الكلدان هي أقدم الحضارات حتى الآن . وفي الواقع ان القوم كان لهم قوانين ونظم وصناعات وعلوم راقية جداً . وقد عثر المنقبون على آثار كثيرة تدل على سمو المنزلة التي بلغوها في تلك الحقب الخالية . ومن جملة تلك الآثار أمتعة وآنية منزلية تدل على حب القوم لرفاهة العيش وللتنعم بأطايب المشروبات والاطعمة ولا تزال مواقد الطبخ وآنية الطعام التي كانوا يستعملونها من أدق المصنوعات وأفخرها . وقد عثر المنقبون أيضاً على كثير من الدمى والالعاب التي كانوا يلهون بها ومن جملتها رقعة للشطرنج مرصعة بالفضة واللؤلؤ مما يدل على قدم عهد هذه اللعبة وانتشارها في ذلك الزمن . وفي متحف جامعة بنسلفانيا بأميركا صولجان جميل الصنع من معدن البرونز كان للملك « دونجا » الكلداني ولا يفوقه أي صولجان من صوالج الملوك المتأخرين في دقة الصناعة . وعثر المنقبون أيضاً على نموذج للفلك (لعلها الفلك التي صنعها نوح) وهذا النموذج مصنوع من الفضة الصافية وهو دقيق الصناعة جداً ويشبه من وجوه كثيرة بعض السفن التي تمخر اليوم عباب دجلة والفرات

وكان للملك نبوخذ نصر الذي سبقت الاشارة اليه جوقة موسيقية توقع الانغام المطربة

على الآلات المختلفة كالناي والرباب والمزمر والقيثارة وغيرها من الآلات التي اقتبستها شعوب كثيرة لاقامة شعائرها الدينية . وهذا يثبت ان الناس في تلك العصور كانوا ميالين الى الغناء . وفي الواقع ان علماء الآثار قد أثبتوا أن آلات الحوقة الموسيقية الخاصة بالملك بوخذ نصر كانت مقتبسة من آلات ترجع الى ما قبل ذلك بعصة آلاف من السنين . ولا تزال نرى على ألواح الآجر التي ترجع الى ما قبل المسيح بحو ستة آلاف أو سبعة آلاف سنة صور القيثار وغيرها من الآلات الموسيقية وبعضها مرصع ترصيعاً دقيقاً

ومن تلك الالواح قطعة نقش عليها كلام باللغة الكلدانية القديمة وهذا الكلام مقيد على ما يعتقد علماء الآثار بمايشبه العلامات (النوتة) الموسيقية . ويؤخذ من هذه القطعة ان القيثارة عند القوم كانت ذات اثنين وعشرين وتراً وان الوحدة الموسيقية كانت مؤلفة من خمس نغمات (بدلا من ثمن كما هي الآن) وان الاصداف لم تكن معروفة

وهنالك آثار أخرى كثيرة عثر عليها العلماء وهي تدل على رسوخ الحضارة الكلدانية في القوم . ومنها أكؤس مدهشة لشرب الخمر وآنية فاخرة مما كان يستعمل في قصور الملوك . وتماثيل المركبات الحربية وسروج الخيل وما اشبه . وكلها مما شاهده ابرهيم الخليل حين رأسه

٤ — هجرة الخليل ابرهيم

وسبب عدم ارتياح ابرهيم الى حضارة الكلدان انها كانت مصحوبة بما يدل على أشد ضروب القسوة . ومع ان القسوة كانت من غيرات جميع الحضارات القديمة ، ولكن ما بدا منها في الحضارة الكلدانية يفوق كل وصف . وقد حاول الروائي « رايدر هجارد » الانجليزي أن يشرح بعض مظاهر تلك القسوة في بعض رواياته ولكنه قصر عن وصف الحقيقة كثيراً

يدلك على ذلك بعض ما عثر عليه المنقبون في صريح الملك « مسكلام » بمدينة اور وهو يبين ان تقاليد الناس في ذلك الزمن كانت تقضي بأنه عند ما يموت الملك (سواء أمات عيلة أم موتة طبيعية) يقتل جميع أطفال المدينة وزوجات الملك وسراريه . وقد كان للملك « مسكلام » المذكور زوجة يحبها حباً شديداً تدعى « شوباد » وعمرها ثمان وعشرون سنة . فلما توفي زوجها عمد الحنود اليها وهي واقفة أمام جثته ومتحلية بأفخر ما عندها من الحلى فضربوها بعصاً غليظة على رأسها أماتتها للحال . ودفنت اذ ذاك مع زوجها كما يقضي العرف . وقد عثر المنقبون على جسدها ولا تزال حلاها الذهبية تزينها وخصرها مشدود بمشد (كورسيه) من نسيج الخيوط الذهبية الدقيقة . وعثروا أيضاً على جثث اثنتي عشرة سرية واميرة من نساء الملك «مسكلام» وقد قتلن جميعهن في اليوم عينه ودفن معه في القبر وهن متزينات بأفخر حلاهن

وقتل معهن أيضاً ستة من رجال الحرس ودفنوا على مقربة من الملك . أما الثيران التي حملت النعش الى القبر فقد دفنت هنالك هي أيضاً وكان أفظع ما في تلك المجزرة قتل الاطفال والاولاد فدية عن روح الملك

تلك كانت عادة القوم عند وفاة كل ملك من ملوكهم . ولعل ذلك بعض ما حمل ابرهيم الخليل على الفرار من تلك الحضارة الفاسية ، ولا سيما ان شعائر القوم الدينية تقضي بتقديم الاطفال في بعض الاعياد قرابين للآلهة . وقد رأى ابرهيم ان من العبث محاولة اصلاح القوم وردعهم عن تلك الشعائر الاجرامية ، فمرر الروح من وسطهم ومغادرة أرض آبائه وأجداده الى حيث يستطيع أن يعيش بأمان واطمئنان . فهاجر الى دمشق واجتاز سورية كلها ومر فلسطين متجهاً جنوباً نحو مصر ، ومن هنا عاد ثانية الى بلاد المقدس

وهنا يعرض لنا هذا السؤال وهو : « لماذا كان ابرهيم الخليل يكثر من الترحال في بحثه عن محل للاقامة ؟ »

والجواب عن ذلك ان هذا الرجل الذي كان زعيماً في قومه كان يريد الاقامة بمكان بعيد عن الحروب والغزوات . وهو الى ذلك مسالم لان اسمه معروف « الخليل » كان يحارب في جميع الجهات وقد ورد الاشارة اليه وال « حوريين » وعيرهم في التوراة ، وكانوا يميلون الى الحرب والقتال ، وهم يحتلون وسط الاطراف حتى قال المؤرخون في العالم القديم في تلك العصور كان مقسوماً بين ثلاث ممالك عظيمة هي « حث » ومصر وآشور

وعاشت مملكة الحثيين عشرة قرون وكانت عاصمتهم مدينة « حث » وموقعها على مدى تسعين ميلا من انقرة الحديثة . وقد عثر منقبون هناك على مكتبة ملكية وفيها ما لا يقل عن عشرين ألف لوح من الآجر قد نقشت عليها كتابات « بالاسفينية » (كتابة حث وبابل قديماً) وقد انقرضت لغة الحثيين والبابليين منذ عدة آلاف من السنين ومع ذلك تمكن علماء الآثار من قراءتها وحل رموزها ووجدوا على بعض تلك الالواح اشارات الى « اتوس » ملك احائية الذي أشار اليه هوميروس شاعر اليونان وقال انه ابو احائيون قائد جيوش اليونان في حرب طروادة . ومما يجدر بالذكر ان الآثار الحثية تؤيد تاريخ حرب طروادة

والخلاصة ان ابرهيم الخليل عندما غادر « اور » الكلدان لم يجد نفسه في البراري والصحاري القاحلة بل كان ينتقل من مدينة الى أخرى وكلما حط رحله في واحدة رأى الحرب تهددها . ولا حاجة الى القول ان جميع تلك المدن كانت على حانب عظيم من الرقي والحضارة . ووصل في اثناء رحلاته الى مدينة بيشان بجوار مدينة الناصرة الحالية . وكانت من أعظم حصون المصريين في ذلك العهد (لان فلسطين كانت خاضعة لمصر) وكان يرافق ابرهيم في

رجيه لوط ابن أخيه . ووقع خلاف بين الاثنين اذ أراد لوط أن يقيم بين الشعب العربي ويمتزج به فاختار لنفسه مدينة سدوم واختار ابرهيم العزلة ، ولكنه اشترى لنفسه مغارة المكفيلة بجوار بلدة حبرون الحالية لتكون ضريحاً ومولاً هل بيته . وقد اشترى هذه المغارة من حصرون ملك الحثيين ودفع لها الصفعة لتجارية الغريدة التي جرت لابرهيم مع القوم في ذلك الزمن

* * *

وفي التوراة اشارة الى « ملكي صادق » ملك مدينة « شاليم » وبه قدم الى ابرهيم خبزاً وخمراً دلالة على احترامه لابرهيم الذي كان قد أصبح يومئذ شيخاً طاعناً في الايام . وقد عثر المنقبون على سور لمدينة القدس (أورشليم) هو أقدم من سور أورشليم التي افتتحها الملك داود وقد ثبت أن أورشليم هذه بنيت على أنقاض مدينة « شالم » التي كانت عاصمة « لملكي صادق »

ومن الاسباب التي حملت ابرهيم على عدم الاختلاط بالحثيين ما كانوا يمارسون من الشعائر الدينية التي لم يكن يحتمل رؤيتها وما كان هم من العادات التي كان ينفر عنها طبعه . وفي الواقع أنه هرب من الكلدانيين بسبب شناعة الطقوس والشعائر التي كان عبدة « عشتار » يمارسونها فلما وصل الى بيشان وجد هناك أحد عبادة شهيرة تعرف بعبادة « عشتاروث » وكانت شعائرها منافية للآداب وللمروءة الانسانية ، ولعله شنع على قيامه على تضحيته بابنه كان ناجماً عما رسخ في نفسه من عبادة الوثن « مولوخ » ولكنه رجع الى نفسه وأدرك فظاعة تلك العبادة

ومن العبث أن تنكر ما كان لطقوس الحثيين وعاداتهم من الاثر في نفس ابرهيم الخليل كما أن من العبث أن تنكر ما كان لحضارة الكلدان أيضاً من التأثير فيه . وعلى كل فان المنقبين عن الآثار يجدون كل يوم برهاناً جديداً على ان الحضارة الكلدانية هي أقدم حضارات العالم بلا جدال وان ما بين النهرين كان مهد البشرية وفيه تعاقب الكلدان والاشوريون والبابليون والحثيون وغيرهم من الامم التي بسطت رواق سلطانها على جانب كبير من العالم المعروف في أيامها

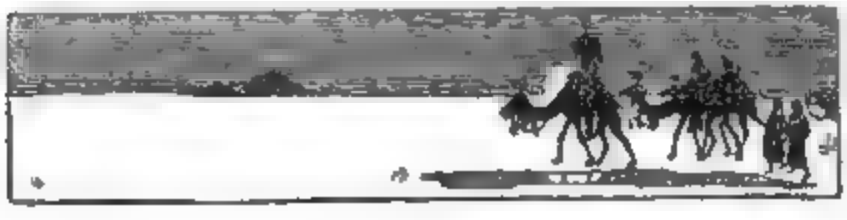

الاميركي فرانك ولوورث

صاحب الملايين وآلاف المتاجر

بقلم الدكتور احمد فريد رفاعي

— ١ —

هذا درس ضروري لشباب، لا لأنه يرشدنا إلى الطريق السلطاني الصعب لجمع الثروة والمال، ولا لأنه يتعلق بحياة أميركي أرغم الحاح أن يدعى لأرادته صغيراً مطأطيء الرأس، ولا لأن نواحي العظمة فيه متعددة وبارزة في وقت واحد، وإنما لأنه من النوع الذي يجب اعتباره بعلامة التاريخ وزينته، وجوهره وعصارته

لم تقم فلسفة التاريخ على ذكر الحروب وأشلاء القتلى، ولا على اثبات الوقائع والانكسارات، والمعلات والانتصارات، ولا حكم أمة على أمة، ولا فتح دولة لدولة، ولا استعباد شعب لشعب

كلا. لم تقم فلسفة التاريخ على شيء من ذلك كله ولا تقم على اغترة ملك بحافظه وجيوشه على مناوئيه أو على زميل له، ولا على قيام أسرة واندراس أسرة، ولا على اغتصاب قائد أرمة الحكم من ملك توفي سدة الحكم أو بالاغتصاب أو بالانتخاب، أو بالقتل وتقلبات الدهر الغلب الحوال..!

إنما قامت فلسفة التاريخ على علم وعظمة وحكمة وآثاره. قامت على تقدم حياة الشعب ودراسة شئون تقدمه وفلاحه وسعادته ونجاحه. قامت على وقوف على أسباب رقي الأمة اجتماعياً واقتصادياً وأدبياً وسياسياً. قامت على [illegible] الرقي. قامت على الرغبة الصادقة في الاقتداء الصادق للمثل العليا. قامت على حرص في [illegible] من تجارب الغير وصور الحياة لمن الغير وسعادة الغير

— ٢ —

الحياة قد تكون عذبة التكاليف مبسورة الاعباء، وقد تكون ثقيلة مقيتة مستعصاة

ولكن الرجل الصبور المدوب يخلق من أحلكها عذوبة، من عسرها يسراً، ومن شامس صعبها كل سهل ذلول!

الرجل الناضج المكتمل لمعاني الرجولة هو الذي يمشي غمضة رادته القوية الشكيمة دفة سفينة الحياة، فلا تحور نفسه أمام زوابعها وأعاصيرها وأمواجها وخلاصيدها.. به يتحلى بحكمة ولباقة، وصبر وجلادة، كل ذلك في حزمة واصالة حتى يصل إلى بر السلام وشاطيء النجاح ومرسى تحقيق الرغبات والآمال وصول واقع محسوس، وحق محسوس، لا سراب خيال، ولا معسول مخدل

وهكذا كان الرجل العصامي الكبير «فرانك ولوورث» صاحب ناطحات السحاب بنيويورك، ومالك الألفي محل تجاري في الولايات المتحدة وانجلترا، وصاحب الملايين من الجنيهات، والمعروف لدى ملايين الملايين من عملائه العديدين المستفيدين من مشاريعه ومجهوداته

— ٣ —

التجار منا وغير التجار ، الشباب منا والكهول ، الأسماء والآباء ، المدعون والاغنياء ، السوقة والأعيان ، الكل بحاجة لأن يتعلم طلتا الأميركي « فرانك ولوورث » من صميم الصميم ، الكل بحاجة أن يخترق بثاقب بصيرته ونفاذ ذكاوته ما وراء المال والثراء وما وراء ذكاء عبقريته التي بلغت الألفين ، وما وراء تاطحات سحابه وصروح بنايه . وما وراء شهرته وجاهه وبطولته . . الكل بحاجة لأن يدرس هذا العصامي الكبير في نشأته ، في فقره ، في تصميمه ، في عدم انهزامه ، في ثقته بنفسه . في إيمانه من نجاحه ، في مواظبته ، في جهوده في امسائه وصباحه ، في عدم دعته وراحته ، في حركته ونشاطه ، في دأبه واستمراره ، في اكبابه على العمل نجح أو فشل ، وأخيراً في اقتطاعه أمد ترفه للهو والفرص . في العمل فيما أتاحه حاضره بقدر المستطاع لعله لما هو أرغد وأهنأ في مستقبله

الواقع ان حياة « فرانك ولوورث » مليئة بتلك المثل العليا ، والواقع انها مترعة بأبلغ الحقول سداداً ، وأكثرها رشاداً ، وأعمها توفيقاً ، وأجداها نفعاً

— ٤ —

في مزرعة متواضعة « برودمان » بولاية نيويورك ولد عصاميا الكبير في ١٢ أبريل سنة ١٨٥٢

وما كان يهمك ولا يهمني معرفة يوم ميلاده ، ولكن الذي يهمك ويهمني أن تسمعوا منه وصفه الصادق لحالة أسرته في سني صغوته كما حدثنا به تلميذه الاستاذ ب . ث . فورسيس في أحد كتبه « الرجال الذين يصنعون أمريكا » قال : « كنا فقراء ، فقراء جداً إلى درجة أني لم أعرف البتة معنى الحصول على « معطف » يعني بالانجليزية Overcoat » وقال في مكان آخر : « لم أعرف مطلقاً كيف أربح ، ذلك لأنه لم يكن في حوزتي شيء فضل عن حاجة ، فقد كنت أمضي السنة في حذاء واحد من جلد البقر . بل الواقع اني كنت أقضي بعض السنة منعلا وبعضها الآخر بلا حذاء »

ولقد قضى ولوورث أيام دراسته الأولى وهو يحن شوقاً الى العمل . . . والى تحقيق حلمه الجميل ، وهو : أن يحصل على عمل كبائع في متجر

ولما بلغ السادسة من عمره انتقلت أسرته من قرية رودمان الى بلدة ونديد الكبرى بنفس ولاية نيويورك وفي « بلدة الكبرى » وضع الحجر الاساسي لتكوين شخصية ولوورث الباحر العصامي الكبير

— ٥ —

تسألوني عن ماهية ذلك الحجر الاساسي الذي كون شخصية ولوورث في « بلدة الكبرى » . . . وانكم لمفترضون طبعاً صروباً من الاعمال والتجارب مر بها ذلك الصبي المعدم الذي كان يئن تعباً وصباً تحت عبء عرارة البطاطس الثقيلة الوزن التي كان يحملها لأبيه من المزرعة الى سوق البلد ليبيعها والتعيش منها وانكم لمحقون بلا ريب فيما تفترضون ومحقون طبعاً في ان الفقر يحدو الى العمل . وان العمل يكون الشخص . وان الثبات على المكاره واحتمال الاعباء ينتجان تلك الدوحة الباسقة التي تمدنا بعشبها المتين لنصنع منه سوط العظمة ومدارج السطوة

لقد كان ذلك الحجر الاساسي عبارة عن فرصة يحتقرها الكل لأنها لا شيء ولكنها كل شيء . تلك فرصة اتصاله بناظر محطة بلدة الكبرى

ولا يهولنكم امم ناظر محطة تلك القرية في تلك الأيام فقد كان لا شيء . فما كانت قاطراتها بقاطرات ، وإنما كانت عربة واحدة مواضعة ، وكانت تافهة الأجر جداً ، حتى انهم كانوا يسمحون لشاغلها أن يشغل عملاً آخر ... فكان يفتح متجراً بسيطاً في المحطة، ويضع فيه صبياً بلا أجر أو ما يشبه اللا أجر

اتصل عصاميا بتتجر ناظر المحطة وقبل الاشتغال فيه من غير أجر . وربما أدهشتكم لسبق لهذه الصلة بأنها الحجر الاساسي لتكوين شخصية . وهي لم تدر عليه مالا ولا ربحاً . ثم هي حقيرة وتافهة وصاحبها أشبه ما يكون بالخادم الاجير والكم مهمل . ولكن يجب ألا يفوتكم أنها هي الفرصة الأولى التي أتاحت له بطريقة عملية تعلم البيع والشراء للمرة الاولى . ولا يعزب عن نظركم أنها هي الفرصة الاولى التي عرست في نفسه بذور حب الاتجار والاستقلال، وربما جاز لكم من غير تورط في المبالغة والاغراق إذ افترضتم ان بطلكم العظيم قد بدأ بالعمل في ذلك المتجر الصغير الذي لا يبيع بأكثر من شلنات قليلة جداً في اليوم كان لهذا الذي سرحت فيه آماله ونشأت فيه مشروعاته

ستقول إن بطلك العصامي قد درس في مدارس عامة وإنه قد تخرج من معهد تجاري في « واترتون » نيويورك عام ١٨٧٣ وان تعليمه المدرسي جعله مستعداً بالنزعة والدراسة للعالم الاقتصادي والكفاح في الوسط التجاري . ولست تعدو الصواب فيما تقولون . ولكنك لن تعدو الصواب أيضاً إذا ما اعترفت بأن شغله بلا أجر في ذلك الحانوت الصغير عند ناظر محطة « روديمان » قد كيف ذلك الاستعداد للكفاح العملي ، وبه قد صنع ذلك الرجل نفسه التجارية بالمعنى الصحيح

— ٩ —

سلسلة تجارب الحياة أحرزت تقدماً من مستهل عصر الكهف والانسان الكبير التجارب في تعلم مستمر وفي سعي دراسة متواصلة ثم هو يتواصل الحاح وفق الخطوات واكان متيقظاً وراء وابن الحوادث، مستفيداً من قديمها في جديدها

ومن الحق أن تنبه هنا أن « ولوورث » كان من ذلك النوع الفريد من حبة أمسه في عمل يومه . انه كان صاحي الذهن والنظر معاً . وانه من صنف اولئك الرجال القليلين في الحياة الذين يعدون للمستقبل عدته والذين لا تفرغ لذة الحاضر دون احتمال للكروه في سبيل لذة أوسع نطاقاً في المستقبل والذين يستهينون باحتمال ألم الحاضر تفادياً من ألم أبلغ في المستقبل والذين يشترون الدوء بعصابته وفداء في سبيل شفاء عاجل وثوب من الصحة قشيب كامل . . . !

أجل هو من ذلك النوع تماماً . فقد جد واجتهد، حتى وفر لنفسه خمسين ريالا من لا شيء ... بل وفرها بما هو أعلى من كل شيء . . . ثمن ارادته اقتطعها ، ومن دمه صاغها ، وبحرارة قلبه وأوار حماسته ، وحدوة توقده كونها لتكون عدة فيما اعتزمه لنفسه من مستقبل تجاري خليق بكفايته جدير بنشاطه

أتعرفون ما ذا فعل بها ؟

هل اشترى بها أسهماً تضيف الى تلك الريالات التي تساوي عشرة منها ربحاً لا يزيد عن ستة قروش في السنة ؟

هل غامر بها في شراء ورق يانصيب فأقبلت عليه الثروة بالجيل والجيلين ؟

هل اشترك مع العبرها وهو لم يعد الحادية والعشرين من عمره في فتح متجر صغير كالذي عمل فيه عند ناظر المحطة ؟

كلا ! فانه لم يعمل شيئاً من ذلك ولكنه بحث عن عمل تجاري عظيم الشأن وقبل أن يشتغل فيه لمدة ثلاثة شهور بلا أجر ، وأعد نفسه أن يعيش من رأس ذلك المال الذي في حوزته ... أعد نفسه أن يعيش من الخمسين ريالا التي اقتصدها في مدى عشر سنوات ، والتي اكتسبها من مختلف الاعمال سواء أكانت من الزرعة أم من غيرها

لعلك تسائلني عن معنى هذه المخاطرة من شاب العصامي الكبير ؟

ان معناها سام جداً . معناها الثقة بالنجاح وتوفرها عند ذلك الصبي الطري الاهاب . معناها المجازفة بكل ما يملك ، والتقتير على نفسه في إقامة أودها عما لا يتجاوز الثلاثة ريالات ونصف أسبوعياً لمدة الثلاثة شهور التي قبل الاشتغال فيها بلا أجر وترك الحكم عن مستقبله والت في كفايته للمقادير . . . بل تركها لهمته ونشاطه وثقته في اكتساب ثقة الغير ، وعطف الغير ، وتقدير الغير

ألم يكن من الجائز — اذا لم يكن اهلا لثقته في نفسه ولصدق فراسته ان يعود ادراجه الى بلدته وسقط رأسه مفلساً مشرداً مخذولاً ؟

ولكن الايمان الصحيح صادق الفراسة شديد الحكم ، صحيح النظرة ، عادل الجزاء

— ٧ —

مضت سنتان ونصف على صاحبنا وقد وصل فيهما راتبه الى ستة ريالات في الاسبوع ، وهو راتب وان كان قليلا لم يكن في منتصف الثانية والعشرين من عمره بعد ان الخبرة التي نالها من وراء الاشتغال في ذلك العمل في حد ذاتها كانت كثيرة القدر وعظيمة الجدوى

لقد تمتع امامه باب الترقية في الزمن رويداً رويداً والنجوم في عمل جديد يدر عليه عشرة ريالات في الاسبوع فخورة لا بأس بها من حيث الراتب ومن حيث العمل . ويظهر أن صاحب المتجر الجديد قد بدأ يسيء الى صاحبنا في المعاملة وفي انتقاص الراتب . بل قد انتقص الراتب فعلا ريالين كل اسبوع . ويظهر ان صاحبنا رأى نفسه مظلوماً ومرهقاً . ويظهر انه من الكاظمين الغيظ الصابرين على المكاره . ويظهر ان ارادته وان كانت قد تعبت على كل صعوبة وأذى لم تستطع ان تتغلب على حالته الصحية التي ساءت كثيراً ، والتي اضطرته الى اعتزال ذلك العمل

وكان صاحبنا قد تزوج حينما بلغ راتبه عشرة ريالات . وكان لا بد له من اعالة اسرته من ناحية ، واكتساب ما يقيم به أود حياته من ناحية أخرى . بيد انه قد ضاق ذرعاً بالمتاجر واصحابها بعد ما ذاق الامرين من سوء معاملة صاحب المتجر الاخير . فماذا فعل ؟

الرجل العظيم يخلق الفرص . أو هو على الاقل يخلق من ظروفه الحالك شعاعاً من النور أو هو على الاقل يمهد وسط احوال والاشواك طريقاً للسير والترحال

الرجل العظيم لا تقل حد ارادته الشدائد والكوارث ، والامراض والمحن . انه في صراع مستمر معها ، أو هو في مصالحة ومواتاة ومعالجة ومباشرة لمقدها ومشاكلها وإحنها وشدائدها

لقد ساءت اعصاب صاحبنا فلماذا لا يذهب الى الريف . ثم لماذا لا يشتغل في الريف ؟

ولكن بأي شيء يشتغل في الريف ؟ أليس في مقدوره أن يقيم في مزرعة يبتنيها ، أو يعيش من حصر واتها ثم يربي فيها الطيور الداجنة ويستغلها للحد الاقصى ؟ أجل وهذا ما فعله . وعندما ألحأته اليه الظروف القاسية من زوجية جديدة ومحنة مريرة ومعملة سيئة واهتضام للحقوق والكفايات ومن هنا استطاع صاحبنا ان يستخرج من خطوب الزمن العلماء روى تربته وأقام أوده . وليس يهم ان يكون الماء اجاجا أو غير اجاج . غيراً أو غير غير . فقد ألفى فيه ما يشفي الغلة ، ويطفئ الحرقة ، وينتج الثمرة ، ويسعف الطلبة . . . . !

— ٨ —

الرجل الكف لن يهضم حقه ، وان هضم حقه ردحاً من الزمن فلن يهضم طويلا ، ولن يهضم طويلا فلا مفر من الاعتراف بفضله وما قام به من جليل الخدمات للانسانية عامة ولجيله ودولته خاصة بعد مماته

قد يهضم حق الانسان أو يتهاضم من قدره وينتقص من شأنه . . . والأغلب والأعم ان تعتور طريق العظيم الصعاب والعقبات وتكتنف سبيله الوعور والمهالك ، وتزل بساحته الكوارث والشدائد . . ولا ريب في تلقه لها ، واحتمالها باعبائها ، وصعوده في صدرها ، وتغلبه لخطوبها ، ودأبه لحديدها . . وربما يستريح في نهاية تطوافه ويعم بطيب الاحدوثة ولذة تحقيق الآمال والرغبات . وقد تعم ذريته وأمته ويحرم هو [illegible] أن عار الشدائد يتقشع أخيراً ، وان العدالة [illegible] تصل نصيبها من حياتنا

لقد مرت شهور الرحلة على مرفقا الصامت ، هو يمسح الارض ، ويمسح الخضروات ، ويربي الدواجن والفراخ . . . مضت عليه شهور الرحلة وهو يمسح وجهه من صخر الزمن الغالب حتماً لايني ولا يكل . . .

انه مفروح . ومسئول عن روحه . ثم هو يملؤه حبه وحرارة وشجاعة فكيف يستكين وانى له الدعة والركون ؟ العمل لا يعيب مهما كان نوعه . وصاحب الكفاية يعترف بكفايته اذا ترك مكانه حالياً . أوادا شغل مكانه سواه ، وجدها تتباين الكفايات . أليس كذلك ؟ أجل . لقد شغل مكانه في المتجر الأول عامل آخر ولكن أصحاب المتجر بعد أن شاهدوا وحربوا وقارنوا عادوا يرسلون إلى عصاميا وعرضوا عليه ريالات عشرة هكذا أسبوع ليعود الى عمله في قسم الملابس . فلنذكر إذن ان العامل لن يهضم حقه طويلا ، ولن يحط شأنه طويلا ، ولنذكر ان الاعتراف بالجميل مهما كان وليد المشية ، بطيء الخطوات ، ومهما كان سلحفاتي الطبيعة ، فهو بمثابة نزعته واصل إلى هدفه ، عائد إلى وكره ، لائذ بموطنه ، مهما كان الزمن ، وطال به الأمد

— ٩ —

يقول مؤرخو وولورث انه قضى طويلا

يقولون انه كان يبدأ عمله في المتجر من السابعة صباحاً ، ويمكث أمام منضدته إلى العاشرة ليلا

ولكن ذلك العمل المضني وما قاساه ودأبه . ولكن دأبه وصبره ، وعناده وتعبه ، كل ذلك كان له الفضل الأول في تكوينه وتحريجه وفي نجاحه وتوفيقه

لقد اشتغل مراهقا في ذلك المتجر اشتغال المخلص لواجبه ، المحب لعمله ، المتعشق لفنه ، واستمر فيه الجاد الدءوب إلى سنة ١٨٧٩ حيث بدأ في تحقيق خياله الأسمى . وما كان ذلك الخيال سوى فتح متجر يبيع من الأصناف والحاجات ما يقدر ثمنه بخمسة سنتات أي حوالي ثلاثة مئات وهذا ما يوازي ١٢ مليما تقريباً . وقد فتح صاحبنا بالفعل أول متجر له في بتكا نقاطعة بيوبورك على حسابه الخاص بعد أن قام بتجارب في بيع تلك الأصناف في المتجر الذي كان يشتغل فيه ، ونال كل تشجيع من صاحب ذلك المتجر المستر مور الذي مده ببضائع ليبيعها لحسابه تبلغ قيمتها السبعين من الجنيهات

— ١٠ —

على ان شهوة الجمهور في شراء تلك الأصناف الرخيصة التي قد حمدت نوعاً — فلا غرابة بدن أن يفشل عمل ولوورث في المتجر الأول — ولا غرابة في أن يرجع ولوورث إلى المستر مور صاحب متجره الأول آسفاً كبير الغلب

وكلنا رأى — كلما كان ينتظر أن « مور » يصدم باحتقار فشل مشروع ولوورث ، وأنتم وأنا كلانا ينتظر ان « مور » لا يمد ولوورث بمعونة مالية جديدة . ولكن « مور » الذي آمن بولوورث وكفايته ، والذي وثق بنشاطه وأمانته ، لم يتردد في تقديم كل ما يحتاج اليه من بضاعة ومال لفتح متجر آخر في لانكاستر بنسلفانيا ، وكان نصيب ذلك المتجر النجاح الكلي

فتح متجراً ثالثاً فنجح ، وهكذا استمر فاتحاً في فتح المتاجر طبقاً لمشروعه الى أن وصلت متاجره الى الالفين وبلغ رأس ماله حوالي سبعة ملايين من الجنيهات حين حضرته الوفاة في حلن كوت في ١٨ ابريل سنة ١٩١٩

— ١١ —

من أين هذه القوة المتدفقة تدفق الصواعق ؟

ألا إنكم على حق إذا سألتم انفسكم عن [illegible] ارادته العنيدة . ارادته التي شيدت لنا ناطحة سحاب تلكم التي كلف « كاس جلبرت » باحراجها له والتي يبلغ ارتفاعها ٧٦٠ قدماً وفيها ٥٧ دوراً . . والتي لا يريد عليها في الطول الا برج ايفل في باريس

أجل انها من ارادته العنيدة . ارادته التي لم تهزم اراء فشله المتواصل وصدماته المتواصلة . ارادته التي حتمت عليه أن لا يبالي ولا يستريح ولا يقوم باجارة مدة سبع سنوات . ارادته التي لفتت له من السعيين حنيفاً التي اقترضها والتي أضاعها عدم نجاح المشروع أولا رأس مال مكن ورثته عام ١٩٢٠ من أن يبيعوا من اصاله تلك ما بلغ مقداره ٩٨١ر٩١٨ر١٤٠ ريالا ومن أن يجنوا فيها ٢٥١ر٧٧٥ر٩ ريالا أي حوالي مليونين من الجنيهات في سنة واحدة إرادته التي أدرت شركتهم تلك في العام الذي قبله ربحاً مقداره ٥٥٧ر٣٦١ر١٠ من الريالات

شبابنا البعض لتعلموا غير معلمين

ان النجاح من الفشل . والصواب من الخطأ . والفوز من الخيبة . . . لتعلموا ان مصدر عظمة هو في الايمان الخالص في مثابرة الدءوبة ولتتقوا ربكم الله ان سر الزعامة في احتمال المكاره ، مجالدة الخطوب ، ومستحصد الهمة وقوة العزيمة وقوة الارادة

احمد فريد رفاعي

اولاد اليوم و«سوبرمان» الغد

اميركا تسعى لتنشئة جيل جديد من البشر

برنامج للعناية بالاطفال

« اذا أردنا ان تتقدم المدنية وجب ان نعلم انها لا تسير الا على اقدام الاولاد الاصحاء »
[الرئيس هوفر]

في أوائل هذا العام دعا المستر هوفر رئيس الولايات المتحدة لفيفاً من كبار العلماء الاميركيين وقادة الرأي العام والمصلحين إلى عقد مؤتمر للبحث في صحة الاولاد وطرق تربيتهم . وقبل عقد المؤتمر اقترح على الاعضاء والمندوبين أن يجمعوا كل ما يتيسر لهم من البيانات والاحصاءات لكي تجيء نتيجة مباحثهم أتم وفائدتها أعم

وهذا هو ثالث مؤتمر من نوعه عقده الأميركيون وهذا القرن . وقد عقد الأول في سنة ١٩٠٩ في مدة رآسة المستر روزفلت ، والثاني في سنة ١٩١٩ في مدة رآسة الدكتور ويلسون . ولعل المستر هوفر الرئيس الحالي هو أحدر من سعى لعقد مؤتمر كهذا فقد اشتهر في زمن الحرب الماضية بما أداه من الخدمات الجليلة لاولاد أوربة الذين رحمتهم الحرب وقد مهد له الناس بحسن إدارته وحكمته وبلغت الأموال التي أعدت لمعونتهم في أثناء الحرب مليون دولار أو مزيد على مائة وأربعين مليون جنيه !

وكان مع المستر هوفر يوم عقد جمعية من الوجهاء والعلماء وكانت جميعهم في أثناء العمل حيرة حملت الرئيس هوفر يستعين بهم على انجاح المؤتمر الذي نحن بصدده

ان الأولاد هم أصل ما تفتخر به الأمة . فهم جديرون عنايتها واهتمامها . وقد كانت مسألتهم في مقدمة المسائل التي شغلت بال الرئيس هوفر من قبل أن يصبح رئيساً . وفي أول عهد رآسته كان أمامه أربعة مشروعات كبيرة . منها مشروع مؤتمر الاولاد الذي نحن بصدده . وفي الواقع انه ما كاد يتسلم مقاليد الحكم حتى شعرت كل أسرة أميركية بعظم اهتمامه بتربية الأولاد وبوسائل الاهتمام بهم

قال « ايلن كي » الفيلسوف الأسوجي الذي سبق في أوائل هذا القرن : « ان هذا العصر يجب أن يسمى عصر الأولاد » . وقد أصاب قوله . فقد أخذت جميع الدول تنبه إلى وجوب الاهتمام بامر الاولاد لانهم رجال الغد ، ولان مستقبل الحضارة يتوقف عليهم . ولعل القراء يعلمون ما يحاوله الدكتور فوروتوف من تنشئة جيل من « السوبرمان » بالعناية بالأطفال . وكان بودنا لو يتسع المجال لشرح نظريته والوسائل التي يتذرع بها . وعلى كل فان سير المدنية يقتضي العناية بأولاد

هذا العصر . وقد قال السنتر هوفر في احدى خطبه : « إذا أردنا أن تتقدم المدنية وجب أن نعلم انها لا تسير إلا على أقدام الاولاد الاصحاء »

* * *

تدل الاحصاءات الحديثة على ان عدد الاطفال والاولاد الصغار في الولايات المتحدة يبلغ نحو خمسة وعشرين مليوناً . وهؤلاء الاطفال والاولاد هم « المادة الخام » التي ستشاد منها حضارة الأمة الاميركية المقبلة . ومن دواعي السغطة ان نظام تربية الاطفال قد تقدم في أميركا تقدماً عظيماً . نعم ان نسبة المواليد آخذة في الهبوط (كما في غير اميركا من بلاد العالم أيضاً) ولكن أمهات هذا الجيل هن أوفر علماً وأكثر خبرة من امهات الاجيال الماضية . فانك ترى ان نسبة الوفيات بين الاطفال قد هبطت هبوطاً عظيماً بفضل تقدم علم الطب والشؤون الصحية

على أن هذا الهبوط يختلف باختلاف الاقاليم . فهو على أكثره في المدن وعلى أقله في الارياف . ومن أوهام العامة أن سكان الارياف هم أفضل صحة وأقوى بنية من أهل المدن . وان الهواء النقي الذي يستنشقه الاولون والطعام الذي يأكلونه يجعلهم في حالة أفضل من الآخرين

على ان الاحصاءات الدقيقة تثبت ان الواقع ليس دائماً كذلك بل كثيراً ما تكون نسبة الوفيات أكثر في الارياف منها في المدن . وأكثر أسباب ذلك على ما يعتقد بعض أساتذ المعالجة الطبية في الارياف وعدم توافر الوسائل التي تضمنها الشؤون الصحية

وما أكثر ما تكون الامة مخدوعة من جهة صحة نسلها . ففي سنة ١٩١٧ عند ما قررت اميركا ان تعوض عجز الحرب في جيش الجند انشأت في جميع انحاء البلاد « عيادات » لفحص الشبان الذين كانوا يتطوعون للحرب . وما أشد ما كان فزع الامة عند ما علمت ان حالة رجالها الصحية لم تكن على ما يرام . وان حالة سكان الارياف أدعى الى القلق من حالة أهل المدن

وتنبهت الجامعات الاميركية الى ذلك فأخذت تراقب حالة طلبتها حتى ظهر لبعضها ان الطلبة الذين يجيئون من الارياف هم اضعف صحة من الطلبة الذين يجيئون من المدن . وقامت جامعة نيويورك بجمع احصاءات خاصة . فثبت لها أن واحداً وعشرين في المائة من تلاميذ مدارس الارياف مصابون بمرض « الفوريتين » وخمسة عشر في المائة وزنهم دون المتوسط . وان أسنان معظمهم في حالة تدعو الى القلق . وان حالتهم الصحية في بوجه الاجمال دون حالة التلاميذ في المدن

ودلت الاحصاءات الأخرى على حقائق شبيهة بما تقدم . وعلى شدة اهمال الاميركيين العناية بالاولاد في الارياف . وهذا سبب من الاسباب التي حملت الرئيس هوفر على الدعوة الى عقد المؤتمر الذي سبقت الاشارة اليه

ومما يدعو الى العبرة أن العلماء الاميركيين بذلوا في نصف القرن الاخير مساعي كبيرة لتحسين نسل النبات والحيوان ولكنهم لم يعنوا بتحسين نسل الانسان . ففي اميركا اليوم محطات

كثيرة للتجارب الزراعية فيها معامل بيولوجية وكيميائية واسعة النطاق . وهي تعنى باستيلاد الانسال المختلفة من الفواكه والنباتات والحيوانات على اختلاف جنسها وتهتم بترقية انواعها . أما نسل الانسان فقلما تعنى به مع ان خمسين في المائة من الاولاد الاميركيين — على ما يؤخذ من الاحصاءات — لا يتمتعون التغذية الوافية

هذه بعض الحقائق التي حملت الرئيس هوفر على عقد « مؤتمر صحة الاولاد وطرق وقايتهم » ولا حاجة الى القول انه اذا كانت هذه هي الحالة في اميركا فالأرجح ان حالة بقية بلدان العالم ليست أفضل منها . وهذا دليل على تداعي الاساس الذي تقوم عليه الحضارة الحاضرة . وعلى وجوب الاسراع لاصلاح الخطأ

وأهم ما يتطلب البحث والعناية من أمر الاولاد هو :

(١) العناية بصحة الحامل . وبصحة الطفل بعد ولادته

(٢) العناية بتربية الطفل في طور الرضاعة . ووضع مبادىء قويمة للسير عليها

(٣) العناية بالولد بعد طور الرضاعة وقبل دخول المدرسة

(٤) العناية به في اثناء الطور المدرسي

وهذه العناية تتناول تعديد جسم ومبادىء الصحة . وترسيخ العادات المستحسنة . وبث روح العلم والفضيلة . وابتكار وسائل جديدة للتعليم . وتقويم الاملاق . ورفع مستوى القوى العقلية . وتعيين أحسن أنواع الرياضة البدنية . الخ . الخ

ومن تحصيل الحاصل أن نعيد هنا ما هو معلوم عند الجميع وهو ان التربية المنزلية في الطفل أصعب ما للتربية المدرسية من التأثير . وان على الوالدين تبعة خطيرة جدا في عملها

* * *

منذ سنتين أعلن الدكتور فوروونوف حاجته الى بعض الاطفال ليربيهم على نفقته تربية جديدة تختلف عن جميع نظم التربية المعروفة . وطلب من الامهات اللواتي يرغبن أن يكون أولادهن نواة جيل « السوبرمان » المقبل أن يسلمن اليه أطفالهن ليربين التربية التي تتفق ومقتضيات السوبرمان

ولا نعلم هل أجابه أحد الى ذلك . ولكنا نعلم أن تيار البشرية متجه نحو تنشئة ذلك الجيل . وان طلائعه لا بد أن تظهر في المستقبل القريب . وان لتلك الطلائع مقدمات هي ابتكار وسائل ونظم جديدة للتربية والتعليم والتعدية . إذ لا شك ان الوسائل الحالية أو بعضها قد أصبحت عقيمة لا تلائم روح هذا العصر

والاميركيون السائرون الى كل شيء يشعرون اليوم بأن حالة أولادهم غير مرضية وانه لا بد لهم من ابتكار وسائل جديدة للتمهيد لجيل السوبرمان . ولا شك ان حالة أولاد غيرهم ليست أفضل من حالتهم وانهم أقل ملاءمة للجيل المقبل . واذا كان علماء النبات والحيوان يسعون اليوم لاستيلاد

أنواع حية جديدة أرقى من الأنواع الحاضرة فأحرى بنا أن نسعى لترقية النوع الانساني في القوى العقلية والبدنية ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بترقية نظم التربية والتعدية وبتحسين الوسائل الصحية وطرق العناية بالجسم وبمكافحة الامراض

في محطات التجارب الزراعية التي سبقت الاشارة اليها والمنتشرة بكثرة في جميع أنحاء اوربا واميركا ترى علماء النبات والزراعة والكيمياء يتعاونون على تحسين أنسال النباتات والفواكه واستيلاد أنواع جديدة منها تفضل كل ما سواها من جنسها . واستيلاد تلك الأنواع وترقيتها من أهم الشؤون التي يعنى بها علماء البيولوجيا وهي تتم بتحسين التربة والبيئة والغذاء وطرق الري والصرف واستعمال المواد المخصبة (الاسمدة) واختبار تأثير النور والهواء وتجربة أنواع الغذاء المختلفة ومقارنة تأثير العوامل المتنوعة في التربة والنبات وهلم جرا . بهذه الوسائل يستولدون الانسان الجديدة ويحسنونها ويرقونها . فاذا أمكن تطبيق تلك التجارب على النوع الانساني أمكن ترقيته وتمهيد السبيل لظهور جيل « السوبرمان » المنتظر . وهذا الجيل لن يفضل الجيل الحاضر بالقوى الجسمية فقط بل بالقوى العقلية والادبية أيضاً

وليس هذا مجال البحث فيما سيطرأ على جسم الانسان من التغيرات عند ظهور « السوبرمان » وربما أفردنا لذلك فصلا آخر . ولكن نقرر هنا هذه الحقيقة وهي أن انسان الغد لن يكون مشابهاً في شكله لانسان اليوم لان جميع أعضاء جسمه ستتغير شيئاً فشيئاً لمقتضيات البيئة وناموس الانتخاب الطبيعي

ولا شك أنه سيكون للغدد نصيب عظيم في احداث الأثر المسيطر وسر الغدد في جسم الانسان لا يزال مستغلقاً لا يعرف العلماء من حقيقته إلا القليل . ولكن مما نراه هي سر ما يمر على الانسان من أطوار التغير والتدرج . وسنكشف لك سرها ونصرح لك عما تصنعه كثيراً لاصلاح كل عاهة جسمية أو عقلية يشكو منها الجيل الحاضر

لقد كان للتربية مساوىء كثيرة ظهرت آثارها في شكل الانسان وقواه الجسمية والعقلية . فحواس المرء الخمس قد تغيرت . ومقدرته على احتمال عوامل الحر والبرد قد نقصت . وقوته على مكافحة الامراض قد ضعفت . وما ذلك الا بسبب البيئة ورداءة التعدية وفساد طرق التربية . فاذا أمكن تلافي المساوىء وازالة العقبات من سبيل رقي الانسان سهل تمهيد الطريق لظهور « السوبرمان » . وهذا هو ما يقصده الاميركيون من عقد مؤتمر صحة الأولاد ووقايتهم . فأولاد هذا الجيل يشكون من عاهات جسمية وعقلية كثيرة . وما ذلك الا بسبب فساد نظام التربية ونقص نظام التعدية والجهل بمقتضيات الصحة والمعيشة الموزجية . فاذا أمكن تدارك تلك العاهات في جيل الاحداث واصلاح ما فسد من قوام الجسمية والعقلية والأدبية أمكن نشأة جيل يكون أقرب الى الكمال من كل جيل تقدمه

ورقي الانسان لن يقف عند حد . بل سيظل مستمراً إلى أن يبلغ الانسان حد الكمال

التمويه

كيف يخدع الجمهور في الاقطار الغربية . . . وفي مصر

بقلم الاستاذ أمير بقطر

« الكتاب يقرأ من عنوانه » . هذه العبارة المأثورة لم تعد عند الحقائق التي يوثق بصحتها . ولم تكن يوماً من الايام حقيقة تؤخذ على علاتها فقنية مسلمة . تقرأ صحيفة أو مجلة أو دليلا لاحدى المكاتب الشهيرة ، فتجد طائفة من الكتب والمؤلفات معلاة بأسمائها ، وأسماء مؤلفيها ودرجاتهم العلمية وتقاريظها . ومعظم الجرائد العربية تصبح عدة صفحات يومياً للمؤلفات الجديدة . فمثلاً عدد جريدة نيويورك تيمس الذي يصدر صباح الاحد يخصص اكثر من ستين صفحة ؟ أو ثلث صفحات الجريدة لتقريظ الكتب ، وانتقاد الروايات على اختلاف أنواعها

والطريقة التي تعتمد عليها في اختيار الكتاب الذي تريد شراءه ، أو الرواية التمثيلية ، أو السينمائية التي تريد حضورها ، تكون غالباً متأثرة باسم المؤلف أو الناشر أو شركة التمثيل ، أو باسم الكتاب أو بتقريظ الصحيفة أو بأساليب الاعلانات الاخاذة الخداعة الرائعة . غير ان المؤلف أو الكاتب قد يكتب أحياناً بغير عناية أو بحث أو عمق ، وقد يكتب كتابة « تجارية » . وقد يكون التقريظ غير مطابق للواقع ، أو سطحياً أو مشحوناً أو موعزاً به ، أو من قبل شخص الحاصل ، كما نرى في بعض جرائدنا ومجلاتنا العربية التي لا يعوم مطلقاً أن شيوع [illegible] صحيح العبارة ، عذب الاسلوب . . . » عن كل مؤلف أدبي وديني وقومي واجتماعي و و . . . كما يقول محرو الصحف في كل مناسبة « ولولا هذه [illegible] حدث . لا نعم عليه » و « مات محمد داء حل فيه بطن الاطباء » و « محمد حياة محمد في عين البر والاحسان » وغيرها من عبارات المدح التي يحتم على مراسلي الجرائد استعمالها في كل مقام ومقام . وقد تقع عينك على مجلة مصورة برسم فتاة حسناء ، تبتسم اليك في يد البائع عن بعد ، فتفعل فيك فعل الكهرباء ، وتقدم على شراء العدد صاغراً ، ولا تلبث أن تجدها من الداخل ورقات صفراء رثة الأدب قصيرة المادة

ممر امرأة وهيبة نافذة احد المخازن الكبرى فتلمح فتاناً مديماً فوق جسم رشيق من الشمع ، سكنته يد الفنان سكناً يستهوي الافئدة ، فتشتري الفتان ولبها يطير سروراً وطرباً . ولكنها سرعان ما ترى خيالها في المرآة بعد ارتدائه بضع مرات ، حتى يدب اليأس الى نفسها . . . فكيف تلك المرأة ! ! لم يخطر ببالها يوم شرائها ذلك الرداء الغالي ، أن ما خيل اليها فيه من الجمال انما هو شعاع منكسر ، من الجمال الفني الصناعي ، عكسته تلك الدمية الفتانة ، وهيهات لشمطاء مثلها أن تختال في رداتها الجديد ، اختيال المرأة المصنوعة ، المعشوقة القوام فيه . . . ان بذلة السهرة الفتانة التي ابتاعها من التاجر بعد مشاهدتها ، أو مشاهدة مثلها في النافذة ، على جسم النموذج الصناعي ، لا يمكن أن تبلغ الجمال المنتظر ، إلا فوق جسم بديع ، كذلك الجسم المصنوع

جلست يوماً في شرفة فندق في إحدى ضواحي باريس ، وإذا بالانظار كلها متجهة الى شاب وسيم الطلعة ، حسن الهندام ، تنبيء ملامحه عن نسب عريق ، ومجد مؤثل . وقد خيل الي أنه ولي عهد انجلترا ، الدوق أوف ويلز ، متكرا . ثم أقبل عليه تابع له يحمل حقيبة كبيرة . وما أن فتحها أخرج منها زجاجات عطرية صغيرة ، حمل الشاب بعضها بين يديه وأخذ يحدث السائح النازلين في الفندق . وفي الحال أقبل النساء من تلقاء أنفسهن عليه ، يقلبن الضعة ويتحدثن الى الشاب التاجر الجميل . ولم يمض كثير حتى باع الزجاجات عن آخرها ، وخرج والانظار تشيعه . وقد هزت النحوة هدياً فتح زجاجة بديعة الشكل مما اشتراه ، ونثر من فوهتها الرشاشة رذاذاً من العطر على مناديل الحالسين . غير أن النتيجة لم تأت وفق المنتظر ، فانعطر عديم الرائحة ، وسرعان ما كشفت الحيلة ، وعلم المشترون أن ما دفعوا فيه ذلك الثمن الغالي ، لم يكن سوى نوع من الشراب — ولعله شراب النور — مضافاً اليه البسير من رائحة الزنك

إن ما ندفعه ثمناً للمنديل الذي نشتريه من متجر تجاري كبير يدخل فيه ما يخصنا من تكاليف الماء الشهق ، والثريات الكهربائية المتلألئة كالنجوم في سمائه ، ووجه الفتاة الجميلة ، رائحة الابتسام عذبة الكلام ، التي تبالغ في خدمتنا ، والبسط والطاقس والاثاثات التي فرشت بها الاقسام . الا ترى بين الثمان الذي نقدمون السلع للمشترين من بزري بحال فلانيو ورشاقته

ألا ترى بين العمالات من لا يعنى عن مري بكمورد وبيال حسن وحاوريا سوانسون ، وماريون ديفيس ، جمه وحمالا ، وتمثيلا ، وذكرني كنت شاهدت مرة في مدينة جنيف أحد هذه المحال الكبرى وأنت ما وقع عليه بصري حين دخلته أطول منه قامة ، أو أبدع منظراً ، أو أكثر وجاهة . فهمس في أذن صديق قائلاً : إن هذا العملاق ، أحد مديري هذا المحل وهو يسير خفة ورواحاً في بهو الزبائن العالية ، يشبه ملك الحبش قبل نشوب الحرب الحلمي وقبل أن يشعل رأسه شيباً

يسمح القراء من آونة الى أخرى عن مسابقات الجمال ، المحلية منها والقومية والدولية والجوائز الثمينة والاموال الوفيرة التي تدر على الفائزات ولكن القليل مما يعلم ان معظم المنتجات وجميع الفائزات تقريباً يشتغلن بالمحال التجارية ، خصوصاً في أقسام أزياء السيدات ، ليرتدين الفساتين والمعاطف امام المشترين ويعرفن في أولئك العاملات اسم mannequins واذا أضفنا الى هؤلاء مئات الألوف من ربات الجمال اللواتي يجدن من هولي وود بلاد السينما لعدم استطاعتهن الالتحاق بدور التمثيل ، ونشتغلن بأقسام الأزياء للنساء عنها ، تصورنا جيشاً جراراً من اولئك الفاتنات اللواتي يحملن جيوب المشتريات وأرواحهن أضعاف ما يتبقى نقده ثمناً للملابس

وليس الأمر مقصوراً على الأزياء والملابس ، فان كل ما يستهلكه الناس يسري تحت هذا المبدأ . فالطعام الذي نتناوله في مطعم من الدرجة الأولى لا يكلف في الحقيقة الا جزءاً يسيراً لا يذكر مما ندفعه ، وباقي الثمن هو ضريبة على « ردهوت الجرسون » وقيمة اللامع المصقول ، والأواني الفضية ، والأدوات المذهبة ، والأقداح الثمينة التي تخرج فيها الخمور بالماء المعدني الزلال. قصدت منذ شهور مطعماً قديماً في مدينة الندقية ، كنت أتردد عليه كلما زرت تلك البلدة الطافية على اليم ، وكنت

أرتاح لتناول الطعام فيه كما كان يرتاح الكثيرون مثلي . غير أني الفيته هذه المرة غيره منذ عهدته من خلال سبع سنوات مضت. كان لا يهوتني كل عام أن أستعيد شرابه واستطيبه اكله ولكن وجدته هذه المرة قد تشبع جوه بمصنعة العظمة والكبرياء وظهرت عليه مسحة من الارستقراطية بددت جماله القديم ، ومحت سكينته الحلوة وذهبت بنزعته الديموقراطية ، وبعد قراءة قائمة الطعام وجدت أن أرخص ألوان الطعام نمطاً طبق من البيكرونة . ومع ذلك فقد عملت مسألة حسابية شمه النهائي ، فاتضح لي الآتي : الكوفير (الكوفير وهذه أول عبارة من عبارات التضليل والتمويه ولا يقصد بها الا ثمن الادوات والشوك الخ) ٥ ليرات . المشروب ١٥ ليرة . ضريبة الاحباس ٢ ليرة . البيكرونة ٨ ليرات . ضريبة الترف ٢٠ ٪ (٦ ليرات) الخدمة (بقشيش) ٣٠ ٪ (١٢ ليرة) . المجموع ٤٨ ليرة أو ٥٣ عرشاً مصرياً تقريباً والطبع لا يقبل أن يكون العشاء مقصوراً على لون واحد . وبينما أنا منهمك في مسألتي الحسابية الثقيلة كنت أصغ لحديث حلو بين سائحين اميركيين ، وقعا في الفخ مثلي وبين الجرسون

- وهل من الضروري أن تشرب زجاجة كاملة من البيد ؟

ألا يوجد عندكم ربع أو نصف زجاجة ؟

كلا يا سيدي . اذن فلتشرب ماء معتاداً

ولكن الثمن سيكون أيضاً ١٥ ليرة تقريباً للشراب . وما معنى هذه الضريبة ؟ ولم كان « البقشيش » ٣٠ ٪ بدلاً من ١٠ أو ١٥ على الأكثر ؟

لست أدري يا سيدي .

إذن فلتتوجه الى مطعم آخر . كلا يا سيدي . ولم ؟ كنت أصغي العبارة الأخيرة حتى قلت لنفسي : اذا كان هؤلاء السياح الأميركيون لا يدفعون عن هذا التضليل ، فكيف يمكنني أن يدفعه ؟ وبينما أتأهب للخروج صرفت أذني عما دار بينهما ، ورأيت الرقصين وراقصات ملابس السهرة يسيرون رويداً واحتيالا الى المنصة ليستعدوا الى يوم أرها . حدث المدير بشأ ، يسألني عن سبب خروجي فاعتذرت لعدم ارتدائي ملابس السهرة ، وخرجت من لعركة منتصراً

ولاحظت مرة في فندق في أحد شهور أوربا اعلاناً معلقاً في غرفة النوم مفاده أن المسافرين الذين يصلون الفندق قبل الساعة الخامسة صباحاً ، يدفعون أجرة الليلة السابقة . وعدت الى الفندق عليه بعد ستة شهور ، فوجدت الاعلان يشير الى الساعة السادسة بدلاً من الخامسة ، وكانت ساعة وصولي قبل الساعة المذكورة بربع ساعة . فسألت صاحبة الفندق : « وهل معنى الاعلان اني أدفع أجر الليلة السابقة » ، فأجابت « نعم » فحملت حقيبتي الى الخارج ، وقصدت بهدا أن أقف امام الباب حتى الساعة السادسة . وبعد خمس دقائق عادت صاحبة الفندق قائلة : « ولا بأس من مصافحتك من الدقائق العشر الباقية »

ولا يمر يوم واحد في القاهرة دون أن تألم من الغش أو التضليل والتمويه والفروق العظيمة في اثمان الحاجيات ، بين حي وآخر . ومن الغريب أن باعة الطرق أيضاً يتقنون هذا البدأ . فكمية التفاح التي ترد من الخارج توزع أحياناً على باعة الطرق في أحياء مختلفة فيبيعها « الصعيدي »

في العتبة والموسكي بسعر الاقة أربعة قروش ، وفي شوارع فؤاد وعماد الدين بخمسة قروش وفي قصر النيل وسليمان باشا بستة أو ثمانية قروش

ومن الروايات المأثورة أن انجليزيا من الريف زار باريس لاول مرة . وبعد التردد على القهوات عدة أيام دخل قهوة أرستقراطية وطلب مشروباً سبق له عهد به في باريس . وبعد أثناء « الجرسون » به أخرج من جيبه فرنكين ثمناً له . فقال الجرسون: « الثمن ستة فرنكات ياسيدي» لم ذلك وأنا أدفع في قهوة كذا فرنكين فقط ؟ لانك هنا تدفع عن الصور ، والتماثيل والكراسي المغطاة بالحرير ، والبسط والنقوش . . . وفي اليوم التالي طلب الانجليزي المشروب عينه وأخرج من جيبه فرنكين لاغير . فقال الجرسون : « الثمن ستة فرنكات» . فتأخمه الانجليزي قائلا « لاتنعب نفسك ، لقد رأيت الصور والتماثيل الخ أمس »

وهذا لسان حال معظم الفقراء والمتوسطين الذين يدفعون نصف مرتباتهم ثمناً للترف والكماليات مضافاً اليها التمويه والاعلانات والغش

. . . . . .

ومن أغرب ما يسمع عن الشعب بالاعلانات أن تاجراً مثريا فرنسيا أرسل وهو على فراش الموت يدعو العظماء في بلدته والسيدات والآنسات لحضور ساعة الاحتضار وتناول الاسرار المقدسة من أكبر الكهنة مقاماً . وربما دعاه على ذلك في دعوته أن يكون حضور ملابس السهرة . وقد ارتبكت السيدات لأنه اذا كانت ملابسهن سوداء ، كان هذا عنوان الحزن وان كانت حمراء أو برتقالية أو خضراء ، كانت غير مناسبة للمقام وأخيراً اهتدت احداهن الى لبس ثوب راقصة . وقالت الصحيفة الانجليزية التي روت الخبر انه بعد ساعة أو ساعتين تقريباً على ذلك بدأ ثوب راقصة في ساعة الرمز اعتدن لاقاربه وحاشيته لان الموت لم يغض عليه في حالا فطن بعضهم الى سبب الساعة الرهيبة . غير أن حب التجارة والاعلان قد تغلب على ذلك الحزن في لمح

وعند ما زار البرنس أوف ويلز اميركا ، دعي الى حفلة راقصة في كليفورنيا وكان بين سلال الزهور النادرة المهداة الى محفل الاحتفال، سلة امتازت بجمال تنسيقها وحسن ذوق أصحابها . ولم تكن هذه السلة الا قفصاً احتفت به زوجة شارلي شابلن (الناية). وما كاد يبدأ الرقص حتى انسلت من بين الزهور وقدمها أحد الحضور على انها ابنة رئيس الحفلة . فرقص معها ومصور السينما يأخذ صورتهما . وهكذا دبر صاحب الشركة هذه الاحبوكة صار . وعقب هذه الزيارة أشيع بادهناك ، أشترط من يدخل في عضويته أن يكون قد صافح ولي العهد يداً بيد وقد تم فعلاً انشاء النادي المشار اليه وأطلق عليه اسم يعبر عن هذا المعنى يدعى بالانجليزية Prince of Wales Shake Hands Club والغرض لا شك الاعلان عن أعضائه واستخدام هذا الاعلان لاغراض تجارية واجتماعية

. . . . . .

ولما رأت حكومة ولايات أمركا المتحدة أنها تستهلك مقادير وافرة من السلع ، وان غش هذه السلع يكلفها نفقات طائلة بغير موجب ، أنشأت قرب مدينة واشنطون معامل للتجارب ، لفحص ما تريد شراءه ، وتحليله ، فحصاً علمياً دقيقاً . وقد أرادت بهذه التجارب واسعة النطاق أن توفر

على الحكومة ما يخرج من خزائنها بغير حق ، وأن تضع حداً للغش أو تخفف من وطأته على الاقل .
ويوجد في هذه العاصمة أمهر الكيمياويين وعلماء الطبيعة والهندسة والاحصائيين في كل فن وعلم وصناعة ، وتتباهى باختراعاتهم العلمية الساعات والاقمشة والاحذية والجوارب والعمارات والقطاط والورق والاصمغة والسكر والسرير والعطور على اختلاف أنواعها الخ الخ . ويكفي أن نبين للقراء عدد ما يفحص من هذه الانواع بقولنا ان عدد الترمومترات التي يستعملها الاطباء في قياس حرارة المرضى ، والتي اختبرت في هذه المعامل في سنة واحدة ، بلغ ستين الف ترمومتر ، وقد بلغ مجموع أنواع السمع التي فحصت ١٨٠ الفاً . ولم تقف الحكومة بالانفاق على هذا العمل في سنة واحدة (حسب احصائية ١٩٢٧) أربعمائة الف جنيه ، لان ثمن مشترياتها في واشنطون فقط يبلغ ٦٥ مليون جنيه ، وقد جنت ثمرة مجهوداتها فوفرت عليها هذه التجارب ٢٠ مليون جنيه في العام أي أكثر من ٣٠ ٪ من مجموع مشترياتها ، فضلا عن أنها كانت عوناً للمصالح الكبرى في البلاد ودرساً لاصحاب المصانع وأرباب الانتاج وعبرة وذكرى لمن يضللون الجمهور

ومع حداثة هذه المصلحة الاميركية العظيمة ، فانها قد كشفت الغطاء عن تمويه الف مصنع في فترة وجيزة ، ولخصت السمع التي فحصتها في مجلة واحدة فوجدت ان ١٥٠ اعلاناً منها مكذب وتضليل . وكثيراً ما يتذرع أصحاب الاعلانات بالمبالغة والتهويل كأن يوصف « اللادن » فائدته لتقوية العين ، وتنظيف الاسنان ، وتطهير الفم ، وعلاج الغرغرينا ، ووجوب استعماله ثلاث مرات يومياً . وقد شاهدت في بعض الاعلانات كبريتاً من نوع من هذه « اللادن » مع مجموع المصابيح التي أنيرت بها حجرة الف ، تارة وتضاءل كميته بكمية معينة حتى تنطفئ ، مع حدوده أحياناً ، ويقدون أخرى شاهرين السلاح تارة ، وساكنه أخرى

وقد كتب مرة اعلان عن سيد لتجار ذكر فيه أنه فائدة وفائدة . وأعلن عن مادة للسترين (Listerine) بها مطهرة فائقة وسائل لامعة . ومعطرة للنفس ، وقاتلة للجراثيم ، وان ثمن الزجاجة الصغيرة دينار ، ولكن نتيجة التحليل الكيمياوي دلت على ان الفائدة المطهرة في ١٥ زجاجة منها يمكن الحصول عليها في كمية من حامض الكربوليك ثمنها مليمان ، وأكثر من ذلك ان ما ثمنه ٩٦ جنيهاً من المادة المشار اليها يمكن الاستعاضة عنه بمادة Corrosive Sublimate مما يبلغ ثمنه مليمين . وعلى هذا الحساب يكلف هذا التمويه المشتري ثمناً يواري ثمن الاصلي خمسين الف مرة

وقد وجدت لجنة الطبة الاميركية ان عدداً كبيراً من المساحيق والدهون مصر للجلد والشعر وسم بطيء قاتل ، وان هذه السموم تكلف اميركا وحدها ٢٤ مليون جنيه سنوياً . وكل امرأة تدفع سبعين قرشاً ثمناً لزجاجة مرهم (كريم) لتجميل وجهها تستطيع أن تشتري من الصيدلية طيباً جميلاً ثمنه أربعة مليمات ، وتكون صفتها رائحة ، لانه فضلاً عن توفير المال فانها تتقي تأثير السموم

وقالت اللجنة في تقريرها عما يسمونه المياه المعدنية ما لا يخرج عن هذا المعنى

وحللت معامل الحكومة نوعاً من الأرز المسموح puffed rice الذي يستعمل في معاهم الافطار هناك ، فوجدت ان الرطل الذي يباع بثلاثة عشر قرشاً لا يحتوي من الغذاء الحقيقي أو الأرز الصافي إلا ما يقدر ثمنه بارجة عشر مليما . وما يدفعه المشتري هو في الواقع ثمن العلبة والورق الشمع والصور

الدعوة والاعلانات ورفع اصحاب المعمل . وخلص مركب لتطيب أرضية الغرفة ثمن الرطل منه ١٤ قرشاً ، فاتضح ان الطن منه يكلف صاحب المعمل ١٤٠ قرشاً . وحللت مادة مطهرة ، يباع الرطيل منها بسبع اثني عشر حبهاً ، فتبين انها مكونة من أشياء ثمن الرطيل منها تسعة قروش فقط

وقد برهنت هذه المعامل على أن جميع أنواع الصابون التي يقال عنها انها مطهرة ، لا تشمل جزءاً واحداً من الف جزء ، مما يكفي للتطهير . وكانت جمعيات الشبان المسيحية تشتري صابوناً سائلاً ثمن الجالون منه ريال ، فوجد بعد التحليل أنهم يستطيعون تركيبه بسعر الجالون ٢٢ مليما . وفحصت مادة الورين Murine التي يعلن عنها أنها سند احمرار العينين والتهاب الجفون والأكلان ، والتي يباع منها الجالون بسعر ٢٥٦٠ قرشاً . فتبين لها ان هذه المادة تعمل عمل محلول البوريك الذي يكلف الجالون منه قرشاً واحداً ، أي ان هذا التمويه يكلف الناس قدر الثمن الاصلي ٢٥٦٠ مرة

وكانت تشتري الحكومة من احدى الشركات ٣٤ نوعاً من الساح الكيمياوي ، على رغم ان واحداً منها للمناطيس وآخر للقطن وآخر للقمح الخ

غير ان التحليل قد أظهر انه في الحقيقة ثلاثة أنواع وان تسميتها بهذا العدد من الاسماء تمويه وغش وتضليل . واشترت ايضاً مسحوقاً لقتل الحشرات يباع بثمن يزيد بمقدار مئتي الف في المائة عن الثمن الحقيقي الذي أظهره الفحص . وحللت الحكومة مسحوقاً من نوع آخر كان يبيع منه صاحبه بمقدار ستة آلاف حبه في العام ، فوجدت انه لا يقتل حشرة واحدة مهما كان نوعها

ومن الغريب ان الناس كانوا يدفعون مبلغاً كبيراً نسبياً ، ثمناً لكل زجاجة من مادة تستعمل في تنظيف الأواني الفضية . على ان أغرب نتيجة للتحليل الكيمياوي الذي أجرته معامل الحكومة ، ان المركب بسيط جداً ورخيص للغاية ، وفي متناول كل انسان أن يعده بالنسبة الآتية :

طباشير مسحوق	٣٠ جرام
كحول	٤٠ »
ماء النشادر	٢٠٠ »

وكانت الحكومة الاميركية تستعمل إلى عهد قريب سائلاً للطباعة ثمن الزجاجة منه ٦٥ قرشاً ، ولكنها بعد الفحص استكشفت المواد المصنوعة منه وهي يكلفها اليوم قرشاً واحداً

وقد امتد الغش إلى المصنفات التي تعد الاتومبيلات بالبنزين ، فقد اتضح للحكومة بعد الفحص أن في تركيبها حيلة تنقص من الكمية المفروض بيعها ، حتى ان حمارة ولاية واحدة من هذه الحيلة بلغت ١٢٠ الف حبه في العام ، ولم ما تحسره ولايات أميركا المتحدة من مثل هذا الغش في مكاييل البنزين الصغيرة ٣ ملايين حبه

ومن المضحك أن التمويه يناسب عقلية الغالبية من الناس ، فان الاشياء الرخيصة يمتنع عن الاقبال عليها الكثيرون . فقد كانت الأوقية من البلاتين منذ زمن لا تزيد عن حبهين ، وكان الاقبال على شرائه يكاد يكون معدوماً . أما اليوم فقد رفع ثمن الأوقية إلى عشرين جنيهاً فاصبح الاقبال عليه شديداً وتتمنى كل أوربية وأميركية أن تتلع قرطاً من البلاتين ، وأنني أعرف مصريين ومصريات ، ممن يشترون الاشياء متى كانت غالية الثمن ، وإن كانت غير جميلة أو كانت لا تتفق شكلا ومنظراً مع الثمن

وقد قامت كليـــة للطبيق بجامعة كولومبيا في نيويورك تجربة عربية ، وهي أنها اختارت تسع عينات من قطع القماش الابيض التي توضع على فراش الطلبة ، وأرسلت هذه العينات إلى معمل للبادج والتجارب ، فوجد أن العينة التي كانت ترتيبها الثامن في الجودة كان ترتيبها الثاني في الثمن ، وأن عينتين كانتا متساويتين تماماً ، بيد أن احداهما كان ثمنها ثلاثة أمثال ثمن الأخرى

وكانت تبيع شركة فرنسية في أميركا زجاجات العطرية بثمن بخس ، فلم يقبل على شرائها أحد ، ولم يعبأ بها النساء ، وقد عطن مدير الشركة لهذا الامر ، فأعلن كذباً انه أدخل على عطره تحسيناً كبيراً وغير الاعلان تغييراً جعل القراء ، ورفع الثمن إلى الضعف ، بغير أن يحدث أي تعديل أو تغيير في الزجاجة أو الرائحة العطرية ، أو الورقة الملصوقة بها ، ومع ذلك كان الاقبال على شرائها شديداً جداً حتى أن الشركة أصبحت من أغنى الشركات في عام واحد . وحبذا ما هو أشد غرابة من ذلك وهو أن معملاً للاحذية أخرج أزواجاً من مادة واحدة وصناعة واحدة وتكاليف واحدة . وقسم هذه الاحذية إلى قسمين ، ووضع عينات منها في نافذتي محزن عمومي شهير ، وقد كتب على إحدى النافذتين ستين قرشاً ثمناً للحـــذاء ، وكتب على الاخرى ١٢٠ قرشاً ثمناً للحذاء ، وقد بلغ عدد الاحذية التي بيعت من النوع الثاني ثلاثة أمثال ما بيعت من الاول مع تساوي النوعين في الجودة والصناعة وكل شيء آخر . فهل هذا أحمق ومن هو ، أترى ، وهل هناك عقلية خاصة تدعى عقلية المشتري ، وفلسفة [illegible] ؟

تبيع صيدلية مادة [illegible] (العشة) [illegible] ، ولما سئل صاحبها عن سبب غلائها خبر مسوغ ، مع [illegible] ، أجاب : « أنها مهدأ الثمن لا يشتريها أحد »

وهناك مصنع يبيع [illegible] ، من أحدها خمسة عشر قرشاً وثمن الأخرى ١٥ مليما . ولم يظهر الفحص الفني فرقاً بين هذه وتلك ، سوى رسم اليد ، أما نوع الصنع وعينة الشعر فواحدة . ولما أن سئل صاحب المصنع رسمياً عن هذا الفرق العظيم في الثمن مع ان التكاليف واحدة ، أجاب ان الاغنياء والمتوسطين لا يشترون الفرشاة الرخيصة . كذلك دلت تجارب العمل على أن شركة للسيارات تبيع عينة لأتومبيلات رولز رويس (أغلى الاتومبيلات ثمناً) وأخرى لسيارات فورد ، وتبيع ثمن الصفيحة من الأولى خمسة أمثال الصفيحة من الثانية ، مع ان البرنز واحد ، ولا تفرق الصفيحة عن الاخرى إلا في لون الورقة الملصقة حولها ، فان الواحدة صفراء والثانية زرقاء

وكثيراً ما تثبت عقيدة في أذهان الناس ، بخصوص سلعة من السلع فيخسر اقناعهم ببطلان عقيدتهم ، وبخاريهم التجار اكتساباً لثقتهم . مثال ذلك أن مصنع الساعات في سويسرا تصنع من ١٥ الى ٢٣ حجراً في كل ساعة ، لا لأن هذه الأحجار تزيد في ثمنها أو دقتها ، بل لأن المشتري يعدها معياراً لقيمة الساعة ومقياساً لضبطها

ونظراً لشدة التنافس التجاري أخذ التجار يتفننون في التضليل والغش . وقد زاد الطين بلة ظهور المخترعات الخلابة التي حققت أقوال الاقتصاديين في أن سلعة تطرد من السوق أخرى ، وربما

كان أظهر مثال لهذا المبدأ الاقتصادي « الاوتوميبل » و« اللاسلكي » ، فان الاقدام على شرائهما أثر في كثير من السلع الاخرى . والعجب ان هذا التأثير لم يتناول فقط المراجات والعربات والفونوغراف ، بل تعداها الى أشياء أخرى كالبيانو والملابس والاحذية وغيرها . والناس أميل الى شراء الاوتوميبل منهم الى شراء البيانو ، مراعاة للمنافع الظاهرة التي يجنونها من الاول . ولا يستغرب القارىء اذا علم أن مقدار الاحذية التي تباع في اميركا اليوم يفضل ٢٨ مليون زوج عما كانت عليه سنة ١٩١٤ . لذلك قررت الغرفة العامة للاحذية صرف ٣٠٠ ألف جنيه سنوياً على الاعلانات ، ولا بد أن يتحمل المشتري ما يخصه من هذا المبلغ

وقس على ذلك الملابس فان أصحاب الشركات يشكون مر الشكوى من تعطيل الاوتوميلات تجارتها ويقولون ان ما تحتاج اليه اميركا من هذه السلع الضرورية قد هبط الى ٦٢ بدلة في العام لكل مائة رجل ، و٥٢ قبعة ، و١٨ قفازاً

ومن أساليب التمويه الشائعة اليوم ، تغيير النماذج والرسوم في أنواع السلع ، بحجة ادخال التحسينات . وهذا ما شاهده في الاوتوميلات وآلات الخياطة والأزياء والملابس والأحذية . وقد أنفقت جمعيات السيارات عام ١٩٢٧ ستة ملايين من الجنيهات اعلاناً عن صناعتها وأنفقت شركة سيارة شفرولت وحدها ستة ملايين جنيه ونيف [illegible] ومع هذا فان عن الاعلانات فان الناس بطبيعتهم يقبلون على شراء الأدوات والسلع التي تعلن عنها بكثرة ، كأنهم يؤثرون الأشياء الجذابة اللامعة المتقنة في ترتيبها ووضعها وعرضها والتي تظهر كأن [illegible] عنها . وما الاعلان في الواقع إلا رسم الأشياء في معرض الشراء بالصور الشائقة

ومهما تحمل المرء من مشاق الطلب والتجربة ، فمن الواجب بعض أن تتجنب العقاقير الضارة ، وألا يغتر بما تقرأه عنها ، بل ينبغي استشارة الطبيب قبل كل شيء . وكتب أحد الاخصائيين ، الذين داقوا مر هذه الاعلانات وحبروا نقدها وعيبها ، عشرة حذيره بأن يذكرها في كل حين ، ولو انها كانت لسوانا ، وليس في استطاعتنا الاستفادة منها بطريقة مباشرة . وهذه هي العشرة : —

اذا قرأت كلمة « مضمونة » أو مترادفاتها ، فاضحك ملء شدقيك . اكتب للجمعية الطبية عن العقاقير والأدوية تسأل عنها فتحيك عن حقيقتها . اطلب من أقرب كلية أو جامعة اليك أن تجري لك التجارب العلمية الدالة على صدق الاعلان أو كذبه . لتقم المعامل باجراء هذه التجارب أمام طلبتهم ، فانهم بهذه يؤدون أكبر خدمة لأوطانهم وفي جسيم . ابحث بنفسك عن العقاقير المزيفة وتعلم كيفية تركيبها بنفسها الحقيقية فتوفر المال وتأمن عواقبها الوخيمة

وقد منح أحد أصحاب الملايين ، ربع مليون جنيه لمدرسة الاعمال التجارية School of Business في احدى مدن أميركا ، حتى تدخل ضمن مناهجها موضوع « الشرف في التجارة والاعلان عنها » . ولا يتوهمن القارىء ان الغش وليد القرن العشرين . فقد كنت اختصاصي ، فحصت منه بعض الارقام التي وردت من مقالي ، يقول ان في سنة ١٨٦٠ فحصت نحو ٣٤ نوعاً من البن المطحون في انجلترا فلم يوجد منها إلا ثلاث أنواع خالية من الغش . ولا ريب في اننا اذا حللنا القهوة التي تقدم للناس في كل القهوات والمحال العمومية بمصر فعلاً عن البن الذي يباع عند

البدائين ، لوجدنا عدد الانواع الخالية من المواد العربية ، لا تزيد كثيراً عما وجد في الجلترا منذ ثمانين عاماً

* * *

وكما يكتب التاجر في اعلانه ان السلعة مضمونة أو الغواء مضمون ، فان الكاتب لا يقل عنه تضليلاً اذا كتب غير الحقيقة ، أو وضع الشك في صورة اليقين ، وأعد عقول القراء كدناً ونهباً ، فقد كتب مرة أسقف نجبري ، كتاباً للتوثق البحاثة ، يقول فيه ان الله سبحانه وتعالى ، خلق العالم سنة ٤٠٠٤ ق . م . يوم الاربعاء الساعة ٩ صد الظهر » . وقال في مكان آخر ان في نار جهنم أحمة أصغر من الابهام تغلب وتشوى شيئاً (لان هذه الاحمة لو ولدت وعمرت لكانت أثيمة وآخرتها جهنم) »

وكم غيره من الخطباء والكتاب يافكون ويضللون بالقول ويعدونها بأكاذيبهم . وقد أعجبني أستاذ أميركي بقوله انه قرأ وهو صغير كتاباً عنوانه معلومات Information جديدة ، وقد وجد بعد نهاية دراسته الثانوية انه مملوء من المعلومات المكومة Misinformation

يا حبذا لو فصح الكتاب كما تفصح أصحاب الاعلانات . اذا سألوا الجمهور ، وبحذا لو ألزمت إحدى الحكومات محللاً للتجارب (شبيهاً بالمحلل الذي وصفناه لنحث الكتب وتحليلها) ، وقد ذكر المكدوب منها في سلة المهملات ، وقد حدث فعلاً في السوق الاخيرة ، ان أحرقت كتب مدرسية كثيرة في فرنسا وألمانيا ، لان المعلومات التي حاضت فيها لم تعد تلائم الحقيقة ، وكان الغرض من وضعها اشعال نار العداء بين الشعب الالماني والفرنسي ، وفي جامعات انجليزي في أوربا ، التي تهتم بنشر السلام العالمي كتب الجغرافيا والتاريخ والتربية الوطنية والشئون الدولية العامة التي لا تتوخى الصدق في معلوماتها ، وتنشر أضاليلها حتى لا تضر في المراب

واذا صحت الاحلام وأشياء مثل هذا العمل ، دهش الناس لعدد الكتب التي يظهر التحليل عدم صلاحيتها ، وانتصح مؤلفوها . وهذه تذكرني بالحادثة الآتية : —

هرع رجل الى ملهى للصور المتحركة ، من أكثر الملاهي ، يحمل مسدساً في يده ويهرول نحو الباب كالمجنون . فسأله المدير القيم صارخاً وقوفه أمام نافذة التذاكر عن السبب . فأجاب ان امرأته داخل الملهى مع عشيق لها ، وانه يريد أن ينتقم منه في الحال بقتله . فطيب المدير خاطره ووعده أن يخرج له ذلك الرجل ، ودخل في الحال وأوصد الباب وراءه ، والزوج منتظر على أحر من الجمر وأوقف المدير آلة السينما فوراً ونبه الجمهور ذاكراً المغازلة والزوج المسور ، وقال انه أمر بفتح الباب الخلفي حتى تخرج تلك المرأة الخائنة مع رفيقها ، اخفاء على حياتها . وكانت دهشة الجمهور عظيمة . وعظيمة جداً ، عندما رأوا أن الخارجين يتحاورون الحسين روحاً . . .

أمير بقطر

مستر لويد جورج

الانجليز قوم يؤثرون الخلق الطيب على الكفاءة الممتازة حتى لزام يركبون في سياسة ملكهم الى رجل يتوسمون فيه متانة الخلق وقوة العقيدة أكثر مما يركبون الى رجل لا يتوسمون فيه غير غزارة العلم وسعة الحيلة

ولكن يظهر ان الأمم كالنساء ان أحبن الفضيلة لم يحل حبها بينهن وبين أن يرتمين في أحضان من يحسن التقرب اليهن . وإلا فكيف نفسر انحراف الأمة الانجليزية عن تقاليدها في بعض الاحيان وانقيادها لمعامر أحبي الاصل كدزرائيلي طوحت بأسرته الاقدار الى لوندرة فلم يمت إلا وهو رئيس حكومتها وزعيم كبير حزب فيها ؟ وكيف نعلل بجاحاً كالذي صادفه سياسي كمستر لويد جورج لم يحترم للمبادىء حرمة ولم يعرف للفضائل السياسية كرامة ؟

نشأ مستر لويد جورج في حضانة عم له كان اسكافاً مواعظاً باحدى قرى بلاد الغال وشب كما شاءت الايام أن يشب ، وتدفع في مدارس الحياة غير مرود إلا بأربع مواهب قوة في البنية ، وتوقد في الذهن ، ودقة في الملاحظة ، وطلاقة في اللسان . وكانما قنع بهذه المواهب وارتضاها عدة للكفاح في معترك السياسة فلم يشأ أن يدعمها بدراسة علمية ولا بثقافة عامة ، ومع ذلك فقد استطاع بفضلها أن يتسلق سلم العظمة درجة درجة ، وان يبلغ قمة الشهرة مرحلة بعد مرحلة

لا ينتسب مستر لويد جورج في أسرة أصلية سبق منها المبادىء القومية أو يتعلم منها احترام التقاليد . لذلك شب ثائراً على جميع النظم السياسية وأمضى الشطر الاكبر من حياته في مناهضتها والتحامل عليها

ألفى القوانين تحمي كبار الملاك من ثورة صغار الفلاحين ولا تحمي هؤلاء من تهم كبار الملاك فبدأ حياته السياسية بمحاربة تلك القوانين وبالدفاع عن « البقريات الجائعة التي تسحرها الجهالات المدهشة » وظل يحرك في مواطنيه هذا الوتر الحساس من نفوسهم حتى لفت اليه الانظار واسترعى الأسماع . وألفى الكنيسة الانجليزية تكاد تطغى على مذهب « تلاميذ المسيح » الذي يدين به ويدين به مواطنوه فحمل على الكنيسة الانجليزية حملة حطت أفئدة العالمين تهوي اليه وتعقد عليه كل الآمال . وأبى مبدأ التوسع الاستعماري مسيطراً على سياسة الحاكمين حتى دفع بهم الى الاعتداء على شعب هادىء آمن كشعب البوير ، عاصر قريته وقصد الى انجلترا يعلن فيها الحرب على المحافظين في شخص زعيمهم مستر تشمبرلن الكبير وليسمعهم « كلمة الحق وحكم العدل في أكبر حماقة عرفها التاريخ » . وألفى نظام مجلس اللوردات « حائلاً بين بريطانيا العظمى وبين المبادىء الانسانية الصحيحة »

فسلط على الموردات لسانه الفرب وصب عليهم ملاعنه اللهب وكانت له في مجالدتهم جولات يذكرها الناكرون

أحدثت هذه الحملات العنيفة أثرها ، ودخل مستر لويد جورج مجلس العموم زعيماً متطرفاً في آرائه الدينية والعمرانية والاجتماعية ، تتقدمه شهرة خطابية واسعة وسمعة اشتراكية ذائعة لفتا اليه نظر مستر آسكويث زعيم الاحرار فقربه اليه ثم اختاره وزيراً لعدله رغم تعاس جميع الوزراء من رؤية هذا « العريد السياسي » يجلس في مقاعد الوزراء

والحقيقة انه لم يكن في ماضي مستر لويد جورج ما يطمئن الشعب البريطاني على مصالحه اذا هي وضعت بين يدي رجل حلت قلب كهذا الذي حازه مستر آسكويث ليضعه على رأس وزارة الحالة. ولكن الظروف تكيف الرجال وتصقل عقليتهم وتعدل أمزجتهم وكيفية نظرهم الى الاشياء وتقدرهم لها . فان هذا « العريد » الثائر الدائم الاضطراب والحركة لم يكد يشعر بمسئوليات الحكم حتى استقرت به الحكمة والتؤدة ، وبدأ يزن الأمور بميزان المصلحة الوطنية ، ناسياً أمسه القريب ، صارفاً عرض الأفق بكل آرائه السابقة . فلا تطرف ولاهياج ولاثورة على الأنظمة القائمة إلا بالقدر الذي تتطلبه الشعوذة لسياسته في أزمنة الاضطراب

وشبت الحرب الكبرى وساءل الناس عما عسى أن تكون من أمر هذا الاشتراكي المتطرف حيالها ، وهو المسموع الكلمة عند الزعماء في [illegible]

وها يلوح ان مستر لويد جورج قد [illegible] ولا سيما بعد أن تحولت الاحوال الطارئة . فقد نزع أول الامر الى الوقوف في صف فرنسا وروسيا ، ولما عاد الى الرأي القائل بالتزام الحياد حتى انه شجع صاحبي هذا الرأي مستر مورلي ومستر بورليي على الاستقالة من الوزارة مؤكداً لهما انه سيلحق بهما ثم عاد فاندفع يدعو الى وجوب التدخل السريع . وها نكتشف هذا المسالم الاشتراكي عن محارب لايثنى ومناضل لا يلين

والحرب سلسلة مفاجآت وللمفاجآت انما تعالج بالحلول المبتكرة والتدبيرات المرتجلة . ولمستر لويد جورج لا يسع ولا تتحلى عبقريته إلا في هذه الاشياء . فهو سريع الخاطر ، حاضر البديهة ، قوي الارادة ، قليل التردد ، كثير الاعتماد على نفسه ، يحتقر التقاليد ولا يتحرج أمام أي اعتبار ، والطريق المنتج هو في نظره خير الطرق وأشرفها . يعمد اذا كان في الوعد فائدة ، ويخلف اذا تراءت له في الخلف فائدة أخرى . ويقسم ليتخلص من موقف ويحنث ليتخلص من موقف آخر وهو فوق كل ذلك ذو حيل ووسائل لا تنضب ولا تنفد . يفهم الاشياء ويبت فيها بسرعة حتى لا يسأل اذا قيل ان الحكومات تعرف وزيراً أقدر من مستر لويد جورج على استيعاب الاشياء وسرعة الفصل فيها

التردد من شيم الحكماء . وهو شيء عاهة تلازم الثقافة الواسعة والعلم الغزير ، فتحمل المرء على التفاصيل بين الاشياء لتعرف وجهها الطيب من وجهها الخبيث وعلى الموازنة بين ما تحمله في ثنايا من

مسافع ومضار . ومستر لويد جورج بريء من عاهة التردد لأنه رجل غير مثقف وغير متعلم اذا هو قيس الى غيره من رجول السياسة ورؤساء الحكومات

ولقد كان جهل مستر لويد جورج حديث أصدقائه وخصومه على السواء حتى قال أحد ظرفاء الساسة الانجليز يصف أعضاء الوفد البريطاني الى مؤتمر فرساي : « مستر بلفور يعرف الاشياء ولا يحفل بها . ومستر بونارلو يحفل بالاشياء ولو انه يجهلها . أما مستر لويد جورج فلا يعرف شيئاً ولا يحفل بشيء »

Mr. Balfour knows but does not Care, Mr. Bonar Low cares but does not know; Mr. Lloyd George neither cares nor knows

وقال آخر : « لو ان الذكاء وليد العلم لكان مستر لويد جورج أعمى الناس » ويروي المسيو وليم مارتن ان المسيو براتيانو وزير رومانيا كان يخاطب الرئيس ولسون ومستر لويد جورج وقد أثار مسألة ترانسلفانيا لاول مرة فخاطبه الوزير الانجليزي سائلا : « تراسلفانيا ؟ هل لك ان تريني موقعها من الخريطة يا سيدي ؟ » وكانت خريطة أوربا مفتوحة على بساط الغرفة ، فجثا مستر لويد جورج على قوائمه الأربع وصار يبحث باصبعه عن تراسلفانيا في شتى جزيرة البلقان

ولكن إذا كانت الثقة والمعلومات العامة تعوز مستر لويد جورج فانه يستعيض عنها بذكائه المتوقد وعبقريته الفائقة وسهولة ادراكه حقيقة المواقف وما تنطوي عليه من حلول السريعة المتاحة. فاذا عرضت له مسألة وجب عليه بحثها بحث فانه يجد الحل المناسب أو الحل الذي تمليه الظروف من غير أن يبحث عن السوابق لانه يجهلها ، ومن هنا كان يوحي التقدير لانه لا يأبه لها

وتكفلت الأيام الأولى بخصومه من مدنيين وعسكريين وخصوصاً اللورد كتشنر الذي عمله في وزارة الحربية وفيها ومع لكفاءته احتل على التقارب فتحطمت مراياه باهرة ساطعة ، حتى جعلت خصومه وبالتشكيك فيه يحنون الرأس اجلالا واعظاماً

ولكن ما الذي كان يستطيعه مستر لويد جورج بكفاءته ومراياه وهو في وسط ألف أساليب السياسة القديمة وسكن اليها في وقت تقضي ظروف الحرب فيه بتغيير الخطط والمناهج ؟ وكيف كان يتأتى له أن يعمل مع رملاء لا هم يرتضون وسائله ولا هو يرتاح الى وسائلهم والخطر محدق والعدو على الابواب ؟

لقد كان مستر اسكويث رجلا شريفاً يأبى الكذب والمخاتلة ويحرج ضميره تلقاء أي اجراء ينحرف عن قواعد البر والشرف . فكان من المتعذر عليه أن يماشي ذلك « البهلوان » السياسي في عدوه وغدره وانقلابه وتلونه ، وأن يساير في تلك التصريحات والوعود التي كان يكيلها للبلاد وللحلفاء وللعالم هيلا وهيلانا . ورأى مستر لويد جورج الفرصة سانحة في سنة ١٩١٦ للتخلص من رئيسه الذي طالما أحس اليه ، فاستقال موقناً أن انسحابه من الوزارة سيستتبع حتما استقالة الوزارة

كلها . وخرج بعدد بوملاء الأمس الذين يكوّنون « وزارة الرم المتحركة » ويقسم « ان أولئك الملوق الذين يحكمون بريطانيا العظمى انما يمدون اليها أيديهم من أعماق القبر ليحدوها اليهم فيه »

وكان ما توقع مستر لويد جورج وسقطت الوزارة فوئت إلى رياسة الحكومة بحكم الظروف ، أي رغم ميول الملك ورغم ميول البرلمان ولم يعرف في تاريخ انجلترا ان وزارة سقطت بالاساليب التي سقطت بها وزارة اسكويث ، ولا أن وزارة ألفت بالاساليب التي ألفت بها وزارة لويد جورج ، ولا ان رجلا فرض ارادته على أمة كما فرضها هذا الرجل العجيب

بيد ان مما لا شك فيه ان مستر لويد جورج كان في زمن الحرب من أبرز وزراء العالم وأكثرهم جرأة وأشدهم اقداماً وعناداً وإصراراً ، وأن تولّيه منصة السلطة قد أحدث تغييراً في مجرى الحرب كما احدث تغييراً أو شبه انقلاب في نظام الحكم البرلماني البريطاني. فقد استطاع الرجل أن ينتزع من البرلمان تفويضاً باسم " Defence of Realm Act " اطلق يديه في شؤون الدولة كما لو كان حاكماً بأمره لا اشراف للملك عليه ولا للبرلمان ، وحصر السلطة التنفيذية في لجنة اشخاص اسماهم « لجنة الحرب » ، وزاد عدد الوزراء حتى بلغوا ثلاثة وثمانين وزيراً ، والغى مبدأ تضامن الوزراء في المسؤولية ، وجعل هذا العدد الكبير من الوزراء بمثابة موظفين دائمين كل منهم يسأل على حدة أمام لجنة « الحرب » . وجعل وزراء المستعمرات في الاسرة في أعضاء مجلس الوزراء البريطاني وبذلك صير الامبراطورية البريطانية مجموعة حكومات مستقلة فعل كل ذلك من غير أن يستشير الأمة ، فعله والبرلمان قائم شاخص اليه لا يبدي ولا يعيد

وعمد إلى الجيش فألّف منه مستعمرات بين القوات الانجليزية والقوات الفرنسيين ، ورأى كلا من الفريقين يحس لحسه كما لو كانت الحرب حملة عن مشكلة فاعلى ارادته على الجميع ، وحقق فكرة توحيد القيادة وعقد لواءها لمارشال فوش ، وفعل ذلك على تدامس الفواد الذي كاد يحر الحلفاء الى قاع الهاوية . ولا يظن أحد انه كان في مقدور أي رجل غير مستر لويد جورج أن يجعل أمثال هايج وفرنش يخضعون لقرار من شأنه أن يجعلهم تحت قيادة قائد فرنسي مهما كان شأن هذا القائد أو مهما كانت نتيجة عدم الامتثال والخضوع

حدث المارشال دوحلاس هايج يوماً وقال له : « أشرك يا سيدي الرئيس باني قد استولت على قرية باشنديل وباني سأستولي غداً . . . » فقاطعه الرئيس قائلا : « ان كنت ترى في ذلك خيراً فانا أرى فيه كل الخير . انك تستولي على قرية والحلفاء يخسرون الحرب وغداً تستولي على أخرى والحلفاء يخسرون رومانيا . أما لا يهمني يا سيدي أن ينتصر الجيش البريطاني في موقعه وسكن يهمني أن ينتصر الحلفاء على ألمانيا »

بهذه الشكيمة القوية كان يعامل كبار القواد وبهذه العزيمة الصادقة كان يقودهم الى ما يريد. فلا عجب اذ توجت هذه الجهود في النهاية بالنصر ، ولا عجب اذا قيل ان لويد جورج كان من أهم عوامل انتصار الحلفاء

واسفد مؤتمر فرساي وحلس مستر لويد جورج الى جانب ويلسون وكليمنصو يقررون مصائر الكون . وكان للرئيس ويلسون برنامج معروف وهو نشر السلام على الارض بتنفيذ شروطه الاربعة عشر ، تلك الشروط التي من أجلها دخل الحروب ونصر الحلفاء . كذلك كان لكليمنصو برنامجه وهو تدمير المانيا ماليا وعسكريا واسترداد الالزاس واللورين والتعويضات . أما مستر لويد جورج فكان قد حصل فعلا وقبل انعقاد المؤتمر على أهم ما كانت بريطانيا العظمى تطمع فيه وهو أسطول المانيا ومستعمراتها ، ثم دخل المؤتمر وهو لا يعرف ما يريد . فكان السياسي الذي يصبح على رأي ويمسي على رأي سواه . وكل همه أن يعثل ويلسون في تطبيق نظريته القائلة بحرية البحار وابعاد تفسير لنظرية حق الشعوب في تقرير مصيرها ، تفسير يقلب الغرض منها الى عكسه . وبعد ذلك فليكن ما يكون

وكان يحضر جلسات المؤتمر مستخدماً حساسته التي لا تخطيء وقدرته الهائلة على تفهم ما يحيط به من الاشياء والاشخاص ، مزوداً بجاستين أو ثلاث غير الحواس الخمس التي يتمتع بها غيره من المؤتمرين . فكان يسبق الآخرين الى أفكارهم ويضيق عليهم طريق الوصول اليها . وينفذ بثاقب فكره الى رأس محدثه فيعرف ما يدور فيه من مستوله ومن حين . ويتمرس في النفوس فيعرف موضع الضعف من هذا ومكان القوة من ذا ، ويكيف سلوكه لكل ما يكون الذي يناسبه ، فيرضي كبرياء الواحد ويلقي أمانية الآخر ، ويحمل عود حيه لا يسه ويستر العور أدبه لا حيه ، ويضع ما يريد أن يقوله على لسان غيره . فاذا صادف ، ولا بد ، المطلق يقيد ويعقد ، واذا لاقى أعراضاً غيّر الصيغة واستبق المعنى ، فهو استمر لاعرض صوى مسألة في الكتاب وجد أن حين لعرضها فرصة أنسب وهو لا يدخل مسألة قبل أن يحل لها بابها ويفتحه ، حتى اذا أوصد باب في وجهه خرج من الباقية ثم هو لا يجهد نفسه في بدء الجلسات ، بل يترك الزملاء يستنفدون قواهم في البحث والمناقشة حتى اذا آنس منهم الملل والعياء ، طفق يعرض ما يهمه من الشؤون فلا يلق من أولئك الشيوخ المتعبين كبير معارضة

ولكن ما قيمة هذه المزايا والصفات اذا لم تعززها متانة الخلق وقوة المبدأ والايمان بصلاحية الرأي ، وتلك كلها أشياء لا يعرفها مستر لويد جورج ولا يقيم لها وزناً ؟

لقد كان يظن ان سياسة التعريق بين أعضاء المؤتمر توصله الى غاياته . فتواطأ مع ويلسون ضد كليمنصو ثم عاد فتواطأ مع كليمنصو ضد ويلسون وظل يبدو لكل منهما بوجه حتى ملّ الاثنان هذا التلون ولم يعد احد منهما يعوّل عليه في شيء . وعمد الرئيس ويلسون الى شروطه يؤيدها بكل قواه كما عمد كليمنصو الى وسائله العنيفة في تأييد مطالبه ، والى مستر لويد جورج نفسه بين مدأين قويين يصطدمان وفكرتين راسختين تتناطحان ، فخرج يوماً — وهو الرجل الذي لا يعرف للمبادىء ولا للثبات على الرأي قيمة — خرج يوماً يقول : « وماذا تريدون أن افعل بين رجلين

احدهما يظن نفسه المسيح عيسى ، والثاني يظن نفسه نابليون » ؟

لم يعرف تاريخ السياسة والسياسيين رجلا يمزل مبدأه ويمزق آراءه ويحارب اليوم تحت اللواء الذي كان يحاربه بالأمس ، بالسهولة التي يقدم بها مستر لويد جورج على هذه الاعمال . واذا كان من الناس من يتناقضون في اقوالهم أو تفرح مسافة الخلف بين تصريحاتهم واعمالهم ، فليس منهم غير مستر لويد جورج من يحمل على الرأي بشع الخلات ثم يعود فيعتنقه ، أو من يقول اليوم برأي ويؤيده ثم يعود في الغد فيسلط عليه لسانه وفصاحته حتى يبديه للناس كاسخف ما أخرجته العقول

خطب ناخبيه يوماً وكان يهمه ان يتقرب اليهم من طريق الطعن على مجلس اللوردات الذي كان قد ناهض مشروع قانون معاشات للسجين فقال : « ليس مجلس اللوردات الا جمعية مؤلفة من الحمقى والحمقاء الذين ليس في قلوبهم من الطيبة ما يحملهم على عمل الخير ولا في نفوسهم من الشجاعة ما يحملهم على الاقدام على الشر . . . لقد كان أولئك المتحجرين يقاومون مشروع القانون فلما أصررنا على اصداره والفوا أنفسهم بين الرغبة في الشر والخوف من الاقدام عليه ، نهض لورد لانسدون إلى الهاوية وهو يتساءل في هلع « هل من يسمعنا ؟ » فلما أصر الجماهير تلوح له بقبضة اليد عاد وقال: « خير لنا ألا نحارف مرواحا فلنقر المشروع » والآن حدثوني عن الشجاعة أيها الحمقاء ! . . » وهنا علا التصفيق واطلق السجين صيحة . « عليك بهم » فسر وقد دهبت بحرصه نشوة الظفر فكلهم بالكيل الكبير وبدأ يقول . « لما شعر اللوردات بأن قلوبنا معقودة إلى رءوسهم صاحوا طالبين السلام وقالوا ارجوكم تعقلوا ولكني أقول لهم لا ! بل نحوا عن الطريق فانتم تصلحون إلا لتكونوا هزؤا للساخرين وسخرة للساخرين . . . ان قيام مجلس اللوردات إلى جانب مجلس العموم يذكرني بذلك المنظر المضحك الذي كنا نشهده سنوات في شوارع لوندرة ، منظر الترام الذي تجره الخيول يسير على نفس القضبان التي يسير عليها الترام الكهربائي . نحن الترام الكهربائي أيها اللوردات أما أنتم فتلك العربات البالية التي تحتاج إلى من يجرها ووجودكم في طريقنا معطل حركة المرور . . . ألا فاذهبوا وارعوا الكلأ في الحقول ولا تحدثونا عن اصلاح مجلسكم ولا تؤذوا أسماعنا بما تعرضونه علينا من اقتراحات الصلح والتوفيق ، فنحن يائسون منكم ومن اصلاحكم ولا نريد أن نقسو عليكم لأنا من أنصار الرفق بالحيوان . . . اذهبوا قبل أن أرسل قراطيسكم كقطع الجبن كلما تقادم عليها الزمن عفت وتصعدت رائحتها في الهواء . . . »

كان المستر ستيفان لوران رئيس تحرير جريدة الماتن الفرنسية أحد الذين سمعوا هذه العبارة العنيفة فخرج ورأسه يغلي من دوي تلك الثلاثة التأجيجة وقال لصاحب له من اللوردات : « ان هذا الرجل هدام لا نؤمن عاقبته » وانه لقادر أن يجعل مأكله شمشون جبار إذ هدم المعبد على كل من فيه ليقتل بعض أعدائه . » فابتسم اللورد وقال : « كلا . . أنت لا تعرف لويد جورج . . انه لا يهدم شيئاً ولن يهدم شيئاً بل لن يمس أعمدة المعبد بسوء ولسوف تراه ذات يوم داخل الهيكل يقيم

شعائر الدين ، وفعلاً لم تمض ايام على فوز الاحرار بالاغلبية البرلمانية وتسنيهم مقاعد الحكم حتى قصد اليه وفد من ناخبيه يطالبه بالغاء مجلس اللوردات ، فخطبهم وقال : « دعونا نتفاهم مع اللوردات فلعل فيما يعرضونه علينا من الاقتراحات ما يصلح للاخذ به . لماذا تريدون أن نعرض عنهم وهم يريدون السلام والوئام ؟ .. ألا يجوز أن يتقدموا الينا باقتراحات خير من التي تحول في رءوسنا ؟ ألا يجوز أن تكون لهم آراء أصوب من آرائنا ، فلم لا ندعهم يعملون ؟ انتظروا ماسيكون من أمرهم كما أنتظر ودعوا لهم الفرصة لاصلاح ما فات . . »

وأعلن مستر لويد جورج عقب العدنة أنه لا غاية مقتصر من يجري الحرب وفي طليعتهم الامبراطور غليوم حتى قال يوماً . « تسألوني رأيي فاصرح لكم اني أرى وجوب شنق القيصر I am for hanging the Kaiser أن الحرب جريمة ولكل جريمة فاعل . فهل ليس لهذه الجريمة الكبرى فاعل ؟ وهل يصل هذا الفاعل سير عقاب ؟ لا لا ! ان ذلك شيء لا يرضي عدل الله ولا عدل الناس .. وإذا كان للرئيس ويلسون شروط فانا أيضاً لي شروط وأولها محاكمة الامبراطور . » وجاء وقت التنفيذ وطالب فرنسا مستر لويد جورج باختيار ما وعد فكان جوابه : « ان محاكمة الامبراطور حماقة لا يقول بها عاقل »

وتكلم عن التعويضات يوماً فقال : « [illegible] ١٨٧١ أكرهتها على دفع الغرامة الحربية . فلسنا عن المدى حقنا هذا الغرامة والتعويض ، وهذا هي المانيا التي خلقته ، فمن العدل والواجب أن نطلبه منها . وهذا لا يمنع [illegible] أن نتحمل نحن ايضاً نفقات الحرب سيدفعون نفقاتها ، وإذا اقتضى الامر فسنضغط عليهم لندعهم يخرجون لنا نحس باطنها ظاهرها . أما فيما يتعلق بي فاني سأعصر المانيا حتى تسمعوا صوت صفيرها يخرج من أضلاعها . .

I Will squeeze Germany until you can hear the pips squeak

فلما حان وقت تدوين النصوص الخاصة بالتعويضات في معاهدة فرساي ، انعكست الآية وبدلاً من أن يبحث مستر لويد جورج في طرق انهاض فرنسا وملحقاتها جعل يبحث في طرق انهاض المانيا وبدلاً من أن يذهب ليقلب جيوبها كما كان يزعم ، مكث يفكر في اطعامها ويقول : « ان المسألة مسألة انسانية ، وإذا كنا سنضغط على المانيا كل هذا الضغط فهي ستؤول إلى الفوضى وليس ذلك في مصلحة أحد . . يجب أن نطلب من المانيا ما تستطيع دفعه وأن نترفق بمواردها حتى لا تضب . . »

تلك أمثلة لتقلبات مستر لويد جورج ولمصالحه الحظية ولعل أغرب ما فيها ذلك الصدق الذي يبعث من الرجل وهو يكذب ، وحرارة الايمان التي تتجلى في بلاغته وهو يلعب بعقول سامعيه . ولكن إذا كانت هذه البلاغة الخلابة قد أوصلت مستر لويد جورج إلى ما وصل اليه فهي قد أصابت سمعته السياسية بشر ما تصاب به سمعة السياسيين ، لان انخداع الشعوب قد يطول ولكنه لا يدوم وإذا انتفت ثقة الرأي العام في سياسي عدا في حالة لا تنفعه فيها مهارته ولا تفيده سياسته

رعاة الأبقار

من أي سلالة ينحدرون ؟ وما هي عاداتهم وتقاليدهم ؟

يقول « برنارد شو » في حديث له مع أحد محبي الأخير إنه لا يكلف نفسه بالذهاب الى دار للسينما إلا إذا كانت الرواية التي تعرض فيها من نوع روايات الغرب الأميركي الاقصى التي تدور حوادثها حول حياة رعاة الأبقار . فاذا كان « برنارد شو » يقصد بهذا النوع من الروايات ذلك الذي يختاره السواد الاعظم من رواد السينما لهواً ومضيعة للوقت بغير ما فائدة ، فان هذا الكاتب الاشهر أحرص على وقته من أن يضيعه فيما لا جدوى ولا ينفع . وإذن فهو لا بد قد هداه تفكيره الحر ونظره البعيد إلى شيء في هذه الروايات يجعلها موضع اهتمام منه وتحصيل

وفي الواقع لو اننا نظرنا إلى روايات الغرب الاقصى التي تعرض على اللوحة الفضية نفس النظر الذي ينظر به اليها « برنارد شو » ، واعتبرناها ـ ولو للتجربة فقط ـ نستحق منا أن نجعلها موضع درس وتحليل ، نقول لو اننا فعلنا ذلك لتكشفت لنا أمور كنا نجهلها . . أمور كان احجامنا عن مشاهدة هذه الروايات يجعلها في طي الخفاء غير ظاهرة ولا محسوسة . فمن المعلوم أن لكل انسان احساساً يميل إلى موقف البطولة والفروسة ، وان كان لا يحرز على اتصافها ، ويحب بالمثل الأعلى للرجولة التي لا تقهر . فرجولته التي تمد بقوة ساعديه وسداد نظره إلى الانتصار والفوز . وحساس مثل هذا يكون في أول أمره رهين ارادتنا وما تتهيأ له من ظروف . فان نحن ساعدناه على إظهار ميله وإبداء تجربته وتكرير ما ذلك ، أصبح لا يرتاح إلا إذا قدمنا له هذه المساعدة فيطغى على باقي احساساته ويصبح نحن رهن إرادته بعد ان كان هو رهين ارادتنا . ومن هنا يمكننا ان ندرك ولو بالتخمين سر ميل « برنارد شو » إلى روايات الغرب الاقصى وما فيها من بطولة وفروسة . فهو قد شاهدها مراراً فأثر إحساسه بها فأصبح يفضلها على غيرها . وأصبح لا يرتاح إلا اذا شاهدها

وبدهي اننا نذهب إلى السينما لننسى هموما ومرح عن أنفسنا ما علق بها من ملل وكدر ناتجين عن عملنا اليومي . فطبيعة الحال تكون في طبعه إلى مشاهدة نوع جديد من الحياة لم نألفه في حياتنا الخاصة والعامة . فهل هناك أفضل من أن نرى مشاهد تنتقل بنا إلى الغرب الأميركي الاقصى حيث نتعرف إلى بطل من أبطال هنالك البراري والقفار ؟ فيملك علينا حواسنا ومشاعرنا بما أوتي من قوة وبأس ، ولا شك في ان مثل هذا الخيال يكون له أثره في النفس ، فاننا نشعر في الحال بأن كل ما صادفنا في نهارنا من نصب وعناء أصبح نسياً منسياً

في بلاد الغرب السينما

وحسب الغرب الأقصى فخراً وعظمة أن فن السينما لم يرتق وينهض ويبز عبقريته العالية بين الفنون الجميلة إلا منذ شرع أرباب يتحدون من حياة رعاة الأبقار وعاداتهم موضوعات لرواياتهم التي

يخرجونها . وكانت معظم أشرطة السينما إلى عام ١٩١٧ تدور وقائعها في الغرب الاقصى . وهذا لأسباب عدة أهمها أن المخرجين السينمائيين في بدء عهد السينما كانت ثروتهم لا تساعد على اخراج روايات تستازم منهم وضع مناظر تكلفهم باهظ النفقات فطبيعة الخلاء كانوا يسعون جهدهم ليقللوا من النفقات حتى لا يكابدوا خسائر فادحة لم يكن ليعوضها عليهم جمهور السينما الفتيان وقتئذ . فاستعاضوا عن وضع مناظر تكلفهم ما فوق الطاقة مناظر الغرب الاقصى الطبيعية الخلابة التي لا تكلفهم شيئاً . والغرب الاقصى كما هو معروف غني بمناظره ، فهناك المزارع والجبال والسهول والمنحدرات والانهار والصحراوات و .. الخ ، كلها أسبغت الطبيعة في وضعها وعمرتها سحر رائعها جمالاً وروعة تسحر عيناي المصاب للناظر الذي تعتمد عليه شركات السينما الآن في وضع مناظر رواياتها . وإلى جانب هذا فان حياة سكان تلك النواحي من العالم غنية أيضاً بحوادثها ووقائعها ، فضلاً عن أنها تمتاز بعدم تلونها بثوب المدنية الكاذبة . وأمام هذا كله لم يجد المخرجون مانعاً من اخراج روايات تدور حوادثها في الغرب الأقصى ، فكانت بداية ناجحة رائدت نطاق شركات السينما الناشئة

على أن شركات السينما عند ما وجدت ثروتها قد ازدادت قامت بتشييد دور التصوير الواسعة فكان ذلك فاتحة عهد جديد بدأت فيه المستحرات المصرية والتاريخية تنافس مستحرات الغرب الأقصى وكان أن فصل جمهور النوع الأول على الثاني فعمدت شركات من اخراج اشرطة رعاة الأبقار ووجهت كل اهتمامها إلى الأشرطة الأخرى التي تسود السينما الآن . ولم يبق بين شركات السينما في العالم غير شركة أو شركتين تخرجان هذا النوع من الروايات

رحلة الى صحراء أريزونا

على ان معظم الشركات المكبرى لم تمنعها عن اخراج روايات عن الغرب الاقصى نالت من النجاح في عالم الأدب ما لو أخرجت على شريط لضوعف هذا النجاح وعاد عليها بأرباح تفوق أرباح الروايات المصرية والتاريخية التي تخرجها . وهذه رواية « العربة المحطمة » التي أخرجتها شركة « باراماونت » عام ١٩٢٣ ، فقد نالت نجاحاً لم يكن يتطره مخرجها . كما ان رواية « زارا ابنة الغرب الاقصى » التي أخرجتها شركة « مترو جولدوين ماير » عام ١٩٢٧ وعرضت في مصر هذا الموسم كانت تحفة نادرة لم تجد مثلها شركات السينما منذ نشأتها . ونجاح هاتين الروايتين يرجع الى قوة موضوعهما ومتانته ودقة اخراجهما . وهما تمتازان عن باقي روايات الغرب الاقصى بأن مخرجيهما أحقوا عليهما ما لم يتفق على رواية عصريه على الرغم من أن معظم مناظرهما كانت طبيعية

ولنحدث القارىء عن الرواية الثانية وما بذلته شركة « مترو جولدوين » من جهود في سبيل إخراجها حتى يقدر تلك القوى الخارقة التي صارعت كل الصعاب لتحصل من هذه الرواية شريطاً ناجحاً يكون معجزة لفن السينما وأربابه والمشتغلين به

عندما أعد المستر « صامويل جولدوين » مدير الشركة العدة لاخراج هذه الرواية أمر بترحيل عدد كبير من الممثلين والنجارين والمهندسين والجنديين الى صحراء بعيدا بكاليفورنيا لاقامة ثلاثة مدن صغيرة لسكنى الفرقة التي ستقوم بتمثيل الرواية هناك . ويرجع اختياره لهذا المكان الى أنه

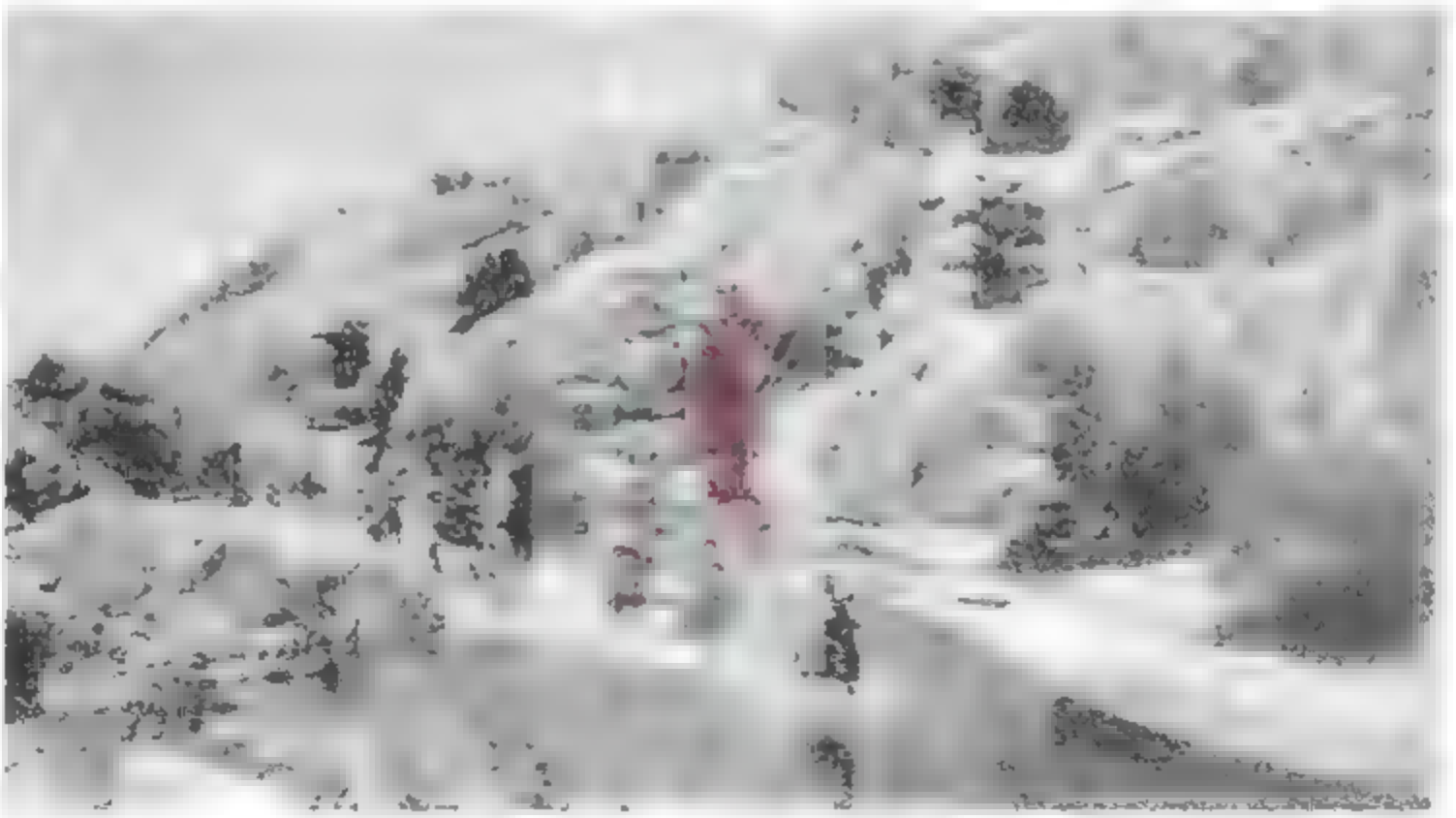

جماعة من رعاة الأبقار يتسامرون فى ممر قناة

تتوفر فيه جميع الشروط اللازمة لاخراج الرواية فضلاً عن ان مناخه معتدل فهو يعلو على سطح البحر نحو ستة آلاف من الاقدام . ولم تمض تسابيع قلائل حتى انشئ بناء هذه البلدان لم يكن هناك فارق بينها وبين غيرها من البلدان الحقيقية . فكل وسائل الراحة والمعيشة متوفرة فيها بحيث تصلح لأن تستعمل لسكنى عشرات السنين . وزيادة على ذلك فقد مدت فيها خطوط حديدية تجري فوقها عربات لنقل الفرقة أينما شاءت ، وهذا فضلاً عن السيارات والطيارات التي نقلت الى هناك لتنظيم حركة المواصلات . وانتقلت الفرقة الى هناك ولبثت نحو شهرين تعمل فيهما ليل نهار على اخراج روايتها . ويتحدث « رونالد كولمان » بطل هذه الرواية عن كفاحهم وجهودهم وسط صحراء « بيفادا » فيقول :

الحياة في صحراء الغرب الوسطى

« عند ما اعتزم الرجيل للعمل في وسط الصحراء استحضرنا عدة طيارات لنقلنا الى الجهات المجاورة للتمثيل فيها . وذلك لكيلا نستغرق في المسافات الطويلة وقتاً نحن في حاجة اليه . ولكم كانت شاقة عنيفة تلك الجهود التي بذلناها في سبيل اتمام مهمتنا ، إلا أن المساعدات التي كان يقدمها الينا سكان « بيفادا » كانت تخفف نوعاً ما عن ما نلاقيه من تعب . ولم تكن فرقتنا ليقل عددها عن ٦٠٠ نفس . وأحياناً كنا نستخدم بعض سكان « بيفادا » لتظهر في بعض المناظر فوجدنا فيهم ما يؤهلهم لأن يكونوا ممثلين سينمائيين . والحق يقال انهم خير مثل للطاعة والود فانا عندما انتهينا من تصوير مناظر الرواية واعزمنا الرجوع الى « هوليوود » كانوا يودعوننا بحرارة وأعينهم مغرورقة بالدموع

« وكانت حياتنا في وسط الصحراء ملأى بالدواعي المضحكة . فكثيراً ما شهده حائر الصحاري . فقد شيدنا هناك داراً عرض فيها شرطة سينمائية كانت ترسل البنا بريد الجوي كل أسبوع . كما أقمنا عدة أجهزة لاسلكية كانت تنقل الينا نغمات الجاز باند والاغاني والاناشيد التي تعزف في صالات « الوريكهول » بمدن فرانسيسكو ولوس انجليس . والى جانب هذا فقد كنا نصدر جريدة أسبوعية تحوي جميع أخبار الفرقة ومجهوداتها التي تعمل في أسبوع . ولعل هذه هي المرة الاولى التي تصدر فيها مثل هذه الجريدة في تلك النواحي البعيدة عن العالم . وهكذا لم نكن نشعر اننا نعيش وسط صحراء قاحلة تخوطها الكآبة وتخيم عليها الوحشة ، فلم تكن تمضي ليلة حتى نقيم فيها حفلة راقصة نتراقص فيها على نغمات فرقتنا الموسيقية

« وكانت حياتنا هناك تسير على نظام وضع بحيث لا يمر يوم دون أن نكون عملنا فيه عملاً منتجاً . فكنا نستيقظ في الساعة الخامسة صباحاً ونقوم ببعض التمرين الرياضية لتنشيط أجسامنا ، ثم نغتسل ونتناول افطارنا فيما بين منتصف الساعة السادسة ومنتصف الساعة ولم يكن أحدنا يتحدث الى أحد في هذه الفترة فالكل كان يأكل بسرعة ثم يذهب الى الخلاق الذي كان يقوم بمهمة الحلاقة ما بين السادسة والسابعة . ولا يأتي منتصف الساعة التاسعة حتى نكون قد هجرنا معسكرنا وابتعدنا في صميم الصحراء . وكنا نمكث في العمل الى الظهر ثم نتناول غذاءنا الى منتصف الثانية ثم نقوم

سفير لاهوتى الحريات التى يعيش فيها رعاة الابقار وعلى الصورة رسم لوليام شكسبير قارئ الذى يعتبر المثل الاعلى لرعاة الابقار

للعمل ثانياً حتى الساعة الخامسة حيث يوقف العمل الى اليوم التالي . وعند رجوعنا الى معسكرنا نغتسل ونرتدي ملابس الراحة ونخرج الى الخلاء نتمتع بمحاسن الطبيعة ونستحلي ما فيها من سحر وجمال. وكم كان جميلا ان نرى الصحراء بفراغية الاطراف تلامس الافق البعيد فتبعث الى القلوب شعوراً يكون له في النفس تأثير عجيب . وعند ما تميل الشمس نعود الى المعسكر ونتناول طعام العشاء ثم نتلهى بسماع بعض الانشودة والأغاني الموسيقية ومشاهدة ما لدينا من أشرطة حتى الساعة التاسعة فنقوم الى الفراش استعداداً لمرحلة عملنا الشاق في الصباح التالي . وهكذا حتى انتهينا من اخراج المناظر اللازمة ورجعنا إلى « هوليوود » تاركين وراءنا رحالا يرياون كل ما كان هناك من آثار تدل على اننا كنا نعيش في وسط الصحراء .

من هم رعاة الأبقار

أما وقد عرف القارىء أثر الغرب الأقصى في بحر من السينما وبعض ما تدله التركات من جهود لاخراج الاشرطة التي تدور حوادثها في تلك الجهات ، فلنقرأ هذا الفصل الموجز عمن هم رعاة الأبقار وإلى أية سلالة تشريه يرجع أصلهم وما هي عاداتهم وتقاليدهم و . . . و . . الخ

هؤلاء الرعاة يتحدرون من سلالة هي نتيجة اختلاط حسبي بين بعض مكتشفي أمريكا والهنود الحمر . وهم يعيشون في غرب الولايات المتحدة في منطقة تمتد من شمال كالفورنيا إلى حدودها . وتمتاز هذه المنطقة بهضابها وسهولها الواسعة في غرب روكي كما تمتاز أيضاً بصحراوات واسعة تمتد في حدودها على نحو مائتي ميل من الأشرطة التي تدور وقائعها عليهم . وجميع أراضي بلادهم لا تنبت ماتاً ولا أثر لشجر يصلح للاستعمال فالذي هو الحشائش والأعشاب التي يستعملونها في تربية المواشي فهي من غير عناء لهم . ولهذا فهم يعتمدون في معيشتهم و رعاة الأبقار ، لان طبيعة بلادهم تضطرهم الى رعي مواشيهم وتربيتها لكسب قوتهم وقوتها وكل مستلزمات معيشتهم . على ان هذه الحشائش والأعشاب تكسب أرض بلادهم رونقاً وبهاء وجمالا اذا ما حل الربيع وبدت الازهار فتراها وقد بدت في ثوب سندسي جميل أبدعت الطبيعة في صنعه كل ابداع . فهم يتمتعون بهذا الجمال الطبيعي ويستحلون مجالسه في كل وقت وحين

ولعل أغرب ما في صفات رعاة الأبقار وعاداتهم انهم لا يركنون الى حال . فهم كثيرو التنقل فأراضيهم ملك مشاع للجميع . فأينما وقع ناظر كبيرهم على قطعة أرض أعجبته ولم يكن يحتلها غيره ، حط فيها رحاله وحملها الى حين موطناً له ولأسرته وحيواناته ومواشيه

ورعاة الأبقار يحبون المخاطرات والمخاطر الى حد مدهش ، فهم يقضون معظم أوقاتهم في امتطاء الجياد والتنافس في التغلب على السيدة الشريرة منها التي تحمل أحدهم اذا ما اقترب أحدهم وحاول ركوبها . وكثيراً ما يقيمون حفلات للسباق يسمونها « الروديو Rodeo » ، ففي هذه الحفلات يتقدم كل واحد منهم حيواناً من عنده يعهد به الى واحد من شباب المهارين فيزل به في الميدان ويحاول أن يكون له الأفضلية دون غيره . والفخر كل الفخر لمن يفوز في هذه الحفلات ، فضلاً عن انه يحصل على عدد من الجياد الأصيلة التي توضع كرهان يكون من نصيب الفائز الأول . وليست مراهناتهم مقصورة على حفلات « الروديو » فقط ، بل كثيراً ما يتراهنون على ركوب حواد شرير

قرية من قرى معاذ
الابطار

أو عسر عجيبة أو فتاة . ولهذا نجد حياتهم كلها مليئة بالمفارقات على نحو ما نشاهد في أشرطتهم

وإن من صفاتهم أيضاً الطاعة العمياء للرؤساء والآباء . فان لكل صاحب مزرعة عدداً من الابناء والمستخدمين الرعاة ، يقومون بتأدية لوازم المزرعة من تربية المواشي والدواجن والعناية بها إلى حراسة المزرعة ليل نهار ، إلى مقاومة عصابات لصوص المواشي التي تسطو على المزارع لسرقة المواشي . كل ذلك يؤديه رعاة الاقفار بملات وصبر لايمازجهما سوى سكان البراري والقفار والويل كل الويل من يحاول سرقة شيء منهم ، فهي شعائرهم المقدسة ، إذا اقتضيا أثر رجل معتد فلا بد أن يرجع بذراع أوساق إذا لم يرجع بالرجل كله ». ومن أظهر صفات نسائهم الطاعة العمياء ، فالواحدة منهن أطوع لزوجها من بنانه . إرادته فوق إرادتها وأمره الواجب المطاع . هذا وان رعاة الاقفار لا يتزوجون إلا من أقرانهم ، وفي أحوال نادرة يتزوج الواحد منهم فتاة من اسرة أخرى إذا مهدت له الاقدار سبيل هذا الزواج . كأن ينقذها من أيدي جماعة من الاشقياء أو ينتشلها من خطر كادت تزوح ضحيته أو . . أو . . الخ ، فيتحابان ثم يكون زواجهما بعد موافقة أسرتيهما . وأبرز الاسر هناك هي التي تمتاز بكثرة أفرادها ، فهم يهتمون بكثرة النسل الذي يساعد على توزيعهم لخدمة المزرعة حسب اتساعها وكثرة مواشيها ودواجنها. حتى ان الواحد منهم لا يحجم عن أن يتزوج اكثر من زوجة لهذا الغرض . ولعل في سكنى الفيافي والقفار سراً يجعل الاخلاق والعادات متفقة متشابهة كما هو الحال مع رعاة الاقفار و الاعراب

وإن كان الاعراب يختلفون عن الجميع من حيث هم ، فان رعاة الاقفار يصنعون المنازل المصنوعة من الاخشاب والاعصان التي يقتطعونها من أشجار السلسال والصفصاف المنتشرة على ضفاف الانهار . والمنازل المتنقلة من النوعين هذا قليلة جداً ، فهناك لا يراها إلا في القرى أما في المزارع فهي نادرة الوجود . وأحياناً تكون منازلهم مصنوعة من الجلود ولا تكون كذلك إلا في فصل الصيف حيث تزداد الحرارة فيكونون اكثر سعادة بصنعها من الجلود تساعد على هدمها و شدها أينما شاءوا

* * *

ولعل في هذا الفصل الموجز الذي قدمناه للقارىء ليتعرف بواسطته الى رعاة الاقفار وعاداتهم ما يكفي لأن يجعله يغير اعتقاده في الأشرطة التي تدور حوادثها حولهم . فكما انا نتحمس لدى رؤية أشرطة الأعراب ونهتم بها فمثل هذا الحماس يجب أن نقابل أشرطة رعاة الأقفار ، فان فيها دروساً ومعاني لا يلاحظها الاكل مدقق خبير ولقد كان من البرنامج الحجازي الذي قررته وزارة المعارف على طلبة البكالوريا ، دراسة حياة رعاة الأقفار . فهل عرفت كيف تستغل هذا الموقف وتقدم للطلبة أشرطة تساعدهم على فهم حياة اولئك الرعاة وعاداتهم كما هي تماماً دون أي تغيير أو تبديل قد يؤدي اليهما التصور والخيال ؟ انها لو كانت فعلت ذلك لصادفت تقريرها درس حياة رعاة الاقفار نجاحاً دونه كل نجاح . فالشرح الطويل والتصوير الخيالي لا يمكن أن يؤديا ما تؤديه السينما بمناظرها الحية التي تنقل على الشريط . وان لم تكن وزارة المعارف فعلت ذلك فأمام الطلبة كثير من أشرطة رعاة الأقفار التي تعرض في دور السينما ، يمكنهم مشاهدتها بسهولة وتطبيق ما يعرفونه عنهم

السيد حسن بجمد

في بلاد الجميلات

حيث تباع المرأة وتشترى علناً

شروط البيع وبعض التقاليد الغريبة

اشتهرت بلاد القوقاز من أقدم الازمنة بجمال نسائها وشجاعة أهلها وسعة حدودها . وذاع اسمها في أساطير الأقدمين وخرافاتهم أيضاً . ففيها سرق بروميثوس جمرة النار من الآلهة فأمر كبيرهم بربطه وطرحه على احدى قنن الجبال . وإليها سار ياسون بأسطوله للبحث عن الجزة الذهبية . وفيها ظهرت الامازونيات واشتهرن بأصالتهن الحالمة

وجمال القوقازيات هو مضرب الامثال منذ أقدم الازمنة . قيل انه لما أبصر ياسون جمال حبيبته « ميديا » نسي الجزة الذهبية . وقيل ان الاسكندر عند ما عرا حورجيا وشاهد جمال القوقازيات قال إنه لم يبق به حاجة الى افتتاح أمصار جديدة . وكان غزاة التوط والتتار يقيمون للآداب الخليعة ويرغمون القوقازيات على الرقص أمامهم عاريات وعلى ادارة كؤوس الخمر على الحاضرين

وراجت شهرة القوقازيات في عهد السلاطين الاتراك فقد كان في قصر السلطان سليمان الكبير ثلاثمائة امرأة معظمهن قوقازيات وكان في قصر سلطان عند حيد آخر سلاطين الاتراك مائتا قوقازية من أجمل نساء العالم . وظل السلاطين في القرون الخالية التي عاشت فيها سلطنتهم يملأون مقاصيرهم بالقوقازيات ويهبونهن بسخاء من شاء منهم ما شاء من عليه الرضى والارتياح

ويقف في تمثيل جمال القوقازيات حدود القوة البشرية حائلة دون توغل المرأة الاجنبية بين القوم وامتزاجهم بهم . ولكن التعصب ليس مطلقاً . والمرجح ان جمال القوقازيات يرجع الى عوامل طبيعية لا يتسع المجال لشرحها

وقد روى السياح الذين ارتادوا القوقاز منذ عهد الاسكندر ان القوقازيات مشهورات باعتدال قوامهن وجمال شعرهن وعيونهن . ولهن خدود متوردة وشفاه تقطر عسلا وملامح تأخذ بمجامع القلوب وصوت أشبه بنبات القياثير . وكن يلبسن أحذية ذات كعاب عالية ويتشحن بأوشحة زاهية الالوان ويلبسن شبه مشد — كورسيه — من جلد على حصورهن لا يرخى عنهن الا ليلة العرس

وتعرف القوقازيات أيضاً ببلاد الشراكسة وتشمل الهضاب والمرتفعات التي تمتد حتى سواحل البحر الاسود الشمالية الشرقية . ويبدأ تاريخها الفعلي باستيلاء السلطان محمد الفاتح على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ إذ أخذ سلاطين الاتراك وأغواتهم منذ ذلك الحين في ملء مقاصيرهم بالقوقازيات . واستخدمت الدولة العثمانية الشراكسة نظراً الى ما اتصفوا به من الشجاعة والاقدام . وكان في جيش الانكشارية كثير منهم لان السلاطين الاتراك كانوا يثقون بهم ويعتمدون على اخلاصهم . ومنهم نشأ المماليك في مصر . الا ان السلطان سليم خشي بأسهم فنكل بهم في سنة ١٥١٧

على أن نفوذ القوقازيات ظل عظيما حتى بعد انقضاء دولة رجالهم فان السلاطين والباشوات

الاتراك غلوا يملأون مقاصيرهم بالقوقازيات الجميلات . وكن يتاجر بهن علناً في أسواق خاصة . وكانت هذه التجارة رائجة رواجاً عظيماً وخاصة أيام السلطان سليمان الكبير ، فقد كان في مقاصيره ثلاثمائة امرأة كما سبق القول معظمهن قوقازيات وبينهن اليونانيات والايطاليات والفرنسيات والاسبوليات والعارسيات والنقابات والمصريات والجزائريات . وكان يؤتى بهن اما غنيمة أو صفقة تجارية

قلنا ان القوقاز اشتهرت بساعة حدودها . وقد حاول الروس خضاعها مراراً فشلوا ولم يستطيعوا تدويخ البلاد إلا في سنة ١٨٦٤ . وكان التجاسون يحاولون بيع القوقازيات في بلاد الروس ولكن تلك التجارة كانت أكثر رواجاً بين الاتراك لما اشتهر عن هؤلاء من البذخ والاسراف . ولذلك كانت القوقازيات يعرضن أولا على رسل السلطان ووكلائه . وما بقي منهن يعرض على وزراء الدولة وقواد الجيش والباشوات

فالقوقاز اذن كانت مرتبطة بالاتراك بصلات مالية كبيرة . وكان أهلها يعتصبون الاتراك على غيرهم . ولما عزم الروس في المرة الاخيرة وجهوا احتجاجاً عاماً الى جميع الدول جاء فيه ما يأتي :

« لقد كانت جبالنا سوراً طبيعياً بين الفرس والاتراك يمنع تصادمهم . فاذا لم تتحدوا الدول فسيصبح ذلك السور ممراً لجيوشهما . . . ولا يمكن حفظ السلام إلا بابعاد هذا الممر . وفضلا عن ذلك فان لدى الشركسي غيرة في عروق الشعور وأمه ولاؤه وأمانته هن قوقازيات وجميع وزرائه وقواد جيشه من شراكسة »

ولكن الدول لم تكترث لهذا الاحتجاج . وكانت النتيجة ان استولى القيصر على بلاد القوقاز . وأطلق منها حبيشه على آسيا . فكانت خطراً أشد على الدولة العثمانية من سائر تلك الاهوال

القوقازيات في الاسواق

كان النظام الاقطاعي شائعاً في بلاد القوقاز . وكان الشعب القوقازي مؤلفاً من خمس طبقات. هي الامراء والنبلاء والأحرار والعلمة والعبيد . وكان التجاسون يتاجرون ببنات الاحرار والعامة والعبيد على السواء . وكان كل واحد من الطبقات الثلاث الاخيرة ينظر إلى بناته كأنهن سلع للبيع . وعند بعض النبلاء أن يبيعوا بناتهم بطريق المقايضة . ولم يكن القوم يرون في ذلك غضاضة لأنهم نشأوا على اعتبار الفتاة سلعة معدة للبيع . ولم تكن الفتاة هي تعترض على البيع بل كانت تباهي به لأنه دليل على جمالها

وفي الواقع ان المرأة القوقازية لم تكن تتمتع بشيء من الحقوق المدنية والسياسية . نعم انها كانت كثيرة الاختلاط بالرجال وهؤلاء يعاملونها بكل رعاية وعجاملة . ولكن السلطة والنفوذ وجميع الامتيازات كانت للرجل دونها . ولم تكن تتحجب بل كانت - وما زالت - تحضر المراقص العامة والمجتمعات التي يكثر فيها الرجال. وللعفاف عندها قيمة عظيمة . وحسن العرض من تربيتها اعدادها لتباع في سوق الخاصة . فكانت كل فتاة تلقن منذ حداثتها ان أعظم ما يجب أن تصبو اليه نفسها هو أن تباع بأعظم الاثمان . ولذلك كان القوقازيون وما زالوا يتحرون بعادة « الدوطة » ويقولون إن

جمال الفتاة هو أعظم « دوطة » تستطيع أن تقدمها لزوجها . أما المال فدليل على انها تعجز عن اقتناص الرجل فهي تغريه به

واعتادت الأمهات القوقازيات أن يرين لبناتهن أحمر غير الشفوات الأتراك وخال القبيشة في تصورهم . لذلك كانت غاية غايات كل فتاة أن يساعدها « الحظ » لتدخل مقاصير السلطان وتصير برساء فتصبح « باش قادين » — أي كبيرة السلطانات — وتلد له وريثاً لعرش السلطنة ثم تصبح بمرور الاعوام « سلطانة والدة » — أي أم السلطان

بمثل هذه الآمال كانت كل قوقازية تتصل مهما تكن وضيعة الأصل لأن ضعة الاصل لم تكن لتحول دون الوصول الى أعلى المراتب بشرط توافر الخال . وكانت كل فتاة — حتى من الاسر الشريفة — تتمنى أن تباع في سوق النخاسة لعل الحظ يسعفها بأن تصل الى أعتاب السلطان ! وبلغ من مساوىء هذه العادة أن القوقازية — حتى البيلة — كانت تفضل أن تباع في سوق النخاسة للاتراك على أن تتزوج أعظم بيك في بلادها

ولم يكن الشعب القوقازي يرى في هذه التجارة غضاضة . لذلك ظلت رائجة حتى أواخر القرن الماضي . وزاد في رواجها أن الشراكسة كانوا يحمون في جيش السلطان ويهلكون في الحروب فبقي عدد الفتيات القوقازيات زائداً على عدد الرجال . أضف الى ذلك ان دخول الشراكسة في الاسلام أباح لهم تعدد الزوجات فكان الكثيرون منهم يأخذون ما يبيحه لهم الشرع من أزواج وعشيقات

وكان الاقطاعيون يهبون أبناءهم وبناتهم جيلات مع كل ما هن في حاجة اليه من ثياب وحلى وأدوات . وكانت الصلات بين أولئك الاتباع وسادتهم تختلف عن صلات الاقطاعيين وأتباعهم في بلاد العرب . فقد كان القوقازيون أقرب الى الأنفة وللمساواة

ونشطت النخاسة بين القوم أشدها في أواخر القرن السادس عشر للميلاد فكانت سفن النخاسين تجوب موانىء البحر الاسود فتقل الفتيات الجيلات ليبعن في الاسواق . فلما استولى الروس على القوقاز سعوا هذه التجارة وأرسلوا سفنهم الى البحر الاسود لتقتفي مراكب النخاسين . على أن أهل القوقاز ثاروا على الروس من أجل ذلك وكان الكثير من الفتيات اللواتي يأسرهن الروس ينتحرن بطعن أنفسهن لأن نفس الروس عندهن يحول دون بلوغهن غاية المنى وهي أن يشترين وكلاء السلطان أو أحد أغنياء الاتراك

وأصبحت النخاسة منذ ذلك الحين تجارة محرمة وصارت مراكب النخاسين تهرب القوقازيات الى ميناء سيبوب وسمسون وطرابزون حيث تتسلم سفن الاتراك والمسويين أولئك القوقازيات وتحملهن الى الاستانة . ولما رأى الروس أنهم عاجزون عن وقف تيار النخاسة أطلقوا الحبل على الغارب وأباحوا للقوقازيين أن يفعلوا ما يشاءون وكان لهم من ذلك غايتان هما : استرضاء الشراكسة، واكتساب عطف الاتراك

ولم يكن النخاسون يقبضون ثمن القوقازيات دائماً نقوداً بل كثيراً ما كانوا يبيعونهن بطريقة المقايضة ويقبضون ثمنهن سلعاً تجارية ويعودون بها أدراجهم من أفسحة كتابة وحرورية وحاود

وعرو وأدوات للزينة وغير ذلك مما عندنا وأدوات منزلية وهلم جرا

أسعار الجواري

وكانت أسعار القوقازيات تختلف باختلاف جمالهن واعمارهن ومرتبتهن . وكانت اركان الجمال عند الفوم (١) العمر (٢) البشرة (٣) القوام (٤) الملامح (٥) اعضاء الجسم ولا سيما اعضاء الوجه (٦) الذكاء والاخلاق

فاذا كانت جميع الصفات مما يرغب فيها واعضاء الجسم سليمة من كل عيب أو تشويه طلع سعر الفتاة من خمسة آلاف قرش الى عشرة آلاف . فاذا كانت ناقصة سناً واحدة مثلاً نقص ثمنها الف قرش . واذا كانت قصيرة القامة وشعر الرأس نقصت قيمتها نحو ألف قرش آخر . واذا لم تكن عذراء نقصت قيمتها بمقدار خمسين في المائة . الخ . . الخ . . .

وكان للشاري حق فحص الفتاة المعروضة فحصاً مدققاً . فاذا اعجبته عهد الى طبيب وقابلة في فحصها فحصاً أدق . فاذا حازت الفحص حق للشاري أن يأخذها الى منزله لتقضي ليلة على سبيل التجربة ليرى الشاري هل هي تنام نوماً هادئاً أم ترعج أهل البيت بصياحها ورائحة جسمها

ولا حاجة الى القول بانه كان لجميع هذه الاعتبارات قيمة خاصة في المحاسبة . فتزيد قيمة الفتاة اذا كانت متعلمة مؤدبة أو كانت تحسن الرقص والغناء أو تتكلم فوق هذا اللغة التركية أو الفارسية أو العربية . وعلى كل لم تكن قيمة الفتاة دون ثلاثين أو خمسين ألف قرش . وكانت الاسعار على اعلاها يوم حظرت روسيا التجارة وأغرت سعيها تتعلق بعض الجواري

• • •

بهذه الطريقة وصل الكثيرون من القوقازيات الى قصور السلاطين وقصور الباشوات . وذلك غاية غايتهن ومسعى مصلحين . ومع ان كل قوقازية من الاسباب كانت تعلم بأنها لن ترى فيما بعد أهلها أو بلادها كان ذلك لا يرعبها قلامة ظفر بل بالعكس كان مدعاة فرحها وفخارها . وقد ثبت أن الكثيرات منهن كن اذا اريد التخلص منهن يوضعن في كيس (شوال) ويطرحن في البوسفور

وكان اللواتي ينتهين منهن الى حيرة السلطان يوضعن في مقصير خاصة وقد يشطرن اياماً كثيرة قبل أن يجيء دورهن لمقابلة السلطان . وكان يقام على حراستهن جماعة من خصيان من أخص خدم القصر ولا يؤذن لاحد من الرجال في رؤيتهن

وفي يوم زيارة السلطان للجديدات منهن كان حر الزيارة يرسل اليهن في وقت يتيح لهن الفرصة الكافية للاستعداد لمقابلة جلالته . فكانت كل منهن تقضي ذلك اليوم في تزيين جسمها وتسريح شعرها وعقص حدائقها وترجيح حاجبيها وتكحيل عينيها وتصح جسمها بالعطور المختلفة . وكانت تترقب دخول السلطان بقلب خافق وهن مضطربة وحل اصبحها أن تقع من نفس السلطان وقعاً حسناً فيتخذها زوجة شرعية وتصبح سلطانة (قادن)

وكان مشهد أولئك الفتيات وهن يستعددن لمقابلة السلطان مؤثراً للغاية . وكلهن في هرج

ومرج وقد علك منهن الاضطراب لسبب جهلهن ما هو محتمل في تبدلات الاقدار . وكان اضطرابهن يبلغ اقصاه عند دنو موعد الزيارة . فتقف كل منهن للمرة الاخيرة أمام المرآة لئلا يكون ثمة نقص في زينتها . وفي الواقع ان منظرهن في تلك الساعة والعطور الذكية تفوح منهن كان يذكر الناظر البين بحور الجنان

وأخيراً تدق الساعة فيدخل رئيس الخصيان (ويسمى قزلاغاسي) ويعلن قدوم جلالة الخليفة . ولا اسهل ادراك ما يحامر اولئك الكواعب من الهلع والاضطراب . ثم تزاح الستف ويدخل السلطان وكلهن واقفات امامه صامتات محنيات اعناقهن . وعند ان يجيل انظاره فيهن ملياً كأنه يتحسس جمالهن يلقي منديله على احداهن ويخرج . فيعرف الجميع أن خيار السلطان قد وقع عليها

* * *

على ان حكم الروس على القوقاز كان شؤماً على تلك البلاد فتشتت أهلها في جميع انحاء السلطنة ولا سيما بعد هلاك جلالهم « شامبل » . وذهب الكثيرون من اعيانهم للاقامة بالولايات التركية المختلفة . وما تزال بقية من احفادهم في ادنه وللوصل وحماة وبروسه وسيواس . إلا ان حوادث الدهر قد عبثت بهم . والمتاجرة بالقوقازيات قد زالت . ولم يبق من نسلهن الا مرات طوحت بهن الاقدار بعد زوال السلطنة فأقمن بمصر وسورية وبعض انحاء اوربا

أمثال وحكم غربية

* ليس للسعادة تاريخ ـ ليس للمسرات الحقيقية تاريخ
* انتصار الاوهام لا يدوم سوى يوم
* يجب على السجين الصبور ان تبقى على مقربة من الرصيف
* لا أثقل من السر
* الحياة لا تناقش من لا يخضع لها
* التربية عمل الصبر كله
* حيث تسود القوة فلا موضع للعقل
* المجاملة أنثى الحقد
* يصنع الحلم والليل ما لا يصنع العنف والشدة
* ما يأتي من الزمان يذهب الى الطل
* كل يوم قائم فله غد مشمس
* للتعدي أقل الناس صفحاً
* القوة لمن يثق به الجمهور
* لا يهم كيف يموت المرء بل كيف يعيش

المركيزة ده برانفيلييه
أكبر مجرمة في التاريخ

بقلم الاستاذ حسن الشريف

سر الصندوق الاحمر

في اليوم الثلاثين من شهر يوليو سنة ١٦٧٢ توفي الشماليه ده سانت كروا عشيقه باريس وقال الناس في تعليل موته الفجائي ان القناع الواقي سقط عن وجهه وهو يشتغل بعمله الكيميائي فتطايرت بعض السموم — ولا ندري كيف — الى أنفه وفمه فسقط على الارض جثة هامدة ولم ير أحد في هذه ليلته أي عراية لأن الرجل كان معروفاً باشتغاله « بالكيمياء » أي بعلم تحويل المعادن المبتذلة الى ذهب وفضة

وإذا كان ثبأ موت الشماليه الكيمياوي لم يحرك في قلب أحد من عارفيه أي عاطفة من عواطف الحزن والأسى ، فقد كان له على المركيزة ده برانفيلييه وقع أطار لبها وكاد يذهب بصوابها . ولا يتوهمن أحد أن المركيزة خليقة جزعت لأنها فجعت بفقد عشيقها المحبوب . فقد كان لها قلب لا يجزع لمثل تلك الصغائر ، وما جزعت لأن موت عاشقها جدد شرخ كما كانت تتوقع ، ولأنها لم تكن قد استطاعت بعد أن تتخلص صندوقاً سحرياً كان وجوده بين يديه سر عذابها وقلقها منذ سنوات وسبب هلعها واضطرابها ، هلعت ثبأ وجزعت . لكنها لم يكد هذا النبأ يبلغ أذنيها حتى انتفضت وقالت : « والصندوق الاحمر »

ليت شعري ما الذي كان يحويه هذا الصندوق الذي أثار اهتمام المركيزة الى هذا الحد ؟ أهي رسائل غرام تخشى من وراء ظهورها افتضاح علاقتها القديمة بالشماليه ؟ لا ! فان هذه العلاقة التي يرجع تاريخها الى أبعد من عشر سنوات كانت أشهر من أن تفضحها رسائل ، اذ لم تكن سراً مكتوماً عن الزوج أو غير الزوج ، ولأن المركيزة وزوجها لم يقصرا في الاعلان عنها بكافة وسائل الاعلان

اذن ما الذي كان يحويه الصندوق ؟ هذا هو السر الرهيب الذي لا يعلمه أحد غير شخص واحد اسمه « بريانكور » كان فيما مضى مربياً لأولاد المركيزة ثم تطورت علاقتها به حتى اصبح الى سلطة عاشقها الكبير وأصبح موضع ثقتها ومستودع أسرارها . لذلك عادت فأرسلت اليه كتاباً تتوسل فيه أن يسرع اليها أو يطير اذا وجد الى الطيران سبيلا ليفكرا معاً في طريقة لاستخلاص الصندوق من بيت الشماليه

ولكن الشماليه كان مغرقاً في الديون . فما اتصل نبأ وفاته بدائنيه حتى هرعوا الى السلطة المختصة التي استحثت سؤلهم ووضعت الاختام على حرائن الرجل وساعد بيته ، وبينما تأتي السلطات الأخرى فتحصر التركة حفظاً لحقوق الدائنين . وهكذا اضطرت المركيزة أن تصبر ثمانية أيام طوال أمضتها وهي تسائل القدر ما الذي ستطلع عليها به شمس الغد القريب

وفي الثامن من شهر أغسطس قصد المسيو بكار مندوب السلطة يصحبه ضابط من ضباط الامن ومحلان من مستحفظي المعهد ووكيل يمثل أرملة المتوفي ووكلاء يمثلون مصالح الهالكين . وقص المندوب الاختام عن الخزائن والأبواب ، وعلى مرأى من هؤلاء جميعاً أجريت عملية حصر التركة كما تجري عادة في مثل هذه الاحوال . وظل الزائرون يتنقلون من حجرة الى حجرة ويدونون كل ما يجدونه في طريقهم ، حتى وصلوا الى غرفة المعمل الكيميائي . وهناك ألفوا الى جانب الأنابيب والآنية والمستحضرات ، ورقة كبيرة قد لفت لفاً اسطوانياً داخل غلاف كتب عليه الشعاليه بخطه كلمة : « اعترافاتي »

تناول المسيو بكار الورقة واستشار الحاضرين في أمرها فأجمعوا على وجوب احترام سر المتوفى ، وألقوا بها الى النار فالتهمتها من غير أن يقرأها أحد . ولو ان المركيزة دى براهيليه كانت هناك وقتئذ وشاهدت اعترافات عاشقها تتلوى في اللهب لسرى عنها ولتنفست الصعداء ، بل لاطمأنت الى أن دليلا هاماً من أدلة اجرامها قد تحول الى رماد ودخان . ولكن اذا كان هذا الدليل الهام قد تبدد فقد بقيت أدلة أخرى لا تقل عنه أهمية وهمه لأدلة كامنة داخل الصندوق

أما الصندوق فكان صغير الحجم أحمر اللون مستطيل الشكل يحمل مصاصه معلقاً الى جانبه في خيط دقيق . ولما فتحه المسيو بكار الى فيه حفنة رجاجات صغيرة تحتوي على سوائل مختلفة الالوان ، وفي جانب هذه الزجاجات رسائل بخط المركيزة الى سوفي ووثقين تعترف المركيزة في احداها بأنها استدانت من الشعاليه خمسة وعشرين ألف ليرة وفي الثانية ثلاثين ألفاً . ووثيقة ثالثة موضوعها عشرة آلاف جنيه . سددتها المركيزة وروجها من شخص اسمه بيتوتيه بوساطة سانت كرواه . هذا وقد شبك بهذه الوثائق ورقة صغيرة كتب عليها الشعاليه بخطه ما معناه : انه يتوسل الى من يقع في هذا الصندوق ألا يحاول فتح ما فيه وأن يسلمه الى المركيزة دى براهيليه لأن كل ما فيه لا يهم أحداً سواها

قرائن وشبهات وظنون

ظل المسيو بكار يقلب الصندوق في يديه ويقرأ الورقة الصغيرة ثم يعيد قراءتها ويقلب الزجاجات الواحدة بعد الاخرى . وكأنما أوحى أسلوب الورقة الى الرجل ان في الأمر سراً فختم الصندوق وعهد به الى ضابط الامن ليحفظه حتى تتبين حقيقة ما تحتويه الزجاجات من السوائل المختلفة الالوان

عادت المركيزة بما كان فاعتراها شعور بالخوف والفزع ، ولكنها تمالكت واستجمعت شجاعتها وذهبت الى ضابط الامن في ساعة متأخرة من السهرة وقالت له في كثير من الكبرياء وعدم الاكتراث انها بحثت فلم تجد ان المسيو بكار قد حمل معه صندوقاً تركه المرحوم سانت كرواه باسمها ، ورجت منه أن يحترم وصية الميت وأن يسلمها الصندوق . فما أن الضابط اجابتها الى ما تريد ، حتى تناولت رهنه بشتى الوسائل فعرضت عليه رشوة خمسين ألف ليرة وليله يخطى فيها بخطها . ولكن الرجل لم يزدد حيال هذا الاغراء الا تأبياً ، ونصح لها في النهاية أن تذهب الى المسيو بكار لأنه صاحب الرأي الاعلى في الموضوع

وقصدت المركيزة محومتصف الليل الى بيت صندوب الشرطة طالبة مقابلته ، ولكن الرجل أرجأ اجابة طلبها الى اليوم التالي . وفي صبيحة ذلك اليوم التالي استدعى المسيو بيكار كلا من « بريانكور » والحامي « ديلامار » مندوبين من قبل المركيزة لاطلاعه برغبة تسليم الصندوق اليها تنفيذاً لوصية المرحوم . وكأن هذين المندوبين أثارا في نفس الرجل كثيراً من الشبهات فأصر على الاحتفاظ بالصندوق حتى يقف المحققون على ما فيه

وأدركت المركيزة أن لا أمل في نفي المسيو بيكار عما اعترم . وأيقنت أن لا خلاص لها إلا بالفرار فأخذت تتأهب له في سرعة طائشة لفتت اليها الانظار وأحاطتها بالريب ، اذ كانت في غفلتها واصفرارها تقصد بأمتعتها الى الشارع من بوابة البيت . وما وافت الساعة العاشرة من المساء حتى كانت في طريقها الى لوندرة هاربة من وجه العدالة ومن صرامة القانون

مضى شهر أو بعض الشهر على هذه الحوادث ثم تسلم النائب العام الصندوق الاحمر وعهد زجاجات السوائل الى الخبراء فحصوها وقرروا أنها تحتوي على سموم . وحربوا هذه السموم في حيوانات وطيور فكانت لا تلبث بعد استقراره في معدتها دقائق حتى تموت . ولكن الامر الذي أثار عجب الخبراء ودهشة الاطباء أنهم كانوا اذا سقوا طيراً أو حيواناً كمية من هذا السم وشرحوا جثته بعد موته ، لا يجدون أي أثر من آثار السم ولا أية علامة من علامات التسمم . حتى أنهم لما رفعوا تقريرهم الى النائب العام ذكروا أن من عادتهم أن يهتدوا بالسموم الى سر تركيب هذا السم العجيب ، وان هذا السم كان يتحدى كل تحليل وكل بحث وكل خبرة علمية ، لأنهم اذ استدلوا على خلطه بالماء طفا على سطحه ، واذ استعانوا بالنار حولته الى مادة جامدة غير ذات طعم ، واذا سقوا منه حيواناً احمق في اطعامه وجعه حتى لا يظهر منه أثر

وذاعت قصة الصندوق الاحمر وملأت الاسماع حتى لم يكن للباريزيين حديث الا حكاية السم الذي وجد في صندوق سانت كرواه . وعاد الناس يذكرون ما كان يقال في الماضي من أن مأتم بعض الاشخاص في خلال السنوات الاخيرة ولم تعلم اسبابها . وانطلقت الألسنة تردد اسماء سانت كرواه والمركيزة دي رانفليه وبريانكور كأنهم ابطال قصة واحدة أو شركاء في سلسلة من الجرائم مروعة . وفكر النائب العام في القاء القبض على المركيزة وشريكها ، ولكن حيثيات في الارستقراطية الباريسية من ناحية وعدم تقدم أحد بالشكوى من ناحية اخرى ، جعلاه يتردد في ذلك أو يرجئه حتى يستجمع من الأدلة — اذا كان ثم أدلة — ما يسمح له برفع الدعوى

* * *

حياة مركيزة

المركيزة دي رانفليه سليلة بيت من البيوت العريقة في الحسب ماتت أمها عقب مولدها وحالت مشاغل أبيه بينه وبين أن يعنى بتربيتها ، فنشئت كما شاءت رعاتها الفاسدة ان تنشأ وكانت طفولتها تكذيباً عملياً صارخاً لدعوى الفيلسوف روسو أن الانسان يولد خيراً بفطرته وان الوسط الاجتماعي يفسده . فلقد عرفت وهي بعد طفلة لم تتجاوز السابعة من سنيها ما لا تعرفه الفتيات عادة الا بعد

الزوج وذكرت في اعترافاتها أن أولى علاقاتها كانت مع أخويها . . . وظلت تنتقي من معاصرة لتتدى، معاصره حتى بلغت العشرين فوقع المركيز دي براغيليه في شرك جمالها أو في شرك مالها فتزوج بها رغم ما يعرفه ويعرفه سائر الناس من ماضيها وحاضرها

وكانما تم بين الزوجين التراضي على أن يغض كل منهما الطرف عن سلوك الآخر وعلى أن لا يتدخل في شؤون حياته الخاصة لا بالتصريح ولا بالتلميح . فذهب المركيز يمرح في حياة اللهو والترف ، ومضت المركيزة هي الاخرى تنتقل من عاشق يوم الى رفيق ليلة ، وتحيي تحت ستار التسامح الزوجي لمتبادل حياة الفحش والتذلل ، حتى وقعت على الشمالية ساس كرواه فالفت فيه الشاب القادر على اشباع مطالب الزوج و لجسد وولعت به وهام بها حتى صح الوسط الباريسي من عشقهما فرفع أبوها الأمر الى الملك لويس الرابع واستصدر منه أمراً بالقبض على الشمالية وسجنه في الباستيل

وبعد شهرين امضاها ساس كروا في السجن خرج متعطشاً الى غرامه وسرعان ما وصل الذي كان قد انقطع ، وعاد العاشقان سيرتهما الاولى . ولكن والد المركيزة وهو رجل له من المكانة الاجتماعية وشرف النفس ما لا يجعله يرضى أن تحيا ابنته هذه الحياة الدنسة بين سمعه وبصره ، كان يتهدد العشيق المحبوب بسجن جديد أو بما هو شر من السجن . لذلك فكرت المركيزة في التخلص من أبيها ليخلو لها وجه جديد وقد تعذب الخشب على ما فكرت فيه لتخلو له وجه تركة الواسعة التي سيخلفها ذلك الوالد الشيخ ، فتعود في لأمر فم ريثما تجد من السم وسيلة . وهداها الشمالية ـ وهو الكيمياوي الذي حذق من تركيب السموم ـ الى تركيب الذي وجد في الزجاجات الصغيرة وجار في وضعه الأطباء والجراحون ، وهنيأ عريضة يستغيث فيها من شره واخطاره

بيد ان المركيزة ، التي لم تكن بعد قد اطمأنت إلى مفعول ذلك السم ولا إلى نتائجه ، أشفقت على أبيها أن يكون موضوع تجربة قد تخفي ، وأبت أن يستخدم حيوان والطير وسائل للاختبار لانه لا بد أن يكون ثم فرق بين تأثير السموم في جسم الطير وجسم الانسان ، فتطوعت كمرضة في بعض المستشفيات . وهناك كانت تحنو على المرضى وتعطف على آلامهم وتسهر الليل إلى جانبهم تواسيهم بحلو الكلام وتسقيهم السم في أقداح الدواء . وهكذا استطاعت المركيزة النبيلة أن تتعلم في أولئك التعساء حساب كميات السم وما يجب أن يتحاش تعاطيها من الفئات . ولما وثقت من ان تركيب صديقها ساس كروا لا يخطيء ولا يرحم ، غادرت مهنة التمريض ولحقت بأبيها في مدينة كومبان فألفته مريضاً يستشفي وانتهزت الفرصة سانحة ، فصارت تقضي الليالي تحنو سريره تعالجه وتسقيه بيدها الدواء داعية له ـ والدموع تخنقها ـ عاجل الابلال وسريع الشفاء . وأصغت إلى حاجبه وهي تمرضه ـ كما اعترفت أمام القضاء فيما بعد ـ ثمانية وعشرين يوماً تجرعه في كل يوم منها جرعة من السم الزعاف

وقضى الأب نحبه وحامت حول موته شبهات واستدعي الأطباء لتشريح الجثة ولكنهم قرروا أن الموت طبيعي لا بد للاجرام فيه . وهكذا تخلص الجبان من الرقيب الخفي ، وآل إلى المركيزة صفت من تركة أبيها ورتعت وعاشقها في بحبوحة من الحرية والهناء ناسيين ان الله يمهل ولا يهمل وانه شديد الانتقام

وكان للمركيزة شقيقان، أحدهما مستشار بالقضاء والثاني نائب عام. وقد ورثا عن أبيهما القصر الذي يعيشان فيه معاً كما ورثا الجزء الأكبر من تركته. وكانت المركيزة قد أهملت في تعليمها من الثروة يد الاسراف والأتلاف حتى باتت من الافلاس أدنى من قاب قوسين، وكان لا بد لها من مورد جديد ترضي به حب صاحبها للمال. فرأت أنها أولى بمال أبيها من أخوتها وان هذا المال لا يتنقل اليها إلا بموتهما فعقدت النية على قتلهما

واستقر رأي الصاحبين على أن يجعلا في خدمة الاخوين خادماً كان يثقان به وقد اشتريا ضميره بالمال وأعرياه بأطيب الوعود وعهدا اليه بمهمة تسميم المستشار والنائب العام

انتقل الخادم «لاشوسيه» إلى قصر الشقيقين وحمل بثقاتهما في خدمتهما حتى حاز رضاءهما ثم بدأ يدس لهما السم في المأكل والمشرب رويداً رويداً. وأحدث صحة الاخوين تعتل وبنيتهما تضعف حتى مات الاكبر في شهر يوليو سنة ١٦٧٠ وعمل الاصغر يقاوم السم بمتانة تركيب بنيته والخادم لاشوسيه يضاعف له المقرر كل يوم ويكتب إلى المركيزة: «ان هذا الحيوان متشبث بالحياة ولا يريد أن يموت» وأخيراً تلاشت في الشاب قوة المقاومة ولحق بأخيه بعد ثلاثة شهور. وأبت سخرية الاقدار إلا أن يوصي الجزء من ماله مكافأة لهذا الخادم الأمين حراء ولائه وأمانته..

حقاً إن ربك لبالمرصاد! وما اعظم أن تجري عدالة الانسان في عراها، أحدث عدالة الله تعمل للاقتصاص من المجرمين بحذافيرهم. فان الخادم لاشوسيه أخذ يسر سرهما ويفاجئهما كل يوم بطلب مبلغ كبير من المال مهدداً بإبلاغ الأمر إلى القضاء. وراودت مضجعه فتسمع إلى جشع المركيزة وأبى إلا أن يكون له حظ ونصيب في هذا المال وكان من الشقاليه ما كان. وهذه العشرة الطويلة المملة وسئم التزام حالة واحدة، وولى وجهه شطر مال غيره حتى أودى به أو كاد. وهدأت المركيزة تشعر ببوادر الفاقة والاملاق والمصير الذي تشهد جانب من ناحية الرجلين، فتملت عليها وهأة العيش وباتت حياتها عذاباً اليما وجحيماً لا يطاق

ونفد المال ولم تعد مطامع الشقاليه فكتب وثيقتين مختمة وحبس الف لرة وهما الثانية وحدهما مندوب السلطة في صندوق السموم. وكانت المركيزة تعلم ان شريكها محتفظ بتلك الرسائل داخل الصندوق فألحت عليه وألحفت لبسلها إياه، ثم بكت وتوسلت، ثم أرعدت وأزبدت، ثم هددت بالقتل أو بالانتحار، ولكن ذهب كل هذا الماء هباء. وأبى الشقاليه إلا أن يحتفظ بصندوقه الفياض بالاسرار

ولقد شرعت المركيزة يوماً في تسميم صاحبها فوضعت له من سائله في الطعام ولكن صاحبها — وهو كيمياوي ماهر — كان يعرف نباتها فيأخذ حذره منها يتناول أنواع شتى من الترياق

فلما يئست من قتله شرعت تؤمه انها أزمعت الانتحار فتناولت أمامه كمية من السم بادرت بعد تناولها الى استيعاب كمية وافرة من اللبن لوقف مفعول السائل القاتل. وهكذا قضى على هذين الرفيقين اللذين ترتبط كلا منهما بالآخر رغم أنف رابطة الجريمة أن يعيشا عشة الخوف والخذر وأن يقبا في هذا الجحيم الذي كانت تخفيه عن أعين الناس مظاهر الحب والترف

وكان للركيزة اطمأنت الى أن يد العدالة أقصر من أن تمتد اليها فصارت تسعى بجرائمها وتتوج شرها لمن تتقى بهم من القريبين اليها حتى انها قالت يوماً لخادمتها وهي تشير الى صندوق السموم : « ان في هذا الصندوق ما يكفي من الانتقام من كل أعدائي . آه لو كنت تعلمين كم في هذا الصندوق من تركات ! . . . » وظلت صورة هذا الصندوق ماثلة بذاكرة الخادمة حتى انها اعترفت وهي تؤدي شهادتها أمام القضاء « بصندوق التركات » . كذلك أهدت الركيزة شرها الى مرتي أولادها بريانكور ووقفته على جرائمها النفسية وعلى مشروعاتها القتلة وحول مشروعاتها لقتلة لانها كانت قد عزمت أن تسمم أختها وزوجة أخيها وكادت تنفذ ما اعتزمت لولا أن سبقها بريانكور وبادر بتسميم المرأتين من شر ما تدبره له صديقه الفاجرة

ولقد حقدت الركيزة على بريانكور لانه حال بينها وبين اشباع شهوة الاجرام في نفسها فآلت أن تنتقم منه وآنس الرجل منها هذه الآلية فكان يحص معدته وأمعاءه بأنواع من الترياق ويجعل حذراً لا يفارقه واستطاع بفضل هذه الاحتياطات أن ينجو من السم مرتين ومن شروع في قتله بالسكين مرة ثالثة وأخيراً تراءى له ان خير ما يفعل أن يرحل ، فرحل الى مدينة بعيدة لا تنفعه فيها سموم الركيزة ولا خناجرها

وللقارىء أن يتساءل ماذا كان من أمر الزوج أي الركيزة دي براغيليه في هذا البيت العجيب والحقيقة ان الرجل كان يحس في نفسه عند كل من يمسه طعاماً أو شراباً بسمه من روحه ما أصاب غيره فكان يداريها ويحتاط لسلامته منها ولا يهمه الا أن يصرف عن التفكير فيه الى ما سواه . وكان اذا حس الى معدته شرع يتقيأ ما تناول من الترياق ويقف حذره فلا يقدم له الا لون ولماء ولا يسمح لخادمه بتناول هذا العمل . ويظهر ان هذه الاحتياطات لم تكن في غير محلها لان الركيزة كما يقول مراراً لم تحص منه هو أو حرمه الا بعد طول التروج بالشعاليه سمات كرواه . ولكن كان الشعاليه قد حبس عند الركيزة غير راضٍ عن هذا الزواج والملك وأبيه يحرض على حياة الزوج ويبعث الخضرات المكبريتية بين يديه تشم روحه ويحذره منها كلما رآها قادمة على أكله

واستمرت هذه الحياة العربية سنوات ولا شك انها كانت تمتد الى أكثر من ذلك لولا أن بلغت الركيزة من الشعاليه سمات كرواه فصمت الى تسميمه بطريقة لم يعرف كيف يحتمي منها فمات وظهر صندوق السموم فأرسل ظهوره على حقيقة مأساة تتدعاً ضئيلاً من النور استطاعت العدالة أن تسير وراءه حتى استكشفت الحقيقة فبدت لها مأكملها هائلة مروعة

• • •

القبض والمحاكمة

تركت الركيزة في طريقها الى لوندرة عبرة من وحي العدالة وصرامة القانون وقلنا ان الشاب العالم كان يستجمع الأدلة التي تبرر القبض على الركيزة وشركائها والآن نقول ان الصدفة قد أتاحت له تلك الأدلة من حيث لا يحتسب

ذلك ان الخادم لاشوسيه الذي كان قد احتق في يوم من الايام واتحت آثاره ظهر فجأة يطالب الحكومة بمبلغ من المال يزعم انه كان قد تركه وديعة عند سيده سنة كروا . واتهز النائب العام الفرصة . وكان يجهل كل شيء من الدور الذي لعبه الخادم فيما سردنا من الحوادث — وسأله عرضاً عما يعرفه عن صندوق السموم ، فظن لاشوسيه ان السر انكشف وان شركاءه اعترفوا بما اقترفوا فحملق في وجه المحقق وتمتم بكلمات لا تسمع ثم نظر حوله وأطلق ساقيه للريح . ولث المحقق مذهولاً من هذا الفرار الغريب ثم رأى أن لابد من أن يكون في الامر سر فأمر بالقبض على الخادم وطلب الشرطة تبحث عنه أينما حل وحدته محبساً باحدى الحجر السفلية في بيت مهجور

وفي الوقت نفسه كانت زوجة أخي المركيز قد رفعت شكواها الى القضاء تتهمها بتسمم أخيها وبالشروع في تسميمها واستشهدت بريانكور الذي ما عتم حتى مات في قبضة المحققين وهكذا انفتح باب القضية على مصراعيه

أما الخادم لاشوسيه فقد أنكر وأصر على انكار كل ما نسب اليه وتحمل كل انواع التعذيب لحمله على الاقرار في صبر وثبات . ولكن أدلة الاتهام تكاثرت عليه من كل صوب حتى اقتنعت بها المحكمة فأصدرت عليه حكمها بالاعدام وهو يصيح « أنا بريء ، أنا بريء » ولكنه لما ألفى نفسه أمام الموت وأيقن أن الانكار لا يجدي ولا يفيد وطلب أن يرى القسيس حتى يعترف بما يعلم وهناك امام القضاء أقر بكل ما وقع منه . وقدم اقراره الخصمه على المركيز دي كامبيه

وقضت السلطات على المركيز في ١٦ يوليه ١٦٧٦ بعد ان اعتبرت اعترافات تصلاً لمن يبحثون عنها وحيث بها محمورة برهط من حند وضباط الامن مدججين بالسلاح ولم يكن مسيرها من لياج الى باريس أمراً ميسوراً . فقد حاولت أن ترشو حراسها فأبوا ، ومن المحاولات من انفراد فلم تفلح . وحاولت الافلات منهم بأن قطعت واحدة من الطرق التي يسلكها الجنود بعربتها فيها وامتطت أحد هذه الخيول وحملت تعدو به والحراس يعدون في أثرها حتى لحقوا بها وكبلوها . وحاولت أن تنتحر بأن كسرت قدحاً من الزجاج كانت تشرب فيه وأرادت أن تبتلع شظاياه . وأخيراً قدمت الى المحاكمة التي استغرقت اثنتين وعشرين جلسة ادهشت في خلالها القضاة ثباتها واصرارها على الانكار في ابهة وترفع وكبرياء . ولكن ماذا ينفع الانكار والأدلة الناطقة تنصب عليها من كل ناحية ؟ لقد وقف صديقها بريانكور ثلاث عشرة ساعة تقص على القضاة سيرة المركيزة ومغامراتها ويقضي اليهم بكل ما يعلمه من أمرها وهي تنهال عليه سباً وشتماً وتقول : « كيف ترضى المحكمة ان تستمع الى هذا الخادم الحقير الكفر الذي طردته من خدمتي لجاء اليوم يريد أن يروي عليه من دعي ؟ »

وبعد أن سرد بريانكور كيف سممت أباها وأخويها وكيف حاولت أن تسمم أختها وزوجة أخيها وكيف قضت على الشمالية سانت كروا ، روى لهم واقعة تتعلق بشخصه فقال : « كنت مصغي مربياً لأولاد المركيزة أسكن الدور العلوي من بيتها . وقد أحبتني ذات ليلة أنها دثرت سريراً جديداً ذا ستار جميلة وقالت إنها تتمنى لو أكون أول من يبيت معها فيه ، ودعتني الى أن أواقيها في غرفة نومها على شرط ألا يكون ذلك قبل منتصف الليل ، بيد أن علمي بالاخطار

الي تهددني من هذه المرأة خلني أترك حجرتي قبل الموعد لأرقب ما يجري في البيت . ووقعت أنظاري على عرقتها من احدى النوافذ المقابلة لها فالفيت التركيزة تسرح جاديها وتشرع في خلع ثيابها . ولشد ما كانت دهشتي لما رأيت مصراعي « الفرونة » التي بداري للدفأ قد انفتحا وخرج من بينهما الشمالية سافرة تحمل في يده حجراً وقد عبر بالاصباغ معالم وجهه وارتدى ثياباً تشبه ثياب أوباش المدينة . وظل الاثنان يتحادثان برهة ويتهامسان أخرى ثم عاد الشمالية إلى عشه وفتحت التركيزة باب غرفتها وتدلي لأهبط اليها . دخلت الغرفة وأوصدت التركيزة بابها وتظاهرت بأنها تريد أن تستلقي في السرير ثم لاحظت اضطرابي فسألتني عما بي . وعندئذ بتعدت عن السرير وتناولت من حزامي حجراً وهجمت على للدفأ وأنا أقول : « ما أهلك أيتها المرأة ! ماذا جنيت عليك حتى تريدي قتلي » وعندئذ خرج الشمالية سافراً كرواه من الدفأ ولما أصبر الخنجر في يدي فتح الباب وولى الأدبار . والتفت إلى التركيزة فوجدتها تبكي وتنتحب وتقول انها لا تستطيع الحياة بعد هذه الخيبة وعمدت إلى المقعدة وتناولت من فوقها زجاجة من زجاجات السم وأرادت أن تبتلع ما فيها لولا بيني وبين ما تريد »

وكان لتلك الشهادة الطويلة أثر بالغ في تكوين رأي القضاة حتى ان الدفاع الذي دافع به عنها محاميها لم يطلع في الاغلال من شأنها وصدر حكم المحكمة بادانتها بقتل أبيها وأخويها والشمالية سافراً وكثير من أرضي مستشفيات وأبيها شرعت في قتل أمها وزوجة أخيها وبريانكور وقضى الحكم بأن تكفر عن ذنوبها الكفارة الواجبة على أمثالها كبيرة « وترداد » وذلك بأن يسار بها في عربة مكشوفة إلى ميدان الكاتدرائية حاملة المقعدة الذهبية بيديها وعلى عنقها الشعر مربوطة بحبل يصل عنقها بمقعدها حاملة مشعلا مضيئا ثم تجثو على ركبتها وتعترف أمام الناس بما اقترفته من الآثام وإلا فكرة على الاعتراف تكل وتسلم المقعدة التي كانت تجلس عليها التعذيب ثم تقطع رأسها بحد السيف وتحرق جسدها وتذرى بقاياه في الهواء

أعيدت التركيزة إلى حكم وهو يبلى عليها وعدت أن عاد عليها الكرة مرة أخرى ثم أعدت أن لا حاجة إلى تعذيبها لانها ستعترف بكل شيء . وبهت واقفة وأعدت إلى المحكمة بكل جرائمها وقررت أن لا شريك لها غير لاشوسيه وسانت كروا وان السم الذي كانت تستخدمه خليط من ماء النار وازرنيخ وسائل تستخرجه من نوع خاص من الضفادع

ولكن المحكمة حيال بشاعة تلك الجرائم وعددها لم تشأ أن ترحمها من التعذيب راغمة ان التعذيب قد يكرهها على الافشاء بأسماء غير من ذكرتهم من شركائها وأعوانها في الاجرام

وفي أصيل يوم من أيام شهر يونيو عام ١٦٧٦ حملت التركيزة دي براغيليه فوق مركبة المجرمين إلى ساحة كنيسة نوتردام تحمل في احدى يديها مشعلا مضيئا وفي الاخرى صليباً وقد اصطفت الجماهير على جانبي الطريق وامتلأت نوافذ البيوت المجاورة وشرفاتها بجموع النظارة والمتفرجين . ونزلت التركيزة من العربة مكبلة اليدين والقدمين معلقة العنق وصعدت فوق السلم وجثت على ركبتيها وقبلت الصليب وهوى الجلاد بسيفه فأزهق روحاً تستحق أن يعرد لها مآت في تاريخ الاجرام

حسن الشريف

التوائم وبعض ظواهرهم المدهشة

أحدث الآراء العلمية في التوائم

التوءم من جميع الحيوان هو المولود مع غيره في بطن واحد من الاثنين فصاعداً ـ ذكراً أم أنثى. والتوءم في الانسان وعان يعرف أحدهما بالطبعيين أو الاعتياديين والآخر بالمتماثلين. والمتماثلون هم المتشابهون ليس في شكلهم الخارجي فقط بل في ميولهم وأذواقهم وعواطفهم ومشاعرهم أيضاً . وما يزال أمرهم لغزاً من الغاز الطبيعة يحاول العلماء استجلاءه . ويؤخذ من أحدث المباحث في هذا الشأن أن الوراثة هي العامل الاكراندي يتحكم باعمال التوائم المتماثلين وأن تأثير البيئة فيهم ضعيف لا يكاد يذكر

وتفصيل ذلك أن الكثيرين من علماء الاجتماع يعللون أعمال المرء وسلوكه بالبيئة ويقولون بان المرء عند ما . ويذهب بعضهم الى أبعد من ذلك فيقولون إن عامل البيئة هو أقوى من عامل الوراثة بدليل أنك اذا أخذت أخوين مولودين من أب مجرم ووضعت كلا منهما في بيئة تختلف [illegible] فاذا نشأ أحدهما في جو مشبع بالاجرام والآخر في وسط بعيد عنه [illegible] كما يبغيه وبث [illegible] للقانون كارهاً للاجرام

على أن فريقاً من العلماء ينكرون ذلك ويقولون إن عامل الوراثة أقوى من عامل البيئة فاذا روضت الحيوان الوحشي مثلا وجعلته في بيئة غير التي نشأ عليها في الأصل لم يلبث عند سنوح أول فرصة أن يرجع الى حالته الوحشية الساذجة

ذلك لأن عامل الوراثة قوي جداً يتحكم في الانسان والحيوان ويسيرهما تسييراً قاهراً

ويظهر الآن أن لعامل الوراثة تأثيراً كبيراً في ما يأتيه التوائم من الاعمال التي يتعذر تعليلها . فقد قام العلماء حديثاً في المانيا بطائفة من التجارب العلمية في توائم متماثلين منفصلين بعضهم عن بعض بابعاد شاسعة فثبت أنهم كانوا يشعرون في وقت واحد شعوراً متماثلا ويعملون أعمالاً متماثلة

من ذلك تجربة قام بها عالم ألماني في أخوين توءمين كان أحدهما قد انفصل عن الآخر في السنة الثالثة بعد ولادتهما ولم تتح بينهما صلة . ومع ذلك كانا يشعران شعوراً واحداً ويفكران في أمور متماثلة . وكان سلوكهما وحركاتهما وسكناتهما واحدة مع أن مسافة شاسعة كانت تفصل بينهما

وجمع العالم الالماني المذكور معلومات وشواهد كثيرة تدل على شدة الارتباط بين التوائم

المتماثلين ولو كانوا منفصلين بعضهم عن بعض بأبعاد شاسعة . والتعليل الوحيد الذي انتهوا اليه يدل على عظم تأثير الوراثة كما سبق القول

وذكرت احدى المجلات العلمية الانجليزية أن محاكم لندن نظرت أخيراً في قضية طلاق غريبة . ذلك أن أخوين توءمين كانا قد تزوجا في لندن في يوم واحد وبعد أن أقام كل منهما مع زوجته مدة وجيزة أقامت زوجته الدعوى عليه تطلب الطلاق منه . وأقيمت الدعوى في يوم واحد على غير اتفاق . وكانت الشكوى المقدمة من الزوجتين متماثلة والعيوب المشكو منها واحدة . وصدر الحكم بالطلاق في يوم واحد

وفي هذا شيء من الغرابة لانه اذا كان التوءمان متهمين بعيوب وهنات متماثلة وحدت فيهما بالوراثة فما هو العامل الذي دفع زوجتيهما الى اقامة الدعوى في يوم واحد ؟ وما الذي حمل المحاكم أن تصدر حكمها في يوم واحد ؟

ويؤخذ من أقوال المجلة التي نقلنا عنها هذا الخبر أن كلا الاخوين كان منهما بالبرق وشدة الغيرة وسرعة اليأس والملل وغير ذلك

وهنالك مئات من الامثلة تدل على أن عامل الوراثة هو سبب تشابه الاعمال والعواطف في التوائم المتماثلة . وان تأثير البيئة ضعيف جداً لا يحدر بالاهتمام

ومن أغرب ما شوهد في التوائم متماثلين ان بعض اعضائهم يكون في اغلب الاحيان متماثلة . ويقول الاستاذ كارل لوغ العالم الالماني ان التوائم المتماثلين لو كانوا منفصلين بعضهم عن بعض بمسافات شاسعة يشعرون شعوراً واحداً ويصابون بالامراض والآلام في وقت واحد ويأتون اعمالاً متماثلة في دقيقة واحدة . وذكر هذا العالم ايضاً انه فحص ستة وعشرين توءماً متماثلين كانوا منفصلين بعضهم عن بعض . فظهر له ان عشرة « ازواج » منهم — اي عشرين توأماً — نشأوا مجرمين وارتكبوا جرائم متماثلة في وقت واحد فحوكموا وحكم عليهم في ميعاد واحد . اما الباقون فلم يكونوا يميلون الى الاجرام وكان آباؤهم من احسن الناس مراعاة للقانون

ويقول الاستاذ كارل لانج ايضاً ان التوائم المتماثلين يكونون عادة من جنس واحد — ذكراً او انثى — وقلما يكونون من جنسين مختلفين

وفحص احد الاطباء الانجليز توءمين متماثلين كان احدهما منفصلا عن الآخر والمسافة بينهما نحو مائة ميل (مائة وستين كيلو متراً) وكانت المخابرات بينهما قد انقطعت منذ زمان وكل منهما يجهل مقر الآخر ومع ذلك هجر كل منهما محل عمله في يوم واحد ودخل المستشفى في تاريخ واحد لاجراء عملية الزائدة الدودية وبعد ان شفيا خرجا من المستشفى في يوم واحد

وذكر هذا الطبيب ايضاً حادثاً جرى لتوءمين آخرين متماثلين كان كل منهما يسكن في بلدة بعيداً عن الآخر وليس بين الاثنين صلة أو مكاتبة . ومع ذلك نشأ كلاهما لصاً . وارتكب كلاهما سرقات وجرائم في تواريخ متماثلة . وأغرب من ذلك انهما سرقا من فرعي بنك واحد في ليلة واحدة مبلغاً واحداً من المال . وسرقا بعد ذلك عدة مصارف متعادلة في تواريخ متماثلة . واخيراً سقطا في قبضة البوليس في يوم واحد وثبت أن كليهما كان قبيل القبض عليه بقليل يعاني الم صداع شديد منعه من احكام تدبير الفرار

وذكر الاستاذ نيومان الامريكي — وهو من كبار الباحثين في شؤون التوائم — انه قام بعدة تجارب للمقارنة بين عاملي البيئة والوراثة . من ذلك انه اخذ توءمين متماثلين فوضع احدهما في احدى المدن الكبرى والآخر في احدى قرى الارياف . وحاول تعليم كل منهما فناً مختلفاً . ولكنه لم يفلح اذ كان كلا الاخوين ينفر من ذلك . ولم ينقض العام على الاخوين حتى ظهر الضعف والخمول على كل منهما . وسبب ذلك على ما يقول نيومان ارغامهما على الاقامة ببيئة مختلفة

وذكر هذا الاستاذ ايضاً حكايه توءمين متماثلين كان كل منهما يقيم بعيداً عن الآخر وليس بينهما اتصال او مخابرة . وكان الاثنان يصابان بمرض معين في مواعيد واحدة وتشفيان منها في وقت واحد . وقد دخلا المستشفى مرة في يوم واحد وخرجا منه في يوم واحد

وكان هذين التوءمين يحبان نوعاً واحداً من الطعام ويكرهان نوعاً آخر فكانا يختاران اطعمة بعينها ويأكلان في اوقات واحدة ويلبسان ثياباً متشابهة ويمارسان اي لعب رياضة واحدة . وبعد ان عاشا اربعين سنة توفي كلاهما في يوم واحد . وهذا من اغرب ما عرف في تاريخ التوائم

وذكر نيومان أيضاً أن أختين توءمتين كانتا تعيشان بعيدتين احداهما عن الاخرى وبينهما تشابه عجيب في الشكل والثياب والميول والاذواق . وكانتا تفكران دائماً في أشياء متماثلة حتى كانت كل منهما تعرف ما يجول بفكر أختها تماماً . وقد فحصهما نيومان فحصاً دقيقاً حتى خيل اليه في أول الامر ان معرفة كل منهما لما يجول بفكر الاخرى انما كان بواسطة الاستيحاء أو التنويم المغناطيسي . ولكنه علم فيما بعد ان الامر لم يكن كذلك وان عامل الوراثة وحده هو الذي كان يتحكم بافكار الاختين وميولها وعواطفهما وأذواقهما فيجعلها متماثلة ويحملها على الظهور في الاختين في وقت واحد

وذكر بعضهم حوادث كثيرة مدهشة من هذا القبيل . منها حادث توءمين متماثلين كانا يدرسان معاً في مدرسة واحدة . وكانت قواهما العقلية شديدة التماثل حتى أنهما اذا جلسا الى الامتحانات كانت اجاباتهما وأعلاطهما واحدة . وقد طن أحد أساتذتهما في أول الامر أنهما

يشتركان في الامتحان وينفي أحدهما عن الآخر . ولكن ثبت له فيما بعد ان الامر على خلاف ذلك وأن كلا منهما كان يجلس في الامتحانات بدلاً عن الآخر

ومن أعظم الثقات الحالين في مسألة التوائم الدكتور هرولد جونسن الانجليزي ومساعده باول ويلسون . وقد لخصا عدة مئات من التوائم انتهيا منها الى تقرير هذا المبدأ وهو ان القوى العقلية — وما يتبعها من ذكاء أو خمول أو ما أشبه — هي خاصة لعامل الوراثة لا لعامل البيئة وان الوراثة وحدها هي التي تتحكم بأعمال التوائم المتماثلين. فاذا فكر التوءمان في شيء واحد أو مالا الى شيء واحد أو هربا منه أو قاما بعمل متماثل ، فما ذلك الا لانهما خاضعان في أعمالها وأفكارها لعامل واحد هو الوراثة . ومع ذلك ما زال العلماء يقومون بتجارب واسعة النطاق لاستجلاء حقيقة هذا السر . وقد يمر زمن طويل قبل ان يتمكنوا من استجلائه

واخترع بعضهم آلات دقيقة لقياس الزمن الذي يستغرقه انتقال الفكر أو الشعور (كانتقال الصوت مثلا من الاذن الى الدماغ) وهذه الآلات تستعمل اليوم لقياس سرعة الفكر أو الشعور في التوائم الاعتياديين والمتماثلين

وقرأنا في احدى الصحف عن توءمين متماثلين هما الآنسة هيلدا هاروب والآنسة ايزي هاروب من بلدة رودرهام بانجلترا) كانا متشابهين في كل شيء حتى ان والديهما كانا يعجزان عن التمييز بينهما . وأخيراً سافرت كل منهما الى مدينة طلباً للرزق واعطيت المكانات بينهما وبعد زمن تزوجت كل منهما في يوم واحد وكان زوج كل منهما يدعى طمسون ! وهذا من أغرب ما قرأناه من قصص التوائم

وكثيراً ما كانت التوائم سبب متاعب ومشاكل لا حد لها . بل ان مجرد وجود شبه بين شخصين قد يؤدي الى متاعب كثيرة . فقد يرتكب أحدهم جريمة فتوجه التهمة الى شخص يشبهه ، بل قد تثبت التهمة على البريء لعلة سوى أنه يشبه المجرم الحقيقي . ومما يزيد الطين بلة ان بصمات أصابع التوائم المتماثلين هي متماثلة بحيث قد يذهب البريء بجريرة المذنب

رقي .. أم حضارة كاذبة؟..

هل نحن أفضل من أسلافنا ؟

عن مقالة للدكتور « ويل دورانت » الكاتب الاميركي الكبير

قال فولتير : « اذا أردت أن تجادلني فحدد معنى كل كلمة تقولها » وعلى اذا أردت أن تجادل الذين ينكرون حقيقة الرقي أو يؤمنون بها وجب أن تحدد معنى الرقي وتبين ماحي الحياة التي يشملها ـ أو لا يشملها ـ وهل هو يتناول العقل أم الدين أم الاداب أم النظم العمراني أم شيئاً آخر

قد يزعم البعض أن من مقتضيات الرقي زيادة الثروة أو السعادة . وليس ثمة زعم أبعد عن الحقيقة من هذا الزعم. فلا الثروة ولا السعادة هما من أركان الرقي . اذ قد يكون الفقير أو البائس أكثر رقياً من صاحب الثروة أو من الرجل السعيد

إذن ما هو الرقي ؟

هو ازدياد تحكم الانسان بالبيئة المحيطة به . أو هو سيطرة العقل على الغوغى وسيطرة الارادة على المادة

وليس من الضروري أن يكون الرقي مطرداً أو مستمراً . فقد تتخلله فترات وعقبات تعترض سيره وترجعه ـ ولو مؤقتاً ـ الى الوراء . كما حدث في العصور التي سقطت فيها روما كما كاد يباد الحضارة بنهار وصرحها ينهدم . ولكن تلك العصور كانت فترات مظلمة أو كانت كسحابة صيف ما لبثت ان تقشعت واستأنف تيار الرقي سيره

فالحالات الوقتية الطارئة ليست دليلا على منع الرقي . وما يدل على ذلك هو المستوى البياني . وهذا يدلنا على اننا اذا أردنا أن نقارن بين رقي أمتين مختلفتين وجب أن نقارنهما وهما في مستوى واحد من العمر فلا نقارن احداهما وهي في أول أدوار نهضتها بالاخرى وقد بلغت من العمر عتياً . كما انه ليس من العدل أن نقارن أحسن ما في الأمة الأولى بأردأ ما في الامة الثانية . ولا أن نقارن بين مظاهر مختلفة من الرقي . فقد تكون احدى الأمتين غنية بالعلماء والشعراء والاخرى بالمهندسين والمصورين . فالمقارنة في هذه الحالة غير عادلة ولا يصح القيام بها الا اذا استوت المظاهر

فالمشكلة التي أمامنا هي هل ان مجموع قوى الانسان العقلية والادبية في الوقت الحاضر هو في مستوى أرقى مما كان عليه مجموع تلك القوى في الازمنة الغابرة ؟

مقياس الرقي

اذا قابلنا حضارة الزمن الحاضر ـ مع كل مساوئها ـ بحضارة الزمن الغابر وما كانت تنطوي عليه من جهل وقسوة وأوهام وأمراض ونقائص وجدنا اننا أحسن حالا من أسلافنا وأرقى مستوى . نعم إن أحط الطبقات البشرية في الوقت الحاضر قد لا تكون أفضل من أرقى طبقات

الشعوب العابرة . ولكن القارىء بوجه الاجمال تمل على أننا أفضل حالاً وأعلى مستوى من تلك الشعوب . وما علينا الا أن نلقي نظرة على القبائل المتوحشة في الوقت الحاضر لنعلم ما كانت تعانيه الشعوب العابرة من جراء الامراض وضعف القوى الجسمية والعقلية

ثم قد تغيرت القبائل المتوحشة بكثير من مساوىء حديثنا الحضرة ومن كثرة انتشار الحروب وسفك الدماء و جرائم والثورات بيد واننا أحد الرأي على السعادة مما كان أسلافنا . ولكن مايقتني من حسنات الحضارة عند طرح تلك المساوىء يترك في مستوى رقي مما كانت فيه الشعوب العابرة والسعادة من مستلزمات الرقي الحقيقي ولكنها تقوم على ثلاثة أركان هي الثروة ، والصحة، والحب. وفي جميع هذه الاركان نحن أفضل حالاً من أسلافنا وان تكن سعادتهم في ذلك العصر قائمة على جهلهم بحقيقة حالتهم . بل اننا أفضل منهم في الصحة مع ان الاعتقاد السائد بين العامة هو أن الشعوب العابرة كانت أقوى منا بنية

وفي الواقع أن الناس في تلك الازمنة كانوا يموتون بامراض لا يعرفون اسمها . ولذلك لا نرى ذكراً للامراض في سجلاتهم الا فيما ندر

وهنالك حقيقة لا شك فيها وهي أن متوسط عمر الانسان قد زاد في هذا العصر زيادة حقيقية. ولا تزال هذه الزيادة مطردة . والدليل على ذلك احصاءات شركات التأمين في مختلف البلدان . وأنت تعلم شدة تدقيق تلك الشركات في كل ما يتعلق بمتوسط العمر

تدل الاحصاءات في سويسرا مثلاً على أن متوسط عمر الفرد في هذا القرن السابع عشر (سنة ١٦٠١) كان عشرين سنة بينما كان الرجل العادي يزيد في مستهل هذا القرن الى أربعين سنة

وكان متوسط العمر في انجلترا في سنة ١٥٧٠ الى ١٦٢٠ وخمس سنة فزاد في سنة ١٩٢٦ الى ست وخمسين

وتقول الاحصاءات الالمانية الرسمية إن متوسط عمر الانسان في المانيا كان عشرين سنة في سنة ١٥٢٠ وثلاثين في سنة ١٧٥٠ وأربعين في سنة ١٨٧٠ وخمسين في سنة ١٩١٠ وستين في سنة ١٩٢٠

فاذا صدقنا هذه الاحصاءات علمنا أن متوسط عمر الانسان آخذ في الزيادة وأن هذه الزيادة مطردة في جميع البلدان (١)

أطوار الرقي

اذا نظرنا الى التاريخ وجدناه أشبه بخط متعرج يرتفع وينحط ويستقيم ويتعرج دليلاً على نهوض الممالك وسقوطها أو استمرارها بين الموت والحياة. وفي الواقع أن تاريخ البشر هو مجموعة حوادث مرتبطة بعضها ببعض . ومنها ما يعتبر مراحل فاصلة في خط سير الانسان ووصوله الى القمة

(١) مما يجدر بالذكر في هذا المقام ان طائفة من « الخانوتية » وحفاري القبور في بعض مدن الولايات المتحدة عقدوا مؤتمراً لبحث في حالتهم وفي كساد تجارتهم . . . .

الحاضرة ، وسنذكر ذلك فيما يلي أهم تلك المراحل وجميعها تدل على أن رقي الانسان حقيقة لا خرافة

الطور الاول ـ الكلام

فالطور الاول من تلك الاطوار هو الكلام . والكلام لم يوح به الى الانسان دفعة بل نشأ شيئاً فشيئاً تدريجياً من أصوات ونبرات متقطعة الى كلمات دلت معنى مفهوم . ولا شك ان الحيوانات تتخاطب بأصوات لا نفهم معناها . ولو ان اللغة لم تنشأ والانسان لم يتحكم بملكة الكلام ما كان ثمة علوم ولا تاريخ ولا فلسفة ولا فن . بل لولا الكلام ما كان الرجل رجلا والمرأة امرأة

الطور الثاني ـ النار

كان للنار فضل عظيم على الانسان لانها ساعدت على تحقيق رقيه ، وذلك بجعله مستقلا عن عوامل الجو وبمساعدته على تسيير المواد للتغذية وصنع الآلات المختلفة وبطبخ الطعام الذي ما كان ليؤكل لولا النار . ومن النار أيضاً نشأ النور الصناعي فصار المرء يستطيع السير في الظلام بعد أن كان يخشاه ويأوي الى مضجعه بعد غروب الشمس

الطور الثالث ـ التغلب على الحيوان

كان الانسان في أول عهده يخشى معظم الحيوانات فطبيعته ويحث على النجاة من أذاها ، بما مزاوله من أعمالها أو بتحصنه في موضع يأمن فيه وصولها اليه . أما اليوم فقد صبح الحيوان هو الذي يخشى الانسان ويفر من أمامه . ويرجع انتصار الانسان على الحيوان الى قوة العقل ورقيه على مر الاحقاب . ولولا نشوء العقل ما استطاع الانسان أن يستخدم الحيوان كما استخدم جميع قوى الطبيعة وسخرها لمنفعته

الطور الرابع ـ الزراعة

ولو بقي الانسان في طور بداوته يعيش على صيد الحيوانات فقط ما بلغ المرحلة التي بلغها من الرقي فيما بعد . إلا انه لحسن الحظ تعلم كيف يستغل الارض ويزرع ما هو في حاجة اليه من المواد الغذائية . وليس ذلك فقط بل تعلم بالاختبار ما يحتاج اليه الحيوان أيضاً من الغذاء النباتي . ولم يكن لهذا عن تربية الحيوانات الداجنة للانتفاع بلحومها وألبانها وجلودها وما الى ذلك . وقد نال ما هو في حاجة اليه بفضل الزراعة التي صرف اليها جهوده

ويعتقد الكثيرون من علماء الاقتصاد والاجتماع ان الزراعة هي أساس الحضارة وان الانسان لو لم يتعلمها في أطواره الاولى ما تم له الرقي بمرور الزمن

الطور الخامس ـ الاجتماع

وتعلم الانسان أيضاً بعد البدء بفائدة الاجتماع . وكان قبل ذلك في حروب مستمرة مع غيره من أبناء جنسه . وكانت القوة هي الحكم الفصل بين كل فريقين متنازعين . فمن استطاع قتل خصمه أو اغتياله كان هو صاحب الحق

ولكن مرور الزمن وتقدم الحضارة أظهرا للمرء فائدة النظام الاجتماعي، وأثبتا له انه يستطيع أن يحيى في ظل ذلك النظام أضعاف ما يحميه بالحرب والقتال . فدأت أخلاقه ترقى وطباعه تتغير . وأدرك ان عليه ما على غيره من الواجبات . وله مثل ما لهم من الحقوق . وكان ذلك أساس النظام الاجتماعي الذي ظل ينشأ ويرتقي حتى وصل الى حالته الحاضرة تدعمه الشرائع والفوانين

الطور السادس ـ نشوء الآداب

ولا شك انه كان لنشوء الآداب والفضائل أثر كبير في رقي الانسان . ولكن هنا يعرض لنا هذا السؤال وهو :

« هل نحن أفضل من أسلافنا في آدابنا وفضائلنا ؟ »

ان كنا نحن أفضل منهم فمعنى ذلك اننا أرقى منهم وان رقيّ هو حقيقة لا شك فيها . وان لم نكن كذلك ـ وهو ما يعتقده البعض ـ نكون مدفوعين في رقينا بعيدين عن الحضارة الحقيقية

وفي الواقع ان الآداب والفضيلة مما لتعذر تبيان . فما نعتبره من فضيلة قد لا يعتبره غيرنا كذلك . والكذب الذي نعتبره رذيلة كان الاسبرطيون يعتبرونه فضيلة . فما هو مقياس الآداب والفضائل وكيف نميز بينها وبين الرذائل ؟

الجواب عن ذلك ان ضمير الجمهور هو الحكم الأعلى في هذا الامر . وهذا الضمير هو الذي يميز بين الاعتبارين . وهو الذي يوحي الينا بان آدابنا وفضائلنا ـ بوجه عام ـ هي أرقى من آداب أسلافنا وفضائلهم . وقد قلنا « بوجه عام » لان هنالك بعض الآداب والفضائل التي كان أسلافنا يفضلوننا فيها

انظر الى أعمال البر والاحسان وآثار عمل الخير في جميع أنحاء العالم . انظر الى المستشفيات والملاجىء والاصلاحيات والمدارس التي تعنى بشؤون البر جميع الذين هم في حاجة أو فاقة . بل انظر الى القوانين الحاضرة وقابلها بقوانين الأمم الغابرة . لقد كان المرء في اعتقادنا منذ مائتي سنة يشنق اذا سرق ما قيمته شلن واحد . وكان الناس يعاقبون بأشد أنواع العذابات اذا ارتكبوا أصغر هفوة . وكانت الحالة مثل ذلك أو أشد في سائر أنحاء العالم المتمدن . وكانت السجون من أقذر الاماكن وأبعدها عن المقتضيات الصحية . ولم تكن القوانين تعد إلا لمصلحة الاغنياء

أما اليوم فقد تغيرت الاحوال وأصبحت القوانين أقرب الى روح العدل والفضيلة والآداب الصحيحة مما كانت في تلك الازمان

الطور السابع ـ ظهور فن الطباعة

وانا لنجد في الحقيقة عن إظهار ما كان للطباعة من الاثر في تحقيق رقي الانسان . ولا شك انه لو لم يوفق البشر الى اختراعها لظلت الحضارة بعيدة عن المستوى الذي قد بلغته في الوقت الحاضر إذ ما كان يمكن نشر العلوم والمعارف ولا تعميمها بين الناس

والقارىء يعلم ان تلك العلوم كانت قديماً وقفاً على طائفة الكهنة ورجال الدين منذ أقدم أيام العراعة الى ظهور أول مطبعة . ولا شك ان من الطباعة من أكبر أركان الحضارة ومن أقواها على

دفع الرقي خطوات كثيرة الى الامام . وبعد ان كانت مكاتب العالم لا تحوي من الكتب العلمية أو الفنية أو الادبية إلا نسخاً تعد على رؤوس الاصابع أصبحت تلك الكتب تطبع وتباع بالملايين فتنشر نور العلم والمدنية في جميع أنحاء العالم

وليس ذلك فقط بل ان الطباعة سجلت قواعد الحضارة ونظمها وقيدتها بحيث لم يبق خوف من زوال أثرها

الطور الثامن ـ تسخير قوى الطبيعة

وهذا الطور هو آخر أطوار حضارتنا وأحدثها . وقد تمكن فيه الانسان بفضل الآلات والمخترعات من ترويض عناصر الطبيعة والتحكم بها وتسخيرها لمائدة المجموع ، في البر والبحر والهواء ـ بل في جميع الانحاء التي قد وصلت اليها يد الانسان ـ أصبحت الطبيعة صاغرة مسخرة للارادة الانسانية ولسلطان العقل البشري

أنظر الى الريح والمياه والشلالات والجبال والأودية ـ بل أنظر الى هذا الفضاء الذي تسبح فيه الكائنات ـ أنظر كيف دان الانسان جميعها وهرأ بوعد الطبيعة ومخاوفها وأسرج الماء والهواء ليمتطيهما . وأخضع عناصر الطبيعة لخدمته ، ولم يكتف بذلك بل وجه أبصاره الى العلاء ـ الى الاجرام السابحة في الفضاء ـ واخذ يعد العدة لغزوها واستعمارها . وهو الآن يقيس ابعادها ومعرفة حجومها وأثقالها وصلاحها للحياة

فيا لعظم عقل الانسان وبلوغ رقيه . وما أجلال انتصاره على عناصر الطبيعة وقواتها وعلى نباتها وحيواناتها وميكروباتها وجموعها . ان رقي الانسان حقيقة ملموسة لا ينكرها إلا الجاهل المكابر

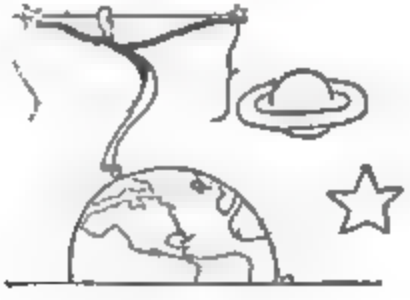

« ولم يكتف (الانسان) بذلك بل وجه أبصاره الى العلاء ـ الى الاجرام السابحة في الفضاء ـ وأخذ يعد العدة لغزوها واستعمارها . وهو الآن يقيس ابعادها ومعرفة حجومها وأثقالها وصلاحها للحياة »

سير العلوم والفنون

تح « الجاراج » وتفضل بالدوسكي !

ابتكر في فرنسا جهاز يستطيع سائق السيارة ان يفتح باب « الجاراج » أو يقفله وهو في سيارته . فهو يرسل اشارة لاسلكية بواسطة هذا الجهاز فتلتقطها آلة استلام بالجاراج متصلة بمحرك يفتح الباب أو يقفل حسب رغبته

الطول شرر كهربائي

شرر كهربائي يبلغ طول كل شرارة منه لوحة امتار ويستولد تحت ضغط كهربائي هائل يعادل مليون « فولت » على وجه التقريب

أكبر محرك في العالم

صورة موتور (محرك) قاطرة يدار بالزيت الخام. صنع في مدينة جلاسجو لاستعماله في احدى القاطرات الحديدية وهو أكبر موتور من نوعه في العالم. وترى هنا صورة عامل واقف على ظهر القاطرة ليبين النسبة بينها وبين الموتور الذي تبلغ زنته ٢٠ طناً

القاطرة التي تدار بمحرك الزيت

خصصت في شهر يناير لقوة موتور الزيت الخام وتعادل قوتها ١٣٣٠ حصاناً وتبلغ وزنها نحو مائتين وخمسين طناً

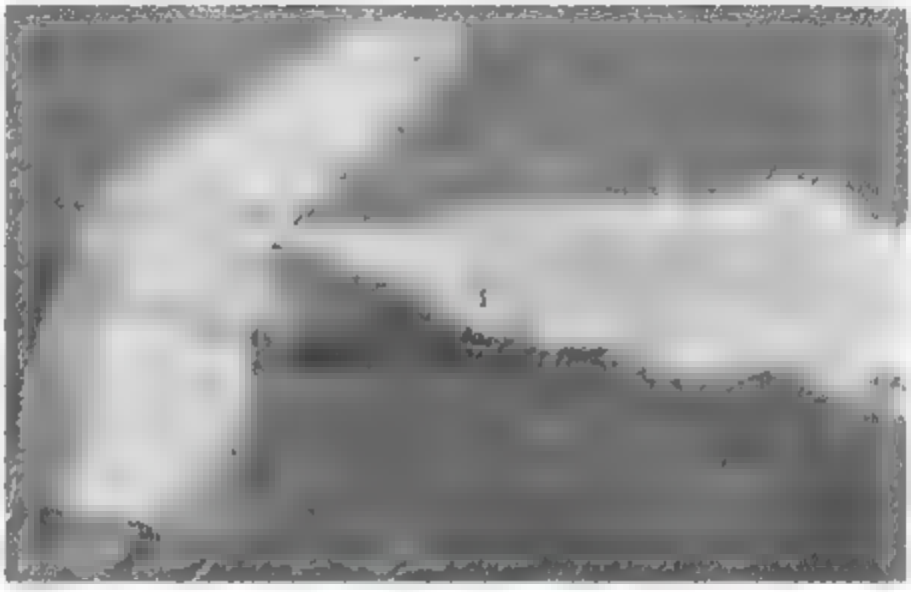

طيارة تحركها السواريخ

وصل المهندس ماكس فالير الالماني الى صنع نوع جديد من الطيارات التي تندفع بقوة السواريخ. وقد طار المهندس المذكور فوق مطار برسدورف لتجربة طيارته فأسفرت عن نجاح عظيم. واخترع المهندس فالير أيضاً سيارة على شكل عربة نملأ بالهواء السائل بدلاً من البارود وقد جربها امام جمهور كبير فأسفرت التجربة عن النجاح التام. وتراه في الصورة الجبي مع سيارته. أما الصورة العليا فتمثل الطيارة التي اخترعها في أثناء تجربتها

الكلب الميكانيكي
« سعد » الروبوط »

يلم القراء ان ستى الامريكيين صنعوا منذ عهد قريب انساناً ميكانيكياً سموه (روبوط) وهو يستطيع القيام بعدة أعمال منزلية . وقد صنعوا الآن في انجلترا كلباً من هذا النوع يدار بالكهربائية اللاسلكيه وهو عباره عن جهاز يشبه الكلب بشكله الخارجي ويستطيع ان يحرك عليه ويمشي في الغرفة وأن يذكر اسمه لمن يسأله عنه وأن يؤدي طائفة من الاعمال الاخرى وذلك بتسليط الاشعة عليه

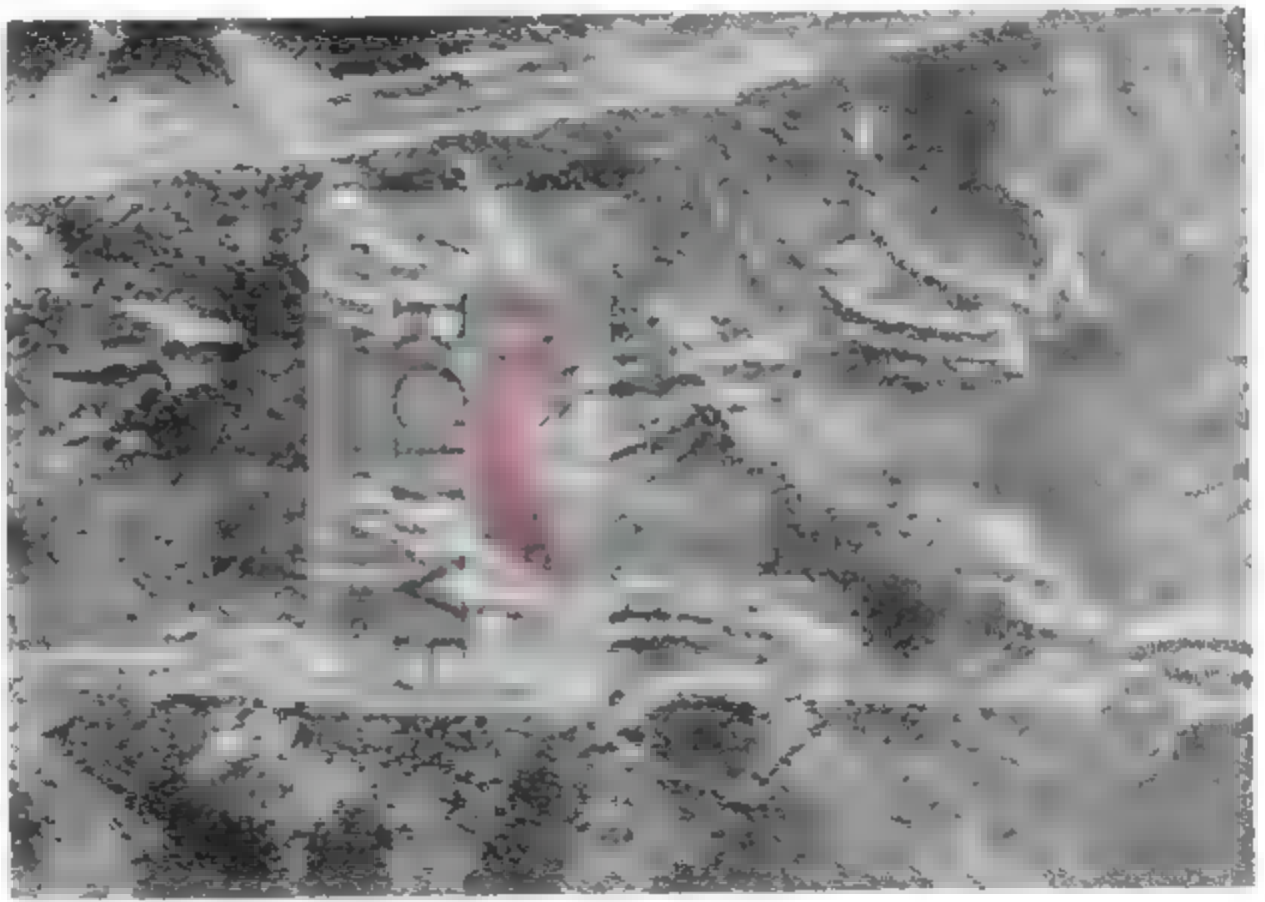

أقدم أثر للحيوانات المنقرضة

آثار اقدام حيوان منقرض عثر العلماء على بعض احافيره منذ عهد قريب اسموه «شنكوصوروس كوبي» وقد وجدت هذه الآثار في طبقة صخرية متحجرة تبلغ نحو ثلاثين بوصة على طبقة من الفحم في أحد مناجم ولاية الاباما بأميركا . ويعتقد كبار علماء الجيولوجيا انها أقدم آثار الحيوانات التي عاشت قبل عهد التاريخ ويرجع الى عدة ملايين من السنين

بيوت من الزجاج والصلب

بيت من الصلب (الفولاذ) والزجاج يشتمل السكن وتتوافر فيه جميع شروط الانارة والتهوية وهو نموذج حسن لما يمكن انشاؤه من هذا القبيل في المستقبل

السفر الى القمر

ألقى الدكتور جون ستيوارت مساعد استاذ علم الفلك بجامعة برنستون الاميركي خطبة في بروكلن جاء فيها انه في سنة ٢٠٥٠ (أي بعد مائة وعشرين سنة) سيتمكن الانسان من السفر الى القمر في قذيفة لا تختلف في شكلها كثيراً عن قبلة المدافع الضخمة وسيكون متوسط قطر هذه القبلة من الداخل مائة قدم وعشر أقدام وتقلها سبعين ألف طن وستحمل نحو مائة راكب وستواصل هذه القذيفة اندفاعها في الجو بانفجار سلسلة من القنابل داخلها وتطير بمتوسط خمسين ألف ميل في الساعة . وسيضطر المسافرون الى القمر أن يحملوا معهم آلات لصنع الهواء وتسخين درجة حرارته كما سيضطرون أيضاً الى حمل ما يكفيهم من الزاد والمؤونة

نور الشمس الصناعي في المناجم

يسعى اليوم الكثيرون من أصحاب المناجم أن يبيروا مناجمهم بنور الشمس الصناعي لكي ينتفع به العمال وذلك باستخدام مصابيح الكوارتز التي تنبعث منها الاشعة التي فوق البنفسجية . ولا حاجة الى شرح فوائد هذه الاشعة في شفاء أمراض كثيرة . ولما كان عرضها لاستعمالها على نطاق واسع يقتضي نفقات كثيرة توقف الكثيرون من أصحاب المناجم عن استعمالها ولا سيما في الجهات التي قد حرمتها الطبيعة أشعة الشمس الحقيقية اما بسبب موقعها الجغرافي أو بسبب كثرة الامطار فيها على مدار السنة . ويظهر انهم قد توصلوا الآن الى توليد هذه الاشعة بطريقة لا تستلزم نفقات كثيرة وهم يبنون تعميمها في المناجم حيث الحاجة اليها عظيمة جداً

أين يخزن الجمل الماء

الجمل أنفع الحيوانات لاهل البادية وهم يضربون به المثل في الصبر والجلد واحتمال العطش فقد يسير عدة أيام في الصحراء في حر الشمس المحرقة ولا يشعر بالعطش . وكان الناس حتى عهد قريب يعتقدون أن هذا الحيوان يخزن من الماء في معدته ما يكفيه عدة أيام . ولكن الاستاذ بايكرافت الانجليزي درس هذه المسألة درساً موفقاً واستدل على استحالتها بتشريح معدة الجمل فوجد فيها خلايا يدخر فيها ما يحتاج اليه من الماء . وهذه الخلايا لسعة كمية كبيرة يستطيع الجمل معها أن يسير نحو ثلاثين يوماً في الصحراء في فصل الشتاء من دون أن يشرب ماء . أما في فصل الحر فانه يستطيع أن يسير أكثر من سبعة أيام

الزلازل الصناعية وفائدتها

عثروا أخيراً على طريقة جديدة لمعرفة نوع المعادن التي في بعض الارض وذلك باحداث زلازل صناعية تحدث « أمواجها » في طبقات الارض المجاورة فتسير بسرعة تختلف باختلاف نوع العناصر والمعادن التي تمر بها . وبقياس تلك السرعة يمكن معرفة المعادن التي في بطن الارض

أما احداث الزلازل بطريقة صناعية فسهل جداً وذلك بنسف الصخور التي في الارض بكمية كبيرة من الديناميت فيكون تأثير الانفجار في الارض كتأثير الزلازل الطبيعية تماماً وتسير أمواج الارتجاج في طبقات الارض بسرعة تختلف باختلاف معادن تلك الارض

السيار الجديد

نشرنا في الجزء الماضي من الهلال مقالا مسهباً عن السيار الجديد الذي اكتشفه أحد الشبان الاميركيين من هواة علم الفلك بالجامعة الاميركية . وقد بحث الدكتور ستيوارت استاذ علم الفلك بجامعة برستون في أمر هذا السيار فوجد انه اسود كالفحم وكثيف كالحديد وقوة الجاذبية فيه عظيمة جداً بحيث أن الانسان فيه لا يستطيع أن يثب في الهواء إلى أكثر من نصف المتر الذي يستطيع الوثوب اليه على هذه الارض

ويقول الاستاذ ستيوارت ان هذا السيار هو من القدر المتوسط عظماً ولكنه ضعيف جداً بحيث انه لو كان السيار نبتون موجوداً مكانه لكان نوره أقوى من نور السيار الجديد مليون مرة

ويتبع قطر هذا السيار نحو ربع قطر الشمس ولكن قوة الجاذبية فيه هي ثلاثة أمثال قوة الجاذبية على سطح الكرة الارضية . فمن كان وزنه على هذه الأرض مائة رطل مثلا كان وزنه هناك ٣٢٥ رطلا

كيف تسير القوقعة

أليس من الدهش أن تسير القوقعة على قدم واحدة — اذا صح ان لكتلة اللحم الدنيئة من بطنها هي قدم ؟

وتفسير ذلك أن القوقعة تلقي بالكتلة المذكورة على الارض وتقف عليها قليلا . ثم ترفع مؤخرة الكتلة وتبقي مقدمها لاصقاً بالأرض وتحركه حركة تدفع نفسها الى الامام ثم تستقر على الأرض مستندة الى مؤخرة الكتلة وهكذا دواليك وهي تتحرك بهذه حركة بطيئة جداً

متى يزداد الجسم طولا ووزناً

يقول الدكتور جوستاف فايلن العالم الاسوجي ان الابحاث الدقيقة التي قام بها بعض العلماء الاسوجيين تدل على أن جسم الانسان يزداد طولا في فصل الربيع أكثر مما يزداد في أي فصل آخر . إلا أنه يزداد وزناً في أواخر فصل الخريف وفي اثناء فصل الشتاء كله

وقام الكشيرون من أساتذة المدارس في أسوج بتحقيق هذه المسألة فقاسوا طول أجسام تلاميذ المدارس بآلات دقيقة جداً . ثم أخذوا احصاءات دقيقة عن وزنهم في فصول السنة المختلفة فاتضح لهم صحة نظرية الدكتور جوستاف

الانتصار على الجاذبية

من الحقائق العلمية المعروفة انه لولا الجاذبية لتطاير كل ما على الارض من انسان وحيوان في الهواء ولخالف نظام دورة الارض على محورها وعلى الجاذبية نفسها في أكثر عالق يحوم دون ابتعاد في الطيران ارتفاعاً . وقد حاول بعض العالمين أن يتغلبوا على الجاذبية بالطيران في قذيفة تسبح صعداً في الجو بواسطة انفجارات متوالية الى أن تخرج القذيفة من منطقة جاذبية الارض . الا أن هذا الحلم لم يتحقق حتى الآن وقد خطر لآخرين من أصحاب الخيال أن يبحثوا عن مادة لا تتأثر فيها الجاذبية . وممن درسوا هذا الموضوع درساً مسهباً الفيلسوف والمفكر الالماني (وقومه يلفظونه « بحول فرن » الالماني) على أن جميع التجارب التي قام بها العلماء حتى الآن لم تسفر عن شيء من النجاح

ولئن أتيح للعلماء تحقيق هذا الحلم المدهش فسينقلب مدينة هذا العصر رأساً على عقب ، ويستعمر الانسان الكواكب ويطير في الفضاء

بلا طيارة ولا أجنحة . وبدلا من أن يصعد الرجل الى بيته في الطبقة (الدور) السادسة مثلا بواسطة الآلة الرافعة (الاسانسور) سيتمكن من التحليق في الجو بجسمه فقط ويدخل منزله

ولا شك ان هذا من جملة الخيالات التي تشغل الآن أفكار العلماء . ولكن ما أكثر الخيالات التي حققها العلم بعد الجد والمثابرة كما حقق خيالات « جول فرن »

فحص قوة عقل الطفل

في احدى الجلات العلمية الاميركية أن الدكتور فورني من أساتذة احدى الجامعات الاميركية ألف خطة في علم نفس العلم الاميركي بسط بها بعض التجارب التي قام بها لفحص قوة عقل الطفل بعد ولادته ودخوله لعالم الحس فحص من خمس عشرة دقيقة الى خمسة عشر يوماً . وبلغ عدد الاطفال الذين فحصهم ثمانين وسبعين طفلا وكان الغرض من فحصهم معرفة الوقت الذي تبتدىء فيه قوة عقل الطفل أن تعمل . وقد أثبتت التجارب التي قام بها الاستاذ ان ذكاء الطفل أو جهده العقلي يبدأ بالظهور حالما تبدأ عيناه أن تتبعا الاشياء أو الاشخاص التي تتحرك أمامه وان ذلك يحاول اقتناصها بأن يمد يديه نحوها ويقبضها . فاذا لم يبد الطفل اهتماماً بما يتحرك أمامه ولم يتبعه بأبصاره فالارجح أن فيه شيئاً من البلادة وأن عقله سيكون في المستقبل خاملا . وقد بسط الاستاذ فورني الاسباب التي تحمله على استخلاص هذه النتائج من تجاربه مما لا يتسع المجال لشرحه

أفتك أنواع السموم

ليس هو الزرنيخ ولا الستركنين ولا حامض البروسيك ولا . . ولا . . بل هو سم « البطولينوس » أو « البطليوس » (ولا يقصد منه الحازون البحري) وهو أفتك السموم المعروفة وأشدها ارعافاً . ولكي تعلم هول فتكه تقول انك اذا أخذت منه كمية توازي ملء ملعقة الشاي وأضفت اليه مقداراً من الماء كان ذلك كافياً لقتل كل كائن حي على وجه الكرة الارضية !

ومع ذلك يقول الدكتور فيلبوت من اساتذة جامعة واشنطون الاميركية إن سم الافعى هو أهول السموم وأفتكها . والفرق بينه وبين سم البطليوس هو ان ذرة واحدة من السم الأخير تكفي لقتل الألوف من الناس . الا أن سم الافعى من شأنه ان يحلل كل خلية من خلايا النسيج الحي وينتهي آلاماً لا يستطيع العقل أن يتصورها

التلفون المبصر

أحدث ما توصلوا اليه من وجوه « التليفزيون » أو « التلفزة » (الرؤية عن بعد) هو التلفون المبصر الذي يستطيع بواسطته المتخاطبان أن يتكلما وان يرى احدهما الآخر رؤية حية . وقد جربوا هذا الاختراع في اميركا ووصفته جريدة « نيويورك تيمس » بقولها انه من أدعى الاختراعات الى الدهشة وانه بواسطته يستطيع الانسان في نيويورك ان يخاطب صديقاً له في سان فرنسيسكو على بعد بضعة آلاف من الأميال وان يرى صورته

وحركاته بكل وضوح . ولا ينتظر ان يعم استعمال هذا التلفون في الوقت الحاضر لانه يقتضي نفقات باهظة ولكن المظنون انه لن تنقضي بضعة أعوام حتى يكون في ميسور كل انسان ان يستعمل هذا الاختراع النافع . وإذ ذاك يصبح التلفون الحالي عتيقاً بالياً

ومن منافع التلفون المصور منع الكثير من حوادث الغش التي تقع بتقليد اصوات الغير

المطر الصناعي

يعتقد بعض الناس ان اطلاق المدافع بكثرة يسقه نزول المطر . ويروي بعضهم ان أمطاراً وقعت على أثر معارك حربية مشهورة . ومنذ مدة حال أحد الاميركيين في بعض الولايات المتحدة الاميركية التي اشتد فيها القيظ و منع فيها المطر وعقد عدة عقود مع بعض كبار الزراع هنالك متعهداً لهم بانزال المطر . فلما ان مصلحة الطبيعيات الاميركية نبهت بخطر أمثاله انه ليس في وسع أحد ان ينزل المطر بطريقه صناعية وان كل ما يقال عن نزول الامطار على اثر اطلاق المدافع هو خرافة لا يؤيدها العلم وانه لانزال رذاذ ضعيف على ما مساحته ميل مربع (نحو ٦٥٠ فداناً) يجب اشاع الجو بنحو ١١٣ طناً من الرطوبة . ولتبخير الجو فوق تلك المساحة يجب قوة عشرة ملايين حيل وهو ما ليس في وسع الانسان في الوقت الحاضر

الانتصار على السرطان

يقوم الدكتور تشوكلي الأميركي بتجارب علمية كثيرة لمعالجة السرطان بطريقة جديدة يرجو أن يتوصل بها الى التغلب على هذا الداء الوبيل . وتبنى تجاربه على مبدأ قتل خلايا السرطان بالحرارة الشديدة بدون قتل خلايا الجسم المحيطة بموضع الاصابة . وقد وجد الدكتور تشوكلي أن خلايا السرطان تميل كثيراً الى امتصاص عنصر البوتاسيوم وهو عنصر شديد التأثر بالحرارة . فاذا أمكن تعدية خلايا السرطان بالبوتاسيوم بطريقة من الطرق أمكن قتلها بحرارة الكهربائية فيما بعد من دون الحاق أي ضرر بخلايا الجسم المحيطة بخلايا الجزء المصاب . ويعتقد الدكتور تشوكلي انه سيهتدي الى طريقة لتعدية خلايا السرطان بالبوتاسيوم وان ذلك يصبح الانتصار على السرطان محققاً

خلايا الجسم

من الاعتقادات الشائعة بين العامة — بل بين المتعلمين أيضاً — ان كل خلية حية من خلايا الجسم تتغير مرة كل سبع سنوات . على أن الدكتور أدولف الاستاذ بجامعة رولشستر الاميركية قام بعدة مباحث علمية ثبت له منها ان العناصر المختلفة التي يتألف منها الجسم تتغير في مدد مختلفة . واليك التفصيل :

العنصر أو المادة	مدة التغير
الماء	٢١ يوماً
الملح	٢٢ »
البوتاسيوم	٧٢ »
المغنيزيوم	١٠٣ أيام
النتروجين	٢٩٠ يوماً
الحديد	٣٠٠ يوم
الفوسفور	٨٠٠ »
الجير	٢٣٠٠ »

وهناك بعض الخلايا — كخلايا الدماغ مثلاً — لا تتغير طول العمر كله

شئون الدار

لكي تتمتع بصحة جيدة

أصدرت مصلحة الصحة بولاية أنديانا الاميركية عدة وصايا يجب مراعاتها حفظاً للصحة واليك أهمها : —

(١) لا تدر موتور أوتوموبيلك في « جراج » موصد الأبواب فان مونوكسيد الكربون الذي ينبعث من غرف (الموتور) هو سم غير منظور

(٢) لا تنس أن تعد حميات تقي جسمك عكماً عند النوم فان الهواء إذا تسرب بكميات ضئيلة قد لا يقتل ولكنه يضر الصحة

(٣) لا تشرب لبناً غير مغلي فقد تصاب منه بالسل أو بغيره من الامراض المعدية

(٤) لا تأكل لحماً نيئاً فقد تصاب من جراء ذلك بالدودة الوحيدة

(٥) خير الطعام ما كان مطبوخاً طبخاً جيداً لا يبقى على شيء من الميكروبات

(٦) لا تنس أن الشتاء هو الفصل الذي تكثر فيه الأمراض فيجب أن تزيد في الاحتياطات التي تتخذها الوقاية

(٧) لا تنفخ دخان سجارتك في وجه غيرك ولا تدع غيرك ينفخ دخان سجارته في وجهك

(٨) لا تفرط في معاشرة الذين هم معرضون دائماً للزكام وأوجاع الفلورتين والزلات الشعبية

(٩) لا تدن ممن يسعل أو يعطس كثيراً

(١٠) لا تهمل الرياضة البدنية في الخلاء

(١١) لا تنس أن تتمتع بأشعة الشمس في فصل الشتاء كلما سنحت لك الفرصة بذلك

(١٢) لا تهمل الزكام البسيط فقد ينقلب إلى نزلة شعبية أو إلى التهاب الرئتين

(١٣) تذكر أن الرياضة وحدها لا يمكن أن تكون قوام الصحة كما أن الغذاء وحده لا يكفي لحفظ الجسم بل لا بد من اجتماع الأمرين

كيف تأخذ الدواء

عند ما يصف الطبيب الدواء يأمر بأن تكون الجرعة منه ملعقة أو نصف ملعقة . ولكن الملاعق تختلف في حجومها فيجدر بالعليل أن يعرض الملعقة التي عنده على الطبيب

واليك الوصايا التي يجدر بك مراعاتها عند أخذ الدواء

(١) لا تتناول دواء في الظلام — فقد تتناول سماً بدلاً من الدواء

(٢) راجع البطاقة (الاتيكيت) الملصقة على الزجاجة لتتأكد من اسم الدواء

(٣) لا تزد جرعة الدواء ولا عدد الجرعات على ما يأمر به الطبيب

(٤) حافظ على نظافة البطاقة التي على الزجاجة لكي تستطيع قراءتها دائماً

(٥) لا تستعمل دواء موصوفاً لغيرك فان ما ينفع غيرك قد يضرك

(٦) ابعد الأدوية عن الأولاد

(٧) احفظ زجاجة الدواء مسدودة سداً محكماً

(٨) لا تبدل سدادات الزجاجات بعضها ببعض

الجدري في هذا العام

يعتقد فريق كبير من الاطباء الاميركيين أن مرض الجدري سينتشر في هذا العام انتشاراً كبيراً ليس في الولايات المتحدة فقط بل في انحاء كثيرة من العالم . ويؤيد من الاحصاءات الرسمية ان عدد الاصابات بالجدري بدأت في السنة الماضية في الولايات المتحدة نحو ألف اصابة وهي نسبة عالية جداً لاحصاءات الجدري حتى اميركا . أخصب مرعى لهذا المرض . وقد عاد هذا المرض بلاد الهند . ولما كان الجدري قد يعاود المرء على غير ما كان الناس يظنون سابقاً فيجدر الاهتمام بالقاح الواقي منه

الالماس الاسود

لا نعلم ما رأي السيدات في التحلي بالألماس الاسود ولكنا نعلم انه من أمهر أنواع الألماس وأغلاها وهو أشد صلابة من سائر الاصناف الاخرى فضلا عن انه سالم دائماً من العيوب التي قد توجد في جميع أصناف هذه المادة الثمينة . ويسمى الالماس الاسود كربونادو (من لفظ كربون وهو الفحم) وتعتبر مقاطعة باهيا التي في قلب البرازيل أغنى بقاع العالم بالالماس الاسود

على ان بعض الذين يؤمنون بالخرافات يتشاءمون من هذا الصنف وينفرون من اقتنائه أو استعماله

التأمين لخير الاسرة

التأمين على الحياة هو من أفضل العادات التي يجب أن تشيع بين الأسر . وجدير بكل رجل متزوج أن يؤمن على حياته لخير أسرته . وهنالك شركات للتأمين ضد الامراض أيضاً . وهي تدفع للشخص الذي يؤمن على نفسه ضد الامراض مبالغ معينة في حالة إصابته بالمرض وتسدد له أيضاً نفقات معالجته . وقد اتفق حديثاً ان احد اهالي رالي قصد إلى أحد الاطباء ليجدد له صك بعملية فورونوف المعروفة . وكان مؤمناً على حياته ضد المرض . ولما صحت العملية طالب شركة التأمين بأن تدفع له نفقات العملية باعتبار ان الشيخوخة هي مرض من الامراض وان العملية التي تحملها إنما هي سعي لعلاج ذلك المرض . إلا ان الشركة رفضت أن تجيبه إلى طلبه فما كان من الرجل إلا أن أقام الدعوى على الشركة

الترمومتر

الترمومتر أو مقياس الحرارة هو من أهم الرسوم ما تحتاج اليه ربة الدار لمراقبة صحة أولادها . ولا يخفى ان الاولاد الصغار يستطيعون معاناة درجة عالية من الحرارة من دون أن يلزموا السرير ولا سبيل للأم إلى معرفة درجة حرارتهم الحقيقية إلا باستعمال الترمومتر . قيل ان غاليليو أول من اخترع الترمومتر في سنة ١٥٩٢ وكان في أول أمره يحتوي على قليل من الماء بدلاً من الزئبق . ولذلك لم يكن يمكن الاعتماد عليه في فصل البرد القارس لان الماء في داخله كان يجمد . وأخيراً اخترع العلماء نوعاً استعاضوا فيه عن الماء بالزئبق والكحول على ان ترمومتر الزئبق هو أدق من ترمومتر

الكحول (والاخير هو عادة دو لونين : أحمر وأزرق) إلا إذا أريد قياس الدرجات الصغرى من الحرارة فان ذلك يكون دقيقاً جداً

العصر الآلي

هو هذا العصر الذي تستطيع المرأة فيه القيام بجميع شؤونها المنزلية بمجرد اعتمادها على الآلات الكهربائية أو ما أشبه فهي تطبخ وتغسل وتخيط وتنظف بيتها وتعمل كل ما هي في حاجة اليه مستعينة بآلات الكهرباء وما أشبه

ويعتقد فريق كبير من العلماء ان عصر الكهرباء أو هذا العصر الآلي سيكون له أسوأ تأثير في قوى المرأة العقلية لأنها ستضطر دائماً عندما تريد القيام بشؤونها المنزلية الى ضغط زر كهربائي يحقق لها ما ترمي اليه ولن يكون ثمة مجال تتحقق فيه قوى العضلات أو تتمرن على القيام بشيء من الأعمال

أشد الامراض خطراً

جمع الدكتور مورهاوس الاميركي قائمة بأسماء أشد الأمراض انتشاراً في الولايات المتحدة وتحتوي هذه القائمة على أربعين نوعاً من الأمراض مرتبة بحسب درجة خطرها ويظهر ان أقل تلك الأمراض خطراً مرض الحصبة . فان نسبة الوفيات به لا تزيد على أربعة عشار الجزء الواحد من المائة . وأشدها خطراً مرض السكاز فان نسبة الوفيات به لا تقل عن واحد وأربعين في المائة . ويليه مرض التهاب الرئة فان نسبة الوفيات به لا تقل عن ١٧ في المائة

التسمم بالكحول

يدخل الكحول في تركيب جميع المشروبات الروحية . وقد اختلف الناس في حقيقة ضرره بالجسم. فزعم البعض أنه مسبب للعلل ودهب آخرون الى خلاف ذلك وقد نتج من عدة تجارب علمية قام بها جمهور من الأطباء الاميركيين ان الكحول قد يكون نافعاً ومعدياً للجسم اذا أخذ بكميات صغيرة جداً بحسب وصف الطبيب . فاذا أفرط في استعماله كان سماً زعافاً

والكحول — كل شيء في هذا العالم — أنواع كثيرة منها الجيد ومنها الرديء ومعظم المشروبات الروحية التي يتم تقطيرها في الحمراء هي من الأصناف الرديئة التي يجب الحذر منها

التدخين بين النساء

لم يكن التدخين شائعاً كثيراً قبل الحرب الماضية بين النساء ولكنه شاع بينهن منذ تلك الحرب سيوعاً مدهشاً حتى تساءل الكثيرون من علماء الاجتماع عن سبب شيوعه وقد ذهبوا في تعليل ذلك مذاهب شتى أصحها ان الحرب الماضية أوجدت في نفس المرأة شعوراً بمساواتها للرجل في كل شيء . وساعد على رسوخ هذا الاعتقاد في نفسها أنها خلت في اثناء الحرب في وظائف كثيرة كانت مقصورة على الرجال وقامت بأعمال هؤلاء على أحسن وجه . فصارت تشعر بأنها كفء الرجل في كل شيء . فأخذت تدخن وتسهر وتلعب وتراهن وتفعل كل ما يفعله الرجل

ويظهر ان المرأة الاميركية أشد النساء ولعاً بالتدخين تليها الفرنسية فالانجليزية فالايطالية . ومعظم التدخين مقصور على اللواتي تختلف أعمارهن من عشرين سنة الى خمسين . ومتى ولعت المرأة بالتدخين رادت تمسكاً به كلما دنت من سن الخمسين حتى اذا وصلت الى تلك السن وهي لا تزال تدخن صعب عليها الاقلاع عنه بتاتاً

في عالم الأدب

خطرات نفس

الأستاذ الدكتور منصور فهمي

وددنا لو ان الدكتور منصور فهمي أكثر من مثل هذا المؤلف النفيس ، فاما نعرف له رأياً في الكتب يخالف كثيراً من آراء المؤلفين من حيث إن بعضها مكرر البعض الآخر ، وحقائقها متشابهة ، ولكن كل مؤلف يصبغ كتابه في قالب خاص . أما هذا الكتاب الذي خرجه الدكتور اليوم فهو صورة نفسه ، وخطرات ذهنية في الأدب والاجتماع جالت بنفسه ، وانبعثت من ذهنه ، واستمزجها عوامل الحياة من مكنون شعوره ، فخالط بها صدره وصار ينثرها على صفحات الجرائد الكبرى آناً بعد آن . فكانت تلقى من اعجاب القراء ما هي جديرة به . ثم أراده بعض أصدقائه على أن يجمعها في مجلد واحد ، فأجاب رغبتهم ، وجمع منها أربعاً وستين مقالاً في مائتين وعشرين صفحة. فكانت كلها خواطر طريفة تطلعك على كثير من حقائق الحياة كما تبدو في نفس هذا الدكتور الفيلسوف ، وتريك من نظراته الصائبة وآرائه الناضجة ما يثقف ذهنك ، ويهذب نفسك ، ويبعث فيك التعاون بالحياة والاستمتاع بجمالها

ومن عناوين هذه الخطرات تعرف جملة ما أودعها من صور شعرية وأفكار ناضجة مثل : رغيف الشقاء ، الشباب المدبر ، في نعيم الفن ، القانون الخلقي وجلاله ، العيش الحقير والعيش الكبير ، السماء ، الموت الساحر ، وقفة بالحصن القديم

وحسن نقل للقراء جانباً من قطعة تحت عنوان: « الجمال المهمل » على سبيل المثال قال :

« ما الجمال وماذا أقول في الجمال :

« الجمال خطيب صامت لا يرغب أن يتحدث الدهر عنه الا في صمته كل فصاحة وفي سكوته كل بيان

« الجمال نسب وأوزان لا تحسه النفس أحياناً بوساطة [illegible] وما تدركه بوساطة الادب دون أن [illegible]

« الجمال متكبر ، « مر » متكبر لانه يجل عن أن يخدمه النفوس أحد فهو يعرف نفسه بنفسه . فهو لا يبتغي الا نفس القوية على أمرها فيوقع في أسره من شاء ، ويتخير أرقه من شاء

« الجمال كالقوة وكالقوى الخفية من حيث أنها لا تعرف بذواتها ولكنها تعرف بآثارها »

ولكل مقالة أسلوب في خاص فتارة ينحو نحو القصة في بعض المقالات ، وتارة ينحو نحو الدرس والتحليل ، وأخرى يشوقك بالنثرات اثر النثرات في صور حلية مختلفة حتى ينتهي بك المقال وأنت تملؤه النفس بالغبطة والارتياح ، ممتع الذهن والقلب بما سرح فيه نظرك من سوانح وأفكار أودعها في أسلوب موسيقي بليغ

L'Empire Egyptien sous Mohammed Ali et La Question d'Orient

الامبراطورية المصرية في عهد محمد علي والمسألة الشرقية

لمؤلفه الدكتور محمد صبري خريج قسم الآداب بجامعة باريس والاستاذ بمدرسة المعلمين العليا

جعل المؤلف كتابه هذا مرجعاً تاريخياً لجميع الحوادث التي وقعت في عهد محمد علي وما كان لها من الارتباط بالمسألة الشرقية بوجه عام. وقد بنى مباحثه على ما اطلع عليه بنفسه من الكتب والمخطوطات والوثائق في مكاتب مصر وباريس وفينا ولندن. فالكتاب دون مجموعة من السجلات التاريخية التي يجدر بالمرء أن يعول عليها كلما أراد الوقوف على أسرار المسألة الشرقية بوجه عام والمسألة المصرية بوجه خاص من سنة ١٨١١ الى سنة ١٨٤٩

وقد شرح المؤلف نشوء المسألة الشرقية ورجعها الى عدة اخلال السلطنة العثمانية نتيجة سوء ادارة حكامها واخلاق عناصر سكانها وكثرة المسائل عندهم في الداخل والخارج وكان من أثر ذلك أن أحدثت الدول الاوربية نظر الى تركيا عين الشرهة قاصدة تحرشها و تلاعبها

وفي سنة ١٨٠٥ — والحروب النابوليونية يومئذ على أشدها — عين محمد علي عاملا على مصر. لكن جل همه عند بادىء الامر أن يسخ البلاد عن حكم السلطنة العثمانية ويستقل بها. ولكن تيارات السياسة الهوجاء كانت تعمل في السر والعلن. وكان نابليون يطمح الى مصر والانجليز يخشون اذا هو استولى عليها أن تصبح الهند وغيرها من مستعمراتهم البعيدة تحت رحمة الغير. فاحتلوا الاسكندرية لاول مرة في سنة ١٨٠٧ وأخذوا يحرضون المماليك على محمد علي ولكن هؤلاء انقضوا عليهم فلما رأى الانجليز خروج موقفهم غادروا الاسكندرية بعد أن أقاموا بها ستة أشهر وعادوا أدراجهم

وأراد محمد علي توسيع امبراطوريته فجهز عدة حملات وغزا فلسطين وسورية والاناضول والسودان وكريت وبلاد العرب والسودان. واشتغل أمره وخشيت الدول بأسه فأخذ بعضها يتحكك به والبعض الآخر يسعى لخطب وده. وكان محمد علي تارة يستعين بانجلترا على فرنسا وطوراً بفرنسا على انجلترا. ولعل هاتين الدولتين كانتا أشد الدول الاوربية اهتماماً بالمسألة المصرية. على ان روسيا والنمسا أيضاً كانت لهما مطامع في مصر وفي تركيا بوجه عام

وفي اثناء ذلك كان ابراهيم باشا ابن محمد علي يشد ازر ابيه بوقوفه وقد وصل الى كوتاهية وأخرت الدسائس سعي حزب الموقف فاستعانت فرنسا وانجلترا و سطرا على عقد الصلح مع مصر بعد أن تنزع لها عن أدنه وغيرها. إلا انه لبث مخيفاً بالعرض للانتقام من محمد علي. فأخذ يدس له الدسائس وسعى محمد علي لدى فرنسا لمساعدته على استرداد استقلاله، ولكنها بدلا من أن تجيبه الى ذلك اتفقت مع انجلترا على مقاومته وحقق المشاكل له ولكن هذا الاتفاق لم يدم طويلا بل زال وحل محله اتفاق انجليزي روسي وبعد قليل من الزمن اتحدت انجلترا والنمسا وتركيا على اخراج مصر من سورية وتم لهن ما أردن. وتوفي محمد علي في سنة ١٨٤٩

هذه خلاصة المباحث التي تناولها الدكتور صبري باسهاب وتدقيق لا مزيد عليه. وفي الواقع ان كتابه هو ذخيرة ثمينة ومرجع جدير بالاعتماد لكل من يريد الاطلاع على حقائق المسألة الشرقية وعلى نشوء « الامبراطورية » المصرية في عهد

ساكن الجنان مؤسس الدولة العلوية . وعسى يشرع حضرة المؤلف في ترجمة كتابه الى اللغة العربية ليكون في متناول جميع أبناء جنسه وعلى كل فقد أدى لأمته خدمة جليلة سوف تذكرها له بالشكر والاعجاب

العاصفة

للشاعر الملي وليم شكسبير

نقلها الى العربية الدكتور أحمد زكي أبو شادي

روايات شكسبير ، وأشعاره ، وسائر آثار قريحته الخصبة ودهنه الوقاد من أعظم ما يملأ النفس اعجاباً بعبقريته ، وتقديراً لموهبته الفذة الذي استطاع به أن يكشف حقائق الحياة وأسرار الوجود ، ويرسم ما يجول بالنفس الانسانية من صور ، وتمثل ، وخواطر حسب كل بيئة وطبقة . فكانت مؤلفاته بذلك من أصدق المرآيات انطباقاً على كثير ، وما فيها من وقائع وشخصيات أدبع في صوره [illegible] مدهشاً ، فصارت آية فنه يعجز عن الاتيان في العالم أجمع

وفي رواية « العاصفة » من بدائع الفن الروائي ما جعلها من أحسن درامات شكسبير التي تمتاز بقوة الخيال وتعدد الحوادث ومدهشات الوقائع وتنوع الشخصيات ، وما فيها من خوارق السليمة التي جعلها بمهارته الفنية أموراً طبيعية مألوفة

لذلك فان نقل هذه الرواية الى اللغة العربية عمل يستحق الثناء . وقد أتيح للدكتور أحمد زكي أبو شادي أن ينحف قراء العربية بترجمة هذه الرواية عن اللغة الانجليزية فأخرجها في ثوب رقيق من البلاغة العربية . وعني باشروحه بتدعيمها طبعاً يثري القارىء بالاطلاع عليها وبسنيجاب ما فيها . . . فنحمد للمترجم مجهوده الثمين ، والناشرين خدمتهم الجليلة التي قدموها الى اللغة العربية وآدابها

الخالدات

لجناب الارشمندريت اطوريوس بشير

صدر المجلد الرابع من مجلة الخالدات التي يقوم بتحريرها منذ سنتين جناب العلم الاديب الارشمندريت أنطوريوس بشير ، فوجدناه قد احتفل فيها خطة جديدة تلائم العصر الحاضر من جودة الطبع ، وطريقة التفكير ، واختيار الموضوعات النافعة التي لها أثر كبير في تثقيف الذهن ، وتهذيب النفس ، مع الاختصار المفيد وحسن الأداء بحيث يتصفحها القارىء في سهولة وروعة ، دون أن يعتريه ملل أو إجهاد بسبب موضوعها وحديثه ، فيسير كل منها في ثوب رشيق

وقد احتوى هذا المجلد الاخير على عدد كبير من هذه الموضوعات النافعة مثل . القضاء الطبيعي محافظة على النفس ، نحن وللموسيقى ، رأي الاميركي في الشرقيين ، الشرق يخاطب الغرب ، وغير ذلك من المقالات الجديرة بالاطلاع عليها واستيعاب ما فيها من المعلومات القيمة . وقد قال صاحب هذا المجلد في مقدمته :

« اني لا أطمع في تعليم الذين يقرأونني دروساً جديدة لم يعرفوها من قبل ، ولكن لي رغبة واحدة من جميع كتابتي ، التي أقف عليها أيامي ولياليَّ وهي تنحصر فيما يأتي :

في حياة كل انسان حقائق جليلة خالدة ، يتعلمها من حوادث حياته اليومية ، ولكنه لا يبرح أن ينساها أو يعرض عن تذكرها ، والتفكير في جزيل منافعها . وغاية ما أرمي اليه ، من جميع كتابتي ، أن أوقظ فكره لكي يرى بجلاء الوضوح ، جمال الحقيقة التي أقدمها له بكل مقال من هذه المقالات الصغيرة — ليعيد نظره فيها ويمعن في استثمارها في حياته العملية

ومن ذلك يتبين أغراض الأرشمندريت أنطونيوس من اصدار هذا السفر النفيس ؟ والحرص على مولاة سلسلته مع العناية به وبذل مجهود كبير في إتقانه طبعه

الجراد

وأهم الطرق المتبعة لمكافحته

أصدر هذا الكتيب مدير الزراعة والمصالح الاقتصادية بسورية ، وقد اشتمل على أحسن الطرق وأنجعها في مكافحة ارسال الجراد الذي انتشر في الأيام الأخيرة بسورية وفلسطين ، ومصر وبعض البلاد المجاورة . ومن هذه الطرق مكافحته بألواح التوتيا ، والسموم والحرق ، والتجميع . وقد [illegible] الكتيب على صغر حجمه شرح كل من هذه الطرق وكيفية تركيب السموم واستعمالها

ويرجع الفضل في تأليف هذا الكتيب ونشره الى مدير الزراعة بدولة سورية الأستاذ يوسف بك عطاالله . وقد أفاد بذلك كثيراً من المزارعين ولا سيما من أصيبت أرضه بهذا الحيوان الفتاك

ونحن ننشر هنا طريقة من هذه الطرق التي حواها هذا الكتيب بعنوان « المكافحة بألواح التوتيا » :—

« هي أفضل طريقة تستعمل اقتصادياً لابادة الجراد خاصة في الأراضي المنبسطة الواسعة . ويمكن أيضاً استعمالها في الحصصات وفي المواقع الجبلية التي يمكن حفر خنادق بها عمق ٦٠ — ٧٠ سنتيمتر على الأقل وهذه الطريقة تبيد أسراب عظيمة من الجراد وهي تعطي أحسن النتائج خاصة عند ما تستعمل لمكافحة الجراد الزاحف في الطور الثالث والرابع والخامس اذ أن حركة الجراد الزاحف في الطور الثاني تكون بطيئة جداً وخاصة اذا كانت الاعشاب وافرة في الارض فيما لترك صفائح التوتيا معلقة زمناً طويلا ترجع الطرق الاخرى على ألواح التوتيا اذ تكون احراد عديم التأثر من المواد السامة ، ولكن اذا كانت ألواح التوتيا متوفرة تستعمل هذه الطريقة بنجاح في جميع أدوار الجراد الزاحف وخاصة في الاماكن التي تتوفر بها الايدي العاملة »

قاموس النبات الطبي

وضع

الدكتور عثمان لبيب عبده ، والاجرامي طانوس ارمانيوس

كثيراً ما يقع في مصطلحات النباتات الطبية بعض الالتباس والخطأ عند المشتغلين بمهنة الطب والصيدلة لاختلاف أسمائها عند الأمم أو لان الواحد له عدة أسماء مترادفة تدعو في بعض الاحيان الى الاشتباه في انها لنباتات متعددة

لهذه تطوع كل من الدكتور عثمان لبيب عبده ، وحنا الاجرامي طانوس ارمانيوس في تأليف قاموس طبي ضبط أسماء النباتات باللغة العربية ، والانجليزية والفرنسية واللاتينية . وجعلاه ثلاثة أبواب : الاول يحتوي على أسماء النبات بهذه اللغات الاربع ، والثاني يشمل المترادفات باللغة العربية ، والثالث يحتوي على الفهرست باللغة اللاتينية

وقد جمع هذا المؤلف على صغر حجمه ١٧١١ كلمة عربية ، و٢٤٩٤ كلمة أفرنجية ، وكلها أسماء لنبات الطبية قديماً وحديثاً ، وهي مرتبة ترتيباً أنيقاً بحيث تسهل مراجعتها والانتفاع بها

فهنيئاً للمؤلفين بهذا التوفيق الذي حازاه في تأليف كتابهما ، ونأمل أن ينتفع بالاطلاع عليه كثير من القراء

بين الهلال وقرائه

رواية « المهزلة الالهية »

﴿ مونتيفيدو ـ أراجواي ﴾ ميخائيل حاسابين

قرأت في بعض الصحف العربية أن دانتي شاعر ايطاليا الكبير وروايته « المهزلة الالهية » على ما جاء في القرآن الكريم عن ليلة المعراج . فما رأيكم في ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ سمعنا بهذا الرأي غير مرة ولكنا لا نميل إلى تصديقه لأن الاشارات في رواية « المهزلة الالهية » إلى النعيم والجحيم ووصفهما وصفاً مسهباً لا تشبه شيئاً على الاطلاق مما كان معلوماً على القرآن الكريم

دانتي وابن سيناء

﴿ ومنه ﴾

قرأت أيضاً ان دانتي ترجم عدة كتب عن الفلاسفة العرب ولا سيما عن ابن سيناء فهل هذا صحيح ؟

﴿ الهلال ﴾ كلا

الماسونية والبهائية

﴿ مصر ـ القاهرة ﴾ س . ا .

ما الفرق بين الماسونية والبهائية ؟

﴿ الهلال ﴾ الفرق عظيم جداً فالماسونية نظام اجتماعي ، والبهائية شيعة دينية نشأت في جيلنا بفلسطين ولها زعيم وأتباع في بعض أنحاء العالم

معنى مثل

﴿ الكويت ـ العراق ﴾ عبد العزيز بن صالح القاضي

يوجد هنا مثل دارج يقول « ان يسيراً من ضياء الحسن خير من كثير من نور الحكمة » . فما المراد منه ؟

﴿ الهلال ﴾ لم نسمع بهذا المثل وظاهره يدل على تفضيل جمال الوجه على جمال الحكمة وهو هنا غريب

الدين والقومية

﴿ الحمرة ـ الجزائر ﴾ فاضل حسين

أيهما أفضل ـ الدين أم القومية ؟ ولماذا ؟

﴿ الهلال ﴾ لا نرى وجهاً للمفاضلة بين الدين والقومية إذ لا علاقة بين الاثنين . كما لا وجه للمفاضلة بين علمي الهندسة والفلك مثلا أو بين يومي الاثنين والثلاثاء من أيام الاسبوع . وإنما تحور المفاضلة بين شيئين بالنسبة إلى اعتبارات معينة كما إذا قلنا إن علم الهندسة أفضل من علم الفلك باعتبار ما يعود من النفع على صاحبه أو إن يوم الاثنين أفضل من يوم الثلاثاء بالنسبة إلى عدد ساعات العمل فيه مثلا . وعليه فلا يعلم وجه المفاضلة التي ترمون اليه بين الدين والقومية فكلاهما لازم للانسان . والاول (اي الدين) يحدد علاقات الانسان بخالقه . والثاني

يحدد علاقات الانسان باناء جنسه . وقد يوجد كل منهما منفصلاً عن الآخر فقد يكون ثمة دين بلا قومية أو قومية بلا دين كما قد يكون المرء مجرداً من كليهما

أما علماء الدين فيعتقدون أن من كان متحلياً بآداب الدين لا بد أن يكون متحلياً بمبادىء القومية أيضاً . وهو اعتقاد لا يوافقهم عليه جميع الناس

المشهيات

﴿ بغداد ـ العراق ﴾ أحمد قراء الهلال

هل الشاي والقهوة والتدخين أي ضرر أو نفع للانسان ؟

﴿ الهلال ﴾ الشاي والقهوة والتبغ من أشد المشهيات شيوعاً بين الناس وهي ـ كمثل الأشياء ـ نافعة إذا استعملت باعتدال ومضرة إذا استعملت بالافراط . والتدخين أشدها ضرراً لان في التبغ مادة سامة هي النيكوتين ومع ذلك فان تدخين سجارة واحدة بعد الطعام بقليل بلذة ويساعد عملية الهضم

اكل اللحوم

﴿ ومنه ﴾

هل اكل اللحوم على اختلاف أنواعها نافع أم مضر ؟

﴿ الهلال ﴾ إن عادة اكل اللحوم هي من بقايا الطبع الحيواني في الانسان . ولا شك أن في اللحوم مواد غذائية تفيد الجسم ولكن هذه الفائدة تزول إذا اقتصر الانسان على اللحوم فقط دون الخضراوات كما ثبت بالاختبار . وهذا دليل على أن الانسان لا يستطيع أن يقصر غذاءه على اللحوم ولكنه ـ من الجهة الاخرى ـ يستطيع التغذي بالخضراوات فقط على أن يعتاد ذلك بالتمرين . ويقال إن الذين يفرطون في اكل اللحوم لا يستطيعون مقاومة الامراض كما يستطيع ذلك الذين يعتادون التغذي بالخضراوات . ولا شك أن الجمع بين كلا اللحوم والخضراوات خير من الاقتصار على أحدهما فقط

جلالة الملك فؤاد واللغات

﴿ ستورنه ـ الترانزيل ﴾ بشاره زعيب

ما هي اللغات التي يتكلمها حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد ؟ وهل يصطحب ترجماناً عند زيارته عواصم أوربا ؟

﴿ الهلال ﴾ يتكلم جلالته اللغات العربية والتركية والايطالية والفرنسية والالمانية والانجليزية وهو يحسنها قراءة وكتابة ولا يحتاج إلى ترجمان عند زيارته عواصم أوربا

الجندي المجهول

﴿ ومنه ﴾ :

من هو الجندي المجهول ولماذا سمي بهذا الاسم ؟

﴿ الهلال ﴾ أثارت الدول التي خاضت غمار الحرب العظمى قضية أن تخلد ذكرى أبطالها الذين سقطوا في تلك الحرب وخدموا أممهم . ثم خطر ببالها أنه قد يكون بينهم جنود غير معروفين قاموا بمثل تلك الخدمة . وفي الواقع إن بعضة ملايين منهم سفكت دماؤهم في تلك الحرب خدموا وطنهم من غير أن يعرف العالم أسماءهم . ولذلك رأت حكوماتهم أن تكرمهم بأقامة نصب تذكاري صار يعرف بنصب الجندي المجهول . وفي الواقع أن هذا النصب في لندن وباريس يقوم على رفات بعض الجنود الذين سقطوا في ساحة الحرب ولم يستطع أحد تحقيق أسمائهم

الجامع الازهر

﴿ كموش ـ الترنزيل ﴾ يوسف خليل داود

طالعت في مجلة « أنا أعرف كل شيء »

البرازيلية أن عدد طلاب الجامع الازهر اربعة عشر الفاً وعدد الاساتذة فيه أربعة آلاف . فهل هذا صحيح ؟

﴿ الهلال ﴾ ليس عدد طلاب الجامع الازهر ثابتاً بل هو يتجدد دائماً . وبلغ هذا العدد اليوم نحو عشرة آلاف . أما عدد المدرسين في الازهر فلا نعتقد أنه يزيد على مائة . ولكن هنالك عدة آلاف من العلماء . ولعل ما ذكرتموه عن عدد « الاساتذة » يشير في الحقيقة إلى العلماء

أصل كلمة « القسا »

﴿ لارودي ـ أميركا الجنوبية ﴾ ناصف سعود

أرجو من حضرتكم أن تفيدوني عن أصل كلمة « القسا » ولماذا أطلقت على البلاد التي تسمى « أوستريا » أو « أوتريش » ؟

﴿ الهلال ﴾ « القسا » تعريب كلمة « عشه » أو « عجه » وهو الاسم اللاتيني للبلاد المعروفة بأوستريا أو أوتريش . وقد سمي هذا الاسم من اللغة اللاتينية عن طريق اللغة التركية

أستاذ وبروفسور

﴿ جاوتيكاتال ـ البرازيل ﴾ نجيب أبو سعدى

هل من فرق بين كلمة « بروفسور » التي كثر استعمالكم لها أخيراً في كتاباتكم عن بعض علماء الغرب . وكلمة « أستاذ » العربية ؟ وإذا لم يكن ثمة فرق فلماذا لا تتبعون تلك وتستعملون هذه ؟

﴿ الهلال ﴾ لا فرق بين الكلمتين في المعنى ولسنا نرى مانعاً من استعمال كلتيهما ما دامتا معربتين . فكلمة « أستاذ » التي ترجمون أنها عربية هي في الحقيقة معربة عن الفارسية ومعناها في الاصل المعلم والمقرىء والقدر والعالم . وقد أطلقت في لغة القضاء اصطلاحاً على المحامين . ولكن الجمهور في مصر وسورية يطلقها اليوم على كل من يشتغل بالعلم أو الفن أو الادب . وعلى كل فاننا نستعمل كلتي بروفسور وأستاذ على السواء وربما قصرنا الاولى على من يدرس علماً من العلوم في المدارس العالية والجامعات

الكتابة الدقيقة

﴿ حيفا ـ فلسطين ﴾ يوسف نجم

علمنا أنه يوجد شخص يدعى الشيخ نسيب مكارم اللبناني يكتب بخط دقيق جداً وأنه قد كتب آيات القرآن الشريف والدستور العثماني على بضة دجاجة واحدة . وكتب سورة يس على حبة أرز . فهل لهذا القول الذي لا يصدقه العقل والمنطق صحة ؟

﴿ الهلال ﴾ ما سمعتموه عن الشيخ نسيب مكارم اللبناني صحيح وقد جاء هذا الرجل إلى مصر وعمل هنا سوت وعرض نماذج من خطه الدقيق فتعجب من رأوها لدقتها إذ تستحيل قراءتها بالعين المجردة . وقد اطلعنا على تلك النماذج فوجدناها آية في حسن الخط وحسن التنسيق . وهذا الكاتب يستعين على عمله بنظارة مكبرة

الجهر بالصوت عند المطالعة

﴿ طرابلس الشام ـ سورية ﴾ حسن الحلو

أيهما أنفع عند المطالعة ـ الجهر بالصوت أم الصمت والاقتصار على النظر إلى الكتابة ؟

﴿ الهلال ﴾ لا شك ان المطالعة بالصمت وبلا جهر بالصوت هي أنفع لان القارىء يستطيع إذ ذاك حصر أفكاره لتفهم معنى ما يقرأ . فضلاً عن انه يضمن بذلك عدم إزعاج غيره . ولا يخفى ان في الجهر بالصوت اجهاداً للعضلات الصوتية وهذا الاجهاد يشعر به كل من يستمر في المطالعة نصف ساعة أو اكثر . بل لقد يعجز المرء عن القراءة بصوت عال مدة تزيد على الساعة مع انه يستطيع مواصلة القراءة ساعات متوالية إذا هو لم يجهر بالصوت

من هنا وهناك

قانون هرفي ؟

يبلغ عدد سكان ولاية جورجيا في هذا العام ١٢١١ نفساً . وقد سنت حكومة هذه الولاية قانوناً يحتم على الناس أن يسيروا في الشوارع بعد نصف الليل إلا لأسباب وجيهة جداً يجب عليهم اثباتها . ويحتم للناس أن يسيروا في الشوارع بعد قضاء سهراتهم في الليل بشرط أن لا يقلقوا راحة أحد . ولا يجوز أبداً لرجل وامرأة أن يوجدا في شارع عمومي معاً بعد نصف الليل أو أن ينقا ويتحدثا معاً . وكل من خالف هذا القانون عوقب بالسجن مع الأشغال الشاقة مدة لا تزيد على ثلاثين يوماً أو بغرامة مائة ريال أو بالعقوبتين معاً

الأسعار المأمونة

بلغ عدد الركاب الذين نقلتهم القطرات الكهربائية التابعة لشركة السكك الحديدية الكهربائية الاميركية في السنة الماضية نحو مائتين وثمانين مليون راكب لم يصب أحد منهم بسوء سوى واحد فقط جرح جرحاً قضى على حياته . وأقام « نادي السلامة الاميركي » في السنة الماضية مباراة بين شركات النقل الاميركية فنالت شركة بوسطون للسكك الحديدية المرتفعة الوسام الذهبي اذ لم يصب أحد من ملايين الركاب الذين نقلتهم في العام الماضي بمكروه

مواليد نيويورك

بلغ عدد مواليد مدينة نيويورك في السنة الماضية مائة وثمانيه وعشرين ألفاً أي عدد طفل واحد كل أربع دقائق . ويقول مجلس العناية صحة الامهات والأطفال بولاية نيويورك ان نحو ٧٣٠٠ طفل من مواليد نيويورك يموتون كل سنة قبل أن يتموا العام الواحد وان أماً واحدة من كل مائتي تموت بعد الوضع

ضحايا حركة المرور

ليس في اميركا من حركة المرور أشد مما تعانيه أي بلاد أخرى في العالم . فقد بلغ عدد الذين قضوا في السنة الماضية بالاصابات في الشوارع في الولايات المتحدة كلها واحداً وثلاثين ألفاً أو نحو وقتين لكل ألف أوتوموبيل . وكانت هذه النسبة قد هبطت في سنة ١٩٢٤ الى نحو ٨٨ في الألف ثم عادت فارتفعت مرة أخرى في السنة الماضية

الجرائم والجرائم

في أحد الاحصاءات الاميركية الرسمية أن عدد الجرائم في الولايات المتحدة بلغ ٣٧٫٧ في المائة في سنة ١٩٢٦ وهي السنة التي كان تهريب الخمور فيها الى ذلك البلاد على أشده

وفي تلك السنة كثرت حوادث التهريب في اميركا كثرة عظيمة وغصت السجون فيها بالمجرمين

ايرادات الرهبان

في سنة ١٩٢٨ بلغ مقدار الأموال التي تداولتها أيدي الراهبين في فرنسا في سائر الحيل ألفاً وسبعمائة وستة وعشرين مليون فرنك بلغت حصة الحكومة فيها ١١٢ مليون فرنك وقد وزعت على الجمعيات الخيرية وشركات تحسين نتاج الخيل وشركات مياه الأرياف. وبلغ مارعته أندية القمار في فرنسا في السنة الماضية حتى آخر اكتوبر ارسمائة وخمسة ملايين فرنك ربحاً صافياً بنقص نهاية ملايين فرنك عن السنة التي قبلها

أعمار رؤساء جمهورية اميركا

عاش جون آدمس أحد رؤساء جمهورية الولايات المتحدة تسعين عاماً فكان أطول رؤساء تلك الجمهورية عمراً . ولكن أعمار الرؤساء الذين عقبوه نقصت نقصاً تدريجياً . ثم ان هذا النقص لم يكن متوالياً فيذكر أن بعض أولئك الرؤساء عمروا كثيراً كالسنيور هوفر الذي عاش خمسة وثمانين عاماً وفنستن تورن الذي عاش تسعة وسبعين عاماً . ولكن اذا أحصينا أعمار الرؤساء — بوجه عام — وجدناها في تناقص مستمر

التسري في الصين

يظهر أن التسري في الصين شائع شيوعاً كبيراً حتى أنك قلما تجد شاباً من غير محظيه . ويقول أحد الصحافيين الاميركيين الذين عادوا أخيراً من الصين إن السراري هناك تباع وتشترى في أسواق علنية وان أحد كبار الاعيان في بكين حكم عليه حديثاً بالسجن لمدة ثلاث سنوات لأنه اشترى محظية ثالثة بما يساوي ستمائة جنيه

على أن الجنرال هان فوشو رئيس حكومة هوبان أصدر حديثاً أوامر يحرم بها بيع السراري والكثيرون من عقلاء الصينيين يمتدحون أوامره هذه ويتمنون لو يتاح للصين ان تتخلص من عادة التسري

الانتحار والكلف الشمسية

يعتقد بعض العلماء أن بين الجرائم والكلف الشمسية علاقة كبيرة فان تلك الجرائم تزداد كلما ظهرت الكلف الشمسية على أحلاها . ولم يتضح حتى الآن نوع العلاقة بين الأمرين ولكن الاحصاءات الحالية في معظم أنحاء العالم تؤيد القول بوجود تلك العلاقة

وكالجرائم هكذا المواليد فان الاحصاءات تدل على أنها تكثر بكثرة الكلف الشمسية

اللاشئة يبحثون عن الكنوز

في الاخبار المنقولة عن الصحف الالمانية ان حكومة روسيا السوفيتية قد عينت عشرة آلاف رجل يبحثون عن الكنوز التي يقال إن اعيان الروس يدفنونها في اماكن مختلفة عند فرارهم من حكم اللاشئة . على ان بحث هؤلاء العشرة الآلاف قد ذهب حتى الآن عبثاً إذ لم يعثروا على شيء . وذلك انقلب بعضهم لتجريد الكنائس والمعابد مما فيها من الكنوز والآثار الذهبية ولا سيما الآنية الثمينة التي تستعمل في بعض الشعائر الدينية

تحريم زواج الاطفال في الهند

من العادات الرديئة المنتشرة في الهند عادة زواج الاطفال . فقد ترى ولداً في الثامنة من عمره وله زوجة هي طفلة في الرابعة من عمرها . ولما اصدر الانجليز حديثاً قانوناً بتحريم زواج الاطفال هاج هائج الهنود وحسبوا ذلك تعرضاً

من جانب الاخير لعاداتهم وتقاليدهم القومية . وأسرع الالوف منهم فتزوجوا قبل تنفيذ القانون الجديد . على ان كثيرين منهم لا يزالون يتزوجون سراً غير حاسبين حساباً لقانون يعتدي على حريتهم وتقاليدهم القومية

شركات للاجرام

لا يخفى ان شيكاغو هي معقل كل المجرمين في الولايات المتحدة وفيها عدة شركات للاجرام يديرها فريق كبير من اللصوص وقطاع الطرق الذين يلقون الرعب في قلوب الناس

وفي أخبار الصحف الاميركية الاخيرة ان شركتين من تلك الشركات الاجرامية قد عقدت على ان تندمجا معاً وتوحدا اعمالها وتعرف احداهما بشركة كاپوني والأخرى بشركة موران . وربيس هاتين الشركتين معروفان لدى البوليس ولدى جميع المجرمين في ولاية شيكاغو

معجم شرف

الطبي العلمي

صدرت الطبعة الثانية من هذا المعجم الانجليزي العربي الجامع بعد تنقيح واضافات جديدة ، مطبوعاً بأحسن مطبعة بولاية الاميركية ، وعدّ تجديداً عظيماً . وهو أوسع المعاجم العلمية ، ودائرة معارف طبية لا يستغني عنها العالم أو الطبيب أو المدرس أو الصحفي أو طالب العلم . ويطلب من المكاتب الشهيرة في الاقطار العربية ومن مكتبة لورك في لندن

الى المحامين

اذا أردتم معرفة حقيقة تقارير الخبراء والاوراق المطعون فيها بالتزوير فاقرأوا كتاب

التزوير الخطي

الوحيد في بابه

يطلب من واضعه الاستاذ نجيب بك هواويني ـ ثمنه ٥٠ قرشاً

تيفون : ٣٣٠ عابدين . ويكفي كتابة كلمة « مصر » عند عنوانه

وهو يتولى فحص الاوراق أيضاً

على منبر الشرق

حديث خطير لسمو الامير عمر طوسون

واجب الشرق الاول ـ عصبة الامم شرقية ـ نهضة الشرق الحاضرة ـ الشرق شرق ، والغرب غرب ـ طرق الاصلاح الاجتماعي ـ ما للمرأة وما عليها

سمو الامير الجليل عمر طوسون خير من نسترشد بآرائه في إصلاح الشرق الذي وقف نفسه وماله للدفاع عن حقوقه ، والذود عن حياضه ، وسعى سعياً حميداً في رفعة شأنه ، واعلاء اسمه في بأسائها ، واستهض الهمم لتلبية داعي المروءة والاحسان

وهو فوق ذلك سياسي حصيف ، سديد الرأي ، صادق التفكير ، طالما كانت آراؤه نبراساً اهتدى به زعماؤنا السياسيون ، واستمدوا منه ما كشف لهم كثيراً من غوامض السياسة الحاضرة وله في ذلك مواقف مشهودة أقربها الى الذهن موقفه في مسألة السودان الذي قال فيه : « دائماً نحكم السودان ، فليحكمنا السودان »

أما علمه فانه من أحسن ما عرف عن أمير خطير ضرب بسهم وافر في العلوم التاريخية والاجتماعية ، واطلع على كثير من مؤلفات القدماء والمحدثين ، وسبر غور تلك المباحث الهامة بنظر ثاقب وفكر سديد . وكانت له فيها جولات يذكرها قراء الصحف وسامعو محاضراته في دار المجمع العلمي المصري مما تناقلته أندية العلم في الشرق والغرب بتمجيد وإعجاب . وله في ميدان التأليف مآثر ثمينة نذكر منها : تاريخ أقرع السن الحديثة ، وتاريخ النيل ، وتاريخ مصر من عصر الفراعنة الى الآن ، وجغرافية مصر في عصر العرب وكل هذه الكتب طابعة الفرنسية . وله من المؤلفات العربية : ثلاث في سبيل مصر ، وصفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي

هذا إلى تواضعه العظيم الذي لا عرفه لمن بلغ مبلغه من سعة الجاه ، والمكانة العليا ، مما لا نشك في ان ذلك من أهم الاسباب لالتفاف القلوب حوله ، والنظر اليه كأمير محب لأبناء وطنه ، بل لأبناء الشرق قاطبة ، يود لهم الرفعة والسعادة ، ويشاركهم في السراء ، ويسرع الى نجدتهم عند نزول الخطوب

واجب الشرق الاول

سألنا سموه : « هل يسمح لنا سمو الامير ان نسأله عن أول شيء يجب على الامم الشرقية ان تهتم به في حياتها العامة ؟ »

فتفضل بالاجابة قائلا . « ان الجواب عن هذا السؤال وأمثاله يختلف باختلاف من تلقى عليه ، وما يخطر بباله عند اثارة الفكر فيها ، فمثلا الاشياء التي تنقص الامم الشرقية في حياتها العامة عديدة وتقديم بعضها على البعض الآخر بالاهتمام به ـ ليس الحاجة اليه وكثرة مزاياه ـ قد يكون في نظرنا

غير ما هو في نظر غيرنا ، كما يصح ان يكون الذي ألفي في روعنا ، وتشبث به فكرنا والتمس له الاسباب والنتائج ليجعله أولى الاشياء بالاهتمام لو لم يسبق الى الخاطر عناية حية ، وملابسات خاصة وسقه غيره لكان أولى منه عندنا وأحق بالتقديم والافضلية

« فالجواب عن هذا السؤال وأمثاله يعتمد كل الاعتماد على الاعتبار ، ولكل انسان وجهة في طرق تفكيره واعتباره للاشياء . ولا تظهر وجاهة مثل هذه الآراء الا اذا عمل بها ، وحرت وبانت فوائدها عياناً حتى لم يعد فيها شك شاك ، ولا ظنة مرتاب

« هذه مقدمة صغيرة نقدمها بين يدي احاديثنا ، ليتبين منها مذهبنا فيها ، وانها مبنية على الاعتبار ، وقد تطابق الواقع أحياناً ، وتصيب شاكلة الصواب ، وقد لا تكون كذلك

« وبعد ، فأولى الاشياء باهتمام الامم الشرقية في حياتها الدائمة ، كما يكون من الوجهة الاجتماعية يكون من الوجهة السياسية والاقتصادية وغيرها من الوجهات الكثيرة . على ان هذه الوجهات مشتركة مترابطة لا انفصال بينها ولا انقطاع ، حتى لتؤثر احداها في الاخرى ، وتأتي نتيجة ذلك مؤثر في الثالثة عفواً بلا قصد وبدون تعمل وهكذا . ولا شك انكم لا تريدون كل هذه الوجهات ، بل تقصدون واحدة منها ، فنقول مجيبين عن سؤالكم :

« ان أول ما يجب على كل أمة من الامم الشرقية ان تعيد النظر في تكوينها وتأليفها كأمة ، فتشيد بناءها من جديد شديداً محكماً ، وتمحص في كيانها العناصر التي هي عليها خبيثة ، وتنفخ في جسمها الروح حتى تعرف كل ما يصنع هذا الاول من آفات والعلل ، فتقلعه وتري به وراء ظهرها ، فلا تحمل للعدو هذه الثغرات ، والمنافذ التي يتسلل منها سبيلا لتصديع هذا البناء وتوهين أسسه ودعائمه ، بل تسير حثيثاً ، وتقف بها عند حدودها ، ولا تتجاوز ما وضعت له من قصد الخير لا إلى ما وضع الشر لان من الاقسام والفرق ، وما جر اليه من الاحقاد والضغائن ، فان هذا هو الذي أضعف شأنها ، وجلب عليها البلاء العام والضرر الشامل

« فاذا عرف زعماء كل أمة وكبراؤها أن أساس ما هم فيه من نقائص في أنفسهم ، وفي أوطانهم انما هي تلك الخلافات التي ورثوها عن أسلافهم ، والتي أورثتهم العداوة والبغضاء ، وقسمتهم على أنفسهم ، وفرقتهم شيعاً ، وجعلت بأسهم بينهم شديداً ، وقوتهم ضعفاً ، وكثرتهم قلة ، واعتقدوا ذلك حقيقة ، وألموا له ـ لا يلبث ذلك الألم ان يهيب بهم الى العمل على تناسي هذه الفوارق ، وعلى هذه الاختلافات أو تطفيفها وحصرها في أضيق الدوائر حتى لا تكون مانعة من اخوة أبناء الوطن الواحد ، ولا حائلة دون ما يجب ان يكون بينهم من المحبة والتعاون والتناصر ، بحيث يسع لهم من الوطن الذي آواهم والمرافق المشتركة بينهم جامعة تجمعهم ورابطة تربطهم وتؤلف بين قلوبهم ، فلا تلبث تلك الخلافات الحادة ، والنعرات المتأججة أن تخمد جذوتها فتنقلب برداً وسلاماً ، وتصير نسياً منسياً أمام المصالح العامة والمنفعة القومية

« والجملة فان داء الشرق الشقاق ، ودواؤه الوفاق . وقد عرف ذلك حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغاني ، فذكره في جملته المأثورة : « اتفق المصريون على ألا يتفقوا » ، وأدركه الغربيون فكان أساس سياستهم في الشرق سياسة « فرق تسد » . وقديماً أورث الخلاف أبناء

الوطن الواحد الفخم والقوة . وفي حكاية منشأ ملوك الطوائف بفارس ، وما أشار به أرسطو على الاسكندر ليدوم سلطانه عليهم أبلغ العظة والعبرة لمن يتعظ ويعتبر . ومن حكمة الهاتما غاندي عند ما بلغه نزاع بعض المسلمين له جهلا وعناد ما حمله على أن يقول : « انا لنرضى ان نكون تحت حكم الاقلية من اخواننا المسلمين ، ونحصل هذا على اقسامهم علينا وخلافهم لنا »

« هذا ما رأيناه أول ما يجب على الامم الشرقية الاهتمام به ، ونجدونا فيه لم نأت بجديد ، وانما رددنا صدى اقوال الآخرين ، لأنها في نظرنا ليس وراءها غاية لمستزيد »

عصبة أمم شرقية

فقلنا لسموه : « وهل يمكن تأليف عصبة أمم شرقية ، وكيف تكون ، وأين يكون مركزها ؟ »

فقال سموه : « اذا عملت كل أمة شرقية كل ما يمكن عمله لتكون أمة حقيقية مؤتلفة متحدة متضامنة مصبوبة في قالب واحد ، مصورة بوطنها وقوميتها ، كان من السهل بعدئذ النظر في تأليف عصبة امم شرقية تنظر في الامور العامة التي تشملهم ، فيكون لها صوت مسموع وأثر محمود

« اما الآن وهي كما هي فان تأليف هذه العصبة وان كان ممكناً يكون واهناً ضعيفاً في ذاته ، فضلاً عن سريان الوهن اليه من الاعضاء الذين تتألف منهم تلك العصبة ، فلا يكون لها كبير طائل ولا حدوى اما كيف تكون ، وأين يكون مركزها فأمور ثانوية ومن التسرع الخوض فيها الآن »

نهضة الشرق الحاضرة

قلت : « وما رأي سموكم في نهضة الشرق الحاضرة ، هل هي خدعة للآمال أو تنقصها عناصر تحتاج اليها ، واذا كان لها عيوب فما هي ، وكيف يمكن تلافي هذه العيوب ؟ »

فقال سموه : « نهضة الشرق الحديثة حقيقة لا ريب فيها . وقد كان للحرب العالمية الأخيرة وكوارثها أكبر الأثر فيها . وسكتها الى الآن لم تحقق الآمال ، غير أن الأمل معقود بنجاحها هذا الشأن إن قريباً ، وإن بعيداً .. ولا شك بها تحتاج الى عناصر أخرى أهمها العناية بالصنائع المختلفة التي تغني الامم عن جلب ما تحتاج اليه ، وتكون مصدر رزق لكثيرين من افرادها ، ومن اسباب الاثراء والغنى والاستقلال حتى لا يظل الشرق — كما هو — عالة على الغرب

« وعيوبها العامة ما لا يزال يشوبها من الانقسامات والخلافات الحزبية ، والسياسية والدينية . ولها أيضاً عيوب خاصة تختلف باختلاف الاوطان الشرقية ، فعيوب النهضة في مصر مثلا انها تسرف في تقليد أوربا في الحسن والقبيح ، وتفقد للذة العربية تقليداً أعمى . فهي نهضة غير مستقلة لم يراع فيها ما بيننا وبين الاوربيين من خلاف في الطباع والعادات والاخلاق والدين . ولم ينظر فيها الى مدنيتنا القديمة مع أن الواجب الاخذ منها ، بل جعلها أساساً لنهضتنا الحاضرة مع ترك ما لا يتفق وروح العصر ، أو تعديله واقتباس ما لا بد منه من مدنيات الامم الاخرى بما فيها المدنيات الاوربية ، وصبغه بصبغتنا حتى تبقى لنا قوميتنا المستقلة وطرق حياتنا الخاصة »

الشرق شرق والغرب غرب

قلنا . « اذن يرى سموكم أنه يجب أن يكون الشرق شرقاً والغرب غرباً ؟ »

قال : « نعم ، الشرق شرق والغرب غرب ، قولٌ حق يؤيده التاريخ والواقع ، والماضي والحاضر . اذ لا يمكن الجمع بينهما الا اذا عدلت الانسانية عن أنفتها الحالي فشملت الناس جميعاً . وهذا بعيد الاحتمال جداً ، والتعلق به ضرب من الأوهام »

طرق الاصلاح الاجتماعي

قلنا . « وهل يسمح سمو الامير أن أسأله عن طرق الاصلاح الاجتماعي التي ينبغي اتباعها في الوقت الحاضر ؟ »

فقال سموه : « طرق الاصلاح الاجتماعي التي ينبغي اتباعها في الوقت الحاضر كثيرة ، ولكن نقتصر على المهم منها ، ونذكرها بجملة موجزة بدون شرح الا ما تدعو اليه الضرورة حتى لا يطول الكلام : فمن أهم هذه الطرق :

« ١ ـ القضاء على الخلافات والمنازعات والخصومات السياسية والدينية

« ٢ ـ تعميم التعليم الذي يذهب بالامية عن أبناء هذه الأمة بنين وبنات ، واصلاح برامجه ومناهجه في درجاته كلها اصلاحاً عاماً يضمن لجوهرها وأصولها الثبات وعدم التقلقل ، ولا تتعصى معه عن التغير مع التغيرات الضرورية التي تقتضيها مرور الزمن وتوالي عليه من الطوارئ . ويجب ان ينظر في هذا الاصلاح الى المصلحة العامة قبل أي شيء آخر حتى تخرج لنا أبناء صالحين لمزاولة جميع المهن والاعمال الحرة لا يتهافتون على الوظائف ولا يتعسرون نظرهم عليها

« ٣ ـ الاهتمام بمختلف الصنائع النسيجية هيما كبيراً بتقدير حاجتنا الضرورية اليها ، والتغلب على العقبة القائمة في سبيلها وتعميم التوسع الزراعي في مصر بتوزيع الكثير من التيارات المائية والعمل هذا الامر الحيوي الهام بهمة عالية ، لا كما هو حاصل الآن من التلكؤ والتسويف فيه

« فمتى صدقت لهم هاتان أمنيتها الصناع وأدت ما عليه ماله ، وأتت بالعجب العجاب . وبذلك ينبأ لنا إيجاد المصانع الكثيرة ، والأخص مصانع النسيج والغزل ، فستهلك جزءاً كبيراً من قطننا في بلادنا ، ولا يكون سلعة تاثرة كما هو الآن ، وكما يتدر به المستقبل . وقد عددنا هذا الأمر من الاصلاح الاجتماعي . مع انه ادخل في باب الاقتصاد لما له من علاقة كبيرة به . ومن ذلك انشاء « السوك التالية الاهلية » التي لا غنى عنها للصناعة والزراعة والتجارة ، وجمعيات التعاون

« ٤ ـ العناية بالشئون الصحية ، ومضاعفة الجهود في مقاومة الامراض المتوطنة في بلادنا ، وتوفير أسباب النظافة ، وفتح دار عدة « الحما » للتفتيش في أبناء القرى والفلاحين ، وتشجيع الألعاب الرياضية ، وتوسيع نطاقها ، ومقاومة المسكرات ، والمخدرات ، ومنع الماء الجهري والسري

« ٥ ـ حسن القيام بوظيفة الوعظ والارشاد وتعميمها وتخريج العدد الكافي لها من الخطباء المؤثرين والوعاظ المهديين الذين يعهد اليهم في القيام بتحرير جانب الفضيلة والتربية العامة للامة وبث روح الدين بطريقة لا تجعله أداة للتفريق ، بل يكون كما يريد الله رحمة عامة وسبباً في الخير والسعادة

« وقد بدأت بذلك فعلا وزارة الاوقاف والازهر الشريف ، وسيكون لهذا العمل العظيم أثر كبير في الاصلاح إذا عم في الوجهين البحري والقبلي ، وعلم تنظيم محكماً ، وروعيت فيه الطرق

القويمة المؤدية الى العرض ، وأفردت له مصلحة تنظر في شؤونه وترقيته ، وكيفية الرقابة عليه ، فانه جدير بذلك لما يرجى من ورائه من الفوائد العظمى . وعندنا ان هذا النوع من الاصلاح في أمة يكثر فيها الاميون أقرب الوسائل للتعليم العام ، وأسرع وسائط التثقيف والتهذيب واستتباب الأمن والطمأنينة ومقاومة المنكرات

« ٦ ـ التعاون بين الهيئات المنظمة على احترام « الدستور » احتراماً يتغلغل في النفوس ، ويكفل له النمو والشيوع حتى يصبح نظام الشورى علماً في جميع الشؤون ، فيكون أساساً في بناء الأسر ، وسود العلاقات والمعاملات بين الناس »

ما للمرأة وما عليها

قلنا : « وما رأي سمو الامير فيما يجب للمرأة الشرقية . وما يجب عليها ؟ »

فقال : « يجب للمرأة منذ الطفولة التهذيب والتربية والتعليم ، ويجب لها ، وهي زوجة ، العدل والاخلاص وحسن المعاملة حتى تتمكن من تأدية وظائفها في المجتمع ، فتكون زوجة صالحة وربة بيت مدبرة ، مشاركة لبعلها في الحياة مشاركة مثمرة

ونعني بتعليمها أن تتعلم ما يمكنها من القيام بالواجبات التي عليها لزوجها وبيتها وأبنائها (وهذا ما يجب عليها) . ويجدر أن تكون من بين ما تتعلمه من الاعمال ما لا بد منه للنساء ، وان يعرفن بعض الصنائع . وما يدخل في باب حفظ الصحة وما شابهها من غير اسراف ولا افراط

« فمن الاول أن تكون ممرضة أو قابلة أو ممرضة أو خادمة . ومن الثاني أن تتعلم صناعة الخياطة أو التطريز أو التفصيل ونحو ذلك ، ومن الثالث أن تتعلم بعض الفنون الجميلة كالتصوير والموسيقى والغناء والرسم والكتابة والشعر

« أما أن تكون محامية أو مهندسة أو ممثلة أو راقصة أو ما شاكل ذلك مما يقضي عليها بالاختلاط المحظور والتبرج الممقوت ، فرأيي أن في ذلك مع عدم الحاجة اليه أكبر الضرر عليها وعلى المجتمع . ولا يعيبه أن من الاوربيات من تزاول هذه الامور أو تطالب بها ، فلهن شأن ولنسائنا شأن آخر

« وأكثر ما نوصي به بنات وطننا أن يتزين بالحياء والعفاف والفضيلة أكثر مما يتزين بالثياب والاصباغ والحلى ، وأن يمقتن التبرج والخلاعة والمجون والسرف والرذيلة ، ويمقتن من تتصف بها منهن ، وأن يتمتعن بالحرية الواجبة لهن حقاً وعدلاً مع المحافظة على الشرف والصيانة والعرض فيكن جديرات بالاحترام الواجب لمن خليقات بالاكرام والاعزاز »

* * *

وبعد فهذه كلمات الامير يوجهها من منبر الشرق الى بناء مصر والشرقيين فاطمة رعبة منه في اصلاح حالهم ، واستعادة ما كان لهم من حضارة سامية ، وبعد اثيل ، فعسى أن يكون لها عند امم الشرق ما تستحقه من العناية والتلبية لارشاداتها القويمة ونصائحها الغالية التي لا ريب أنها من أحسن ما أرشد اليه ونصح به أمير جليل

طاهر الطناحي

نهضة المرأة وتعليمها

الفتاة المصرية في المدارس العليا

آراء جليلة لمعالي علي ماهر باشا ـ وزير المعارف

[تعليم المرأة في مقدمة المسائل الاجتماعية التي تشغل الرأي العام في هذه الايام. ولما كان معالي علي ماهر باشا وزير المعارف الحديد أول من أدخل نظام قبول الفتيات المصريات في المدارس العليا رأى الاستاذ كريم ثابت مناسبة تقلد معاليه وزارة المعارف في الوزارة المصرية الجديدة ان يضمن هذا المقال طائفة من آراء معاليه الجليلة في هذا الموضوع]

نشرت احدى الصحف المصرية من أيام طائفة من الصور لأوائل مصريات يتلقين العلم في كليات الآداب والعلوم والطب بالجامعة المصرية جباً الى حب مع اخواتهن الشبان فكانت أول صور من نوعها تنشر على الجمهور المصري، وتصادف اننا كنا نزور في ذلك اليوم معالي علي ماهر باشا وزير المعارف الجديد، فأشرنا في خلال حديثنا الى تلك الصور فأبدى معاليه اهتماماً بالموضوع اذ لا يخفى أنه صاحب مشروع قبول البنات في كليات الجامعة المصرية وهو المشروع الذي سعى لوضعه وعمل على تحقيقه لما كان وزيراً للمعارف في سنة ١٩٢٥. وأدى الحديث الى الكلام على تعليم المرأة ونهضتها، فأدلى الوزير بآراء جليلة في هذا الشأن رأينا ان ننقل أهمها في ما يلي

مساواة المرأة بالرجل

استهل معالي الوزير حديثه بالكلام على مساواة المرأة بالرجل من الوجهة الأدبية فقال:

«ليست المطالبة بمساواة المرأة بالرجل مسألة حديثة، فقد برزت الى الوجود في أدوار شتى، ولكنها لم تتخذ شكلها الحديث وتصادف عناية عند الناس بها الا في القرن التاسع عشر، أما نجاحها الذي يشار اليه الآن بالبنان فقد بدأ في القرن العشرين، ومما هو جدير بالتنويه به هنا ان الدور الذي لم تظفر به النساء في عهد نهضتهن هذه أتيح لهن لا بالدعوة فقط الى ما طمحن به، بل بالخدمة التي أسدينها الى المجموع. هذا هو سر نجاح هذه الدعوة التي أحدثت تحولاً كبيراً عظيماً في نظم الاجتماع الغربي بعد ما سارت الحركة في سبيل الدور كما هو مشهود الآن صار مبلغ نجاحها يتوقف على الاتجاه الذي يتجهه والمشكلات الاجتماعية والعمرانية التي تعالجها واجتناب المبالغة والغلو وعدم السعي للطفرة ومواصلة العمل المنتظم ذي النتائج التدريجية التي تشبه البناء في هذا التدرج وفي المتانة أيضاً»

تعليم المرأة وتربيتها

« غير أن المرأة لا تستطيع ان تؤدي الخدمة التي تعتقد ان في طاقتها ادامتها الا اذا استعدت لها بالتعليم والتربية ولم يكن في القوانين العامة ما يحول دون عملها وجهدها ، وقد اثبت الواقع ان القوانين نفسها لا تثبت طويلا على البقاء إذ كان فيها حيف على المرأة وكان في المرأة مقدرة لا يرفع فيها . خذ مثلاً مسألة المطالبات بحق الانتخاب في انجلترا ، فقد طالبن بهذا الحق اعواماً وأثرن ضجة عظيمة حتى سجن بعض منهن واستهدف البعض الآخر لسخط الجمهور ، ولكن الخدمة الجليلة التي خدمتها النساء في ابان الحرب العظمى وتحولهن عن الرجال في الاعمال الشاقة المحفوفة بالخطر كالعمل في مصانع الذخيرة والمفرقعات وسوق السيارات الى ميادين القتال وتمريض الجرحى وتلقيهن من الجنود في المستشفيات المهددة بقنابل الطيارات والبواخر المعرضة لضربات الغواصات — كل هذا وسواه اكسب النساء في عيون الرجال منزلة جديدة لم تكن لهن من قبل فضعفت المقاومة وحصلت المطالبة وسهل ما كان صعباً وهان ما كان عسيراً وعدلت قوانين الانتخاب وغيرها من القوانين العامة »

نهضة المرأة الشرقية

ثم استطرد معالي الوزير إلى القول :

« ومعنى هذا ان المرأة في الغرب نالت حقوقاً لم تكن لها من قبل لما اثبتت مقدرتها على اداء واجبات تصارع هذه الحقوق ولكنها . فكذلك المرأة في بلادنا هذه مقصرة من مظاهر القاعدة العمرانية القديمة ، وهي ان كل حق يقابله واجب يجب أن يقابله حق ، ولا يخفى أن للمرأة امرأة قبل أن تكون شرقية أو غربية قطبيها واحدة ومزاجها مماثلة وتركيبها لا تختلف باختلاف الاجواء والبلدان ، بل تتفاوت بحسب مدارك ارتقائها والوسائط التي تتاح لها ومن أم هذه الوسائط التعليم فكما ان التعليم والاطلاع على تاريخ البشر وارتقاء الشعوب يجعل الشعوب المحرومة الحقوق على المطالبة بحقوقها ، فان هذا التعليم نفسه يفتح عيني المرأة الى ما حرمته من اسباب الحياة الحرة . ولا يراد بالحياة الحرة هنا الحياة المطلقة من كل قيد فان هذه حياة الفوضى ، بل المقصود الحياة التي يتسع فيها المجال للنساء لاستعمال مواهبهن لا في الوظيفة العامة فقط وهي تربية العائلات وادارة البيوت مع ما في هذه الوظيفة من الفخر والشرف بل في غيرها من الاعمال لمن يحسنها أو لمن تسمح لها ظروفها بها

« فالذي حدث في الغرب لا بد أن يحدث مثله في الشرق أيضاً ولا بد من أن تسير هذه النهضة النسائية كما انتشر التعليم وكثر عدد المتعلمات ، ولكن نجاح النهضة وثباتها لعطف الرجال والنساء

على السواء يتوقف على مبلغ العلم الذي تجيبه بلدان الشرق وشعوبه منها على نحو ما حدث في الغرب. وقد صارت الحضارة الشرقية تحيث تعتمد الى عمل النساء خصوصاً في الدوائر التي يحدث العمل فيها بطبيعتهن ومارقن من الكفاءات الخاصة فاذا تحولت هذه القوى الى وجهات أخرى أو اكتفى بالقشور دون اللباب فان سير الحركة يتأخر حتى يصلح نظام السير ويستوي القصد منه »

الغرض من التعليم المدرسي

وانتقل معالي الوزير من ذلك الى الكلام على الغرض المقصود من التعليم المدرسي للبنات خاصة والطلبة عامة فقال :

« ولقد اختلف هذا الغرض باختلاف العصور والشعوب ، ففي أدوار الانحطاط كان الغرض الاسمى ان تملأ أدمغة الطلبة بالمعلومات والنظريات والحقائق أو ما يعد في حكم الحقيقة ولو كان باطلاً ولا يزال لهذا النظام أثر باق في كثير من مدارس العالم حتى أرقاها ، فان الطلبة في تلك المدارس ينتهزون فرصة قرب الامتحان السنوي فيعمدون الى كتبهم ودفاترهم ويقضون النهار والليل في استظهار المعلومات والحقائق وقد يستأجرون مدرسين خصوصيين لمساعدتهم على ذلك حتى يتهيأوا للامتحان ويختاروه

« أما في أدوار الارتقاء ومنها عصر الذهبي في تاريخ اليونان القديم فان التعليم تربية والغرض الاسمى منه تربية الملكات وتقوية القوى العقلية والبدنية والادبية وتمرينها . ولا يتم هذا على أفضل الوجوه الا اذا عمت هذه التربية جميع القوى فالكتاب الذي يقوي الحافظة والذاكرة مثلا ويعمل تقوية ملكات الاستنتاج وضعه بعكس ذلك والتعليم يكون نفعه دفعاً ولا يقرب من التربية على الاطلاق ، والتعليم الذي يكتفي فيه باعطاء القوى العقلية مع اهمال الملكات الادبية والقوى البدنية لا يستحق ان يسمى تربية ولا يجعل الذين يتعلمونه أهلا لأداء المهام المطلوبة من شعب ناهض

« ولا يخفى ان مهمة التربية واعطاء الملكات وتهذيب القوى وحفلها وعدم اهمال شيء منها مهمة تقتضي كثيراً من روح التفاني والبذل والابتكار وانشاء روح الهمة والاحترام في نفوس الطلبة فلا يجدون في المدارس العطف الذي ألفوه في بيوتهم . ولكنه يكون عطفاً مقروناً بخبرة ونظام وهو ما لا يتوافر في التربية البيتية حيث تتغلب عواطف الحنو على مقتضيات الواجب ، وحيث يرجح التساهل على ما يمليه العقل ، وهو مالا يجوز ان يكون في المدارس وما يستطاع اجتنابه »

كلية قصر الدوبارة للبنات

قال معاليه : « ولأجل تحقيق الأغراض المتقدمة أنشأنا كلية قصر الدوبارة للبنات فبذلت فيها عناية عظيمة وحازت من أرقى المدارس التي يصبو المصري الى انشائها في بلاده ، ولا أغالي اذا قلت إنها تمتاز

من بعض الوجوه على جميع المدارس النسائية الاجنبية الراقية لأن ما تتفقه على قسم التدبير المنزلي مثلا لا يسع تلك المدارس ان تتفق مثله لاسباب مالية وان ما يقال عن ذلك القسم يصح ان يقال مثله عن أقسام شتى أخرى ، ولا يتسع لي المجال الآن لأن أبسط لكم بالتفصيل ما تتلقه الفتاة المصرية في كلية قصر الدوبارة وما تتمرن عليه فيها حتى الاشارة الى أنها تتمرن حتى على كيفية تنسيق الازهار وعلى أصول اعداد المائدة وصنع الحلوى وتقديم الشاي وتنظيم الحفلات البيتية للدلالة على العناية العظيمة التي تبذل في سبيل تربيتهن تربية راقية تجعلهن قادرات في المستقبل على رفع المستوى الاجتماعي لبيوتاتهن الى المنزلة اللائقة لعلمهن وعلم رجالهن »

البنات والمدارس العليا

فقدما لمعالي الوزير : «وهل أسفر انتظام البنات في سلك كليات الآداب والعلوم والطب عن النتيجة التي كنتم تتوقعونها»

فقال معاليه: « إن هذه النتيجة التي أسفرت عنها التجربة تبعث على الارتياح التام وهنا أحد أنه لا مندوحة لي عن الاشارة الى أنه لما فكرنا في إخراج هذا المشروع من حيز الفكر الى حيز العمل حاذر كثيرون شتى كبير في نجاحه وذهب بعضهم في شكوكهم الى القول ان العائلات الكريمة لن تقدم على ارسال بناتها الى تلك الكليات . ثم صدق ذلك ، وقد أثبت الواقع عكس ما ذهبوا اليه إذ أن جميع الاوانس اللواتي يتوددن الآن الى مدرسة المعلمات يتسابقن الى أكرم العائلات ولا أتمالى في حاجة الى التنويه بأن هناك أسرا كثيرة حجرت من قبل أن تعهد الى بعلمن فيها مع الفتيان وأنهن يتلقين بعض دروس الطبخ على حدة كما أنهن يقضين أوقات الاستراحة في فناء منعزل عن الفناء المخصص للشبان

«ومما لا ريب فيه انه متى تخرجت الدفعات الاولى من البنات « الطبيبات » سيشعر الجمهور المصري بالخدمة الجليلة التي سيسديها اليه ولا سيما في العائلات التي لم تألف دعوة الاطباء الرجال الى معالجة بعض أفرادها »

فقلنا : «وهل تعتقدون معاليكم ان الفتاة المصرية ستطرق قريباً باب مدرسة أخرى غير المدارس المشار اليها آنفاً »

فقال معاليه : « حتماً وسيجيء يوم ، وهذا اليوم ليس بالبعيد ، تدخل فيه الأوانس المصريات مدارس التجارة ليتلقين فيها العلوم التجارية والاقتصادية التي تؤهلهن للاشتغال بالاعمال الحرة اسوة باخواتهن الغربيات »

وهنا أحدث وفود المهنئين تدخل على معالي الوزير لتهنئته بمنصبه الجديد فهضت مصرفاً بعد ما شكرته على حسن عجلته كريم ثابت

المؤتمر النسائي في بيروت

نابت السيدة انسان احد القومي عن الاتحاد النسائي المصري في مؤتمر بيروت النسائي الذي عقد اخيراً ، وقد القت السيدة خطبة عن هذا المؤتمر في جمعية الاتحاد والاحسان السوري بطنطا . وفيما يلي مقتطفات من هذه الخطبة القيمة

سادتي وسيداتي

جرت العادة أن يتخذ الخطيب في مثل هذا الموقف موضوعا يتفق مع غاية الجماعة التي تقيم مثل هذه الحفلة ، فلكل مقام مقال غير اني سأخالف اليوم هذه العادة عسى ان ينطبق على المثل السائر خالف تعرف ، فلا تعود الصحف في بلادي — وفي بلادي فقط — تعتني بالآنسة ولي زوجة ما ينيف عن عشر سنوات

كان من حظي ان وقفت بضع مرات على منبر الخطابة يوم كنت القي العلم في الجامعة الاميركية ببيروت . وكان لي من حسن ظن السامعين ورضاهم ما جرأني على تكرار ذلك بعد تركي الجامعة وعهدها هذه الحفلة الى اختياري لاقول كلمة في هذا الاجتماع

جاءني صديق منذ شهر تقريباً واباني رغبة سكرتيرة هذه الجمعية المحترمة في ان القي بينكم خطبة في هذه الحفلة . وكان موعدها ٢٧ ابريل الماضي وقد بقي لي ان هناك جمعية في طنطا مضى على تأسيسها ما يزيد على العشرين سنة أنتم جمعية الاتحاد والاحسان السورية ترجو منك ان تقولي كلمة في حفلتها السنوية ، فاجبته « ان شئت يا صديقي الي لا أميل الى الخطابة في جمعيات طائفية مع احترامي لها ولكل قوم ما لهم من الاعمال الحميدة في دائرة نطاقهم الخاص »

فقال : « ولكن هذه الجمعية ليست طائفية بل هي جمعية خيرية تجمع في عضويتها اناساً مختلف الطوائف وقد عاشت وعاشت ناجحة اربعاً وعشرين سنة »

قلت : « اذن سأحضر واتكلم لأني لا أجد في نفسي قوة على مقاومة الدافع الذي يرغمني في خدمة جمعية كهذه »

ولكن ما كاد يمضي يوم أو بعض يوم على قبولي هذه الدعوة حتى تلفنت من رئيسة الاتحاد النسائي الذي انتمي اليه دعوة لمقابلتها فاسرعت اليها ووجدتها مريضة ، فبادرتني قائلة إنها سوف لا تستطيع ان تسافر الى بيروت لحضور المؤتمر النسائي بنفسها ثم طلبت الي ان أذهب بالنيابة عنها لامثل الاتحاد النسائي المصري فيه . حيرت في أمري ولم أدر ما أفعل فقد وعدت جمعية الاتحاد والاحسان بطنطا بالوقوف امام مواطني في حفلتها . ولكن اتجتمع اخواتي السوريات واللبنانيات في مؤتمرهن ولا تكون مصر ممثلة فيه ؟ أيوعد الاتحاد النسائي المصري ممثلاته للاشتراك في المؤتمرات الدولية في الغرب ولا يكون من يمثله في مؤتمر شرقي عربي ؟

ايكون في مقدوري ان اتلافى هذا النقص واتردد عن القيام بالواجب ؟ واخيراً بعد تفكير طويل اضطررت ان اعتذر الى سكرتير هذه الجمعية المحترمة وسافرت الى بيروت بتنازعني عاملان عامل الاسف لاضطراري لعدم الوفاء بوعدي وعامل السرور لاشتراكي في مؤتمر بيروت . وبينما انا منهمك في عملي في المؤتمر تلقيت من مصر برقية تقول ان حفلة طنطا تأجلت ليوم ٤ مايو ويدعوني مرسلها ان اعود الى الخطابة فيها فبادرت الى الاجابة بالقبول لاني رأيت في ذلك ما يمكنني من القيام بالخدمتين والتمتع بالمسرتين

عدت من بيروت مساء امس الاول دون ان اجد من الفراغ فترة اتمكن فيها من التفكير فيما سأتحدث موضوعاً لحديثي مع حضراتكم . وامس — وامس فقط — قطعت لما جررته على نفسي بسبب جرأتي وطمعي وجلست مساء البارحة لاعد خطابي فاذا بمؤتمر بيروت واعمال المرأة السورية والبنانية فيه لا يزال يشغل كل افكاري ويحول دون مقدرتي على التفكير في أي شيء آخر . واخيراً وجدت صالتي وقلت في نفسي أي شيء استطيع ان اتحدث به لسوريي طنطا خير من اعمال اخواتهم المتخلفات في وطنهم الاول في مؤتمرهن الاخير ؟ لذلك فانا احمل اليكم اخبار سيدات سورية ولبنان وارجو ان تكون في حديثي عنهن وعن اعمالهن في المؤتمر الاخير ما يعجبكم ويشفع في قصوري لديكم

سادتي وسيداتي

ان التطور من عوامل الارتقاء وسنة الوجود والبقاء وهو سعادة الى الحيوان والانسان الى البدو والحضر تربا عمل التطور في المجتمعات والافراد ، فلا عجب وقد اتسع نطاق المعارف البشرية اتساعا لم يسبق له مثيل في التاريخ وعدم تعدد وتد به رحاب الفضاء فقرب البعيد وربط أطراف العالم بعضها ببعض ان يكون أثر التطور أكبر وفعله أعم في احداث الانقلابات الاجتماعية والثورات الفكرية . ولا عجب والمرأة نصف المجتمع البشري ان ترى على ضوء هذا النور الذي اشرق فجره حقوقها الطبيعية واصحة جلية فتهب في الشرق والغرب عاملة على استرجاعها وتبوء المركز اللائق بها

ايها السادة

اشاقكم الروض الاغن بالوانه وأفنانه ؟ لقد كان هذا المؤتمر وصفاً يدل على ذلك بعزم الارادة والتفكير، تفكير يصدق على احيا سبلا من الجمال المهيب ، وارادة اذا ما اتجهت الى الخير فهي القوة التي تزحزح الجبال وتمهد للسعادة سبلا وتعجز للعزة ينابيع . فيه تناست المرأة شؤون الجمال الزائل وترفعت عن توافه الاغراض وانصرفت بقواها جميعا الى درس أسبابه الجمال الاجتماعي ومقومات السعادة الوطنية . حتى اذا ما وفقت الى وضع أساليب الخدمة العملة

في هذا السبيل توزعت في الانحاء تعمل على اخراج المثل العليا من دائرة التصور والاحلام الى حيز الواقع المنظور

أما الموضوعات التي تناولها المؤتمر ببحوثه أو هي في الواقع غاياته فهي توحيد جهود المرأة فيما يتعلق بتربية الولد وتهذيب الشبيبة وإصلاح العادات والنهضة بالاقتصاديات الوطنية وتنشيط المصنوعات الاهلية وتحسين حال الفتاة العاملة واصلاح السجون والاستعانة بالصحف ودور اللهو على مراعاة اخلاق الاحداث فيما ينشر من قصص ويعرض من صور والعناية بيوت البغاء والعمل مع العاملين على نشر الحرية والسلام العام

ولا حاجة لي الى العودة بكم الى ما كانت عليه حالة المرأة الشرقية في الماضي القريب ، ولا الى ذكر كيف كانت تقابل به أية حركة منها ترمي الى نيل حق من حقوقها او التدخل في شأن من شؤون المجتمع . على اني استطيع ان اؤكد لحضراتكم بملء السرور ان حركة نساء سورية ولبنان الاخيرة لقيت من حكومة البلاد ومن رجالها ما يملأ قلب العاملات في النهضة النسوية وانصارها غبطة وسروراً فقد بذلت الحكومة ورجالها كل مساعدة لتسهيل عقد المؤتمر ، وحضر حفلة افتتاحه أحد الوزراء ناشأ عن رئيس الجمهورية وفريق من نواب البلاد واركان نهضتها الادبية والعاملين في صفوفها ورأت المرأة كل تحبيذ لاعمالها ومنتهى التشجيع لمواصلة السير نحو غاياتها هذا اصدق الى ذلك صدق عزمها وقوة ارادتها جار لنا ان نتفاءل بنجاحها وتحقيق امانيها لخير المجتمع الذي هي منه ولاجله تعمل

ثم أيها السادة ان المرأة في حاجة ماسة الى مساعدة الرجل لها في نهضتها وإذا عمل كلاهما معاً استطاعا ان يبدأ المجموع ويصلحا للامة التي هما منها خير والسعادة في الاتحاد قوة لا يستهان بها

وانه لمن دواعي الفخر بسوريي مصر الكرام ان يكونوا قد أدركوا هذه الحقيقة قبل سواهم فعملوا على الاتحاد طوائف ومذاهب وعملوا على التآزر في صنع الخير رجالا ونساء ويقيني ان جمعية الرجال للاتحاد والاحسان على ما في عملها من سبيل العناية وما في القائمين بها من صدق العزيمة ما كانت لتعيش أربعاً وعشرين سنة (وستعيش أكثر ان شاء الله) ناجحة موفقة لو لم تقم الى جانبها جمعية الاتحاد والاحسان للسيدات تنافسها في صنع البر واسداء المعروف وتدفع بها في سبيل الثبات والمثابرة . كما ان جمعية السيدات ما كانت لتعيش إحدى وعشرين سنة (وعمر أطول بأذن الله) لو لم تكن الى جانبها جمعية الرجال تشد أزرها وتسددها وتبث فيها روح النشاط والهمة

ولولا الوحدة القومية والاجتماعية التي تربط الجمعيتين في غايتهما دون النظر الى الفوارق الدينية لما كتب العمر الطويل لكلتيهما

ان المزاحمة والمنافسة من أهم العوامل التي تستفز المرء الى الثبات والدأب على العمل للوصول النجاح . ولا ريب في ان من مصلحة الهيئة الاجتماعية ان يتنافس أفرادها وجماعاتها رجالا ونساء في سبيل خدمتها متحدين في ذلك قالباً وقالباً نابذين الفوارق المذهبية متمسكين برباط الوحدة القومية . وفي هذا تنحصر غايتنا نحن للمطالبات بحقوق المرأة المنهيات بها الى النهوض للقيام بنصيبها من الواجب في هذه الحياة . وبهذا لا نسواء نافس الرجل وندعو الى منافسته واثقات أنها منافسة شريفة ترضيه ولا تسيئه ونعود عليه وعلينا وعلى المجموع بالخير والفلاح

ان الرجل والمرأة فرسا رهان في ميدان هذه الحياة ويجب ان يندفعا جنباً الى جنب في سيرهما نحو خدمة الانسانية ورقية المجموع دون ان يعترض أحدهما الآخر في عدوه

واني أرى في اتحاد حمعيات سورية ولبنان السورية على اختلاف مذاهب المنتخبات اليها وفي تضافر رجال ديك القطرين على تنشيط ذلك الاتحاد ومؤازرة المرأة في نهضتها ما يدعوني الى التفاؤل لان المؤتمر الذي شهدت اجتماعاته وجهود المشتركات فيه ستعود على وطنكم الاول بمثل الفوائد التي عاد بها عليكم في وطنكم الثاني اتحادكم في الحمعيتين الكريمتين اللتين تقيمان هذه الحفلة ولكن بشكل محسم وناتج أبعد مدى وأعظم

سيداتي وساداتي . وقد لكان بحضرة مثلي مؤتمر بروكسل السلمي ، وان تروا ما رأيت من آثار قوات الرجل على بشاشته ومعاصدته وشهدتم ما شهدت من اعمال المرأة على الاشتراك فيه ، ولمستم ما هنالك من روابط الاخوة والمودة والاتفاق التام على ما فيه المصلحة العامة بين المسالمة والدرزية واسبحته على اختلاف طوائفها كل ذلك في بلاد كانت المرأة فيها بالامس لا تجسر على الخروج من بيتها ولا على التحدث في شأن تربية أولادها ، وفي بلاد كانت آفتها وعلة تقهقرها تفرق مذاهب أبنائها وتعصب كل لمذهبه تعصباً يحمله بحتقر معتقدات غيره ويشعل كل شراً لاخوانه في الوطنية . أجل لو شهدتم ما شهدت من تبدل تلك الحال ورأيتم مرأى العين حسن التفاهم السائد في بلاد كانت المرأة تعتبر فيها سلعة أو متاعاً لشعرتم بمثل ما شعرت به من غبطة وسرور . ولربما كان شعور البغطة في نفوس أعضاء هذه الجمعية اللاطائفية التي اتخذت لاتحاد اسماً لها وشعاراً لتبدل الحال على هذه الصورة بين اخواتهم يفوق شعوري أضعافاً كثيرة ويساعدهم على تفهم تلك القوة التي تملكت مشاعري وصيرتني لا أقوى على التفكير في شيء آخر فكنت مسيرة لا مخيرة في اتحادي حديث ذلك المؤتمر موضوعاً للكلمة التي طلب إلي ان ألقيها على مسامع حضراتكم

واني أختم كلمتي مكتفية بابداء هذا العذر اوجيه عنها ان رأيتم فيها مالا يتفق مع حسن الاختيار لمثل هذا المقام شاكرة للجمعية حسن ثقتها بي ولحضراتكم على ما أوليتموني من حسن الاصغاء ، واثقة أنكم ستجدون من حديث حضرتي الثانيين المحترمين ما يعيضكم عما بدا من قصوري

أهم حادث أثر في مجرى حياتي

لصاحب السعادة احمد شفيق باشا

« أدين بالولاء للمغفور له توفيق باشا خديو مصر الاسبق، فقد كان سموه ولياً للعهد إلى أن ولي أمر مصر ، إلى أن انتقل إلى رحمة الله ، وهو بتغمدني بنعمته ، ويحوطني بعطفه ورعايته

« أرسلني رحمه الله على نفقته الخاصة إلى المدارس الاميرية ، فتنقلت من المتدين الى التجهيزية إلى مدرسة الفنة التي كان قد أنشأها ، وتخرجت من هذه الاخيرة « معيداً »

« ثم عينني كاتباً تركياً بالدفترخانة ، ثم كاتباً عربياً في المجلس المخصوص ، ثم إلى دائرته الخاصة ، فالى الديوان الافرنجي بالخبية عام ١٨٨٠ — وفي سنة ١٨٨٥ شملني عطف خاص من سموه ، فارسلت إلى باريس للاستزادة من العلوم العالية مع الاحتفاظ بوظيفتي ، فتمكنت من دراسة العلوم السياسية والحقوق . ولما عدت خدمت دولة عدلي باشا في وظيفة سكرتير خاص لناظر الخارجية

« أفهم قلبي حباً لسموه واعتزمت التفاني في خدمته ما يثبت ، ولكن النية شيء فعلتها فيه

« ولما استخلف نجله سمو الخديو عباس حلمي مضت عريضتي على الوفاء له بدين للمغفور له أبيه ، وقوى من هذه العريضة ما كنت أشعر به نحوه خاصة من حب وود أنشأتهما صلتي به حين كنت أحد معلميه في مدرسة الاحجار

« طلبني سموه من وزارة الخارجية ، وعينني رئيساً لقلم ترجمة نعمته ، ثم سكرتيراً عاماً للديوان الافرنجي الخديوي ، ثم رئيساً لهذا الديوان مضافاً إليه الديوان العربي

« استطعت بكل ما في طاقتي من قوة ، وما خصني ربي من اخلاص وولاء أن أؤدي لسموه قسطاً مما أدين به للمغفور له والده ، فكنت حريصاً على صون ثقة سموه بي وبين أعضاء الاسرة الكريمة ، فلا أترك جهداً إلا بذلته وثقتي لاخلاص نيتهم ، وكنت حريصاً على نعمته ، اشتريت لاسمه خاصة أسهم الشركة الملكية في أراضي شارع عماد الدين ، وكانت في حوزة أولاد حليم باشا ، وكذلك اشتريت له أراضي زراعية متاخمة على ترعة الخصب دون أن انتظر مكافأة إلا ارضاء ضميري

« إلى جانب هذا كنت أحظى عنده ، وأدود عنه ، وفي نشأة كل السياسية بصت بيني وبينه حتى عند السلطان عبدالحميد ، حيث كنت بمثابة مندوب خاص مدة اقامة سموالوالدة بالاستانة سنوات عدة

« وقد ولاني إدارة الاوقاف العمومية ثلاث سنين قمت فيها باصلاحات كانت موضع اعجاب الكثيرين ، وكانت هذه الاصلاحات ترجع بالفوائد العظيمة على الاوقاف نفسها ، وعلى سموه كشرف عليها

« وفي أواخر عهدي بها طلب مني أن أرفع الى المجلس الاعلى للاوقاف مذكرة بشراء أرض في « المطاعنة » ، وهي ملك اخي محمد بك توفيق بثمن مبالغ فيه ، فامتنعت عن اجابة هذا الطلب ، وأفهمت سموه ان الاقدام على هذه الصفقه فيه غبن لمصلحة بلغت الطرز ، وقد تسوء سمعته

« في أثناء ذلك أطير لي رغبته في نقلي الى الاوقاف الخصوصية بدلا من المرحوم احمد حيدي باشا بحجة ادخال اصلاحات بها ، كما ادخلت اصلاحات بالاوقاف العمومية ، وعرض علي راتباً كراتبي

الحالي غير ما استحقه من معاش بعد الاستقالة ، ولوّح لي بأماني في المستقبل

« دهشت لهذه المفاجأة وأحسست بأني لا أتشوق الى زيادة الراتب ، ولا الى أماني المستقبل ، والتمست بقائي في مركزي حتى استطيع تخليص مصلحة الاوقاف من أمراضها المزمنة . وعرفت ان ادارة الاوقاف كادت تنشق من عليها ، وهي في دور نقاهتها الآن ، فاذا تركتها انتكست ، فاصر سموه على عنده فاعلنت اني بحثت لسموه عما عندي ، وأنا على كل حال رهين اشارته ، وأسير إرادته ، ثم استفدت وقتاً لرغبته

« إلى هذا الحين ما كان يخطر ببالي ان من وراء هذا الطلب والالحاح « مناورة » تخفى عليّ !!

* * *

« استحصوا عليها من بعدي ابرهيم باشا نجيب — بعد أن عز عليهم تعيين من سموه بها — وقد علمت ممن أثق بصدقه ان من كانت السراي ترشحه لهذه الوظيفة نقد الوسطاء خمسة آلاف من الجنيهات ، فلما لم يتم تعيينه عوضوا عليه ماله بوظيفة عالية في السراي بعد ذلك !

« وهنا ابتدأ يداخلني ظن بان اخلاصي وتفانيّ في الخدمة لا يقابلان بشيء من حسن التقدير ، وخرجت إذ رأيت ان ثمن هذا الوفاء والتفاني دراهم معدودة

« وقد تمت صفقة أرض « للطاعنة » حسب هواه ، واتضح أمرها للعميد البريطاني (اللورد كتشنر) فرغب ان يرجع الاوقاف من مصر الجديدة حيث هي بعيدة عن متناول يده ، فتوقف أولا حتى يستشير الباب العالي ، وكان المدير للمرحوم (سعد حليم باشا) لمعروف بخصومته للعميد فأذن تلغرافيا حربياً على عدم تنفيذ أمنيته بتحويل مصلحة الاوقاف الى « العطارة » ، وهكذا كان ما توقعته من سوء نيته

* * *

« ولما حدث الانقلاب بمصر ، وكان قد عاد سموه الى الآستانة سافرت اليها ومكثت في خدمته الى سنة ١٩٢٠ كمدير للاوقاف الخصوصية

« وفي مدة غيابي أجري تحقيق في حسابات هذه الاوقاف فظهر منه أن بعض المبالغ التي كنت صرفتها لوكيلي (المرحوم أحمد بك صادق) بأذن من سموه لانفاقها في مصر وخوه الخير ، انما صرفت حسب أوراق مصطنعة بيت الوكيل — في وجوه خاصة ، فرادت دهشتي ، وعلمت اني كنت مخدوعاً ، وأنه أوقعني مع سموه في مسئولية خطيرة كانت نتيجتها صدور الحكم علينا متضامنين بمبلغ ثلاثة آلاف ومائتي جنيه وكسور ، وذلك في سنة ١٩٢١

« وإذ كنت قد انفصلت من خدمة سموه ، وقطعت كل علاقاتي قبل صدور الحكم بعام ، أرسلت الى سموه صورة الحكم وأعلمته ان المبلغ قد خصم من أموالي ، وطلبت تسديده لان ذلك شأنه وحده ، ولكنه لم يعبأ بهذا كما لم يعبأ بصرف مبالغ أخرى كبيرة لها قضية وقصص ليس هنا موضع تفصيلها »

« وكانت هذه المسائل كفيلة بأن تحول شعوري ، وتوجه سير حياتي وجهة أخرى ، فقد كنت مكرساً وقتي جاهداً نفسي في خدمة اولي نعمتي بكل ما أوتيت من قوة ، فلما قوبلت بهذه المعاملة انصرفت بكلتي كلية عن هذا الطريق ، وأكبت أؤرخ الحوادث كما وقعت ، وعلى نحو ما تعلمون »

وزير المعارف الجديد

حضرة صاحب المعالي علي ماهر باشا وزير المعارف الجديد نشر صورته مناسبة حديث له عن برنامج المرحلة وتطبيقها في عهد الجزء من « الهلال »

احمد شفيق باشا

في السجين من عمره

صاحب السعادة احمد شفيق باشا وقد بلغ السبعين من عمره في شهر يونيو الماضي . نشر صورته هنا مناسبة حديث سعادته عن أهم حادث أثر في مجرى حياته

ماء ... !؟

بقلم الاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

« الا أقولها لك ؟ لقد أخطأنا حين تزوجنا ، ولم يبق فائدة من المغالطة »

واخى ليتناول ثيابه الداخلية ، ولم يسمع جواباً فمضت اليها وجهه وسألها :

« أليس هذا رأيك أيضاً ؟ »

فمضت ريقها وقالت : « نعم »

وكان قد جثا على ركبته ومد ذراعه تحت الكنبة ليخرج الفشاب ، ثم قعد وقال :

« لست أرى علاجاً فيما بين أن ... ان نفترق . »

فهزت رأسها موافقة ومضى هو في كلامه فقال :

« بلا ضوضاء ، وإذا كنا لا نستطيع أن نعيش زوجين ، فان من الممكن أن نظل صديقين . أليس كذلك ؟ »

فلم تزد على أن قالت : « طبعاً »

ومضى هو إلى الحمام

وكان هذا ختام الخلاف الذي جعلاه ضعه شهور ولم يدعا أحداً من أهلهما أو معارفهما يشعر به ، ولو ان هؤلاء الأقارب والاصدقاء سئلوا عن أسعد زوجين ما ترددوا في الحزم بانهما « فريدة وصابر » ، وكانت فريدة في الثالثة والعشرين من عمرها وزوجها الكهل ، شعرها تاج وعطرتها سحر وصوتها تغريد ، وكان الذكور من قومها يسمونها « فريدة العجائب وتدللا لها ، أما صابر فكان اكبر منها بثماني سنوات ولكنه كان يبدو أصغر من سنه ، وكان أنيس الحضر حسن البزة خفيف الظل على الرجال محبباً إلى النساء ، يهتز الجنس بنظره وضحكه ، وكان كلاهما له فكاهة ونزوع إلى المرح ، وقد عاشا سنتين أو نحو ذلك متحابين متحفين ثم دب بينهما الخلاف وظل يستشري ويتفاقم حتى وقف السوة واهرجت الحال ولم يعد لأحدهما طاقة على الاحتمال ، ومن العجيب أن الصفات والمزايا التي كانت حقيقة ان تفقد للوقف هي بعينها التي وسعت الهوة واحدثت الأمر

وكان هو يؤثر ان يكون طعامه ونظام بيته على الأسلوب الغربي ، وهي على نقيضه تكره الغرب ، وإن كان كرهها له لا يمنعها أن تتسع على سواه فيما يوافق مزاجها ، فقاءها يوماً بافرنجية شوهاء قال انها كثيرة وحمقاء أعياء البيت فلم تستأنس بها « فريدة » ولم ترتح إلى وجهها العابس ، ولم تستطع ان تروض نفسها على السكون إلى تصرفها فلم تمض بضعة ايام حتى بدأت تشكو إلى زوجها كزازة « إلين » وتحمقها وتقتيرها وانها جعلت نظام البيت اشبه بنظام المدرسة او المعسكر ، فلا راحة ولا نمط ولا كسل ، ولا شعور بان للانسان ان يتمتع بما هو فيه من نعمة ، فما جاء ضيف إلا اثار وجوده مشكلاً ، فالين تقول انه غير داخل في حسابها ، وفريدة تقول ان إلين تفسحها بهذا التقتير ، وإنها لا تستطيع ان تفهم كيف لا يكون في البيت — في أي وقت — من الطعام إلا ما يكفي القيمين فيه على

الدوام ، هذا إلى ان فريده تكاد تموت جوعاً لانها لا تستسيغ الطعام الذي تهيئه إلين ، فالخمر كلها تصبح توابل ، والملوخية لا سبيل اليها ولا أمل فيها ، وانواع الطعام الاخرى مائعة ! وقصارى القول انها لم تعد تعرف بيتها وأنها تحس بوحشة وحيرة وأنها تؤثر ان تعيش مصرية كما كانت

وقال لها صابر مرة بعد ان سمع شكاتها : « ولكن « المصرية » ليس معناها الغوص وسوء النظام ؟ »

لمزه في نفسها هذا التعريض ولكنها سكتت فقال :

« لقد استوحشنا على الاقل من البعثة ، وصار كل واحد يستطيع ان يعرف اين هو — وان يهتدي الى ما يريد بسهولة »

فقالت بلا تفكير :

« في وسع كل منا ان يستيقظ نصف ساعة قبل موعده إذا كان ينقصنا النظام او الترتيب »

فقال صابر متهكماً :

« من سوء الحظ ان اهلي اهملوا تربيتي ، فلم اتعلم كيف ارتب الثياب او أكويها او ارقعها او ارهو الحوارب ، ثم ان هذا واجبك انت إذا كان واجب احد منا ، ثم اني اخيراً سئمت هذه الحال »

فقالت فريده : « إنها لعجيب . وكذلك انا »

ولم يعجبها كونها متعلة ان تتعب عليها الطبيعة الفسوية فالتفت إلى ذلك :

« إن يومك عجيق لا رقي فيه . لقد لاحظتك »

فقال وقد تجهم : « معنى هذا انك تنسين مسرعة ؟ الحكاية البديعة — مصدرة بشهيدة الوفاء — وإذا كان نومي العميق يأرق حديثك فربما حوان أنه ي قال مرة في عرفة اخرى ؟ وإذا كان يعز عليك ان تنعي الخدم من اجل فهي مستعدان لتسجم من تلقاء »

على انه حسبها للراع سمعي عن إين ، وأنى قد تعلمه في الغيبة والمرضاتها ان يباع لها قطعاً من الحرير لتصنع منها « فساتين » وقد ، وهو يرى بها في حيرها

« لا تحرمي عن آيات الشكر فاني واثق ان صدرك يعيس بها »

فدهشه انها نظرت إلى الحرير ثم اليه . وقالت :

« لا ادري لماذا تزوجتك ! »

فساءه منها هذا ، ولكنه آثر ان يحمله على محمل الفكاهة فضغط غضبه وقال مازحها .

« جمال روحي . حمة دمي . هو ذاك . لقد تهركن حبيباً »

فلم تتبسم وقالت : « بل تزوجتك إشفاقاً عليك ورحمة بك »

فأثارته الوحرة غير انه تجلد وقال :

« طيباً . طيباً . لقد لاحظت انك لم تكد تقدمي حاجاً حتى بادرتم إلى القول »

فقالت وقد خرج صوتها عن الاتزان قليلا :

« هل تظن انك كنت فرصتي الوحيدة ؟ »

فسره انه استطاع ان يهيجها وقال :

« لا ادري . ولكن إذا لم تكن الوحيدة فلا شك انكم عددتموها خير فرصة »

فقالت وقد حف ريقها :

« لقد اخطأنا يدك . وما من خطأ الا وهو قابل للاصلاح »

فصاح وهو يقول :

« اشقاق ؟ خطأ ؟ وماذا بعد ؟ »

فصاحت به : « اتراك تزوجت امرأة ام اشتريت دمية ؟ »

فقال : « معذرة ولكني لا افهم »

فضحكت ضحكة عصبية وقالت :

« هذا هو الذي يريد ان ينظم بيته على الطريقة العربية ! ! ومع ذلك لا يحق له ان يشاور روحته فيما يشتريه لها ! : اذ كنت تكره ان ارافقك فهل كان يحرك ان تحيش بقصاصات من الأقمشة ؟ ؟ »

فاثاره هذا الذي لم يخطر له في بال واسخطه شعوره بانه مخطىء وانها محقة فقال :

« دعي هذا الاعتراض موقتاً وعولي اولا : هل تذكرين ان عنايتي بان اشتري لك هذه القطع عمل مشكور في ذاته ؟ »

فالقت اليه بالقطع وقالت :

« اذ كانت قد اعجبتك حقاً فهي لك »

فلم يسعه الا ان يضحك وقال

« لا تصلح لي مع الأسف ومع ذلك . . . »

فصاحت به : « لا تريدها ومع ذلك تأبى عرضها على جسمي الجميل ؟ »

فطواها في ورقها وقال بهدوء تكلف

« حسن قد يسمح الرجل بزوجه فلا داعي للكلام اكثر من هذا »

* * *

وقال صابر مساء ذلك اليوم الذي انتهيا فيه الى وجوب الفراق

« لقد دعوت أخاك . معذرة اذا كنت لم استشرك ولكنك توافقين فيما أعتمد على الاستعانة به »

فقالت : « أخي عاقل وكتوم . وقد أحسنت . وليس هناك غيره ولكن عسانا نحن ان نتفق قبل مجيئه . »

فقال : « لا شك . على اننا اتفقنا على الفراق بلا ضوضاء أليس كذلك ؟ »

قالت : « نعم . فلا داعي لأية ضجة . ولذلك اقترح ان أدع أثاث البيت كما هو — لي حين — وأنتقل أنا الى بيت أخي »

فقال صابر : « كلا يا عزيزتي . بل تبقين في البيت . حتى لا يلاحظ أحد شيئاً . وأنتقل أنا بثيابي الى فندق أو ما يشبهه . فان الذي أعنيه هو مجرد الفراق لا الطلاق . وأرجو ان تسمحي لي بزيارتك من حين الى حين . . مرة في الاسبوع مثلا . . اذا شئت . . ألسنا متفقين على ان نظل صديقين ؟ أشكرك . . مرة في كل أسبوع تدعيني الى الغداء أو العشاء . . . العشاء أفضل لقصر السهرة

مما . . هيه ! ما أثقل هذا ! ! سيكون سلوكنا مدعة طريفة ! وسيقول كل من يطلع على الحقيقة ما أعقلها ! ومن يدري ؟ »

وأقصر

وجاء أحوها فوزي ، وكان كما وصفته حكيماً كتوماً عبرياً ، فما سمع قصتهما سألهما

« أمصران أنتما على هذا الفراق الغريب ؟ »

فقالت فريدة : « نعم . كل الاصرار . لقد تبينا خطأنا منذ عدة شهور ولم نجد هناك حدوى من التكلف . »

فسألها : « هل فكرتما في مقتضيات هذا الفراق ؟ »

فأجابه بسؤال : « ملقا تعني ؟ »

قال : « أعني أن هذا الفراق طلاق غير رسمي . لايفصله الا الورقة والشهود ، فاذا كنتما جادين وكارهين في الوقت نفسه للطلاق أملا في عود الائتلاف (اصوات . كلا . أبداً . مستحيل) لا بأس . صبراً . أقول اذا كنتما جادين فيجب ان يفهم كل منكما ان لا سلطان لأحدكما على الآخر ولا شأن له . أي ان كلا منكما يسترد حريته أعني الحرية في دائرتها المعقولة ، الحرية التي لا تثير المشاكل ولا تورث المتاعب والآلام »

فوافقاه وقال صابر : « واكب أحدهما دون علمي أيضاً »

فقال فوري : « عندما ترغبان في وضع الحد لهذا الفراق في كل وقت وتحت أي مشكل فلا تترددا في دعوتي أو الحضور إلي »

* * *

وجرت الأمور بعد هذا الاتفاق على ما اتفقا . هي معلقة في الجو كما كانت وكأن صابراً لم يبرحه ، وهو يزورها مرة في الاسبوع إجابة لدعوتها وتقضي المساء معها على مائدتها ويبقى الى ساعة متأخرة ثم ينصرف . وكثيراً ما التقيا في بيوت أقربائها في أيام الاسبوع الأخرى ، حتى جرى في ظن هؤلاء الاقرباء ان هذه المعاملات ليست عموماً

وكان سلوكهما في هذه المقابلات مبعث دهشة شديدة لأقربائها ، فقد كان سلوكا حافلا بالود والمجاملة واثباً بالشوق في غير لهفة ، ولم يثيرا قط في هذه المجتمعات لا بالهمس الصريح ولا بالاشارة الى موقفهما أو ما كان بينهما ، فلم يسع أهلهما الا ان يحاروهما فيما كانوا يصنعونه فيما بينهم « بالسلوك الشاذ المضحك » ، وخاصة لأن « فوري » حتم عليهم التزام الصمت واجتناب كل تعرض لهما ، وكان له من النفوذ و لكلمة المسموعة ما يستطيع به ان يفرض ارادته على الأسرة كلها

واتفق ان كان صابر يمشي ليلة مع فريدة فلما حاذت الدار كيه قال وهو يشير للنور

« الحق يا عزيزتي ان هذا الفراق — على أسوئنا — امتع من الزواج ، ولو أمكن ان تجري الحياة الزوجية على هذا النحو لكانت أبق »

فقالت فريدة وعينها الى الطريق

« كلا ! لا أظن ذلك . . . »

فابتسم صابر وقال مقاطعاً

« هل افهم أنك ملأت . . . . . »

فقاطعته بدورها قائلة

« كلا لا تفهم شيئاً من هذا . انما أعني ان المرأة تتزوج ـ أو دعني أقول اني أنا تزوجت لأني اشتهيت ذلك ، كما أشتهي ان ألبس فستاناً مميزاً حتى اذا صيف مأربي منه . . اذ شئت . . رميته . . خلفته على خديجة الخادمة . . فلا سبيل الى استرداده بعد ذلك . . ولا يمكن ان أشتهيه مرة أخرى . . . »

فامتقع لونه وقال وهو مطرق وأصابع يديه على حافة الطبق

« كاذوب تنسيه ثم تخلعه . . قد يكون هذا رأي المرأة في الزواج ، أما رأي الرجل ، رأي أنا ، أو على الاصح رأيي أنا الى الزواج فهو أني ـ معذرة اذا اسأت التعبير ـ سمعت نغماتك ، بادي جمالك ، دعاني اليه فأسرعت ملبياً ، سمعت الثناء (١) فصدقت . . . »

ثم رفع رأسه وقال بصوت متهدج « أرجو . . . أرجو يا فريدة ، اذا . اذا اشتقت الى ثوب جديد . . . فستان طريف . . أن . . آ . . أن تدعيني أعلم . . . أعني انه يكفي . . . صعب جداً ان تصارحيني ، ولكن يكفي . . ألا تدعوني الى العشاء . . . فأفهم . . . فما أريد ان تظلي مقيدة في مشدودة في ذراعك بعيداً عن مطعم الحي أعني من ناحية أخرى . . . و . . . و . . . أظنك تعذرينني أليس كذلك ؟ »

فبذلت له الوعد الذي طلبه

* * *

ومرت ثلاثة أسابيع أخرى على هذه الحادثة في خلالها وقعت مقابلاتهم في بيوت أهلها لأن صابراً كان يضطر الى السفر الى ضيعة لمشورة شئونه ، وفي الاسبوع الرابع بعثت فريدة الى صابر بخطاب تعتذر فيه عن عدم استطاعتها دعوته « عشاء » كعادتها لاضطرارها الى شهود عقد زواج إحدى صواحبها ، وكانت صادقة ، ولو أنها لم تفطأ بالدعوة الى حضور عقد صاحبتها لاستطاعت ان تقدم موعد العشاء مع صابر ، ليلة ، فلما أرسلت اعتذارها تذكرت تلك المحاورة فأخذت تعنف نفسها وتتهمها بالغباء والتسرع وتقول لو تذكرت لدعوته الى العشاء عشاء ، فالآن سيتوهم فصل حماقتي اني أريد الطلاق . . . !

وجرت الى أخيها ، وقصدت اليه في مكتبه وكان مهندساً مقاولا واسع الاعمال ، ولم تطق ان تنتظره حتى تلقاه في بيته ، ولم تكد تدخل عليه حتى اندفعت تقولها :

« لقد هدمت البيت على رأسي ، فماذا أصنع ؟ تحمل . . »

فقال وهو يتناول سماعة التليفون ليرد على طلب ، : « مهلا . دقيقة واحدة . . . ثم ينتظر في غرفتك . سأحضر اليه حالا »

والتفت اليها وقال يزود :

---

(١) الثناء صوت الثغر حين تقول « ماه ماه »

« والآن ماذا تريدين ؟ قولي وأوجزي فإن وقتي هنا ضيق . وإذا شئت فانتظري حتى ينتهي عملي فأمر بك أو تسقيني أنت الى البيت »

فصاحت به : « كلا ! كلا ! ان المسألة لاتحتمل إضاعة دقيقة »

فقال بهدوء « إذن اشرحيها باختصار وصوت خافت »

فحكت له ما حدث ، فهز رأسه وقال :

« لا أرى لي حيلة . »

فهمست ودنت منه وقالت وهي تجذبه :

« كيف تعدم حيلة ؟ ارحم . اتوسل . لقد لبثت هذه الفتاة أيلهف على عودته ، وهأنذا أنتهيه عني الى الأبد بجفائي ، فاصنع معروفاً . . فوري . . لا تخذلني . . »

فكتم الضحك وقال وهو يهم « انتظري هنا برهة حتى أعود »

وكان الذي في الغرفة الاخرى صابر ، جاء يعرض على ابن عمه الأمر

فقال فوري وهو يترك حبيبه : « لا أدري . ولكن ربما تفاهمت اذا خاطبتها بالتليفون »

فسأله صابر : « وماذا أقول لها ؟ »

فقال فوري « هذا [illegible] »

وعاد الى فريدة فقال « لقد خطرت لي فكرة . أصبه بالتليفون [illegible] فقد يثمر هذا خيراً »

وأمرها بالانتظار وتركها وخطف جهاز التليفون بمكتبه من غرفة [illegible] وقال له : « أطلب كلا من الاثنين في غرفته » وصلها بـ

فقالت فريدة :

— هالو ! صابر ؟

— نعم أنا هو . فريدة ؟

— نعم . هل أنت هنا ؟

— أظن ذلك

— كيف صحتك ؟

— لا بأس

— ما لصوتك ؟ هل أصابك برد ؟

— لا . ربما . لا أدري

(وبعد هنيهة قصيرة)

هالو ! لقد طمت الطريق قطع

— لا . اردت ان اخبرك اني طلبتك بالتليفون

— حق يا عزيزتي ؟

— الآن

ـــ الآن ؟ لم تجديني بالطبع
ـــ كيف لم اجدك ؟
ـــ لأني لست في البيت
ـــ وكيف عرفت ؟ لقد سألت عن هذا من قبل اريد . . .
ـــ اسمعي . لقد طلبتك انا ايضاً . .
ـــ طلبتني ؟ متى ؟
ـــ الآن
ـــ كيف يمكن ؟
ـــ اسمعي الي يا فريدة . لقد تلقيت اعتذارك
ـــ لم اكن اعي بالطبع شيئاً من هذا
ـــ الا تحصرين زواج صاحبتك ؟
ـــ كلا كلا !
ـــ اذن لا تريدين ان تغيري الفستان ؟
فأدنت فريدة فمها من بوق التليفون وصاحت بكل ما فيها من قوة
« مآه ! مآه ؟ »
فرمى صابر السماعة واطلق يعدو
لقد دعته اليها ! !

ابراهيم عبد القادر المازني

ماقل ودل

* من لم يصبر على كلمة يسمع كلمات
* الكامل من عدت هفواته
* كل شيء يبدو صغيراً ثم يكبر إلا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر
* كل شيء يرخص اذا كثر الا العلم والادب
* اذا عظمت القدرة قلت الشهوة
* ان النفس لتمل الراحة كما تمل التعب
* وعد الكريم ألزم من دين الغريم
* تذكر عند القدرة ان فوقك أقدر منك
* استكثر من الهيبة في غير غرور
* الطمع يزرع الضغينة في النفوس

فضائح بلاط الملك لويس الرابع عشر

بقلم الاستاذ حسن الشريف

يطيب للفرنسيين أن يفاخروا الشعوب بعصر الملك لويس الرابع عشر، وأن يباهوا الامم بسيرة ذلك الملك العظيم الذي كفت شمس الملوك الآخرين، وحار المؤرخون في وصفه وانتقوا في النهاية على تسميته بالملك الاكبر وتسمية عهده بالعهد الاعظم

ولكن اذا حار الفرنسيين أن يظهروا للملأ هذا الوجه من صورة تاريخهم حافلا باسماء العظماء في كل من أمثال موليير وكورناي وراسين في الأدب . وكونديه وتورين وفوبان في الحرب، ورعوا وكولبير في الحكم والسياسة، وأن يبدوا هذا الوجه من الصورة طافحاً بالفتوحات الحربية والمعاهدات التي سجلت تفوق فرنسا على سائر الدول الاوربية في القرن السابع عشر ، أقول اذا حار أو حق للفرنسيين أن يعملوا ذلك أفلا يحور أو يحق للمؤرخ ، وهو يتوخى الحقيقة ويتلمسها حيث تكون ، أن يرع عن هذه الصورة احيانا اطارها الذهبي البديع ، وأن يديرها ليرى وجهها الآخر وما يحويه من شناعة يقشعر من هولها البدن ويبدى من عارها الجبين ؟

الاطار الصورة ولكن كيف أعطى الفضائل لا سيما في ذلك العصر الاعظم ، وكيف هوت الاخلاق الى الحضيض، وكيف كانت الاشقاقات تسن أمور السياسة، وكيف كان الادباء والشعراء يتباهون بالشرف والكرامة وكيف كان الوزراء يطاردون الزوجات بسيوفهم ليحظى سيدهم بزوجاتهم، وكيف كان الملك يعطي بندقه عام العدل والقانون عرضة في محنة عشقاته، وكيف انغمس النبلاء ورجال الدين في الخزيه حتى زوا في آخر مراتع الفرنسيين وكيف ... الدجل والسحر والشعوذة عقول أرق الصفات ، وكيف امتهن اعلى الانسانية السمحة ، معاني الشرف والعرض والاسرة والزوجية حتى صارت هي موضوعات تسخريه و لاذدر .

على أنا لا نستطيع أن نعرض في هذه الصفحات القليلة لسلسلة الفضائح التي زاح التاريخ عنها الستار ، ونكتفي بأن نتناول من هذه السلسلة الطويلة حلقة واحدة تتوسم فيها الكفاية التي تجعل القارىء يلمح شبحاً مما كان يستتر وراء المظاهر الفخمة ، مظاهر الترف والبذخ والعظمة والفخار

المركيزة دي مونتسبان

الحقت مدموازيل دي لافاليير تاييس دي تونای شارنت ، ابنة البارون دي مورتمار ، بخدمة ملكة فرنسا في سنة ١٦٦٠ وكانت لم تتجاوز بعد العشرين ربيعاً . وقد أعجبت الملكة عاطفتها وكياستها فاختارت لها زوجاً أحد أعيان الريف وهو المركيز دي مونتسبان . بيد أن الفتاة الطموحة لم تكن لتقنع بالحياة الزوجية الهادئة بعد أن ذاقت عذوبتها حياة البلاط الملكي ، ولا لتسكن الى زوجها الشريف الريفي بعد أن رأت مدموازيل دي لافاليير — وهي أقل منها جمالا ورشاقة — تستأثر بقلب الملك لويس الرابع عشر وتصبح الى جانب الملكة ملكة غير متوجة تعنو لها الوجوه وتنحني

امامها الرءوس . لذلك امت أن تصحب زوجها الى قصره في الريف وآثرت أن تبقى في البلاط تغتنم الفرصة كلما سنحت لتبدو امام الملك تلفت نظره بجمالها الساحر ورشاقتها الساحرة وتتخير الظرف المناسب لتحل في قلبه محل دة لافاليير « الحرية العرجاء » كما كانت تسميها مدام دة مونتسبان

أما جمالها فكان من ذلك النوع من الجمال الاخاذ القهار الذي لا حول للعقل حياله ولا قوة والذي لا ترضى العين أن تفارقه ولا تقوى على أن تواجهه ، جمال كالشمس تخشى منه النفس وتؤمن بوجوده وتشعر بأثره وهو يبعث فيها الحرارة والحياة وتهفو له القلوب ولكن لا تتسامى اليه الابصار . وأما ظرفها وكياستها فيحدثنا عنهما معاصرها المؤرخ سان سيمون حيث يقول : « كانت لطيفة المظهر حلوة الحديث ذات شمائل تحكي ما فطرت عليه من المعالي والكبرياء . وكان لها طابع خاص بها في كل شيء حتى لتتعذر محاكاتها في أي شيء وحتى ليؤمن الناس بأن من المحال أن توجد امرأة أحدث منها دهاءً أو ذكاءً أو أصل رأياً » . ومن اراد أن يعرف شيئاً من رشاقتها وحسن هندامها فليقرأ ما كتبته المركيزة دة سيفينيه الى ابنتها مدام دة جريجان اذ تقول : « جمالها لا يحده الوصف وهندامها يكملها وأنسها كهندامها . ولقد تعمدت أمس في ثوب دهبي نسجت عليه ثوان الذهب حتى جعلته أبدع نسيج حاكته أمهر صناع الجن لتلفت اهل هذا الناس »

ولم تزد الايام أن حول هذه المركيزة الا بعد ان تمكنت أن وقع في شرك غرامها و سلطانه جليلة . وآذنت شمس ذه الاعصار بالمغيب فتحولت الابصار نحو الشمس المشرقة شمس المركيزة دة مونتسبان . وسرعان ما تحارب دة الاعصار ومعقد الآمال وهنا هي ذا الملك هياما حبه يتحاور في سبيل ارضائها كل الحدود و يحطم كل الاعتبارات حتى بنى لها قصراً في مرزعه كلاي كان يحاكي عظمته وروائه قصر فرساي . وحتى لها صنعاً في قصر فرساي هذا عشرين حجرة تأوي معيتها وحاشيتها على مرأى ومسمع من الملكة ، وحتى من ان سمحت للمركيزة ان تحمل كرام الفضائل المارشاله دة نواي ديل ثوب المركيزة كلما سعت على تدميه من مكان الى مكان في حين لا تحمل ذيل ثوب الملكة غير علام من علمان السراي . وكانت اذا غادرت القصر خرجت في موكب حافل تحرسها لكبرة سنة من الحاد ويحف بالمركبة فرسان الحرس الملكي وتتبعها حاشيتها في عربات فخمة تجرها الخيول المطهمة ، ويستقبلها حكام الاقاليم ووفود المدن التي تمر بها وتؤدى لها مراسم الاجلال الواجبة للملكة البلاد . وعين الملك أمامها حاكماً عاماً لمدينة باريس ومنح اخاها لقب مارشال فرنسا وفرض طاعتها على الوزراء . وكان يؤم « صالونها » كبار رجال الدولة وكبار السلك وكبار الادباء وكبار القواد يتقدمون اليها بالزلفى ويستفتون مرضاتها ويسترضون اهواءها حتى باتت في الدولة صاحبة القول الفصل والكلمة التي لا ترد

ووزقت من الملك سبعة أولاد فرض لويس الرابع عشر على البرلمان أن يقرر شرعيتهم فقرروها وحتم لهم مقاماً ممتازاً بين أمراء البيت المالك وحتم النبيل منهم بأرفع مناصب الجيش وفرض الزواج بالبنات على من وقع عليهم اختياره من الامراء . وهكذا سنت للمركيزة لامر وباتت تتحدى القدر وتهزأ بتقلبات الايام

الزوج

بيد أن الحياة اذا صفت لا بد أن يشوب صفاءها شيء من الاكدار لان الانسان أن النعيم الارضي لا يكتمل في هذه الحياة . فقد كان للمركيزة روج أبي الفدر للعهد أن يكون كثير الازواج في « العصر الاعظم » اذ كان ممن رسخت في هوسيم عبه من معنى العرض والاباء فكان يغضب لشرفه وكرامته وكان عنده موضع الدهشة والاستغراب لدى سكان فرساي . وانما العجب في ذلك خطأ عجيباً كتبته قريحة لها اسم مدموازل دي موبانسيه وهي تقول فيه . « ان ابن عمي رجل غريب الاطوار شاذ الطباع لا يفهم الحياة ولا يعبر ما يحب مما لا يحب . فلقد جاءني اكثر من مرة يندب سوء حظه أو ما يعتبره هذا الاله سوء حظ ! علاقة الملك بروجته ! وقد حاولت أن افهمه بخطئه وشدود مسلكه ولكنه لم يزدد الا عناداً واصراراً على اخراج المركيزة من فرساي . وفي النهاية عمت اي حال مجنون لا يقنع فذهبت الى المركيزة واخبرتها عما كان من روجها ورجوت منها أن تستأذن الملك في سجنه . أما هي فكانت حرية بالشكوى لشكو الحظ الذي قيض لها هذا الزوج الذي يضحك سلوكه وشكاياته رجال البلاط »

واشتد العجب بالزوج ذات مرة فقصد الى روجته وهي في حفلة من حفلات البلاط الباهرة ولطمها على وجهها بين جمع الحاشية ووقف هذا البيت يذكره بالعرف الانساني والآداب الاجتماعية ويتلو عليه آيات الكتاب المقدس ومواعظه . ثم والرواية من العجب العاجل في الدنيا والقصاص الآجل في الآخرة « ومن العجب والعاصرون يضحكون حتى اذا فرغ أمر بأخراجه فاخرجوه كما لو كان صوتاً يخفى ذكره ويتلى !

نعم كان رجال البلاط يضحكون من هذه السخافات ويتجاوبون بها ضحكات سخرية وتسلية ولكن كان هناك شخص لا يضحك ولا يسخر ذلك هو البلاط الذي كان يشعر بشاعة جريمته ولا يقوى على الخلاص منها ، ويدرك أنه لولا تسامح البيت العاصمة التي يعيش في وسطها لاودت هذه الجريمة بعرشه ولعصفت بتاجه وصولجانه . .

وزادت هواجس الملك وساورته الهموم اذا أصبحت المركيزة أما . فقد كان يحب أولاده منها حباً مبرحاً ويعلم أن القانون صريح في أن الطفل الذي يولد اثناء قيام الزوجية يكون الزوج أباه ، وكان يخشى أن يخطر لزوج المركيزة أن يطالب بأولادها باعتبارهم أولاده في نظر القانون . وازداد موقف الملك حرجاً لما أصدر كبير اساقفة ساس حكماً بحرم سيدة كانت تعيش كما تعيش المركيزة في حبالة رجل غير روجها وكانت أسقفية ساس تشمل مدينة فونتنبلو التي كان البلاط الملكي مقيماً به وقتئذ . فأيقن الملك أن المركيزة دي موبسان هي المشار اليها بهذا الحكم وأدركت المركيزة ذلك فغادرت فونتنبلو ولم تعد اليها الا بعد وفاة ذلك القس الذيل

وأيقن المركيز في النهاية أن كل مساعيه وجهوده في سبيل استرداد روجته داهية سدى وآدته الفراسة أن الملك لن يجيب من عباء العرش على توسلاته الا بأوامر بالقبض عليه وزجه في السجون ، فلبس يوماً ثياب الحداد وكتب بشارات الحداد واستقل مركبة مجللة بالسواد وأقبل

على القصر يستأذن الملك في السفر الى مزارعه. ولقد كان منتظر الروح الحرون يومئذ منظراً مؤثراً جمع حوله قلوب الذين كانوا يسخرون منه بالامس ، وتبدت حزينة الملك بشعة امام جميع العيون وأحس الناحون والمتهزون بعظمة ذلك الملك الذي يسحر قوة العرش في الاعتداء على الاعراض والكرامات . ولكن الشاعر العظيم موليير أبى الا أن يسحر ملاعته في خدمة الحزينة لمثل روايته الشهيرة Amphitryon على مسرح القصر وانهال فيها على الزوج التعس دعابة وسخرية وعبونا حتى اضحك الساخطين والباقين وأعادهم الى صف الملك وانطفت الاكف تصفق والخاطر تهتف للشاعر البديع وهو يقول : « يا ليت شعري هل في مشاركة الارباب من عار ؟ »

وسافر لتركيز ده مونتسبان الى مزارعه وحدث وهو في طريقه اليها أن اشتبك رجاله في مشاجرة مع عمدة قرية برسيان ورفع الامر الى الوزير الاكبر فوفوا فكتب الى حاكم القاطعة كتاباً يقول فيه : « إن أوامر جلالة الملك تقضي باجراء تحقيق سريع بطريقة تجعل ادانة التركيز ده مونتسبان أمراً لا شك فيه . وحبذا لو استطعتم أن تجعلوا الشهود على تأدية شهادة من شأنها أن تضاعف الجريمة المعروفة اليه حتى يكون في الامكان القضاء عليه مع المحافظة على ظواهر العدل والقانون . ولا شك أنكم تقدرون أهمية الأمر فقدروها عندما أقول لكم إن لدينا من الاسباب ما يدعو الى ذلك وان المسألة مسألة جلالة الملك » . وهنا نترك للقارىء ان يظن بالعدالة في « العصر الأعظم » ما يشاء موفين أن نكتب لوزير لويس عن كل عدل وتعسر في حديثنا فنقول إن التركيز ده مونتسبان أحس أن ملاك الحرود قد تعصى عليه فعزى نفسه بالهارنا من وجه الملك الطاغية ملتمساً عند الله عذراً عن شيء من عدل الناس .

وزادت مخاوف لويس الرابع عشر بعد أن أصبح روح شيفره طليقاً في بلاد لا سلطان له عليها وحتى أن يعمد الى المطالبة بولاء روحته وأعز على عشيقته أن ترفع الدعوى امام المحاكم طالبة الانفصال عن زوجها حباً وملالاً ورفعت الدعوى وطلب محلفة عام محكمة الشاتليه ووقف القضاة حائرين بين ما يريده الملك وما يريده الحق . ولكن الحيرة لم تلبث طويلا بعد أن لوح الملك لكبير القضاة بكرسي وزارة الحقانية فصدر الحكم في ٧ يوليو سنة ١٦٧٤ قاضياً بانفصال التركيزة عن زوجها بدعوى أن الزوج بعد الثروة الزوجية وأساء معاشرة الزوجة وأنه عير كفء لها . . وهكذا قدر على « الملك الاكبر » أن يمهن حرمة العدل بعد أن امتهن حرمة العرش والتاج

الملك يلهو والتركيزة تضطرم

كانت السعود قد انعقدت على هذه العلاقة العرمية وبدأ الملك يقترب الى قلب لويس الرابع عشر لما بدت في سماء فرساي انجم زهر رنت اليهن عين الملك بعد أن ملت طلعة التركيزة ده مونتسبان طوال تلك السنين . وكانت أولى تلك الانجم مدموازيل ده روشمور تيوبون وقد مرت بقلب الملك مروراً لم يترك أثراً ولم يحل به غير العشيقة المهجورة التي رأت فيه بدء نهايتها . وجاءت بعدها الاميرة ده سوبير وقد أحست الملك تفرط حبها لزوجها ، ذلك أنها ترينت حتى حصلت لزوجها على ماكان يتطلع اليه من رتب ومناصب ومعاش ثم حرمت أمتعها وانسحبت في غير ضجة

معلنة أن المكان شاغر لمن تشعله ، وخفت الروح الوديع الهادىء فألفته قرر العين مرتاحا الى تلك الرحمة المتحة ، يرى رأي مولير ويردد قوله : « يا ليت شعري هل في مشاركة الأرباب من عار ! » واعتقها مدام دمونتسبان وكانت شمسها تسطع حينا وتحو حينا آخر حتى أفلت ، واصرف الملك عنها الى مدام دمونتسبان أرملة الشاعر سكارون وكانت قد الحقت بالقصر مربية لأولاد المركيزة فما لبثت أن شغلت مكانها في قلب الملك وأصبحت العشيقة المفضلة وانتقل اليها كل ما كان يغدق على المركيزة من مظاهر الاجلال والتعظيم

ولكن يلوح لمن يتتبع سير الملك في عرامياته أنه كان متعطشاً الى حب يملأ به قلبه الفراغ الذي أحدثه زهده في المركيزة دمونتسبان ، وان في همه مثلاً غالباً من الجمال والانوثة لم يصادفه في احدى تلك العشيقات . والا فكيف يفسر اندفاعه نحو الواحدة منهن واضفاؤه عليها خمسة قلبه وهمه حتى يظن المحيطون به أن جميلا قد صادف بليته أوان الهيام قد وقع على ليلاه ثم لا تنقضي أسابيع أو شهور حتى يعاوده الصجر ويتنابه السأم ، فيهيم بين نساء البلاط يفتقد المرأة التي يناديه قلبه فلا يجدها . . .

وساق اله الحب صالته في شخص فتاة في التاسعة عشرة من عمرها شقراء كالسنبلة تمض عناقها الريقاوان صقولة وخطر وحيها عصوبة وتضيء روحها رقة وبشرا . لمن كانت مدموزيل اجبيناك دي فونتانج . وهي سلسلة تتوارث تعظم عند ذكرهم صولجان الرمز وسحرهم ما كانوا يسمعون من عشيقات الملك فأرادوا أن تكون لابنتهم موقد [illegible] القصر وصفة متوسمين فيها ما يحمل فؤاد الملك مهوى لبه فيخلو حينا [illegible] من قلبه وعينه ما يحمل عنه عشيقه من قبل . وتوسمت شمس سماء فرساي فكسفت ما كان يحيط بها من الاقمار ، وبين أهل البلاط من صاروا يعدون الكوكب الذي لا يأفل بل جبال الشمس التي لا تغيب . .

ودبت أفاعي الغيرة في قلب المركيزة دمونتسبان وحملت تروح وتجيء هائجة مضطربة تستفز احياناً اناساً غير معروفين لأحد من رجال القصر وتشيد بهم من الناس في مخدعها مكاناً قصياً ، وثارت كبريؤها لما رمى الملك عليها الغناء في فرساي لترمق حينها دورة النجم الجديد في سماء البلاط فهدرت وزمجرت وطار صوابها حتى قالت للملك في غصة إنها تحمد الله على هذا العراق الذي أراح عينها من رائحته النتنة ثم اعتكفت عن الناس أياماً ظهر فيها أنها كانت تبكي وتنتحب ولكن الله يعلم أنها كانت تفعل غير ذلك

ولم يدر العام دورته حتى اختطف الموت الدوقة دي فونتانج ودهش الناس في تأويل موتها كل مذهب فقال قوم بها ماتت مسمومة وقال آخرون بل أماتها السحر وقال غيرهم غير ذلك . أما نحن فلا نريد أن نملي مذهبنا بين الدلاء ولندع الحوادث تتكلم والتاريخ أصدق الحاكمين

قضية قريبة تكشف أسراراً رهيبة

بينما كانت هذه القاع والخمري تجري في قصر فرساي ، وبينما كان الملك يتنقل بين عشيقاته كما

تنتقل الشمس في البروج ، كانت المحكمة المخصوصة تحقق قضايا السحر والسموم وقد ادلت ألسنة هذه القضايا الفاضحة حتى هاج لها الرأي العام ولم يشق للملك بالقضاء العادي فامر بتشكيل محكمة خاصة تتولى تحقيق تلك القضايا والحكم فيها

وكانت قضية المركيزة دى براجيليه قد فتحت العيون وكشفت أمام أنظار المحققين أجواء واسعة في عالم الاجرام . وكان قساوسة كنيسة نوتردام قد أعلنوا من غير أن يعينوا الاسماء ولا الاشخاص ان معظم الذين وفدوا عليهم لتأدية فريضة الاعتراف اعترفوا بانهم سموا بعض الناس . وكانت الضنون والريب قد أحاطت بمصرع دوقه أورليان وبجلبة النحية التي ماتها الوزير هوج دوليون وبالأمراض التي عصت مرض دوق سافوا حتى مماته . وكان أولو الأمر قد ضبطوا ورقة سقطت من جيب أحد المترفين بكنيسة الآباء اليسوعيين وفيها مشروع مؤامرة لتسميم الملك وولي عهده . فاهتم الملك للامر ايما اهتمام وانعقدت المحكمة المخصوصة وظلت تحقق حتى هداها البحث الى شخص اسمه لويس فانس ضبطت بين أوراقه ورقة تثبت وجود جمعية واسعة النطاق تضم السحرة والمشعوذين والكيمياويين ومزيفي النقود ، ولها أعضاء كثيرون معتبرون في قصر الملك وبيوت الأمراء والأشراف والنبلاء

وتوصل النائب العام لاريني الى معرفة جمعية أخرى من السحرة ترأسها امرأة اسمها موفيوران لم يلبث خطرها أن علق لصوص المحققين من أنفسهم أن هذه المرأة كانت ساحرة والمركيزة دى مونتيسان على حياة الملك ، وقد قام لديهم القطع أمامهم على أن المركيزة دى مونتيسان كانت تتردد على أعضاء تلك الجمعية لتستعين بعلومهم على الاستيلاء على قلب الملك وعلى تكييد منافساتها من العشيقات

وسكي يدرك القارىء أهمية السحر في القرن السابع عشر وسبب اعتقاد الناس فيه تقول ان الفيلسوف اللاهوتي الكبير توماسويه كان يؤمن بالسحر ويثق بقوة أثره في حياة الانسان وان المحاكم كانت تأخذ السحر فصيه مسلماً بها فتصدر الاحكام بعقاب السحرة على ما ارتكبوا بسحرهم ضد الناس . وان السحر كان علماً يرثه الابناء عن الآباء ويحتفظون بسره لذراريهم وديعة يتقونهم ايها ويحرصون على تعاليمهم ان تذاع وكان بعضهم لا يعترفون بها حتى فوق البطح ساعة الاعدام . ولقد كان الانتقام من الاعداء بوسائل السحر أمراً مألوفاً بين الشعب سواء في ذلك المتعلمون والجهلاء والطبقة الدنيا وطبقة النبلاء

على أنه لا يهمنا من أمر السحر في القرن السابع عشر الا ما يتعلق منه بقضية موضوعنا المركيزة دى مونتيسان . فقد ثبت للمحققين أنها بدأت تزور دور السحرة حوالي سنة ١٦٦٦ وهي السنة التي تطلعت فيها الى الملك وحاولت أن تنزل من قلبه منزل العشيقة المحبوبة ، وفي ذلك تقول ابنة الساحرة موفيوران في محضر التحقيق لما جيء بها بعد اعدام أمها لتقرر ما تعلمه من علاقات المركيزة بامها الساحرة . وان المركيزة كانت تهرع الى والدتي كلما آنست من الملك ملالا ، أو صادفت منه إعراضاً ، وكانت والدتي تصحبها الى بعض القسس ليقيموا لها صلوات خاصة من شأنها أن تثمر لها في قلب الملك . وكان القسس يصنعون لها مساحيق تدسها في طعام الملك ، وكانت هذه المساحيق تسمى مساحيق الغرام

ولتركيبها طرق مختلفة أعرف منها مربعاً من الدراريع (الذبابة الهندية) ودم الخفاش وأحراء من رءوس حيوانات صغيرة تحفف وتسحق وتخلط بالدم البشري وتصنع منها في النهاية عجينة يأكلها الملك بعد أن يباركها القسيس . . . »

وشهد الساحر لوساج أمام المحققين فقال : « ان التركيبة كانت تعتمد في اجتذاب الملك اليها على الأب ماريت قسيس كنيسة القديس سيفران الذي كان يلبس السوح الكهنوتي ويصلي أمام الهيكل بعض صلوات يرتل في أثنائها الاناشيد الكنسية . ثم كانت مدام دي مونتسبان تركع على ركبتيها ويباركها الاب ماريت وهو واضع يديه على رأسها بينما هي تدعو وتتهل الى الله أن يميلها أمينها فتقول : « اني أريد أن يخصني الملك بحبه وولي العهد بصداقته وأريد ألا يفتر الملك عن حبي وأن تصبح الملكة عاقراً وأن يعاف الملك سريرها وعائدتها وأن يجعل لي عندها الحظوة الكبرى حتى لا يرد لي أمراً ولا يخيب لي رجاء . وأريد أن أظل مهيبة محترمة من أعيان الدولة وكبرائها وان يدعوني الملك للاستنارة برأيي في كل المسائل . وأريد أن يحل غضب الملك بالآنسة لا فاليير فيكرهها وأن يحدث ما يحمل الملك على طلاق زوجته فأتزوج به وأصبح ملكة فرنسا . . .

« ولقد شاهدت الأب ماريت مرة أخرى وقد فتح بطن حمامتين وأخرج قلبهما يقطران دما وبارك أحدهما وأعاد لويس الرابع عشر وبارك الثاني وأعاد الزكيرة دي مونتسبان ثم ضم القلبين الواحد الى الآخر وهو يصلي ويقول [illegible] »

وشاءت الاقدار أن تصدق الدهشة ان تنقض الزكيرة دي مونتسبان نظر الملك على أثر هذه الصلوات فما ان كانتم عنه حتى أثبت ان الساحر قد بدأ يؤتي ثمره فاندفعت تحوب أندية السحرة يقودها اليها الشيطان لوساج دي ثم وتنقل من ساحر الى ساحرة حتى عثرت بقسيس اسمه جيبور كانت له خبرة واسعة بفنون السحر والاستحضار الخ . وقد صدقت اليه الزكيرة ذات ليلة ليسعفها بما أوتي من العلم وقام هذا وزاد بعضه أحد الشهود الذين حضروه فيقول :

« . . . وحلت الزكيرة كل ثيابها وباتت عارية الجسد على مقعد طويل وأقبل الاب جيبور يمسح جسمها بيده ويقول : يا أستاروت ويا أسموديه ويا ملوك الحب أسألكم ان تقبلوا هذه الضحية التي أقدمها اليكم وأطلب منكم ان تشملوا هذه المرأة عطفكم ورعايتكم وان تحملوها محبوبة الملك لا تشاركها في حبه امرأة أخرى . . ومد القس يده وراء ستار وحمل طفلا صغيراً لا يتجاوز عمره الشهرين وتناول سكيناً غرسه في رقبته وتناول قدحاً تلقى فيه دم الطفل حتى امتلأ وفاض ثم ألقى الطفل جانباً وكان قد مات فحملته امرأة وخرجت به من وراء الهيكل وأقبل القس يمسح الدم بطوف به حول رأس الزكيرة وقلبها وهو يتمتم صلوات لم أفهم منها كلمة . ثم عاد ينادي استاروت وأسموديه وملوك الحب وهو حائم أمام المرأة العارية . ونهضت الزكيرة بعد ذلك ونفخته ملفاً كبيراً من المال وانصرفت »

ولقد شك المحققون في صحة هذه الشهادة لفظاعة ما ترويه فاستحضروا عشيقة القس جيبور وكانت لا تعرف انه متهم وسألوها ان تقص عليهم كيف كان رفيقها يقيم الزار على جسد الزكيرة فأنكرت وظلت تنكر حتى رأت آلات التعذيب تنصب أمامها فاعترفت وجاء اعترافها مطابقاً لشهادة الشاهد . ثم جاء اعتراف جيبور نفسه مقرراً لشهادة الاثنين

ورجع المحققون الى النشرات الطبية التي كان الطبيب د كان يدبجها عن صحة الملك كلما مرض فألفوا تواريخها متوافقة كل التوافق والتواريخ التي عينها الشهود لزيارة للركيزة أندية السحرة الذين كانوا يقدمون اليها للساحق والوسائل ليأكلها الملك ويشربها . ولقد كانت تعتري الملك أحيانا نوبات عصبية وأوجاع في الرأس والمفاصل وآلام حادة في المعدة والامعاء يحار الاطباء في تعليلها وفي وسائل شفائه منها . ولشد ما كانت دهشة المحققين عند ما اتضح لهم في النهاية ان هذه الأمراض الطارئة لم تكن الا نتيجة ما كانت الركيزة الجبلة تدسه لعشيقها في المآكل والمشرب بواسطة خدام كانت تختارهم خصيصاً لخدمته على المائدة ليرداد بها غراماً وهياماً

ولعمري كيف كان يتأتى ان تشك الركيزة دي مونتسان أو تتردد في الايمان بعمل السحر وأثره في كانت تتعهده وهي ترى بحبها في صعود مطرد والملك يهجر عشيقاته عقب كل زار ليعود اليها تائباً ماكثاً ؟ وكيف لا تؤمن بعلم الأب ماريت والأب جيبور وهي ترى للملك يكره عدوتها ومنافستها لاوليير على ان تقوم بخدمتها مع الوصيفات ويعرض عن مدام دي لودر ولم يمض معها غير ليال معدودات ، ويزهد في الاميرة دي سوبيز فتروح القصر ولا تعود تخطر له ببال ، ويهجر مدام دي مانتنون فلا يزورها الا لماماً بعد ان هام بها كالمجنون

حقد النساء كافر ، فاذا امتزجت به الغيرة أخرج المرأة عن صوابها ودفع بها الى أقصى حدود الشر والجريمة . ولقد يهون على المرأة كل شيء ولكنها لا تهون عليها كبرياؤها تدوسها امرأة سواها تنازعها قلب عاشقها . ولقد وجدت الركيزة دي مونتسان في هذه الحالة النفسية الحادة فتقدمت مؤتمراً من السحرة وشكوت لهم والامر فتحاوا لها الوسائل للقوى في السحر ولكن حب الملك للدوقة الصغيرة كان أقوى من كل شيء فتلك الطلاسم والتعاويذ والتمائم . اذن . . . اذن فليهلك الملك ولتهلك الدوقة ولكن بعد ذلك ما يكون

استشارت الركيزة الساحرة موهوران في وسائل لقتل الملك وعشيقته واستقر الرأي على تسميمهما بنوع من السم كانت تعرف سر تركيبه ومن شأن هذا السم اذا مس بشرة الانسان تشرنقه البشرة وسرى الى الدم فيميت

وكان للملك يوم في كل شهر يجلس فيه على العرش ويستقبل المظلومين من رعاياه يرفعون اليه ظلاماتهم في عرائض مكتوبة . فاقترحت موهوران أن تدهب بنفسها الى القصر لترفع الى الملك عريضة تطلبها بذلك السم حتى اذا ما مسها يده سرى السم الى جسمه فلا يحو من أثره الا كيد . اما الدوقة فقد استحضرت لها احد اتباعها والسماه لباس تجار الارياء المتنقلين وزوداه ببضائع بينها قفاز مسموم صنع من احمل اصناف الجلد وزركش احسن زركشة وارسلاه الى الدوقة يعرض عليها ما يحمل وسرعان ما تعرية القفاز الجميل

ولكن شاء للملك حسن الحظ أن يمرض في اليوم المعد لاستقبال الشاكين والمظلومين فكان لا مناص للساحرة من انتظار مثل هذا اليوم من الشهر الذي يليه ، ولكن لم تمض ايام حتى قضى عليها لتهم اجرى فأحرقت العريضة المسمومة وهكذا نجا لويس الرابع عشر من الموت الذريع بأعجوبة من أعاجيب الصدفات . اما الدوقة دي دوتاج فقد اعتلت صحتها وهي في الشهر الاخير من حملها فعطل

المساحيق والسوائل التي كانت المركيزة تغري خدامها بدسها فيما تأكل وتشرب . فلما وصلت لم تقو بنيتها المتهدمة من أثر السموم على تحمل آلام الوضع فماتت وهكذا استراحت المركيزة دي مونتسان من تلك المرأة التي طالما حملتها تمام بلية للسوء

الخاتمة الرقيمة

وانتهت « المحكمة المخصوصة » من تحقيق هذه القضية البشعة بسرعة ورفع النائب العام لاريني تقريره الى الملك حاوياً كل تلك التفاصيل يؤيدها من الأدلة والبراهين مالا سبيل للشك اليه . وفتح الملك عينيه على الحقيقة المرة ووقف على ما كانت تكيده له تلك المرأة التي خصها بأوفر نصيب من قلبه وعطفه والتي ظل يرعاها حتى كادت ترتقي العرش عاشقة لاهية والتي نفسه بين امرين احلاهما مر: اما ان يدع العدالة تجري في مجراها وتأخذ الفاجرة بما اثمت وهنا لا مفر من فضيحة يسير بها الركبان ويتحدث بها العالم وتظل لاصقة باسماء ابنائه منها ، وإما أن يطوي صفحات التحقيق ويغفر الجريمة من بين براثن القانون ليقد اسمه وعرشه مما يكشف عنه هذا التحقيق ، ولكنه آثر الثانية وأصدر امراً بحل « المحكمة المخصوصة » ووقف التحقيق فيما يتعلق بالمركيزة وأحرق المحاضر بما اشتملت عليه مكتفياً بما صدرته المحكمة من أحكام بالاعدام على السحرة شركاء عشيقته في الاجرام

واقفلت المركيزة على نفسها بكي وتنتحب وتمزق ثيابها ضارعة الصفح والغفران فما آنست منه عدم الاكتراث بدموعها وتوسلاتها تحركت في نفسها كل هذه المرأة وجمع في ذاكرتها ما قاسته من آلام الغيرة وما أصابها من خيبة وذلال وهمت واقفة وأخذت تلعن الملك وتلا من التعنيف واللوم والعتاب قائلة انها اذا كانت قد اجرمت على ما أقدمت عليه فلأن حبها كان اقوى من صوابها ولأن الملك لم يرحم كبرياءها حين تخلى وهو يواسي عزيزاً مكلوماً وختم دعاءه وهي تهوي الى الأرض فاقدة الرشد تردد قولها : « والآن هذه ام أمانتك بين يديك فاصنع بها ما تشاء »

وغادرت المركيزة القصر وهجرت باريس وانتبذت من الناس عزلة قصية في دير من اديرة الريف وقد حرم الملك على أهله وحاشيته ان يذكروا امامها في البلاط حتى انه لم يسمح لها بحضور حفلة زواج ابنتها وحتى أنه حرم على أولادها أن يقبلوا عليها الحداد بعد مماتها

وكأن حياة الدير قد أعادت الى قلب هذه المرأة العاتية بعض الشعور بالندم على ما اسلفت فتوسلت الى زوجها ان يعفو عنها وان يقبلها في بيته تائبة نادمة ولكنه أرسل اليها يقول إنه لا يريد ان يراها ولا أن يسمع بها ما دام حياً . وهكذا قضي عليها أن تعيش سبعة وعشرين عاما تصلي وتزكي وتواسي المرضى والفقراء واباء السبيل ورصدت كل مالها على اعمال الخير والبر والتقوى عسى أن تتسع رحمة الله لما أجرمت واستقبلت الموت باسمة هادئة وهي تردد : « ان الله ارحم من ان يحمر لصفيحة مثلي وهو الغفور الرحيم »

عيسى الشريف

الكولونيل هاوس

« سير هاوس وأنا روح في جسدين بل هو أنا نفسي ولكل شخصاً مستقلاً عني . أما آراؤه وآرائي فواحدة » [ولسن]

لا عرف رجلاً لعب في السياسة العالمية دوراً خطيراً وكان لسياسته أبلغ الأثر في تغيير مجرى الحرب ، ومن ثم في تغيير مجرى التاريخ وقد بقي اسمه مع ذلك مجهولاً من سواد الناس غير الكولونيل هاوس

وإنا إذ نكتب اليوم طرفاً من سيرة الكولونيل هاوس انما نسرد تاريخ صداقته للرئيس ولسن إذ أن حياته تتلخص في هذه الصداقة التي كانت المؤثر الفعال في سياسة الولايات المتحدة من أول الحرب الى نهاية مؤتمر فرساي

أما شخصيته فلا يتيسر لأحد أن يعرض لها بالفحص والتحليل لأنه شخصية رجل لا يحطب ولا يتكلم ولا يسمر ولا يحب أن يعرف الناس عنه شيئاً ولا أن يتحدثوا عنه بشيء . وإذا عمدنا الى الصحف التي نشرها مستر شارلس سيمور وشريكه « أوراق الكولونيل هاوس الخاصة » لم نجد بها أكثر من إشارات يسيرة يعض المستر ارنيسه لا يستطيع قارئها أن يتبين خلالها شيئاً من صدق كلامه ، بل قد لا يجد إلا حيرة في فهم هذه الشخصية المحيرة التي تتراوح بين التواضع والكبرياء ، والصراحة والحرص ، والاخلاد الى السكون وحب الحرب والنضال

ولكن اذا كانت الشعوب قد ألفت السياسة « الهامية » [1] على مدى العصور ، واذا كنا قد لمحنا في التاريخ وراء كثير من عظماء الساسة والحاكمين مستشارين مستترين كانوا لسادتهم بمثابة المحرك الخفي وراس المدبر ، فان الدهشة تتولانا اذ نرى رجلاً من هذا النوع من المستشارين وهو الكولونيل هاوس ، يجد لنفسه مكاناً في ديموقراطية صريحة كالديموقراطية الاميركية

على ان الكولونيل هاوس اذا كان قد أحب العمل الصامت وآثر التستر في السياسة فلأن بيئته السقيمة تحتم عليه ذلك وتحول بينه وبين إرضاء غريزة الكفاح الكامنة فيه ولا تسمح له باحتراف السياسة النشطة ولا بتحمل متاعب المشرك الانتخابية أو أعباء الحكم والمسئوليات

(١) « هامان » صديق فرعون ومستشاره الامين ، وقد كان يدير أمور الدولة ويدبر الحرب ولم من غير أن تظهر له يد في شيء

ولقد شب مستر هاوس في ولاية تكساس وانصرف بفطرته الى السياسة ، وكانت له فيها نظريات وآراء لفتت اليه نظر حاكم الولاية فقربه اليه واستأنس برأيه في بعض الامور ، فلما وقف على مدى خبرته وأصالة رأيه اتخذه مستشاراً غير رسمي حتى اذا ما انقضت مدة ولايته أوصى به الذي خلفه ، وهكذا ظل مستر هاوس يشغل منصب المستشار العرفي لحكام تكساس عشرين عاماً لم ينقاض في خلالها أجراً

غير ان السياسة المحلية في ولاية تكساس لا تستغرق كفاءة ككفاءة الكولونيل هاوس ولا تتسع لنشاط ذهنه المتوقد . لذلك رأيناه يتحول بوجهه شطر السياسة العامة ويترقب الفرصة التي تتيح له الاشتراك في تسيير دفة الشؤون العامة . وقد تهيأت له الفرصة لما آن أوان انتخاب رئيس جديد للجمهورية يخلف مستر تافت . وكأنما آلى على نفسه أن ينتخب بلاده بخير رئيس يراه ، فانطلق يعجم عود المرشحين ويختبر مزاياهم حتى عثر على وودرو ولسن حاكم ولاية نيوجرسي ، فصادف فيه الرجل الذي يأنس فيه الخير لهذا المنصب الخطير

وكأنما كان هذان الرجلان قد خلقا ليتعارفا ويتصادقا . فما إن تبادلا افكارهما حتى ادركا مبلغ ما يربطهما من اواصر العقلية ووحدة النظر ووحدة التفكير ، فابتدأت الصداقة بينهما من ١٩ نوفمبر سنة ١٩١١ وقدر لها أن تكون صداقة مثمرة عظيمة الخطر من الامور

ولكي يدرك القارىء مبلغ رهط الكولونيل هاوس في نجاح ولسن يجب أن نعلم أنه طال بمهد انجاح ولسن في جناح الحزب الديمقراطي ما كان يحيق به من ريبة وعداء والمرونة وسعة الحيلة ، حتى حمل الحزب على قبول درج المتعهدين الذين يرشحهم لرياسة الجمهورية . فلما انعقد مؤتمر الحزب العام في سنة ١٩١٢ بمدينة بالتيمور كانت جلسة افتتاحية مضطربة لم يستقر فيها الرأي على اختيار ولسن مرشحاً وحيداً إلا بعد أن أخذت الاصوات ستا واربعين مرة . ولقد وقف الكولونيل هاوس كل جهوده واهتمامه على هذه النتيجة ، فلما اسفرت عما كان يريد أن تسفر عنه وأعلن أن ولسن هو مرشح الحزب الديمقراطي لرياسة الجمهورية أبحر الكولونيل في اليوم نفسه الى اوربا تاركا للحزب ان ينجح مرشحه بالوسائل الفنية بعد أن مهد لهذا الترشيح بالوسائل الخفية

ولقد كان ولسن يعلم أنه مدين لمستر هاوس بفوزه ، وكان يعلم أنه لولا الجهود والمشاورات التي قام بها صديقه لما تم له هذا الفوز ، فاراد أن يكافئه على ما أسدى اليه من معروف فعرض عليه مناصب الدولة يختار منها ما يشاء . ولكن الكولونيل الذي كان يغب بطبعه عن المناصب واعباء الحكم أبى أن يقبل شيئاً منها، فكان لهذا الاباء أكبر أثر في نفس الرئيس الذي علم من ذلك اليوم أنه حيال رجل تجردت نفسه من كل المطامع . وليس عجيباً بعد ذلك أن تصبح للكولونيل لدى الرئيس مكانة ممتازة تخول لصاحبها نفوذاً غير محدود على تفكير ولسن وعلى

سلوكه في الادارة والسياسة . على أن تجرد الرجل عن المطامع لم يقف عند حد التعفف عن المناصب العالية، فان الحكومة كانت تكلفه بمهام خطيرة تستعصي على غيره ولا يصلح لها سواه ، فكان يقوم بها متطوعاً لا يقبل أجراً ولا يرضى لها مقابلاً

ولعل من أكبر مزايا الكولونيل هاوس حرصه على كرامته وبعده عن الفضول . فقد ظل مستشاراً لولسن مدة رياسته ولكنه لم يتطوع مرة بابداء رأيه في موضوع لم يطلب اليه ابداء الرأي فيه وكان بيته متصلاً بالبيت الابيض بسلك تليفوني خاص ، وكان يدخل على الرئيس في أية ساعة من ساعات الليل والنهار ، ومع ذلك لم يرض يوماً أن يستغل هذا النفوذ الواسع لخدمة صديق أو للنكاية بعدو . وكان يلم بجميع الشؤون التي يتوقع أن يستشيره الرئيس فيها الماماً لا يدع زيادة لمستزيد . وكان يعرف جميع الاشخاص وجميع الاشياء وجميع السوابق وجميع الخفايا فكان للرئيس بمثابة العين والاذن والذاكرة والعقل ، يوفر عليه جهد البحث والاستقصاء والمذاكرة ، وكان يعمل كل ذلك ويقوم بدوره الخطير في أكثر ما يكون من التستر والتواضع وفي غير زهو ولا خيلاء ، حتى انه لما نسقت المواصلات الالمانية الباخرة لوزيتانيا هرع اليه اصحاب المصالح يطلبون منه أن ينصح الرئيس باتخاذ ما يرضيهم من الاجراءات فأجابهم : « ان الرئيس يعرف واجبه ولا ينتظر نصائحي بشأن ما يجب عليه »

بيد أن هذه الخدمات في جملتها وتفاصيلها لم تكن في الحقيقة كذلك ، ولقد كتب الرجل عن نفسه يقول : « ان الجريدة التي أحياها لتعوق في حوادثها وأهمها تلك الحوادث كل ما ورد في الروايات » وكان يتوسل الرئيس ولسن في تحقيق تلك المآرب التي تفيض بها نفسه وكان يستحثه على خدمة هذه المثل العليا بكل ما يستطيع من وسائل الاقناع والاغراء . فهو الذي أوحى اليه أن يجعل من شروط دخول اميركا في الحرب ان تقبل الدول المتحاربة انشاء عصبة الامم . فما كان الرئيس يتفاوض بشأنها كان هاوس يكتب اليه : « ان هذه المسألة تستأثر بكل نفسي وبكل عواطفي وتشمل أهم حيز من تفكيري واهتمامي . ويودي لو وفقني الى حلها على الوجه الذي ترضاه حتى تكون المفخرة الدائمة لرياستكم وضماناً حسناً لمجد المدنية الاميركية »

وكان الرئيس ولسن بل الحرب الديموقراطي كله حديث عهد بالحكم وبالادارة الذين استأثر بهما الحزب الجمهوري عشرين سنة متوالية، ولا شيء أخطر على رجل حديث العهد بالحكم من رواد المنافع الذين يلبسون ثياب الاصدقاء والناصحين . وقد أدرك الكولونيل هاوس مدى الخطر المحيق بالرئيس الجديد من ذلك الجيش الجرار من رواد المنافع فاستطاع بحزمه وكياسته أن يدفعه عنه وكتب في ذلك : « ان لدى ولسن كل ما يؤهله لأن يكون أعظم رئيس عرفته الولايات المتحدة . ويهمني ألا يخيب هذه الآمال في نفسي . ولست أشك في انه قادر على تحقيقها اذا تُرك له الناصحون وصيادو المناصب الوقت الكافي للتفكير والعمل . على اني لن ادخر

وسعاً حتى أجعل الرئيس يتفرغ الى العمل الصالح المفيد »

ولقد أحد الناس على ولسن اعتزاله وزراء الدولة واستئثار الكولونيل به وجعلت هذه الشكوى تتصعد من دوائر مختلفة حتى كان لها صداها في مجلس الوزراء . وأحدثت صلة الكولونيل بالرئيس صعوبات جمة في دوائر الحكم لان الوزراء ما كانوا ليرضوا أن تمر الاشياء فوق رءوسهم من الرئيس الى الكولونيل ومن الكولونيل الى الرئيس ، ولا أن يكون رئيس الدولة وسيط في السياسة غير الوسطاء الرسميين : وزير الخارجية والسفراء . ولكن الرئيس الذي كان يثق بصديقه ثقة لا يقف أمامها أي اعتبار كان أيضاً يمقت السياسيين المحترفين ولا يفهم من ثقته الشيء الكثير . لذلك كان لا يعهد اليهم إلا بالمسائل الثانوية . أما المسائل الخطيرة فكان يتولى المفاوضة فيها بالذات مستشيراً بهدي الكولونيل هاوس ونصائحه

على أنه مهما كان من رغبة الرئيس ووزرائه في حسن التفاهم وحفظ الود في العلاقات، فانه كان من المستحيل الا تحدث المشادات والا تتخالف الحزازات . لذلك رأينا وزيرين من وزراء الخارجية يهجران الحكم متتابعين وهما مستر برايان ومستر لانسنج ، وذلك لما استحكم الخلاف بين سياسة كل منهما وسياسة الكولونيل . ولقد تمسر الرئيس صديقه على وزيره في مؤتمر فرساي حتى اضطر الوزير الى الاستقالة والمؤتمر في أشد أدواره خطورة فانقسم الوفد الاميركي فريقين احدهما يؤيد مستر لانسنج ورئيسه « أن هاوس هو راسبوتين الرئيس ولسن » والآخر يؤيد الكولونيل ويؤمن « أنه يقضي أيامه في اصلاح أخطاء الوزير »، ومن هنا يستطيع القارىء أن يدرك مدى الصعوبات التي كانت تواجه ولسن من كل ناحية ، ولعل ذلك يفسر شيئاً من ضعفه ازاء سياسة الحلفاء ، ذلك الضعف الذي جعله يتنازل عن كثير من الشروط الاربعة عشر

وتطور مركز الكولونيل هاوس بمرور السنين . فبعد أن كان كما قدمنا مستشاراً سياسياً يقود الرئيس ويوجهه نحو ما يعتقد انه الحق والصواب صار مساعداً له في سياسته الخارجية يوجه هذه السياسة في الطريق الذي يرضيه

وكانت صحة الكولونيل هاوس تحتم عليه أن يمضي بضعة أشهر من كل عام في أوربا للاستشفاء ، فتعرف في خلال اقامته بها الى كثير من رجال السياسة، واستطاع أن يكوّن لنفسه فكرة صحيحة عن السياسة العالمية وعما يحف بها من الملابسات والظروف . ولقد استفاد الرئيس من خبرته بالشؤون الدولية فعهد اليه في ربيع سنة ١٩١٤ بمهمة خطيرة، وهي أن يسعى لتقريب ما بين المانيا وبريطانيا العظمى، فالتقى بالساسة الانجليز والتقى بالامبراطور غليوم الثاني ودارت بين الجميع محادثات اذا كانت لم تنته الى النتيجة المرجوة ، فلا أقل من أنها أوجدت بينه وبين ساسة أوربا علاقات كان لها أثر طيب فيما بعد لما شبت الحرب العالمية

ولقد اتيح للكولونيل هاوس أن يزور أوربا عدة مرات إبان الحرب العظمى موفداً من قبل الرئيس ولسن ليدرس مسألة ما اذا كان من الممكن أو من المفيد أن تسعى حكومة الولايات المتحدة بالصلح بين المتحاربين . واذا كانت مباحثاته لم تنتج في هذه المرة أيضاً فهي قد أثارت لحكومته الطريق السياسي الذي يجب أن تسلكه كما جعلت حكومات أوربا تلم بالمبادىء التي تبني عليها أميركا سياستها اذا هي اشتركت في الحرب ، ولذلك نستطيع أن نقول إن الكولونيل هاوس هو واضع السياسة الاميركية في الحرب كما أنه واضع سياستها في السلم وأنه صاحب الشروط الاربعة عشر التي اعلنها ولسن وقبلها لمؤتمر قاعدة للسلام

ولا شك اليوم في أن حب الكولونيل هاوس لفرنسا والفرنسيين كان من أهم العوامل التي دفعت بالرئيس ولسن الى الوقوف في صف الحلفاء ضد المانيا ، ولقد تحدث الى المسيو سيمان لوران فقال : « إن فرنسا حائزة لكل الفضائل العسكرية والفضائل المدنية ، وهي تعتبر بحق مهد الحضارة في العالم ، وشعبها أعظم شعب كتب أحد صحيفة في تاريخ الحروب » وقد علق المسيو لوزان على ذلك في كتابه « الرجال الذين رأيتهم » فقال . « وما افتقدنا يوماً تأييد هذا الصديق العظيم لا وأشياء محيطة به . بعد كل فشل اشرنا حكومته في الحرب يعمل بكل ما يستطيع بحض حكومة أميركا على مدنا بالمساعدة . وما انصبت حكومته في الحرب الى جانبنا بفضل جهوده كل يعض جهد يستطيعه بحض هذه المعاونة لنشطة منتجة وما قامت صعوبة بيننا وبين حكومته و تنشل لا وقابلنا ، ولجأنا اليه في أمر الا وأجاب سؤلنا فيه . . »

والكولونيل هاوس أحد سياسيين قليلين الذين نبأوا بالحرب وشعروا بدنوها . ولقد سافر الى فرنسا بعد زيارته لالمانيا في ربيع سنة ١٩١٤ ليحذرها من الخطر المحيق بها ، ولكنه وجد فرنسا في أزمة وزارية لم تمكنه من مخاطبة رجل من رجالها المسئولين ، فرحل الى انجلترا وتقابل مع مستر اسكويث والسير ادوارد جراي ولورد هالدين فتبين من حديثهم انهم لا يؤمنون بالحرب ولا يصدقون ان المانيا تقدم عليها ، ولكنه ما كاد يغادر شواطىء اوربا في أواخر شهر يوليو حتى كانت نيرانه قد تحققت واندلع لهيب الحرب في القارة الاوربية

وكان الكولونيل هاوس يرى ويصرح أنه يجب على الولايات المتحدة أن تتسلح من يده الحرب تسليحاً يجعل لتصائحها أو تهديداتها قيمة وكان يجهر بأن النصائح التي تتقدم بها حكومة واشنطن الى الدول المتحاربة لا يمكن أن تكون ذات أثر منتج الا اذا عززتها قوات حربية يعلم المتحاربون انها ترجح احدى كفتي الميزان . وكتب مرة : « انه كان في استطاعة أميركا أن تغير مجرى التاريخ لو انها أعدت نفسها للحرب منذ بدايتها لتدخلها في الوقت المناسب . ولا شك ان أكبر خطأ ارتكبناه انما هو مقاؤنا غير مسلحين إذ لو فعلنا لأصغى الالمان والحلفاء الى تهديدنا يتحول

الحرب بأذن غير التي سمحوا بها وهم يرون أيدينا خلواً من السلاح ، ولاستطعنا أن نملي شروط الصلح التي نرضاها وأن نحققها على وجهها الصحيح» . ولكن الرئيس ولسن كان يقابل هذه الآراء الناصحة بفتور ويرى ان الولايات المتحدة يجب أن تكون للعالم بمثابة المثل الأعلى لحب السلام والبعد عن مظاهر الحرب والعدوان

وظل الرئيس ولسن يقاوم مستشاره ويؤجل تدخل أميركا في الحرب من شهر لآخر والكولونيل هاوس يتقلب على أحر من الجمر ويؤكد الا يضع حداً للحرب غير اشتراك اميركا فيها ويكتب . « ان الرئيس لا يزال مترددا بين الاقدام الحاسم وبين ميوله السلمية . فهو يحرك قدمه ولكنه لا يخطو الخطوة التي لابد منها . على أني واثق انه اذا خطاها فسيجري الشوط الى آخره ويشكل بشرفه وبشرف حكومته »

ونجح الكولونيل وكان له في النهاية ما أراد ودخلت أميركا الحرب ولم يبق للرجل ما يعمله بعد أن ترك للحدد والثار أمر البت في مصير العالم المضطرم . بيد أنه بينما كانت الحكومات غارقة في الحرب كان الكولونيل هاوس يستعد للسلم ويتحدد له أعبته فألف لجنة من الرجال الفنيين وسهر معهم الليالي في درس كل مسألة مساس بالصلح المنتظر ، فدرس وذاكر وجهز الوثائق والمستندات وحصر برئيس كل ما قد يحتاج به من حجج في مؤتمر السلام

ولم تستغرق أعماله في هذه الناحية كل وقته بل كان يرقب سير الحرب ويتتبع تطوراتها عن كثب فما أن طلبت المانيا الصلح حتى سافر الى ورشنجتن ليمثل الرئيس ولسن في مؤتمر الحلفاء ولعل هذه كانت المهمة الرسمية الوحيدة التي قام بها حتى اليوم

وكان للكولونيل قد سمع الرئيس ولسن بوجوب الامتناع عن قبول الصلح مع المانيا ما بقي الامبراطور غليوم الثاني على رأس الامبراطورية، وكان من رأيه « ان لا صلح ولا سلام في العالم مادام هذا العامل ينفخ في بوق الحرب ولا يجد ما يزين به غير الدروع والجوذات » ولعل كراهيته لغليوم الثاني ترجع الى اليوم الذي قابله فيه في برلين ابان الحرب ليدرس واياه مسألة سعي أميركا بالصلح بين الحلفاء فقاطعه الامبراطور قائلا : « دعني من الكلام في الصلح الآن فالصلح مسألة سأدبرها أنا وابنا خالتي جورج ونيقولا (يريد ملك انجلترا وقيصر روسيا) في الوقت الذي أراه مناسباً » ولقد خرج الكولونيل يومئذ من حضرة الامبراطور وهو يقول : « حتام يحكم مثل هذا المخبل مثل هذه الامبراطورية العظيمة ! »

وانعقد مؤتمر فرساي واختلط دور الكولونيل هاوس بدور الرئيس ولسن حتى ليصعب تمييز أحدهما من الآخر ودفع الكولونيل رئيسه الى خومة النضال مزوداً بآرائه ونصائحه وقام بمهمة استقبال وفود الدول التي كانت تعد من أنحاء المعمورة لمقابلة الرئيس

ذلك ان الكولونيل هاوس كان قد أوعز الى ولسن بأن يعلن قبل الصلح وقبيل انعقاد

المؤتمر ان لن يجلس فيه غير الدول التي اشتركت في الحرب . ولكن ظهر فيما بعد ان لبعض الحكومات المحايدة آراء في خير الوسائل التي يبنى عليها السلام وتشيد فوقها عصبة الامم فكان الكولونيل هاوس يقابل وفود هذه الحكومات ويقوم بدور الوسيط بينها وبين الرئيس

وأخذ الكولونيل على عاتقه مهمة اختيار الدولة التي يكون فيها مقر العصبة ، وقد تردد الرأي العام طويلاً بين بلجيكا وسويسرا ، ولكن الكولونيل اختار سويسرا بدعوى أن مركزها الجغرافي وتاريخها السلمي يؤهلانها لهذا الشرف الرفيع . وبقيت مسألة اختيار احدى مدن سويسرا مقراً للعصبة وهل تكون المدينة لوزان أو جنيف ؟ فعالج الكولونيل هاوس المسألة علاجاً شخصياً محضاً لانه كان يظن ان ستكون له بالعصبة صلات تجعله على اتصال دائم بها فكان من المهم لديه ان يختار لها مقراً مدينة يلائم مناخها بنيته السقيمة فاختار مدينة جنيف ولقد سئل في ذلك فقال : « لقد دخل عليّ خادم غرفتي بالفندق وهو لوزاني فسألته أي المدينتين أفضل مناخاً وأصح مقاماً فقال : « لا شك في ان جنيف خير من لوزان لان حر لوزان لا يطاق » ومن هذه الساعة لم أتردد في اختيار جنيف »

ونذكر لهذه المناسبة ان كثيرين من رؤساء الحكومات كانوا يبذلون الجهود لدى الكولونيل هاوس ليحملوه على اختيار احسن مدن بلادهم مقراً لعصبة الامم . فلما انتهى الاختيار الى جنيف قدم اليه احد مندوبي تلك البلاد وشكر مجهوده له في سياق الكلام عن مدينة جنيف : « انه قد وجب على مدينة جنيف ان تقيم له تمثالاً » فأجابه الكولونيل « ان المسألة لا تستحق التماثيل . أما اذا أردتم ان تعملوا شيئاً من اجل جنيف فأقيموا لخادم غرفتي فهو الذي أرشدني في الاختيار »

وفترت العلاقات بين الرئيس ومستشاره لما عاد ولسن الى أميركا بعد امضاء معاهدة فرساي ، واستطار حبال موقف مجلس الشيوخ اراء المعاهدة ان يقوم بحملة عنيفة في أرجاء البلاد يؤيدفيها وجهة نظره ويدافع عنها متهماً الشيوخ بالعناد الذي لا تبرره مصلحة الدولة . فلقد كان الكولونيل يرى يومئذ ويشير على الرئيس بوجوب التسليم للمجلس ببعض التحفظات التي يتمسك بها ، ويقول إنه كفيل بحمل الدول الاخرى على قبولها وكان الرئيس يرى وجوب قبول المعاهدة كما أقرها الحلفاء وأعداؤهم في مؤتمر فرساي . ويظهر أنه لا بد لكل شيء من نهاية حتى الصداقة . فلقد انقضت هذه الصداقة حقبة لما حسب الرئيس ولسن نفسه على ما حمل بشروطه الاربعة عشر من جراء سياسة الكولونيل هاوس ، ولما اتضح له أنه ساق بلاده الى حرب طاحنة ليحقق بها آمالاً كباراً تقوم عليها سعادة الانسانية ويشيد فوقها هناء البشر ثم فتح عينيه على هذه الحقيقة المرة المؤلمة وهي أنه كان ضحية أوهام وخيالات اذا قدر لها ان تتحقق فليس هذا العصر عصرها على كل حال

ع . ا

هل تريد ان تكون طويل القامة أم قصيرها أم شجاعاً أم مندفعاً أم وديعاً أم شرساً أم . . . أم . . . كل ذلك ممكن اذا عرفت أسرار الكيمياء لان : —

الكيمياء تتحكم بتاريخ العالم وتكيف أخلاق البشر

نظرية جديدة

من الحقائق الأولية المعروفة ان الكائنات جميعها — بما فيها من عناصر ومواد مركبة — خاضعة لنواميس الكيمياء . فهي لا توجد ولا تتحرك إلا بمقتضى تلك النواميس . وليس في العالم كله نواميس تتحكم بوجودنا كنواميس الكيمياء . فهي التي تكيف نمونا وتشيء أخلاقنا وتوجه ميولنا وتتحكم بعواطفنا . وقد يبدو هذا القول غريباً في أول الامر ولكنه حقيقة لا سبيل الى انكارها

في الاساطير القديمة القديمة ان مدينة صور لم تشتهر في التاريخ الا بفضل هرقل رمز القوة والشجاعة عند اليونان القدماء . ذلك أنه بينما كان يتمشى ذات يوم على أحد سواحل سوريه رأى حورية ذات جمال باهر تدعى تيروس . فلما وقعت عيناه عليها أخذ يجاريها فسار وراءها وسار كلبه وراءه . وشعرت تلك الحورية بان هرقل يتبعها فوقفت والتفتت الى الوراء وخاطبته . وجرى بينهما حديث لا يتسع المقام لذكره . وتعجب هرقل من حسنها . وبينما هما يتحادثان الحديث حدث من تيروس اشمئزاز فاحمرت شفة كلب هرقل يخرج من بين شدقيه أحمر اللون قانياً . فصاحت : « انظر . انظر . أنظر ما جرى لكلب ! . . . »

فنظر هرقل الى كلبه فرأى في فمه نوعاً من المحار (أو السمكة ذات الصدفة) . وأعجبت الحورية بذلك اللون الجميل فقالت لهرقل إنها مستعدة ان تتزوجه بشرط ان يقدم لها ثوباً مصبوغاً بذلك اللون

ولم يكن هرقل ليحجم عن أعظم عظائم الامور . فأخذ يبحث عن ذلك اللون وجمع من أصداف المحار مالا يستطيع أحد حمله . ولم يكن يجد في كل صدفة سوى بصع نقط من اللون وكان لا بد له من معالجة المحار بطريقة مضنية للحصول على الصبغة حتى قيل إن هذه المهمة كانت أشق المهام التي أنجزها هرقل . وعلى كل فانه نجح نجاحاً عظيماً وكان أول من استعمل الصبغة الارجوانية الملكية . وتقول الاساطير ان هرقل بعد أن أنجز مهمته تزوج تيروس وعاش معها عيشة هناءة وسعيد وانيه يرجع الفضل في اشتهار «صور» بتجارة الصبغة الفرمزية. قيل ان هذه المدينة شيدت على المكان الذي تقابل فيه هرقل وتيروس لاول مرة

١ ـ الكيمياء سبب عظمة صور وصيداء

ولا يذكر المرء مدينة صور من دون ان يذكر شقيقتها صيداء . وفي الاساطير القديمة ان الفضل في تشييد هذه المدينة يرجع الى جماعة كانوا يطوفون السواحل فيبقية في مركب صغير . فهاج عليهم البحر واضطرهم ان ينزلوا الى البر وكان مركبهم يحمل وسقاً من النطرون فأخذوا بعض كتل منه وصنعوا أنية ليطبخوا عليها طعامهم . وما كادت النار تأجج حتى انصهرت كتل النطرون . ولما بردت رأى القوم ان الرمل والصودا في تلك الكتل قد تجمدا معاً ونشأت منهما مادة جيلة هي الزجاج فدهش الفينيقيون وعزموا على الاستفادة من ذلك الاكتشاف . وفي الواقع أنهم صنعوا خرزاً من ذلك الزجاج واستعملوه نقوداً وفي ذلك المكان عينه شيدت مدينة صيداء التي اشتهرت قديماً بتجارة الزجاج

فترى ان صور وصيداء اللتين كانتا أغنى مدن العهد القديم مدينتان تشهرتهما وبثروتهما للكيمياء فما استخراج صبغة الارجوان وصنع الزجاج سوى صناعة من الصناعات الكيميائية

ومما يجدر بالذكر ان مدينة النديفة أيضاً تمت بوجه الشهرة قديماً بفضل صناعة الزجاج وصناعة تقديد الاسماك وكان الصناعيون الذين يقومون بهذه الصناعة يعرفون بسيادة الخنزرا البحرية قامت في الاصل على صنعه تقديد سمك المعروف « بالرنجه » وذكره في العلب بطريقة كيميائية معروفة . وكان هذا السمك يصطاد في أول الامر في بحر البلطيق ثم انتقل فجأة الى البحر الشمالي وثبت أن اسفاله كان يسير بحر كسان طراً على سمه بحر البلطيق . وفي تلك الايام أخذ الناس يبحثون في مسألة حرية البحار واشتد الخلاف بين الحكومتين الانجليزية والهولندية على تسيير مبادىء تلك الحرية وكان الانجليز يدعون ان الهولنديين ليس هم حق الصيد في البحر الشمالي . والهولنديون ينكرون حجة الانجليز . وانتهى الخلاف بتقرير وجهة نظر الحكومة الانجليزية . ومنذ ذلك اليوم ـ أي منذ سنة ١٤٧٤ ـ بدأت انجلترا تتمتع بسيادة البحار

٢ ـ عقاقير لتوليد الجبن والشجاعة واضعاف الارادة

ان كبار علماء التاريخ ينسبون نهوض الدول وسقوطها الى عوامل سياسية واقتصادية وادبية وزراعية وعمرانية . على ان الكثيرين من العلماء يذهبون الى أبعد من ذلك وينسبون نهوض الدول وسقوطها في احيان كثيرة الى الكيمياء . وتفسير ذلك ان للعوامل الجوية اثراً قوياً جداً في نشاط الناس وأعمالهم وجهودهم . ولما كان جسم الانسان أشبه بمعمل كيميائي يتحول فيه الغذاء الى مواد مختلفة تذهب كل الى المكان الخاص بها من الجسم فان العوامل الجوية تقوم بنصيب وافر من عملية التحويل بحيث لا يبقى شك في ان الكيمياء هي التي تتحكم باعمال

الانسان وجهوده العقلية والجسمية . وقد بدأ العلماء يتوصلون الى معرفة المواد التي تؤثر في صفات المرء واخلاقه واعماله بل في شكله الخارجي ايضاً . من ذلك مادة الادرينالين والنيروكسين (خلاصة افراز الغدة الدرقية) ولها تأثير غريب اذ المعروف ان الغدة الدرقية اذا كانت شديدة النشاط جعلت المرء بطلا شجاعاً . فاذا جاوز نشاطها الحد الطبيعي أصبح صاحبها شديد القلق كثير الميل الى مخاصمة الغير حتى من أخص أصدقائه ومن ذوي قرباه

ولا يخفى ان الانسولين هو احسن علاج وجده العلماء حتى الآن لمرض الديابطس (البول السكري) . ويؤخذ من اختبارات الاطباء انه اذا اعطى المريض حقنة من الانسولين زائدة على الحد أوجدت في نفس المريض رعشة اضطراب وخوفاً لا يعرف سببه . ويمكن ازالة ذلك الاضطراب في الحال باعطاء المريض قطعة من السكر ليمتصها ، فيرجع الى حالته الطبيعية . وقد ثبت ان تغيير كمية السكر (الجلوكوز) الذي في دم الانسان بمقدار ثلاثة اجزاء من عشرة آلاف جزء من مجموع ذلك السكر يحمل الانسان شجاعاً أو جباناً تبعاً لزيادة تلك الكمية او نقصها . وفي الواقع ان العلاقة بين السكر في دم الانسان من جهة ، والشجاعة والجبن من جهة اخرى هي علاقة ثابتة لا تحتمل الى انكارها

وهنالك مادة اخرى معروفة لدى علماء الكيمياء وتسمى « ايدروكسيد الايثيل » والمعروف من امرها انك اذا اعطيت منها وحلا هندي الطبع جرعة صغيرة هاج بعد بضع دقائق وهجم على اعز اعزائه — حتى على زوجه واولاده — وضربهم ضرباً مبرحاً او حاول قتلهم . وقد تزيد له الجرعة بمقدار قليل فيصاب باكياً ويقع على قدمي الذي اعدائه معتذراً مستغفراً . ولهذه المادة تأثير غريب في التلاعب بعقول الناس وصفاتهم وقد تفقدهم ارادتهم الحديدية وتدفعهم الى الاعتراف بما يصرون على كتمانه . ويقول بعض علماء الكيمياء ان في الامكان استعمال هذه المادة لحمل المتهمين على الاعتراف بجرائمهم . ولكن في استعمالها خطراً عظيما . ولذلك حرمت حكومة الولايات المتحدة وغيرها من الدول استخراج هذه المادة

٣ — اكسير الحب

وقد ثبت الآن ان الحب والبغض ايضاً هما نتيجة تفاعل كيميائي داخل الجسم وان الجوع ليس سوى ظاهرة كيميائية . وفي القصص الخرافية ان بعض الناس كانوا يقصدون قديماً الى السحرة ويطلبون منهم اكسيراً للحب حتى اذا اعطى احدهم جرعة من ذلك الاكسير للفتاة التي يحبها اصبحت تحبه هي ايضاً وان كانت تكرهه سابقاً . وقد اتيح لعلماء الكيمياء في هذا العصر ان يثبتوا ان وجود ذلك الاكسير حقيقة لا خرافة وان هنالك انواعاً من الغذاء تزيد

عاطفة الحب في قلب الانسان وانواعاً اخرى تحمله قليل الاكتراث ـ او غير مكترث على الاطلاق ـ لشؤون الغرام

وعلى ذكر الغذاء نقول ان التجارب الكثيرة التي قام بها العلماء بالجرذ والفئران تدل على أن هنالك انواعاً من الغذاء تجعل الجرذ والفئران وديعة هادئة حالة ان انواعاً اخرى تجعلها شرسة شديدة الميل الى الفتك بافراد نوعها

ولا يخفى ان انواع الغذاء تختلف باختلاف مقدار الحرارة (الكالوري) التي تتولد من ذلك الغذاء . وهذه الحرارة تتحكم بنشاط الانسان وصفاته واخلاقه وعلاقاته بالآخرين

٤ ـ الروائح والالوان

والروائح والالوان أيضاً تأثير عظيم في حواس الانسان وصفاته وعواطفه . وكثيراً ما تثير رائحة من الروائح ذكريات ماضية وتحرض الانسان على عمل من الاعمال . وهذا هو السر في أن الفتاة كثيراً ما تستعين بالرائحة العطرية لتستنهض خطيبها أو لتخضعه لارادتها . وفي الواقع ان بعض العطور تثير فينا الحماسة وبعضها تثير الغرام وبعضها تثير الذكريات المفرحة أو المحزنة وهذا انما يجيء عن طريق التفاعل الكيمائي فان الرائحة وهي مجموعة الكهارب أو الالكترونات المتطايرة من الازهار أو ما أشبه ـ تغص في خلايا جهاز الشم فعلاً كيميائياً يختلف باختلاف المصدر الذي انبعث منه

وما يصدق على الروائح يصدق على الالوان فانها تثير فينا مشاعر واحساسات وذكريات مختلفة . وهي تؤثر في جميع اعضاء الجسم عن طريق جهاز البصري فتثير في النفس النخوة أو الشجاعة أو الطرب أو الحزن أو ما أشبه . وهذه حقيقة يعرفها جميع الاطباء وعليها بنوا فكرة المعالجة بالالوان إذ أن لكل لون في نفس الانسان تأثيراً خاصاً . فاللون الاخضر يشيء في النفس الارتياح وانطباعاً بينة . واللون الاصفر يثير فيها الخوف والجزع واللون الاحمر يثير الغضب . واللون الازرق يثير الحماسة والصدق والاقدام . والاسود (وليس لوناً وانما هو دليل انتفاء الالوان) يشيء في النفس اليأس والافكار السوداوية وهلم جرا

٥ ـ أوربا تسود العالم بفضل الكيمياء

ان الشعوب الاوربية البيضاء تحكم معظم العالم تقريباً . وفي الواقع انه ليس ثمة سوى أربع دول كبيرة غير واقعة تحت سلطتها ، وهي : الصين واليابان وتركيا والحبشة . وسبب استيلاء الشعوب الاوربية على معظم الشعوب يقوم على عاملين ـ أحدهما داخلي والآخر خارجي . فأما الداخلي فهو صفات العزم والحزم والقدرة والمضاء . وأما الخارجي فهو مقدرة تلك الشعوب على تطبيق ناموس العازات بوجه خاص في الحرب والتجارة والصناعة ولا سيما ناموس

« جاي لوساك » القائل بأن ضغط أي غاز من الغازات يختلف باختلاف درجة الحرارة المطلقة

فقوة تمدد الغازات المنبعثة من البارود باطلاقه في درجة عالية من الحرارة هي التي صيرت تلك الشعوب لا تقهر في الحرب . وقوة تمدد البخار هي التي هدتهم الى اختراع المحركات والقاطرات البخارية . وقوة تمدد الدرات هي التي مكنتهم من اختراع آلة احراق الوقود من الداخل وتعنى بها الجهاز المحرك للاتومبيل والطيارة . فترى اذاً ان معرفة ناموس تمدد الغازات هو العامل الاقوى الذي ساعد شعوب أوربا البيضاء على الاستيلاء على العالم . وما تمدد الغازات سوى ظاهرة من ظواهر الكيمياء . ولو فرضنا ان شعوب أوربا المذكورة حرمت هذا العامل الخارجي — أي عامل تمدد الغازات الذي هو ظاهرة كيميائية — فهل كان العامل الباطني (أي صفات العزم والحزم والقدرة والدهاء) يكفي لضمان السيادة لتلك الشعوب ؟

ان الجواب عن هذا السؤال سيتضح لنا قبل مرور الزمن الطويل . فمقدار الوقود الباقي من زيت البترول سوف يشح شحاً كثيراً قبل انقضاء القرن الحاضر . ومقدار الفحم الباقي في مناجم أوربا لا يزيد عن ثلث الفحم الموجود في مناجم آسيا . ولا شك أنه متى نضب معين الفحم والزيت في أوربا سيفقد أسيادها الحاليون العالم الا ... الكشف الفضاء مصدراً آخر للقوة والوقود يضعهم عما في المناجم الآسيوية

على ان مصدراً كهذا للقوة يجب ان يكون خارجاً عن سلطة شعوب العالم الاخرى . فاذا كان ذلك المصدر هو الفضاء فهو لن يجدي شعوب الاوربيين فتيلا لان كلا من آسيا وافريقية وجنوبي أميركا هي أغنى من أوربا بالضياء . واذا كان ذلك المصدر هو حرارة الشمس فان هذا العامل انما يكون على أقواه في صحاري افريقية وآسيا وأميركا الجنوبية وأواسط أوستراليا حيث حرارة الشمس ونورها على أشدها . وعلى كل فان مصدر تلك القوة هو الذي يحدد سيادة شعب على آخر . وما هو الا ظاهرة من ظواهر الكيمياء

والخلاصة أنك ترى الكيمياء أساس كل عمل أو حادث في هذا العالم ، ولا عجب فهي سبب نشوء الكائنات لان المادة التي تتألف منها هي عناصر كيميائية تتحد مساً أو تتفرق تبعاً لنواميس الكيمياء الازلية . ولما كانت الاخلاق والصفات والاعمال مظهراً من مظاهر المادة فلا بد أن كل ما يؤثر في المادة يؤثر في تلك الاخلاق والصفات والاعمال أيضاً . وكل شيء يؤثر في هذه المظاهر لا بد ان يؤثر في حياة الفرد بوجه الاجمال . ومن ثمة فهو يؤثر في حياة الامة كلها . ولهذا نقول ان الكيمياء هي العامل الاكبر في نهوض الامم وسقوطها وهو أمر قد يبدو غريباً في أول الامر كما قلنا في صدر هذه المقالة ولكنه حقيقة ثابتة

لغة المستقبل

اللسان الذى سوف يسود العالم

رأي احد علماء الاجتماع الانسان

يتكلم البشر اليوم ثلاثة آلاف لغة على الاقل . وقد سمع العالم قبل الآن لغات كثيرة عاشت ردحاً من الدهر ثم ضعف شأنها واندثرت آثارها . واللغات ، ككل شيء في هذا العالم ، خاضعة لناموس النشوء والارتقاء . إلا أن بعضها قابل للنمو والبعض الآخر تصوره عوامل الفناء . ومن أعظم الادلة على حيوية اللغة انها تنمو وتتسع بمرور الزمن وتضم اليها كل يوم مفردات جديدة تدل على معان جديدة وأهم أسباب نمو اللغة هي الاربعة الآتية :ـ

(أولاً) تقدم العلوم والفنون

(ثانياً) تقدم الاختراعات والاكتشافات وانتشارها

(ثالثاً) تطور الاجتماع تبعاً للعوامل السياسية والعمرانية والاقتصادية

(رابعاً) نمو طرق المواصلات وازديادها ونشوء العلاقات بين الامم المختلفة

ومن الجهل الاعتقاد ان ألوف اللغات واللهجات المنتشرة اليوم في أنحاء العالم المختلفة سوف تبقى إلى الأبد أو ان اي لغة من لغات هذا العالم سوف تبقى على مثالها الحاضر . فنشوء الاجتماع وازدياد وسائل المواصلات بين أنحاء العالم يقضيان بان يتحد البشر في المستقبل بعد مئات كثيرة من السنين لان الشعوب ستكون مرتبطة معاً ليس بالصلات المادية والاقتصادية فقط بل الأدبية والعلمية أيضاً . والدليل على ذلك واضح لا يحتاج الى بيان . فالفوارق التي تفصل بين أجناس البشر آخذة في الزوال . والشعور بين زعماء الاجتماع وحكماء المفكرين يقضي بوجوب تآخي البشر ونبذ أسباب النزاع والخلاف . ومهما بالغ المتشائمون في المناداة بالويل والثبور والتكهن بوقوع الحرب في المستقبل ، فان الناس سوف يمقتون الحرب ويكرهونها وسوف يشعرون بان جميعهم اخوة تربطهم صلات وعلاقات كثيرة

والفضل في نمو هذا الشعور هو لتقدم وسائل المواصلات واتساع نطاقها . فالسفن البخارية والسكك الحديدية والقطرات الكهربائية والطيارات الجوية تربط اليوم جميع أنحاء الكرة الارضية معاً وتنقل آثار الحضارة من جهة إلى جهة وتعرف الشرق بحضارة الغرب وتكشف للغرب عن آثار الشرق . وبعد أن كان البشر قديماً يجثون على الحروب والغزوات أصبحوا يرون الآن ان السلام ضروري لرقي الاجتماع وان الحواجز الجغرافية التي لا تزال تفصل بين أمم العالم لا بد أن تزول لكي

يصبح البشر كلهم أمة واحدة لها حضارة واحدة وآداب واحدة ولغة واحدة. ثم إن عوامل التفريق كثيرة وأسباب الخلاف متعددة. ولكن مصير جميعها إلى الزوال. وسوف يجيء يوم يشعر فيه الشرقي بأنه لا غنى له عن الغربي. ويدرك الغربي أنه لا نجاح له من دون معاونة الشرقي

وهذا كله يقتضي ان تسود العالم لغة واحدة. وهذه اللغة لن تكون موضوعة أو متفقاً عليها إذ لا يمكن استنباط لغة صناعية واحلالها محل لغات العالم. ومهما يطمع أنصار الاسبرنتو وغيرها من اللغات « الصناعية » فلا يمكن ان يتفق العالم على استعمال لغة لم تنشأ نشوءاً طبيعياً، بل وضعت وأقحمت على اللغات بطريقة غير طبيعية

وقد يطمع بعض انصار الاسبرنتو بان يجيء يوم تتفق فيه الدول على أستعمال هذه اللغة. وهذا أيضاً أمل ضائع لان تقرير استعمال أي لغة من لغات العالم سيكون نتيجة ضغط عوامل طبيعية معينة

ومما يجدر بالذكر أن بعض لغات العالم قد أخذ شأنها يضعف وسيظل يضعف الى أن تزول فتحل محلها لغة أخرى. وهنالك من الجهة الاخرى لغات تقوى ويتسع نطاقها وستظل تقوى الى أن تزحم غيرها وتحل محلها. وسيجيء يوم تزول فيه معظم اللغات الحاضرة ولا تبقى الا اللغات التي تتوافر فيها عوامل الحياة. وهذه اللغات ستكون معدودة وستشتد المنافسة بينها الى أن تنتهي واحدة منها على اللغات الاخرى وتصبح لغة العالم الشائعة

هذا هو رأي معظم علماء اللغات وعلماء الاجتماع أيضاً. وقد نشرت مجلة « نوسوتروس » الاسبانية مقالة في هذا الموضوع للعالم « دوميبيجير » الاسباني ذهب فيها الى الرأي الذي يسطناه وقال إن النصر في حرب اللغات المقبلة سيكون لطائفة معينة من اللغات الغربية التي سوف تنتصر على اللغات الشرقية بلا جدال كما أن الحضارة الغربية ستنتصر على الحضارة الشرقية واللغة انما تسير في أثر الحضارة وتتبعها كيفما اتجهت

بقي أن نعلم ما هي اللغات الغربية التي ينتظر أن تسود في المستقبل وتحل محل غيرها ؟

يقول الاستاذ « دوميبيجير » ان اللغات التي سوف تسود العالم هي الانجليزية والاسبانيولية والالمانية والفرنسية والايطالية وبعض لغات أخرى لا ينتظر أن يقوى شأنها. وستشتد المنافسة بين هذه اللغات الى أن تنتصر واحدة منها على غيرها. والقرائن كلها تدل على أن اللغة النهائية ستكون اللغة الانجليزية التي تتكلمها اليوم ملايين كثيرة ليس في الامبراطورية البريطانية والولايات المتحدة فقط بل في جميع انحاء العالم. ولا حاجة الى القول إن اللغة الانجليزية في المستقبل ستختلف عما هي عليه الآن بما سيطرأ عليها من التغيير وما سيدخل عليها من المفردات والاصطلاحات. وعلى كل فان هذه اللغة ستسير في أثر الحضارة الانجليزية وهذه الحضارة قد بدأت منذ الآن تعم العالم أجمع ولا يستطيع أحد أن ينكر انتشارها في جميع الانحاء. ولا شك أن الولايات المتحدة الفضل

الأكبر في نشرها . فالحضارة الاميركية قد بدأت تنتشر ليس في بلاد الغرب فقط ، بل في الشرق أيضاً . والعلوم والآداب والاختراعات والاساليب الاميركية هي الغاية القصوى لمعظم أمصار المدنية الحديثة . وقد كان لثروة أميركا الطائلة وعلمها الهائل أعظم نصيب في رفع قدر الحضارة الاميركية وتعظيم شأنها . . وفضلا عن ذلك فقد أثبت الجنس الانجلو سكسوني أن فيه جميع عوامل الحياة وأن حضارته أفضل من غيرها من الحضارات لانها في نظر الاجتماع أصلح للبقاء . ومنذ بدأ الانجليز ينشرون لغتهم وحضارتهم في قارة أميركا الشمالية بدأت أوربا تشعر بان اللغة الانجليزية سوف تكون في المستقبل لغة العالم أجمع

وفي الواقع أن الانجليز لم يزرعوا بذور لغتهم في العالم الجديد فقط بل في جميع مستعمراتهم أيضاً في أوستراليا وكندا ونيوزيلندا والهند وغيرها . بل هم حملوا لواء لغتهم الى غير مستعمراتهم أيضاً حتى انك لا تزور اليوم مدينة في أقصى انحاء الشرق الاقصى أو في مجاهل افريقية الا وترى اناساً يتكلمون الانجليزية . وفي كثير من انحاء الشرق — كالهند والصين واليابان — يعتقد الناس أن التكلم باللغة الانجليزية من مكملات المدنية ومقتضياتها ويقول بعض الذين زاروا بلاد اليابان إنك قلما تجد هناك اسرة لا يتكلم أعضاؤها — حتى الصغار منهم — اللغة الانجليزية

بل انظر الى أوربا نفسها — الى فرنسا وسويسرا وايطاليا وجميع الاقطار الاوربية . هل تجد فيها فندقاً لا يتكلم الخدم فيه اللغة الانجليزية ؟ وهل تجد في عشرة أو ثمانية أو ما أشبه لا يتكلم جميع الذين يعملون فيه اللغة الانجليزية ؟ وأقرب من ذلك أن معظم أصحاب المسارح والملاهي والمخازن يشترطون أن تكون جميع الذين يشتغلون عندهم ملمين باللغة الانجليزية

كل ذلك دليل على ما ينتظر أن يكون للغة الانجليزية من الشأن . وعلى أنها ستكون لغة العالم في المستقبل . .

ويقول الاستاذ دوميبيجير أيضاً إن في الصين واليابان والهند وأفريقية من الصحف الانجليزية أكثر مما فيها من الصحف الوطنية . وكلها تنشر الحضارة الانجليزية واللغة الانجليزية بلا ضجة ولا جلبة . ومع أن بعض دول أوربا تبذل المعونة المالية في سبيل نشر لغاتها وحضارتها في الخارج الا أن اللغة الانجليزية والحضارة الانجليزية هما اللتان ستسودان العالم

ومن رأي الاستاذ دوميبيجير أن اللغة الاسبانية أيضاً سيكون لها شأن عظيم في المستقبل لانها لغة قارة بأسرها هي قارة أميركا الجنوبية التي ستكون من أعنى بلاد العالم وأعظمها ثروة ومع ذلك فليس من المحتمل أن تنتصر هذه اللغة في المستقبل على اللغة الانجليزية أو أن تسود الحضارة الاسبانية العالم

ولو أن الشعب الاسباني واصل حمل لواء العلم ونشر الحضارة لكان اليوم في مركز يرجى معه

أن تسود لغته العالم . أما وهذا الشعب متقاعد عجم لا يعي بنشر العلوم والفنون والسياسة فلا يرجى للغته المستقبل الذي يرجى للغة الانجليزية

• • •

وهنالك عامل آخر سوف يكون له أثر في انتصار اللغة الانجليزية في المستقبل ونعني به السينما أو الصور المتحركة . ومع أن هذا الاختراع هو فرنسي الاصل الا أن الانجليز والاميركيين يكادون يكونون مخترعيه الوحيدين « والافلام » الاميركية منتشرة اليوم — وستظل تنتشر — في جميع انحاء العالم وهي تعمل على نشر الحضارة الاميركية واللغة الانجليزية . وقد اخترع الاميركيون حديثاً السينما الناطقة وهو اختراع هو أعظم ما يكون من الشأن وسيكون له أثر كبير في نشر اللغة الانجليزية . وفي الواقع أن الاقبال على السينما في جميع انحاء العالم لا يوازيه الاقبال على أي نوع آخر من أنواع اللهو وهو مظهر من مظاهر اقبال الناس على تعلم اللغة الانجليزية

أضف الى ذلك أن ما تطبعه الامبراطورية البريطانية والولايات المتحدة من الكتب والجرائد والمجلات باللغة الانجليزية يوازي ما تطبعه جميع دول العالم معاً بلغاتها المختلفة . وهذا عامل آخر من عوامل نشر اللغة الانجليزية في انحاء العالم

وأخيراً هنالك عامل أقوى من كل ما تقدم يعمل على نشر اللغة الانجليزية وتعميمها في جميع انحاء العالم ونعني به العامل المادي أي التجاري الاقتصادي فالاموال الانجليزية والاميركية تملأ مصارف جميع البلدان . والمصانع الانجليزية والاميركية تمون جميع أسواق الشرق والغرب وكبار تجار العالم مضطرون الى معاملة المصانع الانجليزية والاميركية وإلى مخاطبة أصحابها بلغتهم . أفليس ذلك عاملاً قوياً على نشر اللغة وتعميمها وعلى رفع شأنها في جميع انحاء العالم ؟

والخلاصة أن النصر مصير لغة الانجليز في المستقبل لأن جميع عوامل الحياة متوافرة لها . فهي مرنة تكبر وتتسع بما يدخل عليها كل يوم من المفردات والتركيبات والمصطلحات . وأهلها يسعون لنشر حضارتهم في جميع أصقاع العالم ويساعدهم على ذلك ما هم عليه من ثروة وعلم ونشاط . ومتاجرهم تغمر أسواق العالم في الشرق والغرب . وجرائدهم ومجلاتهم يقرأها الملايين في أنحاء الأرض المختلفة . فجميع شروط البقاء إذن متوافرة لها . وهي لن تبقى فقط بل ستسود غيرها من لغات العالم . وليست حالتها كحالة أية لغة « صناعية » أو مستعطفة يحاول أصحابها تثبيت دعائمها . فاللغة يجب أن تنشأ نشوءاً طبيعياً تدريجياً لا أن تخلق من العدم وتفرض على الناس كلغة الاسبرنتو وما أشبه . كذلك نشأت اللغة منذ بدأ الانسان ينطق وكذلك سوف تنتشر

لمحة من تاريخ الصور المتحركة

السينما بين عهدين ـ جهود المخترعين ـ فجر النهضة السينمائية في أمريكا ـ الحرب العظمى تحدم أمريكا ـ الروايات الطائرة في تاريخ السينما ـ السينما الناطقة والموسيقية

السينما بين عهدين

ما أشبه تاريخ الصور المتحركة حين قراءته بقصص الف ليلة وليلة من حيث الغرابة ، وما أقرب هذا الفن الى الرق الخاطف من حيث التقدم السريع المدهش . فقد بلغ في بضع سنين ما لم تبلغه الفنون الأخرى في قرون وأجيال ـ في عشرين سنة فقط ـ وهي المدة التي في مستهلها بدأ العالم ينظر إلى هذا الفن نظرة اعتبار وتقدير ـ انتقل في هذا الفصل أربابه وأقطابه من طور الخمول إلى طور النهوض والشهرة ، وأصبح محط آمال كل طامح الى المجد والثروة وموضع اهتمام كل من يعتد التسلية المقرونة بالفائدة والفائدة

ومن يقارن بين حالة الصور المتحركة قبل عام ١٩١٠ وحالتها في عام ١٩٣٠ ، يرى ان هذا الفن بعد ان كان موضع هزؤ وسخرية من أرباب الفنون الأخرى ، أصبح الآن يضم هذه الفنون في أحضانه ، وأصبح هؤلاء الذين كانوا يهزأون به ويحتقرون منه يفاخرون بالانتساب اليه . ويرى المهازل للنوسه التي كان يخرجها بحرفة من الاتقان الفني ، بلغه الآن حد الابداع ودقة الاخراج . وبعد ان كانت مطارحه تؤلف من بضع حفنات من الرمل والحجارات لا يتردد اليها سوى طبقات الرعاع ، أصبحت الآن سهر الأسر المحترمة ومحط تنزهها وحسن مواقفها وصار يتردد عليها علية القوم وكبراؤهم وبعد ان كانت لا تسرعه في مشاهدها أتم الاطمار مرور الطيف دون أن تترك أثراً في النفس لفقدان الفن في وضع الرسم وتنسيقه وعدم توافر آلات الموسيقى اللازمة ، أصبحنا الآن نرى دور السينما تتنافس في تجهيز المعدات الموسيقية اللازمة التي تناسب وما يعرض فيها . وحسبها انتصاراً ونجاحاً ان السينما الناطقة حملت من ليدور مزج الصور بالموسيقى مرحاً فنياً رائعاً فكان تأثير ذلك في النفس بالغاً حد الأقصى

هذه المقارنة تدنو لنا المرحلة البعيدة التي قطعها فن الصور المتحركة في هذه السنوات القلائل ، وان كان كثيرون يعتبرونه في طور الطفولة لانهم يرون في الأفق البعيد طلائع عصر عظيم وتطور جديد سيحلان لهذا الفن مكانه تجعل مكانته الحالية كثير

جهود المخترعين

ونود قبل أن نحدث القارىء عن الجهود التي بذلت في هذه السنوات العشرين والتي وصلت بالفن إلى ما نراه عليه الآن ، أن نستعرض في إيجاز الجهود التي بذلها المخترعون في سبيل الصور المتحركة والتطورات التي مرت عليها هذه الجهود حتى تم اختراع آلة التصوير التي تقوم

أكبر بيانو فى العالم
تتجلى فى هذه الصورة عظامة مناظر الروايات السينمائية الناطقة وتبدو هنا سخامة « البيانو » مائلة الراقصات الواقفات فوقه وهذا نوع جديد من الاخراج لم يكن موجوداً فى عهد السينما القديم

تصوير الأشرطة التي تتعاقبها على اللوحة الحساسة

فقد فكر توماس اديسون بعد اختراع « الفونوغراف » في ابتكار جهاز آخر يؤدي للعين ما يؤديه « الفونوغراف » للأذن . وكان ذلك في عام ١٨٨٧ عندما فكر الى اختراع جهاز فيه اسطوانتان متحركتان واحدة لنقل الأصوات والقائها بواسطة سماعات صوتية خاصة ، والأخرى لنقل الصور الفونوغرافية المتتابعة ورؤيتها بواسطة « ميكروسكوب » خاص . على أن هذا الجهاز — وهو النواة الأولى للسينما الناطقة — لم يكن ليظهر الصور بالوضوح الكافي لرؤيتها دون مشقة ، فكر أديسون في اختراع جهاز آخر ، تنقل بواسطته الصور على شريط مركب من « ورنيش الكولوديون » فنجحت الفكرة ولكن شريط « الكولوديون » كان سريع العطب . وفي ذلك الوقت كان جورج ايستمان صاحب مصانع آلات كوداك ، قد توصل الى تركيب « فيلم » للتصوير من « النتروسيليلوز » فجرب اديسون هذا الفيلم في جهازه فنجح استعماله نجاحاً باهراً . وقاده إلى التفكير في اختراع جهاز آخر تستعمل فيه شريط طويل مركب من نفس المادة المكون منها شريط ايستمان ، فتم له ذلك في ٦ اكتوبر ١٨٨٩ ، وأطلق على هذا الجهاز اسم « الكنتسكوب »

ومرت سنوات دون أن تشعر أحد بما انتهى اليه اختراع اديسون ، إلا أن أحد عملاء هذا المخترع الكبير كان يزور معمله في « وست أورنج » عثر بمصادفة على جهاز « الكنتسكوب » ملقى في ركن من أركان المصنع ، فقام بتجربته فرأى فيه نوعاً جديداً من ضروب التسلية وعرض على أديسون أن يقيم حفلة خاصة يعرض فيها جهازه فوافق على ذلك وفي يوم ١٥ إبريل سنة ١٨٩٤ أقيمت الحفلة في « برودواي » بنيويورك فصادفت نجاحاً باهراً

ولم يكن هذا الجهاز يعرض الصور على شاشة كما هي الحال الآن . بل كانت الصور تعرض واحدة تلو الأخرى بحيث لا يتمكن من رؤيتها سوى شخص واحد في كل مرة . فكر أحد المخترعين في اختراع جهاز يعرض الصور على شاشة كبيرة بحيث يتمكن من مشاهدتها أكثر من شخص واحد . ولم تمض سنتان على اختراع « الكنتسكوب » حتى انتهى المخترع « أرمات » من اختراع آلة سماها « فيتا سكوب » عرضها يوم ٢٤ ابريل سنة ١٨٩٦ في قاعة « موريك هول كوستر وبيال » بميدان هيرالد بلنيويورك ، فكانت خطوة جديدة ناجحة في سبيل تحسين جهاز الصور المتحركة

وكانت المناظر التي تنقل على الشريط وقتئذ لا تتعدى حوادث صغيرة تافهة كجواد يجري أو قطار يصل الى المحطة او سرقة يحصل بين شخصين ولبثت الحال على ذلك مدة طويلة حتى كان عام ١٩٠٢ حين فكر أديسون في إخراج شريط تدور حوادثه حول قصة من القصص . ووضع قصة بسيطة تدور حول كفاح شاب في سبيل العيش سماها « رجل المطافىء » . فنجحت وشجعه ذلك على إخراج أخرى سماها « سرقة القطار » كان طول شريطها ثمانمائة متر وهي أول رواية أخرجت في مثل هذا الطول

ومن ذلك الوقت بدأت صناعة السينما تنمو شيئاً فشيئاً حتى كان عام ١٩٠٥ فافتتح أول معرض خاص لهذه الصناعة — لأنها كانت تعرض قبل ذلك في عرف وخيام متنقلة — في شارع وشيشملو « في « بتسبورج » بفلطه « نسيلفانيا » بالولايات المتحدة . فكان الاقبال عليه بالغاً حده الأقصى ،

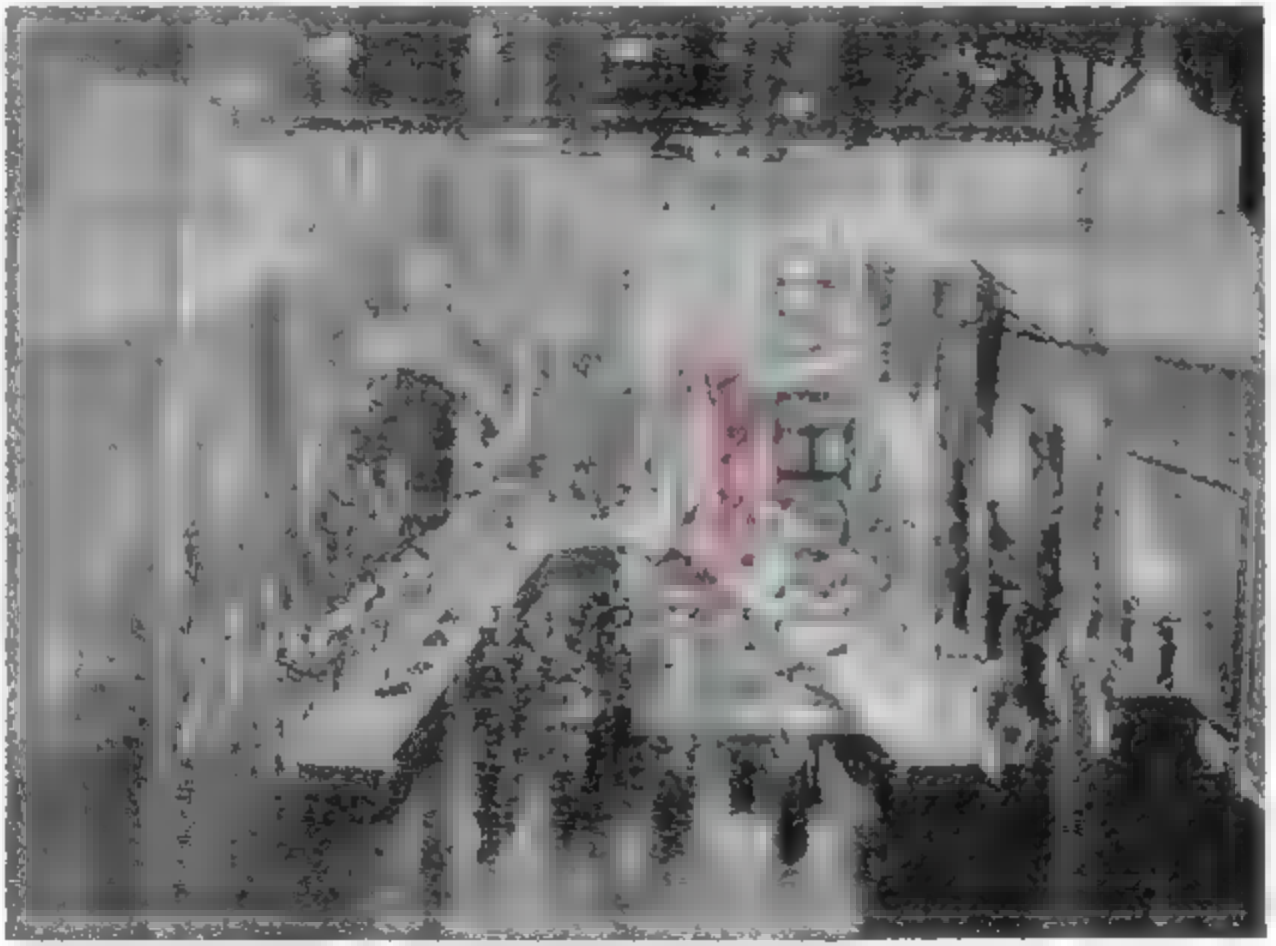

الاقواس الصوتية في السينما

كانت المناظر السينمائية تصور في أول عهد السينما على ضوء الشمس وكان المخرجون يلاقون في ذلك صعوبة كبيرة أما الآن فقد استعاضوا عن ضوء الشمس بضوء الاقواس الصوتية «كالتي في أعلا الصورة» فأصبحوا قادرين على التصوير في الليل والنهار وهذا المنظر من رواية (المارسليز) التي تدور حوادثها حول الثورة الفرنسية

وان كان جل من توجهوا اليه من طبقة الرعاع . وانتشرت المعارض بعدئذ في جميع البلدان ، واشترك كثيرون من الفنانين في العمل على ترقية هذا الفن على الرغم من ان السواد الاعظم من الناس كانوا يتوقعون له الفشل

ولم يكن اهتمام أوربا بهذا الفن في ذلك الوقت ليقل عن اهتمام أميركا . ونقول اجمالا ان لها فضلا كبيراً على الصور المتحركة ، فالاخوان لوميير في فرنسا وروبرت بول وأوجستوس هاريس في انجلترا كل هؤلاء لا محل لهم حقهم فقد كانوا في طليعة من قاموا لترقية فن السينما بأوربا ، على اننا إن كنا نخص أميركا بالقسط الأوفى من هذا الفضل ، فلأنها بزت على غيرها في ميدان الصور المتحركة وأصبحت كعبة هذا الفن ، ولأن جهود الفنانين فيها وعبقريتهم فاقت جهود غيرهم من الفنانين في الأقطار الأخرى

فجر النهضة السينمائية في أميركا

لبثت السينما بعد اختراعها سنوات عدة كأنها كم مهمل لا يستحق من العالم أي عناية أو اهتمام . ولم يكن ذلك ليمت في عضد القائمين بأعبائها لتقتهم بأن ساعتهم سيأتي عليها وقت تفوق فيه ساعات العالم أجمع ، فواصلوا جهادهم غير مكترثين بما يقوم في سبيلهم من عراقيل . وكان من أخطر أعداء هذه الصناعة في بدء أمرها أرباب المسرح الذين كانوا يحملون لها موضع ورائهم وتهكمهم . وجاء عام ١٩١٠ فكان فاتحة عهد جديد لفن السينما ، إذ تحدث عنه شركات سينمائية صغيرة في أميركا وكونت من هذا الاتحاد شركة كبيرة عرفت باسم « فيتاجراف » ، وكان غرضها الوقوف أمام أعداء الفن والدفاع عنه واحتكرت هذه الشركة جميع معارض وآلات السينما حتى يمكنها توسيع نطاق أعمالها وضمان أكبر ربح يساعدها على النهوض والارتقاء.

إلا ان العقبة الكؤود التي كانت تقاسي منها هذه الشركة لا مرية ، هي عدم وجود الممثلين أو عبارة أخرى اعراض كل صاحب موهبة تمثيلية عن الوقوف أمام « الكاميرا » أو آلة التصوير . لأن الاعتقاد الذي كان سائداً في ذلك الوقت هو ان الظهور على اللوحة الفضية يعد فضيحة كبيرة على ان بعض ممثلي المسرح الاميركي كانوا يفضلون أحياناً الوقوف أمام « الكاميرا » وليس لاعتقادهم أنهم يؤدون عملا منتجاً بل لأنهم إما أن يكونوا قد هجروا خشبة المسرح طلباً للراحة الى أجل محدود ، وإما ان يكونوا في حاجة ماسة الى المال . وكانوا يشترطون مقابل ظهورهم على اللوحة الفضية الا تظهر أسماؤهم على الشريط حتى لا يعرضوا سمعتهم للضياع . وكان جل اهتمام المخرجين في ذلك الوقت بآلة دون الممثل ، فكان طبيعياً الا يتشددوا مع ممثليهم في هذا الامر

وكانت دور التصوير « الاستوديو » في ذلك الوقت مؤلفة من غرف صغيرة مكشوفة من أعلى أو مغطاة بالزجاج ، تصور داخلها جميع المناظر اللازمة لكل رواية على ضوء الشمس إذ لم تكن الاقواس الصوتية الكهربائية معروفة وقتئذ . فكان طبيعياً ان يتوقفوا عن العمل اذا كانت السماء مليدة بالغيوم ، وهذا ما حمل المخرجين يفكرون في اختراع الاقواس الصوتية حتى لا يتقيدوا بضوء الشمس ويمكنهم اخراج أي منظر في أي وقت وفي أي مكان يريدون

وجاءت سنة ١٩١٣ ، فانتقلت بعض الشركات السينمائية التي ظهرت حتى هذه السنة ، الى ضاحية

من ضواحي « لوس انجلوس » معروفة الآن باسم « هوليوود » لسلاحيتها للاحراج من جميع الوجوه . وقد أثار ذلك اهتمام الاميركيين وبدأوا ينظرون الى صناعة السينما نظرة عناية وتقدير ، وراح الممثلون يتهافتون في اظهار أسمائهم على الشريط بعد ان كانوا يعارضون في ذلك . ومن ثم أحاط بهم كثيرون من المحبين الذين كانوا يرونهم من قبل دون ان يعرفوا أسماءهم ، وبدأ هؤلاء المحبون يبعثون اليهم رسائل المدح والاطراء والتشجيع . وكانت أول ممثلة وصلها أكبر عدد من الرسائل هي « ماري بيكفورد » وكان هذا العدد يبلغ خمساً وعشرين رسالة فقط . ويقول « دافيد جريفث » الذي كان يدير ماري في جميع رواياتها وقتئذ ، انه لم يطلعها على هذه الرسائل كلها ، بل اكتفى بتقديم بضع رسائل منها حتى لا يشعرها بأن لها مكانة كبيرة لدى رواد السينما فتطالبه بزيادة أجرها . على أنه لو تسلم ممثل أضعاف هذا العدد الآن في اليوم لخيل اليه ان شهرته مائلة الى الزوال

الحرب العظمى تحرم أميركا

وفي الوقت الذي كانت أميركا تحاول فيه التفوق على أوربا في صناعة الصور المتحركة — إذ كانت فرنسا على وجه خاص قد خطت خطوات واسعة في ميدان هذه الصناعة — نشبت الحرب العظمى فسحقت كل الجهود التي بذلها الاوربيون في سبيل السينما واخرجت معظم المشتغلين بهذا الفن في سلك المتطوعين للجندية فأغلقت جميع « الاستوديوات » ووقفت الصناعة السينمائية في أوربا الى حين

هنا انتهزت أميركا انشغال اوربا بالحرب ، وخلا لها الجو ولم يعد ينافسها في الميدان منافس . فاجتهدت الجهود الجبارة ورأس كبار رجال المال وراحوا يغدقون على سعة ويشيدون الدور الكبيرة للتصوير والعرض ويخرجون صور الاشخاص ويستعينون كبار ممثلي المسرح بالمرتبات الضخمة التي يقدمونها لهم مقابل ظهورهم في صورهم . كل ذلك والحرب في أوربا على أشدها وشعوبها في شغل شاغل عن أي شيء سواها

وفي إبان هذه الثورة اخترع التليفون اللاسلكي فاتجهت أفكار الاميركيين الى اختراع جهاز السينما الناطقة ، فقام بعض المخترعين لتحقيق هذه الفكرة وواصلوا الجهود حتى توصلوا الى اختراع الجهاز وإن كان ذلك قد تم بعد أن وضعت الحرب أوزارها

فالحرب العظمى والحالة هذه خدمت أميركا من نواح عدة ، أهمها تقوية الصناعة السينمائية هناك والاولوية في اختراع الجهاز الناطق ولو أن عمل الحرب لم يدم الاوربيين لكان من المحتمل أن يعوقوا أميركا عن بلوغ مكانتها الحالية ولكانت لهم أولوية اختراع السينما الناطقة لأن التليفون اللاسلكي يرجع الفضل في اختراعه الى مخترع أوربي

الروايات الطائرة في تاريخ السينما

ولو ان رجعنا الى الوراء بضع سنوات لنقارن بين الروايات التي كانت تخرجها أميركا قبل الحرب العظمى والتي أخرجتها في إبانها وبعد أن وضعت أوزارها ، لتبين لنا الفرق الهائل والشوط

العيد الذي قطعته أميركا في ميدان هذا الفن سواء من جهة التمثيل أو الاخراج أو الموضوع أو الخ . ويكفي ان نقارن بين اخراج رواية في عهد السينما الأول واعادة اخراجها في عهدها الأخير لندرك البعد الشاسع بين الحالتين

وهذا شريط « كوخ العم توما » الذي ربما كيف كل الاميركيين يتاجرون بالعبيد وكيف ان هذه التجارة تقضي عليها القضاء المبرم في وقت من الاوقات . هذا الشريط أخرجته شركة « بيتاجراف » قبل نشوب الحرب العظمى . فلم يكن ليكافأ في قوته مع الشريط الذي أخرجته شركة « بوبيفرسال » في نفس الموضوع في عام ١٩٢٧ . فالأول لم يكن نفقاته لتتعدى مئات الدولارات ولم يستغرق إخراجه بضعة أسابيع . فكان طبعاً ان يخرج سقيماً من كل الوجوه . بينما الثاني بلغت نفقاته ثلاثة ملايين من الدولارات واستغرق اخراجه سنتين كاملتين فخرج في أبهى حلة فضلا عن قوة تمثيله والبراعة في تكييف أدواره

ثم هناك الشريط الكلاسيكي « قصة مدينتين » المنقول عن الرواية التي وضعها شارلس ديكنز . أخرج هذا الشريط في عهد السينما الاول وقام فيه السير هربرت بارتن هارفي بدور سيدني كارتون، ولكنه لم يكن ليبلغ مثل الشريط الذي أخرج في نفس الموضوع وقام فيه الممثل الاخلاقي الكبير « وليام فارنوم » بدور بطل « ديكنز » الشهير

وأيضاً رواية « سالومي » فهي من « روايات التي تعشق شخصياتها وكثير من الممثلين والممثلات والمغنين والمغنيات و « راقصين والراقصات فوق المسرح الغنائي وعلى خشبة المسرح . مثلت لأول مرة في السينما وقامت بها « نورما تالمدج » التي شاهدناها في رواية « كليوباترة » بدور « سالومي » فكان نجاحها مقبولا نسبيا للوقت الذي أخرجت فيه . ثم أعيد تمثيلها إبان الحرب العظمى وقامت فيها « بولا نيجري » الممثلة روسية بدور « سالومي » التي رقصت أمام « هيرود » فكان نجاحها مضرب الأمثال

ولا ننسى درة مؤلفات اسكندر دوماس الصغير « غادة الكاميليا » ، فقد مثلتها تيودارا أولا وأعادت باربيوفا تمثيلها ثانياً مع رودلف فالنتينو في دور « أرمان دوفال » ، ولكن نجاحها في هاتين المرتين لا يتناسب مع نجاحها في المرة الاخيرة التي ظهرت فيها تورماتالمدج مع جلبرت رولاند

ثم هناك أيضاً « مدام دوباري » و « بلا دونا » و « سجين زندا » وغيرها من الروايات الخالدة التي لا تمحيها الذاكرة ، كلها دلت بعد إعادة اخراجها مرتين أو ثلاث مرات في عهود متعاقبة ، على عظم الفارق بين إخراجها في مرة واخراجها في مرة تالية . وذلك راجع بالطبع إلى جهود المخرجين وسعيهم إلى ادخال كل تحسين ممكن على مخرجاتهم الحديثة حتى لا تتساوى معها المخرجات القديمة . واذا كنا نرى المخرجات الحالية قد بلغت حداً فائقاً من الاتقان ، فان قادة هذا الفن يتنبأون بأن مستقبل الصور المتحركة حافل بانتصارات جديدة تتلاشى أمامها انتصاراتها الحالية من جميع الوجوه

السينما الناطقة والسينما الموسيقية

والسينما الناطقة مصرح حديث لصناعة الصور المتحركة وان كان سراً معدوداً . الا أن الصانعين يعقدون عليه آمالا عظيمة يعملون على تحقيقها بادلين في سبيل ذلك كل مرتخص وغال . وانه لجميل أن تكون جالسين في دور السينما وتسمع في الوقت عينه أصوات الممثلين الذين تشاهدهم أمامنا ، بل أجمل من ذلك أن ترى وتسمع في آن واحد أبطال العالم وكبار ساسته وعظمائه الذين يتقدمون الينا مصورين أنفسهم في أشرطة الجرائد الاخبارية

ولكن هل تؤثر السينما الناطقة في الحسنا تأثير السينما الصامتة ؟

إن الذي نراه ونؤمن به هو ان نجاح السينما موقوف على صمتها وما ينتج عن ذلك من خيال له أثره العروف في نفس المشاهد . فمزج الصوت بالصورة والحالة هذه يعد تقليداً للمسرح وهذا مالا تقر أرباب السينما عليه ، على أنه إن كان للسينما الناطقة فضل ، فهو لا يتعدى كونها ممكنا من سماع أعظم القطع الموسيقية التي تنقل مع كل شريط وقد تعبر رأيا هذا في المستقبل القريب وهذا موقوف على التحسينات التي تعمد على هذا الفن

ويسعى بعض المخترعين الآن الى اختراع جهاز لاسلكي لعرض أشرطة السينما صامتة أو ناطقة بمعنى أنك تجلس في منزلك بين أفراد أسرتك فتشاهد مشاهد سينمائية تعرضها عليكم آلة لاسلكية تنقل هذه المشاهد من مكان معد في هوليوود مثلا أو في جهات عديدة تنشأ فيها محطات للاذاعة السينمائية اللاسلكية فهل سوصل المخترعون الى اختراع هذا الجهاز ؟ لستقبل أمامنا وسوف نرى

السيد حسن محمد

الدوجلاس بالصبير

منظر من رواية « كوخ العم توما » التي أخرجت مرتين الاولى في عهد السينما الاول والثانية في عهدها الاخير . ويرى هنا أحد الامريكيين يمثل دور « العم توما » في شرائه

أحلام السياسيين

فكرة تخفيض السلاح والتحكيم الدولي

ذهب أنصار السلام العام في البحث عن طرق لتلافي الحروب مذاهب شتى ، وعادوا مجمعين على أن لا سبيل الى تحقيق السلام في الأرض إلا بنزع السلاح من أيدي جميع الأمم أو تحييده وإيجاد هيئة دولية تحل المشاكل التي تسبب الحروب

ولكنا لا نعرف حلا أعقد من المسألة إلا هذا الحل الذي يقدمون من أجله المؤتمرات ويضعون القواعد ويشيدون الأصول

ولعمري هل في استطاعة الدول أن تنزع سلاحها أو أن تتفق على نسبة معينة بين كل منها وغيرها بمعنى أن الدولة التي تستند الى مليوني جندي تكتفي بمائتي ألف وان التي تستند الى مائتي ألف تكتفي بعشرة آلاف ، الأمر الذي يبقي نسبة القوة الحربية بينهما على ما كانت عليه ويخفف عنهما في الوقت نفسه كثيراً من النفقات ؟

لقد يبدو ذلك لأول وهلة ممكناً وميسوراً ولكنه في الحقيقة مستحيل . ذلك لأن من الصعب التحقق من أن حكومة قد اقتصرت فعلا في تسليح جيشها على القدر الذي حددته لها أو أنها قد تجاوزته ، ولأن أدوات الحرب ان تساوت في العدد وهو نادراً جميع الدول فلن تتساوى في القيمة . فسفينة حربية مثلا ليست كمثلها من القوة متعادلة عند هذه حكومة وتلك وكذلك الحال في البدقية والمدفع . ولرب مراد اختيري يعدل طوربيدين أو مدرعة ايطالية، ولرب مدفع ألماني من طراز متفوق عند فرنسي يعادله بثلاثة أو أربعة من طراز فرنسية . فمن ذا الذي يستطيع والحالة هذه أن يجعل الدول المختلفة متعادلة في القوى الحربية وهو تعادلا نسبياً ؟

قد يقال إن من الميسور الاحتياط لذلك بتحديد مراتب الحرب لدى جميع الحكومات وبذلك تتساوى للعدات العسكرية لديها أو تتناسب ما دامت المبالغ التي تنفق عليها متساوية أو متناسبة . ولكن هذا الاحتياط لا يقدم المسألة ولا يؤخرها لأن قوة المال غير متكافئة في مختلف البلاد . فلقد تستطيع اليابان بمبلغ من المال أن تصنع أسطولا أقوى بكثير من أسطول تصنعه ايطاليا بنفس هذا المبلغ ، ولو تساويا في عدد القطع، اقوى باتقان الصناعة وجودة الطراز مما ليس في الامكان تحديده . وان جيشاً مؤلفاً من مائة ألف جندي نامي العدة والنظام والمؤن حسن التربية والقيادة لأقوى من جيش مؤلف من ضعف هذا العدد يكون ناقص العدة معيب التربية والقيادة . على أن قوة الجيوش ليست مقصورة على عدد المقاتلين ونوع القيادة وجودة السلاح، بل هناك الى جانب كل ذلك قوة الجيش المعنوية ومبلغ حب الشعب على الحرب وطرق المواصلات ووسائل النقل السريع ووفرة المال الاحتياطي ومهارة اليد العاملة . فماذا يفيد تحديد السلاح وهذه العوامل الحربية الهامة قائمة لا يمكن حصرها ولا تحديدها ولا يمكن أن تتعادل أو تتناسب لدى جميع الدول ؟

أضف إلى ذلك تلك المشاكل التي تنشأ عن عطوف الحكومات بعضها من بعض ، ورغبة كل منها في مراقبة غيرها خشية أن يحدثها هذا الغير بالانحراف عن تنفيذ القيود التي فرضت عليه . عندئذ تنتشر الجاسوسية الدولية وتكثر مشكلاتها ويزول السلام العام من الجاسوسية ، ويزول عصبة الامم من مشكلات الجاسوسية

تلك هي الصعوبات التي لا حل لها والتي تجعل للمؤتمرات الدولية لنزع السلاح أو تخفيضه عبثاً غير مجد وغير مفيد

والآن ننتقل إلى فحص فكرة التحكيم الدولي التي تتحمس اليوم فيها يسمونه عصبة الامم

يقولون إن نظرية التحكيم الدولي بسيطة ، بل ليس شيء أبسط منها . فلمنع حدوث المشاجرات بين الافراد وضعت الجمعية التشريعية قوانين يحكم بموجبها قضاة تعينهم للقيام بهذه المهمة ، وهؤلاء القضاة مكلفون بحسم ما يقوم بين الناس من الخصومات بقوة القانون . فلم لا يطبق على الحكومات نفس هذا النظام ، ولم لا تنشأ هيئة قضائية دولية تكون مهمتها حسم ما قد يقع بين الحكومات من خصومة تؤدي الى الحرب وتخضع لأحكامها الدول بحكم القانون ؟

كلام طيب ، ولكن فيه نقطة ضعف اذا أهملناها قد علينا الامر وعدنا بعد اللأي الطويل إلى حيث كنا . ذلك ان الأفراد لا يخضعون لحكم القاضي لأنه صادر من هم قاض ، وانما يخضعون له لأنه صادر من هم قاض تعززه قوة مسلحة هي أقوى كثيراً من قوة الأفراد ، فما هي وأين هي القوة المسلحة التي تعزز القضاء الدولي سواء أسموه عصبة الامم أم محكمة التحكيم الدولي أم غير ذلك من الاسماء ؟

أحد شيئين : اما أن تكون محكمة الدولة غير مسلحة ، وتبقى حينئذ عاجزة ضعيفة فلا تطاع ، واما أن تكون قوية مسلحة ، وهذا ما يستحيل الدليل على انه مستحيل

هناك قوم يقولون إن في الامكان أن تكون المحكمة الدولية غير مسلحة ، وأن تكون في الوقت نفسه قوية بقوتها المعنوية وصفتها العالمية وبالآمال المعقودة عليها وبالرأي العالمي الذي يؤيدها وبالعهود التي قطعتها الدول عندما نصبتها حكماً ، ويتساءلون في دهشة واستغراب . فأي دولة تلك التي تضرب بكل هذه الاعتبارات عرض الافق وتقدم على أن تظهر في العالم بمظهر الدولة الثائرة على النظام والمدنية والعرف والانسانية ؟ ولنا نريد أن نجيب على هذه البلاغة اللفظية بمثلها ونكتفي بأن نقول لهم : أتذكرون مقتل البعثة الايطالية على الحدود اليونانية ، وكيف ان ايطاليا احتلت جزيرة كورفو وفرضت شروطها العاشمة على اليونان حتى نالت منها ما أرادت أن تنال ؟ لقد كانت عصبة الامم قائمة وطلبت اليونان أن تتدخل في حسم النزاع ولكن ايطاليا لم تقبل . وكان مجلس السفراء قائماً وارتضته اليونان حكماً ولكن ايطاليا لم ترض . وكل ما كان أن هذه لم تأبه لحظة واحدة ما يسمونه الصبغة الدولية والقوة المعنوية والرأي العالمي والنظام والعرف والانسانية ، ونصبت نفسها خصماً وحكماً ومنفذاً . ومع ذلك لم نسمع في يوم من الايام ان ايطاليا اعتبرت دولة همجية ولا ان احترامها زال او نقص في نظر حكومة من الحكومات . ولست أدري ما الذي يمنع ما حدث بالامس أن يتكرر غداً ولا ما الذي يمنع العدو من أن يشابه الامس القريب

ويقول السادة أنصار السلام في سذاجة وطيبة قلب : إن الافراد في الواقع يخضعون لحكم القاضي من غير ان يحتاج القاضي في إخضاعهم إلى القوة المسلحة ، وذلك لأنه معلوم أو مفروض ان حكم القاضي واجب الاحترام ، فلم لا تسير الأمور على هذا النحو في القضاء الدولي الذي يتلقى نفوذه من الندية والانسانية ؟

يقولون ذلك وينسون أن الأفراد إذا خضعوا قانعا يخضعون للقوة المستترة وراء القاضي أو وراء الشارة التي يحملها وليست هذه القوة في حاجة إلى الظهور لأن وجودها معلوم ولأن العلم بوجودها وإن استتر هذا الوجود يكفي لاخضاع طرفي الخصومة . وخضوع الافراد للقاضي لا يفيد احترامهم اياه باعتباره شخصاً مجرداً ، وانما يفيد احترامهم اياه باعتباره شخصاً ذا قوة تظهر عند الحاجة الى ظهورها ولا يستطيعون الوقوف في وجهها متى ظهرت . واذا كان القاضي لا يحيط نفسه بالجند ولا يلوح باستفاضي بالسلاح فلأنه يعلم ان قوته أعظم من أن تحتاج الى الظهور لتحترم وترهب . فهل هذه الحالة متوفرة لدى المحكمة الدولية ؟ هل وراء عصبة الامم قوة ظاهرة أو مستترة تحمل أحكامها موجبة للخضوع والاحترام ؟ واذا لم يكن الامر كذلك فهل تتعدى أحكامها حد كونها رغبات أو نصائح لا تقيد أحداً ولا تلتزم بها حكومة من الحكومات ؟

يرد العالم الفرنسي الكبير الاستاذ شارل ريشه على هذا الاعتراض بقوله في كتابه : « ماضي الحرب ومستقبل السلام » [illegible] أن أحكام المحاكم الدولية قد احترمت حتى اليوم وان من المائتين والخمسة والتسعين حكماً (يلاحظ ان الكتاب صدر عام ١٩٠٧) التي حكمت بها محكمة لاهاي قد نفذت جميعها . فقد [illegible] من هذا الصدد بالنسبة لامريكا الجنوبية وهذه يفرض أن يكون من أمر الحكومات في المستقبل عند ما تكون من أمورها في التشريع مع العلم بأن الاعتبارات الادبية والانسانية تزداد كل يوم قيمة وثقلا ؟

ولا شك أن الاستاذ ريشه لا يسوق أمثلته كدليل على [illegible] ، لأن المنازعات التي عرضت على محكمة لاهاي في الماضي وعلى عصبة الأمم من بعدها وقبلت من طرفي الخصومة بالتسليم والرضى لم تكن في الحقيقة الا منازعات على شؤون ثانوية لا تثار من أجلها الحروب وما عرضها أصحابها على القضاء الدولي الا للتخلص منها والتفرغ الى ما هو أهم منها . أما المسائل الكبرى والمصالح الحيوية الخطيرة بالعناية والاهتمام فلم نسمع أن واحدة منها عرضت حتى اليوم على هيئة من هيئات التحكيم . نعم لم نسمع أن بريطانيا العظمى عرضت على محكمة لاهاي ما من أجله قامت الحرب بينها وبين الترنسفال والبوير ولا ان الروسيا احتكمت اليه في خلافها سنة ١٩٠٣ مع اليابان ، ولا ان بطاليا استشارتها فيما يجب أن يكون عليه سلوكها حيال تركيا بشأن طرابلس ، ولا ان تركيا رفعت اليها شكايتها من دول البلقان ، ولا ان النمسا طلبت اليها الاقتصاص من الصرب لقتل الارشيدوق ، ولا ان بطاليا ارتضت قضاءها في مقتل عمر المختار قتلي ولا ان عبد الكريم استصدر بها ضد فرنسا واسبانيا ، ولا ان فرنسا استأنست برأيها في حملتها على المغرب

ولكن الاستاذ ريشه يعود فيصيح متحمساً : « تعالوا وانظروا الى ما قد يحيق بالحكومة التي تأبى الخضوع لهيئة التحكيم الدولي المعترف بها من الجميع حتى ولو لم تستند الى قوة مسلحة .

تعالوا وانظروا الى ما يحيق بها عند ما ترى نفسها طرفاً والعالم بأسره طرفاً آخر ينظر اليها نظرة المقت والاحتقار والغضب . ألا تخشى هذه الحكومة الثائرة على النظام الدولي أن يثور عليها شعبها وأن يتألب عليها جيشها وهي تدفع بها الى حرب حكم العالم أجمع بأنها حرب ظالمة ؟ ، ومعنى ذلك أن أنصار السلام انما يعتمدون على ضعف وطنية الشعوب واخيوش ، يعتمدون على أن الشعوب في احلادها الى الراحة والهدوء قد ترتضي حكم المحكمة الدولية حتى ولو اعتقدت أنه جائر أو مزر بالكرامة أو ماس بالحقوق ، فلا تهب للدفاع عن قضيتها بالسيف والنار ، يعتمدون على أن تصبح الشعوب بلا وطنية والجيوش بلا شرف ولا كرامة ، ويغفلون أن الرأي العام لا يفكر ولا يعقل وان الشعب الالماني في الحرب الاخيرة انما كان واثقاً أنه يناضل عن قضية الحق والعدل وان الشعب الفرنسي كان واثقاً أيضاً أنه يناضل عن قضية العدل والحق ، ويغفلون أن الشعب الفرنسي هتف بأسره في سنة ١٨٧٠ ينادي : « الى برلين ، الى برلين » لانه توهم في برقية ايمس المزورة مساساً بكرامة سفيره لدى الحكومة الالمانية . ويغفلون ان الشعب الايطالي لم يكبر موسوليني الا بعد أن وضع قدمه على هام حكومة أثيمة جبانة وعدوانة

على أن أنصار السلام لا يقيمهم اعتراض ولا تؤلمهم حجة ، لذلك تراهم يتحايلون على بناء قصر السلام العام الذي ينشدونه بأية وسيلة ولا يبالون أكان قصراً من ورق أم قصراً من حديد . يقولون إن من الاحتياط ما لو وجد لكسب احكام القضاء الدولي قوة لا يقل اثره عن اثر القوة المسلحة . ألا فليعلم في القانون الدولي الذي يبحث عنه كل أن كل حكومة تثور على حكم من أحكام عصبة الامم تعاقب بأن يقطع عنها جميع الدول الاخرى كل معاملة سياسية ولا مبادلة تجارية ولا علاقة مالية ولا سلام ولا كلام . . . وليعلم في هذا القانون على أن تأبى الدول قبول رعايا الحكومة الثائرة و دمائها سياحاً أو تجاراً أو طلبة عند . . . وليعلم في هذا القانون على أن كل نزاع يطرح على عصبة الامم يجب أن يسبقه دفع تأمين مالي من كل من طرفي الخصومة يتناسب و قيمة النزاع وقيمته ، ويرد هذا التأمين الى صاحبه اذا قضى الحكم ويصادر إذا ثار عليه

وتلك والحق يقال عقوبات مادية لها أهميتها ، ولكن أين هي الدول والحكومات التي تقبل إيجاد مثل هذه المحكمة بهذا الاختصاص الواسع الذي يكره الواحدة منها على دفع معاهدات سابقة ، لها في بقائها منافع وفوائد ؟ هب اننا وأسبانيا احتكمنا الى مسألة عرضناها على المحكمة الدولية للفصل فيها ، وهب هذه المحكمة حكمت ضد اسبانيا فلم تخضع ، فأي عدل دولي هذا الذي يكره اليابان أو البرازيل أو سويسرة على قطع كل علاقاتها بأسبانيا ، وعلى أن تصادر أموال رعاياها في بلادها ، وان تفسخ كل ما قد يكون بينها من روابط واتفاقات ومعاهدات ، وعلى أن تضحي بكل ما تجنيه من وراء هذه العلاقات من مصالح ومنافع ؟ الا ان هذه لأحلام ، نعم احلام شريفة ولكن من العبث أن يشيد السلام العام على مجرد الاحلام

يتضح من كل ما تقدم أن عصبة الامم ان لم تستند على قوة مسلحة كان وجودها ضرباً من ضروب العبث وكانت أحكامها كما قدمنا رعايات أو نصائح غير ملزمة لاحد يطيعها من يشاء ويخالفها من يشاء . اذن لا بد من عصبة أمم مسلحة وبمعنى آخر محكمة دولية مسلحة

ولكن حكومة دولية مسلحة إنما هي حكومة تقوم فوق الحكومات . وهل الحكومة إلا أفراد لهم من القوة والسلطان ما يعدون به ارادتهم التي هي ارادة الهيئة الاجتماعية . وما دامت المحكمة الدولية المسلحة محكمة تقوم فوق الحكومات فقد وجب أن يكون لها ما لكل حكومة من قوة . وعلى أنه يجب أن تكون الحكومة أقوى من كل عناصر الشغب التي قد تتألب عليها فقد يجب حتما أن تكون المحكمة الدولية المسلحة أقوى من كل عناصر الشغب التي قد تتألب عليها هي الاخرى . اذن يجب أن يكون جيش المحكمة الدولية قويًّا بل يجب أن يكون أقوى من أي جيش آخر ، بل يجب أن يكون أقوى من عدة جيوش قوية مجتمعة حتى اذا خطر لالمانيا والنمسا والمجر وسعاريا وتركيا أن تشهر الحرب على فرنسا أو غيرها كان جيش المحكمة الدولية هناك ليصد العدوى ويوقف هذه الجيوش المتحالفة عند حدودها . أما اذا لم يكن ذلك فقد ضاعت الفائدة المرجوة من المحكمة الدولية وصار وجودها عبثاً لا فائدة فيه

ولنسري ما ذا تكون هيبة القضاء في عهد يثور فيه منهم على قضاته فيضرب القضاة ، فاذا استعان هؤلاء بالمحلفين والبوليس ضرب المحلفون والبوليس ، فاذا ما استعد هؤلاء أيضاً بالجيش هرم الجيش؟ الا إن قضاء لا يستطيع كبح جماح منهم مهما كان قوياً لقضاء غير جدير بالاحترام . وما يقال عن القضاء بين الافراد يقال عن القضاء بين الحكومات . وعلى ذلك يحتم أن يكون جيش المحكمة الدولية قوياً قادراً على كبح جماح أي عضو يثور عليه

وبما أن قضاة المحكمة بطبيعتهم لا يكونون ولا يصلحون أن يكونوا جيشاً فقد وجب أن تستمد المحكمة الدولية جيشها من جيوش الدول جميعها . ووجب على كل دولة أن تقتطع من جيشها ومن معداتها الحربية جزءاً يسمى قسمها تحت تصرف المحكمة حتى يتألف من مجموع هذه الاقتطاعات جيش يصد عن المحكمة كل اعتداء . ولكي نكون على بينة من فكرة من عدد هذا الجيش يكفي أن نذكر أن فرنسا قد احتاجت في سنة ١٩١٤ الى جيوش العالم بأسره لتقهر لمانيا . فاذا أتيحت للمحكمة الدولية لمانيا أخرى أو اذا أتيح لها عدو في قوة لمانيا سنة ١٩١٤ وجب أن يكون جيش المحكمة معادلا للجيوش التي اشتركت في محاربة دول وسط اوروبا في الحرب الكبرى أي معادلا لجيوش العالم أجمع

لا أدري اذا كان ايجاد مثل هذا الجيش أمراً يتصوره عاقل أو يقول به انسان كامل ، ولا أدري اذا كان هذا الجيش لا ينقسم على نفسه فينهب كل فريق منه لنصرة دولته وقت الحاجة ، ولكني أسلم بامكان ايجاده وهنا أسائل أنصار السلام قائلا : ما فائدة هذا الجيش ؟ انكم لكي تجاوبوا المسألة تبتدئون بأن تفرضوا أنها عاولة من نفسها . لان أمم العالم اذا رضيت أن تمد المحكمة الدولية بهذا الجيش كان ذلك دليلا على أن هذه الامم قد نبذت فكرة الحرب واعتزمت أن تعيش في سلام . لا بل ان ذلك يكون دليلا على أن العالم يصير دولة واحدة لا تكون الحرب فيه الا بمثابة الاقاليم في كل مملكة . واذا كان الامر كذلك فعم الخوف من الحروب وعلام هذا الاستعداد الهائل لمنعها ؟ لا لا يا سادة اما أن تكون الامم لا تزال ذات أطماع وأغراض فتستبقي الحرب اداة لتحقيق هذه

الاطماع والاعراض ومن ثم يستحيل اتحاد الحكمة الدولية للسلحة . واما أن تكون فكرة الحرب قد ماتت فلا تبقى ثم فائدة من ايجاد هذا النظام الجبالي الكبير

قولوا ان التحكيم الدولي سيكون ضعيفاً ولكنه لن يكون عاجزاً كل العجز لان الحكومات اذا كانت لا تزال نزاعة الى السيادة وحب التوسع الاستعماري فالشعوب ميالة الى السكون والراحة ، وهذا عامل وان يكن ثانوياً الا ان له وزنه في نظر الحكومات.وقولوا ان الامم ستبدأ بعرض مشاكلها البسيطة على بساط التحكيم الدولي ثم تتدرج في حب هذا التحكيم حتى يصبح لديها عادة محبوبة ووسيلة تؤثرها على غيرها من الوسائل . وقولوا ان الحياء البشري واحترام الانسان للانسان والجماعة للجماعة والامة للامة سيتهيان بالشعوب جميعها الى أن لا تقدم على حرب قبل أن تستنفد كل الوسائل الودية وان في الالتجاء الى الوسائل الودية ما يمنع كثيراً من الحروب ، وقولوا ان التحكيم الدولي ان لم يكن باشراً للسلام فلا أقل من أن يكون مهدئاً وملطفاً وحاملا للأمم على التريث والاعتدال ، قولوا هذا أو مثله نؤمن بصدق ما تقولون . أما السلام العالمي الذي تنشدونه وينشده الجميع فلا يتحقق ولن يتحقق الا أن تقلع الامم عن حب السيادة والاستعمار . ومن هنا الى أن تصبح الامم كذلك لسأل الله أن يجزيكم أحسن الجزاء على ما تتصبونه للانسانية من السعادة والخير والهناء

حكم وأمثال غربية

* قل لي أين تتردد أقل لك من أنت
* شيء لك أعظم قيمة من شيء سواك (عصفور في اليد ولا عشرة على الشجرة)
* ليس هناك شيء أجمل من سحر الشمس عن رابيه
* لا شيء يستطيع أن يسبق الباطل اذا أطلق له العنان
* لم يشعر بالشقاء قط رجل ليست له ساعات فراغ
* اذا شئت الكلام عن الحب فاخفض صوتك
* يراد بالمصاعب امتحان العزم لا تثبيطه
* اياك والعبث بالحب
* لم يدع أحد الى الله من قلبه إلا علم شيئاً
* البغض مثير رديء
* لا أرى من يصالحني والعالم غير الله
* لتتعلم على الارض الاشياء التي تدعونا الى السماء
* الكفاية الحقة هي عمل الواجب
* لاشيء يصيرنا عظماء مثل الالم العظيم
* المثل الاعلى هو غريزة ذلك الوطن أعني السماء

يعتقد بعض الناس أن التنويم المغناطيسي ضرب من الشعوذة وبخاصة وبين السيرتزم (مناجاة الارواح) والتلباثي (انتقال الافكار) مع أن بين هذه الظواهر تبايناً شاسعاً. فالسيرتزم والتلباثي ما زالا موضع ريبة عند جمهور العلماء حتى أن التنويم المغناطيسي قد أصبح من الحقائق الثابتة كما يرى من المقالة التالية وفيها خلاصة بعض الدراسات التي قام بها الدكتور ويلز أستاذ علم النفس بجامعة سيراكوز الاميركية وأثبت بها أن :-

التنويم المغناطيسي ليس شعوذة

بل هو ظاهرة نفسية ثابتة

لا يخطر التنويم المغناطيسي اليوم ببال أحد من الناس الا ويخطر معه مذهب السيرتزم أو مناجاة الارواح وما يتصل به من الظواهر الغامضة التي لم يدق العلم الى تحقيقها حتى الآن. وفي الواقع أن التنويم المغناطيسي مختلف عن السيرتزم والتلباثي وما اليهما من الظواهر البسيكولوجية في كونه حقيقة يؤيدها العلم. هذا ان السيرتزم (١) كان معروفاً بالريبة ولم يسلم به العلماء. لافتراضه وجود مادة سائلة تعرف « بالمغناطيسية الحيوانية » ولكن الايبنوتزم أو التنويم المغناطيسي أو الاستهواء ليس سوى حالة بسيكولوجية لا علاقة لها بتلك المادة الوهمية. وجميع التجارب التي قام بها العلماء تثبت أن التنويم المغناطيسي ليس شعوذة وأنه لا يفترض وجود « مغناطيسية الحيوانية » ولا تسلط الارادة القوية على ارادة الضعيفة ولا ظهور العوامل الخارقة للطبيعة. وكل ما هنالك أنه يمكن احداث حالات مدهشة في « النائم » (أو النوم - بفتح الواو) مع التحكم باعضاء جسمه الظاهرة والباطنة وقواه العقلية أيضاً مع احداث شلل في بعض الاعضاء وجمود في الجسم كله. ومن الممكن أيضاً احداث حالات وتأثيرات أخرى كثيرة كالوهم والاعتداء البصري والعمى والصمم والبيوبة التامة (أو فقدان الشعور والوجدان) وفقدان الذاكرة أو احيائها فيما يتعلق بالحوادث الماضية أو ما الى ذلك

١ - بعض الظواهر المدهشة

وقد أتيح للاستاذ ويلز منذ سنتين ان أعاد الى رجل بعض ذكريات طفولته. فقد قصده ذات يوم رجل في مقتبل العمر كان يعرفه، وقال له إنه علم حديثاً أن الشخصين اللذين يزعم انهما والداه

(١) السيرتزم هو التنويم المغناطيسي على طريقة « مسمر » وكانت هذه الطريقة أقرب الى الشعوذة منها الى الحقيقة

ليسا في الحقيقة كذلك وانهما نبياه منذ طفولته ، وذلك يلتمس من الاستاذ ويلز أن ينومه لعله يرى حيل والديه الحقيقيين أو يتصل بهما عن طريق الذاكرة . فنومه الاستاذ ويلز الى طبه فلما حصل الرجل في عيوبه عادت ذاكرته بكل جلاء الى عهد طفولته يوم لم يكن عمره يزيد على سنتين، فتذكر وفاة والده وانتقال أمه به للسكن في أحد الأحياء الفقيرة ثم موت أمه بعد ذلك بنحو ستة أشهر . وتمثلت له حارتها بكل جلاء . ثم انتقاله الى منزل الشخصين اللذين تبناه وكتما عنه حقيقة أمره

هذه احدى الحالات أو الظواهر الغريبة التي يمكن تحقيقها بواسطة التنويم المغناطيسي، وهنالك أيضاً حالات أخرى لا يتسع المجال لذكرها وانما نشير هنا الى واحدة منها وتعرف عند علماء البسيكولوجيا باستمرار الاستهواء [1] وهي حالة يؤمر فيها النائم (أو المنوم — بفتح الواو) بان يقوم باعمال معينة بعد صحوه . وهو يقوم تلك الاعمال بعد نهوضه من سباته من دون أن يتذكر أنه أمر في اثناء سباته بعملها . وأغرب من ذلك أن « استمرار الاستهواء » لايقتضي بالضرورة قيام المنوم (بفتح الواو) باعمال معينة بل يقتضي ظهوره في حالات بسيكولوجية سلبية كأن يفقد ذاكرته بعد صحوه فلا يعود يتذكر حوادث معينة . أو كأن يفقد الشعور بالألم كما لو كان واقعاً تحت تأثير عقار . أو كأن يسقط في سبات مغناطيسي في زمن معين في المستقبل . أو ما الى ذلك من الحالات التي هي بمثابة مستمر لتأثير الاستهواء .

ومن هذا القبيل أن أحدهم نوم (بصيغة المجهول) وأمر بأن لا يشعر بالالم متى أجريت له عملية جراحية في ميعاد معين في المستقبل . ثم أوقظ وهو لا يدري بما أمر به . وبعد زمن أتم له الاطباء العملية الجراحية من دون أن يحدروه بتخديره بكل هدوء ولم يشعر بشيء من الالم

ومن ظواهر التنويم المغناطيسي أيضاً انك تستطيع التحكم بعض وظائف الجسم الفسيولوجية كوقف عملية الهضم أو تسهيلها وزيادة معدل النبض أو تقليله . والتحكم بافراز الغدد . وجز الاوعية الدموية واطلاق الدم . ورفع درجة حرارة الجسم أو خفضها . وتخفيف الآلام العصبية سواء أكانت حقيقية أم وهمية . الى غير ذلك من الظواهر التي لا تقع تحت حصر

ومن هذا القبيل أن أحدهم كان يشكو صداعاً مزمناً لايطاق . ومع أنه عرض جسمه على الكثيرين من الاطباء لم يستطع أحد شفاءه . وحكم اكثر أولئك الاطباء بان صداعه وهمي. ولكن الله قيض له طبيباً عالجه بالتنويم المغناطيسي فشفاه

٢ — الطب والتنويم المغناطيسي

وهذا يحدونا الى الكلام على المعالجة بالتنويم المغناطيسي . وهي طريقة قد أثبتت الاختبار نفعها وانها لا تفشل . ولكن معظم الحكومات قد وضعت لها قيوداً هي في غاية من الحكمة لأن المعالجة

(١) ويسمى بالانجليزية Post-hypnotic Suggestion ومعناه الحرفي الايحاء بعد التنويم

بالتنويم المغناطيسي . قد تنشيء احتمالاً طبية اذا لم يكن الطبيب ممن يهملون كل الاهمال . فضلا عن أن هذه المسألة قد تفسح المجال للمحتالين والدجالين

ذكرت احدى الصحف أن امرأة صادفت مرة اعمى كبيرة هلعت من رؤيتها وحين اليها أنها لمستها . فكانت تشعر بآلام مبرحة وتشوى كأن الاعمى لمسها حقيقة . وعبثاً حاول أصدقاؤها أن يفهموها بانها لم تلمسها وانها كانت واهمة . و تصل خبرها بأحد الاطباء ممن يمارسون التنويم المغناطيسي ، فوهمها وأوحى اليها بأنها قد شفيت ثم أيقظها من سباتها وهي لا تشعر بشيء من الألم

وأمثال هذه الحوادث كثيرة لا يتسع المجال للتبسط فيها وليس وجه الغرابة فيها أن يشفى المرء (بفتح الواو) من مرض وهمي ، بل أن يشفى من مرض حقيقي مرجعه الى عيب عضوي كأن تشفى رجلاً من داء عسر الهضم أو من الشلل أو الصمم أو ما الى ذلك . ثم إن بعض الذين لا يؤمنون بالتنويم المغناطيسي انكروا امكان ذلك وعللوا شفاء الرجل الاصم مثلاً بقولهم إن الرجل لم يكن أصم في الحقيقة . بل خيل اليه أنه كذلك . ولكن البحث الدقيق الذي قام به الاطباء أثبت فساد ذلك التعليل

وأغرب من ذلك ما رواه أحد الاطباء للشهود لهم بالاستفامة من أنه تمكن بواسطة التنويم المغناطيسي من وقف سريان الدم في جسم رجل لمسته عفرب . واستشهد على صحة دعواه باقوال الكثيرين

وقد ثبت الآن بوجه قاطع أن في الامكان تسكين التنويم المغناطيسي بدلا من المخدر عند القيام بالعمليات الجراحية . ويعزى أول من استخدمه في التمريض جيمس برسي يدعى « أودين » فانه اقتلع في سنة ١٨٣٧ سن رجل هندي [illegible] على شعوره بشيء من الألم . وفي سنة ١٨٤٠ استعمل الدكتور جيمس بريد (انجليزي) (١) التنويم المغناطيسي مخدراً لاجراء عملية جراحية ولم يكن الدم قد اكتشف في هذه السنة من ذلك الزمن . ومع ذلك ظل جمهور الاطباء ينفر من التنويم المغناطيسي ويعتبره ضرباً من الدجل حتى سنة ١٨٨٠ . ولو لم يكتشف العلم مواد التخدير المختلفة — كالايثر والكلوروفورم والنوفوكاين الخ — لظل الاطباء يستعملون التنويم المغناطيسي بدل تلك المواد عند القيام بالعمليات الجراحية على اختلاف أنواعها

وذكر الاستاذ ويلر أنه أنقذ أحد اطباء الاسنان غير مرة على اقتلاع اسنان بعض الناس بتنويمهم تنويماً مغناطيسياً لكي لا يشعروا بالالم . ومع ذلك فانه — أي الاستاذ ويلر — لا يشير باستعمال التنويم في أي حالة يمكن فيها الاستعاضة عنه . الا أنه يشير باستعماله في حوادث الولادة وعمليات استئصال السرطان أو معالجته لتخفيف آلامه (٢)

---

(١) هو أول من عبر عن التنويم المغناطيسي بكلمة « هيبنوزم » وهي مستعارة من كلمة يونانية معناها السبات أو النوم

(٢) كثيراً ما يعاني المصابون بالسرطان آلاماً لا تطاق حتى عصر الاطباء الى حقنهم بالمواد المخدرة كالمورفين . ولكن ذلك التسكين لا يكون الا مؤقتاً ولذلك يشير الاستاذ ويلر بالالتجاء الى التنويم المغناطيسي في مثل هذه الحالات

ومما لا شك فيه أن النوم المغناطيسي ذو نفع لا ينكر في معالجة الأمراض العصبية والهستانيا وما أشبه . وفي الحرب العظمى الماضية أصيب الكثيرون من الجنود بأمراض عصبية نسبب شدة اطلاق القنابل وتساقطها عليهم أو حواليهم وأصابهم بعض شظاياها . ولا حاجة الى القول إن أمثال تلك الحوادث تصدم الاعصاب صدمات عنيفة يدوم أثرها زماناً طويلاً ولا تحدي العقاقير في معالجتها ففي مثل هذه الحالات ليس ثمة علاج خير من التنويم المغناطيسي وفائدته محققة

وليس ذلك فقط بل قد ثبت أن الكثيرين من أولئك الذين أصيبوا بالصدمات العصبية من جراء القنابل اصيبوا أيضاً ـ حقيقة أو وهماً ـ بفقدان حواسهم أي بالصمم أو العمى أو فقدان حاسة اللمس أو الشم أو الذوق . ومن المحتمل ان بعضهم لم يصب بتلك الامراض حقيقة وانما خيل اليه انه أصيب بها . وسواء أكانت الاصابة حقيقة أم وهماً فقد ثبت ان التنويم المغناطيسي كان علاجاً ناجعاً لها

٣ ـ بعض الظواهر الخارقة

وهناك تجارب علمية مدهشة ترجع إلى سنة ١٨٨٣ وقد قام بها بعض أساتذة التنويم المغناطيسي لاثبات النشاط العقلي اللاوجداني . ويعتقد الاستاذ جيمس أعظم علماء السيكولوجيا الاميركيين ان تلك التجارب هي أساس أغرب مظهر من مظاهر التنويم المغناطيسي . ونذكر من تلك التجارب التجربة الآتية وهي :

جيء بتلميذ خامل ضعيف في علم الحساب فنوم تنويماً مغناطيسياً وأعطي عملية حسابية صعبة وأمر بحلها . ثم أعيد الى حالة الصحو فلم يعرف شيئاً عما جرى له وما شرع للحال في حل تلك العملية الحسابية وهو لا يعلم الدافع له على حلها . ومع شدة صعوبتها وضعفه في علم الحساب حلها حلا صحيحاً بسرعة فائقة . فكان حلها دليلا على النشاط العقلي اللاوجداني الباطني . لأنه لو ترك لوجدانه الاعتيادي ما تمكن من حل العملية

وكهذه التجربة تجربة أخرى قام بها أحد أساتذة التنويم المغناطيسي ، وهي انه نوّم رجلا مشهوراً بأنه لا يعرف شيئاً من الفنون الجميلة وكلفه ان ينظم قصيدة في موضوع معين وعلى وزن معين ثم أعاده الى صحوه ولم يعلمه بما كلفه به . فما كان من الرجل الا ان شرع في نظم القصيدة المطلوبة في الموضوع المعين وكانت بليغة جداً مع ان الرجل لم ينظم في حياته بيتاً من الشعر

ونوّم هذا الرجل عينه مرة أخرى وطلب اليه ان يصور بعد استيقاظه من سباته صورة زيتية لرجل كان يعرفه . وما كاد يستيقظ حتى ذهب الى منزله وشرع في احضار تلك الصورة وظل يعمل بهمة فائقة حتى فرغ منها بعد نحو أسبوع فكانت آية في الاتقان مع انه لم يكن قد رسم في حياته قبل ذلك صورة ولا كان يعرف ان يستعمل ريشة للصور

فهذه الحوادث دليل على نشاط الوجدان الباطني وقدرته على الاعمال الخفية في حالات تدعو الى الدهشة . وقد ذكر الاستاذ ويلز ان سيدة أميركية من أهالي سنت لويس ألفت بضعة كتب علمية راقية مع انها كانت نصف أمية . وقد أدهشت مؤلفاتها جميع الذين عرفوها . ثم ثبت ان الفضل فيما ألفته هو لوجدانها الباطني الذي كان يتلقى أوامر أحد النومين المغناطيسيين

ومثل هذا أيضاً ان يكتب الانسان ألفاظاً وعبارات بلغة أجنبية لا يعرف منها في حالة صحوه كلمة واحدة . كأن يكتب عبارة أو اكثر باللغة اليونانية مع انه لا يعرف منها متى كان في حالة الصحو كلمة واحدة بل ان أحدهم نوّم (ضيعة المجهول) وأمر بأن يكتب رسالة باللغة اللاتينية ولم يكن يعرف منها حرفاً واحداً . وما عتم ان أعيد الى حالة صحوه حتى طفق يكتب رسالة باللغة اللاتينية ! . . . ولا شك ان هذا من أغرب ظواهر التنويم المغناطيسي . وبعض العامة وضعاف العقول يعزون مثل هذه الاعمال الى « العفاريت » والارواح مع ان لها تعليلا علمياً وهو ما مر من عمل الوجدان الباطني

٤ ـ اسئلة عن التنويم المغناطيسي

وهنا تخطر بالبال عدة اسئلة بصدد التنويم المغناطيسي وأهمها ما يأتي :ـ

(ا) أي فريق من الناس يستطاع تنويمه ؟

(ب) أي فريق من الناس يستطيع تنويم غيره ؟

(ج) هل في التنويم المغناطيسي خطر ؟

فالجواب عن السؤال الاول هو أن من السهل تنويم جميع الناس تقريباً ما عدا الاطفال والأولاد الصغار وضعاف العقول وضعاف الارادة . هذا من الوجه النظري . وأما من الوجه العملي فان الذين يستطاع تنويمهم هو في الواقع فريق صغير من الناس . ومن الخرافات الشائعة ان من كان ذا ارادة قوية لا يستطاع تنويمه . وهذا خطأ محض فان ذا الارادة القوية هو الذي يمكن تنويمه لأنه يستطيع ـ بفضل قوة ارادته ـ أن يحصر أفكاره في امر معين لكي يحصل في العيوبة المغناطيسية . اما اذا كان ضعيف العقل مشرد الفكر فانه لا يستطيع حصر أفكاره وبالنتيجة لا يستطاع تنويمه

ومما يجدر بالذكر أن من الممكن تنويم المرء على الرغم من ارادته . وهذه حقيقة مهمة يجب أن ينتبه اليها المشترعون ليحولوا دون تنويم من لا يريد أن ينام . فقد وقع في الدنيا حادث من هذا القبيل كان له وقع عظيم في الدوائر القضائية . ذلك أن رجلا كان يحب فتاة من بني جنسه وهي لا تحبه لأنها مخطوبة لغيره . فعمد على الرغم منها وأمرها بأن تقتل حبيبها . وما هي الا بضعة أيام حتى سارعت الى الجهة التي كان خطيبها يقيم بها وقتلته بكل رباطة جأش . وبعد البحث والتحري

ثبت أنها لم ترتكب تلك الجناية الا بأمر الرجل الذي نومها على الرغم من ارادتها . فبرأتها المحكمة وحكمت على المنوم

أما السؤال الثاني وهو أي فريق من الناس يستطيع تنويم غيره ، فالجواب عنه أن في وسع أي مرىء أن يبرع في التنويم بالممارسة . ولا يحتاج الأمر الى صفات معينة فان الرجل الاعتيادي يستطيع تنويم غيره اذا شاهد عمليات التنويم وحرب تقليدها شيء من الصبر وطول البال . على أن في اطلاق الحرية لكل امرىء لينوم غيره كما يشاء خطراً كبيراً يجب أن يتلافاه القانون ويقيده بقيود ثقيلة كما هي الحال في بعض البلدان

بقي السؤال الثالث وهو هل في التنويم المغناطيسي خطر ؟

والجواب عن ذلك أنه ليس فيه خطر اذا كان المنوّم طبيباً ماهراً أو عالماً من علماء السيكولوجيا . أما اذا كان دجالا فقد يؤدي عمله الى عواقب وخيمة كما ثبت بالاختبار . فان احداث نوم والانخداع في نفس النوم (بفتح الواو) لغير علة مقبولة أمر لا مبرر له . كما انه ليس ثمة مبرر لممارسة التنويم المغناطيسي لمجرد اللهو والتسلية . والحفلات التي تقام لاظهار مدهشات هذا الفن يجب منعها الا اذا كان لاغراض علمية . ويجب أن لا يسرح من البال أن ممارسي التنويم اذا لم يكونوا ماهرين في عملهم فقد يتعرضون على انفسهم النوم (بضم الواو) و رجاعه الى حالة الصحو وفي ذلك من الخطر ما فيه . وقد أثبت الاختبار أن كثيرين من المحاولين الذين حاولوا تنويم غيرهم بطريقة غير علمية أحدثوا فيهم من الضرر ما يصعب معه وحالات يصعب شفاؤها

وفضلا عن ذلك فقد ثبت من عدة حوادث أن النوم (بفتح الواو) يوقظ ايقاظاً تاماً وذلك أصبحت ظواهره وحركاته غريبة وكيما أن يتولى عنه وهو في حول . وسبب ذلك انه ليس في حالة صحو تام ومثل هذه الحالة تورث ضعف الاعصاب واضطراب وظائف الجسم الفسيولوجية بوجه عام — وهو ما يجب أن يتلافاه كل من يقدم على ممارسة التنويم المغناطيسي

* * *

هذا ويعتقد بعض الناس أن التنويم كان معروفاً عند المصريين القدماء واليهود والصينيين . وهو اعتقاد ليس لدينا ما يثبت صحته . وعلى كل حال هذا الفن لم يبلغ غايته القصوى الا في الربع الاخير من القرن الماضي ولا شك أنه لولا تطفل الدجالين والمشعوذين عليه لكان حظه من اهتمام العلماء أكثر مما هو الآن

الشمس تنتحر

آخر ما وقف عليه العلماء من أنباء الشمس

متى تنطفىء أشعتها وحرارتها ؟

ينتحر الشمس انتحاراً تدريجياً بسبب ما تفقده من النور والحرارة على مر الايام . وهي بانتحارها هذا انما تحيي الارض وما عليها من نبات وحيوان . ولكنها متى انطفأت ومات فستموت معها الارض أيضاً لان النور والحرارة اللذين هما قوام الحياة سيزولان . وفي المقالة التالية معلومات طائفة من آخر ما عرفه العلماء عن الشمس

في السنة الماضية ذهبت اثنتا عشرة بعثة فلكية من أوربا وأميركا وأوستراليا الى البلاد المعروفة « بمالاسيا » لمراقبة كسوف الشمس الذي لم يدم أكثر من ست دقائق . وكانت كل بعثة تحمل مالا يخطر بالبال من المراقب (التلسكوبات) وآلات الرصد المختلفة . وستقوم بعض تلك البعثات برحلات أخرى في خريف هذا العام لرصد كسوف الشمس الكلي الذي سيقع في ٢٢ أكتوبر المقدم وسيشاهد على اجلاء من جزيرتين صغيرتين واقعتين الى شمال نيوزيلندا

وفي بلاد الهوتنتوت بجنوبي افريقية الآن مرصد عين به عالم فلكي أميركي يقضي أيامه في رصد الشمس . وقد ذهب عدد يضم أساتذة عالم أميركي آخر ليحل محله ويسعى لاستجلاء أسرار الشمس . وفي جوانح كل عضو منهم تختلج في جميع أنحاء العالم يبذلون اليوم جهود الجبارة لرصد الشمس والوقوف على كل ما يمكنهم الوقوف عليه من المعلومات . ولعل الشمس تبخل عليهم بأسرارها الى الابد وتأبى ان تبوح لهم بما تكنه من النوامس

(١) عناصر الشمس

أحدث ما عثر عليه العلماء من العناصر في الشمس هو البلاتين أو « الذهب الابيض » وهو أغلى من الذهب بكثير . فقد أعلن الدكتور تشارلس سنت جونس من أساتذة مرصد مونت ويلسون بأميركا حديثاً أنه بينما كان يقوم برصد الشمس عثر على آثار البلاتين بين عناصرها المختلفة . ولا يخفى ان ما يستخرج من البلاتين في هذا العالم لا يزيد على ستة آلاف كيلو جرام أو نحو ستة أطنان . وقد حسب الاستاذان « رسل » « وأدمس » مجموع وزن البلاتين في جرم الشمس فوجداه نحو خمسين مليون طن . فاذا حسبنا ان ثمن الرطل الواحد من هذا العنصر النادر يساوي مائتي جنيه على أقل تقدير كان ثمن البلاتين الموجود في الشمس يفوق كل حساب

على ان هذا المعدن هو بسبب حرارة الشمس الهائلة في حالة غازية . وتبلغ درجة حرارته بحسب تقدير العلماء أحد عشر ألف بمقياس فهرنهيت . وقد عزّ الاستاذ نشارلس سنت جونس على آثاره في الطيف الشمسي بعد رصد الشمس أعواماً كثيرة من جهات مختلفة وفي حالات متباينة . ولا حاجة الى القول ان البلاتين ليس هو العنصر الوحيد الموجود في الشمس من العناصر المعروفة في عالمنا الارضي، بل ان جميع عناصر عالمنا — وعددها نحو التسعين — توجد في الشمس بالنسبة التي توجد بها على الارض . وقد عرفها العلماء بآثارها في الطيف الشمسي

ومن أغرب الحقائق التي ثبتت ان ثلاثة وعشرين عنصراً من عناصر المادة — التي كان يظن أنها خاصة بالكرة الارضية فقط ولا توجد في غيرها من الاجرام السماوية — قد وجدت حديثاً في الشمس . ولا شك ان وجودها هناك دليل آخر — اذا كان الامر يحتاج الى دليل — على صحة النظرية القائلة بأن الارض انسلخت منذ ملايين الاحقاب عن جسم الشمس وان الجرمين هما في الاصل واحد

ومما يجدر بالذكر ان بعض العناصر التي عثر عليها العلماء حديثاً في الشمس هي من أكثر العناصر شيوعاً على هذه الارض . وفي مقدمتها الاوكسجين والكربون والكبريت والنتروجين وقد وجدت جميعها قبيل العثور على عنصر الهليوم . على ان هناك طائفة من العناصر النادرة أيضاً عثر عليها العلماء في الشمس من عهد قريب ومن جملتها الهليوم والاورانيوم والجادولنيوم وهي بشدة ندرتها قد لا يعرف كثيرون من علماء الكيمياء الا بالاسم اذ لا توجد الا في بعض الصخور والترب النادرة ولا يمكن العثور عليها الا بعد جهود كثيرة في معامل الكيمياء

وفي أوائل هذه السنة أثبت الدكتور السولد العالم الالماني ان خطوط الطيف الشمسي لا تدل على أنواع العناصر التي في الشمس فقط بل على النسبة التي توجد بها تلك العناصر . ولهذه النسبة علاقة على ما يظهر بعرض خطوط الطيف الشمسي وكثافتها وهو أمر لا يتسع هذا المجال لشرحه . وانما نقول ان الاستاذين رسل وآدمس اللذين سبق ذكرهما توصلا بفضل اكتشاف الدكتور السولد المذكور الى معرفة طائفة من العناصر الموجودة في جرم الشمس وفي الجو المحيط بها . وكانت نتيجة مباحثهما ان نسبة بعض تلك العناصر الى البعض الآخر سواء أكان في جرم الشمس أم في جوها — هي كالنسبة التي توجد بها تلك العناصر في عالمنا الارضي مع اختلاف طفيف . وقد ثبت ان الاوكسجين الذي هو أوفر العناصر في هذا العالم هو أيضاً أوفرها في الشمس ، بل يكاد الموجود منه هناك يعادل جميع المعادن الاخرى معاً . وكذلك يوجد عنصر الايدروجين في الشمس بكثرة فان نصف الجو المحيط بالكرة الشمسية هو غاز الايدروجين في حالة الالتهاب

ولا يخفى ان جاذبية الارض هي أضعف من جاذبية الشمس، ولذلك ترى ان الايدروجين

الذي كان يملأ الجو المحيط بالكرة الارضية قد تأثر في الهواء وبقي الايدروجين « المسحون » في مياه البحار والأنهر . قلنا ان جاذبية الارض أضعف من جاذبية الشمس . وفي الواقع ان هذه أقوى من تلك ثمانية وعشرين ضعفاً . وهذه الجاذبية القوية هي التي تستبقي غاز الايدروجين وبولاها لتأثر في الهواء . ومع ذلك فقد أثبت العلماء حديثاً ان غاز الايدروجين وجد في جو الشمس على بعد نحو ٥٦٧ الف ميل من جرمها

وجو الشمس هو بمثابة بوتقة تصهر فيها العناصر وتتفتت جواهرها الفردة . وهذه البوتقة هي عدة طبقات في كل طبقة منها عنصر يختلف عن غيره . فعلى ارتفاع نحو ٨٧٠٠ ميل من سطح الشمس طبقة من عنصر الكلسيوم تدور بسرعة ٧١٥٢ قدماً في الثانية الواحدة . وعلى ارتفاع نحو ١٤٠٠ ميل طبقة من المغنوم تدور بسرعة اقل . وعلى ارتفاع ١٧١ ميلاً طبقة من عنصر الحديد بهيئة الحركة بسبب اشتداد قوة الجاذبية

٢ – تركيب الشمس ومجمها

وقد تمكن العلماء من وزن الجو المحيط بالشمس حتى طبقة الكلسيوم فوجدوه خفيفاً جداً نسبياً لا يزيد في مادته على تلك المادة التي تؤلف منها جو كرة الارضية . ومع ذلك فان مادة الشمس نفسها تعادل ٣٣١ الف ضعف مادة الارض . ولا غرو فالمعادن في جو الشمس هو انه مشبع بالوف الوف الاطنان من طن الحديد ، البكل والنحاس والفضة والذهب والرصاص وغير ذلك من العناصر ومع ذلك فهو أخف من جو الارض . وما ذلك الا لأن جميع العناصر الموجودة في جو الشمس هي في حالة غازية والغاز كما لا يخفى يتمدد من جرم الشمس ويندفع في الفضاء بسرعة ١٨٦ الف ميل في الثانية . وهذا الاندفاع يجرف معه العناصر التي في جو الشمس ويشتتها في الفضاء مما كسا قوة الجاذبية التي تحاول ضم تلك العناصر الى جرم الشمس

وهنا يعرض لنا هذا السؤال وهو : « هل جرم الشمس سائل أو غازي ؟ »

وقد اختلف العلماء في جوابهم عن هذا السؤال . الا ان أحدث مباحث العلماء وتقارير المراصد الفلكية تدل على ان جرم الشمس كله غازي وان قلب ذلك الجرم كثيف جداً ، بل ان كثافته تعادل ثلاثة أضعاف كثافة الحديد الصلب . ومع ذلك فهو غازي . واذا عسر علينا ان نؤمن بوجود غاز تزيد كثافته ثلاثة أضعاف على كثافة الحديد ، فيجب ان نتذكر شدة الحرارة الهائلة في قلب الشمس والضغط العظيم الواقع على العناصر . فالحرارة هنالك تبلغ تسعة وعشرين مليون درجة بمقياس فهرنهيت . والضغط يبلغ ٢٦٤ مليون طن للبوصة المربعة . فتأمل ولا حاجة الى القول ان العناصر ازاء تلك الحرارة الهائلة لا تستطيع الاحتفاظ بكيانها بل

هي تتفتت وتتحلل الى جواهرها الفردة . بل ان الجوهر الفرد نفسه ينحل الى الكهارب والبروتونات التي يتألف منها . وهذا يصور لنا الشمس بصورة بوتقة تصهر فيها العناصر فتستحيل هازات تتناثر في بطن الشمس او في جوها

واذا صدقت نظرية النسبية كان مقدار ما تفقده الشمس بشعاع نورها وحرارتها هائلاً جداً اذ هو يزيد على اربعة ملايين طن في الثانية الواحدة . وبعبارة اخرى ان الشمس تفقد من حجمها ومن مادتها بسبب الاشعاع اربعة عشر الفاً واربعمائة مليون طن كل ساعة او ما يعادل ٣٤٥،٦٠٠،٠٠٠،٠٠٠ طن في كل يوم من ايام حياتها وهي كمية هائلة لا يستطيع العقل ان يتصورها . اما قوة الشمس فتعادل قوة خمسمائة مليون مليون مليون حصان . ومعظم القوة التي تنبثق منها بشكل نور وحرارة تذهب ضياعاً في الفضاء ولا تفيض منها الارض وسائر السيارات سوى جزء من الف الف مليون جزء ! . . . ومع ذلك فان هذا الجزء اليسير هو سبب الموت والحياة على سطح الكرة الارضية . واليه يرجع الفضل في تكوين الفحم والبترول والخشب بل في ايجاد القوى المائية والهوائية . اذ لولا قوة الشمس ما كان لتلك القوى وجود

وقد حسب العلماء ان كل يرد مربع من سطح الكرة الارضية يتلقى من اشعة الشمس ونورها وحرارتها ما يعادل قوة حصان واحد . فاذا ما شاء الناس او هم يعملون لاستنباط وسيلة يستخرون بها قوة الشمس على قدر الانتفاع بها كي لا تذهب ضياعاً لهم يستطيعون أن يستغنوا بها عن قوى الماء والهواء والوقود على اختلافه واجناسه

وفي الواقع ان العلماء استطاعوا ان يتخذوا كثيراً من اشعة الشمس والانتفاع بها . ووضع بعضهم آلات وأجهزة خاصة لذلك . ومن هؤلاء يذكرون هنا منذ عدة سنوات قدم مهندس اميركي مصر لاقامة جهاز خاص في حلوان لقنص اشعة الشمس والانتفاع بقواها . ولاسباب لا يتسع المجال لذكرها رزم امتعته وعاد الى اميركا بعد ان نجح في تجاربه الاولى نجاحاً يذكر ويمكن من استيلاء قوة شمسية لا بأس بها

وفي انحاء مختلفة من العالم اليوم عدة اجهزة وآلات لاقتناص اشعة الشمس والانتفاع بقوتها . ولا يزال العلماء يواصلون السعي لتحسين هذه الآلات وابلاغها درجة الكمال

٣ ـ اللغز الشمسي

ومن الاسئلة التي قد تخطر ببال القارىء هل ان اشعاع النور والحرارة من جرم الشمس هو اشعاع ثابت على معدل واحد أم يختلف باختلاف حالات وعوامل شتى ؟

وقد درس فريق من العلماء هذه المسألة مدة طويلة . وابتكر الاستاذ ابوت الاميركي ورهط من رصفائه آلة دقيقة لقياس حرارة الشمس ونورها حالة اشعاعهما من جرم الشمس .

وهذه الآلة تسجل الفرق في مقدار الحرارة الى حد جزء من مليون من الدرجة . وبواسطتها قاس العلماء حرارة الشمس من انحاء مختلفة من الكرة الارضية . فثبت لهم ان تلك الحرارة ليست ثابتة عند انبثاقها من جرم الشمس ، بل هي عرضة لتغيرات كثيرة . بل ان حرارة الشمس تختلف باختلاف الجهات التي تقاس حرارتها فقد تزيد حرارة بعض جهات الشمس اربعة في المائة على حرارة بعض الجهات الاخرى . واسفرت تجارب العلماء عن هذه الحقيقة وهي ان حرارة الشمس تتدرج في الارتفاع والانخفاض ضمن حدود ثابتة مرة كل سنة وعشرين شهراً . وهذا الانتظام يدل على ان التغيرات التي تطرأ على الشمس هي نتيجة عوامل ثابتة . وما دام الامر كذلك فني الامكان الانباء بالنهاية الصغرى او النهاية العظمى للحرارة وتعيين مواعيد تينك النهايتين على قدر الامكان

وهذا ما استطاع الاستاذ ابوت الاميركي ان يفعله . ففي يناير سنة ١٩٢٨ انبأ بان النهاية الصغرى لحرارة الشمس ستكون في شهر نوفمبر من ذلك العام . وقد صدقت نبوءته بالتدقيق

وقد ثبت الآن بوجه قاطع ان حرارة الشمس تكون عادة أشد من المعتاد عند ظهور الكلف الشمسية وتعددها . ولهذه الكلف مواعيد تكاد تكون منتظمة من التدقيق . وقد مررنا الآن باحد ادوار تلك الكلف ودخلنا في طور ناقصها وتحولها . وستكون عددها في بضع السنوات الآتية ضئيلا جداً لان الكلف تظهر وتختفي في دور يتبع كل منها احد عشر عاما . وهذا الظهور والاختفاء هو من الحوادث الغامضة في بحث الشمس

هذا وقد عزا العلماء كثيراً أو أمورا كثيرة الى الكلف الشمسية فنسبوا اليها طائفة من الامراض كما نسبوا اليها ايضاً بعض الزلازل والفيضانات وحوادث الخصب والانحال وما الى ذلك . ومما لا شك فيه ان للكلف تأثيراً في النبات والحيوان على وجه الارض وان اليوم الذي تبرد فيه الشمس أو تنطفىء ستنقرض فيه الحياة في هذا العالم

ان الشمس تبرد وتنقلص بالتدريج . والكمية التي تفقدها من مادتها بسبب الاشعاع هي كبيرة جداً . ومع ذلك فان الباقي من عمر الشمس يعد بآلاف الملايين من السنين . فلا نحن ولا احفاد احفادنا سيرون ميولهم فاحمة اعلاء الشمس وما يزال الجزء الذي نعرفه عن هذا الجرم العاري أقل بكثير من الجزء الذي لا نعرفه واطار العلماء متجهة اليوم الى استجلاء بقية غوامض الشمس ـ مصدر الموت والحياة . ولا يبعد ان يجيء يوم يعثر فيه العلماء على سر الحياة في أشعة الشمس فيماط اللثام عن كيفية ظهور ذلك السر على وجه الارض

وقد كان الاقدمون أيضاً يعلمون ان الشمس هي مصدر الموت والحياة ومصدر الخصب والانحال . لذلك عبدوها وشيدوا لها المعابد . ولعل هذه العبادة هي اقدم انواع العبادة في تاريخ الانسان . ولا بدع فقد كانت الشمس اظهر الاجرام العلوية التي وقعت عليها عيناه

في الازمنة القديمة والحديثة

منازعات تثيرها اللحى والشوارب

يدخل المرء دكان الحلاق فيحف شاربيه ويحلق ذقنه ليتخلص من هذه الشعرات التي نبتت في وجهه فتشوب ملاحته . ولو درى ما أثار شعر الحيا من حروب طاحنة ، وما اريق بسببه من دماء لاخذه العجب من تعلق الانسان بأمور تافهة لا تثير في مجرى حياته ولا تؤثر في رقيه وتقدمه سواء أبقيت أم زالت ، ولكنه ابن عادته التي اذا رسخت فيه أصبحت له طبيعة ثانية لا يتسنى له تغييرها ولا الاقلاع عنها ، فقد كان في بادىء أمره مسترسل شعور الرأس والشاربين واللحى لانه لم يكن يعرف الموسى بعد ، فلما صلحت حاله وتقدم خطوات في سبيل تمدنه ورفاهيته أصلح من شأن شعوره لكنه لم يجرؤ على مسها لانه عدها مقدسة يجب ألا يتناولها بقص أو حلق

ولبث على ذلك ردحاً طويلا وهو ينصح الى شعر وجهه ولا سيما اللحية بعجلة واحترام . حتى زمن الفينيقيين الذين أضاعوا استقلالهم وسكبوا الدموع بلادهم لكثرة المنازعات التي دارت بين مملكة صور ومملكة صيدا من جراء شعر اللحية . فقد كان الاله « بعال » معبود الصوريين الباسط يديه يحرق عليها الغرباء التي تقدم له طويل شعر اللحية ، على عكس الاله «دربال» رب صيدا وهو الذي كان مثاله في الشكل والوضع لكنه يخالفه في اللحية التي كان مجرداً منها ، فثارت حكومة صيدا حكومة صور في وجوب صب تمثال آخر للاله دربال الذي هو صنو الاله بعال ، ولكن لحية مسترسلة ، فرفضت حكومة صيدا وأعدتها وأصرت مملكة صور على وجوب اطالة لحية الاله ، ونشبت الحرب البحرية بين الدولتين الشقيقتين ودامت سنين عدة كانت نارها تخبو فيها بعض الاحيان لكنها تعود الى الاشتعال بشكل أشد وأقوى ، حتى دمرها الفاتح المقدوني الاسكندر ذو القرنين فاستعان بمراكب صور على فتح صيدا ثم غدر بهذه فلاشى استقلالها وضمها الى أملاكه كما ضم شقيقتها من قبل

ومضت حقبات من الدهر لم يذكر لنا التاريخ فيها نزاعاً على اللحى والشوارب . حتى كانت العصور الوسطى التي نشبت فيها حرب زعون بين السلطنة التركية وبين الجمهورية البندقية ، لان (دوج) البندقة « أي رئيسها » الذي كان حليق الذقن نظر بعين الهزء والسخرية الى لحية السفير التركي ، فعد السلطان هذا العمل مزرياً بمقامه فشهر الحرب على جمهورية البندقية

وحارب التتر جيرانهم الصينيين والفرس عدة سنوات ليحملوهم على رفع أطراف شواربهم

الى أعلى عوضاً عن ارخائها الى أسفل كما هي عادتهم ، ولم يرجع التتر عن عنادهم ويغمدوا سيوفهم حتى نالوا اربهم وفازوا بمرامهم

وقبل الحرب العظمى كان أفراد الجيش الفرنسي ولا سيما الفرسان منهم يفتخرون بطول شواربهم ، ويميلون على الخدود الاكليرية حلقها حتى ان ضابطاً فرنسياً أبصر يوماً أحد عساكره حليق الشاربين فحرمه من كل أجازة ريثما ينبت شعرهما ، وأصدر أمراً حذر فيه سائر الجنود من الاقتداء برفيقهم الذي عد عمله تحدياً لا يليق برجال الجندية

أما في الحرب الاخيرة فقد أباحت القيادة العليا حرية ارخاء شعور اللحى والشوارب أو حلقها جميعها أو حلق بعضها وترك البعض الآخر

وقد كانت اللحى في الأزمنة القديمة من مميزات الحرية ، فكانوا يحلقونها للعبيد والرجال الذين سلبتهم الهيئة الاجتماعية لشرورهم وآثامهم لكون لهم سمة يعرفون بها فيتجنبهم سائر الناس

وفي الهند كانوا يحلقون الجثة بحلق شعر رءوسهم ولحاهم ، والكريتيون كانوا يحلقون لحى الاسرى ويحدثون الحرائق ، وكان الفرس والمادون يحلقون لحى اسراهم دلالة على العبودية وتمادياً في اذلالهم واخضاعهم بصورتهم ، وأهل [illegible] كانوا مشهورين بالشجاعة والفروسية كانوا ينتزعون لحى الجبناء الذين يهربون من وجه الاعداء يشهروا بهم ويجعلوهم عبرة لغيرهم ، لكي لا تسول لاحد نفسه أن يولي الأدبار أمام جيوش الاعداء

وكان الإروبيدون يحلقون شعور صدغيه قبل أن يقدموها قرباناً لآلهتهم التي كانت تطلب احراق الشعر أحياء حتى رضاها وقبول تضحيتها ، وفي الرومان فكانوا في بدء أمرهم يحلون اللحى لدرجة التقديس حتى ان بيروس أحد أعضاء مجلس (السنا) أي الشيوخ الذي أمسك أحد العابثين (سكلن فرسا القدماء) من لحيته الكثة ، فضل الموت على ترك هذا « المجرم » دون عقاب

ويبدو لنا من ثنايا التاريخ ان كل الامم في حالتها الفطرية كانت تعد اللحى رمزاً للحرية والقوة ، لكن هذا الاعتقاد أخذ يتزعزع مع اشتداد الحضارة حتى اضمحل تماماً ، فالاثينيون عدوا اللحى حالما سطعت شمس معارفهم وساروا شوطاً بعيداً في سبيل الرقي والمدنية ، غير ان رفاقهم أهل اسبارطة ظلوا متمسكين بهذه العادة زمناً طويلا

والرومان كانوا يطلقون لحاهم حتى عهد قيصر ، لكنهم رغبوا عنها تحت حكم الاباطرة وتطرفوا في ذلك حتى حلقوا شواربهم كما هي « الموضة » الآن ، ولبثوا على هذه الحالة فلم يرغبوا عنها حتى دالت دولتهم وعفا أثرهم

وأما الفرنك وهم أسلاف الفرنسيين فكانت لحاهم مسترسلة وشواربهم مرسلة الى ذقونهم غير أنهم رفعوا أطرافها الى أعلى عند ما تبوأ كلوديون الملك فأراد ان يحدث تغييراً في

عادات رعيته فلم يرَ غير رفع أطراف شواربهم المتدلاة

ولما آل العرش الى شليرك أمر أفراد طبقة العامة بان ترخي لحاهم وشواربهم دون ان يتعهدوها بتشذيب ، وحتم على النبلاء حلق الاثنين لكي يمتازوا عن غيرهم ، وفي عهد شارلمان رجعت عادة ارخاء الشوارب دون اللحى ، ومما يدعو الى العجب ان خيال هذا الملك المنصوب له بمثله ذا لحية طويلة مع أنه لم يرسلها في حياته قط كما يبين لنا التاريخ

وعندما تبوأ شارل السيط أريكة الملك نزع الأهلون الى حلق شواربهم ولحاهم ، وظلوا متمسكين بهذه العادة حتى منتصف القرن الرابع عشر فطالوا لحاهم في بلاط لويس دي فالوا لكنهم عدلوا عن ذلك عندما توارى هذا الملك في لحده ورجعوا الى «موضة» الوجه الاملس الذي لا شعر فيه حتى سنة ١٥٥٩ حينما أصيب الملك هنريوسوا الاول بجرح في رأسه وهو يلعب مع أحد الاشراف فاضطر أن يقص شعر رأسه ويجز لحيته ، فهذا الشعب حذوه ولم يبق على شعر رأسه ولا على لحيته

ولما اندمل جرح الملك أرخى لحيته فسمح البلاط على منواله ، لكن فرنسوا الاول منع باصالة اللحى لمن يلوذ به وحرمها على عامة الشعب لكي لا يمكن خاصة من تغيير ملامحهم بحلق لحاهم اذا ما أرادوا الهروب من وجه العدالة ، وتوعد بالشنق كل من خالف هذا الامر سواء أكان من النبلاء أم من سوقة

وأما الملك هنري الرابع فكان أكثر تحاملا منه على شعر الرأس في ارسال شواربه ولحاه أو حلقها أو تكييفها وفق رغبته وميوله ، وكانت العادة المتبعة وقت اطلاق اللحى ورفع أطراف الشوارب على شكل شوكي عديوم «براطور» بما يأتي

وعندما آل الملك الى لويس الثالث عشر الذي لم يكن يهتم بشؤون مملكته لانهماكه العجيب على وزيره الكردينال دي ريشليه عمد ذات يوم الى التلهي لقتل الوقت فاتفق له فريضة أن يحلق شعر رجال بلاطه بيده ، ويده الملكية الكريمة حتى لحى ضباط القصر ولم يترك لهم غير شعيرات في وسط الذقن فسميت تلك اللحية الباقية : « اللحية الملكية » ، وشاعت شيوعاً كبيراً بين كل طبقات الشعب فاقتدوا بها ، غير ان الكردينال دي ريشليه أبى أن يقلد غيره فبقي محتفظاً بلحيته الصغيرة المدببة

وظل أهل فرنسا على هذه الحال حتى عهد لويس الرابع عشر فازالوا لحاهم اقتداء بمليكهم . ولما خلفه ابنه لويس الخامس عشر أمر بحلق الشوارب واللحى مستثنياً رجال الجندية. وفي عهد لويس السادس عشر حلق الضباط شواربهم ولحاهم بينما الجنود ظلوا محتفظين بهما

وكانت الثورة الفرنسية والامبراطورية من مشجعي حلق الشوارب واللحى ولذا لم نر لنابوليون صورة تمثله بلحية أو بشارب . وفي سنة ١٨٣٠ عادت الشوارب الى الظهور ، وفي

سنة ١٨٤٨ أرخيت اللحى ، ولما أعيدت الامبراطورية الثانية جعل نابوليون الثالث شاربيه أفقيين ولحيته مستديرة تشبها بالكردينال دي ريشيليه

هذا عند أهل أوربا ، وأما العرب فقد ألفوا منذ جاهليتهم ارخاء الشوارب واطلاق اللحى ولم يحيدوا قط عن هذه العادة ، لان اللحى كانت عندهم من مميزات العظمة والقوة والجبروت ولا تزال اذ قلنا إنها كانت أيضاً من مميزات الجمال ، فكانوا يفاخرون بها ويعدلون مافي وسمهم لاطالتها حتى أن هرون الرشيد لما نكب البرامكة واستولى على أموالهم وجد فيما وجده من مقتنياتهم سفطاً كبيراً جبل الصنع كثير الزخرف فتهافت الحاضرون على شرائه وهو مقفول لظنهم بعظم غنى البرامكة وظنهم أنه يحتوي على جواهر ثمينة ودرر لاتقوم بمال. وشرعوا يزيدون في ثمنه حتى بلغ عشرة آلاف دينار ، فامر الرشيد بفتحه بحضرته قائلا . « أكبر ظني أنه يحتوي على حماقة من حماقات البرمك » يريد بذلك البرامكة الذين هم من أصل فارسي ، ففتح أسفله فوجدوا داخله سفطاً أصغر منه حجماً ، ففتحوا هذا فوجدوا فيه سفطاً آخر أصغر منه وهكذا حتى بلغ عدد الاسفاط اثني عشر والحاضرون في لهفة لمعرفة الدرة اليتيمة التي يضمها السفط الاخير الذي عندما فتحوه لم يروا فيه ورقة مكتوب فيها « من أراد أن يطيل لحيته فليشطها من أسفل »

وكان الرشيد يعتني بلحيته اعتناء « خاصاً » . واذا أراد تفكير شغلها بأصابعه حتى يهتدي الى ما يريده

وقد لبث العرب في اسبانيا ٨٥١ سنة واختلطوا بكل الامم التي فتحوها ولكنهم ظلوا محتفظين بعادة ارخاء اللحى والشوارب ، لان عقيدتهم من أن شعر الوجه يكسب صاحبه مهابة لا تتغير بمرور السنين ولا كرور الاعوام

وأما الآن فقد شاعت عادة حلق الشوارب واللحى عند شبان هذا العصر ، ولو أننا نحذها من الوجهة الصحية تحبيداً تاماً ، لكن الكلمة الفاصلة ليست للمحذين من قبائنا ولا للمانعين من شيوخنا ، بل للموضة التي اذا سرت لا تقف في سيرها عثرات ولا تقوم في طريقها عقبات

جورج نيقولاوس

جحيم الحياة العامة

رجال السياسة بين عواصف الرأي العام

يظن أرباب النظر السطحي أن رجال السياسة هم أسعد الناس حالاً ، وان الحياة العامة هي خير حياة . فلا ينظرون الى رجل السياسة كيف يقام الناس بالتكبير والهتاف ، ويقابلونهم في كل مكان بالتصفيق والهتاف ، أفلا يرونهم يشعلون أكبر مناصب الدولة ويقتصون بايديهم على زمام السلطة فيمنحون ويمنعون . أفلا يرون الصحف تشيد بذكرهم وتطنطن باعمالهم . وهذا الجيش من الصحفيين الراجف على ورارتهم الواقف بابواب بيوتهم يتلمس حديثاً سياسياً تتحف به الصحف زبنة لصفحاتها وتاجاً لكتاباتها . وهذه الزمرة من المصورين تحمل أدوات التصوير وتتعقب الرجال المشتغلين بالحياة العامة لتظفر بصورهم لنشرها في الصحف والمجلات . وتلك الفتاة التي تحيء الى الرجل السياسي تمشي على استحياء فتطلب اليه أن يتفضل ويضع امضاءه بخط يده على كراسة دراستها لتحتفظ بها تذكاراً في مستقبل حياتها . كل أولئك يغرون الرجال على خوض غمار الحياة العامة فيتضاعف كل يوم عدد ضحاياها

ولو أردنا أن نتسمى الأشياء باسمائها لقلنا ان الحياة العامة هي أشبه شيء بحروب الحياة . لا بل هي حالة نضال مستمر تعيش فيها كل صورة من صور الحرب [illegible] في حياتها . تارة الاولون . فقد كانت قوانين تنازع البقاء تقضي على أكثر [illegible] على قدم الاهبة متفقدين سلاحهم لا تغفل لهم عين ، فاذا هم أحسوا بهم [illegible] وقع الاخرى فهجموا الاعداء ، وكذلك يقضي للرجل السياسي أن يكون [illegible] يقظاً في كل حين ، يرقب الحوادث بعين ساهرة فلا يؤخذ على غرة ، وان [illegible] من خصومه فلا يشكو ولا يتململ ولكن يرد عليهم باقسى منها ، ويوطن نفسه على أن يكون هدفاً لحملات المطاعن والاتهامات الباطلة ، وفريسة للمؤامرات المدبرة . فيقف وسط هذه الحياه العاصفة يشي ولا يكسر

ويضاعف في آلام هذه الحياة المضطربة انتشار الصحف والمجلات بانواعها ، وحملها في مشاول كل الطبقات الاجتماعية ، واعتبار حياة الرجل السياسي ملكاً للجمهور والنفس البشرية والعواطف الانسانية هي في كل مكان وزمان . فالناس كان الرومان يحتشدون لمشاهدة الاسود يطلقونها على الاسرى والارقاء يصارعونها فتصرعهم ، وكان مصير تلك الوحوش الجائعة الضارية وهي تمزق أجسام الضحايا وتحطم أشلاءهم يسر عيون النظارين من الرومان ! والبوم يحلو للرأي العام في كل أمة أن يشهد أقلام الكتاب وألسنة الخطباء تمزق الاعراض السياسية وتصور زعيماً على رأس وزارة فرنسية يسري للنضال السياسي معه جسم مثل كليمنصو ، وقد كان الفرد يحمل قلما هو المشرط أو أشد للاجسام تمزيقاً وللنفس الاقلام وقع كوقع السهام ، ولغيرها وخز كوخز الابر . وجسم الرجل السياسي هو الهدف الذي تصوب اليه هذه السهام وتخره تلك الابر . وما قولك في هذه الاساليب النارية

الكلوية وتلك الغدد الدماغية الآلية وهؤلاء الكتاب الذين يستثيرون الرأي العام كما تستثار جماعة النحل وقل لي بعد ذلك أي مرتفع حصيب لها غير رحل السياسة !

ويريد في شقاء الحياة السياسية انتشار موجة الديمقراطية وتعميم الانظمة النيابية وتطاحن الاحزاب على السلطة وهما ما نشأت من مطامع ومتاب ، وسعايات ووشايات ؟ وفتن ودسائس واتهامات بالباطل ، ومرابدات سياسية تحز الى النزع نهم الحياة والحروق من الوطنية والضعف والتردد والهزيمة . وبعد كيف يحرمون استعمال بعض الاسلحة في حرب السيف والمدفع ولا يعملون على تحريم هذه الاسلحة الدنيئة في الصراع الحزبي والنضال السياسي

لقد استنفد خصوم عمت السابون كل سلاح في حقهم وأفرغوا كل سباب في قواميس شتائمهم فلم يتورعوا عن سلاح مهما كان دنيئاً ولم يعدموا عن مكيدة مهما كانت منحطة . فهي عرفهم أن السياسي هو للشعوذ والوطني الدجال والرجل الاحدوثة البارع الثرثار وحطب الشوارع والمقاهي، والرجل الذي يساوم بضاعته في الظلام ومن وراء ستار على الاترابس والكواليس ! دعي عمت الى تأليف الوزارة فتهالت وجوه خصومه لسياسيين طمعاً في سوق يتسع المجال امام حيلهم والسياسي في الحكم غيره خارج الحكم . فاذا كان النقد هيناً فان العمل صعب . ولم يصعد عمت الى كرسي الوزارة الا بعد أن مرقت حوله الاماني وهو تحت عمر وزارته اكثر من ثلاثة وسبعين يوماً وهو الرجل الذي ملأ قلبه حب فرنسا والذي روح صحته الجد والعمل نهوض

سقطت وزارته فكتب في تبرير حركته هذه العبارة التي تستوقف عندها ماساته الرجل السياسي من الآلام النفسية قال « هذا هو يوم الخلاص فارتشف حتى أوعيته من كل قلق . وفي لاحتي فيه تحريري من ربقة الحكم وعلائق السلطة »

ولكي تمس يبدد آثار مرارته التي تملأ نفسه هنا وهناك طرح الدامية التي كان يعيش بها صغره صنع أضحوكة الصغره بدره طريفة التي قتل رجل فرنسا العظيم وهو على فراش الموت : « ان ساعة العدل آتية لا ريب فيها . وليس يحزني ولا يملأ نفسي أسى بها لن تحيى الا بعد أن أصبح تحت أطباق الثرى جثة هامدة . فالتاريخ حكم عدل . وما دامت الكلمة للتاريخ فسيقولها عالية ورهيبة تدمغ بكل ما كانه لي خصومي من مطامع وما رموه الى من تهم . . . »

والآن أريد أن أسدل ستار على مسرح السياسة المصرية . لا ؛ ان نار الحوادث لا تزال تضطرم تحت التراب فليس من الحكمة حسبا . وعلى كل حال فاستعرض أمام ذاكرتك المطامع والمتالب والدسائس والاتهامات التي كيلت الى رجال السياسة من مختلف الهيئات وجميع الأحزاب من عام ١٩١٩ الى اليوم الذي تقرأ فيه هذا المقال ثم قل اذا كان من الاسراف في الجهد أن يضع على رأس هذا البحث : جحيم الحياة العامة

ان من أقسى مظاهر الحياة ألا تعرف قيمة الرجال الا بعد موتهم . فحينذاك وحينذاك فقط تنطفىء الاحقاد وتهدأ ثورة العواطف ويصدر الحكم عدلا غير متأثر بالاهواء أو بالروح الحزبي . واذا شئت ان تتعرف رجال الفن في صورة من الصور فلا تنظر اليها عن كثب بل ابتعد عنها قليلا . ومن أجل هذا لا تؤمن كتابة التاريخ عن رجل لا يزالون يعبون أدوارهم على مسرح الحياة العامة

ولا عن رجال لم تمض على وفاتهم الفترة الكافية للحكم لهم أو عليهم حكماً لا يصدر عن الهوى

والرجل السياسي الذي يروض الرأي العام كالمربي الذي يروض الاطفال . فللرأي العام اهواؤه ورغباته ، واحقاؤه واندفاعاته ، وأوهامه الموروثة وتقاليده المتركزة . فهو يحب اليوم اصناماً فيعبدها ثم يحطمها غداً . ولا يرضيه من الرجل السياسي الا أن يملأ أذنيه بالوعود ويتملك عواطفه وبين ارضاء الرأي العام وارضاء الحقيقة ومصلحة الوطن قد يشعر الرجل السياسي بألم النفس وتمزيق القلب

والآن أسائل نفسي عن البواعث والعوامل التي تحدو رجال السياسة الى احتمال هذه الآلام . وعندي أن هناك عاملين . فاما العامل الاول فالرغبة في خدمة الوطن . وأما العامل الثاني فشهوة التسلط ، فتلك نفوس كبيرة تجيش بالآمال ، وهذه قلوب كبيرة تفيض بالآمال وهي ارادات حديدية لا تخيف الرأس أمام أحد ولكنها تعمل على أن تطأطأ أمامها الرؤوس . ويهوّن على هؤلاء الرجال احتمال عواصف الحياة السياسية العاتية أنهم يشعرون براحة ضمائرهم عادا ظلمهم اليوم قومهم فقد ينصفهم التاريخ

عبد المجيد نافع

المحامي

أمثال وحكم

* يعلم الذين يعتقدون انهم [illegible]
* افكارك لك وكلماتك ليست لك
* المسرة أم جميع الفضائل
* ان يعفو الانسان ويصفح هما ان ينسى نفسه
* العلم الكثير لا يحول دون الاختراع القليل
* في جيبك ثروة الى جنبك صديق
* الاسباب القوية تنتج اعمالا قوية
* الحظ يبتسم احياناً ولكنه لا يضحك
* اصنع أقرب واجب منك
* اذا تلاقت الاحباب حييت القلوب
* النجاح يغطي الاخطاء والفشل يذكر بها

(والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي ولأم المخبر المخبل)

■ كثيراً ما يكون أصدق التاريخ ادعاء الى الحزن

* فقد الصيت الحسن اسرع من كسره
* انما ترى الشجاعة العظمى في ساعة الخطر الاعظم

سير العلوم والفنون

رصد الكسوف

الدكتور كامبل من أساتذة جامعة كاليفورنيا ومعه مدير مرصد ليك يرصدان كسوف الشمس في موضع بقرب كامتوفيل بكاليفورنيا اختاره بعض علماء الفلك لرصد الكسوف ونقلوا اليه بعض أدوات الرصد . وترى هنا الاستاذين المذكورين يرصدان هالة الشمس

اختراع جديد للطيارة

المخترع مهندس يدعى ارنست شرودر طيارة استعاض فيها عن المروحة الدافعة بدولابين (عجلتين) لهما مفاتيح من الصلب. ولا يزيد ارتفاع جناحي الطيارة عن قمة الرجل الاعتيادي . وعلى دار دولابها تكاثف الهواء تحتها ورفعها صعداً . وتطير بسرعة مائة وثلاثين كيلو متراً في الساعة ومن مزاياها أنها تستطيع النهوض عن الارض أو الهبوط عليها عمودياً . على وجه التقريب وترى المخترع في هذه الصورة الى اليمين يشرح اختراعه لبعض أصدقائه

تسجيل دقات القلب

وقف أحد المعاهد الطبية [illegible] ميكروفون خاص (وهو جهاز لتكبير الصوت) لتسجيل دقات القلب على اسطوانة . وسيحرص الاحتفاظ بها الى سنحت فرصة على المؤتمر الصحي القادم . وترى في هذه الصورة الدكتور رز كيليكر فاحص عند شخص الميكروفون المذكور

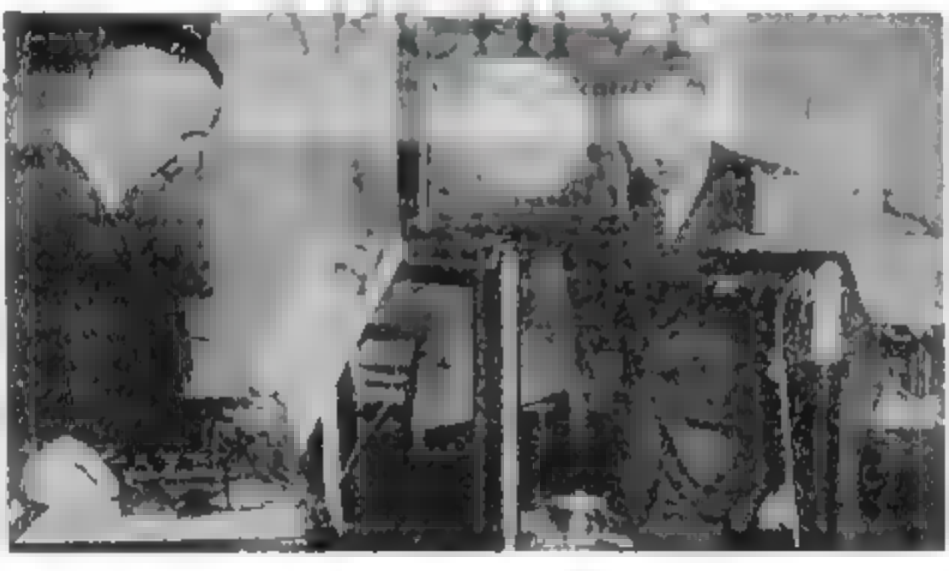

دقات القلب بعد تسجيلها

ترى هنا صورة الميكروفون الحساس الذي يسجل دقات القلب . وقد وقف الدكتور رز كيليكر (الى يمين الصورة) ينصت الى دقات القلب بعد تقوية صوتها بواسطة الميكروفون . ووقف الدكتور شولف (الى يسار الصورة) يدير حركة الميكروفون

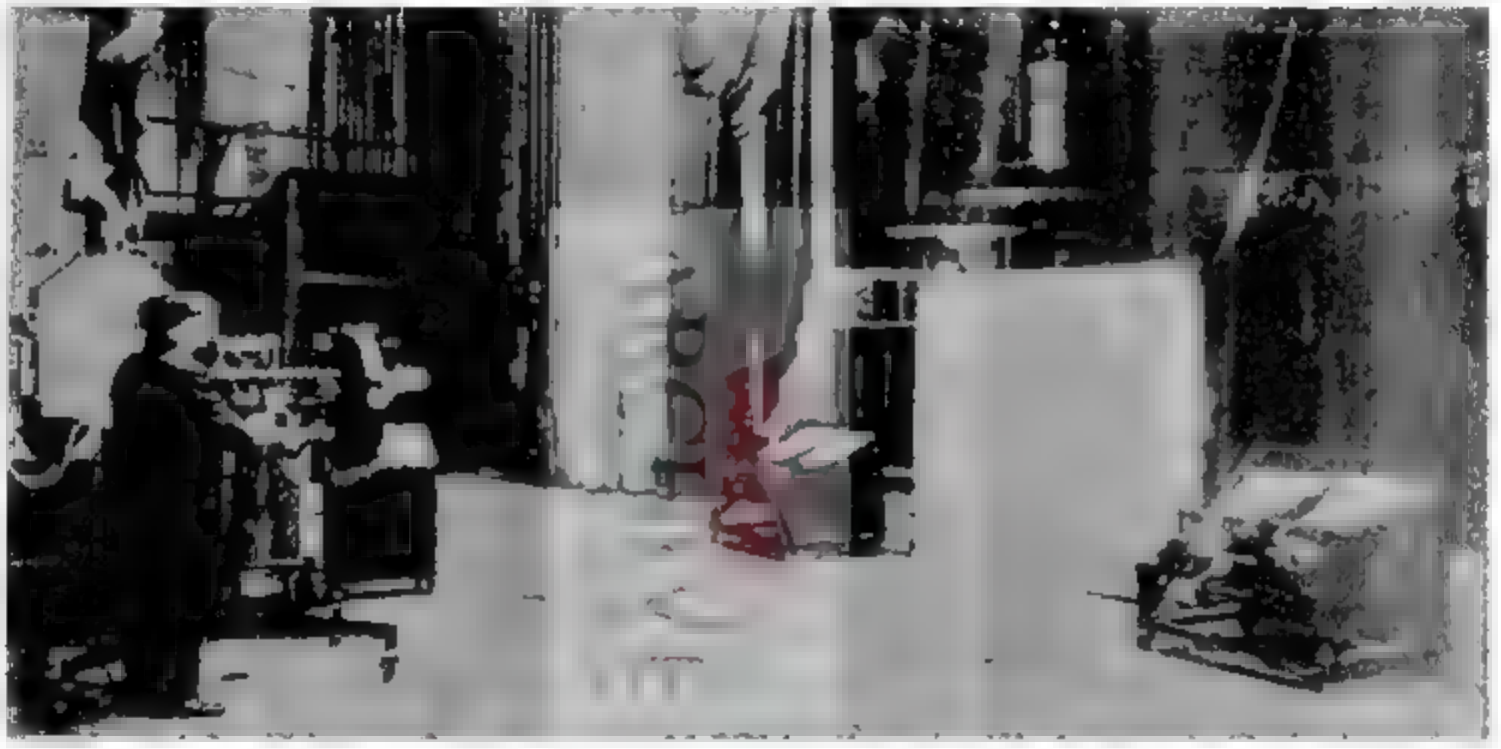

التمثيل والتليفزيون (الرؤية عن بعد)

يجتمع في مسرح شنكتدي بنيويورك سنياة من المشاهدين لرؤية حفلة تمثيلية تلقت مشاهدها وأصوات الممثلين فيها عن بعد بواسطة التليفزيون . وقامت بتمثيل الرواية جوقة مسرح شنكتدي على بعد ميلين من المسرح في المعمل الخاص بشركة الكهرباء السوفية . وترى في الصورة آلة التليفزيون التي تنقل مشاهد تلك الرواية الى مسرح شنكتدي المذكور

القاطرات قديماً وحديثاً

تبين هذه الصورة مدى تقدم القاطرات البخارية في مدة خمسين سنة . فترى الى اليمين صورة أحدث قاطرة أميركية . والى اليسار قاطرة منذ ٧٠ سنة وقد وقف بينهما المهندس وليم كيلي الذي سبق أول قاطرة ووضع تصميم أحدث قاطرة في أميركا

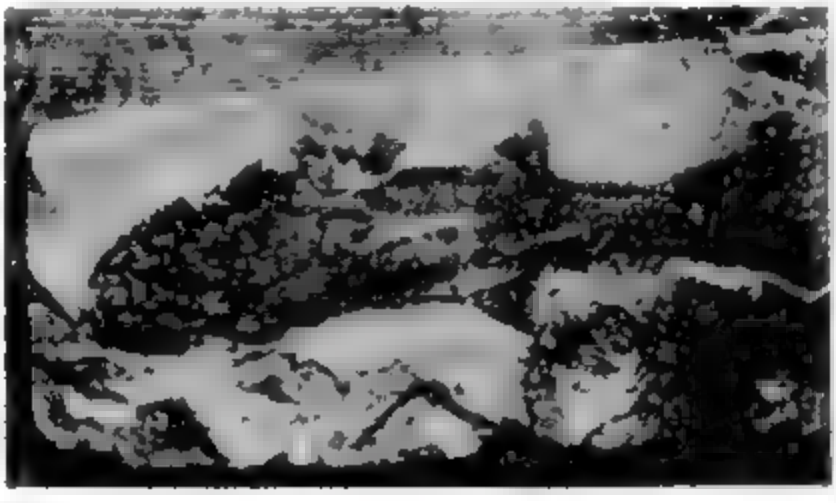

أعاصير أسماك منقرضة

آثار سمكة متحجرة من النوع المعروف بعصبة « كاتوبريد » وهو نوع منقرض يقول البلماء انه كان موجوداً بكثرة في العصر الجيولوجي المعروف بالعصر الثلاثي (ريسند) وقد وجدت آثار هذه السمكة بالقرب من بركفيل في وادي الجدبة الجنوبي

أسماك أخرى منقرضة

آثار نوع آخر من السمك المعروف بعصبة « كليتروليس » وهو من أقدم أنواع الأسماك المنقرضة . وقد وجدت آثاره حديثاً بالقرب من مدينة سدني في وادي الجدبة الجنوبية

ذباب العقرب

آثار الحشرة المعروفة بذباب العقرب وهي متحجرة وقد حفظت بكاملها منذ حقب بيولوجية قديمة . ووجدت بالقرب من مدينة سدني في وادي الجدبة الجنوبية

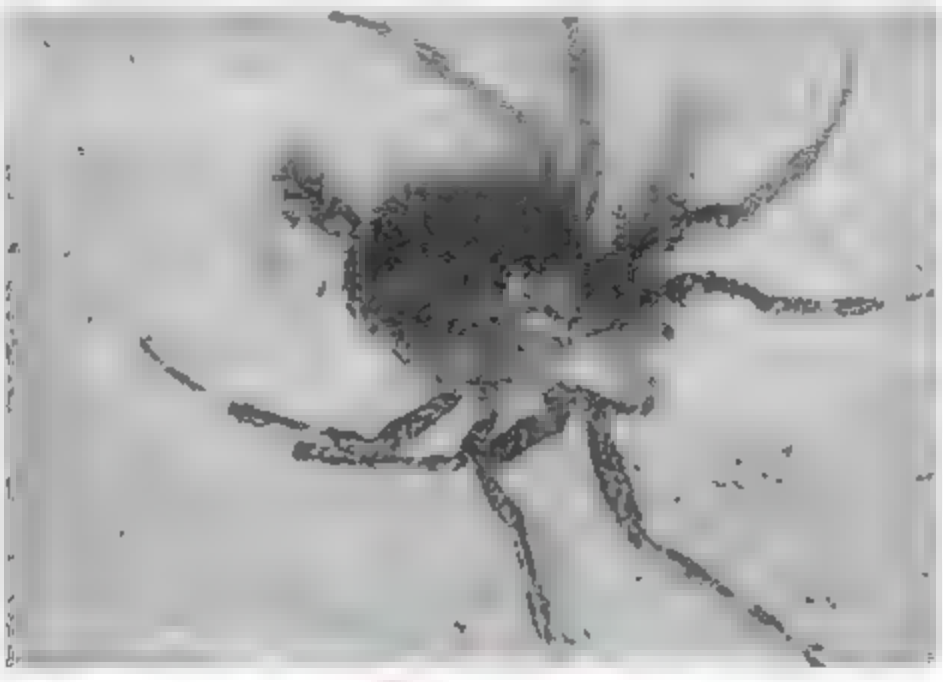

فريسة العنكبوت وهي أنثى العنكبوت تنسج بباطنه الخيوط على نسلها وتراها في هذه الصورة تضع بيضها في مكان أمين فتفلسه عند ما تلهيها الغريزة

أنثى العنكبوت
تحمل صغارها على ظهرها حال فقسها وتعنى بها عناية مدهشة

انثى العنكبوت تسير وتجر وراءها بيضها وهو بشكل كيس متصل بها ويحتوي على بيضها وهذا مما يدل على شدة عناية هذه الحشرة بنسلها

الذباب ولون الزجاج

يكثر الذباب في فصل الصيف كثرة تضايق منها الجميع . ولهذه الكثرة علاقة بطائفة من الامراض التي تنتشر في فصل الصيف . وقد وقفنا على مدة عهدا الصدد في احدى المجلات العلمية الانجليزية خلاصتها أن الزجاج الملون ولا سيما الازرق يمنع تكاثر الذباب . ويقول أحد كبار المتصيدين (الجرارين) في انجلترا وهو المستر مكين دوجلاس أنه قد جرب الزجاج الازرق في المخزن الكبير الذي يبيع فيه اللحوم فوجد أن الذباب لا يتجمع عنده وقد كان قبلا يضايقه أشد مضايقة حتى كان يضطر الى استعمال وسائل مختلفة للتخلص منه

وكتب الخواجات بلكتون — وهم أيضاً من كبار تجار اللحوم في لندن — رسالة الى مجلة « نايتشر » قالوا فيها إنهم جربوا في مخزنهم الزجاج الاحمر والاصفر فمنع الذباب عن المحموم على اللحوم كما كان يفعل سابقاً الا ان التجارب أثبتت أن زجاج الازرق يضايق الذباب اكثر من أي زجاج آخر حتى أن الذباب لا يضع بيضه في النور الازرق

النمل والنحل

يقول علماء النشوء والارتقاء إن النمل الذي كان يوجد على الكرة الارضية منذ ثلاثين مليون سنة لم يكن يختلف كثيراً في شكله وعاداته وغرائزه عن النمل الموجود الآن . وبعبارة اخرى ان عوامل التطور لم تؤثر فيه بقدر ما اثرت في غيره من المخلوقات الحية . ويؤخذ من أقوال جميع العارفين بطبائع الحيوان أن في النمل قوة تدل على الذكاء المفرط . ولو كان للنمل دماغ شبيه دماغ الانسان لكان سيد المخلوقات بلا شك . .

والنحل هو اذكى المخلوقات نسبيا بعد النمل وفي العالم نحو خمسمائة فصيلة منه غير أن للنمل نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة فصيلة وغرائز النحل تدل على حكمة الطبيعة الخارقة . ويعتقد علماء الحيوان أنه يتخاطب بشارات وأصوات وحركات لكل منها معنى خاص

عندما تمطر السماء سمكا

روت مجلة « نايتشر » العلمية أنه في ٢٩ مايو سنة ١٩٢٨ أمطرت السماء بقرب مدينة كومبر مارلندا سمكا أحمر . ذلك أن الناس أصبحوا في ذلك اليوم فوجدوا على مقربة من المدينة وفي ناحية من ضواحيها تدعى « درمهرك » كمية من السمك الاحمر الصغير . فدهشوا من الامر لان درمهرك بعيدة عن النهر اكثر من ميلين . وقال من يعيشون على السمك قامت في ذلك المكان زوبعة هائلة صحبها رعود وبروق هائلة والظاهر أن زوبعة جذبت ماء النهر ورفعته الى الجو ثم القته في ناحية « درمهرك » وهو يحتوي على كمية من السمك الاحمر

الخسوف والكسوف القادمان

في ليلة الثلاثاء ٧ اكتوبر القادم يحسف القمر خسوفاً جزئياً يمكن مشاهدته في القاهرة وسيبتديء في الساعة السادسة والدقيقة ٤١ وينتهي في الساعة الحادية عشرة والدقيقة ٣٢

وفي مساء يوم الثلاثاء ٢١ اكتوبر وصباح يوم الاربعاء ٢٢ اكتوبر القادم تكسف الشمس كسوفاً كلياً لن يمكن مشاهدته من القاهرة . وقد استعدت عدة مراصد منذ الآن لرصده في المواضع التي يمكن منها مشاهدته بجلاء تام

أكثر العناصر شيوعاً

يقول السر وليم براج أحد أقطاب العلماء في الوقت الحاضر إن الطبيعة قد أظهرت تحيزاً عظيماً لبعض العناصر على حساب العناصر الاخرى ليس في عالم الشمس فقط بل في جميع الكائنات أيضاً . وأجلى مظهر من مظاهر ذلك التحيز وجود عنصر الاوكسجين بكثرة حتى أنه يكاد يتكون منه نصف مادة الكون . اما النصف الآخر فمعظمه من عنصري السليكون والالومينيوم وما بقي من مادة الكون موزع بين التسعين عنصراً من العناصر الباقية ، وفي مقدمتها الايدروجين أما الكربون فمعظمه حاصل بالخلايا الحية . وهنالك طائفة من العناصر نادرة جداً حتى أن الكثيرين من علماء الكيمياء لا يعرفونها الا بالاسم

البوصلة ومخترعها

المعروف بين الناس جميعاً ان مخترع البوصلة (ابرة الملاحة) الملاحي يسمى « جوفا » عاش في أوائل القرن الرابع عشر . على ان الدكتور لوفر من مدرسي متحف التاريخ الطبيعي في أمريكا قد بحث في هذه المسألة بحثاً دقيقاً وانتهى الى هذه النتيجة وهي ان الصينيين هم مخترعو البوصلة وهنالك عدة أدلة تثبت ذلك منها بوصلة قديمة عثر عليها الدكتور لوفر المذكور وقد تمكن من ارجاع تاريخها الى أكثر من ألف سنة قبل المسيح

وعن الصينيين أخذ العرب والفرس صناعة البوصلة وكانوا من أكبر حوابي البحار . وعنهم أخذ الاوربيون البوصلة والارجح ان « جوفا » الايطالي — الذي يعزى اليه اختراع البوصلة — أخذها عنهم

زرقة الجو

يتساءل الكثيرون عن سبب زرقة الجو . وتعليل ذلك ان دقائق الهواء المركبة من أوكسجين ونتروجين تفتت (تحلل) أشعة ور الشمس الى الامواج التي تتألف منها تلك الاشعة . وهذه الامواج تختلف بعضها عن بعض بطولها . وأقصرها الامواج زرقاء فان طولها يعادل نصف طول الامواج الحمراء . أما أمواج الالوان الاخرى فانها تتدرج تدرجاً مستمراً

كلما كانت الموجة قصيرة سهل على دقائق الاوكسجين والنتروجين التي في الهواء عزلها عن غيرها . ولهذا السبب يسهل فصل الموجة الزرقاء وعرفنا من ذلك لون الطيف الشمسي بحيث يلون الجو أزرق

مجموعة من العناصر

لا يخفى أن عناصر المادة المعروفة حتى الآن هي تسعون عنصراً . لا أن طائفة كبيرة من هذه العناصر نادرة جداً حتى ان الكثيرين من علماء الكيمياء لا يعرفونها الا بالاسم

ولعل أكبر مجموعة من العناصر هي الموجودة لدى شركة اديسون بيروكلن باميركا . وقد تولى جمعها السنر ادورد كنديدوس مدير هذه الشركة . ويبلغ عدد عناصر هذه المجموعة ستة وثمانين عنصراً ومعظمها مدخر في أنابيب خاصة مفرغة من الهواء . وليس في العالم معهد علمي او جامعة كبيرة او مدرسة فيها نصف ما في هذه المجموعة من العناصر . بل ليس في العالم كله عالم كيمياوي قد رأى بعينيه أكثر من سبعين عنصراً من العناصر المعروفة

الحديد أقدم المعادن

الارجح ان الحديد هو أقدم المعادن واكثرها انتشاراً في العالم . وهو سهل الاتحاد بعناصر الاوكسجين والكربون والكبريت والفوسفور وغير ذلك من المعادن . وقلما يوجد الحديد غير متحد بغيره من العناصر الا في النيازك . ويعتقد علماء التاريخ انه كان معروفاً عند أسلاف البشر الاولين . وفي التقاليد المتواترة ان الحديد كان معروفاً عند الصينيين قبل المسيح بنحو ثلاثة آلاف سنة . وهنالك ما يدل ايضاً على ان المصريين القدماء كانوا يصنعون آلات حديدية قبل المسيح بالفي سنة على الاقل . وبلغت صناعة الحديد شأواً بعيداً عند الاتقان عند اليونان الأقدمين قبل حرب طروادة . وهنالك تماثيل حديدية صنعوها قبل المسيح بنحو الف سنة

معدن جديد صلب

تمكن الدكتور لويس من جامعة جامعة اوهايو الاميركية من تركيب معدن جديد سماه « كونيل » وهو مزيج من الكوبلت والنكل ويقال انه خفيف جداً كالالومينيوم ولكنه أصلب من كل المعادن المعروفة حيث انه لا يفقد شيئاً من صلابته حتى مع الحرارة الشديدة . وفي تقرير من شركة وستنجهاوس الكهربائية ان هذا المعدن لا يفقد شيئاً من صلابته اذا أحمي الى درجة الف ومائة فهرنهيت (نحو ستمائة سنتجراد) بل لقد قاموا بعض تجارب فأحموا هذا المعدن الجديد الى درجة الف ومائة بمقياس فهرنهيت فزادت صلابته وأمكنه احتمال ضغط هائل بلغ ستين الف رطل للبوصة المربعة

والمعدن الجديد رخيص جداً . فبينما سعر البلاتين يبلغ نحو اربعين جنيهاً لكل اونس (اوقية) ترى ان سعر الكوبل لا يزيد عن بضعة ريالات للرطل

عصير الاشجار في الشتاء

يعتقد بعض الناس ان الاشجار والنباتات تجمد في فصل الشتاء عندما يكسوها الصقيع . على ان الحقيقة تخالف ذلك وكل ما يحدث هو ان العصير — الذي هو غذاء الشجرة — ينقطع عن الغصين مؤقتاً وتكتفي الشجرة بالعصير الذي يكون مدخراً في خلاياها الى أن يمر فصل الصقيع فيعود العصير يسري في الشجرة

وقد دبرت الطبيعة ايضاً ان يحمي الماء الشجرة (اي تشربها) لئلا يموت . وهذا الماء هو موصل رديء للحرارة والبرودة . فاذا جاء فصل الشتاء حمى الشجرة من البرد القارس . واذا جاء فصل حر حماها من الحرارة اللافحة

العجائب السبع الجديدة

في كتب التاريخ ان الاقدمين تركوا لنا سبع عجائب بدت على علو كعبهم في العلم والهندسة وهي كما لا يخفى (١) اهرام الجيزة (٢) فراديس بابل المعلقة (٣) هيكل ديانا (٤) تمثال لابه حوبتر (٥) ضريح موسولوس (٦) منارة الاسكندرية (٧) صنم رودس

على ان هنالك سبع عجائب جديدة لا شك انها تفوق القديمة في فائدتها للبشر وهي : (١) التسلط على الآلام بواسطة المخدرات (٢) التغلب على الامراض بمنع الميكروبات (٣) معرفة أسرار المادة (٤) معرفة أسرار الافلاك (٥) التحكم بأمواج النور والصوت (٦) الاختراعات اللاسلكية وأخيرها نقل الصور والمرئيات عن بعد (٧) ربط انحاء العالم المختلفة بوسائل المواصلات المختلفة

سرعة الريح

تقاس سرعة الريح بواسطة آلات دقيقة يصعب شرحها هنا وهذه الآلات قلما تستطيع قياس تلك السرعة اذا جاوزت مائة وثمانين ميلا أو مائتي ميل في الساعة — كما يحدث في الاعاصير الاستوائية — فان الريح تقتلع تلك الآلات من مواضعها وتذهب بها على ان هنالك أعاصير متوسطة في الشدة كالاعصار الذي اجتاح ولاية فلوريدا الاميركية في سنة ١٩٢٦ وقد بلغت سرعته بومئذ مائة وثلاثين ميلا في الساعة. وفي سنة ١٩١٥ حدث اعصار عند مصب نهر المسيسبي بلغت سرعته مائة وأربعين ميلا في الساعة وفي سنة ١٨٨٣ هب اعصار على ولاية نيوهمبشير بلغت سرعته مائة وستة وثمانين ميلا في الساعة ولعلها أعظم سرعة أمكن قياسها بالآلات الخاصة

على ان هنالك ما يحمل على الاعتقاد بأن سرعة بعض الاعاصير قد تبلغ في أحيان كثيرة أربعمائة ميل في الساعة (٤٠٠) وربما كيلومتر وهي سرعة يعجز العقل عن تصورها

موسم البطاطس

تقول احدى المجلات العلمية الانجليزية ان موسم البطاطس في انجلترا قد أقبل في هذا العام اقبالا عظيماً حتى رخص سعره وصار من العبث التفكير في تصديره . ذلك فكر بعضهم في استهلاكه كله في انجلترا لان تصديره لا يأتي بأية منفعة مالية

وتقول المجلة التي نقلنا عنها هذا الخبر ان نوع البطاطس غير المطبوخ هو من أحسن انواع الغذاء للبهائم والماشية ماعدا الخنازير اذ لا يصح تغذيتها الا بالبطاطس المطبوخة . اما البطاطس الحمراء وغير الناضجة فليس من الحكمة استعمالها غذاء على الاطلاق . وفي اوربا واميركا عدة معامل لاستخراج الكحول (السرتو) والنشا والحامض الخليك من البطاطس

زيت الخروع ومنافعه

لا نذكر زيت الخروع الا ويخطر ببالنا انه جدور اي مسهل . وفي الواقع ان ما يستعمل منه مسهلاً هو ما يتبقى منه بعد تصفيته تصفية تامة . اما السائل الاصلي فيستعمل لعدة اغراض اهمها « تزييت » محركات الطيارات والاوتوموبيلات وما أشبه . وصناعة الاصباغ ولا سيما الحمراء منها . وتسييد بعض انواع الترنة . وتطرية الجلد . وغير ذلك من الاغراض المختلفة

على ان في النبات الذي يستخرج منه زيت الخروع شيئاً من السم الذي يعزل بطريقة خاصة يطول بنا شرحها

الطب التجريبي

كان الاطباء الصينيون يعتمدون على ادوية وعقاقير لا يزال بعضها مستعملا حتى الآن . وتشير كتب الصينيين منذ أقدم الازمنة باختبارهم معرفة خواص بعض النباتات الطبية . من ذلك كانوا يستعملون حشيشة الراوند لامراض المفاصل (الروماتزم) على اختلاف انواعها . وأنهم يستعملون نبات « الاكيرنتس » — وما يزال يستعمل حتى الآن — لبعض الحميات ولفقر الدم وهنالك وسيلة اخرى من هذا النبات تسمى « اسبرا » كانت وما تزال تستعمل للادرار

ويظهر ان طائفة كبيرة من العقاقير التي ما يزال الاطباء يصفونها حتى الآن لمعالجة بعض الامراض كانت معروفة ومستعملة عند كهنة الصينيين الاقدمين مما يدل على مدى تقدم علم الطب في الصين قديماً

الصراصير تفترس البق

في كتاب الاستاذ ليفروي «الحشرات المفيدة» ان الصراصير لا تتعدى الحشرات الحية . على ان الاستاذ مدلات — وهو من اكبر علماء الحشرات بالولايات المتحدة — يقول ان الصراصير تأكل البق الاعتيادي . ومثلها النمل الاحمر أيضاً فانه يفتك بالبق فتكاً ذريعاً . وقد قام بعضهم بتجارب كثيرة لمعرفة الحقيقة فجاء بإبريق من الزجاج وضع فيه اثنتي عشرة بقة ووضع معها صرصوراً فما كان من هذا الا ان افترس ثلاث بقات صغيرات وترك الباقي الكبار لان الصرصور يميل عادة عن الاجيرات لان لحمها ليس بكل رخصة كالبقات الثلاث التي افترسها

وثبت بالتجربة ايضاً ان النمل الاحمر يفتك بالبق فتكاً ذريعاً . فقد وضعت طائفة منه في سرير من الخشب فيه بق كثير فلم يمض اليوم حتى كان النمل قد فتك بالبق فتكاً تاماً

اخطار التليفون

القى الكولونيل السر برفي بالمهندس مصلحة البريد خطبة عن اخطار التليفون في معهد المهندسين الكهربائيين بمدينة شيفلد قال فيها انه كثيراً ما يشعر المرء بصدمة كهربائية عند استعماله آلة التليفون . وهذه الصدمة تنشأ عن وجود اسلاك كهربائية ذات تيار قوي مجاورة لاسلاك التليفون . وكثيراً ما يصاب المرء بجسم من جراء وصفه السماعة « المكبرفونية » على اذنيه . ومن رأي الكولونيل برفي انه يجب ألا يكون تيار اسلاك التليفون أي اسلاك كهربائية تزيد قوة تيارها على ٣٠٠ فولت والا كان الخطر عظيماً ولا سيما في فصل الامطار

الاولاد الصغار واللغات

كان الشائع بين الامهات حتى عهد قريب أن الطفل خير ألا يرهق بتعلم لغات كثيرة في آن واحد لئلا يرتبك ولا يتقن حتى لغته الاصلية . على ان الاختبار قد أثبت ان في الامكان تعليم الولد الصغير عدة لغات منذ حداثته من دون ان يرتكب ذلك . ولا شك ان الطفل الذي يتعلم لغة أجنبية (خلاف لغته الاصلية) في حداثته يتقنها متى كبر اتقاناً تاماً ويظهر انه اذا اختلف الوالدان في جنسهما ولغتهما كأن يكون أحدهما انجليزياً والآخر فرنسياً فان أولادهما يتقنون لغات والديهما بحيث يتعذر على من يسمعهم أن يعرف لغتهم الاصلية . ونعرف بنتاً لا تجاوز الآن التاسعة من عمرها تتقن العربية والانجليزية والفرنسية والايطالية والروسية . ونعرف استاذاً موسيقياً يعزف اليوم على « الارغن » في احدى كنائس انجلترا وكان في حداثته يتكلم العربية والارمنية والانجليزية والفرنسية والايطالية والالمانية واللاتينية

ومع ان اكبر مساعد على اتقان اللغات منذ الحداثة هو الاستعداد الفطري الا أن للبيئة ايضاً تأثيراً عظيماً . فوجود الانسان في وسط يسمع فيه لغات كثيرة يحمله بطبيعة الحال على تعلم تلك اللغات . على انه قد يستطيع أن يتقن لغة لم يكن يبدأ تعلمها منذ طفولته . ذلك لان النطق بالحروف والاصوات أساليب تأتي عفواً والاعضاء يقلدها بالسهولة من دون ان يشعر؛ حالة ان الرجال يحاولون تقليدها محاولة صناعية وقلما ينجحون

ومعرفة اللغات لازمة للمرء في حياته وهي اكبر عون له على توسيع عقله ومداركه ومعلوماته لانه يستطيع الوقوف على آراء الناس من غير بني جنسه وعلى خيالاتهم وتصوراتهم

في سبيل النحافة

يظهر ان أذواق الناس تتغير وتتطور بتغير لظروف المكان والزمان . فقد كان امتلاء الجسم وضخامة العضل قديماً من مقتضيات الجمال فأصبحت نحافة الجسم اليوم هي الجمال كله وصار هم الفتاة الاكبر موجهاً الى جعل قوامها نحيلا

ولو رجعنا الى تماثيل الاقدمين التي هي رمز جمال المرأة برأيهم جميعها تمثل المرأة الحسناء ممتلئة الجسم بدنة لا اثر للنحافة فيها على الاطلاق وما عليها الا ان تنظر نظرة واحدة على تمثال « فينوس » إلهة الجمال حتى يتحقق لنا صدق هذا القول

«ومع ذلك فان فتيات هذا الجيل يرين من مقتضيات الجمال ان تكون أجسامهن نحيفة كأجسام المصابين بالسل أو الامراض الاخرى وهن يطرقن في سبيل ذلك أبواباً مختلفة كالتدليك والاقطاع عن الاكل والرياضة البدنية واجهاد الجسم بالمشي وما الى ذلك . وبدل الاختبار على ان لجميع هذه الوسائل أثراً ولكنه ضئيل جداً لا يستحق ما يبذل في سبيله من الجهد . لان الجسم اذا كان معرضاً للسمن فلا ينقذه منه منقذ

ومع ذلك فقد وقفنا في إحدى الصحف الاميركية على مقالة للدكتور هتشنسون وهو من كبار الاطباء الاميركيين وخلاصتها ان للغذاء تأثيراً كبيراً في نحافة المرأة أو سمنها وان هنالك أنواعاً من الطعام اذا تناولتها المرأة مالت كفايتها من الغذاء وضمنت لجسمها النحافة . واليك نموذجاً مما يجدر بها أن تتناوله كل يوم : —

في الصباح

فاكهة طازجة أو مطبوخة . عجة . أو بيض مسلوق . قطعة من لحم الخنزير . قطعة من الخبز « المحمر » قليل من القهوة والشاي

أو بدلها يأتي : بيض برشاقة . بيض برشدة . قطعة من لحم الخنزير . قطعة من الخبز المحمر قهوة بالشاي

في الظهر

أما الغذاء فيجدر الاكثار فيه من الخضروات والبقول على اختلاف أنواعها من سانخ وضاطم وخرر وباصوليا وكرمب وحمص وباذنجان وما أشبه . أضف الى ذلك سلاطة الخس والطماطم مع قطعة من الخبز مدهونة بالزبدة الطازجة . وكثير من الفواكه الطازجة

في المساء

ويجدر ان يكون طعام العشاء مؤلفاً من قليل من البطاطس المدقوقة (بوريه) والسانخ والبيض المسلوق وسلاطة الطماطم وقطعة من

لحم الضأن وفواكه مدرجة أو مطبوخة وفنجان شاي فيه قطعة من الليمون الحامض

هذا ما يصفه الدكتور هتشنسون من أصناف الطعام للنساء اللواتي يحرصن على لياقة الجسم ولعل بعض القارئات والقارئ يجربن هذا النظام ليتحققن صحته

مدرسة للزواج

في انجلترا نحو مليون امرأة مقضي عليهن بالعزوبة لان الحرب نافسية اودت بحياة الملايين من الرجال فلم يبق لهذه أمل بان تتزوج جميع الفتيات الانجليزيات

على ان جريدة الصنداي كرونيكل تقول ان بعض المفكرين من عقلاء الانجليز قد انشأوا مدرسة للفتيات العازبات يعلمن فيها فن تدبير الازواج ويدرسن شؤون الزواج والشؤون المنزلية وآداب معاشرة الرجال وآداب الاجتماع والحفلات والولائم وغير الاخلاق وما الى ذلك من الصفات التي تحبب النساء الى الرجال

وتتعلم الفتيات المذكورات فضلاً عن الاقتصاد وفن الازياء والوسائل المؤدية الى السعادة الزوجية والراحة المنزلية . ولا شك ان جميع هذه الفنون مفيدة للمرأة لان طائفة كبيرة من الفتيات يجهلن فنون الحياة التي تؤدي بهن الى الحياة الزوجية

هل الجمال شرط لازم للزواج

كثيراً ما نرى رجلا في منتهى السعادة وزوجاتهم على جانب عظيم من الجمال . وقد نرى ايضاً رجلا حسان الصورة وزوجاتهم دميات الخلقة، ومع ذلك فلن دعامة احد الزوجين لا تحول دون حبهما وهنائهما . وهذا دليل على ان جمال الوجه ليس اساس السعادة الزوجية بل كثيراً ما يكون على العكس من ذلك سبب شقاء الزوجين

وفي الواقع ان جمال المرأة قد يكون بمنزلة رأس مال لها واما الرجل فلا حاجة به الى جمال الوجه بل يجدر به ان يكون جميل الاخلاق

وفي بعض الصحف الانجليزية ان رجلا من اهالي مدينة نوتنجهام هو من اشد الرجال دعامة ومع ذلك فان زوجته من جميلات النساء وهي تحبه حباً لا مزيد عليه وتفتخر به بين اترابها

فاذا كان جمال المرأة بعض الصفات اللازمة لها فالرحمة والاخلاق السامية هي الصفات الوحيدة التي يحتاج اليها الرجل ليكون محبوباً عند المرأة

الزواج بالاذن

تجرب اليوم بعض الدول نظام الزواج بالاذن . وهذا النظام يحول دون زواج العريسين قبل حصولهما على اذن خاص (رخصة) . وهذا الاذن لا يعطى عادة الا للذين يستوفون شروطاً معينة من حيث السن والخلو من الامراض والتكافؤ في المقام الاجتماعي وما الى ذلك

وفوائد هذا النظام كثيرة لا تخفى على أحد . وفي مقدمتها تنشئة جيل من الرجال والنساء يكونون اصحاء العقول والاجسام خاليين من المشاكل الاجتماعية

على ان بعض المفكرين يرون اتمام فائدة هذا القانون باضافة قانون آخر اليه يحتم على بعض الشبان والشابات ان يتزوجوا متى بلغوا سناً معينة والا عوقبوا . وقد جربت بعض الدول هذا القانون فأسفر عن نتائج ربما أغرت سائر الدول بتقرير قانون من هذا القبيل

في عالم الأدب

ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى

تأليف الاستاذ محمد عبد الله عنان

من أسوأ المظالم التي سجلها التاريخ بين ما سجل من أنواع العذاب والتنكيل ما قامت به محكمة التفتيش في اسبانيا ، منذ القرن الثالث عشر ، وما جنته على كثير من الابرياء

وقد سبق ان نشر الاستاذ محمد عبد الله عنان بعض تلك المظالم في كتابه « قضايا التاريخ الكبرى » الذي ألفه منذ بضع سنوات ، ثم رأى أن يتناول هذا الموضوع من جانب أوسع وأن يقول كلمة المؤرخ المنصف في هذه المحاكمات والمظالم القاسية ، فألف هذا الكتاب الذي أسماه « ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى » وتحدث فيه عن أعمال هذا الديوان في اسبانيا ، وما كان يقوم به من تعذيب المخالفين لرؤساء الدين المسيحي ، ولا سيما المسلمون الذين ذاقوا من تنكيله ما صار مثلاً يضرب في القسوة والوحشية. وذكر كيف كان هذا الديوان يسخر القانون والقضاء في خدمة التعصب الديني بلا ذمة ولا ضمير . . وفي الكتاب تصوير بليغ لمعركة الدستور والحكم المطلق في انجلترا ، كما فيه عدة محاكمات هامة لبعض النبلاء والامراء والملوك كمحاكمة ولي عهد اسبانيا سنة ١٥٦٨ ، وولي عهد الروسيا سنة ١٧١٨ ، ومحاكمة اليصابات ملكة انجلترا للملكة ماري استيوارت التي كانت ملكة لفرنسا

وقد اشتمل الكتاب على أربعة أبواب الاول يحتوي على نشأة ديوان التحقيق ودستوره واجراءاته ، وموقف آراء العرب ، وما قام به من قضايا

والباب الثاني يحتوي على المحاكمات والقضايا الكبرى من القرن السادس عشر الى القرن الثامن عشر . والباب الثالث يحتوي على المحاكمات والقضايا الكبرى في عصر الثورة الفرنسية . أما الباب الرابع فيحتوي على هذه المحاكمات والقضايا الكبرى التي وقعت في العصر الاخير

وقد بذل المؤلف في كل قضية ومحاكمة كتبها كمؤرخ حريص على تمحيص الحقائق ، وتوخي الصدق والحق ، وان كان ما تم في هذه القضايا والمحاكمات كان يرجع فيه كثرة الاغراض والشهوات ، ولا سيما في « ديوان التحقيق » كما أسماه المؤلف ، وهذا ما يجعلنا نعتقد أنه جدير بأن يدعى « ديوان البطش والمظالم » لان ما كان يجري فيه ليس في الواقع مبنياً على التحقيق القانوني . ولذلك عبر عنه بعض المؤرخين ان لم يكن كثير منهم « بديوان التفتيش » وهذا التعبير على الرغم من الترجمة الغلطية التي لجأ اليها الاستاذ عنان أقرب في الدلالة على صبغة ذلك الديوان غير القانونية

على ان المجهود الذي قام به الاستاذ محمد عبد الله عنان في تأليف هذا الكتاب الثمين جدير بالثناء الوافر لما حواه من أشتات تلك الوقائع التاريخية الهامة التي يصعب على كثير من

القطعين استيعابها في نحو خمسمائة وأربع وأربعين صفحة من القطع الكبير مع رعاية الدقة وتتبع الاخبار الصحيحة والاقتصار فيها على أقرب الروايات الى الصدق والحقيقة الناصعة ، وهي في التاريخ صعبة التناول ، وما أعسرها عند البحث والتنقيب

غادة حمانا

تأليف الاستاذ محمود طاهر حقي

من الادباء الذين يعملون للادب في غير صمت ولا اعلان الاستاذ محمود طاهر حقي ، فهو أديب يعشق الادب ويعرفه كبار الادباء والشعراء بآثاره القيمة التي طالما امتعت كثيراً من القراء ، ورودتهم منبع من الاسلوب العربي وفتحت أمامهم باباً من الخيال الحلو ، ولا سيما في الفن القصصي الذي تبرع فيه ردحاً من الزمن كان ينشر فيه على جمهور المتعلمين قصصاً طريفة في معناه « الحواشب العصرية » التي كان يصدرها شاعر القطرين خليل بك مطران ، فكان لها حظ من الاعجاب ما هي جديرة به

وقد أتيح له أخيراً ان يزور (حمانا) المصيف اللبناني المشهور ، فسحره ما شاهده فيه من صفاء الجو ، ورقة النسيم ، وخضارة الربى التي تعشقها العيون ، وتوحي الى النفس معنى الجمال الجذاب ، فرأى أن يضع هذه القصة الممتعة ذكرى لتلك الزيارة التي ملكت عليه نفسه ، وتوثيقاً لأواصر القربى بين القطرين الشقيقين

وقد حدثنا في القسم الاول منها عن بيع الحواري والمماليك في عهد الدولة العثمانية ، وعن تقلص حكم محمد علي باشا من سورية ، ولخص فيها أسباب الثورة العربية ، ثم تناول فيها كثيراً من المسائل الاجتماعية والخلقية كخطر احتباع فتاة مستهترة بأخرى ساذجة ، وما ينتجه تربية فتى وفتاة في عيشة واحدة من ضعف العواطف الغرامية ، وما يجب على الفتاة أن تتحلى به من الاخلاق الكريمة

وكل ذلك في أسلوب قصصي رقيق الحاشية سهل العبارة ، وعن ننقل إلى القارىء مثلا من ذلك ، قال في الفصل الاول :

ـ زرت الدكتور حراً ، في شارع الشام ـ وأنا في بيروت ـ لاستشارة طبية . . . وبعد أن « فحصني » وودعته ، خرجت من باب العيادة ، وما ان سرت خطوات ، حتى عدت اسأله :

« ـ ألا يوجد بالدكتور ، مصيف في الجبل هادىء ، موفق المطر ، لا حشى النفس فيه ملل أو سآمة ؟

« فأجابني : « عندك حمانا ! . . »

« فقلت له : « وعسى ان تكون حمانا هذه ؟ ؟ . . »

« فقرب مني عطوفاً ، ووضع يده فوق كتفي الايسر ، وقال ملهجة الواثق :

« ـ اذهب إلى حمانا واصعد في الشاغور ، وهناك فندق « قصر الشاغور » ثم فيه ليلة واحدة ، ثم تلقني . . . وأسألك بوشد : « كيف رأيت حمانا ؟ . . . »

« فارسلت ضحكة « مصرية » فهمني الاستغراب وشيء غير قليل من الانكار ، وقلت : « أإلى هذه الدرجة ؟ . . . . »

« فأجابني في سكون اطمئنان : « . . . واكثر »

« فقلت : « إن كان شاعور حمانا على الجمال ، لدى أعياك وصفه فكيف لم يوفق اليه عبدك ؟ ؟ »

« فوجدت شعبة ابتسامة هادئة لطيفة عرفت اليوم معناها ، وقال :

« — لقد وفق اليه ملايين للصطافين. ومن قرن غير « تنى » لامرتين » بجبال الشاغور ؟ حتى اتخذ لنفسه في حمانا « منزلا قضى فيه زمناً طيباً !

« خيبته ثانية ، وذهبت الى « عالية » فاخذت حقائبي من فندق « الحبيلي » وركبت سيارة قلت لسائقها :

« — إلى حمّانا ! . . . . . »

وعلى هذا الاسلوب السهل جرى المؤلف في قصته ، وقد انحف بها أمير الشعراء شوقي بك فقرظها بقصيدة ممتعة، كما أنحف بها شاعر القطرين خليل بك مطران ، وكتب لها مقدمة اعترف فيها بما للاستاذ حقي بك من المكانة والقدرة في الفن القصصي . ومما يجدر التنويه به ان الاستاذ حقي تبرع بثمن ما يبلغ من هذه القصة ستة آلاف في مجلس سبيان ، وهذا تبرع يستحق عليه كل اطراء وتقدير

تاجر بغداد

للاستاذ كامل كيلاني

يعجبنا من الاستاذ كامل كيلاني توفره على خدمة الادب ، وعنايته منه بالجانب النافع الذي يجني القارىء من ورائه ثمرة ناضجة . وقد سبق أن نشر بعض المؤلفات الطريفة فالقت تشجيعاً لا بأس به لما بذل فيها من مجهود ثمين ، ثم وجه عنايته إلى تربية الاطفال فاخذ يجمع من طرائف القصص العربية والافرنجية مايقدم الاطلاع عليه ويزودهم بثروة نافعة من الادب ، فاخرج عدة قصص ممتعة زينها بكثير من الرسوم والاشكال . وها هي قصة تاجر بغداد التي نحن بصددها صورة مشرقة من الفن القصصي ، وتحفة عربية ثمينة تتضمن عدة حوادث روائية وقعت لرجل تاجر يدعى « علي كوجيا » كان في زمن هرون الرشيد

وقد توخى المؤلف فيها البراعة القصصية التي تلفت النظر ، وتملك على القارىء مشاعره وتتنقل به في سلسلة مشوقة من الوقائع الجذابة التي تستفز متصفحها الى استيعابها صفحة صفحة بلا ملل ولا تسويف

هذا الى سهولتها التي يستسيغها الناشىء ، ولا يأباها الاديب . فنهني على مؤلفها ونرجو لجهوده المواصلة تقديراً لائقاً من جمهور القراء

من عرابي الى زغلول

للاستاذ نقولا الحداد

عرضا الاستاذ نقولا الحداد كاتباً اجتماعياً كبيراً كما عرفناه مصرياً حصيفاً أتيح له ان يتجه كثير من التخصص في اللغة العربية ، فهو من الروايات الموضوعة والمهذبة والمترجمة ما يربو على خمس وثلاثين رواية تضمنت جانباً كبيراً من الحوادث العربية والحكم البالغة في أسلوب سهل صحيح يستسيغه كل قارىء

وفي هذه القصة التي أسماها « من عرابي الى زغلول » مثال من هذه السليقة القصصية السليمة التي طبع عليها ، وقد صور فيها الروح الوطنية التي نشأت في الامة المصرية منذ ثورة عرابي باشا حتى ترعرعت ونمت في عهد المغفور له سعد زغلول باشا

ولا شك ان المطلع عليها سيجد من طلاوتها وحسن نسجها ما يغريه باقتنائها لما حوته من أحاديث جذابة ، وحوادث مدهشة ، فضلا عن قيمتها التاريخية الجليلة التي تتعلق بأهم مظهر سياسي من مظاهر الامة المصرية في العهد الحديث

القدوة
في الأخلاق الفاضلة
تأليف محمد أفندي يوسف علي

وضع المؤلف هذا الكتاب وفق نهج السنة الرابعة الابتدائية في علم الاخلاق. وقد تناول فيه ما يجب على الانسان نحو نفسه ونحو رؤسائه ونحو الانسانية. فتكلم عن ترقية النفس بالنفس، والشجاعة والاقدام، والاقتصاد والتوفير، وواجبات الآباء والرؤساء، وما ينبغي للرفقاء، وواجبات الانسان نحو مهنته، ونحو معاشرته وكسب جماح الشهوات والتعاون بين الافراد، الى غير ذلك من الآداب والاخلاق الفاضلة

وقد نقل المؤلف في كتابه عدة حوادث وقصص لبعض المشهورين من القدماء والمحدثين جاء في ثوب محضرم جمع بين جدة والقدم، وكان حريًا بأن يأتي بالغرض الذي كتب من أجله، وهو فائدة التلاميذ، وتهذيب أخلاقهم تهذيبًا لائقًا بمقامهم في مستقبل حياتهم

ولا يفوتنا ان نثني بما حسن جمع أدوات هذا الكتاب على طريقة السؤال والجواب، وهي الطريقة الحديثة في التربية التي يدعو اليها الآن كبار المربين، ولذلك فان فائدة الكتاب من هذه الوجهة أخصب وأقرب في تهذيب الاخلاق

الخضراوات في مصر
تأليف
الاستاذ مصطفى سرور، والاستاذ يوسف، والاستاذ محمد عبد البديع

زراعة الخضراوات من مصادر الانتاج الهامة التي أصبح المزارعون يعنون بها عناية خاصة بعد ان أصبحوا في حاجة الى البحث عن مصدر للثروة الزراعية غير القطن المصري الذي ظهر له من الانواع القطنية المنافسة ما أضعف مركزه في أسواق العالم، وأخذ يتدهور سعره باستمرار حتى هب الاقتصاديون في مصر ينادون بوجوب الاعتماد على مصدر آخر

ولا شك ان الخضراوات من المحاصيل الزراعية التي يمكننا ان نجني منها فوائد جمة بعد ما تفتحت لنا أبواب أوربا الوسطى وشمالها، فأصبحنا نعقد الامل نجاح هذا النوع من الزراعة، وكان واجبًا علينا ان نتعرف الطرق الفنية في انتاجها احسن انتاج

وقد توفق كل من مؤلفي هذا الكتاب الى جمع هذه الطرق وشرحها أوفى شرح بحيث يسهل على الذين يعنون بالزراعة ان يحيطوا بين دفتي هذا السفر الجليل بما يهمهم ان يحيطوا به من أنواع خضراوات المصنعة سواء منها ما يتعلق بالمواسم أو غيرها مما يروج في الحدائق ومعارض كالطماطم والخس والقنبيط كالبروكلي والقاصولية، والخضراوات الحولية كالبصل والجزر والفجل والخضراوات الدرنية كالبطاطس والقلقاس، وما الى ذلك مما استوعبه هذا الكتاب الضخم الذي جمع في نحو خمسمائة صفحة جميع ما يحتاج اليه المزارعون في مثل هذا الباب

تأثيرات سياحة
للاستاذ موسى كريم صاحب مجلة الشرق

صاحب هذا الكتاب مصطفى معروف بأدبه وفنه الكتابي البارع الذي يراه القراء فيما يدبجه يراعه في مجلته وفي الصحف العربية التي أتيح له أن يشترك في تحريرها، فكان له فيها من الآثار الفنية ما يشهد أبلغ شهادة على سعة اطلاعه، ووفرة انتاجه

وفي « تأثيرات سياحة » دليل على مقدرته الكتابية، فقد وصف فيه أحسن وصف ما شاهده في رحلته التي طاف فيها الرتغال، واسبانيا، وفرنسا وسورية، ولبنان، وفلسطين، ومصر، وذكر فيه تميزات كل قطر، وعاداته، وسائر احواله الاجتماعية والطبيعية، بحيث يستهويك عند الاطلاع على وصفه الى زيارة هذه الاقطار التي رسمها امام عينك رسماً دقيقاً يحكي الحقيقة ويمثلها للناظر في صورة واضحة

وقد قال عند وصفه لغرناطة : « اذا كان لي ما أشكوه من قلة العاديات وآثار الخدود في قرطبة في غرناطة الشيء الكثير، وكفاها بقصر الحمراء شرفاً. أما موقعها فمطيف. والعرب الذين سكنوها بعد فتحها كانوا من دمشق ولذلك سموها دمشق الغرب أو دمشق الاندلس وفيها محلة لها دمشق السورية يطل عليها جبل حرمون وغرناطة يطل عليها جبل الثلج (سيرانافادا)

« ومهما حثت على وصفها في عهد حكم العرب فانت مقصر لانها كانت عروس مدن الاندلس تحيط بها جنات تجري من تحتها الانهار وتحدق بها من كل جانب البساتين والجنات والانهر المزهرة وبلغ عدد سكانها نيفاً ونصف مليون من النفوس كانوا زهرة العرب في اسبانية بحيث زينوها بالعمارات البديعة والصنائع والتجارات على اختلاف أنواعها الى أن قضى الله وخسروها في معركة دامية عام ١٤٩١ »

رنيه ديكارت

مقال عن المنهج لاحكام قيادة العقل
والبحث عن الحقيقة في العلوم
ترجمه الاستاذ محمود محمد الخضيري

لديكارت مذهب خاص في الفلسفة امتاز به عن سائر الفلاسفة فهو فضلا عن أنه جعل أساس بحثه تجاهل العلوم، والاخذ بالشيء من طريق اليقين العقلي، أطلق لفظ « الفلسفة » على مجموع العلوم، وشبهها بشجرة، أصلها ما بعد الطبيعة، وساقها علم الطبيعة وفروعها الباقية من هذه الساق هي سائر العلوم التي يمكن حصرها في ثلاثة أنواع هي : الطب، والميكانيكا، وعلم الاخلاق

وقد عني الغربيون بدراسة مذهبه وآرائه في الفلسفة وسائر العلوم التي تناولها بالنظر والبحث كما عنوا بدراسة حياته والكتابة عنها، وترجموا كتابه « مقال عن المنهج » الى عدة لغات

ويسرنا أن نرى الاستاذ محمود الخضيري ينقل اليوم الى اللغة العربية هذا الكتاب الثمين، ويقدمه مقدمة ضافية عن حياة ديكارت وشخصيته وعن هذه الترجمة، ونظرة عامة في فلسفته، ثم يليها بعد ذلك « مقال عن المنهج » وهو الذي ألفه ديكارت، وقد احتوى على عدة نظرات في العلوم الطبيعية، وبعض قواعد الاخلاق التي استنبطها من قواعد المنهج، وعلى الادلة التي يثبت بها وجود الله والنفس الانسانية كما احتوى على ترتيب مسائل الطبيعيات ودرسها وبيان الامور التي يحتاج اليها للنهوض بدراسة الطبيعة الى أبعد مدى يمكن الوصول اليه

وقد عني المترجم بالحرص على توخي الدقة فيما نقله الى اللغة العربية فلا تشويه للاصل أو بعد عما ذهب اليه المؤلف في سرد آرائه في البحوث المختلفة. هذا الى ما بدت فيه هذه الترجمة من فصاحة العبارة وحسن الأداء

بين السؤال والقراء

بين الرجل والمرأة

(بغداد ـ العراق) يحيى الخطيب

لماذا تغلب الرجل على المرأة . وهل يمكن أن يتساوى الاثنان في جميع الحقوق. وما هي الوسائل التي تتخذ لذلك ؟

(الهلال) في بعض الأمثال الاوربية ان الله لم يخلق حواء من عضو من رأس آدم لئلا تسود عليه . ولا من عضو من قدميه لئلا يدوسها . بل خلقها من ضلع من أضلاعه لتكون مساوية له قريبة إلى قلبه

وفي الواقع إن تغلب الرجل على المرأة يرجع إلى ضعف بنية المرأة بالنسبة الى الرجل ووجود فرق بين متوسط حجميهما . ومع ذلك فان الرجل لم يكن دائماً متغلباً على المرأة بل وجدت عصور وبلاد ـ وإن تكن قليلة ـ كانت فيها المرأة هي السائدة . وفي معظم انحاء العالم المتمدن اليوم حركة ترمي إلى تغيير شأن المرأة ورفع مقامها وتخويلها حقوقاً مدنية وسياسية واجتماعية مساوية لحقوق الرجل . وقد اسفرت هذه الحركة عن نجاح كبير من النجاح في انحاء كثيرة حتى انك ترى اليوم في اوربا واميركا وروسيا وغيرها من بلاد العالم نساء يشغلن مناصب النوابة والقضاء والتعليم والسياسة ويمارسن المهن الحرة كالطب والمحاماة . بل إن منهن الوزيرات والسفيرات كالسر بوندفيلد الوزيرة الاسترالية وخالدة هانم اديب الوزيرة التركية . ولا تزال حركة النسوة مستمرة للمطالبة بحقوق المرأة ولدخول المجالس النيابية . ولا يمكن تحقيق برنامج هذه الحركة دفعة واحدة إذ لا بد ان يسير بالتدريج

على ان طلب المرأة ان تساوي الرجل في جميع الحقوق قد يؤدي إلى المطالبة للطفية مساواة المرأة للرجل في جميع الواجبات أيضاً . هذا امر منتظر لاسباب لا نعلمها مجهولة لحضرة السائل

تربية الدواجن

(طرابلس الشام ـ سورية) سليمان مشبلح

ما هي أشهر الكتب الانجليزية والعربية التي تبحث في تربية الدجاج تربية فنية علمية وأين توجد هذه الكتب ؟

(الهلال) أشهر ما يحضرنا من هذه الكتب في اللغة العربية كتاب تربية الدواجن لمتولي افندي صفا (ويطلب من مكاتب العطر المصري)

أما في اللغة الانجليزية فتوجد كتب كثيرة نذكر منها ما يأتي :

Poultry Keeping (By Hurst)
Poultry Manual (By Lewis)

ويمكنكم أن تطلبوا هذين الكتابين من جميع باعة الكتب في انجلترا

الحروف الكبيرة في العربية

﴿ القاهرة ـ مصر ﴾ ابرهيم تادرس

ما رأيكم في الحروف الكبيرة التي يراد ادخالها على اللغة العربية ؟

﴿ الهلال ﴾ ان فكرة ادخال هذه الحروف على الكتابة العربية مفيدة جداً وقد جرى عليها الغربيون في الكتابة فاستعملوا في هذه الكلام حروفاً تعرف بـ « الماجيسكول » وافق ما فيها من الفائدة انها تساعد القارىء على تتبع العبارات وادراك معانيها بفصل بعضها عن بعض . على ان للمسألة وجهاً دقيقاً يجدر الانتباه اليه وهو ملاحظة ما بين السطور من الفراغ بحيث يكون مستوياً من أول السطر الى منتهاه . والا فان السطر الذي يحتوي على حرف أو اكثر من الاحرف الكبيرة (الماجيسكول) قد يشوه شكل الفراغ الذي بينه وبين السطر الذي يتقدمه أو يليه . ويخيل الينا ان ابتكار حروف أو ماجيسكول عربية تندمج بالحروف الصغيرة ليس من عناية المبتدئات وان لم يكن متعذراً

البغاء الرسمي

(ومنه)

هل البغاء الرسمي مفيد او مضر ؟

﴿ الهلال ﴾ لا نعتقد ان في العالم كله رجلا يعتقد باخلاص ان البغاء الرسمي او غير الرسمي مفيد . فهو (اولا) متلف للآداب العامة و(ثانياً) متلف للصحة . ولا عبرة بالقول انه لازم وانه خير من البغاء السري . فاما كونه متلفا للآداب فلا يحتاج الى شرح . واما كونه متلفا للصحة فلان الكشف الطبي على دور البغاء لا يمنع انتشار الامراض السرية الخبيثة كما ثبت بالاختبار

علاج مرض السكر

﴿ المياه ـ مصر ﴾ ا . و .

ما هو أنجع علاج لمرض السكر (الديابيطس)؟

﴿ الهلال ﴾ العلاج لوحيد الذي أثبت العلم فائدته حتى الآن هو الحقن بالانسولين . ولا بد على كل حال من استشارة طبيب أخصائي إذ ليس من الحكمة استعمال الانسولين إلا في الحالات التي يريدنيها السكر الذي في الدم على نسبة معينة . فاذا كانت نسبة السكر في الدم طبيعية فقد يكتفي بمجرد امتناع المصاب عن أكل المواد السكرية أو النشوية وعلى كل حال فان الامتناع عن هذه المواد واجب دائماً

الروح ومقرها

﴿ أورينوس ﴾ توفيق أبو جمرة

الى أين تذهب الروح عند مفارقتها الجسد والى أي شيء تعود ؟ وهل من برهان على القول بان روح المؤمن تذهب الى النعيم و لروح الكافر تذهب الى الجحيم ؟ وهل للنعيم والجحيم وجود حقيقي ؟

﴿ الهلال ﴾ اذا أردتم الجواب عن هذا السؤال من الوجه الديني لم يكن بد من القول بان الروح عند مفارقتها الجسد تدخل عالم الخلود وليس لهذا العالم حدود مادية معروفة . وفي بعض الاديان ان عالم الخلود هو رمز الى حالة الروح بعد مفارقتها الجسد ـ سواء أكانت حالة نعيم أم شقاء

وأما من الوجه العلمي فان وجود الروح لم يثبت حتى الآن . وقد سئلني الفي السر آرثر كيث (رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني يومئذ) جملة أسئلة عن وجود الروح وقال ان الموت يوم أدى على أن السر براح (رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني الذي خلفه) خالفه في ذلك وقال ان

للانسان روحاً خالدة وان يكن العلم لم يتمكن من اثبات وجودها حتى الآن . واذا كان الموت يوماً أبدياً فما أشقى الانسان في هذه الحياة وما اتفه الحياة نفسها

اما سؤالكم عن النعيم والجحيم . وانتقال الروح اليهما بعد الموت فمن المسائل الدينية المحضة ومن العبث ان نسعى لاثبات النعيم والجحيم قبل ان نثبت وجود الروح لانه اذا لم يكن للروح وجود فما فائدة وجود النعيم أو الجحيم ؟

اطفاء الماء للنار

﴿ القطيف ـ البحرين ﴾ احمد بن حسين الستاره

ما السر في أن الماء ـ حتى الساخن ـ يطفىء النار ؟

﴿ الهلال ﴾ اذا تحدث أي مادة مع عنصر الاوكسجين الذي في الهواء تقوم كيميائية احترقت وظلت تحترق ما دام ذلك الاوكسجين ودرجة الحرارة عالية جداً معاً . هذه أريد اطفاؤها وجب انزال درجة الحرارة الى ما دون درجة الاحتراق أو منع استمرار وصول الاوكسجين . وهذا عين ما يفعله الماء . فاذا كان بارداً انزل حرارة المادة المشتعلة الى ما تحت درجة الاحتراق وفي الوقت عينه منع وصول الاوكسجين اليها . واذا كان ساخناً فيكفي انه يمنع وصول الاوكسجين كما يفعل التراب فانك اذا أدرته على مادة ملتهبة منع وصول الاوكسجين اليها واطفأها

وعلى هذا المبدأ يمكن إطفاء المواد الملتهبة بواسطة البخار أيضاً وبعض الغازات كغاز ثاني أوكسيد الكربون وغاز ثاني أوكسيد النيتروجين . وقد يستعمل أولها مع الماء كما هي الحال في بعض آلات اطفاء الحريق

وعلى كل فان المبدأ الذي يقوم عليه اطفاء النار أو الحرائق هو منع وصول الاوكسجين الى المادة المشتعلة ـ أو منع وصول الأوكسجين مع انزال حرارة المادة المشتعلة إلى ما دون درجة الاشتعال

مؤلفات ايشتين

﴿ عكار ـ الجمهورية اللبنانية ﴾ أنيس فاخوري

أين نجد كتاب ايشتين في النسبية وهل ترجم الى لغات أوربية غير الالمانية ؟

﴿ الهلال ﴾ لأينشتين عدة مؤلفات في شرح نظرية النسبية وقد وضعت جميعها في الأصل بالالمانية ويكاد معظمها ترجم الى الانجليزية والفرنسية والايطالية وغيرها من اللغات . ولا تعتقد ان بين قراء هذه المؤلفات كثيرين يفهمونها فعدد الذين يفهمون نظرية ايشتين في وزن حق العلم لا يزيد على عدد أصابع اليدين واذا أردنا فهم مبدأ هذه النظرية فالافضل أن تطالعوا المؤلفات الموجزة التي وضعها بعض العلماء في شرح النسبية ـ وفي مقدمتهم السر اوليفر لودج ـ إذ تستطيعون ان تفهموا منها على شرح مبادىء النسبية بايجاز

مجلة الاخبار العلمية

﴿ بغداد ـ العراق ﴾ يوسف لاوي

هل توجد مجلة فرنسية باسم « لانوفيل لتريز » أي الادب الجديد وأين تصدر ؟

﴿ الهلال ﴾ تعنيكم تعنون Les nouvelles Littéraires أي مجلة الاخبار الأدبية وهي تصدر في باريس

من هنا وهناك

ثوران بركان يزوف

في مثل هذه الأيام من السنة الماضية ثار بركان يزوف (فسوفيوس) ثوراناً ألقى الرعب في قلوب أهالي المدن والبلاد المجاورة. وفي هذه السنة ايضاً بدأ يثور ويلقي الحمم من فوهته. فاستولى الرعب على قلوب الناس مرة أخرى. الا ان الاستاذ مالادرا العالم الايطالي الخبير بكل ما له علاقة بالبراكين لا يتوقع شراً من ثوران يزوف في هذه المرة ويعتقد ان الحمم التي شوهدت اليوم على قمة البركان هي عبارة عن بقايا تلك التي شاهدت منذ أواخر فصل الربيع. ومع ذلك فقد رجح على الحكومة الايطالية ان تخلي من سكان ثلاثين قرية (نحو خمسة وعشرين الف نفس) لاتخاذ الاحتياطات اللازمة لوقايتهم من الاخطار التي يحتمل ان تنشأ

غارة الزنابير على انجلترا

يظهر ان الزنابير قد هاجمت انجلترا في هذه الأيام هجوماً شديداً. ومع ان الفصل هو فصل الزنابير هنالك الا ان هجومها في هذا العام لا مثيل له. ولذلك قررت السلطات المحلية منح مكافآت مالية لمن يقدم اليها عدداً معيناً من الزنابير ميتة كانت أم حية. ولا سيما من النوع المعروف عند علماء الحشرات « بملكة الزنابير ». ذلك لأن « الملكة » مؤذية جداً وقد بلغ عدد الملكات التي اقتنصت في هذا العام أكثر من ألف ومائة « ملكة ». يقال ان السلطات المحلية دفعت عنها مكافآت مالية كبيرة

الزواج والطلاق

أصبحت مسألة الطلاق من المشاكل العمرانية التي قد حار علماء الاجتماع في حلها حلا يتفق على المصلحة العامة. فبعض الأديان تحرم الطلاق حالة ان غيرها تبيحه. وجميع الشرائع المدنية تجيزه الا ان الحصول عليه في بعض البلاد أسهل من الحصول عليه في غيرها. ويظهر أن مدينة نيويورك ومدينة باريس بفرنسا هما أكثر مدن العالم سهولة في شأن الطلاق الذي قد أصبح يدر على بعض المحامين المكاسب الطائلة

وقد عن الآن لفريق من الاميركيين ان يجعلوا من وسائل امور الطلاق عمل الحكومة على سن قانون يقضي بأنه إذا كان الزواج مدنياً. ومحظره اذا كان الزواج قد عقد دينياً. على ان يحتم هذا القانون على المحاكم بأن تجري أحكام الطلاق الذين يتقدمون اليها طالبين الزوج فلا تسمح الا باقتران الذين لا تزال في أنهم سيعيشون عيشة روحية سعيدة

أقدم توراه مطبوعة

أهدى أحد هواة الكتب القديمة والتحف الفنية نسخة من كتاب التوراة باللغة اللاتينية الى جمعية التوراة البريطانية بلندن. ويظن ان هذه النسخة هي أقدم نسخة مطبوعة من التوراة إذ يرجع

تاريخها الى سنة ١٤٨٠ وقد طبعت في مدينة ستراسبورج. والمطبوعان الذي نرجحها عن نسخها الاصلية راهب يدعى انسلموس

وهذه النسخة مطبوعة بأحرف مذهبة وهي تتألف من أربعة مجلدات

المشروب الوطني

لا يخفى أن المشروب الوطني لالمانيا هو البيرة. ولفرنسا هو النبيذ. ولانجلترا هو الوسكي. ولروسيا هو الفودكا ولسويسرا هو « الشنالس ». ويظهر ان السويسريين قد عزموا أخيراً على استبدال مشروبهم الوطني بمشروبين هما الحمة (البيرة) والنبيذ. ومع ذلك فقد عزمت الحكومة السويسرية على احتكار المشروب الوطني ورفع سعره لكي تقلل من الاقبال عليه أو لتساعد على منعه

جريدة للعميان

عزمت ادارة مجلة « سنتش » لاخيرة على إصدار نسخة شهرية من هذه المجلة بأحرف البارزة ليقرأها العميان. وما كانت « سنتش » الاسبوعية مصورة فسيعمى في النسخة الشهرية عن الصور شروح وبيانات تحل محلها. وهذا أول مشروع من نوعه في العالم وسيقوم به المعهد الوطني للعناية بالعميان في لندن بالاتفاق مع ادارة المجلة المذكورة

طاغور المصور

طاغور هو شاعر الهند الاكبر بل هو من أعظم شعراء هذا العصر بلا جدال. ولعل قراء الهلال يذكرون زيارته لمصر منذ عهد غير بعيد. ويظهر أن هذا النابغة ليس شاعراً من شعراء الخيال فقط، بل هو من كبار المصورين أيضاً. فقد عرضت له عدة صور في قاعة نادي الاتحاد الهندي بلندن فنال اعجاب الجماهير، وجرى لاحد مراسلي الصحف الانجليزية حديث مع طاغور (وهو الآن في لندن يمرض من تصاويره) فقال له هذا انه ما كان يعلم ان الطبيعة قد منحته هبة التصوير كما منحته هبة الشعر الخيالي. وانما كان في فرنسا منذ عهد قريب خطر له أن يصور بعض المناظر الطبيعية التي رآها بعض أهل الفن فأعجبوا بها اعجاباً شديداً وأخذوا ينصحون على طاغور ممارسة فن التصوير. وقد عمل بحسب اشارتهم وصور عدة مناظر جديدة هي اليوم موضع اعجاب الجمهور في لندن

تجارة الاوتوموبيلات في أميركا

لا حاجة الى القول ان تجارة الاوتوموبيلات في الولايات المتحدة هي أوسع نطاقاً منها في أي قطر آخر في العالم بل تكاد تزيد على مجموع [illegible] في جميع الاقطار. ويؤخذ من احصاء [illegible] ان عدد العمال الاميركيين الذين يشتغلون في مصانع الاوتوموبيلات الاميركية [illegible] عامل يتعيشون من هذه الصناعة وفروعها. على ان الاخبار الواردة من [illegible] تدل على ان الاميركيين منشأنون من التعريفة الجمركية الاميركية الجديدة أشد التشاؤم ويتوقعون أن تؤدي هذه التعريفة الى تأخر تجارة الاوتوموبيلات. وقد صرح أحد أصحاب تلك المصانع بانه يتوقع هبوطاً عظيماً في تجارة الاوتوموبيلات التي تصدر الى أوربة وانه بناء على ذلك سيضطر الى الاستغناء عن أربعين في المائة من عماله. وصرح غيره من أصحاب المصانع تصريحات شبيهة بهذا

اكتشاف بقايا ديناصور جديد

اكتشفت بعثة للتحف البريطاني التي ذهبت الى شرقي افريقية بقايا هيكل عظامي للحيوان

المعروف بالديناصور — وهو من الحيوانات الهائلة المنقرضة . ويقول اعضاء البعثة الذين اكتشفوا هذه الآثار انها احسن ما عثر عليه البشر حتى الآن من هيكل عظام الديناصور ويبلغ طولها خمساً وعشرين قدماً ومع ذلك فهي أقل من نصف الحيوان الاصلي والارجح انه لم يكن يقل عن ستين قدماً

والآثار التي اكتشفتها البعثة ليست متحجرة بل هي العظام الاصلية بوضعها الاصلي . وقد كان الديناصور من الحيوانات المتسلطة على الارض قبل ظهور الانسان وبعده بقليل

وسترسل الآثار التي نحن بصددها الى المتحف البريطاني بلندن ولا بد من انجاد جميع وسائل العناية لكي تصل الى لندن سليمة

ضحايا الحرب في زمن السلم

مهما يبذل أنصار السلام في بلاد من الجهد لمنع الحروب فان مساعيهم تذهب كلها سدى ولا يمكن أن تمنع الدول من موا صلة الاستعداد العسكري استعداداً للطوارىء

وفي إحدى الصحف الانجليزية ان فريقاً من أنصار الرفق بالحيوان وفي مقدمتهم الدوقة هملتون قد احتجوا لدى الحكومة البريطانية على التجارب الكيمياوية التي تقوم بها لاختبار قوة الغازات السامة في الحرب . وهذه التجارب تقضي باهلاك الالوف من الحيوانات البريئة إذ تطلق عليها الغازات السامة لاختبار قوتها فتهلك . ويقال ان عدد الحيوانات التي أزهقت أرواحها على هذا الوجه بين سنتي ١٩٢٣ و ١٩٢٦ بلغ الفي حيوان على أقل تقدير

ومعظم التجارب المشار اليها تتم في حقول وعيطان أهدتها الدوقة أوف هملتون في زمن الحرب إلى الحكومة الانجليزية لاغراض معينة . وهذا ما أثار سخط الدوقة على القائمين بتلك التجارب . ولكن وزارة الحربية البريطانية لا ترى هناك ما يستدعي وقف العمل بها ولم تعر شكوى الدوقة وأنصارها أدنى عناية

الى المحامين

اذا أردتم معرفة حقيقة تقارير الخبراء والاوراق المطعون فيها بالتزوير فاقرأوا كتاب

التزوير الخطي

الوحيد في بابه

يطلب من واضعه الاستاذ نجيب بك هواويني — ثمنه ٥٠ قرشاً

تليفون : ٣٣٠ مدينة . ويكتب كتابة كاملة « مصر » عند مغايرته

وهو يتولى فحص الاوراق أيضاً

الطيران واللاسلكي في مصر

آراء اجتماعية جليلة لوزير المواصلات

معالي توفيق دوس باشا يتكلم عن نصيب مصر في حضارة العالم

[تم الآن معالي توفيق دوس باشا وزير المواصلات الجديد بتنفيذ مشروع انشاء الطيران المدني وقد اذيع من أيام ان قرار معاليه استقر على انشاء محطتين للتلغراف اللاسلكي والارصاد الجوية لمساعدة الطيارين في اسفارهم ومدهم بالبيانات والمعلومات التي يحتاجون اليها واذيع في الوقت عينه ان معاليه كلف سراة مصلحة التلغون ان يضعوا له تقريراً بمشروع ادخال التلغون اللاسلكي الى مصر ، وبهذه المناسبة فإن الاستاذ كريم ثابت يحدث شائق من معالي توفيق دوس باشا وقد ضمنه معاليه آراء اجتماعية شتى في المشروعين الجليلين اللذين وضعهما موضع بحثه وعنايته]

الطيران في العالم

استهل معالي الاستاذ توفيق دوس باشا حديثه بالكلام عن الطيران بصفة عامة فقال :

— ان عصرنا عصر سرعة وخصوصاً في الحركة والانتقال كما كان العصر السابق له عصر الكهرباء والقرن التاسع عشر عصر الحديد والبخار فقد عبدت المسارات طرق التجارة وقربت الابعاد وفتحت للناس مجالات ما كانوا يتخيلونها لو لا هذه الوسائل يقطعون في ساعة ما كان اسلافهم يقطعون في يوم . ثم تعمها السيارات وسيكون تأثيرها من هذا القبيل اعظم جداً من تأثير السيارات لأن السرعة التي تنشئها هذه يصح ان تسمى مجنحة مع ان ركابها اجتازوا بها مسافات بعيدة فعبروا صحراء افريقية الشهيرة وهم يسافرون بها الآن من طهران في قلب ايران الى سواحل البحر الابيض المتوسط ، أما تأثير الطيارات فعالمي وقد اخذت من الآن تكون صلة الوصل بين البلدان المترامية الاطراف وتصل أقصى القارة الاوربية في الجزر البريطانية باطراف آسيا الجنوبية في الهند ، وحسب المرء ان يشير الى رحلة الرحالة امندسن الروحي الجوية الاخيرة الى القطب الشمالي للدلالة على اتساع مدى العمل بالطيارات اذا قورن بالسيارات وهذا علاوة على ان تلك اعظم جداً في سرعتها من هذه

« والذي يلقي نظرة تاريخية على سير فن الطيران تدهشه سرعة التقدم والارتقاء فيه كما تدهشه سرعة الطيارات ، ففي اوائل هذا القرن اجرى فريق من العلماء يكتبون في الصحف والمجلات ليثبتوا بالبراهين والنظريات ان طيران جسم اثقل من الهواء من رابع المستحيلات فلا تستطيع هذه الاجسام ان تضارع البالونات التي تملأ بغاز الهيدروجين (أو الهليوم الآن)

وهو أخف من الهواء لم ينقص على براهينهم وحججهم بضع سنوات حتى شرعت جريدة « الديلي مايل » الانجليزية تعرض الجوائز المالية السنية لمن يطير بطيارة أثقل من الهواء ويقطع مسافات قصيرة كأن يطير حليج اماش أو يطير من لندن الى مانشستر . وكان فوز الدين فازوا في ذلك التباري موضوع حديث الناس في جميع الاقطار والباعث على دهشتهم واعجابهم حتى كانت سنة ١٩١٠ فشهد سكان القاهرة تحارب الطيران في هليو بوليس (مصر الجديدة) ولم ينجح فيها سوى عدد يسير من الذين تباروا فيها وقد تعاطروا من جميع اقطار الارض

« قابل هذا بما نشهده اليوم وما نقرأه كل ساعة من قطع المسافات الشاسعة وعبور الاوقيانوس الاتلنتيكي العظيم بالطيارة وسفر الناس بانتظام بين المدن والبلدان الكبيرة في غرب اوربا وبما قيل اخيراً بعد اختراع الطيارات الصغيرة التي تسع راكباً أو راكبين عن اقبال الناس في اوربا على اقتناء الطيران وما ينتظر ان يحدث من استعمال الطيارات في السفر من لندن الى باريس مثلا في الصباح لشراء القماشين والرابط والعودة عصراً الى بيوتهم في لندن للعشاء — يتبين لك ان الناس يسيرون نحو حقيقة واحدة هو امتلاك الطيارات كما يملكون الخيل والدواب من قبل لقضاء اوطارهم وتحقيق مراجعهم

« ولا أريد أن أتعمق هنا في تفصيل استعمالات الطيران في الحرب من الحرب العظمى وما دار فيها من المعارك البرية والبحرية أصبح لها شأن عظيم في تلك الحرب في الاستطلاع والاستكشاف فقد كان للبونات المسيرة الالمانية أعظم فضل في معركة جتلند البحرية العظيمة وصار للطيارات من المقام في المعارك البرية ما حمل القواد على تغيير كثير مهم في خططهم وابتكار شتى الطرق لاخفاء حركات جنودهم لئلا تطلع طيارات العدو عليها وتنبيء قيادة جيشها بما تتخبطها »

الطيران في مصر

ثم انتقل معالي الوزير الى الكلام عن الطيران في مصر فقال :

— ولقد كان من ممزات مصر في نهضتها الحديثة الاسراع الى الانتفاع بالاختراعات الحديثة والاكتشافات الحديثة فحارت بلدان الغرب الراقية في مد سكك الحديد ونشر التلغراف والتليفون حتى لقد قال محافظ أحد أقسام لندن من خطة خطها مرة وهو يحتفل بفتح مركز تلفوني جديد في قسمه إنه زار القطر المصري في سنة ١٨٨٨ فوجد عدد التليفون منتشرة في منازل الاسكندرية والقاهرة في حين أن الموجود منها في لندن كان نادراً يسيراً حتى أن أخبار البورصة كانت توزع بواسطة السعاة . ومما هو جدير بالذكر بهذه المناسبة ان القاهرة شرعت في استعمال التليفون الاوتوماتيكي في عين الوقت الذي شرعت لندن في استعماله مع ما بين الاثنتين من

لغرق في القرب والبعد من مراكز الصناعة ودوائر الاكتشاف والاختراع

« ففي هذه الحالة لم يكن ليسع مصر أن تواصل الاعتماد عن التوسل بالطيران الى قضاء أغراض عديدة اذا قضيت به كانت قضاؤها أقصر وقتاً وأقل نفقة وأقرب الى الكمال من غيرها من الوسائل

« أما من الوجهة العسكرية فان الاختبار الذي أجري في العراق وعلى حدود الهند الشمالية الغربية حيث قبائل المهمند والمحسود أثبت أن الطيارات القليلة تغني عن ألوف من الجنود بما يتيسر لها من سرعة الحركة والانتقال ولسلاحها من الفعل الذي لا يضارعه سوى فعل المدافع الكبيرة التي كثيراً ما يتعذر نقلها بالسرعة المطلوبة . وقد يستحيل في جهات كثيرة الجبال والشعب والأودية

« وحيث ان حدود مصر البرية طويلة مترامية الاطراف ومعظمها واقع في قفار يتعذر فيها اقامة المعسكرات واذا تيسر من الوجهة الفنية فان نفقات ذلك تتجاوز ما نستطيع الخزانة حمله فان التوسل بالطيارات لحراسة تلك الحدود أمر معقول مستطاع قليل النفقة بالنسبة الى سواه . وقد كان الاقدمون في بعض الحالات يبنون الاسوار الطويلة العظيمة لحماية الحدود من غارات البربر وما زال سور الصين معظم قائم شاهد بذلك كما تشهد به بقايا السور الآخر الذي بناه الرومانيون في الطرف الشمالي من انجلترا لصد حملات الاسكتلنديين الذين كانوا ينحدرون من جبالهم الى السهول الخصبة ويعيثون فيها . فالطيارات السريعة الحركة والانتقال ستكون بمثابة هذا السور في حراسة الحدود بكشوفه لحدود مصر حيث يصعب انشاء القلاع وبناء الاستحكامات وهي حصينة تحت الجند على الكثير فقد اتفق اشهر من قبائل العرب

« غير ان الجمهور قد لا يرى هذه الفوائد مجسمة للعيان لقلة اهتمامه بالموضوعات العسكرية ولكن متى جاء دور ارتقاء الطيران المدني عندنا وصار يستخدم في قضاء حاجات الناس لنقل الركاب والبريد والاطعمة والطرود وتوزيع الصحف وغير ذلك . فان هذه الفوائد تتجلى بأجلى بيان ، ولذلك سيرقب الناس سير هذا المشروع العظيم بقصي الاهتمام وهو مشروع تسير مصر به في طليعة بلدان الشرق الادنى كما كان شأنها في معظم المشروعات الحديثة المدنية بالحضارة وتسخير العلوم لخدمة الانسان »

الزبلن وميزاياه في مصر

وبعد ما انتهى دوس باشا من كلامه عن الطيران استطرد الى الكلام عن الزبلن فقال:

— قلت لكم قبلا انه مما امتازت به نهضة مصر الحديثة منذ ما قبض محمد علي الكبير على زمامها اقتباس المخترعات والمكتشفات الحديثة والاستعانة بها على تسهيل الاعمال وتحسين حالة

المعيشة ، والذي يقال عن التليفون يقال عن سواه من المخترعات ، وقد كانت هذه النزعة من أكبر العوامل في اعلاء منزلة مصر بالنسبة الى سواها من بلدان الشرق الادنى ومن البواعث للخديو اسماعيل باشا على قوله المأثور : « إن مصر لم تعد من افريقية ولكنها صارت من أوربا »

« غير أن الحكومة ترددت زمناً طويلا في اقتباس آخر الاختراعات العجيبة وهو اللاسلكي والاستعانة بالتليفون للاسلكي على اذاعة الاخبار ونشر المعلومات وقد نشأ تردها هذا عن اعتبارات شتى بعضها فني والبعض الآخر أدبي وسياسي ولكن هذا التردد لا يمكن أن يدوم طويلا لان استعمال اللاسلكي لهذه الاغراض يشبه في كثير من وجوهه استعمال السينما فلا سبيل الى اجتناب شيوعه وليس من المصلحة اهماله في حياة الامم ولا بد من انتشاره حتى يعم العالم كله وخصوصاً متى وفق الباحثون الى استيفاء بحوثهم التي يرمون بها الى تحقيق أمنيتهم الحاضرة وهي أن نحرز صوت المتكلم بصورته المنقولة باللاسلكي كما تنقل الاصوات به

« ولا يخفى أن في مصر الآن جهازات عديدة للتلغراف اللاسلكي يتصل أصحابه بمراكز الاذاعة في فرنسا وانجلترا وايطاليا والمانيا وغيرها فيسمعون ما يلقى في تلك المراكز من المحاضرات والمعلومات وما ينشد فيها من الانشاد وما يعزف فيها من الموسيقى ، غير أن هذا الاتصال ليس سوى حرف يسير من الفائدة أو المتعة التي يمكن جنيها من هذا الاختراع العجيب وخصوصاً أن السواد الاعظم من الناس لا يعرف اللغات الاوربية المستعملة في مراكز الاذاعة الاجنبية فلا ينتفع بهذا اللاسلكي سوى الذين يعرفون الفرنسية أو الانجليزية والذين يروقهم الغناء الافرنجي

« فلا بد والحالة هذه من أن يكون لمصر نفسها مركز اذاعة خاصة بها تطابق حالتها وتذيع ما عندها بلغتها التي يفهمها جمهور السكان وهذا علاوة على اذاعة الاخبار والمعلومات التي تهم الزراع وغيرهم الاطلاع عليها ومن ذلك أن وزارة الداخلية رأت من نحو خمس سنوات أن تذيع على الناس في المديريات بيان أسعار كنتراتات القطن بالتلغراف فترسل الى عمد البلاد وهم ينشرونها في مراكزهم غير أن هذا العمل مع فائدته لا يضارع ما يمكن أن يعمل لو كان النشر باللاسلكي اذ يكون في حكم المستطاع ايصال هذه المعلومات الناضة الى منزل كل من يريد الوقوف عليها بدون أن يضطر الى الذهاب الى مركز العمدة وقد يكون بعيداً عنه كما هي الحال في كثير من القرى والاباعد

« يضاف الى ما تقدم الفوائد والمسرات التي يجنيها الجمهور وخصوصاً في النادر والقرى والعزب والاباعد حيث يكثر عدد المتعلمين والمتعلمات ولا يجدون ما يرضيهم من أسباب التسلية كسماع الخطب النفيسة والتمثيل والغناء المطرب والموسيقى المتقنة لصعوبة الحصول عليها في المواضع النائية فاذا شاعت اذاعة ذلك كله باللاسلكي زال سبب كبير من الاسباب التي تبعث

المتعلمين على كره الاقامة في القرى لما يعروهم فيها من السآمة . وهذا علاوة على ما يستفيده أصحاب الاعمال من تعميم نشر أسعار الاشياء كالقطن والحبوب ونحوها ووصول هذه الاخبار اليهم في ساعتها وفي موعد يستطيعون به أن يطبقوا أعمالهم التجارية عليها

« وقد توسع البعض في الرغبة في تعميم فوائد اللاسلكي فاقترح أن تنصب جهازات الاذاعة في مجلس النواب البريطاني حتى يتمكن الناس في أنحاء البلاد من سماع المناقشات التي تدور فيه ولكل هذا الاقتراح لم يصادف ارتياحاً حتى الآن غير ان تحقيقه ليس في حكم المحال فقد جروا الآن على عادة نقل خطب الملوك والامراء باللاسلكي الى كل مكان يمكن ايصالها اليه به

« وليس في طاقتي أن أحصر في دقائق جميع الفوائد التي تستفيدها مصر من التوسل باختراع عظيم كهذا الاختراع وحسبي أن أقول انه ليس في طاقتها أن تظل بمعزل عنه بعدما صار جزءاً من حياة الشعوب الراقية فلا تفتح جريدة من جرائد لندن أو باريس اكبرى الا ونجد فيه فصلا خاصاً ببيان برنامج اللاسلكي لكل مركز من مراكز الاذاعة بين البلدين وتعيين موعده وأسماء الخطباء والموسيقيين والمنشدين وسوء الأمواج الاثيرية التي تنقل المحاضرات أو الغناء والموسيقى ارشاداً لمستعملي اجهزة الاستقبال حتى يحكموها التحكيم اللازم بحسب طول الامواج

ومما هو جدير بالذكر ان الآلات التي التقطه صارت وحيدة الشكل وخصوصاً ما يستعمل منها لالتقاط الأصوات من مواضع قريبة فان ثمن الجهاز الواحد منها في هذه الحالة لا يتجاوز بضعة جنيهات قليلة وفي مقدور الذين لهم مشاركة في الصناعات والميكانيكيات أن يصنعوه . أما الآلات التي تلتقط الأصوات من المراكز البعيدة كباريس وروما فأغلى قليلا غير ان الاولى هي التي سيكثر شيوعها في هذا القطر لقصر المسافات وخصوصاً اذا انشىء ثلاثة مراكز للاذاعة في الوجه البحري ومصر الوسطى ومصر العليا فاذا كان الامر كذلك فان شيوعها سيكون مكفولا والتغيير الذي تحدثه في حياة العائلات والافراد وفي الاعمال التجارية وفي نشر المعلومات والعلوم والفنون وانارة الاذهان سيكون عظيما جداً »

* * *

هذا ما علق بالذهن من حديث معالي توفيق دوس باشا أثبتناه هنا تسجيلا لطائفة من الآراء الحليلة الصادرة عن رجل لا ينازع أحد ، رغم جميع الاختلافات الحزبية ، في أنه من كبار رجال مصر في هذا الاوان

كريم ثابت

المسيو اريستيد بريان

كان الواجب وأنا اكتب عن رجال السياسة العالمية في القرن العشرين أن أجعل المسيو اريستيد بريان في طليعة الذين اكتب عنهم ولكن أي جديد أستطيع أن آتي به وأنا أتكلم عن رجل لا يزال من العالم ملء السمع والبصر يشغل اسمه جميع الصحف والمجلات والمؤلفين، ويثير بذكره مختلف العواطف في هوس السياسيين ، وقد شغل المناصب الوزارية ثلاثين مرة بشكل في خلالها اثني عشرة وزارة ، وأمضى الست السنوات الاخيرة راعياً في وزارة الخارجية الفرنسية يتغير من حوله الرؤساء والرملاء وهو باق في مكانه لا يبرحه ، يضم أحياناً الى اختصاصه اختصاص رئيس الوزراء ثم يزول عنه ليعمل بأعمال وزير الخارجية ، ولا تنشأ أزمة وزارية في فرنسا الا وتشخص اليه الابصار ثم لا تنجلي الازمة إلا وهو رئيس للحكومة أو وزير بها

بيد أن القصور عن الاتيان بتحديد عن شخصية المسيو بريان وعن سياسته لا يبرر اغفال هذه الحلقة الهامة من سلسلة كبار الساسة في القرن العشرين لذلك سأصرف بحثي الى تفهم بعض النواحي الغامضة من تلك الشخصية الكبيرة وهي النواحي التي طالما اختلف فيها الكاتبون وتشعبت في تفسيرها الآراء

يطيب لبعض الناس أن يقولوا ان المسيو بريان رجل كسول وعمل ومنقلب بدأ حياته السياسية اشتراكياً ثورياً متطرفاً ثم مال يتنقل في جميع المذاهب السياسية والاجتماعية ولم يستقر في واحد منها وها هو ذا وقد أشرف على النهاية لا يزال حائراً بين الاحزاب

ولست أدري كيف يكون كسولا ذلك الرجل الذي نشأ في بيئة وضيعة النسب والمحتد فظل يكون نفسه بنفسه ومن غير عضد ولا سند حتى حاز شهرة واسعة في عالم الصحافة وفي عالم المحاماة ثم ارتفع في عالم الحكم والسياسة الى أسمى ما تتطلع اليه أنظار السياسيين . نعم ان للتوفيق نصيباً كبيراً في حياة الرجال ولكن التوفيق وحده لا يكفي ليجعل من كسول وزيراً يعتمد مقاعد الحكم ثلاثين مرة في ثمانية وعشرين عاماً ، ولا يكفي ليجعل ذلك الوزير رجلا لا مد منه في أحرج الظروف وأدق الحالات

لا ! ليس المسيو بريان بالرجل الكسول كما يطيب للبعض أن يصوروه . وانما هو رجل لا يقرأ ولا يحب القراءة بل هو عدو كل شيء مكتوب . ترفع اليه التقارير المسهبة فيبوبها من غير أن يقرأها ثم يستدعي كاتبيها يحدثونه عما بها فيستوعب في بضع جمل كل ما فيها وما فات

واضعيها أن يدونوه بها ، فيخرج أصحابها يرددون ان الوزير كسول لا يقرأ

وهو على النقيض من المسيو برانكاريه . فان هذا الاخير يمضي سحابة النهار وجزءاً كبيراً من الليل أمام مكتبه يقرأ ويكتب . ومن ثم نشأت شهرته بالنشاط والقدرة على العمل المتواصل . أما المسيو بريان فيمضي في الحياة ولفافة التبغ بين شفتيه ويداه في جيبيه يسمع ويرى ويفهم ويدبر . ومن ثم نشأت شهرته بالكسل

لقد كان صحفياً والصحفي مكره بحكم العمل الذي يزاوله على القراءة والكتابة ، فكان لا بد له من بذل جهود كبيرة في معالجة ميوله ليحفظ لنفسه مكاناً ممتازاً بين الصحفيين . ولكن ميوله غلبته فهجر الصحافة الى المحاماة ، ومن ذلك اليوم ارتكزت حياته على فن الكلام فلا عجب اذا عد اليوم أعظم خطيب في العالم . ولعل من أسباب شهرته بالكسل أنه لا يعنى بكتابة خطبه مثل الفاظها كما يفعل المسيو برانكاريه الذي يكتب خطبته كلمة كلمة ثم ينقحها ويعيد تنقيحها ويستظهرها . ثم لا يعنى المسيو بريان بكتابة خطبه ويعتمد على قدرته في الارتجال ويقول : « ان الخطيب الذي يحضر خطبه كالقطار الذي يسير على الشريط الحديدي لا يستطيع ان يخرج عنه واذا خرج اضطربت أمره وتفككت أوصال فكرته . اما الخطيب الذي يرتجل فانه يبقى مسيطراً على موقف بكف كلامه وقد للظروف ويتجاوب وهو كالساري على قدميه يختار خير الطرق للوصول الى غايته »

بيد أن الذين يظنون أن المسيو بريان لا يكتب خطبه لانه لا يريد أن يحمل نفسه مشقة الكتابة يخطئون فيما يذهبون اليه . فان لقاءه لا يعرف خطيباً يجهد نفسه في تحضير خطبه بقدر ما يجهدها المسيو بريان . فهو يبدأ بأن يدرس الوسط الذي سيتكلم فيه ليفهم روحه وعقليته ويلم بالامر الذي سيكون موضوع كلامه أتم إلمام، ثم يرود المجتمعات التي يؤمها أعوانه وأصدقاؤه وهناك في هذه الاوساط الهادئة يحول مجرى الحديث الى الامر الذي يشغله ويتطلق يتكلم كما لو كان فوق منبر الخطابة ، ويراقب وقع كلماته على سامعيه ومبلغ أثرها في نفوسهم ، ويظل يناقشهم ويساجلهم حتى يدرك كل ما قد يعترض به عليه الخصوم فيعد له عدته ويتحفز للطوارىء والمفاجآت امنها ثم يذهب الى الاجتماع فيرتجل ما أمضى الوقت الطويل في درسه وتحضيره .

دخل المسيو بريان مجلس النواب لاول مرة في سنة ١٩٠٢ وكان اذ ذاك في الاربعين من عمره وقد سبقه الى البرلمان شهرة خطابية واسعة حتى كان النواب يتلهفون الى سماع هذا الصوت الذي تغنت بسحره الصحف وسار بذكره الركبان . ومع ذلك فقد ظل صامتاً ثلاثة أعوام كاملة كان يجوس في خلالها أروقة المجلس وجلساته وجانبه ويرقب الحياة النيابية وخفاياها وأسرار تقلباتها ويدرس النواب وعقليتهم ومواضع الضعف والقوة من نفوسهم ، ثم ألقى خطابه الاول فصادف نجاحاً لم يصادفه خطيب من قبل ولم تمض ستة أشهر حتى كان وزيراً

وما يقال عن كسل المسيو بريان يقال عن جهله . فهو رجل لا يجهل الا ما هو مكتوب أما كل ما يسمع فيلمه حق العلم ويلم بأطرافه كل الالمام . ولسنا نزعم أن الرجل عالم بالمعنى الذي وضعت من أجله كلمة عالم ولكننا نقول إنه يعرف كل ما يلقنه الانسان في المدرسة وفي الجامعة وفي الحياة . واذا كان لم يقرأ كثيراً فقد قرأ كثيراً وحفظ كل ما سمع وأفاد منه كل الفائدة . وهو اذا أراد أن يعالج موضوعاً فتياً استقدم أحد الاخصائيين واستلم عما يريد العلم به فيفهم في دقائق ما قد يحتاج غيره لفهمه الى ساعات . وانه ليستوعب أعوص المسائل وأدقها وهو يلقي على محدثه أسئلة يظنها هذا المحدث عبثاً ليس له ما سنده أو حب استطلاع لا يترتب عليه شيء . ولشد ما تكون دهشته عند ما يسمع الرئيس في العد وهو يتكلم في البرلمان عما كان يحدثه بشأنه أمس ، فاذا به يعالج المسألة كما لو كان من أهل الذكر فيها أو من رجالها البرزين

وليس بين السياسيين من يلم بـ « مهنة السياسة » وقيادة الرأي كما يلم بها المسيو اريستيد بريان . فهو قادر الى أقصى حدود القدرة على فهم الطبائع والنفوس ومقتضيات المواقف والظروف حتى ليدرك نهاية الاشياء من بدايتها فيعدها ما استطاع من حيطة أو قوة . ومعروف عنه أنه فوجيء يوماً بحادثة لم تدر بخلده من قبل ، ولا أن الحوادث سلمته فسدت في وجهه الطريق ولقد ولي رياسة الحكومة احدى عشرة مرة ما يقدر عليه أن تسقط وزارته بقرار عدم ثقة من البرلمان غير مرتين أو في المشرة المرات الاخرى فكان يرقب الجو السياسي بحواسه التي لا تخطىء ، فاذا آنس فيه بوادر لا تبشر بالخير عمل على ان يكون المجلس قد قرر الثقة به في مناسبة يختارها اذا أبطأت عليه المناسبات

والمسيو بريان رجل حاضر اللسان قوي الحجة واسع الحافظة سريع الخاطر حاضر البديهة حلو الفكاهة مر الحد طويل الاناة ، وهبته الطبيعة محيا جذاباً وهيئة وقورة تبعث في النفس وجوب احترامه والاصغاء اليه وجنحرة قد ركبت فيها جميع الاوتار فكانت أعظم أداة له في مواقفه الخطابية وأقوى عدة في مغالبة خصومه السياسيين . يخطب الجموع فيتعرس في نفوس سامعيه ويبحث عن المنافذ التي ينفذ منها الى مواضع الارضاء من عواطفهم وأماكن الاقناع من عقولهم ويظل يعالج السامعين بشتى الاساليب ومختلف اللهجات حتى اذا آنس ارتياحهم الى أحدها طرقه بكليهم البلاغة والفصاحة من هذا الباب فلا يغادرهم حتى يظفر منهم بما يريد

حدث أن أضرب عمال السكك الحديدية في شرق فرنسا اضراباً عاماً شل حركة المواصلات بضعة أيام وخشيت الحكومة أن تفتهز المانيا هذا الظرف لمهاجمة فرنسا . وكان المسيو بريان رئيساً للوزارة وقد حاول أن يعالج هذا الاضراب بكثير من الوسائل فلم يفلح . فعمد في النهاية الى وسيلة عرفية لا يقرها الدستور ولا تبيحها القوانين وذلك بأن حدد للمضربين ساعة يعودون فيها الى عملهم وأعلن أنه سيعمد الى تجنيد جميع الذين يتخلفون بعد ذلك الموعد .

وحانت الساعة المضروبة ولم يعد العمال ما تجز الرئيس ما وعد وجندهم فعلا . فلما رأى العمال من حزم الحكومة ما رأوا عادوا الى عملهم تائبين . ولقد ثارت يومئذ ثورة الحزب الاشتراكي وخطب الخطباء منددين بذلك « الدكتاتور » الذي لم يتورع عن انتهاك حرمات الدستور والقوانين ، وحاج النواب وتصدت الصيحات في المجلس منادية بسقوط الحكومة ، وقام وزير المواصلات يخطب فلم ينصت اليه أحد بل قوبلت كلماته بالصفير والمقاطعة والضجيج وشعر المسيو بريان بحرج الموقف فارتقى المنبر وارتجل خطاباً بليغاً هدأ ثائرة النواب وختمه بقوله : « لست يا سادة دكتاتوراً كما تقولون وانما أنا رجل وقف بين سلامة الوطن وسلامة القانون فآثرت سلامة الوطن على سلامة القانون . ثم لقد كان غيري يستطيع أن يفض هذا الاضراب الخطر بالوسائل الدستورية أي بالمقاومة العنيفة وازهاق الأرواح ، أما أنا فقد فضضته بوسائل انسانية وهذه يدي لم تتخضب بالدماء » وما بلغت هذه الكلمات مسامع النواب حتى انقلبت عاصفة الاستنكار عاصفة ارتياح واعجاب وغادر الرئيس منبر الخطابة بين تصفيق المصفقين وتهليل المهللين ، ونالت الوزارة من البرلمان في ذلك اليوم ثقة عظيمة وتأييداً كبيراً

بقي ما يسمونه تعليلات المسيو بريان . وسنقف في مبادىء مسألة يرجع فيها الى التقدير الشخصي . وكل ما يرجع فيه الى التقدير الشخصي يجعل أبداً موضوع أخذ ورد وجدل عنيف

مبدأ الرجل السياسي هو ان يخدم وطنه ولن يكون نافعاً لوطنه الا بالسياسة ولقد يرى في مذهب من المذاهب خير طريق يخدم منه وطنه والانسانية ثم لا يلبث أن يخيب رجاؤه منه فيعدل عنه الى سواه مما يتوسم فيه الخير لخدمة مبدئه . وليس معقولاً أن يكون الانسان ان مبدأه أو غايته من الحياة أن يكون ممكناً أو شيوعياً بل المعقول أن يقول ان مبدأه أو غايته من الحياة أن يكون نافعاً لوطنه من طريق الممكنة أو الشيوعية . فالمذاهب اذن ليست مبادىء وانما هي وسائل لخدمة المبدأ

لقد بدأ المسيو بريان حياته السياسية اشتراكياً متطرفاً ينادي بأن الاضراب حق مشروع للعمال وبأن لا سبيل لحكومة الى اكراه العامل على العمل . ثم كان ذلك رأيه قبل أن يحمل مسؤوليات الحكم وتيمة الاضطلاع بسياسة البلاد . فلما قام اضراب عمال السكك الحديدية وأحس بالخطر المحيق بفرنسا ، أدرك أن شرعية الاضراب وهم خطر وان أوجب واجبات الحكومة أن تنقذ البلاد من الفوضى ولو تجاوزت في ذلك حدود القانون ، فلم يتردد في أن يقف خطيباً بمجلس النواب ليقول : « ان الاشتراكي المتطرف الماثل أمامكم يصرح بأنه لا يتردد في الخروج عن حدود القانون اذا كان لابد من هذا الخروج لحفظ النظام » . وظن منه لا يوجد عاقل يقول لرئيس حكومة . دع الفوضى تنشب مخالبها في البلاد ، واترك حبل بلادك

عاجزاً عن الانتقال اذا أغار على البلاد عدو مهاجم ، وغادر حدود وطنك مفتوحة أمام كل طامع ، وذلك لانك اشتراكي متطرف والاشتراكي المتطرف يحمي حق الاضراب ولا يتحداه ومع ذلك فلم يعدم المسيو بريان من سماه بهذه المناسبة « يهوذا » ومن رماه بأنشع التهم وأقبح الصفات

ولقد هبت على فرنسا عاصفة لادينية مشب فيها الخلاف بين الاشتراكيين والكاثوليكيين فانحاز بريان الى الفريق الاشتراكي وكان هو الوزير الذي حمل مجلس النواب على ابرام قانون فصل الكنيسة عن الدولة . ولكنه لما رأى البلاد انقسمت شطرين والقلوب عمرت بالاحقاد والدم يغلي في الرءوس وخصوم الكنيسة يتوعدون الاكليريكيين والبلاد على أبواب الحرب الاهلية ، أبى الخير في نهضة النفوس والحد من عطرسة الاشتراكيين فسن قوانين « التهدئة » وضمن بها للفريق الكنسي الامن والطمأنينة والحرية فانطلقت ألسنة الاشتراكيين ترد كلمة « يهوذا » وترميه بالتقلب وخيانة العهود

وقد أدرك المسيو بريان منذ ولي الحكم ان خير السياسات السياسة المنتجة ، وان السياسة المنتجة لا تنمو في فوضى الاضرابات ولا في خرب الاهلية وأيقن انه يجب على السياسي أن ينظر الى الامور كما هي أولاً ثم يسعى لحملها على ما يود أن تكون وهو يقول في ذلك : « ان في هذا العالم رياضيين وسياسيين . اما الرياضي فرسم خطاً مستقيماً قصيراً ولو كان يخترق بيتاً بدعوى أن الخط المستقيم أقرب بعد بين نقطتين . واما السياسي فيرى الخط فيتبعه ولكنه يلف حول البيت حتى لا يصطدم به »

على أن المسيو بريان قد أثبت في اكثر من موقف انه متى اقتنع بشيء عمل على تحقيقه وتشبث به ولو أدى به هذا التشبث الى اعتزال الحكم والاصطدام بالاغلبية التي تؤيده . فلقد وقف يناضل عن قوانين « التهدئة » ضد اصدقائه السياسيين في البرلمان حتى انضموا من حوله وأسقطوا وزارته . واقترح ارسال حملة سالونيك في زمن الحرب وطن يؤيد وجوب ارسالها فلما لم يفلح عاد الحكم غير آسف عليه ، وأيد سياسة التقرب الى المانيا في « كان » رغم ارادة رئيس الجمهورية والاغلبية النيابية فلما لم يصادف منهما تأييداً لسياسته ترك الحكم سواء

ولقد كان المسيو بريان يرى في شؤون الحرب والسلم غير ما يراه زملاؤه وكليمنصو يقول : « اذا كان من وظيفة الجندي أن يضرب فان من وظيفة السياسي أن يستغل هذه الضربات » ولقد تقدمت النمسا بمقترحات للصلح على يد الامير سيكست دي بوربون في سنة ١٩١٧ ولكن هذه المقترحات لم تلق أذناً صاغية من اولي الامر في فرنسا ويؤكد الكثيرون ان لو كان بريان رئيساً للحكومة اذ ذاك لعرف كيف يستفيد منها لاحلال السلام وحقن الدماء مع المحافظة على الكرامة والحقوق . ولقد عرض على الحكومة أن يسافر الى سويسرا للاقاة ابارون

فون لا يمكن بغية التفاهم واياه على الاصول التي يبنى عليها الصلح فأنت عليه الحكومة ما أراد

على أن مما يؤسف له كل الاسف أن لم يدع المسيو بريان الى الاشتراك في مؤتمر فرساي اذ لو دعي لاستطاع برقته وكياسته وسعة حيلته واعتداله وطول أناته أن يصل الى تفادي كثير من المتاعب التي حفتها المعاهدة ولاستطاع التفاهم ولويد جورج الذي تحمله واياه وحدة الطبع والتفكير . فلقد كان بريان يرى من اول الامر أن التعويضات التي فرضت على المانيا رقم « خرافي » لا يقبل به عاقل . ولقد حققت الايام ما رأى واصبح للعالم ان واضعي معاهدة فرساي قد دفعهم الحقد الى أقصى حدود السخف والارهاق فوضعوا بنوداً يستحيل تحقيقها وشروطاً يتعذر القيام بها وحقت على المعاهدة كلمة بريان يوم قال : « انها اكبر مقدار من القوض في أصغر صاع من السلام »

وشاءت الاقدار أن يتولى المسيو بريان تنفيذ معاهدة لا يدله فيها تثقافر أصولها وتفكيره والمبادىء التي شب عليها وشاب ، فلم تكن له مندوحة عن أن يتناول أصول هذه المعاهدة بالتغيير والتبديل المستمرين وأتاح له القدر رجلين هما المستر شتريزمان وسير أوستن تشمبرلن استطاع بمعاونتهما في « لوكارنو » و « توري » أن يضع للسلام قواعد متينة وأركاناً ثابتة استحقوا من اجلها جائزة نوبل الكبرى للسلام . ولا يستطيع انسان الا بعد جهد كبير أن يتصور عظم المشاكل والمصاعب التي تلاقاها هؤلاء الثلاثة والا مدى الكوارث والنكبات التي وقروها على العالم والانسانية جمعاء . واذا كانت أوربا قد خلصت من همجية آتيلا الى روسيا البلشفية ، واذا كانت شعلة الاحقاد قد تطفأت الى حد ما في الصدور ، واذا كل عالم يسير اليوم بخطوات ثابتة جريئة نحو السلام ، واذا كان مستر كيلوج قد استطاع أن يحصل على رضاء الدول بالميثاق المعروف باسمه ، واذا كانت دعوة بريان في هذه الايام الى ايجاد « محالف أوربا المتحدة » تلقى آذاناً صاغية وعقولا واعية ، فالفضل في ذلك كله راجع الى المسيو بريان الذي استطاع ان يجذب الى رأيه عطف وزيري ألمانيا وبريطانيا العظمى وأن يسير بهما في طريق ما كان غيره ليجرؤ ان يسير فيه . ولقد ينسى الناس كل شيء ولكنهم لا ينسون تلك الكلمات الحكيمة التي قالها بريان لشتريزمان يوم اجتمعا لاول مرة بلوكارنو : « نحن رجلان قد ضربت بيننا بسهمها الايام وفرقتنا حرب طاحنة ضروس ، فلو انا أردنا أن نتفاهم على قاعدة انك المانى وانى فرنسي لتعذر علينا التفاهم ولعدنا الى أوطاننا عدوين ولكنك تستطيع يا سيدي أن تظل المانياً مخلصاً لبلدك وأستطيع أن أظل فرنسياً مخلصاً لبلدي على أن لا يمنعنا ذلك من أن نكون اوربيين عاقلين نخدم مصلحة الوطن الاكبر : اوربا ، وصون مصالح أوطاننا الصغيرين : المانيا وفرنسا »

ع . ا .

المجرم والمجنون

يمكن شفاؤهما بمعالجة غددهما

ليس في العالم من يكره ما لعامل البشة والوراثة من الأثر في تنشئة الاجرام . وفي الواقع ان نصف مجرمي العالم بما ورثوا الاجرام عن آبائهم أو شبوا عليه في جو اجرامي . والنصف الآخر مجرمون عرضاً واتفاقاً بحيث انك إذا تحريت سيرتهم لماضيه أدهشك أن يشبوا على الاجرام بعد أن كانوا عاطلين في الظاهر جميع العوامل التي ترى فيهم الوداعة وروح المحافظة على القانون

ويؤخذ من أحدث المباحث التي قام بها العلماء أن الاجرام مرض كسائر الامراض التي تصيب الانسان وانه شديد الارتباط بكثير من الامراض والعيوب والنقائص كالخول والعته والجنون وفساد الاخلاق وما اليها . والطبيب الماهر يعلم ان مرجع تلك العاهات والنقائص إلى شيء واحد قد لا يبدو ظاهراً للعين لانه يعمل في الباطن

وقد اتضح الآن لفريق كبير من الاطباء ان للاجرام سبباً لم يكن معروفاً عند الجمهور من قبل وهو الذي يدفع نصف مجرمي العالم إلى ارتكاب ما يرتكبونه من الجرائم . أما النصف الآخر فيرجع إجرامه إلى عامل البيئة والوراثة ويتبعض في هذين النصفين أمور كثيرة كالخمور وادمان المسكرات والمخدرات والاغراض للمستوى العقلي وما إلى ذلك

أما السبب الذي لم يكن معروفاً حتى الآن فهو —

خلل في تركيب الغدد

وهو عامل سوف يكون له شأن عظيم في تنسيق البحث . والقرائن كلها تدل على أن نصف مجرمي العالم على الاقل مصابون بخلل في تركيب غددهم بحيث إذا أتيح إصلاح تلك الغدد أمكن ردعهم عن الاجرام . وفي الواقع أن خلل تركيب الغدد هو أعظم سبب من أسباب الاجرام التي قد عرفت حتى الآن . ويعتقد فريق كبير من الاطباء أنه سوف يأتي يوم تتمكن فيه من التغلب على الاجرام بمساعدة الطب أو الجراحة . وسيكون ذلك أعظم انقلاب وقع في تاريخ الاجتماع

نشرت مجلة « ورمر ورك » الاميركية مقالة في هذا الموضوع جاء فيها : أن رجلا عليلا زار دات يوم أحد كبار الاطباء الاخصائيين وعرض عليه عليه . وكان هذا العليل رجلا هائل الجسم وبشرته بيضاء ناعمة كبشرة الطفل ولكن في نظراته ما ينبئ عن قسوة تقرب من الجنون . وكان يشكو صداعاً مزمناً أصيب به منذ طفولته ولم يستطع بطب الاطباء شفاءه منه . فكان يصاب بنوبات تجيب اليه الموت

فأخذ الطبيب يفحصه بأشعة إكس . وعلم من أخيه الذي كان يصحبه انه من أسرة راقية ذات ثروة متوسطة . وأنه كان منذ حداثته رديء السلوك حتى إن أبويه كانا قانطين من اصلاحه بحسبانه شيطاناً في صورة إنسان . وكان في أثناء حياته للمدرسة معروفاً بشدة بأسه وصعب قواد الخلقية

لا يكلف نفسه عناء الدرس ولا يكترث لتوبيخ أساتذته . وكان يصاب بنوبات غضب وهياج فيرشق أعز أصدقائه بكل ما تصل اليه يده من كتب أو محلات أو دوي (جمع دواة) أو سكاكين أو ملاعق أو صحون أو ما اليها ، وكان يعاشر الاشرار والمجرمين ويأنس إلى صحبتهم . وما كاد يبلغ سن الرشد حتى أخذ يقضي معظم أيامه في السجن . بل قيل انه لم يقض أحد من المجرمين من الايام والاشهر في السجن ما قضاه هذا الرجل . وفوق ذلك كان كثير إدمان الخمرة شديد الانغماس في جملة الرذائل الخسيسة

هذه بعض البيانات التي وقف عليها الطبيب من أخي الطبل . وقد قال هذا الطبيب في شيء من الترم إنه لم يأت لينبي باخيه ويشهر به بل ليلتمس من الطبيب معالجته

وكان الطبيب أخصائياً في معالجة أمراض الصداع بجميع أنواعها ولا سيما ما كان منها ناشئاً عن سبب معين . وكذلك كان أخصائياً في معالجة الامراض والآلام الناشئة عن خلل في تركيب العصد أو في كيفية قيام الغدد بوظائفها

سبع غدد

ولا يخفى أن في الجسم سبع غدد إذا أصيبت بعطب أو خلل تسببت في حدوث أمراض كثيرة كتضخم الجسم الدرقي وكبر الجسم والسمن والصداع والبله وتهيج الاعصاب وشدة ضغط الدم وتصلب الشرايين والعمى وكثرة النوم وضعف القلب وما إلى ذلك من الامراض الكثيرة

وبعبارة أخرى إن مرض قد تصاب بعض غدد في الغدة النخامية — وهي غدة صغيرة جداً واقعة بالقرب من قاعدة الدماغ — فيؤدي ذلك الخلل إلى نمو الجسم نمواً هائلا حتى يصبح صاحبه عملاقاً هائلا . وقد يؤدي أيضاً إلى صداع مزمن مؤلم . وقد تصاب الغدة الدرقية بخلل يسير فينشأ عن ذلك إمساك وآلام في المفاصل وأمراض أخرى . وإذا أصيبت بعطب كلي وسلنا تغير صوت صاحبها فأصبح أشبه بصوت الابل وصار جسماً أو مال إلى السمن وأصبت البشرة بانتفاخ كثيرة الطفل وهو ما يلاحظ عادة في الخصيان

وفوق الكلية غدة إذا أصيبت بعطب أدى عطبها إلى تصلب الشرايين وزيادة ضغط الدم وتضخم القلب أو انسان العين كأنها قد عولجت بمحلول نبات « البلادونا »

وقس على ذلك ما تصاب به الغدد الاخرى . وفي الواقع ان تأثير هذه الغدد في قوة الجسم وضعفه ونموه وشكله الخارجي هو عظيم جداً وقد كان اليونان القدماء يعزون منظر الانسان وجمال شكله إلى استداد أحد آلهتهم وكان الاصوب أن يعزوها الى استداد الغدد التي داخل جسم الانسان

[redacted]

ونرجع الى حكاية العليل الذي جيء به الى الطبيب فنقول ان هذا خصه خصاً مدققاً فوجد غدته النخامية في حالة غير طبيعية إذ تكاد تكون مصوفة ضمن غلاف محكم السد بحيث انها لم تكن تستطيع افراز مادتها بسهولة مع ان ذلك الافراز من مقومات الصحة . وكان هذا الخلل سبب الصداع المزمن الذي يشكو منه العليل . وعليه وصف له الطبيب خلاصة الغدة النخامية ليعوضه عما كان يخسره من افرازها وأمره أن يأخذ تلك الخلاصة بطريق الفم والحقن تحت الجلد . وما هي

إلا أيام قليلة حتى بدأ العليل يشعر بتحسن كبير في صحته . ثم خف الصداع بالتدريج ونقصت النوبات التي كانت تنشأ عنه نقصاً محسوساً . وبعد بضعة أيام أخرى زال الصداع تماماً وشفي العليل

ولم يقتصر الامر على زوال الصداع فقط ، بل تحسن سلوك العليل تحسناً كبيراً حتى دهش أهله وجميع عارفيه

ولما رأى الرجل صحته على أحسن ما يرام انقطع عن تناول الدواء . وما هي إلا أيام حتى بدأت الاعراض القديمة تنتابه . فعاوده صداعه المؤلم وكان أشد من الاول . وعاد الرجل أيضاً الى سلوكه الاجرامي السابق والى الكر والعربدة والاخلال بالنظام حتى انه دخل السجن مرة أخرى وما عتم أن خرج منه حتى هرع الى طبيبه فصنع له هذا باستعمال الدواء السابق — أي خلاصة الغدة النخامية وتعرف باسم بيتيتري — فتحسنت صحة الرجل مرة أخرى وتحسن أيضاً سلوكه . وظل التحسن مطرداً الى أن شفي تماماً وزال صداعه وأصبح سلوكه لا تشوبه شائبة . وليس ذلك فقط بل قوي فيه الميل الى الدرس والمطالعة والى العمل على كسب الرزق من طريق شريف

وقد كان لهذا الحادث نتيجة جديدة إذ ثبت لذلك الطبيب — ولغيره من الاطباء والعلماء أيضاً — ان العلاقة تامة ثابتة بين : —

الغدد والانحرافات والاجرام

على ان حادثة واحدة لا تكفي لتبرير نتيجة أو لاثبات مبدأ ، ولذلك كان لابد للطبيب الذي نحن بصدده من جمع وقائع وتجارب أخرى . وهذا ما فعله فانه ظل يجري ويجري الى أن انتهى الى نتيجة حاسمة وهي إثبات العلاقة بين الغدد والاجرام . ولا شك ان هذه النتيجة ستحدث انقلاباً عظيماً في عالمي الطب والقانون

وإتماماً لما تقدم نقول انه بعد ما تم له دحض على ذلك الطبيب رجل طويل القامة يشف مرآه عن صحة تامة ومنبته عن شاب مقدم . وكان هذا الرجل هو نفسه ذلك العليل الذي شفاه الطبيب ليس من صداعه المزمن فقط بل من داء الاجرام أيضاً . وكان كل شيء فيه قد تغير ما عدا وجهه الذي ظل أشبه بوجه ولد صغير ناعم البشرة ولم يمكن إحداث أي تغيير فيه لان معالجته لم تبدأ إلا متأخرة

واليك خلاصة التغيير الذي طرأ عليه كما رواه الطبيب :

قال انه أصبح رجلا محترماً مؤدباً حسن السلوك ذا ذكاء اعتيادي أو متوسط وأحرز في عمله نجاحاً باهراً . واشترى مطبعة استغلها لحسابه وكان جميع عمالته يشهدون بمعاملته مع انه كان قد حبس عشرة سنة يقضي معظم أيامه في السجن ! . . .

* * *

وقد تقدمت معرفة الاطباء بعد ذلك بالغدد وخواصها تقدماً عظيماً . وأصبح الاعتقاد راسخاً بأن في الامكان معالجة المجرمين عن طريق الغدد وضمان شفائهم من داء الاجرام

ومن دواعي الأسف ان بين الاطباء وما يحاولونه من خدمة البشر سوراً منيعاً يتضاءل بجانبه

شور الصين ، وهو الجهل وعدم الاكتراث . وقد صنع أشهر أستاذي معهد الأمراض العقلية بنيويورك أكمه الحسين وجمع مليون ريال (اربعمائة الف جنيه) لدرس أحوال المجرمين وأسباب إجرامهم وطرق معالجتهم

ان آباء الاولاد الذين يظهرون ميلا الى الاجرام يستطيعون أن يتعلموا الآن الصعداء لان في وسع العلم ان يخلق اولادهم خليقة جديدة وأن يقضي على كل ميل إجرامي فيهم

ذكرت إحدى المجلات الاميركية (١) — وهي التي نقلنا عنها معظم المعلومات المتقدم ذكرها — ان ابن أحد أعيان مدينة نيويورك ذهب ذات يوم الى الطبيب الاخصائي بأمراض العقد وعرض نفسه عليه . وعلم الطبيب انه كان ميالا الى الاجرام وقد ارتكب عدة جنح وجنايات غير ذات بال . فلما فحصه الطبيب علم ان حالته ناشئة عن خلل في عقده . وفي الواقع ان ذلك الخلل كان قد أخره عن رفاقه في المدرسة وهذا التأخير حمله ميالا الى الغش والكذب والاحتيال . وقاده ذلك الى سرقة النقود من والديه . ولما بسط الطبيب رأيه الوالدين في سبب مرض الشاب لم يصدقا واعتقدا ان تغير الهواء قد ينفع ابنهما فقاما معه برياحة طويلة . ولكنها لم تفده نفعاً . وبعد سنة عادا يطلبان من الطبيب شهادة بأن في ولدهما خللا في قواه العقلية . وكانا يريدان أن ينقذاه من الحكم في جناية قد ارتكبها . فأحضرهما الطبيب الى دبث وعا الشاب من الحكم . ثم استقر رأي الوالدين على تسليم ابنهما الى الطبيب لاجراء عملية جراحية لاصلاح عقد المختلة في جسمه

وهكذا كان . وقد أصبح الشاب فيما بعد من أفضل الشبان خلقاً وأدباً وأخلاقاً ونال أعلى الدرجات في مدرسة الحقوق وأحرز جائزة مالية لتفوقه في نظم الشعر

الكمال متعذر بسبب الصور

وفي الواقع ان المتصفين من صفة الكمال المطلق لا وجود لهم إلا في عالم الكتاب . وما ذلك إلا لأنه قلما يوجد بين البشر من هو تام الفقد من كل وجه . فالولد الكسول أو العصبي أو الخامل او الشاذ في طباعه وفي خلقته انما هو كذلك بسبب خلل في تركيب عقده أو بسبب تحجر تلك العقد عن القيام بوظائفها . ولذلك يميل الاطباء اليوم الى تقسيم البشر طوائف طوائف بحسب تركيب غددهم

وقد اتفق لأحد الاطباء حديثاً ان فحص خمسة وعشرين سجيناً في أحد سجون نيويورك . فاتضح له ان اربعة وعشرين منهم كانوا مصابين بخلل في تركيب غددهم . وكان ذلك الخلل سبب اجرامهم في الاجرام . ولو ان اهاليهم تنبهوا الى ذلك منذ حداثتهم واجروا لهم العمليات الجراحية اللازمة ما وصلوا الى السجن

والخلاصة ان العلم قد اكتشف وسيلة ناجعة لمعالجة الاجرام . ومع ان استعمال هذه الوسيلة لم يعم حتى الآن فانها تبشر بنتائج سوف يكون لها اعظم شأن في المجتمع العمراني

(١) جزء شهر يونيو الماضي من مجلة World's Work

أقدم أثر اسلامي

شاهد مؤرخ سنة ٣١ هـ.

من عبد الله الامام عثمان بن عفان رضي الله عنه

يوجد [illegible] قطعة من الحجر أو الرخام مكتوبة بالخط الكوفي كالذي [illegible] من أهم القطع الاسلامية بالقاهرة واسوان منقوش [illegible] وكيف تدرج [illegible] وملحقات الـ

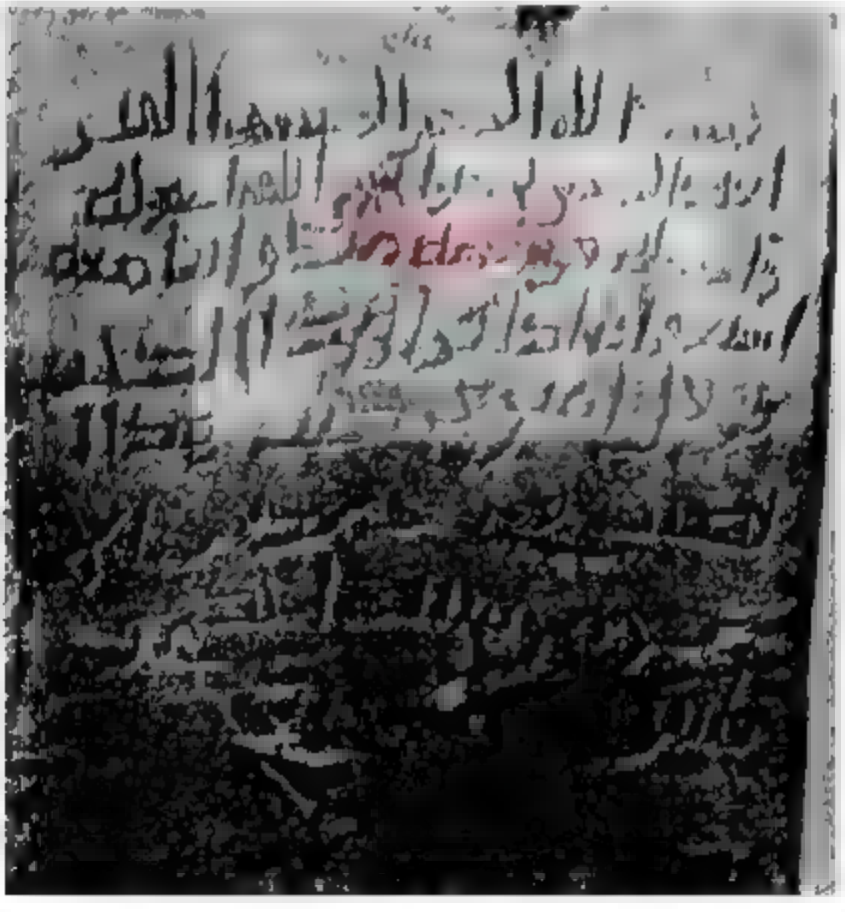

شاهد من سنة ٣١ هـ بالخط الكوفي في دار الآثار العربية منقوش عليه كتابة بالخط الكوفي القائمي وهذا نص ما عثر عليه في سيناء المصري

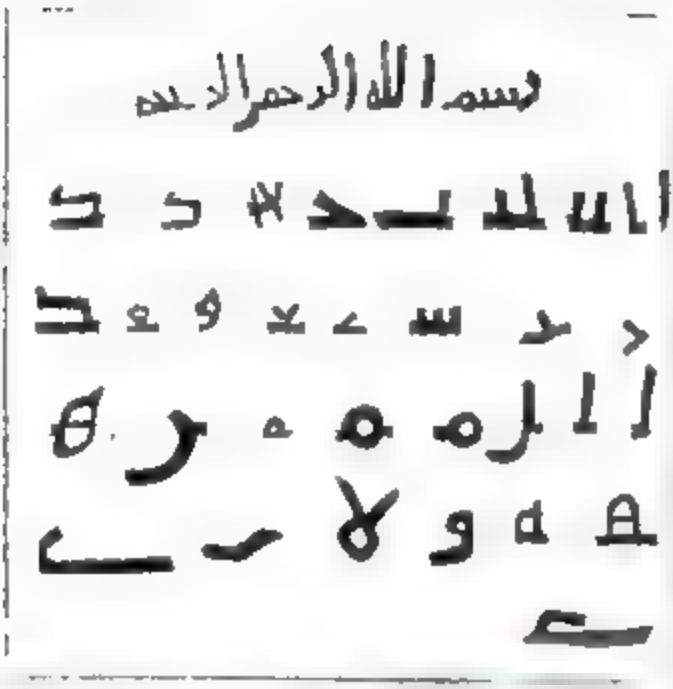
بسم الله الرحمن الرحيم

أقدم أبجدية عربية منقوشة على شاهد عبد الرحمن ابن خير الهجري المؤرخ سنة ٣١ هجرية

الاستاذ حسن محمد الهواري كاتب المقال

وفي أثناء درستي وجدت ان ٢٤٣٩ شاهد صالحة لتسجيل اجمالي تحت سمة أرقام . وان المصدر الذي أحضرت منه غير موضع . ولكون تسجيلها صحيحاً ومتقناً رأيت انه من اللازم اتمام هذا النقص فوصفتها وصفاً علمياً ان وصحت مادة كل شاهد ومقاسه والتاريخ المنقوش عليه وأحياناً كنت أصف خطه وصفاً موجزاً

ولكن بالرغم من ذلك وجدت أن هذه المجموعة غنية بتنوع أشكال الخطوط عليه بكثرة الزخارف فتحت أمامي ميداناً منسعاً للبحث والاستقراء لمعرفة تطور الخط الكوفي والزخارف العربية في القرون الأولى من تاريخه الاسلامية لذلك رأيت ان أخصص لكل طرازه ورقة خاصة ليسهل عليّ ترتيبها ترتيباً تاريخياً صحيحاً في التاريخ

وبينما انا أوالي البحث والتدقيق والترتيب اذ عثرت على بلاطة من الحجر الحجري مؤرخة سنة ٣١ هجرية وكان من ثمرات هذا العمل ايضاً حصولنا على ٣٨ قطعة مؤرخة من أواخر القرن الثاني الهجري أقدمها تاريخها سنة ١٧٤ هـ . وعلاوة على ذلك فقد أصبح بمجموعة الدار سلسلة من القطع المؤرخة عن كل سنة ابتداء من القرن الثالث الهجري ستنشرها تباعاً في المطبوعات

سور [illegible] ما عدا أقدم أثر إسلامي شاهد لتشرها في الجزء الأول وهو كتابة وكل القطع المؤرخة لغاية سنة ٢٤٠ هـ.

والشاهد الآن عثر عليه مقاسه ٣٨ سنتيمتراً في ٧١ سنتيمتر منقوش عليه كتابة الخط الكوفي العادي نصها

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم هذا القبر
٢ ـ لعبد الرحمن بن خير الحجري اللهم اغفر له
٣ ـ وادخله في رحمة منك وأنا معه
٤ ـ استغفر له اذا قرأ هذا الكتب
٥ ـ وقل امين وكتب هذا ا
٦ ـ لكتب (كذا) في جمدي (كذا) الا
٧ ـ خر من سنت (كذا) احدى و
٨ ـ ثلثين

رأى حضرات الاستاذ الجليل السير هاملتون جب هذا الشاهد فسر كثيراً لهذا الاكتشاف العظيم وليسهل على طريق الحب أصدر جزء من محتوياته من كتابه العظيم الذي تحت الطبع الشامل مجموعة الكتابات العربية والاسلامية في عالم الى بعد بسنوات أخر باحث فيها في الوقت الحاضر . والجزء الذي اصدره حتى الآن هو الجزء الخاص بالكتابات العربية البحتة لشهور الاسلام والتي من القرن الاول للهجرة الى السابعة والملاحقة لتوحيد الكتابات في هذه الفترة من الزمن

وكل الكتابات السابقة في التاريخ لشاهد المكتشف من الحجر الحجري وهي ثلاثة قطع أقدمها شاهد امرئ القيس تاريخه سنة ٣٢٨ م وهو محفوظ الآن في متحف اللوفر بباريس وهذه الكتابة تعتبر أصل تطور الخط العربي واشتقاقه من الخط النبطي وفيه يظهر تأثير الخط النبطي بخط العربي وهي خالية الحروف بعضها ببعض. ويأتي بعد ذلك كتابة زبد المؤرخة سنة ٥١٢ م (أ ـ لوحة رقم ١) وهي مكتوبة بثلاث لغات العربية واليونانية والسريانية ويتبعها كتابة حران وهي مؤرخة سنة ٥٦٨ ميلادية (ب ـ لوحة رقم ١)

هذه القطع الثلاث هي كل المعروف من العهد الجاهلي . ولسنا في معرض الكلام عنها ولا نريد ان نقارنها بقطعتنا المكتشفة اللهم الا في بعض مواضع بسيطة

أما بعد ظهور الاسلام فلا يوجد الا عشرون نصاً من القرن الاول الهجري واقدم هذه النصوص هو ما عثر عليه المستر تيلور منقوشاً على واجهة قنطرة (بامخان) بلاد بين النهرين والذي يقول عنها في مقاله : « رحلات في كردستان » (J. R. G. S. Vol XXXV p. 25) « يستدل من بقايا كتابة منقوشة على الواجهة الشرقية للقنطرة انها بنيت في سنة ٦٤٣ م (٢٢ هـ) بمعرفة من يدعى عثمان الا ان التاريخ غير واضح ولا يمكن قراءة أي جزء آخر من النص »

فنرى من ذلك ان المستر تيلور لم يقرر وجود تاريخ منقوش بل هو يذكر فقط انها بنيت بمعرفة من يدعى عثمان، ثم يستدل من ذلك ان عثمان هذا هو عثمان بن عفان الخليفة الثالث رضي الله عليه وسلم . وقد فقد برغم كلام المستر تيلور في كتابه أميدا حيث قال في هامش صفحة ٣٣

١ ـ كتابة رقعة مؤرخة سنة ٩١٢ هـ ٢ ـ كتابة رقعة مؤرخة سنة ٩٠٨ هـ
٣ ـ كتابة تعريفة مؤرخة سنة ٨١٥ هـ (٢٠٠٠) ٤ ـ كتابة مراة سنة ٨٩٢ هـ (٧١ـ٧١١م)

[illegible] صحيفة [illegible] معروف [illegible] هو ثابت التاريخ
يوم [illegible] سنة ٦٤٤ م (٢٤ هـ) [illegible] اللوحة ظهر [illegible]
و [illegible] أي [illegible]

ومن [illegible] الطراز [illegible] برشم [illegible] في [illegible] السخانة ولا ما [illegible] في [illegible] الآثار [illegible] ومع كل اذا [illegible] فانه لا يوجد غيرها سابق في التاريخ على الشاهد الذي عثر [illegible] في دار [illegible]

بعد ذلك نأتي على النصوص الأخرى التي حفظها لنا القرن الاول الهجري وهي مبينة في الجدول الآتي مع المراجع التي شرحتها

١ ــ سنة ٦٥ هـ كانت في قبة الصخرة بيت المقدس . مجموعة الكتابات العربية لفان برشم بيت المقدس جزء ٢ رقم ٢١٤

٢ ــ سنة ٦٩ هـ كانت في الفسطاط . مجموعة الكتابات العربية لفييت مصر جزء ٢ رقم ٥٢٨

٣ ــ سنة ٧٢ هـ موجودة في قبة الصخرة بيت المقدس . مجموعة الكتابات العربية لفان برشم بيت المقدس جزء ٢ رقم ٢١٥

٤ ــ [illegible] ٧٢ [illegible] ٢١٦ هـ ألواح من نحاس بأحد أبواب قبة الصخرة . مجموعة الكتابات العربية لفان برشم بيت المقدس جزء ٢ رقم ٢١٦

٥ ــ [illegible] ٧٢ هـ ألواح من نحاس بأحد أبواب قبة الصخرة . مجموعة الكتابات العربية لفان برشم بيت المقدس جزء ٢ رقم ٢١٧

٦ ــ [illegible] ٨١ هـ [illegible] الأول في [illegible] الشيعي جزء ٢٩ صفحة ٤٣

٧ ــ سنة ٨٥ هـ كانت منقوشة على كرة سماوية من نحاس [illegible] صفحة ٤٤٠

٨ ــ سنة ٨٦ هـ حجر منصوب لبيان الأميال عثر عليه [illegible] . مجموعة الكتابات العربية لفان برشم بيت المقدس جزء ١ رقم ١

٩ ــ سنة ٨٦ هـ حجر منصوب لبيان الأميال عثر عليه [illegible] . مجموعة الكتابات العربية لفان برشم بيت المقدس جزء ١ رقم ٢

١٠ ــ سنة ٨٦ هـ حجر منصوب لبيان الأميال عثر عليه بدير الكلب . مجموعة الكتابات العربية لفان برشم بيت المقدس جزء ١ رقم ٣

١١ ــ سنة ٨٦ هـ حجر منصوب لبيان الأميال عثر عليه باب عوش . مجموعة الكتابات العربية لفان برشم بيت المقدس جزء ١ رقم ٤

١٢ ــ سنة ٩٢ هـ [illegible] على اللوح الأحمر بجامع عمرو . مجموعة الكتابات العربية لفييت مصر جزء ٢ رقم ١٧ و ٢٥

١٣ ــ سنة ٩٢ هـ خزانة جوسو وسافينياك بحثه في بلاد العرب جزء ٣ صحيفة ١٠٠

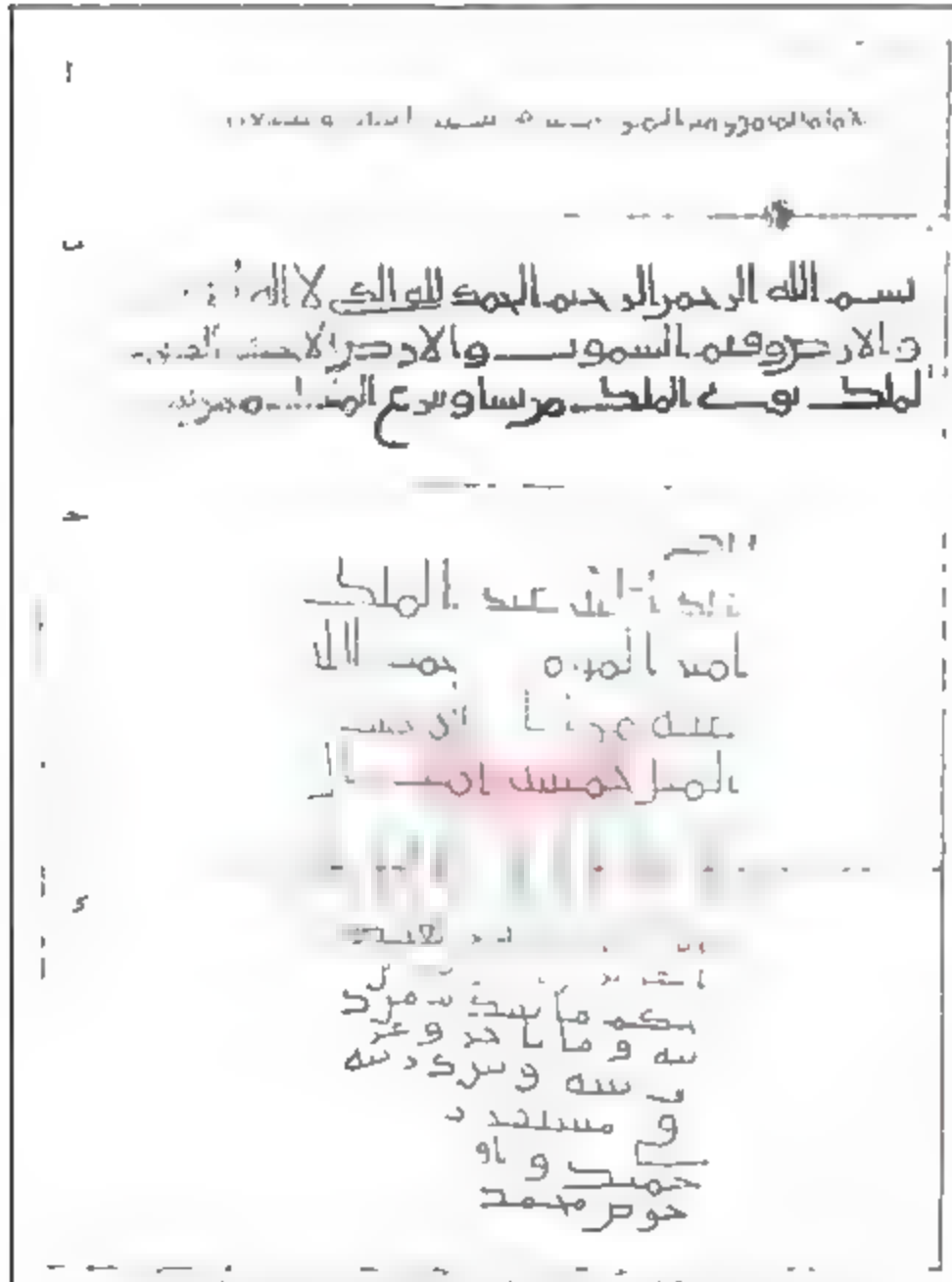

أ ـ جزء من [illegible] مؤرخ سنة ٧٢٠ هـ (١٣٢٠ـ١٣٩٢م)

ب ـ جزء من الكتاب المخطوط على أحد الأوراق البردية في قصر البحيرة مؤرخة سنة ٧٢ هـ (٦٩١ ـ ٦٩٢ م)

جـ ـ الكتابة المخطوطة على جلد الأيل التي عثر عليها في بلاد الوار ترجع عهدها الى سنة ٨٦ هـ (٧٠٥ م)

د ـ كتابة عربية نقل رجع عهدها الى أوائل القرن الأول الهجري (أوائل القرن الثامن الميلادي)

١٤ ـ كتابة أخرى بحرانة حوسو وساقساك منه في بلاد المغرب جزء ٣ صحيفة ١٠٠
١٥ ـ سنة ٩٧ هـ مقياس النيل بالروضة مجموعة الكتابات لقدماء العربية وشيء مصر جزء ١ رقم ١
١٦ ـ سنة ١٠٠ هـ قصير عمرة موصل صحيفة ٢١٧ و ٢٢٥
١٧ ـ حرية نيل (W. Z. K. M.) جزء ١٢ ص ٨١ وما بعدها
١٨ ـ عين صفيا متحف بيروت رقم ٢٣٩

هذه الثمانية عشر نصاً والكتابة التي اكتشفها مستر بلاور والشاهد الذي وجده بدير الآثار العربية هي كما سبق ان قلنا ما خلفه لنا القرن الاول الهجري من نصوص على الآثار (١)

يتبين من الجدول السابق ان أقدم النصوص التي كانت معروفة قبل اكتشاف شاهد

(١) ـ قسم مورتز Moritz في الموسوعة الاسلامية الكتابات الاسلامية المعروفة الى ثلاث فصائل
١ ـ الكتابات المنقوشة على النقود وأقدمها مؤرخ سنة ٢٠ هـ بها طغراء صغيرة من الحروف غير محققة (موجودة في متحف برلين)
٢ ـ الكتابات المنقوشة على الآثار وأقدمها مؤرخ سنة ٧٢ هـ قبة الصخرة بيت المقدس
٣ ـ الكتابات المنقوشة على الاوراق البردية محفوظ أغلبها بقنا ولم تدرس بعد وأهم جزء من هذه الاوراق مؤرخ ما بين سنة ٢٢ هـ وسنة ٨٧ هـ

والقسم الاول والثاني لا يعنينا أمرهما لان لهما بحوثاً خاصة

الا انه مناسبة ذكر هذا القسم يمكننا ان نخرج من القسم الاول بنوع على ما ذكره مورتز الكتابات المنقوشة على قطع الاوزان [illegible] وقد نشرت ورسمت في اكثر من موضع في كتاب موجود بمجموعة الدكتور هوكيه وتاريخها سنة ٤٤ هـ باسم الامير عقبة ولا ان كاتبوه يشك في صحة [illegible] في مقالة له بمجموعة أوراق الدكتور هوكيه [illegible] في مقاله "تاج الدين" عن الآثار بالقاهرة جزء ٦ ص ٣٢٣ وما بعدها فقد قال عند كلامه عن هذه الاوزان بعضها مكسور وبعضها كامل والبعض الآخر مشكوك فيها أو غير كاملة

رقم ١٦٦ ـ قطعة ورق من رطل عليه تاريخ سنة [illegible] وهو الذي نقرأ فيه :ـ

الامير عقبة (؟) أوفوا الكيل (؟)

ولو فرضنا جدلا ان هذه القطعة صحيحة هي خلو من تاريخ ولا نذكر ما عقبة كلفانوة ٤٤ هـ مع ان عقبة بن عامر حكم مصر من سنة ٤٤ هـ الى سنة ٤٧ هـ وقد تكون التاريخ ٤٥ أو ٤٦ أو ٤٧ وفي حالة الشك الاصوب اتخاذ السنة الاخيرة لا الاولى

ويمكننا أيضاً ان نخرج تحت التقسيم الثالث غير الاوراق البردية التي ذكرها مورتز والمحفوظة بقينا شذرات كتبا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أحدها مزعوم ولا زال مفقوداً الى الوقت وهو كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى المقوقس الذي زعم أحد الشبان المستشرقين أنه عثر عليه بطريق المصادفة في مخطوط سنة ١٨٥١ م ونشر عنه في الجرنال اسياتيك سنة ١٨٥٤ م وقد كفانا مؤونة بحثه وتعقبه الاستاذ الجليل محمود فهمي فقد كتب عنه عدة مقالات وألقى عنه عدة محاضرات أثناء كان استاذاً في الجامعة المصرية القديمة ولكن بالرغم من ذلك قال بعض كتب التاريخ تصوره ونشره غير مهتمة صحته

والكتاب الآخر مفقود وقد ذكره مختصر ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الابصار في ممالك الامصار جزء أول ص ١٢٢ وما بعدها طلع مصر وقد رآه العمري عند سوار قبل الخميل في يوم الاثنين ٤ ذي الحجة سنة ٧٤٥ هـ وهو كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الذي كتبه لتميم الداري وأخوته في سنة ٩ من الهجرة بعد عودته من غزوة تبوك في قطعة أدم من خط أمير المؤمنين علي ويخطه . وقد نقل نسخته ابن فضل الله في كتابه عن ورقة كتبها المستعين بالله

وقد رأى ذلك الكتاب القلقشندي مما يدل على ان الكتاب النبوي كان موجوداً الى سنة ٨٢١ هـ

عبد الرحمن بن خير مؤرخة سنة ٦٥ هـ أي بعد شاهد عبد الرحمن بأربع وثلاثين سنة ولكن هذا النص المؤرخ في سنة ٦٥ هـ غير مسلم به أيضاً كما انه غير موجود وكل ما نستند عليه هو ما كتبه أحد القساوسة و الفرنسيسكان عنه فقد كان هذا القسيس ببيت المقدس ما بين سنة ١٦٥١ م وسنة ١٦٥٧ م وترك لنا وصفاً لقبة الصخرة ادعى فيه انه رأى كتابة بالقبة تدل على انها شيدت سنة ٦٥ هـ [1] وقد انتقد فان برشم هذه الحجة التي حملها لنا ذلك القسيس في كتابه بمجموعة الكتابات العربية في الجزء الثاني عن بيت المقدس رقم ٢١٤ وحللها تحليلا علمياً وأحسن ما في هذا الانتقاد شكه في صحة التاريخ الذي هو ٦٥ هـ لان هذه السنة هي اول سني حكم عبد الملك بن مروان وقبة الصخرة لم يتم بناؤها في اول سني حكمه، بل بعد ذلك بعدة سنين والمعتاد دائماً عند كتابة مثل هذه التواريخ ان تكتب السنة التي تم فيها البناء

وغاية ما تفيدنا هذه الفقرة هو ان قبة الصخرة شيدت في عهد عبد الملك بن مروان لا في عهد عمر كما كان يظن ذلك بعض الباحثين

نأتي بعد ذلك على الكتابة التي ذكرها الفسفاطي ونقلها المقريزي في صحيفة ١٤٦ من الجزء الثاني وهي التي أمر عمر العزيز بن مروان بكتابتها على القنطرة التي شيدها على الخانق الكبير في سنة ٦٩ هـ. الا ان هذه الكتابة التي نشرها مسيو ديبت في الجزء الثاني من مجموعه الكتابات العربية بمصر تحت رقم ٥٤٨ أصبحت لا وجود لها بعد اندثار قنطرة عبد العزيز ورمم الخانق فلا يمكننا ان نقارن بها شاهد عبد الرحمن بن خير الحجري . ولكن ما يصح الدوران به من كتابات القرن الاول الهجري هي الكتابات الموجودة الان في قبة الصخرة في الفسفساء ومؤرخة سنة ٧٢ هـ. (١ ـ لوحة رقم ٢) اي من عهد عبد الملك بن مروان وقد عد المؤرخون منها اسم عبد الملك وأثبت موضعه اسمه ولكنه ترك التاريخ ولم يجزه فمتى سره ومعاصر لهذه الكتابة نصان آخران منقوشان على بعض الالواح الخشبية المثبتة على بعض أبواب قبة الصخرة وهي من سنة ٧٢ هـ ايضاً . الا ان الخبر الاخير من كل منهما من عهد المأمون ومؤرخ سنة ٢١٦ هـ (ب ـ لوحة رقم ٢)

هذه الكتابات التي ما تزال موجودة بقبة الصخرة [2] كانت أقدم الكتابات الاسلامية المنقوشة على الآثار وخطها جيد وفي غاية الاتقان اذا قورن الكتابة المنقوشة على شاهد عبد الرحمن بن خير الحجري وهذا أمر طبيعي لان الشاهد أقدم منها باحدى واربعين سنة اي ما يقرب من نصف قرن ومن جهة اخرى فان الكتابة المنقوشة على الشاهد باسم رجل عادي فكتبت بغير اعتناء اما الكتوبة

(١) يسبق هذه كتابة اسم مسلمة بن مخلد على منارات جامع عمرو سنة ٥٣ هـ بمجموعه الكتابات العربية بمصر الجزء الثاني للسيد ديت ه

(٢) اللوحة رقم ١٣ لمجموعة الكتابات العربية ببيت المقدس لفان برشم جزء ٣ واللوحة رقم ١١ من هذا الكتاب أيضاً

في قبة الصخرة فنقوش فيها اسم امير المؤمنين فوجب على ناقشها العناية والتحسين والاجادة

هذا وان النصوص المكتوبة على القماشاني بالصيقل فلستطاع صانعها أن يجيدها ويتقنها لامكان اتقان الكتابة بالصيقل . اما كتابة شاهد عبد الرحمن فمكتوبة بالحفر بآلة حادة على الحجر بخط كوفي عادي غير متقن . الا ان هناك مميزات في بعض الحروف مشابهة لما في شاهد عبدالرحمن بصرف النظر عن الجودة والرداءة فحرف العين المتوسطة في شاهد عبد الرحمن مشابهة تمام الشبه لحرف العين في نصوص قبة الصخرة اي مفتوح من اعلى مثل رقم ٧

أما اقرب الكتابات شبهاً للكتابة المنقوشة على شاهد عبد الرحمن فهي التي عثر عليها في شمال جزيرة العرب منقوشة على عتب أحد ابواب قصر برقة وهي مؤرخة سنة ٨١ هـ (حـ ـ لوحة رقم ١) باسم الامير الوليد بن امير المؤمنين اي قبل ان يرتقي الحكم. وقد يكون هذا القصر بناه الامير الوليد في شمال جزيرة العرب ليخفي فيه أيام لهوه ومرحه ونقش هذه الكتابة على عتب أحد ابوابه تذكاراً لانه هو المشيد له . وهذه الكتابة مثل كتابة شاهد عبد الرحمن من حيث طريقة النقش والخط فطريقة النقش في كلا الأثرين كانت بواسطة آلة حادة نشأ عنها كتابة كوفية في سطور غير متساوية ولا متساوية البعد بعضها عن بعض غير مرسومة على تصميم سابق . شكل الحروف فهو متشابه تشابهاً كلياً فالبسملة في الاثرين تكاد تكون واحدة وحرف الهاء في هذه و « لا » الامير مشابهة لحرف الهاء في هذا و « لا » الآخر وكذلك الكلمتين في عين المشابهة لهما في جميع اجزائهما كاملة ولا اتقان . ولكن هذين النصين يختلفان احدهما عن الآخر من حيث الصحة في كلمة واحدة وهي كلمة (سنة) فهي مكتوبة في قصر برقة تامة مرسومة . اما في شاهد عبد الرحمن فهي «ن» مفتوحة مثل سنت في كتابة حوران سنة ٥٦٨ م فهي «ن» مفتوحة ايضاً مما يدل على ان هذه الهاء كانت قبيل الاسلام وفي صدره تكتب مفتوحة وهيا بعد ذلك صارت تكتب مقفولة

هذا ومعاصر لكتابة قصر برقة الكتابات المنقوشة على قطع الحجر و لرخام التي كانت معصوبة في طرق الشام لبيان المسافات بالاميال والتي صنعت في عهد عبد الملك بن مروان تذكاراً لتعميره أكثر هذه الطرق . الا ان الخط المنقوش عليها ـ وهي اربع قطع عثر عليها ما بين سنة ١٨٨٤ وسنة ١٩٠٢ ـ متقن ويرجح ذلك ما قدمناه سابقاً من انها تحتوي على اسم أمير المؤمنين (حـ ـ لوحة رقم ٢)

ومعاصر لهذه الكتابات كتابة ذكرها ابن القفطي في كتابه تاريخ الحكماء ان ابن السنبدي رآها في خزانة الكتب بالقاهرة على كرة من عمل بطليموس وعليها مكتوب « حملت هذه الكرة من الامير خالد بن يزيد بن معاوية » ولكن هذه الكرة لا وجود لها الآن ، فلا يمكننا مقارنة شاهد عبد الرحمن بها

وفي سنة ٩٢ هـ عند قرة بن شريك جامع عمرو وكتب تاريخ التحديد على لوح أطلق عليه

اللوح الاخضر الا ان هذا اللوح غير موجود ايضاً ولا يمكننا ان نقارن شاهد عبد الرحمن به

وفي خرانة عمر حوسن وسافيناك اثناء بحثهم في شبه جزيرة العرب على كتابات كثيرة اكثرها مكونة من احد عشر سطراً ومؤرخة سنة ٩٢ هـ (د ـ لوحه رقم ١) وأغلب حروفها مشابهة لحروف شاهد عبد الرحمن الا ان حرف العين المتوسطة كانت تارة تكتب مفتوحة من اعلى وطوراً مقفولة

واقدم كتابة كانت معروفة في مصر هي الكتابة المنقوشة نقشاً بارزاً [1] على عمود مقياس النيل بجزيرة الروضة عند الادرج من ١٥ الى ١٧ والتي يرجع عهدها الى سنة ٩٦ ـ ٩٧ هـ في خلافة امير المؤمنين سليمان بن عبد الملك . وهذه الكتابة هي (سبع عشرة ذراعا ـ ست عشرة ذراعا ـ خمس عشرة ذراعا) مكررة اربع مرات وهي غير مؤرخة الا انه من الثابت انها من عهد انشاء المقياس وكل المؤرخين يؤكدون ذلك

ويتلو هذه الكتابات المنقوشة على عمود المقياس ثلاثة كتابات اخرى من أواخر القرن الاول الهجري وهي التي عثر عليها بقصير عمرة وخربة تل (ا د لوحة رقم ٢) وعين صفيا

فاذا عرضنا شاهد عبد الرحمن على ما خلفه لنا القرن الاول الهجري من كتابات ما تزال موجودة [2] وجدنا ان بعض مشابه له تمام الشبه من حيث رسم الحروف والبعض الآخر يختلف عنها والسبب في ذلك ان هذه الكتابات تنقسم الى قسمين قسم روعي فيه الاتقان والتحسين، ويستعمل حيث تطلب الاجادة وقسم كتب على نحو خط عادي وجرى في الامور العادية ونلاحظ على القسم الاول انه منتظم الروايا منتظم السطور متساوي الحروف أي انه مكتوب بالقلم المعروف بالقلم الكوفي ونلاحظ على القسم الثاني انه غير منتظم ومتدرج الروايا احياناً وهو اقرب ما يكون الى الخط النسخ . وهذا يثبت لنا ان الخطين الكوفي والنسخ كانا توءمين يسيران معاً منذ القدم هذا ان لم يكن الخط النسخ اقدم من الكوفي لسهولته

والخطوط المشابهة لشاهد عبد الرحمن هي الخطوط المنقوشة بها كتابات قصير برقة سنة ٨١ هـ وخرانة سنة ٩٢ هـ وقصير عمرة سنة ١٠٠ هـ . وهذه أيضاً قريبة الشبه جداً من حيث رسم الحروف للكتابات الجاهلية في زبد وحران ويمكن مشاهدة ذلك في اللوحة رقم (١) الشاملة لبعض الحروف المتشابهة في هذه الكتابات

أما الخطوط الاخرى التي تختلف عن شاهد عبد الرحمن من حيث الرسم ولكنها مشابهة لها من

---

(١) هذه الكتابة هي أقدم كتابة بارزة منقوشة على الحجر او الرخام في الآثار الاسلامية في العالم

(٢) الكتابات الموجودة فعلا والمكن المقارنة بها هي ١٥ كتابة : ١ شاهد عبد الرحمن و ٣ في قلة الصحرة و ١ في قصر برقة و ٤ مكتوبة على خشب الاميال و ٢ في خرانة و١٠ في مقياس النيل بالروضة و ١ في قصير عمرة و ١ في خربة تل و ١ في عين صفيا

حيث الوضع. فهي كتابات قمة الصخرة على القاشاني وعلى الأرواح الخاصية المثبتة على الابواب ومؤرخة سنة ٧٢ هـ . والكتابات المنقوشة على نصب الاميال من سنة ٨٦ هـ وكتابة المقياس سنة ٩٣ هـ وخربة تل أواخر القرن الاول الهجري وقد رسمنا حرفاً من كل منها في اللوحة رقم (٢) لنبين أن أوضاعها تماثل أوضاع حروف القسم الاول ولكنها تختلف عنها من حيث الرسم الجيد المتقن الذي من مستلزماته أن جعلت روايا الحروف قوائم

هذا من حيث الحروف أما من حيث النصوص فكتابات القرن الاول تنقسم الى قسمين أيضاً نصوص كتبت تذكاراً لانشاء بعض الآثار أو تعميرها ونصوص حائرية كتبت بها اسم المتوفى وتاريخ وفاته وبعض الادعية أو الآيات القرآنية . وذلك في الشواهد أو على جدران المقابر . والثانية فقط هي التي تقارن بالنص المكتوب على شاهد عبد الرحمن ابن خير . وهي المكتوبة في حرانة سنة ٨٩٢ وخربة تل . وهي مشابهة لها في كثير من العبارات في شاهد عبد الرحمن قال الكاتب : « اللهم اغفر له » وفي كتابة حرانة بعض هذه العبارة باصلاح أكثر حيث قال الكاتب : « اللهم ارحم عبد الملك بن عبيد (؟) واغفر له ذنبه ما تقدم منه وما تأخر » وفي كتابة خربة تل قال الكاتب « اللهم اغفر لعبد العزيز بن الحرث بن الحكم ما تقدم من ذنبه وما تأخر »

هذا ويمتاز شاهد عبد الرحمن عن بقية النصوص المعروفة من الآثار العربية بالمميزات الآتية:

١ ـ مادته . فانه من الحجر الجيري ويندر جداً أن يوجد قطعة من هذه المادة استعملت في القرون الخمسة الاولى من الهجرة كما هو معلوم

أما المادتين اللتين كانتا مستعملتين في شواهد القبور في القرون الخمسة الاولى من الهجرة فهما الرخام والحجر الرملي وعلى الحجر الرملي كانوا يحفرون الكتابة حفراً ويحيطونها دائماً باطار. أما في هذا الشاهد فالكتابة محفورة ولا اطار لها

٢ ـ طريقة الحفر ـ (١)

---

(١) نقش الكتابة على الاحجار والرخام يكون اما حفراً أو بارزاً والحفر أقدم من البارز والحفر نوعان كما ان البارز نوعان أيضاً والكتابة الحفر أقدم من البارزة لانها أسهل منها وكانت في مبدأ أمرها تنكت بآلة حادة تشبه المسمار فينشأ عنها الكتابة القليلة الغور غير المحددة ولا المنظمة وهذه هي النوع الاول من الحفر ورأوا بعد ذلك ان ينقشوها نقشاً متقناً فأحدثوا يكبونها بالمداد الاسود ثم يحفرونها بآلات دقيقة فتظهر محددة منتظمة وقد ساعدت هذه الطريقة كثيراً على زخرفة الكتابة واجادتها وهذه هي النوع الثاني من الحفر

وأقدم قطعة استعملت فيها الطريقة الاولى بمجموعة دار الآثار العربية بالقاهرة هي شاهد عبد الرحمن ابن خير الهجري

وأول قطعة استعملت فيها الطريقة الثانية من الحفر هي شاهد مؤرخ جمادي الاولى سنة ١٨٠ هـ ومسجل تحت رقم ١٤٢ / ١٥٠٦ وقد ابتدأ النقاش في هذا الشاهد بحرف رءوس الالفات واللامات بتبرات كلها جهة اليسار

في شواهد القرون الخمسة الاولى من الهجرة اعداد الحجار أن يسوي سطح اللوح (البلاطة) المراد الكتابة عليه ثم يخطه خطوطاً مستقيمة متوازية ينقش عليها ما يريد كتابته بالمداد الاسود ثم يحمرها حمراً متقناً دقيقاً . أما هذا الشاهد فقد كتبه النقاش كما يريد وعلى غير نظام فيها نجد الكتابة العادية صغيرة الحروف ترى الجزء السفلي كتب بحروف كبيرة هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الكتابة لا يتوافر فيها التواري والاستقامة والتناسب والاتقان

٣ ـ شكل الحروف . هذا الشاهد حرفان لهما رسم ووضع خاصان كانا متداولين في الشواهد التي يرجع عهدها إلى أواخر القرن الثاني الهجري ولكنهما ما لبثا أن تغيرا وأخذا شكلاً آخر في أواخر القرن الثالث الهجري وهما الهاء والعين فهما آت هذا الشاهد في « هذا القبر » و « هذا الكتب » عبارة عن نصفي دائرتين أحدهما تعلو الاخرى وكذلك حرف العين المتوسطة فهي مفتوحة من أعلى مثل رقم ٧

٤ ـ المحاء سقطت الألف المتوسطة من كلمتي (الكتب) و (حمدي) وسقوطها هي وبعض حروف العلة المتوسطة كان شائعاً ومتداولاً في صدر الاسلام فكتبوا عثمن ومروان وصلح من غير ألفات ككتابة القرآن

وكذلك الالتباس في [illegible] فقد كتب كلمة « سنة » في هذا الشاهد تاء مفتوحة ولم نشاهدها إلا مربوطة في جميع الشواهد ولكن الالتباس بين تائين مفتوحة ومربوطة شاهدناه بكثرة في كلمة رحمت في (رحمة الله)

٥ ـ عبارته عالجة لم شاهدنه في كثير من الشواهد الاخرى ولم نجد لها مثيلا في سواه كقوله: « اللهم اغفر له وأدخله في رحمة منك ورضوانه »

أما شخصية عبد الرحمن بن خير الحجري وهل كانت بارزة في التاريخ أم لا فقد وجدت في كتاب الانساب للسمعاني نسبة الحجري مضبوطة ضابطين

الاول ـ الحجري بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وفي آخرها الراء وهي نسبة إلى ثلاث قبائل كل واحدة حجر . احداها حجر حمير والاخرى حجر رعين والثالثة حجر الأزد

ـ أما الكتابة البارزة فأقدم كتابة عثر عليها الموجودة على عمود مقياس النيل بالروضة التي يرجع عهدها الى سنة ٩٧ هـ وأول كتابة بارزة بمجموعة الشواهد بدار الآثار العربية مؤرخة سنة ٢٠٣ هـ ومسجلة تحت رقم ٢٧٢١/٨٧ ولم يكثر استعمال هذه الطريقة الا ابتداء من القرن الثالث الهجري يرجع ذلك الى ان النقش البارز أصعب من الحفر في الحفر تحفر الكتابة فقط اما في النقش البارز فيحفر كل اللوح وتبقى الكتابة من غير حفر لتظهر بارزة وقد ساعدت هذه الطريقة على الاكثار من الزخارف لان الحفار يريد ان يترك أكثر ما يستطيع من سطح اللوح من غير حفر فرأى ان الزخرفة تساعد على هذا الترك

وعند ما كان يصادف الحفار أحجاراً أو رخاماً صلباً فيكتفي بالحز السطيح الذي ينشأ عن لقر الخفيف في الماطق الخالية من الكتابة وهذه هي الطريقة الثانية من النقش البارز وقد ظهرت عند ما استعمل الحجر البركاني وأقدم قطعة بالدار استعملت فيها هذه الطريقة هي جزء من شاهد قبر مؤرخ سنة ٤٢٦ هـ ومسجلة بسجلات الدار تحت رقم ٢٩٧٧

الثاني ـ الحجري بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وفي آخرها الراء هذه النسبة الى الحجر وهو اسم لموضع باليمن واني ارجح ان عبد الرحمن بن حجر من حجر الازد اي من القسم الثالث من النسبة الاولى . وسبب ذلك ما وجدته في ابن دقماق حرفيا ارجمة ص ١٢٥ وما بعدها خاصاً بالكلام عن مدينة الجيزة قال : « هذه بلدية مدينة سلامية مية في سنة احدى وعشرين وقيل فرغ منها في سنة اثنين وعشرين وسبب بنائها ان عمرو بن العاص لما رجع من الاسكندرية في جيشه ونزل الفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفاً من عدو يهجم من تلك الناحية فجعل بها آل ذي اصبح من حمير وهم كثير ونافع بن زيد بن رعين وجعل فيها همدان وجعل فيها طائفة من الازديين من الحجريين من الهو من الأزد طائفة من الحبشة وديوانهم في الأزد . فلما استقر عمرو بن العاص بالفسطاط امر الذين جعلهم بالجيزة ان ينضموا اليه فكرهوا ذلك وقالوا : « هذا متقدم تقدمناه في سبيل الله عز وجل واقمنا به ما كنا نخاف نرغب عنه ونحن به منذ اشهر » فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب بذلك واخبره ان همدان وآل ذي اصبح ونافعاً ومن كان معهم ابوا المقام بالجيزة فكتب اليه عمر « كيف رضيت ان تفرق عنك اصحابك وتجعل بينك وبينهم بحراً لا ندري ما يهجم عليك لا يقدر على عبوره فجميع المال ولا عربيه فان ابوا واجبوا بمكانهم فان عليهم حصناً من ورائهم » فجمعهم عمرو فجزم بكتاب عمر وامنعوا من الخروج من الجيزة فامر عمرو ببناء الحصن عليهم فكرهوا ذلك وهو لا يحصن الحصن بد من سيوفنا وكرهت ذلك همدان ونافع فاقرع عمرو بن العاص بينهم فوقعت القرعة على نافع ومن معهم في سنة احدى وعشرين وفرغ من بنائه في سنة اثنين وعشرين وأمرهم عمرو بالحفظ فيه »

وقد ذكر المقريزي في خططه في صفحة ٢٠٦ من الجزء الاول عن ابن عبد الحكم مضمون هذه الحكاية ثم أورد فيها عن القضاعي بعض ان دقماق السابق مع اختلاف بسيط في بعض النقط حيث قال : « طائفة من الازديين بي الحجريين الهو من الازد »

وهذا دليل واضح على ان أناساً من قبيلة حجر الازد هبطت مصر بعد الفتح وسكنت الجيزة منذ سنة ٢١ هـ . وعبد الرحمن هذا واحد من هذه القبيلة توفي في سنة ٣٣١ هـ ودفن بالقرافة بظاهر الفسطاط وربما كان طفلا أو رجلا عادياً مات بعد الفتح بعشر سنوات وقد عثرت بمجموعة دار الآثار العربية أيضاً على شاهد آخر لنسمة صاحبته الحجري وهو باسم شاذة بنت محمد الحجري المتوفاة في شوال سنة ٢٣٨ هـ (مسجل بسجلات الدار تحت رقم ٨١٥٠) وهذا يدل على ان أفراداً من هذه القبيلة كانوا ما يزالون موجودين حتى سنة ٢٣٨ هـ . وقد عرض هذا الاثر النفيس بالقاعة الثالثة بدار الآثار العربية تحت رقم ١ على أنه أقدم أثر معروف في العالم الاسلامي حتى وقتنا هذا

حسن محمد الهواري

المسيو دي بلوفتز الصحافي الداهية

وكيف وفق الى نشر معاهدة برلين قبل اذاعتها رسمياً

كان دي بلوفتز بولندي الاصل نشيطاً مقداماً ذكياً كاتباً سياسياً داهية استوطن باريس في الربع الاخير من القرن الماضي فاختارته جريدة التيمس الشهيرة مكاتباً لها مع انه كان لا يعرف الانجليزية فكان يراسلها بالفرنسية ثم ينقل قلم التحرير رسائله الى لغة الجريدة الاصلية

واتفقت للمسيو دي بلوفتز نوادر كثيرة ووقائع عديدة في أثناء حياته الصحافية وكلها تدل على طول باعه وسعة حيلته وقد ضمنها في مذكراته التي نشرت بعد وفاته فتركت له اسماً خالداً في جمهورية الصحافة بدليل الحكاية التالية التي وردت فيها وقد حدثت أيام انعقاد مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ للنظر في المسألة الشرقية

قال دي بلوفتز : « دخلت ذات يوم على الدوق دي كاز وزير الخارجية الفرنسية فقال لي :

« سيعقد يا سيو دي بلوفتز مؤتمر في برلين لحل المسألة الشرقية وسأكون أنا مندوب الحكومة الفرنسية فيه فحسب عليك أن تجيء الى برلين وأنا أساعدك على قدر طاقتي »

فقلت: « هل لسبت يا سيدي أني كتبت في التيمس من سنين رسالة حملت فيها على الدنيا، فهل تظن انه يمكنني أن أذهب الى برلين من دون أن يعترض لي فيها ما لا يرضيني ؟ »

فقال : « أؤكد لك انه لا يحدث شيء من هذا القبيل فلا تدعنك أن تذهب الى برلين لهذا الغرض فاقبل المهمة واذهب »

« ومن غرائب الاتفاق أنه جاءني في ذلك اليوم أحد الشان ومعه كتاب توصية من صديق لي يرجو مني أن أجد له عملا يرتزق منه . وكان الشاب ذكياً مهذباً ملماً بلغات كثيرة فسعيت لأجد له عملا فلم أفلح وكنت ازداد له اعتباراً واحتراماً كلما رأيته

« وفي أوائل سنة ١٨٧٨ دعيت الى الذهاب الى برلين لاكون فيها إبان انعقاد المؤتمر وكان بلرشال مكماهون قد سقط من رياسة الجمهورية الفرنسية وسقط معه الدوق دي كاز فجعلت أضرب أخماساً لاسداس لان المقالة التي كتبتها في التيمس سنة ١٨٧٥ أثارت حنق بسمارك وغيظه فكان من الصعب ان أتكل على المندوبين البريطانيين لانني كنت موقناً بانهم لا يطلعونني على شيء من الاخبار لئلا تنقل الثقة بالجرائد الانجليزية وكان من العبث أيضاً أن أحاول استطلاع مندوبي النمسا وروسيا وايطاليا وتركيا لانهم كانوا كلهم يخشون بسمارك ويحسبون لصوته اكبر حساب . وبينما أنا أفكر في هذه الامور دخل علي الشاب المشار اليه آنفاً كأن العناية ساقته اليّ

في تلك الساعة لينعذني من المأزق الذي كنت فيه مسألته هلا يزال مستعداً لان يمارس أي عمل يعرض عليه ،فاجاب بالايجاب فطلبت منه أن يرجع اليّ بعد أيام وذهبت في الحال الى البرلس هوهنلو سفير ألمانيا في فرنسا وأخبرته بعزمي على السفر الى برلين لأوافي جريدة «التيمس» بأخبار المؤتمر وسألته :

« هل أجد هناك ما يعترضني في مهمتي ويحول دون تمكني من أداء واجبي ؟ »

فصمت قليلا ثم قال :

« دعني أدرس الامر وتعال اليّ بعد ثلاثة أيام »

« فأدركت أنه يريد مخابرة حكومته والعمل حسب تعليماتها فزرته بعد ثلاثة أيام ،فقال لا مانع من سفرك وبعد يومين جاءني الشاب المذكور فناولته كتابا وقلت له :

« هذا كتاب لسكرتير أحد الوزراء الذين سيحضرون مؤتمر برلين فاذهب اليه واخدمه بدون أجر وأنا أدفع لك كل مصاريفك وما تحتاج اليه من النقود ولا أطلب منك مقابل ذلك أن تفشي لي سراً ولا أن تخبرني بامر منعت عن اذاعته وجل ما أطلبه منك هو أن تخبرني عما تم من الاعمال في المؤتمر لاطلع على الاخبار التي يريد الاستعلام عنها من غيرك فاذا وافق المؤتمر على مادة من المواد فاطلب منك أن تطلعني عليها

« فاخذ الشاب الكتاب وسافر الى برلين بعد أربعة أيام

« وأجل المؤتمر من يوم الى يوم ومن شهر الى شهر الى أن ضرب له موعداً يوم ١٣ يونيو فسافرت الى برلين يوم ١١ فعمي [illegible] من سكرتير [illegible] من المفوضين بألا يطلعوا مكاتبي الصحف على شيء من أعمال المؤتمر حرصاً على مصلحة المفاوضة ، في أثناء رأيت الشاب المشار اليه آنفاً وكان قد دخل في خدمة أحد المفاوضين فلما اجتمعت به أطلعني على أمور يسيرة ولكنها ساعدتني على كل حال على أن أكتب الى التيمس كتابة عارف عما يحدث في المؤتمر غير أني رأيت أنه لا يمكنني الاجتماع به مرة أخرى لئلا نحوم حولنا الشبهات وتفسد خطتنا فاتفقنا على أن أترك مركبتي كل يوم في مكان معلوم في ساعة معلومة فيمر بها ويرمي فيها ورقة يكتب فيها ما تيسر له الاطلاع عليه من الاخبار ثم ودعني وانصرف ولكنه ما لبث أن عاد بعد لحظة يعتذر الي لانه أخذ قبعتي بدل قبعته فقلت له :

« قف فقد خطرت لي الآن حيلة أمن من الاولى فتعال كل يوم هذا الفندق وضع الورقة التي تعدها لي في داخل بطانة قبعتك وعند ما تخرج خذ قبعتي بدل قبعتك وهكذا الى ان تنتهي اعمال المؤتمر كلها واياك ان تكلمني كلة واحدة من الآن فصاعداً

« وظل صاحبي يوافيني بمعلوماته على هذا المنوال حتى اليوم الثالث من شهر يوليو وكنت استعين بما يكتبه اليّ على استطلاع الاخبار من الوزراء والسفراء . ومن ذلك انه ألقى مرة

ان البرنس كرتشاكوف خطب في المؤتمر وانه قال في آخر خطبته ان روسيا تهنئ باكليل النصر أكثر مما تهنئ باكليل السلم فذهبت الى أحد الوزراء وكان من المعجبين بكرتشاكوف وقلت له انه يلوح لي ان فريقاً من اعضاء المؤتمر يميل بخطبة كرتشاكوف فقال لي انهم يسلكون هذا المسلك عن سوء نية « فعسى ألا تكتب الى التيمس بذلك فان الخطبة كانت شائقة رائقة ولو تضمنت شيئاً من الفخر » ثم جعل يتلو علي بعض عبارتها وودعته وانصرفت الى زيارة عضوين آخرين من اعضاء المؤتمر وناقشتهما في خطبة كرتشاكوف مناقشة المطلع عليها فزادني الماماً بها وما كاد ينتصف الليل حتى ارسلت الخطبة كلها الى التيمس بالتلغراف، وفي مساء اليوم التالي قابلت اللورد سلسبري فقال لي انك لم تترك يا مسيو دي بلوفتز من الخطبة الا الاشارات وبعني بعد ذلك ان بمارك استاء من نشر الخطبة ولما انعقد المؤتمر قبل ظهر الغد رفع غطاء المائدة التي جلس اليها المفوضون ونظر تحتها وهو يقول ربما كان دي بلوفتز هنا

« قلت ان أخبار صديقي الشاب لم تدم الا الى اليوم الثالث من شهر يوليو وكنت قد قابلت البرنس هوهنلو وسألته هل تسمح لي بمبارك بمقابلته » . وهنا سرد دي بلوفتز كيف ان الوزير الالماني رفض مقابلته في اول الامر ثم اضطر الى مقابلة سائر الصحافيين ثم عاد فقابله ودعاه الى الغداء

قال دي بلوفتز « ولما شاع خبر اكرام بمبارك لي أخذ المتودسون والسفراء يخطبون ودي ولا يكتمون عني امراً يمكن داعيه ومن حسن حظي ان ذلك حدث في الوقت الذي انقطع فيه صديقي الشاب عن ابلاغي اخبار المؤتمر

« وبينما كنت جالساً في غرفتي في « بوليو أقرأ كتاباً تلقيته من التيمس وافكر في عبارة وردت فيه وهي « جدا لو امكنك ان تنشر معاهدة برلين قبل غيرك » دخل علي احد الساسة فرآني كاشف بين مقطب الحاجبين والكتاب في يدي فقال : « ما وراءك يا مسيو دي بلوفتز » فلم اجبه بكلمة ودفعت اليه الكتاب فقرأه ولما آن على آخره سألني قائلاً : « وهل للنشر المعاهدة قبل غيرك مثل هذا الاعتبار في نظرك » فاجبته : « اذا وضعت كل نياشين الدنيا في جهة والمعاهدة في جهة اخرى وطلب الي ان اختار بين الاثنين فانني افضل المعاهدة على النياشين » فقال : « وكيف يمكنك الحصول عليها ؟ » فقلت : « يلمني ان بمبارك سر مما كتبته عنه التيمس اخيراً فلا احاله يضن علي بالمعاهدة اذا طلبتها منه » فقال : « لا تطلبها منه بل جئني غداً فواقيته في الغد فقال : « ساعطيك صورة المعاهدة قبل انفضاض المؤتمر بيوم »

« فقلت في نفسي ان اليوم الثالث عشر قد عين لانفضاض المؤتمر وهو يوم سبت ولما كنت سآخذ المعاهدة يوم الجمعة فيجب ان تنشر في التيمس يوم السبت والا تأخرت الى الاثنين

وسبقتنا جرائد برلين فكان لا بد من ارسالها الى لندن بالتلغراف وكان ذلك غير ممكن لي في الغاية ولا في لحمسا وخشيت اذا ذهبت الى باريس ان فوت الوقت فعزمت على ارسالها من بروكسل عاصمة البلجيك فزرت سفير البلجيك البارون نوتومب ورجوت منه ان يعطيني كتاباً الى مدير التلغراف في بروكسل ليسمح لي بارسال رسالة تلغرافية ليلا مهما كانت طويلة فاجابني الى طلبي ثم زرت البرنس هوهنلو والكونت دي سان قاليه سفير فرنسا في برلين وطلبت منهما ان يطلبا من بسمارك ان يعطيني المعاهدة ولا يعطيها لاحد غيري قبل يوم الاثنين

« وفي الصباح زرت صديقي الذي وعدني بان يعطيني المعاهدة فاعطاني اياها ماعدا المادتين الاخيرتين والمقدمة ثم قصدت الى البرنس هوهنلو لاعرف الجواب فكان سلباً فتظاهرت بالغيظ وعزمت على السفر في الحال وقطعت تذكرة للقطار بعد الظهر وكانت الساعة العاشرة صباحاً فسألني احد زملائي عن سبب سفري فجبته ان البرنس يسمارك أبى ان يعطيني صورة المعاهدة فما لبث الخبر ان انتشر بين مكاتبي الصحف

« ثم زرت الكونت دي قاليه سفير فرنسا وكان صديقي [illegible] في المؤتمر لاودعه فحاول ان يثنيني عن السفر ولما رآني مصراً على رأيي قال لي : « ماذا تريد ان افعل لك؟ » فقلت له « امراً مهماً وهو ان تعطيني مقدمة هذه المعاهدة » فقال : « اذا وعدتني بكتم سري فوق حاجتك بالمقدمة واعطيك صورة المعاهدة فدهش وقال : « اما المقدمة فلا يمكني ان اعطيك اياها ولا يمكني ان ادعك تنقلها ولكن يمكنني ان اقرأها لك فاحفظها في حفظها » ثم اخذ يقرأ كلمة كلمة الى ان أتى على آخرها فودعته وتوجهت الى المحطة وكان كثيرون بانتظاري ليودعوني فتظاهرت بالكدر الشديد فكلما يطلبوا الكلام قالوا المقدمة وكنت قد استأجرت صالوناً خاصاً لي وكان معي سكرتيري وصديقي المستر ويلس فلما تحرك القطار دعوت سكرتيري واملیت عليه المقدمة كلمة كلمة من ذاكرتي فكتبها ثم اخرجت المعاهدة من جيبي وخطتها والمقدمة في حقيبة المستر ويلس وناولته كتاب سفير البلجيك وطلبت منه ان ينتقل الى مركبة اخرى ويذهب الى بروكسل ويرسل المعاهدة بالتلغراف الى لندن وقد فعلت ذلك لاني علمت ان في القطار جواسيس يراقبون حركاتي وسكناتي

« وفي اليوم الثالث عشر من شهر يوليو سنة ١٨٧٩ جاء لي برلين تلغراف من لندن فحواه ان التيمس نشرت المعاهدة بمقدمتها ! ! »

الحيوانات التي تتخذها الدول شعاراً

نظرة اجمالية في تاريخ استعمالها

جرت عادة الدول منذ أقدم الازمنة أن تختار لنفسها بعض الحيوانات شعاراً لها ترمز الى قوتها وجبروتها والى الصفات المتوافرة لشعبها . فهناك الاسد والنمر والدب والذئب والفيل والجمل والثور وما الى ذلك من الانواع التي يكاد يتألف من مجموعها حديقة حيوانات كاملة . وفي هذه المقالة بيان موجز لتلك الحيوانات وتاريخ اختيارها

منذ عهد قريب كانت إحدى الحوقات التمثيلية في برلين تمثل رواية عنوانها « نسر التيرول الاحمر » وكان في هذه الرواية تعريض ظاهر بالحكومة الايطالية وبالنظام الفاشيستي . فلما اقتص حرها بالسنيور موسوليني طلب من الحكومة الالمانية وقف تمثيلها . فما كان من هذه إلا أن أجابته إلى طلبه وأمرت بوقف التمثيل

وفي نحو ذلك الوقت عمد هجم جماعة من الفاشيست في مدينة فيومي الايطالية (وقد كانت من مدن النمسا قبل الحرب) على برج بمدينة وكان في قمته شعار أسرة هابسبرج وهو نسر ذو رأسين . فحطموا أحد الرأسين وأبقوا على الرأس الآخر فأصبح النسر ذا شعار الامبراطورية الرومانية القديمة وهو الشعار الذي يباهي به روما الفاشيستية

وعند الاميركيين كلام يجري مجرى المثل وهو قولهم « بوى بيل الأسد » ومعناه أرغم عدوه . والاشارة هنا إلى الاسد البريطاني الذي هو شعار انجلترا . وقد انتصرت أميركا عليها في حرب الاستقلال

وقد جرت عادة الكتاب ورجال السياسة أن يرمزوا إلى الدول عند الاشارة اليها بذكر الحيوانات التي هي أشعارها (جمع شعار) فيقولون الأسد البريطاني والدب الروسي والنسر الاميركي وهلم جراً بحيث إنك لو جمعت تلك الحيوانات لكان لك منها حديقة حيوانات كاملة

ولعل أقدم تلك الحيوانات كلها الاقحى (الصلّ) وقد كانت شعاراً لملوك مصر الاقدمين . فكان صولجان الملك عادة عبارة عن أفعى ملتفة حول عصاً قصيرة . وفي التقاليد أن كليوباطرة ملكة مصر انتحرت باطلاق أفعى سامة على نفسها

ولعل الاسد البريطاني هو أشهر الحيوانات التي تستعمل أشعرة للدول . قيل إن أول من أدخل هذا الشعار إلى انجلترا هو وليم الفاتح جاء به منقوشاً على ترسه في سنة ١٠٦٦ للميلاد . وكان على الترس أيضاً صورة ثلاثة فهود أبدلت بمرور الزمن بأسود . على أن المصورين الهرليين الاميركيين (الكرتونيست) ابدلوا هذه الاسود في أوائل عهد الجمهورية الاميركية بالكلب المعروف باسم « بول دوج » ثم أبدل « البول دوج » بمرور الزمن برجل ضخم الجثة دعي « جون بول » ولا يزال رمزاً إلى الشعب الانجليزي إلى هذا اليوم

وكان للانجليز الكسون قبل دخول وليم الفاتح شعار آخر هو « الحصان الابيض » وهو أيضاً شعار شركة من شركات الويسكي في انجلترا إلى اليوم . وفي الواقع أن « الحصان الابيض » لا يزال شعار هانوفر في الشمال الغربي من جمهورية المانيا حتى الآن . وكانت قبائل التوتون قديماً تعتقد الخيل وتأكل لحومها لاعتقادها أن صفاتها تحل في أجسام آكليها

والنسر شعار مشترك تستعمله عدة دول شعاراً لها وفي مقدمتها المانيا والولايات المتحدة وبوجوسلافيا ونسر هذه الدول هو خليفة النسر الروماني القديم . وكانت روسيا والمجر أيضاً قد اتخذتاه شعاراً لهما ولكنهما جعلتا له رأسين بدلا من رأس واحد . وكان شعار فرنسا في زمن نوليون أيضاً نسراً ذهبي اللون . ولا شك أن سبب اختيار جميع هذه الدول للنسر هو لانه أشد طيور الجو وأرفعها طيراناً وأقواها جناحاً تحمله كل الجوارح وليس في ساح الطير أكبر جثة منه

أما قبل زمن الامبراطورية فقد كان شعار رومانية . ولهذه الدثية قصة معروفة سلامتها انها التقطت ذات يوم طفلين أخوين يدعى أحدهما روموس والآخر روملس وأرضعتهما واعتنت بهما إلى أن كبرا وترعرعا ثم تخاصما فقتل أحدهما الآخر وبنى مدينة روما التي لا تزال قائمة حتى الآن . ولهذا اتخذ الرومانيون صورة الدثية شعاراً لهم إلى أن حلت الامبراطورية فاستبدلته بصورة النسر

ولما انشطرت الامبراطورية إلى شرقية وغربية أصبح للنسر الروماني رأسان ينظر أحدهما إلى روما بالغرب والآخر إلى القسطنطينية بالشرق

النسر النمسوي عن رسم نشرته مجلة « بنش Punch » سنة ١٩١٩ تمثل النسر ذا الرأسين وأحد رأسيه قد تطلع الى روميا لا سيما ايطاليا

واتخذت الدولة الجرمانية نسر رومانية إلى حين قيام الامبراطورية الرومانية المقدسة (التي لم تكن رومانية ولا مقدسة) وحملت لون النسر أسود فاحماً . فلما قامت المجر على أنقاضها استبدلت النسر ذا الرأس الواحد بالنسر ذي الرأسين . وجاء الروس في عهد القيصرة فاعتمدوا هم أيضاً شعار النسر ذي الرأسين لانهم اعتبروا أنفسهم ورثة الامبراطورية الشرقية . ولا تزال يوجوسلافيا تستعمل ذلك الشعار حتى هذا اليوم لهذا السبب عينه

ولما نودي بالنمسا جمهورية في سنة ١٩١٨ أي على أثر الحرب العظمى الماضية طرأ على النسر النمسوي تغيير عظيم فأزيل التاج الامبراطوري عن رأسه وعلق إلى ساقيه منحل ومطرقة (وهما شعار اللاشغلة إذ يرمزان إلى الفلاحة والعمل) . وأصيب النسر الالماني بما يشبه ذلك فأزيل التاج عن رأسه ولكن ظلت ساقاه مطلقتين إذ كان القوم يغيرون من كل ما يذكرهم بالبلشفية

وانتقل النسر إلى العالم الجديد على أثر الحرب التي نالت بها الولايات المتحدة استقلالها . فأخذ الاميركيون يقلدون الاوربيين في كل شيء — في علومهم وشرائعهم وعاداتهم وآدابهم . ولم يكن لهم

بد من اتخاذ شعار رسمي لدولتهم فلم يجدوا خيراً من النسر الروماني إلا أنهم أعطوه صبغة أميركية ونزعوا عنه شعر رأسه

النسر الاميركي

وفي هذه الايام رأى الفاشيست الايطاليون أن يجددوا الشعار الروماني القديم لانهم يعتبرون أنفسهم ورثة الامبراطورية الرومانية . فأحيوا النسر ونقشوه على كل شيء — حتى على طوابع بريدهم وسمات حنودهم وضباطهم

وتحدث بولونيا أيضاً النسر شعاراً لها إلا أنها خالفت غيرها من الدول بأن اختارت لنسرها اللون الابيض . على أن المؤرخين يعتقدون ان هذا النسر شعار بولوني قديم كان ينقش على الدروع والتروس ولا علاقة له بالنسر الروماني

وللكسيك أيضاً شعار هو النسر وشعاره أنه قد حط ورفرف في الجو . والمعروف انه ليس لهذا الشعار أية علاقة بالنسر الروماني وانه يشير إلى أسطورة قديمة لدى الهنود الارتيك »

* * *

وكان الدب يرمز به في روسيا منذ القرن السادس عشر إلى صفات الدب من حيث بطء خطواته وثباتها ومن حيث عدم شراسته تنطبق على صفات الشعب الروسي عامة — ليس في عهد القياصرة فقط بل في عهد البلاشفة أيضاً — وكان هذا الدب شعاراً لمدينة برن (عاصمة سويسرا) أيضاً حتى أن كلمة « برن » تعني الدب

وكان النسر شعاراً لفرنسا في عهد الامبراطورية كما كانت النحلة أيضاً شعاراً لها وقتاً ما . أما الشعار الوطني الحقيقي لفرنسان الديك (أو الشانتكلير) وهو رمز يقظة الخلق وحب الانتقام والفخر والمباهاة

اما اللحيك وتشيكوسلوفاكيا فشعارهما الاسد . وكذلك كان هذا الحيوان شعاراً لدولة البندقية قديماً . ولا يزال منقوشاً على فنها (كاتدرائية القديس مرقس) وهو آية من آيات الفن

وكذلك كان الاسد شعاراً لاسبانيا وباطريا ولوسرن (بسويسرا) اما الاسد البافاري فيمثلونه شاراً حصة (بيرة) وهي مشروب القوم الوطني . ويرجع أسد لوسرن إلى الزمن الذي قام فيه بعض الحرس السويسري بالدفاع عن أحد ملوك فرنسا وكانت رعيته قد ثارت عليه

* * *

والفيل أيضاً نصيب من أشهرة الدول فهو شعار الدنمارك وسيام والهند . وفي الدنمارك وسام رفيع الشأن يعرف بوسام الفيل ويرجع تاريخه إلى العصور الوسطى . أما في سيام فالفيل الابيض هو من الحيوانات المقدسة والناس يحترمونه ويقدمون له جميع ضروب العبادة والاحترام . فهو من هذا الوجه كالحصان الأبيض عند الشعوب الأنجلوسكسونية

أما الفيل الهندي فليس شعاراً رسمياً وإنما هو رمز هزلي (كاريكاتوري) يستعمله المصورون والكتاب الهزليون

وكان التنين (الدراجون) شعار الصين الرسمي قبل ثورتها في سنة ١٩١١ . وهذا الشعار يظهر في جميع الآثار الصينية الصينية والصينيون يحترمونه احتراماً عظيماً

أما بريطانيا العظمى فلا يزال شعارها الأسد ووحيد القرن معاً إلى هذا اليوم . وعند الانجليز أغنية ينشدونها لاطفالهم عند النوم ومطلعها : « الأسد ووحيد القرن يقتتلان من أجل العرش »

ويقال إن هذه الاشودة إشارة إلى الحروب السياسية التي نشبت قديماً بين الانجليز والاسكتلنديين أما أهالي ويلز فكان لهم شعار آخر هو حيوان خرافي له رأس نمر وجسم أسد

* * *

وجرت عادة بعض المصورين الهزليين أن يرمزوا إلى الدولة العثمانية ساخرين بصورة « ديك رومي » . وفي هذا الرمز توريه لطيفة هي كلمة « تركي » باللغة الانجليزية تعني الديك الرومي

ومن هذا القبيل الرمز إلى دولة النمسا بصورة قط . وفي هذه الصورة أيضاً توريه لطيفة فان كلمة « شاه » باللغة الفرنسية تعني قط وهي في الوقت عينه اسم ملك الفرس

وجرت عادة المصورين الهزليين أيضاً أن يرمزوا إلى مصر بصورة تمساح رابض على شاطىء النيل ، وأن يرمزوا إلى بلغاريا بصورة حمار وكان المصورون الالمان في أثناء الحرب العظمى يرمزون إلى ايطاليا بصورة ثعلب

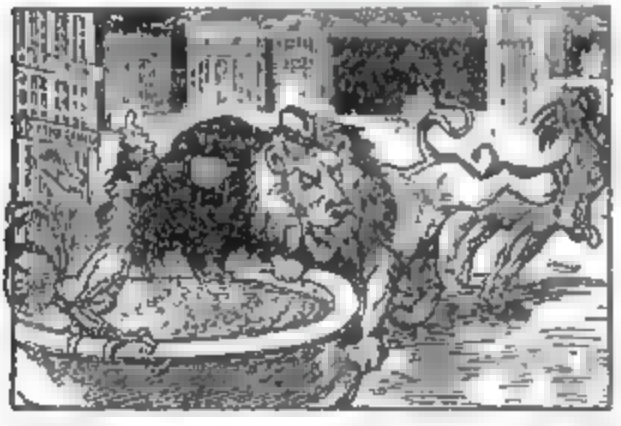

الحلفاء سنة ١٩١٦ : الديك الفرنسي والدب الروسي والاسد الانجليزي والثعلب الايطالي يعبرون الذهب الاميركي على رسم نشرته جريدة « لسنج بليتر » الالمانية

* * *

ولكل من كندا وأوستراليا وجنوبي أفريقية وجبها ضمن الامبراطورية البريطانية — حيوان خاص يرمز اليها . فكندا السمور ويعرف عند البعض بكلب الماء (وهو غير كلب البحر المعروف بشراسته) ولاستراليا الكنغارو وهو حيوان قصير القدمتين طويل المؤخرتين لا يوجد إلا في تلك البلاد . ولافريقية الجنوبية نمر الوحش أو الوعل

(ويعرف أيضاً بحمار الوحش أو البحمور أو النيتل أو الأيتل)

والجمهورية بيرو بأميركا الجنوبية شعارها هو اللاما . ويكاد هذا الحيوان يكون مختصاً بتلك البلاد وحدها

* * *

وهنالك حيوانات أخرى لا ترمز إلى بلاد معينة ولكنها شعار بعض الأحزاب السياسية. وأكثر ما توجد في أميركا حيث يرمزون الى الحزب الجمهوري بفيل يختلف قليلاً عن الفيل الذي هو شعار الدولة. ويرمزون الى الحزب الديمقراطي بصورة حمار . وإلى الذين يحافظون على الآراء القديمة بصورة فيل. وإلى الحزب القائل بتحريم المشروبات الروحية بصورة جمل . وإلى حزب « تاماني هول » بصورة نمر

فترى مما تقدم أن معظم دول العالم قد اتخذت لاحبها رموزاً من الحيوانات وليست هذه العادة حديثة العهد بل هي ترجع إلى أقدم الأزمنة فقد بدأت عند المصريين الذين كانت الأفعى شعارهم كما سبق القول . وقيل سبقهم الاشوريون إلى ذلك وكان شعارهم الأسد .

فترى مما تقدم أن الحيوانات التي اتخذتها الدول شعاراً لها كثيرة متنوعة . وقد توخت في اختيارها إياها الاعتبارات الآتية :

(١) أن يكون لذلك الحيوان صفات ممتازة يتوافر مثلها في الأمة

(٢) أن يكون ذلك الحيوان خاصاً بالبلاد أو موجوداً فيها بكثرة

(٣) أن يضاف إلى صورة الحيوان رمز أو رموز تشعر عن الدولة أو تشير اليها

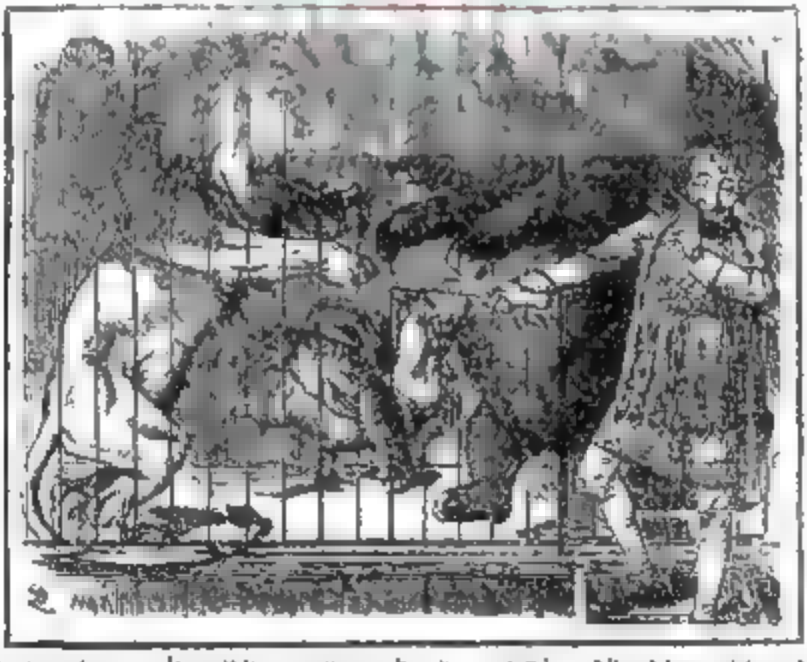

حديقة حيوانات دولية : الأسد الانجليزي والدب الروسي والنسر الالماني والديك السوي والديك الفرنسي والديك التركي بجنسيه بمناسبة مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ والذي وقف فوزراتيلي موقف المروض

آفة التناسل: الاغراق فيه

بحث اجتماعي اقتصادي صحي

بقلم الاستاذ أمير بقطر

تسير التطورات العلمية والعمرانية والاجتماعية حبثاً الى حب . ورعا كانت هذه الثمار من ثمرات القرن العشرين التي جعلت العلم خادم العمران ، في حين ان الاجيال الغابرة كانت تجعل الاجتماع في واد ، والعلم في واد . وهناك طائفة من الفضائل والآراء الاجتماعية ، التي بحثت فيها الايام حيوطاً من النسيان. وهناك طائفة نزلزلت أركانها ، وتزحزحت دعائمها ، ودارت دورتها كاملة فأمسى نهارها ليلا ، وليلها نهاراً . فأذا ما تعرضنا لبحث موضوعنا اليوم ، فأنه يرد صدى مشكل اجتماعي ، كثر فيه القيل والقال ، وابرى العلماء والمشترعون لمعالجته نظرياً وعملياً. ومن الخطأ أن يترك قراء اللغة العربية ، من الذين لا يجيدون اللغات الغربية ، غرباء عن المباحث الاجتماعية التي تشغل العقل الاوربي. وارد نحسنا بأيدينا هذه الدعية ، فأنما نلتمس الحقائق، كما يقول فكتور هوجو في دياجير أغوار الفكر ، كما يلتمس الناس من ضوء الشمس سواد الليل من يوم وليل

وقبل أن أخوض في حديث يجر الى موضوع ، أريد أن أستدرج القارىء بالتنويه الى اختلاف الآراء في تعريف الفضائل في نظر المجتمع ، باختلاف العصور . فالمرأة في رومة العظمة كانت تفتخر مولودها أحياناً للذات وأشرف اجتماعه ، وكانت تعد ذلك فضيلة على الفضيلة اذا ما خالفت هذه العادة . وكان أهل اسبرطه يعرضون أطفالهم لصوت متى كانوا ضعفاء سقمة ، وكانوا يرمون بالجهل والزوى عن الفضيلة اذا ما خالفوا هذه العادة . وذلك لان كثرة الاطفال وسرعة نموهم بين سكان الحرر ، لم يكن من صميم تفضيله في شيء . ولم يكن من صالح اسبرطه تلك الامة الحربية، بنزعة نفوسها ، أن يعيش فيها ضعفاء عالة على غيرهم لا يصلحون للحرب والقتال

كذلك العرب في الجاهلية كانوا يئدون بناتهم . والهنود الى يومنا هذا في بعض أرجائها النرامية يدفنون الزوجة حية مع روجها المتوفى ، أو يحرقونها معه ، حتى تحتط رفاتها رفاته

ولما انتشرت الحضارة في عصري الاغريق والرومان حرم قتل الاطفال واستبيح عند الاجهاض، وقد استقبله الناس بالاستحسان . غير ان ظهر المسيحية لم يكد يبتق حتى تعلص ظل هذه العادة وعوقب مرتكبوها بكبائر أثمة ، وآمن الشر ، بخلاص النفوس ، وحق كل نفس في هذا الخلاص ، وذكروا ما جاء في التوراة : « انموا واكثروا ... » ولا يزال الاجهاض معروفاً رغم تحريم الشرائع والقوانين . ويوجد في العالم كله فئة من الاطباء الدجالين الذين خصصوا دواتهم لهذه المهنة المرذولة التي تعرض النساء لخطر الموت

غير أن الكثيرين من علماء الاجتماع والاقتصاد في الغرب أخذوا يجدون استعمال الطرق العلمية في تحديد النسل ومنع الحمل لاسباب صحية واقتصادية واجتماعية . وطفقا يدعون العقوبات الامبركي

يحرم بيع أو حمل المواد أو الاشياء التي تساعد على تحديد النسل . وقد وضع هذا التشريع سنة ١٨٧٣ ولكن العمل به قد أصبح في حركان . ولعل السبب في ذلك ظهور قوانين ولوائح أخرى تناقض التشريع السالف ، كالقوانين التي سنتها كليفوريا وغيرها من الولايات التي تقضي بوجوب تعقيم المجانين والمتوهين ، ومنعهم من الزواج والتناسل ، حتى لا ينتقل جنونهم أو عتههم أو بزعتهم الاجرامية أو ميلهم الى ادمان المخدرات الى أعقابهم من بعدهم بطريق الارث الاحاري . وقد أجريت حديثاً عملية التعقيم هذه الى أربعة آلاف نفس . ويجد الاهلون هذه القوانين الاجتماعية النافعة بالرغم مما يعتقده البعض في صحتها

والعجيب ان أول من ابتدع نظرية تحديد النسل احد رجال الدين من علماء الاقتصاد ، وأول من قاومها بعض رجال الدين ايضاً . ولما كانت مسألة تحديد النسل شديدة الاتصال بمسألة السكان ، فان درسها من ألد الدروس الاجتماعية في عصرنا الحاضر . فنرجع الى سنة ١٧٩٨ حينما قام الكاهن الانجليزي والعالم الاقتصادي الشهير « مالثوس » ونشر رسالته الخطيرة « نظرية السكان » وملخصها ان سنن شقاء الجنس البشري وذلته ، ازدياد عدد السكان فوق مصادر الثروة العالمية ، وان هذه المصادر تزداد بطريقة المتواليات الحسابية (أي ٢ / ٣ / ٤ / ٥ ...) في حين ان عدد السكان يزداد بطريقة المتواليات الهندسية (٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ ...) . وأبان ان هذه الحالة لا علاج لها الا الامتناع عن التسل ، أو الاجهاض ، أو الامراض و فتكات والأوبئة والحروب

ولم تثبت نظرية مالثوس هذه ومنها أن ظهور الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر وتضاعف الثروة فوق ما كان يحلم به ذلك الكاهن العالم شهر فساد فكرته . غير أن روح هذه النظرية لا تزال باقية ولم يحل الناس بها حل مشكل ، انهم الا عن طريق تحديد النسل وأنصاره النصيين الذين ينادون بوجوب اعداد أكبر كمية من الخير الى أكبر عدد من الناس

ولا شك في ان الطبيعة وضعت في الانسان والحيوان من قوة التناسل ما يزيد عن حاجته . والانسان في عصر الحضارة اليوم تزيد قوة انتاجه عما كان عليه اجداده في عصر الفطرة . ذلك لأن الانسان في العصور الغابرة كان منهمكا في حروبه ومهاجمة أعدائه ، كسكان القبائل الاخرى ، والوحوش البشرية المفترسة . بعكس الانسان (الرجل والمرأة) المتمدين اليوم ، الذي لديه من أوقات الفراغ ما يساعده على تنمية قوته التناسلية ، والتفكير في الامور الجنسية ، بعكس رجل الفطرة الذي كان يجد العيش صعباً ومكافحة الطبيعة عملا شاقاً ويقول هيلوك أليس : « ان الفرق بين الانسان والحيوان في هذه النظرية واضح ، فان الحيوانات المفترسة منهمكة في البحث عن قوتها والدفاع عن حياتها ، وليس لها من الوقت متسع للاستسلام لغرائزها الجنسية »

وينظر المفكرون بعين القلق الى الزيادة المطردة في سكان العالم . ففي أوائل القرن التاسع عشر بلغ العدد ٨٥٠ مليوناً . غير ان الثورة الصناعية وازدياد الرفاهية واتساع أبواب الرزق وتقدم الجراحة والطب وعوامل الرحمة والانسانية قد ضاعفت هذا العدد . ففي كل يوم يموت مائة الف ويولد ١٥٠ الفاً . وفي مدينة نيويورك وحدها يعقد زواج في كل ١٣ دقيقة ويولد طفل في كل أربع دقائق ، وبهذا يتضاعف سكان العالم كل ستين عاماً . وقد مهدت هذه الزيادة السبيل الى

الحرب العظمى بلا شك ، فقد صرح الماني سنة ١٩٠١ ان الالمان يزيدون كل عام ٨٠٠ الف ، وان هؤلاء يحتاجون مكاناً وغذاء ، فلبحث عنهما خارج حدود بلادنا . وقال آخر : « ان الضرورة أحكاماً وان الحاجة لا ترعى حرمة ولا تعرف قانوناً » ، فأصبحت مثلا . ويقول موسوليني ان سكان ايطاليا يزيدون نصف مليون كل عام وان عدد العاطلين يقرب من هذا العدد ، ومع ذلك فالدكتاتور يحرم تحديد النسل ويحرص حرصاً على العراب . ويخاف نحو السلام انه سيضطر قريباً الى اتباع « الضرورة لا تحترم قوانين ولا ترعى شرائع » فيحوص العالم غمار حرب شعواء

وهذه اليابان يزداد سكانها نصف مليون نفس سنوياً ، ولا معدل لها للمهاجرة ، بعد أن أوصدت أميركا واستراليا أبوابهما في وجه السلالات الصفراء . أما في الهند والصين فقد طفت الشكوى عنان السماء ، فلدخال الوسائل الصحية وتحريم قتل الأطفال رفع عدد السكان فوق ثروة البلاد . ومع زيادة السكان في انجلترا وكثرة العاطلين ، فان العمال لا يحبون المهاجرة لأن أهل المستعمرات البريطانية لا يرحبون بهم . وفرنسا الوحيدة بين الامم التي لا تعاني هذا المشكل ، ففي الجيل التاسع عشر ، بينما كانت كل الممالك تلد ولادات قوية في هذا العصر ، كانت فرنسا تمارس مسألة تحديد النسل بكثرة هائلة ، وبينما كان كل الف نفس من الالمان يصحون ١٠١٤ بعد سنة واحدة ، كان كل الف فرنسي يصحون ٩٩٩ وصفاً . غير أن زيادة المواليد ارتفعت أخيراً في فرنسا ، ولكن نسبة الوفيات ارتفعت أيضاً ، فأصبحت الزيادة الصافية في الألف ٦٫٣ في مقابل ٦٫١ في انجلترا واضطرت فرنسا أخيراً أن تمنع تحديد النسل ، ويقول بعض العلماء انه كان الأحدر بها أن تلجأ الى تحسين الوسائل الصحية

ومن الغريب جداً أن يكون تحديد النسل [illegible] الى زيادة عدد السكان كما حدث في هولندا التي عرف فيها هذا الأمر منذ خمسين عاماً . وهناك جمعية تدعى (Neo-Malthusian Baned) نسبة الى مالتوس . ويعتمد هذه الجمعية وأطباء و حكومة والعلماء ، وغرضها مساعدة النساء على ضبط المواليد . ونظراً لانتشار الوسائل الصحية ، وعدم وفاة الاطفال بنسبة كبيرة ، أصبحت الزيادة هناك ١٤٫٤ في الألف . ويعاجر الهولنديون بأن تحديد النسل ساعد على تقوية بنيهم وبناتهم ، والمحافظة على صحة الأمهات ، ومراعاة حالة الأسرة الاقتصادية

وتدل الاحصاءات في أميركا ان عدد السكان قد ارتفع من ٧٥ مليوناً سنة ١٩٠٠ الى ٦٢٠ مليوناً تقريباً سنة ١٩٢٨ ، نظراً لانتشار الوسائل الصحية وتدفق سيل المهاجرين . وقد وجد أيضاً ان الأسر التي لا يتجاوز عدد الأطفال فيها أربعة ، تستطيع أن تعلم أولادها الى النهاية بعكس الأسر الأخرى التي تعجز عن الانفاق على جيش من البنين والبنات ، فيضطر الصغار على العمل وكسب الرزق بعد العودة من المدرسة يومياً ، وفي هذا اضعاف لقوام . وكثير من المصالح الاميركية تزيد رواتب موظفيها كلما رزق الموظف مولوداً ، بشرط ألا يزيد العدد عن أربعة ، وفي هذا تشجيع لنظرية تحديد النسل ، وقال عالم من علماء القانون الجنائي راقب عالم الأحداث سنوات عديدة : « ان معظم الجناة الصغار من أسر يكثر فيها عدد المواليد » . وتتفق ولايات أميركا المتحدة ملايين الجنيهات على هؤلاء الأحداث ، وهذا ما حدا بولاية بنسلفانيا أن تسن قوانين لتعقيم

المعرمين ، معتادي الاجرام ، وضعاف العقول وغيرهم ممن تُشرد اليوم ، حتى لا يولد لهم أطفال عالة على الانسانية . وقد طبق عدد الولايات التي سنت قوانين التعقيم التي تسري على هؤلاء ، وعلى المصابين بأمراض ناسليه ٢٣ ولايه . ويقول العلماء هناك ان كل هذه الجهود عاقمة حتماً ، اذا لم تعم نظرية تحديد النسل ويتفهمها الجمهور

وقد دلت احصائية واسعة النطاق سنة ١٩٢٦ ان أقل من ٥٠ ٪ من الأمهات التي ورزقن سبعة أطفال لم يمت لهن أحد ، غير أن هذه النسبة كانت ٧٠ ٪ لمن لهن أربعة أطفال ، و٨٠ ٪ لمن لهن ثلاثة ، و ٨٩ ٪ لمن لهن طفلان . وقد فحص أحد أساتذة الطب في جامعة هرفرد ١٦٠٠ طفل أجنبي في شيكاغو ، فوجد ان في الأسر التي يبلغ أطفالها سبعة ، تكون الوفيات فيها ٢٦٧ في الألف ، والتي يبلغ أطفالها أربعة ، تكون وفياتها بنسبة ١١٨ في الألف

ومن الغريب ان أكثر الناس انتاجاً الفقراء ، والعبيد في أميركا أكثر انتاجاً من البيض ، والظاهر ان الذرية كاليكروب يتوالد بكثرة في الأوساط القذرة . ولعل المثل المصري العامي أكثر دلالة على هذه الفكرة من غيره ، إذ يقول : « كل طفل الفقير من ربه قرشاً ، ورزق طفلا ، وكل طفل الغني طفلا ، أحم الله عليه عدداً من الأرض »

انظر الى أطفالنا في مدارس البيروالات ، وحالتهم الاقتصادية أقل بكثير من أولئك الذين لم يسعدهم الحظ ، لدخول معاهد العلم ، ألا تجد معظمهم يعاني الاحمرار ، مصابين بالهزال وفقر الدم وقلة الغذاء مكتئبين من ملابس [illegible] ، ويقول العلماء من المصريين « ان الله يخلق لكل مولود رزقه قبل أن يولد » فعسى أن يكون لهذا الكلام ما يؤيده الواقع ولا يقره العلم . واذا جادلت هؤلاء ذاكرا لهم مثلا أو أمثلة عدة على الأنانية أو ضربوا لك مثالا بحارم فلان . وقد سمي هؤلاء [illegible] لا يقوم على واقعة أو حادثة أو نوع وتقع بل على احصاء عام

وكان أول من أثار مسألة تحديد النسل رجال الدين فان أكثر محاربيها اليوم بعض رجال الدين أيضاً ، غير ان عدداً كبيراً من هؤلاء يعظ اليوم في الكنائس داعياً الناس الى تصيد الفكرة خدمة للانسانية . وصرح قس أميركي أخيراً ان محاولة إصلاح الأسر الفقيرة من المحال ، ومثلها مثل زرع المحيط الأطلسي بمكنسة ، وان كثرة عدد الاطفال في الأسرة من صنع المجتمع الانساني وغباوة الجنس البشري ، لا من عمل الله . وقد حضر العلم الفائت الى القاهرة أكبر واعظ اجتماعي في العالم ، وهو دكتور شرود أدي الذي طاف العالم سبع مرات وخطب في جميع مدن الدنيا . ولما بدأ محاضراته في جمعية الشبان المسيحية عن تحديد النسل أعرض عنه الكثيرون من الاطباء منهم وهو من رجال الدين

وقال دكتور فورديك من أكبر لاهوتي أميركا وكتابهم الاجتماعيين : « ان الله لا يريد أن يتضاعف سكان العالم كل ستين عاماً بهذه الطريقة الصحية » . وقال الحاخام دكتور وايز ، وهو يعظ في قاعة كرنجي في نيويورك كل أحد عظته يحضرها ثلاثة آلاف نفس من جميع الأديان : « ان الرجل غير جدير بالتناسل ، مالم تتحقق لديه الوسائل الصحية والاقتصادية ، لتربية ذريته » . وقد

اجتمع الحاخامات في مؤتمر في مدينه دمرويت وقرروا معاصرة تحديد النسل . وقال قس آخر : « ان مركز الكنيسة ورأيها يجب أن يتغير » ، وإن تحريم تحديد النسل على أساس الدين لا يطابق الصواب ، والمولود من حقه ان يعيش سعيداً ولا فلا يعني ان يولد مطلقاً » اما الكاثوليك في اميركا فلا يوافقون الآخرين في مسألة تحديد النسل

ويقول أعداء الفكرة إن تعميمها لا يفيد كثيراً ، لان الذين يلجأون اليها عادة الاغنياء والمتعلمون بدليل أن جامعة هرفرد أحصت مواليد خريجيها بين سنتي ١٨٥٠ — ١٨٩٠ فوجدت أن لكل متزوج ٥١ ر ٢ طفل . كذلك وجدت جامعة ييل أن هذه النسبة تبلغ ٥٧ ر ٢ طفل . ويقولون أيضاً ان تحديد النسل يكثر من فساد الاخلاق والزنا ، غير أن الرقابة على الاخلاق وصون النساء لم يمنعا العالم إلى يومنا هذا إلى نتيجة مذكورة فيهما . فلا حشية الحمل ، ولا الامراض الزهرية ولا غيرها تمنع الفساد من العالم

إن سعادة الامة تقف على سعادة أفرادها ، وبما أن المرأة نصف الامة ، وأن اكبر أطباء أمراض النساء يقولون إن المرأة تحتاج من سنتين إلى ثلاث سنوات حتى تستعيد قواها بعد الحمل ، مهما بلغت من الصحة والقوة ، وحتم منع المرأة الضعيفة على الاحص من الحمل ، ويزداد هذا الوجوب إذا أضيف إلى هذا مطالب الحياة الاقتصادية والمشقة التي يلاقيها الناس في تربية أولادهم . ومن المدهش أن الاطباء يحذرون النساء من الحمل لانه مرض للمرض ، ومع ذلك يمتنعون من امدادهن بالمعلومات لمنعه . اقلم يلاحظوا في حالات مرض فعلا والبلاد التي تحرم منع الحمل ، تحتال في الخفية لاحباس بطريق غير مشروع فقد وجد في أميركا أن ربع حوامل يجهضن وأن في عام واحد سجلوا مائة الف إجهاض . تلثم أفضى إلى موت

ومن المدهش أن الاطباء أو اكثرهم يجهلون وسائل منع الحمل ، لان الكتب الطبية خلوة منها . ونتج عن هذا الجهل عدم تجربة والخبرة من عواقبه وقد حدث هذه الحالة بعيدة في بيوورك أن تدرس الموضوع ١٥ عاماً درساً جدياً مع آخرين غيرها ، شفقة بالنساء . وأسست جمعية لتحديد النسل سنة ١٩١٧ ، وفتحت عيادة كبيرة كانت الاولى في نوعها ، فقض عليها وسجنت وأقفلت عيادتها ، بدعوى أنها ليست طبية قانونية . ولكنها عادت وفتحتها سنة ١٩٣٣ ودعتها مكتب الباحث ، ووظفت فيه أطباء قانونيين ، وقد عالجت لمنع الحمل في خلال ست السنوات الماضية ١١١ الف ، ورفعت الكثيرات ممن لا يوجد لديهن موانع صحية أو اقتصادية . وأسست عيادات أخرى في مدن أخرى كثيرة من هذا القبيل . ويقال إن في الاطباء في أميركا طلبوا معلومات وافية من جمعية تحديد النسل حتى يتمكنوا من خدمة اللاتي يحتجن ذلك ، وطلبت منها جمعية طبية إرسال مندوبين لالقاء المحاضرات على أطبائها في هذا الموضوع

وقد انضم إلى أنصار هذه الحركة عدد كبير من مشاهير الاطباء في أميركا وعنوا طرق المنع بحثاً دقيقاً ، وبعد فحص ٨٠٠ حالة وجدوا أن ٧٦٠ منها ناجحة أي بنسبة ٩٥٪ . والآن يفحصون عشرة آلاف حالة ولم تتغير النتيجة عد . وتوجد ٢١ ولاية في أميركا تحرم قوانينها اعطاء معلومات عن منع الحمل وفي ٩ ولايات منها يحرم ذلك حتى على الطبيب ، وفي ثلاث ولايات لا تذكر كتب

الطب عن هذا المنع شيئاً . أما في انجلترا فلا يمنع القانون اعطاء المعلومات ، ولم يصدر مطلقاً قانون يمنع تحديد النسل . ووافق مجلس اللوردات على حوار إسداء النصائح للمتزوجات بهذا الخصوص. وفي هولندا لا يحرم مطلقاً كما أشرنا ، إلا الاعلانات عن طرق المنع. أما في اسكندناوة كلها، فلا الاعلان ولا غيره محرم ، لان باب تحديد النسل مفتوح على مصراعيه . وفي ألمانيا تعطى نصائح روجيسة في مراكز عامة لهذا الغرض لمن هنّ في حاجة اقتصادية أو صحية . أما شركات التأمين هناك فيخوّل لها بتعقيم المصابين بالمرض أو المثقلين بعدد من الاطفال . وفي روسيا توجد عند الحكومة السوفياتية مكاتب استعلامات فنية ، وتوزع نشرة سنوية على الاطباء

• • •

أمام القارىء نضع أهم ما وصلت اليه بحوث الغربيين في هذا الموضوع ، واللغات الاجنبية غنية بالمؤلفات القيمة ، فليرجع اليها من يريد . وهناك كتاب بديع باللغة الانجليزية يدعى « عصور الدنيا » جدير أن يطلع عليه من يدرس علمي الاقتصاد السياسي ، والاجتماع ولا أريد أن أترك القارىء قبل أن ألخص له البحث في العبارة الآتية : —

يقول علماء الاجتماع إن الناس أحرار في تحديد ذريتهم ، عليهم أن يكثروا من البنين والبنات إذا توافرت لديهم الصحة والمال والزمن ، وكان الوطن في حاجة إلى كثرة العاملين والعاملات وعليهم أن يقفوا عند حد محدود أو تتعسر تربيتها لأسباب مختلفة كما سبق . أما القول إن منع الذرية من قبيل قتل النفوس ، فمردود شرعاً وقانوناً ، لان القتل لا يتناول إلا مع الحياة ، وأنصار تحديد النسل لا يريدون قتل الأجنة في الارحام بل يعاقبون في كثير منها قبل وجودها . وإذا قيل إن هذا خروج عن حدود النواميس الطبيعية ، أجبنا أن لا شأن للاطباء بالاشياء ، والعمليات الجراحية ، والآلات والعقاقير الطبية كلها خروج عن الطبيعة . وكان عمر في مصر عند عهد قريب أن يرى طبيب امرأة عصبة ولو أشرفت على الموت ، أما اليوم فيقوم بتوليد النساء ، ويوكل عيادات عن مساعدته . وإذا قيل إن آية التوراة صريحة في عبارة « اعمروا واكثروا . . . » أجبت أن العالم في ذلك الحين كان خلواً وأن الارض كانت بكراً ، أما اليوم فهو يئن من هذا النمو وهذه الكثرة ، وقد أخذت على بني الانسان أهواء النسل ، وسدت مسارح الأرزاق . أضف إلى ذلك كله أنا حكماء في تحديد نسل الحيوانات الداجنة ، وتحسينها ؛ جهلاء فيما يختص ببني البشر . ألا ترى الحكومة تعتني بخيولها ، وتفاخر قوتها وجمالها ، ولا تسمح لها بالتناسل إلا كلما شعرت بالحاجة إلى ذريتها ، أو آنست فيها القوة والنشاط ؟ ألا ترى الحشرات والحيوانات السفلى تتناسل بالألوف ومئات الألوف ، في حين أن العليا منها كالأفيال والسباع والنسور والثعبان « تؤمن » بنظرية التحديد ؟ ألا ترى المتسولين والمتشردين والمجرمين وذوي العلل والاسقام ، والفقراء والمعدمين يملأون الأرض بذريتهم كالخرائم ، في حين ان الأغنياء والعقلاء يكادون يطلبون الأولاد فلا يجدونهم ؟

كتبت هذه للتوسطين منا نحن الشرقيين لعلهم يجدون فيما كتبت ما يخفف عنهم ثقل الحياة وعبء البنين والبنات

لمير بقطر

أفريقية مهد الانسان الاول

أحدث الآراء في زمن ظهور الانسان على الارض والمكان الذي ظهر فيه

هل وجدت الحياة على هذه الارض عرضاً واتفاقاً ؟
أم وجدت تقتضي خطة أولية مرسومة ؟
وأين ظهر الانسان الاول ؟ ومتى ؟
جميع هذه الاسئلة تخطر ببال كل قارىء وقارئة . وفي المقالة الآتية بحث مفيد عنها

يجيء العلماء كل يوم بنظرية جديدة في تعليل نشوء الانسان على هذه الارض وتعيين الزمن والمكان اللذين ظهر فيهما . ومعظم هذه النظريات ، إن لم نقل كلها تناقض ما تقول به التقاليد المعروفة عن خلق الانسان على ان تعددها قد يوقع المرء في ريبة من أمرها . ولذلك رأينا ان ننشر فيما يلي نظرية هي أحدث تلك النظريات في هذا الشأن ، وهي لأحد كبار علماء الغرب وسمي به لاكتشافه عن قدم الانثروبولوجيا (علم تاريخ الانسان) بالتحف الطبيعي بمدينة « نيتا » . وهذه النظرية مختلفة عن كل ما سبقها ، وهي مبنية على حقائق علمية ثابتة وقد لفتت أنظار العلماء بوجه خاص

وفي الواقع ان العلماء بذلوا في خلال نصف القرن الاخير جهوداً عظيمة للوقوف على حقيقة أصل الانسان ، كيف نشوءه . ومع ان البحث في هذه المشكلة قديم جداً إذ سعى المفكرون منذ الاجيال الماضية لمعرفة الاصل الذي نشأ منه الانسان والزمن والمكان اللذين نشأ فيهما . ولكن جهودهم ذهبت أدراج الرياح ، إذ كانوا يحاولون أن يجيئوا بما يناقض العقائد الدينية ، ولا يجرؤون على انكار التقاليد الموروثة أو التعاليم المسطورة في الكتب المقدسة . ومن المحتمل انه كان لبعض أولئك المفكرين آراء لا تختلف كثيراً عن آراء أهل هذا العصر في نشوء الانسان ، ولكنهم لم يجرؤوا على المجاهرة بها إذ لم تكن لديهم أدلة قاطعة على صحتها ، فضلا عن ان عقول الناس في تلك الازمنة لم تكن مستعدة لقبول آراء تناقض العقائد الدينية

على ان تقدم علم الانثروبولوجيا [1] والبيولوجيا [2] والجيولوجيا [3] أماط اللثام عن أسرار كثيرة ومهد العقول لقبول الآراء التي كانت تحسب قديماً مناقضة للعقائد الدينية . وتمكن العلماء في خلال المائة السنة الماضية من جمع أدلة وبينات وآثار تدل دلالة تكاد تكون قاطعة

---

(١) علم تاريخ نشوء الانسان (٢) علم الكائنات الحية (٣) علم طبقات الارض

على صحة نظرية النشوء وعلى ان ظهور الانسان على هذه الارض لم يكن فجأة بل استغرق مئات الالوف بل الملايين من السنين

وعلى ذلك لم يكن بد من أحد ثلاثة أمور

(١) قبول النظريات العلمية الحديثة بلا قيد ولا شرط سواء أخالفت العقائد الدينية أم وافقتها

(٢) أو انكار تلك النظريات انكاراً باتاً لمناقضتها العقائد الدينية

(٣) واما محاولة التوفيق بين تلك النظريات والعقائد على أساس ان العلم الصحيح والدين الصحيح لا يتناقضان

وليس الغرض من هذه المقالة إظهار أوجه الخلاف بين العلم والدين — وان كنا نحن نعتقد ان العلم الصحيح يجب ان يكون أكبر مؤيد للدين الصحيح — بل ان نشرح بالايجاز أحدث رأي علمي في منشأ الانسان مع تعيين الزمان والمكان اللذين نشأ فيهما

يقول العلماء ان جميع الدلائل العلمية والجيولوجية تثبت ان الانسان كان منذ أول الامر خاضعاً لناموس النشوء والارتقاء وانه نشأ من [illegible] وان نظرية النشوء هي في الواقع قضية علمية فعلا يجرؤ أحد على انكارها في هذا العصر لأن البراهين على صحتها كثيرة

وقد بلغ من مدى وضوحها في عقول علماء الجيولوجيين من كل من يحاول ادحاضها

ولو جمعنا ليبانات [illegible] والاسنان والاحافير وبقايا هيكل الجسم الانساني وغيرها من الشواهد التي عثر عليها [illegible] والتي تثبت نشوء الانسان من نوع أدنى منه — نقول لو جمعنا هذه الادلة والبيانات ، لكان منها برهان قاطع على ان الانسان الاول الذي ظهر على هذه الارض منذ مئات الالوف من السنين كان أقرب الى الحيوان منه الى مخلوق بشري

ويقول الدكتور مايز الذي سبقت الاشارة اليه ، « ان تعليل ظهور الانسان على هذه الارض وتعيين المكان والزمان اللذين ظهر فيهما ليسا من الامور الممكنة الا اذا سلم العقل أولا بصحة مذهب النشوء والارتقاء . وليس ذلك فقط ، بل ان النشوء كان ارتقاء بكل معنى الكلمة أي تدرجاً الى ما هو أعلى . ومن الخرق في الرأي ان نقول ان ذلك التدرج كان من الاعلى الى الادنى . مع ان ذلك التدرج تم طبقاً لعوامل وقوانين متعددة لا يتسع المجال لشرحها ولكن أهم مزاياه كل الاتجاه نحو ما هو أعلى »

ويعتقد الدكتور مايز — بناء على المباحث العلمية التي قام بها — ان أفريقية كانت مهد

الانسان الأول وان هذا الانسان ظهر هناك في الزمن المعروف لدى علماء الجيولوجيا بالعصر « الايوسيني » وانه ـ بناء على ذلك ـ اذا بحثنا في طبقات الارض التي تتألف منها قارة أفريقية في الوقت الحاضر عثرنا على أحافير وبقايا عظام الانسان الفرد والانسان الاول الذي نشأ منه

وكانت أفريقية في العصر « الايوسيني » المذكور جزيرة صغيرة تقل مساحتها عن ربع مساحتها الحاضرة . وكانت العوامل الجوية والاقتصادية فيها يومئذ تلائم ظهور الانسان كل الملاءمة . ولا ريب ان بين الاحافير الافريقية بقايا القردة التي ظهر منها الانسان وان أحد أنواعها (ويعرف باسم « بروبيو بثيكوس ») عاش في العصر الايوسيني وكان جد الانسان الحقيقي

هذه هي نظرية الاستاذ ماير . على ان التسليم بها ينشىء عدة مشاكل علمية لا يتسع المجال لشرحها وانما نجتزىء بذكر واحدة منها وهي اننا اذا سلمنا جدلا بأن النوع المسمى « بروبيو بثيكوس » الذي عاش في العصر الايوسيني هو جد الانسان الاول توقفنا ان نرى أفراد النوع الانساني تكثر بعد ذلك العصر وفي [illegible] بقايا كثيرة جداً الآن آثاراً أو أحافير بشرية ترجع الى الزمن [illegible] العصر الايوسيني وفي العصر البليستوسيني مع ان علماء الجيولوجيا يقدرون مدة الزمن بين العصرين بعدة ملايين من السنين . فهل أعرض نسل « بروبيو بثيكوس » في أثناء ذلك الدور ثم عاد الانسان الى الظهور بعدها منتقلاً من مصدر آخر ؟ وفضلا عن ذلك ان وجود الانسان في العصر البليستوسيني في شمال السلاد المعروفة « بورآسيا » قد ثبت ثبوتاً علمياً . فما هي الصلة بين « بروبيوبثيكوس » والانسان الذي ظهر بعده بملايين السنين في العصر البليستوسيني ؟

هذه إحدى المشاكل التي عرضت للاستاذ ماير وقد حلها وحل غيرها ومن رأيه ان النوع الذي ظهر في أفريقية في خلال تلك الفترة لم ينشأ بسرعة لأنه كان عائشاً في بيئة هادئة تمر بها الاحقاب على وتيرة واحدة . فلم يكن ثمة تنازع للبقاء لأن أسباب المعيشة كانت متوافرة جداً وانت تعرف ان تنازع البقاء يثير قوياً في النشوء بل هو من أهم العوامل فيه . ولهذا لم تنشأ انسان ذلك النوع نشوءاً سريعاً يدل على الحاجة الى الدفاع عن النفس . وساعد على عدم تنوع الاجناس ان جزيرة أفريقية كانت صغيرة وأحوال المعيشة فيها كانت متجانسة واذا كانت البيئة وأحوال المعيشة متجانسة فالنوع الذي هو من مقتضيات النشوء ـ يكون بطيئاً جداً لا يكاد أحد يشعر به

وفي أواخر العصر الجيولوجي المعروف « بالبنوزوئيك » بدأت جزيرة أفريقية تكبر

وتتسع بسبب انحسار الماء عنها أو بسبب ارتفاعها فوق سطح البحر . وبلغ من ارتفاعها هذا انها أصبحت متصلة بسلسلة من الهضاب مع قارة أوربا من جهة وقارة آسيا من جهة أخرى . وكانت سلسلة الهضاب المذكورة بمثابة جسر عبر عليه النوع البشري من أفريقية الى أوربا وآسيا . وكان هذا الانتقال سبباً من أسباب النوع إذ نشأ النوع في كل مكان طبقاً للبيئة ولعوامل الحر والناموسي بقاء الافضل وتنازع البقاء . وتمت هجرة النوع البشري من أفريقية في أواخر العصر المعروف « بالبليوسيني »

***

هذه خلاصة نظرية الدكتور بايز في نشوء الانسان والمكان والزمان الذين نشأ فيهما . وهو يعتقد أيضاً ان الحياة الاولى وجدت على هذه الارض عرضاً واتفاقاً — أي بطريق « الصدفة » كما تقول العامة — وان البيئة والاحوال العامة ساعدت على ظهور الانسان أيضاً عرضاً واتفاقاً من دون ان يكون ثمة خطة أزلية ترمي الى إيجاد الانسان . ولا حاجة الى القول ان هذه النظرية لا تتفق مع العقائد الدينية الثابتة . ولا علم الى أي شيء استند الاستاذ بايز في الذهاب اليها . وقد قال ان الانسان هو وليد العرض والاتفاق بينما وجود المبدعة واسبقا ظهور المادة والمكانات ترمي الى « الصدفة » أيضاً . وأنت تعلم ان « الصدفة » لا تتفق مع النظام . وان المادة والمكانات جميعها خاضعة لنواميس دقيقة منظمة لا يستطيع العقل ان يتصور ما هو أدق منها وكيف يمكن ان تخرج عن تلك النواميس الى « الصدفة » ؟ وما هي هذه « الصدفة » الحكيمة التي تبدع من تلك النواميس المذهبة في دقتها وحسن سيرها ؟

تأمل قليلاً في نظام الافلاك وفي حركات الاجرام العلوية « وفي جميع المظاهر الفلكية من كسوف وخسوف وشروق وغروب وما أشبه . فهل يستطيع العقل ان يتصور نظاماً أدق وأكمل من نظامها ؟ فكيف نقول ان ذلك النظام هو وليد « الصدفة » — « والصدفة » انما هي وليد الفوضى ؟

ولسنا هنا في مقام تأييد عقيدة دينية وانما نحن نرمي الى بسط رأي علمي . وعلى كل فاننا نعتقد ان الحياة وجدت على هذه الارض طبقاً لغاية أزلية تتمشى في جميع المكانات من جماد ونبات وحيوان

أما المصدر الذي جاءت منه الحياة فان العلم لم يمط اللثام عنه حتى الآن . ولكن من أحدث الآراء العلمية فيه ان الاشعة الكونية — التي تنبعث من الافلاك المتناهية في البعد — هي التي عملت في بعض عناصر المادة ونفخت فيها الحياة . وهو ما يحاول العلماء اليوم تحقيقه

الجيش المصري

في عهد الامبراطورية المصرية القديمة

طبقات الشعب

كان الشعب المصري يتألف قديماً من عدة طبقات اختلف المؤرخون في تقسيمها وعددها . فقد ذكر « هيرودوتس » في كتابه ان المصريين كانوا يتألفون من سبع قبائل وحدد واستراو » عدد هذه الطبقات وحصرها ثلاثة ثم قال « افلاطون » انها ستة

ولكل مؤرخ رأي في هذا التقسيم يختلف كثيراً أو قليلا عن آراء الآخرين . لكننا نجد ان الرأي الاكثر شيوعاً والأقرب الى الحقيقة هو الرأي الذي قسم الشعب الى أربع طبقات : الكهنة ـ الجنود الزارعون ـ أهل المدن ـ العامة

فمن هذا التقسيم نجد أن الجند كونوا طبقة عسكرية حدت مباشرة بعد طبقة الكهنة . وكانت الشريحة التي منحها « سيتي ستريس » تنص على قطاع هذه الطبقة ثلث الاراضي الزراعية ليمنع الجند أثناء السلم بجيرات الارض حتى يتفرغوا لاعداد أنفسهم أثناء الحرب . وذكر « هيرودوتس » في تاريخه ان كل جندي كان يمنح قطعة أرض تناسب مع درجته العسكرية في الجيش وهذه الاقطاعية يعفيها الجنود من الضرائب التي كانت تجبى في ذلك الحين .

وكان الشاب عند ما يبلغ سن الخدمة يستدعى الى مدرسة الحربية أو احدى الثكنات للتدريب على أعمال القتال الابتدائية وأول ما تبدأ به الحرب الطرمة واحدة تركيبها مع معرفة قيادتها . وكان كل جندي مسئولا عن المحافظة على جميع أدوات القتال الضرورية في هجوم والدفاع . ومسافرات الحرب . وباختصار يكون على أهبة القتال عند نداء الوطن . ثم عند قيامه لتأدية تحيته في خدمة جلالة الفطر

وكانت هذه الجاليات موزعة في أهم مناطق القطر المحصنة كالفيوم وماريا وإيلفياس وهيرا كونوبوليس ـ وسيني واسنين وغيرها من المدن الهامة

تأليف الجيش المصري

كانت القوة العسكرية في ذلك العصر تتألف من ٤١٠٫٠٠٠ جندي تنقسم الى فرقتين الكالازيريس ـ والهيرموتيس . ويتخصص من كل منهما سنوياً مائة جندي للقيام بخدمة الحرس الفرعوني .

وكان يعطى لكل جندي من جنود الحرس علاوة على تعيينه حصة أرغفة وجرتين من الضأن وربعة من الخمر أثناء مدة خدمته . وكان « الكالازيريس » أكثر عدداً من زملائهم الهيرموتيس

فقد بلغ عددهم ٢٥٠,٠٠٠ رجلا يكونون طبية وبوسطة وأصيرة وتابيس ومسدس وجررة ميكفوريس وتابيس وسبيس . . . الخ

وجاء في بعض الكتب التاريخية ان الجيش كان يقسم الى فرق تسمى بأسماء مختلفة كأسماء الآلهة منها فرقة « رع » وفرقة « آمون » وفرقة « بتاح » وغير ذلك . وكان « فرعون » هو الرئيس الأعظم . وهو الذي يعين الرؤساء لجميع الفرق من أولاده وأقاربه أو من أولاد أعظم الأسرات المصرية مع مراعاة الكفاءة والطبقة . وكما كان يقود الجيوش المصرية بنفسه الى البلاد البعيدة ويدير جميع حركاتها . ويقف في ساحة الحرب على عربته كباقي الجنود بينما تحيط به رجال حرسه الخاص ورؤساء الضباط ، ولاشك ان ذلك مما يشجع الجنود ويثبت أقدامهم في مواقف القتال

الجنود المستأجرة

وبجانب الجنود المصرية كانت توجد قوات أخرى من الجنود المستأجرة . إما من الدول المجاورة لمصر أو من الدول التي خضعت لسلطانهم . وكانوا ينقسمون إلى وحدات ويتدربون بنفس الاسلوب العسكري المتبع في الجيش المصري . ويسمح لهم باستعمال أسلحتهم وارتداء ملابسهم القومية ! على أن الجنود المصرية كانت تمتاز عليهم في كثير من الوجوه . كما أنهم كانوا يتساوون مرتبات منتظمة ولا يقطعون الارض كالمصريين . وكانوا يعدون ضمن قوات الجيش المصري ويصحبون قوته المنتصرة أثناء عودتها إلى مصر حاملة أبهة الفوز على الاعداء

ومن المسائل المختلفة الشك هو هل كانت تورع الجنود المستأجرة على الممالك التي كانت تخضع لسلطان المصريين أم كان وكل أمر ذلك إلى الجنود المصريين فقط ؟

وقد استخدمت عجلات الحرب أو المركبة في جميع عصور الدولة المصرية القديمة . ففي أيام الأسرة السادسة كانت توجد فصائل وبها أو زهاء عشر وحدات للجيش المصري . وفي أيام رمسيس الثاني كانت توجد قوة من « شاريدانا » والسردينيين والبورث والاتركيين والاوركاميين والليبيين وكذلك من الاغريق

أسلحة الجيش المصري

كانت قوة الجيش الفعلية تنحصر في سلاح رماة السهام (Archers) ويرجع إلى مهارتهم وحذق استعمالهم لهذه الآلة الحربية القديمة انتصار الجنود المصرية في كثير من المواقع الحميدة التي اشتركوا فيها . وكانت تحارب الجنود سائرة على أقدامهم أو راكبين عرباتهم الحربية . وعلى ذلك يمكن أن نضعهم إما تحت عنوان الاسلحة الراكبة أو الاسلحة المشاة . ومن المحتمل جداً أنهما كانا يؤلفان الحزبين الرئيسيين في جناحي الجيش . أما القلب فكان يتكون من قوات السيادة الثقيلة مقسمة إلى لواءات . كل لواء منها له أسلحته الخاصة . بينما تقوم الجنود الراكبة بتقدم المشاة ومعاونتها

هذا ولو أننا لا نشاهد كثيراً على آثارنا القديمة ما يبرز استخدام الجنود الراكبة في وحدات الجيش المصري إلا أننا نعثر بين صفحات التاريخ القديم على ما يسمح لنا بأن نقول بوجودها واستعمالها في مناسبتين نجد لوحة تمثل الجندي المصري الراكب أحدهما عند مدخل معبد أسنا . والآخر عند قوس معبد أدفو

وذكرت التوراة في الفصل الرابع عشر من سفر الخروج أن فرعون غرق في البحر مع جنده وفرسانه وعرباته وهذا طبعاً لا ينافي عدم وجود جيش من الخيالة . لان الخيالة التي تحتوته كانت من الاهالي المتطوعين لا من جنود الجيش وقد قال وشمليون « إن الفرس المذكورة في التوراة لم يركبوا الفرات لا راكبو الخيل »

أما المشاة المصرية فكانت تنقسم إلى وحدات تسمى الطرانة التي كان الجيش الاغريقي يقسمها (كما يقول بلوتارك) وكانت تتألف وتتميز عن بعضها حسب أسلحة كل منها

وتترك مشاة الجيش المصري القديم من الاسلحة الآتية :

حملة الاقواس ـ حملة الحراب ـ حملة السيوف ـ حملة الساعيت ـ حملة الفلاع ـ وعربات، وهذه كانت تتدرب بنظام حسب قواعد الكتيبة القديم. وكانت تنقسم وحدات الجيش في أورط ـ وهذه إلى باركات ـ ولكل ضابط حسب رتبته العسكرية قوة يقودها. كما كان متبعاً في جيوش العراقيين والاغريق وكانت فرق المشاة الثقيلة تتسلح بالحراب والفروع أو بأسلحة تماثلها . وكان نظام حركاتها إما في تشكيل مضلع في تشكيلات مصنوعة هيئة قولات طويلة أو دوائر صغيرة منفصلة الفيده

وكان لكل من المحموم والمدافع أسلحة خاصة . أما الاولى فكانت تشمل على القوس والحربة ونوعين من الشابة والسيف المعقف والمطرقة والمرزوة . الخ

وكانت تشتمل أسلحة المدافع على حوذة معدنية وزرد وسترة مصنوعة من الصفائح المعدنية . ودرع لبقي صربات العدو ـ وهو يشبه الدرع الذي كان يحمله الرجل ، كما أن زرد الذي كان شائع الاستعمال في الجيش لم يستعمل إلى كثير من عصر الملوك وكان أهم كل هذه الآلات الدرع ، وقد بلغ طوله كطول الجندي وعرضه نصف طوله . وكان في الغالب يحمل على ظهر الثور وشعره ظاهر إلى الخارج . وفي بعض الاحيان كان يحمل أطار من المعدن رشقت فيه بعض المسامير المعدنية احادة . وعلى العموم فقد كان الدرع المصري القديم قريب الشبه إلى الدرعين الروماني واليوناني ـ مستديراً من أعلاه ومربعاً عند قاعدته. أما باطن الدرع أي من الجهة التي تمس الجندي فكان بها حلقة يستعملها لادخل ذراعه منها للقبض عليه

ولقد عثر على بعض دروع ذات مقاسات مختلفة وتختار منها وضعها بها كانت محدبة من أعلاها كمقود الماء ذات الطراز العولمي. واستدل منه على أنها كانت مصنوعة من مواد خفيفة جداً ليسهل حملها إلى مسافات بعيدة بدون أن تتعب حاملها

وكان القوس المصري يشبه القوس الاوربي . ويتألف من قطعة مستديرة من الخشب طولها من خمسة أقدام إلى خمسة ونصف وهي إما مستقيمة من نهايتها أو منحنية من الداخل . ويرى الكثير من نماذجها على الآثار المصرية في طيبة . وبعض هذه الاقواس منحنية من الداخل (مقوسة) عند المنتصف ـ ويشاهد هذا النوع على مقابر وادي الملوك . وكان طول السهم يختلف من ٢٢ إلى ٣٤ بوصة بعضها من الخشب وبعضها من القصب له رأس من المعدن لفت حوله ثلاثة وثبات معراة بطولها

المعسكرات المصرية

وكان المعسكر المصري القديم إما مربع الشكل أو على شكل متواري الاضلاع . له مدخل واحد في أحد أضلاعه — وأقيمت في وسط المعسكر خيمة القائد العام وكبار الضباط . وكان في نظامه قريب الشبه من المعسكر الروماني . وكانت خيمة القائد في غالب الاحوال تخاط باستحكام أو متراس أو خندق مزدوج يتضمن منطقتين منفصلتين . المنطقة الخارجية وتحتوي على ثلاثة خيام ويظن انها للضباط الذين في الرتبة للقائد العام أو لضباط الحرب . وكان يعين للقائد عدد من الحراس هم يشهرون « قرقولات اليوم » . وكانت تترك حول المعسكر منطقة للحيوانات ودواب الحمل ومنها العربات والأدوات الحربية

وكانت توضع بالقرب من خيمة القائد هياكل صغيرة للآلهة وكل ما تعلق بالشؤون الدينية وكذلك الاعلام، ويرى على بعض الآثار المصرية القديمة صور لمعسكر مصري اشتمل كما قلنا على خيام الملك والقائد العام والضباط . وشوهد على حائي باب المعسكر صفوف الخيل والخيل بلا سروج وأمامها علفها ملقى على الارض أو في المذاود ثم صفوف من العربات الحربية مرتبة في الجهة المقابلة لصفوف الحيوان . أما الجهة المقابلة فيها السروج وأطقم العربات ومهمات الحملة

وعلى يمين المعسكر بعض الجنود يجري الحركات العسكرية والتمرينات الحربية . وبعضهم يقوم ببعض التمرينات الرياضية . وهم يرى لاوامر العسكرية جارية على محور الطاعة والامتثال . وفي جهة اخرى صورة تفيد القبض على الهاربين من المعسكر وبعض الضباط فوق عرباتها يطوف على الجنود للتفتيش وصدور الاوامر أو مباشرة تنفيذها . وفي الجهة الاخرى من المعسكر « مستشفى » المرضى من الجنود والحالات مرتكزة حوارها . ثم مستشفى بيطرية ويرى الحيوانات المريضة يقوم بمعالجتها الأطباء البيطريون والبيطرية تركب لاروبة وتسقي مرضى الجنود

أعلام الوحدات العسكرية

وكان لكل أورطة من وحدات « بلوك » علمه الخاص الذي يرمز لمعنى أو فكرة دينية أو يحمل اسماً لاله من الآلهة أو الملوك أو حيوان مقدس . وكانت الجنود اما ان تتقدم العلم أو يتقدمها العلم وكان يسير الجنود الى هذه الأعلام بخشوع واحترام ويقول « ديودور الصقلي » ان البارق كانت تركب على رمح أو عود من الزان يحمله ضابط يسير في المقدمة . وهذا العلم كان في الحقيقة عناية قائد الجند فهو الذي يحركهم وهو الذي يشجعهم ويبث روح الحمية فيهم في أي وقت من أوقات القتال العصيبة . وقد اعتبر منصب « حامل العلم » من أشرف بل وأهم المناصب التي يصبو اليها كل جندي في الجيش المصري القديم . فكان ينتخب لحمله ضابط ذو حيثية وشخصية نبيلة فاضلة كما امتاز عن زملائه بعلامة يضعها حول رقبته وتعتد قليلا تحتها . وتتكون من أسدين (شارة الشجاعة) وشارتين صغيرتين تمثلان في الغالب دماغين

وقد وجدت بجانب أعلام الوحدات (كالالوايات والأورط وغيرها) الأعلام الملكية التي

لا يحملها إلا رجال البلاط المقربين الى فرعون مصر . وكانت أعنية راقيها من الأمراء أو أبناء الأشراف الذين يكونون السواد الأعظم من حاشية الملك أو أركان حربه . وكانت رتبهم في الغالب « قوداً » (حرالات) . وكانت مراكزهم أثناء احتفالات النصر أو التتويج أو الحفلات الرسمية قريبة جداً من الملك . كما كان يحمل معهم الروح الملكية والصولجان

فن التكتيك المصري القديم

أما ترتيب سير الجنود المصرية للحرب فكانت المشاة الثقيلة في القلب وهي مثقلة بالسلاح وتكون العربات الحربية أمامها أو جنبها أو على جوانبها بينما تكون المشاة الخفيفة في المقدمة ومتى دنوا من العدو عقد الملك مؤتمراً حاضراً بحضوره جميع رؤساء الجيش وضباطه وضحيون جميعهم بالدعاء الى آلهتهم طالبين منهم النصر على أعدائهم . ثم يقسم الملك قيادة الجند ويرحف بهم على العدو بينما تتقدم فرقة من المشاة ومعها « الروحية » تتلوها عربة بها صاري منصوب عليه رأس كبش يتلوها صورة قرص الشمس وهو رمز معبودهم « أمون رع » كأنه يقود الجيش الى قتال عدو مصر . ثم يقبل الملك فوق عربته الحربية تحفه جنود الرماة وضباط الحرس الملكي . وبمجرد الوصول الى العدو يباشرهم الحرب وهي ثم له الأمر عليهم فلم يخطئ بين ضباطه ثم تتقدم الأسرى من الأعداء . ويبادر كل فريق الى قطع اليد اليمنى من كل ميت من الأعداء ثم يعدونها ويجمعونها جرماً ويقدمونها الى الملك ليعد عدد الأسرى والقتلى ويرى كل ذلك منقوشاً في معبد رمسيس الثالث بمدينة آبو

واذا كان الحرب براً توسط جنوده وقاتل وهو فوق عربته كأحدهم واذا كان بحراً اصطفت سفن المصريين أمام سفن الأعداء بقرب الساحل بينما تصطف عساكر الرماة على الساحل لمساعدة من بالسفن من المصريين برمي السهام على سفن الأعداء . وبذلك يكون الملك قائماً على قدميه في وسط الجنود البرية يدير حركة القتال . ومتى فاز بالنصر تتبع العدو براً وبحراً ويعسف الفاطر على الأنهار مارّاً من فوقها مع جيشه داخلا بلاد العدو مستولياً عليها . ثم يملي عليه شروط الصلح فارضاً الجزية مبيناً له مقدارها وهي كانت تارة من المعادن النفيسة أو من الأشياء النادرة الوجود أو من أدوات القتال أو من الحيوانات الأهلية أو من الأشياء المصنوعة في مصر ثم يجمع الملك قواد جيشه ورؤساء الصف وضباطهم منتهجاً شاكراً لهم معونته ويختم حفلته بالعزم بالعودة الى الوطن (١)

عظمة الجيش على آثارنا

وتظهر عظمة الجيش المصري القديم واضحة في معابد قدماء المصريين وأحسنها في معبد رمسيس الثالث فان زائره يتخيل نفسه كأنه في متحف عسكري حديث ! إذ فيه يرى عشر لوحات وعليها الوقائع الحربية التي حدثت في السنة الثامنة من حكم هذا الملك بينه وبين أهل ليبيا وأمة التكاري وها هو بيانها :

---

(١) من الاثر الجليل لتحتمس وادي النيل

اللوحة الاولى : بها سير الجنود وترتيبهم وصور الأسلحة المصرية المستعملة في ذلك العصر

« الثانية : بها واقعة حربية هائلة كان النصر فيها للمصريين على الليبيين. وفيها يرى الملك يقاتل بنفسه والقتل أمامه لا تحد

« الثالثة . بها يرى المصريين قتلوا ٥٣٥ر١٢ من الاعداء وقواد الجيش تقدم الأسرى إلى الملك

« الرابعة : بها الملك قام خطيباً بين صفوف جنوده يستعرض على القتال و الجنود حاملة سلاحها مستعدة للسير والهجوم على الاعداء. وتفاصيل هذه اللوحة يحب بها المسرح الحربي

« الخامسة : بها سير الجنود مرة ثانية وهي تمشي صفوفاً

« السادسة: بها واقعة حربية وفوز ثان للجنود المصريين

« السابعة : بها سير حديد وكان الجنود المصرية قد احترقت مسعة (أرض سباخ) بما اقتضى للملك سبعاً وجرح آخر

« الثامنة : هي اللوحة الوحيدة في جميع الآثار المصرية التي تريا كيفية الحروب البحرية في ذلك العصور وفيها يرى [illegible] البحري مصعداً إلى أسطول أمة والشرتنا، وهجم على الاسطول المصري . ويرى رمسيس الثالث وجنوده الرماة على الساحل يساعدون المدو ويرشقونه بالنبال

« التاسعة . ترى الجنود عائدة إلى أوطانها ثم وقفوا تحت فحص لاحصاء القتلى بواسطة ضعف أيديهم التي قطعوها منهم في ميدان القتال و لأسرى تمشي صفوفاً أمام الملك وهو يخطب أمام أولاده وقواد جيشه

« العاشرة . بها يرى الملك كأنه يرش مدينة عليه وهو يرفع يديه لتذكر معبوداته التي منت عليه بالنصر. ونقشت عليها عدة خطب

* * *

وبعد :

فهل ليس كل هذا فخر للحضارة المصرية القديمة التي أخضعت لسلطانها امبراطورية عظيمة مترامية الأطراف ؟

إن هذا التاريخ المصري القديم .. الذي حوى كل مجد وعز يدين بعظمته الخالدة إلى مصدر واحد .. هذا المصدر الوحيد هو جيشنا العظيم

هذا الجيش أخضع لسلطانا أشوريا وفينيقيا وايبوبيا وليبيا . وغيرها من الدول القديمة ذات السطوة التي ابدناها

وكفى ان نذكر « قادش » أو « مجدو » او غيرها من وقائع جيشنا الظافر لندرك في اجلال ما كان عليه من سطوة وفخار

عبد الرحمن زكي
ملازم أول

غرام الملوك والعظماء بالسينما

كيف تنظم الحفلات السينمائية في القصور الملكية — العظماء والاولياء الذين ساهموا في اخراج أشرطة سينمائية — الحاكم فرقر رئيس الروايات المصرية حتى يصير مصور للسينما . .

لا مانع اذا قلنا إن السينما أصبحت الآن عنصرا من العناصر الضرورية للحياة العصرية التي تقوم مقام لها أثرها المعروف في النفوس ، وها نحن نرى هذا الفن وقد انتشر في الممالك والاقطار ، فلا يكاد يمر يوم بها محكمة ولا قصر إلا وترك فيه أثرا يشهد بما له من قوة وسلطان . فالسينما في تدخل الى النفوس الشيء الكثير من الهدوء والطمأنينة فضلا عما تحويه من عناصر لها قوتها في إزالة الملل والهموم . وقد تحلى الملوك والعظماء عن رأيهم وساعدوا على تقدمه وارتقائه . وحسب هذا الفن عظمة ان يأتي كل هذا الخير ، ان يحقق ما عجز عنه كل الزعماء من جمعه بين الفنون

عناية جميع ملوك العالم بالسينما

ولسنا نذهب بعيدا ، فأمامنا من يثبت ما لهذا الفن من حب عند الملوك ، فجلالة ملك مصر المعظم احمد فؤاد الأول حفظه الله له حب وشغف [illegible] ولنا دليل على ولع جلالته وعنايته الفائقة بفن السينما من ان القاهرة الملكي تعد في كل من القصور الملكية قاعة خاصة لعرض أشرطة السينما الفاخرة التي تستحضر من كبريات شركات الاخراج في العالم . وجلالته هو من رؤية هذه الاشرطة وتقدها النقد الخبير العارف لأصول فن السينما وقواعده . وقد لا تمر ليلة دون ان تشاهد فيها جلالة الملك شريطا من الاشرطة ، فان حال دون ذلك [illegible] ستمر جلالته في متابعة مشاهدته وإلا ترك قاعة العرض قبل النهاية . ولكل قاعة من قاعات العرض في القصور الملكية آلة لعرض الاشرطة موضوعة خلف الشاشة البيضاء بحيث يرى المشاهد التي تعرض فوقها من اوجهه الاخرى . ومواعيد هذه الحفلات متقاربة ، أي ان جلالته لا يحضرها في ميعاد معين بالضبط . وتبدأ عملية العرض عند ما يصدق جلالته بدء مرة واحدة بعد ان تحد عليه في القاعة مع حضرات المدعوين . ولا يخرج جلالته ولي عهدنا المحبوب الامير فاروق والاميرات شقيقاته من التمتع بمشاهدة أشرطة السينما ، بل ان جلالته هي بتثقيفهم بواسطة السينما فيأمر باستحضار أشرطة تعلمهم ولا تصرح بعرض أشرطة

غرها عليهم نظراً لما في الأشرطة الاخرى ـ ومعظمها جنسية ـ من مواقف لا تصح ان يراها من هم في سن الطفولة

الرئيس السابق لولايات المتحدة الاميركي

الرئيس كوليدج وولعه بالسينما

والمستر كوليدج رئيس الولايات المتحدة الحالي يكاد يكون أشد الاميركيين ولعاً بالسينما وهو يطالع كثيراً من الاخبار التي تنشرها الصحف الخاصة بهذا الفن . وعندما كان رئيساً للولايات المتحدة كان يهتم بمراقبة ما كانت تنشره الصحف من الاشرطة الجديدة التي تعرض في دور السينما ، حتى اذا ما عرف من امر شريط ما نال إعجاب هؤلاء النقاد واستحسانهم حاول بنفسه مشاهدة هذا الشريط وأبدى رأيه بعد في مشاهدته في البيت بعددها . فيرسل المخرج مندوباً من قبله الى « القصر الابيض » ومعه كل المعدات اللازمة لعرض فيلمه ، ويقوم المندوب بعرض الشريط أثناء عرض الشريط حتى تساعد على اظهاره في أروع مظهر . وقبل ان يعرض الفيلم على الرئيس يعمل له عرض خاص في قاعة العرض لاحد دور السينما ويدعو رئيس غرفة الموسيقى لاختيار القاعة حتى يرى مبلغ وضوح الصور فيها ومبلغ جودة الموسيقى التي تصاحب العرض . ثم يعرض الفيلم تحت اشراف المندوب متناسقة مقبولة لدى كل سمع

وتتخذ الاحتياطات اللازمة في القاعة حتى لا يحس رواد السينما بعرض الشريط مثلا حين عرضه على اللوحة العمياء ولم يشعر الميكانيكي بذلك ، عزف رئيس فرقة الموسيقى قطعة موسيقية خاصة فيسارع الميكانيكي الى اصلاح الخلل وذلك لاختلاف وقوع أي موسيقى في القاعة اذا ما أتى أحد الموجودين فيها بحركة يريد بها لفت نظر الميكانيكي ليكون سمعها مبعث كل تأثير المشاهد المرئية

ويبدأ العرض في ميعاد يحدده المستر كوليدج ، فتكون فرقة الموسيقى على أهبة الاستعداد للقيام بمهمتها ، والميكانيكي في غرفته الموجودة خلف القاعة على أهبة العمل ، والمدعوون في مجالسهم ينتظرون قدوم الرئيس . حتى اذا ما جاء ودخل القاعة صفقت روحته ، فهي المدعوون من مجالسهم احتراماً له وعزفت الموسيقى نشيد التحية . وجلس الرئيس في مقعده الى جانب زوجته ويرجع المدعوون الى مجالسهم

ويقوم حراسة القاعة أثناء العرض خمسة من رجال الخدمة السرية الخاصة التابعين « للقصر الأبيض » معداً لحدوث أي طارىء يحكم على الرئيس استمتاعه بما يرى من مشاهد ، وتبلغ عملية العرض نحو ساعتين ويجدر ان يترك الرئيس القاعة قبل انتهاء العرض ، فهو كثير الاهتمام بهذا السبيل ويهمه ان يكون فكرة عما تخرجه شركات أميركا من أشرطة قبل عرضها في العرصة المناسبة كي يسترشد

... في مستشفاهم . واذا ترك الرئيس القاعة قبل انتهاء العرض فان الانوار تضاء في الحال و ... الموسيقى عن العزف و ... الكاتبكي عن عمله وكان المدعوون أنفسهم مضطرين الى ... الخروج احتراما لرغبة الرئيس حتى لو كانوا يودون متابعة مشاهد الرواية

الاسرة المالكة في بريطانيا العظمى

والاسرة المالكة في بريطانيا العظمى ولع شديد بمشاهدة أشرطة السينما . ويكثر أفرادها من التردد على دور السينما الراقية الموجودة في حي الملاهي الأرستوقراطية بشارع المعروف باسم « الوست إند » . وتهتم حلالة ملك بريطانيا وملكتها بتكوين رأي خاص عن كل رواية يشاهدانها وكل ممثل يظهر فيها وهما يفضلان مشاهدة الأشرطة التعليمية على غيرها من الاشرطة . ويقدر أن عدد مشاهداته شريط منها . وليس معنى تفضيلهما لهذا النوع من الاشرطة أنهما لا يقدران الاشرطة الاخرى . ولكن لان الفرص لا تساعدهما على مشاهدة الاشرطة العادية التي تعرض كثيرة في دور السينما . وهناك نوع من الاشرطة تهم حلالة ملك بريطانيا وملكتها مشاهدته ، وهو الاشرطة البحرية التي تدور حوادثها على بحار البحرية وخاصة التي تشترك فيها أساطيل بريطانيا حلالته بحري قبل ان تكون ... وهمه دائما ان يكون على اتصال بمهنته القديمة . وحلالتها يهمها كذلك أن لها ان يتصل بالبحرية ، ان ترى حياة البحر وما فيها من حوادث ومشاهد

والدوق أوف ويلز شديد الحماس نحو السينما كثير التردد على دورها . وهو ينتهز اليها متنكرا حتى يخلص من العطف الناس حوله ويدول في شوارع مدينة الذين يشرف دائما . ويفضل أمير ويلز أشرطة الحوادث والمخاطر التي تظهر فيها حياة العالمات — لأنه بطبيعته صياد ماهر — على غيرها من الاشرطة . وهو جد شغوف برؤيتها . ويقدر ان عدد مرات عرض فيها شريط منها دون ان يسارع الى مشاهدته . والامير شديد الاعجاب بالشقيقتين نورما وكونستانس تالمدج كما أنه يقدر نبوغ شارلي شابلن قدره الحق ، فهو يرى فيه المثل الاعلى للنشاط والجد . ولشد ما تطرب نفسه عندما يرى هذا الكوميدي البارع في رواياته المليئة بالمواقف والعواطف الفياضة . ولا يحب أمير ويلز مشاهدة نفسه على الستار ، فهو يعتقد ان كل شخص لا يستحق الوقوف أمام آلة التصوير كما هو الحال في الاشرطة الروائية ، لا يمكنه ان يضمن ظهوره على الشاشة البيضاء في حالة ترضي من يشاهده

حلالة الملك جورج الخامس
ملك انجلترا

وللامير جورج أصغر أبناء ملك بريطانيا ولع شديد بالسينما . وقد ولعه بها الى حد ما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تكثر فيها من الحوادث

يذكر أنه قبل كثيرون من كواكبه الساطعة خصوصا عند زيارته الاخيرة لهوليوود . وهو شديد الاعجاب بمولانجري وبيل داميتا اللذين قابلهما مرة في باريس وأخرى في هوليوود ولقد شهر فرحته وحبوره في هوليوود وزار دوجلاس فيرنكس وماري بيكفورد مرارا . بيكفورد الكاثوليكية تعرفه هيلين . فاكرمت وفادته وأقامت له حفلة دعي اليها كثيرون من مشاهير الممثلين وكان لهذه الحفلة أثر عظيم في نفسه حتى لقد فضل أن يكون أميرا في هوليوود على أن يكون أميرا في حياته الحقيقية . ولا يخل الفوق أوف هاو ستر عن الامير جورج ولما بعد الفن . وهو شديد الاعجاب بماري بيكفورد وهارولد لويد . على أنه لا يكثر من الترديد على دور السينما كشقيقه الاصغر ، ولكن يتعذر ان تفوته مشاهدة شريط لهارولد لويد . فهو يراه في نفسه مرارا كثيرة ويسر أبدا سرورا ادا ما رآه على الستار الفضي بمظاريه الخاليين من الزحلوف اللذين صورهما حين ابتكار توصل اليه بعد الظهور به على الشاشة البيضاء

ودوقة يورك أحد معرفة من السينما وهي تفضل أشرطة الحوادث على غيرها ، ولا تميل الى الاشرطة الخيالية حتى لا تكاد تجد مساعدة تشرف من الاشرطة الأولى ان تخرج من شخصيتها وتسمى أنها دوقة وتتصرف تماماً كما تتصرف الممثلة التي تراها على الشاشة وهو مختلف كل المناظر التي تعرضها

الرئيس هوفر يتكلم. مناظر للسينما

كان للرئيس هوفر فضل ان يصبح رئيساً للولايات المتحدة وزراً للتجارة هناك . فهو لذلك وحكمه وسعته كان له صلة عميقة بهذا السينما الذي تثق فيه كل الوثوق وتعتقد انه من العوامل الهامة التي تساعد على رواج التجارة الامريكية . والذي يضمن حسن التفاهم وتوثيق الصلات بين دول العالم أجمع . وقد أدخل في أقسام وزارته قسماً خاصاً بهذا الفن وأعد فيه كل المعدات اللازمة التي تساعد على رقي السينما وتهذيبها وانتشار الفن الامريكي في أحسن مظهر . وقد كون هذا القسم بعد انتخابه رئيساً للولايات إلى مصلحته كثيرة متعددة الاقسام كل قسم منها مختص بناحية من نواحي فن السينما . ومن بينها قسم خاص بتقديم المساعدات اللازمة لكل شركة من شركات الأخراج دون مقابل . والغرض من هذا القسم تشجيع الشركات الامريكية على توسيع نطاق عملها حتى تكون مستخرجاتها [illegible]

ولقد أصبح من [illegible] في الخارج تراقب الحركة السينمائية في القطر الذي يعمل فيه ويرسل تقاريره بانتظام عن اتجاهاتها وآرائها في هذه الحركة ثم يرسلها الى الوزارة [illegible] وكان من برنامج هذه المصلحة السينمائية ان تسعى في دول العالم لالغاء الرقابة التي وضعت على الاشرطة وخاصة الامريكية . مما نتج عنها من سقوط عدد غير قليل من الأشرطة في الاسواق الخارجية من جراء عملية « القطع » التي يقوم بها الرقباء والتي تؤدي الى اختفاء الكثير من المناظر الهامة التي توقف عليها سياق الرواية . وقد أدت مساعيه الرسمية الى حرية الخارجين الامريكيين في اخراج رواياتهم والتي يريد السيد هوفر ان يترك هذه الحرية لكافة في أعمالهم حتى لا تكون عقبة في سبيل أمانيهم أو تحد من ان يتسع لافكارهم وأغراضهم . وقد قال في ذلك إنه واثق كل الثقة بمستقبل السينما وإنه من الواجب ان تترك لها الحرية وأن تكون هي الرقيبة على نفسها

رئيس هوفر
رئيس الولايات المتحدة الامريكية

جلالة الملك محمد بن يوسف سلطان مراكش

تقضي لان تكون عند رضاء أمم العالم مهما اختلفت ألوانها وميولها

وكل هذا الاهتمام الذي يبديه الملوك هو فوق ما تستحقه السينما بالطبع عن شدة ولعه بها . وهو لا يكاد يدع شيئاً على أن تمر عليه دون أن يشاهد فيه سينما سنيماتا . كما أنه شديد الاعجاب بالممثل الالماني الكبير ماكس ، ويقدر أن يظهر له شريط دون أن يراه . كما يحب جداً مكلارا بو وريتشارد آرلن ودوريس كيمبون

وعلى ذكر هوفر إن الفضل في اتجاهه وثيقاً للولايات المتحدة راجع الى فن السينما وخصوصاً بعد أن أصبح ناطقاً فكثيراً ما كان يستخدمه في نشر الدعوة عن نفسه ، اذ كانت خطاباته وصوره تحمله ينقل الى كل بلدة بواسطة الفيلم الناطق في شكل يدعو الى التأثير على مستمعيه واخذ بلبهم حتى لقد أقام بعد دوره في الانتخاب حفلة سينمائية خاصة عرض فيها على المدعوين كل الدعاية التي استخدمها في نشر الدعوة عن نفسه ، ولقد خطب هتلر في ضعف عدد من حضر خطب هوفر بفضل الخدمات التي يؤديها فن السينما

ملوك أوربا وآسيا

ولقد أعرم الكثيرون من ملوك أوربا وآسيا بفن السينما وخصوصاً لسلطانه وقوته ، فالملوك وملكات بطالبا واسبانيا وروماينا والسويد والافغانستان و . . . الخ ، كلهم يسعى ليبني شخصيته الحقيقية ومركزه في الحياة لحظة من اللحظات يروح فيها عن نفسه ويشارك العالم في أفراحه وأتراحه ولعل ملك وملكة اسبانيا أكثر ملوك وملكات أوربا حماساً لفن السينما . ولقد خصصت الملكة في « القصر الملكي » قاعة لعرض الاشرطة السينمائية وخصوصاً التي تقع حوادثها في اسبانيا . ولما كان الملك الفونسو من أعشاق الرياضة وهواتها المتحمسين ، فهو يفضل الاشرطة التي تتحلى فيها البطولة والجرأة بأجلى معانيها ، ولقد شاهد بنفسه مراراً على الستار وهو يلعب « البولو » ، وهي لعبة التي يفضلها على غيرها من أنواع الرياضة

وتحمس ولي عهد ايطاليا لفن السينما وصنوه حين صرف الليرة الفضية الفرنسية فائدة . وهو يفضل الاشرطة الكوميدية على غيرها حتى ليبدي نفسه عند مشاهدة أحد هذه الاشرطة ويستسلم للضحك الى حد الاغراق فيه اذا ما استمرته الى ذلك حركة يأتيها ممثل أو ممثلة وهو يكثر من التردد على دور

السينما وخصوصاً التي تعرض تكشف الاشرطة التي تمثل فيها لورا لابلات وحاولوا سوا سون الك . يعتبرها الامير اومبرتو أروع تمثيلات العالم قاطبة

ولا تنسى الملكة ماري ملكة رومانيا وكريمتها الاميرة الينا . فالملكة ماري كانت تود أن تكون ممثلة سينمائية لو أنها لم تكن ملكة . فلها شخصية جذابة وحضور باهر يضمنان لها النجاح في ميدان هذا الفن. ولقد زارت هي والاميرة الينا هوليوود منذ سنين تقريباً فالتقاها هناك كثيرون من مشاهير الممثلين وكان لها معهم جولات طويلة في بعض اماكنهم وحياتهم . ولما كانت الملكة ماري أديبة مطالعة كبيرة لها شهرتها في عالم الادب ، فقد اهتم المخرجون فرصة وجودها في هوليوود وعرضوا عليها أن تكتب لهم عدة روايات تخرجونها على الشريط ، فوعدت قبل أن تبارح هوليوود برؤية أشرفت بنفسها على اخراج كثير من مناظرها ، وقضت كثيراً من الاوقات التي دأبت على قضا

بقيتها في فن السينما وعلى حبها لمشاهدات النجاح
ن . وقد قدمت احدى الشركات في هوليوود مبلغا
كبيرا من المال الى الاميرة الينا لتمثيل في أحد
الاشرطة التي تخرجها . ولا أنها رفضت ذلك
في الحقيقة كانت تبغي من السينما أن تتخذ

تمثيل الملكة ماري في احدى مناظر فيلم عن حياة والدتها الملكة ماري في الحرب

والدة سعاد وصديقة الهلال

ما تخرجه الشركات الكبرى من أشرطة عالية وخصوصاً التي تكون من سوتها كوسيدة

خدمات الأدباء والعظماء للسينما

أصبحت السينما كما سبق أن قررنا ضرورية في حياتنا ومقدمة في كثير من الأحيان على ما أثر فيها نفعه من السينما للناس من حيث [illegible] وقضاء العام مفروضة بأنها حلوت وفيربنكس وجريفث وغيرهم من ممثلي السينما الذين يكونوا قد وضعوا رواية خصيصاً لفن السينما، وإنما كانوا يقتبسون روايات من [illegible] مشهد يظهرون فيه في إحدى أجزاء الفيلم السينمائي. ونذكر من بين هؤلاء على وجه خاص برناردشو الأديب الانجليزي الكبير، فهو قد سعى رؤية نفسه على الستار حين أقدم ذات مرة مع إحدى شركات السينما باحتكارا على أن يمثل بعض جمهوره ومعدلها إلى بيته لأحد شرائط السينما الناطقة. وللمؤلف الروائي الكبير إدجار والاس خدمات كثيرة أداها لفن السينما، فقد وضع لها خصيصاً عدة روايات نالت كل منها نجاحاً باهراً، وقام بنفسه باخراج بعض هذه الروايات. فإنه يوفر له بصفات اللازمة لكل مخرج سينمائي. ونذكر بهذه المناسبة ما اعتزمه أمير الشعراء احمد شوقي بك من إعداد العدة لوضع روايات سينمائية يقوم باخراجها بنفسه. فهو من عشاق هذا الفن الجميل. ونحن نعتبر أنفسنا سعداء اذا تحققت هذه الرغبة التي يسعى اليها أمير الشعراء، فهو بذلك يمكنه ان يثبت للعالم ان في الشرق كما في الغرب أدباء عباقرة يتفوقون في ميدان السينما

السيد حسن محمد

ألمانيا تتأهب للحرب القادمة

كيف تتنصل المانيا من بنود معاهدة فرساي

للساسة ان يعقدوا ما يشاءون من مؤتمرات السلام العام وتخفيض السلاح ، وعلى الانسانية أن يصفقوا لهذه الجهود الكريمة وأن يحيوا القائمين بها أحسن التحيات ، فليس ذلك بحائل بين العالم وبين الحرب المقبلة تلك الحرب التي تراها الحكومات أمر لا مفر منه وان حاول بعض الساسة أن يغطوا أعينهم بأيديهم حتى لا يروها

وهل من دليل على أن العالم يتأهب للحرب المقبلة اكبر من أن المانيا ، التي خرجت من الحرب الكبرى مهيضة الجناح مفككة الاوصال مكبلة الايدي والاقدام ، تحاول جهد طاقتها بل تبذل جهود الجبابرة لتتحلل من عهودها وتتحرف عن نصوص معاهدة فرساي وتتأهب هي الاخرى لخوض غمار الحرب المقبلة ؟

تقضي معاهدة فرساي الا يكون لالمانيا من الجيوش ومن الاسلحة المختلفة الانواع الا ما يكفي لحفظ الامن والنظام داخل بلادها . ولقد احتاط الحلفاء لكل شيء ولم يدعوا لالمانيا حرية تقدير عدد هذا الجيش وتقدير ما يلزمه من سلاح حتى لا تتجاوز حدود ما سمح لها به ، فنصوا في المادة ١٦٤ من المعاهدة على ألا تزيد قوات الحرية لالمانية على الارقام الآتية :

٨٤٠٠٠	بندقية	٧٩٢	مدفع رشاش (مترالیوز)
١٨٠٠٠	قربينة (بندقية خفيفة)	١١٣٤	مدفع رشاش خفيف
١٠٢٠٠٠	المجموع	١٩٢٦	المجموع
٦٣	مدفع خنادق متوسط	٢٠٤	مدفع عيار ٧٧
١٨٩	مدفع خنادق خفيف	٨٤	مدفع عيار ١٠٥
٢٥٢	المجموع	٢٨٨	المجموع

ولم يكتف الحلفاء بهذا التحديد بل نصوا في المعاهدة على انشاء بعثة حربية من الحلفاء تكون مهمتها التفتيش في سائر انحاء الامبراطورية الالمانية بالوسائل التي تختارها وتراها أضمن لبلوغ الغاية المقصودة ، وذلك للتأكد من أن المانيا لا تخادع الحلفاء وتصنع الاسلحة سراً . ولا تزال تلك البعثة الحربية قائمة تؤدي مهمتها حتى اليوم

ولننظر الآن الى مدى الانحراف الذي انحرفته المانيا عن هذه النصوص ولو بلغ ما وصلت اليه في اعداد جيوشها وتسليح نفسها رغم مراقبة الحلفاء وتفتيش البعثة الحربية . وسنستمد في

ذلك على أقوال الثقات من خبراء الحرب وعلى المصادر التي لا ترقى اليها الشكوك

ذكر المسيو ده مارسيه في « المجلة السياسية البرلمانية » الصادرة بتاريخ ١٠ يونيو سنة ١٩٢٩ أنه : « يتضح من الاعتمادات المالية التي خصصتها حكومة الرايخ لنفقات الجيش والتسليح من سنة ١٩٢٥ الى سنة ١٩٣٠ اي في السنوات الخمس الاخيرة فقط وبصرف النظر عما سبق هذه الاعتمادات من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢٥ ، ان المانيا قد صنعت : ٣٠٠٠٠٠٠ بندقية و ٧٠٠٠٠ مترليوز و ١٩٠٠٠ مدفع من مدافع الخنادق و ٢٥٠٠٠٠٠ قنبلة (ويلاحظ هنا ان المعاهدة لا تسمح لها بأن تحرز اكثر من ٤٥٠٠٠٠ قنبلة) فاذا أضفنا الى هذه الارقام ما تكون المانيا قد صنعته من الذخائر في السنوات الخمس السابقة لسنة ١٩٢٥ ، ظهر لنا أن الحكومة الالمانية لم تضع وقتها في مراجعة نصوص معاهدة فرساي ولا في التنديد بما تقضي به هذه النصوص »

على أن حكومة الرايخ لا تقتصر في تسليح جيشها على ما تصنعه معاملها داخل بلادها . بل هي تستورد من الخارج كميات عظيمة من الاسلحة والذخائر . ولقد ذكر الوزير الالماني الهر شيدمان في تقريره المقدم الى الريشستاج في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٦ : « ان المعلومات الوثيقة الواردة الينا من مناء استتن تفيد ان الذخائر الصادرة الينا من روسيا قد أفرغتها السفن في موانينا في نهاية شهر سبتمبر وفي خلال شهر اكتوبر سنة ١٩٢٦ » وهذا دليل رسمي لا يحتمل الجدل

هذا فيما يتعلق بالذخائر . أما فيما يتعلق بالمصارف والمدفعية الضخمة ، وهي الادوات الحربية التي حرمتها معاهدة فرساي على ألمانيا حرماناً صريحاً قاطعاً فنقول إن الحكومة الالمانية لكي لا تصطدم مع الحلفاء بمخالفة نواهي معاهدة محرمة ظاهرة ، عمدت الى تنمية وسائل الطيران التجاري تنمية واسعة النطاق وجعلت جميع طائراتها التجارية من نوع يحمل من السهل الميسور عليها أن تحولها في يوم وليلة الى طائرات حربية تحمل اكبر كمية من القذائف تستطيع طائرة أن تحملها . وان المانيا تستطيع غداة اعلان الحرب أن تواجه أعداءها بأكثر من الف طيارة مجهزة بأكمل العدد والآلات وان تصنع في كل شهر بعد ذلك ثلاثة آلاف طيارة تتوافر فيها كل لوازم القتال . ولا يزال الطيارون الالمان يتمرنون ويتدربون على الطيران الحربي بطيارات الروسيا حتى اليوم . اما الدبابات (التانك) والمدفعية الثقيلة فان ضعف مراقبة الحلفاء لالمانيا بعد الهدنة واعدام هذه المراقبة بعد ذلك قد مكنا المانيا من أن تصنع منها ما تشاء وأن تخبئها في اماكن سرية لا يعرفها سوى كبار رجال أركان الحرب ولقد ذكر الجنرال مورجن الانجليزي وهو الذي كان ملحقاً بهيئة الحلفاء الحربية ببرلين : « ان الالمانيين قد خبأوا عدداً عظيماً من المدافع الكبيرة بعد الهدنة ولم يسلموه للحلفاء » وذكر كلينصو في كتابه الاخير « عظمة انتصار وصغاره » : « ان كل الاحتياطات التي اتخذها

الحلفاء لا تمنع المانيا من عقد اتفاقات مع الدول المجاورة كالروسيا والسويد تضمن لها عدة الحرب كل ما يعوزها من الذخائر والاسلحة . وفي استطاعتها بعد ذلك أن تزيد في أدواتها الحربية بوسائلها الخاصة الى الحد الذي تريد الوصول اليه »

ويؤيد رأي كليمنصو ما ورد في تقرير الوزير الحر شيدمان المرفوع الى مجلس الريشستاج بتاريخ ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٦ والذي ذكرناه آنفاً من « أن في وزارة الحربية الالمانية فرعاً يعرف باسم س . ج . وان هذا الفرع على اتصال وثيق ببعض مصانع الاسلحة والذخائر في موسكو بواسطة موظف اسمه سبانخبرج وان وزارة الحربية كانت حتى سنة ١٩٢٦ تدفع الى هذه المصانع سبعين مليون مارك في كل عام وأنها صارت بعد ذلك تدفع اليها مليونين ونصف مليون من المارکات كل خمسة عشر يوماً . . . »

وذكر الحر شيدمان ايضاً « ان في الروسيا شركة كبيرة اسمها « المصرف الاقتصادي » ويطلقون عليها عادة اسم «جيفو» بديرها رجل الماني اسمه اوتوتسور ليرن ، وقد أخذت هذه الشركة على نفسها أن تنشىء في انحاء الروسيا مصانع لسائر انواع الاسلحة وأمضت مع حكومة الرايخ اتفاقات بتوقيعات مستعارة تتعهد بموجبها ان تصدر اليها ما يعوزها من الذخائر الحربية وعلى الاخص القنابل الغازية والمستحضرات الكيماوية التي تستعمل في الحروب . ويتم الاشراف على هذه المصانع بواسطة ضباط ألمانيين من هيئة أركان الحرب يسافرون ويعودون بجوازات سفر مصطنعة . . . ما المصانع المنتشرة في انحاء المانيا وعلى الاخص في مدينة هامبورج فكفيلة بتوريد ما لا تستطيع مصانع الروسيا توريده عند الحاجات »

ولقد يعترض البعض بأن المانيا اذا كانت قد تجاوزت الى حد بعيد تلك الالتزامات التي تعهدت باحترامها في معاهدة فرساي ، واذا كانت قد استباحت ثقة الحلفاء أو غفلتهم وجهزت نفسها بمعدات حربية لا يستهان بها فليست هذه المعدات من الكفاية بحيث تجعلها مستعدة لمواجهة حرب هائلة كالتي يتوقعها العالم في وقت قريب او بعيد ، ولعل أبسع رد على هذا الاعتراض قول القائد الالماني الجنرال فون سيكت في كتابه « خواطر جندي » : « ليس من مصلحة الجيوش في المستقبل أن تتراكم لديها من الآن الذخائر الحربية بكميات كبيرة لان علوم الطبيعية تكشف لنا كل يوم عن أسرار جديدة نستطيع بمعاونتها ان نصنع من الذخائر انواعاً طريفة لا تعد الانواع القديمة الى جانبها شيئاً مذكوراً . ولا أرى فائدة في أكوام او في جبال من الذخائر قد تعدل عداً عن استعمالها الى صنف جديد تبتكره الصناعة الحديثة . لذلك يكفي أن نصنع نماذج من كل صنف وأن نعد مصانعنا السلمية بحيث نستطيع أن نحولها بين يوم وليلة الى مصانع حربية تصنع لنا من هذه النماذج كل ما نحتاج اليه بالكميات اللازمة »

ولا شك أن هذا الرأي الذي يراه الجنرال فون سيكت هو الرأي الذي أخذت به الحكومة

الالمانية ولذلك تراها تفتح في ميزانيتها كل عام اعتمادات هائلة للانفاق على الذخائر الحربية فاذا ما ذهبت بيئة الحلفاء للتعيش على المصانع وحصر الذخائر لم تجد بها سوى مواد متفرقة لا يخطر ببال أحد أن في الامكان جمعها بين عشية وضحاها وأحالتها الى أدوات حربية يقشعر من هولها البدن . ولعل ذلك يفسر مسلك الكونت برنستورف مندوب المانيا في لجنة تحقيق السلاح بمدينة جنيف لما اقترح على الدول أن تخفض أسلحتها الى أدنى حد ممكن ، فلما اقترح غيره انقاص ميزانية الحرب في ميزانيات جميع الدول رفض وأعلن أن حكومته لا تقبل ولن تستطيع أن تقبل هذا الاقتراح مهما كانت النتائج والاحوال

ولا يجوز أن ننسى ان السكك الحديدية والقاطرات البخارية والسيارات من أهم الأدوات الحربية عند الدول . فاذا فحصنا النظر عما صنعته المانيا وما لا تزال تصنعه حتى اليوم من هذا النوع من الأدوات الحربية في سائر أنحاء الامبراطورية واذا قصرنا بحثنا على ما تصنعه المانيا من القاطرات والسيارات في مقاطعة رينانيا التي كان يحتلها الحلفاء رأينا ان الحكومة الالمانية قد أعدت مصانعها في مدينتي تريف وكابرز شلوترن ، أي بين سمع جيوش الحلفاء وبصرهم ، تستطيع أن تخرج كل يوم مائة وعشرين قطاراً حربياً كاملا من القاطرة الى « البنسة » مع أن هذه المصانع ما كانت تستطيع في الحرب أن تخرج أكثر من عشرين قطاراً في اليوم ، ورأينا انها أقامت في بيل وحدها مصنعاً لسيارات النقل مساحته أربعون الف متر مربع وأنشأت خمسة مواقف تسع كل منها لالف من هذه السيارات ومهدت لها الطرق الموصلة الى لوكسمبرج والى ايكس لاشابيل وساورون ومدت هذه الكباري على نهر الرين عند كولونيا وكوبلنتس ومايانس ومانهايم

ولعل من أغرب ما يشاهد في هذه الايام في مناطق وستفاليا ورينانيا تلك الآلاف العدة من السيارات التي تزعم الحكومة انها سيارات لنقل البريد والتي تجوب أنحاء تلك المقاطعات قارئة أو محملة وكل منها تتسع لحمل أكثر من أربعين شخصاً مع ان المادة الثالثة والاربعين من معاهدة فرساي تنص صراحة على أنه « لا يجوز للحكومة الالمانية أن تقتني في المقاطعات المحتلة أي نوع من أنواع وسائل النقل الحربي والتعبئة »

هذا ما تصنعه المانيا في الجهات المحتلة من أرضها أما ما تفعله في أرضها الحرة فيحدثنا عنه القائد الفرنسي الجنرال جيوما قائد جيش الاحتلال على ضفاف الرين في التقرير السري الذي رفعه الى حكومته في سنة ١٩٢٧ والذي حصلت عليه ونشرته كل من صحيفتي « أوزيكوث » و « الآفنير » ، قال :

« ان كل المعلومات التي جمعتها هيئة أركان حربي متفقة على أن الحكومة الالمانية تسعى بكافة الوسائل منذ عام الى تحقيق خطة ترمي الى ايجاد قوات حربية كافية تستطيع أن تهاجمنا

بها عند الحاجة . ولست أشك في ان جهود حكومة الرايخ انما هي منصرفة من زمن بعيد الى تجديد دمائها وإنعاش وسائلها الحربية بأساليب تتحدى رقابة الحلفاء ويقظة رجالهم ولقد كانت هذه التدبيرات تتخذ من قبل خارج المناطق المحتلة ، أما في هذه الايام فقد أصبحت المانيا لا تتحرج أن تنشىء المنشآت المختلفة حتى في ربابا نفسها وغرضها من هذه المنشآت تسهيل عملية التحنيد والتعبئة وتعلم الشبان على الفنون العسكرية . أما معظم الشبان الالمانيين اليوم فقادرون على الاندماج في الجيش عند أول طارىء كجنود نظاميين مدربين » وها أخذ الحذران جيوما يسرد أنواع تلك المنشآت ومعظمها فرق للكشافة لا تعد وجمعيات رياضية أغراضها الظاهرة تشجيع المقبلين على الرياضة والطيران والرماية وما الى ذلك من النظم الحربية . ومن أغرب ما يلاحظه الحذران في تقريره تلك الكثرة المدهشة من الشبان الالمانيين الذين يؤمون مصانع الاسلحة والذخائر بدعوى الرغبة في « التفرج » وحب الاستطلاع فيظل الواحد منهم يتردد على نفس المصنع و « يتفرج » على نفس العمل تفرجاً عملياً تشترك به عيناه ويداه وعقله حتى اذا ما حذقه حل محله شاب آخر وهكذا دواليك

بيد أن الاسلحة والذخائر ليست كل شيء في الحرب إذ لا بد من الرجال أيضاً وليس الرجال بالشيء الذي يتعذر على المانيا وهي تعد من عدد سكانها عظام والوحدة مطردة في هذا العدد لا تقطع وما من شك في أن هذه الزيادة الكثيرة في المانيا باطراد تجعل من فرنسا العظمى وفرنسا بحسبان المستقبل القريب كل حساب ، اذ كان عدد الرجال لا يكفي لضمان الانتصار ما لم يدربوا على الخدمة العسكرية خير تدريب . فان حكومة الالمانية تعمد اليوم على مايا جيوشها التي خرجت سالمة من الحرب الكبرى كما تعمد على احراس الوطني الذي تتسع عدد بمئات الالوف وعلى الجمعيات الرياضية التي لا تخلو منها مدينة ولا قرية والتي تتكفل بتعليم الشبان سائر الأساليب العسكرية تحت شعار من الرياضة البدنية . ومتى عرفنا ان الحكومة تقتطع من ميزانيتها جزءاً كبيراً لتنفقه على هذه الجمعيات عرفنا أن ليس حب الرياضة هو الذي يشغف قلوب منظميها والقائمين بأمرها . ولعلك تعلم ان الحلفاء يجأرون بالشكوى من وجود جمعيتين كبيرتي الاهمية في المانيا وهما جمعية « الخوذة الفولاذية » وجمعية « كوندور » وبدون سكوت الحكومة عنهما وتشجيعها لهما دليلا يدحض ما تظهره الوزارات الالمانية من الرغبة في التآخي الدولي

أما الضباط الملازمون للجيش فيتكفل باعدادهم نظام الحرس الوطني وتدل ميزانية هذا الحرس الوطني في سنة ١٩٢٩ على ان عدد رجاله يبلغ ٣٧٩٨ ضابطاً و٢٠٨٨٠ صف ضابط و٧٤٠٢٠ جندياً أي بنسبة ضابط وصف ضابط لكل ثلاثة جنود . . . . وهذا ما لا مثيل له في أي دولة من دول العالم . ولا يجوز أن ننسى انه يوجد الى جانب الحرس الوطني شيء آخر يسمونه البوليس الاهلي وهو مؤلف من ١٤٠٠٠٠ جندي تامي التعليم . وعلى ذلك فان في

معدور المانيا اذا فوجئت بحرب أن تواجه العدو في أول يوم بجيش عدده ٤٨٠٠٠٠٠ مقاتل في الوقت الذي لا تستطيع فيه فرنسا أن تجرد أكثر من ٢٤٠٠٠٠٠ رجل.

وأما القواد العظام وضباط أركان الحرب فلدى المانيا من الذين حضروا الحرب الكبرى منهم لعدد الكثير وهم قواد وضباط برهنوا على كفاءة ممتازة وعلى خبرة قل أن يجاريهم فيها ضباط دولة أخرى. ولقد أكرمت الحكومة الالمانية بعد الحرب منوى أولئك القواد وأجزلت مكافآتهم ورصدت لهم معاشات عالية القيمة في مقابل أن يقوموا بتأدية ما تطلبه منهم من خدمات كتدريب اليونيس الاهلي والحرس الوطني وقل أن توجد هيئة من الجمعيات الرياضية المرعوبة لا يكون على رأسها أحد القواد العظام. وإذا ذكرنا أن أولئك القواد لا تزال نار الهزيمة في الحرب الكبرى تأكل قلوبهم وأن الرغبة في الانتقام تستتر في أفئدتهم، وإذا أضفنا إلى ذلك أن أساتذة الجامعات ومدرسي المدارس لا يفكرون يلقنون تلاميذهم المبدأ القائل بأن «المانيا فوق كل شيء» أيقنا أن الروح العسكرية لا تزال رغم ما يقوله أنصار السلام توجه جهود الشبيبة الالمانية وتقودها نحو حرب يأخذون فيها بالثأر

بقيت مسألة المال وهل تصلح حرب كما يقولون. وهذه مسألة تهمها الحكومة الالمانية بل أحلتها من عنايتها وتهتم بها الحكومة الاولى قبل غيرها وتصدرها والتجارة الالمانية في تمو مطرد والضرائب التي تتقاضاها الحكومة كثيرة والالمان يقدمون على دفعها رغم فداحتها مرتاحين راضين كأنهم يقومون بتأدية فريضة وطنية لا يقبل جدل ولا تردد. وقد أصبح الحزب الالماني في الولايات المتحدة الاميركية قوي النفوذ يستطيع أن يعد وأن تعين حكومة أميركا على أن تمد المانيا بالقروض التي تعطلها حرب طارئة ويكفي أن نقول إن حكومة الرايخ قد انفقت على قواتها الحربية في سنة ١٩٢٨ نحو مليارات من الفرنكات في حين أن الحكومة الفرنسية لم تنفق على حربيتها غير ستة مليارات لنتبين أن المال ليس الشيء الذي يعوز حكومة برلين

وخلاصة كل ذلك أن المانيا تتأهب للحرب القادمة وتعدها كل ما استطاعت من قوة وأصدق قول ينطبق على سلوكها قول الحكيم الانجليزي سوفجن الاخيري: «إن المانيا لا تريد الحرب ولكنها تستعد لها» وإذا كانت الحكومة الالمانية لا تحاول اليوم أن تسترد مكانتها العظمى بين الدول بالحديد والنار فلانها وقفت بفضل ساستها العظام الى أن تحمل أعداءها على التسليم لها بكثير مما حرمتها إياه معاهدة فرساي ولانها ترى من الخير أن تستدرج الحلفاء إلى النزول عن مقتضيات تلك المعاهدة مادة بعد مادة. وإذا ذكرنا نصوص معاهدة سنة ١٩١٩ القاسية ورأينا ما آلت اليه في هذه الايام علمنا أن المانيا لا محالة ستسترد مقامها في العالم بقوة السياسة وبقوة السلاح عمر الشريف

القطا وطرق صيده

ما من طائر اكثرت العرب من ذكره كالقطا فهو بحق طير قصيدهم لم تارعه مكانته ذات جنح ولع شعراؤهم بذكره ووصفه كما ولعوا بذكر الغزال ووصفه ، وبدر أن تتعرف الى شاعر منهم في الجاهلية او في العصور التي تلت زمن الجاهلية لم يذكر هذا الطائر بشعره . فهو شريك المحب في حبه واليائس في يأسه وهو رفيق المؤنس بأنسه وفرحه والنائه المنفرد في خلوته ببدائه . . . هو ذا مجنون ليلى — وأنت ادرى بخبره — يمر به سرب من هذا الطير فيتحرك بنفسه الهيا الكامن ويدفعه شوقه في حبه الى ان يستجير بهذا السرب

بكيت على سرب القطا اذ مررن بي ... وقلت ومثلي بالبكاء جدير
أسرب القطا هل من يعير جناحه ... لعلي الى من قد هويت اطير

وهو ذا رميله في الحي ورميه في مقتل واحدين عروه ان حرام او بالاحرى عروة عفراء يسأل عن حاله فينشد :

كأنّ قطاه عشيت جاحها ... حصى كدمي من شدة الخفقان

وهناك شاعر حشر همر الحب واهه وسلو الحياة الاجتماعية بما فيها من الوان لذة واللهو وقام يناغي الوحش والطير ويشاركهما في حياتهما

وتشرب اسآري القطا الكدر بعدما ... سرت قرباً احناؤها تتصلصل
هممت وهمّت وابتدرت واسدنت ... وشمر مني فارط متمهـــــل

اليست جميلة صورة هذه المنافسة بين هذه القطا الكدر تهم طائرة من مجاثمها في قلب الصحراء مندفعة بسرعة في اواخر الليل تحف بسرعتها اجنحتها بعضها ببعض ويهم معها هذا الرحل الوحشي يعدو على قدمين وساقين لا غير فلا ترد القطا عذب الماء الا بعد ان سقها اليه وروى غلته منه وصدر عنه فتشرب فضلاته ولم تعهد الصحراء طيراً سبق القطا الكدري في التبكير الى ورود الماء ، وانت تستطيع اذا عمدت الى كتب الادب ان تقف على مئات الابيات من الشعر في القطا لشعراء قدماء ومحدثين

نعم انه هو طير العرب أحبوه واكثروا من ذكره ووصفوا جثومه على بيضه في عشه ونهوضه من خشه ووصفوا سراه ليلا وورودة الى الماء وسيره اليها متدافعاً وصدوره عنها

وعقدوا لوصفه المجالس والمباريات وقد حكمت في احداها الشاعرة ليلى الاخيلية وضربوا بصفاته الامثال :

القطا من فصيلة الحمام ، فهو مستقيم المنقار صغيره قريب من حجم الحمام وشكله ولكنه يختلف عن الحمام بلونه وبمشيته فهو من ناحيتها يشبه الحجل . وهو على اربعة انواع (الكدري) وهو كبيرها ذو بطن اسود أكدر — ولعل اسمه منه — وظهر ارقش اشهب منقط تقنيط ظهر الحجل وحلق اصفر . هذا هو طير الشنقري والمثني يهم الى ورود الماء ماكراً ويغشى الصدران في صيحات الشتاء الباردة فيشق الجليد عن سطح مائها ليرد منها ، ومنه حزب يسمى الحوني كبير بحجم الحجل وهو طير بن الدمينة

وات التي كلفتني دلج السرى وحون القطا بالجلهتين جثوم

اما النوع الثاني فيسمى ماخر (وهو غير طير الخر الذي تستعمله العرب للصيد) بطن القطاة منه سني فاتح وظهرها بني مرقط ورقبتها منقطة من تحت بنقط بلون الحناء وهو يصوت « قطو . . . قطو . . . »

وهناك القطا المطوق وهو مخطط بخطوط هلالية بالشكل كهلالات بصفر منها سوداء باهتة اللون أو بالاحرى رمادية وهي شبيه كتماثيله هلال من هذه بلي هلال من تلك

اما النوع الرابع فهو الصياح — والعرب تسميه الحدق — يسمع « قطا . . قطا . . » يصوت باسم جنسه منقوق الصدر باسواد وهو اقرب القطا الى الحجل من ناحية لونه غير ان لون بطنه بني وهو اكثر لون الذكر في القطا كما رأيت بني فاتح او مايل ما دن لسمنه ومثلي نسبة الى رمال الصحراء

ولم أر في البادية طيراً أكثر منه عدداً ولقد شاهدته في مواسم رحلاته عائداً في الصحراء الى القرى الواقعة على حدود بادية الشام بالملايين بل بالوف الملايين ولو لم يذهب بعض الباحثين الى أن الطير الذي اقتات بلحمه الاسرائيليون في تيههم هو السلوى أو امس لقلت هو القطا الصياح دون جدال ويكفي أن تعلم أن بعض مراحه قد ترد الماء لاول مرة قادمة من الصحراء فتسقط في الغدير منهبة ثم تغب في الماء كثيراً وتبل ريش بطنها واجنحتها وتهم أن تطير فتعجز عن الطيران ويلتقطها صبية البدو حية وما أكثر ما يرمونها وهي طائرة اسراباً كثيفة بحجارة مقاليعهم فيسقطون بعضها

وأظن صورة هذه الكثرة تزداد وضوحاً بذهنك متى اخبرتك أن بعض قبائل البدو تمتاش لزمن ما على بيعه المتناثر في الصحراء ولعلك تنتقل معي بخيالك الى الصحراء في أوائل الربيع فاريك صبية البدو يطوفون اثنين اثنين بين تلك الكثبان يلتقطون البيوض

ويصنعونها بما آتهم الصيقة ـ يمسك الواحد بطرف العباءة والثاني بطرفها الآخر بحيث تصير بشكل كيس مبسوط فيتناول كل منهما البيض من الارض بيده الطليقة ويضعه في العباءة . واويك الآكام وقد حط عليها القطا فكساها حلة صفراء كثوب حقول القمح وقت الحصاد وترى في الافق غيوماً مستطيلة متقطعة لا تلبث أن تكشف عن اسراب كثيفة من هـذا القطا تكاد تحجب الشمس تسمع لاجنحتها اذا مرت فوق راسك صوتاً كأزيز الطيارات

تبيض القطاة مرة في السنة وقد تبيض مرتين واكثر ما تبيض ثلاث بيضات ولذلك قيل لها « أم ثلاث » ولا يطير القطا في فصل تزاوجه الا اثنين اثنين وترى اسراب الكبير منه وكله أزواج وقد تصرف الارمل بينها أو الاعزب لاول نظرة وترى القرين معطفاً الى قرينه ملازماً له في طيرانه لا يحيد عنه قيد شبر ولما تصح الانثى بيضها يزول هذا النظام في طيران القطا ويعقبه نظام آخر لا يقل عنه غرابة وهو أن الاسراب تكون كلها ذكور قبل الظهر واناث بعد الظهر وذلك لان الذكر وتسميه العرب القرناص يتناوب مع الانثى حضانة البيض ويتولى حصته من هذا العمل بعد الظهر

والقطا مولع بالورود وورود الماء وقد تموت في فصل الصيف اذا لم يطرء نادر عطشه بالماء وقد زعموا أن القطاة تترك فراخها في الصحراء وتذهب عند طلوع الفجر في طلب الماء من مسيرة ليلة فترد صحوها يومها وتحمل لفاءها الى فراخها فتسقيها ثم ترجع بعد الزوال الى تلك المسافة فتشرب ثانية وتأتي فراخها في عشية يومها فتسقيها كذلك بعد جهل ولا تخطىء موضع فراخها ولذلك قيل : « أهدى من قطاة » و« أدل من قطاة » وحدثني بدوي من عرب سورية قال : « نزلت ليلا ورفيقان معي ناكة في الحماد ونحن هناك حتى الصباح ولما استيقظنا رأينا برأس سنان رمحي الذي كنت نصبته ليلا قرب قطاة شكت صدرها ولقد زال استغرابنا لما رأينا مخلبها على الارض عند أسفل الرمح وفيه فرخان صغيران » قلت : « وما معنى ذلك ؟ » قال : « يجب أن تكون القطاة قد طارت من مخلبها عند اقترابنا منه وبعد ساعات معدت من تلك الليلة المظلمة عادت تطلب فراخها فخطت من حالق فوق مخلبها فصابها سنان الرمح الذي نصب عرضاً عند ذلك العش »

ولما تنقطع المياه من الغدران في الصحراء يهاجر القطا مع قراخه الى القرى المتطرفة على حدود الصحراء وترد غدرانها وأنهارها عند الضحى فلا يبكر كما كان شأنه ويطير أسراباً من ذكور وأناث وفراخ متناطة بعضها ببعض وتستطيع حينذاك أن تميز صوت الفرخ من صوت الكبير ومتى حط على الارض تر الصغير أغبر اللون لم يكتس بعد ريشاً ملوناً كالكبير ولم تظهر

في ذيله الريشتان الطويلتان اللتان تراهما في ديل الكبير ، وعند تلك الأنهر والمدران يلاقي حتفه من الصيادين

يحفر الصيادون حفيرة عند كل مدير وقرب برك الماء المتجمع من مجاري الانهار بحيث يكون قطرها نحو متر وعمقها نحو نصف متر ثم يبنون حولها حائطاً من حجارة صغيرة في ارتفاع نصف متر يسدون الثقوب بينها بالطين عدا ثقوب خاصة ـ ثلاثة أو اربعة ـ واحد في كل جهة ـ يتركونها لتكون نوافذ (مناريس) يصوبون منادقهم منها الى الطيور ويسمون الحفرة (نوجه) (جمعها نوجات) ولعل اسمها مأخوذ من كلمة « النوح » الافرنجية الذي تعرفه في المسارح حيث إنها تشبهه بالشكل وهناك محال أن تكون أتت الينا عن طريق قبيلة صليب خصوصاً وأن العرب القدماء لم يذكروا هذا الاسم للحفيرة هذه . وعلى الصياد أن يرتدي ثياباً صفراء باهتة أو بيضاء غبراء كلون التراب بحيث يخفى عن أعين القطا المار فوقه والا فقد تجنب ورود الماء وهناك من يسقف نوجته ويعمق حفرتها ويقصر حائطها بحيث تخفى تقريباً ـ وهذا نادر ـ

وأنت تريد أن تتعرف تماماً الى الصيد على هذه الطريقة فتعال أصحبك الآن في نوجة بعد أن تكون قد ارتديت ثياباً بيضاء كالتي ذكرناها . . احش بندقيتك بخرطوش من الرشاش الرفيع وأسندها الى حائط النوجة بحيث لا تظهر وافتح سمعك هادئاً واسمع . . هو ذا القطا يصوت من بعيد . . انه يحط بعيداً . . هذا تماماً . . ها هو يحوم حول الماء . . . تلصص بنأن من احدى النوافذ تر أن بعضه أخذ يحط على الارض ويسير الى الماء مهرولا ولا يزال البعض الآخر يحوم حولها حذراً ومصوتاً فقد ينبيء بوصوله الى الماء هو ذا سرب آخر يجاوبه من بعيد قطا . قطا . ها هو ذا يقصد الماء ليشاركه في ورودها . ها هو يحط قرب الماء عندك وها هو يتدافع في سيره نحو الماء هذه تدفع تلك وتلك تمشي متباطئة متثاقلة أمامها

فدفعها فتداعت مشي القطاة الى الغدير

ها قد كثرت أسراب القطا على الماء أمسك . . . قد علق القطا كما يقولون (بفتح العين) ولعلهم يعنون أنه علق الماء أي عشقه وشغف به فان القطا الآن يأبى أن يفارق الماء عندك فهو يغب منه ويطير ويعود فيغب ثانية وثالثة . . ها هو قد امطرك بوابل من رشاش الماء الساقط من أفواهه وهو يطير فوق نوحتك عند ورودة حائماً حول الماء انه يتساقط الآن على الماء تساقط الذباب على عطة عسل . هو ذا الارض والماء أمسك قد تغطتا بالقطا بحيث اذا حطت قطاة نزلت فوق غيرها . يكفيك انتظار . . تناول بندقيتك برفق وهدوء وصوبها من احدى النوافذ الى حيث ترى القطا كثيراً على خط طويل . . أطلق الطلقتين اذا استطعت ـ وقم واجمع

ولا تعجب اذا جمعت أكثر من خمسين فقد سبقك وسبقني غيرك وأحرز الرقم الـ ٩٥ ولو كان أعمى مكانك لصاد ما يشبع عائلته . . ولقد تقع على فراخ صغيرة لم تصب بخروق بل قد دوحها صوت المطلق ورائحة البارود وأقعدها عن الطيران تبلل ريشها بالماء وامتلاء الحوصلة منه ولقد ربيت كثيرا من هذه الفراخ فكانت تعيش اسنين أو أكثر قليلا وتموت في فصل الشتاء ولم تزاوج ولا أعلم ان كانت تزاوجت عند غيري ولقد كانت العرب تربيها في العصور القديمة وربما لا تزال الى الآن وكان عند أهل زرقاء اليمامة قطاة فيما يزعم الرواة قالوا : « ونظرت الزرقاء ببصرها الحاد الى السماء فرأت سرباً وأحصته عدداً فكان ستاً وستين فقالت :

باليت ذا القطا لنا ومثل نصفه لنا
الى قطاة أهلنا اذا لنا قطا مه

ولها يشير النابغة بقصيدته التي مدح بها النعمان وطلب عفوه وسأله الدقة في النظر الى أمره فقال :

واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمام شراع وارد الثمد
قالت الا ليت هذا الحمام لنا الى حمامنا ونصفه فقد

أراني أبعدتك عن موضوعك وما أردت أن ترجع اليها فقد ترى أكثر من فرصة لصيد مثل ما صدت وان فقدت مدلك جيد وفضل وقد يأتي سرب فاحذ مكانك وصيد مثل صيدك ويعود واذكر أن الحسين منه يعجز عنها

ويكثر القطا في سفح الجبل حيث يكثر النمر فتشف مياه العدران في الصحراء فيؤم مياه أنهر القرى المنطرفة الواقعة على حافة الصحراء والقرويون هناك يقولون : « سنة القطا بيع القطا » أي أنها سنة محل وفقر وجوع تضطرك الى بيع كل ما تملكه حتى غطاك غير أنهم يقتاتون بلحوم القطا وهي لذيذة نوعاً ما لا سيما لحم الفرخ منها . وسنة القطا يقطع أكثر الحزانين في القرى عن ذبح الضأن خوفاً من عدم نفاد لحمه فتأمل !

جبرائيل جبور

أسرار المادة

وما أذاعه العلم منها منذ أول القرن

من أين جاءت الحياة وهل نحن خالدون ؟

لم يمر على الانسان حين من الدهر كثرت فيه الاختراعات والاكتشافات كما كثرت منذ أول القرن الحاضر. فقد خطا العلم في هذه السنوات خطوات واسعة وكشف عن أسرار كثيرة كانت مستعصية على العلماء ولا سيما ما كان متعلقاً منها بتركيب المادة وبالصلة التي تربطها بالقوة من جهة ، وبالحياة من جهة أخرى . وقد خطر لاحد أساتذة جامعة « فينا » أخيراً ان يحصي جميع الاكتشافات التي وفق اليها الانسان منذ سنة ٤٠٠ قبل المسيح — وهي السنة التي بسط فيها ديمقريطوس العالم اليوناني رأيه في المادة — الى سنة ١٩٣٠ . فاتضح له ان اكثر من نصف تلك الاكتشافات تم منذ بدء القرن الحاضر

وليس هنا لتقدم السريع نشأ عن عوامل وحوادث عن هذه العوامل يصعب شرحها بمثل هذه العجالة . وانما نقول ان هذا العلم الذي يقوم على أركان ثلاثة اكتشافات خطيرة وقعت جميعها قبيل ختام القرن الفائت وهي :

(١) اكتشاف [illegible] بعض ثلاثينه المعروفة باسم (أشعة ركس)
(٢) « تكبير [illegible] المادة المعروفة بالانشطار
(٣) « الاشعاع الكوني ووجود عنصر الراديوم

وقد مهد كل من هذه الاكتشافات طريق الوصول الى الكثير من أسرار المادة . ولم يتفق للبشر في عصر من العصور أن عملوا بمثل النشاط الحاضر لاستجلاء غوامض الحياة وأسرارها وللوصول الى الاصل الذي نشأ منه الجوهر الفرد ، بل الى الكهارب التي هي قوام ذلك الجوهر . ولقد يدهش المرء لكثرة ما يشاهده اليوم من دور العلم وما تبذله تلك الدور من الجهود في سبيل اماطة اللثام عن أسرار الحياة إذ قلما نجد جامعة محترمة في أوربا أو أميركا إلا ولها معامل ينعق فيها العلماء أوقاتهم ويخدمون العلم والانسانية وهم صامتون . وقد يواصلون العمل في الليل والنهار وهم لا يعلمون إلى أين تنتهي جهودهم وعن أي شيء تسفر مساعيهم . ولكنهم يعملون بكل نشاط ويضحون براحتهم في سبيل خدمة الانسان

كانت نظرية الجوهر الفرد من ايام ديمقريطوس الى أواخر القرن التاسع عشر تتجاذبها عوامل الموت والحياة . فكانت القرائن تظهر من وقت الى آخر على صحتها . ثم تظهر بعد ذلك قرائن أخرى على العكس من ذلك . واختلفت آراء العلماء في تركيب المادة والكائنات . وكان آخر ما ذهبوا اليه أن جميع عناصر المادة مؤلفة من دقائق غير قابلة للتجزئة تعرف بالجوهر الفرد . وظل هذا الاعتقاد

سائداً الى ما قبل حلول القرن الحالي اذ ظهر رأي جديد في تركيب المادة يقول ان الجوهر الفرد مؤلف من دقائق متناهية في الصغر هي الكهارب أو الالكترونات . وان هذه الكهارب أو الالكترونات متماثلة في جميع العناصر وان العناصر انما تختلف بعضها عن بعض بعدد الكهارب أو الالكترونات التي يتألف منها كل جوهر من جواهرها

ظهرت هذه النظرية يوم كانت اعناق العلماء مشرئبة الى عنصر الراديوم الذي اكتشفه الاستاذ كوري وزوجته في سنة ١٨٩٨ . وقد أدهش هذا العنصر العلماء يومئذ اذ رأوا له من الخواص ما لم يكن يخطر لهم ببال . من ذلك انهم اذا وضعوه في وعاء أو اناء ارتفعت درجة حرارته من دون أن ترتفع درجة حرارة الهواء المحيط به . ومن ذلك ايضاً انه لا يستطاع زيادة تلك الحرارة أو نقصها بد ليس للمرء عليها من السلطة اكثر مما له من السلطة على الشمس . على انهم تمكنوا من مقياس تلك الحرارة فوجدوا انهم اذا وضعوا كمية من ملح الرادوم فوق كمية صغيرة من الراديوم مدة معينة من الزمن فان الماء يغلي . وان اشعاع الراديوم وانطلاق الحرارة منه لا يؤثران في جسمه الا تأثيراً بطيئاً جداً حتى ان أية كمية منه لا تفقد جسمها بالاشعاع الا بعد مرور الف وخمسمائة وثمانين سنة ! فتأمل

ويرجع الفضل في اكتشاف سبب حرارة الراديوم الى السر أرنست رذرفورد احد كبار العلماء الانجليز اذ أثبت في سنتي ١٨٩٩ و ١٩٠٠ ان عنصر الراديوم ثلاثة انواع من الاشعة سماها باسماء الثلاثة الاحرف الاولى من حروف الهجاء اليونانية وهي « الف » و « بيتا » و « جاما » و (لنسمها بالعربية « ا » ـ « ب » ـ « ج ») واتضح اكثر فيما بعد ان اشعة « ا » تشبه الطريات القديمة في تركيب المادة

والمجال لا يتسع لوصف التجارب العديدة التي قام بها السر أرنست رذرفورد لمعرفة تركيب المادة فقد أثبت هذا العالم ان اشعة « ا » ليست سوى ذرات دقيقة للمادة منقلة بتيار كهربائي موجب وهي جواهر عنصره الهيليوم ، بينها . واثبت أيضاً ان نحو سبعة وثلاثين الف مليون جوهر فرد ينبعث من « جرام » واحد من عنصر الراديوم في الثانية الواحدة بسرعة تختلف من ثمانية آلاف وثمانمائة ميل الى اثني عشر الف ميل في الثانية ! اي ان اسرع جوهر فرد في اشعاع « ا » يزيد سبعة عشر الف ضعف على سرعة قنبلة المدفع

وأثبت السر رذرفورد أيضاً ان اشعة « ب » ايضاً هي مجموعة دقائق ولكنها أصغر واسرع بكثير من جواهر أشعة « ا » . وهذه الدقائق هي المعروفة الآن بالالكترونات أو الكهارب . وتعادل سرعتها سرعة أشعة الشمس أي ١٨٦ الف ميل في الثانية وهي اعظم سرعة ممكنة في الوجود

اما اشعة « ج » فتشبه من بعض الوجوه اشعة اكس (رنتجن) الا انها تفوقها في قوة الاختراق اذ تستطيع اختراق لوح من الحديد يبلغ ثخانته خمس عشرة بوصة . فهي اذن تستطيع اختراق الحديد الذي تصنع به البوارج الحربية في العصر الحاضر . وهذه الاشعة ليست مجموعة جواهر او الكترونات كاشعة « ا » واشعة « ب » بل هي مجموعة خيوط ضوئية ذات امواج قصيرة جداً وهي واقعة خارج نطاق الطيف الشمسي المنظور

(٢) تركيب الجوهر الفرد

وكانت الخطوة التالية أن أثبت ويلسون (العالم الانجليزي الذي نال جائزة نوبل سنة ١٩٢٧) ان الجوهر الفرد هو فرع كعصاء الكائنات . فقد تمكن هذا العالم من اطلاق واحد من ذرات أشعة « ا » على هواء غرفة مشبع بالبخار المائي . ونظراً إلى ما في تلك الذرات من التيار الكهربائي تكاثف حولها حباب من الهواء المشبع بالرطوبة فنشأ منه ضباب كان كثيفاً الى حد انه أمكن تصويره بالآلة الفوتوغرافية بحيث اعطى خط سير تلك الذرات . وثبت ان ذلك الخط كان في بعض الحالات مستقيماً وفي غيرها متكسراً كثير الزوايا . ولما كانت كهربائية تلك الذرات موجبة فلا شك ان الكهربائية التي كانت تدفعها وتلوي خط سيرها كانت أيضاً موجبة . لان التيارات المتماثلة تتنافر والمختلفة تتجاذب

وثبت أيضاً ان التيار الموجب كان مستقراً في قلب الجوهر الفرد وحوله فراغ عظيم جداً حتى ان الذرات المنبعثة من أشعة « ا » قلما يدنو منه مسافة تكفي لوقوع التأثير . وقد سماه العلماء باسم « بروتون » وقالوا في تعريفه انه النواة التي ينشأ حولها الجوهر الفرد . أو هو التيار الكهربائي الموجب الذي يتألف الجوهر الفرد منه ومن الكهارب السابحة حوله . وللمسافة عظيمة جداً بينه وبين الكهارب أو الالكترونات ذات الكهربائية السالبة . ولكي تعرف مقدار الفراغ الذي بين كل « بروتون » و « الكترون » تخيل انك قد جمعت كل مادة في جسم الانسان من بروتونات والكترونات وجردتها من الفراغ فتحيط بها اكبر قاعة من تلك التي تعقد فيها حفلات الرقص بحيث تصعب عليك رؤيتها بلا مجهر

* * *

وأثبت العلم بعد ذلك ان أبسط جوهر فرد هو جوهر الايدروجين وانه يتألف من الكترون (كهرب سالب) واحد يدور حول نواة موجبة تتألف من « بروتون » واحد . وعبارة أخرى ان العلم أثبت ان الجوهر الفرد ليس جسماً مادياً جامداً كما كان الناس يزعمون بل هو مجموعة كائنات تدور دوراناً منظماً بسرعة هائلة . وذلك الدوران هو منشأ قوة هائلة في الامكان استغلالها والانتفاع بها وفي الواقع ان الطبيعة تستغلها بكل حكمة واقتصاد كما يتضح من اشعاع الراديوم وبعض العناصر الاخرى

وأسفرت المباحث العلمية فيما بعد عن تقرير هذه الحقيقة وهي ان جميع جواهر العناصر مؤلفة في الاصل من جوهر الايدروجين بزيادة عدد الالكترونات والبروتونات . وبعبارة أخرى ان المادة ليست في الاصل سوى مجموعات مختلفة من الالكترونات والبروتونات وان الفرق بين جواهر العناصر المختلفة انما هو في عدد الالكترونات والبروتونات التي يتألف منها جوهر كل عنصر . ومعنى هذا انك تستطيع استخراج جوهر الايدروجين من كل عنصر آخر . وهو ما أثبته العلماء بتجربة علمية يصعب شرحها في هذا المقام

وبعبارة أخرى ان قوام المادة هو شيء واحد والعناصر كلها هي من أصل واحد وانما تختلف بعضها عن بعض بعدد الكهارب (الالكترونات) التي يتألف منها الجوهر الفرد

وهذا يعيد الى الاذهان مسألة حجر الفلاسفة الذي كان علماء الكيمياء الاقدمون يبحثون عنه

ويعتقدون انه يتيح تحويل المادة من عنصر الى عنصر ويتيح أيضاً تغيير بعض المعادن ذهباً . وفي الواقع أن العلم الحديث قد اثبت أن هذا في حير الامكان فالطبيعة تفكك بعض العناصر وتنثر الكهارب التي تتألف منها جواهرها الفردة وتصنع منها جواهر أخرى جديدة

(٣) هل نتحكم بتركيب المادة ؟

ترى هل يجيء يوم نتحكم فيه بتركيب المادة فنحللها (نحللها) ونحولها من عنصر الى عنصر ؟ حقاً اننا اذا اصبح لنا ذلك ملكنا ناصية أعظم قوة عرفها الانسان بل أعظم قوة يستطيع الفكر أن يتصورها وتعني بها قوة تفكيك عناصر المادة بل تفكيك جواهر تلك العناصر . وهذا التفكيك ينتج قوة هائلة . ويعتقد السر وليم براج وهو من كبار العلماء الاعلام ان الانسان سوف يستمد كل ما يحتاج اليه من قوة في المستقبل من ذلك التفكيك وسيتحكم بالمادة فيسخرها لأمور لا تخطر له الآن

ان العناصر التي تتألف منها الكائنات محدودة فهي زهاء التسعين وكل عنصر منها يختلف عن غيره بكمية الفولتونات والالكترونات التي في كل جوهر من جواهره الفردة والجوهر الفرد شديد الشبه بالمجموعة الشمسية فيه نواة (تقابل الشمس) يدور حوله الالكترونات كما تدور السيارات حول الشمس . وكل الكترون فلك خاص يدور فيه حول النواة بسرعة لا تدركها الاذهان . والنواميس التي تسري على الذرات تسري أيضاً على الجوهر الفرد

* * *

قلنا ان الايدروجين هو أبسط العناصر كلها لأن جوهره الفرد يتألف من إلكترون واحد يدور حول بروتون واحد . أما العناصر الأخرى فهي أكثر تعقيداً لأن جواهرها الفردة مؤلفة من الكترونات وبروتونات أكثر والقوة التي تربط الالكترونات والبروتونات معاً هي الجاذبية . وقد قلنا ان لكل الكترون فلكاً يدور فيه حول البروتون كما تدور السيارات حول الشمس . وكثيراً ما يتفق ان أحد الالكترونات يثب أو ينتقل حالاً من فلك الى فلك آخر . وهذا الانتقال يسبب انطلاق قوة كبيرة يتوقف مقدارها على مركز الفلك الذي انتقل منه الالكترون . وقد تمكن العلماء من ضبط هذه القوة وقياسها بطرق علمية يصعب شرحها بلغة بسيطة . وأثبت العلامة انشتين (صاحب مذهب النسبية) ان القوة المحجورة في كل جوهر فرد هي عظيمة جداً . وبلغ من دقة حساباته انه استطاع ان يعين مقدار القوة الكامنة في أية كمية من المادة

فالمادة اذا فنيت أو تغيرت من عنصر الى عنصر انطلقت منها قوة هائلة . والشمس إذ تشع مادتها تطلق في الفضاء قوة لا يستطيع العقل أن يتصورها . وفي الواقع أن الشمس هي أعظم مصدر القوة التي نعرفها . فهي تشع في كل ثانية قوة تكفي لتحويل خمسين ألف طن من الجليد أو الحجر الى ماء غال في ثانية واحدة . فتأمل !

ومعنى هذا ان الشمس تفقد بالاشعاع ارسه ملايين طن من مادتها كل ثانية ! ومع ذلك فهي

كبيرة جداً ولا خوف عليها من الفناء قبل مرور الملايين من السنين إذ هي لا تخسر في العام الواحد سوى جزء من تريليون [١] من حجمها !

فالعلم الحديث اذاً يمكننا من حساب ما مرّ من عمر الشمس وما بقي لها من العمر . كما انه يمكننا من معرفة الزمن الذي يستغرقه تفتت العنصر واشعاعها . فالراديوم مثلا يفقد نصف حجمه كل ألف وخمسمائة وثمانين سنة والاورانيوم يفقد جزءاً من مائة من حجمه كل ثمانين مليون سنة وهذا الجزء يتحول رصاصاً . ويقدر علماء الكيمياء كمية الرصاص الموجود في طبقات الاورانيوم في الكرة الارضية بنحو واحد وعشرين في المائة من كمية الاورانيوم نفسه . فاذا فرضنا ان هذا الرصاص كان في الأصل (أي عند نشوء قشرة الارض) كله من عنصر الاورانيوم ثبت لنا أن قشرة الارض تحجرت منذ ألف وخمسمائة مليون سنة على الأقل !

(٤) الاشعة الكونية وعلماء الكائنات

ومن العبث أن نحاول شرح نظرية النسبية في هذه المقالة وهي أعظم نظرية علمية ظهرت في العالم منذ عصر نيوتن الى هذا اليوم . وهي معقدة لا يسهل شرحها بلمة يفهمها الجميع وانما نقول ان اينشتين ـ صاحب النظرية ـ قد قلب علوم الاقدمين رأساً على عقب وأثبت أن الكون محدود وان الفضاء مقوس وان سنة الضوء لا تبقى ثابتة في تحولات وتغيرات في الفضاء

وفي سنة ١٩٢٣ عاد ملكان العالم الامريكي الاكتشاف حر وهو وجود اشعة (اطلق عليها اسم الاشعة الكونية) منبعث من أعماق الفضاء وتخترق من الرصاص ما لا تستطيع اشعة « اكس » أو أشعة « ب » ان تخترقه إذ تخترق سمكه من ذلك المعدن يبلغ نحو ست عشرة قدماً !

وليس معلوماً تماماً مصدر هذه الاشعة أو المكان الذي تنبعث منه . ولكن بعض العلماء يعتقدون انها تنشأ من تفتت العناصر في حرم الشمس . وفي هذا شيء من التعزية لأنه يدل على ان العناصر اذا تفتتت تنشأ منها عناصر جديدة وهو برهان على خلود الكائنات . على ان ملكان مكتشف هذه الاشعة يعتقد انها لا تنبعث من الشمس بل من فضاء الاكوان البعيدة . وكثيرون من علماء البيولوجيا يعتقدون ان هذه الاشعة هي قوام الحياة وسبب وجودها

فاذا صح هذا الزعم أفلا يجوز لنا أن نقول ان هذه الاشعة كانت منبع الحياة في غير عالمنا الارضي أيضاً أي ان الحياة موجودة في غير كرتنا الارضية ؟

***

هذه بعض الاكتشافات والنظريات العلمية التي تمخض عنها القرن الحالي . وهناك اكتشافات أخرى مهمة لا يتسع المجال لشرحها . وجميعها تدل على مبلغ تقدم العلم في خلال الثلاثة العقود الاخيرة من القرن العشرين

---

(١) التريليون هو ألف ألف مليون

كيف صنع الجبن وتعددت أصنافه

تأنق الغربيين فيه

يعد الجبن طعاماً ومن الاطايب في وقت معاً فهو الفرنسيين كاللحم عند عربم والهولنديين كالبطاطس عند الانجليز والسويسريين فطور وعداء وعشاء . وهو أقدم طعام غير طبيعي عرفه الناس ورعا كانت الزبدة والسمن أقدم منه

ولبعض الناس نهم للجبن يفوق نهم عربم للخمر أو الشاي أو الكافيار وسائر هذه الاشياء . و لخبيرون فيهم يميزون بنظره واحدة الروكفور الصحيح من التقليد حتى المصنوع منه في روكفور نفسها . ويعرفون الجورجونزولا الايطالي من الستلتون الانجليزي من رائحتهما على عظم تشابههما . ويحكم الواحد منهم على أنواع الجبن الكريمية اذا كان فيها الكريما الكافية بمجرد مضغها بأصبعه . ويعرف هل نضج هذا الصنف من الجبن أو ذاك بالنقر عليه بأصبعه و لانصات للصوت الذي يحدثه بعد النقر . ولا يأكل بعض الاصناف إلا اذا قطعت بسكين ولا البعض إلا اذا مضى عليه خمس سنوات وإلا اذا كان « منشوراً » . ولا البعض الآخر إلا اذا كان معه شيء من فاكهة الغرب البري . وغير ذلك من فنون الجبن

أول من صنع الجبن

ولأصل الجبن حكاية نذكرها هنا وهي جديرة بالعمل آثرنا كثيراً حتى يجب أن تحسب صحيحة ولو كانت مخترعة . فقد زعموا أن مسافراً في صحراء جزيرة من سفره وليكرع كرعة من لبن كان يحمله في جراب مصنوع من كرش خروف . ولما أدار الجراب على فيه اذا معظم حامض قد ملأ فاه . فتح الجراب فوجد فيه قطعة من الجبن تجاري أو جبن صنع سهواً لا عمداً . وهذا الجبن تكوّن بفعل « المنجة » الباقية في طيات كرش الخروف

وفي العالم الآن خمسمائة صنف من الجبن كلها يصنع من اللبن ولكن بطرق مختلفة . والعالب أن الفرق بين أصناف الجبن عائد على الاقليم وعلى نوع العشب الذي ترعاه السائمة من بقر وغنم وماعز وجواميس وعلى الاحوال الجوية

كيف اكتشف جبن روكفور

جد جبن روكفور مثلاً فقد بدأوا يصنعونه في بلدة روكفور الفرنسية منذ ثمانمائة سنة . وسبب تكهنه التي يمتاز بها عن سائر أصناف الجبن كهوف روكفور التي يصنع فيها . وله حكاية يجب ان تكون صحيحة سواء أكانت صحيحة أم مخترعة

فقد حكي ان فتى أعزل من راعياً فرنسياً لحأ منذ ثمانية قرون الى كهف في صواحي روكفور استشراء من عاصفة هائلة . ولما مرّت العاصفة برعدها وبرقها وصواعقها ومطرها نزل الكهف ونسي فيه « زوادته » ولكنه عاد اليه بعد ستة أسابيع فوجد زوادته وقد عفن خبزها وعلا

حتها عفن أحمر دقاق الحبل فوجده لذيذ الطعم . وما زال دأبه بعد تلك الحادثة ترك زوادته من الخبز والجبن عمداً في المغارة ليطيب طعم الجبن

طريقة صنعه

وعفن روكفور يصنع من لبن الغنم لا البقر والبكتريا التي تكسبه طعمه المعروف لا تعيش وتتكاثر إلا في المغائر والكهوف الطبيعية . وقد سوا مغائر وكهوفاً صناعية هناك لعمل الجبن فيها ولكن جبنها دون جبن المغائر الطبيعية بكهة وطيبة . والخبير يعرف الصنعي حالاً

ومن أنواع الجبن ما يكون طعمه على أحسنه وهو جديد كالجبن الذي يصنع من الكريما ولكن أكثر أصناف الجبن ما كان قديماً . ونضج الجبن مسألة من أدق مسائل صنعه فإن تركه بضع ساعات أكثر مما يجب أو أخذه بضع ساعات قبلما يجب يحملان فرقاً كبيراً في طعمه فإما أن يكون جبناً فاخراً أو دون المتاد

وإذا زار أحد كهوف روكفور وجد الخبازين يصنون بقرية الجبن كما تعني الأم برضيعها ورأى الغنم ترعى الأعشاب العطرية التي تنمو في المراعي الصخرية العالية . وطعم هذا الجبن عطري ومه يستمد الجبن بعض طعمه اللذيذ المعروف

أما العفن الأخضر الذي يكون على جبن روكفور كما في الجبن فإنما نشأ من فعل فتات الخبز في الجبن أو من فعل بكتريا الأحجار في الحجرة . وعليه فإن وضع الجبن في المغائر تترعليه فتات من الخبز مصنوعة خصيصاً لهذا الغرض وقد سماه أحد الباحثين بذرة الجبن المكهف ، عفناً مخضراً وقد أخذ يظهر على وجه الجبن فيأكله فإذا كسروه متحسون بها الجبن فتتطفل البكتريا على قلبه وتحوّل لونه الأبيض أخضر

أنواع الروكفور

هذا هو الروكفور الفرنسي . وللإيطاليين روكفور يسمونه جورجونزولا وللإنجليز آخر يسمونه ستلتون ومن الخبراء من يفضلونهما على الروكفور الفرنسي الأصلي

ولكل مطعم كبير في باريس قبو أو سرداب للجبن خاص به . وترى الجبن يدخل عندهم في كل وجبات الطعام عندهم في كل مناسبة

أما ستلتون الروكفور الانجليزي فيصنع في بلاد لسترشير وبرفند من انجلترا وهو أغلى أصناف الجبن يباع الرطل منه بخمسة شلنات

الجبن الهولندي « الصمك »

ومن أنواع الجبن المشهورة ما يسمى « إدام » وهو الجبن الفلمنكي المعروف الذي يصنع بشكل كرات حمراء . و « إدام » اسم البلدة التي يصنع فيها . فإذا اخترت ترعتي تاركي وهولندام في هولندا وصلت إلى مدينة « إدام » وعرفتها من حلتها السندسية المبسطة على حواجب الماء ومن أكوام الكرات الحمر والصفر المجموعة هناك

وهي تربه لا تزيد مساحتها على أربعين متراً ولكن شهرتها طبقت العالمين . وحينما دهمت في هولندا ترى الفلاحين من أهلها يركبون دواليبهم على التوع دواليب دوجين . والعالب ان يكون كل دوجين مؤلفين من أب وابنه مقصدون أعلامهم في هولشتين ومعهم إبله لحلب اللبن ومنعه . فاذا حلبوا سائتهم غادوا باللبن وصعوه حتى في الطريق وهم عائدون الى مزارعهم ليكيلا يضيعوا فرصة

ويباع اللبن في سوق هذه الكفار بالمزاد في كل يوم جمعة . ويبدأ المزاد الساعة العاشرة صباحاً على أنغام الموسيقى من دوشجرين يعزف بها على برق قديم . يباع في المزاد أحياناً ١٢٥ الف كيلو من هذه الكرات

هل ينقرض الغوريلا ؟

وصف للغوريلا وعيشته في الغابات

بكت إحدى الصحف العلمية الغوريلا وأسفت لأنه على خطر الانقراض وهو « أم القرود الشابهة للانسان » كما قالت

ولكنها اعترفت بأن سبب انقراضه ناشئ على العلم نفسه ولكن لا عنه وحده . فان الغوريلا قليل الآن في العالم حتى وجهت جميع العنايات في الزمان الأخير لاصطياد تاريخ منه للمتاحف وحدائق الحيوانات

ومن هذه الصحف مجلة أسبوعية كولمبيا وتصف الامريكي الطبيعي الى الكنغو البلجيكية فصادت هو وأصحابه خمسة فوق خمسة كنغو ثم صادوا آخر وحنطوها كلها لارسالها الى امريكا ليوضعا في المتحف الذي يشرف عليه والمشرع الانساني في متحف الامريكي لاعراض تشريحية صرفة

وتعتقد العامة أن الغوريلا وحش مفترس ضيق الخلق لا هم له إلا التفتيش عن الناس ومطاردتهم حيث يقام حتى لقد قيل إنه هو المول الذي رآه مايلط شراً وذكره في شعره وإنه هو الذي امتطى ظهر السندباد في أحد أسفاره . وهم يقولون الحكايات عن خطفه النساء والاولاد وحملهم الى معاوره . ولكن ليس لدينا دليل يثبت صحة هذه المزاعم التي يعتقدها العامة من بيات الخيال

قوة الغوريلا الذكر

فالغوريلا الذكر أقوى من الاسد وهو ليس من الحيوانات التي تهاجم الانسان ولكنه اذا هوجم أبدى شراسة تفوق الوصف كما أن الحيوانات البرية التي تهاجم حتى النمور البري وحتى الفيل وان قوي . وقوة ذراعيه وفكيه هائلة تفوق بكثير أقوى المصارعين . وربما لا تعد أقوام كما يلاعب الهر الفأرة

وقد قال المستر برنجر الصياد المشهور : « لو أخذ غوريلا بالغ وكم قوته في أشاك هل

سير العلوم والفنون

اكبر سيارة
سيارات الكهربائية
أكبر سيارات الاجرة
السيارات الكهربائية
في أوربا ويوجد في
سيارة سلك وبرى
سيارى في الصورة
سلكاً تلفونياً
السيارة تحمل
راكبين مع

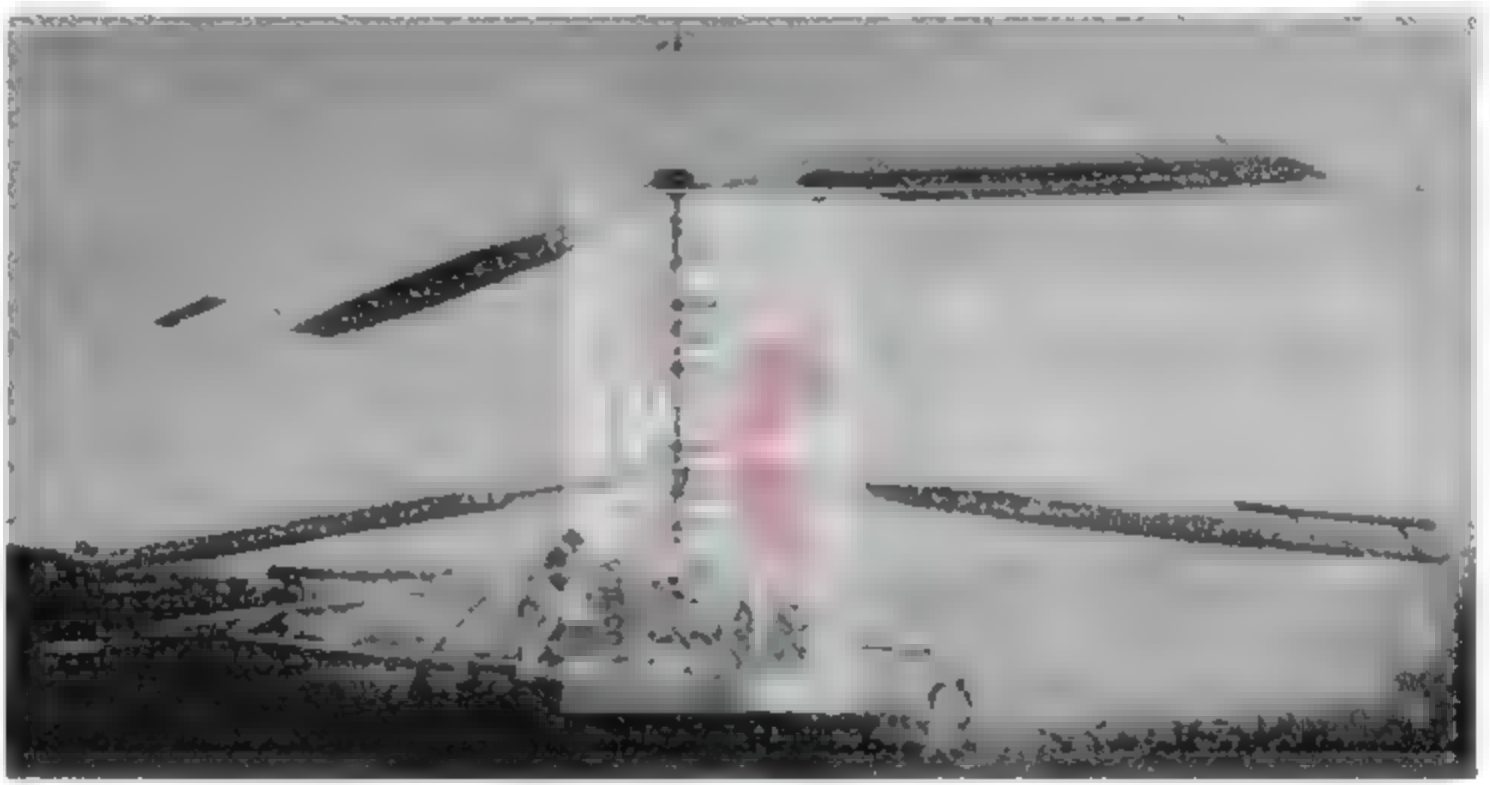

طيارة هيرمان

اصلح المهندس الالماني كرادينو راسكا طيارة ذات ولايتين مضادتين في اتجاهها ، وسيرها لتشبه محرك موتوسيكلات هوت تعاون محركاً .
وقد جرب هذه الطيارة فنجحت نجاحاً باهراً

شاهد قارئ هذه [illegible]

آلة جديدة للاقتراع

اخترع [illegible] بكوكونزدورف [illegible] شورز آلة للاقتراع تغني عن رفع الانتخاب وللآلة أزرار بعدد كل حزب بواحد منها وما على الناخب الا أن يضغط على زر الحزب الذي يحبذ له فيصوت صوته داخل الآلة . وهناك عداد مرفق بالآلة يشير على عدد الأصوات المدونة

تعليم صورة الشمس

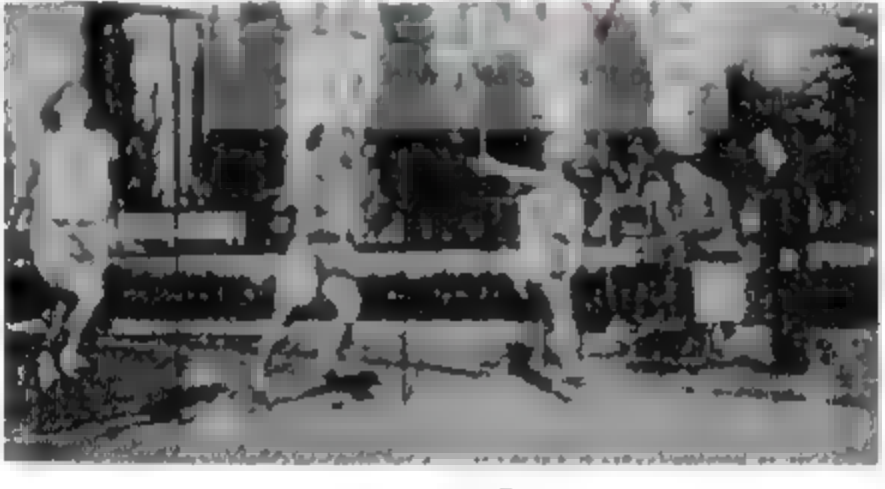

آلة لضبط الوقت

استحدثت أخيراً آلة حساسة دقيقة لضبط الوقت في مسابقات الجري . وكيفية استعمال هذه الآلة أن توضع عند خط الانتهاء ويوصل كما تشاهد الصورة بالشريط الذي يحترق المتسابقين . فاذا ما لمس السابق الفائز هذا الشريط لاجتيازه خط الانتهاء تنمر الآلة بذلك وتدون في الحال الوقت الذي وصل فيه السابق الى خط الانتهاء

تحذير لقصاد السكك الحديدية

عند هبوب العواصف الرملية في أثناء الحرارة تنبعث من سطح قاطرة القطار وقود تتصاعد منه أبخرة ٥٠ درجة هذه الحالة واسطة « رئة » توضع عند ملتقى كل قضيبين وهذه الرئة تنفتح وتنقبض حسب تمدد القضبان أو تقلصها

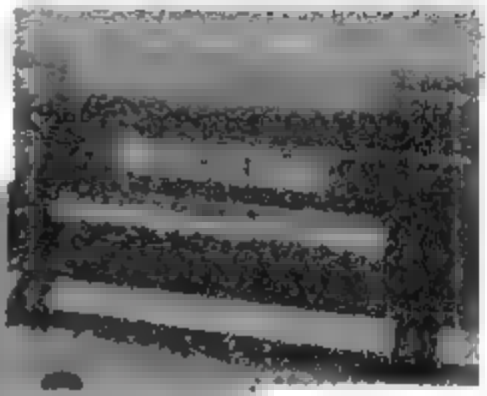

أعظم مكبر للصوت في العالم

أنشأت معامل سمعية في سانت لويس بالولايات المتحدة الأميركية مكبراً للصوت يعد من أعظم المكبرات الصوتية في العالم إذ يمكن بواسطته نقل الصوت مسافة عشرين كيلو متراً تضخم مساوٍ صوت أصوات أوركسترا عدد رجاله ٢٠٠٠ شخص وهو يزن ٢٤٠ كيلو جراماً ويستهلك من الكهربائي نحو ١٢٠ أمبيراً

هل هي أسماك بحرية أو مناطيد هوية ؟

عثرت احدى البعثات العلمية الاميركية على هذه الحيوانات البحرية العجيبة في أعماق الاوقيانوس
في جهات رعيدا ، وهي كما ترى في الصورة تشبه المناطيد الهوية

حيوانات بحر قرمز

حيوان حري[illegible] الحيوانات التي عثر عليها في البحار الحمراء كما في أعماق الاوقيانوس . وهذا من نوع الحيوانات التي [illegible] تمسح شفاف كزجاج الصاء

حيوان بحري آخر عثر عليه في قاع البحر الأحمر يشبه الأخطبوط ولكن ليس له ثمانية أذرع بل له ذراعان فقط تنتهيان من الرأس ويرى في وسطهما الفم الذي يتغذى منه

ARCHIVE

كيف عرف الانسان النار

لما خرج الانسان من الطور الحيواني إلى طور تخاوق عاقل تغيرت طرق معيشته ووسائل حياته . فصار لا يحتمل البرد الذي كان يحتمله وهو في الطور الحيواني وصار يلتمس وسائل الدفء بالالتجاء إلى الكهوف والاكنان من تعطيه الجسم بأوراق الاشجار ولحائها. ودعته الغريزة إلى النفخ في يديه لتدفئتهما ثم إلى فرك إحداهما بالاخرى كما يعمل حتى الآن في فصل البرد. ومنه فرك يديه إلى هذه الحقيقة، وهي أن احتكاك الاشياء بعضها ببعض يؤدي إلى تسخينها. وبهذه الطريقة تمكن من استيلاد النار من قطع من الخطب أو الخشب

على أن فريقاً من العلماء يعتقد أن الانسان عرف النار قبل ذلك إذ شهد بعض أنواع تقذف الحمم الملتهبة وقد كان على الكرة الارضية طائفة كبيرة منها في الازمنة الجيولوجية الخالية . ومن المحتمل أن الانسان عرف النار بطريقة أخرى أيضاً وهي من الحجر الصوان

السيسموغراف وليحث عن الزيت

السيسموغراف آلة دقيقة لتسجيل الزلازل ودرجة شدتها ومقدار بعدها عن مراكز معينة ولم يكن يعرف لها قبل الحرب الكبرى صفة أخرى . إلا أن علماء الالمان استعملوها في تلك الحرب بغرض جديد وهو تعيين مراكز مدافع الاعداء وقياس بعدها . ذلك أن أمواج الارتجاجات التي تنشأ عن قصف المدافع تسير بمتوسط من السرعة يختلف باختلاف طبيعة الارض وبهذه الطريقة يمكن تعيين موقع المدافع

وقد عمم العلماء هذا المبدأ الآن بتعيين طبيعة الارض بمجرد قياس سرعة الارتجاجات الناشئة عن الانفجار والتي تسير في الارض . وبتعيين تلك السرعة يمكن تعيين نوع الترب أو الارض التي تنتشر فيها أمواج الارتجاج ومعرفة هل هي رملية أو صخرية أو طباشيرية أو معدنية أو ربما وفي بعض أنحاء المكسيك الآن بعثة تبحث عن ينابيع الزيت وتستعين على ذلك بآلة السيسموغراف

الحديد والمصريون القدماء

في أحد أجزاء مجلة بايتشر لشهر يونيو الماضي مقالة عن المعادن التي كان المصريون القدماء يصنعون منها آلاتهم وأدواتهم. ويؤخذ من هذه المقالة ومن آراء السر فلندرس بتري العالم الاثري المشهور أن استعمال الحديد لم يشع بين المصريين إلا حوالي سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد . إلا أن هذا المعدن كان معروفاً عند القوم قبل ذلك الزمن بكثير ولم يكن استعماله نادراً جداً . ويقال إن الملك الصيني الثاني الذي عاش من سنة ١٢٩٣- ١٢٢٥ قبل الميلاد كتب مرة إلى ملك الحثيين يطلب منه أن يرسل إليه هدية من حديد وقد وجد في قبر توت عنخ أمون بعض أدوات حديدية موضوعة على لفائف المومياء . ويقول الاستاذ ريكارد إن وضعها على ذلك الوجه دليل على قيمتها وعظم شأنها . وهذا أيضاً دليل على ما كان للحديد من قيمة في عيون المصريين القدماء

الهواء النقي

قامت مصلحة الطبيعيات الاميركية بعدة تجارب علمية لاختبار درجة نقاوة الهواء الذي نستنشقه واستعانت على ذلك بآلة دقيقة لجمع مقادير معينة من الهواء في ساعات معينة وفي أجواء معينة . وبعد جمع إحصاءات كثيرة ثبت أن الهواء يكون

على أنقاه قبيل الفجر وأنه يصلح في تلك الساعة للاستنشاق ولتنقية الدم

وثبت أيضاً أن درجة نقاوة الهواء تختلف كثيراً جداً باختلاف ظروف المكان والزمان . فهواء نيويورك مثلاً أقل نقاوة من هواء بعض القرى التي على رءوس الجبال . وهذا الهواء هو على أنقاه عادة في فصل الشتاء إذ فيه تزيد الأقدار التي فيه على رطل ونصف رطل في كل مليون متر مكعب من الهواء إلا في المدن التي يكثر فيها دخان المعامل

لماذا تتعب ؟

لان حامض اللبن — اسيد لاكتيك — يتولد في الجسم بكثرة . فاذا استطاع الجسم أن يتخلص من هذا الحامض شعر بالراحة التامة

والجسم يسعى من تلقاء نفسه (أي بطريقة أوتوماتيكية) للتخلص من هذه المادة على السواء ولكنها قد تتجمع في بعض الحالات بسرعة هائلة بحيث يعجز الجسم عن التخلص منها . ومن أحسن الوسائل للتخلص منها تناول السكر ومواد أخرى من نوع السكر كيهيدرات

ان جسم الانسان هو من أحسن الآلات التي تولد القوة . فبينما الفاطرة البخارية لا تعطي من القوة أكثر من ١٥ في المائة من كالوريات الحرارة التي تستعملها وبعض الآلات الاخرى تعطي نحو ٣٠ في المائة فان جسم الانسان يعطي أكثر من أربعين في المائة ذلك لان العضلات تحرق الوقود (أي الغذاء) الذي يدخل الجسم بصفة سكر (كلبكوجين) وكريات الدم الحمراء تحمل الاوكسجين اللازم لاحراق ذلك السكر . فاذا تعبت العضلات احتاجت الى كمية من الاوكسجين أكبر من الكمية التي تستطيع الكريات الحمراء امدادها بها . وإذ ذاك يتولد الحامض اللبني

سيار آخر

في شهر مارس الماضي اكتشف مرصد اوبل بأميركا سياراً جديداً وراء نبتون يبعد عن الشمس نحو أربعة آلاف مليون ميل أو أكثر من أربعين ضعف بعد الارض عن الشمس . وقد وصفنا هذا السيار (وهو تاسع السيارات المعروفة) في جزء سابق من « الهلال » وشرحنا المقدمات والعوامل التي أدت الى اكتشافه

ومع انه لم يمر على ذلك الحادث سوى أربعة أشهر وبعض شهر فقد جاءنا الأنباء الآن بأن مرصد الدوميون بمدينة اوتاوا (بكندا) قد اكتشف جرماً علوياً جديداً يدل جميع القرائن حتى الآن على انه سيار جديد يبعد عن الشمس نحو ما يبعد عنها السيار التاسع . أي أن السيار العاشر — كشفيه السيار التاسع — هو وراء بنتون .

ويرجع الفضل في اكتشافه الى الدكتور هـ . وو (من أعضاء مرصد الدوميون المذكور) والآنسة بريلاند مساعدته . فقد كانا يفحصان منذ بضعة أيام بعض الزجاجات الفوتوغرافية الفلكية وبينها زجاجات ترجع الى سنة ١٩٢٤ لعلهما يجدان أثراً لسيار نوبل (السيار التاسع) وما كان أشد فرحهما عند ما وجدا على الزجاجة نقطة صغيرة فدرساها ودرسها معهما الدكتور مفروم مدير المرصد نفسه فاتضح للجميع ان تلك النقطة تمثل سياراً جديداً فأطلقوا عليها اسم السيار « X » وهو الحرف الذي يسبق آخر الحروف الهجائية الاوربية

فاذا ثبت ان الجرم العلوي الجديد هو سيار جديد كان هذا العام من أهم الاعوام في تاريخ الفلك اذ قد اكتشف العلماء في خلاله سيارين هما أبعد السيارات الفلكية المعروفة

لمحاربة التين الشوكي

لا يخفى أن نبات التين الشوكي (الصبير) ينمو بسرعة هائلة في أنواع كثيرة من التربة ولا سيما الرملية منها. وقد يكون هذا النبات معروفاً في أوستراليا منذ عدة سنوات فلما أدخل اليها انتشر فيها بسرعة هائلة حتى صار يحتل مساحات واسعة وتسبب في أضرار كثيرة لعدة أنواع من النباتات حتى استقر رأي ولاة الامور على محاربته باطلاق أنواع من الحشرات عليه لتفتك به كالحشرة المعروفة بدودة القرمز . وقد جاءوا أخيراً بثلثمائة مليون حشرة منها إلى أوستراليا وأطلقوها على المناطق التي استفحل فيها نبات التين الشوكي

ومما يجدر بالذكر أن المكسيك والولايات الاميركية الجنوبية تعتبر موطن التين الشوكي . ولكن هذا النبات لا ينمو هناك إلا في البقاع التي لا تصلح للزراعة . وحكومة تلك البلاد تطلق عليه الحشرات التي تفتك به ولا تسمح باثارته إلا في المناطق الرملية

السمع والصمم

نشر الدكتور بيرفيلي أحد أساتذة جامعة كامبردج مقالة في المجلة الطبية البريطانية دحض فيها بعض الخرافات الشائعة عن العميان وقال إن الاعمى المصاب بفقد بصره ليس عادة مصاباً بفقد أي حاسة أخرى من حواسه أو بضعف قواه العقلية إلا إذا كان السبب الذي عطب مركز البصر في الدماغ قد عطب معه مراكز أخرى أيضاً . وليس صحيحاً أن الاعمى يستعيض عن حاسة البصر بتقوية الحواس الاخرى كحاسة اللمس أو الشم أو السمع . بل كثيراً ما تضعف فيه بعض تلك الحواس . وقد لوحظ أن العميان الذين يستعملون السباحة أو أي أصبع أخرى لقراءة يصابون بضعف حاسة اللمس في الاصابع

وكان أرسطو الفيلسوف يقول إن النظر هو أهم حاسة للحيوانات عامة ولكن السمع هو أهم للانسان العاقل من أي حاسة أخرى . على ان الدكتور فيلي يقول إن الانسان الاعمى هو عدة أمور دكاء من الرجل الاصم . ومع ذلك فان أصعب الاعمال يصلون الرجل الأصم عادة على الرجل الاعمى فيستخدمون الاول ولا يستخدمون الثاني

جبارة الاجسام

يعتقد البعض ان جبارة الاجسام يجب أن يكونوا أغبياء البنية سليمي الصحة ذوي شجاعة وقد . لا أن جريدة « بي جورنال » الباريسية نشرت مقالة للاستاذ جان ليكون خلاصتها ان الجبار ليس من « السوبرمان » المنظر بل هو عادة شاذ أو مشوه خارج عن الصميم وهذه الغرائب

وفي الواقع ان كبر جسم الجبار هو مرض كسائر الامراض . ويؤخذ من مباحث العلماء أن الجبار هو كالطفل في قواه العقلية وقد نظرت في اعضاء جسمه فخلقة وجدتها فاقدة التناسب . ويقول الاطباء ان جميع جبارة الاجسام هم مصابون بمرض الدبابيطس (البول السكري) ومعظمهم معرضون لمرض السل ولامراض أخرى . وليس لهم حد ولا صبر على التعب وليس لعضلاتهم قوة تستحق الذكر مع بهاء صحة اللحم . وكذلك اعصابهم ضعيفة وكثيراً مايصابون بالنورستانيا . وقلما شاهد احداً منهم جميل الوجه وللاسف لأن اعضاء الجسم ـ كما سبق القول ـ غير متناسقة

شئون المنزل

التلفون والوفيات

يعرف القراء الاعلانات التي تشترع بها مصلحة التلفون في مصر وفي جميع انحاء العالم لتعميم استعمال التلفون في المنازل. وفي الواقع أن التلفون تظهر فائدته على أحلاها عند حدوث حريق في المنزل أو عند الحاجة إلى استدعاء الطبيب. وقد كتبت احدى المجلات الطبية الأميركية بحثاً في هذا الموضوع للدكتور فري أحد العلماء الاميركيين. مؤداه أن الاحصاءات الدقيقة تدل على هبوط نسبة الوفيات في جميع المدن والقرى التي يكثر فيها التلفون في المنازل. وعلة ذلك أن وجود التلفون يمكن أهل المنزل من استدعاء الطبيب في وقت وجيز فيجري الاسعافات اللازمة ويحول دون الوفاة في أغلب الاحيان

أما المنازل الخالية من التلفون فان استدعاء الطبيب اليها في حين الحاجة لا يتم بالسرعة المطلوبة ولذلك تكثر فيها الحوادث التي تنتهي بالوفاة

وقد نبهت بعض شركات التأمين على الحياة إلى هذه الحقيقة ولا يبعد أن يكون لوجود التلفون في المنزل شأن في خفض أجور التأمين

طبخ الطعام بالاتومبيل

تقول جريدة « مودرن ميكانكس » الاميركية ان بعضهم اخترع آلة لطبخ الطعام على الاوتومبيل في أثناء سيره وذلك بوضع الطعام في الآنية المذكورة وسدها سداً محكماً ووصلها بالأسلوب الذي يمد منه الدخان أو البخار في مؤخرة الأوتومبيل. فني أثناء سير الأوتومبيل يطبخ الطعام وينضج من دون استعمال وقود خاص

ولا يدرك قيمة هذا الاختراع إلا الذين يميلون إلى النزهة في الخلاء إذ يمكنهم الآن أن يطبخوا طعامهم بأنفسهم من دون معاناة أي تعب

اتقان هندام المرأة

يقول أحد الفرنسيين المولعين بجمع الاحصاءات ان حوادث الطلاق تكثر بين الازواج الذين لا يهتمون بهندامهم وتقل بين المتأنقين والمتأنقات. وقد يبدو الواقع على خلاف ذلك في أول الامر لان الصحف لا تنشر إلا أخبار الطلاق الخاصة بالأسر الكبيرة. أما حوادث الطلاق في الأسر الفقيرة فقلما تكترث الصحف لنشر اخبارها مع انها كثيرة جداً

ويظهر ان الرغبة في الطلاق تقوى في نفس كل من الزوجين كلما رأى الآخر قليل العناية بامر هندامه. وما زال هذه الرغبة تقوى بمقدار اهمال الهندام حتى تتغلب تلك الرغبة الى التصميم على طلب الطلاق

وليس معنى ما تقدم ان استعمال المنظم هو سبب الطلاق الوحيد وانما يستدل من احصاءات المحاكم على انه من أقوى الاسباب وأكثرها شيوعاً

التسمم بالآنية الفضية

تستعمل جميع ربات المنازل مادة خاصة لتنظيف الآنية الفضية أو المذهبة . وكثيراً مايتهاون خدم المنازل في غسل تلك الآنية ومسحها جيداً بعد تنظيفها بالمادة المذكورة فتنشأ عن ذلك حوادث تسمم كثيرة كما وقع في أحد المنازل الاميركية الكبرى منذ نحو سنتين إذ اصيب ذات يوم ثلاثون رجلا بالتسمم وكانوا قد تناولوا الطعام في ذلك المنزل ثم ظهر من الفحص ان التسمم نشأ عن تنظيف آنية الطعام الفضية والملاعق والشوك والسكاكين عنده حتوي على عشرين في المائة من سيانيد البوتاسيوم . وتوالت الانباء بعد ذلك ان عدة حوادث تسمم وقعت في منازل أخرى . وقد أصدرت حكومة ولاية بنسلفانيا ومصلحة الصحة بنيويورك أوامر مشددة لاصحاب الفنادق والمطاعم بعدم استعمال أي مركب من مركبات السيانيد في تنظيف آنية الطعام وأدواته

أما أعراض التسمم التي ينشأ عن هذه المادة فهي القيء والاسهال وخفوق القلب والذهول وسرعة النبض واصفرار الوجه . فيحذر ربات المنازل من اهمال غسل الآنية وأدوات المائدة بعد تنظيفها بأية مادة معروفة

وجع المعدة

لا شك ان الآلام التي تنتاب المعدة هي من أكثر الاوجاع شيوعاً بين الناس ، ويعتقد الكثيرون ان منشأ هذه الآلام هو برد يصيب المعدة أو عسر هضم . على ان مباحث الاطباء الأخيرة قد أثبتت ان آلام المعدة هي عرض من أعراض أمراض كثيرة قد لا يتنبه المرء الى علاقتها بالمعدة

فقد ينشأ وجع المعدة عن البرد الذي يصيب الأشخاص الذين هم كبار السن أو الاشخاص المتصفين بدقة الاحساس وبتنبه الحسب . وقد يصاب المرء أيضاً بذلك الالم في حالات الغضب والفزع والجهد العقلي والاضطراب النفسي . بل قد لوحظ أن وجع المعدة ظهر في بعض الحالات على أثر العدوى بمرض

وكذلك يشتد هذا الألم على الأشخاص المصابين بضعف الدم . وتعليل ذلك ان الدم في هذه الحالة لا يصل الى المعدة ما يكفيها من عنصر الاوكسيجين ليمكنها من القيام بوظيفتها وكذلك قد ينشأ مرض المعدة عن اصابة الرئتين بالتهاب أو أي تعب أو جهد

وذهب بعض الاطباء الى أن وجع المعدة كثيراً ما ينشأ عن ارتجاج الاذنين بأصوات قوية وذكر الطبيب بروير الاميركي انه جيء اليه ذات يوم برجل مصاب بآلام مبرحة في معدته لم يتمكن الطبيب من تحقيقها إلا بعد فحص المصاب بالمورفين . وعند تحري أسباب الآلام اتضح ان المصاب كان يدوي في أذنيه صوت الراديو بلا انقطاع يومين متواليين

أزياء النساء الجديدة

يؤخذ من مجمل القرائن ان النساء قد يرجعن الى زي السنين الطويلة على الأقل فيما يختص بتنانير السهرة ، ولكن جمهور الاطباء لا ينظرون الى عودة هذه التنانير بين الارتياح

لأنها غير ملائمة للشروط الصحية وتقول « نشرة الاخبار العلمية اليومية » وهي من الصحف العلمية الاميركية ان ديول الفساتين الطويلة هي من أعظم وسائل نقل الميكروبات ولا سيما في فصل الصيف ، وهذا ثابت من احصاءات كثيرة فقد كانت الوفيات والامراض الناشئة عن الفساتين الطويلة منذ عشرين سنة أكثر مما هي الآن عما لا يقاس . فضلاً عن ان الفساتين الحديثة القصيرة الأذيال تمكن المرأة من الحركة ومن الاشتراك في الألعاب الرياضية بحرية أكمل . ويعتقد الكثيرون من كبار الأطباء في أوربا وأميركا ان « الموضة » قد أثرت في صحة المرأة العصرية بوجه الاجمال تأثيراً حسناً . وان هذا التأثير ليس ناشئاً عن الفساتين القصيرة الأذيال فقط بل عن قص الشعر أيضاً اذ كانت في كل عصائر المرأة منذ عشرين سنة كانت من وسائل نقل الجراثيم

والخلاصة ان الأطباء في أوربا وأميركا ينظرون الى عودة الفساتين الطويلة نظرة أسف شديد ويتمنون لو بطل الارباء النسوية الحديثة على حالها

البشرة الملوحة

لايخفى ان بشرة الجسم اذا تعرضت طويلا للشمس أصبحت سمراء ملوحة . وقد كانت هذه السمرة « موضة » عن مودات النساء في السنوات الاخيرة ولكنها كانت مقصورة على الصيف فقط . ولا تزال الكثيرات من الفتيات يقصدن الى المدن الساحلية في فصل الصيف بقصد الاستحمام وتعريض بشرة الجسم للشمس . ويعتبر لون البشرة هذا دليلا على ارتياد المصايف البحرية — وبالنتيجة — دليلا على الغنى والمقدرة على قضاء فصل الصيف في تلك المصايف

ومن ثمة أصبح لون البشرة الجديد رمزاً الى غرور بعض الفتيات اللواتي يرون فيه سبباً من أسباب للدهاة . وشعر بعض الماهرين في استغلال غرور المرأة والرجل بأن أمامهم فرصة سانحة . فعمدوا الى صنع مواد اذا دهن بها جلد الجسم أكسبته لوناً أسمر هو لون الزي الحديث

ولسوء الحظ كانت معظم تلك المواد أو المركبات تحتوي سموماً مهيجة للبشرة . وقد وقعت عدة حوادث نجمت عنها عواقب وخيمة بسبب تسمم البشرة . ولكن سلطان « الموضة » قوي جداً يخضع له جميع النساء في جميع الاعمار

ومن دواعي الأسف ان الزي الحديث يقتضي أن يقتصر لون البشرة على فصل الصيف فقط وأن يعاد البشرة الى لونها الطبيعي في فصل الشتاء . وهذا يقتضي استعمال مركبات يذلك بها الجسم وتسمى « فاشت البشرة » وفي احدى الصحف الاميركية ان الاطباء اكتشفوا حوادث تسمم كثيرة ترجع إلى استعمال تلك السموم . ويقول الدكتور بابست الاميركي ان ازالة اللون الاسمر عن البشرة يكاد يكون متعذراً اذا كان ذلك اللون ناشئاً عن استعمال مركبات كيمياوية لان تلك المركبات تخترق مسام الجلد فتلون بشرته . فاذا أريد تبييض البشرة فيما بعد تعذر ازالة آثار تلك المركبات الكيمياوية من مسام الجسم

صحة الأسرة

تأليف الدكتور احمد حمدي الخياط

يسرنا مانراه في العهد الاخير من هذا النشاط الطبي الذي تبدو مظاهره في تلك العناية الفائقة التي يبذلها جمهور من الاطباء في نشر القواعد الصحية العامة التي تحفظ من آلام الانسانية ، وتدفع عن المجتمع كثيراً من الاضرار ، وتهدي العامة الى ما يجب عليهم اتباعه من طرق الوقاية حتى يكونوا بمعزل عن أسباب الامراض فيعيشون محتفظين بأجسامهم سليمة وطرا الصحة والرفاهية

وهذه ولا ريب خدمة جليلة يقوم بها هؤلاء الأطباء نحو أبناء جلدتهم ، يدفعهم اليها واجب الانساني ، وتحضهم عليها تلك المهنة الشريفة التي أرصدوا أنفسهم لممارستها حبّاً في المصلحة العامة .

وقد قام بعضهم بإذاعة بعض النشرات الطبية المفيدة . وعمد آخرون الى تدوين القواعد الصحية التي تهم الجمهور في مؤلفات خاصة . ومن هؤلاء الدكتور احمد حمدي الخياط أستاذ فن الجراثيم وعلم الصحة في المعهد الطبي العربي بدمشق . فقد رأى قياماً بالواجب الاجتماعي أن يذيع على جمهور القراء ارشادات طبية نافعة لا يستغني عنها الصبي والشيخ والمرأة والرجل ، فألف كتابه « صحة الأسرة » ، وجعله حاوياً لما يجب اتباعه في جميع أطوار الحياة المختلفة منذ ابتداء تكوين الحمل الى ما يلي ذلك من الادوار التي يمر بها الانسان سواء أكان ذكراً أم أنثى . وقد قسم بحوث هذا الكتاب الى ثلاثة أجزاء ، اختص الجزء الأول منها بصحة الزوج والزواج . والثاني بصحة الحمل والحامل . والثالث بصحة الطفولة الأولى . وضمّن كل جزء من هذه الأجزاء القيمة عدة فصول عن الاعتناء الصحي في الدوغ ، وعلاقه بالحالة الجسمية والنفسية ، وعن الزواج وسائر ما يتعلق به من الوجهة الطبية ، كما فصل الكلام عن الحمل وصحة الحامل وما يلزم لها من رعايات أثناء الحمل وبعده ، وما تجب مراعاته من العناية بالوليد ، والحرص على سلامته من الامراض باتباع الاصول الطبية في الرضاعة والاستحمام والنظافة . وقد ختم تلك البحوث والارشادات بخاتمة مفيدة بين فيها العناية بالمصحة ، وما يترتب على ذلك من سلامة الأمة ورقيها الصحي

ونحن لا يسعنا ازاء هذا المجهود الثمين الا ان نثني على الدكتور احمد حمدي الخياط و مثاله ممن يجودون براعتهم وأوقاتهم في سبيل المصلحة العامة سواء أكان ذلك بالقول أم الكتابة أم العمل ونود لكتابه رواجاً يليق بقدره وما يحويه من قواعد صحية لا غنى لأحد عن الاطلاع عليها

المواد المخدرة أمس واليوم

الدكتور عبد الوهاب محمود

انتشر تناول المخدرات في هذا العصر انتشاراً ازعج الاطباء وسائر من يهمون صحة الجمهور وسلامته من الآفات الفاتكة التي تقضي على صحته

الشخص كانسان ، وعلى كيف عاشته كرب بيت وعميد اسرة . وكان من اثر ذلك تلك الحملة التي تقوم بها الحكومات والاطباء لمكافحة شره في كل مكان وانقاء ما يمكن اتقاؤه من اضراره السيئة . وقد عمد الدكتور الفاضل عبد الوهاب محمود الى تأليف رسالة اسماها « المواد المخدرة أمس واليوم » تكلم فيها عن آثار هذه المواد الضارة ، ومدى ما تحدثه في المجتمع من شقاء ووبال . وقد أحصى فيها احصاء دقيقاً ضحايا هذه المواد ممن خسروا صحتهم واموالهم ، واصبحوا في حالة يرثى لها . وشرح في هذه الرسالة تأثير المواد المخدرة في كل جزء من اجزاء الجسم كالقلب ، والرئتين ، والكبد ، والجهاز التناسلي ، والعوارض التي تطرأ عليه من جراء ذلك ، وما يتلوها من مضاعفات خطيرة قد تودي بحياة صاحبها . ثم تكلم عن العلاج الذي امكن الاهتداء الوصول اليه حتى الآن . وأبان الطرق التي يجب اتباعها عن تناول هذه المواد السامة . وفصل كلامه عن طريقة المنع البات ، والمنع التدريجي ، والمنع السريع ، ثم طريقة التعاون والاستعانة ، وعدة العلاج اللازمة للخلاص من هذا الداء . وبذلك أتت رسالته وافية بالغرض الذي ألفت له من تحذير الجمهور ، وارشاد المصابين الى ما يجب عليهم عمله لخلاصهم من هذا المرض النفساني والجسمي مع اجتناب هذه المواد الضارة التي كانت سبباً فيما يعانونه من شقاء ووبال

وقد احسن الدكتور عبد الوهاب محمود في نشره هذا المؤلف وعنايته بهذا الموضوع الذي يجب على الجميع أن يحرصوا كل الحرص على معرفة ما يلزم لاتقائه من التحذير والارشادات النافعة التي تضمنتها هذه الرسالة القيمة

وثائق تاريخية للكرسي الملكي الانطاكي

للخوري ميخائيل بريك الدمشقي

يحتوي هذا الكتاب على التاريخ السياسي والديني للشام ولبنان وفلسطين في المدة الواقعة بين سنة ١٧٢٠ وسنة ١٧٨٢ وقد تناول سيرة كبراء سورية في هذه المدة من الوزراء والحكام من بيت عظم ومعاصريهم ومرءوسيهم وما كان بينهم من حروب ، كما تناول الاسلام والنصرانية وطائفة الروم فيها في هذه البلاد ، وما حدث بينهما من الخلاف والفتن . وقد استقى المؤلف جميع ما ذكره في هذا الكتاب من المشاهدة والعيان حيث كان معاصراً لجميع ما أرخه من الحوادث ، فدونها تدويناً صادقاً خالياً من التحيز والحيف التاريخي . وقد عني بتعليق حواشيه مع ملحق له [illegible] الدمشقي . وقد نشره حضرة الكاتب الفاضل الأب يوسف معلوف . وقد نقله قبل نشره عن نسخة المخطوط الشمسي عن نسخة مكتبة برلين . وهذا الكتاب من حيث قيمته التاريخية مفيد لكل من يعنى بحوادث هذا العصر في بلاد الشام . وان المطلع على ما ضمه بين صفحاته من أخبار وحوادث تاريخية ليجد في أهمية هذه الحوادث وعبرتها السياسية والاجتماعية ما يسبيه ضعف أسلوبه الذي يتعثره له وجوده في عصر لم توفق فيه اللغة العربية إلى كثير ممن يعنون بها وينشرون فصحاها الفصحى

ونحن ننشر هنا بعض ما ذكره عن حوادث سنة ١٧٧٥ . قال :

« في هذه السنة أقبل محمد بك أبو الذهب والي مصر بالدفاع الكثيرة والمساكر الكثيرة على طريق البر لمحاربة أرض فلسطين وبلاد صفد وظاهر العمر وحاصر مدينة يافا وبايام قلائل بالمحاربة والمخاتلة ملكها

وأمر بقتل من فيها حتى النساء والاولاد حتى الزوار الاغراب . وما اراده من النساء والاولاد أرسلهم الى مصر وللباقي جيشهم ماتوا بحد السيف رحمة الله عليهم ونهبوا جميع ما فيها وسلم منها بعض الناس قلائل »

علوم العرب الرياضية وانتقالها الى أوربا

تأليف الاستاذ احمد فهمي ابو الخير

كان للعرب في عصرها الذهبي نصيب وافر في العلوم الرياضية وغيرها من العلوم والآداب التي تزدهر عدة في مثل هذا العصر ، ويظهر لها فيه من مطاحل النبوغ والابداع من يبقى ذكرهم أسوة حسنة لأبناء الاجيال التي تليهم . وقد عني العرب فيما عنوا بالمباحث الرياضية ، وبرع فيها عدد ليس بالقليل ، منهم الخوارزمي وهو أول علماء الرياضة عند العرب ومؤلف كتاب الجبر والمقابلة ، الذي أخذ عنه الافرنج ، ونقلت منه جميع الكتب الرياضية التي كتب في العصور الوسطى ؛ ومنهم ثابت بن قرة الذي أتم ما بدأه الخوارزمي ونقل إلى العربية مؤلفات ارشميدس واقليدس وبطليموس وأبولونيوس ومنهم الحياني والكرخي وغيرهم من علماء العرب الرياضيين الذين خلفوا في هذه العلوم تراثاً مجيداً سيناه أو تناسيناه .

وقد عرض الاستاذ احمد فهمي ابو الخير لخاتمة الايسائي في العلوم أن يحيي ذكر هذا التراث الخالد ، وكيف انتقل إلى أوربا ، فاستفاد منه الغربيون وأضافوه إلى ما عندهم من معارف في هذا الباب ، فقام بتأليف كتابه « علوم العرب الرياضية » وذكر ما كان للعرب من شأن في هذه العلوم ولا سيما في عهد الدولة العباسية ودولة الأندلس ، وتناول ما ادخلوه فيها من القواعد الجديدة التي ما زالت إلى الآن قوانين رياضية سير عليه الرياضيون في الجبر والهندسة . وقد توخى المؤلف في كتابه البحث التاريخي دون المباحث العلمية إلا ما ألجأته الضرورة اليه ، لذلك فهو مفيد لكل قارئ رياضي وغير رياضي . وقد قسمه إلى قسمين احدهما خاص بعلوم العرب الرياضية وثانيهما خاص بانتقال هذه العلوم إلى اوربا . وقال في القسم الثاني :

« وأول ما انتقلت هذه العلوم الى أوربا انتقلت من اسبانيا لا من بلاد العرب الى غرب أوربا . لقد وجد العرب الفاتحة دعائم ملكهم في اسبانيا وتمددوا فيها سلطانهم ، وكان ذلك سنة ٧١٢ ، فما جاء القرن العاشر أو القرن الحادي عشر حتى بلغوا في المدنية الدرجة القصوى . ومع أن علاقاتهم السياسية بالخلفاء العباسيين كان شوبها بعض الجفاء الا أنهم وجدوا كل تشجيع لمصنفات العرب الشرقيين في الرياضة . ثم تضمن هذه الجملة من تقرير تدريس التراجم العربية لكتب الجبر وأرشميدس وأبولونيوس وبعض مؤلفاتهم من علماء الاغريق . مع كتب اخرى الى جانب هذه الجبر من العرب ، في مدارس الاندلس الثلاثة الكبرى في قرطبة وغرناطة واشبيلية وقد يقدر أن هذه الخطوات تدل على مبلغ ما وصلت اليه الثقافة الرياضية في الاندلس ، ولكن لما كان العرب حريصين الحرص كله على حماية علومهم من العصارى وعدم اطلاع هؤلاء على شيء من محتويات كنوزهم العلمية ، فانه يتعين علينا تحديد الزمن الذي انتقلت فيه كتب العرب الى اسبانيا تحديداً معقولاً »

عواطف الزوجة

تأليف الاستاذ حسين هرم

هذه رواية تمثيلية ذات ثلاثة فصول تحتوي على عدة مشاهد تحلل فيها عواطف الزوجة في نوعها الحقيقي ، ويصور فيها المؤلف مبلغ تطور المرأة الشرقية في أدوارها الحالية . وقد أهداها

إلى زعيمة النهضة النسوية في مصر السيدة هدى هانم شعراوي . فقال في هذا الاهداء :

« واذ استشرت من نفسي ، مع صغر شأني وضعف توفي ، ميل شديد الى مصرة مبدأ حضرة الزعيمة الجليلة من وجوب النهضة بالسيدة المصرية لتتبوأ المكان الذي يليق بهضتها الحالية ، اندفعت بعامل اعجابي بشهامتك النظيرة ونهضتك المباركة الى أحد قصصي في ميدان جهادك من طريق القلم ، فكتبت هذه الرواية الصغيرة واسميتها « عواطف الزوجة » لاظهر للأدباء الكرام تطور السيدة المصرية تأييداً لك في كل مطالبك وايضاحاً لانك على حق في هذا الجهاد الشريف »

وإذا استثنينا هذا الاهداء وجدنا جميع الرواية قد كتبها المؤلف باللغة العامية المصرية . وهذه اللغة على مافيها من ضعف وركاكة لا تروق كل من يتعشق اللهجة العربية الفصحى إلا أنها تمثل الحياة المصرية في العصر الحاضر تمثيلا صحيحاً . وهذا ماحدا بالكاتب إلى أن يكتب روايته بهذه اللغة . على أنا لا يسعنا أن نقول إن المؤلف كان دقيقاً في تنسيق روايته من حيث الفن القصصي . وإن كان لا خلو من بعض الهنات والأخطاء الفنية التي يقع فيها عادة مؤلفونا القصصيون في هذه الأيام التي لم ينضج فيها إلى الآن فن القصص المصري

الحرب العامة ضد المخدرات السامة

القس يسي منصور

تشتمل هذه الرسالة الصغيرة على محاضرة القاها القس يسي منصور في جمعية الشبان المسيحية مطبطبا ، فعدد فيها أضرار المواد المخدرة وما تجره على متعاطيها من وبال ، فضلا عما يصيب المجتمع من انتشار الفساد فيه بانتشار تناول هذه المواد السامة التي تؤدي صاحبها إلى ارتكاب القوانين والعبث بالأمن العام ، وتطاوله على أحد ما لغيره رغبة في توفير هذه السموم القاتلة . وقد عالج القس يسي منصور هذا الموضوع معالجة وافية جامعة للجموع ، وحذا في تخفيف الشقاء عن أسرات كثيرة وقعت ضحية هذه السموم . وقد طبع من هذه الرسالة عشرين الف نسخة على نفقة جمعية السيدات المسيحية ، وقام هو وسائر المحبين للخير والاصلاح بتوزيعها على الجمهور مجاناً . فنثني على صاحب هذه الرسالة ونرجو أن يكثر من أمثاله في هذا المضمار الخيري العام

زهرة الكتاب

تأليف محمد أمين شهيب

هذه مجموعة صغيرة تحتوي على عدد من المقالات الشريفة وبعض الابيات الشعرية التي قيلت في مناسبات شتى . وبعضها لحافظ بك ابراهيم ، واحمد بك لطفي السيد . وقد اشتملت على كثير من موضوعات تلائم العصر الحاضر في اتجاهه تفكيره وأفانين حياته وعواطفه الشريفة مثل : « ما هو الحب » ، و « الاخلاص وعزة النفس » ، و « السماء والماء » ، و « جزاء الفيلسوف النكدي » ، و « المرأة المصرية » ، و « شجرة الملتقى » ، و « تيرثة مدام كايو » ، وهذه المقالة للاستاذ احمد لطفي السيد ، وقد قال فيها :

« ولم لا ؟ نستنفر الفقهاء رجال القضاء والمحاماة الذين يكبرون محاوزة وحدود المدن المكتوبة ونصوص القوانين المحترمة وأصول الشرائع الموضوعة وينظرون الى العدول في مثل هذه القضية من طرف الدين نظرة التوجس . ويبسمون ابتسام الشفق الى الانسانية من تعلب الشاعر على المنقولات القانونية وقواعد العدل والانصاف ! نستنفرهم اذا قلنا مات الكاتب الكبير « كاليت » رحمه الله وحرمت

الصحافة من عمله النافع فلم تمت ما دام كابو ليعطل اجمال من احدى مظاهره . والفناء في حب الزوج من بعض آياته ! فلئن ركب العدول شططاً في التقدير على حسب قواعد الانصاف المكتوب طلبهم ليجتازوا حدود العدل الالهي في تقدير أن ما دام كابو عاشت كاليت على اعتدائه عليها وعلى زوجها

« ومع ذلك فما هو العدل في شرائعنا الوضعية الا اجماع الطائفة ذات الاثر في الناس على حدوده . ولي علي أنه سيشارك العدول في صحة هذا الحكم كل النساء وهن بصف بإثرا زائداً عليهم وحال لا يقل عددهم عن عدد أصدقاء كابو وأنصاره وناخبيه »

وعلى هذا النسق جرى المؤلف في جمع كتابه من تلك المقالات التي تناول عدة بحوث مختلفة لا تخلو من الجودة وحسن الاختيار

الحشرات المضرة بالزراعة المصرية

تأليف الاستاذ عثمان محمد

يعاني الفلاح في مصر من جراء الحشرات الزراعية كثيراً من الخسارة المالية وضياع المجهود سدى بسبب هجوم هذه الحشرات على مزروعاته وإتلافها إياها بعد ما يبذل فيها من وقت وقوة ومال ، وعندما يعلق الأمل على نجاحها واستغلال ثمارها . ولكن لا يلبث في عنفوان هذا الأمل، وقرب ميعاد النضوج أن تهجم على مزروعاته تلك الآفات المختلفة، فتصيبها بأضرارها الليغة ويعاني الفلاح المسكين مايعاني من مكافحة هذه الحشرات التي تغتال زرعه اغتيالا

لذلك كان من واجب كل مزارع وكل من له صلة بين الزراعة أن يكون على بينه من معرفة هذه الحشرات وطرق مكافحتها معرفة تفصيلية يستطيع بها أن يدرأ عن مزروعاته أضرارها وما تجره عليه من خسارة مادية . وقد أتيح للاستاذ عثمان محمد مدرس علم الحشرات بمدرسة الزراعة العليا أن يؤلف هذه الرسالة الموجزة عن الحشرات المضرة بالزراعة المصرية ، وتكلم عن كل حشرة من هذه الحشرات على حدة ، معززاً المعلومات التي ذكرها بالصور الجيدة المطبوعة طبعاً متقناً . وأهم هذه الحشرات التي تناولها بالبحث والمعالجة دودة القطن والجراد والندوة العسلية . وقد شرح تاريخ حياة كل حشرة وطرق إبادتها شرحاً وافياً يستفيد منه المزارعون وتلامذة الحقول فائدة كبيرة . ونحن ننقل للقراء جانباً من وصفه لدودة لوز القطن لنبين أسلوب المؤلف وبعض ما حواه من معلومات زراعية نافعة . قال :

« وصف الحشرة وتاريخ حياتها — الحشرات الكاملة التي لون الجسم أبيض في فراشات صغيرة . وهي كما قدمنا تظهر أحياناً بعدد كثيرة في فصل الصيف والآخر أصغر لوناً ويشاهد في فصل الشتاء ولا يوجد بكثرة كالنوع الاول . وتختفي هذه الفراشات بالنهار وتطير بالليل لتتغذى وتضع بيضها ولا تضع الانثى أكثر من بيضة واحدة على الزهرة ثم تنتقل الى غيرها وهكذا وبقيس البيض بعد أربعة أيام من وضعه وتخرج منه يرقات (ديدان) صغيرة لونها أصفر فاتح تثقب اللوز وفي المدة التي قبل تكوين اللوز تثقب الزوار أو أطراف الفروع وتتغذى داخل هذه الاجزاء فتتلفها فاذا أصابت الفروع فانها تثقب داخلها وتميتها وتظهر أثيرها وصوح في المدة الاولى من نمو القطن أي في مايو ويونية واذا أصابت الوسواس أي الزوار فانه عند ما تثقب اليرقة تتفتح الاوراق وتجف وتسقط واذا أصابت اللوز المتوسط الحجم يحمر لونه ويجف ويسميه الفلاحون باللوز المريوم

بين الهلال وقرائه

البوذة وتعاليمه

﴿ القاهرة – مصر ﴾ زكي حلمي بكلية الحقوق

من هو البوذة ومتى عاش وما هي خلاصة تعاليمه وكم عدد أتباعه ؟

﴿ الهلال ﴾ – البوذة – (ومعناه في اللغة الرجل المستنير) حكيم هندي عاش من سنة ٥٦٠ الى ٤٨٠ قبل التاريخ الميلادي . وكان في حداثته يسمى « جوتاما » ثم يعرف بسم « سدهارتا » وكان يعرف أيضاً باسم آخر وهو « سكيامولي » ، وفي تعاليمه المتقدمة ان ولادته كانت على طريقة عجيبة و ... شهر هذه حياته بالحكمة والشجاعة . وفي اليوم التاسع والعشرين من عمره رأى رؤى كثيرة حملته على درس الحكمة والأديان المختلفة . فهجر زوجته وطفله واعتزل العالم وما كان يتمتع به من جاه وثروة وأصبح شريداً طريداً يضرب في أنحاء الارض ويبحث عن الحقيقة وعن راحة النفس . وكادت لذات العالم تستهويه مراراً وتحمله على العودة الى أسرته وقومه ولكنه انتصر على أهوائه وانزوى تحت شجرة (صبت فيما بعد شجرة الحكمة) يدرس ويتعمق في أساليب الحكمة الى أن بلغ غايته منها وأصبح يعرف « بالبوذة » أي المستنير . ثم عاد الى أسرته وأصبح في مصاف الآلهة وكانت روحته أول من انقطع للزهد والتقشف بموجب تعاليمه

وكان البوذة يرمي الى اصلاح الديانة الهندية بمحاولة نشر الفضائل والانتصار على الرذيلة . وكان الفقراء أشد الناس تمسكاً بتعاليمه لأنه قال بمساواة جميع الطبقات وبوجوب التضحية والزهد في لذات العالم سعياً للوصول الى (نرفانا) أو النعيم الابدي

وقد انتشرت البوذية في الهند والصين واليابان ، بحيث ... من عدد أتباعها بالتمام فقد قدرهم البعض بمائتي مليون وقدرهم الغير بستمائة مليون . والمجال لا يسمح بوصف جميع التعاليم البوذية

ميزانيات الدول

﴿ ومنه ﴾

كم تبلغ ميزانية كل من المانيا واليابان والولايات المتحدة ؟

﴿ الهلال ﴾ تبلغ ميزانية المانيا للنفقات والايرادات في هذا العام احد عشر الفاً وارجين مليون مارك (نحو ٥٥٢ مليون جنيه) وميزانية اليابان نحو ١٦٨ مليون جنيه . وميزانية الولايات المتحدة أكثر من ثمانمائة مليون جنيه على وجه التقريب

غاية الحياة

﴿ حوسبيرا بأمركا الجنوبية ـ بهجت الحلو ﴾

لماذا وجد الانسان في هذه الحياة الكثيرة المشقات وما الغاية من وجوده في الدنيا ما دام مصيره الى الموت ؟

﴿ الهلال ﴾ يقول الذين يؤمنون بوجود الله وبأنه خالق الارض والسماء وكل ما فيهما ان الله انما أوجد الانسان في هذا العالم لكي يسبحه ويمجده . إذ ما فائدة وجود إله بلا خلائق يعبده وما فائدة وجود ملك في برية قفراء ليس فيها نسمة حياة

أما مشقات الحياة فيقول المؤمنون بوجود الله انها عقاب للانسان على خطاياه وانها ضرورية لكي يشعر الانسان بلذة السعادة إذ بضدها تتميز الاشياء . فلولا الظلام ما عرفنا قيمة النور . ولولا المر ما عرفنا قيمة الحلو . ولولا المشقات الحياة ما عرفنا قيمة السعادة

أما الذين لا يؤمنون بوجود الله فيقولون ان الحياة وجدت على هذه الارض مصيرة لا غير وان المشقات هي نتيجة مخالفة الانسان لنواميس الطبيعة القاسية

مثلث الرحمات

﴿ مريدا ـ بوكاتان ﴾ ش . ا

نرجو الافادة عن معنى مثلث الرحمات وهل هي مختصة بالمتوفين من أصحاب الدرجات الكهنوتية فقط أم تطلق على الخاصة والعامة ؟

﴿ الهلال ﴾ في كلمة « مثلث الرحمات » إشارة إلى الاقانيم الثلاثة التي هي ذات الله بحسب اعتقاد المسيحيين . وتطلق هذا النعت على أصحاب الدرجات الكهنوتية عادة

التثاؤب

﴿ ومنه ﴾

ما سر عدوى التثاؤب . ولماذا يتثاءب عمرو إذ يتثاءب خالد ؟

﴿ الهلال ﴾ التثاؤب هو استنشاق الهواء استنشاقاً عميقاً على أثر استنشاقه متقطعاً . وهو ظاهرة تحدث من تلقاء نفسها أي أن الانسان لا يتعمدها ولا سلطة له عليها

أما تثاؤب رجل عند ما يرى غيره يتثاءب فهو من باب التقليد غير المتعمد ومثله إذا رأيت عيرك يخرج من جيبه سجارة لبدخنها عمدت أنت أيضاً إلى سجارة تشعلها على غير انتباه . فعملك هذا هو تقليد غير متعمد

الحيوانات والطعام الحلو

﴿ يوسف . مسقاية ﴾ دوميط حاكرم سمعت ذكره عن الطعام الحلو في حين ان الثعلب يتناوله بشراهة ؟

﴿ الهلال ﴾ أردتم بالطعام الحلو الاثمار ولا ريب لان الاطعمة الحلوة كالسكك وغيره يأكل المرء منه

أما الاثمار فيأكل المرء منه اذا اضطر وذلك اذا جاع ولم يجد غيرها . ونظن ان هذا حال الثعلب أيضاً . فانه من الحيوانات آكلة اللحوم كالهر وقد اشتهر بالسطو على الدجاج والطيور في المزارع . ولكنه اذا لم يجد شيئاً منها عاث في كروم العنب مفسداً . فهو مشهور بأكل الدجاج والعنب معاً ولكننا نظن انه اذا وجد كفايته من الاولى لم يعبأ بالثاني

أزمة الزواج

﴿ القاهرة ـ مصر ﴾ ابرهيم تادرس

أيهما المسؤول عن أزمة الزواج الحاضرة ـ الرجل أم المرأة ؟

﴿ الهلال ﴾ كلاهما على السواء فالرجل الذي يفضل العزوبة وما فيها من حرية كاذبة واستقلال خادع. والرجل الذي يخشى من الزواج لما يقتضيه من تبعات . والرجل الذي يؤجل الزواج لسبب من الأسباب ـ جميع هؤلاء يساعدون على خلق أزمة الزواج

وكذلك الفتاة التي تتطلب في خطيبها صفات لا تتوفر إلا في الملائكة وتشترط أن تكون سنه كذا وماله كيت ـ هذه الفتاة تساعد على خلق أزمة الزواج

الجراد وغاراته

﴿ ملريه يوكتان ـ للكسك ﴾

لماذا يكثر الجراد في البلاد العربية في بعض السنين ويقل في غيرها ؟

﴿ الهلال ﴾ يظهر ان للجراد فترات زمنية يكثر فيها فيرحل الى جهات معينة . والارجح ان الجراد الذي يغزو بلاد العرب من وقت الى آخر يجيء من مرتفعات بلاد الحبشة فيتجه شمالا ثم يعبر البحر الاحمر فيسقط فيه منه عدد كبير ويهلك . وينجو الباقي فيصل الى بلاد العرب حيث يضع بيضه ويتوالد بسرعة مدهشة وقد كانت غزوة الجراد لمصر وسيناء وبعض بلاد الشرق الادنى في هذه السنة من أعظم الغزوات التي عرفت في التاريخ

اللغة البرازيلية

﴿ راول سوارس ـ البرازيل ﴾ تقولا نجيب الصباغ

قضيت مدة في هذه البلاد أسافر من مدينة الى مدينة ومن جهة الى أخرى وقد وجدت اختلافاً كبيراً في اللغة بين الولايات المختلفة . فما سبب هذا الاختلاف ؟

﴿ الهلال ﴾ سببه ان الشعب البرازيلي يتألف من عناصر مختلفة فهنالك العنصر الذي من أصل اوربي (ويبلغ نحو ٤٥ في المائة من مجموع السكان) والعنصر الهندي (٣٢ في المائة) والعنصر الزنجي (١٦ في المائة) وعناصر شرقية مختلفة (وتبلغ نحو ٨ في المائة) وقد أثر كل عنصر من هذه العناصر في اللغة البرازيلية فجعل لهجاتها تختلف

وهذا الاختلاف طبيعي نشاهده في جميع لغات العالم بلا استثناء ويجب أن نتذكر ان للاقليم وللاحوال الجوية أيضاً تأثيراً في اللغة وهذا بحث لا يتسع له المقال

التسمية باسم الاب

﴿ القاهرة ﴾ وليم نحاس

لماذا ينتسب الشرقيون الى آبائهم لا الى عائلاتهم كالغربيين ؟

﴿ الهلال ﴾ الغالب في الشرق انتساب الرجل الى أبيه فاذا كان اسمه ابرهيم واسم أبيه سليمان داود عرف باسم ابرهيم سليمان الا بين الذين عرفوا منذ زمان طويل بالانتساب الى اسم العائلة . والغريب ان اسم العائلة قد يكون قديماً مشهوراً ومع ذلك ترانا ننتسب الى آبائنا أو يسمي الواحد منا باسمين من غير نظر الى العائلة فيسمي مثلا يعقوب ذهني ويكون اسم أبيه جابر خليل وهذه العادة الاخيرة في التسمية تركية الاصل اقتبسها أهل مصر من الترك

من هنا وهناك

من آثار التحريم

يعترض الكثيرون من أعداء « التحريم » في أميركا (أي الذين يقولون بوجوب إباحة المشروبات الروحية) على قانون التحريم بقولهم انه قد زاد في عدد الجنايات في جميع الولايات التي ينفذ فيها . وفي الواقع ان الاحصاءات تدل على صحة هـذا الاعتراض لأن جانباً كبيراً من جنايات بضع السنوات الاخيرة في أميركا هي حوادث قتل وقعت بين البوليس وجماعات المهربين . أضف الى ذلك ان قانون التحريم قد ساعد على تفشي داء الرشوة بين البوليس الاميركي وأفضى الى تفكير المهربين في استنباط الحيل المختلفة وفي رسم خطط لارتكاب جرائم تدل على دهاء عظيم

المطالب بعرش النمسا

هو الارشيدوق أوتو ابن الامبراطورة زيتا وقد نشأ وترعرع مغتربا عن عاصمة ملكه . ويظهر ان عودة الملك كارول الى عرشه في رومانيا أحيت في نفس أوتو وأنصاره فأخذوا يجددون نشاطهم ويرسمون الخطط لاعادة أوتو الى عرش آبائه

ويظهر الآن ان أعداء أوتو الحقيقيين ليسوا هم رجال السياسة في أوربا بل هم الاشتراكيون في بلاد النمسا . فان فريقاً كبيراً من الناقمين على أسرة هابسبرج يعارضون في رجوعها الى العرش وليس عدد هؤلاء قليلاً حتى يستهان بهم ولا بدع فقد يكون أعدى أعداء المرء أهل بيته

ولايات متحدة أوربية

قد يزعم بعض القراء ان الدعوة التي وجهها المسيو بريان وزير الخارجية الفرنسية الى الدول الاوربية لتحويل أوربا الى ولايات متحدة أوربية هي الاولى من نوعها . وفي الحقيقة ان جمعة كتاب ومفكرين سبقوا المسيو بريان الى هذه الفكرة وبينهم مور الشاعر الانجليزي وجان جاك روسو وفكتور هوجو وغيرهم . والأرجح انه كما فشلت هذه الدعوة قديماً ستفشل في هذه الايام أيضاً لأن مصالح دول أوربا يصعب بل يتعذر التوفيق بينها

نفق المانش

كما صفا الجو بين فرنسا وانجلترا قام المفكرون فيهما يدعون الى إنشاء نفق تحت خليج المانش ليقرب المسافات بين الدولتين ويجعلهما أكثر ارتباطاً وتضافراً . وقد كانت الآمال بعد الحرب العظمى الماضية أن توافق انجلترا — وانجلترا هي التي تعترض دائماً — على إنشاء النفق المذكور لا سيما ان الحكومة

البريطانية عينت لجنة خصوصية لاعادة البحث في المشروع . ولكن بعد أنفقت اللجنة جانباً كبيراً من الوقت أعربت عن رأيها بعدم إنشاء النفق وبنت رأيها هذا على أسباب لا نخالها تخفى على أحد فأكثرها معروف . وبذلك قضي على مشروع النفق مرة أخرى وقد أبدت بعض الصحف الانجليزية نفسها مزيد استيائها من قرار اللجنة فقد جاء مخيباً لآمال الكثيرين

السينما الناطقة

بدأت السينما الناطقة في اميركا . ولا تزال أميركا محتكرة لهذا الاختراع . ويظهر ان المبالغ التي تنفقها الشركات الاميركية ليست مما يسهل على غير اميركا انفاقه . فقد خصصت شركة « مترو جولدوين » وحدها (وهي واحدة من عدة شركات سينماتوغرافية بهوليوود) مبلغاً هائلا من المال لا يقل عن ثلاثين مليون دولار (ستة ملايين جنيه) لانفاقه في السنة القادمة فقط على اخراج روايات سينماتوغرافية ناطقة

ولما كان الانجليز يسخرون من نطق الاميركيين للغة الانجليزية فقد عزم جماعة من الماليين في لندن على إنشاء شركة برأسمال كبير لاخراج روايات سينماتوغرافية ناطقة خالية من شوائب النطق الاميركي

التصفيق علامة المشاعر

قد يستطيع المرء أن يضبط عواطفه ويتحكم بها ولكنه قلما يستطيع كبح جماح عواطفه عند ما يشهد شيئاً يأخذ بمجامع لبه ويرى جميع من حوله يهتفون ويصفقون علامة الاعجاب فانه ينضم اليهم في هذه الحالة ويشترك معهم في التصفيق ويقال ان الحماسة تتغلب على كل تعقل ورزانة وتجعل المرء يعرب عن عواطفه أبلغ إعراب . والتصفيق الذي يقصد به المشاعر يكون على أنواع يختلف كل منها عن غيره باختلاف الطباع . فهناك التصفيق الصادر عن اخلاص والتصفيق الكاذب وتصفيق التملق وتصفيق التقليد (عند الاولاد والبسطاء) وهلم جرا . وكل من هذه الانواع يكون عادة مصحوباً بحركات معينة

أندية الطيران

في انجلترا عدة أندية للطيران تقدم لها الحكومة الاعانات المالية المختلفة . وهذا دليل على اهتمام الحكومة الانجليزية بفن الطيران وعلى اعتقادها ان هذا الفن سيحل في المستقبل محل الملاحة البحرية فتحل الطيارات محل السفن والبوارج

وفي اميركا ثلاثمائة ناد وأربعة أندية للطيران أنشىء نصفها في السنتين الماضيتين ولكن الحكومة الاميركية لا تمد هذه الاندية بالاعانات ولا يزال الانجليز والاميركيون يتبارون في الطيران لاحراز قصب السبق والتمتع بالسيادة الجوية في المستقبل

هل هو خيال

في مؤتمر القوى العالمية الذي عقد أخيراً في برلين ألقى السر ادنجتون — أكبر علماء الفلك في الوقت الحاضر — خطبة أدهشت السامعين بما حوته من الآراء والمعلومات وجاء فيها انه لو أمكن ايجاد حرارة على هذه الارض تبلغ أربعين

مليون درجة (بمقياس فهرنهيت) لأمكن الاستغناء عن جميع القوى التي يسخرها البشر في هذا العالم لخدمتهم من بخار وكهرباء وماء وهواء الخ . وقد توصل العلم الى استيلاد حرارة بلغت درجتها مليونا بمقياس فهرنهيت ولكنه لم يتوصل حتى الآن الى استيلاد حرارة أعظم منها ومتى توصل أدرك ان في دقائق الماء الذي في ملعقة صغيرة قوة تعادل قوة مائتي حصان مدى عام كامل بحيث لو أطلقت هذه القوة لكان أثرها مما يدهش عقل الانسان

الصلب الذي لا يصدأ

هو نوع جديد من الصلب استعمله فورد أغنى أغنياء العالم) في صناعة الأوتوموبيلات . وهذا الصلب هو في الواقع مزيج من أتى أنواع الصلب الاعتيادي مع ١٨ في المائة من الكروميوم و ٨ في المائة من النيكل ومقادير مختلفة صغيرة من المنغنيز والسليكون والفوسفور والكبريت والكربون . وقد دعي هذا المعدن « الميغاني » وتقول مجلة « العلم المتداول » إن مهندساً انجليزياً هو الذي استنبط طريقة صنع هذا المعدن ولكن هنري فورد هو الذي انتفع به وتعاقد مع جميع الشركات الأميركية على « توريده »

الاغلاط في اللاكة

تقول إحدى المجلات الأميركية في معرض كلامها عن المباراة الكبرى التي جرت أخيراً في نيويورك بين اللاكم شاركي الاميركي واللاكم شملنج الالماني وأسفرت عن فوز الاخير بسبب لكمة خطأ كالها له الاول — ان لكمات الخطأ قد تكررت كثيراً في أميركا في العهد الاخير مما يدل على أن الاميركيين قد أصبحوا يستخفون بقوانين اللاكمة . ولا يخفى أن ايراد حفلة ملاكمة شاركي وشملنج بلغ اكثر من ثلاثة ملايين دولار (ستمائة الف جنيه) مما يدل على اهتمام الجمهور الاميركي بامر اللاكمة . ويؤخذ من احصاء دقيق انه حدثت في أميركا في السنة الماضية عدة مباريات للملاكمة منها عشر مباريات بلغ مجموع إيرادها عدة ملايين من الريالات وحكم في جميعها بارتكاب اللاكمين خطأ في الفن . وقد حير هذا الامر جميع القائمين بتنظيم حفلات اللاكمة في أميركا وعقدوا أخيراً عدة اجتماعات للنظر في هذا الامر . ولم يستقر رأيهم حتى الآن على أمر حاسم

الغريق مجنون

كثيراً ما يحاول السباح الماهر انقاذ غيره من الغرق فيغرق هو أيضاً معه . وقد بحث مستر دالتون الانجليزي الذي عبر خليج المانش في هذا الامر فانتهى الى هذه النتيجة وهي ان الذي يشرف على الغرق يفقد قواه العقلية كلها ويصبح مجنوناً بكل معنى الكلمة . فمتى رأى شخصاً قادماً نحوه لانقاذه يظنه عدوه فيحاول الامساك به للانتقام منه ويلف ذراعيه حول عنقه ويمنعه من كل حركة وتنتهي المأساة بغرق كليهما

وعليه يقترح مستر دالتون على كل من يحاول إنقاذ رجل مشرف على الغرق أن لا يدعه يمسك برقبته أو يتعلق به بل يعالجه بالحكمة ولا يمكنه من نفسه . وبهذه الطريقة وحدها يمكنه انقاذه

ووصف مستر دالتون طريقة للانقاذ يصعب شرحها بضعة أسطر وقال انها أفضل طريقة لانقاذ المشرفين على الغرق